

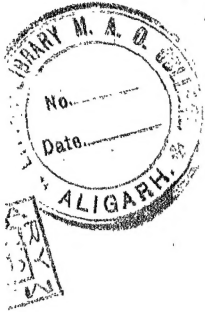
﴿ فهرست ﴾
 ما لا يد من التنبية عليه من الخطأ والصواب في الجزء الثاني من هذا الكتاب

صفحة	سما	خط	صواب
٢	١٢	لثقل	الثقل
٩	٧	بطشة	بطشة
٩	٢٤	قلج	قلج أرسلان (وهكذا)
١٧	١٩	فلاد	بلاد
٢٠	٥٥	المجورين	المجبرين
٢٢	٣٦	أوعذا	أوعزا
٤٠	٣٣	نقوة	بقوة
٤٤	٢١	سحقى	سحقى
٤٧	٣٤	بطشة	بطشة
٤٨	٧	بطشة	بطشة
٥٣	١٥	عزير المرأة	عزير المرأة
٥٤	٣٦	تقرص لبرد	تقرص البرد
٩٤	٣٢	بن ملك	بن فلك
١٤٠	٣٣	فتقطر	فتقطر
١٤١	٢٣	نقطر	نقطر
١٤١	٢٤	فتقطر	فتقطر
١٧٤	٢١	وادنا عطاياك	وادنى عطاياك
٢٠١	٢٩	ويسألناه	ويسألناه
٢٠٨	٢١	بديع الحمل	بديع الحمل

هذا أول ما لم يزل يوجد في طبع هذا السفر الثريف بعض تحريف وتصحيف كمنه بعض نقط
 أو عدم ضبط في طبع بعض الحروف لا تنحى على فهم القارئ المعبى والله سبحانه وحده
 هو المانز به من الغلط والسقط وهو العالم بالخبر

(١)

﴿ فهرست الجزء الاول من كتاب الروضتين في أخبار اربل واثين ﴾



صفحة	مخطبة الكتاب
٢	مقدمة الكتاب
٥	فصل في الدولة النورية وسطانها
١٨	فصل في مدح نور الدين رحمه الله تعالى باشعار كثيرة وأوصافه فوق ما مدح به
٢٤	فصل في أصل البيت الأتابكي
٢٥	فصل في قتل الوزير نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن اسحاق
٢٦	فصل عاش السلطان ملك شاه بعد نظام الملك خمسة وثلاثين يوما
٢٧	فصل ذكر أخبار زنكي
٢٨	فصل في ولادة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله
٢٩	في تولية السلطان محمود السلطنة وأقرار أخيه مسعود على الموصل
٣٠	في ولاية زنكي الموصل وغيرها من البلاد
٣٢	في جهاد زنكي للفرنج
٣٣	في فتح شهر زور وبعثك وحصار دمشق
٣٤	في مسير أتابك الشام إلى بلاد الفرنج وأغارته عليهم
٣٦	في مسيره إلى بلاد الحكارية وكان يبدأ الأكراد
٣٦	في فتحه الرها
٤٠	في مسيره إلى قلعة البيرة بعد فراغه من خذل الرها وأصلاح حالها واستيلائه على ما وراءها من البلاد والولايات
٤٢	في وفاة زنكي رحمه الله
٤٣	في بعض سيرة الشهيد زنكي
٤٦	فيما جرى بعد قتل زنكي من تفرق أصحابه وتلك ولديته بمازى ومحمود
٤٨	فيما جرى بعد وفاة زنكي من صاحب دمشق والأفرنجي المخذولين
٥٠	في توقيع كتب عن خليفة مصر الملقب بالحاظ
٥١	في نزول الأفرنجي على دمشق ورجوعهم ومخذولين
٥٢	في اجتماع ككل من بالشام من الأفرنجي بملك الأمان الموصل إلى الشام وقصدهم دمشق
٥٣	في رؤية النقيب العذلاوي في المنام وذكر موضع قبره وقبر عبد الرحمن الحطول
٥٥	في رحيل الأفرنجي عن دمشق وبما مر بعد ذلك
٥٥	في مسير نور الدين إلى بصرى وقد اجتمع به الأفرنجي وقد عزموا على قصد بلاد الإسلام
٥٧	في ورود الخرمين ناحية حلب بان صاحبها نور الدين بن أتابك أمره بإبطال حى على خير العمل
٦٢	في مسير نور الدين إلى حصن قامة وهو للفرنج
٦٤	في وفاة معين الدين آثر بدمشق وما كان من الرئيس ابن الصوفي في هذه السنة
٦٥	فصل في وفاة سيف الدين بمازى بن زنكي صاحب الموصل

(ب)

محققه

٦٦	فصل فيما جرى بعد وفاة سيف الدين
٦٧	فيما جرى بعد تولية قطب الدين على الموصل
٦٩	في اتصال الخبر الى نور الدين بافساد الفرنج في الاعمال الحورانية
٧١	في فتح عراز
٧٣	في صفة أسرجوسلين
٧٦	في ذكر مسير نور الدين الى قلعة جوساين وملك بعضها واجتماع الافرنج والتقاءهم به
٧٧	في توجه مجاهد الدين بران الى حصن صرخه لثقة قد آحواله وما جرى في غيابه واقضاء الحال
	لرجوعه وما فعل بعد ذلك
٨٣	في بقية حوادث سنة خمس وأربعين
٨٦	فيما جرى في سنة سبع وأربعين
٨٧	في ولادة ابن نور الدين سماء أجد
٨٩	فيما جرى في سنة ثمان وأربعين
٩٠	فيما عزم من المشاحنات بين الرئيس ابن الصوفي وبين اخو يد عز الدولة وزين الدولة
٩٩	في وصول الامير محمد الدين ابوبكر نائب نور الدين في حلب الى دمشق عقب عودته من الحج
١٠٠	في حوادث سنة احدى وخمسين وخمسمائة
١٠٣	في توجه نور الدين الى حلب في بعض عسكره عند انتهاء افرنج اليه بعثهم في اعمالها
١٠٧	في توجه نور الدين الى بعلبك لثقة قد آحوالها
١٠٩	في تواصل الاخبار بوصول ولد السلطان مسعود في خلق كثير لانزول على انطاكية الى آخر ما ذكر
١١١	في ذكر حصن شيرز وولايتي من نقد
١١٤	في بواقي حوادث سنة اثنيتين وخمسين
١٢٠	فيما ترتب على الزلزلة المشاة التي حدثت بناحية حلب
١٢١	في تجميع قوم من السفهاء العوام وعزمهم على الخريبض لنور الدين على اعادته ما كان أبطل وسامح
	به أهل دمشق من الرسوم الى آخر ما ذكر
١٢٢	في دخول سنة أربع وخمسين
١٢٣	في وصول رسول ملك الروم بهدية التحف بمال الملك العادل
١٢٤	في حوادث سنة ست وخمسين وخمسمائة
١٢٧	في حوادث سنة سبع وخمسين وخمسمائة
١٢٧	في حوادث سنة ثمان وخمسين
١٢٩	في حوادث سنة تسع وخمسين
١٣١	في فتح حارم
١٣٤	فصل في ذكر وزير الموصل ووفاته
١٣٩	في حوادث سنة ستين وخمسمائة
١٤١	في حوادث سنة احدى وستين وخمسمائة

فصل في قدوم عماد الدين الكاتب الى دمشق الى آخر ما ذكر
 في طلب نور الدين من أخيه قطب الدين ان يعبر الفرات بعسكره
 في حوادث سنة ثلاث وستين وخمسمائة
 في وفاة زين الدين
 في حوادث سنة أربع وستين
 في فتح الديار المصرية
 فيها فعله نور الدين
 في القبض على شاور وقتله
 في وفاة أسد الدين شيركوه
 فيما ذكر من قصة شاور وما جرى بسببه في الديار المصرية الى ان تمت وزارة صلاح الدين
 في ذكر بعض قصائد مدح بها نور الدين وهي في صاحب تلك مصر
 في تمل مؤتمن الخلافة بالخرقانية ووقعة السردان بين القصرين وغير ذلك
 في حوادث سنة خمس وستين وخمسمائة
 أرسل نور الدين كتابا الى العاضد صاحب القصر بمئة مبرجل الفرج نجح عن فقر دمياط الى آخر ما ذكر
 في مسير نجيم الدين أيوب الى مصر بمائة ألفه وأولاده
 في ذكر الزلزلة الكبرى التي عمت أكثر بلاد الشام
 في غزو صاحب البصرة ووفاته صاحب الموصل
 في عبور نور الدين الفرات لتدبير أولاد أخيه سيف الدين بعد وفاته
 في ذكر رجل صالح بالموصل يسمى عارم الملا
 في وصول الخبر بوفات الامام المستنجد بالله أن المظفر يوسف بن المنق
 في بقية ما جرى في سنة ست وستين وخمسمائة
 في حوادث سنة سبع وستين
 فيما جرى بعده واث العاضد وانقراض دولة الفاطميين واعادة الخديعة بالدار المصرية لابن العباس
 في ذكر غزو النجاشي في سنة سبع وستين
 في باقي حوادث هذه السنة
 في حوادث سنة ثمان وستين وخمسمائة
 في جهاد السلطان الفرج في هذه السنة وفي فتح بلاد الزوبه
 في وفاة نجيم الدين أيوب والصلاح الدين وطرف من أخباره
 فصل في مسير نور الدين قاصدا الجانب الشمالي
 في بقية ذكر لميجين لاون مقدم بلاد الارمن والقبائل الى نور الدين الى آخر ما ذكر
 في حوادث سنة تسع وستين وخمسمائة
 في فتح اليمن
 في ذكر الامير محمد الدين سيف الدولة البارز بن كامل بن محمد

- ٢١٩ فصل في صلب عماره الشاعر البني وأصحابه
 ٢٢٤ في التعرف بجماله عماره ونسبه وشعره
 ٢٢٧ في وفاة نور الدين رحمه الله
 ٢٣٠ في جلوس الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين في الملك بعد وفاة أبيه
 ٢٣١ في قصد الفرنج على الثغرة ومدهم بأرباس بعد وفاة نور الدين إلى آخر ما ذكر
 ٢٣٤ في دخول سنة تسعين وخمسمائة
 ٢٣٤ في عزم السلطان على أن يسارع إلى إلّا في الأمر إلى آخر ما ذكر
 ٢٣٥ في نوبة البكتز
 ٢٣٥ في توجه صلاح الدين إلى دمشق ودخوله إليها
 ٢٣٧ في ما جرى به دفع دمشق من فتح حصن وجماعه
 ٢٣٩ في ما حصل من الهدء العظيم وكثرة النبل في هذه السنة
 ٢٤١ في إرسال الخطيب شمس الدين بن الوزير من طرف السلطان إلى الديوان إلى آخر ما ذكر
 ٢٤٤ قال الأماذكنت بالموصل فستلث نظم مرمية في نور الدين إلى آخر ما ذكر
 ٢٤٨ في ما جرى الموصله والجلبين مع السلطان في هذه السنة
 ٢٥١ في طلب الفاضل العماد الكاتب من السلطان أن يكون معه ويلزمه بالديوان
 ٢٥٢ في حوادث سنة إحدى وسبعين وخمسمائة
 ٢٥٦ فصل في فتح جملة من البلاد ودحو إلى حلب
 ٢٥٨ في وثوب الحشيشية على السلطان
 ٢٥٩ في وثاق حوادث سنة إحدى وسبعين وخمسمائة
 ٢٦١ في حوادث سنة اثنين وسبعين وخمسمائة
 ٢٦٢ في ذكر جماعة من الأعيان
 ٢٦٤ في رجوع السلطان إلى مصر
 ٢٦٨ في يسع الكتب وعمار الفلعة والبيمارستان
 ٢٦٨ في خروج السلطان إلى سكندرية وغير ذلك
 ٢٧١ في حوادث سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة
 ٢٧٣ في نوبة كسرة الرملة
 ٢٧٤ في وفاة كشتكين وخروج السلطان من مصر بسبب حركة الفرنج إلى آخر ما ذكر
 ٢٧٨ في قتل عضد الدين بن رئيس الرئساء وزير الخليفة ببتداد



كتاب الروتين في أخبار الدولتين
تأليف الشيخ الامام العالم الفاضل الصدر الكامل
الاحمد في عصره وحيد عصره مجموع الفضائل
شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن اسمعيل
ابن ابراهيم المقدسي الشافعي
قته سده الله تعالى
برجسته
آمين

٢

رواية الشيخ الامام محمد الدين أبي المظفر يوسف بن محمد بن عبد الله الشافعي سماعته

﴿الجزء الاول﴾

(طبعة جديدة)

مطبعة وادي النيل عصر القمامرة

سنة ١٢٨٧

مستوفى
٣١-١-١٣٨٧
م

M. A. LIBRARY, A. M. U.



ARI386

١٣٨٦

٨٤/١٢
٢٧

(كتاب الروضتين في أخبار الدولتين)
(النورية والصلاحيه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الجليلة الذي بلغته تصليح الاعمال * وبكرمه وجوده تدرك الاسمال * وعلى وفق مشيئته تتصرف الافعال * وبارادته
تتغير الاحوال * واليه انصير والمرجع والمآل * سبحانه هو الباقي بلا زوال * والمنزوع من الجاول والاتقال *
عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال * ذو العرش والمعارج والذلول والكرام والجلال * تسجد له على ما ينبغي *
من الانعام والافضل * ومن به من الاحسان والنوال * حمد الانوارنه الجمال * ملء السموات والارض وعلى
كل حال * ونصلي على رسوله ونبيه * وخيرته من خلقه وصفيه * وخليئه ووليه * وجميعه المفضل * سيدنا آبي
القاسم محمد بن عبد الله ذي الشرف الاباذخ * والفضل الشامخ * والهدى الرايح * والجمال الكامل * صلى الله عليه وعلى
الآله الطيبين * والانياد والمرسلين * وعترتهم الطيبين * ما أفل كوكب وطاع هلال * وعلى آل محمد وجميعه خير
يعجب أكرم آل * وعلى تأييدهم باحسان وجميعه الاولياء والابرار * وعفاسن المقصرين من أمته أولى الكسار
والملل * وحشرنا في زمرة * متمسكين بشريعتهم * مقتدون بسنتهم * متعطفين بما ضرب من الامثال * من رديين تحت
لوائه * في جلة اوليائه * يوم لا بيع فيه ولا خيال * (أما بعد) فانه بعد ان صرفت جل عري * ومو معظم فكري * في
اقتباس الفوائد الثمينة * واقتناص الفرائد الادبية * عني إلى أن أصر في علم التاريخ بعضه * فأحوز بذلك سنة
العلم وفرضه * اقتداء بسيرة من مضى * من كل عالم مضى * فقل امام من الأئمة الاويحيى عنه من أخبار من سلف
فوائد جمة * منهم امامنا أبو عبد الله الشافعي رضي الله عنه قال مصعب الزبيري ما رأيت أحدا أعلم بآيام الناس من
الشافعي ويرى عنه انه أقام على تعلم أيام الناس والادب عشرين سنة وقال ما أردت بذلك الا الاستعانة على الفقه
قلت وذلك عظيم الفائدة * جليل العائدة * وفي كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أخبار الامم السالفة
وأبناء القرن الحاضر * ما فيه عبر لندى البصائر * واستعداد ليد بلى السرائر * قال الله عز وجل وهو اصدق
القائلين * وكلان نقص عليكم من آباء الرسل ما نثبت به فؤادكم وجاء في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين * وقال
سبحانه وتعالى ولقد جاءهم من الانبياء ما فيه من دجى حكمة بالغة فاتخذوا النذر * وحادث النبي صلى الله عليه وسلم

كتاب الروضتين (٣) في أخبار الله ولين

محدث أم ذرع وغيرهما جرى في الجاهلية * والأيام الأسرية * وحكى عجائب ما رآه ليلة أسرى به وعرج * وقال
 جدوا عن بني إسرائيل ولا جرح * وفي صحيح مسلم عن سائلين حرب قال قلت لجابر بن سفيان كنت تجالس رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال نعم كثيرا كان لا يقوم من مصلاة الذي صلى فيه الصبح والغداة حتى تطلع الشمس فإذا طلعت
 قام وكانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتسم * وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمر رضي الله
 عنهما قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن بني إسرائيل حتى نصبح ما ية يوم إلى عظم صلاه * قلت ولم تزل
 المحاسبة والنسابة عن يدهم بنفاد وضون في حديث من مضى * ويندأ كرون ما سبهم من الأخبار واقضى *
 ويستشدون الأشعار * ويتطلبون الآثار والأخبار * وذلك بين من أفعالهم * لمن أطلع على أحوالهم * وهم السادة
 القدوة * فلناهم أسوه * فاعتدبت بذلك ونصحتهم * وبجست عنه مدق وتطلبته * فوقفت والجلد لله على جملة كبيرة
 من أحوال المتقدمين والمتأخرين * من الأنبياء والمرسلين * والعجائب والتابعين * والخلفاء والسلاطين * والعلماء
 والمحدثين * والاولياء والصالحين * والشعراء والنحويين * وأصناف الخلق الباقين * ورأيت أن المطلع على أخبار
 المتقدمين * كأنه قد عاصرهم أجمعين * وأنه عندنا تكرر في أحوالهم وأندكرهم * كأنه كان مشاهدهم ومخاضهم *
 فهو قائم مقام طول الحياه * وأن كان متجهل الوفاة * قال نعم بن حماد كان عبد الله بن المبارك يكثر الجلاس في بيته
 فيقبل له الاستدحش فقال كيف استدحش وأنام النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وفي رواية قال قبل لأن المبارك
 يأبى عبد الرحمن تكثر التعمد في البيت وحده فقال أنا وحدي أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعني النظر في
 الحديث وفي رواية أخرى وأنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين لهم بإحسان قلت وقد أشد لبعض
 الفضلاء كتاب اطالعته مؤنس * أحب الي من الكتاب

وادرسه فيرى القرو * ن حضورا وأعظمهم دارسه

وقد اختار له سبحانه ثلثان تكون آخر الامم واطلعه على أنباء من تقدم لنتعجب بما جرى على القرون الخالية * وتعمي أذن
 واعيه * فويل ترى لهم من بآية * ولانقدى من تقدمنا من الانبياء * والائمة الصالحاء * ونرجو توفيق الله عز وجل أن
 يجمع بين مدخل الجنة منهم * ونذكر أكرمهم بما نقل المناهض * وذلك على رغم أنف من عدم الادب * ولم يكن له في هذا العلم
 ارب * بل أقام على غيه واكب * والمرء مع من أحب * وهذا وان الجاهل يعلم التاريخا ركب ظهر عبياء * خابط خط
 عشواء * ينسب الى من تقدم اختيار من تأخر * ويعكس ذلك ولا يتدبر * وان رذعليه وهه لا يتأثر * وان ذكر فيجعله
 لا يتذكر * لا يفرق بين محبتي وتابقي * وحسن ومالك وشافعي * ولا بين خليفة وأمر * وسلطان ووزير * ولا يعرف
 من سيرة نبيه صلى الله عليه وسلم أكثر من انه نبي مرسل * فكيف له بمعرفته أصحابه وذلك الصدد الاول * الذين يذكرهم
 تراجم النفوس * ويذهب الوبس * ولقد رأيت محاسن * جمع فيه ثلاثة عشر مدرسا * وفيهم قاضي قضاء ذلك الزمان *
 وغيره من الاعيان * فيرى بينهم وأنا أعلم ذكر من يصر عليه النصدقة وهم : والقرن المذرون في القرآن * فقال
 جبههم بنوهائهم وبنوع المطلب * وعدلوا بأبهم في ذلك * محاسن * تتجيب من جعلهم حيت لم يدر قواين عبد
 المطلب والمطلب * ولم يتدوا الى أن المطلب هو عبد المطلب * وان عبد المطلب هو ابن هاشم * فأحقهم بأوم كل
 لأعم * أن هذا الأصل من أصول الشريعة قد أهله * وباب من أبواب العلم جهره * وزمن من قومه أخرج بني المطلب
 هذه الفضيلة * فأجبتني الى الله تعالى الوسيه * وأثبت لتي من ذلك المقام * فأخذت بامر أخبارا لا يأتى * ونحسين
 نسبتها * وإيضاح محبتها * فان كثيرا من يحفظ شيئا من الوقائع يشوته بمعرفة نسبتها الى أربابها * وان نسبها خاطئ فيها
 وصرها عن أصحابها * وهو باب واسع غزير الفوائد * صعب المصادر والموارد * زلت فيه قدم كثير من تلة الأخبار *
 ورواياتها * ثم أردت أن اجمع من هذا العمل كتابا يكون حاوا بالمحاضرات * وأتقن فيه ما خبرته * فعدت الى كبر كلاب
 وضع في هذا الفن على طر بقة المحدثين * وهو تاريخ مدينة دمشق جامعها الله عز وجل الذي صنعه الحافظ الثقة أبو
 القاسم علي بن الحسن العسكري رحمه الله وهو ثمانية جز في ثمانين مجلدا فاختصرته وهذه بيته * وزدته فوائدهم
 كتب أخر جليلاتوا ثقتته * ووقف عليه العلماء * وسماه الشيوخ والفضلاء * ومررت فيه من الماوك المتأخرين * ترجمة
 الملك العادل نور الدين * فأطربني ما رأيت من آثاره * وصفت من أخباره * مع تأخر زمانه * وتغير خلانه * ثم وقت

كتاب (٤) الروضتين

بعد ذلك في غير هذا الكتاب على سيرة سيد الملوكة بعده الملك الناصر صلاح الدين فوجدتهم في المتأخرين * كالعمر بن
رضي الله عنهم في المئة ثمانين * فان كل ثمان من الفريقين هذا أخذوا من تقدمه في العدل والجهاد * واحتشد في اعزاز
دين الله أي اجترأ * وهما ابا بلدتنا * وسلطانا خطتنا * خصه الله تعالى بما في وجوب علينا القيام بذكر فضلهما *
فوزعت على افراد كروانهم تصريف * يتعفن التفریط لهم والتعريف * فأجله يقف عليه من الملوكة * من
يسلك في ولايته ذلك السلوك * فلا يهدأ ما حجة من الله على الملوكة المتأخرين * وذكرى منه سبحانه فان الذكرى
تدفع المؤمنين * فأنهم قد يستعدون من أنفسهم طريفة الحلفاء الاشدين * ومن هذا أخذوا منهم من المئة السابقين *
ويقولون نحن في الزمن الأخير * وما لا نؤلفك من نظير * فكان لما قدر الله سبحانه من سيرة هذا الملك الزمان الحجة
عليهم عن شوقي عصرهم * من بعض ملوك دهرهم * فلن يجزعن التشبه بما أحد * ان وفق الله الكريم وسدد *
وأخذت ذلك من قول أبي صالح المشعيب بن حرب المدائني رحمه الله * وكان أحد السادة الكبار في الحفظ والدين *
قال اني لا حسب بجباة سيفان الثوري يوم القديامة حجة من الله على هذا الخلق يقال لهم ان تدركوا بانيكم فقد رأيتم
سفيان الاتيديتم * وهكذا أقول هذان الملكان حجة على المتأخرين * من الملوكة والسلاطين * فلهذا ذكرهما من ملوك
تعاقب على حسن السيرة * وجعل السريرة * وهما حفي وشافعي * شقي الله بما كل عي * وظهورت بما
من خالقهما الغلبة * فبقار حتى في العمر ومدة الولاية * وهذه كنيسة قل من تقبلان لها * به عليهما ولطفية هدا في الله
بتوفيقه العيا * وذلك ان نور الدين رحمه الله ولائمة إحدى عشرة وخمسة مائة وثلاثي سنة وتسعين * وولد صلاح الدين
رحمه الله سنة اثنين وثلاثين وخمسة مائة وثلاثي سنة وتسعين * فكان نور الدين أسق من صلاح الدين بسنة واحدة
وبعض أخرى وكلاهما لم يستكمل سنتين سنه * فانظر كيف اتفق ان بين وفاتهم عشرين سنة * وبين مولدهما إحدى
وعشرين سنة * وذلك نور الدين دمشق سنة تسع وأربعين * وملكها صلاح الدين سنة سبعين * بقيت دمشق في الملكة
الدورية عشرين سنة * وفي الملكة الصلاحية تسع عشرة سنة * بقي فيها السبئية وكتب الحسنة * وهذا من عجيب
ما اتفق في المعرفة الولاية ببلدة معينة للملكين متعاقبين مع قرب الشبه بينهما في سيرتهما والفضل المتقدم فكانت
زيادة نور الدين كالتبعية على زيادة فضله * والارشاد الى عظم محله * فانه أصل ذلك الخبر * مهمل ما مور بعده
وجهاده * وهيبته في جميع بلاده * مع شدة الفتى * واتساع الخلق * وتفتح من الدار * ما استهت به على مداومة
الجهاد * فهان على من بعده على الحقيقة * سلوك ذلك الطريق * لكن صلاح الدين أكثر جهاد * وأعم بلاد * صبر
وصابر * ورابط * وثابر * ودخل الله له من الفتوح * أنفسه * وهو الذي فتح الارض المقدسة * فرضى الله عنهم * فأحقهم
يقول الشاعر

(كم ترك الأوطان لا سحر)
وأبس الله هاتيك العظام وان * باين تحت الثرى عقوا وغفرانا
يسقي ثرى أودعوه رجحة ملائكة * مثوى قبرورهم روحا وريحانا

وقد سبق الى تدوين ما أثرهما جماعة من العلماء * والاكابر الفخلاء * وقد ذكر الحافظ النقة أبو القاسم علي بن الحسن
الدمشقي في تاريخه ترجمة حسنة لنور الدين شهود من زكري رحمه الله ولا جلد لهم ذلك الكتاب وذكر اسمه في خطبته
وذكر كراريس أبي علي خزين أسد النبي في مذييل التارخ الدمشقي قطعة صالحة من أوائل الدولة النورية الى سنة
خمس وخمسين * وصفها وصفا وافيا * وصف الشيخ الفضل عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري عرف
بأن الاثير محمد في الام الانباركية كاهنا ماجرى فيها وقبه شئ من أخبار الدولة الصلاحية لتعلق إحدى الدولتين
بالأخرى * لكونهما متفرعة عنهما * وصف القاضي بهاء الدين أبو الحسن يوسف بن رافق بن تميم الموصلي عرف بابن
شدد قاضي خانب جلده في الام الصلاحية وسياق ما تيسر فيها من الفتوح واستفتح كتابه بشرح مناقب صلاح
الدين رحمه الله تعالى وصف الامام العالم عسا الدين الكاتب أبو حامد محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني كاتبين
كلها مسجوع متفنن بالانفاظ المصنعة والمعاني الصحيحة أسد لها الغم القدسي أقصر عليه في فتح صلاح
الدين وسيرة فاسفة فقهه سنة ثلاث وثلاثين وخمسة مائة والثاني البرق الشامي ذكر فيه الوقائع والحوادث من الغزوات
والفتوحات وغيرهما في سبعين سنة وروده دمشق وهي سنة اثنين وخمسين وخمسة مائة الى وفاة صلاح الدين وهي

في أخبار (٥) الدولتين *

سنة تسع ومئتين فاشتمل على قطعة كبيرة من أخبار أواخر الدولة النورية إلا أن الجمادى كُتب به طوليل النفس في الصحيح والوصف على الناظر فيه * وبذلك طالب معرفة الواقع مما سبق من القول وبنيته * فحفظت تلك الأسجاع الأظلمات المستخسنتها في مواضعها ولم تترك خارجة عن الغرض المقصود من التعريف بالحوادث والأوقات نحو ما استراه في أخبار فتح البيت المقدس شرفه الله تعالى وانتزعت المقصود من الأخبار من بين تلك الرسائل الطوال * والأسجاع المغضبة إلى الملل * وأردت أن يفهم أن كلام الحاضر والعام اختيرت من تلك الأشعار الكثيرة قليلا مما يتعلق بالقصص وشرح الحال * وما فيه من نكتة غريبة وفائدة لطيفة ووقف على مجامدات من الرسائل الفاضلة * وعلى جعل من الأشعار الجمادية * مما ذكره في ديوانه دون برقة وعلى كتب أخرى من دواوين وغيره فالتقطت منها أشياء مما يتعلق بالدولتين أو أحدهما وبعضه سمعته من أقوال الرجال الثقة * ومن المدرسين لتلك الأوقات * فاختصرت جميع ما في ذلك من أخبار الدولتين وما حدث في مدنيهما من وفاة خليفة أو وزير * أو أمير كبير * أو ذي قدر خطير * وغير ذلك * فجاء على طبعنا * وكنا بطريقنا * يعطى لمطالعة الماويل والأخبار * من ذوي الآثار والمفاخر * وسيتبعه كتاب الروضتين في أخبار الدولتين * ولله در حبيب بن أوس حيث يقول
(كتاب الروضتين في أخبار الدولتين)
ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكتبت أخبارها وتأتهم أحلام

(فصل) أما الدولة النورية فسلطانها الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن عماد الدين أتابك وهو أبو سعيد زكي بن قسمة الدولة آق سنقر التركي وبلغت زكي أيضا بلقب والده قسمة الدولة ويقال لنور الدين بن القسمة سنة كالم على أخبار أسلافه عند بسيط أوصافه وقدمت من أجمال أحواله ما يستدل به على أفعاله ذكر الحافظ أبو القاسم في تاريخه أنه ولد سنة إحدى عشرة وخمسمائة وأن جد آق سنقر ولي حلب وغيره من بلاد الشام ونشأ أبوه زكي بالعراق ثم ولي ديار المصلا والبلاط الشامية وظهرت كفايته في مقابلة العدو عند نزوله على شيرزخي وجمع خاتبا ونجح الزها والمعز وكفر طراب وغيره من الحصون الشامية واستنقذها من أيدي الكفار فلما انقضت أجله قام ابنه نور الدين مقامه وذلك سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ثم قصد نور الدين حلب فملكها وأخرج غازي ياقا في أعمال بل بآشر فاتبعه حصرا كثيرة من مملكتها قلعة عزاز ومصر عش وثل خاله وكسر أربلس أنطاكية وقتله وثلاثة آلاف فرنجي معه وأظهر بحلب السنة وغير البدعة التي كانت لهم في التنازع ووقع بها الرافضة وبني المدارس ووقف الأوقاف وأظهر العدل وحاصر دمشق مرتين ونجحها في الثالثة فغضب أمرها وحصن سورها وبني بها المدارس والمساجد وأصلح حاربها وسعم أسواقها ومنع من أخذها كان يؤخذ منهم من الخسارم بدار البيطنج بسوق الغنم والبالغة وغيره ما عاتب على شرب الخمر واستنقذ من العدو وغربانيس والمينطرق وغيرهما وكان في الحرب ثابت القدم حسن الرمي صليب الضرب يقدم أصحابه ويترضى للشهادة وإن يسأل الله تعالى أن يشره من بطون السباع وحواصل الطير ووقف رحمة الله ووفوا على المردني وهبي الخط والقرآن وساكني الحرب وأقطع أمراء العرب ثلاثين مئة وثلثمائة وأمر بإكمال سور المدينة واستخراج العين التي بأحد وبني الربط والجسور والمنشآت وجند كثير من قتي السبيل وكذا صنع في غير دمشق من البلاد التي ملكها ووقف كتب كثيرة وحصل في أسر دجاعة من أمراء الفرنج وكسر الرزم والزم والفرنج على جازم وكان عتقهم ثلاثين ألفا ثم جازم وأخذ كثير من أنطاكية ثم فتح ديار مصرية وكان العدو قد أشرف على أخذها ثم أظهر بها السنة والنفقة البدعة وكان حسن الخط كثير المطالعة للكتاب الديني متبعها لا تمار النبويه وما ليعلى الصاواب في الجاعات عاكفا على تلاوة القرآن حرصا على فعل الخير عفيف البطن والفرج مقتصد في الانفاق مخير ياتي بالمطاعم والملابس لم تجمع منه كلمة غش في رضاه ولا في خجوه وأشهى ما إليه حلقه يسمعها أو أراشاد إلى سنة يتبعها وقال أبو الحسن بن الأثير قد طاعت فتوارى المملوك المتقصد من قبل الإسلام وفيه إلى يومنا هذا فلم أربعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين ولا أكثر تحري بالعدل والانصاف منه قد قصر ليله ونهاره على عدل ينشره وجهاد ينجزه له ومظلة يربطها وعبادة يقوم بها وأحسن يولييه وانعام يسديه ونحن نذكر ما نعليه بحمله في أمر دينه وأخاه فلو كان في أمة لا تقتر به فكيف بيت واحد أما هذه وعبادته وعلمه فانه كان مع سعة ملكه وكثرة خاثر بلاده وأمواله الأياكل ولا يلبس ولا

* كُتَابُ (٦) الرُوضَةِ

يتصرف فيما يخصه الا من ملك كان له قد اشتراه من سبعة من الغنيمة ومن الاموال المرصدة لصالح المسلمين احضر الفقهاء واسقواهم في اخذ ما يصل اهل من ذلك فاحذوا فاقدموا به ولم يتعدوا الى غير ما ائبته ولم يلبيس قط ساحرهم الشرع من حر او ذهب او فضة ومع من شرب الخمر ويبيعها في جميع بلادهم ومن ادخلها الى بلد ما وكان يحد شاربها الحد الشرعي كل الناس عنده سوا

حدثني صديق لنا يدعى كان رضي عن الخان من ابنه معين الدين زوجه نور الدين ووزيرها قال كان نور الدين اذا جاء اليه يجلس في المكان المختص به وتقوم في خدمته لاثني عشر اليه الا ان يأذن في اخذ ثيابه عنه ثم يعتزل عنه الى المكان الذي يختص به او يفرد هو تارة يطالع رفاع أصحاب الاشغال او في مطالعة كتاباته ويحبب عنهما وكان يصلي في طيل الصلاة وله اراد في النهار فاذا جاء الاليل وصلى العشاء ونام بسبعة نصف الاليل ويقوم الى الوضوء والصلاة الى بكر فيظهر الركوب ويستعمل جهام الدولة قال وانها قلت عليها النفقة ولم يكن بها ما كان قرة لها فاستغنى اليه اطلب منه زينة في وظيفة فانا قلت له ذلك تنكر واحر وجهه ثم قال من أين أعطيها ما يكونها ما لله والله لا أخوض نار جهنم في هواها ان كانت نظن ان الذي يسدى من الاموال الى قبس الظن انما هي اموال المسلمين من صدقة لصالحهم ومعدلة فتق ان كان من عدوا لاسلام وانا خازنهم عليها فادعونيهم فيها ثم قال في مدينة حص ثلاثة دكاكين ملكا وقدموهم اباها فلما اخذها قال وكان يحصل منها قدر قليل قال ابن الاثير وكان رحمه الله لا يفعل فعلا الا ينسبه حسنه كان بالجزيرة رجل من الصالحين كثير العبادة والورع شديد الانقطاع عن الناس وكان نور الدين يكتبه ويرسله ويرجع الى قوله ويعتد فيه اعتقادا حسنا فبلغه ان نور الدين يدين العاب بالكرة فكتب اليه يقول ما كنت اظنك تلهو وتلعب وتغيب الخيل لغير فائدة دينية فكتب اليه نور الدين بخط يده يقول والله ما يسجنني على اللعب بالكرة والله والبطر وانما نحن في نعر العدو قروب منا وبنيما نحن جلوس اذ يقع صوت قنبر في اطلب ولا يمكننا ايضا ملازمة الجهاد بل انوارا شاة وصيفا اذ لا بد من الراحة للجنود حتى تركوا الخيل على صرايلها صارت بهما لا قدر لها على ايمان السرى الطالب ولا معرفة لها ايضا بسيرة الانعطاف والطاعة لاركها في الحرب فهذا والله الذي يعني على اللعب بالكرة قال ابن الاثير فانظر الى هذا الملك المهدوم النظر الذي يقبل في أصحاب الزوايا المنقطع عن العبادة مثله فان من ينجي الى اللعب بفعله بنية صالحة حتى يصير من أعظم العبادات وأكبر القربات يقبل في العالم مثله وفيه دليل على انه كان لا يفعل شيئا الا بنية صالحة وهذه افعال العلماء الصالحين العالمين وحكي عنه انه سجل اليه من مصر عمامة من القصب الرفيع مذهبة فلم يحضرها عنده فوصف له فلم يلتفت اليها وينهاهم معه في حديثها واذا قد جاءه رجل صوفي فامر بهاله فقبل له انها لا تصلح لهذا الرجل ولوا عطي غيرها كان أنفع له فاعطوها له فاني ارجو ان اعوض عن ما في الآخرة تسلمت اليه فاسار به الى بغداد فباعها بستمائة دينار اميري أسبعمائة دينار فارت في حاشية هذا المكان من كتاب ابن الاثير بخط ابن المعطي اياها قال اعطاهما الشيخ الصوفية عماد الدين أبي الفتح بن جويد بغير طلب ولا رغبة فبعتهما الى همدان فبيعت بألف دينار قال ابن الاثير وحكي لنا الامير بهاء الدين عن علي السكري وكان خصيصا بخدمة نور الدين قد سمع به من الصبا وأنس به وله معه انبساط قال كنت معه يوم افي الميدان بالرها والشمس في ظهرونا فكلما امرناة دنا الطفل فلما عدا ناصرا ظنا لورا وظهرنا فاحرق فرسه وهو يلتهق وراءه وقال لي اتردى لاى شئ احرى فرسى وأتفت ورائي قلت لا قال قد شمت ما نحن فيه بالدين انهم من يظلمها وتطلب من يهرب منها قلت رضى الله عن ملك يرك في مثل هذا وقد اشدت بيتين في هذا المعنى

مثل الرزق الذي تطلبه * مثل الظل الذي يمشي معك
أنت لا تدركه متبعاً * فاذا وليت عنسبه تبعك

قال ابن الاثير وكان يعني نور الدين رحمه الله صلى كثير من الليل ويدعو ويستغفر ويقرأ ولا يزال كذلك الى ان يتركب جميع الشجاعة والخشوع على ربه * ما أحسن المحارب في المحارب
قال وكان عارفا بالفتوة على مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه ليس عنده تعصب بل الانصاف سمعته في كل شئ وسمع الحديث وأما معه طلب الاجر وعلى الحقيقة فهو الذي جدد للملوك اسباع سنة العدل والانصاف وترك

في أخبار (٧) الدولتين

المحرمات من المأكول والمشرب والملبس وغير ذلك فانهم كانوا قبل ذلك كالجاهلية هم أحمدهم بطنه وقرجه لا يعرف مع وفاء لا ينكر منكرا حتى جاء الله بدولته فوقف مع أوامر الشرع ونواهيها والزم بذلك اتباعه وذو به فاقدي بغيره منهم واستحبوا أن يظهر عنهم ما كانوا يفعلونه ومن سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة قال فان قال قائل كيف يوصف بالزهد من له المال الكثير فيسحق عليه الكثرة فيلزم كثرته في الله سليمان ابن داود عليهما السلام مع ملكه وهو سيد الزاهدين في زمانه ونبينا صلى الله عليه وسلم قد حكي على حضر موت وابن الجارز وجميع جزيرة العرب من حدود الشام إلى العراق وهو على الحقيقة سيد الزاهدين قال وأما الزهد خالق القلب من محبة الدنيا لا خاؤها البعد عنها قال وأما عدله فانه كان أحسن الملوكة سيرة وأعد لهم حكما فمن عدله أنه لم يترك في بلد من بلادهم بية ولا معكسا ولا عسرا بل أطاعه راجع الله جميعها في بلاد الشام والجزيرة جمعها والموصل وأما الحارود بالمرص وغيرهما ما حكم عليه وكان المكس في مصر يؤخذ من كل مائة دينار خمسة وأربعون دينارا وهذا لم يتسع له نفس غيره وكان يتخفى العدل ويصف المظلوم من الظالم كائن من كان القوي والضعيف عنده في الحق سواء وكان يسمع شكوى المظلوم ويتولى كشف حاله بنفسه ولا يكل ذلك إلى حاجب ولا أمير فلا جرم سار ذكره في شرق الأرض وغربها قال ومن عدله أنه كان يعاقم الشريعة المظهر ويوقف عند أحكامها ويقول نحن نسير لها غنى وأمرها غنى اتباعه أحكامها الله كان يلعب بدمشق بالكثرة رأى انسانا يحدث آخر ويؤي يده إليه فأرسل إليه يسأله عن حاله فقال لي مع الملك العادل حكومة وهذا غلام القاضي ليحضره إلى مجلس الحكم بما كتني على الملك الغلاني فماد إليه ولم يتحسرا أن يعرفه ما قال ذلك الرجل وعاد ليتمه فلم يقبل منه غير الحق فذكر له قوله فالتقي الجوكان من يده وخرج من الميدان وسار إلى القاضي وهو حينئذ كمال الدين ابن الشهر زوري وأرسل إلى القاضي يقول له انني قد حدثت محكما كما فاسلكه هي مثل ما تسلكه مع غيري لما حضرت ساروا خصمه وحكما فله ثبت عليه حقه وثبت الملك لنور الدين فقال نور الدين حينئذ للقاضي وإن حضر هل ثبت له عندي حق قالوا لا فقال أشهد وانني قد وهبت له هذا الملك الذي قدما كتني عليه وهو له دوني وقد كنت أعلم أنه لا حق له عندي وإنما حضرت معه لئلا يظن أني ظلمته فيحس ظهرا الحق في وهبته له قال ابن الأثير وهذا غاية العدل والانصاف بل غاية الاحسان وهي درجة وراء العدل فرحم الله هذه النفس الزكية الطاهرة التي تقاد للحق الموافقة معه قلت وهذا مستدرك من ملك متأخر بعد فساد الامنة وتفرق الكرامة والافتقار فساد إلى الماضي إلى مجلس الحكم جماعة من المتقدمين مثل عمرو على رضى الله عنهما ثم حكى نحو ذلك عن أبي جعفر المنصور وقد قلنا ذلك كله في التاريخ الكبير وفيه عن عبد الله بن طاهر فررب من هذا الصنف أنه حضر الحاكم عنده ولم يمض اليه وقد بلغني أن نور الدين رحمه الله تعالى استدعى مرة أخرى فحلب إلى مجلس الحكم بنفسه أو نائبه فدخل حاجبه عليه متعجبا وأعلمه أن رسول الحاكم بالباب فانكبر عليه تعجبه وقام نحوه الله مبرر عاوج جدي أن شاء طرقة ما منه من العيون من حفر جب بعض الحشوس واستخرج ما فيه فوكل من ثم وكبلا وأشهد عليه شاهدين بالتوكيل ورجع قال ابن الأثير ومن عدله أنه لم يكن يعاقب العقوبة التي يعاقب بها الملوكة في هذه الاعصار على الفطنة والتمه بل يطلب الشهود على المتهم فان قامت البينة الشرعية عاقبه العقوبة الشرعية من غير تردد فدفع الله بهذا الفعل عن الناس من الشر ما يوجد في غير ولايته مع شدة السياسة والمبالغة في العقوبة والاختلاطة وأمنت البلاد مع ستمها وقل الفساد بركة العدل واتسع الشرع المظهر قال وحكى لي من أتته به أنه دخل يوما إلى خزنة المال فرأى فيها مالا أكثره فسأل عنه فقيل أن القاضي كمال الدين أرسله وهو من جهة كذا فقال ان هذا المال ليس لنا ولا لبيت المال في هذا الجهة شيء وأمر برده وعادته إلى كمال الدين ليرده على صاحبه فأرسله متولى الخزانة إلى كمال الدين فردّه إلى الخزانة وقال إذا سألت الملك العادل عنه فقلوا له عنى أنه قد دخل نور الدين الخزانة مرة أخرى فراه فانكبر على الثواب وقال ألم أقل لك بعد هذا المال على أعيننا به فذكر له قوله كمال الدين فردّه اليه وقال لا رسول قل لك كمال الدين أنت قد تدعى على رجل هذا المال وأما أنا فربني دقيقة لأطبق حله ولأخذه عليه بين يدي الله تعالى الله تعالى يعاد يبعاد موتة وهو من عجب ما يمكن أن انسانا كان بدمشق غربا ستمها وأقامها ما رأى من عدل نور الدين رحمه الله فماتت في تعدي بعض الجناد على هذا الرجل فسكاه

كتاب (٨) الروضتين

فلم ينصف قنزل من القلعة وهو يستغيث ويبيكي وقد شق ثوبه وهو يقول يا نور الدين نوراً يئسنا ونحن فيه من الظلم
 لرجتنا أين عدلك وقصدي به نور الدين ومعه من الخلق ما لا يحصى وكانهم يبكي ويصيح فوصل الخبر إلى صلاح الدين
 فقيل له احفظ البلد والارعية والآخر حج عن يدك فأرسل إلى ذلك الرجل وهو عند ثوبه نور الدين يبكي والناس معه
 وليست قايه وهم به شتوا وأصفه فيكي أشد من الأول فقال له صلاح الدين لم يبكي قال أبكي على سلطان عدل فينباعد
 موته فقال صلاح الدين هذا هو الحق وكما ترى فيمنه من عدل فنه نجلناه قلت ومن عدله ابن دار العدل قال ابن
 الأثير كان نور الدين رحمه الله أول من بنى دار للكشف وسماها دار العدل وكان سبب سائر ما أنه لما طال مقامه
 بدمشق وأقام بها أمراً واهو ففهم أسد الدين شيركوه وهو أكبر أمير معه وقد عظم شأنه وعلاء كانه حتى صار كانه شريكاً
 في الملك واقتنوا الاملاك واكثروا تهدي كل واحد منهم على من يجاوره في قرية أو غيرها فكثرت الشكاوى
 إلى كمال الدين فانصف بعضهم من بعض ولم يقدم على الانصاف من أسد الدين شيركوه فانهمى الحلال إلى نور الدين
 فامر حينئذ ببناء دار العدل لما سمع أسد الدين بذلك أحضر زواجه جميعهم وقال لهم اعبوا ان نور الدين ما أمر ببناء
 هذه الدار إلا بسببي وحدي والآخر هو الذي تمتع على كمال الدين وولائه لئن أحضرت إلى دار العدل بسبب أحدكم
 لاصليته فاضوا إلى كل من يشك ويذنه منازعة في ملك فافصوا الحال معه وأرضوه بما شئ أم كن ولو أن ذلك على جميع
 ما يبدى فقالوا ان الناس اذا علموا هذا اشتطوا في الطالب فقال خروج املاكي عن يدى أهل على من ان يرى
 نور الدين بعين أذى ظالم أو يساوي بيني وبين أحد العامة في الحكمة تخفج أحبها به من عندوه فاعلموا أمرهم وأرضوا
 خصمه وهم وأشهدوا عليهم فلما فرغت دار العدل جلس نور الدين فيها لفصل الحكومات وكان يجلس في الأسبوع
 يومين وعند الفلاحين والفقهاء وبنى كذلك مدة فلم يحضر عنده أحد يشكر من أسد الدين فقال نور الدين لجمال الدين
 ما أرى أحداً يشكرون شيركوه فذكره الحال فوجد شكرك الله تعالى وقال الحمد لله الذي جعل أحسبنا نصرة ومن
 أنفهم قبل حضورهم عندنا قال ابن الأثير فانظر إلى هذه المعدلة ما أحسنها وإلى هذه الهبة ما أعفاهها وإلى هذه
 السياسة ما أسدتها هدامه انه كان لا يريق دماً ولا يبالغ في عقوبة وإنما كان يفعل هذا صدقة في عدله وحسن نيته
 قالوا ما شجاعة وخسنة رأيه فقد كانت النهاية إليه فجماعه انه أصبر للناس في الحرب وأحسنهم مكيه دوراً وأواؤهم
 مع رقبهم أمور الاجناد وأحوالهم وانه كان يضرب المثل في ذلك سمعت جميعاً كثيراً من الناس لا يصيبهم يقولون انهم
 لم يروا على ظفر الفرس أحسن منه كأنما خلق عليه لا يمتزك ولا يترزل وكان من أحسن الناس لعبا بالكر فوآذهم
 عليهم لم يرجوا يعار على رأسه وكان رعباً ضرب الكرة ويجري الزنبرج ويتناوها بيده من الهوا ويرميها إلى آخر
 الميدان وكانت يده لا ترى والجو كان فيها لم تكن في كم قبائمه انتهت بالعب وكان احضر الحرب أخذ قوسين
 وترك شين وباشر القتال بنفسه وكمكان يقول طالما تترضت للشهادة فلأدر كها سمعه يوماً الامام قطب الدين
 النيسابوري الفقيه الشافعي وهو يقول ذلك فقال له بالته لا تخاطر بنفسك وبالأسلام والمسلمين فالتك عادمه ولئن
 اصبت والعمى بالته في معركة لا يبقى من المسلمين أحد الا أخذ السيف وأخذت البلاد فقال باقطب الدين ومن محمود
 حتى يقال له هذا قبل من حفظ البلاد والاسلام ذلك الله الذي لا اله الا هو قال وكان رحمه الله يكثر أعمال الخليل
 والمكر والذراع مع الفريخ فخذ لهم الله تعالى وأكرموا له من بلادهم به ومن جيل الراى ما سلكه مع ملجج بنيون
 ملك الارمن صاحب الدروب فانه ما زال يبتعد عهدهم يستقيه حتى جعله في خدمة مسخر او حضر وكان يقتل به الافريخ
 وكان يقول انما جئني على استئصاله ان بلادهم عصبية وعرة المسالك وقلاعهم منيعة وليس لنا اليها طريق وهو يخرج
 منها اذا أراد فيقال له بلاد الاسلام فاذا طلب الفريخ فيها فلا يقدر عليه فلما رأيت الحال هكذا بذلت له شيئاً من
 الاقطاع على سبيل التآلف حتى اجاب الى طاعتنا وخذ مننا وساعدنا على الفريخ قال وحيث توفي نور الدين رحمه الله
 وسلك غيره هذا الطريق ملك التولى الارمن بعد الملجج كثيراً من بلاد الاسلام وحضرهم وصار منه ضرر عظيم
 وخرق واسع لا يمكن رقه فقالهم من أحسن الاراء ما كان يفعل مع أجناده فانه كان اذا تزق أحد حدهم وخلف ولداً أقر
 الاقطاع عليه فان كان الولد كبيراً استبدت نفسه وان كان صغيراً رتب معه رجلاً عاقلاً يثق اليه في تولي أمره الى ان
 يكبر فكان الاجناد يقولون هذه أملا كثر ثرا الولد عن الوالد فحين تقابلت عليهما وكان ذلك سبباً اعظم من الاسباب

في أخبار (٩) الدولتين

الموجبة للصبر في المشاهدة والحروب وكان أيضاً يشت اسماء اجناد كل أمير في ديوانه وسلاحهم خوفاً من حرص بعض الاسماء وشيخه ان يحمله على ان يقتصر على بعض ما هو معتز عليه من العدد ويقول نحن كل وقت في المنفى فاذا لم يكن أحناء كافة الامراء كأملي العدد والعدد نل الوهن على الاسلام قال ولقد صدق رضى الله عنه فيما قال وأصاب فيما فعل فلقد رأيت أبا ماخافه عبدانا قال وأما فعله في بلاد الاسلام من المصالح مما يهدى الى حفظ المسلمين فكنته عظيم من ذلك انه بنى أسوار مدن الشام جميعها وقلاعها فخفا - لمب وجاء وجص ودمشق وبارين وشيزر ومنبج وغيرها من القلاع والحصون وحصنها وأحكم بناءها وأخرج عليها من الأموال ما لا تسمع به النفوس وبنى أيضاً المدارس بحلب وجناه ودمشق وغيرها لئلا يفتقر في الجرامع في جميع البلاد فخفا معه في الموصل اليه النهاية في الحسن والافتقار ومن أحسن ما عمل فيه انه فوض أمر عمارته والخروج عليه الى الشيخ عمر الملا رحمه الله وهو رجل من الصالحين فقبل له ان هذا لا يصلح لئلا هذا العمل فقال اذا وليت العمل بعض أصحابي من الاجناد والكتاب أعلم انه ينظر في بعض الاوقات والى في الجامع بنظم رجل مسلم واذا وليت هذا الشيخ غلب على فاني انه لا ينظم فاذا ظلم كان الاثم عليه لا على قال وهذا هو اللقب في الخلاص من النظر وبنى أيضاً مدينة حماد جامعاً على نهر العاصي من أحسن الجوامع وأزهرها وجد في غيرها من عارة الجوامع ما كان قد تم بدمامار لئلا يؤغرها وبنى البيمارستانات في البلاد ومن اعظمها البيمارستان الذي بناه به مشق فانه عظيم كثير المخرج جداً بلغني انه لم يجعله وفقاً على الفقراء حسب بل على كافة المساكين من غنى وفقير قلب وقد وقت على كتاب وقفه فلما أرد مشق بذلك وانما هذا كلام شاع على ألسنة العامة لنفع ما قدره الله تعالى من مناجاة الاغنياء للفقراء فيه والله المستعان وانما صرح بأن ما يعزوه من الادوية الكبار وغيره لا يمنع منه من احتياج اليه من الاغنياء والفقراء فخص ذلك بذلك فاني بنى ان يتعدى الى غيره لا سيما قد صرح قبل ذلك بأنه وقف على الفقراء والمتكسطين وقال بعد ذلك من جاء اليه مستوصفاً لمضاهيه أعطى والله أعلم وبلغني في أحد بناه نادرة وهي ان نور الدين رحمه الله وقع في أسر بعض أكابر ملوك الفرنج خذله الله تعالى فقطع على نفسه في فدائه ما لا عظيم فاشاور نور الدين أسراه فكل أشار بعدم اطلاقها كان فيه من الضرر على المساكين ومال نور الدين الى القدي بعدم استحضار الله تعالى فاطلة لئلا يثقل على أصحابه وتسلم المال فلما بلغ الفرنجي ما منه مات وبايع نور الدين خبره فأعلم أصحابه فتبجحوا من لطف الله تعالى بالمسكين حيث جمع لهم الحسنتين وهما الفداء وموت ذلك اللعين فبنى نور الدين رحمه الله بذلك المال هذا البيمارستان ومنع المال الامراء لانه لم يكن عن ارادتهم كان قال ابن الاثير وبنى أيضاً الخانات في الطرق نأمن الناس وحفظت أموالهم وبنوا في الشتاء في كمن البرد والمطر وبنى أيضاً الابراج على الطرق بين المساكين والفرنج وجعل فيها من يحفظهم ومعهم الطيور الهوامى فاذا رأوا من العدو أخذوا أسسوا الطيور فأخذ الناس حذرهم واحتاطوا لانفسهم فلم يبلغ العدو منهم غرضاً او كان هذان ألف الفكر وأكثرتا نفعاً قال وبنى الربط والخاناتها في جميع البلاد لله وقوة وقف عليها الوقوف الكبيرة وأدرك عليهم الادارات الصالحة وكان يحضر مشايخهم عندهم ويقر بهم ويدينهم وبسطهم ويتواضع لهم فاذا أقبل أحدهم اليه يقوم له من تلق عينه عليه ويهتفه ويجلسه معه على محبته ويقبل عليه بحذقته وكذلك كان أيضاً يفعل بالعلماء من التعظيم والتوقير والاحترام ويجمعهم عند البحث والنظر في قصده من البلاد المشاسعة من خراسان وغيرها وبالجملة كان أهل الدين عنده في أعلى محمل واعظمه وكان أمره بحسبهم على ذلك وكانوا يقرعون عنده فقيم فيهمها وماذا انتابوا عن انسان عبا يقول ومن المعصوم وانه الكامل من تعدد ذنوبه قال وبلغني ان بعض أكابر الامراء حسد قطب الدين النيسابوري الفقيه الشافعي وكان قد استقدمه من خراسان وبلغني ان امره والاحسان اليه فسد ذلك الامر فقال منه يوم ما عند نور الدين فقال له يا هذا ان ما تقول فله حصة تغفر كل ذلة تذكرها وهي العلم والدين وأنتا أنت وصحابك فيك أضعاف ما ذكرت وابست لكم حصة تغفرها ولو عقلت لشغلك عيبك عن غيرك وأنا أختل سباً تك مع عدم حياءكم فلا تجل سنة هذا ان صحبت مع وجود حسنته على انى والله لا أصدق فيما تقول وان عدت ذكرته أو غير بنسوة لا وذلك فكيف عنه قال ابن الاثير هذا والله والاحسان والفضل

كتاب (١٠) الروضتين

الذي ينبغي ان يكتب على العيون بماء الذهب وبني دمه شق أيضا دار الحديث ووقف علم اوعلى من بها من المشتغلين
 بعلم الحديث ووقفا قديرا وهو أول من بنى دار الحديث فيها علمناه وبني أيضا في كثير من بلادها مكاتب لطلابنا وأجرى
 عليهم وعلى معلميهم الجرايات اوافرة وبني أيضا مساجد كثيرة ووقف عليها وعلى من يقرأ فيها القرآن قال وهذا فعل لم
 يسبق اليه بلغني من عارف بأعمال الشام ان ووقف نور الدين في وقتنا هذا وهو سنة ثمان وسبعمائة كل شهر تسعة
 آلاف دينار بصورة ليس فيها غير ملك صحيح شرعي ظاهر اوبا طرافاته وقف ما انتقل اليه ووزن ثمنه أو ما غلب عليه
 من بلاد الفرنج وصار رسمه قال وأما عينته ووفاره فالله النهاية فيها واوقفه كما قبل شديداني غير عنيف رقيقاني غير
 ضعيف واجتمع له ما لم يجتمع لغيره فانه ضابط ناموس الملك مع أجناده وأخصابه الى غاية لاخر يد علمه او كان يلزمهم
 بوظائف الخدمة الصغرى منهم والكبرى ولم يجلس عنده أمير من غير ان يأمره بالجلوس الانجم الدين أبوب والدم صلاح
 الدين يوسف وأما من عدها كساد الدين شير كره ومجد الدين بن الدايه وغيرهما فانهم كانوا اذا حضروا عندني يفتقون
 قبالا الى ان يأمرهم بالتعود وكان مع هذه العظمة وهذا الناموس التماس إذا دخل عليه النقيصة والصوفى أو الفقيه
 يقوم له وعشيق بن ديه ويجلسه الى جانبه كأنه أقرب الناس اليه وكان اذا أعطى أحدهم شيئا يقول ان هؤلاء هم في
 بيت المال حق فاذا أئتمروا بمنابعه فلهم المنة علينا او كان يجلسه كبارى في صفة مجلس رسول الله صلى الله عليه
 وسلم مجلس حكماء لا يؤثر فيه الحرم وهكذا كان مجلسه لا يذكر فيه الا العلم والدين وأحوال الصالحين
 والمثابرة في أمر الجهاد وقصد بلادنا بعد ولا يمتد هذا بلغني ان الخلفاء ابن عسكرا دمه شق رضي الله عنه حضر
 مجلس صلاح الدين يوسف ما لا ملامك دمه شق فرأى فيه من اللطف وسوء الادب من الجلبوس فبسه ما لا حد عليه فشرع
 يحدث صلاح الدين بما كان يحدث نور الدين فلا يتمكن من القول لكن قال باختلاف من المتحدثين وقلته استمعهم
 فقام وبنى مذلة لا يحضر المجلس الصلاحي وتذكر من صلاح الدين الطلب له فحضر فعاتبه صلاح الدين يوسف على
 انقطاعه فقال زهت نفسي عن مجلسك فانت في رأيت بعض مجالس السوقة لا يستمع في القائل ولا في رجاوب مشكلم
 وقد كانا لا من نخوض مجلس نور الدين فكنا كقائل كائنا على رؤسنا الطير تعافوا الهية والوفاء فاذا انكمروا أنفسكم
 واذا تكلمنا استمعنا فاذا تفتقتم صلاح الدين الى أخصابه انه لا يكون منهم ما جرت به عادتهم اذا حضروا لم يحفظ قال ابن
 الاثير فكذلك كانت أحواله جميعه ارجحه الله مضبوطة بحقوقه وأما حفظ أصول الديانات فانه كان مراعيها
 لا يهملها ولا ينكر أحد من الناس من انظار ارميها في الحق ومضى أقدم مقصد على ذلك آذبه بما يناسب بدعته
 وكان يبالغ في ذلك ويقول نحن نحفظ الطرق من اعرص وقاطع طريق والاذى الحاصل من هنا قريب ألا فلا تحفظ الدين
 ونمنع عنه بما ينقضه وهو الاصل قال وحكى ان انسانا بدمشق يعرف بيوسف بن آدم كان يظهر الزند والفسك وقد
 كثرت اتباعه أظهر شيئا من التشبيه فبلغ خبره نور الدين فاحضره وأركبه جارا وأمر بصفحه فطيف به في البلد جميعه
 ونودي عليه هذا جزء من أظهر في الدين البدع ثم فاه من دمشق فقصده حران وأقام بها الى ان مات قال ويسوق الله
 انصارا لا يمارى الى البلاد الويتة قلت وذكر النصارى الكاثبات في أول كتابه البرق الشامي انه قدم دمشق في شعبان سنة
 اثنتين وستين وخمسمائة في دولة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي وأخذ في وصفه بكلامه المسجوع فقال
 كان ملك بلاد الشام وملكها والذي يدهمها كلها الملك العادل نور الدين أعف الملوكة وأتقاهم وأتقاهم
 وأعبدهم وأعبدوا وأزهدهم وأزهدوا وأظهرهم وأظهرهم وأقوامهم وأقاربههم وأصلحهم وأصلحهم
 أملا وأجرهم رأيا وأوضحهم رأيا وأصدقهم قولاً وأصدقهم طويلاً وكان عصره مفاضلاً ونصره واصلًا وحكمه
 عادلاً وفضله شاملاً وزمانه طيباً واحسانه صدياً والقارب بمياتيه ومحبة متمتليه والنفوس بها طفته وعارفته
 متمتليه وأوامره متمتله وحده منزهة من الهزل وتوايه في أمن من العزل ودولته ما مولة ما مونه وروسته مصوبة
 مصونه والرياسة كعادله والسياسة شامله والزيادة زائده والسعادة مساعده والعيشة ناضرة والشيعة ناصر
 والانصاف صاف والاسعاف عاف وأزاد الدين قوى وظفا الاسلام روى وزند التجع روى والشمع مشرور
 والحكم معبر والعدل موفى والنظم معزول والتوحيد منصور والشرك مخذول والفسق مشرور
 وهوالى أعاد رونق الاسلام الى بلاد الشام وقد غلب الكفر وبلغ الضر فاستفتح معانها واستخلص عقائلا

في أخبار (١١) الدولتين

وأشاع بها شعار الشرع في جميع الحبل والعقد والابرار والنقض والبسط والقبض والوضع والرفع وكانت للفرغ في أيام غيره على بلاد الاسلام الشام قطائع فقتلها وعفى رسومها ومنعها ونصره الله عليهم مرارا حتى أسروهم وبندسواهم وصان الثغور منهم وجهاها عنهم وأجباها عالم الدين الدارس وبني اللائمة الأندلس وأنشأ الخناقاها للصوفية وكثرها في كل بلد وكثر وقوفها وقتر معروفها وأدى للوافدين من حتى جناته قطوفها وأجدد الاسوار والخنادق وأعفى المرافق وحجى الحقائق وأمر في الطرقات ببناء الربط والخانات فضافت ضيوف الفضائل وفاضت فيوض الافاضل وهو الذي فزع مصر وأعمالها وانشأ دولتها ورجلها ثم ذكر العماد في أثناء حوادث سنة تسع وستين وهي السنة التي توفي فيها نور الدين قال

وفي هذه السنة أكثر نور الدين من الاوقاف والصدقات وعمارة المساجد المهجورة وتعقبة آثار الاسلام واسقاط كل ما يدخل في شبهة الحرام فما بقي سوى الحزبة والخراج وما يحصل من قسمة الغلات على قيم المنافع قال وأمرني بكتيب مناشير لجميع أهل البلاد فكتب أن أكثر من ألف منشور وحسبنا ما تصدق به على الفقراء في تلك الاشهر فزاد على ثلاثين ألف دينار وكانت عادته في الصدقة انه يحضر جماعة من أمثال البلد من كل محلة ويسألهم عن يعرفون في جوارهم من أهل الحاجة ثم يصرف اليهم صدقاتهم وكان له برسم نفقة الخاص في كل شهر من جزية أهل الذمة مبلغ ألفي قرطيس يصرفه في كسوته ونفقته وجوانحه المهمة حتى أجرة شياطه وجامعية طباطبائه ويستفضل منه ما تصدق به في آخر الشهر وأما ما كان يهدي اليه من هذا المال أو كغيره فانه كان لا يتصرف في شيء منه لاقليل ولا كثير بل اذا اجتمع يخرجه الى مجلس القضاة ويحصل ثمنه ويصرف في عمارة المساجد المهجورة وتقديسها بحاشاء ما في محال دمشق فاناف على مائة مسجد فأمر بعمارة ذلك كله وعين له وقوفها قال ولوا اشتغل بذكر وقوفه وصدقاته في كل بلد ظال الحكاب ولم يبلغ إلى أمده شاهد ذابته الدالة على خاوص نيته يعني عن غيرها بالعبان وبكتي أسرار البلدان عن الربط والادراس على اختلاف المذاهب واختلاف المواهب وفي شرح طوله وعمله لله مبرور مقبول وواظب على عقد مجالس الوعاظ ونصب الكراسي لهم في القلعة لالذار والانتاعظ وأكرهم النفقة قطب الدين التيسابوري وهو مشغوف بركة أنفاسه واغتنام كلامه واقتباسه ووفد من بغداد ابن الشيخ أبي الجيبي الأكبر باسط على كل أسبوع المنبر وشاقه وعظه وراقه منباده ونفقته وكذلك رقد اليه من اصحاب النفقة شرف الدين عبد المؤمن بن شورية وما أبن تلك الأيام وأبرك تلك الشئوة قال ولما أسقط نور الدين الجهات المحنورة والشبه المحذورة عزل الشيخ وصرف عن الربعة بصرفهم المحن وقال للقاضي كمال الدين ابن الشهرزوري انظر أنت ذلك واجل أمور الناس فيها على الشر بعة قال ولم يكن المال الموار يتالحشر يتحاصل ولا اليدوانه طائل فجعل نور الدين ثلث ما يحصل فيه لكلال الدين الحسا كم قوفه ذوابا وكثر وهو ما كان نور الدين يحاسب القضاة على شيء من الوقوف ويقول أنا تاد قلدته على ان يتصرف بالمعروف وما فضل من مصارفها وشروط وانفها يأمره بصرفه في بناء الاسوار وحفظ الثغور وكانت دولته نافذة الامر متفاعة الامور قالت وبكى الشيخ أبو البركات الحسن بن محمد بن هبة الله انه حضر مع عمه الحافظ أبي القاسم رحمه الله مجلس نور الدين لسماع شيء من الحديث فقرأ أثناء الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج متقلدا سيفا ساقا فاستاد نور الدين أمر الم يكن يعرفه وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقلد السيف يشير الى الشجيب من عادة الخلد اذ هم على خلاف ذلك لانهم برطونه بأسطحهم قال فلما كان من الغد من راتحت القلعة والناس يجتمعون ينظرون ركوب السلطان فوقفتان نظرا اليه معهما فخرج نور الدين رحمه الله من القلعة وهو متقلد السيف وجميع عسكره كذلك فرجته الله على هذا الملك الذي لم يطر في الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم بمثل هذه الحالة لما بلغته رجوع نفسه وورجندة عن عوارهم اتباعا لما بلغه عن نبيه صلى الله عليه وسلم فما الظن بغير ذلك من السنن ولقد بلغني انه أمر باسقاط التباقي في الدعاء له على المنابر ورأى له وزيره موفق الدين خالدين القيسراني الشاعر في نهامة انه يغسل ثيابه وقص ذلك عليه ففك ساعة ثم أمره بكابة اسقاط المكون وقال هذا تفسير منامك وكان في مسجد مرقول ارحم العشار المكاس وبعد ان يبطل ذلك استجعل من الناس في حل وقال والله ما أخرجناها الا في جهاد عدو الاسلام بمتندر بذلك اليهم عن أخذها منهم وعلى الجلة كان نور الدين رحمه الله قد راف زمانه من بين

كتاب (١٢) الروضتين

سائر المسالك ولولم يكن الاستماع له للوعظة وانه لما وان اشتملت على ألفاظ قد أعظمت له فيها قرأت في تاريخ
أربل لشرف الدين ابن المستوفى رحمه الله قال المتخبط الواعظ هو أبو عثمان المتخبط بن أبي محمد بن المحترى
الواسطي ورد أربل ووعظ بها وكان له قبول عظيم وسافر إلى نور الدين محمود بن زنكي من أقم ستمرا إلى الشام لسبب
الغزو فأنقله نور الدين جلالته من مال فلم يقبلها ثم ردها عليه أنشدني له يحيى بن محمد بن صدقة قصيدة علمها في نور الدين
وحلف أنه سمعها من لفظه

مثل وقوفك أيما المعسرور * يوم القيامة والسماء تمسور
ان قيل نور الدين رحمت مسلما * فأحذر بأن تبقى ومالك نور
أنهيت عن شرب الخمر وأنت من * صكك أس الظالم طاع مجبور
عظمت كاسات المدام تعففا * وعليك كاسات الحرام تدور
ماذا تقول اذا نقلت إلى السلي * فردوا عليك منكروا كبير
وتعلقت فيك الخصرم وأنت في * يوم الحساب مسحب مجبور
وتفرقت عنك الجنود وأنت في * ضيق اللبوء وموسد مقبور
ووددت أنك ما ولدت ولاية * يوما ولا قال الأنام أمسير
وبقيت بعد العزوهن حفرة * في عالم الموت وأنت حفير
وحشرت عرنا خربنا بكيا * قلنا وما لك في الأنام مجير
أرضيت أن تحمي وتبليق دارس * عاقى الخراب وجهك المجهور
أرضيت أن يحظى سواك بقره * أبدا وأنت مبعده مجبور
مهلك فسك حجة تجورها * يوم المعاد لمالك المجهور

قلت ولعل هذه الآيات من أقوى الأسباب المحركة للسلطان في إبطال تلك المظالم والخلص من تلك المآثم رضى الله
عن الواعظ والمتخبط بسببه ووفق من رام الاقتداء به ونقلت من خط صاحب العالم كمال الدين أبي القاسم عمر
ابن أحمد بن هبة الله بن أبي جراد في كتاب تاريخ حلب الذي صنعه وسمعت من لفظه أن نور الدين رحمه الله كان مع
أبيه بحلب فلما حاصروا قلعة جعبر وقتل عليها قصده حلب وصعد قلعتها ومكث في شهر ربيع الأول سنة إحدى
وأربعين وخمسمائة وأحسن إلى الرعية وثبت العدل ورفع الجور وأبطل البدع واشتغل بالزور ونجح فلا عاكة كثيرة
من عمل حلب كانت بيد الفرنج وحدث بحلب ودمشق عن جماعة من العلماء أجازوا له منهم أبو عبد الله بن رفاعه بن
غدير السعدي المصري روى عنه جماعة من شيوخنا مثل أبي الفضل أجدو وأبي البركات الحسن وأبي منصور
عبد الرحمن بن أبي عبد الله محمد بن الحسن بن هبة الله الشافعي قال ووقف على رقة بطن الوزير خالد بن محمد بن نصر
ابن صغير القيسري كتب إلى نور الدين وجوابها من نور الدين على رأس الورقة وبين السطور فقلت جميع ما فيها
قال وكان رحمه الله كتب رقة يطلب من ابن القيسري أن يكتب له صورة ما يدعي له على المنابر حتى لا يقول
الخطيب ما ليس فيه ويصون عن الكذب وعن ما هو مخالف لحاله ونسخة الورقة بخط خالد
أعلى الله قدر المولى في الدارين وبلغه ما له في نفسه وذنبه وختم له بالخير في الأجله والأجله بمنه وجوده وفضله وجده
وقف المملوك على الرقة وتضاعف دعاؤه واتته إلى الله تعالى بأن يرضى عنه وعن والده وإن يسمل له السلوك
وإن رضاه بالقرب منه والفرز عنده الله على كل شيء قد رآى المملوك ما يعرضه على العلم الاشراف زاد الله شرفا
وهو أن يذكر الخطيب على المنبر إذا أراد الدعاء لأولي الأهم أصح عبدك الفقير إلى رحمتك الخاضع لحيبتك المعصم
قوله المجاهد في سبيلك الرباط لاعداء دينك أبا القاسم محمود بن زنكي بن أقم ستمرا أمير المؤمنين فان هذا اجبته
لا يدخله كذب ولا زيادة ولا رأى أعلى وأسمى ان شاء الله تعالى فكتب نور الدين على رأس الورقة بخطه ما هذا صورته
مقدمه وان لا يكتب على المنبر أنا بخلاف كل ما نقل لا أفرح بما لأعمل قلة عقل عظيم الذي كتب جيداً كتب به
نسخ حتى نسيره إلى جميع البلاد وكتب في آخر الرقة ثم بدأ بالدعاء اللهم أله الحق اللهم أسعده اللهم أنصرم اللهم وفقه

في أخبار (١٣) الأولين

من هذا الجنس قال وحدني والذي قال استعدنا نور الدين أنا وعمل أبو غانم وشرف الدين بن أبي عصرون إلى الخديان الأول وأشهدنا عليه بوقف حوائث على سبور حصن فلما شهدنا عليه التفت بنا وقال بالله أنظروا أي شيء علمتموه من أبواب البر والخير دوننا عليه وأشر كوننا في الثواب فقال شرف الدين بن أبي عصرون والله ما ترك المولى شيئاً من أبواب البر إلا وقد فعله ولم يترك لأحد من بعده فعل خيراً إلا وقد سبقه إليه وقال قال لي والذي دخل في أيام نور الدين إلى حلب تاجر وسرقاتها وخلف بها ولد أصغر وأموالا كثيراً فكتب بعض من يخطب إلى نور الدين يذكر له أنه قد مات هاهنا رجل تاجر وسر عشرين ألفاً ديناراً وفوقها وله ولد عمره عشر سنين وحسن له أن يرقم المال إلى الخزانة إلى أن يكبر الصغير يرضى منه بشيء ويسلك الباقى للخزانة فكتب على رقعة أما الميت فرحمه الله وأما الولد فاشاء الله وأما المال فحرمه الله وأما الساعي فاعنته الله قال وبالعتني ههنا الحكاية عن غير نور الدين أيضاً وحديثي الحاسح عن بن سنان عتيق شاذيحت النوري قال سمعت الطواشي شاذيحت الخادم يحكي لنا قال كنت يوماً أنا وسنقر جوارقين على رأس نور الدين وقد صلي المغرب وجلس وهو مشكور فمكراً أعطيها وجعل يسكت بأصبعه في الأرض فتبججنا من فكره وقلنا ترى في أي شيء يفكر في عائلته أو في وفاءه يشككنا نطن بنا فرقع رأسه وقال ما تفرلان قلنا ما قلنا شيئاً فقال بجماي قولا في قلنا سمعنا من أفراط مولانا في الفكر وتلنا يفكر في عائلته أو في نفسه فقال والله لا نبي أفكر في وال ولبيته أسراً من أمور المسلمين فلم يعدل فهمهم أو فهمين بظلم الحسنيين من أحماسي وأعواني وأخاف المطالبة بذلك فينا الله عليكم ولا لاخذي عليكم حرام لأن ربان قسمة رفع إلى أو تعلمان عظيمة الأولاء عيالاً فيهم وأورعها ما إلى

وسمعت قاضي القضاة بها الدين أبا الحسن يوسف بن رافع بن عزم قال كان نور الدين ينفذ كل سنة في شهر رمضان يطلب من الشيخ عمر الأشعث بقطر عليه فكان ينفذ إليه الأكاسيق في القنيت والراق وغير ذلك فكان نور الدين يقطر عليه وكان أقدام الموصلي لا يأكل إلا من طعام الشيخ عمر الملاقال وكان نور الدين الماصرات له الموصلي قد أمر كشتيكن شحنة الموصلي لا يعمل شيئاً إلا بالشيخ إذا أمر بالقاضي به وإن لا يعمل القاضي والثواب كلهم شيئاً الأماي الشيخ عمر الملاقال قال وكان لا يعمل بالسياسة وطلبت الشحنة في أكابر الدولة وقالوا لكشتيكن قد كثر الشيخ عمر الملاقال وأرباب الفساد ولا يجي من ههنا شيء إلا بالقتل والصلب فلو كتبت إلى نور الدين وقلت في ذلك فقال لهم أنا لا أكتب إليه في هذا المعنى ولا أجسر على ذلك فقولوا للشيخ عمر بكتب إليه فحضر وعنده ذكر وكراله ذلك فكتب إلى نور الدين وقال له إن الدعار والمفسدين وقضاة الطريق قد كثروا ويحتاج إلى نوع سياسة فقل هذا لا يجي إلا بقتل وصلب وحزب وإذا أخذ مال إنسان في البر به من يجي يشهد له قال فكتب نور الدين كتابه وكتب على ظهره ما إن الله تعالى خلق الخلق وهو أعلم بمصلحتهم وشرع لهم شريعة وهو أعلم بما يصلحهم وإن مصلحتهم تحصل فيما شرعه على وجه الكمال فيها ولو علم أن على البشر بعد زيادة في المصلحة لشرعه فما لنا حاجة إلى زيادة على ما شرعه الله تعالى قال فجمع الشيخ عمر الملاقال الموصلي وأقرأهم الكتاب وقال انظروا في كتاب الزاهد إلى الملك وكتاب الملك إلى تالراعدو سمعت صقر بن يحيى بن صقر المحدث يقول سمعت مقلداً يعني الدولة يقول إسمات الحافظ المرادي وكجامعة الفقهاء قسمين العرب والأكراد فها من مال إلى المذهب وأردنان نسيته في الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون وكان الموصلي ومن مال إلى على النظر والخلاف وأردان يستدعي القطب النيسابوري وكان قد جاء وزير البيت المقدس ثم عاد إلى بلاد النجف فوقع بيننا كلام بسبب ذلك ووقعت فتنة بين الفقهاء فجمع نور الدين بذلك فاستدعي جماعة الفقهاء إلى النجف فحلب وخرج إليهم محمد الدين يعني ابن الداية عن لسانه وقال لهم نحن ما أردنا ببناء المدارس الأنصر العلم وحض البديع من هذه البلدة واطهار الدين وهذا الذي جرى بينكم لا يحسن ولا يليق وقد قال المولى نور الدين نحن نرضى الطائفتين ونستدعي شرف الدين بن أبي عصرون وقطب الدين النيسابوري فاستدعاهما جميعاً وولى مدرسة ابن أبي عصرون لشرف الدين ومدرسة النجف لقطب الدين قال وعلقت أيضاً من خط فقيه كان معبداً بالنظامه يقال له أبو الفوارس بنجي بن أبي الحسن بن بنجة الأشعري وكان من ورد دمشق وجمع لنور الدين سريرة تخمصة قال كان نور الدين يقعد في الأسبوع أربعة أيام أو خمسة أيام في دار العدل للنظر في أمور أعية وكشف الظلمة لا يطلب بذلك درهما ولا ديناراً ولا زيادة ترجع إلى خزائنه وأغما يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله والميل إلى الثواب والرفق في الإحترة

وأنهم يحضرون العلماء والفقهاء وأمر بالزالة الحاسب والدواب حتى يصل إليه الضعيف والقوي والنقيز والغني وكبراهم بأحسن الكلام ويستفهم منهم بأبلغ النظام حتى لا يطمع الغني في دفع الفقير بالمال ولا القوي يدفع الضعيف بالقتال ويحضر في مجلسه العجوز الضعيف الذي لا تقدر على الوصول إلى حصصهم ولا المكاتب معه فيأمر بمساواته لحافته قلب خصمه إمامه على عدله ويعجز الخصم عن دفعها خوفاً من عدله فيظهر الحق عنده فيجيز الله تعالى على لسانه ما هو موافق للشرعية ويسأل العلماء والفقهاء عما يشكك عليه من الأمور الغامضة فلا يجري في مجلسه إلا محض الشرعية قال وأما زمانه فهو معروف إلى مصالح الناس والنظر في أمور الرعية والشدة عليهم وأما فكره ففي انظاره عار الإسلام وتأسيس قاعدة الدين من بناء المدارس والربط والمساجد حتى أن بلاد الشام كانت خالية من العلم وأهلها وفي زمانه صارت مقر العلماء والفقهاء والصوفية لصرف همته إلى بناء المدارس والربط وترتيب أمورهم والناس آمنون على أموالهم وأنفسهم ولو لم يكن من هذا الخصال إلا ما عرّفه وشاعره إذا ودعوى وإذا أوعدها وإذا تحدت بشيء وقف عليه ولا يخالف قوله ولا يرجع عن لفظه ومنطقة لكي لا يجري في مجلسه الفسق والنجور والشتم والقيسة والقدر في الناس والكلام في أعراسهم كما يجري في مجالس سائر الملوك ولا يدمع في أخذ أموال الناس ولا يرضى أن يأخذ أحداً من أموال الشرعية شيئاً بغير حق قال وبلغه بأخبار التواريخ جماعة يعتمد على قولهم أنه أكثر الليالي يصلي ويساجد به مقبلاً بوجهه عليه ويؤدى الصلوات الخمس في وقتها بما يتسائم شرائطها وأركانها وركوعها وسجودها قال ابن القيم له مع جماعة من الصوفية الذين يعتمدون على أقوالهم من دخولهم في أوقات الصلاة عن أكثر أرائهم يقولون ابن القيم له مع الله سر فانه ما يظهر عليه ناكثرة جنده وعسكره وإنما يظهر علينا بالذماء صلا تالليل فانه يصلي بالليل ويرفع يده إلى الله ويدعو فانه سبحانه وتعالى يستجيب لدعائه ويعطيه سؤاله وما يريد من حاشية فيظفر عليه فقال فهذا كلام الكفار في حقه قال وحديثنا الشيخ داود المقدسي خادم قبر شيخ علي بن زيد عليه أفضل الصلاة والسلام قال حضر في دار العدل في شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين فقام رجل وأدعى على الملك العادل أن أباه أخذ من ماله شيئاً بغير حق قال وأما مطالبة ذلك فقال نور الدين أنا ما أعلم ذلك فان كان لك بنته تشهد بذلك فإتينا وأنا أورد اليك ما يخصني فإني ما ورثت جميع ماله كان هنالك وأرثت غيري فبني الرجل ليحضر البينة فقلت في نفسي هذا هو العدل قال وحضر رجل زاهد فيه سمعة الخير معروف بالصلاح والساد فسلت عنه فقالوا أخو الشيخ أبي البيان وكان قد أودع عند أخيه أبي البيان وديعة وقد توفي فادعى المودع على هذا الشيخ أنه يعلم بالوديعة وطالبه بالرد عليه فأبى هذا الرجل علمه بالوديعة فأوجب عليه القاضي كمال الدين حكم الشرع أن يحلف أنه لا علم له بهذه الوديعة فحلف على ذلك فجعل المودع يشتم عليه ويقول أنه حلف كذا يابى كالم في عرضه ويقول في حقه من الشمس وغيره فحضر عند الملك العادل شاكيًا منه وذاكرًا سيرته وطر يقته ومن أنذى بقدره يقول في حق هذا وبته عرض بالناس من الملك العادل والتقدم بحضارته والإنكار عليه فيما يقول في حقه فلما فرغ من الكلام رمى ما كان في جعبته من دعوى الحقيقة والظرفقة وكان حاصله التماس الإنكار عليه فقال الملك العادل أليس أن الله تعالى يقول في كتابه وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً فإذا كان هو يجعل عليك ويقول في حقه بالجهل بالجهل لا يجوز عليك أن لا تفعل معه مثل معاملته فتكون مثله فكانت قابلية الآساءة والآساءة فمن حقا أن تقابل الآساءة بالآحسان فقلت في نفسي الحق ما قال الملك العادل أما قراء هذا في كتب التفسير فتبنت قلبه فأجاب الله على لسانه وأعطاه به قال وحضر جماعة من التجار وشكروا القراطين كان ستون منها دينار ودينار ودينار ودينار فيخسرون فسأل الملك العادل عن كيفية الحال فذكروا أن عقد المعاملة على اسم الدينار ولا يري الدينار في الوسط وإنما يعدون القراطين بالسعر تارة وستين دينار وتارة سبعه وستين دينار وأشركل واحد من الحاضرين على نور الدين أن يضرب الدينار باسمه وتكون المعاملة بالدينار المكيه وتبادل القراطين بالكياية فسكت ساعة وقال أنا ضربت الدينار وأبطلت المعاملة للقراطين فكان في خبر بيت الرعية فان كل واحد من السوق عنده عشرة آلاف وعشرون ألف قرطاس أي شيء يعمل به فيكون سبب الخراب بيته قال فأبى شفقة تكون أعظم وأكبر من هذا على الرعية قال وخضر صبي وبكا عند الملك العادل وذكر أن أباه محبوب على أجرة عجرة من حجر الوقف فسأل عن حاله

في أخبار (١٥) الدولتين

فقالوا هذا الصبي ابن الشيخ أبي سعد الصوفي وهو رجل زاهد قاعد في جحر قاف وليس له قدر وعي الاجرة وقد حبسه وكيل الوقت لانه اجمع عليه أجرة سنة فسأل الملك العادل كم أجرة السنة فقالوا مائة وخمسون قرطاسا وذكروا سيرته وطريقته وقدره فرق له وأخرج عليه وقال نحن نعطيه كل سنة هذا القدر ليس فيه الا الأجرة ويقعد فيها ويقدم بذلك وأخراجه من المجلس فوصل الى قلب كل واحد من الحاضرين الفرح حتى كأن الانعام كان في حقه أخيرا فاجاب القاضى عبد المطلب الهاشمي قال كان عند القاضي تاج الدين عبد الغفور بن لقمان الكندي قاضي حلب غلام قد جعله المجلس الحكيم يدعى سويدا يحضر المحاضرات الى مجلس الحكيم فحضر بعض القضاة وأدعى ان له على نور الدين دعوى فقال الكندي سويدا ما ذكركم امض الى نور الدين وادعه الى مجلس الحكيم وعزفه انه حضر شخص يطلب حضوره وكان نور الدين في المبدان فجاوسو يد الى باب المبدان فخرج اسماعيل الخزندار فوجده مقدم سويدا اليه وقال سير في تاج الدين يعني القاضي وذكرا انه حضر تاجر وذكرا انه دعوى على المولى نور الدين وقد انفذ في تاج الدين وقال لي كذا وكذا ففعلت اسماعيل الخزندار ودخل على نور الدين صاحكا وقال له مسنة تزني قوم المولى فقال الى أين فقال حضر سويدا غلام تاج الدين الكندي وادعى ان تاج الدين أرسله يطلب المولى الى مجلس الحكيم فأنكر نور الدين على اسماعيل استنزاه وقال تستنزيء بطي الى مجلس الحكيم وقال نور الدين بحضر فرسي حتى نركب اليه السمع والطاعة قال الله تعالى انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا ثم مضى وركب حتى دخل باب المدينة فاستدعى سويدا وقال له امض الى القاضي تاج الدين وسلم عليه وقل له اني جئت الى هاهنا لانتساب الامر الشرع واحتاج في الحضور الى اسماء الى سائر هذه الازقة وفيها الايمان وهذا وكلي يسمع الدعوى وان توجهت عليّ عين أحضرنا شاء الله تعالى قال حضر الوكيل وسمع الدعوى وتوجهت اليه فقال الكندي درى قد توجهت اليه فخرجنا فبلغ نور الدين ذلك وعلم انه لا مندوحة عن حضوره فجلسه اليه استدعى ذلك التاجر وأصل الامر فيما بينهما وبينه وأرضاه وسمعت قاضي القضاة بهاء الدين يقول حكى الى السلطان الملك الناصر صلاح الدين قال أرسلني اليك الملك العادل نور الدين الى عي أسد الدين شيركود وكان لا يفعل شيئا الا بشورته فقال امض وتل لأسد الدين فحدثني في الباب ان أبطل هذه الضمانات بأسرها والمؤمن والمكوس واخذنا في ذلك فاجبت اليه وأنهم ما قال في فقال امض وقل له يا مولانا ففعلت ذلك فالاخذنا الذين أرزاقهم على هذا الجاهات من أين تعطيم ويحتاج اليهم للفرقة وخرج العساكر قال السلطان صلاح الدين فقلت لبي هذا أمر قد أمر الله يا هساعد عليه فصاح في وقال امض اليه وقل له ما أقول لك قال فعدت الى نور الدين فأنهيت اليه ما قال عي فقال امض اليه وقل له أنا كائن من هذه الجهات تركنا وتعد ولا يخرج قال فعدت الى عي وقلت ما قال فقال قل له ان تركك تعد فبيده هو فراجعه في ان لا يبطه من ذلك فصاح في وقال امض اليه وقل له ما أقول لك ففعلت اليه وقلت له ذلك فترك ذلك مدة ثم امضى ما كان عزم عليه قال لي صقر بن يحيى بلغني ان موقوف الدين خالدا رأى في النوم كأن نور الدين دفع اليه ثيابه ليأخذها ففعل منها على نور الدين ففهم وجه نور الدين ففعل موقوف الدين وبقي أياما على غايته من الخجل فاستدعاه يوما نور الدين وقال تعالى قد أنبأناك ان تقبل ثيابي اقبلوا كتب باطلاق المؤمن والمكوس والاعشار وكتب المسلمين اني قد فعلت عنكم ما رفعه الله تعالى عنكم وانزلت عليكم ما أنزله الله عليكم قال فكتب موقوف الدين توبيخا سمعت خليفة ابن سليمان بن خليفة الفقيه يقول سمعت أبي يقول لما كسر نور الدين يعني كسر القبيعة تكلم اليه ايهان البلخي فقال أنزبدون ان تجسروا في عسكر كما تجسروا في الطبول والزهور كما لا ماع هذا فسمع نور الدين قام وزع عنه ثيابه ذلك وعاهد الله تعالى على التوبة وشرع في ابطال المكوس الى ان خرج في توبة حارم وكسر الا فرج سمعت صديقتنا شمس الدين اسماعيل بن سوكين بن عبد الله النوري وكان ابوه أحد جمالك نور الدين فافقه يقول سمعت والذى يقول كان نور الدين سجد درجته الله بلس في الليل مسجعا ويقوم يصلي فيه قطعة من الليل قال وكان يرفعه يديه الى السماء ويبكي ويتضرع ويقول ارحم العشار المكاس قال في قاضي القضاة بهاء الدين سير نور الدين الى بغداد كاتبا يعلم الخليفة بما أطلق وقد ارما أطلق ويسأل له ان يتقدم الى الوعاظ بان يسبحوا من التجار ومن جميع المسلمين له في حل ما كان قد فعل اليه يعني من أموالهم وقد تقدم بذلك وجعل الوعاظ على المنابر ينادون بذلك حدثني رضي الدين

كتاب (١٦) الروضتين

أوسلم عبد المتع بن المنذر بن نور الدين حين خرج لأخذ شجرة خرجه أبو غانم بن المنذر بحسنة فأمره نور الدين بكتابه مشهور بإطلاق المظالم لمحبب ودمشق وحمص وحران وسنجار والرحبة وعزاز وولّ باشر وعداد العرب فكُتب عنه توثيقها نسخة

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقرّب به إلى الله سبحانه وتعالى صالحاً وأطالقه مسامحاً لمن علم ضعفه من الرعا بأرعاهم الله بضعفهم عن عمارته ما أخر به أيدي الكفار بأبادهم الله عند استيلائهم على البلاد وظهور كبتهم في العباد رافة بالمسلمين المائثرين وأطفا بالضعفاء المراءطين الذين خصهم الله سبحانه بفضيلة الجهاد واستجبتهم بمجاورة أهل العناد اختصاراً لهم بهم وأعنا ما لأجرهم فصيبراً والحنساباً وأجل الله لهم أجراً وثواباً انما يوفي الصابرون أجورهم بغير حساب وأعاد عليهم ما اغتصبوا عليه من املاهم التي أفاء الله عليهم بها من الفتوح العجريه وأقرها في الذلوة الاسلاميه بعد ما طرأ عليها من الظلمة المتكتمين واسترجعهم بيسره من الكفرة الملاحين فطمس عنهم بذلك معالم الجور وهم أن كان الثعدي وأقر الحق مقرون قوله تعالى في جاء بالحسنة فله عشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء الله أعلم الله بهونه وأيد بمنصره وقع به عادية الكفر وأظهر عزمته شعائر الاسلام وأطفر بالفتنة الطاغية وأمكنه من ملوكها الباغيه بقطيعهم قتيلاً غير مقاد هارب بمنوع الرقاد وآخرين مقرنين في الاصفاد هذا عطاؤنا فاقنوا وأمسك بغير حساب وإن الله عندنا لربّي وحسن ما ب علمان الدينافيه فاستخدمه لالاخرة الباقية واستيق ملكه الزائل بأن تقدسه أمامه وجعله ذخراً للمعاد فيلقى ما تدارداذا انقضت المواد وجاده وانجبه حين يلتبس الجراد يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والامير ومثله تصفيل لكافة المسافرين وجميع المسلمين بالضرائب والمكوس وأسقة لولهم دراوينه وخرمها على كل مشاغل اليها ومتهاوت عليها تجلب لاثها واكتسابا لثوابها فكان مبلغ ما ساع به وبالمنه وأنفذ الامر فيه اتباعا لكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في كل سنة من العين مائة ألف وستة وخمسون ألف دينار جهة ذلك حبس ثمانون ألف دينار عزاز عن مكس جدته الفخر فخذهم الله على المسافرين عشرة آلاف دينار ثل باشر أحد وعشرين ألف دينار المعزة ثلاثة آلاف دينار دمشق المحروسة لما استعجده أهلها واستعصى من فيها خوفاً على أنفسهم وأموالهم من استيلاء العدو وضعفهم عن مقاومة ما كان يؤخذ منهم في كل سنة وهو رسم يموله الفقه عشرون ألف دينار حص ستة وعشرين ألف دينار حران خمسة آلاف دينار سنجان ألف الرحبة عشرة آلاف دينار عدد العرب عشرة آلاف دينار وما وقعته وتصدقه وأجره في سبل الخيرات ووجوه البر والصّدقات بتدريسته مائتا ألف دينار وتقدر الخصال من ارتعاة في كل سنة ثلاثون ألف دينار من ذلك ما وقفه على المدارس الخشبية والشافعية والمالكية والحنبلية وأتمها ومدّسها ووقفها بما وقفه على دور الصوفية والربط والجسور واليهام ستانات والجوامع والمساجد والسوار وما وقفه على السبيل في طريق الحجاز وما وقفه على فكك الاسرى وتعليم الايتام ومقر الفربا وفتحاء المسلمين وما وقفه على الاشراف النبويين والعلمانيين وما ملكه لجماعة من الالبياء والغزاة والمجاهدين هذا جميعه سوى ما أنعم به على أهل النعم وحرسه الله تعالى من أملاهم التي تقدّم ذكرها فانها بضعاهي هذا المبلغ وزيادة عليه جعل ذلك بضعه عند الله ووقفه باليه مضافا الى ما أنفقته في الغزاة والجهاد واستتصال شافة أهل الكفر والعناد من خزائنه المعجزة وأمواله الموروثة الماخورة طلبا لماعند الله والله عنده حسن الثواب فالواجب على كل امام عادل وسلطان قادر ان يمدّه بيوته ويشد عضده ويقوى عزمه وينفذ حكمه وعلى كل مسلم ان يواصله بالاداء اناء الليل وأطراف النهار كتبه خادمه ولته وغذّي نعمته عبدالرحمن بن عبدالمنعم بن رضوان بن عبدالواحد بن محمد بن المنذر الخليلي غفر الله له ورحمه ورضى عنه الى كل من يصل اليه من أئمة الدين وفقهاء المسلمين وأصحاب الزوايا المتعبدين وكافة التجار والمسافرين أحسن الله توفيقهم وسدّد اغراض الخير توفيقهم ليشعروا بذلك من حضرهم من التجار والمتبردين اليهم من السفار ليعرفوا قد رما نعم الله به عليهم ولينذروا قومهم انازحوا اليهم ومثله وبأدعيتهم ويبرؤا ذمتهم مما سبق من أخذهم توفيقهم فانه لم يصرف ذلك الا في خدمة وجه ربّه وتجهيز جيش ومعونة مجاهدين وردع كافر ومعاند فهم شركاؤه في الثواب

في أخبار (١٧) في الدولتين

قال لى رضى الدين أبوالسالم بن المنذر فلما وقف نور الدين على قوله ويهتأ ذمته ما بهن سبق استحسن ذلك كثير
 ووعده باقطاع حسن واتفق موته بعد ذلك قالت ونقلت من خط الشيخ الامين أبى القاسم عبد الرحمن بن الحسين
 ابن الخضر ابن الحسين بن عبد الله الازدى دمشق وقف المولى نور الدين ببستان الميدان سوى القنطرة التي من
 قبله وبعد عمارته واصلاح ما يحتاج اليه على طبيب الماسجد التي بانى ذكرها وهي جامع دمشق المحروسة
 جامع قلعة دمشق مدرسة الخنقة التي جدد ها نور الدين مسجد ابن عتيبة داخل باب الجابية مسجد بن لبيد
 بالفسار مسجد سوق الراحمين المسجد المعلق بسوق الصاغة مسجد دار البليغ المعلق مسجد العباسي بسوق
 الاحمد مسجد نور الدين بجوار ربيعة الهود جامع الصالحين بمجل قاسيون يتابع بذلك عرد وطيب ويترق على هذه
 الاماكن النصف الجامع بدمشق والنصف الثاني ينقسم على احدى عشر جزءا كل جزء عشرة اجزاء التسعة
 المساجد الباقية لكل مسجد جزء واحد تطيب هذه الاماكن في الاوقات الشريفة ومواسم الاجتماعات وليالي
 شهر رمضان والاعباد واما الجامع وقت عقد الجمعة في الجوامع وليالي الجمعة والاثني ونقلت من خطه ايضا
 ان نور الدين رحمه الله حضر عند قلعة دمشق يوم الخميس تاسع عشر ربيع ثمانية وخمسة اربع وخمسين وخمسة مائة القاضى
 ركن الدين أبوالحسن على بن محمد بن يحيى القرشي والقضاة الشيخ شرف الدين بن أبى نصر والحطيب عز الدين أبو
 البركات بن عبد الامام عز الدين أبو القاسم على بن الماسح الشافعيون وشرف الدين أبو القاسم عبد الوهاب بن
 عيسى المالكي وشرف الاسلام عبد الله بن عبد الوهاب الحنبلي ورضى الدين أبو الغالب عبد المنعم بن محمد بن أسد
 التيمي رئيس دمشق ونظام الدين أبو الكرام الحسن بن أبى المصطفى الوزير بدمشق والاعيان من شهود العداة
 بدمشق وهم عبد الصمد بن قديم وعبد الواد بن هلال والصائغ أبو الحسن وغيرهم فسأهم نور الدين عن المضائق
 أوقاف المسجد الجامع بدمشق من المصالح التي ليست وقفا عليه وان يظهر كل واحد منهم ما يعلمه من ذلك ليعمل به
 ويقيم الاعمال عليه وقال لهم ليس يجوز لاحد منكم ان يعاين ذلك شيئا الا يذكره ولا ينكر شيئا مما يقوله غيره الا
 ينكره والسالك منكم مصدق للناطق ومصدق لقوله وليس التمل الاعلى ماتتفقون عليه وتشهدون به وعلى هذا
 كان التمسك بضران الله عليهم يتحققون ويتشاورون في مصالح المسلمين فكل من الحاضر بن شكركه على ما قصده
 وأئني عليه ودعاه بالبقاء ثم أمر نور الدين متولى أوقاف الجامع والمساجد والبيمارستان وبنى السبل وما يجري مع
 ذلك ان يقرأ عليه بمحضرة من المذكرين بصفة الاوقاف مودعا مودعا بالبرهان ان المصالح دون الوقف
 فانتم السوق المستحدثة المأذنة الغربية بجوار البيمارستان فقال الصائغ وابن قديم وابن هلال هذا السوق بكمال
 مصالح المسلمين وليس من وقف الجامع لانه أحدث في طريق المسلمين وقد صرف في الجامع من أجوره وأقنى ما غرم
 على عمارته من وقفه فصدقهم الحاضرون على ما شهدوا به وبلغ ذلك خمس وعشرون عضادة ثم عين المصالح ايضا
 ما في زيادة الجامع القبلية وزيادة باب البريد في الصف القبلي والشائش من العضادة والحوادث والحوائط طباقتها
 وطباق الطريق بمحضرتها وجميع بيوت الخضر من قبل الجامع والقرن المسجد ودار الخليل والمسكن والحوادث
 المجاورة لدار الخليل وحائط الخواصين في الصف الشرقي واثنا عشر حائطا متصلا بمسقات في الصف الشرقي تعرف
 باسمهات ونصف حائط والفرجة المستحدثة بمحضرة دار الوكالة الى سوق على وعدتها ثلاثة عشر حائطا مصطبة
 وثلاث حوائط في الصف الشائش من سوق على ماضى الفرجة من شرقها وحائط بالشمار في الصف القبلي يعرف
 بسكنى شطب القضاة وحوائط البلادين والتي بمحضرة الفرارة وتحت البلادين وتيسارية العقبة بسوق الاحد تعرف
 بدار الشجرة وحائطان في الصف الشرقي بمحضرة فسندق الزيت من غرب درب التمام وحائط بقنطرة الشمايين
 في الصف الشائش بمحضرة السباط وقنطرة بجموار المأمونية من غربها والعضادة التي في الصف الشائش من سوق الاحد
 وهي خمس عشر عضادة وسبعة أسهم من طاحونة البقرة وذلك كله بمحضرة ميراث عن بنى أمية كالخضر ودار
 الخليل وبعضه اشترى مال الوقف والمصالح وبعضه أخذ من باداهل الموقوف عليهم ولم يكن له مال وبعضه أحدث في
 الطريق فلما شهدوا بالجمعة جميع ما ذكرنا من ما صنع ذلك وأجروه جاري في المصالح قال نور الدين ان أهم المصالح
 تقرر المسلمين وبناء السور المحيط بدمشق والحدود لصبانها الماين وسرهم وأموالهم فسوروا ما أشار اليه وشكره ثم

كتاب (١٨) الروضتين

سأطرح عن فواضل الاوقاف هل يجوز صرفها في عمارة الاسوار وعمل الخندق للصليحية المتوجهة للسليين فأشرف
الدين عبدالوهاب المالكي بجواز ذلك ومنهم من روى في مهلة النظر وقال الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون الشافعي
لا يجوز ان يصرف وقف مسجد الى غيره ولا وقف معين بجهة الى جهة غير تلك الجهة واذا لم يكن بذكر ذلك فليس
طريقة الا ان يقتصره من ابيه الاصر في بيت مال المسلمين فيصرفه في المصالح ويكون القضاء واجبا من بيت المال
فوافقته الاقامة الحاضرة ومن معه على ذلك ثم سأل ابن أبي عصرون نور الدين هل أنفق شيء قبل اليوم على سور دمشق
وعلى بناء الكلاسة من شأم الجاهل وعلى إنشاء السقف المقر نص تحت النسر بالجامع وعلى الرصاص المعمول على سطح
الرواق الشامي من الجامع وسائر العمارات المتعلقة بالجامع المحجور بغير إذن مولانا وهل كان الا بمبلغ لا امره العالي في
عمل ذلك فقال نور الدين لم يتفق ذلك ولا شيء منه الا باذني وأنا أمرت به وبفتح المشهدين من الجامع المحجور اللذين كانا
مخترين وكتب مبلغا عسني ومؤد يا أمري قلت وقد رأيت المحضر الذي كتب فيه صورة ما جرى في ذلك المجلس وهو
مشتمل على فوائده حسنة وأنا كبريا ما نقل من سيرة هذا الملائكة وثقة مع وأمر الشرف على ذلك المحضر خطوط
لجامعة الحاضرة بن وصورة ما كتبه المالكي المذني (عذرت المجلس المذكور عن رآته وزينه بالعدل أبدأ ما عاش
صاحبه وشهدت على ما تضمنه من المشورة المباركة وما نسب الى الجامعة من الشهادة بالمواضع المشهورة كالنسب اليهم
وقد أدخل بذكر دار الجارة وقد ذكر وهما في المصالح المشهورة وما نسب الى من الفتوى فقد كنت قبيده بالحاجة وفراغ
بيت المال أضعفه عن القيام بما يحتاج اليه المسلمون ومهما تم الدينية كتبه عبدالوهاب بن عيسى بن محمد المالكي
(فصل) وقد مدح نور الدين رحمه الله تعالى بأشعار كثيرة وأوصافه فوق ما مدحه وكان في أول دولته شاعرا
زمانه ما أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير وأبو الحسن أجد بن منير وهما فيهما أشعار فائقة سيا في جملة منها في مواضعها
وقد رأيت ان أقدم منها شيئا هنا قرأت في ديوان محمد بن نصر القيسري (كتبت الى نور الدين سلام الله وحنانه ورأفته
وأمتنانه وروحور يحانه على من عصم بعض العواصم وخصم بختة الدهر الخاضع والجم بهبته العائب والواصم
الذي انتضى في سبيل الله سيف الجهاد وأرتضى بعز سلطانه شعار العباد والرهاد واهتدى الى طاعة الله وليس
غير الله من هاد ومن أعجبت أطراف البلاد أوطاد الملكة ومعاقل الكفار في عقائل ملكته ومن كثر الشكر مر أكر
أعلامه وألوهيته ومن عادت به تنور الشام ضاحكة عن ثغور النسر وهالك الاسلام متوجه بيجان الفخر وصعاب
الاهور منقاد له بازقة الفهر ومن رأى الحسنة دارسة فبنى مدارسها والهمم باسنة فسقى منابها ومعارسها والتمار
شامسة فأمكن من صهواتها فوارسها ومن عرر ربع السنن بعهد ما عفى وأتقنم الفتن من كان مناعا على شفا ومن نشر
اعلام الفضل وأنشهر بعد الوفاة أيام العدل ومن أنار بوجهه الايمان وأخذ الناس به من الزمان توقيع الامان شعر

نور الجهاد بن من عدو ونض
فهو المالك الذي أزم الناس
قد هدبت الماولة للعدل لما
قامها ما ملكت في الناس حتى
شبه الصالحين في جنة الترك
أنت حجة اتقاس بالاسد الوردي
صاغت الله من حليم المسالي
وكان القضاء منك لما ضم
أنت الاتسكن بياها فافانك
رأفة في شهامة وعفاف
وجمال غنطق بجلال
واذا ما المساول خافت سهام الذ
عجب الناس منك ان في الحر
فهو وطول الحساسة في هيجهاء
سبيلك المحجة اليه ضياء
سرت في الناس سيرة الخلفاء
لنقسمت النقي على الاتقاء
وكم من سكة كنية في قبياء
وحينما تعد في الاولياء
حيث لانسبة سوى الالاء
من الطهر مسجد بقباء
الانحسار لائق الانبياء
في اقتدار وسط وفي حياء
وصك مال متوج بهاء
ذمرت عليك درع النناء
بشهاب الكتيبة الشهباء

في اختيار (١٩) الدولتين

وكان السوف من عزمك الما * ضى أفادت ما عندهما من مضاه
ولعمري لو استطاع فذلك ال * قسوم بالامهات والآباء

وله فيه شعر

لله عزمك أى سيف ونحى * طبع مضارب على القهر
ما زلت الحروب الفوان به * الا انجلت عن مهمل بك
هل وجهه نزل الدين غير سنى * صدى الدجى عن بقله البدر
ملكها شه طلع عتبه * أبدا امام جيو شسه تسرى
كم فل كدهم بصاعقه * شملت قلوبهم عن الفسكر
تركت حصونهم سجونهم * فالقوم قبل الاسرى أسر
عصم العاصم فهى ضاحكة * تعباو الظبي تغرا على الثمر
فأذلرا يا غيبى * نهش سرا بالترف والذعر
ورجى القلاع بمثل جند لها * حتى استكان البحر بالخضر
يا سائل عن نوح سببه * خل شهر مفرق هامة القدر
عال حقيق من تأمله * ان يحيى العرين بالذكر
وشهامة فى الله خالصة * عقدت عليه تمام الاجر
ونسدى بد ماضى واردها * ان لا يبيت سجاور البحر
ههنا الخيف فى ذرى حلب * وثناؤه أبدا على ظهر

وله فيه وقد وصف داره

دارت عمار الشمس فى أفق * من حشوا الشمس مغيار
برزأ فيها ضميم ماله * غير سيف الهند أظفار
تمسى وتضحى وهو جارها * والله ذوالعرش له جار
لسبقه الباتر من دهر داله * جبار ما يهوى ويختار
قد ملأ الاسفار من ذكره * نشره فى الارض إسفار
حيدى ضريح الجؤن طيبه * حكايا راويد عطار
ان خذارت فى قلبه خطرة * أجابها ماضى وخطار
وان دعا عتبه يوم الوغى * سببه يوفه ليه أقدار
وانما صار به مرسى * له من التائب دأقار
يا مالك الدنيا ولكنها * دنيا لها فى الدين آثار
ويا جوادا ما لا لائه * غير قنماء الجند مضار

وله فيه أيضا

ندارك مله السورى ذبا * الى ان عبده منه مهند
وحل ذرى العواصم وهى نبي * فأجلى الشرك حتى ليس ضد
نبي يده عمن الدنيا عفا * ومال بها عن الاموال زهد
رأى خطاكوس عن الرعايا * فأهدر قبل ما أنشأ بهد
ومسكها رواق العسل شرعا * وقد طوى الرواق ومنهد
وباب وعند باب العرش منها * لدو لتهبه دهاء لا برد
وله فيه

في أخبار (٢٠) الدولتين

ملكاً أشبهه الملائكة فضلاً * وشبهه جمالك الأمر جنده
عم احسانه فأصبح يتسلى * وشكره في الأثرى ويدرس جده
فسيق الله ذكره أنفاجله * لولا فاته من النصر وفده
وله فيه

نضكت تبشير الضياح بأناس * قعمت نور الدين خير الناس
المشترى العقبى بأنفس تيمية * والبائع الدنيا بغير مكاس
وسرى دجاء الخلق يحرس نفسه * أن الدجاء بعد في الحد واس
راض الخطوب لهم بعد جاحها * وألأن من قاب الزمان التقاسي
وأعاد نور الحق في مسكاته * وأقام وزن العدل بالقسطناس
واختار محمد الدين سائس مأكله * سقى السياسة منه طودراسي
فهو الخبير بكل داء معضل * بأس وجراح زمانه وأواسي
وأذل سلطان النفاق بعسرة * خضعت لها الأساد في الأخياس
وعرته أقران الخطوب فصدها * أوى يارسها أشد مراس
ولأن فيض النيل فأقض نيله * لم تنقصر مصر إلى قياس
سكنت شعب الدهر بعد قبط * وأنت من عطفه بعد شماس
وفتحت باب الحظ بعد نجاهه * وأذنت للأطماع بعد الياس
حتى منحت الخلق كل مسرة * وقال الناس في عرس من الاعراس
وله فيه

سام السام و بالهامن صفقة * لولادة ما عنت على يد سائم
ولم ترم عمن الثغور وأصبحت * فيها العواصم وهي غير عواصم
تلك التي جمعت على من راضها * ودعوت فانقادت بغير شكائم
وإذا سعاد تلك اجتمعت في دولة * قام الزمان لها مقام الخدام
جعلن بلاك هيبة لارهبه * فالدرع من عدد الشجاع الخزام
هيبتن يطمع في محلاك طامع * طال البناء على عيين المهادم
كلفت همتك الدهر خلقت * فكأنما هي دعوة في ظالم
وأظن أن الناس لم يروا * عدلاً كعدلك ارجفوا بالقائم
وله فيه

قلت يقول الله لا تخافوا * مع حكم القرآن حكم القرآن
لأرواق النجوم ولا سافلا * ما فعل السعدان والنيران
بل غرت للأسلام حتى لقد * دان له من بالطواغيت دان
رعت نولميس نواقيسها * بحلبة الأذان وقت الأذان
تمحو تصاور الدي عن يد * تفي المحارب خلال الجحان
هكذا وكم أنشأت من مشير * فارسه فارس سحر البسان
من نال بالانخلاص مائلته * كان من الله مسكين المكان
ياشأنا بالشام صوب الحيا * ودانيس من كل قاص ودان
هذي صحوف الملك مر فوعة * عن ملك أخباره كالعيمان
أرضع سبيل العدل هتنة * فلا يرايا بالدهاء اثنان

كتاب (٢١) الروضتين

أنفي حقا وقاطعا باطل * إلى مال حط مال الضمان
عطفا ورقفا بالرعيا وان * أصبح تأديب مملوك الزمان
كم بين من نام على نشوة * وشاهد في صهوة من حصان
في كل يوم ينشئ سبقة * سلة بكر وأخرى عوان
وشرأت في ديوان أجد بن منير الطرابلجي من قصائد مدح بها نور الدين رحمه الله تعالى

يا محيي العدل وبامشره * من بين أطباق البلى وقدهد
وركن السلام الذي وطده * طال وارسي العزفه ووطد
وشارع المعروف انلاسهفه * بجسج للقول ولا تسع يد
محويت ما أنبتسه الجور مضى * عليه اخلاص اليال مخلد
من كل مكاس يظلي قاعدا * لما يسوء المسلمين بالصد
كانت لارجاس اليهود دولة * أزالها منك المحصور ذواللبد
الملك العادل لفظ طابق الـ * معنى وفي الوصف معار مسترد
خير النعوت ما جرى الوصف على * صحتته جرى التسم في الومد
عدل جندب اليوم حسا وربعه * وسوف يجني لك أحلى منه غد
لا زال لاسلام منك عدة * يقسم منه كل زين وأورد
الناس أنت والمساوئ شرط * تعدد ليها ويعدون نقد
مشلك لا يسحقو به زمانه * ومثل ما أوتيت لم يؤت أحد
وله فيه أيضا

أيا نور دين خبسا نوره * ومدشاع عدلك فيه انتقد
رأى الصليب صليب القناة * أمين العشار متين العمد
تم قسلبه ما اقتنى * وتدي فتشكله ما احتشد
زنتهم أمس عن صرخد * ففضوا مكان نعماء شرد
ويوم العريضة أقبلتهم * عراما يشعلب منه الاسد
حبست ملكهم في الصفا * وعقول عنه أعم الصفا
وقبيل ازرتهم في الرها * موازق منرقن جرد الجسد
بقيت ترقع خرق الزما * ن قياما لابن سائنه ان قعد
تثقف من زينعه ما التوى * وتصلح من طبعه ما فسد

وله فيه

أيا ملك الدنيا الخلال والذى * له الارض دار والبرية أعبد
ولمست بدعوى لا يقوم دليلها * ولكنه الحق الذي ليس يجحد
أخوات الزوات كالعقود تناسقت * تحل باجساد الجياد وتعد
لسان يذكر الله يكسو نهاره * بهاء وجفن في الدجى ليس يرقد
وبذل وعدل أغرقا وتأنقا * فلا لورده فهو دولا الباب موصد
مرام سمائي وخزم مسدد * ورأى شهابي وعزم مؤيد
وله فيه

أبدأ يشكب عن ضلال سادرا * بثقوب زندق أو تدل على هذا
سدت الكهول من الماويل مرادة * وشاوت شديم البوازل أمزدا

كتاب (٢٢) الروضتين

ان شيدوا صرحا أناف مناره * أو مسجدوا لكلا السجدة مسجددا
واذا استمترتم فلا تدع معبد * هزته موعظة فترى معبددا
قما يشام الشام فذلك مهندا * أرضاه مشهورا وراع مقلدا
وتمسك الاسلام منك بهوة * الله أبرم جهلها فاستمعجدا
أشفي فكتبت شفاها من حادث * غاداه عارضه مردي بالزدا
كنت الصباح لليلة السادى * والغوث كف لنفاه حين نوقدا
لله يوم أطلعك به النوى * يجتنب من مهيح الا صافر مجسدا
نشوان غنتك الظى مفاولة * وأمال عطفك الوشيعه قصدا
في معرك ما قام بأسك دونه * الأقام المشركين وأقعدا
ولسكن معسكرت فيه معلما * أرضى الهلك والمسيح وأجدا
يوم العريكة والخطيم وحارم * وشسعاب ياسوطا وهابا وصرخدا
لا يعدم الاثر لك جدك انه * ماسل فيهم حاك الا اعتدا
أهدتهم من بعد ما ملأ والملا * زحلا فهل كانت سيفك مرقددا
طلعت نجوم الحق من آفاقها * وأعادها كز العصور كابددا
وهوى الصليب وخزيه وتختار الا * سلام من بعد التساقف أعياددا
سبق الحلى للقطى فرعه * نسق بشم وقد رفعت بالابتدا
وله فيه

محمود المرنى على اسلافه * ان زاد في حب الحبيب شجار
ملك اذا تليت مأثر قومه * كسد اللطم وهين الثوار
ملا الفرجة جور سيفك فيهم * فلهم على سيف المحيط حوار
يوما يترك جوف عرقه معما * جوف له خلف الدروب أوار
وتحير في الاردن فضلة ذيله * تقع بأكفاف الانطامشار
اما تبج حرم انطاكية * أو ينجأ الداروم منك دمار
عنى جهادك رسم كل مخوفة * وصفت بصفوة عدلك الاكدار
وهنا المظالم منك نظرة راحم * لله في خطراته أسرار
غضبان للاسلام مال عوده * فلنوره مما عذره نوار
وجذمت كل يد تسور على يد * فاحلت ذلك السور وهو سوار
لم يبق ما كس مسل سلقا ولا * سلع المظلمة ولا عشار
هكذا كما هدت ثودوقادهم * بفسارهم مما أنوه قدار
النار في الدنيا شقوا بلباسه * ولباسهم يوم الحساب النار
كم سيرة أحييتها عربية * رفعت لها في الحقائق منشار
ونزاعل صميمهم من لوازمها * بأقلامها تستعيد الا حار
تقفوط ربي الصالحين مسابها * لهم وتطلع خلفك الا برار
نفس السيادة زهدك في الذي * فيه تنفانت يعرب وتزار
ومنى أدمى مائدعيه محكم * أوهى معاقده ديتيه دينار
لله ما نلت به منك المني * وتكذفت من ركنك الاستنار
وسقى النعام ترى أهلك فانه * أرك ترى قطرت عايسه قطار

في أخبار (٢٣) الدولتين

شهدت نصارة عودك الغض الحنى * وان الذي استخلصت منه قضا
أمانهم بارك في بريل مجاهد * والليل من طول القيام نهار
فلذلك النصر العزيز أدلة * أى التجهت ولا تفسح أمار
وله أيضا في رجه الله تعالى

رأيت المملوك وقد ساجد * لفتوا مدونا وغزوا غرورا
أب لك ان بدر كوه آب * يزار في نوى الاسود الزهيرا
وجسد اذا جد يوم الرها * ن ابقى لتاليه جذا عثورا
نصب عساك على من عسالك * يوما عموسا بها فظرا
لقد البس الشام هذا إلأبا * لبرسا من الامن لينا وشيرا
تداركت أرماقه والفساد * ب نوافران يستحق الصدورا
أفت جشاما وكم كانت جشا * وشدت قصورا وكانت قبورا
وكذلك من غضبته للهدى * تيمت الهوى وتجب الذكورا
اذا فطبت الساس كانت ردى * وان تخلك القوم عادت نشورا
كلت فوقت عسبن السجال * تبيد السنين وتنفى العصورا
وجند لنا بسك رب برا * لك لك كفرنارا ولالدين زورا
اذا ما خدمت فولى كريما * وأما عديت فعبدا لشكورا
امام المحارب برا حصورا * وتحت الحروب هن برا همورا
تبارك من شاد هذى الخلال * في ظلة الملك طودا وقورا
وألف في مقعد الساج من * لك سدا واسعيرا وعشوا فيرا
وله فيه

عقل الحق ألسن المدعيينا * أنت خير المملوك دنيا ودينا
وأسد الانام قولا وأقما * لا ونسا ونيسة وبقينا
أنت المملوك منهم ابا وابه * وأمرأ حيا وأمرأ عينا
بسدا الرزق في البسيلة كفساك * فكشا يدك تاني عينا
في يدك تجمعت النواذب عسا * ويد تقسم الرغائب فينا
أيها البحر لو تساجلك الابصر * عامت في ساجلك سفيينا
ولكان التجميد منها عسا * مثل نون الجعسا أو نجل نونا
مشرنا مسمونا وما مسمونا * وربا عافيا وصيكتا لبونا
وعسرا طلقا ومالا طلقا * وابتها جاقسا وحبلا متينا
بين ذب عيت عادية الشر * لك وهب يحسب به المسكونا
تسعى من الفتوح ألوفنا * أنت أعلى من أن تعد المتينا
كلما خرت ثوب نصر عزيز * من مرام قبلت فيهما ميتا
صرف الله عنك صرف زمان * أنت عملت صرفه ان هونا
يابن من طمق البسيلة آنا * راوعيل المناذبا لاجونا
وعدت حصنه على شر هذا الدين * من شلة الاسادي حصونا
كم نسا في ربي الشا * مفاعلي خلف الخليل الرينا
كان مسونا لشيده أبقالة للعد * حمة والمأس بعده المسامونا

كتاب (٢٤) الروصتين

سمع الله فيك دعوى مسكن * وأطمع من جالك حصا حصينا
غزتهم مدي الخطوب فأجبت رفا من السراب دقيبا
السوا عدلك المذبح فأحتا * لو اسباب في وشبه ونسا
جرت عسك الكوة وباموا * بحمد أكاف رعيا أه يا
قلت فهيدا أمدوح من أسعاهذين الخايس فيه مراما نافي * ثم أنان وأر ديس وجسمائه قبل ان يهجم نور الدين
دمشق وبقي نور الدين حيانا عدها الحدى وعسرس سنة يرقى كل عام في اردن ما من جهاد واحتداد ولو كانا
أدر كذلك لا يأتى وصفه بعجائب الخايم مع انه قد نبى ذلك غيرهما لم سلم شأونها ولا في الحمد المسلمين المصير
اس قسم الجوى من قصيده فيه

تندو السحابة من ظلافة وجهه * كحل يمد على المساودة منه
وراءه نطسسه امام مخرب * الله له ناسه وسيسجود
هذا الذي في الله صبح جهاده * هذا الذي ناله صبح يوميه
هذا الذي يحل الزمان عثله * والمثمة حركت العلي عرسه
ملك الوري ملك أعزته وق * لا عدره يحشى ولا نابسه
ان حل فالشرف البلد أسه * أو سار فالامر الطربى قبريه
فالدهر جادل من أراد عساده * أرا وحسان السماء مع مسه
والذين يشهد سدا له المعز * والشرك يعلم انه لم يمسسه
مارال تقسم ان سدد سمك * والله يذكركه ان يمينيه
فتح الزمانا لمن فانه تحت له * أناب ملك لا يرال مصونه

ومجاد نور الدين رحمه الله كثيره وذكر الحافظ أبو القاسم انه كان ذا لى الاسهام بالشعر ومات حادى عشر شوال سنة
تسعين وستين وجمعيته ودفن بقلعة دمشق ثم هل الى ديه مدرسته بجزاريا واصل طلب وقد حزن استجابة الى جاء
عديقه وهذاد كطره من مناقبه جلد * ومن بعد ذلك ألى أداره وأخبار سلعة منه لى مرة وما حركى زمامهم
على سد لى الاحصار ان شاء الله تعالى

(فصل) * أصل السبب الانا كى هو قسم الدولة اى سمر حذو نور الدين * ذكره وما فى اى نامه ثم يذكر ولده
ركى وسامى فى اى نامه ثم يذكر ولده محمود بن ركى ثم يذكر مانع دوشى الى وله الله لاجية الاية ويوما فى اى نامه * قول
ككان اى سمر تركمان أخصاب السلطان ركن الدين ملك شاه بن البار ابن ودهم فاق من مشن بن الب
أرسلان الذى كان سلطان دمشق وقهره * الا فوا ودين من هانتة والمشهد والدته وكان السلطان ملك شاه من سبله الملوكة
السلطنة بالمعنى على البلاد بعدى ربه بالمرافى فكان سم الدولة من أخصانه وأرانه وبنى رضى معه فى عصره واسهر
فى صحبته الى حين كره فلما أفضت السلطنة بعد له الى له جعله من أى ار أمهاته وأهـ أوليائه واعتمد عليه فى
مهماته ورا قد ردها الى اى ان صار له * مثل نظام الملائكة الورى مع تحته على السلطان وبك من المملكة فأسار نظام
الملك على السلطان اى بنو اى * بعد مدية حلب واعمالها وأراد بذلك ساعد من دمه السلطان وبك عده
بذلك على اس الامير ومن الدليل على عاقبه * انه بلكه * وقسم الدولة وكان الالاف حيث قدم مصونه لا تعطى الا
لمسحقتها * وقسمه سبع وسبعين وأر سمائه سى السلطان ملك شاه الورى بخرار * ولهم خبير وكان روضه اى نظام
الملك الى الموصل وسير معه جيشا عظيما وحمل المذم على الخدش * الدولة اى سمر فسار وحق الموصل وله سهم
الطريق الى امير ارتقى الركن كنى حذم المولى الحصين ومار سى فاسمهمو معهم بخرار الموصل وحقار نوام ما ورتلوا
وسار صا حبا الى السلطان وردها * وكان يومه لا حذم امرأى على عمل وهو سرف الدولة مستل من قس سى
بدران العميل وكان ملكه من الاسديته بالراق على غير عيسى الى مسمى وما منهم ما من الالاف اى بلكه * كتاب والاسار
وعبرها * وله الملوصل ودار بكر والخبره أسرها وملكه * له حلب وكان عادلا حسن السيرة عظيم السياسه

في أخبار (٢٥) الدولتين

وانفق ان وقع بينه وبين صاحب انطاكية خلاف وذلك ان انطاكية كانت الروم قد اسسوها واعلمها سنة ثمان وخمسين
وثلاثمائة ولم ير الايام الى هذه السنة ففتحها سليمان بن قتيش وهو جد الملك غياث الدين كيقبرص صاحب قونية
وغيرها وكان لشرف الدولة صاحب حلب على صاحب انطاكية الرومي حربة يأخذها كل سنة فانقطعت عنه بسبب
أخذ سليمان البلد فأرسل شرف الدولة يطلب منه ما كان يأخذ من الروم ونهب ذره فقتل أنا في طاعتك وهذا الفتح
بسعادتك والخطبة والسكينة ولست بكافر حتى أعطيتك ما كنت تأخذ من الروم فلحق شرف الدولة في طلب المال
فالتقي بقتل شرف الدولة وانهمز عسكره وسار سليمان الى حلب فغزوها وسار اليها من دمشق تاج الدولة تقي بن
الب أرسلان اخو السلطان ملكشاه فالتقى عسكر تقي وسليمان فقتل سليمان وانهمز عسكره وملاك تقي مدينة حلب
دون القلعة فأرسل أهل القلعة الى ملكشاه ليسلوا اليه وهو يومئذ بالرها وكان سبب مسير اليها ان ابن عطية
الغبري كان قد باعها من الروم بعشرين ألف دينار وسلّم اليهم فدخلوها وأخرجوا المسلمين عنها
فسار ملكشاه اليها في هذه السنة فغزوها وأقطعها الأميران فلما أتاهم أرسل أهل القلعة يطلب بالتسليم
سار اليهم فابلق مسيره الى أخيه تاج الدولة فحل عن حلب الى دمشق ووصل السلطان الى حلب وبالقعة سالمين
ملاكين بدران العقيلي وهو ابن عم شرف الدولة فسأله الى السلطان بعد قتال وأعطاه السلطان عوضا عن قلعة جعبر
وكان قدم ملكها في هذه السفارة من صاحبها جعبر الغبري وكان شيخا كبيرا أعرج فبقيت يسد سالم وأولاده الى ان
أخذها منهم الملك العادل نور الدين كاسيان فلما ملك السلطان حلب أرسل اليه الأمير نصر بن علي بن القادر بن
منقيد الكوفي صاحب شيزر ودخل في طاعته وسلم اليه الازقية وقامية وكفرطاب ثم ان نظام الملك أشار على
السلطان بتسليم قلعة حلب واعمالها وجهاه ومنح والازقية وما معها الى قسم الدولة آق سنقر فاقطعها الجميع وبقيت
بيده الى ان قتل سنة سبع وخمسين وأربعمائة كما سيأتي وأقطع السلطان مدينة انطاكية الأمير باغي سغان ولسا
استقر قسم الدولة في الشام ظهرت كفايته وجا بهته وهيبته في جميع بلاده ثم ان السلطان استدعاه الى العراق
فقدم اليه في نجل عظيم لم يكن في عسكر السلطان من يقاربه فاستحسن ذلك منه وعظم مجده عنده ثم أمره بالعودة الى
حلب فماد اليها فلما مات السلطان ملكشاه سير قسم الدولة جيشا الى تكريت فلكها وفي سنة احدى وعشرين
قسم الدولة شيزر فماد اليها واعداد الى حلب وفي سنة ثلاث وعشرين اجتمع قسم الدولة بوزان وحضر ومدينة حصن
فلكوها ومضى ابن ملاعب الى مصر وفي سنة أربع وعشرين وملاك قسم الدولة حصن قامية من الشام وملاك الرحبة
(قصه سار) وفي عاشر رمضان سنة ثمان وعشرين قتل الوزير نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن امحقاق قتله
صبي دلي بعد الافطار وقد تفرق عن طعامه الفقهاء والاشراء والنقراء وغيرهم من أصفاء الناس وحمل في محفة
لنقرس كان به الى خيمة الحرم فلقه صبي دلي مستغيبا به فقتله منه ليسمع شكواه فقتله وقتل الصبي ايضا فعدمت
الدينار واحدها الذي لم تمثله وكان تلك الليلة قد حكي لبعض الصالحين انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام
كانه أتاه وأخذهم من محفة فقبضه فاستبشر نظام الملك بذلك فأظهر السرور به وقال هذا أربي يا ماهو طلب وكان قد باع
من الدينار لمعا عظيم لم يبله غيره وكان عالما قتيما يناخير امتراضها عادلا لا يجب أهل الدين ويكرهم ويجزل صلاتهم
وكان أقرب الناس منه وأحجم اليه العلماء وكان ينظرهم في المحامد ولا يبحث عن غوامض المسائل لانه استغل
بالفقه في حال حداثة مودة وأصدقائه وتوفقه فلاحده علم او مدرسه في العالم مشهورة لم يحل باليمن شيء منها حتى
جزيرة ابن عرائق التي في زوايته من الارض لا يؤتيها بنى فيها مدرسة كبيرة حسنة وهي التي تعرف الآن بمدرسة
رضي الدين وأعلم الحسنه وصنائعه الجيلة المذكورة في التواريخ يسبقه من كان قبله ولا ذكر من كان بعده وكان
من جملة عبادته انه لم يجد ان الاوضا ولا نوحا الا صلى وكان يقرأ القرآن حفظا ويحافظ على أوقات الصلوات مع حفاظة
لا يتقهم فيها المتفرغون للعبادة حتى انه كان اذا غفل المأذن أمره بالاذان واذا سمع الاذان أمسك عن كل ما هو
فيه واشتغل بحاجته ثم بالعبادة وكان قد ورث السلطان عضد الدولة الباسلار والد الملكشاه قبل ان يلى السلطنة في
حياة السلطان طغرل بك أول الملوك السجوقية سنة دافا توفي طغرل بك سعي نظام الملك في أخذ السلطنة لصاحبه
البارسلان وقام اليها الذي نجح عنه الجيوش الكثيرة واستقرت السلطنة له وبقي معه الى ان توفي ثم ورثه بسنده

فمن زحف

كتاب (٢٤) الروضتين

بسم الله فيك دعوة سكر * أو طمأن جالك حصا حينا
عزقتم مدى الخطوب فاحيدت رفاتنا من السراب دقيسا
اليساعدك اندح فاحتا * لو اسباب في وشه ونيسا
سهرت عندك الكوة وناموا * حصا كفاف رعبا أم نيا
قلت فهذا أمدوح من أشعار هذين الذين فيه معهما ما يافى سنة ثمان وأربعين وخمسة مائة قبل أن يفتح نور الدين
دمشق وفي نور الدين حيا بعدهما إحدى وعشرون سنة نبرقى كل عام في أريد ياد من جهاد واحساد ولو كانا
أذكر كذاك لا تباقي وضعه يهتات المذايح مع انه قد بولي دلائل غيرهما من لم سلم شأؤهما ولا في المجد الماسلم من الحصر
ان قسم الجوى من قصيدة فيه

تندو السخامة من طلاوة ردهه * كدح لعل الفسادة
ووراء فقطسه امانت * لله سله له وسعك وده
هذا الذي في الله صرح جهاده * هذا الذي بالله صرح به
هذا الذي محل الزمان له * والمشتهى في العلى عريسه
ملك الورى ملك أعز متوح * لا عذره يحشى ولا ملو سبه
ان حل فالشرف السند أنسه * أو ساروا انهم الطريف قريسه
فالدهر جادل من أراد عبادته * أندادنا انما هماء عبيته
والذين بشهيدانه المعز * والله رثى يعلم انه الهيمه
ما زال قسم ان يسدد سبله * والله ينصركم ان يمين يمينه
فتح الزها لالامس فانه تحت له * أنواب هلك لا يرال مضمونه

ومجد نور الدين رحمه الله كثير وذكر الحافظ أبو القاسم انه كان قليل الاسباح بالشعر ومات حادى عشر ثوال سنة
تسعين وستين وخمسة مائة ودفن بقلعة دمشق ثم حل الى قبره مدرسته بجزارة اواصين قلبه وقد سب اسمعانة الدعاة
عند قومه وهذا ذكر طرف من مناقبه جليلة وثمن بعد ذلك أن ما ياره وأحماره له ماله له حريته وما جرى في ما هم
على سبيل الاحتضار ان شاء الله تعالى

(فصل) أصل البيت الاناكي هو قسم الدولة في سنة رجب نور الدين ذكره وما هم في أمانه ثم يذكر ولده
ركن وما هم في أمانه ثم يذكر ولده مجدوس ركن ثم يذكر ما بعده وهي الدولة الاخلاية الايوبية وما هم في أمانه فاقول
كان اى سمعتر ركن اى سمعاب السلطان ركن الدين ملككاه من البارز الايوه وعم دقاى من مش من الب
أرسلان الذى كان سلطان دمشق وقهره قة الطواوين عايتهم والمذمود ولده وكان السلطان ملككاه من حمله الماولك
السلطوقية المتلعين على البلاد بعدى نوبيا بالعرافى وكان اسم الدولة من أمانه وأمراته ومن ركن معه فى صغره واسمتر
فى حقه الى حين كره فلما أقصت السلطنة بعد أنسه الى حمله من أن امراته وأحسن أوليائه واعمد عليه فى
مهماله ورا قد رعا على ان صار به مفضل نظام الملك نور مع حقه على السلطان وحكم من الملكة فأشار نظام
الملك على السلطان ان يولى اى من مدييه حلت واعمالها وأراد بذلك ان يخدمه السلطان ويخدمه
بذلك قال اسال الأمير ومن الدليل على عز من بته بده فقسم الدولة وكان الانساب حيث مده وبه لا تعطى الا
استحقاقها وفى سنة سبع وسبعين وأربع مائة سبر السلطان ملككاه نور ركن الدولة من حبه وكان روحه انة نظام
الملك الى الموصل وسمر معه جيشا عظيما وحمل امانه ثم على الخدين فى الدولة اى سمعتر ركن الدولة من حبه وكان روحه انة نظام
الطريق الامراتى الى ركن حاكم ارك الحس وما راس فاسمعه ودههم ركن الى الموصل وطار نوا من حارة ملو حها
وسار صاحبها الى السلطان ورده اعليه وكان يومئذ لا حادى امر اى من ركن الدولة من حبه وكان روحه انة نظام
بدران التعملى وكان ملكه من السدي بالعرافى على من ركن الى من ركن وما هم من الاناكي الا انصار
وعبرها وملائك الموصل ودان بكر والجور ره أسرها وملائك مدسه حلت وكان عادلا حسن السيرة عظم السياسة

في أخبار (٢٥) الدولة

واتفق ان وقع بينه وبين صاحب انطاكية خلاف وذلك ان انطاكية كان الروم قد استولوا عليها سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ولم ير الواهب الى هذه السنة ففتحها سليمان بن قتيش وهو جند الملك غياث الدين كحضر و صاحب قونية وغيره وكان لشرف الدولة صاحب حلب على صاحب انطاكية الرومي جزية يأخذها كل سنة فاتفقت عنده بسبب أخذ سليمان البلد فأرسل شرف الدولة يطلب منه ما كان يأخذه من الروم ونهده فقتل أناني طاعتك وهذا الفتح بسعد تاج والخطبة والسكك والست بكافرحي أعطيك ما كنت تأخذه من الروم فلحق شرف الدولة في طلب المال فالتقى بقتل شرف الدولة وانهمز عسكره وسار سليمان الى حلب فحصرها وسار اليهم من دمشق تاج الدولة نذش بن الب أرسلان اخو السلطان ملكشاه فالتقى عسكر نذش وسليمان فقتل سليمان وانهمز عسكره ومالك نذش مدينة حلب دون القلعة فأرسل أهل القلعة الى ملكشاه لطلبها اليه وهو يومئذ بالرها وكان سبب مسيرها اليها ان ابن عظمة الغيري كان قد جاءها من الروم بعشرين ألف دينار وسلمها اليهم فدخلوها وآخر يوم المصادفة وأجلوا المسلمين عنها فسار ملكشاه اليها في هذه السنة فحصرها وفتحها وأقطعها الامير بنان فلما أتاه رسل أهل القلعة بحلب التسليم سار اليهم فلما بلغ مصر الى أخيه تاج الدولة فدخل عن حلب الى دمشق ووصل السلطان الى حلب وبالقلعة سالهم مالك بن بدران العقيلي وهو ابن عم شرف الدولة فسلمها الى السلطان بعد قتال وأعطاه السلطان عوضا عن غلبا قلعة جبر وكان قد ملكها في هذه الاسقرة من صاحبها جعفر الغيري وكان شيخا كبيرا أعجى فبقيت يمسد سالم وأولاده الى ان أخذها منهم الملك العادل نور الدين كما ساق في فلما ملك السلطان حلب أرسل اليه الامير نصر بن علي بن المقلد بن منقيد الكافي صاحب شيزر ودخل في طاعته وسلم اليه الالذقية وقامية وكفر طاب ثم ان نظام الملك أشار على السلطان بتسليم قلعة حلب واعمالها وجاهه ومنعج والالذقية وما معها الى قسم الدولة التي سقفة فاقطعها الجميع وقيمت بيده الى ان قتل سنة سبع وثمانين وأربعمائة تسكنها سياني وأقطع السلطان مدينة انطاكية الامير باغي سغان ولما استسقرت قسوم الدولة في الشام ظهرت كفايته وحجايته وهيئته في جميع بلاده ثم ان السلطان استبدع اهل العراق فقدم اليه في تجهيز عظيم ليكن في عسكر السلطان من يقارب به فاستحسن ذلك منه وعظم مجده عند أمره بالعودة الى حلب فماد اليها فلما مات السلطان ملكشاه سير قسم الدولة جيشا الى تكريت فلكها وفي سنة احدى وعشرين قصب قسوم الدولة شيزر فنهضها وعاد الى حلب وفي سنة ثلاث وثمانين اجتمع قسم الدولة وبرزان وحضر وامدبنة حص فلكوها ومضى ابن ملاعب الى مصر وفي سنة أربع وثمانين ومثلت قسوم الدولة حصن فامته من الشام ومالك الرحبه (فصمسل) وفي عاشر رمضان سنة ثمان وثمانين تولى الوزير نظام الملك ابرع الحسن بن علي بن احمق قتله صبي دلي بعد الاطوار وقد تفرق عن طعمه الفقهاء والامراء والفقراء وغيرهم من اصناف الناس وجعل في محفة لنقرس كان به الى خيمة الحرم فلقته صبي دلي مستغشاه فقتل به منه ليسمع شكواه فقتله وقاتل الصبي ايضا فعدمت الدنيا واحدها الذي لم يرم له وكان تلك الليلة قد حكي له بعض الصالحين انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام كأنه أتاه وأخذه من محفته فقبضه فاستشعر نظام الملك بذلك وأظهر المير وره وقال هذا أباي وياها طلب وكان قد بلغ من الدنيا بما عظم ما يناله غيره وكان عالما فقهيا بناخرا متواضعا عادلا لا يحب أهل الدين ويكرهم ويجزل محلاتهم وكان أقرب الناس منه وأحبهم اليه العلماء وكان يباظرهم في المجالس ويبحث عن غوامض المسائل لانه استعمل بالفتنة في حال حياته مدّة وادأ صدقته ووقوفه فلا حذر عليهم ومدارسه في العالم مشهورة لم تهمل بل من شيء منها حتى جز بران عمر التي هي في زاوية من الارض لا يؤقيها بنى فيها مدرسة كبيرة حسنة وهي التي تعرف الآن بمدرسة رضى الدين وأعماله الحسنة وصنائعه الجليلة مذكورة في التواريخ لم يسبقه من كان قبله ولا أدركه من كان بعده وكان من جملة عباداته انه لم يحدث الا تواضعا ولا تواضعا الاصلى وكان يقرأ القرآن حفظا ويحافظ على أوقات الصلوات يحافظها لا يتساهل فيها المتفرغون له بعبادة حتى انه كان اذا غفل المأذون أمره بالاذان واذا سمع الاذان أمسك عن كل ما هو فيه واشتغل بما جابهته ثم اصابته صلاة وكان قدوزر السلطان عضد الدولة الب أرسلان والملك كشاه قبل ان يلى السلطنة في حياة السلطان طغرل بك أول الماولة السلجوقية سنة دار فلما توفي طغرل بك سعى نظام الملك في أخذ السلطنة لصالحه الب أرسلان وقام انقام الذي تجز عنه الجيوش والكثيرت واسعة تترت السلطنة له وبقي معه ان توفي ثم وزر بسده

فمنه من

ولولاه السلطان ملكشاه الى ان قتل وكان قد تصدق عليه الى حد لا يقدر السلطان على خلافه لكثرة مماليكه ومحبة
العساكر له والامراء مويل العادة والخاصة اليه الحسن بسيرة وعذله وهذا كلام أبي الحسن بن الاثير وقرأت في
كتاب المعارف المتأخرة يسمي عنوان السير محمد بن عبد الملك بن ابراهيم الحمداني قال وزر نظام الملك ابو علي الحسن
ابن علي بن اسحاق الطوسي للسلطان اب ابرسلان ولولاه السلطان ملكشاه اربعة وثلاثين سبعة وقتل بالقراب من
نهبانند وعمر ست وسبعون سنة وعشر فاشهر وتسعة عشر يوما اغتاله أحد الباطنية وقد فرغ من قطوره قال وقيل
ان السلطان ملكشاه الف عليه من قتله لانه ستم طول عمره ومات بعده بشهر وخمسة ايام وقد تقدم نظام الملك في الدنيا
التقدم العظيم وأفضل على الخلق الافضال الكثير وعم الناس بمعرفته وبني المدارس لا يحجب الشافعي ووقف
عليهم الوقوف وزاد في الحما والدين على من تدهمه من الوزراء ولم يبلغ أحد منهم منزله في جميع اموره وعبر بحجونه فوقع
على العامة لبا انطاكيا بما يصرف على الملاحين وملك من العلمان الانزال الوفا وكان جهور العساكر وشجعانهم
وقتا لهم من ممالكه قلت وأنشد ابوسعيد السهماني في ذيل تاريخ بغداد فقال أنشدني عني الامام ابو القاسم أحمد ابن
منصور السهماني غير مرة من لفظه لا مير شبل الدولة يعني مقاتل بن عطية ابن مقاتل البركي
سكان الوزير نظام الملك لؤلؤة * ثمانية صاعها الرحمن من شرف

عزت ولم تعرف الايام قيمتها * فردها غيرة منه الى الصدف
(فصل) عاش السلطان ملكشاه بعد نظام الملك خمسة وثلاثين يوما ومات في منتصف شوال سنة خمس
وثمان وعشرين ومائة وثلاثون عاما ونصف عام وكانت ملكيته قد اتسعت اتساعا عظيما وخطب له من حدود الصين الى
الباروم من أرض الشام وأطاعه اليمن والحجاز وكان يأخذ الخراج من ملك القسطنطينية وأطاعه صاحب طراز
واسنجبار وكاشغر وبلاغون وغيرهما من الممالك البعيدة وملك سمرقند وجميع ما وراء النهر ثم ان صاحب كاشغر
عصى عليه فسار السلطان اليه فلما قرب من كاشغر هرب صاحبها منه فسار في طلبه ولم يزل حتى ظفر به وأحسن اليه
واستعجب معه الى أصفهان وعمل السلطان من الخيرات وأبواب البركة ايامها ما أصلحو وعلمه من الصنائع طرق مكنة
وحفر من الابار وبني مدرسة عند قبر الامام أبي حنيفة رحمة الله عليه وبني الجامع الذي يظهر بغداد عند دار
السلطنة وهو الذي بني منارة الفرون في طرف البرج ايلي الكوفة فكان يعرف بالسبعي وبني مثلها يسمى بغداد أيضا قبل
انه خرج سنة من الكوفة لتوديع الحجيج تجاوز العديدين وبلغ السبعة مائة بقرى الواحة وبني هناك منارة تزل في أثنائها
قرون الظبي وحوافر الجمل الوحشية التي اصطادها في طريقه وبعد موته وتنازع ابناءه تبارق وجمود ودامت الحروب
بينهم ما نحو ثلثي عشرة سنة الى ان توفي تبارق وأستقرت السلطنة لخمدة وفي مدة تلك الحروب ظهرت الفتن في الساحل
وملكوا انطاكية أولا ثم غيرهما من البلاد وكان السلطان قد أقطع أخاه تاج الدولة تنش مدينة دمشق وأعمالها
وما جاورها كطبرية والبيستاق في ممالك شاه طمع تاج الدولة في السلطنة فسار الى حلب وبها قسم الدولة
فصالحه وراسل بزوان صاحب حران وباغى ستمان صاحب انطاكية فسار وامعه نحو اربعة نصيبين فأخذها
وأرسل صاحب الموصل ابراهيم بن قريش بن بدران يأمره بالخطبة له وان يعطيه طريقا الى بغداد فامتنع بالعتيا
فهزم صاحب الموصل وقتل وأخذت بلاد وسار الى ميفارقين فأكسها وسائر باركي ثم سار الى أذربيجان فالتقى هو
وابن أخيه تبارق وقسم مملكته فانتقل قسم الدولة وبزوان الى تبارق ورجع تاج الدولة الى الشام ورجع الى بلاده
بأمر تبارق فجمع تاج الدولة عن البلادان قسدها فجمع تاج الدولة العساكر وسارع دمشق وتحول فاجتمع
قسم الدولة وبزوان وأمدها السلطان ركن الدين تبارق بالامير كركوقا وهو الذي صار فيما بعد صاحب الموصل
فالتقى بالقرب من تل السلطان بينهما وبين حلب فمؤمن سنة فراعهم فانهزم قسم الدولة وأخذ أسير فقتله تاج
الدولة ببرادشلي بزوان وكركوقا جلب قصدها تاج الدولة حتى فجعها وأخذها أسيرين وأرسل الى حران والرها
وكانت البران فامتنع من بهما من التناهي فقتل بزوان وأنفذ رأسه وتسلم البرادين وأما كركوقا فانه سمي به فتمس فلم يزل الى
ان أخرجه الملك رضوان بعد قتل أبيه تاج الدولة فالتقى ابن الاثير وكان قسم الدولة أحسن الناس سياسة لرعيته وحظا
لهم وكانت بلاده بين عدل عام ورخص شامل وأمن واسع وكان قد شرط على أهل كل قرية في بلاده متى أخذ عند

في الحبار (٢٧) الدولتين

استدله قتل أولادهم النجاس عزم أهلها جميع عزموا خذهم الاموال من قليل وكثير يركضون السيرة اذا بلغت قرية من بلاد القوارحاهم وانما آمنين وقام أهل القرية يحرسونهم الى ان ياتوا حوا فامت الطريق وتحدث الركان بحسن سيرته وفي الحرم من ستة سبع وثمانين واربع مائة توفي الحاجبة المقتدى وأمر الله فجاء هو وأول النجاس عبد الله ابن الامر محمد بن القاسم بأمر الله وعمره تسع وثلاثون سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام وكانت خلافته تسع عشر سنة وخمسة أشهر وامة تركه و يوزع من بعد ولده المستظهر بالله أبو العباس أجدو يلقب بمحمد بن القاسم وأما الداعي فمضى بالله الذبح فمات في حياة أمه قبل الخلافة

(ذکر اخبار زندگی)

والدور الذين رجعهم الله تعالى على سبيل الاختصار في قصور آل الحسين وفاته ثم يذكر أخبار نور الدين على زين
الدين لما قتل قسم الدولة على سبيل الخفاف من الأولاد وغير واحد وهو عماد الدين زنكي والد نور الدين و زين
حميد صبا له من العمر نحو عشرين سنة فاجتمع عليه مالك والدماء بحسبه وشبه من الدين على وهو صبي أيضا
ثم إن الأمير بوقا خلع من المنجن بعد قتل تاج الدولة سنة سبع وخمسين وأربعمائة توجه إلى حران وقد اجتمع معه
عسكر صالح فلما هاجم سار إلى نصيبين فلما هاجم إلى الموصل فلما هاجم أوزارل عنها على ن شرف الدولة العقيلي وسار
نحو مardin فلما هاجم وشأنه وهو في طاعة ركن الدولة تبارق فلما ملك البلاد حضره ماليك قسم الدولة ألق
سنة رومهم بحاضر عماد الدين زنكي وقال هو ابن أخى أباؤنا قال الناس يرتبه حاضر ومنعده فاقطعهم
الاقطاعات السنية وجعلهم على عماد الدين زنكي واستعان بهم في حر وبه وكانوا من الشجعان في أعلى درجاتها
فلما رزأوا معه فوجههم إلى آمدود صاحبان أمره التي كان فاستدعاهم الدين سيقان أن أرق جد صاحب
الحصن فكسرهم قوام الدولة بوقا وهو أول مصاف حضره زنكي بعد قتل والده ولم يزل بوقا إلى أن توفي سنة
أربع وتسعين وأربعمائة وملك بعده موسى الزنكي في ظل مدينته وقتل مملك الموصل شمس الدولة بكمش
وهو أيضا من ماليك السلطان ملك شاه خزنه في قفص وبوجه واقتد دوله لم يفته بمكانه والده بقي فيعه إلى أن
قتل سنة ست مائة فلاحه من زنكي يرى ههنا بلحاك الموصل وغيرهم من البلاد فانه أخذ دوله حاضر
الذين كورى فأكرمه وقطعه واقطعا كثيرا وجعل بزيلته أعلى المنازل عنده واقتد صهره من أولاد الموصل
بعد بكمش جاولى سقاؤه فاقبل به عماد الدين زنكي وقد كره وظهور عليه امارات السعادة والجاه ولم يرعه
حتى عصى على السلطان محمود كان جاولى قد عصى إلى الشام لملكه من الملك نغرا الملك رضوان فاسر السلطان إلى
الموصل الأمير مودود واقطعه ايامه سنة اثنين وسبع مائة فلما انقل الخبر جاولى فارقته زنكي وغيره من الامراء
فلما استقر مودود بالموصل وانقل به زنكي أكرمهم وشهد معه حربه فساد مودود إلى الغزاة إلى الشام ففتح في طبرقه
قلاعه من شحنان كانت للفرنجي وقتل من كان بها منهم سار إلى الحاضر هراولم ينقحه فخر وعبر الفرات فحضر
قل بالشرجور أربعين يوما ثم سار إلى معرة النعمان فحضر هاجم حضر عنده أتابك طعنين صاحب دمشق سار
إلى طبرية وبجاصرها فانه هاقه الانشد اوطهر من اتابك زنكي شجاعا علمه معهم ثمانية مائة كان في نفر وقد خرج
الفرنجي من البلد فمحل عليهم هراولم مع وهو طين انهم يتبعونه فقتلوا عنه وقتل مودود من مودود انهم من يظهر
البلاد من الفرنجي فدخلوا البلد ووصل رجعهم إلى الباب فارقته وقتلهم عليه وبقي ينتظر وصول من كان معه فبحث
لهم أحد احيى نفسه وعادوا لما نجح الناس من أقدامه أولاد من سلامته آخر اثني الجمعان فهزم الفرنجي فخلعهم الله
ووصلوا إلى دمشق دون طبرية فاجتمعوا به وجاءتهم من بغداد قاذن الأمير مودود ولعسكر في الرجوع إلى بلادهم
والاجتماع إليه في الربيع لما فترقوا ودخل دمشق وأقام بهم خارج يوما صلى الجمعة فخلع صلاها وخرج إلى حران
الجباع ومعهم طعنين وكتب عليه انهم فقتله بسكين فخرج أربع حركات ورجع صاعدا إلى مدن
طعنين واجتمع به ليطرف فلم يبقه وقال لاليت الله الا صاعنا فاني ميت لا يحيا له سواء أقطرت أو جعت وتوفي
في بقية يومه رحمه قليل ان الباطنية بالمشافرة فقتلوه وقيل بل خافه طعنين فوضع عليه من يذله وكان خيرا
عادل أحد السيرة

كتاب (٢٨) الروضتين

قال ابن الأثير حدثني والدي رحمه الله قال كتب ملك الفرنج إلى طعكتكين أن أمة قتلت عبدها يوم عيدها في بيت معبودها الحقيقي على أنه أن يبدها فلما قتل الأميرة ودود أقطع السلطان بلاد الموصل وغيرها لأمير جوش بك وسير معه ولده الملك مسعود إلى الموصل ثم أنه جهز أمة سنة الرقيق في العساكر وسره إلى قتال الفرنج وكتب إلى عساكر الموصل وغيرها أمرهم بالسير معه فصاروا وفيهم عماد الدين زنكي وكان يعرف في عساكر العجم زنكي الشامي فصار الرقيق إلى الرها في خمسة عشر ألف فارس فحضرها وقتل من بهامن الفرنج والامرن وضاعت الميرة عن العسكر فحمل إلى مساط وهي أيضا للفرنج فآخرب بلدها وبلاسه ورجوع عاد إلى بلد شحستان فآخرب ما فيه للفرنج وأبلى زنكي في هذه المواقف كلها بلاه حسنا ثم عادت العساكر تحدث بما فعله وعاد الرقيق إلى بغداد وأقام زنكي بالموصل مع الملك مسعود والامير جوش بك إلى سنة أربع وعشرين وخمسة مائة وقد علا قدره وظهر اسمه

(فصل) وفي سنة إحدى عشر وخمسة مائة ولما ملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله وفيها غرقت شجار من سميل المظفر ملك منها خلق كثير ومن أعجب ما يحكي أن السيل حمل هذا فيه طفل فعلق المهد في شجرة وتوقص الماء قبل ذلك الطفل وغرقه غيره من الماهرين بالسباحة وفيها أيضا زلزلت أرض وغيرها من البلاد والنجار ورهنا زلزلة عظيمة وفيها في الرابع والعشرين من ذي الحجة توفي السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه وعمره سبع وثلاثون سنة وأربع مائة وستة أيام وأول ما خطب له بغداد في ذي الحجة سنة اثنين وتسعين وأربعمائة وقطعت خطبته عدة من أرواقي من المشاق والاختار ما بلغه أحد إلى أن توفي أخوه تقياروق فختمت أسنة قوت له السلطنة وصفت له ودانت البلاد وأحباب الأطراف لطاعته وكان اجتماع الناس عليه بعد موته أخيه اثنتي عشرة سنة وستة أشهر وكان عادلا حسن السيرة شجاعا وأطلق المكوس والضرائب في جميع البلاد ومن عبده أنه اشترى عدة مجلس الحكم وأخذ غلام الحماكم ووقف بطريق السلطان واستغاث الله فأمر من يستعمل حاله فعاد السلطان وأعلم السلطان حاله فقطعه عليه وضاق صدره وأمر في الخصال أن يحضر عامل خوزستان ويزعم حال التجار أنه ندم على تأخره من مجلس الحكم وكان يقول كثيرا لقد ندمت على تركي حضور مجلس الحكم ولو فعلته لاقتبدي في غيري ولم يمنع أحد عن اداء الحق

قال ابن الأثير وهذه الفضيلة ذخرها الله تعالى للبيت الأتالي فان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي فعل ما ندم السلطان محمد على تركه وقد تقدم ذلك وما علم الأمر وغيرهم من خلق السلطان محبة العادل واداء الحق وكرامة الظلم ومعاينة من يفعل له اقتدوا به فان الناس وظهر العدل وولي بعد السلطان محمد ابنه محمود وعمره يومئذ أربع عشرة سنة فقام بالاطمنة وحري يذمه وبين عمره سبج حرب انهم زعم فيها محمود وعاد إلى بغيره بغير عهد فأكرمه واقطعه من البلاد من حشد خراسان إلى الداروم باقمي الشام ومن الممالك هذنان واصفهان وبلد الجبال جميعه وبلاد كرمان وفارس وخوزستان والعراق واذر بيجان وارمنية وديار بكر وبلاد الموصل والجزيرة وديار مصر وديار بريمه والشام وبلاد الروم التي يدفليج ارسلان وما بين هذه الممالك من البلاد * قال ابن الأثير ورأيت منشور بذلك وفي سادس عشر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وخمسة مائة توفي الامام المستظهر بالله أمير المؤمنين أبو العباس أجدان المقتدى بأمر الله وكان عمره إحدى وأربعين سنة وستة أشهر وستة أيام وخلافته أربع وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما ومضى في أيامه ثلاث سلططين خطب لهم ببغداد من السلجوقية وهو أخو ملكشاه تاج الدولة تشوركن الدولة تقياروق بن ملكشاه وأخوه غياث الدين محمد بن ملكشاه وكان المستظهر رحمه الله كريم الاخلاق لين الجانب مشكور المساعي يحب العلم والعلماء وصنفت له من التصانيف الكثير في الفقه والاصول وغيرها وكان يسارع إلى الاعمال البر والمثوبات حسن الخط جيد التوقعات ولما توفي صلى عليه ولده المسترشد بالله ودفن في حجره كانت له يالقه في أيامه توفي جماعة من العلماء ففي شعبان سنة ثمان وثمانين وأربعمائة توفي القاضي القضاة أبو بكر محمد بن المظفر الشامي وفي ذي القعدة منها توفي القاضي عبد السلام بن محمد القزويني المعتزلي مصنف حداثتي ذات بهجة في تفسير القرآن

في أخبار (٢٩) الدولتين

يزيد على ثلثة مئة مجلد قال ابن الاثير رأيت منه تفسير الفاتحة في مجلد كبير وفي ذي الحجة توفي الامام أبو نصر
الحسيني مصنف الجمع بين الصحيحين وفي شوال سنة احدى وتسعين توفي الكامل نقيب النقباء طراد بن محمد
الزبيدي وله نحو تسعين سنة وفي سنة اثنين وخمسين ومائة توفي أبو بكر بالثبيري اللغوي وفي ذي الحجة تم في
أبوالفراس الحسين بن علي بن الخازن صاحب الخط المشهور وفي سنة خمس وخمسمائة توفي الامام أبو حامد الغزالي
وفي سنة سبع وخمسمائة توفي الامام أبو بكر محمد بن أحمد الشافعي الفقيه رحمه الله أجمعين
(فصل) لما ولي السلطان محمود السلطنة أقر أخاه مسعودا على الموصل مع أتابكة جبوش بك فبقى مطيعا
لاخيه الى سنة أربع عشرة وخمسمائة فحسن له الخبز وج عن طاعته وطلب السلطنة فظهر العصيان وخطب
للملك مسعود بالسلطنة وكان زنديكي يشير بلغة السلطان وترك الخلاف عليه ويحذرهم عاقبة العصيان فلم ينفع
فالتقى الاخوان في عسكرهم فهنم عسكر مسعود واسر جماعة من الامراء والاعيان منهم الاستاذ أبو اسحق
الحسين بن اسماعيل الطغرائي وزير مسعود فقتله السلطان محمود وقال قد صغى عندي فسادا اعتقاده ودينه وكان قد
جاوز ستين سنة وكان حسن الكتابة جيد الشعر قلت وقيل انه قتل سنة ثلاث عشرة وأربع مائة عشرة وأربع عشرة
وخمسمائة وقيل ان الذي قتله هو السلطان طغرل بن محمد بن ملكشاه ذكر ذلك كله أبو سعد السمعاني في تاريخه
وسماه الحسين بن علي بن عبد الصمد الديلمي وأنشد له أشعارا حسنا منها

اذا ما لم تكن ملكا مطاعا * فكن عبد المالك مطيعا
وان لم تكن الدنيا جيعا * كما تمـ واء فانزها جيعا
هما سمان من ملك ونسك * يبدلان الفتي الشرف الرفعا
ومن يفتن من الدنيا بشئ * سوى هذين يحيى بها وضعها

ثم استأنس مسعود بأتابكة جبوش بك فأمنها السلطان وأخذ الموصل منهم فاقطعها اقسسها البرسقي مع اعيانها
كالجزيرة وسنجار ونصيبين وغيرها في صفر سنة خمس عشرة وسير اليها وأمر بحفظ عماد الدين زنكي وتقديمه
والوقوف عند اشارته ففعل البرسقي ذلك وزاد عليه لمكان زنكي من العقل والشجاعة وتقدم له في الايام الركبة
وكانت سيره ملكشاه عندهم كالشريعة المتبعة فأعظم الناس عندهم أكثرهم اتباعا لسيرته وفي سنة ست عشرة
وخمسمائة اقطع أتابك زنكي مدينة واسط وشحنة البصرة وظهر من كفايته في البلدين ما لم يظنه أحد فزاد شأنه
عظما وهاب الامر بدس بن صدقة الاسدي صاحب الخلة ناحيته وحرث بينه وبين البرسقي حروب ومواقعات وهزم
دس بقصد بغداد فسار البرسقي اليه وتبعه الخليفة المسترشد بالله بنفسه فانزعه عسكره دس وقتل منهم وأسرق
كثير وكان لعماد الدين زنكي أثر حسن في هذه الواقعة أيضا بين دس والخليفة وذلك في أول المحرم سنة سبع عشرة وأما
دس فانه لما هنم لحق بالملك طغرل بن السلطان محمود وصار معه من خواص أصحابه وكان عاصيا على أخيه السلطان
محمود وأمر السلطان محمود البرسقي ان يرجع الى الموصل فعاد واستدعى زنكي من البصرة ليسير معه الى الموصل فقال
زنكي لا يجابه قد خسرنا ما نحن فيه كل يوم قدمك البلاد أمير ونؤمر بالتصرف على اختياره وارانته ثم تارة بالعراق
وتارة بالموصل وتارة بالجزيرة وتارة بالشام فسار من البصرة الى السلطان محمود فأقام عنده وكان يقف الى جانب تحت
السلطان عن عيته لا يتقدم عليه أحد وهو مقام والد قسيم الدولة من قبله وبقى ولده من بعده ثم أتى السلطان الخبر
ان العرب اجتمعت ونهبت البصرة فأمر زنكي بالسير اليها واقطعها باها لما بلغه عنه من الخالية لها في العام الماضي
وقتها اختلاف العساكر والحروب ففعل ذلك فعظم عند السلطان وزاد جري بينه وبين برتقش الزكوي شحنة
بغداد وبين الخليفة المسترشد بالله نفرة فتمتده المسترشد فصار عن بغداد الى السلطان في رجب سنة تسع عشرة
شاكيا من المسترشد وحذر السلطان جابه واعلم انه قد جمع العساكر غاز ما على يمينه من العراق فسار السلطان الى
بغداد وجرى بينه وبين المسترشد حروب ووقائع ثم اضطجعا وعادا الى ما كانا عليه وأقام السلطان ببغداد الى عاشر
ربيع الآخر ونظر فيمن يستعان به في شحنة بغداد والعراق يؤمن معه من الخليفة وبضبط الامور وفي ذلك زنكي
مضافا الى ما يده من الاقطاع وسار السلطان عن بغداد وفي سنة عشر بن وخمسمائة قتل أفسس قرا البرسقي بالجمع

كتاب (٣٠) الروضتين

العتيق بالموصل بعد الصلاة يوم الجمعة ثار به من البطانية ما يزيد على عشرة أنفس فقتل بيده منهم ثلاثة وقتل ربه الله وكان عادلا لبلد الاخلاق حسن العشرة وكان يصلي كل ليلة صلاة كثيرة ولا يستعين في وضوءه بأحد قنبر السلطان وانه من الذين مسموعوا على ما كان لا يهمن الاعمال وهي الموصل ودار الجزيرة وحلب وحماة وخرزقان عر وغيرهما وكان شابا عاقلًا فخطب بالبلاد قبل ان ياله وتوفي سنة احدى وعشرين وولى الامر بعده اخوه الصغير وقام بتدبير دولتهم ما امير جاولي وهو مملوك تركي من ممالكك ابيه ما جرت الامور على احسن نظام

(فصل) في ولاية زنكي الموصل وغيرها من البلاد التي كانت بيد البرسقي وذلك في شهر رمضان من سنة احدى وعشرين وسبب ذلك ان عز الدين البرسقي لما توفي وقام بالبلاد بعده اخوه الصغير وتولى امره جاولي ارسل الى السلطان محمود يطلب ان يقر بالبلاد عليه وكان المرسل بذلك القاضي بهاء الدين ابوالحسن على بن الشهرزوري وصلاح الدين محمد الباغسياني فحضر ابعدا لخطاطبة السلطان في ذلك وكان بخافان جاولي ولا يرضيان بطاعته والتصرف بحكمه وكان بين صلاح الدين وبين نصير الدين حقر مصاهرة فاشار علم مال بطلبه للبلاد لعماد الدين زنكي ففعلوا وقالوا لوزير قد علمت انت والسلطان ان بلاد الجزيرة والشام قد استولى الفرس على اكثرها وتمكنوا منها وقويت شوكتهم وكان البرسقي يكف بعض عبادهم فقتلوا ازيد اطمعهم وهذا ولده طفل صغير ولا يتلذذ من شهو شجاع عذب عنها ويحى حوزة ساودة انهم نال الحمال السكك لا يجري خيل او هومن على الاسلام والمساكين فتحصل بخن بالانغم من الله تعالى والمومنين السلطان فامى الوزير ذلك الى السلطان فاجبه وقال من تر بان يصلح لهذه البلاد فذكر اجابهم ففهم عماد الدين زنكي وعظمي محمد اكر من غير فقاج السلطان الى توليته ما علم من بهامته وكفايته فولى البلاد جميعا وكتب مشورة به او سار من بغداد الى الجواز لمجلكها ويتقوى بها ويجعلها ظاهرة ان منع جاولي عن البلاد فلما استولى عليها سارعنا الى الموصل فخرج جاولي الى لقائه وعاد في خدمته الى الموصل فسيره الى الرحبة واقام بها بالموصل يصلح امورها ورتقوا عداها فولى نصير الدين زدارية قلعة الموصل وقضى اليه امر الولاية يتبعها وجعل الزدارية في البلاد جميعها وجعل الصلاح محمد الباغسياني امير حاجب الدولة وجعل بهاء الدين فاضى قضاء بلاده جميعها وما يتفحص من البلاد ووقاه لهم بما وعدهم وكان بهاء الدين اعظم الناس عنده منزلة واكثرهم عليه واكثرهم اناسا عامه وقر بامنه ورثب الامور على احسن نظام واكثر قاعدة وكانت الفرقة قد اتسعت بلادهم وكثرت اجنادهم وعظمت هيبتهم وزادت صولتهم وامدتت البلاد المسلمين ابدتهم وضعف اهلها عن كف عداهم وتابوت غزواتهم وساموا المسلمين سوء العذاب واستطاري البلاد شرتهم وامدتت هلكتهم من ناحية ماردن وشيختان الى عرش مصر ليتخلفه من ولاية المسلمين غر حلب وحماة وجص ودمشق وكانت سراياهم من ديار بكر الى المدون من ديار الجزيرة الى نصيبين ورأس عين واما اهل الرقة وحران فقد ساروا معهم في ذلك وهوان وانقضت الطرق الى دمشق والاعلى الرحبة والبر ثم زاد الامر وعظم الشر حتى جعلوا على اهل كل بلد جوارحهم يخرجوا واناوة ياخذونها منهم ليكفروا اذ يتهمهم ثم يقتلوا بذلك حتى ارسلوا الى مدينة دمشق واستعصموا الرقبة فمن اخذهم الروم والارمن وسائر بلاد النصرانية وخبروهم بين المقام عند اربابهم والعود الى اوطانهم فمن اختار المقام تركه ومن اراد العود الى اهلها اخذوه وناهيك بهذه الحسنة ذلك المسلمين وصغارا واما اهل حلب فان الفرقة اخذوا منها مضافا على ما احتج في الرحا التي على باب الجنان وينها وبين المدينة عشرون خطوة واما بابي بلاد الشام فكان حال اهلها اسوء من حال اهل هذه البلادين فلما نظرا الله سبحانه وتعالى الى البلاد المسلمين ولا هادع الدين زنكي ففرا الفرقة في عقد ديارهم واخذوا لوحيدين منهم بشارهم واستقدمهم مصونا ومعاقل وسباني فنصبل ذلك وما فقه من البلاد الاسلامية هو وانهم من بعد ان شاء الله تعالى

(فصل) في شمس زنكي رحمه الله في اخذ البلاد فانتخب جزيرتين عر محمدية اربل في رمضان سنة اثنتين وعشرين ثم عاد الى الموصل وسار في جمادى الاولى سنة ثلاث وعشرين الى سنجار فقتلها واسر منها الشكن الى الحاور فملكه ثم هدد الرحبة فملكها فكتب قمرانها انتخب نصيبين وسار الى حران وكانت الزها وروج وغيرهما من ديار الجزيرة لا تفرح لصنم الله واول حران معهم في شقيق عنام فراسا وازنكي بالامانة واستجوه على الوصول اليهم ففعل وهذا

في أخبار (٣١) الدولتين

الفرنج مدة يسيرة يعلم أنه يفرغ فيها من الاستيلاء على ما بقي له من البلاد الشامية والجزرية وكان أهم الاشياء عنده عبور الفرات وملك مدينة حلب وغيرها من البلاد الشامية فلما عبر الفرات ملك مدينة منبج وحصن بزاغة وحصن حلب ثم فتح له قرب أمورها وسارعها إلى جاء فلكها وقبض على صاحب حصن كيفا وغيرهم من المالكين وذلك سنة ثلاث وعشرين وفي سنة أربع وعشرين اتفق صاحب أدمع صاحب حصن كيفا وغيرهم من المالكين وجهوا عساكر نحو عشرين الفاقوسدوا زنيكي فلقبهم فلهزمهم وملك سرجة ودارا ثم جمعهم على الجهاد فنزل حصن الانارب وكان أضر شيء على أهل حلب فجمع الفرنج جمعاعلما فلهزمهم وقتلهم مئة مئة عظيم بقيت عظام القتلى بتلك الارض مدة طويلة ثم رجع إلى الحصن فملكه عنوة فاجزبه وبخأثره وأزال من تلك الارض ضرره ثم رحل إلى حصن حارم فانفذ من جمعهم المراكمة من الفرنج ومن فجامها يسألون الصلح وينذون لها المناصفة على ولاية حارم فاجابهم إلى ذلك لان عسكره كان قد كثرت قيم الجراحات والقتل فاراد ان يستريحوا فهادتهم وعادتهم وقدا يقين المسلمون بالشام الامن وحاول النصر وسيرت البشائر إلى البلاد بذلك وفيها استولى زنيكي على مدينة جاء وما فيها وكان فيها بهاء الدين سونجش تاج الملوكة يرى فاحذر حاله ثم طلب في اطلاقهم تحسين ألقا ديار فائق حضوره ليس من صدق من يد أمير العراق يمشق من زما فطلبه زنيكي وأطلق من كان عنده من سونجش وأصحابه كذلك الرئيس أبو يعلى وفي سنة خمس وعشرين وخمسمائة توفي السلطان محمود بمعدان وكان عمره نحو ثمان وعشرين سنة وكانت ولايته ما يقارب أربع عشرة سنة وكان حليما كريما عاقلا عادلا كثيرا الاحتمال وطلب السلطنة بعده ولده داود بن محمود وأخوه مسعود وسليحوق شاه أبا محمد وعمهما سفير بن ملكشاه ومعه طغول بن السلطان محمد جفرت بينهم حروب واختلافات كثيرة ظفر فيها سفير بن ملكشاه ومعه طغول بن السلطان وخطب لابن أخيه طغول بالسلطنة في معدان وأصفهان والري وسائر بلاد الجبل وفي سنة سبع وعشرين سار الخليفة المسترشد بنفسه إلى الموصل في ثلاثين ألف فارس فحصرها ثلاثة أشهر ثم عاد إلى بغداد ولم يبلغ غرضه وفي سنة تسع وعشرين استولى زنيكي على سائر قلاع الجديدة ولا ياتهم منها قلعة العقيم وقلعة شوش وحصن مدنية أمد ثم مدينة دمشق وفيها توفيت والدته بالموصل وفي المحرم سنة تسع وعشرين توفي السلطان طغرل بن محمد ابن ملكشاه فخر ج السلطان مسعود والتمق هو والخليفة المسترشد في عسكر بن عشرين عاشر رمضان فلهزم عسكر الخليفة وقبض عليه وعلى خواصه وأنفذ السلطان شحنة إلى بغداد فقبض جميع أملاك الخليفة وجمع جماعته من الباطنية على المسترشد وهو في الخيمة فقتلوه وكتب السلطان إلى شحنة بغداد بأمره بالبيعة لانيته في جمعهم المنصور ابن المسترشد فبادرهم في السادس والعشرين من ذي القعدة ولقب بالراشد وكان عمر المسترشد ثلاثا وأربعين سنة وثلاثة أشهر وثمانية أيام وكانت خلافته سبع عشرة سنة وسبعة أشهر وكان شهما شجاعا مقداما فقيها وممكن في خلافته متمكنا عظيما لم ير أهله من تقدمه من الخلفاء من عهد المنتصر بالله إلى خلافته الا ان يكون المختص والمكثفي لان المالك كانا ذنبا يتخلعون الخلفاء ويحكمون عليهم ولم يزلوا كذلك إلى ملك الدرب واستيلائهم على العراق فزالته هبة الخلافة باثرة إلى انقراض دولة الدليل فلما ملك السليمانية جسدوا من هبة الخلافة ما كان قد درس لاسم في وزارة نظام الممالك فانه أعاد الناموس والهيئة إلى أجدس حالها الا ان المالك والشهن بالعراق كان إلى السلطان وكذلك العهد وضعان البلاد لم يكن للخلفاء الا اقطاع بأخذون دخله وأما المسترشد فانه استبد بالعراق بعد السلطان محمود ولم يكن للسلطان محمود معه في كثير من الاوقات سوى الخطبة واجتعت عليه العساكر وقاد الجيوش وباتر الحروب وفي سنة ثلاثين وخمسمائة سار الراشد إلى الموصل فجمع زنيكي مئتي ألفه وذلك ان جماعته حسنوا له الخروج من بغداد لمحاربة السلطان مسعود فاجابهم إلى ذلك وظهروا منه تنقل في الأحوال وتلون في الآراء وقبض على جماعته من أعيان أصحابه وخافه الباقون وتقدم السلطان مسعود وحصن بغداد واستظهر عليها فخرج الراشد مئة ثمانين زنيكي فسار به إلى الموصل ودخل مسعود بغداد وأمر بخلع الراشد ومبايعته في أي عبد الله محمد بن المستظهر بالله ففعل ذلك ولقب بالمتقي لأمر الله وأما الراشد فدان السلطان صغير أرسل إلى أتابك بأمره اخراجه عن بلده فسار إلى أدر بيجان ثم إلى معدان فاجتمع إليه مائون وعساكر كثيرة وسار السلطان إليهم فقتلوا

كتاب (٣٢) الروضتين

فأمرهم الراشد وقصد اصحابه فقبلة الباطنية بها في السابع والعشرين من رمضان سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة
ودفن باصبيان وفي سنة اثنين وثلاثين أيضا تزني بالحنانون صفوة الملك زمر دابة الامير جاولي أم شمس
المولود اسماعيل واخوته بنى تاج المولود يوري بن طعكبن أنابك وهي أخت الملك دقاق واليهما ينسب مسجد خاتون
الذي هو مدرسة لا يصحاب أبي حنيفة بأعلى الشرف القبلي بأرض دمشق بأرض سمناء وتسلم قلعة حصص
(فصل) في جهاد زندي للفريخ كان في سنة اثنين وثلاثين خرج ملك الروم من القسطنطينية ومعه
خلق عظيم لا يحصون كثرة من الروم والفريخ وغيرهم من أنواع النصراني فقصد الشام خفافه الناس خوفا عظيما
وكان زندي مشغولا بما تقدم ذكره لا يمكنه مفارقة الموصل فقصد ملك الروم مدينة بزاغة وحصرها وهي على
مسجلة من حلب وقتلها عن وقتل المقاتلة وسبى الذرية في شعبان ثم سار عنها إلى شيرز وهي حصن منيع على
مسجلة من مدينة حماد فصرها من نصف شعبان ونصب عليها ثمانية عشر مخيمقا وأرسل صاحبها أبو العساكر
سلطان ابن منقذ إلى زندي يستجده فنزل على جاء فكان يركب كل يوم في عساكره ويسير إلى شيرز يبحث براه
ملك الروم ورسلا السرا بالخطاف من يخبر من عساكرهم باليرة والنهب ثم يعود آخر النهار وكان الروم والفريخ قد
نزوا على شرف شيرز فأسل بهم زندي يقول لهم انكم قد تحصنت بهذه الجبال فأخرجوا عنها إلى العسكر حتى نلتقي
فان طفرتم أخذتم شيرز وغيرها وان ظفرت بكم أرحب المسلمين من شركم ولم يكن لهم قوة لقتلهم وانما كان يفعل
هذا زنديا لهم فأشار الفريخ على ملك الروم بقتاله وهو أول أمره فقال لهم الملك أنظفون ان معه من العساكر
ما ترون وله البلاذ الكبير وانما هو يركب قلة من معه لتهجموا وتحصروا له فخذت ترون من كثرة عسكره ما يجز كم
وكان أنابك زندي مع هذا راسل فرخ الشام ويخبرهم ملك الروم ويعلمهم انه ان ملك الشام حصنها واحد أخذ
البلاد التي يأيدهم منهم وكان راسل ملك الروم تهكمه ويوجهه ان الفريخ معه فاستشعر كل واحد من الفريخ والروم
من صاحبه فرحل ملك الروم عنها في رمضان وكان مقامه عليها أربعة وعشرين يوما وترك الجانيق والآلات
الحصار بجبالها فصار زندي خلفهم وظن بطائفة منهم في ساحة العسكر فغنم منهم وقتل وأسر وأخذ جميع ما خلفوه
ورفعه إلى قلعة حلب وكفى الله المؤمنين القتال وكان المسلمون بالشام قد اشتد خوفهم وعملوا ان الروم ان ملكوا حصن
شيرز لا يبق مسلم معهم مقام لا سيما مدينة جاء لهم ما يسر الله تعالى هذا الفتح مدح الشعراء الشهيد أنابك
فأكثروا منهم أبو الجبلداسلم بن الحضرمي المسلم بن قسيم الجوى له قصيدة قد ذكرتها في ترجمته في التارخ أولها

بعمرك أيها الملك العظيم * تذلك الصعاب وتستقيم
ألم تر ان ككلب الروم لما * تبين لك الملك الرحيم
بقاء يطبق الفساوات خيلا * كان الخفيل الليل البهيم
وقد ترك الزمان على رضاه * فكان لخطبه الخطيب الجسيم
فحين رميته بك في خيس * تبين ان ذلك لا يدوم
وايهما في المفاضة منك جيشا * فأحزن لا يسير ولا يقيم
كأنك في الهجاج شهاب نور * توقد وهو شيطان رجيم
أراد بقاء مهيمته فولى * وليس سوى الحمام له جسيم
يؤتمن ان تجود بها عليه * وأنت بها وبالذنا ككريم
أبليس الضرب في لدايا عفوا * وأنت بقطع دابرها زعيم
وكم جرت بها غصص المنايا * بيوم فيه يكتمل القطيم
ولما ان طليعتهم تقي الله * منية جوسلهم للتسيم
أقام يطوف الافاق حينما * وأنت على معاقله مقسيم
فسار وما يعادله ميسك * وعاد وما يعادله سسيم
اذا خطرت سيوفك في نفوس * فأول ما يبارقها الجسيم

في أخبار (٣٣) الدولتين

وله أيضا من قصيدة مدح بها صلاح الدين محمد بن أيوب الحمادي التتوتان صاحب جهاد
 وساجاء كتاب الروم الالهي صدى * حماة وهل يسطو على الأسد الكلب
 أراد به ان يملك الشام عنوة * وتدغلبت عنه الضراغة الغلب
 وما ذم فيها العيش حتى صدمته * قال جناح الجيش وانكسر القلب
 فولى وطراف الرماح صكاتها * تجوم عليه بالنياسة تمصب
 ولابن منير قصيدة مدح أنابك زكي رحمه الله سيأ في بعضنا عند ذكر فتح مدينة الرها ان شاء الله تعالى ومنها
 وما يوم كلب الروم الا أخوالذي * أنجبت به ما في الجناب من نبل
 انالك مثل الروم حشدا وأنه * لي فضل اضاعا كثيرا عن الزل
 فقاتلته بالله ثم بزمسة * تصك تلوي العاشقين جابسة
 فوهم ان الشام مرمى ومادري * بأنك أمضى منه في الشر والسهل
 فطار وخبر المقتمين ذماؤه * اذار عنه مغنم المال والاهل

قال ابن الاثير ومن عجائب ما يحكي في هذه الحادثة ان اخبرنا وصل بقصد الروم شيز رقام الامير شدين على أخو
 صاحبها وهو يسبح مصفاة فعه بيده وقال اللهم بحق من أنزلته عليه ان قصيت بحج الروم فاقضني اليك فتوفى بعد
 أيام ونزل الروم بعد وفاته ولما عاد الروم الى بلادهم نزل أنابك الى حصن عرقه وهو من اعمال طرابلس فحضره وقعه
 عنوة ونهب ما فيه وأسرم به من الفرنج وأخبر به وعاد سالما غناغا وفيها ملك قلعة داران حسام الدين قرتاش وفيها
 توفى بهاء الدين علي بن القاسم الشهير زوري قاضي الممالك الانبارية وكان أعظم الناس منزلة عنده وفيها ولد صلاح
 الدين يوسف بن أيوب بشركيت

(فصل) في فتح شهر زور وبعليك وحصار دمشق قال ابن الاثير كانت شيز زور وعلما ماجورا وروها من البلاد
 والجبال في يد قنقش بن ارسلان تاش التركاني وكان ملكها فاذا الحكي على قاضي التركان ودانيهم بر ووطنه
 فضا حتما فتحوا المملك فصدوا لانه لم يتعوضوا لها صانيتها اعظم شأنه وازداد جمعها كانت شيز زور ونزل ابن
 بلغ الشهيد انابك عنه ما اتفق ان يقصد بلادهم فهم عسكره وملك بلاد شيز زور وغيرها فاضافها الى بلاده واصطلح
 احوال اهلها وخفف عنهم ما كانوا يلغونه من التركان وعاد الى الموصل عازما على المسير الى الشام فانه كان لا يرى
 انقام بل لا يزال طالعا مارا زعدو يقصده واما القصد بلاد عدو واما القز والفرنج وسد الثغور وكانت مياثر السروج
 أثر عنده من وثير المهادر والسهري حراصة المملكة أحب اليه من عرض الوساد واصوات السلاح الذي سمعه من الغنا
 لا يجد لذلك كله عنا وفي هذا السنة وهي سنة أربع وثلاثين ولدت في الدين عمر بن شاهنشا بن أيوب بن شاذي وفيها
 سار الشهيد في جنوده بعده لشيز زور والى مدينة دمشق فحضرها وصاحبها حينئذ جمال الدين محمد بن بوري بن
 طغتكين وكان عسكرا عليه والشالب على امره معين الدين بن مملوك جند طغتكين وكان انابك قد أمر كمال الدين
 ابا الفضل بن الشهير زور وري بكتابة جماعة من مقدمي اعدائهم اوزنا طرعا واستمالهم واعلمهم في الغنائم والصلوات
 ففعل ذلك فأجابهم به خلق كثير الى تسليم البلاد وخروج امته ترقين الى كمال الدين وجند عليهم العهد ودونوا عدوا واما
 بن خنق فيه التمهيد الى البلدي ففعلوا الباب ويسلموا البلاد اليه فاعلم كمال الدين الشهيد انابك بذلك فقال لا أرى
 هذا رايا فان البلد ضيق الطرق والشوارع ومضى دخل العسكر اليه لا يتكلمون من التمثال فيه لضعفه وروا كثير المقاتلون
 لثافتهم عن مقاومهم لانهم قاتلون على الارض والسطوح واذا دخلنا البلاد اضطررنا الى التمتع لضيق المسالك
 فيطامع فينا اهلها وعاد عن ذلك العزم بمنزله وحذره

ومن العجيب ان محمد بن بوري صاحب دمشق توفي وأنابك يحصره فغضب آل الامور وساس البلاد فلم يتغير بالناس
 حال وأرسل الى بعليك فأخضر ولده جبير الدين آتق بن محمد بن بوري ورثه في الملك مكان أبيه فبقي الحال بتكبير
 معين الدين آتق وحسن تديره وهذا جبير الدين آتق هو الذي منه أخذ نور الدين محمود زكي دمشق كما سيأتي ولما
 دخل جبير الدين دمشق أقطع بعليك معين الدين آتق فأرسل اليها نائبا وتسلمها فلما علم الشهيد ذلك سار الى بعليك

كتاب (٣٤) الروضتين

وحضر هاءة شهر فزلكها عذوة وزلزلها بنجم الدين أيوب والصلاح الدين دزدار وعزم على العود عنها إلى دمشق
في أنه يرسل صاحبها بئس الطاعة والخفاية فأجابته إلى ذلك وعاد عن قصد دمشق وقد خطب له فيها صاراً بحسبها
في طاعته ونجت حجة قال يحيى ابن أبي طو الحلي وأتفق أن الأمر المملوك من أيوب بن عليك أفسدوا ذخائرها فقبض
عليهم أتابك زنكي وقتل بعضهم وصلبهم وكان ولي قتلهم صلاح الدين محمد بن أيوب النساغسانى فحكى أنه أحضر
اليه في جملة الأمر أشيع مبلغ الشبهة ومعه ولده أهر دكا نه فلقه فرفق قال الشيخ لصلاح الدين سألتك بماذا ملو أتابك
الاصليتي قبل ولدي لك أراه عالج سكر الموت وبكى وكان نجم الدين أيوب واقفاً فرحم الشيخ وبكى وسأل صلاح
الدين في إطلاقه فقال ما أفعل خوفاً من المولى أتابك فذهب بنجم الدين إلى أتابك وسأله في الشيخ ولده وقص عليه
ما قاله فاذن بالاطاعة واطلاق من بقي من الجماعة ووجهه نصف بعلمك وقيل أن نجم الدين ورد على أتابك وهو قد ملك
بعلمك فسأله في الأمر فأطلقهم له وولاه بعلمك وكتب له ثلثاً مملوكاً واستقر فيها أهله ولم يزل بها إلى أيام نور الدين
محمود بن زنكي فأخبرهم بها على ما سئذ كره ثم أن أتابك بعد ملكه بعلمك سار إلى دمشق فنزل البقاع فوردت
هديه صاحب دمشق وبطلب العود يعطيه خمسين ألف دينار ويعطيه حصصاً شارحهم الدين على زنكي بقبول ذلك
وقال هذا مال كثير وقتل حصل بالاتب وبلكبير ولاعتاء ودمشق بلد عظيم وقد آلف أهله هذا البيت وتروا
على سياستهم وقد بلغتهم الأحوال التي حرت بعلمك فامتنع زنكي من قبول ما أشار به فقاله ذلك ولم يظفر بغرضه
(فصل) ثم سار أتابك الشهيد في هذه السنة وهي سنة أربع وثلاثين إلى بلاد الفرج في فاعار عليها واجتمع
عنه الفرج وساروا إليه فلقهم بالفرج من حصن بارين وهو لافرج ففصل بالفرج بقان صهر إلى بسم الله الاما يحكى
عن ليلى الحرير ونصر الله المسلمين وهرب ماولك الفرج في فرسانهم فدخلوا حصن بارين وفيهم ملك القدس لأنه كان
أقرب حصونهم وأسماوا عذتهم وعشادهم وكثرت فيهم الجراح ثم سار الشهيد إلى حصن بارين فحصره حصراً شديداً
فراسلوه في طلب الأمان ليسلوا بساوا الحصن فأبى إلا أخذهم قهراً فبلغه أن من بالساحل من الفرج قد ساروا إلى
الروم والفرج يستعدونهم ويهون اليهم ما فيه ماولك من الحصن فجمعوا وحشدوا وأقبلوا إلى الساحل ومن بالحصن
لا يعاون بشيء من ذلك القوة الحصن عليهم فأعادوا مراسلته في طلب الأمان فأجابهم وتسلم الحصن وساروا فلقيتهم
أمداد النصرانية فسألوهم عن حالهم فأخبرهم بتسليم الحصن فلاموهم وقالوا نحن نرى عن حفظه يوماً أو يومين
مختلفوهم أنالهم ليعرضوا لكم ولم يبلغنا عندكم خبر منة حصننا وإلى الآن فلما عيب الأخبار عنا ظننا أنك قد أهلكتم
أمرنا لحق ما دانا بتسليم الحصن قال ابن الأثير وكان حصن بارين من أضر بلاد الفرج فخرج عن المسلمين فإن أهله كانوا
قد خروا ما بين حماه وحلب من البلاد منهم وهاو وتقطعت السبل فأزال الله تعالى بالشهيد درجة الله هذا الضر العظيم
وفي مدة مقامه على حصن بارين سير جنده إلى المعرة وكفر طاب وتلك الولاية بجمعه فاستولى عليها ومالكها

وهي بلاد كبيرة وقرى عظيمة قلت وقد قال القيسراني يذكر هزيمة الفرج ودمج زنكي قصيدة أولها
حذار مناراً ينفج الحسندر * وهي الصوامر لا تبقي ولا تدور
وأن ينجو ماولك الشريك من ملك * من خيله النصر لابل حنده القدر
سألوهم صفاً كاعمد السيف بها * صالوا فاعمدوا نسلوا لشهروا
حتى إذا ما عماد الدين أرهقه * في مازق من سنه يرق البصر
ولو انضيق لهم ذراعاً من أسلحتهم * والموت لا يجلس منه ولا وور
وفي المسافة من دون النخاعة لهم * طول وان كان في أقطارها قصر
وأصعب الدين لا عيشاً ولا أئراً * يخاف والكفر لا عين ولا أثر
فلاتخلف بعدهما لافرج طاعة * فالقوم ان نفروا أولى بهم نقر
ان قاتوا وقتلوا أو حاربوا حريراً * وطاردوا طردوا وأحاصروا
وطالما استعمل الخطب اليهم بهم * حتى أتى ملك آراء مغر
والسيف مقترع أبكار أنفسهم * ومن هنالك قيل الصارم المذكور

في أخبار ((٣٥)) الدولتين

لأفارت ظل محي العدل لامة * كالصبح تطوى من الاعداء مانثروا
ولانثني النصر عن أنصار ولته * بحيث كان وان كانا به نصرورا
حتى تعود ثغور الشام ضاحكة * كأفاحل في كأفهم ٤٢
وقال ابن منسير

قد نلت المساو وأيامها * ودام لنعضك ابرامها
وزلت لعيشك أقدامها * وزال لمطشك إقدامها
ولو لم تسل اليك القلوب * بهواها الماصع اسلامها
أيامحي العدل لمانعها * هأبأى البرا وأبتمامها
ومستنفذ الدين من أمة * أزال المخار بباصلنامها
دلفت لها تفتيق الاسو * دوالبيض والشم آجامها
جزرت جزيرتها بالسبو * فحتى تشاء هاشامها
وصارت عوارى كأفها * متى شئت أرخص مستامها

قال ابن الاثير وما وصل الروم والفريخ الى الشام ورأوا الامر قد فات أرادوا جبر مصيبتهم بمنازلة بعض بلاد المسلمين
فما زالوا حلب وحصر وما فمير الشهدان بخاطر المسلمين وبلغهم لانهم كانوا في جمع عظيم فاجتمع عندهم ونزل
قريب منهم منع عنهم الميرة ويحفظ أطراف البلاد من انتشار العدو فيها والاعارة عليها وأرسل القاضي كمال الدين بن
الشهرزوري الى السلطان مسعود يشي اليه الحال بأمر البلاد وكثرة العدو ويطلب منه المجدة وارسال العساكر
فقال له كمال الدين أخاف ان يخرج العدو من أيدينا ويجعل السلطان هذا سيفه وينفذ العساكر فإذا توسلوا البلاد
ملكوها فقال الشهدان هذا العدو طمع في وان أخذ حلب لم يبق بالشام اسلام وعلى كل حال فالمسلمون أولى
بها من الكفار قال فلما وصلت الى بغداد وأذيت الرسالة وعدنى السلطان بانفاذ العساكر ثم أهل ذلك ولم يتحرك فيه
بشيء وكتب الشهدان الى متصلة بمحتش على المبادرة بانفاذ العساكر وأنا أخاطب فلان ادعني الوعد قال فلما رأيت
عدم اهتمام السلطان بهذا الامر العظيم أحضرت فلانا وهو فقيه كان يشوب عنه في القضاء فقلت خذ هذه الدنانير
وفرزها في جماعة من أوياش بغداد والاعاجم وإذا كان يوم الجمعة وصعد الخياط المنبر بجامع القصر قاموا وانت معهم
واستغاثوا بصوت وأحدوا اسلاما وادين مجددا ويخرجون من الجامع ويقصدون دار السلطنة مستغيثين ثم وضعت
انسانا آخر يفعل مثل ذلك في جامع السلطان فلما كانت الجمعة وصعد الخياط المنبر قام ذلك الفقيه وشق ثوبه وألقى
عامة منه عن رأسه وصاح وتبعه أولئك النفر بالصياح والنبكاء فلبى بجامع الامن قام بكى وبطلت الجمعة وسار
الناس كلهم الى دار السلطان وقد فعل أولئك الذين يجامع السلطان مثلهم فاجتمع أهل بغداد وكل من بالعسكر عند
دار السلطان يركون ويصرخون ويستغيثون ويخرج الامراء عن الضبط وخاف السلطان في داره وقال ما الخبر فقيل
له ان الناس قد ثاروا وحيث لم ترسل العساكر الى الفزة فقال أحضروا ابن الشهرزوري قال فحضرت عنده وأنا خائف
منه الا انني قد عزمت على صدقه وقول الحق فلما دخلت عليه قال باقاضي ماهذه الفتنة فقلت ان الناس قد فعلوا
هذا خوف من الفتنة والنشر ولا شك ان السلطان ما يعلم كمينه وبين العدو وانما بينكم فتوا وسيمع ولولتي أخذوا حلب
المحدر واليك في الفرات وفي البصرة ليس بينكم بلد بينهم عن بغداد وعظمت الامر عليه حتى جعلته كانه ينظر
اليهم فقال ارد هؤلاء العامة عشا وخذ من العساكر ما شئت وسر بهم والامداد لتفكك قال فخرجت الى العامة
ومن انضم اليهم فأخبرتهم وعرفتهم الحال وأمرتهم بالعود فعادوا ودية قروا وانخبت من عسكره عشرة آلاف فارس
وكتبت الى الشهدان عذرة الحذر وانهم لم يبق غير الماسير وأجدد استدان في ذلك فأمرني بتسببهم والحث على ذلك
فعبثت العساكر الجانب الغربي فبينما نحن نتجهز للحركة وإذا تدوصل نجاب من الشهدان بغير بأن الروم والفريخ
قد حاروا عن حلب خائبين لم يتناولوا من أغرضوا بأمري في بترك استعجاب العساكر فلما خطوب السلطان في ذلك أمرت
على انفاذ العساكر الى الجهاد وقصد بلاد الفريخ وأخذها وكان قصده ان تظا عساكره البلادهم هذه الخجة فيلصقها

كتاب (٣٦) الروشتين

فأرسل أنوفل مع الوزير وأكابر الدولة حتى أعدت العساكر إلى الجانب الشرق وسرت إلى الشهيد فقال ابن الأثير فأنظر إلى هذا الرجل الذي هو خير من عشرة آلاف فارس يعني كمال الدين رحمه الله الشهيد فلقد كان ذاهمة عالية ورغبة في الرجال ذوي الرأي والعقل يرعاهم ويخطبهم من البلاد ويوفرهم العطا (حكي إلى والدي) قال قبل الشهيد أن هذا كمال الدين يحصل له في كل سنة مئتي ألف دينار بدعي عشرة آلاف دينار مبرية وغيره يقنع منك بمئة دينار وشارف فقال لهم بهذا العقل والرأي تدرون دولتي أن كمال الدين يقلل له هذا القدر وغيره يكسر له خمسمائة دينار فان شغلوا واحدا بقوم فيم كمال الدين خبر من مائة ألف دينار وكان كمال قال رحمه الله تعالى

(فصل) قال وفي سنة سبع وثلاثين سار الشهيد إلى بلاد الكرك و كان يبدا الكرك وقد أكثر وفي البلاد الفساد الآن نصير الدين جعفر نائب السلطان الشهيد بالموصل كان قد ملك كثير من بلادهم فلما بلغه الشهيد حصر قلعة الشيباني وهي من أعظم قلاعهم وأحصن مفاصلها وأخر بها وأمر ببناء قلعة العمادية عوضا عنها وكانت هذه العمادية حصنا كبيرا عظيما فأخبر به الأكرا لجزمهم عن حفظه لكبره فلما ملك أتاه كمال الشهيد بالبلاد التي قيل لهم إذا عجز الأكرا عن هذا الحصن فأنابوا إلى الله لا عجز عنه فأمر ببنائه وكان رحمه الله ذاعزم ونفاذ أمره فبنى الحصن وسماه القلعة العمادية نسبة إلى نبيه عماد الدين وفي هذه السنة خطب لأتابك يامد وثان قد أرسل إلى صاحبها يطلب منه الانتصاف عن موافقة ركن الدولة وأوصاحب الحصن والانتفاء إلى خدمته والخطبة له فأجابه إلى ذلك وفيها ملك الشهيد مدينة قلعة فيم كحصر مدينة حصص مرة أخرى وفيها في شوال وقصد ولاية دمشق فقتل بها وفي سنة ثمان وثلاثين عزم السلطان مهوود على قصد الموصل بمساكره وكان قد وقع بينه وبين الشهيد وحشة قد دبت الرسل بينه حتى أنه قُتِرَ الحال على مائة ألف دينار أمانة يتحملها الشهيد إلى السلطان وطلب أن يحضر الشهيد في خدمته فامتنع واعتذر بأشغاله بالفرنج فعذره وشرط عليه فتحها وكان من أعظم الأسباب في تأخر السلطان عن قصد الموصل أنه قبل له أن يملكه البلاد لا يقدر على حفظها من الفرنج غير أتاتك عماد الدين فأنها قد وليها قبله مثل جالوش ساقوق وودجوش بك والبرقي وغيرهم من الأكابر وكان السلطين يمتدحهم بالعماسا كرا الكبير فلا يقدر على حفظها ولا يزال الفرنج يأخذون منها البلاد بعد البلاد إلى أن وليها أتاتك فلم يجد أحد من السلطين بفارس واحد ولا يزال ومع هذا فقد فتح من بلاد العدو عدة حصون وللايات وهزمهم غير مرة واستضعفهم وعز الإسلام به ومن الأسباب المانعة له أيضا أن الشهيد كان لا يزال ولد الأكرس سيف الدين غازی في خدمة السلطان مهوود بأمر والده وكان السلطان يصبه ويقر به ويؤتمد عليه ويثق به فأرسل إليه الشهيد يدأمره بالهرب والنجى إلى الموصل وأرسل إلى نائبه بالمرسل يأمره أن يمتنع من دخول الموصل ومن المسير إليه أيضا ففعل ذلك وقال له ترسل إلى والدك تستأذني الذي تفعله فأرسل إليه فعاد الجواب أني لا أريدك مهما السلطان ما خط عليك فالزمه بالعود إليه فعاد ومعه رسول إلى السلطان يقول له اني لما بلغني أن ولدي فارق الخدمة بغير إذن لم أجمع به وردته إلى أتاتك ففعل هذا عند السلطان شيئا كبيرا وأجاب إلى ما أراد الشهيد ولما استقر الحال حل منه نحو عشرين ألف دينار ثم إن الأمور تقلبت وعاد أصحاب الأطراف يخرجوا على السلطان فاحتاج إلى مداراة الشهيد وأطلق له الباقى اسمها قلعة وفي هذه السنة سار الشهيد إلى ديار بكر ففتح عدة بلاد منها ناة واسغر ودع ملك مدينة المعدن الذي يعمل منه الخناس من الرمنية ومدينة حبران وأخذ من أعمال ماردين عدة مواضع ورتب أمور الجميع وملك مدينة حناني وحاصرها مد وأرسل عسكر إلى مدينة عانة فلما كره الله ولدت تقدم ذكرها في السنة قبلها

(فصل) في فتح الشهيد الرها في جمادى الآخرة من سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وكانت جنوسلين وهو على الفرنج شيطانهم وألفهم على رسالهم وفرتهم وكانت مدة حصارها ثمانية وعشرين يوما وأعادها إلى حكم الإسلام وهذه الرها من أشهر المدن عند النصارى وأعظمها إشغالا وهي إحدى الذكري التي عندهم فأشرفها البيت المقدس ثم أنفذ كيعشمر ومهيم قسطنطينية والرها وكان على المسلمين من الفرنج البازيل بالرها شرف عظيم وله كرامات فأنشأ ماردين إلى الفرقات على طريق شجستان عدة حصون كسر وج والبره وجيلس والموزر وكانت غاراتهم تبلغ مدينة آمد من ديار بكر وماردين ورأس عين والركة وأما حناني فكانت مهيمة في الحنزي كل يوم قد يهجم بها بالغاارة

في أخبار (٣٧) الدولتين

فلما رأى الشهيد الحال هكذا أنفب منهم وعلم انه لا ينال منهم ارضا مادام جوسلين بها فأخذ في أعمال الخيل والحداد
لعل جوسلين يخرج منها الي بعض البقاع فتشغل عنه باقصد ما جاورها من ديار بكر التي يدالاسم كحاني وجبل
جور و آمد فكان يشاغل من بهاقه لا شيء انشاء وهو يسرحشوا في ارتقاء فهو يخطبهم ويحكي غيرهما يوم وبطلبها
وسواها يروم ووكل بها من يخبره بخار عريتها من أساده وفرار حصنها من أنصاره وأجناذه فلما رأى جوسلين
اشتغال الشهيد بحرب أهل ديار بكر ظن انه لا فراغ له اليه والله لا يمكنه الاقدام عليه فسارق الرها إلى بلاد الشامية
ليلاحظ أعماله ويتعهد ذخائره وأمواله فأقبل الشهيد مسرعا بعساكره إلى الرها ثم وصف ابن الاثير الجيش وأئشد

يحيش حاش بالفرسان حتى * طننت البريجرمان سلاح
وأسسنة من العذبات حجر * تخاطبنا بأفواه الرياح
وأروج جديشه ليل بهم * وغزته عمود الصباح
صفوح عند قدرته ولصكن * قليل الصفيح ما بين الصفاح
وكان نباله للقلب قلبا * وهيبته جشاعا للجنح

وألمع الشهيد في حصارها فلكه عتوة فاستباحها وركس صلبانها وأباد قسوسها وهرابها وقتل شجعانها وفرسانها
وملا الناس ألبهم من النيب والسبي ثم انه دخل البلاد فراقه فأذبلته من الخراب فأمر باعد ما أخذ من اثاث
ومال وسبي ورجال وجوار وأطفال فردوا عن آخرهم لم يبق منهم الا الشذوذ وأئند فرعا بالبلد هم ا بعد ان كان دأرا
ثم رتب البلد وأصلح من شأنه وسار عنه فاستولى على ما كان به بالفرنج من المدن والحصون والقرايا كسر وج
غيرها وأخذ إلى الديار الجزرية من معزة الفرنج وشترتهم وأصبح أهلها بعد الخوف آمين وكان قصصا عظيما طار في
الاقا قد كره وطاب بها شهره وشهده خلق كثير من الصالحين والأولياء

قال ابن الأثير (حكى) في جماعة عرف صلاحهم أنهم رأوا يوم فتح الرها الشيخ أباعبد الله بن علي بن مهران الفقيه
الشافعي وكان من العلماء والعلماء والرايين في الدنيا المنقطعين عما وله الكرامات الظاهرة ذكر راعته انه غاب
عنه في زاوية يومه ذلك ثم خرج عليهم وهو مستبشر مسرور وعنده من الارتياح ما لم يروه أبدا فاقدم معهم قال حدثني
بعض اخواننا ان انا بك زني فتم مدينة الرها وانه شهد معه فتحها يومئذ ثم قال ما مضى لك يا زني ما فعلت بعد
اليوم رد هذا القول من اراقة نسبة طو ا ذلك اليوم فكان يوم الفتح ثم ان نزار من الاجناد حضر واعند هذا الشيخ
وقال والله منذ رأيتك على السور تكبر أيقنا بالفتح وهو يسبح حضوره وهم يشعرون أنهم رأوه عيانا قال وحكى في بعض
العلماء بال اخبار والانساب وهو أعلم من رأيت بها قال كان ملك جزيرة صقلية من الفرنج لما فقت الرها وكان بها
بعض الصالحين من المغاربة المسلمين وكان الملك يحضرو ويكرمه ويرجع إلى قوله ويقدمه على من عنده من الرهبان
والقديسين فلما كان الوقت الذي فقت فيه الرها سير ملك الفرنج هذا يشاقق البحر إلى افر بقمية فنهوا وأغاروا
وأسر وأوجعت الاخبار إلى الملك وهو جالس وعنده هذا العالم المرقى وقد نس وهو شبه النائم فأبفظه الملك
وقال يا فقيه قد فعلت ايعجابا بالمسايين كيت وكيت أين كان محمد عن نصرتهم فقال له كان قد حضر فتح الرها
فتضاحك من عنده من الفرنج فقال لهم الملك لا تفصحوا فوالله ما قال عن غير علم واستد هذا الملك فل بعض غير
قليل حتى اتاهم الخبر ففصحا على المسلمين فأناهم شدة هذا الهم رضاء ذلك الخبر لعازة نزل الرها عند النصرانية
قال وحكى في أيضا غير واحد من أئق اليم ان رجلا من الصالحين قال رأيت الشهيد بعد قتله في المنام في أحسن حال
فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لي قتلي بماذا أقال بفتح الرها قلت وهناه القيصر في عند فتح الرها بقصيدة أخرى

هو السيف لا يفتك الإجلاد * وهيل طوق الاملاك الجلاله
وعن نشر هذا النصر قلنا أخذ الظبا * سناها وان فأت العيون انتقاد
سمت قبة الاسلام بخراب طوله * ولم يك يسو الدين لولا عاده
وزاد قسم الدولة ابن قسيها * عن الله ما لا يستطيع زياده
لبن بني الايمان أمن ترفع * وواسيه عزاء طمأن مهاده

كتاب (٣٨) الروشتين

وقم حديث في السماع حديثه * شئى الى يوم المعاد معاده
 أراح قلوبا طسرن عن وكائنها * عليها قواف كل صدر فؤاده
 لقد كان في فتح الرها دلالة * على غير ما عند العالج اعتقاده
 يرجون ميسلاذ ابن مريم نصرة * ولم يغن عند القوم عنه ولاده
 مدينة أفلك منذ خمسين حجة * بقل حديد الهند عنها حداده
 تقوت مدى الابصار حتى لو انما * ترقب اليه خان طرفا سواده
 وجاحة عز المساوك قيادها * الى ان شاهما من يعز قيادها
 فإوسعه هاجر القراع مؤيد * بصير بتسرين الالذ لئاده
 كان سسنا لمع الاسنة حوله * سرار ولصكن في يديه زنده
 فأضرمها نار حربا وخدعة * فمارع الاسورهما واتمهاده
 فصدت صدور البكة عندا قضاها * وهما تكان السيف تماسفاده
 فباطل فراعم البسلاد صلاحه * من كان قد عم البلاد فساده
 فلام طلق الاشدد وثاقه * ولما وثق الا وحل صفاده
 ولا منبر الا ترغ عوده * ولا مصحف الا أنار مداده
 فان يشكل الارز في حياياته * والاقل للنجم كيف سباهه
 وبات سرا بالقمم تقص دونها * كما تتنا عن حريق حراده
 الى أين يا أسرى الضلالة بعدها * لقد ذل غاويكم وعز رشاده
 رويدكم لامانع من مظفر * يعاند أسباب القضاء عناده
 مصيب سهم الراى لو ان عزمه * رمى سدى القرنين أصمى سداده
 وقل للواك الكفر تسلم بعدها * مما لكها ان البسلاد ببلاده
 كذا عن طريق الصبح فليسته الدجى * فباطلما غال الظلام امتداده
 ومن كان املاك السموات جنده * فأية أرض لم ترضها جياده
 ولله عزم ماء سحره * وروضة قسط نظيفة مستراده
 وله من قصيدة هات بها القاضي كال الدين بن الشهر زورى أولها

هي جنة المأوى قبل من خاطب

يقول فيها

ان الصفا في يوم صافت الرها * عطفت عليها كل اشوش ناكب
 فتح الفتح مبشرا بتمامه * كالبحر في صدر النهار الايب
 لله آية وقفصة بدرية * نصرت معائنها بأمن صاحب
 ظفر كل الدين ككت لقاحه * كم ناهض بالحرب غير محارب
 وأمدكم جيش المسلايل نصرة * بستائب محشوة بستائب
 خرجوا الدبور وقد تورع الصبا * جند النبوة هل لها من غالب
 أتري الرها الورهاء يوم تمتعت * ظنت وجوب السور سورة لا عب
 لا أين يا أسرى المهالك بعدها * ضاق القضاء على نجاة الهارب
 شذا الى أرض الفرنجة بعدها * ان الدروب على الطريق اللاحب
 أفغركم والشاررهن دما نكم * ما كان من اطراق لخط الطالب
 واذا رأيت الليث يجتمع نفسه * دون الفرسة فهو عين الواهب

في أخبار (٣٩) الدولتين

وقال ابن منسير .

صفات مجدك لفظ جل معناه * فلا استرد الذي اعطاك الله
يا صارما يمين الله قائمه * وفي اعالى اعدى الله حذاه
أصبحت دون ملوك الارض منقردا * بلا شبهه اذا لاملك أشباه
فذاك من حاولت مسعاك هتسه * جهلا وقصر عن مسعاك مسعا
قل لا اعدى الامو ثوابه كذا * فالبه خبيسكم والله اعطاه
ملك تنام عن الغشاء هتسه * تقي وتسمر المعروف عيناه
ما زال يمسك والايام تخدمه * فيما التلاه يردى ماتوخاه
حتى تعالت عن الشعرى مشاعره * قدرا وباوزت الجوزاء نعلاه
وقد روى الناس أخبارا لكم مضوا * وأين هما روده مارأيناه
أبن الخلائف عن فتح أنبعله * مظلل أفق الدنيا جناحاه
على المنابر من أنبائه ارج * مقطوبة بفتح المسك رياه
فتح أعاد على الاسلام بهجته * فافتر منحه واهتز عطفاه
بهذى بهتضم بالله فتعكته * حديثه انسخ الماضي وأنساه
ان الزها غير عورية وكذا * من رماه ليس مغزاه كغزاه
أخت الكواكب عزاما نفا أحد * من الملوك لها وقفا فواتاه
حتى دلفت لها بالعرم بشخصه * رأى بيت قويق النجم مسراه
مشيرا ونوا الاسلام في شغل * عن بدع غرس لهم أثمار عقباه
يا محبي العدل اذ قامت نوابه * وعامر الجود لما مع معناه
بانتم الله يستصفي المزيديها * للشاكرين ويستقنى صفياه
أبقا للدين والدنيا تحوطهما * من لم يتوجك هذا التاج الا هو
ولان منيرا ايضا من قصيدة تقدم بعضها

أيامك ألقى على الشرك ككلا * أناخ على أمانه ككل الشكل
جعت الى فتح الرها سديابه * بجمعك بين النيب والاسر والقتل
هو الفتح أنسى كل فتح حديده * وتوجه سطورا لرواية والنقل
فضضت به نقش الخواتم بعده * جزيت جزاء الصدق عن خاتم الرسل
تجوزت للاسلام دون ملوكه * تبشك أسباب المذلة والخذل
أخو الحرب غلته القراع مفضا * يشوب باقدام الفتي حنكة الكهل
وله من قصيدة أخرى

بعاد الدين أفضحت عروة الديب * من معصو باب الفتح المبين
واستأذت بقسيم الدولة القم * من ادحاض كبد المارقين
ملك اسهر عينيه سالم نزل * هبها تشر يد هم الراقين
لاخلت من كحل النصر فقد * فقأت غيضا غيرون الحاسدين
كل يوم مر من أيامه * فهو عبيد عائد للساين
لو جرى الانصاف في أوصافه * كان أولاهم أمير المؤمنين
ماروى الراون بل ماسطروا * مثل ماخط له أيدي السنين
اذا ناخ الشرك في أككنافه * بمأى ألف تلالها جثين

كتاب (٤٠) الروضتين

وقعدة طاحت بكاتب الروم من * قطعة البين إلى قطع الوثين
 أن حث مصر فقد قام لها * واضع البرهان أن الصين صين
 والرها لولم تكن الألهة * لكفت قطع الشك المسترين
 هم قسطنطين أن يضرعها * ومضى لم يحومها قسط طين
 ولحكم من ملك حاوها * فتخلصا طين وهما في الجبين
 هي أخت الجسم إلا أنها * منه كالجسم رأى المبصرين
 منيت منسه بليث قائد * بعمران الذل أساد العبرين
 زارها نزار في أسس دوشى * تبديل الأسد من الزار الأثين
 صولجوا بالبيض من يضرب * ر الهام في ساحاتنا نزال كرين
 بالماهية تغر أنجحت * من بنى القلف تغور الشامتين
 برنست رأس برنس ذلة * بعدما جاست حوايا جوسلين
 وسروج مذوحت أسراجسه * فرقت بجاعها عنها عضين
 تلك أفسال رباعا الله من * عزمه الماضي بغير الفاتحين
 شام منه الشام برق وقسه * مؤمن الخوف يخيف الأثمين
 كم كدس كنست قد رامها * منه بعد الروح في ظل السفين
 دنت الأجال من آجالها * فأخلصها القسط بعد القطين
 ومنار يجتلى صلبانه * بين يمين تنبارى فى البرين
 قرعته البيض حتى بذلت * قرعة الناقوس تنوب الأذنين
 بالقسيمات مقسوم لها * سد هرفى عدك لجين أولجين
 سل بها حزان كم حترى سفت * بردا من يوم ردت ما ردين
 سخط أمس سيطاط بها * نظم جيش منهج لنا طرين
 وغدا ياقى على القدس لها * كل كل يدرسين أدرس الدرين
 هبة تسمى وتطهى عزمة * ليس حصن أن تحطه بحصين
 قل لقوم غرهم امهاله * ستمذوثون شذاه بعد حين
 انه الموت الذى بدرك من * فتر منه فصحها للعاملين
 وهو يحيى مسكاعوته * انها جيل امن تاب متين
 من بطع نج ومن يسكر يكن * من غداة عبدة للأخرين
 بك يا شمس الهالى ردت * بروح فى الميثمين من دنيا ودين
 أقسم الجند بأن تبقى لكى * تلك الأرض ميتنا لا يمين
 ونفيض الدمل فى اقطارها * منسيا مؤلم عسف الجسارين
 لا نزل دارك كيف انتقلت * كعبة مخوفة بالطاقنين
 كل يوم يغتلى جيسدها * من نظم الملح بالذرائعين
 كلما أخلص فيها دعوة * لك قالت أسن الخلق أمين

(فصل) لما فرغ الشهيد من أخذها واصلاحها والاسياد على ما وراهها من البلاد والولايات
 سار إلى قلعة البصرة وهي حصن حصين مطل على الفرات وهو لوساين أيضا حصن ووضاية قائما الحدير يقتل نائبه
 بالموصل والبلاد التي رقية نصر الدين جعفر بن يعقوب فرحل عنها خوفا من أن يحدث بعده في البلاد فتى يحتاج إلى
 المسير اليها فلما رحل عنها سار اليها حسام الدين تتراش بن البغدادى صاحب مارد بن عسكر فسبقها الفرج اليهم

في أخبار (١٤) الدولتين

خوفاً من الشهيدان يعود إليهم فبأخذها وكان قتل النصير في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وسببه ان الملك ابل ارسلان المعروف بالخفاجي ولد السلطان مسعوداً بحجاب الاطراف بزعم ان البلاد التي يردها للملك ابل ارسلان وأنه نائيه فيها وكان اذا ارسل رسولا أو أجاب عن رسالة فأنما يقول قال الملك كذا وكذا وكان ينظر وفاة السلطان مسعود ليجمع العساكر باسمه ويخرج الاموال ويطلب السلطنة فعاجلته المنية قبل ذلك وكان هذا الملك بالموصل هذه السنة وبها نصير الدين وهو ينزل اليه كل يوم يخدمه ويقف عنده ساعة ثم يعود ففسن المفسدون للملك قتله وقا لواله انك ان قتلتني ملكك الموصل وغيرها ويجزأنا بك ان يقيم بين يديك ولا يجتمع معك فارسان عليك فوق هذا في نفسه وظنه صححها فلما دخل نصير الدين اليه على عادته وثب عليه جماعة في خدمة الملك قتله واودوا قورا سه الى أصحابه فلما منهم ان أصحابه اذ اراوا رأسه تنزعوا ويملك الملك البلاد وكان الامر بخلاف ما ظنوا فان أصحابه وأصحاب اتابك الذين معه المارأ و اراسه قاتلوا من بالدار مع الملك واجتمع معهم الخلق الكثير وكانت دولة الشهيد مائة بالرجال الاجلاد ذوى الرأي والتجربة قبل بتغير عليه بهذا الفتق شيء وكان في جملة من حضر القاضى تاج الدين يحيى بن عبد الله بن القاسم الشهير ورى أخو كمال الدين فدخل الى السلطان وخدعه حتى أصعده الى القلعة وهو يحسن له الصعود اليه وحينئذ يستقر له ملك البلاد فلما صد القلعة سجنوه بها وقتل العنان الذين قتلوا النصير وأرسلوا الى اتابك يعرفونه بالخالف فسكن جاشه وطامناً قلبه وأرسل زين الدين على بن بكركين والباعلى قلعة الموصل وكان كثير اللقطة به والاعمال عليه فسلك بالناس غير الطريق التي سلكها النصير وسهل الامر فاطمان الناس وأمنوا وازدادت البلاد معه عمارة وسار رأى الشهيد صلاح امر الموصل سارا الى حلب فقه زمعها حشوا الى قلعة شيزرو وبينها وبين حماة نحو أربعة فراسخ فحصرها قلت كذا وقع في كتاب ابن الاثير وقدوههم في قوله ابل ارسلان المعروف بالخفاجي غير ابل ارسلان على ما ذكره العماد الكاتب في كتاب السجوقية فانه قال كان مع زنى ملكان من اولاد السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه أحدهما يسمى ابل ارسلان وهو في معتقل من معانل سيحار والآخر يسمى فرخشاه ويعرف بالملك الخفاجي وهو بالموصل وكان هذا الملك مسلماً الى الامرد بيسن صدقة فانتزعته منه زنى في حرب جرت فكانت زوجة زنى خاتون السكانية تر به حتى بلغ وكان النصير يقبض عنائه و يسط فيه لسانه ويقول ان عقل والاعقلته وان ثقل طبعه والا فتألمته فدفن في قتله مع أصحابه فقطعوه في دله زاره ما دخل السلام على الملك ثم أصعد القاضى تاج الدين الملك الى القلعة فلم ير له أثر والنقط مما ليكه ثم عطف زنى على الملك الاخر ابل ارسلان فاستخرجهم من معتقله وعنى بتفاصيل امره وجهه وضرب له نو بنية ونوبا ورتب له في حالي ركوبه وجاوسه رتبا وأعزى بشواكر امه وتوسخيه وغرضه خفاء ما جرى من هلاك أخيه ثم ذكر قصة موت زنى على قلعة جعفر كاسيا في سنة اربعين وخمسمائة أرسل اتابك الزين الدين على بأمره برسالة عسكر الى حصن فنك يهضره فسير خلفا كثيرا من الفرسان والرجال فاقاموا عليه يصحرونه الى ان أتاهم الخبر بقتل الشهيد اتابك وهذا الحصن هو مجاور جيزدان عمر وهو لا كراد البشوية وله معهم مائة طوبىة يقولون نحو ثمانمائة سنة وهو من أمتع الحصون مطلق على دجلة وله سرب الى عين ما لا يمكن ان يحال بين أهله وبها قلت وفي هذه السنة أئندابن منير بالركة عماد الدين زنى بينه بالعافية من مرض عرض له في يده ورجله قصيدة أولها

يأبدر لأقل ولا يحسناق * ولا يرم مشرقك الاشراق
بالدين والدنيا الذي يشكو وهل * بهنتر فرع لم يبقه ساق
لن تورق القضب ويعرى ماؤها * الا اذا ما التثايت الاعراق
ان الرعا يماسمت في حبي * للخطب عن طرقة اطراق
غرست بالعدل لهم خائلا * ترتع في حديقها الاحداق
يا هضبة الدين التي عاذ بها * فعاد لا يفت ولا ارهاق
للمخطه واحدا ولا قفلا * أصبح لاشام ولا عراق
عماديين منذ أقام زبغه * حي ومات الشرك والنفاق

كتاب (٤٢) الروضتين

يا محبي العدل الذي في ظله * تسربت زينتها الآفاق
 بقدريل من لانهاد جنبه * لما نبأ بجنيك الاطلاق
 من لشراسيفك انطبت له الا * عذب وما عيشته زعاق
 تجرع السم ولولم تجعه * بحسنه اعزه الدرياق
 ملوك اطراف حتى اطرافها * عزمك هذا الالاح السباق
 لولم ترق ماء كرى العين لما * ساغت بأفواههم الارياق
 شقت من دونهم مرج الردا * وشق أجادهم الشقاق
 أقسم لو كلفتهم ان يسعوا * حديثاً بامك ما أطاقوا
 لما اشتكت ربة في أهواهم * توجس للسمع واستراق
 تطاولوا لاعدمت أمانهم * قصرا ولا جنتها الاحقاق
 تهرهوا غسقا ثم انجلت * والصفون مشربهم غساق
 لسن ألم ألم بقدم * خد السها لنعلمها طراق
 أو كان مسديده الى يد * يجري به الآجال والارزاق
 فالنصل يعلى صداً وتغته * حدد حسام وسنا رقرق
 رمى الصليب بصليب الراى عن * زوراء أوهى زعها الاغراق
 وتوم من خلف الخليج سهر * والعيش في فرجة سباق
 ماتوا فلاحس ولا اشارة * خوف هوس زاره ازهاق
 لاسبت منك الايالي ما كست * ولا عرت جدتك الاخلاق

فصل في وفاة زكي رحمه الله قال ابن الأثير كانت قلعة جعبر قد سلمها السلطان ملكشاه الى الأمير سالم بن ملك العقيل لما ملك قسم الدولة مدينة حلب فلم تزل بيده وبدأ ولاده الى سنة احدى وأربعين فصار الشهم بسد اليها فحصرها وحصر فكلا يتقي في وسط بلادها هو لغيردوان قل العزم الذي كان عنده والاحتياط وأقام عليه يحصر نفسه الى ان مضى من شهر ربيع خمس ليال فميناها وناغم دخل عليه نفر من مماليكه فقتلواوه ولم يجهزوا عليه وهر بوا من ليلتهم الى القلعة ولم يشعر أصحابه بقتله فلما صعد أولئك النفر الى القلعة صاح من بها الى العسكر يعلمهم بقتله فبادر أصحابه اليه فأدركه أرائكهم وبه رفق ثم ختم الله له بالشهاد فاعماله

لا في الحمام ولم أكن مستيقنا * أن الجاهل سيبني لي مجام
 فأضحي وقد خافه الامل وأدركه الاجل * وتغلي عنه العبيد والحوال فأني نجم الاسلام أقل وأني ناصر الايمان رحل
 وأني مجردي لضرب وأني بدرمكارم غرب وأني أسد اقترس ولم ينجه قلعة حصن ولا صوفة فرس فكأجهد نفسه
 لتهديد الملك وسياسته وكأته في حفظه وحراسته فأنا مبدد الامم ومفتن في الحسد والقدم فأصاير بعد القهر
 للخلاتق مقهورا وبعد ثمر المضاجع في التراب معزما مقبورا رهن جدت لا ينفعه الا ما قدم فطويت صحيفة عمله
 فهو موثق في صورة مستسلم ثم دفن بصفين عند أصحابه على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه تلت وذكر العباد الكاتب
 في كتاب السجوقية قال قصدي زكي خصار قلعة جعبر فنازها وكان اذا نام ينام حوله عتقة من خدامه الصباح وهو يحجم
 ويحيطونه ولكنهم مع الوفا عنه يجهونه وهم أبناء النحول القروم من الترك والروم وكان من دأبه انه اذا نهم على
 كبير أريده واقصاه واستبق ولده عنده وأخصاه فنام ليلة موته وهو سكران فسرع الخدام في اللعب فزجرهم وزيرهم
 ونوعدهم بخافهم بسطونه فلما نام ركبه كبيرهم واسمهم بترتقش فذبحه وخرج معه خاقه فركب فرس النوبة ومهما
 انه مضى في مهم وهو لا يرتاب به لانه خاص زكي فأني الخدام أهل القلعة فأخبرهم وذكر الحديث قلت ثم نقل الى
 الرقة فدفن بها وقبره الآن فيها قال ابن الأثير وكان حسن الصورة مليح العينين قد وخطه الشيب طويلا وليس
 بالطويل الباسخ وخلف من الاولاد سيف الدين غازي وهو الذي ولي بعده ونور الدين محمود الملك العدل وقطب

في أخبار (٤٣) الدولتين

الدين مودود وهو أبو الملك بالموصل ونصرة الدين أمير أرمين وبنات فاقترض عقب سيف الدين من الذكور والانات ووزار الدين من الذكور ولم يبق للملك إلا في عقب قطب الدين وانشد أنجب زوجه الله فان أولادها المولود لم يكن مثاهم قلت ومن عجيب ما حكى الله لنا اشتدت حصار قلعة جعبر جاء في الليل ابن حسان المنجي ووقف تحت القلعة ونادى صاحبها فأجابته فقال له هذا المولى أتاك صاحب البلاد وقد نزل عليك بعساكر الدنيا وأنت بلا وزير ولا معين وأنا أرى أن أدخل في قضيتك وأخذ لك من المولى أتاك مكانا عوض هذا المكان وإن لم يفعل فأى شيء تنتظر فقال له صاحب القلعة انتظر الذي انتظر أولئك وكان بذلك من مرام صاحب حلب قد نزل على أبيه حسان وحاصره في منبج أشد حصارا ونصب عليه عدة مجانيق وقال يوما لحسان وقد أحرقه بحجارة المجانيق أى شيء تنتظر أما سلم الحصن فقال له حسان انتظر سهم من سهام الله فلما كان من الغد بينا بالك يرتب المجانيق أذا صابه سهم غرب وقع في بيشته فخر ميتا ولم يكن من جسده شيء ظاهر إلا ذلك المكان لأنه كان قد ليس الدرع ولم يرتها على صدره فلما سمع ابن حسان ذلك من مقالة صاحب قلعة جعبر رجس عنه وفي ذلك الليلة قتل أتاك فكان هذا من الانتصافات العجيبة والعبر الغريبة ذكر ذلك يحيى بن أبي طى في كتاب السيرة الصلاحية

(فصل) في بعض سيرة الشهيد أتاك زنتى وكانت من أحسن سيرة المولود وكانت رعيته في أمن شامل يحفز القوى عن التعدي على الضعيف قال ابن الأثير حدثني والذي قال قدم الشهيد البينا بجبر رذان عمر في بعض السنين وكان زمن الشتاء فنزل بالقلعة ونزل العسكر في الخيام وكان في جملة أمرائه الأمير عز الدين أبو بكر الديلمي وهو من أكابر أمرائه ومن ذوي الرأي عنده فدخل الديلمي البلد ونزل بدار انسان يهودى وأخبره منها فاستفتات اليهودى إلى الشهيد وهو راكب فسال عن حاله فأخبره به وكان الشهيد واقفا والديلمي إلى جانبه فجلس فوقه أحد فلما سمع أتاك الخبر نظر إلى الديلمي نظرا معصبا ولم يكلمه كلمة واحدة فتأخر القهقري ودخل البلد وأخرج خيامه وأمر أصحابه خارج البلد ولم تكن الأرض تحتل وضع الخيام عليهم الكثرة الوحل والطين قال فلقد رأيت الفرائدين وهم يتقانون الطين لينصبوا خيمته فلما رأوا كثرت جعلوا على الأرض تبنيا ليقوموها ونصبوا الخيام وخرج البهائم ساعتها قال وكان ينهى أصحابه عن اقتناء الاملاك ويقول مهما كانت البلاد لنا فأى حاجتنا إلى الاملاك فان الاقطاعات تغنى عنها وان خرجت البلاد عن أيدينا فان الاملاك تذهب معها ومضى صارت الاملاك لا تعجب السلطان ظاهرا الرعية وتعدوا عليهم ويغصبوهم أملاهم ثم ذكر ما تجد في أيامه من عمارات البلاد لاسيما بالموصل وذلك لحسن سيرته فكان يقصده الناس ويحتذون ببلاده دارا فامة وهو الذي أمر ببناء دور الملكة بالموصل ولم يكن بها السلطان غير الدار المعروفة بدار الملك مقابل الميدان ثم رفع سورها وعرق خندقها وهو الذي فتح الباب العمادي واليه ينسب قال وكانت الموصل أقل بلاد الله فأكفة وكان الذي يبيع القوا كد يكون عنده مقراض بقص به العنب فلما زاد أراد ان يزره فلما عرفت البلاد علمت البساتين بظاهر الموصل وفي ولايتها قال ومن أحسن آرائه انه كان شديد العناية بأخبار الأطراف وما يجري لأصحابها حتى في خسائرهم لاسيما دركات السلطان وكان يغرم على ذلك المال الجزيل فكان يظالع ويكتب اليه بكل ما يقع السلطان في آياله ونهاره من حرب وسلم وهزل وجد وغير ذلك فكان يصل اليه كل يوم من عيرته عدة قاصدين وكان مع اشتغاله بالامور الكبار من أمور الدولة لا يهمل الاطلاع على الصغير وكان يقول انهم لا يعرف الصغير لجمع صارك كبير او كان لا يمكن رسول ملك يعمر في بلاده بغير أمره واذ السائد رسول في العصور في بلاده انهم لا يرسل اليه من يسره ولا يتركه لجمع بأحد من الرعية ولا غيرهم فكان الرسول يدخل بلاده ويخرج منها ولم يعلم من أمورها شيئا وكان يتعهد أصحابه ويختصمهم يوما خشكا نكة إلى طشت داره وقال لا حفظ هذه فيقي محسوسة لا يفارق خشكا نكة خوفا ان يظلمها منه فلما كان بعد ذلك قال له أبن الخشكا نكة فأخرجها في مندبل وقدمها بين يديه فاستحسن ذلك منه وقال مثلك ينبغي ان يكون مستحفظ الحصن وأمر له بدزارة تلعة كواشي فيقي فيها إلى ان قتل أتاك وكان لا يمكن أحد من خدمه من مشاركة بلاده ويقول ان البلاد كبستان عليه سياج فمن هو خارج السياج يهاب الدخول فاذا خرج منها من يد على عزتها ويدفع العدو فيها زالت الهبة وتذوق الحصر واليهما قال ومن صائب رأيه وحيدته سيطرة من التركمان الايرانية مع الامير اليسارق إلى الشام وأسكنهم بولاية

حلب وأمرهم بجهاد الفرج ومسلحهم كما استنقذوه من البلاد الفرج وجعله ملكا لهم فكانوا يبايعون الفرج بالقتال وراوحتهم وأخذوا كثيرا من السواد وسبوا ذلك الثغر العظيم ولم يجمع ما فتحوه في أيديهم إلى نحو سنة سقافة قال ومن أرائته لما أجمع له الأموال السكينة أودع بعضها بالموصل وبعضها ببغداد وبعضها بحلب وقال إن جرى على بعض هذه الجهات خرق أو جيل بيني وبينه استعنت على سدة الخرق بالمال في غيره قال وأما بجبايته وأقامه فإليه الثمينة فبسمها وبه كانت تضرب الأمثال ويكفي في معرفة ذلك جلة أن ولايته أحرق بها الأعداء والمنازعون من كل جانب الخليفة المسترشد والسلطان مسعود وأصحاب أرمينية وأعمالها بيت سحمان وركن الدولة داود صاحب حصن كيفا وابن عمه صاحب مارد بن ثم الفرج ثم صاحب دمشق وكان ينتصف منهم ونغزو كل منهم في عقرب داره ويغزو بلادهم ما عدا السلطان مسعود فإنه كان لا يباشر قصد بل كان يحمل أصحاب الأطراف على الخروج عليه فإذا فعلوا عاد السلطان محتاجا إليه وطلب منه أن يجمعهم على طاعته فصار كالحاكم على الجميع وكل يداريه ويخضع له وطلب منه ما تستقر القواعد على يده قال وأما غيرته فكانت شديدة ولا سيما على النساء الأجناد فان التعرض إليهن كان من الذنوب التي لا يغفرها وكان يقول إن جنسدي لا يفرقوني في أسفاري وقبالي يقيمون عند أهلهم فان لم تمنع من التعرض إليهم حرمهم هل يمكن وقد نزلت وفي مجمع مسلم من حديث أبي سعيد الخدري وذكر حديث رجم النبي صلى الله عليه وسلم ما قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا قال أو كلما أنزلنا غزاة في يدي الله خلف رجل في عياله تيب كتيب التيس على الأتقي برجل فعلى ذلك الأنكسار قال إن الأثر وكان قد أقام بقلعة الجزير دذرا اسمه نور الدين حسن البربطي وكان من خواصه وأقرب الناس إليه وكان غير من ضي السيرة فبلغه عنه أنه يتعريض للفرج فأمر حاكمه صلاح الدين البياسجاسي أن يبعث بجند أودع الجزيرة فإذ أخذها أخذ البربطي وقطع ذكره وقطع عينيه عقوبة لمنظره مع المال الحريم ثم وصله نصارا الصلاح محمد أفندي البربطي الأوقد وصل إلى البلاد فخرج إلى لقاءه فأحضره ودخل معه البلد وقال المولى تبارك بسلام عليك وبريدان بعلي قدرك ويرفع ميزانك ويسلم اليك قلعة حبيب ويوليك جميع البلاد الشامية لتكون هناك مثل نصير الدين فتجهز وتجهز مالك في الماء إلى الموصل وتسير إلى خدمته ففرح ذلك المسكين فلم يترك له قليلا ولا كثيرا إلا أنه هلك في السفن لم يجد لها الموصل في دجلة فحين فرغ من جميع ذلك أخذ الصلاح وأمضى فيبها ما أمر به وأخذ جميع ماله فلم يتجاسر بعده أحد على سؤله من أفعاله قال وأما صدقاته فقد كان يتصدق كل جمعة مائة دينار إميرى ظاهرا ويتصدق فيما عداها من الأيام مائة من يثق به وركب يوما فعثرت به دابة فكان يسقط عنها فاستدعى أميرا كان معه فقال له كلاما لم يفهمه ولم يتجاسر على أن يستفهم منه فماد عنه إلى بيته وودع أهله عازما على الحرب فقتلته زوجته وما جلا على هذا الحرب فذكرها الخصال فقالت إن نصير الدين له بك عناية فإذ كره له قصتك وأفعلك ما أمر بك فقال أخاف أن يمنعني من الحرب فأهلك فلم تزل زوجته تراجمه وتقتوى عزمه فتوفى النصير حاله نضجك منه وقال له خذ هذه الصرة الذهبية وأجلها إليه فهي التي أراد فقال الله الله في دمي ونفسي فقال لا بأس عليك فانه ما أراد غير هذه الصرة فحملها إليه فحين رآه قال أمعك شيء قال نعم فأمر أن يتصدق به فلما فرغ من الصدقة قصد النصير وشكره وقال من أين علمت أنه أراد الصرة فقال له أنه يتصدق في هذا اليوم بمثل هذا القدر يرسل إلى من يأخذ من النيل وفي يومنا هذا لم يأخذ شيء بلغني أن دابة عثرت به حتى كاد يسقط إلى الأرض وأرسلت إلى فعلت أنه ذكر الصدقة قال وحكي لي من شدة هيبته ما هو أشد من هذا قال والخرى خرج يوما بالشهد من القلعة بالجزيرة فمر باب السر خاوه وملاح له تأم فألقاه بعض الجنادرية فقال له أتعرفين رأي الشهد سقط إلى الأرض فخر كوه فوجدوه ميتا قال وكان الشهد قليل الثاقن والتثقل بطيخ المثل والنغير شديد العزم لم يغير على أحد من أصحابه مذملا إلى أن قتل بالدين بوجوب التغبر والأمر والألقامون الذين كانوا معه أولا هم الذين بقاء وأخبارهم من سلم منهم من الموت فلهذا كانوا يمتحنونه ويبتلونون نفوسهم له وكان الإنسان إذا قدم عسكر لم يكن غريبا أن كان جندا بالاشتغال عليه الأجناد وأضايقه وإن كان صاحب ديوان فحسد أهل الديوان وإن كان عالما فحسد القضاة حتى الشهر زوري فيحسدون إليه وبؤسبون غربة فيه يعود

في أخبار (٤٥) الدولتين

كانه أهل وسبب ذلك جميعه انه كان يحطّب الرجال ذوى الهم العليه والاراء الصائبة والانفس الايبه ويوسع عليهم في الارزاق فيسهل عليهم فعل الجليل واصطناع المعروف قلت وما أحسن ما وصفه به أجدبن منير من قوله في قصيدة

في ذرا ملك هو الدهر * ر عطاء واستلأبا
من له كف تبذ الغيم * ش سحبا وانسكابا
فاتح في وجهه كل * أمة للنصر بأيا
ترجف الدنيا اذا حر * ك للسبر الركابا
وتجبر المشهرا * تاختلا لا واضطرابا
وترى الاعداء من * هيبة تأوى الشعابا
واذا ما لمحتهم نا * ره صاروا ككابا
يا عماد الدين لازرا * ت على الدين سحابا
جاء سلامن دونه * سيفك ان ريع حجابا
فاليس النجاة في الام * ن الذي طبت وطابا
وأصف عيشا نأع * داءك قد صاروا ترابا

وقال العماد الكاتب استولى زكي على الشام من سنة اثنتين وعشرين الى أن قتل في سنة اربعين وهو الذي فتح الرها عنده واحل بهامن السعادة فذروه قتي به فتح الرها المسلمين وجاس بلاد جوسلين وعاد جميعها الى الاسلام في عهد ولد زكي نور الدين وصارت عقد رد الفرج من ذلك الحين تنفسخ وأمرها تنفسخ ومعاقلها تنزع وعقائلها تنقزع وقال الرئيس أبو يعلى النخعي كانت الاعمال بعد قتل زكي قد اضطربت والمساك قد اختلفت بعد الطبيعة المشهورة والامنة المشكورة وانطلقت أيدي التركان والحرامية في فساد الاطراف والعيش في سائر النواحي والاكاف ونظمت في صفة هذه الحال آيات من قصيدة

كذلك عماد الدين زكي تناقرت * سعاده عنه ونرت دعائه
وكم بيت مال من نضار وجوهر * وأنواع ديباج حوتها مخائمه
وأضحت بأعلى كل حصن مصونة * يحامي عليها جنده وخوادمه
ومن صافات الخيل كل مطهر * يروع الاعادي حليته وبراجمه
فاورامت السكاب وصف شياتها * بأفلامها ما أدرك الوصف ناظمه
وكم معقل قد رامه بسيرة * وشامخ حصن لم تفتسه غنائمه
وكانت ولاية الارض فيها لامره * وقد أمنتهم كتبه وخواتمه
وأمن من في كل قطر لهيبة * يراع بها اعرابه وأعاجمه
وظالم قوم حنين يذكر عدله * فقد زال عنهم ظلمه وخصائمه
وأصبح سلطان البلاد بسيفه * وليس له فيها نظير براجمه
وزاد على الاملاك بأسا وسطوة * ولم يبق في الاملاك ملك يقاومه
فلما تنهاى ملكه وجلاله * وراعت ولاية الارض منه لوائمه
أناه قضاء لا ترد سباهه * فل تخبه أمواله ومغائمه
وأدركه للعين فيها حمامه * وحامت عليه بالبنون حوائمه
وأضحي على ظهر الفراش مجدلا * صرعا تولى ذبحه فيه خادمه
وقد كان في الجيش الالهام مبيته * ومن حوله ابطاله وصوارمه
وسمر العوالي حوله بأكفهم * تذود الردي عنه وقد نام ناممه

كتاب (٤٦) الروستين

ومن دون هذا عصبية قد ترتبت * بأسمها يردى من الطير حاتم
 وكم رام في الأيام راحة سره * وهمته تعال وتغوى شكاغته
 وكم سلك للسفر آمن سبيله * ومسرحت حتى أن تراع سواغته
 وكثر أسلام حواه بسيميه * من الروم لما أدر كسره مراحته
 هن ذا الذي يأتي ببيعة مثله * وينفذ أقصى البلاد مراحته
 فلورقت في كل مصر بذكره * أراقه ذلت هنالك أراقه
 هن ذا الذي يجو من الدهر سالما * إذا ما أتاه الأمر والله حاتمته
 ومن رام صفوا في الحياة فابري * له صفو عيش والجمام بحامته
 فإياك لا تعبط مليكا بلكه * ودعه فإن الدهر لا شاك قاصمه
 وقيل للذي بيني الحصون لحفظه * رويدك ما تبني فدهرك هادمه
 وفي مثل هذا عيرة ومواظ * بها يتناسى المرء ما هو عازمه

قال وفي ثامن عشر جمادى الآخرة من السنة وصل الخادم يرتقى القتاتل لعماد الدين زنكي وانفصل من قلعة
 جعبر لحرف صاحبها من طلبه منه فوصل دمشق ميقنا أنه قد آمن بها وودلا بما فعله وظنأمنه أن الحال على ما توهه
 فقبض عليه وأخذ إلى حلب من صحبه من حفظه وأوصله فأقام بها أياما ثم حل إلى الموصل وذكر أنه قبل بها
 قلت وليكنم أرى الحكم العربي قصيدة في مرثية الشهيد عماد الدين زنكي رحمه الله بها

عدين لا تذخرى المدامع وأبكي * واستلمى دما على فقد زنكي
 لم يهب شخصه الزدى بعد أن كا * نت له هبة على كل تركي
 خبير ملك ذى هبة وبها * وعظم بين الأنام بزرک
 يهب المال والجياد لمن يهب * منه ما دنا بغت بركي
 أن دارا تمس لنا بالزوايا * هي عندي أحق دار بترك
 فاسكبوا فوق قبره ماء ورد * وانفخوه بزعفران ومسك
 أئى فتك جرى له في الأعداى * بعدما استفتح الزها أئى فتك
 كل خطب أتت به نوب الدهر * ريسر في جنب مصر عنك
 بعد ما كاد أن تدن له الرو * ومجوى البلاد من غير شك

(فصل) فمما جرى بعد قتل زنكي من تفرق أصحابه وتلك ولديه غازي ومحمود قال الرئيس أبو يعلى توجه
 الملك ولد السلطان المقيم كان معه فبين صحبه وانضم اليه إلى ناحية الموصل ومعه سيف الدين غازي بن عماد الدين
 أتاك وامتنع عليهم والى الموصل على كوكبك أياما إلى حين تفرقت الحال بينهم ثم فتح الباب ودخل ولده
 واستقام له الأمر وانتصب منهبه وعاد الأمير سيف الدولة سوار صلاح الدين يعني محمد بن أيوب البياغسان في
 تلك الحال إلى ناحية حلب ومعهما الأمير نور الدين محمود بن زنكي وحصل بها وشرع في جمع العساكر وانفاق المال
 فيها واستقام له الأمر وسكنت الدهماء وفصل عنه الأمير صلاح الدين وحصل بمحاصرة ولايته على سبيل الاستيحاء
 والخوف على نفسه من أمر بدر عليه. وقال الحافظ أبو القاسم لما راى نور الدين في خدمة والده إلى أن انتهت
 مدته على قلعة جعبر وسير في صحيفة الأحدا الملك ألب أرسلان بن السلطان مسعود إلى الموصل مع جماعة من أكبر
 دولة أبيه وقال لهم أن وصل أئى سيف الدين غازي إلى الموصل فهسى له وأنت في خدمته وإن تأخرنا فأقر أمور الشام
 وأتوجه إليك ثم قصد حلب ودخل قلعتها يوم الاثنين سابع ربيع الآخر ورتب النوايا في القلعة والمدينة قال ابن
 أبي طي الحلبي لما أقبل قتل أتاك بأسد الدين شيركوه ركب من ساعته وقصد خيمة نور الدين وقال له اعلم أن الوزير
 جمال الدين قد أخذ معسكر الموصل وغول على تقديم أخيك سيف الدين وقصدته إلى الموصل وقد انضوى إليه جل
 العسكر وقد أتت إلى جمال الدين وأرادنى على الحماق به فلم أعرج عليه وقد رأيت أن أصيرك إلى حلب وتجعلها

في أخبار (٤٧) الدولتين

كرسى ملكك وتجمع في خدمتك عساكر الشام وأنا أعلم ان الامر يصير جميعه اليك لان ملك الشام يحصل بحلب ومن ملك حلب استظهر على بلاد الشرق فركب وافرأمر ان ينادى في الليل في عساكر الشام بالاجتماع فاجتمعوا وساروا في خدمة نور الدين الى حلب ودخلوها سائعين ربيع الاول وما دخلوا حلب جاء أسعد الدين الى تحت القلعة ونادى والبها واصعد نور الدين البها وقرأ امره ومشى احواله فكان نور الدين يرى له ذلك وأسعد الدين ينأيه كان السبب في توليته وقال ابن الاثير لما قتل انا بك الشهيد ركب الملك البارسلان ابن السلطان مسعود وكان مع الشهيد واجتمعت العساكر عليه وخدموه فأرسل جمال الدين الوزير الى الصلاح يقول له المصلحة ان يترك ما كان بيننا وراه ظهرنا ونسلك طريقا يبقى به الملك في اولادنا حينما نلعمر يتسه جزاء لاحسانه اليها فان الملك قد طمع في البلاد واجتمعت عليه العساكر ولئن لم تتلاف هذا الامر في اوله وتشتد كدتي بدايته ليستعز الخرق ولا يمكن رفعه فأجابه الصلاح في ذلك وحلف كل واحد منها الصاحبه فركب الجمال الى الملك فخدمه وضمن له فتح البلاد وأطمعه فيها ومعه الصلاح وقال ان انا بك كان نائبك في البلاد واباسك كنانا طبعه فقبل قولهم وظلمه حقاً وقتربها طمعان يكونا عونا له على تحصيل غرضه وأرسل الى زين الدين الموصل يعقوبه فانه قتل الشهيد وأمر ان لا يرسل الى سيف الدين غازي وهو ولد عماد الدين زنكي الا كبروا وحضارته الى الموصل وكان شهرزور وهوي اقطاعه من ابيه ففعل زين الدين ذلك وكان نور الدين محمدين الشهيد قد سار الى قتل والده الى حلب فلكه بذلك باشارة أسعد الدين شبركوه عليه بذلك وقال الجمال للملك ان من ارأى ان يسير الصلاح الى حماه كان نور الدين بحلب يدبر أمره وكانت جهه اقطاع الصلاح فأمره فصار وبقي الجمال وخدمه مع الملك فأخذوه وقصد الرقة فاشتغل بشرب الخمر والمخوطة بالنساء وأراد ان يعطى الامراء شيئاً فنعته خوفاً من ان يميل قلوبهم اليه وقال لهم الاقطاع الجزيل والنعم الوفرة وشرع الجمال يستميل العسكر ويحلف الامراء لسيف الدين بن انا بك الشهيد واحد واحد وكل من حلف بأمره بالسبيل الى الموصل هارباً من الملك وأقام بالملك في الرقة عدة أيام ثم سار به نحو سنجار وكان سيف الدين غازي قد دخل الموصل واستقر بها بقوة حينئذ نجح جمال الدين ووصل هو الملك الى سنجار فأرسل الى دزداها وقال له لتسلم البلد ولا تمكن أحداً من دخوله ولكن أرسل الى الملك وقل له ان تابع الموصل فتى وخدمت الموصل سلمت اليك ففعل الدزدار ذلك فقال لجمال الملك المصلحة ان تسير الى الموصل فان حماه كان غازي اذا سمع بقريناته خرج الى الخدمة فحينئذ نقبض عليه ونسلم البلاد وسار واعن سنجار وكثير رحيل العسكر الى الموصل هاربين من الملك فبقى في قبة من العسكر فساروا الى مدينة بلد وعبر الملك دجلة من هنالك فلما عبرها دخل الجمال الموصل وأرسل الامير عز الدين ابا بكزك الديلمي الى الملك في عسكر وهو في نفر بسبب فاحذو وادخله الموصل فكان آخر العهد به واستقر أمر سيف الدين وأقر زين الدين على ما كان عليه من ولاية الموصل وجعل الجمال وزيره وأرسلوا الى السلطان مسعود فاستخلفوه لسيف الدين خلفه وأقره على البلاد وأرسل له الخلع وكان هذا سيف الدين قد لازم خدمة السلطان مسعود في أيام أبيه مسعوداً وحضراً وكان السلطان يحبه كثيراً وبأنس به وبوسطه فلما خطب في الجبلين وقرر بالبلاد لم يتوقف قال ابن الاثير فانظروا الى جمال الدين وحسن عهده وكأله موهته ورعايته لحقوقه وخدمته وهذا المقام الذي ثبت فيه يجهز عنه عشرة آلاف فارس ولقد قل من قال الناس ألف منهم كواحد وهو معذول لانه لم ير مثل جمال الدين قال ولما استقر سيف الدين في الملك أطاعه جميع البلاد ما عدا ما كان يدبر بكر كالعن وحيدان واسعد وغير ذلك فان الجوارين لما تغلبوا عليها قال ولما فرغ سيف الدين من اصلاح أمر السلطنة وتقبل فيه وتقرر برأيه بالبلاد عبر الى الشام ليشارك في تلك الدواحي وبقرب القاعدة بينه وبين أخيه نور الدين وهو بحلب وقد تأخر عن الحضور وعند أخيه وخافه فلم ير له رساله ويستميله فكلما طلب نور الدين شيئاً أجابه اليه استمالة لقلبه واستقرت الحال بينهما على ان يجتمعا خارج العسكر السيفي ومع كل واحد خمسة آلاف فارس فلما كان يوم الميعاد بينهما سار نور الدين من حلب في خمسة آلاف فارس وسار سيف الدين من معسكره في خمسة آلاف فارس فلم يعرف نور الدين أخاه سيف الدين حتى قرب منه حين رآه عرفه فترجل له وقبل الارض بين يديه وأمر أصحابه بالعود عنه فعادوا وقعد سيف الدين ونور الدين بعد ان اعتنقا وبكا فقال له سيف الدين لم امتنعت من المجي الى اكدت تخافني على نفسك والله ما خطر سالى منك

كتاب (٤٨) الروستين

فلن أريد البلاد ومع من أعيش ومن اعتضد إذا قفلت السوء مع أخى وأحب الناس إلى فاطمات نور الدين وسكن روعه وعاد إلى حلب فجهز وعاد بعسكره إلى خدمة أخيه سيف الدين فامر سيف الدين بالعود وترك عسكره عنده وقال لا غرض لي في مقامك عندي وإنما غرضي أن يعلم الملوك والفرنج أنفقنا نحن بريد السوء بنايكف عنه فلم يرجع نور الدين وزم إلى أن قضيا ما كابعده وعاد كل واحد منهما إلى بلده فقلت ومن قصيدة لابن منير في نور الدين

أباخير الملوك أبا وحيدا * وأنفهم حبال الغليل صاد
علاؤا وغلاوا وقال الناس فيهم * شواردمن ثناء أو أصاد
وما اقمهم ولا عداوا بينهم * بمنصبك القسي العمادي
وهل حلب سوى نفس شعاع * تقسمها التماذي والتعادي
في ابن عماد الدين عنها الـ * شكاة فاصحت ذات العمادي
تجتر في كساء عدل و بذل * مدبجة التهايم والنجاد
وفي محرابها دود منسه * يهذب حكمة آيات صاد
تجسرت العجوم فابن تبني * ترق فلا خلوت من ازيد ياد

(فصل) فيما جرى بعد وفاة زنكي من صاحب دمشق والفرنج المخذولين قال ابن أبي طي في سابع يوم من استقرار نور الدين بحلب اتصل خبره قتل أتابك بصاحب انطاكية الميمند فرج في يومه بعساكر انطاكية وقسم عسكره قسمين قسميا أنفذه إلى جهة تجاهه وقسمها أعار به على جهة حلب وعاث في بلادها وكان الناس آمنين فقتل وسبي ما عظمها وتماذى حتى وصل إلى صلدى ونهبها ووصل الخبر إلى حلب فرج أسد الدين شيركوه فين كان يحلب من العساكر وحدث في السير فقائه الفرنج وأدرك جماعة من الرجال يمدون الأسرى فقتلهم واستنقذ كثيرا مما كانت الفرنج أخذته وسارجنبعا عن طريق الفرنج إلى أن شن الغارة على بلد ارتاح واستاق جميع ما كان للفرنج فيه وعاد إلى حلب مظفرا وقال ابن الأثير لما قتل الشهيد ساريجر الدين صاحب دمشق في عسكر إلى بعلبك وحاصره وبها نجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين فسلبها إليه وأخذ منه مالا وملكه قرا من أعمال دمشق واستقبل أيوب إلى دمشق وأقام بها وقال ابن أبي طي اشتد صاحب دمشق في القتال وصبر بنجم الدين أيوب أحسن صبر فاتفق أن الماء لما شاء الله من حصن بعلبك غارت حتى لم يبق منه شيء فصار أهل القلعة يستمدون من البلد فلما ملك البلد منع من يريد الماء من القلعة فاشتد الأمر فطلبوا الأمان والمصالحة فاستخلف صاحب دمشق نجم الدين وأقر له الثلث الذي كان أتابك قد جعله له فيها وأقره فيها ولما بلغ ذلك نور الدين خاف أن يفسد عليه أسد الدين إلى صاحب دمشق بمحصول نجم الدين عنده ومال نور الدين إلى محمد الدين أبي بكر بن الدابة حتى ولا جميع أموره وجميع ملكه فشق ذلك على أسد الدين قال الرئيس أبو يعلى لما انفصل خبره وتزكى عن ابن الدبس أنشع في التأهب والاستعداد لقصده بعلبك وانتهى الفرصة فيها بالات الحرب والمخيفات فقتل عليها وضابقتها ولم يرض إلا بام فالتفت حتى قل الماء فيها فله دعتهم إلى التزول على حكمه وكان الواجب أن يهازم وعقل ومعرفة بالأمور فاشتد ما قام له من أقطاع وغيره وسلم البلد والقلعة إليه ووفى له بما فرار الأمر عليه وتسلم ما فيه من غلة وآلة في أيام من جادى الأولى من السنة وأرسل معين الدين الوالى بمحض وتقررت بينه وبينه مهانة وموادعة يعودان بصلاح الأحوال وعارة الأعمال ووقعت المراسلة فيما بينهما وبين صلاح الدين بجهاد وتقرر بينهما مثل ذلك ثم أنكفأ بعد ذلك إلى البلد عقب فراغه من بعلبك وترتيب من رتبته لحفظها والأقامة فيها قال ووردت الأخبار في أيام من جمادى الآخرة من السنة بأن ابن جوسلين جمع الفرنج من ناحية وقصد مدبجة الرها على غيلة بموافقة من النصارى المقيمين فيها فدخلها واستولى عليها وقتل من فيها من المسلمين فنهب نور الدين صاحب حلب في عسكره ومن انضاف إليه من التركان وغيرهم زهاء عشرة آلاف فارس ووقعت الدواب في الطرقات من شدة السير ووافوا البلد وقد حصل ابن جوسلين وأصحابه فيه فجمعوا عليهم ووقع السيف فيهم وقتل من أرمز الرها والنصارى من قتل وانتهز إلى برج يقال له برج الماء فحصل فيه ابن جوسلين في تقدير عشرين فارسا من وجوه أصحابه وأحدق بهم المسلمون وشرعوا

في أخبار (٤٩) الدولتين

في النقب عليهم حتى تعرب البرج فانهزم ابن جوسلين في الخفية من أصحابه وأخذ بالاقون وهجق بالسيف كل من ظفريه من نصارى الرها واستخلص من كان فيه أسيراً من المسلمين ونهب مناشئ كثير من المال والاناث والسي وانكشف المسلمون بالغاثة في حلب وسائر الاطراف وقال ابن الاثير لما قتل زكي كان جوسلين الفرنجي الذي كان صاحب الرها في ولايته غلب الفرات في تل ياشر وما جاورها فراسل أهل الرها وكان عامتهم من الارمن واعددهم يوماً يوصل اليهم فيه فأجابوه الى ذلك فسار في عساكره اليها وما لكها وأمنعت عليه القلعة من فيها من المسلمين فقاتلهم ووجد في قتالهم فباغ الخنبر نور الدين وهو يومئذ يعلب فساار اليها بعسكره فهرب جوسلين ودخل نور الدين مدينة الرها ونهبها وسبي أهلها وفي هذه الدفعة نهب وخرت وختت من أهلها ولم يبق منهم بها الا القليل ووصل خبر الفرنج الى سيف الدين غازي بالموصل فذهز العساكر الى الرها فوصل العساكر وقدماء كهان نور الدين فبقيت بيده ولم يعارضه فيها أخوه سيف الدين قال ومن يجيب ماجرى ان نور الدين أرسل من غنائمه الى الامراء وأرسل الى زين الدين علي جله من الجوارى فملن الى داره ودخل لينظر اليهن فخرج وقد اغتسل وهو يضحك فسئل عن ذلك فقال لما فتح الرها مع الشهيد كان في جملة ما غنمت بجارية مالت نفسها اليها فمزمت على ان أبيت معها فبصعقت منادى الشهيد وهو يأمر بإعادة السبي والغنائم وكان مهيباً شوقاً فلم أجسر على اتباعها وأطلقتها فلما كان الآن أرسل الى نور الدين سبى من الغنمة وفيه تلك الحارثة فوطئتها خوفاً من انعود قتل القيسراني قصيدة يمدح بها جمال الدين وزير الموصل ذكر فيها أفعارها وأوطأ

أما آن أن يرهق الباطل * وان يحجز العدة الماطل
الى كمبغ ماولك الضلال * سبى باعناقها كافل
فلا تخجلن بصوت الذئب * بوقد زار الاسد الباسل
وهل يمنع الدين الاذى * بصول انتقاما فيستاصل
أبا جعفر أشرفت دولة * أضالها بدرك الكامل
فاما نصبت لرفع اسمها * فانكح الفعل والشياغل
لبنك ما فرح النصر عنه * ه وماناله الملك العادل
فقل للعتاق الطريق الطير * في فند دلف المقرم البازل
وجاهد في الله حق الجها * دعتب بالعسل قافل
وهل يمنع السور من طالع * يشايه التمدد والنازل
فان باغ فتخ الرها لجة * فساحلها الغدس والساحل
فهل علت علم تلك الدنيا * ران المقيم بها راحل
أرى التمس بأمل قوت الرما * ح ولا بد ان يضرب الشائل
يقوى معافله جاهدا * وهل عاقل بعدها عاقل
وكيف يضبط بواق الجها * ت لمن فات حسبته الخاصل

ولابن منير من قصيدة في نور الدين

ملك ما أذل بالفتح ارضا * قط الأعرها غا غلافة
والوهابي الرها عزى اليها * عارضا شيب الدجى ابراقه
لحات جارة اليه خفي * عدل الامن اعناقه اعناقه
تلك بكر الفتوح فاشام منها * شامة والعراق بعده عرافه
أين كان الملوكة عن وجهها الطليق * يرينا اضاعة اطلاقه
سنة سبى أبوه بكتب الرو * لما أظلمه ارقاهه
خافا قلبه الى أصل عا * جله دون نيله الخفافه

كتاب (٥٠) الروصنين

قسمت راية المواضي القسيج * اتوا بر من لها عراقه
وكذا أنت يا الله ما عدامن * تخلقه فيك خصلة خلقة
وكفى البحر انابا * بحباب * ماوفى * سحره ولا صاعاة
لميت من سدوت نأشه يا * من على الدن كظه اشفاقة
رهبة لم تدع على الارض تلما * خلف صدر ينشق عنه شفاقة
كلما طن ذكرها منه في السم * مع تكافى النافخاء نفاقة
وجهاد عن حوزة الدين لم يا * له رخصه ولا انفاقة

وله فيه من قصيدة أخرى

بنور الدين روض كل محل * من الدنيا وجسد كل بال
أقام على نية كل خوف * سهاد بات بكل كل كال
وصوب عدله على كل أوب * فعرض عاطلا منه بحال
ينكسر رأيه رأى المحامي * وتقبل خوفه قبل القتال
لقد احصدت للإسلام عزا * يفتو سنامه يد كل قال
وأصبحت العواصم لمخفات * عصاما غير متشكك الحبال

(فصل) وقفت على توقيع كتيب في ذي القعدة سنة إحدى وأربعين عن خليفة مصر يومئذ وهو الملقب
بالحافظ وعليه علامته ونصه (الجليلة رب العالمين)

الى القاضي الاشرف ابي المجد على بن الحسن بن الحسين البسماني (وهو والد القاضي الفاضل وكان يومئذ متولى
القضاء والحكم بمدينة عسقلان) قد انتهى الى حضرة أمير المؤمنين ان قوما من أهل نهر عسقلان جاءه الله قد صاروا
يؤثرون توقيعات بشمول أقوالهم من غير تركية من شهود المعرفين بالتركية لهم مع كونهم غير مستوجبين للشهادة
ولا مستحقين لسماع القول فانكر أمير المؤمنين ذلك من فعلهم وخرج على أمره بان لا يسمع قول شاهد ولا يتقدم
لخطابة ولا للصلاة بالناس ولا لتلاوة في موضع شر يف الامن زكاه اعيان شهود النهر الحروس وهم فلان وفلان
وعبد شمانية أنفس عبد الساتر بن عبد الرحمن عبد العزيز بن مفضل علي بن قريش أحمد بن حسن أحمد
ابن علي عبد الرحمن بن محسن اسامة بن عبد الحميد علي بن عبد الله قلت وهذا الحسن ما يؤرخ عن امام تلك
الدولة البائية لاشر بعة على ما سياتي ان شاء الله تعالى وقال الرئيس أبو يعلى وفي شوال من سنة إحدى وأربعين
ترددت المراسلات بين نور الدين ومعين الدين الذين انزلوا الى ان استقرت الحال بينهم ما على اجل صفة واحسن قضية وانعقدت
الوصية بين نور الدين وبين ابيته معين الدين ونأ كدت الامور على ما اقترح كل منها واكتب كتاب العقد في دمشق بمحضرة
من رسل نور الدين في الثالث والعشرين من شوال وشرع في تحصيل الجهاز وعند الفراغ منه توجهت الى الرملة عائدة
الى حلب في محبتهم بنية معين الدين ومن في جملتهم من خواص الاصحاب في النصف من ذي القعدة قال وتوجه معين
الدين الى ناحية صرخند وبصرى بالخيول والرجل وآلات الحرب ونزل على صرخند وبها المعروف بالتوتناش غلام
امين الدولة كشتكين الانابكي الذي كان واليا ولا قلت هو الذي تنسب اليه المدرسة الامنية قبل الجامع بدمشق
قال وكانت نفس التوتناش قد حدثت لجهله انه يقاوم من يكون مستويا على دمشق وان الافرنج يعمونه على مراده
وكان قد شرع من حصن صرخند الى ناحية الافرنج للاستئصال بهم وتقرر احوال القسام معهم فقال معين الدين بيده
وبين العود الى أحد الحصنين وراسل نور الدين في انجاده على الكفرة فأجابته وكان مبرزا بظاهر حلب في عسكره
ففتى اليه الاعنة وأجد المسير فوصل الى دمشق في التاسع والعشرين من ذي الحجة فأقام أياما يسيرة
(ودخلت سنة اثنتين وأربعين وخمسة مائة) فتوجه نور الدين نحو صرخند ولم يشاهد احسن من عسكره ومهيمته وعدته
ووقور عدته واجتمع العسكر ان وارسل من بصرى خد اليه ما يتسعون الايمان والملهة اياما وتسلم المكان وكان ذلك منهم
على سبيل المغالطة والمخاطبة الى ان يصل عسكر الافرنج لرحيلهم وقضى الله تعالى ووصل من اخبر بتجمع الفرنج

في أخبار (٥١) الدولتين

واحتشادهم ونهوضهم في فارسهم وراجلهم محمد بن السيرا إلى ناحية بصرى وعليها فرقة وافرة من العسكر مختصرة لها
فغنض العسكر في الحال إلى ناحية بصرى فسبقوا الفرغ إليها فلوأينهم وبينها ووقعت العين على الذين فأنزمو الكفار
ورأوا الأديار وتسلم معين الدين بصرى وعاد إلى صرخندة سبلها وعاد العسكر إلى دمشق فوصلها يوم الأحد
السابع والعشرين من المحرم وفي هذا الوقت وصل التوتاش الذي نزع من صرخندة إلى الفرغ بجعله وسخاقة
عقله إلى دمشق من بلاد الأفرنج من غير أمان ولا تقرر واستنذ أن توهم أنه يكره ويصطنع بعد الإساءة القبيحة
والارتداد عن الإسلام فاعتقل في الحال وطالبه أخوه خطب بما جناه عليه من عمل عينيه وعددهم ما يجلس حضره
الفقهاء والقضاة وأوجبوا عليه القصاص فحمل كأم على أخاه وأطلق إلى داره بدمشق فأقام بها قلب وقد ذكر ابن
منبر وقعة بصرى هذه وغيرها من الوقعات التي يأتي ذكرها في تصديقه قد تقدم بعضها

أي شأن أدركت يا نوردين السبله أعني على المملوك لحاقه
نطق الحاسدون بالعجز عن مله لك تحلى بالنسرات نطقه
غض أبصارهم لحاق جواد ليس إلا إلى المعالي سباقه
سبل بصرى كم عتقت يوم بصرى من أسارى الموت الزوام عتاقه
كم عرام على العرجة شبت ضائقته على أنفليب خنقاه
ولكن هبوة بهاب واختيه هالها صكت الأسارى رفاقه
بسط الذل فوق بسطة باسو طاول لكن طواه عنه ارتفاقه

وفي هذه السنة ولد بعلبك الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب وقيل في سنة فتح نكي الزهاق أبو يعلى وفي ليلة
الجمعة الثالث من ربيع الأول توفي الزعيم شيخ الإسلام أبو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوي المصيصي بدمشق
كان بقية الأئمة الفقهاء المذنبين على مذهب الإمام الشافعي ولم يختلف بعده مثله قال وفي جمادى الآخرة تفرقت
ولاية حصن صرخندة إلى مير مجاهد الدين بن زان بن مامين على مبلغ من المال والغلة وشروط وأمان دخل فيها وقام
بها واستشر أهل تلك الناحية بما هو عليه من جباية الخراج والضرائب والتدين والغنائم قال وفي الحادى والعشرين
من شوال وهو مستعمل نسان أظلم الجو ونزل غيث ساكن ثم أظلمت الأرض في وقت العصر ظلما شديدا بحيث كان
ذلك كالكادوة بين العشائين وبقية السماء في عين الناظرين إليها كصفرة الأورس وكذلك الجبال وأشجار
الغوطه وكل ما ينظر إليه من حيوان وجماد ونبات شجاء في أثر ذلك من الرعد القاصف والبرق الخاطف والحداد
المرجحة والرجفات المفترعة ما ارتاع لها الشيب والشبان فكيف الولدان والنسوان وقلقت لذلك الخيرة في مراطها
وبقي الأمر على هذا الحال إلى وقت العشاء الآخرة ثم سكن بقدره الله تعالى وأصبح على الأرض والأشجار وسائر
النبات غبار في رقة الهواء بين البياض والغبرة قال ابن الأثير وفي سنة اثنين وأربعين فتح نور الدين ارتاج بالسيف
وحصن بارقة بصرى فوفت وكفر لا تملك كان الفرغ فتح قد طمعوا وظنوا أنهم بعد قتل الشهيد يستردون ما أخذ منهم فلما رأوا
من نور الدين هذا الجذعوا أن ما أمأوه بعيد

في فصل في نزول الفرغ على دمشق ورجوعهم وقد خذلهم الله عنها قال الرئيس أبو يعلى وفي هذه السنة
تواصلت الأخبار من ناحية القسطنطينية وبلاد الفرغ والروم وما والاها يظهر وما لا يظهر من بلادهم منهم
الألمان والنفس وجماعة من كبارهم في العدد الذي لا يحصر لقصد بلاد الإسلام بعد أن نادوا في سائر بلادهم
ومعاقلمهم للفرار إلى بلاد الروم والاسراع نحوها وخطاب بلادهم وأعمالهم خالية شاغرة من جاراتها والحفظة لها شامخة
من ذخائرهم وأموالهم وعددهم أشيع الكثير الذي لا يحصى بحيث يقال أن عددهم ألف ألف من الرجال وأفرسان
و يقال أكثر من ذلك وغلبوا على أعمال قسطنطينية واحتاج ملكها إلى الدخول في مداراتهم ومساكنهم والنزول على
أحكامهم وحين شاع خبرهم واشتهر أمرهم شرت ولا الأعمال المصروفة لهم والأطراف الإسلامية القربية منهم
في الأناب للداغة لهم والاحتشاد على المجاهدة فيهم وتصدوا منا فذهم ودروب معارهم لكي يمنعهم من العبور
والنفوذ إلى بلاد الإسلام وواصلوا شق الغارات على أطرافهم واستحزوا القتل فيهم والقتل بهم إلى أن هلك منهم

العدد الأكثر وحل بهم من عدم الثبوت والاعوانات والمهر وغلاء السعر انا وجدوهما في الكثير منهم بالجوع والمرض ولم تزل أخبارهم تتواصل يصلهم وفاء اعدادهم الى اواخر سنة اثنتين وأربعين بحيث سكنت النفوس بعض السكان (ودخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسةائة) وتواترت الاخبار بوصول مرآكب الفرنج وحصونهم على سواحل النغور الساحلية صور وعكا واجتماعهم مع من بهامن الفرنج وقال انهم بعد ما فني منهم بالقتل والمرض والجوع وصل تقدير ثمانمائة ألف وقصدوا البيت المقدس وقصوا عنهم وعاد من عادتهم الى بلادهم في البحر وقد هلك منهم بالمرض والمرض الحاقق العظمى وهلك من ماؤهم من هلك وبقى الامساك أكبر ماؤهم ومن هودونه واختلفت الاراء بينهم فيما يقصدون منازلهم من البلاد الاسلامية الى ان استقرت الحال على منازلهم دمشق وبلغ ذلك معين الذين فاستمحل بهم بخافوا في تقدير خمسين ألفا ودوام السلاثم قصدوا المنزلة المعروفة بنزل العساكر فيها فصادفوا الماء مقطوعا وقصدوا ناحية الزنخه واعلمهم انهم بهمن من الماء وزحفوا الى البلد بجدهم ووزجدهم ووقف المسلمون بازاءهم في يوم السبت سادس ربيع الاول ونشبت الحرب بين الفرنج وجمع عليهم من الاعمال والاختناود والاراك والقتال وحدثت البلد والمطوعة والقزاة الجمة الغفير واستظهر الكفار على المسلمين بصحة الادعاء وقيلوا على الماء وانتشروا في البساتين وخبى فيها وقرى بوا من البلد وحصوا ما منه فكان لم يتمكن أحد من العساكر قديما وحديثا منه واستشهد في هذا اليوم الفقيه الامام يوسف القندلاري المالكي رحمه الله قريب الر يوم على الماء لوقفة في وجوههم وترك الرجوع عنهم اتبع امر الله تعالى في كتابه الكريم وقال بعنا واشترى وكذلك عبد الرحمن المحلول الزاهد رحمه الله جرى امره هذا المجري

(فصل) قلت ذكر الامير اسامة بن منقذ في كتاب الاعتبار ان ملك الامان الفرنجي لما وصل الى الشام اجتمع اليه كل من بالشام من الافرنج وقصد دمشق فخرج عسكرها واهل القلاعهم وفي جملتهم الفقيه القندلاري المالكي والشيخ الزاهد عبد الرحمن المحلول رحمه الله وكان من خيار المسلمين لما قاربهم قال الفقيه عبد الرحمن اما هؤلاء الر ومن قال بل قال في حق من وقوف قال سر على اسم الله فذمقا فقاتل حتى قتل في مكان واحد وجهما الله تعالى فيقال لربيعي وشعره في قطع الاشجار والخصن بها وهدوا الفطائر وبانوا تلك الليلة على هذه الحال وقد لحق الناس من الانبياء حول ما شاهدوا والوعم عاينا وما ضعف به القلوب وسرحت معه الصدور وروا كروا الظهور اليهم في غذلك اليوم وهو الاحسد وزحفوا اليهم ووقع الطراد بينهم واستظهر المسلمون عليهم واكثر القتل والجراح فيهم وابل الامير معين الدين في حربه بلاء حسنا وظهر من شجاعته وصبره وبسالته ما لم يشاهد في غيره بحيث لا يفي في جهادهم ولا ينفي عن دماهم ولم تزل رضاء الحرب دائرية بينهم وخبيل الكفار متجمعة عن الجهة المعروفة لهم حتى تنهيا لفرصة لهم الى ان مالت الشمس الى الغرب وابل الليل وطلبت النفوس الراحة وعاد كل منهم الى مكانه وبان الجند بازاءهم واهل البلد على اسوارهم للعرس والاحتياط وهم يشاهدون اعداءهم بالقرب منهم وكانت المكاتب قد نفذت الى ولا الاطراف بالاستعصاخ والاستحياد وجعلت خيل التركمان تتواصل ورجلة الاطراف تتابع وباكرهم المسلمون وقد قويت شوكتهم ونفوسهم وزال عنهم وعهم وثبتوا بازاءهم وأطلقوا فيهم السهام وبطل الجرح بحيث يقع في شيعهم في راجل أفراس أفراس أو فرس أو جمل ووصل في هذا اليوم من ناحية البقاع وغيرها جند كثير من الرماة فزادت بهم العدة وقضا عفت العدة وانفصل كل فريق الى مسعته في هذا اليوم وباكرهم من غدوم الثلثاء وأساطواهم في شيعهم وقد تحصنوا بالبحار البساتين وأفسدوها رشقا بالنشاب وحذوا بالاحتجار وقد أعجبوا عن البروز ونافوا وقشوا ولم يظهر منهم أحد وظن انهم يعاين مكيدة أو يدبرون حيلة ولم يظهر منهم الا انهم البسمن الخيل والرجل على سبيل المظاربة والمناوشة وخروا من المهاجمة الى ان يجدوا الجملتهم محالوا وسبوا منهم أحد الاربعين طرقة وطعمة وطعم فيهم نة كثير من رجالة الاحداث والضباع وجهاوا بقصدونهم في المسالك وقد آمنوا فلقبتون من ظفر وابه ويحضر من رؤسهم لطلب الجواثر عليها وحصل من رؤسهم العدد الكثير وفوازت لهم أخبار العساكر الاسلامية بالاسراع الى جهادهم واستعمال شاقهم فأيقنوا بالهلاك والارواح والدار واعلموا الاراء بينهم فلم يجدوا النفوس خلاصا من الشبكة التي حصوا فيها غير الرحيل فرحلوا نحو يوم الاربعاء التالي

مقاولين وحين عرف المسلمون ذلك برزوا إليهم في بكرة هذا اليوم وسارعوا في آثارهم بالنسبهم بحيث قتلوا في أعقابهم من الرجال والجنود والدواب العدد الكثير ووجدوا في آثارهم أماناً لهم وطرقاتهم من دفائن قتلاهم وخيمهم وجميع ما لا عد له ولا حصر ليحققه بحيث لها أربعين من حيث تنقسم تكاد تنصر عن الجور وكانوا قد أحرقوا الزينة والقيمة المسدودة في تلك البالية واستبشر الناس بهذه النعمة التي أسبغها الله عليهم وأكثر وأمن الشكر له تعالى على ما ولاهم من إجابة دعائهم الذي واصلوه في أيام هذه الشدة فقلله الجد على ذلك والشكر وانفق عقيب هذه الرحمة اجتماع معين الذين معوز الدين عند قريته من دمشق للإيجاد لها وقال ابن الأثير يخرج ملك الألمان من بلاد الأفرنج في جيوش عظيمة لا تحصى أكثر من الفرنج إلى بلاد الشام فاتفق هو ومن بساحل الشام من الفرنج فاجتمعوا وقصدوا مدينة دمشق ونازلوها ولا يشك ملك الألمان إلا أنه ملكها وغيرها الكثير جوعه وعساكره قال وهذا النوع من الفرنج هو أكثرهم عدداً وأوسعهم بلاداً وملكهم أكثر عدداً وعدداً وإن كان غير ملكهم أشرف منه عندهم وأعظم محلاً لها حاصراً ودمشق وبها صاحبها بجهر الدين اتق بن محمد بن يوري بن طغتكين وليس له من الأمر شيء وإنما كان الأمر إلى هائل حذته طغتكين وهو معين الدين أنزه وكان الحاكم والمدير للبلد والعسكر وكان عاقلاً دينا خيراً أحسن السيرة فجمع العسكر وحفظ البلد وحدهم الفرنج وزحفوا إليهم سادس ربيع الأول فخرج العسكر وأهل البلد عنهم وكان فيمن خرج الشيخ الفقيه حجة الدين أبو الجراح يوسف بن دواس المغربي الفندلاوي شيخ المالكية بدمشق وكان شيخاً كبيراً زاهداً عادداً يخرج راجلاً فرأى معين الدين فقصد دوسم عليه وقال له يا شيخ أنت معدور ونحن نكفيك وليس بك قوة على القتال قال قد بدت واشترى فلان قتيله ولا نستطيعه يعني قول الله تعالى (إن الله أشد من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنهم لم يلجأ لهم الجنة) الآية وتقدم فقتل حتى قتل رحمه الله عنده النيرب شيداً وقرى أمر الفرنج بفتح وقتلوا بالمدان الأخيرة وضعف أهل البلد عن ردّهم عنه وكان معين الدين قد أرسل إلى سيف الدين يستغيث به ويستغذ به بسأله التقدم عليه ويعلمه شدة الأمر فجمع سيف الدين عساكره وسار بجنداً إلى مدينة حصص وأرسل إلى معين الدين يقول له قد حضرت ومعي كل من يطيق حمل السلاح من بلادى فإن أنا جئت إليك ولقيت الفرنج وليست دمشق بيد زراي وأصحابي وكنت ألهز عمة والعياد بالله علينا لا يسلم منا أحد بعد بلادنا عاناً وحيداً فشدت على الفرنج دمشق وغيره فإن أردت أن أقهاهم وأقاتلهم فتنسلم البلد إلى من أئني إليه وأنا أحلف لك أن كانت النصرمة لنا على الفرنج أئني لا أأخذ دمشق ولا أقيم بها إلا مقدار ما ير حل العدة عنها وأعود إلى بلادى فإطاه معين الدين لينظر ما يكون من الفرنج فأرسل سيف الدين إلى الفرنج بانه قد هدم ويعلمهم أنه على قصدهم أن لم يحاولوا أرسل معين الدين إليهم أيضاً يقول لهم قد حضر ملك الشرق ومعهم من العساكر ما لا طاقة لكم به فإن أنتم رحلتم عنا وأسلمت البلد إليهم وحيداً تخذلنا تطعمون في السلامة مدواً أرسل إلى الفرنج الشام يخوفهم من أولئك الفرنج الخارجين إلى بلادهم ويقول لهم أنتم بن أميين مدمومين إن ملك هؤلاء الفرنج العرباده شق لا يبقون عليكم ما يابديكم من البلاد وأن سلمت أنا دمشق إلى سيف الدين فأنتم تعلمون أنكم لا تقدر أن تكون على متعهم من البيت المقدس وبذلهم أن يسلم إليهم بانياس إن راحوا ملك الألمان عن دمشق فأجابه إلى ذلك وعلموا صدقه واجتمعوا ملك الألمان ونحو قومهم من سيف الدين وكثرة عساكره وتتابع إمداده وانزعج ملك دمشق فلا يبقى لهم معه مقام بالساحل فأجابهم إلى الرحيل عن دمشق فرحل ورحل فرنج الساحل وتسبوا حصن بانياس من معين الدين وبقي معهم حتى فتح نزار الدين محمود رحمه الله كما سنده

(فصل) قلت وقد كثر الحفاظ أبو الناسم بن عساكر رحمه الله في تاريخه أن الفقيه الفندلاوي رأى في المنام قتيلاً له أن أنت قال في جنات عدن على سرورته بالبين وقبره الآن برز بقبر باب الصغبر من ناحية حائط المصلى وعليه بلاطة كبيرة مثقورة فيها شرح حاله وأما بعد الرجن الخجلون فقبره في بستان الشهباني في جهة شرقه وهو المسجد المحاذي للمسجد شعبان المعروف الآن بمسجد الطوت وكان مقامه في حياته في ذلك المكان رحمه الله وقرأت قصيدة في شعر أبي الحكم الأندلسي شرح فيها هذه القصة منها

بشلى نهر دريا * أمور ما تواتينا * وأقوام رأوا سفلك * دماء في جلق دينا
أنا ما تاتنا ألف * عديداً أو يديونا * فمعضهم مومن أندلس * وبعض من فلسطينا

كتاب (٥٤) الروضتين

ومن عساكرهم صبور * ومن صديد أوتيتنا * إذا أنصرهم أنصر * ث أقواما مجانينا
ولكن حرقوا في عا * جل الحال الساتينا * وجازوا المرج والتعدي ل أيضا والميادينا
تخالهم وقد ركبو * فطائرهما جرادينا * وبين خيامهم ضوا * خنازير والقراينا
ورايات وصلبانا * على منجيد خاتونا * وقتلنا اذارأيناهم * لعل الله بكفينا
سماهم معين قد * أعان الخلق والدينا * وقتيان تخالهم * فلد الهجاء شياطينا
فولوا يطلبون المرس * ج من شرقى جسرنا * ولكن غادروا اليها * من تحت التراب مدفونا
وشيوخنا قد لاوبا * قفيا بعصدا الدينا * وقتيانا تافنا من * دمشق نحوس بعينا
ومهم مائتا عالج * وشمل نحو تسعيننا * وباتهم الى الا * ن من القتل يقرونا
والعرقلة حسان في مدح مجبر الدين صاحب دمشق حيث قد قصيد ذكر فيها هؤلاء الفرح أوقها
عزج على نجد لعلك مجدى * بنسبها وبذكر سعدى مسعدى

يقول فيها

من قاتل الأفرنج ديننا غيرة * والحمل مثل السيل عند المشهد
رد الامان بكل نذب باسل * ومن الجبابر بكل نهسد أجد
ومن السيوف بكل غضب أبيض * ومن العجاج بكل نفع أسود
حتى لوى الاسلام تحت لوائه * وغدا يجسد من شريرة أجد
وقرأت في ديوان مجدى نصر القيسراني قصيدة في مدح تاج الملوك بوري جدي مجبر الدين أنشدها ياهيا عندك
الفرج على دمشق في أواخر سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة وهي واقعة تشبه الواقعة في زمن مجبر الدين أول القصب
الحق مبهج والسيف فيهم * وبال أعداء مجبر الدين مقسم
قدت الجبابر وحضنت البلاد أمة * من العباد فأنت الحمل والحرم
وجئت بالحمل من أقصى مرابطها * معاقد الحزم في أوساطها الحزم
حتى إذا ما أحاط المنكر بنا * كالليل بالتمم الدنيا له ظلم
وأقبلوا لامن الاقبال في عدد * يؤود حاسبه الاعياء والسأم
أجريت بحرا من الممازى معتكرا * أمواجه بأواصي اليأس تلطم
وسست جندك والرجن ركؤه * سياسة ما يعي اثرها ندم
وقفت في الجيش والاعلام خافقة * بالصر كل قناة فوقها علم
يحوطك الله صنوان عيونهم * والله يعصم من بالله يعتصم
حتى اذا بدت الآراء ضاحكة * وأقبلت أوجه الاقبال بتسم
اتبع جح سراياهم مضرة * فيه النجوم اذا جدوا في رجوا
والنصر دان وخيل الله مقبلة * ترجوا الشهادة في الهجاء وتغنم
صاب الغمام عليهم والسما معا * فما دروا أيما الخطاة الدين
سروا اليتموا الاعمار فانتبهوا * قتلا ويغنوا الا مال فاعتفوا
وأقبلت خيلنا تردى بخيلهم * مجنونة وعلى ارماحنا القوسم
وأدبر الملك الطاغى برعزعه * حر الاسنة وهو بالباراد التسم
وأفوا دمشق فظنوا انها حدة * ففارقوها في أيديهم العدم
وأبقوا مع ضياء الصبح أنهم * ان لم يزولوا ساعا زالت الختم
فما دروا أكثر القربان والنجفوا * وخلفوا أكبر الصلابان وانهم زوما
مستسلمين لا يدي المسلمين وقد * أغرى الفنا بتأدي خطفهم

لاملك الجسم دمعاً عن مقاتله * كانه حين يشاه الردى صمم
وحاولوا المسجد الاذى فاعربت * عن مسجد القدم الاقصى لم يقد

(فصل) قال ابن الاثير لما رحل الفرج عن دمشق سار مع ابن الدين انزالي بعلبك وأرسل الى نور الدين وهو مع أخيه سيف الدين يسأله ان يحضر عنده فاجتمعافصول اليهما كتاب القمص صاحب طرابلس بشر عليهم ما بقصد حصن العريضة وأخذهم فيه من الفرج وكان سبب ذلك ان ولد الفتن صاحب صقلية خرج مع ملك الاسمان الى الشام وتغلب على العريضة وأخذها من القمص وأظهر انه يريد أخذ طرابلس منه أيضاً فوجد هذا الذي ملك العريضة هو الذي عزاز بقية وقبض مدينة طرابلس القرب فلما استولى هذا على العريضة كاتب القمص نور الدين ومعين الدين في قصده فسار اليه مجتذبن فصيحاه وكتبنا الى سيف الدين يستجده انه وبطلان منه المدد فأمدهما فحصروا الحصن وبه ابن الفتن ونقبوا السور فأذن الفرج في استسبار أو ألقوا بأيديهم فلما المسلمون الحصن وأخذوا كل من به من رجل وصبي وامر آدو فمهم ابن الفتن وأخرى الحصن وعادوا الى سيف الدين وافتتح نور الدين أيضاً بسوطا وهاب وقال الرئيس أبو علي قتل أكثر من كان فيه يعني في حصن العريضة وأرأوا أخذوا ولد الملك وأمه ونهب ما فيه من العدد والخيول والأثاث عسكر سيف الدين الى مخيمه يحصن ونور الدين عاد الى حلب ومعهم ولدا الملك وأمه ومن أسر معهم وانكناهم عن ابن الدين الى دهشوق قال ووردت الاخبار في رجب من ناحية حلب بأن نور الدين صاحبها كان قد توجه في عسكره الى ناحية الاعمال الافرنجية وقصد افامية وظفر بعدة من الحصون والمعازل الافرنجية وبعدة واقرة من الافرنج وان صاحب انطاكية جمع الفرج وقصد على حين غفلة منه فقال من عسكره وأتقاه وكرأه ما أوجبته الاقدار السارلة وانهم بنزهه وعسكره وعادوا الى حلب سالما في عسكره لم يفقد منه الا الفرج اليسير بعد قتل جماعة واقرة من الافرنج وأقام يجلب أيا ما يجبت جثثها ما ذهب له من الزك و ما يحتاج اليه من آلات العسكر وعاد الى منزله وقيل لم يعد وذكر بن ابى طي ان أسد الدين لما كان في نفسه على نور الدين من تقديم ابن الداية عليه لم ينصح بمؤدجى وقصة يغراوم به نور الدين فقال له فا هذا الوقوف والغفلة في مثل هذا الوقت والمسلون قد انكسر واقتال ياخوند ارش تنفع نحن انما ينفع مجد الدين أبو بكر فهو صاحب الامر فاستدرك نور الدين ذلك وطيب قلب أسد الدين بعد ذلك وأزم مجد الدين ان يعرف لاسد الدين حقه وأصلح بينهما فمال وقتل في هذه الكسرة شاهنشاه بن أيوب أخو الملك الناصر وتل في كسرة البقعة قتل وهو والدعز الدين فرخشاه وتقى الدين ٤٠ والست عذرا المنسوب اليه العذراوية داخل باب النصر بدمشق وقبره الآن بالتربة النجمية جوار المدرسة الحسامية بقبرة العونية ظاهر دمشق رجعهم الله قتل ولابن منير من قصيدة تقدمت اعتذارا عما جرى في هذه الغزاة قال

لم يشته من ماء يغرا ان تزلأ * الاشابات زادعنها اندلاقه
كان فيها ليلث العرين حتى الا * شبال منه غضبان كالنار مافاه
وشبيهه النسي يوم حنين * اذ تلافا أدواء هم درياقه
وهي الحرب خلفها بحسن الكسر * إن عرض بأسها لانياسقة

(فصل) وقال ابن الاثير وفي سنة ثلاث واربعين ايضا سار نور الدين الى بصرى وقد اجتمعهم الفرج في قضيهم وقضيهم وتدنوا على قصد بلاد الاسلام فالتقى بهم هنالك واقتتلوا واشتد قتال ثم أنزل الله نصره على المسلمين وانهم الفرج وكانوا بين قتيل وأسير وفي هذه الواقعة يقول القيسراني من قصيدة أولها

بالت ان الصددوم مصدود * اولاً قايت النوم مردود
الى متى تعرض عن مغرم * في خدد للدمع اخمدود
قالوا عمون البيض بيض الظبي * تلب ولصكن هذمه سود
يخاف منها وهي في جفنها * والسيف يخشى وهو مغود

ثم خرج الى المدح قتال

وصكف لانيثى على عيشنا لا * محمود والسليمان محمود
فلاشكر الناس ظلال المني * ان رواق العدل ممدود

كتاب (٥٦) الروضتين

ونيرات الملك وهاجة * وطالع الدولة مسعود
وصارم الاسلام لا يثنى * الاوشوا الكفر مقدود
مناسب لم تلك موجودة * الا ونور الدين موجود
مظفر في درعه خيم * عايشه تاج الملك معقود
نال المعالي فالكاكا * فهو سليمان وداود
ترشفت الافواه انبيافه * ان رضاء العز مورود
وصكم له من وقعة يومها * عند مالوك الشرك مشهود
والقوم امامه رقى صرعة * او موثق بالقبض مشدود
حتى اذا عادوا الى مثلها * قالت لهم هيمته عودوا
طالب بنار ضيمته الظي * فكل ما يضمن مردود
والكثر والفتر بحال الوعى * فطارط طورا ومطرود
وانما الافرج من بغيها * عادوا وتد عاد لها عود
قد حصن الحق فاجاد * في قلبه باسك مجموع
فككل مصر بل مستفخ * وكل ثغر بل مسدود

وقال ايضا قصيدة في نور الدين وانثداه پاها يظهر حلب وقد كسر الافرج على نغرا وهزمهم الى حصن حارم وقد كانت الفرج هزمت المسلمين اولاً بهذا الموضع اولها

تفي بثمانها البيض الحداد * وتقضى دينها السمر الصعاد
وتدرك نارها من كل باغ * فوارس من عزائمها الجداد
ويشوى حومة الخيماها * يشد بضعه السبع الشداد
أظنوا ان نار الحرب تجبو * ونور الدين في يده الزناد
وجند كالصقور على صقور * اذا انقضوا على الاطال صادوا
اذا اخفوا لم يكد تسم أخافوا * وان أبدوا عداوتهم أبادوا
ونصرة دولة حاميت عنها * وهل يخشى وأنت لها عماد
وان تتسل القوافي مائلته * بأنب ما تؤنبها سناد
يجرت بالنصر أقدام العوالي * وليس سوى النجيع لها مداد
وطالت أروس الاعلاج خصبا * فننادى السيف قد وقع الحصاد
أجطت بهم فكان القتل صبرا * ولا طعن هناك ولا طراد
والابرنس فوق الرمح رأس * توسدوا السنان له وساد
ترجل بالسلام ففرسوه * وليس سوى القنائله جواد
غضيض المقلتين ولا نعاس * وعابرها وليس به سهاد
فسر واستوعب الدنيا فتوحا * فلا هضب هناك ولا وهاد
وزر بنى الوعى مشوى حبيب * فن عن باب مسجله زياد
ولا في باب فارس غير ثكلى * بغارسها يثنى بها الحداد
لانطا كيمية يجر ذراها * وقد دانت لسطوتك البلاد
واذعنت الجبالك واستحيات * مليية لدعوتك العباد

قلت ووقعة أنب هذه كانت عظيمة وقد أكثر كذلك الشعراء لها وسيأتي ذكرها قريباً ان شاء الله تعالى

في أخبار (٥٧) الدولتين

﴿فصل﴾ قال أبو يعلى في التميمي وفي رجب من هذه السنة ورد الخيزمر من ناحية حلب بان صاحبها نور الدين ابن أتابك أمر بإبطال حصى على خير العمل في أوخر تأذين القداة والتظاهر بسب الصحابة وأنكر ذلك انكارا شديدا وساعده على ذلك جماعة من اهل السنة بحلب وعظم هذا الامر على الاسماعيلية وأهل التشيع وضاعت له صدورهم وهاجوا وما جاثم سكنوا وأحجموا وللخوف من السطوة النورية المشهورة والهيبة المخدورة قلت وأنشده ابن مثير في رمضان

فذاك من صام ومن أفطرا * ومن سعى سعيك أو قصر
وما أوزى أهلا فندى بهم * وهل يوازي عرض جوهر
عدل تساوى تحت أكافه * مطاقل العين واسد الشرى
يا نور دين الله كم حدث * دجى واسفرت له فأنشرى
وكم حصى للشرك لا يمتدى الـ * وهم له غادرت مجزرا
يا ملك العصر الذى صدره * افسح من أقطارها مصدرا
وابن الذى طاول أفلاكها * فلم يجد من فوقه مظهرا
من قاب تكسر كسرى كلـ * تقصر عن ادراكها مقصرا
ما عظم في اوصافها شاعر * الأراى أوصافها أشعرا
لله أصل أنت فرع له * ما أطيب الجنى وما أطهر
ما حلب البيضاء هذمتها * الاحرام مثل أم القرى
شيدت في معمر ارجائها * لكل باغى عمره مشعرا
فاصبح الشاذل اذا ثوب الـ * دعاى له هلال أو كبرا
لا عديم الاسلام من كفه * كف بلى ان رهن أو أحصرا
كانما ساحته جنة * أجرت بهار حسته كوثر
تصرم الشهر الذى كنت فى * أوقاته من قدره أشهر
جهاد ليس في نهار غزا * أدكنت فيه الاصبرا الاشكر
أصدق ما رشفه سامع * ما هز من أوصافك المنبرا
أبقاك الدنيا ولدين من * خلاك في ابله سمانيرا
حتى ترى عيسى من القدس قد * نجا الى سيفك مستنيرا

قال أبو يعلى وفي رجب أذن لمن يتعطى الوعظ بالتمكك في الحسام مع المهور بدمشق على جارى العادة والرسم فبدان اختلافهم في أحوالهم واغراضهم والخوض في قضا بالاحاجة اليها من المذاهب ما أوجب صرفهم عن هذه الحال وإبطال الوعظ لما يتوجه منه من الفساد وطمع سفهاء الاوغاد وذلك في آخر شعبان منها قال وكثر فساد الفرنج المقيمين بصور وعاثوا في الساحلية في الاعمال الدمشقية بعد رحيلهم عن دمشق فاغارهم من الدين على اعمالهم وخيم في ناحية من حوران بالعسكر وكاتب العرب واستدعى جماعة وافرقة من التركمان وأطلق أيديهم في نهبهم وألفقت بهم فلم يزل على النكاية فيهم والمضايقة لهم الى ان ألجأهم الى طلب المصالحة

﴿٥٨﴾ ودخلت سنة أربع وأربعين وخمسائة في جددت المهادنة في المحرم مئة سنتين وأنفذ نور الدين الى معين الدين يعليه ان صاحب انطاكية قد جمع افرنج بلادهم وظهر يطلب منهم الافساد في الاعمال الحلبية وأنه قد برز في عسكره الى ظاهر حلب للقائه والحاجة ماسة الى معاضدته فندب معين الدين بجساده الدين زن ابن مامين في فريق واقر من العسكر الدمشقي للصير الى جهته وبذل المجاهد في طاعته ومناجحته وبقي معين الدين في باقى العسكر بناحية حوران قال وفي صفر من السنة وردت البشارة من جهة نور الدين بما أولا الله تعالى وله الحمد على حشد الفرنج المخذول ولم يفلت منهم الا من أخذ برؤوسهم وتجهيل دمارهم وذلك ان نور الدين اجتمع له من العساكر ستة آلاف فارسا مقاتلة

كتاب (٥٨) الروضتين

سوى الاتباع والسواد فغضب بهم إلى الفرنج في الموضع المعروف بآب وهم في نحو أربع مائة فارس وألف راجل فقتلهم وغرهم ووجد العيين البرنس قدّمهم صريعا بين يديه وأعطاه فحرف وقطع رأسه وجل إلى نور الدين وكان هذا العيين من أبطال الفرنج المشهورين بالفرسية وشدة البأس وقوة الحيل وعظم الخلقه مع شهرته الهيبه وكثرة السطوة والتناهي في الشر وذلك يوم الأربعاء الحادي والعشرين من صفر ثم نزل نور الدين في العسكر على باب أنطاكية وقد خلت من جانبا والذابين عنها ولم يبق فيها غير أهلها مع كثرة عددهم وحصانة بلدهم وترددت المراسلات بينهم وبينهم في طلب التسليم إليه وإيمانهم وصيانة أموالهم فوقع الاحتجاج منهم بأن هذا أمر لا يمكنهم الدخول فيه إلا بعد انقطاع أموالهم من الناصر لهم والعين على من يقصددهم وحاولوا ما أمكنهم من الخف والمال ثم أساءوا فاهوا ثم رتب نور الدين بعض العسكر والأفامسة عليها والمشتعلان يصل إليها ونهب في بقية العسكر لما نزلتها ومضاهية فالتفتوا إلى الأمان فأومئوا على أنفسهم وسماوا البلد في ثامن عشر ربيع الأول وانكفأ نور الدين في عسكره إلى ناحية أنطاكية وقد انتهى الحبيب بن وضوح الفرنج من ناحية الساحل إلى صوب أنطاكية لايجاد من بها فاقبضت الحال مهادة من في أنطاكية ووادعتهم وتقرر بأن يكون ما قرب من الأعمال الحربية له وما قرب من أنطاكية لهم ورحل عنهم إلى جهة غيرهم بحيث كان قد ملك في هذه النوبة مما حول أنطاكية من الحصون والقلاع والمعاقل وغيرها الغنائم إلى فصل عنه الأمر مجاهد الدين زان في العسكر الدمشقي وقد كان له في هذه الواقعة شأن في جلته البلاء المشهور والذكر المشكور الماهوم موصوف به من الشهامة والبسالة وأصابه الرأي وأمره بمواقف الحروب وقال ابن أبي طي جل أسد الدين على حامل صليب الفرنج فقتله وقتل البرنس صاحب أنطاكية وجماعة من وجوه عسكره ولم يقتل من المسلمين من يقوم به عادالساون بالغنائم والأسارى وكان لأسد الدين في هذه الحرب اليد البيضاء ومدحها ببعض الشعراء الحليين بقصيدة يقول فيها

ان كان آل فرنج أدركوا فلجيا * في يوم يغراونا والواثنية الظفر
في الخطم خطمت الكفر منصلنا * أبا المظفر بالصمصامة الذكر
ناولا يغراونا بابا وانتهت لنا * على الخطم نفوس المعشر البتر
واسقة ودوا الخيل عريا واسقت لنا * قوامص الكفر في ذل وفي صغر

قال وحصل لأسد الدين من هذه الكفرة سلاح كثير وعدة أسارى وخيول كثيرة فأخذ لا حبيهم الدين من باسنيثا وفي هذه السنة عظم أمر أسد الدين وقال ابن الأثير سار نور الدين إلى حصن حارم وهو للفرنج حصنه وخبر بوضه ونهب سواده ثم رحل عنه إلى حصن آتب فحصره فاجتمعت الفرنج مع البرنس صاحب أنطاكية وساروا إليه ليرحلوا عن آتب فلم يرحل بل لقيهم وتضافا الفرنج وأقتبوا وأصبروا وظهر من نور الدين من الشجاعة والصبر في الحرب على حدائث سنة ما تعجب منه الناس وأنجحت الحرب عن هزيمة الفرنج وقتل المسلمون منهم خلقا كثيرا وفهم قتل البرنس صاحب أنطاكية وكان عاتيا من عتاة الفرنج وذوى التفكّم فهم والمالك لما قتل البرنس خلف ابنه صغيرا وهو يميند فبقى مع أمه بانطاكية فترجعت أمه ببرنس آخر وأقام معها بانطاكية يدبر الجيش ويقودهم ويقاتل بهم إلى أن يكبر يميند ثم إن نور الدين غزا بلاد الفرنج فغزوه أخرى وهزمهم وقتل فيهم وأسروا وكان في الأسرى البرنس الثاني زوج أم يميند فلما أسرته تلك يميند أنطاكية بلداً يسهوته من وحي بها إلى أن أمره نور الدين بحجرام سنة ثمان وخمسين وخمس مائة على ما ذكره أن شاء الله تعالى وأكثر الشعراء مدح نور الدين وتمنّته بهذا الفتح وقتل البرنس فمن قال فيه القيسر إلى الشاعر من قصيدة أشدها ياهاجس الحديد الفاصل بين على حلب وعمل أنطاكية وأولها

هذي العرازم لا ماتت في القصب * وذى المكارم لا ما قالت الكتب
وهذه الهيم لا لاقيت في خطيب * تعمرت خلفها الأشعار والخطب
صاحت بأبن عماد الدين ذروتها * براحة للمساعي ودونها تعب
ما زال جدك يني كل شاهقة * حتى أبنت قبة أوتادها الشهب
لله عزمك ما مضى وهلك ما * أقضى اتساعا بما ضاقت به الخقب

في أخبار (٥٩) الدولتين

باسأهد الطرف والاحقان حاجة * وثابت القلب والأحشاء تضطرب
 أغرت سؤفك بالافترج راجفة * فؤاد رومية الكبرى لم يجب
 ضربت كبشهم منها بقاصعة * أودى بها الصلب والنحطت بها الصلب
 قل للطغاة وان صمت مسامعها * قولاً لهم القنا في ذكره أرب
 ما يوم أنب والأيام دائسلة * من يوم يغرابعد لا ولا كتب
 أغرتكم خدعة الأمال نلنكم * كم أسلم الجهل ظنا غرة الكذب
 غضبت الدين حتى لم يفتك رضى * وكان دين الهدى مر ضاته الغضب
 طهرت أرض الأعدى من دماهم * طهارة كل سيف عند هاجنب
 حتى استطار شرار نذ قداحه * فالجرب تضرم والأجال تخطب
 والخيل من تحت قتلا هامة ترلها * قوائم خانق الركن والخب
 والنقع فوق صقال البيض متعقد * كاستقل دخان تحتها لخب
 والسيف هام على هام معركة * لا البيض ذو ذمة فيها ولا اليلب
 والنبل كالبل هطال وليس له * سوى القسى ويد فوقها اصحب
 والظبي ظفر حسا مذاقته * كأنما الضرب فيما بينهم ضرب
 ولا سنة عما في صدورهم * مصادر أفلوب تلك أم قلب
 خانوا خانت رماح الطعن أيديهم * فاستلوا وحي لانس ولا غرب
 كذلك من لم يوق الله مهجته * لاقى العدى والقنا في كنهه قصب
 كانت سديوفهم أوحى خوفهم * يارب حائنه منحيا بها العطب
 حتى الطوارق كانت من طوارقهم * ثارت عليهم بما من تحتها النوب
 أحسادهم في ثياب من دماهم * مسلوبية وكان القوم ماسلوبا
 أنشاء المحمة لو أنها ذكركت * فيما مضى نسبت أيامها العرب
 من كان يغز وأبلاد الشرك مكتسبا * من الملوكة فذور الدين محتسب
 ذو غرة ماسمت والليل معسكر * الاتمق عن شمس الضحى الخجب
 أفعاله كاسمه في كل جادله * ووجهه نائب عن وصفه القلب
 في كل يوم لفسكرى من وقائعته * شغل فكل مديحي فيه مة غضب
 من باتت الأسد أسرى في سلاسله * هل بأسر الغلب الأمن له الغلب
 فملكك واسلب البرنس قاتله * وهل له غير أنظا كية سلب
 من الشقى عمالات فوارسه * وإن يسائرهما من تحتته قتب
 نجبت لاصعدة السمراء فمكرة * برأسه أن أنمار القنا نجب
 سماعها سمعو الماء ارقعه * أنبوية في صعوداً صلها صلب
 ما فارقت عذبات الشاج مفرقة * الأوهى منه لاج ولا عذب
 اذا القنا ابتغت في رأسه نفقا * بدلا لثعلبها من تحسره سرب
 كنانة تسمى أطرافنا ظفرا * فلكمك الظبي ما ليس تحتسب
 عمت فتوحك بالعردى معاقها * كان تسلم هدا عند ذاجرب
 لم يبق منهم سوى يئس بلارمق * كمال توى بعد رأس الحية الذنب
 فانفض الى المسجد الأقصى بذى لجب * يوليوك أقصى المنى فالقدس مر تقب
 وأنذن لموجك في تطهير ساحله * فأنما أنت بجر بجره لجب

كتاب (٦٠) الروضتين

يا من أعاد تغور الشام ضاحكة * من الظبي عن ثور زمانه الشنب
مازلت تلحق عاصبها وطائعا * حتى أقت وأنطا كيمة حلب
حالت من عقلها أبدي معاقها * فاستخففت والى ميثاق الحرب
وأيقنت أنها تسلم مرأى كرها * وكيف يثبت لاجوق ولا طنب
أجريت عن تغر الاعناق أنفسها * جرى الخفون أمراها بارح حصب
وما ركزت القنأ الا ومنك على * جسر الحديد هز برغيلة اشب
فأسعدني نلتهم من كل صالحة * بأوى الى جنة المأوى لها حسب
ان لا يكن أحد الابدال في فلات الا * تقوى فلا تنقار انك القطب
فلوتناسب أفلاك السماء بها * لكان بينكما من عفة نسب
هذا وهل كان في الاسلام مكرمة * الا شهدت وعباد الهوى غيب
وله قيمة من قصيدة أخرى

ألا لله ذكرك أي در * صريح جاءه بالكرم الصريح
وعسرك الذي استولى مسحا * على ما بين فامية وسح
ووقعك التي نبت العوالي * صواد عن قتيل أو جريح
بأنب يوم أبرزت المذاكي * من النقع الغزاة في مسوح
غداة كأنما العاصي أحرارا * من الدم عبرة الجفن القرمح
وقد وافاك بالبرنس حنن * أنج له من القدر المتج
قتلت أشجعهم بالنفس ذلا * يجود بنفسه غير الشجع
ملأت بهم ضرائقهم فامسوا * وليس سوى الفشاع من صريح
وعدت لي ذرا حلب جيذا * سمو البدر من بعد الجنوح
فان جلبت بقرتك الاليالي * فكأنك سناك من زمن ملج
رويك تسكن المهيما فوفا * بجيث ترجع من تعب المريج
فأنت وان ارحت الخيل وقتا * فهماك غيرهم المستريج

وقال أحمد بن منبج مدحه وبذ كز ظفره بالبرنس وأصحابه وحمل رأسه الى حلب وأنشدته أيضا ياها بجسر الحديد

أدوى الفضلال واقفرت عرصاته * وعلا الهدى وثجبت قسياته
وانشاش دين محمد محمود * من بعد ما غلبت دما عبراته
رذت على الاسلام عصر شبابه * وثباته من دونه وثباته
ارسى قواعد وسمد عماده * صعدا وشيد سور سوراته
وأعاد وجه الحق أبيض ناصعا * اصلاته وصلاته وصلاته
لما قوا كل خزيه وتغاذلت * أنصاره ووقاصرت خطواته
رفعت لنور الدين نار عزيمة * رجعت لها عن طبعها ظلماته
ملك مجالس لهوه شداته * ومشوقه بين الصفوف شداته
تغصى بخته السراج بنانه * ان لا تحبسه الكؤوس لداته
وروقه ثمر العدى قان دما * لا الثمر يعبق في لماء لثاته
فضبحه نهر الطلى وغبوقه * نطف النفوس تديرها نشوانه
فتح نعمت السماء بفسره * وهشت على أغصانها عبداته
سبغت على الاسلام بيض حنوله * واختال في أوضاعها جبهاته

في أخبار (٦١) الدولتين

وانهل فوق الابطين غمامه * وسرت الى سكنها فنجياته
لله لجة لسة لمجصت به * واليوم ذبح وشبه ساعاته
حط القوامن فيه بدقاصها * ضرب بصلصل في الطلي صغقاته
نبدوا السلاح لضيق عادته * فرس الفسوارس والقمنا غايته
لمجرب عسرية غضبائه * لله معتصمة عز واته
تجيا الضيق صفاده اسراوه * ونقيض ماشؤ ونها نجاته
بين الجبال خواضعا أعناقها * كالذود نابت عن براه حداته
نشرت على حلب عقه ودينورهم * حلل ال يسع تناسقت زهراته
روض جشاه لها مكر حبياده * واستوارت جمالة جلالاته
مساندين على الرحال كما اتنى * شرب امالت همامه قهواته
لم تنبت الأجام قبل رماحه * شجيرا فروع أصوله شمراته
فليجدا الاسلام ماجدحت له * شريات غرس هذه مخبائته
وسقى صدادك الحيا صوب الحيا * خير الثرى ما كنت أنت نباته
نصب السر رومال عنه ومهدت * لمقره نصيبك المرى سراته
ماض هذا البدر وهو خلق * ان الركاو كفى بالذرى ضراته
فى كل يوم تستطيل قناته * ففوق السماء وتعتلى درجاته
وترى كشمس فى الصبح آثاره * مجددا والسنة الزمان رواته
أين الاولى ملاؤ الطروس زخارفا * عن زلف بجسر هذه قطراته
غمدقوارا عناق العواطل ماله * من جوهر فأتهم فذاته
لوفضارا سبطا بعض فشوحه * سخرت عا افتعالوهم فعلايه
تسمى قنانيه ناث قبونه * فوق القوانس والقمنا قنانيه
صلتان من دون الماوى تقرها * حركاته وتلقها بقنانه
فغدت بهم عن خطوه هباتهم * وسمت به عن قنوه هباته
سكنوا ههنا الجبال وأسكنت * زحل الرحال مع السم اعز ماته
لولا لاطائى غرة فتحه * بأت بجمل تأوه يا آت
أوهب لاطارى طيب نسيمه * لاحسن من تلجحه حشواته
صدم الصليب على صلابه عوده * فمفروقت ايدى سبا خشباته
وسقى البرنس وقد نرس ذلة * بالروح مفر ما جنت غدراته
فانقاد فى خطام المنية أنفه * يوم الخطيم واقصرت رواته
ومضى يؤنب تحت أنب همة * أمست زوافر غيها زفواته
أسد تبوا كالغرف نجاته * فتبوا طرف السن شواته
دون النجوم مغمضا ولطاما * اغضت وقد كرت لها خطاته
لخوته تبنى الاصادق تحت حسه * بدم اذا ضجكت له شماته
تمشى القنات برأسه وهو الذى * نظمت مدار النيرين قناته
لوعاق العيون يوم رفعتهم * لاراك شاهد فضه اخباره
ما انقاد بلاك أنفه بجزمه * كلا ولا هبت لها مدراته
طيان خلف السر طال زفيره * نطقت سطلك له فطال صماته

كتاب (٦٢) الروضتين

لمابدا مسود رأيك فوقه * مبيض نصرك نكست رايته
ورأى سبوقك كالمصالح طارحت * مثل الكبرن فقلصت كثراته
ولى وقد شربت طبياك كياته * تحت الجحاح وأسبسته حجاته
ترك الكائنس والكاس لناهب * بالببيض نهب ما حواء عفاته
غلاب اروع لا يميمت عذاته * ذاه الماطال ولا تفيض عذاته
والآن ملنى بالعصر انقشاته * ما كان قبيل يصيده بقشاته
اليوم ملكك القراع قلاعه * متسحما استشرقت شرفاته
وغدا تفحل لك الخلائل اسمم * متوزعات بينهن بناتهن
اوطأت أطراف السنايك هامه * فتقاذفت بعنقه فاذفاته
لازال هذا الملك يشغ شأته * أبدا ويلفت في الحضيض وشأته
ما أخطأك بذل زمان فدونه * من شاء فلتسرع اليه هباته
أنت الذى تحلى الحياة حباته * وتنبأ أرواح القصيد هباته

(فصل) وقال ابن الاثير وفيها سائر الذين الى حصن قامة وهو للفرنج أيضا وبينه وبين مدينة حماه مائة فرسخة
وهو حصن منيع على تل ليس تقع عال من أحصن القلاع وامنعها وكان من به من الفرنج يغيرون على أعمال حماه
وشيرزوينهونها فاهل تلك الاعمال معهم تحت الذل والصغار فساروا الذين اليه وحصره وضيق عليه ومنع من به
القرار ليلالونها وتابع عليهم القتال ومنعهم الاستراحة فاجتمعت الفرنج من سائر بلادهم وساروا نحو ملزخ حوه
عنها فلم يبالوا اليه الا وقد ملك الحصن وملا ذخائر من طعام ومال وسلاح ورجال وجميع ما يحتاج اليه فلما بلغه
قرب الفرنج سار نحوهم خفيين راوا جده في لقاءهم رجعوا واجتمعوا ببلادهم وكان قصاراهم ان يصلحوه على ما أخذ
ومدحه الشعر اعوا كثر وامتهم أبو الحسين أجد بن منير حيث قال

اسنى المالك ما طلت منارها * وجذعت من هفة الشفارد نارها
وأحق من ملك البلاد وأهلها * رؤف تكشف عذله أظفارها
من عام سام الحافقين وحامها * منساو زادهوى نقص نزارها
مضربة طبعت مضاربها * عذته ذرة فارس اسوارها
آل العيبة وهى تجهل آلها * وتعا ف نطقها وتكر دارها
فأقرضت نبيها وأثبت نبيها * وأساغجرتها وأثبت زارها
ملك أبوه سمالها فمما بها * وأجارها فعلت سبلا جارها
نمى السبيل له فأوضع خلفه * وشدداله بين العلى فانارها
أنشئت بالجمود مله أحمده * من بعد ما شبل البلى اصهارها
ان جانات عدل السنان قوامها * أو انأت كان الحسام جبارها
علقت مع العصم العوام مدغدت * هذى العراشم أسرها وإسارها
وتكفلت لك خيرة انضبتها * فى صونها ان تسترد ضميرها
كلا ت هوامها وورده مطارها * ما ريشته وثقت أطارها
كم حاولت من كفتها غرة * غلب الاسود فقلت أنظفارها
انى وحلى سرحها من لوسم * للفلك بسطته أحال مدارها
فى كل يوم من فتوحك سورة * للدين يحل سفره أسفارها
ومطبله قصر المنابر ان غدا * خطباء تنثر فوقه نقصارها
هم تحجلت المسالوك وراءها * بدم الغنار وما ألفت آثارها

في أخبار (٦٣) الدولتين

وعزائم تستوزن الأسادعن * نهش الفرائس أن أحس أوارها
أبدان قصر طول مشرقته الذرى * بالمشرقية أو تطيل قصارها
فغزت أفاميسة فما فهمته * كوابر أحناها الاران يوارها
أرهفت رائك فوق رائك قمتها * حططت من شغفاتها أعفارها
أدركت نارك في البغاة وكنيت يا * مختار أمة أجده مختارها
عارية الزمن المنير سماها * منك المغيرة فاسترد معارها
زار الهزير فقيدت عانها * عصر الضلال وأسلبت أعيارها
ضاعت نجومك فوقها ولربها * باتت تنافسها النجوم سرارها
أمت مع الشعري العجور وأصبحت * شعراء تستقل المخول شوارها
ولكم قرعت بمقر باتك مثلها * تلعاو قلدت الكجاة عذارها
حتى إذا اشتعلت أشرق سورها * عزاء وحلاها سناك سوارها
خز الصليب وقد علت نغماتها * واستوبلت صاوانه تذكأرها
لما وعاهما سمع انطاككية * سرت الوفا روكشت استأرها
فاليوم أغضت تستدتم بحسبها * من جوره وغدت تدم جوارها
علمت بأن ستدوق جرعة أختها * ان زرز أطواق القباء وزارها
ماض إذا قرع الركاب لبدة * ألفت له قبيل القراع ازوارها
وإذا محاقفه ركن لصعبه * ملقاة أمجد كالجد بر جدارها
ملا البلاد مواهبها ومهابة * حتى استرقت آبه أحرارها
بذكي العميون إذا أقام لعينها * أبدا ويقضى بالظي أبكارها
أوما إلى رم النسي فاعاشها * وهما لسابقة المني فازارها
نبوء تشييدها الفتوح كأنها * أنصاره رجعت له أنصارها
أحب الصرح سلامها سلمانها * وأمان تحت عمارها عمارها
أن سار سار وقد تقدم جيشه * رجع بقصع في الهي دعارها
أوحل حل حبا القروم بهية * سلب البذور بدارها بدارها
وإذا الملوك تناقصوا درج العلى * اربى بنفس أفرعته خيأرها
ونهى إذا هيضت نذل الجبرها * وسطى نذل إذا عنت جبارها
تهدى لحدود السحاب كأنه * لول فاعلة بها لا بارها
الفاعل الفعلات ينظم في الدجى * بين النجوم حسودها سمارها
ساع سعي والساقات وراءه * عتقا فعمص فرمتها عثارها
كالمضربى إذا بر صرايا * نخس البغاث وهاجرت أوكارها
عرفت لنور الدين نور وقائع * يغشى إذا اكتحل به أنصارها
مشهورة سطعت وقساواتها * لا قدر تجزأ ان تشق غبارها
لله وجهك والوجود كأنما * حطت بها أوقار هبت قارها
والبيض تخنس في الصدور صدورها * هبرا وتكحل الشفو بشفارها
والخيل تدلج تحت أرشسية القنا * جذب الماوتهم غاوت أبارها
فقيمت تسجل الفتوح عرائسا * ممثليا صذر العلى وصدارها
في دولة النصر فوق لواها * زبر تقي في الطلى أسطارها

كتاب (٦٤) الروضتين

فالدین موماة رفعت بها الصوى * وحديقة ضمنت يدك ابارها
وله فيه من قصيدة أخرى

خمس الثعالب حين زججهم * ملأ البلاد هاهما وزهرا
تركوا مشاة الرماح لحاذق * جعلت مخافته القصور وقورا
لربيب حرب لم تزل فعبلائه * كالراء يلزم لفظها التكريرا
أسسد اذا ما عاد من ظفرهم * ففسر من أحسنه اظفورا
يتناذرا لاعداء منه سطوة * ملأ الزمان تعظيما وزفيرا
عرفوا لنور الدين وقع وقائع * وفيها الاسلام أمس نذورا
أبدانها فرك القضاء على الذي * تبغى فرجع طافرا منصورا
قوضت فانتزع الظاهر ظلمة * وقفلت فاشتعل الدياجر نورا
وعلى العوام من دفاعك عاصم * ينشئ الشيد وبشر المنصورا

(فصل) في وفاة معين الدين اربدمشق وما كان من الرئيس ابن الصوفي في هذه السنة قال أبو يعلى الحميري
فصل معين الدين من عسكر مجوران ووصل الى دمشق في آخر ربيع الآخر لاهم واجب ذلك ودعا اليه وأمعن في
الاكل فخلقه عقيب ذلك انطلق مما دى به وحمله اجتاده فيما يدبره على العود الى عسكر مناجية حوران وهو على
هذه الصفة من الانطلاق وقد زاده وضعت قوته وتولاه معه من ض الكبد فأوجب الحلال عوده الى دمشق في
محفة لداوانه فوصل وقضى نجيته في ليلة الثالث والعشرين من ربيع الآخر ودفن في اربان الدار الاباكية التي
كان يسكنها ثم نقل بعد ذلك الى المدرسة التي عمرها قلت قرية في قبة مقابر العونية شمالي دار البطيخ الآن واسمها
مكتوب على بابها فلعله نقل من ثم اليها وفيه يقول الامير مؤيد الدولة أسامة من منقذوك كتب اليه من مصر لما اتى
الفرنج في أرض بصرى وصرخ دمع نور الدين وقد تقدم ذلك كتب اليه قصيدة يقول فيها

كل يوم فتح مبين ونصر * واعتلاء على الاعادي وقهر
صدق النعت فيك أنت معين ال * دين ان الدعوت فال وزجر
أنت سيف الاسلام حقا فلا كل * غراريك أيها السيف دهر
لم تزل تقهر الجهاد مسرا * ثم أعلنت حين أمكن جهر
كل دنخر الملوكة بغيري وذخرا * لكها الباقيان أحرو وشكر

قال وفي يوم الجمعة تاسع رجب قرئ المنشور المنشأ عن مجير الدين بعد الصلاة على المنبر بإبطال النفسه المستخرجة من
الريضة وازال الحكمهات وتعقبتهن ههنا وإبطال دار الضرب فكتبه دواع الناس له وشكرهم قال واستوحش الرئيس
مؤيد الدولة من مجير الدين استنصاشا وأوجب جمع من أمكنه من سفهاء الاحداث والغوغاء وحمله السلاح من
الجهلة العوام وترتيبهم حول داره ودار أخيه زين الدولة حيدر زلا حتما بهم من مكروه يتم عليهم ما وذلك في ثالث عشر
رجب ووقعت المراسلات من مجير الدين بما يسكنهم ما ويطيب أنفسهم ما وتقيا بذلك وجدوا في الجمع والاحتشاد
من العوام وبعض الاحساد وانارا التثنية فقصدا ويا باب النجى وكسر واغلاقوا طلقوا من فيه واستنفروا جماعة
من أهل الشاغور وغيرهم وقصدوا الباب الشرقي وقصداوا مثل ذلك وحصولا في جمع كثير وامتلأ قلوبهم الازفة
والدروب حين عرف مجير الدين وأصحابه هذه الصورة واجتمعوا في القلعة بالسلاح الشاى واخرج ما في خزائنه من
السلاح والعدد وفرقت على العسكر وعزموا على الزحف على جميع الابواب والابقاع بهم والتمسك بيه فقيم فسأل
جماعة من المقدمين النهل في هذا الامر ترك الجبهة بحيث تحقق الدماء وسلم البلد من النهب والحريق والخوا
عليه الى ان اجاب سؤلهم ووقعت المراسلة والتلطف في اصلاح ذات البين فاشترط الرئيس وأخوه شروطا لاجبا الى
بعضها وأعرض عن بعض بحيث يكون ملازما لداره ويكون ولده وولد أخيه في الخدمة في الديوان ولا يركب الى
القلعة الامستدى اليها وتشررت الحال على ذلك وسكنت الذهباء ثم حدث بعد هذا التمهيد عودا لحال الى ما كانت
عليه

في أخبار (٦٥) الدولتين

عليه من العناد واثارة الفساد وجمع الجمع الكثير من الاجناد والمقدمين والراعي والفلاحين واثقة وعلى الرخا الى القلعة وحصر من بها وطلب من عين عليه من الاعداء الاعيان في أوخر جرب ونشبت الحرب بين الفريقين وجرح وقتل بينهم نفر يسير وعاد كل فريق منهم الى مكانه ووافق ذلك حرب السلارزين الذين اسماعيل الشحنة وأخيه الى ناحية يعابك ولم تزل الفتنة تثار في الحاربة متصلة الى ان اقتضت الصورة إبعاد من التمس إبعاده من خواص مجير الدين وسكنت الفتنة وأطلقت أيدي النهاب في دار السلارين وأصحابها وجمعها والذهب والارباب ودعت الضرورة الى تطبيب نفس الرئيس وأخيه والخلع عليهم واعادة الرئيس الى الوزارة والى ياسته بحيث لا يكون له في ذلك معترض ولا مشارك قلت وفي هذه الفتنة يقول العرقلة

ذرا لترك والعرا * وكن في حزب من غلبا * بجلاق أصبحت فتن * تجر الويل والحربا
لئن تمت فوالسفا * وان تجرب فوالجبا

وقال في الرئيس لما زحف الى القلعة
زعدوا في المجد يابن علي * هكذا من أراد ان يتعالى * قد حوى الدين يامؤيده منه * كك هز براديمة وهما لا
وغدت جلق تباديك بجبا * هكذا هكذا والا فلا * جئتها في الظلام خيل لا رجلا * وجميت النفوس والاموال
لن تبالي من بعدها بعدو * اغاد لك كان قطعا فالا * قد بلغت المراد من كل ضد * وكفى الله المؤمنين القتلا
قال أبو يعلى التيمي وفيها ورد الحسين من ناحية مصر وفاة المستخلف بها الملقب بالحافظ واسمه عبيد المجيد بن
الآمين المستنصر في خامس جمادى الآخرة وولى الامر بعده ولده الاصغر ابو منصور اسماعيل ولقب بالناظر
وولى الوزارة له أمير الجيوش أبو الشيخ مهسال المغربي

(فصل) في وفاة سيف الدين غازي بن زكي صاحب الموصل وهو أخو نور الدين الاكبر قال ابن الاثير كان
اتابك الشهيد يعني زكي ملك دارا وبقيت بيده الى ان قتل فأخذها صاحب مardin ثم سار اليها سيف الدين بن
الشهيد في سنة أربع وأربعين فحاصرها وملكها واستولى على كثير من بلد مardin بسببها ثم حصر مardin عازما
على ان يدخل ديار بكر ويستعيد ما أخذ من البلاد بعد قتل والده فتفرق العسكر في بلدته يهيمون ويخربون فقال
صاحب مardin كأنك كومن اتابك وأين أيامه فلقد كانت اعياد ادة حصرنا غير مرة فلي بعد هو وعسكره محاصل
السلطان ولا أخذوا كفا من التين بغير ثمن

رب دهر بكيت منه فلما * صرت في غيره بكيت عليه

ثم انه راسل سيف الدين وصاحبه على ما أراد وزوجه ابنته الخاتون ورجل سيف الدين عن مardin وعاد الى الموصل
وجوزت الخاتون وسيرت اليه فوصلت الى الموصل وهو من بعض فتوفى ولم يدخل بها وذلك في أوخر جمادى الآخرة
وكان عمره نحو أربعين سنة وكان من أحسن الناس صورة وقد فن بالدراسة التي أنشأها سلطان الموصل وخلف ولدا
ذكر أخذه نور الدين محمود فرباه فأحسن تربيته وزوجه ابنته قطب الدين ودود فمل طفل أيامه وادركه أجلة في
عنقوان شبيهة فتوفى وانقرض عقب سيف الدين وكان كرميا شجاعا عازما وحزم وهو أول من حمل على رأسه سنجق
من أصحاب الاطراف فانه لم يكن فيهم من يفعله لاجل السلاطين السجوقية وهو أول من امر عسكره ان لا يركب
أحدهم الا سيف في وسطه فلما هو بذلك اقتدى به غيره من أصحاب الاطراف وبنى بالموصل المدرسة اليتيمية
العتيقة وهي من أحسن المدارس وأوسعها وجعلها موقفا على الفقهاء الشافعية والحنفية بصفتين وبنى رباط الصوفية
بالموصل أيضا وهو رباط المجاور لباب المشرقة ووقف عليها الوقوف الكثيرة وكان كرميا قصده شهاب الدين
حيص ييص وامتدحه بقصيدته المشهورة هي من جيد شعره فأجازه عنها ألب دينار أمير سوى الاقامة والتعهد
مدة مقامه وسوى الخلع والثياب قلت أول تلك القصيدة الى الميراث في المجد في زى شاعر يقول في آخرها

اتابك ان سميت في المهدي غازيا * قسابقة معدودة في البشائر
وفيت بها والدين قداما لروقه * وصدتها والكفر بادي الشعائر

وعزى أبو الحسين أجد بن منير نور الدين بأخيه بقصيدة تقدم بعضها أولها هو الجذب التمام البدورا يقول فيها

كتاب (٦٦) الروضتين

سوى كل ماجئت الحسادنا * ما كنت ظلالا علينا قورا
أساءن وأحسن كثر الهدل * ولا تنأ منك بدر امنيرا
إذا نبع البحر أخطأته * فلا غرو أن يتشفن الغديرا
وأضغر بقصدنا الذاهب * بين ما عشت نأ نيك ملكا كبيرا
وما أغد الدهر ذاك الحسا * مما سأل حدالك عضبا تورا
قسيم علالك ونعم القس * ثم أخشاف نرا وأعطى كثيرا
وكان نظيرك غار الزما * ن من أن يرى لك فيه نظيرا
فدنت نفوس بك استوطنت * من الامن نورا وقد كن يورا
وغيرك جهد بسط العزرا * عو يولى المسلمين سمعا وقورا
وما تنقص الدهر اعدادكم * اذا شفت قطرا وأبقى ججورا
ولو أنصف المجد موتاكم * لخططهم في السماء القبورا
حياتك أحييت رميم الرجا * وأمطت من الجود ظهرا ظهيرا
بقيت معزا من الهالكسين * توفى الرد وتوفى الاجورا

وللقسرات قصيدة منها

ما أطرق الجوح حتى أشرق الافق * ان أغد السيف فالصمصام بألق
دون الاسى منك نور الدين في حلب * هلك بجحلى عن وجهه العسق
هو الشقيق الشقيق الغيب حين توى * أراق ماء الكرى من جفئك المنزق
تلقى الاسى من لباس الصبر في جن * حصينة تحتمها الاحشاء تحترق
ومدة الاجل المحتوم ان خفيت * فان أيا من دنوا طرق
وانما تحسن في مضمار حلبتها * خيل الى غاية الاعمار تستبق
شواذا التبدر الاقوام غائتبه * كان المؤخر فيها من له السبق
ان كان صنوك هذا قد توى فذوى * ففي مغارسك الانمار والورق
أو أصبحت بعده الاهواء نافرة * أبدى سيفا فعلى عليك تنفق
ما غلب من غاب عن آفاق مطالعه * الا ليمتد عن أنوارك الافق
مادام شمسك فينا غير أفلة * فالدين منتظم والمالك منتسق

(فصل) قال ابن الاثير لما توفى سيف الدين غازى كان أخوه قطب الدين مودود بالموصل فاتفقت كلمة رجال الدين وزين الدين على توليته وتجليته طيبا لسلامة منه فانه كان له الجانب حسن الاخلاق كثير الحلم كريم الطباع فاحضره ومن داره وحلة وهم وحلة وقاله ونزل بدار المملكة وحلف له الامراء والاحساد واستقر في الملك وأطاعه جميع ما كان لاخيه سيف الدين لان المرجع كان في جميع المملكة الى جمال الدين وزين الدين والمملك واستقر في الملك تزوج امرأه أخيه التي مات ولم يدخل بها الخاتون ابنة حسام الدين قمر تاش صاحب ماردن فولدت لقطب الدين أولاده الذين ملكوا الموصل بعده على ما سنده ولم يملكها من أولاد قطب الدين أحد غير أولادها قال وكانت هذه الخاتون يعمل لها ان تضع نجارها عند خمس عشر ملكا من آلها وأجدادها وأخوتها وبني أخوتها وأزواجها وأولادها وأولاد أولادها ثم كرمهم ابن الاثير في كتابه وسماهم وذكر انهم أشتهرت في ذلك فاطمة بنت عبد الملك بن خروان زوج عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان لها ان تضع نجارها عند ثلاثة عشر خليفة وهم من معاصي يرضى الله عنه الى آخر خلفاء بني أمية سوى آخرهم وهو مروان بن محمد فانه ابن عم لها ليس بمجرب والباقيون مجارم لها ومات له ذلك الابد بعد ذكره ان أمه ساعاته كانت بنى بنى معاوية فها وبه جد لها وبه جد لها لا لها ومعاوية بنى بنى يديها لها ومروان جد لها لا بها وعمها الملك أبوها والوليد وسليمان وهشام ويزيد أخوتها وعمر بن

عبد العزيز وزوجها الوليد بن يزيد بن الوليد أولاد أخوته وأمهاتهم ثلثة عشر
 قالت وهذا كله مبنى على أصل فيه خلل وهو أن فاطمة بنت عبد الملك ليست أمها عائكة بنت يزيد بن معاوية
 بل أمها امرأة أخرى وممة على ما يشتهر في ترجمته في تاريخ دمشق ولكن الصواب في ذلك أن يقال كان لفاطمة أن تضع
 نجارها عند عشر من الخلفاء وهم من وان بن الحكي ونسبه سوى من وان بن محمد وأما عائكة فالجميع يحرم لها سوى
 عمر بن العزيز ومن وان بن محمد بن أبي أئنا عشر خليفة كلهم محارم لها معا ويتجدها ويريدونها معا وبين يزيد
 أخوها ومن وان زوجها وعبد الملك وزوجها والوليد وسليمان وهشام أولاد زوجها ويريد بن عبد الملك ابنها والوليد بن
 يزيد ابن ابنها ويريد بن الوليد وأبراهيم بن الوليد ابنان بن زوجها وأولادها من محارم عائكة وأفاطمة
 كالأخوة والأعمام والأخوات وللصنف العدد كالتدوين يزيد بن معاوية وأخواته وعبد العزيز
 ابن من وان عم فاطمة ومسلمة وعبد الله ابني عبد الملك وغيرهم وذلك ظاهر إن عرف أنساب بني أمية وما ذكره
 ابن الأثير من أمر بنت هشام الدين فست الشام بنت أيوب أكثر منها محارم من المملوك بجمعة لها من ذلك أكثر من
 ثلاثين ملكا من أخوت الأربعة المعظم وصالح الدين والعاقل وسيف الإسلام ومن أولادهم وأولاد أولادهم وأولاد
 أخيه الأكره شاهنشاه أيوب بن أبي تقي الدين وذريته أصحاب جهاد وفرخ شاه وابنه الأجد صاحب بغداد

(فصل) قال ابن الأثير ولما ملك قطب الدين الموصل والبلاط الجزرية كان أخوه نور الدين يجلب وهو أكبر
 من قطب الدين فكتبه بعض الأمراء وطلبوه إليهم منهم المقدّم والدششم الدين بن المقدّم ووجهته دوزار سخيار
 فسار نور الدين حذو في سبعين فارسا من أكابر دولته منهم أسد الدين شيركوه وجمعة الدين أيوب بن من الداية وغيرهما
 فوصلوا إلى ما كسبن في ستة أنفس في يوم شديد المطر وعليهم اللباية في يعرفهم الذين بالباب وأرسلوا إلى الشحنة
 وأخبروه بوصول نفر من الأجناد كأنهم تركان فلم يستمع القاصد كلامه حتى وصل نور الدين فحين رآه الشحنة
 قبل يده وخرج عن الدار فزلا نور الدين حتى لحق به أصحابه وسار جمعا إلى سخيار فوصلها وليس معهما أنفر يسير
 فنزلوا بالبلد وأبقى نفسه على محفورة صغيرة من شدة تعبهم وأرسلوا إلى المقدّم بالقلعة يعرفهم بوجوه وكان المقدّم
 قد استدعى من الموصل لأن خبره مع نور الدين بلغ من بها فارسا إلى به فوقف عتدا أيام فلم يصل نور الدين فسار إلى
 الموصل وترك ابنه شمس الدين بسخيار وقال له أنا أتأخر في الطريق فان وصل نور الدين فإرسل من يعنى فلما فارق
 سخيار وصل نور الدين فلما علم شمس الدين بوصله أرسل قاصدا إلى أبيه بالخبر وأبى الحال إلى نور الدين فخاف
 فوات الأمر ووصل القاصد الذي سيره ابن المقدّم إلى أبيه فأدركه قبل يعرف فعاد إلى سخيار وسأله إلى نور الدين وكاتب
 نفر الدين قرا أرسلان بن داود صاحب الحصن يستجده ويذل له قلعة الحليم فسار إليه فيجده فلما سمع قطب الدين
 الخبر جمع عساكره وسار عن الموصل نحو سخيار ومعه الجبال والزئير ونزلوا بل يعرف وأرسلوا إلى نور الدين يشكرون
 عليه أقدامه واخذوه ماله لئلا يمتدده ويقصده وأخراجه من البلاد قهرا أن لم يرجع اختصار أفاعا للجوابين أنا
 الأكبر وأنا أحق أن أدبر أمر أي منك وما جئت إلى كتب الأمر أريد أن تكون أهيتم لولا يتك عليهم
 يعنى الجبال والزئير فثقت أن يحملهم العدو والافتة على أن يخرجوا البلاد من أيديهم فأما تبتدك ما يبالق بالقتال فأنا
 ما أقاتلك إلا بحدك وكان قد هرب إليه جماعة من أجنادهم فخافوا أن يلقوه لئلا يضام عليهم باقي العسكر ودخل
 الأمر في الصلح وأشار به جبال الدين الوزير وقال نحن نظهر لاسلطان والخليفة أن تسبع نور الدين ونور الدين يظهر
 للنفر أنه يجتمعنا ويهدمهم بنافان كاشفناه ومار بناه فان ظهر بنا طمع فينا السلطان وان ظفرا به طمع فينا النفر
 ولنا بالشام حصن وقد صار له عندنا سخيار فهذه أنفع لئنا من تلك وتلك أنفع له من هذه والرأى أن نسلم إليه حصن
 ونأخذ سخيار وهو في غير بارزاة النفر ويبتعن مساعدته فاتفق الجماعة على هذا الرأى وسار رجال الدين إلى نور
 الدين وأبرمهم الأمر وسلم حصن سخيار إلى أخيه وعاد نور الدين وأخذ ما كان بسخيار من المال ولما تسلم
 قطب الدين سخيار أقطعه الزئير الدين لأن حصن كانت لأخيه بنال وهو مقيم بها واتفقت كلهم ولقد تراءواهم
 وكل واحد منهم ما ليصير إلا عن أمر أخيه وطلب نور الدين أن يكون الجبال عنده فقال له الجبال أنت عندك من
 الكفاية ما يستغنى به عن وزير ومشير وليس عندك من الأعداء مثل ما عند أخيك لأن عدوك كافر فالناس

كتاب (٦٨) الروضتين

يدفعونه ديانة وأعداء أخيك مسلمون فيحتاجون من يقوم بدفعهم وإذا كنت عند أخيك فالنفع اليك عائداً وأز يدمن بلاد أخيك معونة على كثرة خرج فأجابه إلى ذلك فقال له جال الدين أنت عليك نخرج كثير لاجل الكفار فيجب مساعدتك وأنا أفزع منك بعشرة آلاف دينار كل سنة فأمر له بها فكان نائب جال الدين يقبضها كل سنة ويشتري بها أسرى من الفرنج ويطلقهم قلت وقرأت في ديوان القيسراني وقال في نور الدين عند قدمه وقد استولى على سنجار وأعمال الرحبة والفرات وذلك في منتصف ذي القعدة سنة أربعين وخمسمائة

هذا الذي ولدته الأفكار * ونجست فالأية الانحمار
وجرت له خيل النوى في حلبه * وردت وصفو خيرها المضمار
وأنت به نذر القوا في برهمة * ان القوا في وحيها انذار
حكمت لسيفك بالمالك عنوة * حكما لجرى ماعليه غبار
يا أيها الملك الأطيل تصاده * بردين يهديه الابرار
يا ابن السيف وهل نفرت نسبية * الاسماء بك للبدود فخار
فأرقت دارا لملك غرم فارق * لك من علاك بكل أرض دار
في عسكر جنى كواكب ليله * تقعا فدمها القنا الخطار
جزائر ذبال الهياج وراء * وأمامه بل يتحفل جزائر
تدنى لك الغايات أكرمته * نورية هي الملوكة كيان
حتى ملأت الخافقين مهابة * دانت لعظم نظامها الاقطار
وهلكت سنجاراً ومامن بلدة * الا تمت انها سنجار
ويسطر بالاموال كفاطالما * طالتهم الآمال وهي قصار
وجرت بامداد الجياد شعابها * جرى السيلون وما سائل قرار
ونفى القرات إلى يدك عنائه * والبحر ما اتصلت به الانهار
وهلكت رحمة مالك فتمرت جنت * منها عينك كاعب معطار
جاءتك في حلل الربيع وحليها * قبل الربيع شقائق وبنار
نشرت عليك هوى القلوب محبة * وتود لوان النجوم تشار
فأقت كلهم من المنيرة ان نامت * عن أفقها فلها به أقمار
من كان نور الدين ثم أخيه * ليل السرى حفت بها الانوار
تدعو لبلادك ألسنة الظى * فيحييك الانجاد والاعوار
حتى عمدت الدين يابن عماده * بقنا أسنتها عليه منشار
وقطعت من أسفار جلدك فادما * كالصمغ ثم ينقره الاسفار
يفشى البصار نور وجهك بعدما اعسترت على قمعائه الابصار
حتى غمرت بكل قلب صدره * حيث الصدور من القلوب قنار
ان تمس في حابر يا حاك غصنه * فلها بانطاكية اعصار
وغدت جيارك بالآدم مقبحة * ولها بأماراف الدروب مغار
هم سبعة بها إلى هوى العدى * صرف الردى ومسرها حضار
وأرى صياح النقص كان خادبعه * فطفي وجاروايس ثم وجار
خان الصنيعه غير محقوق بها * والخبير يهدم ما بنى المختار
ذهب اذا ما غبت أقدم عاليا * اقدام من لم يدن منه قراز
أعضى السلاح على عدوك بغيره * بالعدو بطعن في الوغى الغدار

في أخبار (79) الدولتين

فاحسم عناد دؤوى العناد بحفل * كالليل فيه من الصبح نهار
جند على جرد امام صدورها * صدر عليه من اليقين صدار
قد بايع الاخلاص بيعة نصرة * ولكل هادى أمة انصار
ملك له من عدله وفائه * جيش به تستفتح الامصار
واذا الماوى تناقلت عن غايه * وأزادها خفت به الاقدار
وانا انتخه الى الثغور عزه * قامت مقام جنوده الاخبار
ولابن منير من قصيدة فيه

ترشح معطف الزوراء لما * دعاك لزور سنجار لما
وزارت الصعيد وراء مصر * غداة علتك في قطن الخيام
رجاء هزتك وتلك خوف * ولو قد شئت ختمها قرام
بعشك يا مبيد الخيل ركضا * حمام هز تحتك أم حمام

وقال ابن منير أيضا بهتة بسلام قلعة حصن من بئال وأشهد في القلعة قصيدة أولها

ارحها فني ازلام المعالي * لمن الى الوغى توقى المغالي
أما ومقبله من بكل تقصع * يفتوح بالهدى عمر الضلال
وأى سيموك الجرا الحواشي * منزلة متى دعيت نزال
مواض ان سلان سلكن جزما * نفاه من الطلي لفظ اعتلال
لقد غلب الصليب بحرب * يشب أوارها لم البالي
وشمت لنصر هذا الدين ناسا * تحترق منه كل حتى حلال
وقايص أنزعت في كل فج * وقايص جوها دأى العزال
تسائل حصن عن منسى دين * تقاضاه لان الخلق الخوالي
فوانت وهى أخت النعم بعدا * ووعدا أصبع من مطل مطال
تشامخ أنفها عزا وشدت * على ان لتنال بدا بئال
فما زالت رقائك تجتد نقضا * لما تنبه من مر الحبال
الى ان أطلق الحسنة أكرها * وآل الى ملاوحسة الماني
يصدا الوحده عن شما القت * بدا الاشم ذى باع طول
شغلت بهما يمينك والمواضى * تكفل ان مصرا للشمال
اذا فتح القتال عليك أرضا * أباحك أختبالا عن قتال

(فصل) قال الرئيس أبو يعلى اتصل الخبر بنور الدين بأفساد الفرنج في الاعمال الحوزانية بالذب والسبي
فعرم على التهايب قصدهم وكتب الى من بدمشق يعلمهم باعزم عليه من الجهاد ويستدعى المعونة على ذلك بألف
فارس تصل اليه مع مقدم يعمل عليه وقد كانوا عاهدوا الفرنج على ان يكونوا اربادا واحدة على من يقصدهم من عساكر
المسلمين فاحتج عليه وغرط فلما عرف ذلك رحل وزل بهرج بيوس وبعض العسكر بعضوهم فلما قرب من دمشق
وعرف من عساكرهم ولم يعاوا ان يقصدوه وقد كانوا اساءوا الافرنج بخبره وتزروا معهم الانجاد عليه وكانوا قد نهضوا
الى ناحية عسقلان لعمارة غزوة وصالت أواظهم الى بانياس وعرف نور الدين خبرهم فلم يحفل بهم وقال لا تخرف
عن جهادهم وهو مع ذلك كافى ايدى اصحابه عن العيث والافساد في الضياع وأمر باحسان الرأى في الفلاحين
والخفيف عنهم والدعاه مع ذلك متواصل من أهل دمشق وأعمالها وسائر البلاد وأطرافها وكان الغيث قد انحبس
عن حوران والمرج والغوطة ونزح أكثر أهل حوران عن غلبا المحل واشتداد الامر فلما وصل نور الدين الى بعلبك
اتفق نزول المطر يوم الثلاثاء ثالث ذي الحجة وأقام الى مشله فروى الاكام والوهاد وجرت الاديبة وزادت الانهار

كتاب (٧٠) الروضتين

وامتلا تترك حوران وذارت ارجيتها وعاد ما صوح من الزرع والنبات طر يا وحشد الناس بالدعاء لنور الدين وقالوا هذا ببركته وحسن معيذته وسيرته ثم رحل من منزله بالا عوج ونزل بجسر الخشب المعروف بمنازل العسا كرفي السادس والعشرين من ذي الحجة وأرسل الى جبر الدين والرئيس وقال اني ما قصدت بنزول هذا المنزل طلبا لمخاربتكم ولا منازلتكم وانما دعا الى هذا الامر كثرة شكاية المسلمين من اهل حوران والعر بان بان الفلاحين أخذت أموالهم وسببت نساءهم واطفالهم بيد الافرنج وعدم الناصر لهم ولا يسعى مع ما أعطاني الله وله الجدمم الا اقتدار على نصرة المسلمين وجهاد المشركين وكثرة المال والرجال ان أقعد عنهم ولا انتصر لهم مع معرفتي لجزمكم عن حفظ أعمالكم والذب والتقصير الذي دعاكم الى الاستصراخ بالا فرنج على محاربتى وبذلك لهم أموال الضعفاء والمساكين من الرعية ظلمهم وتعد يا عليهم وهذا ما لا يرضى الله تعالى ولا أحد من المسلمين ولا يذم من المعونة من ألف فارس مزاحى العلة تجرد مع من يوثق بشجاعته من المقدمين لتخليص ثغر عسقلان وغزة قال فكان الجواب عن هذه الرسالة ليس بيننا وبينك الا السيف وسبوا غنيانم الافرنج ما يعيننا على دفعك ان قصدتنا وزلت الشفاها عاذا الرسول بهذا الجواب ووقف عليه أكثر التعجب منه والانتكار له وعزم على الزحف الى البلد ومحاربتة في غد ذلك اليوم فأرسل الله من المظالم ونداركها وادامها ما منعه من ذلك

(ثم خلت سنة خمس وأربعين) في ستمثل المحرم تقتر الصلح بين نور الدين وأرباب دمشق والسبب في ذلك ان نور الدين اشفق من سقك دماء المسلمين ان أقام على حربها والمضايقه لها بعد ما اتصل به من أجناد دعتة الى ذلك واتفق انهم بذلوا له الطاعة واقامة الخطبة له على منبر دمشق بعد الخليفة والسلطان ركذا السككة وقعت الايمان على ذلك وخلع نور الدين على جبر الدين خلعاً كاملاً بالطوق وأعادهم كماً مختماً وخطب له على منبر دمشق يوم الجمعة رابع عشر محرم ثم استدى الرئيس الى الخميم وخلع عليه خلعاً كاملاً أيضاً وأعاد الى البلد وخرج اليه جماعة من الاجناد والخواص الى الخميم واختلطوا به ووصل من استباحه من الطلاب والقرعاء والضعفاء بحيث ما خاب قاصده ولا كدى سائده ورحل عن مخيمه عائداً الى حارب بعد احكام ما قتر وتكميل ما دبر قلت وفي ذلك يقول القيسراني

للك الله ان حاربت فالنصر والفتح * وان شئت صلحاً عدم من حزبك الصلح
وهل أنت الا لا سيف في كل حالة * فطور له الحمد وطور له صفيح
سقيت الردينيات حتى رددتها * ترشح من سكر فخلص القنايص
وما كان ككف العز الاشارة * الى الخرم لو لم يغضب السيف والرمح
وقد علم الاعضاء مذبذبت جانها * الى السلم ما تدوى بذلك وما يهجو
اذا مادمه مشق ملكتك عنانها * تبهق من في ابليل انه الذبح
مضى التفت تقع الخلفين على الهدى * فلامهمه يحوى الفضلال ولا سقيح
اذا سار نور الدين في الجيش غازيا * فقولا لاييل الافك قد طلع الصبح
ثرت قلوب الشرك تسكوا رحاها * فلا زالت الشكوى ولا تدمل الحرب
صبرت فكان الصبر غير مقبلة * فسبق اليك الملك يسعي به النجم
كان القنايص حاوله وجه أمره * ولو أمهلت بلفس ما غرها الصرح
بدولتلك الغراء أصبح ضدها * بهما ولو لا الحسن ما عرف القبح
وكم من قريح القلب لوبات واردا * موارد هذا العدل ما مسه قرح
سجناك هذا الدهر جودا على الوري * على الله ما زال في طبعه شع
وقد كان يهوسم كل فضة ميلة * ونحن نراه اليوم بنبت ما يهجو
بك ابتهج الابواب واتهيج الخبي * وأتمرت الآداب واطرد المسح
ولاذت بك التقوى وعاذت بك العلى * ودانتك الدنيا وعز بك السرح
فلا قلب الا قد تلصق به هوى * ولا صدر الا قد جلا لك النصح

في الخبر (٧١) الدولتين

وما الجود في الاملاك الاتجار * فن فاته حمد الوري فاته الريح
ولم اختصر ماقلت الانسني * اعبر عما لا يقوم به الشرح
(فصل) في فتح عزاز قال أبو يعلى وورد الخبر في الخامس من الحرم من ناحية حلب بأن عسكر همام التركان
ظفر بابن جوسلين صاحب عزاز وأخيه وحصاهوا في قبضة الاسر في قلعة حلب فصر هذا الفتح كافة الناس ونوجه
نور الدين في عسكره الى عزاز ونزل عليها وضائقها وواطبة لها الى ان سئل الله تعالى ملكها بالامان وهي
على غاية من المنعة والحصانة والرفعة فلما تسلمها رتب فيها من ثقاته من وثق به ورجل عنها فاخرامسروا عاندا الى
حلب في أيام من شهر ربيع الاول قلت وذكرا بن منير فتح عزاز وغيرها وأمر دمشق في قصيدة أولها
فذلك القلوب بألبابها * وساح المسالك بأربابها
كأن ترى جند الصلح * بفتحها بقطع أصلها
اذا ما انتفت من قراع السكا * هكست وفدها وشي أسلها
تبرئ منها البرنس الثيا * ب وحلته من وقع احلاها
عشية غصت على آنب * نفوس النصارىة عساها
وقام لاحمد محمودها * يجذع مورن أزلها
تجلى لها حيدرى المصاع * أغلب مود بغلها
مورث أركاسها من أب * أكل الفوارس شرابها
همام اذا أعصر صبت نبوة * دهاها بهاشم اعصابها
مضى وجنى الكحاح الشما * دما تطق من صابها
وأوصى بها لك من بعدما * تجزع همقروا صابها
واقسم جندك ان لا يلبس * ق بغيرك ملبس أنوابها
صهبت دمشق بمشق الجيا * دزبور الوعى بين أحدابها
واصلت رايك قبل الحسا * م محمد جرة احلاها
فاعطت لك ما لم تنله يد * وفازت رقاك باصحابها
وأنت تصرف فضل الزما * م من حصن تأخير ركابها
تقوئها الجور فاستدركت * بعدلك أغبار ظبطها
وفاجأت قورس بالشائلا * نتج القنا سم اذناها
فما رمت حتى رمت بجنها * اليك أرملة ضرابها
وعزت عزاز فاذلتها * يجرى مضيق لاسها بها
باشمخ من أنفها منكبا * وأكثر من عد طورابها
دلقت لبطا أم النجسو * م في الامر ابطاء أترابها
وعذر ما دمرت ما هددت * ظنون اليساى لازلها
تفرعها بفرع الرشح ممطرة همام أوشا بها
وعوج اذا انضت اغضت * ذكاء لارسل نشابها
ومجد وديات تطير المخطوب * ملاقط ألسن خطابها
تصوب عقبان رب المذنون * متى زيتها باعقابها
وماركت حول شم الهضا * بالامجد دن لانصابها
فلاذت معتم بالسكرتا * ب وهوب المالك سلابها
معتصم الزرى والهدى * هوس السرى غير هبابها

كتاب (٧٢) الروضتين

محملى المحمل بوصف الفتى * ح ووصف الثفاني وأربابها
وتعجز مذاحه أن تحبس طيأديه فلك آدابها
بدائع لورثه دهر رومين شات حبيب باحبها
وأين ابن أوس وآياته * من اللاء أدوت بحسابها
من اللاء عاد عتيق لها * ورد عليها ابن خطابها
فايامه من حبور تكا * دبطيرها فرط أعجابها
لك الفضل ان راسلك الجيا * د وقامت أدلة أنحسابها
أقول لمؤجره بالغرو * رتطت هواها فأهوى بها
حذار فعند ابتسام الغيو * ث تخشى صواعق الهبابها
ولا تخدعوا باقرار اللبو * ث فالنار في برد أنيابها

(فصل) في صفة أسرجوسلين قال ابن الأثير سار نور الدين إلى بلاد جوسلين وهي القلاع التي شمال حلب من أهل بشار وعين ناب وعزاز وغيرهما من الحصون فجمع جوسلين الفرنج فارسلمهم وراحلهم ولقوا نور الدين وكان بينهم حرب شديدة فاجلبت عن أنهم زام المسلمين وظفر الفرنج وأخذ جوسلين سلاح داركان لنور الدين أسيرا وأخذ مامعه من السلاح فأنفذته إلى السلطان مسعود بن قنقج أرسلان السلجوقي صاحب قونية واقصرا وغيرهما من تلك الأعمال وكان نور الدين قد تزوج ابنته وأرسل مع السلاح إليه يقول قد أنفذت لك سلاح صهرك وسيا تيك بعدهذا غيره فعظمت الحادثة على نور الدين وأعمل الحيلة على جوسلين وعلم أن هو جمع العساكر الإسلامية لتقصده جمع جوسلين الفرنج وحذر وامتنع فاحضر نور الدين جماعة من التركان وبذل لهم الرغائب من الاقطاع والاموال ان هم ظفروا بجوسلين اما قسلا واما سارا فاتفق ان جوسلين خرج في عسكره وأغار على طائفة من التركان فذهب وسبي فاسحق من السبي امرأة منهم عظامها تحت شجرة فعادله التركان فركب فرسه لقاتلهم فأخذوه أسيرا فصانعهم على مال بذله لهم فرغوا فيه واجابوه إلى ذلك وأخفوا أمره عن نور الدين فارسلمهم جوسلين في احضار المال فأتى بعض التركان إلى نائب نور الدين بحمل فاعلم الحمال فسير معه عسكر أخذوا جوسلين من التركان قهرا وكان نور الدين حينئذ مجبوس وكان أسره من أعظم الفتوح على المسلمين فانه كان شيطانا عاتيا من شياطين الفرنج شديد العداوة للمسلمين وكان هو يتقدم على الفرنج في حروبهم ليعاون من شجاعته وجوده رأيه وشدة عداوته لله الإسلامية وقسوة قلبه على أهلها وأصيبت النصرانية كافة بأسره وعظمت المصيبة عليهم بفقدته وختل بلادهم من حاميتها وثارهم من حافظها وسهل أمرهم على المسلمين بعده وكان كثير الغدر والمكر لا يقف على عين ولا يفي بعهده طالما صالحه نور الدين وهادته فإذا من جانبه بالعهود والوائيق تكث وغدر فلقبه غدره وحاق به مكره ولا يحمي المكر السيئ إلا باهله فلما أسر تيسر فتح كثير من بلادهم وقلاعهم فغلبا عين ناب وعزاز وقورس والراوندان وحصن البارة وتل خالوكه ولا توكف وسوب وحصن نسرفوب بجبل بنى عليم ودلولك وممر عش وممر الجوزورج الرصاص قال وكان نور الدين رحمه الله اذا فتح حصنا لا يرسل عنه حتى يملأه رجالا وخازن كفيه عشرة سنين خوفهم من نصره بتجده للفرنج على المسلمين فتكون الحصون مستعدة غير محتاجة إلى شيء وقال الشعراء في هذه الحادثة فأكثروا منهم القيسراني قال يمدح نور الدين بعد صدوره عن دمشق واستقرار أمرها وذكور قتل البرنس وأسرجوسلين وأخذ بلاده

دعا مادعي من غره النبي والامر * فما الملك الا ما حياك به الامر
ومن ثنت الدنيا اليه عفتها * تصرف فيما شاء عن اذنه الدهر
ومن راهن الاقدار في صهوة العلى * فلن تدرك الشعرى مداه ولا الشعر
اذا لحق أسى دون غايته المني * فما داعي أن يباغ النظم والنثر
ولم لا بل أسسنى الممالك مالك * زعيم يجيش من طلائعه النصر
ليس دمشق أن كرسى ملكها * حي منك صدرا ضاق عن هه الصدر

في أخبار (٧٣) الدولتين

وانك نور الدين مسذرت أرضها * سميت بك حتى انحط عن نسرهما للنسر
خطبت * فلم يحجبك عنها وليها * وخطب العلي بالسيف مادونه ستر
جلاها لك الاقبال حورية السنأ * عليها من الفردوس أودية خضر
خلوب أكنت من هوالك محبة * نمت فانتجت بهرا وسراوى جهر
فسقت اليها الامن والعسل نخلة * فامست ولايس تخاف ولا اصر
فان صاغت عنك من بعد هجرها * فاحلى التلاقى ما تقدمه غير
وهل هي الاكالحصان تمنعت * دلالا وان عز الحيا وغلا المهسر
ولكن اذا ما تستها بصداقتها * فليس له قدر وليس لها قدر
هى الثغر أمسى بالكرد ايس عابثا * وأصبح عن باب القرايس يفتر
على انها لو لم تجيبك اناثة * لارهقها من بأسك الخوف والذعر
فاما وقت الخيل ناقة الصبدي * على بردا من فوقها الورق النضر
فن بعد ما أودتها حومة الوغى * وأصدرتها والبض من علق حجر
وجللتها نعا أناع شياتها * فلاشهم شهب ولاشقرها شقر
علا النهر لما كثر القصب القنا * مكاثرة في كل نهر لها نحر
وقد شرقت أجراقة بدم العدى * الى ان جرى العاصى ومخضاه غر
صعدتهم صمدع الزجاجة لايد * لجأ برها ما كل كسر له جبر
فلا يتخل من بعدها الفخر دافل * فن بارز الابرز كان له الفخر
ومن بر انطاكية من مليكها * أطاعته أخطأ المزللة الخزر
أخو البيت لولا غدره نزعته * الى الذئب ان الذئب شيمته الغدر
أق رأسه ركضا وغودر شواه * وليس سوى عافى النور له قبر
وقد كان فى اسبغائه كمنة * هى الفتك لو لم تغضب البيض والسمر
كما أهمدت الاقدار لثمن امره * وأسعد قرن من حواء لك الاسر
طغى وبنى عدرا على غسلاواته * فاقوبه الكفران عدواه والكفر
والقت بايديها اليك حصونه * ولولم تجب طوعا لجاء بها النفر
وأمت عزازك منها بك عزة * تشق على النسر لو انها الوكر
فمر واما الدنيا ضياء وبهجة * فبالاقى الداجى الى ذا السنأ فقر
كانى به هذا العزم لافل حده * وأقصاه بالاقصى وقد قضى الامر
وقد أصبح البيت المقدس طاهرا * وليس سوى جارى الدماء له طهر
وقد أدت البيض الحساد فروضها * فلا عهدة فى عنق سيف ولا نذر
وصلت به راج النسيجي صوارم * مساجدها شقم وساجدها وتر
وان يقيم ساحل البحر مالكا * فلا عجب أن يملك الساحل البحر
سلات سموا أن كلت كل بلدة * بصاحبها حتى تحرقك البدر
اذا سار نور الدين فى عز ماته * فقولا ليل الافك قد طلع النفر
ولو لم يمر فى عسكر من جنوده * لكان له من نفسه عسكر حجر
مليك سمى شم المنابر باسمه * كما زهيت تهباه الانجم الزهر
فيا كعبة مازال فى عرضاتها * مواسم حج لا يرؤعها النفر
خلعت على الايام من حلى العسلى * ملابس من أعلامها الجند والشكر

كتاب (٧٤) الروضتين

وتوجت نعر الشام منك جلالة * تجنت لها بنفسي دلولاً لها نعر
فلا تغتر مصر غلينا بنيلها * فبناك نيل كل مصر بما مصر
ردت الجهاد الصعب سبلا سيده * وبالطبا أمدى ومسلكة وعمر
وأطمعت في الأفرنج من كان بأسه * تحوّل أن يعتاده منهم ففكر
وأقمت جرد الخيل أعلى حصونها * ولولاك لم يهجم على كافر كفر
ومن يدعي في قبلك الشرك شركه * أذا لم يكن عند القوافي له ذكر
هي القاتلات الحافظات فر وجها * فشاهدا عدل ورافقا سحر
ولم يكن في فضلها وكمالها * سوى انبهاض بعد عمر الفتي عمر

وله من قصيدة يصف فيها من وقائعها أولها

أما وخيال زار من أحبه * لقد هاج من ذكره مالا أعبه
أذا ما صبا قلب الحب إلى الصبا * ذكرت نسيما بالشغور مهبه
فيائنحات الشام رفقا بهجة * يحايي عليها دنق القلب صبه
فلا تسألن الصب أين قواده * فإن فؤاد المرء مع من يحبه
وفي شعب الأكرار من هو عالم * غداة استطار البرق من طاربه
يشتم نور المنزني تمهي كتابها * سنا بشر نور الدين تهل سحبه
أذا ما سما في مهمم الخضب وجهه * تمزق عن بدر الجنة سحبه
توالت بين الغيث والليث والتقى * منافسة أي الشـ ثلاثة تربه
بعد مضاء في الظبي لأضر به * بهما قلل الأعداء ما السيف ضربه
مكين الخبي أرضي الزمان بنفسه * إلى الآن حتى لأن وانقاد صبه
حي قبة الاسلام بالخيال فاغتدت * وأوتادها جرد الطعان وقبه
فكم هبوة أوقعت بالصفحة تحتها * فما انشعبت إلا للذل جنبه
كيوم الرها الورقاء والحمام يانع * ملي برعي الهند والى خنبه
وشبهاء هاجتها وغي صرخية * ثناها وأبل الحرب ينقض شهبه
وعارم يوما بالعربية فاغتدت * كوادى مؤذرا في سقيه
وعاصي على العاصي بارعن خاطب * دم الأفك حتى أنك النصل خطبه
بأنبما الصكسب المال وانثى * بصاحب انطا كية وهو كسبه
غداة هوى شطرين للسيف رأسه * واترجم حتى توج الرأس قلبه
على حين الخطى فيسه عوامل * يعاقبه خفض الحسام ونصبه
وقالهم مجودة النصر لم تزل * غروبها عن موطن السيف غربه
يقوم مقام الجيش فيها وعيده * وتقل أفعال الكنايب كنبه
وحين انتصته عزيمة من قرابه * مضى وهو نصل والجمل كقربه
إلى أن دعته ربهما لكل بادة * فليس من الامصار ما لا يربه
ولما يرى بالنص يحجب هوى به * على أمر رأس البغي والغدر يحبه
فاصبح في الجليل ينكر خطوه * بعيد على الرحلين في السعي قربه
تعاقبه البشري بأخذ حصونه * فيا غايا ضرب البشر ضربه
تنسجى عزازيا بسسه تل ياشر * فيلعنه لعن الصريح وسبه
فان يكن الماهد من تل عرشه * فهذا دال الكفر قطاط طبه

في أخبار (٧٥) الدولتين

فقل للملوك الخافقين نصيحة * كذا عن طريق الليث برأرغلبه
وخلا عن الأفاق فالشرق مشرقه * بحكم الردينيات والغرب غربه
ولا يعتصم بالرب طاع على القنا * فان القناني نغرة الخردوبه
رحيب فضاء الخلد عن ذات قدره * اذا ضاق من صدر الملك رحبه
عفو عن الجاني بكاد الذي جنى * يعكز به شوقا الى العفو وذنبه
أخذ الاخلاص لله جنسه * ومن يعتصم بالله فإلهه حسبه
أولئك استرذال السام بالسيف عنوة * ولاروم بأس طامغانا خطبه
اذا ذب عن أضغاث نديسه مالك * فانت الذي عن حوزة الدين ذبه
رأيت اتباع الحق خير مغبة * فافرح عن رأي يترك غبه
وأوضح ما بين الفرقين سنة * بهما عرف المربوب من هوربه
وبنت نور الدين ما كان يتقى * دليلا بأن الله من أنت خربه

وقال ابن منير يمدح نور الدين بظاهره

هيات بعضهم من أردت حذار * اني ومن أوهائك الافذار
طلعت عليك بجوسلين ذريعة * لاسهل انشائها ولا امرار
وسعادة ما زلت تمرى خلفها * فشف وهو الناق المذار
فارتك ما يجني الوقى وقاؤه * وأرتبه كيف تحب التفسار
عود أمر على ابارك طلعه * فاحيل ذلك البر هو وار
ما زلت تنعم وهو يكفر عاتيا * والله يهدم ما بين الكفار
حسنى أناس لقومه ماجزه * لنود من عقر الفصيل قدار
اسرى فاصبح في برائن اسما * لزال يدعى ظفروه الاظفار
مهب التلاد من البلاد وما حوت * ان السباحة للبحار بحار
يقظان يخشى الله في خالواته * لا مترف لاه ولا جبار
نصب المراقب العواقب ناظرا * فيها كذلك تربأ الاربار
لا كالأذن فيجأوا حسواتها * وتفلسوها بعد وهي خسار
درجوا وأدرج في ملف رفاتهم * اسوا نساء لذكرها الآثار
والمرء من يضوى فينشرطيه * ما ودعته صدورها الا خيار
قل للأولى ناموا على ناماته * ما كل هبة يارب اعصار
لاتأمنوا في الله بطشه نائر * لله ملل سريره اسرار
صاف اذا كدرا المعادن عادل * ان حاف حكام الملوك وباروا
أعلى أبوه له الجباد وشيدى * صموا بها ما ابتداء منار
محمود المجد آثارا اذا * نفاذت على جيد الدجى الاسمار
دانته له الايام صاغرة كما * دانته في ظله الامصار

وله من أخرى أولها (ما الملك الامحاك المجاهد) يقول فيها

وتدين حسده لمحكم آية * والفضل ما شهدت به حساده
شمس اذا ما الحرب رجزها * حمل المعاق ذكره وطبراده
الوى الدجى الشريرة جهده * وأذل ناصية الضلال جهاده
صعد البرنس وقد تلا برقه * وأطارسا كن جاشه ارجاده

كتاب (٧٦) الروضتين

ولي وقد سلت فسالت ضغنه * نرنا بقى فوده من فؤاده
مستلثا مستسبلا لاعدته * رد المنا عنه ولا استعداده
ولجوساين احشمن فاصبحت * نهى لمن بلاده ونلاده
جاءت به بعد الشمس عوايس * قوديلين لعنه حق قياده
وبه تصيدك السعود وكلما * بنحو خير من أردت مصاده
داني له قبناه أدهم كلما * غناه طار شماته عواده
سلبت عز ازعزاه وبقوس * محجوبة فرشت له اقواده
وتسل خالد يوم تل جبينها * خلط الثرى بجبينه اخلاده
وغدا يباشر تل باشر قلبه * باجر ما جل القلوب عداده
مننت أمانيه بشايرك التي * عادت لمن ما ثما أعياده
وجوبت ملكك من نظم نعوره * حليسا تنياه تحته اجباده
لا يحدك فاما اصلاح من * يخشى انتشاط خناقه افساده
أنزله حيث قضت له عدراثة * واحداه طغيانه وعناده
في حيث لا يارى له هجانه * حقه او يكشط جلده جلاده
وشن هدمه بنى الضلال بهدمه * وعدت عبادك عنوة عباده
فتصكت به آيات من محمد * ولد ينسه ابداره وعواده
أوانشط الادا الحرام توأمت * ثنى عليه تلاعه ووهاده
ولوان منبره أطاق تكلمها * نطقت ساهر فضله عواده
نام الخليفة واسطال لذنه * عن مدتيه واستطهر رقاده
رجعت لك العز القديم بسوفا * سارزان رونق ما ثما اغماره
من بعد ما نعت الصليب لجزبه * ورأيت زرع الملك حان حماده
انني تيسل الحاديات رواقه * بهجوها وابن العماد عماده

(فصل) قال ابن الاثير لما سار نور الدين الى قلاع جوساين ملك بعضا وأبقى بعضا فاجتمعت الفرع فالتة
مع نور الدين بدلولك فهنهم واستولى على دولك وغيرها ففهم يقول أجدين منير قصيدة منها

هي الخيل خير عتاد الكرى * يسهم يحضر لا يسهم احضارها
لقت فأدرت افواهها * وسرت فقلت أظفارها
الام ولم تيسق مما غرد * تقلوبا تكابد اذ عارها
أما في مفضل أى القبرا * عان تضع الحرب أوزارها
عسى ان تحم هذا الجنا * ما أن يتوكر أو كارهها
وما يوم من غنائه واحد * فتودعه اللسان أشعارها
وأين المقاول مما فعلت * ولو شفع الفظراء كثارها
فكم جلبت خلفك الجانحا * تفصل لصل فخرها
أعدت بعصرك هذا الانساق فتوح النسي واعصارها
وكان مهاجرها تاييدك * وانصارا رأيت انصارها
فصدت اسلام سليمانها * وعمر جسدك عمارها
وما يوم أتب الاكثي * لك بل طال بالبع اشبارها
وأيا ملك الغرم بعسده * يعيد الى الطي اغرارها

في أخبار (٧٧) الدولتين

ولما هببت بصرى سمكت باهباء خيلك ابصارها
ويوم على الجون جون السرا * * * * *
صدمت عزيمتها صدمة * * * * *
وقتل باشر باشر تسمم * * * * *
وان دالك كتمهم دلوك فقد * * * * *
وشب التدا امر حتى طلعت عليها فولت أدبارها
مشاهد مشهورة غنمت * * * * *
يلذ الا غنى ترجيعها * * * * *
بنيت لوفد المني كعبه * * * * *
ملكك الاراضى مغبره * * * * *
فما زلت تدجن حتى محو * * * * *
وصلت فاعززت مسكنها * * * * *
وصغمت حتى من على أحكمت * * * * *

قال أبو يعلى وفي رجب وردت الاخبار من ناحية نور الدين بظفره يسكن الافرنج النازلين بازائه قريبا من تل باشر
وعظيم النكاية فيهم والفتك بهم وامتلأت الايدي من غنائمهم وسبيهم واستولى على حصن خلد الذي كان مضايقة
ومنازله قال وفي أيام من الحرم وصل جماعة من مجاهيد العراق وخراسان المأخوذ في طريق الحج عند عودهم
بجماعة من قفار العربان وحكوا مصيبة منازل مثلها بأحد في السنن الخالية لا يكون أبشع منها إذ كثرته كان في هذا
الحاج من وجوه خراسان واعيانهم واقفة انما وعلماؤها وقضاها وخوائين أم العساكر السلطانية والحرم العدا الكثير
والاعمال الجبة والامتعة الوفرة فأخذ جميع ذلك وقتل الاكثر وسب الاقل وهتك النساء وسلبن وهلك من هلك
بالجوع والعطش فضاعت الصدور لهذه المنازلة فكسا العارى منهم وأطاع لهم ما استعانوا به على عودهم الى اوطانهم
من احباب الروعة بدمشق ذلك تقدير العزيز العليم

(فصل) قال وكان مجاهد الدين بزان قد توجه الى حصنه صرخديبة فقدأحواله فوضعت نفرة بين مجير الدين
والرئيس بسعيات اصحاب الاغراض والسادات اقتضت الحال استدعاء مجاهد الدين لاصلاح الحال فوصل وتم ذلك
برسايته على شرط ابعاد الحاجب يوسف صاحب مجير الدين عن البلد مع احمائه وتوجه وادلم تعرض لشئ من
أموالهم وقصد بعلبك فأكرمه والها قال ووردت الاخبار من مصر بالخلع المستقر بين وزيرها ابن مصال وبين الامير
المظفر ابن السلا ووقع الحروب وسفك الدماء الى ان أسفرت الحال عن قتل ابن مصال الوزير وانتصاب ابن
السلا موضعه في الوزارة قال وفيه في سابع عشر رجب توفي القاضي بهاء الدين عبد الملك ابن الفقيه عبد الوهاب
الحنبل وكان اماما فاضلا مناظر امستة قلاما قتيما على مذهب الامامين اجدوا في حنيفته بحكم ما كان عليه عند اقامته
بخراسان لطلب العلم والتقدم وكان يعرف اللسان الفارسي مع العربي وهو حسن الحديث في الجدة والحزل وكان له يوم
مشهور ودفن في جوار أبيه وجده في مقابر الشهداء قال وتوفي عقيب وفاته الشريف القاضي النقيب فخر الدولة
أبو الحسين ابن أبي الحق وتجمع الناس لحببته وشرف بيته

(ودخلت سنة ست وأربعين) فمجاهد نور الدين دمشق معاودة أهلها الافرنج واستنصارهم بهم ومدح ابن منير
بقصيدة يحرضه فيم اعلمهم وكتبهم اليه من حماء وهو محاصر دمشق وقد تخلف عن الخدمة امرض غرض له منها

اخليفة الله الذي ختمت له * * * * *
لا المستطيل بمصر ظل قصوره * * * * *
يا نوردين الله وابن عماده * * * * *
صقر بجدا سيف دار اسباب * * * * *

سنة ١١٢١

كتاب (٧٨) في الروضتين

هم شيدوا صرح النفاق وأوقدوا * ناراً تفتش بهم غدا في المحشر
 إذ كوا بطلق حرها واستسمرت * لخصائهم بين الصفا والمشعر
 شردتهم من خلقهم مستجدا * ما ظاهرا لكفار من لم يكفر
 لا تعف بل سقى الهدى نفس الذي أذرع الضلال على أغره * فلهذا في الخلد الخبير
 قلده ما هدى على * لم حجب * لم تحت كالعش من متنصر
 ما العش بمن أمه نصرانة * ما غار من سنن الملوك العبر
 إذ كنت لنا هدى العزائم لا خبت * يا العزير يوقظ المستنصر
 انقلب آراء المعز وخفق را * لا يدرك القايات غير مشعر
 شمر فقد مدت اليك رقابها * واجتبى بالعرش ألف المشكر
 أوست من ملائكة البسيطة عدله * دم الحفية بالتيتم الأصغر
 حذب الالب البرالكبير ورأفة * يؤمن ومن يتولى عنها يكفر
 يا هضبة الإسلام من عصمها * انبت بنيتها بكل مذكر
 كانوا على صلب الصليب سدا * لا قصي فمن مادنسوه وطهر
 آثارهم أنفاس أزال المستجدا * بلها ملك المتدمشق المنصر
 جارا الخيل ومن بغرة هاشم * استماع جهنم وسيف البربر
 بعمرهم صلبت وعاءه عرى * لا فاء بل سعد السعود الأكبر
 يفتخر عن ملك الملوك منحل * ومتم الاحسان غير مكدر
 عن طاعن الفرسان غير مكذب * ساد في غاب الوشجج الأصغر
 بدر الجحافل والمحافل فارس الآ * عذر المقل وبان عجز المكتر
 ملك تساوى الناس في أوصافه * في سائر الاتفاقيات من معسر
 يا أيها الملك المهادى جوده * في ظل ملكك غاليات الأهر
 ان القصائد أصبحت أوكارها * فانا الذي غبرت في وجه السرى
 ان كنت أحييت ابن جودان لها * ولانت أكرم من أناس توهوا
 في سائر الأوقات والقبول * باسم ابن اوس واستخضوا البحرى
 ذلك لوليتك الرقاب ولا تزل * ان تغر تعمر أرقماتك تظفر
 وكتب اليه من جهاه أيضا وهو محاصر دمشق قصيدة ينال فيها من صاحبها يقول

ابوك أب لو كان للناس كاهم * أباورضوا وطء النجوم لفتندوا
 ومامات حتى شد ثمة ملكه * بك الله ترى مارماه فتصرد
 صدمت ابن ذى اللغدين فامتلئ عقده * وكاسلك قدأ مسى يحل ويعقد
 يقلب خلف السجف عينا مهيمنة * ويكي بأخرى ذات شتر ويسعد
 ولا غرو قد أبقي أبوه وجده * له كل يوم ثوب يحضر يجدد
 فيارا كما اما عرضت قبلن * بيوتنا على جبرون بالذل تعمد
 وقل لمبيد الدين وهو بجده * برغم له وجهه الحقيقة أربد
 حلت الصليب باغيا وتبدته * ونفرك مطووس النبات وأرد
 وحاربت خرب الله والله ناجر * لناصره ودين احمد احمد
 تنصرت حينما والبلاء موكل * ولابد من يوم به تتم — وود
 وأقسم ماذا في المود بالبا * وموضعها من تحت نصر أسود

في اخبار (٧٩) الدولتين

كيعض الذي جرحته قسوطه * وأيد نفسه من عساك المؤيد
ولا يتسه عزل اليك موجه * وتحيته قتل عليك مؤيد
رمالك بساقلا دمشق فليكن * سوى بقلة جقاء بالحق تصد
وجالدت جلادا وأنت مؤاث * نذ كرت والجلاد أدهى وأجلد
تطارات لانفس تسمى ولا أب * وراءك زحفا انما أنت مقعد
امسعاة نور الذين تبقي ودونها * دسنة تبروالعوامل تعصد
بجمود الحوذية وساعدا * حملت القذنا جثك صما مؤيد
وهل يستوى سارتا سداو يا * ونشوان بعسا معصما مؤيد
تنصرت اما بل تجست والدا * وعاف عرق الكفر قبك مر دد
تخذت بني الصوفي اسرا واسرة * لكي يصحوا ما في يدك فأفسدوا
لعمري نعم العبد أنت تجميعه ال * حوالى وتوليه هوانا فيصمد
اليك بني العلات عن متشاوس * له الشام مر فوالعراق مر فد
وما صر الابطس امصاره التي * الى أمره تسمى قاه وتخذ
اثيروا اليه فهو أرحم قادر * له الصفح دين واقبال النصع ترشدوا
ولا ترشوا نفس المؤيدانه * عن الخبر روى أو الى الذين يسند
وفروا الى مولاكم والذيله * عليكم أيا وسهاليس يجمد
ولا تكفر وه انما أنتم له * ومته ويوم عند حوران بشهد
غدا على الجولان جول والظبي * رعدو فربص الموت من برعد
ولما كثر اليوم واربتوجهه * وعوز مرهون وفر من يد
وأيقن من بين السدير وجاسم * بان الجزار السود بالجرع جرد
ردتهم على بصري وصرت خيله * وقد أنصرت بصري رداه وصرخد
وطاروا من المراهقات طلاهم * كما انصاع من اسدناهم مشرد
وليلة ألقى الشرع بالمرج بركة * ومازج نيران الوشى تنوقد
رى وأخذه مغرب الشمس دونكم * مشرقها غضبان بعدو ويستد
تخذور دماء الارط مغدة * أنارت بشور اغلة ليس تبرد
أيا سيف شامته يد الملك صارما * نعيمه اذ يسرى ويسرى فيهمد
دمشق دمشق انما القدس سرحت * ومركها صرح عليها مر د
جوها لكي يجهوا وقد بالغ المدي * بهم أجعل حتم وعمر محدد
مقي اناراء طائر الفتح صادحا * يرفرف في أرجائها ويغرد

وله من قصيدة أخرى

نذكك بالقطعة قد ضمنت * وبوتها بعسه ومقرها
أطلع لها الشمس من جبينك لم * ترج سواها في النجوم جفناها
فالخيل صور الى تساهم سهمي * هاوملها في بيت هياها
دولة من دانت البلاد له * وهما له فاعناها
لا سواها يليق بهجتها * ولا سواه تبقي رعاها

قال أبو يعلى وفي عاشر المحرم زلت أوائل عسكر نور الدين على أرض عذرا من ٤٤ دمشق وما والاها وفي الغد قصد
فريق وأفرغهم ناحية السهم واليرب وكثروا عند الجبل لعسكر دمشق فلما خرج منها اليهم أسرع النذر اليهم فقتلهم

وقد ظهر الركنين فانهزما الى البلد وفي الغد نزل نور الدين بعسكره على عيون فاسر يابن عذرا ودومة وامتدوا الى تلك الجهات فنزلوا من الغد في اراضي حجير اوراوية في الحلق الكثير والجبل الغفير وانسطت ابدى المفسدين من العسكر دمشق والاوراش من أهل العبث والفساد في زرع الناس فقصدها وفي الثمار فافنوها بالامانع ولا دفع وقصر السعير وانقطعت السابلة ووقع التآهب الحصار وواقترب نزل نور الدين الى ولاية البلد يقول اناما اوترا الاصلاح أمر المسلمين وجهاد المشركين وخلص من في أيديهم من الاسارى فان ظهرتم في عسكر دمشق وتعاذنا على الجهاد فذلك المراد فلم يعدا الجواب اليه بما رضاه فنزل في أرض مسجد القديم وما والا من الشرق والغرب وبلغ منتهى الخبي الى المسجد الجديد قبل البلدة قلت هو الذي يسمى في زماننا بقبة المعتمد من مسجد القديم ومسجد القوس قال وهذا منزل ما نزله أحد من مقدسي العساكر في سلف من السنين وأهبل الزحف الى البلد اشفاقا من قتل النفوس ووصلت الاخبار باحتشاد الفرنج واجتماعهم لانجاد أهل دمشق فضاقت صدور أهل الصلاح وزاد انكارهم امثل هذه الاحوال المتكررة وانما وشأت في كل يوم متصلة من غير من احقة ولا بحجارة فبرزل ذلك الى ثالث عشر صفر فرحل العسكر النوري من هذه المنزلة ونزل في اراضي قدايا وحلق بكتين والحمامسين المصافة للبلد وما عرف في قديم الزمان من أقدم على الدوم ثم رحل في العشرين من صفر الى ناحية داريا واصل الاراجاف بقرب عساكر الافرنج من البلدة فتوة عزمه على لقائهم وصار العسكر النوري في عدد لا يحصى وفي كل يوم يزاد بما يتواصل من الجهات وطوائف التركان ونور الدين مع هذه الحبال لا يأذن لاحد من عسكره في التسرع والظهور ولا يعوذن الا حاسرين مغالين وأقام على هذه الصورة ثم رحل الى ناحية الاعوج قرب عسكر الافرنج وعزمهم على قصده واقتضى رأيه الرحيل الى جهة الزبداني استخراهم وافرق من عسكره فبقا بانهزأ بعين ألف فارس مع جماعة من القديمين تركوا في أعمال حوران مع العرب لقصص الافرنج ولقائهم وبقا لوصولهم وغرور العسكر دمشق اليهم واجتماعهم بهم ثم يقاطع عليهم واتفق ان عسكر الفرنج في رحل عقرب رحله الى الاعوج ونزل به في ثالث ربيع الأول ودخل منهم خلق كثير الى البلد لقتل احوالهم فخرج حجير الدين ومؤيد الدين في خواصهم واجتمعوا ففر من الرعية واجتمعوا اليهم وخرجوا صه وما صادفاه عند شياهم في النفوس من كثرة لا تقوى بغير بينهم انزول بالعساكرين على حصن بصرى لتلكه واستغالل اعماله ثم رحل عسكر الافرنج الى رأس الماء وليتها فخرج العسكر دمشق اليهم ليجزهم واختلافهم وقصد من كان بجوران من العسكر النوري ومن انضاف اليهم من العرب في خلق كثير ناحية الافرنج لا يبقاعهم والنكاية فيهم والتجاء عسكر الافرنج الى لجأ حوران للاعتصام بهم ونفى الخبر الى نور الدين فرحل ونزل على عين الحرم البقاع عائد الى دمشق وطالب اقصاء الفرنج والعسكر دمشق وكان الافرنج حين اجتماعهم مع العسكر دمشق قد قصدوا مصرى لمضايقتها وحجارتها فلبت ذلك لهم وظهور اليهم سر خالها واليهافي رجاله وعادوا عنها حاسرين وانكفأ عسكر الافرنج الى أعماله وراسلوا بحجير الدين ومؤيد الدين ليمسوا باقي القطيعة المبدولة لهم على رحيل نور الدين عن دمشق وقالوا لولا نحن ندفعه ما رحل عنكم قال أبو يعلى وفي هذه الايام ورد الخبر بوصول الاسطول المصري الى شعور الساحل في غاية من القوة وكثرت من العدو فذكر ان عدته ما اكبه سبعون مراكبية مشحونة بالرجال ويخرج مثله في السنين الحالية وقد اتفق عليه فيما حكى وقرب ثلثمائة ألف دينار وقرب من يافا من شعور الافرنج فقتلوا أسرا وأحرقوا ما ظفر وابه واستولوا على عدته وافرقة من مراكب الروم والافرنج ثم قصدوا شعور عكافضه اوافيه مثل ذلك وحصل في أيديهم عدته وافرقة من المراكب الحربية الفرنجية وقتلوا من حجاجهم وغيرهم خلقا عظيما وقصدوا شعور صيدا وبيروت وطرابلس وقعدوا في السلك مثل ذلك وعد نور الدين بحجير الدين ناحية الاسطول المذكور لانه قد علم على تدبير الفرنج فاتفق اشتغاله بأمر دمشق وعوده اليها لمضايقتها وحديث نفسه بما كملها بضعه فاهمل الاجناد والريسة اليه وأشار لهم لولا بته وعدله قال وذكر ان نور الدين أمر بعض عسكره فبلغ كمال ثلاثين ألفا مقاتلة ثم رحل ونزل بالدمية من عمل البقاع ثم نزل بأرض كوكبا في داريا ثم نزل بأرض داريا الى جسر الخشب ونودي في البلد بفرج الاجناد والاحداث اليه فليظفروهم من الاليسيرين كان يخرج أولًا ثم يتقدم ونزل القطيعة وما والاهاود نامها بحيث قرب من البلد ووقع المناوشة بين الفرنجيين من غير

في اخبار (٨١) الدولتين

زحف ولا شبق محاربته قهر حرام قتل المسلمين وقال لا حاجة الى قتل المسلمين بأيدي بعضهم بعضا وانا اوفرهم ليكون بذل نفوسهم في مجاهدتنا المشركين قال وورد الخبر الى نور الدين بسلامة نائبه الامير حسن الميحيى مدينة تل بآشر بالامان في الخامس والعشرين من ربيع الاول وورد مع المبعثر جماعة من اعيان تل بآشر تقرير الاحوال وتردت المراسلات في عقد الصلح مع أهل دمشق على شروط واقترحات وترد فيها التقي بهان الدين على البلخي والامير أسد الدين شيركوه واخوه نجم الدين أيوب وتقارب الامر في ذلك الى ان استقر الحال على قبول الشروط المقترحة ووقعت الايمان من الجبهتين على ذلك والرضى به في عاشر ربيع الآخر ثم رحل نور الدين من الغد طالبا ناحية بصرى للترول عليها والتمس من دمشق ما تدعو اليه الحاجة من آلات الحرب لان واليهام سرخاك كان قد شاع عصبانته بخلافه ومال الى الافرنج فاعتصم بهم فانكر نور الدين ذلك عليه وانفض اليه فربقاوا فرامن عسكره قات ولاين منير في نور الدين بذكر وتعه الجولان وغيره اقصيدة اولها

ما برئت يعضك في غمامها * الاويث الدين لا تسامها
محمود المحمود جسد او جدا * ارض خض جلد الارض حكم عامها
ملك ازال الروم عن صلبانها * دفاعه وكب من اصنامها
جال على الجولان امس جولة * صفت الادنى من نعمها
والجبون قد جرعهما اجونه * وفل مشعوذان من اعتزامها
وشد في القذله مليكة * قودعته القوط في شبامها
وفي الرها صابت له سحابة * صاروا جفء خفف في التطامها
وهب في هباب له عواصف * قجهتها اللف من جهامها
وكفر لاثاث في جديتها * لثم طيبت على اشامها
وقابع برقص تحت وقعها * نظم الثريا في فضا مصامها
فساعة البيض اذا عدها * سوط عذاب صب في ايامها
واجبنا لعصب الشوك التي * لم يعصب الزبد على احلامها
حكمة استواؤها في غما * في نقض ما احصدهن ابرامها
مظفر الرايات والرايات اذا * عرب مشيت تعثر في خطامها
عسدت به حد العلاء هم * هن النجوم أو نواصي هامها
جالت له الدنيا على زرحها * عفو اقل ياد على خطامها
رأته وهو اللمث يدعى ظفره * ازدد في المشكل من حكامها
فتوجه العزفي من تيمسة * تطلق الجوزاء في نظامها
غضبان لا لاسلام لا يغيه له * تسلمها للقمير من اسلامها
خط على مثل اطاعت له * دفاق واستشرف لا غشامها
تصرف الدنيا على ايشاره * عراقها مسترد فاشامها
لوم يكن دون منى فات المني * واقعد الفائر من قوامها
وامتك فيمها كره راضع * يقصر باع الدهر عن فطامها
وصار كالبحر الجمار وخلا * من أهله الاشرف من مقامها
ودونها لازلت ترقى في حي * من مؤلم الارداء او امامها
تلبس بيت الله وشي يمن * يقرأ آياتك من اعلامها
فانما الدين رحي قطبها * وبازل مكنت من زمامها
امت بنا الامال منك كعبة * سلم اليماني اية استلامها

كتاب (٨٢) الروشدين

وارشفتنا بك ثمر نعمة * لانسأل الله سوى دوامها

وقال أيضا يمدحه .

بجذلك اصحب الجند الحزون * واطلع جفره الفخ البين
وفي كنفك سولت الالبالي * وفارق طبعه الزمن الخزون
ومنتك تعلم القطع المراضى * وقد زينت بها الحرب الزبون
وائت السيف لم تمسه نار * ولا شجعت مضاربه القمون
ترقرق فوق صفحته الاماني * ويقطر من غرابيه المنون
وقبلك ما سمعت بذى فقار * يثير الفقر كان ولا يكون
ولا غيث سعادته سرر * ولا لث وسادته عرين
ولا قلب له الهوى هال * ولا تاج له الدنيا جبين
جبلت ندى وعفو وانتقاما * وماه كل جمهور وطن
وملك عمر الاقطار قطرا * فامرعت الاواعث والحزون
تلا لثحتهم غسر الاليك * اذ الايام عند سواك جون
وائت ائت للجدوى منارا * بين لسانه ولا بين
وعندك مشرب النوى زلال * اذا عرفت مشارم الاجون
تحكم في عطائك كل عاط * وقد شيدت من المنع الحصون
لقد اشعرت دين الله عزرا * تنبه له المشاعر والحجون
وقام بنصره والناس فوضى * قوى منك في الجلى ائمين
رجعت ملوكهم وهم خيوف * اسيرى صفادك او تكون
فهرست البرنس لفساخ خف * وحزمر جوسك جوسلين
اذا ما الفعل على تلا محذوف * يتاح له سواه اوسكون
غذرا حتى غزوتهم فنى الصمدى في ارضهم حف القطبين
وكهم عبر الصليب بهم صليب * فردته قتلك وفيه لين
وما خطرت بذار الشرك الا * هوى الناقوس وارفع الاذن
ملأت عظام ساحهم عظاما * فكل صلا لقولك به جرين
وبينهم القنا تجري تجبعا * كان عيون اكعبها عيون
وبين حارص خيد ذن حرا * له فى كل حجة كمين
وفين من العزيمة فى عرام * له فى جونها الاقصى وجون
وكم حرم لحارم غادرته * ودارته لمنسحقها درين
وفي شعرا قورس صغن شعرا * تدار على غرابيه الجون
وقال صرن فى صنعا طيرا * يوتها على عدن عدون
ثم لك اب اذا عدت اتسابا * تراقى مصعدا والناس دون
شمالا كان املاك البرايا * وقد قسوا به وهو اليمن
فصار قضاؤه فى الارض حتما * فطاعة اهلها اليمنه دين
لهذا اليوم تنتخب القوافى * وبذخر نفسه الذرا لصون
وتحن احق منك بأن نمسى * اذا قربت برؤيتك العيون
سألت لنا فانا ككل صعب * نواز به بأن تبقى يهون

في أخبار (٨٣) الدولتين

ترابطنا بعقودنا انتهى * ونعطينا بدولتنا القرون

(فصل) في باقي حوادث هذه السنة قال أبو يعلى ووردنا الخبر من ناحية ديار مصر بأن أهل دمياط حدث فيهم فناء ما عهد مثله في حديث ولا قديم بحيث أحصى المنقود منهم في سنة خمس وأربعين فبلغ سبعة آلاف شخص وفي سنة ست وأربعين مثلهم فصار الجميع أربعة عشر ألفاً وخلت دور كثير من أهلها وبقيت مغلقة لاسأكن فيها ولا طالب لها وفيها في ثاني جمادى الآخرة توفي القاضي السديد الخطيب أبو الحسين بن أبي الخديج خطيب دمشق وكان خطيباً بليغاً صانعياً عفيفاً ولا يركن له من رقوم مقامه في منصبه سوى أبي الحسن الفضل وأولاده وهو حدث السن فنصب مكانه وخطيب وصلى بالناس واستمر الأمر له ومضى فيه قال ووردت الحكايات بحدوث زلزلة وأفت الابليلة الثالثة عشرة من جمادى الآخرة اهتزت الأرض لها ثلاث رجفات في أعمال بصرى وحوران وما والاها من سائر الجهات وهدمت عدة وأفرقة من حيطان المنازل بصرى وغيرها سكنت بقدره من حركتها سبحانه وتعالى قال وفي ثاني عشر رجب توجه بجبر الدين صاحب دمشق إلى حلب في خواصه ووصل إليها ودخل على نور الدين صاحبها فأكرمه وبالغ في الفعل الجليل في حقه وقرمه تقررأت اقترحها عليه بعد أن بذل له الطاعة وحسن النية عنه في دمشق ورجع إلى دمشق مسروراً في سادس شعبان قلت وفي ذلك يقول القيسراني

وفتلك الدنيا عيادها * بأذلة أفلاذ أكادها
وأوفدت غتر سلاطينها * عليك في همه انجاده
تبغى سناء أقصدت قصده * طائفة طاعة اجناده
خاصة تعشده أعمارها * يوم التلاق يوم ميلاده
شامت دمشق بك برق العلي * فأرسلت أصدق رؤاده
رأى نور الدين نار الخدي * قد أشرق الأفق بإقاده
فيهمت منك حيامرنة * بض الأيادي ورد وزاده
فأسأل بجبر الدين عن خيرة * أوردوها مجوداً راده
تبوأت من عزها قبة * مهر القنا أطناباً وناده
تنافس الناس على دولة * فتبها أعين حساده
يغدو العادي كالمولى لها * فوالها ان شئت أوعاده
ياملكا برضى باسمائه * منابر تسبح بأعواده
وتأخذ الاسماع وصفاه * عن جمع الدنيا أعياده
كم للمعالي فيك من رغبة * تفتنى الاماني دون تعدادها
لك المسامحة الغريباها * من طرفها بين أضدادها
يغشى الورى أفرس فرسانها * وفي التقي أزهدرها
فانت نسكا غيث ابدالها * وأنت فتكا لث أسادها
في أمة أنت حى دينها * حينا وحينا خمس عبادها
يطوى بك العرا إلى غاية * حسبك تقوى الله من زادها
هذا وكمن سنة بدعة * أعدمته من بعد ايجادها
مأثر لو عدمت راويا * تكفل النظم بانسادها

قال أبو يعلى وفي آخر شعبان أغار بعض التركمان على ظاهر بانياس فخرج اليهم واليهما من الافرنج في أعصابه وظهر التركمان عليهم فقتلوا وأسروا وفي رمضان قصد بعض الفرنج ناحية من البقاع وأغار وأفانض اليهم وإلى بعلبك رجاله فلققوهم وقد أرسل الله عليهم من الشاويح المتدركة ما تبطلهم فاستخلصوا منهم العتمة قلت وإلى بعلبك هذا هو فتحهم الدين أيوب والد صلاح الدين يوسف قال بن أبي طي في سنة ست وأربعين أغار التركمان على بانياس فخرج أهل

بأناس من الفرنج استنقذوا ما أخذوه فعاد التركان عليهم فكسرهم واتصل ذلك بمصاحبهم مشق فأغضب به فعل التركان لمكان الهدنة المنعقدة بينه وبين الفرنج فأخذ عسكر إلى التركان استعاد منهم ما أخذوه واتصل خبر التركان بالفرنج فحشوا وخرجوا في جيش عظيم وشبسوا الغارة على البقاع والناس غافلون فامتلائت أيديهم من الغنائم والأسارى واتصل خبر غارة الفرنج بغيرهم الدين أوب وهو في بعلبك وعنده جماعة من عسكر دمشق وأصحابه فقدم عليهم ولده شمس الدولة فخرج وأوقع بالفرنج واتفق أنه كان قد أصاب الفرنج تلح عظيم فهلك أكثرهم وجاء شمس الدولة وهم متوزطون فقتل فيهم مقتلة عظيمة وخلص من كان عند الفرنج من الأسارى قال وفي هذه السنة فارق صلاح الدين والده وصار إلى خدمة عمه أسد الدين بحلب فقدمه بين يدي نور الدين فقبله وأعطاه أقطاعا حسنا قال أبو بهلى وفي ثلثي شوال وهو الثاني من شباط وأخت قبيل الظاهر زلزلة اهتزت لها الأرض ثلاث هزات هائلة وتحركت الدور والجدران ثم سكنت قلت وفي هذه السنة في غرة جمادى الأولى كتب أجدن منبر من جماله إلى نور الدين قصيدة يمني به يوصل الخلع إليه من بغداد من عند الخليفة علي يد الشيخ شرف الدين بن أبي عسرون ويصف الفرس الأصفر الأسود القوائم والمعارف والسيف العربي أولها

لعل تلك التأييد والتأميل * وللملك التأييد والتكميل
أبدانهم وتقتفي فتسالما * عز الورى ادراكه وتنبيل
أما كتاب يستعمل به السكا * ثيباً ورسول الحجج رسيل
لك من أنى سعد زعيم سعادة * قرن تغافل فيك ليس يقيل
نعم الحسام بحلوته وبسالوته * يرضيك حين يصل ثم يصول
سهم تودى الكفانة عودة * وبقصص المطوب وهو طويل
سددته قضى وقطرس صادرا * كالنجم لأهل ولا تامل
فمنسأ القلوب إلى ولائك حول * منه بما يجنى رضاك كميل
وأقام ينشر في العراق دولة * آيا تأملها مصر النيل
وكسالك من رأى الخليفة جبة * لالته قص يوهيها ولا تقليل
كنت الشمر بفأفضت في نشر بفه * ما عليه من سنالك دليل
الموسف لمطاعت مقرطقا * طمعت حصان واستخف أبيل
أم عن سليمان يشرح ضاحكا * عفيف الرواق وضعف الكبول
وهلك في السرح أم ملك سطمت * لبهائه عقل وتاه عقول
وبرزت في لبس الخلافة كالهلال * جللاه في حلال الدجى التمليل
خلع خلعن على القارب مسرة * سدك تالم التعظيم والتجليل
نشرت نضارا جامدا أعلامها * وتكاد تجرى رقة تسيل
لقضى لها أن لا عدل لنفرها * ربك هلاكك عدل
أنت المهند منسأته العلى * لم يعل من هج عامه تسيل
مدهر قائمه الامام تألفت * غر رشدين للسلطنة وجل
والبيت دولته فتحت بدولة * مكال بصعدها الاكليل
ولصرتة خلاك يبيض دونه * صرف الزمان اذا استكمل كليل
قلبتة وكلا كما تلهنم * غضب قران المهد المسول
وحبا ركابك حين قر برحقه السقرآن واستخدى له الاتميسل
باقب أصغر مشرف الهادى له التسميسل لون والتميسل
قسم الدجى بين الغدائر والشوى * واعدام رونقه الاصيل أصيل

في أخبار (٨٥) الدولتين

وتقسام الراز وفتحك الله * حيزوم مصرف عطفه جبريل
تختال في حبك الحلي مخيلا * ان الشوايح البلد وخبول
مرخي الذوائب كلعوس رينه * طرف باطرف الرماح كحيل
تصاعق الزعرات تحت لبانه * ان شب زفر واستجش صهيل
ليجب مثلك مثله مهذولم * يشال على برق سواه شليل
أنشده في هذه السنة أيضا بجهن قصيدة منها

الدهر أنت ودارك الدنيا ومن * في العبد بعد مؤمل معدود
وأزقة الاقدار طوع يدليك وال * لا يام جندك والانام عبيد
فت الوري وعقدت ناصية المدي * بمذمر الشعرى فأين تريد
تال أبالك فهل لم يمان برى * في الدست مهده لك داود
جلى وسدت مصليا الارقع الم * معدوم مالم يشفع الموجد
لم يخترم جسدك ولا أب * ان النباهة في الخلف خاود
تسخت منارك في البقاع وأنها * من لم يسد فارت ككيف يسود
وهبت للاسلام وهو مصق * فاهتا زعصاب ورق تجود
وقأت جرة صالمه بصيلم * نصع الاجنة يومها المشمود
خطبتهم فوق الخطيم لوافع * نفس الارين لو أرحن برود
ورموألى الجولان منك بجولة * نوبدها نسر الضلال وثيد
ولسا عظامهم بعرقه عارق * مازلت قمض جوه فيجود
وشالت بالروح السروح وفوقها * زرع لمحصد الرماح حصيد
وعلى عزازعنا وائل عروشم * ملكة مقيد من عصاه مقيد
وتل باشر يا شررك فعاوسا * أهب الاساود حشوش أسود
أردوا كما أودى بعاد غيها * وعقوا كما استغوى التفصيل عمود
ان أأموأعسر أأنا لك صالح * أوأأوا غندرا فأنك هود
وزعتهم فبكل مهبطة لعة * خست به من وازع أخصدود
وعصبتهم بعصائب الملا * شتى وان خل البسالة عود
أأارها محمود وأأارها * مشهودة وشعارها محمود
لبست من اسمك في الكرمه ملبسا * بلى جديد الدهر وهو جديد
وقصيرة الالجال طول باعها * بوع يسامى هامها وقودود
مظرورة الاسلاب ملحزعتها * ناه الهدى ونختر التوحيد
أشر عنها فلى شريعة أحمد * ما جنته بوارق وعقود
ولكن ثرت نظيمها في موقف * تغريد صالى حرد الغريد
بجاء سنالك نلامه ويحل ما * عقدت قناه لوازك المعقود
في هبوط رحمة الساعر واقها * والارض ترجف تحتها وتعيد
ضربت هجمها فكان كانهما * أو تاده القصوى وأنت عود
في كل يوم من فتوحك صادق * هزج الغناء وطائر غريد
تمدى لعانة كتابه فرغانه * وتيسغ زبده ما شاده زبيد
ففرار سيفك لا حابش محبس * ومشار تقمك للصعيد ضعيد

كتاب (٨٦) الروضتين

لا تعد من هذا المقلد أئمة * ملق اليه لرعيه الاقليد
الورد قمر والمسارح رحمة * والرفد مد والاضلال مديد
والعش أبليج مشرق القمامات والي * وشجار غر والاضائل غمد
والملك ممدود واراق متوزر اليه * فاق وضاء المني محسود
في دولة مذهب نشر ربهما * نشر الرفات وأئمر الجلود
محمودة الأثار في دابة * كل الماوسم عندها تعيد
وقال يمينه بيلة الميلاد * ويصف النازلين في الجبل من قلعة حلب بقصيدة منها

هتيت زوزي ذراك صومك والميلاد جاء والسعد في نسق
فذاك انخلت فيه كل يد * وذلك أنجلت فيه كل نقي
وجه كصدر الحسام تصبوه السمين * وينقد القلب من فرق
ومقولة شوقها ليظنها * شوق لحسادها الى الارق
ومرتقي تعجب السماء له * اذا استطلات اليه كيقربني
توجهت شهابها بمشرفة * مشرفة شهرها على الافق
جوتها دى منه كواكب * طرفه طرف رجوم مسترق
فوارس تذهل القوارس ان * تهافت من ارشاقها الرشق
من راص كض في الهواء هوى * ومن الفتح يحترق تحتها لبق
شاو من الخصر لوتحاولة السخضر لزلت عن موطن زاق
يقول من ديه القروسمة ما * لاذك الاضرب من الاق
بذائع تعبط السماء بها الار * من ويدي الاشفاق في الشفة
في دولة بجمت ايانها * من يد الحسن كل مقترق
تذرا أطواها على ملك * مكتة فلرزق كل مرتق
محمود اسما وميسما وندي * واعتصم الدم كل مرتقي
طبق طوفانه فلسف ترى * الامعشاه شرف على غرق
يا بحر لا خلق تدعى شهبها * فات المدي ما حوت من خلق
ملكك هذا الذي تملاه * صبا ويحري والاهر في طلق

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وخمسة مائة قال أبو يعلى وورد الخبر في المحصر بنزل نور الدين على حصن
انطرسوس في عسكره وافتتاحه له وقتل من كان فيه من الافرنج وطلب الباقون الامان على النفوس فأجيبوا الى
ذلك ورتب فيه الحفظة وعاد عنه وملك عدة من الحصون بالسبي والسيوف والارباب والاحراق والامان قال وورد
أيضا ظفر رجال عسقلان بالافرنج المجاورين لهم بغز بحيث هلك منهم العدد الكثير وانهم بالباقون قلت وقرأت
في ديوان بن منير مدح نور الدين وبنه بفتح انطرسوس ويحور وعوده عن مفاذر كقصيدة منها
ابدا يباشر وجع غر ولضاحكا * وتؤب منه مؤيدا متصورا
تدني لك الامل البعيد سواهم * محبت اهلتهما وسكن بدورا
مثل السهام لوابني ذواربع * في الجزم طلبها السكن طمورا
نبئت علاقتها بحصن واعلت * سحر امعرق عرقه الاظفورا
وعدون صافياء لاحشوارها * قد اتلعت عنقا اليك مشيرا
القلب أنت فان تعامى عن هدى * عضواها ببه فعاد بصيرا
عرفوا مكانك والظهيره بينهم * يقري يباض أديها الديجورا

في أخبار (٨٧) الدولتين

أين الذباب من العزلة أشرقت * وجهها وطبقت البسيطة نورا
 غضبان أقسم لا يشيم حسامه * والارض تمهل في الكفور كفورا
 غسل العواصم امن من ادراهم * واليوم رديه السواحل اورا
 لم يبق بين الجولتين وأمد * وترا لمضططنين ولا مورا
 انخلى ديار الشرك من اوثانها * حتى غدا نالون من تكبرا
 رفع القصور على نضائد هاهم * من بعد ما جعل القصور قورا
 بشواحب الالباط تقطو في الظلا * مقطا وتهوى في الصباح نشورا
 غادرت أنطرسوس كالطرس انمى * رسما وجسر دعها يمحورا
 وهي الزناد لفتنة كانت على الـ * دسلام احكم كسره اكسيرا
 همت طرابلسا فاصبح نغرها السـ * بسام من عز الشغور تغيرا
 اقليدها كانت وقد انطيه * واسأل به من دهنه خبيرا
 ان الاولى امثوا وقاعك بعدها * غر واول قدر كبوا الا غرورا
 الق العاصفين أطاع ومن عصى * منهم ودمى أرضهم تدميرا
 لا يلهيهم ان قدمنت وشبنا * شعواء تصلى الكافرين سعيرا
 باكر ركضنا تنسف اسها * والخييل صوركي ترك صورا
 وترك لا معة الترك بساحة الـ * دقصى مطهرة لها تطهيرا
 اولست من قوم اذاهزوا القنا * فتساو معاصهم لها تسورا
 واذا هم خطبوا البراع غيرة * ساقوا الشفار على المهار هورا
 التي قسما هانم اليك ازمة الـ * ملك المظل على الهاتأثيرا
 ضحكك الا ياموا كآب العدا * قلعا بجفت مبشرا ونيرا
 لا ملك الا ملك محمود الذي * تخذ الكتاب مظاهروا ووزيرا
 تمشى وراء حديد حكامه * تأتمهن فيحكم التقديرا
 يقظان ينشر عدله في دولة * جاءت اطوى السماح نشورا
 خلف الخلائق قائما عنهم بها * عيوا به الوى الذ غمورا
 البر والمصوم والمهدى والسمامون والسفاح والمنصورا
 بشروا به فعهودهم وعهادهم * يمتحن في تحت لوائه منشورا

وأشدد بحلب في هذه السنة قصيدة أولها

المجد ما أدرعت تركه حضابه * وتفتتاك شعوبه وشعابه
 ملك تكشف دين أحمد كنهه * فأضاء نيره وصاب شعابه
 فالعدل حيث نصرفت احكامه * والامن حيث تصرمت اسرابه
 متهلل والموت في سبراته * يرجو يرب خوفه وعقابه
 عقد اللواء وسار يقدمه وما * حلفت عقود وديمها اترابه
 اسد فرأته الفارس والظنى * انظاره والمعهرية غابه
 طبع الحديد فكان منه حنانه * وسمنانه واهابه وثنابه
 وتشن ان كعب الوجوه كأنما * اعداؤه تحت الوى احبابه
 نشرت بمحود شريعة أحمد * وأرى الصحابة ما احتذاء صحابه

كتاب (٨٨) الروضتين

ما غاب اصاب علم هاشم فيها ولا * فناروق بابه بخطبه خطاب
 انشاء قيسلة قائمون بصره * ان اجلبت من قاسط اخرايه
 صبحوا بحقيقة البرنس بحالتي * حش الضباب من القلوب ضبابه
 ما زال يقلب من بغاه ضلاله * حتى اتبع من الهدى غسلايه
 ملقى وحش الاصر من تزيلت * آراؤه وتزابلت آلايه
 دون الارض سعت به نجداته * ونجاده وقرايه وقرايه
 سلبته درة تاجه يد ضميم * لم تنجيه من بأسه اسلايه
 واتته تعلب جوسلين جنائب * هبت فقل الى القتال هبابه
 اسرته لا منعت سراه وغره * بالقناع ان رام الورود سرايه
 لائل باشره ولا كسيونه * صدف منى عنه ولا عنتابه
 ضمنت شقاوته سعاده صافح * غطى على اعنائه اعتابه
 ما زال يغدر ثم يغدر قادرا * حتى آتاه بجراح أعبابه
 قصر الاماني ان يلا عصره ال * لسلام مفتر وباعليه تحبابه
 بحر يجر الى الغنائم قبسه * وحى راز على الفتوح قبابه
 وأنشده بحلب في شوال من هذه السنة قصيده منها

لقد أوطأت دين الله عزرا * اديم الشربين له رعا
 دعاءك وقد تناوشت الزايا * لها هيا يوزعها العذام
 فقيمت بصره والناس فودى * قيام ذم ما اقترفت قتام
 جذبت بضيمه من قهرىم * له من فوق مقبضه النظام
 وملت على معاقلهم فخرت * ولأه مثل ما انتفض النظام
 بصر خسد والحطام وفي عزاز * وقايع هزم مشبهها الانام
 ولولم تعترف وتشم اوسى * وأصبح لاعراق ولا شام
 صبيت على الصليب صليب باس * قوا تحت كل كله حطام
 ويوم بالعرصة كان حتما * على الاشرار أمقره العرام
 لقولك كائن ما سلوه سبع * وما اعتقه لوه من خور غمام
 وهاب وفورس وبكفر لانا * ذهبت وأنت لليلى ذمام
 صدمتهم بارعن مهر جحش * كان مطارا أسرهم غمام
 وأية لبس لم تلف فيها * لهم طيف باروعيه منام
 بنور الدين أنشركل عدل * تعفت في الثرى منه الرمام
 وعاد الحق بعد كلال حدت * حتى من ان تراعه له سوام
 تألق عدله وذكت سطاء * فلاحيف يخاف ولاه تضام
 بقاؤك خير ما بر جوه راج * وأنفع ما يسئل به أوام

(فصل) وفي هذه السنة ولد بحضرة النور الدين ابن سماء أحمد وهما به ابن منير في بعض قصائده ثم توفي بدمشق وقبره مشفق قبر معاوية رضي الله عنه اذا دخل الحظيرة في مقابر الباب الصغير وقصيدة ابن منير قد تقدم بعضهم الى أول الكتاب ومنها في ذكر المولود

قوات الاعباد لا زلت لها * تبلى ديا بيج البقاء وتجدد

في أخبار (٨٩) الدولتين

الفطر والبيلاذ والموودلو * قابله بدر الحما لمجد

ثلاثة تعرب عن ثلاثة * للشايد كرمجد من مجد

فتح ميسين وطلاب مندرك * وودله مانتقى الى آمد

وله من أخرى يقول

وجئت باحمد فلا تجمدا * موارد كان معذبها عذابا

تمل وجهه ملكك يوم أهدت * قوابله لك الملك البابا

شيمك لا ينماد ومنك شيئا * سناوحيا وبذا واستلانا

قسيم الجدا لا أن حرفا * من اسمك زاد للغنى منا

ألا لله يوم فتر عينا * وركب نص بالشرى الزكنا

قال أبو يعلى في وأخضر فوجه مجبر الدين في العسكر ومعه مؤيد الدين الوزير إلى ناحية حصن بصرى ونزل عليه محصرا لمرئيه خالته لفته وجوره وأراد مجبر الدين المصير إلى حصن مصر فملاها هتة فاستأذن مجبر الدين واليه في ذلك فقال له هذا المكان يحكمك وأنا فيه وال من قبلك وأنفذ إلى ولده سيف الدين محمد النائب فيه بأعداد ما يحتاج إليه وبلغى مجبر الدين بما يحب له فخرج في أصحابه ومعه المغانج وأخلى الحصن من الرجال ودخل إليه في خواصه وسر بذلك ونجيب من فعل مجبر الدين وشكره على ذلك وعاد إلى مخيمه على بصرى وحارب عاتدة أيام إلى أن استقر الصلح والدخول فيها أراد وعاد إلى دمشق وفيها في شوال توفي الأمير سعد الدولة أبو عبد الله محمد بن الحسن ابن الحلي ودفن في مقابر الكهف وكان فيه أدب وأفروكا به حسنة ونظم جيد وتقدم والده في حلب في التسعين والسماصة وعرض الأجداد قال ابن الأثير وفيها توفي السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه بهمدان وعهد إلى ابن أخيه ملكشاه بن السلطان محمود بن محمد وخطب له بيلاذ الجبل وكان الغالب على البلاد والحساكر أيام السلطان مسعود خاص بك بن بلكرى فقام بأمر ملكشاه ولمعه له غير قليل حتى قبض عليه وكتب إلى أخيه الملك محمد بن محمود وهو بخوزستان يستدعيه إليه ليخطب له بالسلطنة وكان غرض خاص بل أن يقبض عليه أيضا فيخال وجهه من منازع من السلجوقية وحينئذ يطلب السلطنة لنفسه فلما كاتب محمد أبا به إلى الحضور عنده وسار إليه وهو بهمدان واجتمع به وخدم خاص بك خدمة عظيمة فلما كان الغد دخل عليه خاص بك فقتله محمد وألقى رأسه إلى أصحابه فترقروا واستقر محمد وثبت قدمه واستولى على بلاد الجبل جميعها وكان قتل خاص بك سنة ثمان وأربعين وبقي مطروح حتى أكلته الكلاب وكان ابتداء أمره أنه كان من بعض أولاد الترك كان فخدم السلطان خال إليه وقدمه حتى فاق سائر الأمراء واستولى على أكثر البلاد وهو كان السبب في أكثر الحوادث الشاغلة للسلطان مسعود فأن الاسراء الأكابر كانوا ينفون من أن تبعه علما كان يقابلهم به من الهوان والاحتشام عليهم وذكر الوزير يحيى بن هبيرة في كتاب الإفصاح أن السلطان طاول على الخليفة المقتدى بأصحاب مسعود وأساؤا الأدب ولم يكن المجاهرة بالمحاربة اتفق الرأي على الدعاء على مسعود بن محمد شهر أكاد عارسل الله صلى الله عليه وسلم على رجل ذو كوان شهر فأتى به هو والخليعة سراكل واحد في موضعه يدعوهم من ليله تسع وعشرين من جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وخمسة وأسمت الاسراء على ذلك كل ليلة فلما كان ليلة تسع وعشرين من جمادى الآخرة كان موت مسعود وعلى سريره لم يزد عن الشرب يوما ولا يتقص يوما ووصل القصد بذلك من هذا أن إلى بغداد في سنة ١٠٨٠ أيام فآزال الله بهود اتباعه عن العراق وأورشاليمهم وه يارهم فبأرك الله رب العالمين محيى دعوة الداعين قال وكان الشيخ محمد بن يحيى يقول لأول على وجوده وجود أعظم من أن يدعى فيحيى

محمد ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وخمسة مائة * ففينا أخذت الفريخ فخدمهم الله عسقلان وبقية في أيديهم إلى أن فتحها صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله سنة ثلاث وعشرين كما سيأتي إن شاء الله تعالى قال الرئيس أبو يعلى النخعي ونواصت الأخبار من ناحية نور الدين بقوة عزمه على جمع العساكر والترك من سائر الأعمال والبلدان للغزو في أرباب الشرك والطغيان ولنصرة أهل عسقلان على الأفرنج النازلين عليهم وقد ضايقوها بالزحف إليها بالبرج المخدول وهم

كتاب (٩٠) الروضة

في الجمع الكثير ثم اقتضت الحال توجه مجير الدين صاحب دمشق الى نور الدين في جهوز عسكره للتعاضد على الجهاد في ثالث عشر محرم واجتمع معه في ناحية الشمال وقدم ذلك نور الدين الحصن المعروف بالسيف وهو في غاية المنعة والحصانة وقتل من كان فيه من الأفرنج والأرمن وحصل العسكر من المال والسبي الشيء الكثير فوضوا طلائين ثغر بانياس ونزلوا عليه في آخر صفر وقد خلا من حماة وتسلمت أسباب ملكه وقد تروا صلت استغاثة أهل عسقلان واستنصارهم بنور الدين فقتل الله تعالى بالخلف بينهم والقتل وهم في تقدير عشرة آلاف فارس وراجل فاجتلبوا عنها من غير طارق من الأفرنج فطرقهم ولا عسكر رهقهم ونزلوا على المنزل المعروف بالأعوج وعزمو على معاودة النزول على بانياس وأخذها ثم أجمعوا عن ذلك من غير سبب ولا موجب وتفرقوا وعاد مجير الدين إلى دمشق ودخلها سالما في نفسه وجملته حادى عشر ربيع الأول وعاد نور الدين إلى حصن ونزل به في عسكره ووردت الأخبار بوصول أسطول مصر إلى عسقلان فقبوت نفوس من بها بالمال والرجال والغلال ونظره وابتعدت وافرقة من مرأى كعب الفرج في البحر وهم على حالهم في محاصرتهم ومضايقهم والزحف بالبرج إليهم واستمر ذلك إلى أن تيسرت لهم أسباب الهجوم عليها من بعض جوانب سورها فهدموا مدونه وجعلوها البلد وقتل من الفرق بين الخلق الكسكس وألجأت الضرورة القليلة إلى طلب الأمان فأجيبوا إليه وخرج من أمكنة الخروج في البر والبحر إلى ناحية مصر وغير ما قيل أن في هذا الثغر المقتض من العدد الحربية والأموال والميراث والغلال ما لا يحصر فيذكر وما شاع هذا الخبر في الأقطار ساء بهاعة وضائق الصدور وتضاعفت الأفكار بحدوث مثله فسيهان من لا يردأ فذقت ضائقة ولا بد فعم محتموم أمره عند نفوذه ومضائه

فصل قال عرض بين الرئيس ابن الصوفي وبين أخويه عز الدولة وزير الدولة مشا خانات ومشاجرات اقتضت المساعاة إلى مجير الدين في جهاد الأولى فأنفذ مجير الدين إلى الرئيس يستدعيه لإصلاح بينهم في القلعة فامتنع من ذلك وجلس في داره وهم بالحصن عنه باحداث البلاد والوعود وأتت الحال التي تمكن من زير الدولة منه بمعاداة مجير الدين عليه وتقرر بينهما الخراج الرئيس من البلاد وجاءه إلى حصن صرخد مع مجاهد الدين بران واليه بعد أن قرره بقضاء داره وروايته وما يخصه وأجابه وبقضاء أخوه وزير الدولة مكانه وأمر بنه في نقلا الأشغال على عادته في الحجز والتقصير وسوء الأفعال والنماس الرشا على أقل الأعمال ورأى مجير الدين عقب ذلك التوصل إلى بعلبك لتنظيم نفس والبايعاء الخادم واستيخا به معه إلى دمشق لينوب عنه في زير الأمور وعادوه هو معه واستشعر مجاهد الدين بران أن نية مجير الدين قد تغيرت فيه فاستوحش من عودته إلى البلد بنغيره عن بخلف له بها على أمانته في نفسه فوعده بالاجابة فعاد إلى داره بدمشق ثم هجس في خاطره من مجير الدين وأجابه ما أوحشه منهم فعداه ذلك إلى الخروج من البلد سراط الباصر خدع في عرف خبره أنهمض في طلبه وقص أثره فأدركه وتذقرب من صرخد قبض عليه وأعيد إلى القلعة بدمشق واعتقل بها اعتقالات جبر لا تمجد من الرئيس الوزير حيدرة المقدم ذكره أشياء ظهرت عنه مع ما في نفس الملك مجير الدين منه ومن أخيه المسيب من المعركة بالسبي والقتل ما انتفضت الحال استدعاء إلى القلعة على حين غفلة عن القضاء الزل به لسوء أفعاله وقبح ظلمه وخبيثه ثم عدل به الجاندارية إلى الحمام بالقلعة مستعمل ذي القعدة ووضرت عنقه صبرا وأخرج رأسه ونصب على حافة الخندق ثم طعيف به والناس بلغونه وصدقون أنواع طلبه وتفتنه في الفساد ومقاساة اللصوص وقطاع الطرق على أموال الناس المستباحة بتقرير وتدبيره وجبايته وكثرة السرور بصبره والتبسم به ثم رحلت العامة والوعود ومن كان من أعوانه على الفساد من أهل العيش إلى منازلهم ونزاعته ومخازن غلاته وأثابه ونذارة فانتبهوا منها ما لا يحصى وغلبوا أعوان السلطان وجندته عليها بالكثرة فلم يحصل للسلطان من ذلك إلا التزالي يسر ورور أمر الرياضة والنظر في البلاد إلى الرئيس رضى الدين أبي غالب عبد المتعم من مجدين أسد بن علي التميمي في اليوم المقدم ذكره فطاف في البلد مع اقاربه وأهله وسبكت الدهساء وروى في أخراب منازل النظام ونقل أخشابها قال وكان عطاء الخادم قد استبد بدبير الأمور ومدد في الظلم والظا لمسانة الخبيثين والاحتجاب وقصر في قضاء الأشغال فقدم مجير الدين باعتذاله وتقبيده والاستيلاء على ما في داره ومطالبة بته تسليم بعلبك وما قيمه من مال وغسلال ثم ضربت عنقه ونهبت العوام والتوغايموت أسبأ به وأجابه قال ورد الحسب من ناحية مصر بان العادل المعروف بآب السار الذي كانت بريقته

في أخبار (٩١) الدولتين

قد هلت ومنزلته في الوزارة قد تمكنت كان لا وحسنه ولا يعرف بالامير عباس قد قدمه واعتمد عليه في الاعمال
ولعباس هذا ولد قدمه الوزير واعتمد عليه وأذن له في الدخول بغير اذن اليه قد دخل عليه وهو قائم في فراشه فقطع رأسه
وحصل عباس في منصب العدل ثم كان من أمره ما سيأتي ذكره قلت هو أبو الحسن علي بن السار وزير بخلقة مصر
وهو الذي بنى مدرسة الشافعية بالاسكندرية لفظ أبي ظاهرا السابق رحمه الله وكان قتله في سادس المحرم هو اطاعة
من الخليفة الملقب بالظافر بن الحافظ. وفيها في آخر شعبان توفي الفقيه بهان الدين أبو الحسن علي البلخي رئيس
الحنفية ودفن في مقابر الباب الصغير المجاورة لقيور الشهداء وكان من الثقة على مذهبه ما هو مشهور شائع مع الورع
والدين والعفاف والتصوف وحفظ ناموس العلم والتواضع والتودد الى الناس على طريقة مرضية وسجدة محمودة
قال وورد الخبر من ناحية حلب وفاة اديب أبي الحسين أحمد بن منير الشاعر في جمادى الآخرة ووصل في ثاني عشر
شعبان الى دمشق اديب الشاعر أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير القيسري من حلب باستدعاء محبير الدين له
ومات بعد عشرة أيام في الناني والعشر بن من شعبان تلتها شاعر الشام في وقتها وقد شبهها العماد الكاتب
في كتاب الخريدة بالقرنق وجرو كذلك كان اتفق موته ما في سنة واحدة ومات جرير بعد القرنق بقليل وقد سبق
من شعرها في مدح نور الدين رحمه الله قصائد حسنة وسيأتي غير ذلك في موضعها لعرض سند كره وما قاله ابن
منير من قصيدة له

أيا سيقا أعز الدين منسه السخرار العضب والنوم القرار
ملأت جوانح الاقطار رجفا * كان الارض خامر هادوار
علائي على الدنيا فتاج * بمقرها وفي يدها سوار
أضاعت شمس عدلك في دجها * فكل زمان ساكنها غبار
فققرق من عصاك وأنت ماء * وتغرق من رجالك وأنت نار
اللة وجهك والمنيا * مكحلة والبيض افترار
هكتك جفها والنصر غيب * ولله بول طي وانتشار
بطعن للقساوب به انظام * وضرب للاروس به انتشار
تباده كان الموت غشم * وما من عادة البدر البدار
انخت على الصليب مطا صلبيا * به من صلك مبركه هدار
بشرة المناكب مقربات * لمن يمتن كل وغي حصار
جبين بأب أنب العنصاى * وأضن والقنا منها غمار
وفي هاب اهدبت بها نجاءت * كما أجلي من الكشم الصور
وكم في نبع حارم من حريم * عنته فلا جدبر ولا جدار
وانطا كيمة استنت اليها * فاحفل خيطها وله قرار
وصبح في عزاز بها عزاز * فامسى وهو وعث وأخبار
بشق بهادجي الثمرات عبقا * جواد لا يشق له غبار
وله من أخرى

وما يوم الغفر نجمة منك قد * فمحصر عده خطط الخبايا
أجاش الاربعاء لهم خيسا * بعيد القور ملتطم العباب
واحكم بالخطيم لهم خطاما * أمر برمسه من الضراب
مشوا من ساندن الى صليب * يبرقعهم به الصم الصلاب
تلفهم المنايا في الثنايا * وقفهم شعوب من الشعاب
أطاشت سيمهم كبشهم هناة * فبكمت ذباب طائشة الذباب

كتاب (٩٢) الروضين

جلاجل التاج عنه وجل تاجا * مكان القدمين عقد الكعاب
 أنا في على العقاب فكان أشهى * وأبهى منه في ناسل العقاب
 فاشرف وهو عن شرف معروف * وأصعد وهي غاية الانصباب
 فكاشره الشراعت وهو مغض * ثناه منه عن رجوع الجواب
 بعين دامن قراع واقتراع * يؤوب له الى يوم الحساب
 ولم يسوط بجملك اقباسه الص * دور فكان سوطا من عذاب
 تركتهم بارض الشام شاما * لظفر تنقيه أول نساب
 هتكت بجلبهم والشمس وسنى * بشمس لا توارى بالجاب
 بارض من جيبك الهند صاف * مصون المتن مبتذل الذباب
 له سعة الشيوخ صفاء شيب * وفي خطواته ترفى الشباب
 الا بانظر الدنيا بعين * أرتة علامها خدع السراب
 تبطنها اطفالها ثلاثا * على عز التماق والخراب
 فيلا يأتى الى رأى شعاع * ولا يثنى الى أمسل خراب
 ترفع عن مجاوزة الامانى * وحلق عن محاضرة التصابي
 صلات الله لكل درور شمس * على مشوى أيبك من التراب
 فقد ألقى الى الاسلام عضبا * يطبق في النوائب غير تباي
 تجيش لدراس ككرواسى * تمسكها جفان كالجوابي

وله من أخرى

مظفر العزم حدود الرواق على * معالم الدين يرفها ويرفها
 رد الكائنات كئسا لهدى فينت * نار الضلال ووارثها انافها
 وأورد العلم عدا من اياته * فاستن واقن عبا في صوافها
 وبث للشر لك اشرا كافا درجت * طريدة منه الاستوهقت فيها
 بابد رمذا شرق في الدست غرته * غيث الرعية واخضلت مراعيها
 أقام أجمد من محمودها علما * به استقام على البيضاء ساريها
 محي شريعتهم من بعد ما انهدمت * واستجبت بعد افصاح معانيها
 شابت مواهبه فيها مها بنيه * حتى استقرت على سميت سوارها
 وله من أخرى

عزت سيوفك فالعراق عرفها * والشام غير مدافعت شامها
 ان أغمدت حل العزائم حلها * أوجرت حرم الكرى احرامها
 شجبت عدالك بها فلا شراقتها * بمفازة منها ولا اعتماها
 سربت فصيحها بما يقظاتها * هدأت فستها بما احلامها
 كالماء الان في وشقائه * نار احشاشات النفوس ضرامها
 نغمت على أيمانكم أوزانها * يوم الوغى واستشعلتها هامها
 حتى احلن الشام شامها صرصرت * فيه جنادها وصدح هامها
 ورحصن اردان الجزيرة بعد ما * غمرت بها وهدانها اكامها
 شظرا أبرت ومسهله أنظرت * وقع الخطوب تكسها ايامها
 بالخابطات الغاب ترأرأسده * والمجفلى الجلى اللقاح صيامها

في أخبار (٩٣) الدوايين

أوردتها اجبات انطاكية * عتقا وقد شئت الصدا اجملها
تلقى المشافى في مرأشف كليا * بردت بها الأكلاد زادهيا مها
فعدت وقد عزت المراح سراجهيا * وتوزعت في كسما ارامها
ومشى الضلال القهقري واستأصل اليزدان من رجيع الاذان صلامها
وتغدا يخللها الخليل سواجيا * هذبها عز لها العذاب غماها
فغضبها الذين الله حص جناحه * بغيا وأدى صحتيه لدامها
فالآن رد النور فيه نوره * وأجاب من تلك الهنات ظلامها
محمود المحمودة قدما اذا * خام الحكمة وزلزلت اقدامها
الفارج السكب العظام تضاجت * اشداقها وقرى القلوب ضغماها
وله من أخرى

أما لرعيا فانها رشفت * لديق نعي عذبا شأياها
سلكت نعيم العدل القوم لها * فاجدت دينها ودنياها
وصكم امتدت خوفا فانها * متالف الخوف خوفك الله
لله أظفارك التي قطرت * لها مناهيا الى منايها
أنب في أنب قوارسها * تزدى فتزدى أولئك آخرها
أنجبت لها البرنس هيوتها * وكتمت عاتبها فاشجياها
وجوسلين استساغ لظفتها * فاحلب الذل تحت مغداها
رذته صفر من كل ما ملكت * يداهم ما ضل مسراها
جولس جاستك أوجه لارأت * بوسا وباد الجيا محباها
في سرية لوتكون فارسها * يومئذ ما تبعثت أشقاها
لازال ظل الشعاء عن ملك * ما الشمس كقوله اذا بابها
والله جازيه عن معيبيه * أعزها الله سذولاها
محمود المعتلى الى فلك * الجسد ونير له ولا بابها
أعطا كه جسدك المتوج بالجد * ونفس لله مغزاهما
نفس عزوف عن الحناطوت * نزهها الله يوم نسواها
أنت الذي سلم الانام له * بين طباق العلى وسراها
وأنت مولى الملوكة فاطمة * من كل فنا خسرو شاهنشاهما
والشعر هذا لا قول أجده * آؤه بديل من قولتي وأها
وله من أخرى

يا ابن الذي لم يال في نجدة الـ * دسلام ادلاج و تمجيرا
تكيف الشام وقد شامر * ق الحروف انجادا وتغورا
وكف كلب الروم من بعدان * انشبهه نابا وظفورا
فاهله رقت ان انصفورا * رقابجند الشيف مسطورا
بدرهوى واستخلف الشمس في * دستك اشراقا وتأسيرا

وله من أخرى

ملك كسى الاسلام من ذبه * بردا يتسد بيع الظي معلا
من أصبح الشام به شاميه * بقطر من قتل عباده دبا

كتاب (٩٤) الرومانيين

لولا بقدم منصلتنا دونه * لم تلق في أقطارها مسليا

وله يلح به بعد مصالحة صاحب جاه واشتد به بالعرس وعورده الى حلب

الدهر ما راضته بالجود والبأس * مقسم بين اغراس واعراس
فتح تعاقبه فتح ومطلب * داني المال وملك ثابت راسي
نصر ابصري وصنعا عن حماة لقد * أحسنت للداء حسم الأسي
يا ابن الذي عنت الدنيا لدولته * من فاطمي اعزته وعباسي
وله فيه أيضا

غدا الدين يهلك سائر العلم * أمين الجهاد مكين القدم
لذلك لقيت نورا له * وقد أغطش الظلم فيه الظلم
أضأت بعد ذلك آفاقه * وقضت عري الدين لها دلم
ولم تمس رهوا لنصر الرها * ومثلك أدرك لما عزم
ويوم بسوطا بسطت الحما * عم على الهضبة من ركنها غنم
وبصري وصرخس دلوث * دركا لكانا رديف ارم
ومدقش جديشك في القوط * بين قس الصليب له ما نظم
وفي صكفر لانا وهاب حلال * عتد البرنس بيض خدم
معودة انها لا تسئل الامعة * قيمة القم
ويوم بسر فود جرتهم * أجاها غصم واضبط
وفوق العريسة غشاعم * عرام جبر وشك سبل العرم
وأنت بكلهم في الكبر * لمباح الحريم مذل الحريم
ورارتهم أذنت انها * ابارتهم فليؤا بدم
نسبها واعداو لم يعلموا * بما خط في الموضع منك القلم
وانك خادم ما أحكوا * هومن ديننا راقع ما انخرم
فرفع من بعد خفض هدى * وتنفذ من بعد رفع صنم
سبكت المدارس فوق النجو * مفتحكم مخيم تحتها قدسهم
وعاش الخنيبي والشافعي * بما شئت منها وكأنا رم
وان لم تكن هاشمي الاصول * لفانك فرع الهزير الحشم
ومن يدعي في الصلي ما اذعيت * وأنت ابن من عز لما احكم
واقسم ما غاب ميت سقت * معاسره عين هدى الشيم

قلت وقصائد ابن منير في مدح نور الدين كثيرة وثمنه فيها طويل ولم يبق بعد موت القيسراني وابن منير يقل من الشعراء يصف مناقب نور الدين كما ينبغي الا ابن أسعد الموصلي وسيأتي شيء من شعره الى ان قدم العماد الكاتب الشامي في سنة اثنتين وستين فسلم هذا الامر وعبر عن اوصاف نور الدين ومناقبه وغزواته باحسن العبارات وأتمها نظما ونثرا وسيأتي كل ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى قال ابن الاثير وفيها توفي صاحب مارد بن حسام الدين تمرناش ووليها بعد فتحهم الدين الجي تمرناش ارقى قلت وقدم مدحه القيسراني والعرقلة وغيرهما من الشعراء (ثم دخلت سنة تسع وأربعين وخمسمائة) قال ابن الاثير ففيها ملك نور الدين دمشق وأخذها من صاحبها مجبر الدين آق بن محمد وكان الذي حمل نور الدين على الجدي في ملكه كان الفرنج ملكه في السنة الخامسة عسقلان وهي مدينة فلسطين حصنا وحصانة واما كانوا يحصرونها كان نور الدين يلهو ولا يقدري ان يفتحها لان دمشق في طريقه وليس له على غيرها معبر لا اعتراض بلاد الفرنج في الوسط وقوى الفرنج بملكها حتى طمعوا في دمشق

في اخبار (٩٥) الاوليين

واسد ثضعوا بحجر الدين وتابعوا الفارعة على اعماله واكثروا الفتك بها والنهب والسبي وزاد الامر بالمسيكين بها الى ان جعل الفريخ على أهل المدينة قطبعة كل سنة وكان رسولهم يحيى الى دمشق ويبيعهم من أهل البلد ثم اشتد البلاء على أهلها حين ارسل الفريخ واستعرضوا عبيدهم وأساءهم الذين تبعه ومن سائر بلاد النصرانية وغيرهم بين المقام عندهم واليه والعود الى اوطانهم فمن أحب المقام تركوه ومن أحب وطنه سار اليه وزالت طاعة مجير الدين عن أهل البلد الى ان حضر وفي القلعة مع انسان منهم كان يقال له مؤيد الدين ابن الصوفي فلما كانت الامور بها هكذا خاف أهلها وأثقتهم من العتد فنجوا الى الله تعالى ودعوه ان يكشف ما بهم من الخوف فاستجاب لهم وأذن في خيلاصهم مما هم فيه على يد أحب عباده اليه وأحسنهم طريقه وأمثلهم سريره وهو الملك العادل حقا نور الدين محمود فحسن له السعي في ملك البلدة وألقاه في روعه فلما خطر له ذلك أفكر فيه فعلم انه ان رام ملكه بالقوة والحصار تعذر عليه لان صاحبه حتى رأى شيئا من ذلك تراسل الفريخ واستعان بهم واستمالهم فقلت وقد كان سعي له بذلك سوابق قد تقدم ذكر شئ منها ولذلك قال العز قلته يدس أنا بكه معين الدين ان من قصيدة

يظن صلاح الدين فرسان جلق * كفر سانه ما الاسد مثل الثعالب
رجال اذا قام الصايب قصلبت * رماحهم في كل ماش وراكب
غدا يطاع الشام النرجع فيلق * مسعودا بطله للصائب
لها ليل تنفع والاسنة انفسهم * فما غير ابطال وشير جنائب

وصلاح الدين هذا الملك كورليس هو يوسف بن أيوب المشهور فان ذلك لم يكن حينئذ ملكا بل قد الجيوش وانما هذا صلاح الدين يمدن أيوب البالغ ساني صاحب سماء أحد أصحاب زنكي وقد تقدم ذكر مراراً وكأنه كان في مقدمة الجيش النوري لما قصد دمشق في المرتين الاولىين أو في احديهما أو في زمن حصار زنكي لها والله أعلم قال ابن الاثير وكان أبغض الاشياء الى الشريخ ان يملك نور الدين دمشق لانه كان يأخذ حصونهم ومعاقلهم وليست له دمه شق فكيف اذا أخذها وقوى بها وانضاف الى ذلك كراهيته لملكه وما للمسيكين فان الدم كان عذره عظيما لما كان قد جعل عليه من الرأفة والرحمة والعدل فلما رأى الحال هكذا عمد الى اعمال الحيلة فراسل مجير الدين صاحبها واستماله ورواه له بالهدايا وأظهر له المودة حتى وثق اليه ثم صار يكتبه في بعض الاوقات ويقول له ان فلانا ويزكر بعض الامراء الذين لمجير الدين قد كاتبني في المخامرة عليك فاحذره فتنارة يأخذ اقطاع أحدكم وتارة يقبض عليه فلما خلدت دمشق من الامراء قدم أميرا كان عنده يسمى عطاه بن حشاش السلي الخادم وكان شمه اسمها عا وفرض اليه أمر دوله وكان نور الدين لا يمكن من دمشق معه فقبض عليه بمجير الدين وقتله فقال له عند قتله ان الحيلة قد تمت عليك فلا تتعالي فانه سيظهر لك ما أقول فلم يصغ الى قوله وقتله قلت وفي بعض قصائد ابن ميثم ما يدل على ان عطاه هذا كان مع نور الدين في دمشق حديث فانه قال

ودمشق في دمشق رجال سلم * لحور نسائهم منهم نساء
هي الفردوس أصبح وهو عاف * من العاني ومن خال خلا
حين ان تعرف الخنسات فيها * ولا رأى هناك ولا رواء
لاسمع صعبا وندت قصائعا * واهكتك اقتياد وامتطاء
وبائع العطاء عطاه رب * توبطه فانشطه عطاه
تفعا باسمه فالقتال وعد * يكون على طلبك به الوفاء
هو والسبب الذي شزرت قواه * وهذبه لخدمتك الصفاء
وسيف ان تشبهه تشم حساما * وان ينفذ فئسا بل ذكاء
جنته لك السعادة فليدرك رأى * لنقب الخناد عليك بهناء

ويجوز انه لم يكن لعطاه في ذلك حديث وانما هذا لا يات او ما في معناها كانت سبب قتله لما بلغ مجير الدين ذلك وعطاه هذا هو الذي ينسب اليه مسجد عطاء خارج الباب الشرقي بدمشق وجورة عطاه ببيت أبيات وهي أرض فيها أشجار

كتاب (٩٦) الروشن

جاء من الحوزة بنى أو تاراجامع دمشق وهي وقف عليه وقدمه العرولة وغسبه من الشعرا قال ابن الأثير فلما قُتل عطاء قوى طعم نور الدين في دمشق فراسل أحداث البلد وزنا طرته واستمالهم فأجابوه إلى تسليم البلد فسار إليهم وحاصروهم عشرة أيام فكتب بجبر الدين الفرج وبذل لهم الأموال وقاعة بعلبك أن رحلوا نور الدين عنه فأبى أن يجمعوا وجاءوا بلغهم أخذ نور الدين دمشق فعادوا إلى خيبر وأما نور الدين فإنه لما حاصروهم وضيق عليهم ثارا لأحداث الذين ركبهم نور الدين وسلبوا إليه البلد من الباب الشرقي فدخله بالأمان عاشر صفر وحصر بجبر الدين في القلعة ورأسه وبذل له الاقطاع الكثير من جبلته مدينة خض فاجاب إلى تسليم القلعة وصار إلى حص وقال ابن أبي طي أخذ نور الدين أسد الدين شيركوه رسولا إلى صاحب دمشق فخر حج في شجل عظيم ومعه ألف فارس فغظم على بجبر الدين ذلك وقال ما هذه رسالة هذه مكيدة ولم يجها سر على الخروج إلى لقاءه ولا أخدم من أمره دمشق فاستوحش أسد الدين ونزل في مرج القصب وأغلظ صاحب دمشق في المال وأنفذ إلى نور الدين بعزقه بما جرى عليه فسار نور الدين في عساكره وزحف إلى البلد من شربه وكانت الحرب في عاشر صفر وثلاث أسد الدين القتال وأبلى الجهد فكسر عساكر دمشق إلى الأسوار من قبلي البلد ولم يكن أحد من المقاتلة على السور من ذلك الجانب لأن نور الدين كان من شرقها ووجل العسكر مقابله ورأى أنه كان مع نور الدين من الجند راية والخبيرين إلى خلل السور من المقاتلة فقتروا إلى السور وتعلقوا به وحصلوا في الحال على الأسوار ويقال أن امرأة كانت على السور فدخلت حبلًا فسد عافيه وصار على السور جماعة ونصبوا السلام وصعد جماعة أخرى ونصبوا علما وصاحوا بشعار نور الدين فوقع على أهل البلد الخسوف وكسر باب البلد ودخلت الخيل الممتدة وملاك نور الدين دمشق وكان لأسد الدين اليد الطولى في فتحها فاولاه نور الدين أمره هارور إليه جميع أحواله وفي هذه السنة أقطعهم نور الدين الرحبة وقال الرئيس أبو يعلى في العشر الثاني من المحرم وصل الأمير أسد الدين شيركوه رسولاً من نور الدين إلى ظاهر دمشق وخيم بناحية القصب من المروج في عسكر يناهز الألف فأنكر ذلك وقسم الاستخوان منه وأهمل الخروج إليه لتلقيه والاختلاط به وتجزت المراسلات فيما اقتضته الحال ولم تسفر عن سداد ولا نيل مراد وغلاسر الأقوات لا تقطاع الواصلين بالغات ووصل نور الدين في عسكره إلى شيركوه الثالث عشر وخيم بعين القاسر يا عند دومة ورجل في الغد ونزل بيت الابرار من الخوطة وزحف إلى البلد من شربه وزحف إليه من عسكره أحداثه الخلق الكثير ووقع الطراد بينهم ثم عاد كل من الفريقين إلى مكانه ثم زحف يوم بعد يوم وتما كذا زحف يوم الأحد عاشر صفر وظهر إليه العسكر دمشق فاندفع بين أيديهم حتى قروا من سور باب كيسان والداغمة من قبلي البلد وليس على السور أحد من العسكرية والبلدية لسوء تدبير صاحب الأمر غير نور الدين لأنه لم يذهب فتمسرع بعض الرجال إلى السور وعليه أمره مودبة فأسارت إليه حبالا قصه عليه وحصل على السور ولم يشعر به أحد فتمسعه من تبعه وطلوعا على ما نصبوه على السور وصاحوا نور الدين بامتصروا متمتع الجناد والرحمة من الجماعة ما هم عليه من المحبة لنور الدين وعدله وحسن ذكره وبادر بعض قطايع الخشب به أساه إلى الباب الشرقي فكسر أغلاقه وفتح فدخل منه العسكر وسعوا في الطرقات ولم يقف أحد من أيديهم وفتح باب توما أيضا ودخل الناس منه ثم دخل نور الدين وخواصه وسر كافة الناس من الجناد والعسكرية ما هم عليه من الجوع وغلاء الأسعار والخوف من منازل الفرج الكفار وكان بجبر الدين ما أحسن بالغلبة والقهر قد انهمز في خواصه إلى القلعة وأنفذ إليه فأومع على نفسه وماله وخرج إلى نور الدين فطيب نفسه ووعده الجليل ودخل تروا إلى القلعة في اليوم المقتد ذكره وأمر بالمندبة بالامان للرحمة والمنعم من انتهاب شئ من دورهم وتسرع قوم من الرعايا والأوباش إلى سوق على وغيره فأغاروا فيها وأخذوا نور الدين إلى أهل البلد ما طيب ففوسهم وأزال فقرتهم وأخرج بجبر الدين ما كان له في دوره بالقلعة والخراش من المال والالآت والأثاث على كثرته إلى الدار الأتابكية دار جدّه وأقام أياما ثم تقدم إليه بما سر إلى حص في خواصه ومن أراد أن يكون معه من أسبابه وأتباعه بعد أن كتب له المنشور باقضاء هذه ضياع بأعمال حص برسمه ورسم جنده وتوجه إلى حص على القضية المقتضية ثم أحضر نور الدين غدا ذلك اليوم أمثال العيسة من القضاة والفقهاء والنجار وخطوبهم إجماعا إلى انسابهم وسروا نفوسهم وحسن النظرهم بما يعود صلاح أحوالهم فأكثروا الدعاء له والثناء عليه والشكر لله تعالى على ما أنصاهم إليه ثم تلا ذلك أبطال حقوق دار البطخ وسوق البقل وضمان الأثمان

وانشا

في أخبار (٩٧) الدولتين

وأنشأ بذلك المنشور وقرئ على المنبر بعد صلاة الجمعة فاستبشر الناس بصلاح الخصال وأعلن الناس رفع الدعا إلى الله تعالى بدوام أيامه ونصرة أعلامه وقال ابن الأثير لما استقل نور الدين في البلد عمل مع أهله مكرمة عظيمة وأظهر فيهم عدلا ما قلقت قد تقدم ذكره في أول الكتاب وسيأتي منه أشياء مفترقة فيما بعد قال وألقى الإسلام حربه بدمشق وثبت أوثاده وأيقن الكفار بالبورار ووهنوا واستكانوا وصار جميع ما بالشام من البلاد الإسلامية بيد نور الدين وأما مجير الدين فإنه أقام بنفس وأرسل أهل دمشق في إثارة الفتنة فأتته في الأمر إلى نور الدين يخاف أن يحدث ما يشق تلافيه بل ربما تعذر لاسيما مع مجاورته الأفرنج فأخذ حصن من مجير الدين وعوضه عنها مدينة بالاس فلم ير ضماوسا عن الشام إلى العراق فأقام ببغداد وابتنى دارا فخيرا ورا المدرسة النظامية وتوفي بها قال ولما ملك نور الدين دمشق خافه الفرنج وعلموا أنه لا يبقعه عنهم وعن غزو بلادهم والمبادرة إلى قتالهم فراسله كل كند وقص وتقرى باليه ثم إن من بسل بأمر أساوه وبذلوا له تسليحه إليه فأرسل إلى الأمير حسان المنجي وهو من أكابر أمراء نور الدين وأقضاؤه منجى فأمره أن يسلمه منهم فسار إليهم وتسليمه وأحضروا رفع اليها ذخائر كثيرة

(فصل ١٠) قال الرئيس أبو يعلى وقد كان مجاهد الدين بز أن أطلق يوم الفتح من الاعتقال وأعيد إلى داره ووصل الرئيس مؤيد الدين السبيعي إلى دمشق مع ولده النائب عنه في صرخة إلى داره معللا على رومها ترك التعرض لشئ من التصرفات والامحال فسد منه من الأسباب المعربة عن إحصار الفساد والعدول إلى خلاف منها هي السداد والرشاد ما كان داعيا إلى فساد الدنيا فيه وكان في إحدى رجله فتح قطال به ونسبه ثم طلقه مرض وانطلاق متدارك أفرط عليه وأسقط قوته مع فراق متصل وقلاع في فيه زائد فقطع في خيجه في ربيع الأول ودفن في داره واستبشر الناس بهلاكه والراحته من سوء أفعاله قال ووردت الأخبار بقتل خليفة مصر الملقب بالظافر بن الحافظ وأقيم ولده عيسى مقامه وهو صغير يناهز ثلاث سنين ولقبوه بالفاتر وعباس الوزير ثم ورد الخبر بأن الأمير فارس الدين طلائع بن زريك وهو من أكابر الأمراء المقتد من الشيعة المذكورين لما انتهى إليه الخبر وهو غائب عن مصر قتل بذلك وأمتعه وجع واحتشد وقصد العودة إلى مصر فلما عرف عباس بما جمع خاف الغلبة فتأهب للهرب في خواصه وأسر أسباه وجره وما تهاوى ماله وسار معه ألفا مقرب من أعمال عسقلان وغرة خرج إليه جماعة من خيالة الأفرنج فاعتز بكثرة من معه وقلة من قصده فلما جاولوا عليه فشل أصحابه وأعانوا عليه وانهمز أفتح حزمة وهو وابنه الصغير وأسرا ابنه الكبير الذي قتل العادل بن السلار مع ولده وجرمه وماله وكراعه وحصلوا في أيدي الفرنج ومن هرب لقي من الجوع والعطش شدة ومات العدد الكثير من الناس والدواب ووصل في أثرهم فارس الدين فوضع السيف فيمن ظفر به من أصحاب عباس واتصب في الوزارة وتدير الأمور موضعه ووصل إلى دمشق منهم من الجأه الحرب على أشنع صفة من العدم والعري في آخر ربيع الآخر قتل وفي ذلك يقول عبارة النبي من قصيدة له

لكم يا بني زريك لأزال ظلكم * مواطن سحبت الموت فيها مواطر

سلمات على عباس بيض صوارم * قهرتم بها سلطانه وهو قاهر

وذكر الأمير أسامة بن منقذ في كتاب الاعتبار أن نصر بن عباس لما قتل ابن السلار وتوزر رأوه عباس كان نصر يعاشر الخليفة الظافر ويخالطه وعباس كاره لذلك مستوحش من ابنه لعلهم يذهب القوم وضرب بعض الناس بعض حتى يقتلوه وشرع الظافر مع ابن عباس في حمله على أبيه ومواصلته بالعطا بالكبرية ففقتني في ذلك فغميته فاطلع والده على الأمر فاستأله أولوه ولطف به وتزمره قتل الظافر وكان يفرحان متكررين وبها تبارك بن ستموا واحد قد عاه إلى داره ورتب من أخصابه معه في جانب الدار ففرغوا لما استقر به المجلس خرجوا عليه فقتلوه وذلك سلخ محرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة وروى موجب الدار وأصبح عباس جاء إلى القصر فحضره في مجلس السلام فجلس في مجلس الوزارة ينتظر جالس الظافر فلما تجاوز وقت جلوسه استدعى صاحب زمام القصر وقال ما لولا نا مجلس السلام فجلس في مجلس الاستاذ في الجواب فصاح عليه وقال مالك لا تتجاوزني قال يا مولاي ما نأذري أين هو قال مثل ما لولا نا معي أرجع واكشف الحال فغضب ورجع فقال ما وجدنا مولانا فقال بقي الناس بلا خليفة أدخل إلى أموال أخوته يفرح منهم واحد لنابعه فغضبني وعاد وقال أموالا بة ولون لك مال سألني الأمر شيء والدنا عزله عنا وجعله في الظافر والأمر لولده بعده قال آخر جموه

صحاب (٩٨) الروميين

حتى يباهيه وعباس قد قتل الظافر وعزم على ان يقول لاختوته انتم قتلتموه وقتلهم فخرج والد الظافر ولعل عمره خمس سنين يجله الامتداد فاحذع عباس لحمله وبكى وبكى الناس ثم دخل به الى مجلس أبيه وهو حامله وفيه أولاد الحافظ قال ابن منقذ ويخرج في الرواق جلوس وفي القصر أكثر من ألف رجل من المصريين فارعنا الاقوم قد خرجوا من المجلس مجتمعين الى القاعة فاذا السبوف تختلف على انسان فقلت للعلام ان ارمي انظر من هذا المقتول فبقي وعاد وقال ما هؤلاء مسلمين هذا مولاي أو الامانة جبريل بن الحافظ قد قتلوه ثم ان واحد اشق بطنه يجذب مصارينه ثم خرج عباس وهو أخذ برأس الامير يوسف تحت ابطنه وفي رأسه ضربة سيف والدم يبور منها وأول البقاء ابن أخيه سمع ابنه نصر ثم ادخلوا خزانة في القصر فقتلوا هو في الخزانة ألف سيف مجرد قال وكان ذلك اليوم من أشد الايام التي جرت على الانبياء رأيت من الفساد والبي ما ينكره الله سبحانه وجميع خلقه وذكر الامير أسامة بن منقذ في ديوانه قال كان لعباس أربعمائة رجل يحمل أقاله ومائتا رجل ومائتا جندي فأنار اذا خرج من مصر يوم الجمعة رابع عشر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وخمسة مائة وقد قام عليه أهل مصر وعسكر بها فافارهم وراجلهم تقدم بشدة خيله وبغالته وجباله الخيل ويخرج فلما صار الجميع على باب داره وقد ملأ ذلك الفضاء الى قصر السلطان الى الايون خرج غلام يقال له عنبر كان على أشغاله وعلمانه كأنهم تحت يده فقال للجبالين والخير بندي والركابية روجوا الى بيتك وسيدوا الدواب فنعوا واذنوا ونحازروا الى المصريين بقائله معهم وكان ما جرى من تسميك الدواب لطفا من الله تعالى به فانها سدت الطريق بينه وبين المصريين ومنعتهم من الوصول اليه وهم في خلق كثير ونحن في قلة مانبلغ خمسين رجلا وغلبنا عباس وماليه في ألف ومائتي غلام بالخيل والجياد والسلاح التمام ومما غلبه فارس من الاتر الخرجوا كلهم من باب النضرووفة وفي الفضاء الذي بينه وبين رأس الطاية فرار من القتال فشرع المصريون في نهب الخيل والجبال والبغال فلما فتحوا طريقهم اليه خرج عباس من باب النصر وجاءوا في أثره حتى أفضوا الى الباب وعادوا في نهب دوره وكان عباس قد أحضر من العرب نحو من ثلاثة آلاف فارس يتقوى بهم على المصريين واستخلفهم ووجههم هبات عظيمة فلما خرج من باب مصر غدر وابه وقتلواوه وأشد قتال ستة ايام بقتالهم من الفتح والخليل وتقطع ويخرج اليهم منها ما فيه منعة وقوة فما أخذوه فكان ذلك سبب هلاك خيله وقد تمكن الافرنج فتحمل الخيل وتقطع ويخرج اليهم منها ما فيه منعة وقوة فما أخذوه فكان ذلك سبب هلاك خيله وقد تمكن الافرنج منه واشتعل له عن ساوكة طريق لا يقصده الفرنج اليه قال ودامت الحرب بينه وبينهم من يوم الجمعة فبقي نهار الى آخر يوم الخميس ثم جاؤا اليه وأخذوا منه حسبها على أهوالهم وأنفسهم ويوتهم ظننا منهم ان له عودة اليهم وانصر فواقعهم يوم الاكثر من ثلاثة آلاف فارس ويوم الاحد صبحتهم الافرنج وقد هلك الناس من الجوع والعطش وماتت خيلهم فقتلوا ابنه الاوسط وأسر ابنه الاكبر وقتلوا خلقا كثيرا وأخذوا نساء عباس وخزائنهم وأسر أولاد اله صغيرا وانصر فوا قتل عباس هذا هو عباس بن أبي الفتح بن تميم بن المعز بن باديس الجعري ويلقب بالافضل ركن الدين ويكنى بأبي الفضل ورأيت علامته في الكتب ايام وزارته الجدة لله وبه أتق وفيه يقول أسامة بن منقذ لقد عم جود الافضل السيد الأورى * وأغنى غناء الغيث حيث يصوب

ومن أبيات لابن أبي أسعد فيه ما قتل الظافر وأنت في من انعامهم في هلاكهم * وأظهر ما قد كان عنه تتافق
وسد بدا قد طوّلوها اليهم * وحلت بأهل القصر منه البوائق
سقى ربه كاس المنيا يوما انقضى * له الشهر والوهل ككاس ذائق
وكان عباس قد فتح من أسامة عند خروجه من مصر لما يعلمه بينه وبين الملك الصالح من المودة والمصافة فاحضره واستخلفه انه لا ينفصل عنه ثم لم يقنع بذلك حتى أنفذ من أساتذته داره من يدخل على حرمه الى داره فأخذ أهله وأولاده فزكهم عند أهله وأولاده وقال قد جعلت ثقلهم عنك لهم أسوة لوالدنا ناصر الدين يعني ولده ناصر الدين وابخوانه فلما خرجوا ونهبت دورهم ودوابهم هجزعن جل من يتخصه فاعادهم أسامة من بليس وانشد الى الملك الصالح يقول له قد انذرت أهلي وأولادي اليك وأنت ولي ما تراه فيهم فأنزلهم في دار أخرى عليهم الجارى الواسع

وأحسن إليهم غاية الاحسان وكان يكاتبه في الرجوع الى مصر وهو الملقب بالأمير مفعدا فخلص أهله وأولاده فلما عرف ذلك منه نسبة الى وحشة قلبه من القصور وفورده من مصر بين فأنفذ اليه بقوله اتصل الى مكة في الموسم وبلغا القسوس الى بها وسلم اليك مدينة أسوان وانفذ اليك أهلك وأهلك بالأموال وهي كما علمت الشجر بيننا وبين السودان وما يستد ذلك الشجر مثلك وأكثرت من الوعد وذكر رغبته في قربه ورعايته وما بينه وبينه من تقديم العجبة فاستأذن أسامة في ذلك الملك العادل نور الدين وكان في خدمته فقال بالأن ما تساوى الحياة الشتات والرجوع الى الاخطار والبعد عن الاوطان ومنعه من ذلك بأحسنه ووعد ان يستخلص أهله فكتب أسامة الى الملك الصالح يعثرت ويسأله تسييرا أهله وترددت بينهم مكاتبات وشعار متصلات الى ان سيرهم وهم تيف وخسرون نسبة في الأكرام والاحترام الى آخر ولايته وذكر ان أهل القصور والامراء أنكر وتسيرهم وقالوا ان يكون أهلهم رهائن عندنا لمن ما يكون منه ووصله بعض أصحابه من دمشق وهو في العسكر النوري بحلب فأخبره ان من كان له بمصر من الاهل والاولاد والاصحاب وصلوا وان المراكب انكسرت بهم في ساحل عكا ونهب الفرنج كل ما فيه ولم يصلوا الى دمشق الا بأنفسهم وان ممتلك الا فرنج اعطاهم خمسمائة دينار أصلها ومنها حالهم وأكثروا ظهور الى دمشق قال أسامة

الى الله أشكو فرقة دمت لها * جفوني واذا كنت بالهموم ضعري
تمادت الى ان لاذت النفس بالني * وطارت بها الاشواق كل مطير
فلما قضى الله اللقاء تعسرت * مساء دهرى في طريق سرورى

(فصل ١٠) قال أبو يعلى في آخر ربيع الأول وصل الامير محمد الدين أبو بكر محمد نائب نور الدين في حلب الى دمشق عقيب عودهم من الحج وأقام أياما وعاد الى منصبه في حلب ونذير اعماله لما قبلت محمد الدين هذا هو ان الداية وكان نور الدين كثير الاعتقاد عليه وعلى اخوته وسيتذكر ذكرهم في هذا الكتاب ومحمد الدين أكبر اخوته وقد مدحه الشعر اذ قال القسمراني من بعض ما قاله فيه

دعوا ما مضى من قبل هذا المأجد * فاقسم لولا الجسد ما عرف الجسد
كريم تمت أوصافه لعفائه * تحرى ان كل اثنين بينهما عقد
محبة والبشرى وعيشه والندى * وتجوأه والدينا وتقواه وان همد
ففي قسره الزلجي وفي وعده المغنى * وفي نيله الحسنى وفي ربه الرشيد
اذ اوجسه نور الدين قابل مجسده * فقل في كمال البدر قابله السعد

وفي موسم هذه السنة توفي أمير الحرمين هاشم بن قليته وولى الحرمين ابنه قاسم بن هاشم وهو الذي أرسل عمارة الجيني الفقيه الشاعر الى الديار المصرية وسيأتي ذكره قال أبو يعلى وفي ثامن جمادى الاولى ورد الخبر من ناحية مصر ان عدة وافرة من مراكب الفرنج من صقلية وصلت الى مدينة تنيس على حين غفلة من أهلها فهجمت عليها وقتلت وأسرت وسببت ونهبت وعادت بالغنائم بعد ثلاثة أيام وتركتها صفرا وبعد ذلك عاد من كان هرب منها في البحر بعد الحادثة ومن سلموا اختفى وضاعت الصدور عند استماع هذا الخبر المكره قال وفي شهر رمضان ورد الخبر من ناحية حلب بوفاة القاضي فخر الدين أبي منصور محمد بن عبد الصمد بن الطرسوسي وكان ذاهمة ماضية وبقطة ومرة وقاهرة في داره وولده ومن يليه من غريب ووافد وقد نفذ أمره وتصر في أعمال حلب في الايام الثورية وأثر في الوقوف أثر احسانا فوفد به ارتقا فها هم اعترزل عن ذلك أجد اعترزال

(ثم دخلت سنة خمسين وخمسمائة) فقها تسلم نور الدين بعلي بك من واليهما خفاك ذكر ابن الاثير ان ذلك كان في سنة اثنين وخمسين وقال كان خفاك البقاعي ينوب بعلي بك عن صاحب دمشق فلما مات نور الدين دمشق امتنع خفاك بها ولم يكن نور الدين محاصرها بالقرب من الفرنج فلفظ الحال معه الى ذلك الوقت فلكها واستولى عليها وقال ابن أبي طي لما فتح نور الدين دمشق اتصل ذلك بهجم الدين أبيوب فكانت نور الدين في تسليم بعلي بك فأنفذ اليه وتسلمها منه وألحقه بأصحابه قال ورويت بعض المؤرخين قد ذكر ان مجير الدين صاحب دمشق أنزل بهجم الدين من القلعة وجعله في البلد وولى القلعة رجلا يقال له خفاك فلما ملك نور الدين دمشق خرج الى بعلي بك واستمزل منها خفاكا

كتاب (١٠٠) الروضتين

وتوسط أسد الدين في أمر أخيه نجم الدين مع نور الدين فأقطعهما أسد الدين إلى دمشق فقام فيها وورد دمشق إليه وولي ولده نور الدين إنشاء شحنة دمشق فمضى إلى حلب إلى أن توفي فولى صلاح الدين شحنة دمشق فقلت هذا هو نور الدين شاه هو الملك الأعظم شمس الدولة الذي فتح اليمن في أيام أخيه صلاح الدين فكيف يقول أنه مات قبل أن يلي صلاح الدين شحنة دمشق وأما كونه ولي الشحنة بدمشق قبل صلاح الدين فهذا قريب وقد رأيت ما يؤكده قرأت في ديوان العزلة وقال بهنبيه بالشحنة بدمشق وهو في دار عمه أسد الدين شير كوه بن شاذي قلت لحسانك زبير وأبي الحسد * قد سكن الدار وقد حاز البلد لا تخبسوا أن حبل دار عمه * أما محل الشمس في برج الاسد وقال في صلاح الدين لما ولي الشحنة

لصوص الشام توأما من ذنوب * تركزها العقوبة والصفاد
لئن كان الفساد لكم صلاحا * فولاى الصلاح لكم فساد

وله فيه أيضا

وريدكم بالصوص الشمام إلى لكم ناصح في مقال
وأياكم * ونسبي يوسف رب الخي والجمال
فذلكم قطع أبدي النسب * وهذا مة قطع أبدي الرجال

قال ابن أبي طي وولي صلاح الدين شحنة دمشق والديوان فقام في نفسه أياما ثم تركه وصار إلى حلب لاجل واقعة جوت بينه وبين صاحب الديوان أبي سالم همام فانهذ نور الدين وأخذ ابن همام وخلق لحبيته وطيف به في دمشق فقلت وابن همام هذا هو الذي ذكره الشهابي في قصيدته وأشار إلى خلق لحبيته بقوله

كأنى سالم بن همام * قام للصح عادي مام

ثم قال ابن أبي طي واستنصر نور الدين صلاح الدين وألحقه بخوادمه فكان لا ينفارقه في سفر ولا حضر وكان يفوق الناس جميعا في لعب الكرة وكان نور الدين يحب لعب الكرة قال أبو يعلى ونزل نور الدين بعسكره بالعمال المختصة بالملك فليج أرسلان بن الملك مسعود بن سليمان بن قتيبة له كونه وما والاها فلك عتة من قلاعها وحصونها بالسيف والامان وكان الملك فليج أرسلان وأخوه ذوالنون ودولات مشتهلين بمسارعة أولاد الدانمشند ونصروا عليهم في وقعة كانت باقصر في شعبان فلما عاد فليج أرسلان وعرف ما كان من نور الدين في بلاده عظم عليه هذا الأمر واستدشعه مع ما بينهم من المودة والمهادنة والصهر ورأسه بالكتابة والانكار والوعيد والتهديد فاجابه نور الدين بحسن الاعتذار وجيل المقال وبقي الأمر بينهما مستمر على هذه الحال وعاد نور الدين من حلب إلى دمشق قال وولي الاسطول المصري مقدم شديد البأس بصير بأشغال البحر فاختار جماعة من رجال البحر يتكلمون بلسان الفرنج والبسهم يتألمون من مضيقهم في عدة من المراكب الاسطولية وأطلع في البحر لكشف الاماكن والمساكن المعروفة بمراكب الزوم وتعزف أحواشهم قصصا متناورة وقد ذكر له ان فيه مختورة رومية كبيرة فيها رجال كثير ومال وافر ففهم عليهم ما عملوا كهنا وقتل من فيها واستولى على ما حوته وأقام ثلاثة أيام ثم أخرجها وعاود عنها في البحر فظفر بمراكب حجاج الفرنج فقتل وأسر واشتهب وعاد مصر بالغنائم والأسرى قتلت في هذه السنة وروى الأمر الخليفة ببغداد وهو المقتدى إلى أمير الحرمين فاسم بن هاشم بأمره أن يركب على باب الكعبة المكة مع باب ساحج جديدا قد ألدس جميع خشبه فضة وطل يذهب وان يأخذ أمير الحرمين طية الباب القديم لنفسه ويسر إليه خشب الباب أنفسهم بمجدد الجبله نابوتابدين فيه عند موته وذلك الفقيه عمار الشاعر وقال سألني أمير الحرمين ان يسع له الفضة التي أخذها من الباب في اليمن ومبلغ وزنها خمسة عشر ألف درهم فتوجهت إلى يزيد وعدت من مكة في صفر سنة إحدى وخمسين وحججت في الموسم منها فدفع أمير الحرمين ماله والزيادة التي أرسل عنه إلى مصر يعني من ثمانية بسبب جنانية جندها خدمه على حاج مصر والشام

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وخمسمائة * قال ابن الاثير فيها حاصر نور الدين قلعة حارم وهي حصن غربي

في أخبار ١٠١ الدولتين

حلب بالقرب من انطاكية وضيق على أهلها وهي من أمتع الحصون وأحصنها في تخوم المسلمين فاجتعت الفرنج من قرب منها ومن بعد وسار واتحومنها وكان بالحصن شيطان من شباب الفرنج يرجعون إلى رايه فأرسل إليهم يعرفهم قوتهم وانهم قادرون على حفظ الحصن والذب عنه بما عندهم من العدد والعدو حصانة القلعة ويشير عليهم بالمطاوله وتركه اللقضاء وقال لهم ان لقيتموه هزمكم وأخذ حارم وغيرهما وان حفظتم أنفسكم منه أطلقنا الممتناع عليه فغضبوا لما أشار به عليهم وراساوا نورا الدين في الصلح على ان يعطوه حصنة من حارم فأبى ان يجيبهم الا على مناصبة الولاية فأجابوه الى ذلك فصالحهم وعادوا في ذلك يقول بعض الشعراء من قصيدة وذكر أبا تامن قصيدة لابن منير وقد سبق ان ابن منير توفي سنة ثمان وأربعين فاما ان يكون ابن منير قال هذا الشعر في غير هذه الغزاة واما ان تكون هذه الغزاة في غير هذه السنة وقد قرأت في ديوان ابن منير وقال يدحيه ويهنيه بالعود من غزاة حارم

ما فوق شأؤك في العلى من داد * فعلام يلقى عزمك الاجهاد
هم ضربن على السماء سرادقا * فالشهب اطناب لها وعمار
أت الذي خطبت له حساده * والفضل ما اعترفت به الحساد
قام الدليل وسلم الخصم اليئسدا * دوا بجلى للأثر الاسناد
زهرت لبلوتك البلاد فروجها * ارج المهب ودوجها مباد
أحيار بيع العدل ميت ربوعها * فالبرض نجم والحشم مراد
فالعيش الا في جنائك ميتة * والنوم الا في حناك سهاد
واذا العدى زرعوا النفاق واحصدوا * كيدا فغزوك ناقض حصاد
بالقربات كان فوق متونها * جسن الملا وكأنها أطواد
تدأى رمن وحى الكماة صفورها * فالجزر قيسد والندى قياد
سحب اذا سحبت أرض ذيلها * فالخزن سمل والمضارب وهاد
يهدى النواظر في دجنة نفعها * بدر بمرججك نير وقاد
أليس تدين محمد يانوره * عزرا له فوق السها إساءد
مازلت تسبحه عباد القنا * حتى تثقف عوده المباد
لم يبق مذ أرفقت عزمك دونه * عدد راعبه ولا استعداد
ان المنابر لو تطيق تكلمها * جدتك عن خطبائها الاعواد
واثن جت منك الاعادى مهلة * فلهم الى المرى الولى معاد
ولكم لى في أرضهم من مشهد * قامت به لظها كم الاشهاد
ملق باطراف الفرنجية كدخلا * طرفاه ضرب صادق وجلا د
حاموا فلما عاينوا حوض الردى * حاموا برائش كيدهم أو كادوا
ورجا البرنس وقد تبرنس ذلة * حرما بحمار والمصاد مصاد
ضجت ثعاليه فأخوس جرسها * بيض تناسب في الحديد حداد
وسوا عدد ضربت بهن وبالقنا * من دون مله أحمد الاسداد
يركن في حلب ومن اقناسها * تحنى فواسكه أمها بقاد
يامن اذا عصفت زعازع بأسه * نجت جهم الشريكه فى رما د
عجبا القوم جاولوك وحاولوا * عودا فواتهم اليه مراد
ورأوا لواء النصر فوقك خافسا * فأقام منهم فى الصلوع فؤاد
من منكر ان ينسف السبل الربا * وأبوه ذلك العارض المسداد
أوان بعيد الشمس كاسفة السنا * نار لها ذلك الشهاب زناد

كتاب ١٠٣ الروضتين

لا ينفع الآباء ما هم كرام من العلياء حتى ترفع الأولاد
ملك يقدح خوفه ورجاؤه * ولعلنا نتظار الضداد
وقال يمينه بالنصر يوم حارم قصيدة أولها (المكك ما نشاء من الدوام) يقول فيها
حظيت من المعالي بالمعالي * ولاد الناس بعدك بالاسماى
عز ز المنتهى على المراقى * بعيد المرمى غالى المسامى
فما أحد الى العلياء يدى * تحتك القسبي القسماى
أولك المعلى قم الاعادى * اذا استعرت مذامه النعام
زكاعرق العراق وقتكركى * به وأطال من شمم الشام
وجسدك جدد حتى قال قوم * على الفلك أبتنى عبد الحينام
نشرت ففت أباه عظاما * اذا فخر المناقر بالاعظام
وقفنا والنواظر مبهجدا * وروح العز ذارى الختام
أساطير كان يوم فضلات * كأن من صلاة فى نظام
لدى ملك سجاياه سجال * تعاقب بين عفو وانتقام
كرمك كثر يد أيدى العفاة * وقلت عدد الكرام
فأهلنا السالف حتى هلال * وكفرنا لضا حكنى حسام
ذهلنا والسماط فخال سبطا * وقد سجدنا لقول السلام
هل الدست استقل بليث غاب * أم الفلك ارتدى بدر النعام
يطرب به الى العلياء نفس * غروب عن ملاءمة الام
وخير سماعه ضرب مدام * اذا طرب الملوكة الى المدام
سقى الله العوامل من جبال * سعين النفع عن نفع الاوام
فكم انجبت من أمل عقيم * بها وحيت من داء عقام
باب والزعال كأن ثولا * تطاوح تحت غير من ايام
مقام كنت قطب رحاه أرحى * مقام بين زمر والمقام
ريتمهم بارعن مرجحى * ابارهم وكنت أبر رام
وقت وقد تناعس كل راع * وقام وقد تناعس كل حام
فايدى الخيل تذرع بحرج * من الدم من يد التثمين طام
أحلت الدين فيه وكان هما * عز ز القوم معتدل القوام
وفي شجر اعطام شاجرهم * سوا غم كالسهم بكالسهام
فالوقد مثل الاسلام شخصنا * رشف ما وطفقت من السلام
فأكذب مدعين هفوا وغزوا * بان الارض تخلو من همام
أول الانصاركم هذا التعاشى * عن النور المبين بل التعامى
عن القمر الذى يحلوه ظل السعواصم فى ضيا التليل التهامى
هو المهدى لامن ضل فيه * كثير واستخف سوى هشام
وقائم عصرنا لا مامنى * به من صوغ أضغاث المنام
بنور الدين أنشر كحل حق * أطيل ثواؤه تحت الرحام
وطالت قبة الاسلام حتى استوت بين الفوارس والنعام

نطابق لاسمه لفظ ومعنى * أحلاه الطابق على الأنام
جرى قد أمه ابن سببكتين * وقبل الويل هيمته الزهام
وكان من الجيوم بحيث توى * اليه من عنايات التسكاي
وجئت فصار أشجع ما يشاء * لما شيدت الأنام زحام
أطاعك أذا طعت الله جئت * ركبت به الزمان بلا زمام
ألا يارب ما اتفق الاسماحي * وفاضل بينها درج التسامى
جنى شرفا من استغواء حنت * اليك وكم حياة من حمام
ترشفك الحكمة وأنت موت * كأنك من طعان في طعام

(فصل) قال الرئيس أبو يعلى توجه نور الدين الى ناحية حلب في بعض عسكره في الرابع والعشرين من صفر عند انتهائهم خبر الفتح اليه بعينهم في أعمال حلب وفسادهم وعادة في طريقه بالمشر بغير عسكره الحلبى بالافرنج المفسدين على حارم وقتل جماعة منهم وأمرهم ووصل مع المشر عدة وافر من رؤس الافرنج المذكورين وطيف بهم في دمشق قال وعاد نور الدين الى دمشق في بعض أيام رمضان سالما بعد تمذيب حلب واعمالها وتقدأحوالها واستقرت المادعة المادعة بينه وبين ولد السلطان مسعود صاحب قونية وزال ما كان حدث بينهما وفي شوال تقررت المادعة والمهادنة بينه وبين ذلك الافرنج مدة سنة كاملة وأطاعا بالامان والمواثيق المشددة قال وفي العشر الاخر من ذى الحجة غدر الفرنج ونقضوا ما كان استقر من المادعة والمهادنة بحسب وصول عدة وكفره من الفرنج في البحر وقوة شوكتهم بهم ونهضوا الى ناحية الشعواء المجاورة لانياس وقد اجتمع فيها من جشارات خيول العسكرة والارعة وعوامل فلاحى الضياع ومواشى الحلابين والعرب والغلايين الشيء الكثير الذى لا يحصى فيذكر الحاشية الى ان يها والسكون الى المدينة المستقرة ووقع للندوبين بحفظه لتعصير فاتهتروا الفرصة واستاقوا جميع ما وجدوه وأقره وأهله من مع من أسروهم من تركمان وغيرهم وعادوا غاغبين ظافرين آمنين والله عادل في حكمه يتولى المكافاة لهم والادالة منهم وقد فعل سبحانه ذلك على ما سبى في حوادث السنة الآتية وفيها توفي القاضي أبو الفتح محمود بن اسماعيل بن قادوس كاتب الانشاء بالحاضرة المصرية وأصله من دمياط ذكره العماد الكاتب في الخبرية وأثنى عليه ومن شعره في رجل كان يكثر التكبير في آخر الصلاة

وفاتر اليمعة عندينا * مع كثرة الرعدة والهمزة
محسب بر سبعين في مرة * كأنه صلى على حمزة
وله في وصف كتاب

مداده في الطرس ما بدا * قبله الصب ومن يزهد
صكنا قد حل فيه اللبا * وأذاب فيه الجبر الاسود

ويلغنى ان القاضي الفاضل كان يعظمه كثيرا ويحميه هذا البلاغتين وهو أحد من اشتغل الفاضل عليه وكان لا يمكن من اقتباسه فأنه غالب الا في ركوبه من القصر الى منزله بمصر ومن القصر الى القصر فيسار به الفاضل ويجاريه في فنون الكتابة والآداب والشعر قال وفيها في يوم الثلاثاء الثالث من ربيع الاول من هذه السنة توفي الفقيه الزاهد أبو البیان بن أحمد المعروف بابن الجوزي وكان حسن الطريفة مذنباً صلياً ان قضى متديناً نقياً عفيفاً سخيماً للعلم والأدب والمطالعة للغة العرب وكان له عند خوج سر بر بقره في مقابر الباب الصغير المجاورة لقمورا الحجابية من الشهداء رضى الله عنهم يوم مشهور ومن كثرة المتأسفين له والمتنين عليه قلت وفي هذه السنة والحق بعدها كثرت الزلازل بالشام قال أبو يعلى في ليلة الثامن والعشرين من ربيع الاول وافتتزلها هائلة وجاءت قبلها وبعدها مله في النهار وفي الابل ثم جاء بعد ذلك ثلاث دونهن بحيث أحصين ست ممرات وفي ليلة الخامس والعشرين منه جاءت زلزلة اتع الناس منها في أول النهار وآخره وتواصلت الاخبار من ناحية حلب وجاء بها من عدم واضع

كثيرة وانهدام برج من أبراج افامية بهذه البركة وذكر ان الذي أحصى عدده منها تقدير الاربعين وما عرف مثل ذلك في السنين الماضية والاعصار الحاصلة وفي التاسع والعشرين من الشهر بعينه وافت زلزلة آخر النهار وبالليل ثانية في آخره وفي أول شهر رمضان زلزلة مرة وعدة وثانية وثالثة وفي الثالث رمضان ثلاث زلازل وأخرى وقت الظهر وأخرى هائلة أبقت النيام وروعت القلوب ان تصاف الليل وفي ليلة نصف رمضان زلزلة هائلة أعظم مما سبق وعند الصباح أخرى وفي الليلة التي يليها زلزلتان أو لها وآخرها وفي اليوم الذي بعده وفي ليلة الثالث والعشرين زلزلة من بعدة وفي ثاني شوال زلزلة أعظم مما تقدم وفي سابعه وسادس عشره وفي اليوم الذي جاء بعده أربع زلازل وليلة الثاني والعشرين منه ودفع الله تعالى عن دمشق وضواحيها مخاف أهلها من نوال ذلك وتتابعه برأفته بهم ورحمته لهم فله الحمد والشكر لكن وردت الاخبار من ناحية حلب بكثرة ذلك فيها وانهدام مساكنها وأما شيزرفان الكثير من مساكنها انهدم على سكانه بحيث قتل منهم العدد الكثير وأما كفرطاب فهرب أهلها منها خوفا على أرواحهم وأما حماه فكانت كذلك وأما باقي الأقاليم الشامية فاعرف ما حدث فيها من هذه القدر الباهرة والله أعلم ثم دخلت سنة الثنتين وخمسين وخمسمائة في ليلة تسع عشر صفر وافت زلزلة عظيمة وتلاه أخرى وكذا في ليلة العشرين واليوم بعدها وتواصلت الاخبار من الشام بعظم تأثير هذه الزلازل وفي ليلة الخامس والعشرين من جمادى الاولى وافت أربع زلازل وضع الناس بالتمليل والتسبيح والتدريس وفي ليلة رابع جمادى الآخرة وافت زلزلتان وراقت الاخبار من ناحية الشمال بأن هذه الزلازل أثرت في حلب تأثيرا عرج أهلها وأقلقهم وكذا في حصص وهدمت مواضع فيها وفي حماه وكفرطاب وافامية وهدمت ما كان بني من مهدوم الزلازل وحسب ان ثما اثرت فيها هذه الزلازل تأثيرا مهولا وفي رابع رجب نهارا وافت بدمشق زلزلة عظيمة لم ير مثله اقبيا تقدم ودامت رجفاتا حتى خاف الناس على أنفسهم ومنزلهم وهر بوا من الدور والسقائف وانزعجوا وأثرت في مواضع كثيرة ومرت من فاص الجوامع الشيخ الكثير الذي يجتز عن أعادته ثم وافت عقيمها زلزلة في الحال ثم سكتا بقدرته من حركتهما تسع ذلك في أول ليلة اليوم المذكور زلزلة وفي وسطه زلزلة وفي آخره زلزلة وفي ليلة الجمعة ثامن رجب زلزلة مهولة أزيجت الناس وتلاه في النصف منها ثانية وعند انبلاج الصبح ثالثة وكذلك في ليلة السبت وليلة الاحد وليلة الاثنين وتابعت بعد ذلك بما يطول به الشرح ووردت الاخبار من ناحية الشمال بما يسوء سماعة وربع النفوس ذكره بحيث انه دمت حماه وقلاعها وسائر دورها ومنازلها على أهلها من الشيوخ والشبان والاطفال والنسوان وهم العدد الكثير والحجم الغفير بحيث لم يسلم منهم الا القليل اليسير أو أما شيزرفان وبعضها من الاما كان خرب أولا وأما حصنها المشهورة فانه انهدم على واليه تاج الدولتين أبي العساكر بن منقود من تبعه الا اليسير من كان خارجا وأما حصن فان أهلها كانوا قد اختلفوا منها الى ظاهرها فساروا وتلفت مساكنهم وتلفت قلاعها وأما حلب فهدمت بعض دورها وخرج أهلها منها الى ظاهر البلد وكفرطاب وافامية وما والاها ودنا منها وبعد عنها من الحصون والمعقل الى جبله تجميل وأتلفت سلبية وما اتصل بها الى ناحية الرحبة وما جاورها ولولم يدرك العباد والبلاد درجة الله تعالى ولطفه ورأفته لكان الخطب أظفح وقد نظم في ذلك من قال

(روعتنا زلازل حاديات * بقضاء قضاه رب السماء
هدمت حصن شيزر وجاه * أهلك أهلها بسوء القضاء
ويلاذ احشيرة وحصونا * وثغورام وثقات البناء
واذا مارنت عيون النبا * أحرقت الدمع عندها بالدماء
واذا ما قضى من الله أمر * سابق في عبادته بالمضاء
حوقلبيب فيه ومن كا * ن له فطنة وحسن ذكاء
وترامه سبحانه على العي * من وعام من سخطه وبلاء
جذل رب في ملكه وتعالى * عن مقال الجهال والسفهاء

في الخبر (١٠٥) الدولتين

قال وأما أهل دمشق فلما وافهم الزلزال في ليلة الاثنين التاسع والعشرين من رجب ارتاع الناس من هولها وأحفلوا من منازلهم والأما كن المنسقة إلى الجامع والأما كن الخالية من البنيان خوفا على أنفسهم وروايت بعد ذلك أخرى ففتح البلد وخرج الناس إلى الظاهر والبياتين والحجر وأقاموا عدة ليل وأيام على الخوف والخبر وسبحون وبملاكون ويرغبون إلى خالقهم ورازقهم في اللطف بهم والعفو عنهم قال وفي الرابع والعشرين من رمضان وافقت دمشق زلزلة عظيمة روعت الناس وأزعجتهم ما وقع في نفوسهم مما قد جرى على بلاد الشام من تتابع الزلازل فيها ووافقت الأخبار من ناحية حلب بأن هذه الزلزلة جاءت فيها هائلة فقلقت من دورها وجدد رنائها العدد الكثير وانها كانت بجماه أعظم مما كانت في غيرها وانها هدمت ما كان عمر فيها من بيوت تلجئ إليها وانهدامت فيها أياها كثيرة في كل يوم عدة وأفرقة من الرفقات الهائلة يتبعها اصبيحات مختلفات توفى على أصوات الرعد القاصفة الزججة فسبحان من له الحكم والأمر وتلا ذلك دقات متوالية أخف من غيرها فلما كان ليلة السبت العاشر من شوال وافقت زلزلة هائلة بعد صلاة العشاء استمر فزعمت وألقت وتلاها في أثرها زلزلة خفيفة وكذا في ليلة العاشر من ذي القعدة وفي غد لها زلازل وليلة الثالث والعشرين والخامس والعشرين منه أيضا زلازل نفر الناس من هولها إلى الجامع والأما كن المنكشقة وخجوا بالكثير والتهليل والتسبيح والدعاء والتضرع إلى الله تعالى وفي يوم الجمعة انسلخ ذي القعدة وافقت زلزلة رجفت لها الأرض وازعج لها الناس وقال ابن الأثير في سنة اثنتين وخسين كان بالشام زلزلة شديدة ذات رجفات عظيمة متتابعة أخرت البلاد وهدكت العباد وكان أشدها بمدينة حماه وحصن شيرز فانهماخر بالبانة وكذا ما جاورها تحصن بارس والمعة وغيرها من البلاد والقرى وأوهك تحت الهدم من الخلق ما لا يحصىه إلا الله تعالى وتهدمت الأسوار والدور والقلاع ولولا أن الله تعالى من على المسكين بنور الدين جمع وحفظ البلاد والأما كن دخلها الأفرح بغير حصار ولا قتال قال ولقد بلغتني من كثرة الهلكى أن بعض المؤمنين بجماه كانه فارق المكتتب لهم بجاءت الزلزلة فأخرب الدور وسقط المكتتب على الصبيان جميعه قال المعلم فلما بات أحد يسأل عن صبي كان له في المكتتب قلت ورايت في ديوان الأمير الفاضل مؤيد الدولة أسامة بن مرشد بن مقدوق قال في الزلازل التي أهلكت كثير من أهل الشام وكان ابتدأها في شهر الله رجب سنة إحدى وخسين وخمسائة وهلك بها من هلاك من الخلق وكان نحو ما عشرة آلاف نسمة قال وكتب هذا المكتوب والزلازل إلى الآن تتعاهد البلاد

فمنع الموت والمعاد وأصبحنا نأمن اليقين احلاما

فركنتها هذى الزلازل أى * تيقظوا لكم بئام ناما

وقال أيضا

أيها النافلون عن سكر قالمو * تاذلوا يسوغ في الخلق ريق
كم إلى كم هذا التشاغل والغفلة حار السارى وضل الطريق
انما هزت الزلازل هذى السدس بالغاقلين كي يستفيقوا

وقال في الزلازل أيضا وقد سكن الناس بعد الدور والزهة في أكواع عموها بالآخشب ثلاثتها الزلازل

بأرحم الراحمين أرحم بآدلك من * هذى الزلازل فهى الهلك والعطب
ماجت بهم أرضهم حتى ككأنهم * ركاب يجر مع الانفاس يضطرب
فصفيهم هلكوا فيها ونصفهم * لمصرع السلف الماضين يرتب
تعوضوا من مشيدات المنازل بال * كواخ فهى قوبر وسقفا خشب
كأنها سفن قد أقبلت وهم * فيها فلا ملبأ منها ولا هرب

وقال يرثي أهلها الذين هلكوا بالزلزل حصن شيرز قصيدة منها

ما استدبح الموت قومي في هلاككم * ولا تخرمهم مثنى ووحدانا
فكنت اصبر عنهم صبر محتسب * وأجد الخطاب فيهم عز اوهانا
واقبدي بالورى قبلى فكم فقدوا * أنا وكم فارقوا أهلا وجيرانا

كتاب (١٠٦) الروضة

لكن سقيت المنايا وسط جمعهم * رغاظوا على الاذقان اذعانا
 وفاجأتهم من الايام فارصة * سسقتهم بكؤوس الموت ذيفانا
 ماتوا جميعا كرجع الطرف وانقضوا * هل ما ترى تارك للعين انسانا
 اعز زعلى منهم من معشر صبروا * على الحفظة ان ذلولة لانا
 لم يترك الدهر لي من بعد فقدهم * ثلثا أجهمه صبرا وسلاوانا
 فلوراوى اقلوا مات أسعدنا * وعاش اللهم والاخزان اشقانا
 لم يترك الموت منهم من يتعبرنى * عنهم فيوضح ما قالوه تبياننا
 بادوا جميعا وما شادوا فواجبنا * للخطب أهلك عمارا وعمرانا
 هلك قصيوقهم أمست قبورهم * كذلك كانوا من قبل سكانا
 ورجع الزلازل أفتت معشرى فاذا * ذكرتهم خلعتى في القوم سكرانا
 لا تلق الدهر من بعد الزلازل ما * حيث الاكسر القلب حيرانا
 أخذت على معشرى الادين فاصطلت * منهم كحول وشبانا ولدانا
 لم يجمعهم حصن منها ولا رهبت * بأستباده الاقران ازمانا
 ان اقترت شيزيمهم فهم جعلوا * منيع اسوارها يضا وخرسانا
 هم جورها فلو شاهدتهم وهم * بها شاهدت اسادا وخرسانا
 تراهم في الورى أسدا ويوم ندى * غيثا مغيثا وفي الظلماء رهبانا
 بنواى وبنوى دعى دمهم * وان أروى مناواة وشسانا
 يطيب النفس عنهم انهم رحلوا * وخلفونى على الانار عيلانا

وكتب اليه الصالح بن رزبك قصيدة يعز يدعى أهلها منها

باني شخصك الذى لا يغيب * عن عياني فهو البعيد القريب
 يا خدلاى بالشام ان غيبتم فشقو اليكم لا يغيب
 غصبتنا الايام قربكم منى * اولاد ان ترد العصبوب
 كره الشام أهلها فهو محقو * ق بأن لا يقسم فيه لبيب
 ان تجلت عنه الحروب قليلا * خلفتها زلازل وخطوب
 رقصت ارضه غشمة غنى * رعد فى الجوارى كرم طروب
 وثنت حيطه انه اذا مات * هاشمال يرمىها وجنوب
 لا هبوب لنا من أمانيه * وللعاصفات فيها هبوب
 وأرى البرق شامتا ضاحك السن * وليجو بالانعام قطوب
 ذكروا انه يذوب به السحب * فما للصخور أيضا تذوب
 أبذنب أصحابها قد رال * الله قللا رضى كالانام تذوب
 ان ظنى والظن مثل سهام * السرى منها المخطى ومنها المصيب
 ان هذا الآن غدت ساحة * القدر من وماللا سلام فيها نصيب
 منزل الوحى قبل يعث رسول * الله فهو المحجوج والمحجوب
 نزلت وسطه الخنازير والخمر * وبارى الناقوس فيه الصايب
 لوراء المسيح لم يرض فعلا * ذكروا انه له منسوب
 هفت نفى على ديار من السكك * ان قوت فليس فيها مجيب
 ان تخصيصكم فرائب مازا * لت لكم دون من سواكم تنوب

في أخبار (١٠٧) الدولتين

أبعد الناس عن عبادة رب التنسسان قوم الالههم مصلوب
 فاحسب ما أصاب قومك مجد الدين وأصبر لحادثات ضروب
 فكذلك القنطرة بكسر يوم السروع منها صدر وتبقى الكعوب

وقرأت في ديوان العرقلة كان المولى صلاح الدين يوسف بن أيوب مع عبيد غلام المولى وكان عبيد هذا موصوفا
 بالثقل في بيت عتبة جاه يوم الزلزلة فوقعته المادية بأسرها سوى ذلك البيت الذي همأه فيه قتل العرقلة
 قل لصلاح الدين رب الندى * بلغ عبيدا كل ما أمثله
 بشق لهما نضاجهم * سلك الله من الزلزلة

وقرأت في بعض كتب أبي الحسين الرازي عن شيوخه أنه وقع بدمشق في ذي القعدة سنة خمس وأربعين ومائتين
 زلازل عظيمة حكى عنها نحو مما مضى ذكره وأكثر نساء الله تعالى تمام العافية

فصل قال الرئيس أبو يعلى في ثالث عشر ربيع الأول توجه نور الدين إلى ناحية بعلبك لتفقد أحوالها
 وتقر برأس المستحفظين لها وتواصلت الأخبار من ناحية حصن وجاه بأغارة الفرنج المخالعين على تلك الأعمال وفي
 خامس عشر ربيع الأول ورد البشير من العسكر المنصور برأس الماء بأن ناصر الدين أمير أميران الماتنهي إليه خبر
 الفرنج أنهم قد أتوا سريه وأفرقوا العدد إلى ناحية بانياس اتفقوا بها أسرع النهضة إليهم وعدهم سبعمائة فارس سوى
 الرجال فادرهم قبل الوصول إلى بانياس وقد خرج إليهم من كان فيها من جاتم فأوتعهم وقد كان كمن هم في مواضع
 كتمان شجعان الأتراك وأدفع المساكين بين أيديهم في أول المجال وظهر عليهم الكداه فأنزل الله نصره على المسلمين
 بحيث لم ينجم منهم إلا القليل وصاروا بأجمعهم بين قتيل وجرى وسلوب وأسبر وحصل في أيدي المسلمين من خيم وطهم
 وسلاحهم وأموالهم وأسرهم ورؤس قتلاهم ما لا يحصى كثرة ومحققت السيوف عامر جالهم من الأفرنج ومسل على جبل
 عاملة المضامين إليهم ووصلت الأسرى ورؤس القتلى والعدد إلى دمشق وطيف بهم وقد اجتمع لشاهدتهم الخلق
 وكان يوما مشهودا وأنفذ نور الدين إلى بعلبك جماعة من أسرى المشركين فأمر بضرب أعناقهم صبرا قال وتبع
 هذا الفتح ورود البشري الثانية من أسد الدين بجماعة العدد الكثير إليه من شجعان التركان وأنه قد نذر من المشركين
 بسرية وأفرق تظهر في معاهلهم من ناحية الشمال فانهزمت وتحطفت التركان منهم من ظفر وابه قال ووصل أسد
 الدين إلى بعلبك في العسكر من مقدمي التركان وأبطالهم للجهاد وهم في العدد الكثير والجسم الغفير واجتمعوا بنور الدين
 وتقررت الحال على قصد بلاد المشركين لتدبيرها والابتداء بالنزول على بانياس وقدم نور الدين دمشق في إخراج
 آلات الحروب وتجهيزها إلى العسكر بحيث بقي أياما يسيرة ويتوجه وأمر بالنداء بدمشق في القراغا والمجاهدين فتبعه
 من الأحداث والمطوعة والفقهاء والصوفية والمتدينين خلق كثير وخرج يوم السبت أسلح شهر ربيع الأول وفي
 سابع ربيع الآخر عقب نزول نور الدين على بانياس ومضايقة قتلها بالخنققات والحرب سقط بدمشق الظاهر من
 العسكر المنصور بظاهر بانياس يتضمن كتابة الإعلام بورد البشير من عسكر أسد الدين بناحية هون في التركان
 والعرب بأن الأفرنج خذلهم الله تعالى انهضوا سريه من أعيان مقدمهم وأبطالهم تزيد على مائة فارس سوى أتباعهم
 لكبس المذكورين فلما منهم بأنهم في قل ولم يعلموا أنهم في ألوف فلما دنوا منهم وثبوا إليهم كلاب إلى قراغها فاطمعتوا
 عليهم بالقتل والأسر والسلب ولم يبق منهم إلا اليسير ووصلت الأسرى ورؤس القتلى وعددهم من الخيل المنخبة
 والطارق والقتل غارات إلى دمشق وطيف بهم فيه يوم الاثنين تالي اليوم المذكور قال وتلاه هذه الموهبة المتخذة
 سقط الظاهر من العسكر الحروس بانياس في يوم الثلاثاء تاراه المذكور يذكر افتتاح مدينة بانياس بالسيف قرأ على
 مضى أربع ساعات من يوم الثلاثاء المذكور عند تناسي النقب والاطلاق النار فيه وسقوط البرج المنسوب وشجع
 الرجال فيه وبذل السيف في قتل من فيه ونهب ما حواه وانغرام من سلم إلى القلعة ولخصاصهم بها وإن أخذهم بمشقة أنه
 تعالى لا يبطئ والله يسمل ويجهل قال وأتفق بعد ذلك أن الفرنج تجمعوا من مقابلهم غامز من على استنقاذ الهنغري
 صاحب بانياس ومن معه من أصحابه المحصورين بقلعة بانياس وقد أشرفوا على الهلاك وأبادروا بالوفاة السؤال
 لنور الدين الأمان ويسألون ما في أيديهم من القلعة وما حوته ليجوا سامين قل يجمعهم إلى ما سألوه ورغبوا فيه فلما وصل

صِيَاب (١٠٨) الروضتين

ملك الأفرنج في جمعه من الفارس والراجل من ناحية الخيل على حين غفلة من العسكرين النازل على بانياس لحصارها والنازل على الطريق لمنع الأواصل إليها اقتضت السياسة الاندفاع عنها بحيث وصلوا إليها واستخلصوا من كان فيها. وحين شاهدوا ما عم بانياس من أخراب سورها ومنازل سكانها بشوا من عمارتها بعد خرابها قال وفي تاسع جمادى الأولى سقطت الأتار بالكتب من المعسكر النوري تتضمن الإعلام بأن الملك العادل نور الدين أعز الله نصره لم يعرف أن معسكر الكفرة الأفرنج على الملاحة بين طبرية وبانياس همض في عسكره المنصور من الأتار والشوال العرب ووجد في السير فلما شافهم وهم غبارون وشاهدوا رايته قد أظلمتهم بادر وأبليس السلاح والركوب واغترقوا أربع فرق وجعلوا على المسلمين فعند ذلك ترجل الملك العادل نور الدين فتجملت معه الأبطال وارهقوهم بالسهم وترصان المراح حتى زلزلت بهم الأقدام ودهمهم البوار والجمام فأنزله نصره على المسلمين وتمسكهم فرسانهم قتلا وأسرا واستأصلت السيوف الرجال وهم العدد الكثير فلم يفلت منهم غير عشرة نفر وقيل أن ملكهم لعنه الله قُتِلَ وتيل أنه قُتِلَ بجله القتل ولم يعرف له خبر ولم يقدر من عسكر الإسلام سوى رجلين أحدهما من الأبطال المذكورين وقُتِلَ عند حضور راجله إلى رحمة الله ولا يخرج ريب لا يعرف وكل منهما مضى شهيداً ما با مأجور راحه سم الله وقُتِلَ أربعة من شخصان الكفرة ومثلأت أيدي العساكر من خيولهم وعددهم وكراعهم وأثاث سوادهم وحصلت كنيتهم في يد الملك نور الدين بالآتية المشهورة وكان فتحاً مميذاً ونصراً عزيزاً ووصلت الأسرى ورؤس القتل إلى دمشق يوم الاحد تالي يوم الفتح وقد تروا على كل جبل فارسين من أبطالهم ومعهم مارياتهم من مشوره وفيها من جلود رؤسهم بشعرها عذبة والمقدمون منهم وولاة المعاقل والاعتمال كل واحد منهم على فرس وعليه الزدية والخوذة وفي يده رايتو الرجلة كل ثلاثة وأربعة وأقل وأكثر كثير من حبل ونخس من أهل البلد الخاق الذي لا يحصي لهم عدد من الشيوخ والشبان والنساء والصبيان لما شاهدوه ما منغ الله تعالى ذكره كافة المسلمين من هذا النصر المبين وأكثر واشكر الله تعالى والدعاة نور الدين المحامي عنهم المرائي ذويهم والثناء على مكارمه والوصف لحسانته ونظم في ذلك أبيات في هذا المعنى

ماراً بانياتاً تقصدنوما * كمال الحسن غاية في البهاء
مثل يوم الفرج حين علمتهم * ذلة الأسر والبلاد والقضاء
وبراياتهم على العيس زفوا * بين ذل وخسرة وعناء
بعد عزمهم وهيبة ذكر * في مصاف الحروب والهيحاء
هكذا هكذا هلاك الأعادي * عند شئ الغارة الشعواء
شؤم أخذ الجشار كان وبالا * عنهم في صباحهم والمساء
نقضوا هدنة الصلاح يجهل * بعدتاً كيد هاجس الوفاء
فلقوا بغيرهم عما كان منهم * من فساد يجهلهم واعتداء
لاحي الله شملهم من شتات * بجواض تفوق حد المضاء
لجزاء الكفور قتل وأسرى * وجزاء الشكور وخير الجزاء
ولرب العباد حمد وشكر * دأبهم توأصل النجاء

قال وشرع نور الدين في قصد أعاليهم لئلا يهتكوا وتدينها والله المعين والموفق وقال ابن أبي طي في سنة اثنتين وخمسين أغارت الفرج على بلد حصن وجاه وأفسدوا أكثر العيث واتصل ذلك بنور الدين فانهض اليهم عسكراً كثيفاً فأوقع بهم وهزمهم إلى أرض بانياس ونخس نور الدين حتى نزل على بانياس وحاصرها أشد حصاراً حتى افتتحها في الثامن والعشرين من ربيع الأول وأخذ جميع ما كان لا فرنج فيها وأخذ الغنيمة والأسارى مع أسد الدين إلى دمشق وأخذ معه مقدارا ألف رأس واتصل ذلك بالفرنج فأنهم مضت إلى معارضة أسد الدين قطعة من خيالتها واتصل هذا بأسد الدين وقد هدته الفرج فلبس لأمته وتقدم في جماعة من عماليكه بين يدي العسكر وروى الرجال بلبقاء الفرج ونواجرهم الحرب فلم يتأسروا بين يديه ورجعوا على أيديهم وتبعهم مقدار فرسخين يقتل ويأسر ويغنم منهم غنيمة حسنة وعاد إلى

اصحابه ظافرا وتوجه في وجهته مؤيدا

(فصل ١٠) قال الرئيس أبو يعلى وفي العشرين الثاني من جمادى الآخرة توافقت الأخبار بوصول ولد السلطان مسعود في خلق كثير للزول على أنطاكية وأوجب الصورة تقريرا للمهادنة بين نور الدين وملاك الأفرنج ومكررت المراسلات بينهما والاقتراعات والمشاكرات بحيث فسد الأمر ولم يستقر على صلحة ووصل نور الدين إلى مقر عزه في بعض عسكره وأقر باقيه ومقدمه مع العرب بأداء أعمال المسلمين قال وفي ثالث رجب توجه نور الدين إلى ناحية حلب واعمالها التجديد مشاهدتها وأمعان النظر في حمايتها عند ما عاين المشرق كون فيها قربت عساكر الملك ابن مسعود منها قال بعد ذلك وقد تقدم من ذكر نور الدين ونهوضه في عساكره من دمشق إلى بلاد الشام عند انتهاء الخبر إليه بتجمع أحزاب الفرنج خذلهم الله وقصد لهم لها وطعمهم بحكم ما حدث من الزلازل والوجع المتتابعة لها وما هدمت من الحصون والقلاع والمنازل في أعمالها ونهوضها لحمايتها والذين عنها وأيناس من سلم من أهل حصن وشيزرو كفر طاب وجهه وغيرهما بحيث اجتمع اليهم العدد الكثير والجمل العفيم من رجال المعاقل والأعمال والتركبان وخبرهم بأداء جميع الفرنج بالقرب من أنطاكية وحصرهم بحيث لم يقدر فارس منهم على الاقدام على الفساد فلما مضت أيام شهر رمضان عرض لنور الدين ابتداء مرضه فحادثا اشتد به وخاف منه على نفسه استدعى أخاه نصره الدين أمير أرمغان وأسند الدين شيركوه وأعيان الأمور والمقدمين وأوصى اليهم بالتقوية وأبه واستصوبه وقرر معهم كون أخيه نصره الدين القائم في منصبه من بعده والساد للبيعة قدده لاشهره بالشهادة والباس يكون مقبلا بحلب ويكون أسد الدين في دمشق في نيابة نصره الدين واستخلف الجماعة على هذه القساعة فلما تقرر اشتد به المرض فتوجه في محفة إلى حلب وحصل في قلعتها وتوجه أسد الدين إلى دمشق لحفظ أعمالها من فساد الأفرنج وتوافقت الأراجيف بنور الدين فتناقلت النفوس وازيجحت القلوب فتفرقت جموع المسلمين واضطربت الأعمال وطعم الفرنج قصودا ومنه شيزرو وهموها وحصلوا فيها فقتلوا وأسروا ونهبوا وتجمع من عدة جهات خلق كثير من رجال الاسماعيلية وغيرهم وظهور وأعلمهم فقتلوا منهم وأخرجوهم من شيزرو واتفق وصول نصره الدين إلى حلب فأغلق وإلى القلعة بعد الدين في وجهه الابواب وعصى عليه فثارت أحداث حلب وقالوا له انا ما جئنا وملكنا بعد أخيه فزحفوا في السلاح إلى الباب البلد وكسروا اغلاقه ودخل نصره الدين في أصحابه وحصل في البلد وقامت الأحداث على وإلى القلعة بالأمم والانكار والوعيد واقترحوا على نصره الدين اقتراحات من جملتها اعادتهم في التأذين على خير العمل محمد وعلى خير البشر فأجابهم إلى ما رغبوا فيه وأحسن القول لهم والوعيد نزل في داره ونفذ وإلى القلعة إليه وإلى الحسين يقول مولانا نور الدين حتى في نفسه وما كان إلى ما فعل حاجة فقبل الذنب في ذلك إلى وإلى وصعد إلى القلعة من شاهدين نور الدين حيا بهم ما يقول وما يقال له فأنكر ما جرى وقال أنا أصعب للإحداث عن هذا الخطل ولأأخذهم بالزلل وماطلبوا الإصلاح حال أخصى وولي عهدي من بعدى وشاعت الأخبار وانتشرت البشائر في الاقطار بعاقبته فأنسب القلوب بعد الاسيخاش وابتهجت النفوس بعد القلق والازعاج وترايدت العاقبة وصرفت الهمم إلى مكاتبات المتقدمين بالورد إلى جهاد الاسماعيليين وكان نصره الدين قد ولي مدينة حران وما أضيف إليها وتوجه نحوها ولما تناهزت الأخبار بالبشائر إلى أسد الدين بدمشق بعاقبة نور الدين واعتزاه على استدعاء العساكر الاسلامية للجهاد سارع بالنهوض من دمشق إلى حلب ووصل إليها في ليلة فاجتمع بنور الدين فكرم لقيه وشكر مسعاه وشرعوا في حماية الاعمال من شرعصب الكفر والضلال قال ونظمت هذه الايات في هذا المعنى

لقد حسنت صفاتك يا زمانى * وفزت بمراجوت من الامانى
فكم أصبحت مر تاعا لخوف * فسدلت الحفاقة بالامان
وجاءتني اراجيف بملك * عظيم الشأن مسعود الزمان
فروعت القلوب من البرايا * وصارت شعاعها مثل الجمان
وثارت قنينة تحشى أذاها * على الاسلام في قاص ودان
وواني بعد ذلك بشير صدق * بعاقبة المايك مع التهانى

قولي الخوف من عدم المبادئ * وعاد الأمن معور المغانى

قال ابن أبي طي وفي هذه السنة كانت الزلزلة التي هدمت شيراز بنور الدين وأخذها من بني منقذ وسلمها إلى محمد الدين بن الداية وسار إلى سرمدين لأنه بلغه حركة الفرنج فاعتبره هناك مرض أشفى منه فأحضر شيركوه وأوصاه بالعساكر وأن يكون الأمر بعده لاخيه نصره الدين أمير أميران فصار أسد الدين إلى دمشق وأقام مع جرح الصفر خوفا أن يهزمه الفرنج إلى جهة دمشق أو غيرهما ولم يزل غنالك حتى تعاقب نور الدين فعاد إلى خدمته مهتثا بالعافية وكان أخوه نصره الدين قد حاصر قلعة حلب في مدة مرض نور الدين فلما أفاق نور الدين من مرضه سار إلى حران وجعل ولي عهده أثناء قطب الدين صاحب الموصل قال وكان محمد الدين طامع في الملك لنفسه فتهزم لأمه وتقرّب إلى الناس وجعل له أعياب أخبار وشحن الطرقات والسبل بالرجال بتفتيش الخارجين من حلب وغيرها والداخلين إليها قلت ولا بن منير ثمينة لنور الدين بالعافية ممن مرض غير هذا

ياشمس لا كسف ولا تكدار * ولا خلعت من نورك الأوار
البدن منقوص وأنت كامل * لك السرايا وله السرار
برؤك للاسلام من ادوائه * بر وفي اعيندائه يوار
ما أنت الا سيف صد صدأ * عن مثنه مضرب به البشار
لو كان محمولا أذى عن منفس * لجلته دونك الا بصار
ولو فدت أرض سماء ساقط الـ * ما لو في فدانك الامصار
أنت غياث محملهم ان أجذبوا * وخيرهم ان ذكر الخبار
وفي سسرير الملك منها ملك * لله في سرائه اسرار
خير ما لوك الارض جدا ويا * ان هز عظمي ما جدي نجار
مد على الذين رواق دولة * تنازعت أسمارها الاسمار
علت بناء وحلت في يده * فهي عليه السور والسوار
محمود الحمد عصر ملكه * فلحيا من مرضنه اعتصار
يا نوردين أنظمت آفاقه * لولم تبليج هذه الانار
لله بأمدك ما تحططه * بالمسك من اسفارها الاسفار
سميت للاسلام ترى سرجه * اذا دنا رعايته وجاروا
شكوت فالدينا على سكانها * قرارة جانبها القرار
كادت قوت الارض من اشفاقها * لولا شفاء رذها تمار
رزت عليك التزلج بيب نسب * يحسد هسا برته نزار
لا عدمت منك الاماني ريبها * معطى من الاقبال ما يجتار
ما سمع الدهر بان تبقي لنا * فكل جرح مسنا جبار
وله من قصيدة أخرى

لا زدى لانم الله شكرا * بك يا أعظم البرية قدرا
رو زعشر واني لا قلاع ذا * جعل لائمه المائة عشرا
أم مغنا ضامنا ان أيا * ملك تقني الاحقاد عصر اقصرا
في محل له السما كان سمك * وجدود لها الحجر مجرى
أيما العادل المظفر لا قصص شيا الدهر من شيا نك ظفرا
جعل الله ما استعمل من الاشهر ينهل في مغازيك نصرا
أبدان ينشر الهاني على سا * حتك الزهر في المواسم نصرا

في اخبار (١١١) الدولتين

أنت أسرى المسلوبين فأسرا * وإلى أسره من الطيف أسرى
ملك عنده المشارب تسمى أسرى واختلاف الجود غرى فتغرى
فلك الله من عسر بذر * يصطفى صالحا ويحبس دجرا
عش الملك أصبحت في الدست منه * فوق كسرى عدلا وشعبا وكسرا
تقطر الطببات للفطر فطسرا * وتم الاعداء في الفخر فخر
يقتنى من كسالة نفس مليو * سويقك منه أطول عسرا
أنت تملى ونحن ننظم ما تنسره القرم من مسامعك نسرا
صرف الله عنك عين زمان * بك صارت بعد الاصابة عسرا
وتوات لك القنوح الى ان * تملا الخافقين نيا واهرا
كلما انتهجت ملابس نعى * وتلمتهن جسدت أخرى

وقال القيسراني من قصيدة

أشرق البدر يا جبين الهلال * فخلاه لوجهك المتلال
عن ليل تخين عناسنها * انما غيبة الهلال ليلى
لم يكن ما لم ياتجهم شكوى * قهرى لواقف الدقبال
لا ولا كان زائرا من سقام * انما كان طائفا من خيال
وعسكة أظعت وأنت صحيح * ويصح النسيم بالاعتلال
أوما هذه السماء سرار السعد * بدركها على طريق الكمال
نعمته الله لا يخص بها الحسا * لقي الامن مكان منه سبال
ولباس من المثوبة والتغيب * سران ألبست صافي الاذبال
فهنيئا لك البقاء وان كا * ن هناه يخص فيه المعالي
والثقي والندى ومعرفة الخبيس * ويبيض الظبي وسمره الوالى
والخلال التي اذا ما تحلت * صدرت منك عن كرم الخلال
ان وقتك الدفوس ماتت وقى * حقيقى فدى الموالى الموالى
أوتحصنت فى شعاع من النقص * وى فزالته منه فى سربال
فشئى الله من أجل دوائى * صريح الدعاء والانهال
ملكك أبدا الخفاقة بالامن * وأضئى يعد فى الابدال
وهو تاج الملوكة فالملك العا * طل حال به على ككل حال
واذا التهران غا بافتور الدب * من شمس خضرة الاصال
قد أرت وجهك العلى ما ربها * وهى مرآة صالح الاعمال
وقضى الله ان نجيك فى الانحسار * وان جسدك عال
كل يوم هذا النجى محيى * بالتهانى على يد الاقبال

(فصل) فى ذكر حصن شسينر وولايتى منقذ قال ابن الاثير وهو حصن قريب من حماه بينهما نحو من نصف نهار وهو من أمنع القلاع وأحصنها على حجر عال له طريق منفرد فى طرف الجبل وقد قطع الطريق فى وسطه وجعل عليه جسر من خشب فاذا قطع ذلك الجسر نذر الصعود اليه وكان لا منقذ الكائنين يتوارثونه من أيام صالح ابن مرداس الى ان انتهى الامر الى الامير ابنى المرفف نصر بن على بن المقلد بن نصر بن منقذ بن نصر بن هاشم بعد أبيه الى الحسن على فبقى به مدة طويلة الى ان مات بشير زينة احدى وتسعين وأربعمائة وكان شجاعا كريما صواما قواما فلما حضره الموت استخاف أخاه الامير باسلامة من شدين على وهو والد أسامة فقال والله لا وليتها ولا خير بين

كتاب (١١٢) الروضة

من الدنيا كاد خلتها وكان عالما بالقرآن والادب كثير المصالح فولأها أخاه أبا العباس سلطان بن علي وكان أصغر منه فاصطفاها أجل صحة مدة من الزمان فولد أبو سلامة من شدة أولاد كور فكبوا وواسدوا منهم عزالدولة أبو الحسن على وهو يد الدولة أسامة بن مرشد وغيرهم أول ولد لأخيه سلطان ولد ذكر إلى أن كبر فشاء أولاد ففسد أخاه على ذلك فكان كلبا رأى صغرا أولاده وكبرا أولاد أخيه وسبأهم ساء وذلك وخافهم على أولاده وسعى المفسدون بينهم فغيروا كلامهم على أخيه فكتب الأمير سلطان إلى أخيه شعر ريعته على أشياء بلغت عنه فاجابه بأبيات جيدة في معناها وكلام كان أدبا شاعرا فيها

نظام أبت في الظلم الاتماديا * وفي الصد والجبران الاتنهايا
شكت هجير نافي ذل والذنب ذنبها * فبما يجيبا من ظلم جاء شاكيا
وطاوعت الواشين في وطائيا * عصبت عدولا في هواها وأشيا
ومال بها تبه الجبال إلى القسلا * وهيبات أن أمسى لها الدهر قاليا
ولاناسيا ما أودعت من عهودها * وإن هي أبدت جفوة وتناسيا
ولما تأتي من فريضك جوهر * بجعت المعالي في بهلى والمعنايا
وكنت هجرت الشعر حينما لانه * تولى برغى حين ولّى شبابيا
وأين من السنين لفظ مفرق * إذا مرت أدنى القول منه عصانيا
وقلت أنى برغى نيتي وأسرقي * ويحفظ عهدى فيهم وداميا
ويجزئهم ما لم أكفه ففعله * لثقتنى فقد أعدته من تراثيا
فما لك إلا أن حتى الدهر صدقي * ولثم منى صار ما كان ماضيا
تسكرت حتى صار برلك قسوة * وقربك منى جفوة وتناثيا
فاصبحت صفر الكف مما رجوت * كذا اليأس قد عفى سبيل رجائيا
على الخي ما حلت غمها عهدته * ولا غرت هذى السنون وداديا
فلاغر وعند الحادثات فأنى * أراك يميني والآنم شماليا
تمن بها عذراء لو قسرت بها * نجوم سماء لم تعد دراريا
تحلت بدم من صفاتك زانها * كازان منظوم اللاكى القوانيا

وعش بابا لليود ما كان واهنا * مشيد من الاحسان ما كان واهيا
قال وكان الامر فيه في حياة الأمير بعض السر فلما مات سنة احدى وثلاثين وخمسة مائة قلب أخوه لا ولاده ظهر الجبن وباداهم بما يسوءهم وتمادت الايام بينهم إلى أن قوى عليهم فخرجهم من شيزرو وكان أعظم الاسباب في اخراجهم ما حدثت به عن مؤيد الدولة أسامة بن مرشد قال كنت من الشعبة والاقدام على ما علمه الناس فبينما أنا بشيزرو إذ أقدمت أنى انسان اخبرنى ان بدجلة يعار بها أسدا ضاربا فكبى فرسى وأخذت سيفي وسرت اليه لاقته ولم أعلم أحد من الناس لثلا منع من ذلك فلما قربت من الاسد نزلت عن فرسى وربطته ومشيت نحوه فلما رأنى قصدنى ووثب فضرته باليمين على رأسه فانفلق ثم أجهزت عليه وأخذت رأسه في مخلاة فرسى وعدت إلى شيزرو ودخلت على والدى وألقيت الرأس بين يديها وحديثها الحال فقالت يا بنى تجهز للفرج من شيزرو فوالله لا يمكّنك عمك من المقام ولا أحد من اخوتك وأنتم على هذه الحال من الاقدام والجرأة فلما كان العدا على ما يخرجنا من عنده والزمانه الزاما له في نفسه فتقرقتا في البسالة فتصدوا الملك العادل نور الدين وشكروا اليه ما لقوا من عهم فلم يكن قصده ولا الاخذ بشأهم واعادتهم إلى أوطانهم لاشتغالهم بجهاد الفرنج وخنوفه من أن تسلم شيزرو للفرنج وبقي في نفسه وتوفى الأمير سلطان وولى بعده أولاده فبلغ نور الدين عنهم من أسئلة الفرنج فاشتد ما في نفسه وهو ينتظر الفرصة فلما خربت القلعة بالزلة لم يسلم منها أحد كان بالحصن فبادر اليها وملكها وضافها إلى بلاده وعزها واسوارها وأعادها كما لم تخرب وكذلك أيضا فعل مدينة حماه وكل

في اخبار (١١٣) الدولتين

ماخرب بالشام بهذه الزلزلة فعادت البلاد كاحسن ما كانت قلت وسيتاتي ذكر اسامة بن مرشد في أخبار سنة اثنتين وسبعين وهي السنة التي قدم فيها دمشق من بلاد الشرق وذلك لما خرج من شيز واستوطن دمشق ثم فارقه الى بلاد مصر وكاتبه الى معين الدين انراياك صاحب دمشق يعاتبه في اسباب انفسار قتيصيدة اولها

✓ ولوا فلما رجونا عدهم ظلموا * فليتهم حكامنا فجايعوا
 ماسر يوما بشكري ما يرينهم * ولا سمعت بي الى ماساءهم قد
 ولا اضعت لهم عهدا ولا اطلعت * على ودائعهم في صدرى التهم
 فليت شعري ما استوجبتمهم * ملوا فصددهم عن وصلى السام
 حفظت ماضيهم اغضبت حين جنوا * رفيت اذ غدروا واصلت اذ صرموا
 حرمتم ما كنت ارجو من ودادهم * ما الرزق الا الذي تجرى به القسم
 وبعد لوقيل لي ماذا تجب وما * تختار من زينة الدنيا اقلت هم
 لهم مجال الكرى من مقلتي ومن * قلبي محمل المني جاروا واحترموا
 تبذلوا بي ولا ابني بهم بدلا * حسبي هم انصفوا في الحكم اولظلموا
 بلغ اميري معين الدين مالكة * من نازح الدار لكن وذه اثم
 وقاله انت خير الترف فضلك الـ * عيباء والدين والاقدام والكرم
 هل لانت حياء او محافضة * من فعل ما انكرته العرب والنجم
 اسلمتنا وسوف المهندسة * ولم يرق سنان السهمى دم
 وكنت احسب من والا في حرم * لا يعتر به شيب ولا هم
 وما طسمنا بان في من اسامة * بالوفاء لكن جرى بالكائن القلم
 هيننا جنينا ذنوبا لا يكرها * عذرا ذاجنى الاطفال والحرم
 القيتهم في رضى الا فرغ متبعا * رضى عدى يسهط الهمج فعلهم
 جربهم مثل تجريري لغيرهم * فلما زال اذا ماجر بوا قسم

وهي طويلة وطمان المذكور خادم تركي كان لاتبالك ملك الامراء زكي بن اقسنتقرب من خدمته الى دمشق فطلبه وطلبه فاشتمل عليه معين الدين للجنسية وجاه فلما لم يذبه سيره للعرب وقام له بما يحتاج الى ان رده لخدمته بدمشق وثيق اسامة بمصر الى ان خرج منها مع عباس كما سبق ذكره وامر الفريخ اخاه نجم الدولة محمد بن مرشد وطلب من ابن عمه ناصر الدين محمد بن سلطان صاحب شيز رالا عانة في فكاهة ففعل قال واذا خال الله سبحانه اجر خلاصه وحسن ذكره لملك المعادل نور الدين رجه الله فوهبه فارسان من مقدمى الداوية يقال له المشطوب قد بذل للافريخ فيه عشرة آلاف دينار فاستخلص به أخاه من الاسر وبلغ اسامة ان القاضى كمال الدين بن الشهرزورى أنشد نور الدين

ملك بنى منقصد تولى * وكان فوق السماء سلكه
 فاعتبروا وانظروا وقولوا * سيجان من لا يزول ملكه
 والمعر وف ملك بنى بر ملك فغيره المنشد لما تمثل به في غرضه فاجازها اسامة بهذه الايات
 وكل ملك الى زوال * لا يعترى ذا اليقين شكه
 ان لم يزل بانتقال حال * ازال ذا الملك عنه هللكه
 والله رب العباد باق * وهلاك نده وشركه
 فقل لمن يظلم البرايا * غرك الهالك وتركه
 تنسى ذنوبك عليلك تخصي * يحصره انقده وحلكه
 كم ناسك نسكه رياء * اوبقه في المعادن نسكه

كتاب (١١٤) الروصتين

فاحذر في اجتهادك عليه * من عبثه صدقة واثقه
وما أجس من اقال اسامة في كبره

مع الهانين عاث الضعف في جلدي * وساء في ضعف رجلي واضطرب ابدى
اذما كبرت خطي خط مضطرب * بخط من تعش الكفين من تعبد
فاعجب لضعف يدي عن حملها فلما * من بعد حطم القنا في لية الاسد
وان مشيت وفي كسفي العصي ثقلت * رجلي كاني أخوض الوحل في الجلد
فقتل لمن يمسني طول مدته * هذى عواقب طول العمر والمدد

(فصل) في اوافي حوادث سنة اثنى عشر وخمسين قال الرئيس ابو يعلى تناصرت الاخبار بظهور امير المؤمنين المقتدى على عسكر السلطان الخائف لاهر ومن انضم اليه من عسكر الموصل وغيره بحيث قتل منهم العدد الكثير ورحلوا عن بغداد مفرقين مغلولين خاسرين بعد المضيافة والتناهي في المحاصرة والمصارعة قال ووردت الاخبار في اوافي رجب بوفاة السلطان غياث الدين ابى الحارث سنجار بن ابى الفتح بن البارسلان سلطان خراسان عقيب خلاصه من الشدة التي وقع فيها والاسر الذي حصل فيه وكان يحب العدل والانصاف الزعنا يوحسن السيرة تجميل الفعل وقد علت سنه وطال عمره وسكان قد ورد كانه في اواخر صفر من هذه السنة الى نور الدين بالتشوق اليه والاجاد لسلامه وما ينتهي اليه من جليل افعاله واعلامه ما مات الله عليه به من خلاصه من الشدة التي وقع فيها والاسر الذي يلي به في ايدي الاعداء الكفرة من ماله التركان بحيلة دبرها وسياسة احكمها وقررها بحيث عاد الى منصبه من السلطنة المشهورة واجتماع العساكر المتفرقة عنه اليه قال وفيها في شهر رمضان وزد الخبر من ناحية حلب بوفاة الشيخ فخلص الدين ابى البركات عبد القاهر بن ابى جرادة الحلبي وهو الهامين على خزائن مال نور الدين وكان كاتبه بلغة احسن البلاغة نظما ونثرا مستحسن الفنون من التهذيب البديع وحسن الخط المحرري الاصول القديمة المستظرفة مع صفاء الذهن وتوقد الفطنة والذكاء وقال وفيها رابع عشر شوال ورد الخبر من ناحية بصرى بان واليهما خفر الدين سرخا قتل غيلة بموافقة من اعيان خاصته وكان فيه افرط في التجسس واستعمال التيقظ ولكن القضاء لا يغلب ولا يدافع قال وفيها في اوافي ذي القعدة ورد الخبر من حصص بوفاة واليهما الامير الملقب بصلاح الدين وكان في ايام شبابه قد حطى في خدمة عماد الدين زنكي وتقدم عنده بالمناجحة وسدد الادب وحسن السانعة وصواب الرأي ولما علت سنه ضعف عن ركوب الخيل والجأته الضرورة الى الخيل في المحمة لتقرر الاحوال والنظر في الاعمال ولم يقص من حسه وفهمه ما يكره عليه الى حين وفاته وخلفه من بعده اولاده في منصبه ولا يتسه قال وورد الى دمشق امام من أئمة فقهاء بلخ في عنفوان شبابه وغضارة عوده ما رأيت أفصح من لسانه بلغة العربية والفارسية والاسراع في جوابه ببراعته ولا يطيش منه قلما في كتابته ابوالحياة محمد بن ابى القاسم بن ٤٠٠٠ السلي ووعظ في جامع دمشق عدة ايام والناس يستحسنون وعظه ويستظرفون فنه وسلطنة لسانه وسرعة جوابه وحدة خاطر ووصفاء حسه قال ابن الاثير وفيها في ذي الحجة توفي الامير عز الدين ابى بكر الدبسي صاحب جزيرة ابن عمر وكان من اكابر الاهرام يأخذ نفسه مأخذ الملوكة وكان عاقلا حازما ذارأى وكيدومكر وملائما لجزيرة قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل اخو نور الدين

في شوال دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة هـ قال الرئيس ابو يعلى في اوافي الخمر تناصرت الاخبار من ناحية الفرج المقيمين بالشام خذهم الله تعالى بمضايقة لهم حصن حارم ومواظبتهم على رمية بجحارة الجنايق الى أن ضعف ومك بالسيف من زايدهم مع في شن الغارات في الاعمال الشامية واطلاق الايدي في العيث والفساد في معاقلة اهلها وضياعها بحكم تفرق العساكر الاسلامية والمخالف الواقع بينهم بالشتغال بنور الدين ببقايل المرضى العارض له ولله المشيئة التي لاتدفع والاقضية التي لاتمنع وقال وفي صفر ورد الخبر والمبشر بنزول نور الدين من حلب للتوجه الى دمشق واتفق لاكملة الملاحم نواز الطمع في شن الغارات على اعمال حوران والاقليم واطلاق ايدي الفساد والعيث والاحراق والازحاف في الضياع والنهب والسبي والاسر وقصد داريا والنزول عليها في انسلخ صفر وحرق منازلها

وجوامعها والتمناهي في اخراجها وظهر اليهم العسكرية والاحداث وهموا بقصدهم والاسراع الي قلائمهم وكفهم فنعوا من ذلك بعد ان قربوا منهم وحسن شأهم ذلك فافرحهم الله تعالى كثرة العدد الظاهر اليهم رحوا في آخر النهار المذكور الى ناحية الاقليم ووصل نورا الدين الى دمشق ونحصل في قلعة سدس ربيع الاول سالما في نفسه وخلفه ولقي بأحسن زى وترتيب وقبول واستبشر العالم بمقدمه المسعود وابتهجوا بالغوا في شكر الله تعالى على سلامته وعافيته والدعاء له بدوام بآبائه وشرع في تدبير أمر الاجناد والتأهب للجهاد قال وفي اوائل ربيع الاول ورد الخبر من ناحية مصر بخروج فريق واخر من عسكرها الى غزة وعسقلان واغاروا على انجملها وخرج اليهم من مكان جهنم الفريخ الملاعين فاطهر الله تعالى المسابن عليهم قتلا واسرا بحيث لم يفلت منهم الا اليسير وغنموا ما نلفروا به وعادوا سالمين نارا فربن وقيل ان مقدم الغزاة في البحر نلفر بعدة من مرابطي المشركين وهي مشكوة بالفتح فقتل واسر منهم العدد الكبير وحاز من اموالهم وعددهم وانائمهم بالاكاد يحصى وعاد ظافرا غانما قات وارسل الي مؤيد الدولة اسامه بن منقدم مصر وزير الملك الصالح ابو الغارات طلائع بن رزيق قصيدة يشرح فيها حال هذه الغزاة ويحرض فيها نورا الدين على قتال المشركين ويدكر جماعت الله تعالى عليه به من العافية والسلامة من تلك الرضة المقدم ذكرها وكان كثيرا ما كان يطلب اليه اعلام نورا الدين بالغزاة لحشه عليها واول هذه القصيدة

الا هكذا الله تعالى في الغزاة

وتستزل الاعداء من طول عزهم * وليس سوى سمر الرماح سلام
وتغري جيوش الكفر في عقد دارها * وبوطي جواهرها والوفور واغرام
وبوفي الذكر النادر ونبذهم * وان بذلت فيها النفوس الكرام
نذرنا مسير الجيش في صفرها ان * ثني نصفه حتى انثى وهو غام
بعثنا من مصر الى الشام قاطعا * مفا وزو خلد العرش فيهن داء
فما هاله بعد الديار ولا ثني * عزيمته جهد النظم والاسماء
يمجر والعصفور في قعر وكرة * ويسرى الى الاعداء والليل نائم
يباري خيبولا ما زال كائنها * اذا ما هي انقضت نسور وشام
يسير بها ضرغام في كل مارق * وما يصعب الفزع غام الاضرغام
ورفته عشرين الزمان وحاتم * ويحيي وان لاقى المنية حاتم
وواجههم جمع الفريخ بجملة * يهون على الشجعان فيها المزام
فلقوهم زرق الاسنة وانطوا * عليهم فلم يرجع من الكفر ناجم
وما زالت الحرب العوان أشدها * اذا ما تلاقى العسكر المتضام
يشبههم من لاح جمعهم له * بلجة بجر موجهها متلاطم
وعادوا الى خال السوف فقطعت * رؤس وخزت للفرق غلام
فلم يجمعهم يوم ذلك مخبر * ولا قيل هذا وحده اليوم سالم
قتلهم بالراى طورا وتارة * تدوسهم من المذاكي الصلادم
فقلوا نورا الدين لافل جسده * ولا حكيت فيه الليالي الغواشم
تجهز الى أرض العسك ولا تمن * وتظله رقتور ان مضت منك حارم
فما مثلها تبدي احتفالا به ولا * يعرض عليها الملوكة الا باهم
فعد ذلك من الطاف ربك ما به * علمنا بقينا انه بك را حسم
أعاد لك حيا بعد ان زعم الورى * بانك قد لاقت سال الله حاتم
بوقت أصاب الارض ما قد أصابها * وحلت بها تلك الدواهي العظام
وخيم جيش الكفر في أرض شيز * فسيقت سببا باواسحت محارم

كتاب (١١٦) الروضتين

وقد كان تاريخ الشام وهلكه * ومن يهتويه الله لك عادم
 فقم واشكر الله الكريم بنهضة * اليهم فشكل الله الخلق لازم
 فخن على ما قد هدت نزوعهم * وتكلف جهدا اننا لانسلم
 وغاراتنا ليست نفس ترعهم * وليس ينجي القوم من الهزائم
 فاسطو لنا أضعاف ما كان سائرا * اليهم فلا حصن لهم منه عاصم
 ونرجو بان يحتاج باقيسم به * وتحوى الاسارى منهم والغنائم
 وكتب اليه ايضا

يا سيد اسمعهم مني الى الرب العلي
 فينال منها حين يجر * مغيره أوفى من ربه
 أنت الصديق وإن بعد * وصاحب الشيم الرضيه
 يهنيك إن جيت شمسنا * فعلت فعال الجاهليه
 سارت الى الأعداء من * إبطاها ما اتنا سره
 فتغير هذى بكثرة * وتعاونا الاخرى عشيه
 فالويل منها للفرنج * فقد لقوا جهدا اليه
 جاءت رؤسهم تساو * ح على رؤس السعيريه
 وقد لتمع قد قسمت * بين الجنود على السويه
 وخلائق كسرت من السراى * تقاد الى المنسيه
 فانقض فقد اتيت محمد الدين بالخال الجليله
 والمم بوز الدين واعلم به انيسك القضيه
 فهو والذي مازال يخضع من مناه فعله الا ونيه
 ويبيد جمع الكفر بالسبيض الرقاق المشرقيه
 فعساه ينفض نهضة * يفتى بها تلك البقيه
 اما لنصرة دينه * أو ملكه أو للحميه

وكتب اليه ايضا يقول

أيها المقتدى لانت على البعدي صديق لنا ونم الصديق
 ليس فيما نأتيه من بر أفعأ * لك اللطال الخقوق عقوق
 فلهذا نرى مواصلة الكتب تباعا اليك مما يليق
 ونناجيك بالاهتمام اذا ناست بالقيام اليك خليق
 وأهم المهم أمر جهاد الكفر فاسمع فعندنا التحقيق
 واصلتم منا السرايا فاشجأ * هم بكونهم لنا هم وطروق
 وأباحت ديارهم فأباد القوم قتل ملازم وحرقي
 وانتظرنا برحقنا به نور الدين علمنا بان سيفيق
 وهو الآن في أمان من الله وما يعتره امره يعوق
 ما لهذا المهم مثلك بالدين * فانقض به فانت حقيق
 قل له لا عهد رأي ولا زأ * ل الذي لكل خير طريقي
 أنت في حسم داء طائفة الكفار ذلك المرجو والمرفوق
 فاغنم بالجهاد أجره كى تلسقى رفيقاه ونم الرقيق

في اختيار ١١٧ الدواوين

فأجابته أسامة بقصيدة منها

يا أمير الجيوش ما زال الأسـلام والدين منك ركنين وثيقين
أسمعت دعوة الجهاد قلبا * هـامليك بالكرامات خليق
ملك عادل أنار به الدين فم الاسلام منه الشروق
ماله عن جهاده الكفر والعد * لو فعل الخيرات شغل يعوق
هو مثل الحسام صدر ضيق * لين مسه وحسب دزليق
ذواناة تغالها الغر اهما * لا وفيها حثف الاعادى المحيق
فاسلم للاسلام كفين ما طـرـز زئوب الظلام برق خفوق

وكتب اليه أيضا

قل لابن منقذ الذي * قد حازني الفضل الكمالا
فلذا كـ قد أنجى الانا * مـ على سكارمه عبالا
كم قد وثقنا لثوبك الاسـ * دشعاره سرعة عجالا
وصددت عنها حين را * مت من محاسنك الوصالا
هـملا بذلت لنا مقـ * لاحسين لم تبدل فمالا
مع اتنا نوليك صـ * را في المودة واحمالا
وتبشك الاخبار ان * أضحت قصارا أوطوالا
سارت سرا بانا لقـ * دشام تعسف الزمالا
تزجى الى الاعداء جر * دالحيل انبعاثا والا
تمضى خفا فالغـ * رهبا وتأتينا ثقالا
حتى لقد رام الـ * دى من ديارهم ارتجالا
وعلى الوعيرة معـ * لم يعهدوا فيها القتالا
لما نأت عـن يحـ * ف بهامينا أو شملا
نمضت اليـمـ * من مصر تحتل الرجالا
والبيض لـمـ * وبـض الهند والاسـل النـمـلا
فغدت كـان لم يعهدوا * فى أرضها حبالا
هـذا وفى تل الجـ * لملأنا بالقتلى التلالا
اذ مرمى ليس يـ * سوى تحور فقتله اشغالا
واستاق عـسـ * زنا له * أهـمـ لا يجهم ومالا
وسرية ابن فرج الطـ * فى طالهم ومالا
سارت الى أرض الخـ * ل فل تدع فيها خـلالا
فلو ان نور الدين يـ * عمل فعلنا فيهم مثالا
ويسير الاجناد جـ * را كى يـنازهم نزالا
ووفى لنا ولاهل دولـ * ته بما قد كان قالـا
لرأيت للـ * فرج طـ را فى معافلهـا اعتقالا
وتجهـزوا للـ * سير نجـ والغـب أو فـصدوا الشـمـالا
واذا أبى الاطـ * را * حالـهـمـ بـحة واعـتـرالا
عـدنا بتـسـ * الامو * رلـكمـ خـالقنا تعـالى

كتاب ١١٨ الروتين

فاجاب ابن منقذ بقصيدة منها

يا أشرف الوزراء اخذ لافا وأكرهم فعبالا
 نهبت عبيدا طامنا * نهبت قندرا وحالا
 وعبت به فأنلته * فخرنا وحدا لن ينالا
 لكن ذلك العتب يشعل في جوانبه اشتعالا
 أسفا لجسد حال عنه الى مساءته ومالا
 أما السر يا حسين تر * جمع بعد خفتها ثقالا
 فكذلك عاد وفودا * بك متقلين ثنا ومالا
 ومسهرها في كل أر * من تبتني فيها الجبالا
 فكذلك فضلك مثل عد * لك في الدنيا سارا وجالا
 فاسلم لنا حتى نرى * لك في بني الدنيا مالا
 واشدد يديك يودنو * رالدين والقب به الرجالا
 فهو المحامي عن بلا * دالشم جهمان بذالا
 ومبيد املاك الفرنج وجمعهم حال خالا
 ملك يتيه الدهر والدنيا يابدولته اختيالا
 جمع الخلل الصالحا * تفلم يدع منها خالا
 فاذا بدا لناظرين رأت عيونهم الكمالا
 فبقية السالكين جلالا دنيا جالا

وكتب اليه الصالح من قصيدة تقدم ذكرها في الزلازل

ولعمري ان المناصع في الدين على الله أجره محسوب
 وجهاد العدو بالحق والقو * لعل كل مسلم مكتوب
 ولاك الزمة العلية في الامور من مذ كنت اذ تشب الحروب
 أنت فيها الشجاع ما لك في الطعن ولا في الضراب يوما ضرب
 واذا ما قرضت فالشاعر المفسد في فيما يقوله والخطيب
 واذا ما أشرت فالخزم لا ينكر ان التدبير منك نصيب
 لك رأي يقظان ان ضعف الرأى على حاملي الصليب صائب
 فانقض الآن مسرعا قياما * لك ما زال يدرك المطلوب
 ألقى منار سالة عند نور الدين ما في القاشما ما يريب
 قل له دام ملكه وعليه * من لباس الاقبال برد قشيب
 أيها العادل الذي هو لا دين من شباب ولجروب شبيب
 والذي لم يزل قد يماعن الاسلام بالعزم منه تحلي الكروب
 وغدا منه للفرج اذا لا * قوه يوم من الزمان عصيب
 ان يرمز فجدد هم فلا شطا * ن قناه في كل قلب قليب
 غيرنا من يقول ما ليس بضيقه بهل وغيرك المكذوب
 قد كذبنا اليك ما وضع الآ * ن بما ذاعن الكتاب عجيب
 قصصنا ان يكون منا ومنكم * أجل في مسيرنا ضرور
 فلدينا من العساكر ماضا * في ابادناهم الفضاء الرحيب

في أخبار ١١٩ * الدولتين

وعلمنا ان يستعمل على الشا * ثم كان العمود مال صليب
أوترها مثل العروس ثراها * كله من دم العبد المحضوب
الظنين السيموف في فلق الصبيح على هام أهلها تطرب
ولجمع الحشود من كل حصن * سلب مهمل لهم ونوب
ويجول الاله ذاك ومن غا * لبري فانه مغسوب
وكتب اليه أيضا

أيها السائر الجسد الى الشا * ثم تبارى ركباه والخيول
خذ على بلدتها دار مجد الدين لاربع ربعها المأهول
وتعرف أنخياره وأقره مناسلا ما فيه العتاب يبول
قل له أنت نذر الصدوق اليوم لكبك الصدوق المأول
ما ظننا بان طالك في القصر * بولا البعد بالمال تحول
لا كذب ولا جواب ولا ذو * لي بليقين منا حصول
غير اننا نواصل الكتب انقص منك البر الكرم الوصول
ذا كرين الفتح الذي فتح الله علينا فالفضل منه نجيل
جاءنا بعد ما ذكرناه في كتب أتاكم من منار رسول
ان بعض الاسطول نال من الافسرح ما لا يناله التاميل
سار في قلة وما زال بالله وصدق النيات في القليل
وبقا بالاسطول ليس له يعبد الى جانب الشام وصول
خوى من عكا وانطرسوس * عذة لم يحط بها التخصيل
جمع ديوبه بهم كانت الافسرح تسطو على الوري وتصول
قيس في وسطهم مقدمهم * دى الينا وجيده مغلول
بعد مشوى جماعة هلكوا بالسيف من الغريق والمقاول
هذه نعمة الاله وتعدبدا يادى الاله شئ بطول
بلغوا قولنا الى الملك العا * دل فهو المار جتو والمأمول
قل له كتمان الدين في الكفار فاحذر ان يغضب المطول
سراي القدس واحتسب ذلك في الله فيا سير منك في القليل
واذا ما أبطا مسيرك فالله اذا حسبنا ونعم الوكيل

فأجابه أسامة بقصيدة منها

بأمرير المجهوش بأعدل الحكام في فعله وفيما يقول
أنت حليت بالمكارم أهمل ال * مصر حتى تعرف المجهول
وقسمت القصر فبح الغر وشطر يمن فهذا عان وهذا قتيل
بالسبع العبد في النجاة والتحصير يض وهو المفقود المقبول
فرأى من عزيمته الغر وما كا * دت له الارض والجبال تميل
واذا عاقت المقادير فالله اذا حسبنا ونعم الوكيل

وكتب الصالح اليه جوابا قصيدته الطائفة التي أولها
هي البسر لكن الرز بالها قرط * ومن أنجم الجوزاء في تحرها سمط
ذخرنا ساطعها للفرح لانها * بهم دون أهل الارض أجدران تسطو

كتاب (١٢٠) الروضتين

وقد كانتوا في الصلح لكن جوابهم * بحضر تمام كتب الخط الا الخط
سطور خيول لا تنب ديارهم * لها بالماضي والقنا الشكلى والنقط
اذا أرسلت فرعا من النقع فاجما * أيتها فاسنان الزماح لها مشط
رددناه ابن القنص عنا وانما * يشبه في سرجه الشست والربط
فقروا لنور الدين ليس لخائف السجرات الا الكى في الطب والبط
وحسم أصول الداء أولى بمعاقل * ليبب اذا استولى على المدنف الخلط
قدع عنك ميلا للفرج وهسدنة * بها أبدأ بخطى سواهم ولم يخطوا
تأمل فكشط شرط عليهم * قديما وكغدر به نقض الشرط
وشمر فانا قد اعنا بكل ما * سألنا وجهنا الجيوش ولم يبطوا
قال العماد في كتاب الحرب زيادة الصالح أبو الفارات طلائع بن رزيك سلطان مصر في زمان الفاتح وأول زمان العاضد
ملك مصر واستولى على أمر صاحب القصر ونفق في زمانه النظم والنثر وقرب الفضلاء واتخذهم جلساء ورجل
اليه ذوالرجاء وأفاض على الداني والفاصي العطاء وله قصائد كثيرة مستحسنة انتفذه الى الشام يذكر فيها قيامه
ببصر الاسلام وما يصدق أحدان ذلك شعره لجودته وأحكام معاني حكمته واقسام معاني بلاغته فيقال ان المهذب
ابن الزبير كان ينظم له والجليل بن الحباب كان يعينه وله ديوان كبير واحسان كثير ولما جلس في دست الوزارة
فظم هذه الايات بديه

انظر الى ذى الداركم * قد حل ساحتها وزير
ولم يختر أمنا * وسط الصف به أمير
ذهبوا فلا والله ما * يبقى الصغر ولا الكبير
ولم يماصروا اله * من الفناء غدا نصير

(فصل) قال أبو يعلى ورد الخبر في خامس عشر ربيع الأول من ناحية حلب بحدوث زلزلة لها ثلثة رعت أهلها
وأزعمتهم وزعمت مواضع من مسأكتهم سكنت بقدره محركاتها سبحانه وتعالى وفي ليلة الخامس والعشرين من
ربيع الأول واقت زلزلة في دمشق زومت واقلقت ثم سكنت وفي التاسع من ربيع الآخر زلزال من دمشق
الى جسر الخشب في العسكر المنصور بالآلات الحرب لجهاد الكفر وقد كان أسد الدين قبل ذلك عند وصوله فبين
جمعه من فرسان التركان أغار بهم على اعمال صيدا وما قرب منها فغفروا أحسن غنينة وأوفرها وخرج اليهم من كان بها
من خيالة الفرنج وجر جاليتها وقد كانوا لهم فغفروهم وقتل أكثرهم وأسر الباقين وفيهم ولد المقدم المتولى حصن حارم
وعادوا سالمين بالامرى ورؤس القتلى والغنينة ولم يصب منهم غير فارس واحد قال وفي أوائل شهر ربيع الثاني سنة ٦٠٤
جمادى الآخرة من السنة وفى البقاع مطر هطال بحيث حدث منه سيل أجر كما جرت به العادة في قنبر لك الشتا
ووصل الى بردا ووصل الى دمشق وكثير العجب من آثار قدرة الله تعالى بحدوث مثل ذلك في هذا الوقت قال
وفي الليلة الثالثة والعشرين من رجب واقت زلزلة عند تاذن الغداة ثم أخرى في الليلة بعد هاتوا وقت صلاة الغداة وورد
الحبر من العسكر المنصور بان الفرنج تجمعوا ووزعوا الى العسكر وان المتولى نور الدين تمض الى الحال في العسكر والتقى
الجمعان واتفق ان عسكر الاسلام حصل فيه فشل لبعض المقدمين فاندفعوا وتفرقوا بعد الاجتماع وبقى نور الدين
ثابتا مكانه في عدة يسير من شعبان غلماة وإبطال خواصه في وجوه الفرنج وأطلقوا فهم السهام فقتلوا منهم ومن
خيولهم بعمدة الله تعالى وشدة بأسه وثبات جاشه وشهور شجاعته وعاد الى خيمته سالما في جماعةه ولام من كان
السبب في اندفاعه بين يدي الفرنج وتفرق جمع الفرنج الى اعمالهم وراسل ملكهم لنور الدين في طلب الصلح
والهادنة وحرض على ذلك وترددت بين الفرنجين مراسلات ولم يستقر بينهم محال وعاد نور الدين الى دمشق سالما
قلت وذكر أبو الفتح بن أبي الحسن بن الاشترى المعبد كان بالمدرسة النظامية في سيرة مختصرة جمعها النور

في اخبار (١٢١) الدولتين

الدين وقد تقدم من غيرهم والله قال وبلغنا ان نورا الدين خرج الى الجهاد في سنة ست وخمسين وخمسة مائة قضى الله بانهزام عسكر المسلمين وفي الملك العادل مع شريعة قليلة وطائفة يسيرة واقفا على تلي يقال له تل جيبش وقد قرب عسكر الكفار بحيث اختلط رجالة المسلمين مع رجالة الكفار فوقف الملك العادل بجندائهم ومولوا وجهه الى قبله الدعاء جازر الجميع قلبه مناجار به يقول يا رب العباد أنا العبد الضعيف ملكك حتى هذه الولاية وأعطيتني هذه التوبة عرت بلادك ونجحت عبادك وأمرتهم بما أمرتني به ونهيتهم عما نهيتني عنه فربعت المنكر ان من بينهم وأظهرت شعبار دينك في بلادهم وقد انزما المسلمون وأنا لا أقدر على دفع هؤلاء الكفار أعداء دينك ودينك محمد صلى الله عليه وسلم ولا أملاك الانفسى هذه وقد سلمت اليهم ذابا عن دينك وانصرا لنبيك فاستجاب الله تعالى دعاءه وأوقع في قلوبهم الرعب وأرسل عليهم الخيلان فوقه ومواضعهم وما جسر واهل الاقدام عليه وظنوا ان الملك العادل على عليهم الخيلة وان عسكر المسلمين في الكين فان أقدموا عليه يجرع عساكر المسلمين من الكين فلا ينفلت منهم أحد فوقفوا وما قدمو عليه قال ولولا ان ذلك الهام من الله تعالى لكانوا قد استأسروا المسلمين وما كان ينفلت واحد من المسلمين فوقف عسكر الكفار ورزائشان منهم يحولان بين الصقيع بطلان البراز من المسلمين فأمر الملك العادل لخط الخيل الى اعدا مولى الشهيد بالخرج واليها خرج رجال بينهم ساعة وحمل على واحد منهم فقتله شجاعا ساعة وعمل حملة وخدعة ورجع الى قريب صف الكفار وحمل على الآخر فقتله ورجع الى الصف قال وحدثنا الشيخ داود المقدسي خادم قبرش عيب على بيننا وعليه السلام قال كان أعطاني ملك القدس بغلة كنت راكبا عليها يعني في ذلك اليوم واقفامع الملك العادل فلما وصل الكفار وقر بوا مناشمت بغلتي رائحة غسيل الكفار فصبحت تطالب خيلهم فسمعوا صهيل بغلتي فتناولوا هذا ادا وراكب على البغلة مع نور الدين واقف ولولا الخيلة والكين من المسلمين لما وقفوا مع هذه مع الملك العادل وتشعروا اليه واسوا الارض بين يديه وقالوا أيها الملك أنت يجمع المسلمين في هذا الموضع وفي هذا الاقليم فان جرى والعسا ذاب الله وهن وضعف من استبداء الكفار على المسلمين فن الذي يمد على تاركة قال وحلف هذا الشيخ داود انهم أخذوا بعنان فرسه كرها ورحلوا من ذلك الموضع وما كان في عزم الملك العادل ان يرحل من ذلك الموضع فلما عرف الكفار ذلك وأنه ما كان عليهم خيلة ولا كين ندموا على ذلك ندامة عظيمة قال وكان قيل هذه الواقعة بسنة كسر الملك العادل الكفار وقتل منهم مقتلة عظيمة وأسروا منهم خلقا كثيرا على ما حكى عن صلاح الدين صاحب حصنه قال قد جاز التوكان علينا فحصل في الجريد ألف أسير مع التركان هذا ما جاز على بلد حصن وحده وكان قد انفلت ملك القدس ودخل الى قلعه فلما جن عليه الليل خرج من القلعة ومضى

(فصل) قال أبو يعلى وفي رجب تجمعه قوم من السفهاء العوام وعزموا على التخريض لنور الدين على اعادة ما كان أبطل وسامع به أهل دمشق من روم ودار البليخ وعرضه البقل والانهار وصانهم من اعانت شرار الضمان وحواله الاجناد وروا المصنف عقولهم الخطاب وضموا القيام به مرة آلاف دينار يرضو كثره وابتلاك حتى أجبيوا الى ماراموا وشرعوا في فرضها على ارباب الاملاك من المتقدمين والاعيان والرعايا فاختدوا الى صواب ولا يجمع لهم قصد في خطاب ولا جواب وعسفوا الناس بجهلهم بحيث تألموا وكثروا الفجيع والاستغاثة الى نور الدين فضررهم هم الى النظر في هذا الامر فنحنت له السعادة وابشار العدل في الرعية الاعادة الى ما كان عليه فأمر في ثامر رمضان باعادة رسوم المعتاد على ما كانت عليه من امانتها وتعبته أثر ضمانها وأصناف الذي تتركها من نفسه باطل ضمانها لرغبة والحب واللين ورسم بكتب منشور يقرأ على كافة الناس باطل هذه الرسوم جمعها وتعبته ذكرها في بلغ العالم عند ذلك في مواصلة الادعية والثناء عليه والنشر لجاسسته قال وفي الحادي والعشرين من رمضان وصل الحاجب شهود المسترشدى من ناحية مصر بجواب ما تجمله من المراسلات من الملك الصالح متولى أمرها ومعه رسول من مقدس أمره ان يوجه المال المنفذ برسم الخزانة النورية وأنواع الثياب المصرية والنجاد العربية وكانت فرقة من الفرقة خذهم الله تضرعوا في المعابر فاظفر الله بهم فلم يفلت منهم الا القليل انزرت ثم لذلك وروا الخبر من العسكر المصري ببلقه بجهة وافرقة من الفرقة تنهزوا بجناحه فارس وتز على ذلك

كتاب (١٢٢) الروميتين

في ناحية العريش من الجفار بحيث استولى عليهم القتل والانس والسلب قال وقد كانت الاخبار تناصر من ناحية القسطنطينية في ذي الحجة ببروز ملك الروم منها في العدد الكثير لقصد الاعمال والمعاقل الاسلامية ووصوله الى مصر وجلب الدبايح وتجنبيه فيها وبث سرايا مالا غارة على اعمال انطاكية وما والاها وان قوما من التتر كان ظفروا بجباة منهم هذا بعد ان افتح من اعمال لاون ملك الارمن عدده من حصونه ومعاقله والمعارف نور الدين هذا شرع في كتابة الروايات بالاعمال والمعاقل باعلامهم ما حدث من الروم ويعتبر على استعمال التيقظ والتأهب للجهاد فيهم والاستعداد للثكافية بمن يظهر منهم قال ابن الاثير وفي سنة ثلاث وخمسين سار الملك محمد بن السلطان محمود خضر بغداد وهم الخليفة المقتدى لامر الله ومعه وزيره عون الدين بن هبة فكتب الى اطراف فخر كوا ووصل الخبر الى الملك محمد بأن اناحه ملكه شاء قصد هذان ودخلهما في عسكر كبير ونهب واخذ نساء الامراء الذين معه واولادهم فاختلط العسكر ونفروا وعاد محمد فجو هذان ونزع اهل بغداد فنبهوا واواخر العسكر المنقطعين وشعشعوا دار السلطان ثلث وفي هذه السنة توفي ابو الوقت عبد الاول المحدث المشرقي ديار واية كتاب الجامع الصحيح للخيارى رحمه الله تعالى (ع) ثم دخلت سنة اربع وخمسين قال ابو يعلى في اول يوم منها وافقت زلزلة عظيمة خشي نهارها وتلاها نشتان دونها وكان قد عرض لنور الدين مرض تزايد به بحيث اضعف قوته ووقع الارحاف به من حساد دولته والمفسدين من عوام رعيته وارتفعت الرعايا واعيان الاجناد وضائق صدور قضاة الثغور والبلاد خوفا عليه واشفاقا من سوء حاله اليه لاسيما مع اخبار الروم والفرنج وما أحسن من نفسه بالضعف تقسّم الى خواص وأعصابه وقال لهم انني قد عزمت على وصية اليكم بما وقع في نفسي فكونوا لها سامعين مطيعين وبشر وطها عاملين اني مشفق على الرعايا وكافة المسلمين من يكون بعدى من الولاة الجاهلين والظلمة الجائرين وان أضي نصره الدين اعرف من اخلاقه وسوء فعله ما لا رضى معتبوليته أمر امن امور المسلمين وقد وقع اختيارى على أضي قطب الدين مودود متولى الموصل لما يرجع اليه من عقل وسداد ودين وحمية اعتقاد خفاضه والوفاء بالعهود والاحسان الى اخيه بالاعلامه مودود الحال ليكون لها مستعدا ثم تفصل الله تعالى بابا له من المرض وتزايد القوة في النفس والحسن وجلس للدين اليه والسلام عليه وكان الامير محمد الدين النائب في حلب قد رتب في الطرقات من يحفظ الساكنين فيها فظفر القلم في منيعر جبل جمال من اهل دهشوق ومعه كتب فأنفذها الى محمد الدين متولى حلب فلما وقف عليها أمر بقلب من يحملها وأنفذها الى الحال الى نور الدين فوجدها من أمين الدين زين الحاج الى القاسم متولى ديوانه ومن عز الدين الى القلعة مماوكة ومن محمد بن جفرى احمد حجابيه الى أخيه نصره الدين أمير أميران صاحب حران بالاعلامه بوقوع الأمان من أخيه ويحضره على المبادرة والاسراع الى دمشق لتسلم اليه فلما عرف نور الدين ذلك عرض الكتب على اربابها فاعتبروا بها فقاموا باعتقادهم وكان رابعهم سعد الدين عثمان وكان قد خاف فهرب قبل ذلك بيومين وورد في الحال كتاب صاحب قلعة جعفر بن يعقوب بقطع نصره الدين الفراء محمد الى دمشق فانهم من أسد الدين في العسكر المنصور رآه ومنعهم من الوصول فانصل به خبر عوده الى مقره عند مقره بعافية أخيه فعاد أسد الدين الى دمشق وروى عن رسول الملك العادل من ناحية الموصل بحجاب ومجاهدة الى أخيه قطب الدين وفارقوه وقبر في عسكره متوجه الى ناحية دمشق فلما فصل عن الموصل اتصل به خبر عافيته فقام بحيث هو وأنشد وزيره جمال الدين أبا جعفر محمد بن علي لكنصف الحال فوصل الى دمشق في يوم السبت الثامن من صفر في أحسن زى وأجمل تحمل ونزع الى القائه الخلق الكثير قال وهذا الوزير قد أسلمه الله تعالى من جيل الافعال وجيد الخصال وكرم النفس وانفاق أهواله في أبواب البر والصدقات والصلوات ومحسن الانفاق مدينة الرسول عليه السلام وصلة ذات الحرم والبيت العظيم شرفه الله تعالى ما قد شاع ذكره ومضاعف عليه جمده وشكره واجتمع من نور الدين وجرى بينهم من المناقشات والفتريات المتفرقة الى عوده الى جهته بالاعلام والاحكام له وتوقفته حقة من الاحترام وأصبحه برس قطب الدين أخيه وخواصه من الملائكة ما اقتضته الحال الحاضرة وتوجه معه الامير أسد الدين وقال ابن طي لما وصل الوزير جمال الدين الى حلب تلقاه موكب نور الدين وفيه وجوه الدولة وكبراء المدينة وانزل في دار ابن الصوفي واكرم غاية الاحرام وأعيد الى صاحبه شاكرا عن نور الدين

في أخبار (١٣٣) الدولتين

وسير معه الأمير أسد الدين شيركوه ورسولاً إلى قطب الدين بالشكر له والثناء عليه وأنه نعتت معه هذا يا سنية فصار وعاد إلى حلب مكرماً فوجد نور الدين غازماً على الخروج إلى دمشق لما بلغه من فساد الفرنج في بلد حوران فصار في محابته وصل نور الدين إلى دمشق فأمر الناس بالتحول إلى تال الفرنج ثم انقض أسد الدين في قطعة من العسكر إلى غارة على بلد صيدا فصار سار معه أخوه قطب الدين وأولاد دوليشير الفرنج إلا وهو قد عاث في بلد صيدا وقتل وأسر عالماً عظيماً وغنم غنيمة جليلة وعلافاً جمع نور الدين على جسر الخشب قُلت وهذا هو ما تقدم ذكره بعد الموقعة الأولى وكان ابن أبي طي جعل المرتضين واحدة فطلب وأبو يعلى ذكران الأولى فطلب والثانية بدمشق وهو أصح والله أعلم

فصل قال أبو يعلى وكان قد وصل من ملك الروم رسول من معسكره ومعه هدية التحف بها الملك العادل ديباج وغير ذلك ويجعل خطاب وفعال وقبول يمثل ذلك وحكى عن ملك الفرنج خذله الله أن المصلحة بينه وبين ملك الروم تقررت والمهادنة انقضت والله برديأس كل واحد منهما إلى تحره وبذيقه عاقبة غدره ومكره قال وردت أخبار من ناحية ملك الروم باعتزامه على انطاكية وتصدد المعاول الإسلامية فيادر نور الدين بالتوجه إلى البلاد الشامية لا يناس أهلها من استيصالهم من شر الروم والفرنج خذلهم الله تعالى فسار في العسكر صوب حصن وحاموشين وقال وفي ثالث ربيع الأول واغتزلته هاتين ماجت أربع موجات وأظلت النيام وانزعجت القنطري وخاف كل ذي مسكن مضطرب على نفسه وعلى مسكنه قال وفي تاسع جمادى الأولى هبت ريح عاصفة شديدة فأقامت يومها ولياليها فالتفت أكثر النصارى صيغها وشتموها وأفسدت بعض الأشجار ثم رافقت آخر الليل زلزلة هائلة ماجت موجتين انزعجت واقلقت قال وتجددت المهادنة المؤكدة لنور الدين مع ملك الروم بعد تكرار المراسلات والاقتراحات في التفرقات واجيب ملك الروم إلى التماسه من إطلاق مقدسي الفرنج المقيمين في حبس نور الدين فأنفذهم بأسرهم وقال ملك الروم هذا الفضل بما يضاهيه من الاتفاق بأن أبواب الديباج الفاخرة المختلفة لاختناس الوافرة العدد من الجواهر النفيسة وخيصة من الديباج لها خيصة وافرة وما استحسن من الخيول الجبلية ثم رحل عقيب ذلك في عسكاهم من منزله عائد إلى بلاده مشكوراً محموداً ولم يؤذ أحد من المسلمين في العشر الأوسط من جمادى الأولى فاطمأنت القلوب بعد نزاعها وقلة قال ورد بعد ذلك الخديريان نور الدين صنع لآخيه قطب الدين ولعسكره وإن ورد معه من المتقدمين والولاة وأصحابهم الواردين لجهاد الروم والفرنج فيهما طاعتهما ثلاثاً هي فيه وفقر من الحصن العربية والخيول والبغال العدد الكثير ومن الخلع من أنواع الديباج المختلفة وغيره والخفوت الذهب الشيء الكثير الزائد على الكثرة وكان يوماً مشهوداً في الحسن والتجمل وانتفق أن جماعة من غرابة التركمان وجدوا من الناس غفلة واشتغلوا بهم بالسماء وانتهبوا فغاروا على العرب من بني أسامة وغيرهم واستاقروا وشبههم فلما ورد الخبر بذلك انقض نور الدين في أثرهم ففرقوا وفر من العسكر فأدركهم ثم انهم استخلصوا منهم جميع ما أخذوه واعيد إلى أبي بابه قال وتقرر رأي الذوري على التوجه إلى مدينة حران لئلا تلبسوا واستعادت من بلاد آخيه نصره الدين حسب ما رآه في ذلك من الصلاح فرحل في عسكره فأول جمادى الآخرة فلما نزل عليها وأحاط بها وقعت المراسلات إلى أن تقرر الحال على إيمان من بها وسلمت في يوم السبت الثالث والعشرين من جمادى الآخرة وقررت أحوالها وأحسن النظر في أحوال أهلها وسلبها الأمير من الدين على سبيل الإقطاع وفوض إليه تدبير أمورها

ثم دخلت سنة خمس وخمسين قال الرئيس أبو يعلى في صفرتوفي الأمير مجاهد الدين بنان من مابن أحد مقدسي أمراء الأكراد وهو من ذوي الواجهة في الدولة موصوف بالشجاعة والبسالة والسمعة وموافق على بث الصلوات والصدقات في المساكين والضعفاء والفقراء مع الإيمان في كل عصر يتقضى وأوان يجبل الجيش أحسن البشر في اللقاء وجعل من داره باب الفرديس إلى الجامع للصلوات عليه ثم إلى المدرسة المشهورة باسمه فدفن فيه في اليوم ولم يخل من بالعليه وهو مؤثر في وقتنا سلف على فقهه لجبل أفعاله وحيد خلاله قُلت وله أوقاف على أبواب البرزخ والمدستان المنسوبان إليه أحدهما التي دفن فيها وهي لزني باب الفرديس المجتهد والآخرى قبالة باب دارسيف

كتاب (١٢٤) الرومانيين

العرني في صف مدرسة نور الدين رجه الله وله وقف على من يقرأ السبع كل يوم بمصنوعة الخضر بجامع دمشق وغير ذلك وقد مدحه العرفه وغيره قال أبو يعنى وفي مستهل صفر رفع القاضي رزي الدين أبو الحسن علي بن محمد بن يحيى ابن علي القرشي قاضي دمشق إلى الملك العادل نور الدين ربيعة بسأله فيما لا عفاة من القضاء والاستبدال به فأجاب سؤاله وولى قضاء دمشق القاضي كمال الدين بن الشهرزوري وهو المشهور بالتقدم وفور العلم وصفاء الفهم والمعرفة بقوانين الاحكام وشروط استعمال الانصاف والعدل والتزاهة وتجنب الهوى والظلم واستقامه الامر على ما يراه ويؤثره وريضاء على ان القضاء من بعض أدوائه واستقر ان يكون النائب عنه عند اشتغاله ولده قلت ولكمال الدين رجه الله تعالى الصدة الجارية بعده على الفقراء كل جمعة واليه ينسب الشياك الكلي بجامع دمشق من الغرب وهو الذي حكى فيه القضاة مدة ويصلون فيه الجمعة في زماننا وإلى هاهنا انتهى ما نقلناه من كتاب الرئيس أبي يعلى التيمي فإنه أخر كتابه وفي هذه السنة توفي رجه الله قال ابن الاثير وفيها توفي أمير المؤمنين المقتدى لأمر الله بن المستظهر بأمر الله وولد له سنة تسع وخمسين وأربع مائة وكانت خلافته أربعين سنة وعشرين شهرا وبويع ولده أبو الخضر يوسف ولقب بالستجد بالله فأقر ابن هبيرة على وزارته قال وفيها حج زين الدين علي وأحسن إلى الناس في طريق مكة وأثر الصداقات فلما وصل بغداد أكرمته المستجد بالله فلما لبس الخنعة كانت طوبى له وكان قصيرا جدا فقيده إلى كرانه وأخرج ما شذبه وسطه وقصر الجبة فنظر المستجد إليه واستحسن ذلك منه وقال لمن عنده مثل هذا يكون الأمير والخادمي لأملكك قلت وفيها توفي المستخلف بصر الملقب بالفارزين الظافر بن الحافظ وولى بعده ابن عمه القاضي يوسف بن الحافظ وهو آخر خلفاء مصر ووصل من الصالحين رزيك كمال الدين ابن منقدا سامية بذلك فكتب إليه

هنا يعني قل عن قدرها الشكر * وصبرا لرزة لا يقوم به الصبر
مضى القاتر الظهور الامام وقام بالامانة فينا بعده العاضد الظهور
اماماهدى لله في تقبل ذاللي * كرامته وفي اقامته ذالسر
فعلش أبدا واسلم لهم يا كفيهم * تدافع عنهم كل حادثة تعرفو

ثم دخلت سنة ست وخمسين وجمعها لله قال ابن أبي طي في هذه السنة حج اسد الدين من الشام وخرج في تجمل عظيم وشارقة واسم صاحب معه من الازواد الكشي أشياء عظيمة ويقال انه كان معه ألف نفس يجري عليهم الطعام والشراب وجمع على كوشك المعروف زين الدين من العراق وجمع ملهم أخو ضرغام وزير مصر فكان الموسم بمؤلاء الثلاثة كثيرا لخير واستبني بسببهم أهل الحجاز وعاد أسد الدين إلى الشام وخرج نور الدين إلى لقائه وكان يوم ورود يوم عظيم وقال أيضا وفيها قتل الصالح بن رزيك بمصر وكان سبب قتله ان عمه العاضد علمت على قتله وأنفذت الاموال إلى الامراء فباع ذلك الصالح فاستعاد الاموال واحتاط على عمه العاضد قال واغما كرهته عمه العاضد لاستيلائه على الامور والدولة وحفظه للاموال وقتل الصالح بسبب جماعة من الاشرار ونكبتهم وتمكن من الدولة تمكنا حسنا ان عمه العاضد عادت واحكت الحيلة عليه وبذلت لقوم من السودان مالا لا يلاحق أو قوعوا به الفعل جلسوا له في بيت في دهلز القصر محتفين فيه فلما كان يوم تاسع عشر رمضان ركب إلى القصر ودخله وسلم على العاضد وخرج من عنده فخرج عليه الجماعة وقعت الصحة فعثر الصالح بأذياله فطعنه أحد هم بالسيف في ظاهر رقبته فقطع أحد عودى الرقبة وجعل الحباب القصر وأصيب ولده رزيك في كتفه ولما حصل الصالح في داره أوصى ولده رزيك بمات بعد ساعة من ذلك اليوم قال الهماد وانكسفت شمس الفضائل ورخص سعر الشعر وانخفض علم العلم وضاق قضاء الفضل وعمر رزاه بن رزيك وملك صرف الدهر ذلك المليك فلم تزل مصر بعده مخبوسة الحظ مخبوسة الجدة مخبوسة الارية مخبوسة الالية إلى ان ملكها يوسف الثاني وجعلها معان المعاني وانشرهم في وعط نسيها وتسلم قصرها والتم خصرها قال زين الدين الواعظ عمل فارس المسلمين أخو الصالح دعوت في شعبان من السنة التي قتل فيها نجل هذه الياست وسلمها إلى

في اخبار (١٢٥) الدولتين

انست بكدهرا فلما طاعتنا استمقرت بقلي وحشة للفرق
وأعجب شئ اني يوم بينكم * بقيت وقلي بين جنبي ما دقي
أرى العبد ما بيني وبين أحيتي * كبعدا مدى ما بين غرب وشرق
الاجددي يانفس وجدا وحسرة * فهذا فراق بعدي ليس نلتقي

قال فلم يبق بعدي هاهم اجتماع في مسرة وقتل في شهر رمضان قلت راجعة إلى بيني ولغيره مدائح في الصالح ومراث
جليله وقد أنثى عليه كثيرا في كتاب الوزراء المصريين ولم يكن يجلس انسه به قطع الا بالمدائح في أنواع العلوم
الشريعة والادبية وفي مدائح وفاتح الحرب مع امرائه دولته قال وكان من تاضا قد شتم أطراف المعارف ويميز عن
اجلاف الملوك وكان شاعرا يحب الادب وأهله يكرم جلسيه وينسط أنيسه ولكنه كان مفرط العصبية في مذهب
الامامية وكان من تاضا حصة فاقه في ولايته فقهها السنة وسمع كلامهم قال ودخلت عليه قبل ان يموت بثلاث
ايال وفي يده قرطاس قد كتب فيه بيتين من شعره علمه ما في تلك الساعة

نحن في غفلة وزم ولبو * تميمون يقظان لا تنام
قد رحلنا الى الحمام سدينا * ليت شعري متى يكون الحمام

قال ومن عجيب الاتفاق اني أنشأت ابنه جدي الاسلام في دار بعيد السعداء ليلة السادس عشر من شهر رمضان
أو السابع عشر قصيدة أقول فيها

أبرك الذي تسطو الالباني بجده * وأنت حين ان سطا وشمال
لربته العنابي وان طال عمره * اليك مصر واجب ومآل
فخاسك الخط المصون ودونها * حجاب شريف لا تقضى وحال
قال فانتقل الملك بعد ثلاث ايام الى القلعة ومباركته به بقلي
أفي أهل ذا النادي عليم أسأله * فاني لما ذاهب اللب ذاهله
سمعت حديثا أحسد المم عنده * ويذهل وأعيسه ويجرس قائله
فقد رايت من شاهد الحمال اني * أرى الدست منصوبا ومافيه كافله
واني أرى فرق الوجوه ككابة * تدل على ان الوجوه ثوابه
دعوني فهاهنا بوقت سكاكه * سيما تيك طل اليكاه ووابله
ولم لا تيكه وتندب فقهده * وأولادنا أيتامه وأرامه
فيما ليت شعري بعد حسن فعاله * وقد غاب عنا ما بنا الدهر فاعاله
ايككم مثنوى ضيقكم وغريكم * فيسكن أم تطوي بسين من أحده
وله من أخرى يرثيه ويرث كولاية ابنه

طمع المرء في الحياة غرور * وطويل الآمال فيها قصير
ولكم قدر الهفتي فاتته * فوب لم يحط بها التقدير
فض ختم الحياة عنك حمام * لا يراي اذنا ولا يستشير
لم تخطي أجل تلك اليوم الا * قدر أمره علينا قدير
يا أمير الجيوش هل لك علم * ان حلالنا علينا أمير
ان قبرا حلته لغنى * ان دهرنا فالرقته لفقير
انطوى ذلك البساط وعهدى * وهو بالعلم والندى مغرور
لا تظن الايام انك ميت * لم يمت من ثنائه منشور
ان مضي كافل فهذا كقول * أو وزير يغيب هذا وزير
دولة صالحه تخلصتها * دولة عادلية لا تجور

ما شكونا كسر النواصب حتى * قبل في الحال كسر كم محبوب
 نصر الناصر العلي بالموالي * ولعم المولى ونعم النصير
 وقال أبصار فيه ويزكر النظم بقاتليه * وبصف نقل تابوته الى مشهدة بالقرافة قصيدة طويلة منها
 قد كنت أشرق من غمامد ماضي * أسفا ف كيف وقد طوى التبار
 عم الورى يوم الخميس وخصني * خطب بانف الدهر منه صغار
 ما أوحش الدنيا غدية فارقت * قطبارى الدنيا عليه تدار
 خربت ربوع المكرمات لواحد * عرت به الاجداث وهي قفار
 نعش الجدود العاثرات مشيع * عشت برؤية نعشه الا بصار
 نعش بوذبات نعش لو غدت * ونظامها أسفا عليه نثار
 شخص الانام اليه تحت جنازة * خففت لرقعة قدوها الاقدار
 سار الامام امامها فجلت ان * قدسية تم الخساسة الا برار
 ومضى المولك بها حفاة بعدما * حفت ملائكة بها أطهار
 فسكنها تابوت موسى أودعت * في جانيه سحكنة ووفار
 لكنه ماض غير بقية الاسلام * وهو الصالح المختار
 اقطنته دار الوزارة رنما * بنيت لنقلته الكريمة دار
 وتغار الهرمان والحرماني * تابوته وعسى الى الكرسي غار
 أثرت مصرامنه بالشرف الذي * حسدت قرأته الى الامصار
 وجعلتها امنا به ومثابة * ترجموا ثابة قصدها الزوار
 قد قلت ان تقاوه تقلى طباغ * نزحت به دار وشط منار
 ما كان الا السيف جدد غده * بسواه وهو الصارم البتار
 والبدن فارق برجه متبدلا * برجابه تتشعب الانوار
 والقيث روى بلدة ثم انجى * أخرى فنوء معجابه مدرار
 يامسبل الاستار دون جلاله * ماذا الذي رفعت له الاستار
 مالي أرى ان واربعه مهابية * فوضى ولاذن ولا استتار
 غضب الاله على رجال أقدموا * جهل اعليل وآخرين أشاروا
 لا نجعلنا القدر ناقة صالح * فلكل دهر راقه وقدار
 واخجلنا لمبيض كيف تطاولت * سفها يابدى السود وهي قصار
 واحمرنا كيف انقردت لاعبد * وعبيدك الاسادات والاحرار
 رصدوك في ضيق المجال بحيث لا * لو كنت متروكة ومختار
 ولقد ثبت ثبات مقتدر على * خلدنا لهم لو ساعد المقدار
 وتعترت أقدامهم بك هبية * لولم يكن لك بالذيول عثار
 أحللت دار كرامة لا تنقضى * أبدا وحل بشايتك بوار
 ياليت عينك شاهدت أحوالهم * من بعدهم وأت الى ماصاروا
 وقع القصاص بهم وليسوا مئنا * يرضى وأين من السماء غبار
 ضاقت بهم سعة التجار ورما * نام العبد ذو ولا ينام الثار
 وتوهوا ان الفرار مطيبة * تبي وأين من القضاء فرار

في اخبار (١٢٧) الدولتين

طاروا فذأبوا الشجاع لصيدهم * شرك الردى فكأنهم ماطراروا
قهرن بالاجر الجبـ زيل وميتة * درجت عليها قبلك الاخبار
مات الوصى بها وحجرة عـ * وابن البتول وجعفر الطيار
نلت السعادة والشهادة والعلـ * حيا وميتا نانا ذا الفخار
ولقد ذأبرا العين بعدك أروع * لولاهم بلألى اسـتقرار
الناصر الهادى الذى حسـناته * عن سبقات زمانا أعـذار
ولما اسـتقام لحفظ أمة أجد * عـرت به الاوطان والاوطار

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسمائة * قال ابن الاثير فيها جمع نور الدين العساكر وسار الى قلعة حارم وحصرها وحدث في قائلها فامتنعت عليه لحصانتها وكثرة من بها من فرسان الفرنج وشجعانهم واجتمع الفرنج من سائر البلاد وسار والمحمولير حاوذهن فلما قاربوه طلب منهم المصافح فاجيبوه الى ذلك وساروا وتلقوا الحال معه فعاد الى بلاده ومن كان معه في هذه الغزاة الامير مؤيد الدولة اسامة بن مرشد بن منقذ وكان من الشجاعة في العناية ابني لامر يد عليها فلما عاد الى حلب دخل الى مسجد سـيرين وكان قد دخله في العام الماضي سائر الى الحج فلما دخله عامئذ كتب على حائطه

للك الحمد يامولاي كـم لك مـنة * على وفضل لا يحيط به شكرى
زلت بهذا المسجد العام قافلا * من الغزو موفور النصيب من الاجر
ومنه رحلت العيس في عامي الذى * مضى نحو بيت الله ذى الركن والجر
فادبت مفروضى وأسقطت ثقلما * تجلت من وزير الشبيبة عن ظهري
قلت أذكرني هذا ما كتبه اسامة ايضا بمدينة صور وقد دخل دار ابن أبي عقيل فرأها وقد تهدمت وتغيرت زخرفتها فكتب على لوح من رخام هذه الايات

احذر من الدنيا ولا * تغتر بالمر القصر
وانظر الى آثار من * صرته من الغرور
عمر واوشاد وامتازا * ممن المنازل والقصور
وتحزوا لولاهم بعد سـكناهم الى سكـن القبور

قلت ابن أبي عقيل هذا هو ابر الحسن محمد بن عبد الله بن عياض بن أبي عقيل صاحب صور وبلقب عين الدولة مات سنة خمس وستين وأربع مائة واستولى على صورانية النيس والله اعلم

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة * قال ابن الاثير فيها جمع نور الدين عساكره ودخل بلاد الفرنج فنزل بالبيعة ففتح حصن الاكراد وهو لافرنج عازما على دخول بلادهم ومنازلة طرابلس فبينما الناس في بعض الايام في خيامهم في وسط النهار لم يرهم الاظهروا صلبان الفرنج من وراء الجبل الذى عليه الحصن فكبسوهم فأراد المساكين دفعهم فلم يطيعوا فافانهم زموا ووقع الفرنج السيفوا كثروا القتل والاسر وقصدوا خيمة الملك العادل فخرج عن ظهر خيمته بحجارة يـريقها فربك فرسانها لثابة ولمر عتـه ركبـه وفي رجليه شجوة فقتل انسان من الاكراد فقطعها انفجاء نور الدين وقتل الكردي فسأل نور الدين عن شئنى ذلك الكردي فأحسن اليهم جزاء لفعاله وكان أكثر القتل في السوق والغلمان وسار نور الدين الى مدينة حصن فأقام بظاهرها واحضر منها ما فيها من الخيام ونصـها على بحيرة قدس على فرسخ من حصن وبينها وبين مكان الواقعة أربعة فراسخ وكان الناس يظنون انه لا يقرب دون حلب وكان رجـه الله أشجع من ذلك واقوى عزما ولما نزل على بحيرة قدس اجتمع اليه كل من نجح من المعركة فقال له بعض اصحابه ليس من الرأى أن نقيم هاهنا فان الفرنج ربما جـلهم الطمع على المـجى والدينا ونحن على هذه الحال فوجه واسكتة وقال اذا كان معي ألف فارس فلا ألى اليهم قتلوا أو كثروا والله لا أستظل بحدار حتى اخذ بخيل الاسلام ونارى ثم انه أرسل الى حلب ومـشـى وأحضر الاموال والدواب والاسلحة والخيـام

كتاب (١٢٨) الروضتين

وسائر ما يحتاج إليه الجند فأكثر وفرد ذلك جميعه على من سلم وأمان قتل فإنه أقر أقطاعه على أولاده فإن لم يكن له ولد فعلى بعض أهله فإعاد العسكر ككتاب لم يفقد منه أحد وأما الفرج فكان منهم كانوا من علي قصد حص بعد الطرية لأنهم أقرب البلاد إليهم فلما بلغهم مقام نور الدين عندهما قالوا إنه لم يفعل هذا إلا وعندهم القوة فإن منعنا وكان نور الدين رحمه الله قد أكثر الفرج إلى أن قيم في يوم واحد ما تفي ألف دينار سوى غيرهما من الدواب والحياض والسلاح وغير ذلك وتقدم إلى ديوانه أن يحضر والجند ويسألوا كل واحد منهم عن الذي أخذ منه فكل من ذكر شيئاً أعماه وعرضه فحضر بعض الجند وأدعى شيئاً كثيراً علم بعض النواب كذبه فيما ادعاه لمع فتمهم بحالهم فأرسلوا إلى نور الدين بنون البسه القضيبة ويستأذونه في تخليف الجندى على ما ادعاه فأعاد الجواب لأنكذروا عطاءنا فاني أرجو النواب والاجر على قليله وكثيره وقال له أخصابه إن لك في بلادك ادرايات كثيرة وصلات عظيمة للقاءه واللقاء والصوفية والقراء فلو استعنت بها الآن لكان أمثل فغضب من هذا وقال والله اني لا رجوا وأنتك الضر فامتنار زقون وتنصرون بضعة فأنكم كيف أقطع صلوات قوم يقا تاون عني وأنا نائم في فراشي يسهم لا تخطي وأصره إلى من يقا تل عني انذاراً في يسهم قد تخطي ونصيب ثم هؤلاء القوم لهم نصيب في بيت المال أصرنه إليهم كيف أعطيهم غيرهم فسكتوا ثم إن الفرج أرسلوا إلى نور الدين في المساعدة فليجيهم إليها فتر كوا عند الحصن من يحميه وعادوا إلى بلادهم وقرقوا قلت وفي هذا الحادثة تحت حصن الأكراد يقول أبو الفرج عبيد الله بن سعد الموصلي نزل حصن من جملة قصيدة فاقفة مدح بها نور الدين رحمه الله أوتها

نلي الما ضي وأطراف القنا الذبل * ضوام لك ما حازه من نفل
وكأف لك كافي ما تحساؤه * عز وعزم بأس غبير من نجل
وما يعيسك ما حازه من سلب * بالقتل قد تأسر الآساد بالجليل
وأما أخلصد واجبنا الخندق * اذ لم يكن لهم بالجيش من قبيل
واستقوا وأراد الله غفلتك * لينفذ السدرا المحتوم في الازل
حتى أنوكهم ولا الماذى من أم * ولا الظبي كبث من مرهق بحمل
قتالقا وقسى غبير موزة * والخييل عازبة ترمى مع الحمل
ما يصنع الليث الاب ولا ظفر * بما حواله من عفر ومن وصل
هلا وقد رب الاسد الصقور وقد * سلوا الظبي تحت غابات من الاسل
والنماهم أشاعر احزمهم ثقة * مجهم ولهم من وأنق خجل
بنى الاسافر ما نلت بمكرهم * والمكر في كل انسان أخو للفشل
وما رجعت بأسرى خاب سعيكم * غير الاراذل والاتباع والسفل
سليتكم الحسد ردة رأة لالحجم * والسهم مر كوزة والبعض في الخلل
هل أخذ الخيل قد ردى فوارسها * مثال أخذها في الشكل والطول
أم سالب الرمح مر كوزا كساليه * والحسب دائرة من كف معتقل
جيش اصابتهم عين الكمال وما * يتحاو من العين الا غير مكمل
لهم يوم خنسين اسوة وهم * خبير الانام وفيهم خاتم الرسل
سقة تضيق بضمير عند هرونه * البيض كالبيض والادراع كالخلل
ملك بعد من الاناس ذو كلف * بالصدق في القول والاخلاص في العمل
فالسر ما أصبح والشمس ما أفلت * والسيف مافل والاطو ادم تزل
وكم تحبلى بنور الدين من ظلم * والتجارب ما كان الا ضلال من ظلم
وكم يمرى لكوا الطرف من جبن * عند اللقاء وغضوا الطرف من نجل
طلبتم السهل تبغون النجاة ولو * لذتم بلككم لذتم إلى الجبل

في اخبار (١٢٩) الدولتين

اسلموه ووليتهم فأسلمكم * بثبتة لو بغاها الطولم ينسل
 فقام فردا وقدوت بجافله * فكان من نفسه في جمل زجل
 في مشهد وليوث العيل تشبده * خرت لاذنبا من شدة الوهل
 وسط العدى وحده ثبت الجنان وقد * طارت قابلي بغير من الوهل
 يعود عنهم ويذا غير مكترث * بهم وقد كرم غير محتفل
 يزاد قدما اليهم من تيقنه * ان التأخر لا يهي من الاجل
 ما كان اقر بهم من اسر ابعدهم * لو انهم لم يكونوا منه في شغل
 ثباته في صدور الخيل انقدهم * لا تحسبوا وثبات الضمير اللذل
 ما كل حين تصاب الاسد غافلة * ولا يصيب الشدد البطش ذوالशल
 والله عونك فيما أتت من معه * فكما أعانك في أياك الاول
 كقد ملكك هم ملك بالاعوض * وخرت من بلاد منها بلاذل
 وكسفت العوالي من طلي ملك * وكفرت العوالي من قرابطل
 لا تكتب سممك الاقدار عن غرض * ولانك تبتك الايام عن أمل

قلت حاول ابن اسعد في هذه القصيدة ما حاوله المتنبي في قوله (غري بأكثر هذا الناس يخذع) القصيدة فان كل واحد منهم اعتمدت عن أصحابه ومدحهم وهم المزمون وقد احسنها معاني الله عنهما وعبد الله بن اسعد هذا فقيه فاضل وشاعر مقلد كان مدرسا لبعض يعرف بابن الدهان وله ترجمة في تاريخ دمشق وقد ذكره الهماد الكاتب في خريدته فأحسن ذكره وأكثر الثناء على علمه وشعره وسمي في ذكره أيضا في هذا الكتاب في أخبار سنة سبعين وست وسبعين وثمان وسبعين ان شاء الله تعالى وفي هذه السنة اعني سنة ثمان وخمسين وخمسة مائة توفي عبد المؤمن بن علي خليفة المهدي محمد بن تومرت صاحب المغرب وولي بعده ابنه يوسف

بحمد دخلت سنة تسع وخمسين وخمسة مائة ففتح سار أسد الدين شيركوه بن شاذي الى مصر المزمرة الاولى وهو من أكابر الامراء الذين في الخدمة النورية عازما على ملك الديار المصرية واستضافتها الى الملكة النورية وكان أسد الدين وأخوه نجم الدين أيوب وهو أكبر أبناء شاذي من بلد دوين وهي بلدة من آخر بلاد اذربيجان بمائتي الروم وأصلها من الاكراد الزاذية وهذا التقيل هو أشرف الاكراد وقد ماء العراق وخدماء بجاهد الدين بهر ووالخادم وهو شخصه العراق فرأى في نجم الدين عقلا ورأى باو حسن سيرة فجعله دزدارا بتكر وهي بلدة قسار اليها ومعه أخو أسد الدين فلما نهم أنابك زكي الشهيد والد نور الدين بالعراق ومعه الخواجه السائي وهو أنابك داود بن السلطان محمود وذلك زمن المسترشد بالله سنة ست وعشرين وخمسة مائة وصل الى تكريت فخدمه نجم الدين أيوب وأقام له الاسقن فغير دجلة وتبعه أصحابه فأحسن نجم الدين حبيبهم وسرهم ثم ان أسد الدين قتل انسانا نصرانيا بتكر بيت الملاحاة جرت بينهما فارسيل مجاهد الدين اليه والى أخيه نجم الدين فأخرجهما من تكريت وقيل ان أيوب كان يحسن الزمانه قري شخصان من ماليك بهر وزبهم فقتله فقتل على نفسه فتوجه نحو الشام وخدم مع زكي وقيل لما قتل أسد الدين شيركوه النصراني وكان عزيزا عند بهر وزهرت الى الموصل والحق أيوب به وسن وضع هذه النقصه ان شاء الله تعالى عند ذكر وفاة أيوب في أخبار سنة ثمان وستين ثم ان أيوب وشيركوه قصد أنابك الشهيد فأحسن اليهما وعرفهما خدمتهما واقطعها ألقنا عا حسنا وصارا من جملة جنده فلما فتح حصن بعلبك جعل نجم الدين دزدارا فيه فلما قتل الشهيد حصر عسكر دمشق نجم الدين فأرسل الى سيف الدين غازي وقد قام بالملك بعد والده يهنئ الحاصل اليه فلم تفرغ بعلبك وضاق الامر على من بها وخاف نجم الدين ان تؤخذ عنوة ويأخذ في تسليم القلعة وطالب اقطاعا ذكره فأجاب الى ذلك وحلف له صاحب دمشق عليه وسر القلعة وولي به بالحلف عليه من اقطاعه والثقة ثم وصار عند من أكابر الامراء واتصل أخوه أسد الدين شيركوه بالخدمة النورية بعد قتل الشهيد وكان يخدمه في أيام والده فقتل به نور الدين واقطعه ورأى منه في حروبه يوم شاهد أناراً يهجز عن غير لشجاعة وجرأه فزاده اقطاعا

كتاب (١٣٠) الروضتين

وقر باحتي صارت له حصن والرجبة وغيرهما وجعله مقدم عسكر فلما تعلقت الحجة الثورية بجملة دمشق أمر أسد الدين فراسل أعانه نجم الدين وهو بها في ذلك فطلب منه المساعدة على فتحها فأجاب إلى ما أراد منه وطلب هو وأسد الدين من نور الدين كثير من الاقطاع والاملاية لبلد دمشق وغيرهما فيذل لهما ما طلبا منه وحلف لهما عليه فو في لهما بالمملكة ما صارا عنده في اعلى المنازل لاسيما نجم الدين فان جميع الامر اءكوا لا يقعون عند نور الدين الا ان يأمرهم واحدهم بذلك لان نجم الدين فانه كان اذا دخل اليه فعد من غير ان يؤمر بذلك فلما كان سنة تسع وخمسين عزم نور الدين على ارسال العساكر الى مصر ولم ير هذا الامر الكبير اقوم ولا اشجع من أسد الدين فسيرة وكان سبب ذلك ان شاورين مجيرا باشيخاع السعدى وهو الملقب أمير الجيوش الذى يقول فيه عبارة من قصيدة
 صبحر الحديد من الحديد وشاورين * فى نصر آل محمد لم يصح
 حلف الزمان لآبائين مجنله * حدث مجنك يا زمان فكفر

وهو وزير الملقب بالعاضدين لله آخر المستخلفين بمصر كان قد وصل الى دمشق في سنة ثمان وخمسين سادس وربع الاذل الى نور الدين مستخدما به على من أخذ منه منصبه فهورا وكانت عادة المصريين انه اذا غلب شخص صاحب المنصب ويختر صاحب المنصب عن دفعه وعرفوا يعجزه وقوا للقاءهم منهم ورتبوه ومكروه فان قوتهم انما كانت تكون بعسكر وزير وهو الملقب عندهم بالسلاطون وما كانوا يرون المكاشفة واغراضهم مستقيمة وقوا عنهم مستقرة من أول زمانهم على هذا المثال وكان شاورية غلب على الوزارة وانتزعها من بنى رزيك وقتل العادل بن الصالح ابن رزيك الذى وزير بعد ابيه واسمهم رزيك ويلقب بالنصارى والذى استخضر القاضي الفاضل عبد الرحيم ابن على من الاسكندرية واستخدمه بمصرته وبني يديه في ديوان الجيش على ما ذكره عبارة الجنى في كتاب الوزراء المصرية وقال غرس منه للدولة بل للسلطة شجرة مباركة متزايدة لما اصلها ثابت وفرعها في السماء ثم خرج على شاور نائب الساب وهو أمير يقال له ضرغام بن سواد ويلقب بالمنصور فجمع له جموعا كثيرة لم يكن له بها قبل فقلبه وأخرجه من القاهرة وولده طبا وادب على الوزارة فرحل شاور الى الشام فاصدا لخدمة نور الدين مستصر خابه ومستصرا فأحسن لقاءه وأكرم مثواه فطلب منه ارسال العساكر الى مصر ليعود اليها ويكون له فيها حصنة ذكرها له ويتصرف على امره ونهيه واختياره ونور الدين يقدم في ذلك رجلا ويؤخر أخرى تارة فحمله رعاية قصد شاور وطلب الزيادة في الملك والعتوى على الفرنج وتارة يمنعه بخطر الطريق وكون الفرنج فيه الا ان يوغوا الى البر فيتعرضوا لخطر آخر مع الخوف من الفرنج ايضا ثم استخار الله تعالى وأمر أسد الدين بالجهز للسيرة معه قضاء على الوافدا المستصرين وجلسا الى بلاد وتعا على أحوالها وكان هو أسد الدين في ذلك وكان عنده من الشجاعة وقوة النفس ما لا يباي معه بمخافة ففجهز وسار مع شاور في جمادى الآخرة من سنة تسع وخمسين هكذا ذكر ابن الاثير والعماد الكاتب وقال القاضي ابن شداد كان ذلك سنة ثمان وخمسين والقول في ذلك قوله ما فقد بينا ان قدوم شاور الى الشام كان في سنة ثمان وخمسين وارسل نور الدين العسكر كان في جمادى سنة تسع وخمسين قالوا وأمر نور الدين أسد الدين باعادة شاور الى منصبه والانتقام من نازعه في الوزارة وسار واجمعا وسارهم نور الدين الى اطراف بلاد الاسلام ما يلي الفرنج بوعساكرة ليشغلهم عن التعرض لاسد الدين فكان قهاري الفرنج يحفظ بلادهم من نور الدين ووصل أسد الدين سالما الى مصر هو ومن معه فرب المنابر على شاور في الوزارة وقتل وطيف برأسه وعاد شاور وزير او تمكن من منصبه وكان عبارة قد مدح ضرغام بقصيدة فيها

وأحضر من وزراء الخليفة من نشا * في حضرة الاكرام والاجال
 واختص بالخلفاء وانكسفت له * أسرارها بقرائن الاحوال
 وتصرف الوزراء عن افعاله * كتحريف الاسماء بالافعال
 قال عبارة ولما جاز برأسه على الخليفة كنت أسكن صف الخليفة بالقاهرة قلت ارتحلا
 أرى حنك الوزارة صار سيفا * يجذب حديد صيد الرقاب
 كلناك رايد البسوى والا * بشير بالمنية والمصاب

في اخبار ١٣١ في الدوايين

والعمارة التي من قصيدة مدح بها شاور وذكر وزارته قوله

فصرت في الأوفى بضرب زلزال — قد دام وهي شديدة الأقدام
ونصرت في الأخرى بضرب صادق * أضفى بطير به غراب الهام
أدركت ثارا وأرتجعت وزارة * نزع أسيفك من يدي ضرغام
وكان ضرغام أولاً من أبحاث شاور واتباعه وتبدأ اشار إلى ذلك عمارة في قوله من قصيدة له
كانت وزارتك القديمة مشرعا * صفوا ولكن كذرت غدرائهما
غصبت رجال تاجسه وسيرره * من بعدما سجدت له تيجانها
وله من قصيدة أخرى في شاور
وزرعتنسه الوزارة أولاً * وثانية عفووا بغير طناب
نخاتيه في الأولى بمانته وده * ورب حبيب في قبض حباب
وساعة تتهبني الصلح ثانی مرة * فلم يرض إلا بعد ضرب رقاب
ولم يغلب وزيرهم وعاد غير شاور وكان مدة أخذ الوزارة منه إلى أن عادت إليه تسعة أشهر سواء وهي مدد الجلال نص
عمارة على ذلك وقال قتل ولد أبي يوم الجمعة الثامن والعشرين من رمضان جازر أسه على ربح تحت الطيقان والنساء
يولول بالصرخ وكان فيمن واحدة تحفظ قول في الصالح

ابنسى وفي العيدين صورة وجهه الـ * سكرى وعهد الانتفال قريب
فما زالت شكر رأت رأس ضرغام قال وأدرك شاور ثاره في يوم الجمعة الثامن والعشرين من جمادى الآخرة
فيكون بينهم تسعة أشهر قال وقلت في ذلك

وزنعت ملكك من رجال نازعوا * فيه وكنت به أحق وأقعدا
جذبوا رداءك عاصدين فلم تزل * حتى كسوت الأوم أردية الردى
وبردت قلبك من حرارة حرقه * أمرت نسيم الليل أن لا يبردا
تاريخه — بذلت له في مثله * يوما بيوم عبيرة لمن اهتدى
جلبت به الأيام تسعة أشهر * حتى جعل له جمادى مولدا
وله فيه أيضا

لله درك — وتورا أقض به * دست وسمج واجفان ومضطجع
ما غبت الإيسيرا ثم لحت لنا * والثارمة تدرك والملك مر تجيع
قضية لم يزل منها ابن ذي برن * الاسكالن والاثار تتبع

قال ابن الأثير وأقام أسد الدين بظاهر القاهرة وغدر به شاور وعاد عما كان قرره لنور الدين من البلاد المصرية
ولاسد الدين أيضا فأرسل إليه بأمره بالعودة إلى الشام فانقب أسد الدين من هذه الحال وأعاد الجواب يطلب ما كان
اسمقه فلم يجبه شاور إليه فلما رأى ذلك أرسل نوابه فتسبوا مدينة بلبيس وحكم على البلاد الشرقية فأرسل شاور إلى
الفرنج يستجدهم ويخبرهم من نور الدين أن ملك مصر وكان الفرنج قد أبقوا بالهلاك أن ملكهم نور الدين فهم
خائفون فلما أرسل شاور إليهم يستجدهم ويطلب منهم أن يساعده على إخراج أسد الدين من البلاد جاءهم فرج
لم يجتنبوه وسارعوا إلى تلبية دعوة والمبادرة إلى نصرته وطمعوا في ملكد يار مصر وكان قد بذل لهم ما على المسير
إليه ففهموا وساروا وأخبروا بلبلع نور الدين خبر تجهيزهم للمسير سار يساكره في أطراف بلاده مما يلي الأفرنج لم يمتنعوا
من المسير فلم يمتنعوا لعلهم أن الخطر في مقامهم إذا ملك أسد الدين مصر أشد من الخطر في مسيرهم فتركوا
في بلادهم من يحفظها وسار ملك القدس إلى باقيين إلى مصر وكان قد وصل إلى الساحل جمع كبير من الفرنج
في البحر يار البيت المقدس فاستعان بهم ملك الفرنج فأعانه وسار بعضهم معه وأقام بعض في البلاد لحفظها فلما
قارب الفرنج مصر فارقها أسد الدين وقصد مدينة بلبيس وأقام بها هو وعسكر وجعلها نذر لخصم به فاجتعت

كتاب ١٣٢ الروضتين

العساكر المصرية والفريجية ونزلوا أسد الدين بمدينة بلبيس وحصروها ثلاثاً أشهر وقد امتنع أسد الدين بها وسورها من طين قصير جداً وليس له خندق ولا جيل يحميها وهو يغادهم القتال ويرأوهم فلم يسلموا منه غرضاً ولا نالوا منه شيئاً فبيهاهم كللاً إذ أناهم الخبز بمنزلة الفريجية بحارم وملك نور الدين الحصن ومسيرهم إلى بانياس فحينئذ سقط في أيديهم وأرادوا العود إلى البلاد ليخففوا عنها وأعلمهم بذكر كون بانياس قبل أخذها فليدركوها إلا وقد ملكها على ما سمي في بيانه إن شاء الله تعالى وراسلوا أسد الدين في الصلح والعود إلى الشام ومفارقة مصر وتسليم ما بيده منها إلى المصريين فأجابهم إلى ذلك لأنه لم يعلم بما فعله نور الدين بالفريجية في الساحل قال ابن الأثير فحدثني من رأى أسد الدين حين خرج من بلبيس قال رأيت أنه وقد أخرج أصحابه بين يديه وبقي في آخرهم ويسد ملت من حديد يحمي ساقهم والمسلمون والفريجية ينظرون قال فإنه فرجني من الفريجية الغرباء فقال له أما تخاف أن يغدرك هؤلاء المسلمون والفريجية قد أحاطوا بك وبأصحابك فلا يبقى لك معهم شيء فقال شركوه باليتهم فعملوا حتى كنت ترى ما لم تر مثله كنت والله أضع فهم السيف فلاقتل حتى اقتل رجالاً وحينئذ يقصدهم الملك العادل نور الدين وقد ضعوا وفي إبطاهم في تلك البلادهم ويفي من بقي منهم والله لو أطاعني هؤلاء يعني أصحابه لخرجت إليكم أول يوم لكنهم امتنعوا فصلب الفريجية على وجهه وقال كان يجب من فرج هذه اليد يا روم بالغتهم في صفتك وخوفهم منك وإن فقدت عدوكهم ثم رجع عنه وسار شركوه إلى الشام وعاد ساسا وقال العادل الكاتب وصل شاوراً إلى نور الدين فالتجأ فالتقاء على عدوء معا وبدا مشكياً وسير معه أسد الدين على قرار عينه وأمر بيته ونعية يدرها وخطة يملكها ومحبته وانجته في الملك يسلكها فغنى معه وأمره وأوصى له مشرعه واسترذله موضعه وأظهره بعلمه وأظفره بعدوه فلما بادى خصمه بذو وجهه وغدر بعده وأخلف في وعده وكان قد راسل الفريجية وعاداهم في حرب الإسلام فوصلوا فخصه شركوه ومن معه بمدينة بلبيس فحاصره شاور ويحجود مصر والفريجية ثلاثة أشهر من مستل رمضان إلى ذي الحجة فبذلوا له قطعة فأنصرف عنهم وعاد إلى الشام وفي قلبه من شر شاور إلا أن وكيف تمت بعد ذلك الحن قلت وقد أشار إلى ذلك عارة في قوله في مدح شاور وذكر الأفرنج فقال

وأنت قلت من مصر عدواً بمثلها * فقله من ظفر قلت وناب

صدمت جوع الكفر والشام صدمة * أثبت بها القوم سوق ضراب

وقد جردت أجناده مصر عزاً غما * مضار بها في الفخر غير زواي

تولوا عن الأفرنج فادح ثقلها * ودارت رحاهما منهم بمضاب

أقامت دروع الجند تسعين ليلة * ثياباً لهم مابلت بثياب

وهم بين مطروح هناك وطارح * وبين مصيب خصمه ومصاب

وقال القاضي بن شداد سار أسد الدين إلى مصر واستجيب معه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب وجعله مقدّم عسكره وصاحب رايه وكان لا يفصل أمراً ولا يقر رجلاً إلا بشورته ورأيه لما لا يحل له منه من آثار الأقبال والسعادة والفكر الصالحة واقتان النصر بجر كانه وسكانه فسار واحتق وصلوا مصر وشاور معهم وكان لوصولهم إلى مصر وقع عظيم وخافه أهل مصر ونصر شاور على خصمه وأعاد إلى منصبه ومرتبة وقر قواعده وشاهد البلاد وعرف أحوالها وعلم أنها بلاد دغير رجال تمشي الأمور فيهم الإيهاً والمحال وكان ابتداء رحيله عنها متوجهاً إلى الشام في السابع من ذي الحجة فأقام بالشام مديراً لأمره مكرراً في كيفية رجوعه إلى البلاد المصرية بمحض تأييد ذلك نفسه مقرراً القواعد ذلك مع نور الدين إلى سنة اثنتين وستين قلت ولعل شاور ما فعل مع أسد الدين وصفه الشعر أبا الغدر ووقعوا فيه قبل قتله وبعده على ما سجدت كروني مخوفاً من أسد الدين فقال عرقلة النكبي من جملة قصيدة له

وهل هم يوماً شارب كوه بجلي * إلى الضميد الأرانج في مصر شاور

هو الملك المنصور والأسد الذي * شذاذ كره في الشرق والغرب سائر

وفيهما في ذي الحجة احتزقت جيرون بعد رجوع أسد الدين إلى دمشق فقال العرقلة بدمه ويد كركاك

جار نصر فالردى على جبرون * وسقى أهلها كؤس المنون

في اخبار (١٣٣) الدولتين

أصبحت جنبه وامست نجما * تنلظي بكل قلب حزين
كيف لا تذف الدموع عليها * وهي في الشأم نزهة للعيون
حبذا حصنها الحصين لقدكا * نجالا لكل حصن حصين
أي سيف سطا على دار سيف * وزبون أتى بحرب زبون
خلت نيرانها وكل ظلام * ناراً على سواح المحبون
كم غنى اليمن أمى قتييرا * وفقير أمى غنى اليمن
كل حسين لها حريق جديد * ليت شعري ماذا لها بعد حين
كل هذا البلاء عاقبة النفسى * وشرب الخمر والتكسب
ولقد درتها بمنز ورم * أسداً الذين غاية المسكن
وحى الجامع المقدس والمشهد من حجرها بما معين
ملك فعمله بدجلة والبسا * بفعال الامام في صفين

(فصل) في فتح حارم قال المماليك الكاتب في تلك السنة يعني سنة تسع وخمسين اغتصم نور الدين خاؤا الشام من الفرنج وقصدهم واجتمعوا على حارم فحاربهم معهم المصاف فرزقه الله تعالى الانتقام منهم فأمرهم وقتلهم ووقع في الاسار برنس انطاكية وقوم من طرابلس وابن جوسلين ودولك الروم وذلك في رمضان وقال في الخبر بده كانت نوبة البقية نوبة عظيمة على المسلمين واقلت نور الدين في أقل من عشرة من عسكره كسر الفرنج بعد ثلاثة أشهر على حارم وقتل في معركة واحدة منهم عشرين ألفا وأسر من نجحوا وأخذ القومص والارنس والدوقس وجميع ماؤهم وكان نجحاً عظيماً وفتحاً مديناً قال ابن الاثير والسبب في هذا الفتح ان نور الدين لما عدهم من ماضي ماسبق من غزو قناحية حصن الأكراد أقبل على الجدة والاجتهاد والاستعداد للجهاد والاختذار وغزو العدو في عقارده ومرتق ذلك الفتق وكجوابه الوهن ويعيد روثي الملك فراسل أخاه قطب الدين بأوصال وقرر الدين قرا ارسلان بالحصن ونجح الدين التي بماردين وغيرهم من أصحاب الاطراف أما قطب الدين أناب فإنه جمع عساكره وسار مجدا وعلى مقدمة عسكره من الدين نائبه وأما خرا الدين قرا ارسلان فإنه بلغني عنه انه قال له خواصه على أي شئ عزمت فقال على القعود فان نور الدين قد تشغف من كثرة الصوم والصلاة فهو يليق نفسه والناس معه في المهالك وكأهم واقفه على ذلك فلما كان العدا أمر بالنداء في العسكر بالتيه للفرقة فقال له أولئك ما عدا ما يدافار قتال بالامس على حال ونرى الا نضد لها فقال ان نور الدين قد سلك على طريقان لم أتبعه خرج أهل بلادى عن طاعتي واخرجوا البلاد عن يدي فإنه كانت زهادها وعبادها والمنقطعون عن الدنيا يذكركم منهم المالى المسابون من الفرنج وما نالهم من القتل والاسر والتهب ويستمد منهم الدعاء ويطلب منهم ان يحشوا المسلمين على الفرقة قد عد كل واحد من أولئك ومعه اتباعه وأصحابه وهم يفرقون كتب نور الدين ويكرهون ويدعون على فلا بد من اجابة دعويته ثم تجهز أيضا وسار الى نور الدين بنفسه وأما نجح الدين التي فإنه سير عسكره انما اجتمعت العساكر سار نحو حارم فنزل عليها وحصرها وبلغ الخبر الى من بقي من الفرنج بالساحل انه لم يسر الى مصر فشدوا ووجاؤا ومقدم الفرنج البرنس صاحب انطاكية والتمس صاحب طرابلس وأما هما وابن جوسلين وهومن مشاهير الفرنج وباطشاه والدولك وهو رئيس الروم ومقدمها وجميعا وعامهم من الراجل ما لا يقع عليه الاحضاء قد ملا والارض وكجوابه بقتلهم العلماء ففرض نور الدين أصحابه وقرق نفائس الاموال على شعبان الرجال فأتا قناحية الفرنج فرحل عن حارم الى ارتاح وهو الى القشائم من رتاح وانما رحل طمع ان يبعوه ويتكمن منهم اذا القوه فساروا حتى نزوا على عم وهو على الحقيقة تعجيف بالقوه من ثم ثم تيقنوا انه لا طاقة لهم به قتاله ولا قدرة لهم على نزاله فعادوا الى حارم وقد حرم كل خبير وتبعهم نور الدين لما تشاربوا اصطفا والقتال وبدأت الفرنج بالجله على ميمية المسلمين وبها عسكر حلب فخر الدين فبذلوا انقاذهم وزلوا أقدامهم وولوا الادبار وتبعهم الفرنج وكانت تلك الفرقة من الجماعة عن اتفاق ورأى دبره ومكرها بعد مكره وهوانا بعد هوان راجلهم فيميل عليهم من بقي من المسلمين ويضاهيهم السيوف ويرغواهم

كتاب (١٣٤) الروميتين

لا أوقف فإذا عذر سائهم من أمر المنز من بلقواراجلا لجئون اليه ويعود المنز من في آثارهم وتأخذهم سيوف
 لله من بين أيديهم ومن خلفهم فكان الأمر على مابر وأقان الفرج ما تبعوا المنز من عطف زبن الدين في عسكر
 الموصول على راجلهم فاقتلواهم قتلوا أسرا وعادت خيالاتهم ولم يبقوا في الطالب خوف على راجلهم من العطب فصاروا
 راجلهم على الصعداء معقر بن وبنما تم مضرجين فسقط في أيديهم وراؤا أنهم قد ضلوا وخضعت رقابهم وذلوا فلما
 رجعوا عطف المنز من اعنتهم وعادوا فبقى العدو في الوسط وقد احصد فيهم المسلمون من كل جانب فخذل حتى
 الوطيس وباشر الحرب المروس والرئيس وقاتلوا الفرج قتل من يرجو بإقدامه النجاة وجاروا حرب من ابن من
 الحياة وانقضت العسائر الإسلامية عليهم انقضاض الصقور على بغاث الطيور خرقوهم بددا وجعلوهم قددا فألقى
 الفرج بأيديهم إلى الأساور عجزوا عن الهزيمة والفراروا كثير المسلمون فيهم القتل وزادت عدة القتلى على عشرة آلاف
 وأما الأسرى فلم يحصوا كثرة ويكفيك دليلا على كثرتهم ان ماوهم أسرا وهم الذين من قبل ذكرنا وسار نور الدين
 بعد الكسرة إلى حارم فلما ساق إلى الحادى والعمرين من شهر رمضان واسار أصحابه عليه بالسيرة إلى انطاكية
 ليلك الحياخا من يجرها يدفع عنها فلم يفعل وقال أما المدينة فأمرها سهل وأما القلعة التي لها فمسي منيعة
 لا تؤخذ إلا بعد طول حصار وإذا عاقبتا عليهم ارسلوا إلى صاحب القسطنطينية وسماوها اليه ويجسورة يهند احب
 إلى من يجاوره ملك الروم وبشرا يلقى تلك الاعمال والولا يات فغن. واسوسوا وأوغا إلى البلاد حتى بلغوا الاندلسية
 والسويدا وغير ذلك وعادوا سائمين شأن نور الدين أطلق يهند صاحب انطاكية جمال خيل أخذ منه واسرى كثيرة
 من المسلمين أطلقهم وقال الحافظ أبو التماس كسر نور الدين الروم والامن والفرج فعلى حارم وكان عدتهم ثلاثين
 ألفا قال ووقع يهند في أسره في نوبته حارم وباعه نفسه بمال عظيم انفقته في الجهاد قتلت وبلغني ان نور الدين رحمه الله
 لما التقى الجحان أوقبله اشرد تحت تل حارم وسجد به عز وجل ومن وجهه وتضرع وقال يارب هؤلاء عبيدك
 وهم أولياؤك هؤلاء عبيدك وهم أعداؤك فأنصر أولياءك على أعدائك اشرح فضول محمود في الوسط ششرا إلى ان
 يارب ان نصرت المسلمين قد ينسك نصرت فلا تتعمهم النصر بسبب محمود ان كان غير مستحق للنصر وبلغني انه قال
 اللهم انصر دينك ولا تنصر محمودا من هو محمود الكاتب حتى ينصر وجرى بسبب ذلك منام حسن نذكر في أخبار
 سنة خمس وستين عند حيل الفرج فجع عن دمياط بعد نزولهم عليها وهذا فتح عظيم ونصر عز برأى الله به على نور الدين
 والمسلمين مع ان جيشه عامئذ كان منه طائفة كبيرة بمصر مع شيركوه كاسبق وهذا من عجيب ما وقع واتفق

(فصل ١٠) في ذكر وزير الموصل جمال الدين الجواد المدح وفاته في هذه السنة رحمه الله وقد ذكره الجهاد
 الكاتب في مواضع من مصنفاته واثني عليه ثناء عظيما حسنا فمما ذكر له في كتابه الموسوم بنصرة الفترة وعصرة الفطرة
 في أخبار الوزراء السلجوقيين ان قال ذكر جمال الدين أبي جعفر محمد بن علي بن أبي منصور كان والده من اصحاب يدعي
 الكامل على وهو صاحب الوزير شمس الملك بن نظام الملك وكان أبوه أبو منصور فهاذا في عهد السلطان ملكشاه
 ابن البارسلان وابنه الكامل أديب لب وزادت أيامه في السمو واما منه في الحق حتى تنافس في استخداة الملوك
 وألواوزراء واستضافت برائه في الحوادث الاراء وقد سكن زوج بنته لبعض أولاد أخوال العزيز برعنى عم الجهاد
 الكاتب قال لذلك العزيز رحمه الله على ولده جمال الدين أبي جعفر محمد وخرجه في الأدب ووزجه في الرتب
 فأول ما رتبته في ديوان العرض السلطان المجردى وغلب في تحليته ذكر الابليغ فتمته الازك بالابليغ واستقام في
 نجابته على التهج واتفق انما نولى زنى بن اقسنقر الشام تزوج بأمرأة الأمير كيد عدى ولدها ناص بك
 ابن كيد عدى من امراء الدولة وابناء الملكة وهو يسير معها فرتبه العزيز لخلاص بك وزرافصار في العجبة وكان
 مقبل الوجاهة مقبول الفكاهة شبيب المشاشة ببنى النشاشة فتوفرت من زنى على منادته وقصر صباحه ومساءه
 على مساهلته وعول عليه آخر عمره في اشراق ديوانه وزاد المال وزان الحال بكماله ومكانه فلم يظهر لجمال الدين
 في زمان زنى جود ولا عرف له موجود فانه كان يقتنع باقواته وتزجية أوقاته ورفع جميع ما يحصل له إلى خزنة
 زنى استبقاه لجلاله واستعلا به على أشباهه فكلمه زنى من أصحاب ديوانه فممن من استغنى بسااته وممن من
 انتفع بحسنة وما قبل زنى صار للدولة لاناكية ملاذا ولبيت الاقسنقرى معاذا واستوزره الأمير غازي بن

زنكي وأزره على كوجك على وزارته وحلف له على مظهرته ومظافرتة وجرى بين جمال الدين الوزير وبين زين الدين على كوجك وبين سيف الدين غازي التعاقد على التعاضد والتعاهد على التعاضد وتولى جمال الدين وزارة الموصل واستولاه فعاشر بشدها الجود وعشا إلى نادية الوفود وعادت به الموصل قبله الأقبال وكعبسة الأسمال فأثارت مطالع سعدوه وسارت في الأفاق صنائع جوده وعمر الحرمين الشريفين وشمل بالبراهلها وجمع بالامن شملها وأجرى بحر السباح ونادى على الفلاح فصاحت بأفضاله الفاظ الفصاح وأثروا إليه من كل فج عميق وقصد من كل بلد تحقيق فقصده العطاء ومدحه الشعراء ومن وفد إليه أبو الفوارس سعد بن محمد الصفي المعروف بحمص يصفى قال وأشدنى لنفسه فيه قصيدة أولها

بالصورم والأرمح الذبيل * نصر اومن أنجده تمام يخذل
لوشة ومشيدة * جاد الزمان وبالعلي لم يخذل
فاقنى فخارك يا محاسن واعلى * انى لكم من همتى فى جفد
انافارس اليومين يوم * وثغى أصول بصارى وعقرونى
ظلمت فضائى القاتل مثلما * ظلمت جمال الدين ماوى العيىل
مدحوه كى يحسوا ما ثاب نفسه * فطمت قسالت المدايح من عل
فاتت ابدل ما استطعت ومن يرد * نقل الخضم الى الميزاة يخجل
شمس من الاحسان عم ضاؤها * بل اية جاءت بحجة مرسل
يعطى الجزيل لسانى معروفه * ويجود بالهمنى اذ لم يسأل
وتريده شوس الخطوب طلاقة * فيكون ايسم مارى فى المعضل
تقلت به الاعناق من من الندى * فالهام مطرقة لذلك المتضل
فاذا تلاقى الناس كان حديثهم * عن كل جفن بالخيلة مسدل
أسراء معروف الوزير فكلمهم * عاف تراه مطلقا ككميل
من سمى قنبدا الى تمامه شاهد * فضل الجلال على الحيا المتل
السحب تظلم رمانظ وجوده * يسرى ودار مقامه بالموصل
وة قرعين محمد بمحمد * حتى دريمى علمه والمزل
مهارم قد حفظ دينه * وعين أمته بجود مسيل
جعل المدينة مصر ربها أهلا * نشوان همج بالنعيم المحصل
فكأنها بالخصب من قربانه * بدع على شط الفرات السلسل
فلوانه فى عصره نزلت له * فى مدحه سور الكتاب المنزل
عبد اخ فى ضيقه ووداده * لا يستحيل وسعيد فى المحفل
خرق نياط قيصره ورداه * بعاب زخار وعضبة يذيل

قال العماد وكتب أنابى ذلك العهد مئة تسعة بعد اذ اتفق حضوري بالموصل سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة فحضرت عند جمال الدين بالجماع فى جمعة وتكلمت عنده مع النخبة فى مسائلتين وهما مدحه به قصيدة أولها

أظنهم وقد عزموا ارتحالا * تنوعنا جمالا لاجالا
سروا والصبح مبيض الحواشى * فلما حل عهد الموصل حالا
هم اعتادوا الملال فكيف ماوا * وصالحهم وما سلبوا الملالا
احادى عيسهم بالثرفقا * فان السيرا ورغبا الكلالا
وعج نخسوا الاراك بها فانى * اراده لا اجتماع السهل فالأ
سقى صوب الحياتاهات نجده * وحيا بالجمي تلك التسلالا

كتاب ١٣٦ الروضتين

اخلاقى وهلى فى الناس خيل * به اخبروا من الاخران بالا
لئن لم أشف صدرى من حسودى * ولم أذق العدى داء عضالا
فلا دركت من أدبى مرادا * ولا صادفت من حسبى مثالا
ولا أخذت اليكم فى جمال * ولا أليت مروانا الجبالا
هو المعنى اذا ما المرء أقوى * هو المعنى اذا ما الخطب هبالا
وقائلا فى الدنيا كريم * سواء فقلت لا وأبى العللا
اطلت على الورى كراما وفرا * كذلك من حوى هذين طالا
وحزن الجسد عن كسب وارث * فباصدرا لورى خزن الكمالا
خصصت بكل مذنبه وفصل * تعالى من حبائك به تعالى
قلت وقد أكثر الشعر فى مدحه منهم العرقلة له قصيدة منها

يهوى بحسبه والصدود كما * يهوى المعالى محمد بن على
جمال دين الاله خبر فقى * للرزق أقلامه ولا جمل
معطى القرى والقرى لقاصده * من غير من الخيل والخيول
مثل فتوح الفاروق ناله * شرفا وغرنا فى السهل والجبل
من قال لم يحزننا ويسكن ذا * أصبح مما يقول فى خجل
محمد خاتم الكرام كما * سمية كان خاتم الرسل

وفيه يقول أحد بنى منير من قصيدة

كسى الحرم من البسة عبد شمس * وهاشم غرتى نسل الخليل
وليلد الامن اجسد امنا * تنكشف مثله جدت الرسول
عشيت ياولاة الامر عا * انج له من الاثر الجليل
وطارها وأشفقتم فشد السديدن على عرى المجد الاثيل
بيوت بالخازنة سدسات * رماها الدهر بالخطب الجليل
وكان اذا الهبت فصاب صرنا * ان آوته مسن ولد البتول
ماثر باقيات يوم يجيئنى السهم قال ويحتمى طيب المقبل
وكم للواصل الحمد باهما * تبدل داء من ريف ونيل
برود الصفع ملتبج الحواسى * مهيب البطش فراس الدخول

ولا بنى المجد قسم الجوى فيه من قصيدة

اغر بصر منه الناس فى رجل * واليت فى بشر البدر فى غصن
سما بهمة فى المكومات الى * عليا بقصر عن هامة الزين
ولفك واضمحليل الفك رايجته * نسل الكف طاهر ذيل العز والعلن
ماضى العزعة يسمون النقية ريسمال الكينية عين القائل اللسن
اذا نكلم واستخليت غرته * فى محفل رحت حالى العين والاذن
كان فى الدست منه حين تنظره * شمس النامروز وب العارض الهتن

قال ابن الاثير وفيها فى شعبان من هذه السنة وهى سنة تسع وخمسين وخمسةائة توفى الوزير جمال الدين محمد
ابن على بن أبى منصور الاصفهاني كان قد خدم الشاهنشاه ولاه نصيبين وظهرت كفايته فأضاف اليه الرحبة فأبان
عن كفايته وعفة وكان من خواصه فجعله مشرفا على كنهها وحكها بحكمها لا من يد علمه حتى كان وزير الشاه
والحاكم فى بلاده ضياء الدين ابن الكثر توفى بحكى عن جمال الدين قال كان يدخل الى اتابك قنبل ويخرج بعدى

في اخبار (١٣٧) الدولتين

ولم يزل كذلك الى أن قتل الشهيد ثم وزر لولدي الشهيد سيف الدين ثم قطب الدين وكان بينهما وبين زين الدين على كوجهك عهد ودموا بئى على المصافاة والاتفاق وكان أصحاب زين الدين يكرهونه ويعتقون فيه عند زين الدين فيها هم وكانت الموصلى في أيامه ملجأ لكل ملهوف ومأوى لكل خائف فسمي به الحساد الى قطب الدين حتى وأغروا صدره عليه وقالوا له ياخذ أموالك في تصدق بها فلم يكن أن يعطيه شيئاً بسبب اتفاقه مع زين الدين فوضع على زين الدين من غيرهم عن مصافاته ومواخاته فقبض عليه قطب الدين وحبس به بقلعة الموصلى ثم ندم زين الدين على الموافقة على قبضه لان خواص قطب الدين وأصحابه كانوا يتحذرون جمال الدين فلما قبض تسطوا في الأمر والنهي على خلاف غرض زين الدين فبقى جمال الدين في الحبس نحواً من سنة ثم مرض مرضاً شديداً عليه عظيم القدر والخطر كريم الورد والصدر عديم النظير في سعة نفس لم يروى في كتب الأولين ان أحداً من الوزراء اتسعت نفسه ومروءته لما اتسعت له نفس جمال الدين فلقد كان عظيم الفتوة كامل المروءة قال ابن الأثير حتى إلى جماعة عن الشيخ أبي القاسم الصوفي وهو رجل من الصالحين كان يتولى خدمة جمال الدين في حبسه قال لم يزل الجمال مشغولاً بأمر آخر مدة حبسه وكان يقول كنت أخشى ان أنقل من الحبس الى القبر قال فلما مرض قال لبعض الأيام يا أبا القاسم اذا جاء طائر أبض الى الدار فرفقني فقلت في نفسي قد اختلط الرجل فلما كان الغداة كثرت السؤالات عن ذلك الطائر واذا الطائر أبض لم يزل يرفقني فقلت له قد جاء الطائر فاستبشر ثم قال جاء الحق وأقبل على الشهادة وقد رآه تعالى وتوفى فلما توفى طائر ذلك الطائر قال فقلت انى رأى شيئاً في معناه ودفن بالموصلى نحو سنة وكان قد قال للشيخ أبي القاسم ان بيني وبين أسد الدين شبر كرهه دامن مات من قبل صاحبه جده الحى الى المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فدفنه بها في التربة التي عليها فان انامت فامض اليه وذكره فلما توفى سار الشيخ الى مكة الى أسد الدين في هذا المعنى فأعطاه ما لا يصلح ليعمله به الى مكة والمدينة وأمر ان يجمع معه جماعة من الصوفية ومن يترأى بين يديه تابوته عند التزول والرحيل وقدم مدينة تكون في الطريق وينادون في البلاد بالصلاة على فلان ففعلوا ذلك فكان يصلى عليه في كل مدينة خلق كثير فلما كان في الحيلة اجتمع الناس بالصلاة عليه فاذا شاب قد ارتفع على موضع عال ونادى بأعلى صوته

سرى نعيه فوق القاب وطالما * سرى به فوق الركاب وناعله

بمضى على الوادى فتثنى رماله * عليه وفي النادى فتبكى ارامه

فلما رايكاً كثرت ذلك اليوم ثم وصلوا به الى مكة ففنا فوابه حول الكعبة وصاروا عليه بالحرم وساروا الى المدينة فصاروا عليه أيضاً ودفنوه بالباط الذي أنشأه بها وبينه وبين قبر النبي صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ذراعاً قلت كذا قال ابن الأثير ولقد رأيت المكان ولعله أراد الحائط الشرقي من مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لان نفس القبر الشريف زاده الله شرفاً وصلى على ساكنه ثم قال كان جمال الدين رجه الله سبحانه الناس وأكرههم عطاء وبذل المال رحماً بالناس متعطفين عليهم عادلاً فيهم فمن أعماله الحسنة انه جدد بناء مسجد الحبيب بنى وغرم عليه أموالاً عظيمة وبنى الخرب بجانب الكعبة ورأيت اسمه عليه ثم غيره وبنى غيره سنة ست وسبعين وخمسمائة ونحرف الكعبة بالذهب والنقرة فكل ما فيها من ذلك فهو فعله الى سنة تسع وستمائة ولما أراد ذلك أرسل الى الامام المقتدى لامر الله مدينة جيلة حتى أذن فيه وأرسل الى أمير مكة عيسى بن هاشم خلعاً سنانية وهدية كثيرة حتى مكثه منه وعمر أيضاً المسجد الذي على جبل عرفات وعلى الدرج الذي يصعد فيها اليه وكان الناس يلقبون شدة في صدورهم وعلى يعرفات مصانع النساء وأجرى الماء اليه من نبعان في طريقه فحلت الجبل مبنية بالكس ففرغ من ذلك ما لا كثيرا وكان يعطى أهل نبعان كل سنة ما لا كثيرا ليعتبروا الى المصانع أيام مقام الحجاج يعرفات فكان الناس يمدون به راحة عظيمة قال ومن أعظم الأعمال التي عملها نفعاً انه بنى سوراً على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فيها كانت في سور رينها الاعراب وكان أهلها في ضحك وضرهمهم رأيت بالمدينة انساناً يصلى الجمعة فلما فرغ من ركعتي على جمال الدين ودعاه فبدأنا عن سبب ذلك فقال يجب على كل من بالمدينة ان يدعو له لاننا كنا في ضيق ونكد عيش مع العرب لا يترون لاحد منا ما يواريه ويشبع جوعته فبنى علينا سوراً احتجنا به من يريدنا وسفستنا

كتاب (١٣٨) الروضتين

فكيف لاندعوله قال وكان الخطيب بالمدينة يقول في خطبته اللهم صن حريم من صن حرم نبيك بالشور محمد بن علي
ابن أبي منصور قال فلو لم يكن له الا هذه المكرة لكفاه غمرا فكيف وقد كانت صدقاته تجوب شرق الارض وغيرها
وسعت عن متولي ديوان صدقاته التي يخرجها على باب داره لفقرا سوى الاذارات والتعهدات قال كان له كل يوم
مائة دينار أمير به يتصدق بها على باب داره قال ومن أينته المحبة التي لم ير الناس مثلها الجسر الذي بناه على دجلة
عند جزيرة ابن عمر بالجسر المحدث والحديد والرصاص والكسب الا انه لم يغرق لانه قبض قبل فراغه وبني أيضا جسرا
على نهر الاربار بعد جسر الجزيرة أيضا وبني الرابطة بالموصل وسنجار ونصيبين وغيرها وقصده الناس من أقطار الارض
ويكفي ان صدر الدين الخندي رئيس اصحاب الشافعي رضى الله عنه باسبها وابن الكافي قاضي قضاة همدان قصده
فاخرج عليه جالما اخر يلاو كذلك غيرهما من الصدور والعلماء ومشايخ الصوفية وصارت الموصل في أيامه مقصدا ومجنا
وكان أحب الاشياء اليه اخراج المال في الصدقات وكان يضيق على نفسه ويتهل بصدق حتى في والدي قال كنت يوما
عنده وقد حضرني يديه قندز ليعمل على وري لم يسهل خمسة دنانير فقال هذا الشيء كثير اشترى الى قندز ابدنيان من تصدقوا
بمائة دنانير قال فرأى جمعنا غير مرة فلم يفعل قال وحكي لي من اتقى اليه من العبدون بالموصل ان الاقوات تعذرت في
بعض السنين بها وغلت الاسعار وكان بالموصل رجل من الصالحين يقال له الشيخ عمر الملا حضره رجال الذين وسع اليه
مالا فقال له تقرب من هذا على مسخيه وكما فرغ ارسلك الى لانه غير فلم يرض الا ايام يسيرة حتى فرغ ذلك لكثرة
الاحتاجين فاخذ له شيئا آخر فقي ثم أرسل يطلب ما يخرج فقال رجال الدين للرسول والله ما عندني شيء ولكن خذوا
هذه الخماير التي في داري بيعوها وتصدقوا بها اني انا تأتيني شيء آخر فترسله الى الشيخ عمر فبعته الخماير وتصدقوا
بها وعرفوه ذلك فركن عنده ما رسله فأعطاه ثمانية التي كان يلزمها مع العلم التي كانت على رأسه وأرسل الجميع
قال الرسول فل للشيخ لانتع من الطلب فهذه ايام مواساة فلما وصلت الثياب الى الشيخ عمر بكى وباعها وصدق بها
وقال وحكي لي بعض الصوفية من كان يصحب الشيخ عمر النسيب شيخ الشيوخ بالموصل قال احضرنى الشيخ فقال لي
انطلق الى مسجد الوزير وهو بظاهر الموصل واقعد هناك فاذا تألثت شيئا فاحفظه الى ان احضر عندك ففعلت واذ انا قد
أقبل جمع من الحاميين يهاجرون أحلاما من النصارى والحمام واذ اقد جاء نائب الدين مع الشيخ ومعهم فاش كثير فغاية
عشر ألف دينار وعدة كثيرة من الجمال فقال لي تأخذ هذه الاحمال وتسر الى الرجة فتوصل هذه الزمة وهذا الكتاب
الى متولي افلان فاذا احضر لك فلانا العري فتوصل اليه هذه الزمة والكتاب وهذا الكتاب وتسير معه فاذا أوصلك
الى فلان العربي فتوصل اليه هذه الزمة وهذا الكتاب وهكذا الى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام
توصل الى وكيل فلان هذه الاحمال وهذا الكسوات والمال الذي عليه اسم المدينة ليخرجها بمقتضى هذه الجريدة
ثم يأخذ الباقي الذي عليه اسم مكة ويسير اليها فيصدق به ويكفي بها بموجب الجريدة الاخرى قال فسرنا كذلك
الى وادي القرى فرأى بناه نحو مائة رجل يحمل الطعام الى المدينة وقد منعهم خوف الطريق فلما رأوا ناسا وامننا اليها
فوصلنا لها والحنطتهم احصل صاعين بنار مصرى والصاع خمسة عشر طلنا البغدادي فلما رأوا الطعام والمال
اشترى واكل سبعة أصعب دنانير فانقلب المدينة بالذعاء له ثم سرنا الى مكة ففعلنا ما أمرنا قال وحكي لي والدي قال
رأيت جمال الدين وقد حضر عنده رجل فقيه قبل ان يصير وزير اطلب منه شيئا وترددنا عليه عدة ايام ثم انقطع
فأسأل عنه فقيل انه سافر فشق ذلك عليه ثم قال هكذا تصرف الاحرار عن دور الكلاب ورد ذلك غير مرة ثم سأل
عنه فقيل انه سار نحو ماردن فأرسل اليه خلعة ونفقة الى ماردن قال ولورمت شرح مفردات أعماله اطلت
واضهرت وهي ظاهرة لاحتياج الى بيان فلها انكرنا كثيرا وقد ذكره الامير بد الدين واسامه من منقصدى كتاب
الاعتبار فقال اجتمع بجمال الدين الموصل سنة خمس وخمسين وتسعمائة وانا متوجه الى الحج وكانت بيني وبينه
مودة قديمة وعشرة ومائة فمرض غلى الدخول الى داره في الموصل فامتعت وزلت بجمعي على الشط فكان مدة
مقامي كل يوم ركب يجوز على الجسر نحو ثمانين يوما ثم قدرك الى الميدان وينفذ الى يقول اركب فانا واقف أنتظر
فاركب فأسير أنا وهو فتمخدت فوجدت يوما منه خاومة من أحماسي فقلت له في نفسي شيء يتردد من حيث أجهنما
اشبهني ان أقوله لكم ما بيني في خاومة قد خاونا الساعة قال قل فقلت أقول ما قاله الشريف الرضي

في أخبار (١٣٩) الدولتين

ما نصحتك خفايا الوء من أحد * ما لم يصبك بمكره من العذل
موقدك تأتي ان تسامحنى * بان أراك على شئ من الزلل
وقد سطت يدك في انفاق المال في الصدقات ووجوه البر والمعروف والسلطين ما يعمون اخراج المال ولا نصبر
تفوسم عليه ولوان الانسان يخرجه من ميراثه وهذا الذى أهلك البرامكة فانظرنفسك كيف انخرجهما قد
دخلت فيه فاطرق ساعة وقال جزاك الله خيرا لكن الامر قد عبر عما اتخاذه فصار قسه وسرت الى الخناز وعدت
من مكة على طريق الشام وتكب جمال الدين ومات في الحبس قلت ولعلم الدين الحسن بن سعيد الشافعى في هذا
الوزير الجواد الماتك

ما حظ قدرك من أوج العلى القدر * كلا ولا غبرت أفعالك الغير
أنت الذى عم أهل الارض نائله * ولم يسل شأوه في سود بشر
سارت صفاتك في الافاق وانضحت * وصدق السمع عن ما رأى البصر
فاصبر لصرف زمان قد منيت به * فاصبر يا طود النهى الظفر
فما ترى أحدا في الخلق يسلم من * صرف دهره في أهله غير
سعوا بقصدك سرا واستيت لهم * ولوسعوا نحو جهر الماقدروا
لولا الامانى التى تحبى النفوس بها * لمت من لوعة في القلب تستمر
وأصدق الناس في حفظ العهود اذا * ميزت بالهوى أحوال الورى غير
ازاهد العابد السبى التقي ومن * يزوره ويقوى أثره الحضر

وقال العرفه برئى جمال الدين الوزير والبصاح بن رزيق

لا خير في الدنيا ولا أهلها * بعد جمال الدين والصالح
بحسران لولا دمع باكيهما * ما كان ماء البحر بالمالح

قال ابن الاثير قال والذى كنت أرى من الوزير جمال الدين في الايام الشهيديه من الكفاية والنظر في صغير الامور
كبيرها والمحاسبة فيها ما يدل على تمكنه من الكفاية فلما وصل الامر الى الملك قطب الدين مودود بن اتابك الشهيد
وجمال الدين وزيره حينئذ وقد تمكن زين الدين على بن بكركين في الدولة تدينا عظيما وتقدم عند قطب الدين جماعة
من اصحابه فكان جمال الدين معتمد كونه وعلو محله بهل بعض الامور قال فقلت له يوما ان تلك الكفاية التى
كانزها منك في الايام الشهيديه ما أرى الآن منها شيئا فقال لى والان ما عندي كفاية فقلت ما هذا العجل من
ذلك بشئ فقال أنت صبي غير ليست الكفاية عبارة عن فعل واحد في كل زمان انما الكفاية ان يسلك
الانسان في كل زمان ما يناسبه ذلك الوقت كان لنا صاحب متمكن قوى العزم لا يتجاسر أحد على الاعتراض عليه
ولا يتنازع باقوال اصحابه فحفظناه فكان ما فعله هو الكفاية وأما الآن فلنا سلطان غير متمكن وهو يحكمهم عليه
فهذا الذى أفعله هو الكفاية

ثم دخلت سنة ستين وخمسائة * قال ابن الاثير فيها فتح نور الدين قلعة ناباس من الفرنج وكان قد سار اليها بعد
عوده من فتح حارم وأذن لعسكر الموصل ود يار بكر بالعود الى بلادهم وأظله رانه يريد طبرية فجعل من بقي من الفرنج
هم حفظها وتوهمتها فاسار نور الدين مجد الى ناباس لعلمه بقلعة من فيها من الجناد المائعين عنها وانزلها وضيق
عليها وقالها وكان في جملة عسكره أخوه نصر الدين أمير امرا فاصابهم اذهب احدى عينيه فلما رآه نور الدين
قال له لو كشف لك عن الامر الذى أعدت لك لتثبت ان تذهب الاخرى وحده في حصارها وسمع الفرنج بذلك فجمعوا فلم
تسكامل عدتهم حتى فتحه الله تعالى على ان الفرنج كانوا قد ضعفوا بقتل رجالهم بجارم وأسرهم فلك القلعة وملاها
ذخائر وعدة ورجلا عسدة وعاد نور الدين الى دمشق وفي يد محتام بعض ياقوت من احسن الجواهر فسقط من يده في
شعراء ناباس وهي كثيرة الاشجار ملتفة الاغصان فلما أبعد من المكان الذى ضاع فيه النص علم به فاعاد بعض

كتاب (١٤٠) الروضة

أصعابه في طلبه ودهم على مكانه وقال أظنه هناك ضاع فعادوا إليه فوجدوه فقال بعض الشعراء الشاميين وأظنه
أجد بن منير من جملة قصيدة مدحه بها ما يليه بهذه الغزاة وعود الفص الباقوت

ان عتر الشكاك فبك فأنك السهدي مطفي جرة الدجال
فلعودة الجبل الذي أظلمته بالامس بين غناطل وجبال
مستر جعلك بالعبادة آية * ردت مطال الفال غير مطال
لم يعطها الاسلام وقد * نلت الرقاء هموشك الانجبال
زجر جئ اسر ملكك انه * كسر بره عن كل جدر عال
فلوالبحار السبعة استرويه * وأهرتمن قد غنه في الحال

قلت هذه الايات لابن منير بلا شك ولكن في غير هذه الغزاة فان ابن منير قد سبق انه توفي سنة ثمان وأربعين وفتح
بانياس كما تراه في سنة ستين وقد قرأت في ديوان ابن منير وقال مدحه يعني نور الدين ونيه بالعود من غزاة وضياح
فص يا قوت جبيل من ديه لا شغاله بالصيد شراه ألف ومائة دينار وفي نسخة ووجدان خاتم ضاع منه في الصيد قيمته
ألف ومائة دينار وأنشد ما يها بقائه حصن فذكر القصيدة أولها (يوماك يوم ندى ويوم نزال) يقول فيها

أخرست شقة الضلال وقدته * قودا الذلول أطاع بعد صيال
ورميت دارا لمركبين بصيلم * ألخت فيها الحرب بعد حيال
وسعرت بين تربهم وتراجم * ذعرا يشب نواصي الاطفال
فوق الخطم وقد خطمت زعيمهم * ضرابا سوا بقه بعبر توالي
ضربا ملأت فريجة من حره * رهبا به سيف الضعفاء صالي
ويشج حارم أحرمت لقراهم * هم أحلن النوم غير حلال
عجموا على جسر الحديد حديدا * نعا يعاذمه أدر دصال
زلزلت أرضهم بوقع صواعق * أعطينا أمانا من الزوال
في مازق شمرت ذيلك تحتسه * والنصر فوقك مسبل الاذيال
في دولة غراء مجسدية * سمحت ردا المجد غير مذل
تنسى الفتوح بما الفتوح وتحتني * زهر المقال يساهر الافعال
لبست نور الدين نور حداثتي * ثرا من غسائب الافضل
ملك تجيب في المرمر بزارة * زرت حواشيه على وبيال
تجلب عن ذي ليدتين شداته * في بردني بدل من الابدال
رفع الرواق بروق انطاكية * فرمى الخليج بمرهق البلبال
بدر لاربعة عشرة اقتبس السنا * من خمس عشرة سورة الانفال
فوزا لآل أخاضهم ماء الطلي * وسواه يقعه احتيازا المال
متقسم بين القسيمين العلي * عن عدم عم أو محيا لخال
لازلت تطالع من ثنايا فضل * بقه قولا لك كالولى المنهال
لك ان تطل على الكواكب راقبا * ولحاسدك بكاعلى الاطلال

وهما يناسب هذه السعادة في وجدان الخاتم بعد وقوعه في مظنة الهلاك والضباع ما بلغني ان موسى الهادي لما دلى
الخلافة سأل عن خاتم عظيم القيمة كان لايه المهدي قبله ان أخاه الرشيد أخذ فظلمه منه فاستمتع فاح عليه فيه
مخفق الرشيد ومرو على جسر بغداد فرماه في دجلة فلما مات الهادي وولى الرشيد الخلافة أتى ذلك المكان بعينه ومعه
خاتم من رصاص فرماه ثم أمر الغطاسين ان يلجسوه ففعلوا فاستخرجوا الخاتم الأول فعند ذلك من سعادة الرشيد وبقاء
ملكه قال ابن المثير وما فتح نور الدين حصن بانياس كان ولدمعين الدين ان الرشيد سلم بانياس الى الافرنج فأنما على

في اخبار (١٤١) الدولتين

رأسه فالتفت اليه وقال له الناس بهذا الفتح فرحة واحدة ولك فرحتان فقال كيف ذلك قال لان الله تعالى اليوم برء جلدة والدك من جهنم وقد تقدم انه كان صانع بها عن دمشق لما نزل الفتح عليها وفيها توفي وزير بغداد عون الدين أبو المنظر يحيى بن محمد بن هبة الشيباني من بني ذهل بن شيان ابن ثعلبة بن الحصن وكان عالما دينيا مدبرا حنبلي المذهب وزير للقتبي ثم للسنجد بعدد وله عدة مصنفات منها الافصح في شرح الاحاديث الصحاح وكان يجتمع في مجلسه أفاضل الوقت من أعيان المذاهب الاربعة والنخبة وغيرهم ويجيزهم ويحضرهم فوائد كثيرة ثم توفي وهو ساجد في صلاة الصبح من يوم الاحد ثالث عشر جمادى الأولى سنة ستين وخمسمائة ورويت له منامات حسنة ومدحه جماعة من الفضلاء ومولده في ربيع الآخر سنة سبع وتسعين وأربعمائة بقرية من أعمال دجيل تعرف بالدور وهو الذي محاربه سلاطين العجم من العراق وأجلاههم عن خطتها بحسن تدبيره ومن كلامه لبعض من كان يأمر بالمعروف واجتهدان تستر العصاة فان ظهر معاصيهم عيب في الاسلام وأولى الامور ستر العيوب (ثم حدث سنة احدى وستين وخمسمائة) في فيها توفي فتح الدين أسد الدين شيركوه أخو ناصر الدين وقبره بالمقبرة النجفية الى جانب قبر ابن عمه شاهنشاه بن أيوب في قبة فيها أربع قبور منها الاسطغان منها وفي هذين الاخوين ناصر الدين وفتح الدين يقول العلامة حسان

لله شبل أسد خادر * ما فهم ماجين ولا شمع
ما أقبل الا قال الوري * فداء نصر الله والفتح

وفيها سار نور الدين أيضا الى حصن المنيطرة وهو للفرنج ولم يحشد له ولا جمع عساكر فانما سار اليه على غرة من الفرنج وعلم انه ان جمع العساكر حذر واوجعوا فانتزح الفرصة وسار الى المنيطرة وحصرها وجعل في قناطرها وأخذها عنوة وقهرها وقتل من بها وسبي وغنم غنيمة كثيرة لا من من به فأخذتهم خيل الله بغيته وهم لا يشعرون ولم يقدر الفرنج على ان يجتمعوا لدفعه الا وقد ملكه ولو علموا انه جرد جريد لاسرعوا وانما ظنوا ان نور الدين في جمع كثير فاما ملكه تفرقوا وايسوا ومنه هذا قول ابن الاثير وذكر القاضي ابن شداد ان ذلك كان في سنة اثنتين وستين كما سيأتي والله أعلم وفيها توفي المجلس بن الحبيب بن مصر قال العماد في الخبر بدة لقاضي المجلس أبو المعالي عبد العزيز بن الحسين بن الحبيب الاغلي السعدي التميمي جلس صاحب مصر فضله مشهور وشعره مأثور وكان أوجد مصر في مصره نظما ونثرا وترسلوا وشعرا ومات بها في سنة احدى وستين وقد أناف على السبعين أنشدني له الامير نجم الدين بن مصال من قصيدة يقول فيها

ومن يحب ان السيف لديهم * تبيض دماء والسيف ذكور
واجب من ذلتها في أكتفهم * تاجنا والا كصف بحور

قال وأنشدني له الشريف ادريس الادريسي قصيدة سيره الى الصالح بن رزيل قبل وزارته يحضره على ادراكه ثار الظافر وكان عباس وزيرهم قتله وقتل اخوته يوسف وجبريل يقول فيها

أصاذهم قولوا غيبا ومشمدا * تخوهم على عمد بفعل أعادي
فأين نور رزيل عنما ونصرهم * وما لهم من منعة وذباد
فلو عابنت عينك بالقصر يومهم * ومصرهم لم تكحل برقاد
فخر جمع المارقين فانما * بقايا زروع أذنت بحصاد

وله فيه من أخرى في هذه الحادثة

ولما زاي البربري بجهله * الى قسكة ماراها قط راثم
ركبت اليه متن عزمتك التي * بأمثالها تلق الخطوب العظام
أعدت اليهم ملكهم بعد ما لوى * به غاصب حلق الامامة ظالم

وأنشد اليه في المعنى يقول

أعدت الى جسم الزوارق روحها * وما كان يرجى بعشها ونشورها

كتاب (١٤٢) الروضتين

أقامت زمانا عند غير لطايا * فهذا الاوان قرونها وظهورها
من العدل ان يحظى بها مستحقها * ويخلصها من ذودة مستعبرها
اذ املك الحسنة من ليس كفؤها * وأشار عليه بالطلاق مشيرها
وله يشكوطيليا

واصل بلقي من قد غزاني * من السقم الخ بعسكرين
طبيب طبه كغراب بين * يفرق بين عافيتي وبين
أني الحى وقد شاخت وباحت * فرد لها الشيبان باستحقين
ودبرها بتسدير لطيف * حكاها عن سنان أو حنين
وكانت نوبة في كل يوم * فصرها بمحقق نوبتين

قلت الابيات الرائعة مثلها الخليس وهي اصدرة اتمها في ديوانه وهي من قصيدة يمدح بها وزير الخليفة ببغداد
لنظر الدولة بانصر محمد بن محمد بن جهر وبينه بعد هذه الى الوزارة وأؤها

وقفتا صفوفا في الديار كأنها * مصائف ملقاة وتحن سطورها
يقول خليلي والظباء سوانح * أهدى التي تدرى فقلت نظيرها
وقد قلنا لك ليس في الارض جنة * أما هذه فوق الركائب حورها
أراك الحى قل لي بأى وسيلة * وصلت الى أن صادفتك ثغورها
وما لي بها علم فهل أنت عالم * أفأوأها أوى بها أم نحورها
على رسلكم في الهجرانا عصابة * اذا ظفرت في الحب عصف ضميرها
فقل لي يا كى كيف شئت تقلى * ففى يد عبل الساعدين أمورها
أمانى في نفس الوزارة لمعت * به كنهها حتى استحققت نذورها
لوت وجهها عن كل طالب متعة * الى خاطب حل عليه سيقورها
اذ اميل الاقوام دون عرشه * تسأوى به ذوطيشها ووقورها
تمكاد لما قد أبت من سكينته * ترف على تلك ازوس طمورها

(ثم دخلت سنة اثنتين وستين وخمسائة) ففيها عاد أسد الدين الى مصر تاسع ربيع الآخر وقد كان بعد رجوعه
من مصر لا يزال يحدث نفسه بقصد مها ومعاودتها حتى يصاعلى الدخول اليها فيحدث به مع كل من رثق اليه وكان مما
يهمجه على العود زيادة حقه على شاور وماعل معه فلما كان هذه السنة فجهز وسار اليها وسير نور الدين معه
بجاعة من الامراء وابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب وفى ذلك يقول العرقلة

أقول والآن قد أزدعت * مصر الى حرب الاعارب
رب كما ملكتها يوسف الا * صدق من أولاد يعقوب
ملكها في عصرنا يوسف الا * صادق من أولاد أيوب
من لم يزل ضارب العدى * حقا وضارب العرايب

ثم ان أسد الدين جد في السير على البر وترك بلاد الافرنج عن يمينه فوصل الى الديار المصرية وقصد اطفيح وعبر
النيل عندها الى الجانب الغربى وزل بالجيرة مقابل مصر وتصرف في البلاد الغربية وأقام بها أربعة وخمسين يوما
وكان شاور لما بلغه بخبر أسد الدين قد راسل الفرنج يستغيث بهم ويستصرخهم فأتوه على الصعب والذلول فتسارع
يحثهم طمعهم في ملك مصر حتى الجند والتشهير وتارة يحدوهم خوفاً من أن يملكها العسكر النورى على الاسراع
في المسير فالجاء يقدوهم والخوف بسوقهم فلما وصلوا الى مصر عبروا الى الجانب الغربى وكان أسد الدين والعسكر
النورى قد ساروا الى الصعيد فبلغوا ما كان يعرف بالباين وسارت العساكر المصرية وانشر نغم من ورائهم فأدركوهم

به في الخامس والعشرين من جادى الاولى وكان قد أرسل اليهم جواسيس فعادوا وأخبروه بكثرة عددهم
وعددتهم وجدهم في طلبه فعزم على قتالهم ولقائهم وان تمكم السيف بينهم والان خاف من أصحابه ان تضعف
نفوسهم عن الثبات في هذا المواقف الخطير الذي عظمهم فيه أقرب من السلامة لقلة عددهم وبعدهم عن بلادهم
فاستشارهم فكلمهم أشار عليه بعبور النيل الى الجانب الشرقى والعودة الى الشام وقالوا له نحن انهم منا وهو الذى
لا شك فيه فالى أين نلتجى ومن نحتجى وكن من في هذه الديار من جندى وعامى وفلاح عدو لنا ويود لو شربوا
دماءنا وحق لعسكر عدتهم ألف فارس قد بعدوا عن ديارهم وقل ناصروهم أن ترابع من لقاء عشرات ألوف مع أن كل
أهل البلاد عدو لهم فلما قالوا ذلك قام انسان من المهالك النورية يقال له شرف الدين برغش وكان من الشعاع
بالمكان المشهور وقال من يخاف القتل والجراح والامر فلا يتخذ الملوكة بل يكون فلاحاً أو مع النساء في بيته والله
لئن عدتم الى الملك العادل من غير غلبة وبلاء تعذرون فيه لياخذن أقطاعاتكم وليعودن عليكم جميع ما أخذتموه
الى يومنا هذا ويقول لكم أنا خلدون أموال المسلمين وتفرزون عن عدوهم وتسبون مثل هذه الديار المصرية تصرف
فيها الكفار قال أسد الدين هذا رأي وبه أعمل ووافقه ما صلاح الدين يوسف بن أيوب ثم كراموا فقرر لهم على القتال
فاجتمعت الكلمة على اللقاء فأقام بجكته حتى أدركه المصريون والفرنج وهوى تعبته وقذعن الانقال في القلب
يسكتهم ولا يلم بكنهه أن يتركه بجكته أهل البلاد ثم انه جعل صلاح الدين ابن أخيه في القلب وقال له
ولمعه ان الفرنج والمصريين يظنون اننى في القلب فهم يجعلون جرحهم يازائه وجلتهم عليه فاذا جرحوا خلعكم فلا
تصدقهم القتال ولا تمكروا نفوسكم وان دفعوا بين أيديهم فاذا عادوا عنكم فاربعوا في أعقابهم واختار من شجعان
أصحابه جمعا في البرم ويعرف صبرهم وشجاعتهم ووقف بهم في الجبهة فلما تقابل الطائفتان فعل الفرنج ما ذكره
أسد الدين وجاؤا على القلب فلما منهم انه فيه فقتلهم من به قتل الأسير ثم انهم ما بينهم فقتلهم حتى نفذ جمل أسد
الدين فيهم معه على من تخلف عن الفرنج الذين جاؤوا على القلب من المسلمين فهزمهم ووضع السيف فيهم فاقم
وأكثر القتل والامر وانهم الباقون فلما عاد الفرنج من أثر المزمين الذين كانوا في القلب رأوا مكان المعركة من
أصحابهم لبقع الدليلين بها منهم ديار فانهزموا أيضا وكان هذا من أعجب ما يروى ان ألفي فارس تهمز عساكر مصر وفرنج
الساحل ثم سار أسد الدين الى نهر الاسكندرية وبنى ما في طريقهم من القرايا والسواد من الاموال ووصل الى
الاسكندرية فسلمها من غير قتال سلمها اليه أهلها فاستجاب بها صلاح الدين ابن أخيه وعاد الى الصعيد وتلكه وبنى
أمواله وأقام بها حتى صام رمضان وأما المصريون والفرنج فانهم عادوا الى القاهرة وجعلوا أصحابهم وأقاموا عرض
من قتل منهم واستكنوا وحشدوا وساروا الى الاسكندرية وبها صلاح الدين في عسكر مجتمعهم منهم وقد أنعم
أهلها خوفا من الفرنج فاشتمت الحصار وقل الطعام بالبلد فصر براعه على ذلك ثم ان أسد الدين سار من الصعيد
نحوهم وكان قد أفسد بعض من معه من التركمان ووصله رسول مصر بين الفرنج بطولون الصلح وبذلوا له خمسين
ألف دينار سوى ما أخذهم من البلاد فأجابهم الى ذلك وشرط ان الفرنج لا يقيمون بمصر ولا يتسلطون بمصر مرة واحدة
وان الاسكندرية تعد الى المصري فاجابوا الى ذلك واصطلحوا وعاد الى الشام فوصل دمشق ثامن عشر ذى القعدة
وتسلم المصريون الاسكندرية في النصف من شوال وأما الفرنج فانهم استقروا بينهم وبين المصريين أن يكون لهم
بالقاهرة شحنة ويكون أولها بيد فرسانهم ليجتمع الملك العادل من انقاذ عسكر الهم ويكون الفرنج من دخل مصر
كل سنة مائة ألف دينار هذا كله يعرض بين الفرنج وشاوروا المعاضد صاحب مصر فلما ايسر الامر
شيئا ولا يعلم بشيء من ذلك قد حكم عليه شاور ووجهه وعاد الفرنج الى بلادهم وتر كوا جماعة من فرسانهم ومشاهيرهم
وأعيانهم بمصر والقاهرة على القاعدة المذكورة ثم ان الكامل شجاع بن شاور راسل نور الدين مع شهاب الدين
محمود الحارثي وهو من أكابر أمراء الملك العادل وهو خال صلاح الدين يوسف بنهى محبته وولاه وبعثه اليه بأن
بصلاح الحال وجمع الكلمة بمصر على طاعته وجميع كلمة الاسلام وبذل ما لا يحمله كل سنة فأجابته الى ذلك
وجاؤا الى نور الدين ما لا يفتق الامر على ذلك الى أن قصد الفرنج مصر لملكها فكان ما ذكره ان شام الله
نعالي في اخبار سنة اربع وستين قال القاضي أبو الحسن ذكره عود أسد الدين الى مصر في المرة الثانية وهي المعروفة

كتاب (١٤٤) الروصتين

بوقة السنين لم يزل أسد الدين يتحدث بذلك بين الناس حتى بلغ شاور ذلك ودأب له الخوف على البلاد من الأتراك وعلم أن أسد الدين قد طعم في البلاد وأنه لا بد له من قصدها فكتب الفتح وقرعهم فنهزم يمشون إلى البلاد ويكنونه فيها يكتفون كذا ويعيشونه على استئصال أعدائه بحيث يستقر قدمه فيها وبلغ ذلك نور الدين وأسد الدين فاشتد خوفهما على مصر أن يملكها الكفار فيستولون على البلاد كلها فيخرب أسد الدين وأنفذ نور الدين معه العسكر وأمر صلاح الدين رجالة بالسير معه على كراهة منه لذلك وذلك في أنشأه يبع الأول وكان وصولهم إلى البلاد المصرية فماتوا بالوصول الفتح إليها وانفق شاور مع الفتح على أسد الدين والمصريون بأسرهم وجرى بينهم حرب كثيرة وقوعات شديدة وانفصل الفتح عن البلاد بالمصر به وانفصل أسد الدين وكان سبب عود الفتح أن نور الدين قدس الله روحه بعد العساكر إلى بلاد الأفرنج وأخذ المنيطرة وعلم الفتح ذلك فحلفوا على بلادهم وعادوا وكان سبب عود أسد الدين ضعف عسكره بسبب موافقة الفتح فخرج بالمصر بين وما نوه من الشدائد وعاشه من الأهوال وما عاد حتى صالح الفتح على أن يضرقوا كاهم عن مصر وعاد إلى الشام في بقية السنة وقد انضم إلى قوة الطمع في البلاد شدة الخوف عليهما من الفتح لعله بأنهم قد كسبوا حكاما كشفوا وعرفوا من الوجه الذي عرفها فأقام بالشام على مضض وقلبه مقلقل والقضاء يجره إلى شيء قد قدر لغيره وهو لا يشعر بذلك قال وفي أثنائه سنة اثنتين وستين ملك نور الدين قلعة المنيطرة بعد مسير أسد الدين في رجب وخرّب قلعة كاف بالبرية وفي رمضان منها اجتمع نور الدين وأخوه قطب الدين ووزين الدين بمجاهدة الغزاة وساروا إلى بلاد الفتح فخرّبوا هونين في شوال منها وفي ذي القعدة منها كان عود أسد الدين إلى مصر وفيه مات قرأ إرساله بدار بكر

(فصل ١٠) وفي شعبان من هذه السنة قدم دمشق عماد الدين الكاتب أبو حامد محمد بن محمد الاصفهاني مصنف كتابي الفتح والبرق فانه قاض القضاء كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم بن الشهر زوري بالمدرسة النورية الشافعية عند حمام القصير بسبب الفرج المنسوبة لأن إلى العباد وأما نسبت إليه لأن نور الدين رحمه الله ولأهله بالهاجرة بسبب سنة سبع وستين بعد الشيخ الفقيه بن عبدو كان العماد له معرفة بفتحهم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه وأبى شاذى من تكريت بسبب أن عمه العزيز أجد بن حادعة السلطان محمود بن محمد بن محمد بن محمد شاه بقلعة تكريت وفتحهم الدين أيوب آنذاك واليهما فانتسجت المودة بينهم من هناك فلما سمع فتحهم الدين بوصول بكر إلى منزله لتجديد وكان صلاح الدين وشيركوه حينئذ بمصر فدخل العماد فتحهم الدين أيوب بقصيدة أولها

يوم النوى ليس من عسري محسوب * ولا الفراق إلى عيشي محسوب

ما اختبرت بعد ذلك من الزمان أقى * كره ما ليس بالمحبوب محسوب

ارجوا يا باني البكم ظافرا بجلا * فقد ظفرت بنجم الدين أيوب

موفق الرأي ماضى العزم من نفع * على الأعاجم مجددا ولا عارب

احبك الله اذ لازمت نجده * على جبين بتاج الملك معسوب

أخوك وأباك صدقا منها اعتصما * بالله والنصر وعد غير مكذوب

هيا هيا مانا في يومى وقصرى * تعودا ضرب هامأ وعرا قيب

عسدا وشبان في الكفار نار وخی * بلقها يصيح الشبان كالشبيب

ملك مصر وقصر المؤمنين عسدا * تحظى النفوس بتانيس وقطيب

وستنقر بمصر يوسف وبه * تنقر بعد التناهي عين يعقوب

ولتلق يوسف فيها بالخصوته * والله يجمعهم من غير ترتيب

وكان أنشاده هذه القصيدة في آخر شوال سنة اثنتين وستين وخمسمائة ومملكهم مصر بعد ستين قال فنظمت ما في الغيب تقدره قال وكان أسد الدين قد جمع وسار إلى مصر في الرمال في النصف من ربيع الأول ووصل في سادس وبعث الأتراك إلى أطفح وعبر منها إلى الجانب الغربي واناخ بالحيرة محاذة مصر فاقام عليها وبقا وخمسين يوما واستعان شاور بالفتح ورتبوا لهم شوقا بالقاهر وتوعروا بهم من البلاد الشرقية إلى الغرب وعلم أسد الدين فاسار ما هم فالتقوا

بوضع يعرف بالبيان فكلمتهم أسد الدين وأصحابه وقتلوا من الفريقين البصريين الوفا وحصل منهم في الأسارى سبعون فارساً من باروتينهم فبانت لهم هذه الكسرة ورجلوا إلى الاسكندرية فوجدوا مساعدة أهلها فدخلوها ثم قال أسد الدين أنا لا يمكنني أن أحصر نفسي فأخذ العسكر وسار به إلى بلاد الصعيد فاستولى عليها ورجى خراجها وأقام صلاح الدين بالاسكندرية فصار إليه شاور والفريق فحاصر وه أربعة أشهر وصدق أهل الاسكندرية القتال مع صلاح الدين وقوى أسد الدين بقوص واستنفض لقصده القوم العموم والخصوص فسمع الفريقان به جاء يقصدهم فدخلوا عن الحصار وكان شاور قد استمال جماعة من التركمان الذين مع أسد الدين بالذهب فلما راسلوه في المهادنة أجاب وطلب منهم عوض ما غرمه فبدلوا له خمسين ألف دينار فخرجوا من الاسكندرية في النصف من شوال ووصلوا إلى دمشق ثمان عشر ذى القعدة وعادوا إلى الخدمة النورية فاجتمع العمد بأسد الدين وأنشده هذه القصيدة

بلغت بالجسد ما لا يبلغ البشر * وتلت ما تجوزت عن نيله القدر
من يهتدى للذي أنت اهتديت له * ومن له مثل ما أثرته أثر
أسرت أم يسرا لك الأرض قد طويت * فأنت اسكندر في السير اخضر
أوردت خيلاً بقصى الصين صادرة * هن الفرات بقاصي وردها الصندر
تساقلت ذكرك الدنيا فليس لها * الا حديثك ما بين الوري سمر
فأنت من زانت الايام سيرته * وزاد فوق الذي جات به السنير
لوفي زمان رسول الله كنت أنت * في هذه السيرة الممودة السور
أصبحت بالعدل والاقdam منفردا * فقل لنا أعلى في أنت أم عمر
اسكندر ذكره وأخبار حكمته * ونحن فيك رأينا كل ما ذكرنا
ورسم خبير وان شجاعته * وصار فيك عياناً ذلك الحبيب
أخبر فان ملوك الأرض أذهلهم * ما قد فعلت فيك فيك مفتكبر
سمرت اذ قد وابل هبت اذ سكنوا * وصلت اذ جنب وابل ظلت اذ قصروا
يستعظمون الذي ادر كتمت عجبها * وذلك في جنب ما نرجوه محقر
قضى القضاء بما نرجوه عن كتب * حتماً وافقك التوفيق والقدر
شكت خيولك ادمان السرى وشكت * من فلها البيض بل من حطمها السمر
يسرت فتح بلادك ان يسرها * لغبير رأيك قفلا فتحه عسر
قرنت بالخزم منك العزم فانتسقت * مارب لك عنها أسفر السقر
ومن يكون بنور الدين مهتديا * في أمره كيف لا يقوى له المرر
يرى برائك ما في الملك يبرمه * فأنت منه بحيث السمع والبصر
لقد بلغت قسمة الافرنج فانتصفت * منها باقدا ملك الهندية البستر
غرس في أرض مصر من جسومهم * اشجار رخط لها من هاهمهم
وسال بحصر شجاع في مقام ونى * به الحسد بد غمام والدم المطر
انهرت منهم دماء الصعد جرى * منها إلى النيل في واديهمهم
راوا اليك عبور النيل اذ عدوا * نصر افشاء عرواحي قد اعتبروا
تحت الصوارم هاهم المشركين كما * تحت الصواعج يوم اخفت الاكر
افنت سيوفك من لاقت فان تركت * قوما فهم نفر من قبلها نفر
لم ينج الا الذي عاقته من خبث * وحش الفلا وهو للحدود منتظر
والساكنون القصور القاهرة قد * نادى القصور عليهم انهم قهروا
وشاور شاوروه في مكايدهم * فكاده الكيد لما خانته الحد

كتاب (١٤٦) الروضتين

كانوا من الرغب مؤلفي جلودهم * وخين أمثمتهم من خوفهم نشروا
وان من شير كوه الشريك مختزل * والكفر مختزل والدين منتصر
عزل على قصة عند اللقاء * وعد عن تركان قبله غندروا
وكيف مختزل جيش أنت مال ككه * والقائدان له التأيسد والظفر
أجاب فيك اله الخلقى دعوة من * يطيب بالليل من انفاسه السحر
وقال العماد وانملت بيني وبين صلاح الدين يوسف بن أحيه مودة تمت لي بها على الزمان عدة ولم يزل يستهديني
نظمي ونثري ويشعري انه جميل الى شعري فأقول ما خدمته به هذه الكلمة

كيف قلتم بقتله فتور * وأراها بلا فتور تحبور
مستجير بجوري واني منته * بابن أيوب يوسف مستجير
فضله في يد الزمان سوار * مثلها رأيه على الملك شور
كروم سايغ وجودهم * وندی سائغ وفضل غزير
أنت من لم يزل يحق اليه * وهو في المهد سرجه والسرير
من دم الغادرين غادرين بالاه * من صعيد الصعيد وهو غدير
ولكل بما تطلعت فيهم * أمل قاصر وعمر قصير
لا ذليل شاور مثل فرعو * ن فذل اللاجي وعز العبور
شارك المشركين نعماء وندما * شاركتم باقر نفاة والنضير
والذي يدعي الامامة بالفا * هرة ارتاع انه مقهور
وغدا الملك خائفان سطاكم * ذا الزناد كأنه مقهور
وبنو الغفري هانوا ففروا * ومن الاسد كل كلب ففروا
انما كان للكلاب عواء * حيث ما كان للاسود زئير
وفليب عند الفرار سلب * فهو بالرب مطلق مأسور
لم يبقوا سوى الا صغار للنبس * فوذوا لوان الكبير صغير
وجبت الاسكندرية عنهم * وزحى من بهم عليهم ندور
حاصر وهاموا الذي بان من ذبلك * عن اوحظها محصور
كحصار الاغراب طيبة قدما * ونبي الهدي بها منصور
فاشكر الله حيث اولا نصره * فهو نعم المولى ونعم النصير
ولكم ارجف الاعادى قتلنا * ما مات ذكره تأسير
ورقبنا كالعبد عودك فاليو * مبهلا نام عيسد كبير
عادم من مصر يوسف والى بعنق * قرب بالتهنيات جاء البشير
فلا يوب من اباب صلاح الدين * يوم به توفي التذور
ولكم عودة الى مصر باله * ر على ذكر هاتم العصور
فاستردوا حق الامامة من * خان فيها فانه مستعير
وافترعها بأكبرها بدي الله * ر رواج في مذبحه ويكور
أناسيرت طالع العزم منى * والى قصده انتهى التسمير
وأرى خاطري مذحك الفنا * انما يأنف الخطير المنطير

وهي والتي قبلها طويلتان جدا فانتمت معرفة العماد بصلاح الدين وكان له مساعدا عند نور الدين وقرأت
في ديوان العرقلة وقال يمدح أسد الدين شيركوه وقد أخذ الشقيف ورحل طالب احصنا يقال له العراق

في اخبار (١٤٧) الدولتين

دخلت من الشقيف الى العراق * بعزم كالمهتدة الرقاق
ونيكست الاعداء منه قهرا * ومجدك في ذرى الجوز اباقي
بجاشك لا يجيشك نلت هذا * وبالنوفيق لا بالانقياق
فداؤك من مضى بالخصن قبلي * الى دار الخاود من الرقاق
وما تخشى على الاسلام رؤسا * اذا هلك الجميع وأنت باقي
اشاوركم تشاور بكل خب * وتنفق عندك مثلك بالنفاق
انصبر ان أتتك بخارجييل * وقبها ما صبرت على السواق
مضى رنعتك السود ان رؤسا * وقد خلاهم مثل الرقاق
وعشك ما له من مصر يد * ومن عندي ثلثا بالطلاق
هو الاسد الذي ما زال حتى * بناجدا على السبع الطباقي

(فصل) قال ابن الاثير وفي هذه السنة أرسل نور الدين الى أخيه قطب الدين يطلب ان يعبر الفرات اليه
بعساكره فجهز وسار هو وزين الدين في العساكر الكثيرة فاجتمعوا بنور الدين على حصن فدخل بالعساكر الاسلامية
بلاد الفرج واجتاز على حصن الاكراد فأغاروا ونهبوا وأسروا وقصدوا عرقه ونزلوا عليها وحصروها وحصرها
جبله وأخربوها وتوجهت عساكر المسلمين بمينائها لا تغبر وتغرب البلاد وفتح العربيه وصافينا وعاد الى حصن فصام
بها شهر رمضان ثم سار الى بانياس وقصد قلعة هونين وهي للفرنج أيضا من قلاوسهم المنبعة فانهم فرج عنها
واخربوها فقصدها نور الدين فوصلها من القصد خرب سورها جميعه وأراد الدخول الى بيروت فحشد في العسكر
خلل وأوجب التفرق فعاد وسار قطب الدين الى الموصل واقطعه مدينة الرقة فأخذها في طريقه قال وفي هذه السنة
عصى الأمير غازي بن حسان المنجي صاحب منبج على نور الدين وهو كان اقطعه اياها فأرسل اليه نور الدين عسكرا
حصرها وأخذها منه واقطعها أخاه قطب الدين بنال ابن حسان وكان عاقلا خيرا لحسن السيرة فبقى بها الى ان
أخذها منه صلاح الدين سنة اثنتين وسبعين كما سياتي وفيما توفي القاضي الرشيد جدين على بن الزبير صاحب
كتاب الجنان قال العماد في الحزينة كان ذا علم غزير وفضل كثير قتله شاور صبرا في سنة اثنتين وستين ونسب اليه
انه شارك أسد الدين شيركوه في قصده وأخوه المهذب أبر على الحسن بن علي بن الزبير أشعر منه وتوفي قبله بسنة
لم يكن في زمانه أشعر منه وله شعر كثير منه قصيدة غراء في مدح الصالح بن رزيك وذكر فيها نور الدين أوطها

أعلت حين تيجا ور الحيات * ان القلوب موافد النيران
يا كاسر الاصنام قم فانض بنا * حتى تصير مكسر الصليان
فالشام ملكك قد ورثت بلاده * عن قومك الماضين من غسان
واذا شككت بأنبا أوطانهم * قدما فسل عن حارث الجولان
أورمت ان تتلو محاسن ذكرهم * فاسبندوايتها الى حسان
ما زلت أرض العدى بل ذا لثما * بقلوب أهلها من الخفقان
وأقول ان حصونه سجدت لنا * أوتيت من ملك ومن سلطان
ولقد بعثت الى الفرج كتابا * لاسد حين تصول في خفان
لبسوا الدرع ولم يخل من قبلهم * ان الجار يخل في غدران
تجلى في تل الجول قرأهم * وهم لك الضيفان بالذيفان
وثلاث في يوم العرش عروهم * بشبا صراب صادق وطمعان
ألجأتهم للبحر لما ان جرى * منه ومن دهم معا بجران
ولقد أتى الاسطول حين غزاها * لم يأت في حين من الاحيان
وأعدت رسول ابن القسيم اليه في * شعبان كي يتلاهم الشعبان

كتاب ١٤٨ الروستين

والقال شمد في اسمه ان سوف يغتدوا الشام وهو على كج قسنان
 وأراك من بعد الله شمد باله * وجعلته من أقرب الإخوان
 وهو الذي مازال يفعل في العدى * ما لم يكن ليعتد في الامكان
 قتل البرنس ومن عساه أعانه * لما غسبا في البني والعدوان
 وأرى البرية حين عاد برأسه * من الجنى بيد وعلى المزان
 وتجهوا من زرقة في طرفه * وكان فوق الخ نصلان
 بحسب الجرد يديه اذ بيني العلا * والسيل يدم ثابت الاركان
 قلدت أعناق السرية كلها * مننا نجل ثقلها الثقلان
 حتى تساوى الناس فيك واصبح القاصي بمنزلة القريب الداني
 وفي هذه السنة ذكر القاضي كمال الدين بن الشهرزورى للسلطان نور الدين رحمه الله حال العباد الكاتب وعرفه به
 وعرض عليه قصيدته في مدحه مطلعها

محمد بن محمد عيش بلادة * مال كلها بعدله محمودها
 مؤيد أموره بعزيمة * من السموات العلى تأيدها
 لو حفظت يوم النوى عهدا * ما مالت بوصلكم وعودها
 آثاره جسيمة وانما * للسر من آثاره جسيدها
 ان الورى يحبه وبفضه * يعرف من شقه سعيدها
 قد جاءكم نور من الله هن * به اهتدى فانه رشيدها
 جلا ظلام الظلم نور الدين عن * أرض الشام فله تميمها
 ان الرعا يا منسه في رعاية * ونعمة مستوجب من يدها
 لنومها يسهر بل لا منما * يخاف بل يخصبها بجودها
 بالدين والملايكه قيامه * والملايكه عنهما قعودها
 ودأبه ثلث نور الكفر لا * اسم ثغور نافع برودها
 قد أسبغ الله لنا بعدله * ظلال أمن وارف مديدها
 غدا ملوك الروم في دولته * وهم على رغهم عبيدها
 لما آتت هلماتهم سجودها * لله أضحى الظبي سجودها
 ان فأرقت سيوفه غودها * فان هلماتهم غودها
 كم مغلقات من حصون عزمه * مفتاحها وسيفه أفليدها
 قد ودت الفرخ لو قرت نجت * منك ولكن روعها مبيدها
 قهرتها حتى لو حيا * من ذلة لو أنه فقيدها
 أمانتها عيسك في حصونها * كأنما حصونها لجودها
 وان مصر لك تعنو بعدما * لسيفك الصعب عنا صيدها
 والملة الغر خال بالها * عال سناها بك حال جيدها
 مسترة ثغورها بمنوعة * ثغورها محفظة حدودها
 وان بنى جالوتها ضلالة * فانت في اهلا كه داودها
 يا ابن قسم الدولة الملك الذى * خربت له من الملوك صيدها
 دع العدى يغفلها فانما * يذيب أكباد العدى حقوقها
 يادولة نورية أمن الورى * وخصبها ووجودها ووجودها

في اخبار (٩٩) الدواوين

ما مثل الدنيا لمن يجمعها * بالحرص الآخرة ودودها
ابن الذي يرفضها عن قدرة * فلا يشوب زهده زهيدها
فابق لنا يا ملكا يقاؤه * في كل عام لزعا يا عيدها
في دمة جديدة سعودها * ودولة سعيدة جندودها

وهي طويلة فرتبه نور الدين في ديوانه من شمس الاسنة ثلث وستين قال ووجدت على الايام منه الاعزاز
والتمكين قلت وذلك بعد ان استعفى الزوال بشر شاكر بن عبد الله من الخدمة في كتابة الانشا وقعد في بيته كذا
ذكر العماد في الخريدة وقال تولى ديوان الانشا بالامام سنين كثيرة وله مقاصد حسنة في الكتب وهو جيد السيرة جميل
السيرة. وفيها توفي الحافظ أبو سعد عبد الكريم محمد السبعاني المروزي رحمه الله تعالى
(ثم دخلت سنة ثلاث وستين وخمسائة) ذكر العماد ان نور الدين رحل الى حصن ثم مضى الى حماه ثم شقيق
بقلعة حلب ومعه الاسد والصلاح ونزل العماد بدرسة ابن العجمي وكتب الى صلاح الدين يوسف بن أيوب وقد عثر
فرسه في الميدان وهو يلعب بالكرة مع نور الدين رحمه الله تعالى

لا تنكرن لسايح عثرته * قدم وقد جعل الخضم الزائرا
ألقي على السلطان طرفك طرفة * فهو هي هنالك للسلام مبادرا
سبق الى الرياح بحيرة * وكففته عنها فليس على خلافا قادرا
ضعفت قواه اذ ذكركه * في السرج منك يقول لبنا خادرا
ومتى تطيق الى صرطود اشاخنا * أو يستطمع البرق جونا مطرا
فاعذر سقوط البرق عند مسيره * فالبرق بسطة حين يحطف سائرا
وأقل خوادك عشرة ندرت له * ان الجواد لمن يقبل العائرا
ونوف من عين الحشو ودورها * لا كان ناظرها بسوء ناظرا
وأسلم لنور الدين سلطان الوري * في الحادثات معاضدا ومؤازرا
فاذا صلاح الدين دام لاهله * لم يحذر واللدهر صفا ضائرا
وجرت بين العاد وبين الامام شرف الدين أبي سعد عبد الله بن أبي عصرون مكاتبات كتب اليه العاد
أيا شرف الدين ان الشما * بكافاته كف آفاته
وكفك من كرم كافها * لقد كفلت لي بكافاته
وانك من عرفه شكرنا * غدا عاجزا عن مكافاته

قال فكتب الى شرف الدين في جوابها

اذا ما اللشياء وأمطاره * عن الخير حابسة رادعه
فبكافاته الست أعطيتها * وجوشيت من كافه اسابعه
وكف المصايب والاحتشا * لم كفني عن بره مانعه
وهمة كل كريم الجفا * ريمسورا حجابها قاذعه
ونفسي في بسط عذري اليه جعلت الفداء له طامعه
وشوقني الى قربه زائد * ومعذرتي ان جفا واسعه

قال فكتمت اليه جوابها

أيا من له همة في العلي * لنزوتها أبدا فارعه
ومن كفه دمة ماترا * لبالعرف هامة هامعه
والفضل في سوق افضاله * بضائع نافقة نافعه
وهل كان عصرون في عصرنا * امام أدلتسه قاطعه

كتاب (١٥٠) الروضتين

فظهر فؤاده بجدة * وبحضر مؤارده وأبينعه
أياشرف الدين شيرقني * بأهتداه زائقة راعية
أطعت أوامره السامية * وتوابعته هتفي طائعه
أرى كل جارحة في * وزلوا أنها أذن سامعه
وأما الشفاء وكمافاته * وكفك عن كافة الزابعة
فنفسي منه علة العفا * فغنا وفي غرها طامعه
فإذا نطق إذا لم تكن * فيسور سديدنا قانعته
وهي أكثر من هذا قال وكان ابن حسان صاحب منبج قد ساءت أفعاله فبعث إليه نور الدين من حاصره وانتزعها منه
ثم توجه نور الدين إليها لتهدب أحوالها ومده العباد بقصيدة منها يقول

بشرى الممالك فيم قلعة منبج * فليكن هذا النصر كل متوج
أعطيت هذا الفتح مفتاحه * في الملك يفتح كل باب مرفج
وإني بيشر بالفتح وراه * فانهض إليها بالجيوش وعرج
أبشر ببيت القدس يتلو منبجيا * ولنسج لسوء كك الانودج
ما أعجزتك الشهب في أبراجها * طلبها فكيف خوارج في أريج
ولقد رمى بعصيك أحقران يرى * أن العيوس بوجهك المتبيلج
لكن يهدب من عصاك سياسة * في ضمها تقوم كل معوج
فانهض إلى البيت المقدس غازيا * وعلى طرابلس ونايلس عج
قد سرت في الاسلام أحسن سيرة * مأثورة وسلكت أوضاع منبج
وجميع ما استقرت من سنن الهدى * جددت منه كل رسم منبج
قال العمادوسار نور الدين من منبج إلى قلعة نعيم وغيرها فرأى إلى الرها وكان بها نائل صاحب منبج وهو سيد الرأي
رشيد المنهج فتلقاه إليها مقطعا وألبا وأقام نور الدين بقاعة الرها مدة فدخله العماد بقصيدة وتجنب إليه صلاح الدين
في عرضها وهي

أدركت من أمر الزمان المشتى * وبلغت من نيل الأمانى المنتهى
وبقيت في كف السلامة آمنا * متكرما بالطبع لامتكرها
لأزلت نور الدين في فلك الهدى * ذاخرة للعالمين بها البها
يا محسبي العدل الذي في ظله * من عدله رعت الاسود مع لها
محمودا المحمود من أيامه * لبها ثم تخلك الزمان وقهرها
مولي الأورى مولى الندى على الهدى * مردي العدى مسدى الجدى معطى لها
آراؤه بصوابها مقرونة * وبهتضاها دائر فلك النبا
متلبس بمصافه وحصانه * متقدس عن شوب مكر أودها
يا من أسطاع الله في خدائاته * متاوبا من خوفه متأوها
أبدت قد تم في المعاش لوجهه * علاميض في المعاد لا ووجهها
كل الأمور وهي وأمره مبهم * مستحكما لا تقض فيه ولا ووها
ما صين عنك الصين لوجها وها * والمشرقان فكيف منبج والزها
مال السلوك لدى ظهورك رونق * وإذا بدت شمس الضحى خفي السها
ان السلوك لهو أواذك من غدا * وبما له والملك من غدا
شرفت نفسك وسهم إلى دنياهم * وأبى لنفسك زهد هان نشرها

في أخبار نوح عليه السلام

ما كنت عن خير ولم يأتني * من لا يزال على الجبل منها
أجلت ذكر الجاهل * من لا يزال * ملكا يذكر العالمين منها
ورأيت إرعاء الرعايا واجبا * تغي فقسرا أو تخيبر مدحا
لضاهم تحفظا ولجاهلهم * متفقدوا ولدينهم متفقهها
ومجابه أمر الإله أمرهم * من طاعة وتوبيخهم عما يبي
عن رجة لصغيرهم لم تشغل * عن رافة لكبيرهم لن تشدها
باليأس عندك أمل لم يمح * بالرزة دونك سائل لن يجيبها
أعيت نفسك كي تال رفاهة * من ليس يتعب لا يعيش مرهبا
فقت الملوكة سماحة وجاسرة * حتى غسدمها لهم لك مشها
ولك الخمار على الجميع قدونهم * أصبحت عن كل العيوب نزها
وأراك تملحين نصيح ساعطا * ويكاد غيرك ساعطا أن يسفها

قلت رحم الله العباد فقد نظم أوصاف نورا الدين الجليلية بأحسن لفظ وأرقه وهذا البيت الأخير مؤكدا لنقلناه في أول الكتاب من قول الحافظ أبي القاسم رجة الله في وصف نورا الدين رجة الله الله لم يسع منه كلمة شس في رضاه ولا في غيره وقل من الملوكة من له حظ من هذه الأوصاف الفاضلة والنعوت الكاملة قال العباد ثم عاد نورا الدين إلى حلب في شهر رجب وضربت خيمته في رأس الميدان الأخضر قال وكان مولعا بشرب الكرة ورمي داخل الظلام فاهبها بالشموع في الليلة المسفرة وركب صلاح الدين مبكرا كل بكرة وهو عارف بأذا بها في الخائفة وشروطها المعتبرة قال وأقطعته في تلك السنة ضيعتين أحداهما من ضياع حلب والآخرى من ضياع كفرطاب قال وكتب إليه في طلب كتبوش

أصبحت بغلتي تشكى من العر * ي واسرا جبالا ككثير
قلت كفي غصير يومك عندي * ان تفوزي بالتي أوبالحشيش
وافرح ليلة الشيعر كما يفر * ح قوم يلبس لة الماشوش
لوتبصرت حالتي لتصبر * ت فإياك عندها ان تطيشي
أوما مات في الشتاء من السير * دومن فوط جوعه أكديشي
فتقى واسكي بجود صلاح الدين غرس الملوكة ملاك الجيوش
فهو يوجيوك للعيون بكثير * ش جديد مستحسن منقوش
كمعدو من بأسه في عشار * وولي بجوده من عوش
والمساوي على الأسرة والأعداء تحت الهوان فوق النعوش

قال وأقطع أسد الدين حصن وأعمالها فساد إليها فسد ثغورها وضبط أمورها وحي جهورها وكان نورا الدين قد جد سورها وحصن دورها وبلى الفرنج منه بالمغادر الماروغ ذي البأس الدافع وسأله نورا الدين في السلوعن حب مصر وقال قد تبعت مرتين واجتهدت ولم يحصل لك ما طلبت وقد أذعنوا بالطاعة وشفعوا السؤال بالشفاعة وسمحو باكل ما يدخل تحت الاستطاعة قلت وأنشد العباد أسد الدين في رجب من هذه السنة

دمت في الملك أمرا ذا نفاذ * أسد الدين شريكه في شاذي
يا كريم عن كل شر بطشا * والي الخسر دأب الاغصاذ
ان كره الاسلام أنت فلازلت * لاهل الاسلام خسر لاذ
وبقلب الكفار عريك قد حبل * بصدع الأكباد والافلاذ
لم تدع بالظلي رؤسا وأصنا * مامن المشركين غير جداد
أنت من نازل الدعين في مصيرهم الامام في بغضاد

كتاب (١٥٣) الروضة

وبلاد الاسلام أنقذتها أنست من الشرك ايمنا انقاذ

﴿فصل﴾ في وفازين الدين قال ابن الاثير وغيره في سنة ثلاث وستين سار زين الدين علي بن بكركن نائب أنابك قطب الدين عن الموصل الى أربل وسلم جميع ما كان بلاده من البلاد والقلاع الى قطب الدين من ماعدا أربل فانها كانت له من أنابك زكي رجه الله تعالى في ذلك سنجار وحران وقلعة عفر الحيدية وقلعة الحكارية جميعها وكان نائبه يتكبر في الامير تبر فأرسل اليه ليلتها فقال ان المولى أنابك لا يقم بشكرت ولا بدله من نائب فيها وأنا اكون ذلك النائب فليس له مثلي فما أمكن بحاقفته لاجل مجاورته بغداد وأما شهر زور فكان بها الامير بوزان فقال مثله أيضا فأقرت يسده في مكان في طاعة قطب الدين وسبب فراق زين الدين انه أصابه عي وعصم وأقام بأربل الى أن توفي بها في ذي الحجة من هذه السنة وكان قد استولى عليه الهرم وضعفت قوته وكان خيرا عادلا لحسن السيرة جوادا محظوظا على حسن العهد واداء الامانة قبل العذر بل عديبه وكان اذا وعد بشيء لا بد له من أن يفعله وان كان فعله خطيرا وكان طاه من أعجب الاحوال يتحارب ومنه ما يدل على سلامة صدره وغلته حتى يبدو ومنه ما يدل على افراط الذكاء وغلبة الدماء بلغني انه أتاه بعض فرس ذكر انه نفق له فأمره بفرس فاخذ ذلك الذئب أيضا وغيره من الاجساد فأحضره وذكر انه نفق له دابة فأمره بفرس وتناول ذلك الذئب اثنا عشر رجلا كاهم بأخذ فرسا فلما أحضره آخرهم قال لهم ما تسحيون مني كما سحيتي أنا منكم قد أحضر هذا عسدي اثنا عشر رجلا وأنا أتعاقل لثلاثين رجلا أحدكم أنظنون أنني لا أعرفه بل والله وإياي أردت أن يصلمكم عطائي بغير من ولا تكدير فأتزكروني لئس الغني يسدي في قومه لكن سيد قومه المتغالي

قال وكان بعضي كثيرا ويحلم عظيمًا وكان له البلاد الكثيرة فلم يخلف شأ بل أنقذه جميعه في العطايا والالعام على الناس وكان يلبس الغلظ ويشد على وسطه ككل ما يحتاج اليه من سكين ودوش ومطرفة ومسلية وخيوط ودسترك وغير ذلك وكان أجمع الناس ميمون النقيبة لم ينهزم له رايه وكان يقوم المقام الخطير فيسلم منه بحسن نيته وكان تركا سمرالون خفيف العارضين قصيرا جندا وبني مدارس وربط الموصل وغيرها وبلغني انه مدحه لخصيص بعض فلما أراد الانشاد قال له أنا لا أدري ما تقول لكن اعلم انك تريد شيئا فأمره بحمسه ألف دينار وأعطاه فرسا وخيله وثيابا يكون مجموع ذلك ألف دينار قال ومكاريه كثيرة ولما توفي بأربل كان الخا كهم بأخادمه محجهاه الدين قائماز وهو المولى لا مورها وولى بعد زين الدين ولده مظفر والدين كوكبرى مدة ثم فارقها بخلف كان بينه وبين مجاهد الدين قائماز وجرت أمور يطول ذكرها ولما فارق زين الدين الموصل استتاب أنابك قطب الدين بقلعة الموصل بعد هلاكه فخر الدين عبد المسيح فسلك غير طريقتي زين الدين فذكره الناس وذموه فلم تطل أيامه وسيجي ذكر عزله في أخبار سنة ست وستين إن شاء الله تعالى

﴿ثم دخلت سنة أربع وستين وخمسمائة﴾ في أولها ملك نور الدين رجه الله تعالى قلعة جبر وأخذها من صاحب اشهاب الدين بلك بن علي بلك العقيلي من آل عقيل من بني المسيب وكانت يده أباته من قبله من أيام السلطان ملكشاه وقد تقدم ذكر ذلك وهي من أمنع الحصون وأحسنها مطلة على الفرات لا يطامع فيها بحصار وقد أجمع جماعة من المساوئ أخذها منه وقتل عليها عباد الدين زكي والنور الدين ثم اتفق أن يخرج صاحبها منها يوما يتصيد فصاد من كلب فأخذوه وأسيرا وأوثقوه وجلوه الى نور الدين فقرر بوابه اليه وذلك في رجب من سنة ثلاث وستين فحبسه بحلب وأحسن اليه ورغبه في الاقطاع والمال ليس اليه القلعة فلم يفعل فعدل به نور الدين الى الشدة والعنف وتهدده فلم يفعل أيضا فسير اليه عسكر امقدمه الامير فخر الدين مسعود بن أبي علي الزعفراني فحصرها مدة فلم يظفر منها بشيء فأمدتهم بعسكر آخر وجعل على الجميع الامير محمد الدين أبابكر المعرف بابن الداية وهو أكبر أمراء نور الدين ورضيعه والى معاقله فأقام عليها وطاف حوالها فلم يزل في فتحها بجحلا ورأى أخذها بالحصار متعذرا بحالها فسلك مع صاحبها طريقتي اللين وأشار عليه بأخذ العوض من نور الدين ولم يزل يتوسط معه حتى أذعن على أن يعطى سروج وأعمالها والملاحة التي في عمل حلب والباب وراة وعشرين ألف دينار بمجدة فأخذ جميع ما شرطه مكرها في صورته مختار قال ابن الاثير وهذا اقطاع عظيم جدا لكنه لاحظ فيه ونسلم محمد الدين قلعة جبر

في اعتبار (١٥٣) الدولتين

وصعد اليها منتصف الحرم ووصل كتابه الى نو والدين بحلب فسار اليها وصعد القلعة في العشرين من المحرم فمسها نور الدين الى محمد الدين بن الداية فولاها أخاه شمس الدين علي وكان هذا آخر امر بني ملك وكل أمر جد ولكل ولاية نهاية يؤتي الله الملك من يشاء وينزع منه من يشاء قال ابن الاثير بلغني انه قيل لشهاب الدين أيما أحب اليك وأحسن مقاماً المروج والشام أم القلعة فقال هذا أكثر مالا والعز بالقلعة فأرقضاه قال العماد وأنشدت نور الدين بقلعة جبر قسيدها وهما

أسلم لي بكر الفتوح مقترعا * ودم الملك البلاد منبتزعا
فإن أوى الوري بها ملك * غدا بعب الخطوب مضطلعا
إن ضاق أمر فغير همته * لكشف جنيق الأمور لنسعا
يا محبي العدل بعد ميثقه * ورافع الحق بعد ما انتضعا
و نور دين الهدى الذي فعلا * شرك وعق الضلال والبديعا
أنت سليمان في العاق وفي الملك ونجى بركه ذلك السبع
خز البقا والحياه والكرم المحض وحسن اليقين والورعا
أسقطت أقساما وجدت من المكس بعدل والقياس طار ندعا
ولم تدع في انتقاء مصالحة السنين لنا باقيا ولن تدعنا
وكل ما في الملوكة مقترق * من المعالي لمسلكك اجتمعنا
هتكت الريط والمدارس تبنينا بها ثوبا وتهدم البيسعا
مازالت ذا فطنة مؤيدة * على غيوب الاسرار مطلعا
بأسك البيض والظلي اصطبجت * بعدلك الذنب والظلا رتعا
كم صائد لم يقع له فقص * في شرك وهو فيه قد وقعنا
وما لك حين رميت قلعتيه * غدا مطيعا لا ممتنعنا
عنا خشوعا رب ملكة * لغير رب السماء ما خشعنا
كان مقيمنا على الفلك السعد * على شهابا بنوره سسطعا
لكنما الشهب ما تنير اذا * لاح عود الصباح فأنصدا
يدفعها طائعا اليك وكمكم * عننا اياه بجهده دفعنا
هي التي في عباوها زحل * كرعلى وردها وما كرعنا
وهي التي قاربت عطار دفي السدق فلاحا والفرقة دين معا
كان منها السها اذا استرق السمع أتاها في خفيسه ودعا
هضبة عز لولك ما ارتقيت * وطود ملك لولك ما فسرعا
ما قبلت في ارتقاء ذر وثنا * من ملك لارق ولا جعدنا
عزت على الممالك الشهيد واعطت لك قيادا ما زال منتعنا
لاب لوجل خطبها الغدا * محرم ما ابته وما شرعا
لازلت مجود في أمورك مجور * دا بشوب الاقبال مسدعا

(وفيها) في سابع عشر صفر من هذه السنة توفي بهاء الدين عمر أخو محمد الدين بن الداية وفيه وفي أخويه يقول العماد الكاتب من قصيدة

أنت لمحمود كآل محمد * متصادق الافعال والاسماء
يتأوا بأبكر على حسناته * عرا المجدج في سنا وسناء
ويليه عثمان المريخ للعلا * وعلى الأموال في الألاء

مكتاب (١٥٤) الروضتين

وتقبل الحسن المجدد محمدهم * فهم ذوو الاجسان والنجماء
فرعت مجد الدين اخوته الذرى * دون الورى في المجد والعلياء
من سابق كرم وشمس سادة * شرفا ودرجسته وبهاء
سرج المجدى شهاب الندى شهب النبى * أسدا لحروب ضراغم الهجاء

يريد سابق الدين عثمان وشمس الدين على وبدر الدين حسن وبهاء الدين عمر ومجد الدين هو الأكبر فهم
خمس رجم الله

(فصل) وفي هذه السنة ففتح الديار المصرية سار اليها أسد الدين مرة ثالثة فهزم العدو وقتل شاورا وولى الوزارة
مكانه ثم مات فوليه صلاح الدين وسبب ذلك ان الفرنج كانوا في التوتيين الاولين اللتين استعان بهن شاورا فيهما على
أسد الدين شريكه قد خبروا الديار المصرية وأعلموا على عوراتها فطمعوا فيها وقضوا ما كان استقر بينهم وبين
المصر بين وأسد الدين من القواعد فجمعوا وحشدوا وقالوا لما بمصر من يصدننا وإذا رداها فنبردنا ثم قالوا نوزل الدين
في البلاد الشمالية والجهة الغربية الشام متفرق كل منهم في بلده حافظا في يده ونحن ننفض الى مصر ولا
نظيل بها بالمصر فانه ليس لما معقل ولا لاهلها فناموا في الليل والى ان تجتمع عساكر الشام يكون قد حصلنا على المرام وقويتنا
بتلك الديار المصرية على سائر بلاد الاسلام فتوجهوا اليها سائرين ونحوها ثم ابرن واظهروا انهم على قصد حصص
وشايعهم على قصد مصر جماعة من اهلها كان الخياط وابن فرجة وغيرهما من اعداء شاورا وكان الفرنج قد جمعوا
لهم شحنة بمصر والقاهرة واسكنوا فرسانهم ابواب البلدين والمناجع معهم على ماسبق ذكره وفتحوا فتحا كبيرا فطمعوا
في البلاد وارسلوا الى ما حكمهم مري ولم يكن ملك الفرنج قد خرجوا الى الشام مثله شجاعة ومكر اودهوا يستدعونهم لتلك
البلاد واعلموا خباياهم ما منع عنها وسهلوا امرها عليه فلم يجيبهم الى المسير واجتمع فرسان الفرنج وذو الراى والتقدم
وأشاروا عليه بالمسير اليها والاستيلاء عليها فقال لهم الراى عندي ان لا تصدحوا فانا طمعة لنا وما لهما تساق اليها
نقوى على اهل نور الدين وان نحن قصدنا هاتيكها فانما نحن احبوا وساءا كرهوا عامة اهل بلادهم ولا حية لا يساقونها اليها
ويقابلوننا دونها ويجهلهم الخوف منا على تسليمهم الى نور الدين وان أخذها وصار له فيها مثل أسد الدين فهو هلاك الفرنج
واجلاؤهم من ارض الشام فلم يصغوا الى قوله وقالوا ان مصر لا مانع لها ولا حافظ والى ان يصل الخبر الى نور الدين
ويجهز العساكر ويسيرهم اليها يكون نحن قد ملكناها وفرغنا من امرها وحينئذ ينهي نور الدين منا السلامة فلا يقدر
عليها وكاؤا قد عرفوا البلاد وانكشف لهم امرها فاجابهم الى ذلك على كره شديد وتجهزوا واظهروا انهم على قصد
الشام وخاصة مدينة حصص وتوجهوا من عسقلان في النصف من المحرم ورواها أول يوم من صفر الى بليس ونازلوها
وحصروها فلما كرهها قهرها وتموها وسبوا اهلها وأقاموا بها خمسة أيام ثم أنشأوا على القاهرة وحصروها عاشر صفر
نخاف الناس منهم ان يقعوا بهم مثل فعلهم باهل بليس فعملهم الخوف منهم على الامتناع لحفظ والبلد وقاوا ادونه
وبذلوا جهدهم في حفظه ولوان الفرنج أحسنوا السير فمع أهل بليس الملكوا مصر والقاهرة بسرعة ولكن الله تعالى
حسن لهم ذلك ليعضى الله امرهم اكان مفعولا وكان شاورا مري باحراق مدينة مصر فصار صفر قبل نزول الفرنج عليهم
بيوم واحد وخوفوا عليها من الفرنج فيجب بيت النار فيها فحرقها أربعة وتسعين يوما الى خامس ربيع الآخر ثم شاق الحصار
ونخبت البرار وعرف شاورا انه يهضعف عن الحامية فشرع في نقل الخيل وأرسل الى ملك الفرنج يريد كرهه وموته وبخسته
الهدية وان هادوا معه وتقدمه في نور الدين والاعداء وانما المساقون لا يوافقونه على التسليم اليه ويشربوا الصلح وأخذوا
لئلا يسلم البلاد الى نور الدين فاجابه الى الصلح على أخذ ألف ألف دينار مصر يجهل البعض وخر البعض واستقرت
البيعة على ذلك ورأى الفرنج ان البلاد مائة تعبت عليهم ورعاسمت الى نور الدين فاجابوا كارهين وقالوا نأخذ المال
ننقوى به ونكثر من الرجال ثم تعودوا الى البلاد بقوة لاننا الى معها بنور الدين ولا غيره ومكر وامكر الله والله خير الماكرين
فجهلهم شاورا ومائة ألف دينار وسألهم الخيل عن البلد ليجمع لهم المال فخرجوا قريسا وكان خليفة مصر العاصد
عقب سبى مصر راسل الى نور الدين يستقيم به ويعرفه ضعف المسلمين عن الفرنج وأرسل في الكتب شعور النساء
وقال له هذه شعور نسائي من قصرى يستعين بك لتنهذهن من الفرنج فقام نور الدين لذلك وقعد وشرع في تجهيز

العساكر إلى مصر وبالصالحين والفرنج على ذلك المال عاود العاضد أمر أسد الدين وأعلامه بجالي المسجون من الفرنج وبذل ثلث البلاد من مصر وأن يكون أسد الدين شيركوه مقبلاً عند في عسكر وأقطاعهم عليه خارجاً جاعن الثالث الذي نزلوا في هذا قول ابن الأثير وقال العماد بجلي شاور الملك الفرنج بجائه ألف دينار خيالة وخذاعاً وأرغاماً له وأطامعاً وواصل بكتبة إلى نور الدين مستصر خامسة فورا وبمنايا الإسلام من الكفر بخيرا ويقول ابن سائر ذهبت البلاد وسير الكتب مسودة بها كاسية له اس جدداه وفي طيم اذوا ثب شيز ووزة عصائب شيز ووزة أطن انها شعور أهل القصر للاشعار بما عراهم من بلدة الحضر وارسلها تابعا وأردف بها بخباين سرا وأقام منتظرا ودام متغيرا وعامل الفرنج بالمطال يقدّمهم في كل حين مالا ويطلب منهم امهالا وما زال يعطيهم ويسقيهم حتى أتى الغوث بهما كرنور الدين رحمه الله

﴿فصل ١٠﴾ فيما فعله نور الدين كان نور الدين لما أتاه لسل اولان العاضد قد أرسل إلى أسد الدين ليستدعيه من حصن وهي اقطاعه فإخرج القاصد من حلب لقي أسد الدين قد وصلها وكان سبب وصوله ان كتب المصريين أيضا وصلته في هذا الاسر فبقى مساوياً للقرار مغلوب الاصطبار لانه كان قد طمع في بلاد مصر بخلاف خروجها من يده وان يستولي عليها الكفر فساق في ليلة واحدة من حصن إلى حلب واجتمع بنو الدين ساعة وصوله فقبب نور الدين من ذلك وتقال به وشكره وأمره بالتجهز إلى مصر والسرعة في ذلك أعطاه ما تولى ليدنار سوى الثياب والدواب والآلات والأسلحة وحكبه في العساكر والخزائن فاختار من العسكر ألفي فارس وأخذ المال وجمع من التركمان سبعة آلاف فارس فكان في مدة حشد التركمان سار نور الدين لتسلم قلعة جعبر ثم سار هو ونور الدين إلى دمشق ورحل في جميع العساكر إلى رأس الماء وأعطى نور الدين كل فارس من العسكر الذين مع أسد الدين عشرين دينارا موعونة لهم على الطريق غير محسوبهم من القرار الذي له وأضاف إلى أسد الدين جماعة من الامراء والمجاليك منهم بمولوك عز الدين جريدك وغرس الدين قليج وشرف الدين برغش وناصح الدين خواركين وغيرهم من الدولتين الباروق وقطب الدين ينال بن حسان المنجي وغيرهم ورحلوا على قصد مصر مستترين من الله تعالى النصر وذلك منتصف ربيع الاول وخيم نور الدين فين أقام معه رأس الماء وأقام ينتظر ورود البشرات فوصل المشر برحيل الفرنج فعن القاهرة عائد إلى بلادهم المسموعا وبوصل عسكر نور الدين وسبب الملك كل من أشار عليه بقصد مصر وأمر نور الدين بضرب البشار في سائر بلادهم وبث رساله إلى الأفاق بذلك وقال القاضي أبو الححاسن لقد قال لي السلطان يعني صلاح الدين كنت أكره الناس للفرنج في هذه الدفعة وما خرجت مع عني باختياري قال وهذا معنى قوله سبحانه وتعالى وعسى ان تسكرها شيئا وهو خير لكم وقال ابن الأثير احب نور الدين مسير صلاح الدين وفيه ذهاب بيته وكره صلاح الدين المسير وفيه سعادته وملكه حكى في نفسه انه قال لما وردت الكتب من مصر إلى الملك العادل نور الدين رضي الله عنه مستصرخين ومستحضرين احضرنى واعلمنى الحال وقال قضى في علك أسد الدين بخص مع رسول الله يامر به بالحضور ويهتبه انت على الاسراع فبايحه ل الامر التاخير قال ففعلت فلما فارقتا حلب على ميل منها القيناها قداما في هذا المعنى فقال له نور الدين تجهز للمسير فامتنع خوفا من غدرهم او لعدم ما ينقذه في العساكر ثانيا فاعطاه نور الدين الاموال والرجال وقال له ان تأخرت أنت عن المسير إلى مصر فالمصلحة تقتضي ان اسيرانا بنفى الباقين ان أهلنا أمرهم ملكها الفرنج ولا يبقى لنا معهم مقام بالشام وغيره فقال فالتفت إلى عني أسد الدين وقال تجهز يا يوسف قال فكأنما ضرب قلبي بسكين فقلت والله لو أعطيت ملك مصر ما سرت إليها فقلت قاسيت بالاسكندرية من المشاق ما لا انساها بدا فقال عني لنور الدين لا بد من مسيرهم في قتر مني فهاصري نور الدين وانا استقبله ثم انقضى المجلس ثم جمع اسد الدين العساكر من التركمان وغيرهم ولم يبق غير المسير فقال لي نور الدين لا بد من مسيرهم معك فسكرت اليه المضايقة وقلة الدواب وما احتاج اليه فاعطاني ما تجهز به وكأنا اساق إلى الموت وكان نور الدين مهيبا بخوفه لبيته ورجته فسيرت معه فلما استقر أمره وتوفى اعطاني الله من ملكه ما لا اكتب أوقعه قلت وحرضه أيضا حسان العرقلة بآيات من شعره من جملة قصيدة مدحه بها قال

وهل أخشى من الأنواء فضلا * اذا ما يوسف بالمال جادا

كتاب (١٥٦) الروشتين

ففي الدين لم يبرح صلاحاً * والأعداء لم يبرح فساداً
لئن أعطاه نور الدين حصناً * فإن الله يعطيه به البيلاداً
إلىكم ذا التواني في دمشق * وقد جاءكم مصر تهادى
عن وسيلها أسد هزير * يصيد المعتدين ولن يصاداً
ألا بامعشر الأجناد سبروا * وراء لوائه تلقوا رشاداً
فما بكل امرئ صلى مع النبا * من مأموماً كن صلى فراداً
فلما صار صلاح الدين إلى مصر عبر العزلة على داره فوجد هاماً غلقه فقال

عبرت على دار الصلاح وقد خلعت * من القمراً الوضاح والمنهل العذب
فوائته لولا سرعة منسل عزمه * لغرقها طغرى وأغرقها قلابي

ودار صلاح الدين هي التي وقفها رباط الصوفية بخارة قطامش جوار قيسارية القضاة والنهاب جري الماء من حمام نور
الدين رحمه الله فقضى الله ما قضى من رحيل الفرج ووقع تلك صلاح الدين على ما ساقى ولا أمير الفاضل أسامة بن
منقذ في صلاح الدين من قصيدة أولها (سلي على مصر لا ربيع بندي سلم) يقول فيها

الناصر الملك الموفق بدميته * ومن ندى كفه يغنى عن الدم
ومن إذا جرد البيض الصوارم في السهول غداً في البيض والقم
ومن حوى الملك من بعد الطاعة في استزاعه بشيا الهندية الخدم
وربطاً غيرة الأفريج يحسب ما * رجاء من ملك مصر كان في الحلم
ولن وراحتة صفر وقد ملئت * بعد الطاعة من بأس ومن ندم
يصعدون على ما فاتهم نهسا * لولا في البحر أضحى المرح كالجم
وفي السلامة لولا جهلهم ظفر * لمن أراد نزال الأسد في الاجم
وهم أسود الشرى لكن أذهشم * ملائكة اليد الأسود الغلاب كالغتم
وله من قصيدة أخرى

أفتعود الدين حين أماله * لطاغى الفرج طاغى بن سعد
وجاهدت حزب الكفر حتى رددتهم * نزايا عليهم خيبة الذل والرد
أفدت بما قدمت ملكاً مخلداً * وذكر أمدى الأيام بقرن الجند
وذكر في الاتفاق يسرى كانه * صباح له نهر الأتوة والنسد

ولابي الحسن بن النذري في من قصيدة يذكر فيها ملك الفرج مرقى

ولكم أتمت الروم أشام يارق * أنحت مياه نفوسها من قطره
وأفك البحر دروعها عن منته * ومضى وقد حكمت ظلمات الجوز
ولقيت مرقيا وطعم حياته * حيا فبسد له القتال بمز
فاعقد اليه الرأي في عذب القنا * وأحلل بها سجلاً معاً قد مكره
وأطرده من وكر الشأم فانه * قد طار منك بخافق من دعره

(فصل) في القبض على شاور وقله وصل أسد الدين القاهرة سابع ربيع الآخر واجتمع بالعا ضد خليفة
مصر فطلع عليه وأكرمه وأجريت عليه وعلى عساكره الجريبات الكثيرة والاقامات الوفرة ولم يكن شاور المنع من
ذلك رأى العساكر كثيرة بظاهر البلد ورأى هوى العاصم منهم من داخله فأنجس على اظهار ما في نفسه ففكته
وهو بما طل أسد الدين في تفرير ما كان بذل له من المال والاقطاع للعساكر وأفراد ثلث البلاد لنور الدين وهو
يركب كل يوم إلى أسد الدين ويسير معه ويعده وحينئذ وما بعدهم الشيطان الاغور ثم انه عزم على ان يعمل دعوة
لأسد الدين ومن معه من الامرأه وبقبض عليهم فنهاه به الكامل وقال له والله لئن عزمت على هذا الامر لا عزف

في اختيار (١٥٧) الدولتين

أسد الدين قتل له أبوه والله أن لم أفعل هذا لقتل جميع أقبال صدقت ولأن تقتل وتغن مسلمون والبلاد بيد المسلمين خير من أن تقتل وقد مد لك الفتح فليس ينك وبين عود الفتح إلى أن يسير بالقبض على شمر وكوه وحيث نزل موسى العاصد إلى أنزل الدين لم يرسل فارسا واحدا ولم يكون البلاد فترك ما كان عزم عليه فلما رأى العسكر النوري المطبل من شاور وافق صلاح الدين يوسف وعز الدين جرديل وغيرهما على قتل شاور وأعلموا أسد الدين بذلك فنهضهم قتلوا أناسا في البلاد شعع ما هذا على حاله فأبى ذلك واتفق أن أسد الدين سار بعض الأيام إلى زيارة قبر الشافعي رضي الله عنه وقصد شاور عسكره على عادته لا اجتماع به فلقبه صلاح الدين وعز الدين جرديل ومعهما جمع من العسكر فقدموا وأعلموا أن أسد الدين في الزيارة فقال غضى اليه فسار ومعهما فليعلم شاور وهما والقوم عن فرسه فهرب أصحابه وأخذ أسيرا ولم يكنهم قتل غير أن أسد الدين فسجنوه في خيمة وتوكلوا بجمعهم فعمل أسد الدين الحيل فقاد مسرعا ولم يكنه إلا تمام ما عزموا وأرسل العاصد الدين الله صاحب مصر في الوقت إلى أسد الدين يطلب منه سراً شاور ويحمله على قتله وتابع الرسل بذلك فقتل شاور في يومه وهو سابع عشر ربيع الآخر وحمل رأسه إلى القصر ودخل أسد الدين القاهرة فرأى من كثرة الخلق واجتماعهم ما خافه على نفسه فقال لهم أمير المؤمنين قد أمركم بنهب دار شاور فصدوها الناس ينهبونها فتمت قواعده هذا قول ابن الأثير وقال ابن شداد أقام أسد الدين بها يتردد إليه شاور في الأحياء وكان وعدهم بمال في مقابلته ما خسروه من النفقة فلم يوصل إليهم شيئا وعلقت تحت الباب الاسدي البلاد وعل أن الفتح متى وجدوا فرصة أخذوا البلاد وأن ترددهم إلى هناك في كل وقت لا يفيدون شاور ولا يعلمهم نارة وبالأفرغ أخرى ولا كما قد كانوا على البدء المشهورة عنهم وعلموا أنه لا سبيل إلى الاستيلاء على البلاد مع بقاء شاور فاجتمعوا أمرهم على قبضه أذا خرج إليهم وكانهم يترددون إلى خدمته دون أسد الدين وهو يخرج في الأحيان إلى أسد الدين فيجتمع به وكان يركب على قاعدة وزارتهم بالباطل والبوق والعلم فلم يخافس على قبضه منهم إلا السلطان نفسه يعني صلاح الدين وذلك أنه لما سار إليهم راكبا وسار إلى جانبه أخذ يتلأب به وأمر العسكر أن خذوا على أصحابه ففتروا ونهبهم العسكر وقبض شاور وأرسل إلى خيمته مفردة في الحال جاء التوقيع من المصريين على يد خادم خاص يقول لأبدن رأسه جرياً على عادتهم في وزارتهم في تقرر قاعدة من قوى منهم على صاحبه فخرت رقبته وأخذوا رأسه إليهم قال العاصد دخل أسد الدين في الرابع من شهر ربيع الآخر إلى أن خلع عليه ولقى الأحسان وتردد شاور إلى أسد الدين وتوعد وتجدد نيته من الوداد ما تأكد وأقام العسكر الضيافات الكثيرة والأطعمة الواسعة والحلوات والميرة فقال صلاح الدين هذا أمر يطول ومساءلة فرفضها يقول ومعنا هذا العسكر الثقيل وأقامته بالأقامة بقصر عبا الأمد الطويل ولا أمر لنا مع استيلاء شاور لاسيما إذا راوغ وغادر فأنفذ أسد الدين الفقيه عيسى إلى شاور يشير عليه بالاختيار وقال له أخشى عليك من عندى من الناس فلم يكره ثم قال له وركب على سبيل أناسه واسترسله فاعترضه صلاح الدين في الأمراء النورية وهواكب على عادته في هيئته الوزيرية فبقيته وشجته وقبضه وأبشبهه ووكل به في خيمته ضربها له وحاول أمهاله بغناء من القصر من يطلب رأسه ويجهل من العمر يأسه وجاء الرسول بعد الرسول وأبوا أن يرجعوا إلا بفتح السلطان فحم جامه وحل إلى القصر هامة قلت وبلغني أن الذي خزق به شاور هو عز الدين جرديل وكان صلاح الدين لما لقيه في أصحابه سار بجنبه وأراد إفراجه عن العسكر فالتبس منه المسابقة بترسيمها فأجابته ووافقه ما في ذلك جرديل وكان ذلك من أمره قد تقرر فخر كواخيلهم فلما بعدوا عن العسكر ووقعوا قبض صلاح الدين وجرديل على شاور داخل الخيمة وقد كثر جمعا شاور بغدره ومكره حتى قال عرقلة

لقد فاز بالملك العظيم خاتمة ❊ له شبر كوه العاصد وزير
كان ابن شاذي والصلاح وسيفه ❊ على لديه شبر وشبير
هو الأسد الضاري الذي جل خطبه ❊ وشاور كلب للرجال عقدور
بقي وطغى حتى لقد قال قائل ❊ على مثلهما كان العين يدور
فلارحم الرحمن تربة قبره ❊ ولا زال فيها مكر ونكسر

مكتاب (١٥٨) الروضتين

وقال أيضا

ان امير المؤمنين الذي * مصر حماه وعلى أبوه

نص علي شاور فرعونها * ونصه وساهما على شريكه

وقد وصف الفقيه الشاعر أوجزة عمارة الجني في كتاب الوزراء المصرية الذي صنفه حال شاور في وزارته الأولى ثم قال وزارة شاور الثانية فيها تركشت صفحاته وأحرقت ألقائه وأغرقت حرجاته وغضبه الدهر وعضته وأوجعه الشكل وأعضه وبان غره ومثاده وجره ومثاده ولم يحجب من الانكاد لبده ولا صفامن الاقتداء برده ومأهوا لأن تسلمها بالراحه وسلمت له الهوموم عوضا عن الراحة وفي أول ليلة دخل القاهرة ارتحل أسد الذين طالبوا بالبليس فأقام بها ثم عاد إلى القاهرة ففكر الناس يوم السجاس وأسر أخوه صبيح وأصيب على باب القنطرة بجرح كاد يموت منه وتعقب ذلك غلب القتال على القاهرة حتى دخلت من الثغرة ثم تبع هذا الجي الفرج وعمل البرج وحصار بليس ثم تلا ذلك قيام يحيى بن الخياط طالب البلاء للوزارة ثم تلا ذلك اتفاق لواته ومن ضامه من قيس وخروج أخيه نجم وابنه سليمان وجماعة من غلمانهم فخرجهم ثم خرج ابنه الكامل في بقية العسكر وفي أثناء هذه المدة قبضه على الأثر بن جلب راعب وقتله وأسرهم إلى بن فرج ثم قتله واتصل إليه الخبر من قدوم أسد الدين إلى ططير في أيام النوائب الكبير ووافق يحيى الفرج قدوم الفرج ناصر بن للدولة وتوجهوا من مصر في البر الشرقي تابعين للفرج ثم لاحقت الفرصة للفرج فعادوا إلى مصر وأسترحوا من المال ما تنقطع دونه الأمال وخيموا على ساحل المقسم وأظهر راجعهم إلى الشام ففجهر الكامل للسيرة بحجة الأفرنج حدثني القاضي الأجل الفاضل عبد الرحيم بن علي البيسان قال أنا ذكر وقد خدونا في خيمة وليس معنا أحد إنما هو شاور وابنه الكامل وأخوه نجم فغزم الكامل على النهوض مع الفرج وعزم نجم على التفرج إلى سيلم ومباروا على شاور ولكن لا أبرح فأقائل بن صفا معي حتى أموت ففخن في ذلك حتى وصل البينا الداعي ابن عبد القوي وصيغة الملك جوهري وعز وقد التزموا المال وقتل على هذا الأصل مقام الغز بالحيرة وثوبة البائين وحصار الاسكندرية وانصرف الفرج راجعين والفرج بعددهم فهاهوا إلا أن توهم شاور أن الدهر قد نام وغفا وصمغ عن عادته وعفا وإذا الأيام لا تخطب إلا الزواله وفوته ولا تريد إلا التمسالة وموته فكان من قدوم الفرج إلى بليس وقتل من فيها وأسره بهم بأسرهم ما أوجب حريق مصر ومكاتبة الأجل نور الدين بن القسيم وأتجاهه كلمة الاسلام بأسد الدين ومن معه من المسلمين الذين قتل فيهم وقد ربط الأفرنج بالطريق عليهم

أخذهم على الأفرنج كل ثنية * وقلم لا يدي الخيل مرى على مرى

لئن نصيروا في البر جسرا فأنكم * عنتم ببحر من جدد على الجسر

قلت وهذا البيتان من قصيدة ستأتي ومضى هو أسد ملك الأفرنج قال عمارة قضى قدوم الفرج رحيل الفرج عن الدار المصرية ولم يلبث شاور أن مات قتلا بعد قدوم الفرج بخمسة عشر يوما وهذه السنوات التي وزر في شاور وزارته الثانية كثيرة الوقائع والنوازل وفيها ما هو عليه أكثر مما هو له قال ولم يرب أحد رجال الدولة مثل ما رايهم الصالح بن زريك ولا أفنى أعينهم مثل ضرغام وكانت وزارته تسعة أشهر ومدة جل الجنتين ولا أنلف أمواهم مثل شاور وشاور هو الذي أطعم الفرج والأفرنج في الدولة حتى انتقلت عن أهلها وأما عادم حصار الاسكندرية أكثر من سفل الدماء بغير حق كان يأمر بضرب الرقاب بين يديه في قاعة البستان من دار الوزارة ثم تسحب القتلى إلى خارج الدار وقاله الحافظ أبو القاسم ما أخيف من شر شاور ومكره لما عرف من غدره وخبرته وأضعف الأمر في ذلك واستبان تمارض الأسد لمقتنص الثعلبان بخفاء قاصدا لعيادته جاري خدمته على عادته فوثب جرديك وبرغش مولاي نور الدين قتل شاورا وأراح العباد والبلاد من شره وما شاورا وكان ذلك بر أي صلاح الدين فانه أول من تولى القبض عليه ومتبده الكربة بالمرء إليه وصفا الأمر لأسد الدين ملك وخلع عليه الخلع وحك واستولى أصحابه على البلاد وحرقت أموره على السداد وظهر منه جيل السيرة وظهرت كلمة السنة

(فصل) في وزارة أسد الدين وذلك عقيب قتل شاور وتنفيذ رأسه إلى القصر أنفذ أسد الدين خلعة الوزارة فأبىها وسار ودخل القصر وترتب وزيراً وكتب بالملك المنصور أمير الجيوش وقصد دار الوزارة فظروا وهي التي كان

في اخبار (١٥٩) الدولتين

بهاشاور في قبله من الوزراء فلم يرفها ما يقعد عليه واستقر في الامر ولم يبق له فيه منازع ولا مناز وولي الاعمال من يثيق اليه واستبد بالولاية فاقطع البلاد العبا كراتي قدمت معه وصلاحي الدين مياشور لا لا موزما الامر والنهي مقوض اليه المكان لقائيه ودرايته وحسن تأنيبه وسياسته قال العماد وكتب لاسد الدين منشور من القصر بسيط الشرح طو يل الطي والنشر كتب العاضدي طرته بخطه ولا شك انه باملاء كتابه (١٥) له بعد له عهد لوزير بمثله وتقليد امانة ترك امير المؤمنين اهل الجله والجله عليك عند الله بما أوصحه لاي من منر اشيد ببله فقد كتاب امير المؤمنين بقوة واحجب ذيل الخبير بان اعترت خدمتك الى نبوة النبوة واتخذة لافوز سيملا ولا تمتقضوا الايمان بعد تو كيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) نسخة المنشور (من عبد الله ووليه أي محمد العاضدين الله امير المؤمنين الى السيد الاجل الملك المنصور سلطان الجيوش ولى الائمة حجير الامة اسد الدين كافل قضاء المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أي الحشائر شير كوه العاضدى عضد الله به الدين وأتمتع بطول بقائه امير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته سلام عليك فانه يجمدك الله الذي لا اله الا هو يسأله ان يصلى على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله الطاهرين والائمة المهديين وسائر تسليما) ثم ذكر باقي المنشور وهو مشتمل على كلام طويل وحش غير قليل على عادة الكتاب المتأخرين الذين تراهم بالانفاظ الكثير عن المعنى اليسير معبرين والبلاغة عكس ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم (بعثت بحوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا)

ولما استقل اسد الدين بالوزارة طلب من القصر كتاب انشا فارس له بالتقاضى الفاضل عبد الرحيم بن البيهاساني وكان ابوهم أهل بيسان الشام ثم ولى قضاء عسقلان وخرج الفاضل الى الديار المصرية فولى كاتباً بالاسكندرية على باب السدرة ثم انه اتصل بالكامل بن شاور فاستكتبه وزاحمه بكتاب القصر فقتل عليهم امره فلما طلب اسد الدين كاتباً أرسل اليه وظهر رؤساء ديوان المكاتبات ان هذا امر لا يتم وان اسد الدين سيقتل كما قتل من كان قبله فارسوا بالفاضل اليه وقالوا له يقتل معه فخلص من مزاجته لنا فكان من امره ما كان واستقر في الدولة ولم يزد في كل يوم الا تنقما بصدقه ودينه وحسن رأيه رجه الله وأنفذ العماد قصيدة طويلة ثم بثمة لاسد الدين أولها

بالحد أدركت ما أدركت لا اللعب * كرا حجة جنيت من دوحه اللعب
يا شهر كروين شاذى الملك دعوة من * نادى فعرى خبير ابن بخير أب
حرى السلوك وما حازوا بركضهم * من المدي فى العلى ما خرت الخشب
تمل من ملاك مصر رتبة قصر * عنها الملوكة فطالت سائر الرتب
ففتح مصر وأرجوان تصير بها * ميسرا فتح بيت القدس عن كتب
قد أمكنت اسد الدين الفريسة من * فتح البلاد فبادر بخوها وب
أنت الذى هو فرد من يسألته * والدين من عزمه فى تحفل الحب
فى خلق ذى الشريك من عدوى سطاك شعبا * والقلب فى شجن والنفس فى شجب
زارت بنى الاصفر البيض التى لقيت * جسر المنيا بها من فوعة الخب
وانها تقدم خلفها اسد * ارى سلامتها من العجب العجب
لقد رفعا الى الرحمن أيدينا * فى شكرنا ما به الاسلام منك حبي
شكالك بنو الاسد لادامتهم * فثبت فيهم مقام الوالد الحبيب
فى كل دار من الافرنج نادبة * بمادهاهم فقد بانوا على ندي
من شراور انتقدت العباد فك * وكتمضيت لى زب الله من أرب
هو الذى أطمع الافرنج فى بلاد * سلام حتى سعا للقصد والطلب
وان ذلك عن الله محاسب * فى الحشر من أفضل الطاعات والقرب
أذله الملك المنصور منتصرا * لمادعا الشريك همداد تغزى فى
وما غضبت الدين الله ممتثلا * الانبيل رضى الرحمن بالغضب

كتاب (١٦٠) الروضتين

وأنت من وقعت في الصكر فربيتك * وفي ذويه وقوع النار في الخبط
 وحين سرت إلى الصكر فأنهزمو * نصرت نصر رسول الله بالزعب
 يا محبي الأمة الهادي بدعونه * للرشد كل غوى منهم وعصى
 لما سمعت لوجه الله من تقيا * ثوابه ثلث عصفوا وكل من تقب
 أعدت نقمة مضر نعمة فعدت * تقول كم نكتك لله في النكب
 أركبت رأس سسمان رأس ظالمها * عدلا وكنبت لوز غير من تكب
 رد الخلافة عباسية ودع البدعي فيها بصادف شرمقلب
 لا تقطن ذنب الأفيى وترسلها * فالخزم عندى قطع الرأس كالذنب
 وقال العناد في الخريدة أنشدني الحافظ أبو القاسم لنفسه وقد أعنى الملك العادل نور الدين قدس الله روحه أهمل
 دمشق من المطالبة بالخشب فوردا الخبر باستيلاء عسكره على مصر فكتب إليه يمينه
 لما سمعت لاهل الشام بالخشب * عوضت مصر بما فيها من النشب
 وإن بذلت لفتح القدس محتسبا * للاجر جوزيت أجر غير محتسب
 والاجر في ذلك عند الله من تقب * فيما يثيب عليه خير من تقب
 والذكر بالخبر بين الناس تكسبه * خير من النضة البيضاء والذهب
 ولست تعدني ترك الجهاد وقد * أصبحت تملك من مصر الى حلب
 وصاحب الموصل الفيحاء بمثلا * لما تريد فبادر بخاة النسوب
 فاحزم الناس من قوى عزيمته * حتى يسال بها العالى من الرتب
 فالجند والجند مقر وان في قرن * والخرم في العزم والادراك بالطلب
 فطهر المسجد الأقصى وحوزته * من التجاسات والاشراك والصلب
 عساك تظهر في الدنيا بحسن ثنا * وفي القيامة تلقى خير منقلب

(فصل) في وفاة أسد الدين شيركوه وولاية ابن أخيه صلاح الدين مكانه توفي أسد الدين فجأة يوم السبت
 الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة فكانت وزارته شهرين وخمسة أيام قال ابن شداد كان أسد
 الدين كثير الأكل شديد المأظية على تناول اللحوم الغليظة تتواتر عليه النعم والخوانيق ويحومنها بعد معاناة
 شدة عظيمة فأخذته مرض شديد واعتراها خناق عظيم فقتله رحمه الله وقوض الأمر بعده إلى صلاح الدين واستقرت
 القواعد واستتب الحال على أحسن نظام وبذل الأموال وملك الرجال وهانت عنده الدنيا فلكها وشكر نعمته
 الله عليه فتابع عن الخمر وأعرض عن أسباب اللهو وتقمص بلباس الجدة والاجتهاد وما عاد عنه ولا ازداد الاجتهاد
 إلى أن توفي الله تعالى إلى رحمة الله وقد سمعت منه رحمه الله يقول لما يسر الله لي الدار المصرية علمت أنه أراد فتح
 الساحل لأنه أوقع ذلك في نفسي وحين استتب له الأمر ما زال يشن الغارات على الفرنج إلى الكرك والشوبك
 وبلاذها وغشى الناس من سخائب النعم ما لم يؤرخ عن غير تلك الأيام هذا كله وهو وزير متابع
 للقوم لكنه مؤدب السنة غارس في البلاد أهل العلم والفقه والتصوف والدين والناس يهرعون إليه من كل صوب
 ويغدون إليه من كل جانب وهو رحمه الله لا يحب قاصدا ولا يعدم وافدا ولما عرف نور الدين استعقب أرام صلاح
 الدين بمصر أخذ حصن من ثواب أسد الدين وذلك في رجب من هذه السنة وقال ابن الأثير أما كيفية ولاية صلاح
 الدين فان جماعة من الأمراء الذين كانوا بمصر طلبوا التقدّم على العساكر وولاية الوزارة منهم الأمير عرين
 الدولة الباروق قطب الدين خسرو بن تليل وهو ابن أخى أنجى الجهادي الذي كان صاحب أربل ومنهم سيف
 الدين على بن أحمد الحكاري وجده كان صاحب قلاع الحكارية ومنهم شهاب الدين محمود الحارثي وهو خال صلاح
 الدين وكل من هؤلاء قد حظوا بجمع لمعاليب عليها فأسرسل الخليفة العاضد إلى صلاح الدين فأمره بالخطور
 في قصره ليخضع عليه فخلع الوزارة وبوليه الأمر بعده وكان الذي جلى العاضد على ذلك ضعف صلاح الدين فانه ظن

انه اذا ولى صلاح الدين وليس له عسكر ولا رجال كان في ولايته يحكمه ولا يجبر على المخالفة وانه يضع على العسكر الشامي من يستقيلهم اليه فاذا صار معه البعض أخرج الباقي وتعود البلاد اليه وعند من العساكر الشامية من يجبرهم من الفرخ ونور الدين فامتنع صلاح الدين وضعف نفسه عن هذا المقام فالزم به وأخذ كارها ان الله يجب من قوم بقادون الى الجنة بسلاسل فلما حضر في القصر خلع عليه خلعة الوزارة الجبة والعمامة وغيرها ولقب بالملك الناصر وعاد الى دار أسد الدين فأقام بها ولم يلتفت اليه أحد من أولئك الامراء الذين يريدون الامر لانفسهم ولا خدمه وكان الفقيه ضياء الدين عيسى الحكاري معه فسيى هند سيف الدين علي بن أحمد حتى أماله اليه وقال له ان هذا الامر لا يصل اليك مع وجود عين الدولة والحارمي وابن تليل قال الى صلاح الدين ثم قصد شباب الدين الحارمي وقال له ان هذا صلاح الدين هو ابن اختك وما لك ذلك وقد اسستقام الامر له فلا تكن أول من يسيى في اخراجه عنه فلا يصل اليك ولم يزل به حتى أحضره أيضا عندده وحلفه له ثم عدل الى قطب الدين وقال له ان صلاح الدين قد أقطع الناس ولم يبق غيرك وغير البارقي وعلى كل حال فالجمع بينك وبين صلاح الدين ان اصله من الاكراد فلا يخرج الامر عنه الى الاثرالك وعدة وزاد في أقطاعه فأطاع صلاح الدين أيضا وعدل الى عين الدولة البارقي وكان أكرام الجماعة كثيرهم جمعوا فلم تنفعه رفاة ولا نفقه سحره وقال أنا لا أخدم يوسف أبدا وعاد الى نور الدين ومعه غيره فأنكر عليهم رفاهه وغدافات الامر ليقتضى الله أمره ان كان مفعولا وثبت قدم صلاح الدين ورسخ ملكه وهو نائب عن الملك العادل نور الدين والحطبة لنور الدين في البلاد كما هو ولا يتصرفون الا عن أمره وكان نور الدين يكتب صلاح الدين بالامير الاسفهلار ويكتب علامته في الكتب تعظيما أن يكتب اسمه ولا يفرد في كابل بل يكتب الامير الاسفهلار صلاح الدين وكافة الامراء بالامير المصرية يفعلون كذا وكذا واسم صلاح الدين قلوب الناس وبذل لهم الاموال كما كان أسد الدين قد جمعهم وطلب من العاضدين أن يفرجوه فليكنه منه فقال الناس اليه وأحبوه وقويت نفسه على القيام بهذا الامر والثبات فيه وضعف امر العاضد وكان حقة بالباطل عن حقة بالباطل وارسل صلاح الدين يطلب من نور الدين أن يرسل اليه اخوته فلم يجبه الى ذلك وقال أخاف أن يخالف أحد منهم عليك فتفسد البلاد ثم ان القريش اجتمعوا ليسير الى مصر فسير الى مصر نور الدين العساكر وفيهم اخوة صلاح الدين منهم شمس الدولة تورانشاه بن أيوب وهو أكبرهم من صلاح الدين فلما أراد أن يسير قال له ان كنت تسير الى مصر وتنتظر الى أخيك انه يوسف الذي كان يقوم في خدمتك وأنت فاعد فلا تسر فانك تفسد البلاد وأحضر كحيث وأعادك بما تسحقه وان كنت تنظر اليه انه صاحب مصر وقائم فيها مقامى وتخدمه بنفسك كما تخدمنى فسر اليه واشدد أزره وساعده على ما هو بصدده قال افعل معه من الخدمة والطاعة ما يصل اليك ان شاء الله تعالى فكان كما قال وقال العماد لما فرغ بعد ثلاثة أيام من التعزية بأسد الدين اختلعت اراؤهم واختلطت أرواؤهم وكاد الشمل لا ينظم والخلال لا يلتصق فاجتمع الامراء النورية على كلمة واحدة وأيد متساعده وعقدوا لصلاح الدين الرأي والراية وأخلصوا له الولاء والولاية وقالوا هذا قائم مقامه ونحن يحكمه وأنمو واصحاب القصر بشولمته ونادت السعادة بتبليته وشرف في ترتيب الملك وترتيبه وفرض ختم الخزانة وأيض سوسم المزانة وسلط الجود على الموجود وبسط الوفور والوفود وفرق ما جمعه أسد الدين في حياته وأثارت على المنار الى اناته آياته ورأى أولاده تحت الويتة ورأى به وأحبه وما زالت محبته غالبة على مهابته وهو يبالى في تقريتهم صكأنهم ذوق رفته ومازاده الملك رفعا وما أفاده الاتصلا في السماح وتقربا ومن أمر الملك ما كان منشورا وكتب له العاضد صاحب القصر منشورا وهو بالمال الكريم الفاني الذي هو السحر الحلال والعذب الزلال ثم أورده العماد وهو شبيه منشورا أسد الدين عوجرى القلم فيه بما خط له القلم في الازل من وصف جهاده وسبله ففي ذلك المنشور (والجهاد أنت رضيع دره ونشأه بخره وظهور الخيل ومواطنك وظلال الخيام مساكنتك وفي طلبات قساطل تخلي محاسنتك وفي أعقاب نوازله تلي مناقبك فشمع من ساقن القنا وخضف من بحر من الظبا وأحل في عقد كلمة الله وثيقات الحبا واسل الوهاديدم العدى وأرفع برشهم الرا حتى بأى الله بالغنى الذي برجو أمير المؤمنين أن يكون مذخورا لا يامك وشهودك يوم قيامك) وفي طرته بالخط العاضدي ولم يدكره العماد في كتابه وهذا عهد أمير المؤمنين اليك وحجته عند الله سبحانه عليك فأوفى بعهديك وبميتك وخذ كتاب أمير

كتاب (١٦٣) الروضتين

المؤمنين بيمينك ولمن معني بجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن أسوة ولكن تبقى من تبعته بنا أعظم ساووه تلك الدار الآخرة فجعله للذين لا يريدون عاوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين يعني من مضى أسيد الدين وبين بقي صلاح الدين ثم قال العباد وهذا آخر منشور طوبت به تلك الدولة وختمت وتبددت عقودها وأما انتظمت ووصلت كتب صلاح الدين البنا إلى الشام بما تسمى له من المرام وأن يقصده بالاستدعاء والاستبطاء ولمن تأخر عنه بالخلع والعهاء وتردّت الكتب الصلاحية بذكر الاشواق وشكوى الفراق وشرح الاستبهاش وشرح القلوب العطاش فان أعجبنا وان ملكوا والواما قاصدهم وادركوا حصلوا بين أمة لا يعرفونها بل يتكرونها ولا يألفونها ورأوا وجوها هناك بهم عابسة وأعينا الملكا كد متبقة وعن الرؤساء عساه فان أجناد مصر كانوا في الدين مخالفتين وعلى عقيدتهم معادين مخالفتين وكتب صلاح الدين إلى بعض أصدقائه كتابا أوله

أيها الغائبون عني وإن كنتم تلتقي بذكركم جسرانا
أنتي مدق قد نكح لاراكم * يعيون الضمير عندى عيانا

فسألتى المكتوب إليه ان اكتب جوابه فقلت

أيها الظاعنون عني وقلبي * معهم لا يفارق الانزعاجا
ملككم مصر مثل قلبي وفي * ذواها تيك أصبحوا سكا
فاعدلوا قيمهما فانكم البو * م ملعكم عليهم ما سلطنا
لاثر وعوا بالبحر قلب محب * أورثته روعاته الخفقانا
حيد أمعه دقطينا به العيب * فكنتا بربعه جبرانا
أذو جدنا من الحوادث أمنا * وأخذنا من الخطوب أمانا
ورتعنا من المني في رياض * وسكنا من الغاني جنانا

وبعد فان وفود الهناء وامداد الدعاء متواصلة على الولاء صادرة عن محض الولاء لا على جنابه المأنوس ومنيع
كنهه المحروس فليمنه الظفران بالملك والعدو وقرع هضاب المجد والعوا وكيف لا يكون النصر مساقا والدين هو صلاحه والتأييد مرافقه لمزمه ونجاحه وفلاحه

فالشام يعبط مصر أمذ حلت بها * كما الفرات عليه كم يحسد النبالا
تلت من الملاك عفو ما المالك به * عنوانا قديما وراموه هاتبالا
قال العباد ورثت أسد الدين بقصيدة خدمت بها نور الدين وعزيت بها أخاه نجم الدين منها
تضعف في هذا المصايب المبالغت * من الدين لولا نوره كل ثابت
فأبام نور الدين دامت منسية * لنا خلفا من كل مود وفائق
فما بالنا تبتدى التصام غفلة * وباعى لنا يا ناطق غير صامت
نؤمل في دار الفناء بقاءنا * ونرجو من الدنيا صدقة مافت
وما الناس الا كالعصون بذالدى * تقرب منها ككل عود لناحت
لقد بلغت رسول الانا يا واسعت * ولكنكم لم تحظ مناتنا صت
فله في على تلك الشائلا انها * لقد كرمت في الحسن عن نعت ناعت
وله من أخرى عزى بها أخاه نجم الدين أيوب وولده ناصر الدين محمد أبا قول

ما بعد نبوءك للعنى المبدنف * غير العويل وحسرة المتأسف
ما أجرا الحدان كيف سطا على السداسد الخوف سطا ولم يخوف
من ذار رأى الاسد الهصور فرسة * أم أبصر الصبر المنير وقد سفي
من ثابت دون الحكمة سواء ان * زلت بهم أقدامهم في الموقف
ما كان أسنى البندر لولم يستتر * بما كان أبهى الشمس لولم تكسف

في اخبار سنة ١٦٣٠ هـ الدولتين

أيام عرك لم تزل مقسومة * للهذين تعبد وتعرف
 متعبد لعبادة أو تاليا * من آية أو ناطق في مصنف
 بفتح النذى والبأس منك بحاتم * ويجيد روحا لحلم منك بالحنف
 بالملك فزيت وخرته عن قدرة * ومضيت عنه بسيرة المتعفف
 ووصفت بالأسد لدين محمد * مدحا بما لك به لم يوصف
 وقفت أنار الشريعة كلها * وقد اهتمدى من الشريعة بقتي
 أنفت من دنياك حين عرفها * فلويت وجه العارف بالمتكف
 يناصر الدين استعذ بتصبر * مدن الى مضاة رب منارف
 وتغنىم الدين عنه مهنا * أبدأ زمان ملك مصر ويوسف
 لا يستطيع سوى الدعاء فكلنا * الأبا في الوسع غير مكلف
 ولعمارة اليمن في صلاح الدين مدائح منها قوله

لك الحسب الباقي على عقب الدهر * بل الشرف الراقى الى قبة النسر
 كذا فليكن سعي الملوكة اذاسعت * بها اطمع العليا الى شرف الذكر
 نهضت باعباء الوزارة نهضة * اقلتم بها الاقدام من رلة العثر
 كسفت عن الاقليم غتمه كما * كسعت بها اوار الغنى ثلج الفقر
 من الافرنج سرب خلافة * حريتم لها شجرا الى امان من الذعر
 ولما استغاث ابن النبي بنصركم * واثرة الانصار اثنى من شهر
 جلبتم اليه النصر أوسا وخرجا * وما اشقت الانصار لامن النصر
 كاث في حبرون منها أواخر * وأولها بالليل من شاطئ مصر
 طلعت فاطمعت كواكب نصره * أضاءت وكان الدين ليل بالظفر
 وأبى اليكم يا ابن أبوب دولة * ترأسكم في كل يوم مع السفر
 حتى الله فيكم عزمة أسدية * فكلكم بها الاسلام من ريقه الاسر
 أخذتم على الافرنج كل ثنية * وقاتم لا بدى الخيل منى على مرمى
 لئن نصبوا في البر جسرا فانكم * عبرتم بهجرا من حديد على الجسر
 طريق تقارعت عليها العدى * ففزتم بها والصخر تفرع بالصخر
 وأزبحه من مصر خدوف ياره * كازمه زوم من الليل بالبحر
 وكوقفه عذراء لما افتضعتها * بسيفك لم تترك الغيرك من عذر
 وأريدكم بالبأس كاسرة العدى * ولكنها بالجر جارة الكسر
 أربك الذي أخصي ذخيرة مجدكم * وأنت له خير النفائس والذخر
 ومن كنت مع وفاله فاستفزه * بمثلك تبه وفي أوسع العذر
 فكيف أبأصبحت نار زاده الـ * كنوز البدر من سنة البدر
 توفقه وسط النذى كرامة * ومجمل عنه ما يؤود من الوقر
 وتخلفه حرا وسما خلافة * تؤلف أضدادا من الماء والجر
 وكفت في بأس وجود ورتبة * بما مره في الخطب والدست والشر
 ولو انطق الله الجادات لم تقم * لنتكم بالمستحق من الشكر
 بدلا يقوم المسلمون بشكها * لكم آل أبوب الى آخر الدهر
 بكم أمن الرحمن أعظم يثرب * وأمن أركان الثنية والجر

كتاب (١٦٤) الروضتين

ولوزيحت مصر الى الكفر لانطوى بساط الهدى من ساحة البر والبحر
ولكن شددتم أزره بوزارة * غدا لفظها يشتق من شدة الازر
فهنيتم فحنا تقدم حمله * وبشر أن الكل يتلو على الأشر
وما بقيت في الشرك الا بقية * وتمتها في ذمة البيض والسحر
وعند تمام الملك أتى مهنتا * ولمتسأل الكهانة والزهر
ولولا اعتقادى ان مدحك قرية * أرجى به نيل المشوبة والاجر
لما قلت شعرا بعد اعفاء خاطرى * ولتسنوات منذ ثبتت عن الشعر
فاوص بى الايام خيرا فانها * مصرقة بالنهى منك وبالاصر
وجائزنى تسهيل اذنى عليكم * وملقا كلى بالطلاقة والبشر
وقال ايضا من قصيدة

يا شبيه الصديق عدلا وحسنا * وشيئا حكاه معنى ومعنى
هذه مصر يوسف حل فيها * يوسف ما لك وما حل بمجنا
أنت حرمت ان يثلك فيها * بسوى الله وحده أو يثنى
انما الملك والوزارة جسم * أنت روح فيه وفى اللفظ معنا

وقال ايضا من قصيدة

ملك صلاح الدين لا قوضت * أظنا به ملك البقا والصلاح
سيرة عدل حسنت عندنا * ما كان من وجهه للمالى القباح
سافر فى الدنيا واقطارها * ذكر غدا عنه جملا وراح
قل لابن أيوب وكم ناصح * أنفع من هو شاكى السراح
حارب على مثل نجوم السماء * فذلك مصر ما عليه اصطلاح
قولنا لمن فى عزمه فسترة * ارجع الى الجند وشمل المزارح
فالقدس قد أذن اغسلاته * على يدى يوسف بالانقاسح

وقال ايضا من قصيدة

ونبت بمصر عن سمى لك يوسف * كتاب عن سكب الحياة واكف سكب
حذوت على سحلى نداه وهديه * وان كنت لا سمحس حواك ولا جب
ورافقه فى الصبح عن ككل مذنب * فما منك تثرى بان عظام الخنطب

وللكيم عبد المتعم الجلبانى من قصيدة طويلة

أبو المظفر مأوى كل مضطهد * بحكمه ونداء يضرب المثل
مهمل جائر عاثى عنه * فعند عدل صلاح الدين يعتدل
احياه الله مصر افعى ناشرة * وافكها من عقد ما به قبل
كم للفرح ما وردا ومتحفا * ونارهم جوهنا كدو وتشتعل
فأطفا الناصر المنصور جدوهم * وادبر وابقوب شمه هاوجل
ملك تقلد سلاك الملك منتظما * وقال للمال هذا منك لى بدل
ففرق المال جمعا لاقبوابه * وحسبه فيهم ادراكا ساقوا
ان الملوك الذين امتدأ أمرهم * لم يمتزوا المال بل مهاجروا باندلو
كذا السياسة قال حنادلو عمارا * بخل الملك وجاءت شدة حنادر

وهذا الذى ذكرناه من قصة شاور وما جرى بسببه فى الديار المصرية الى ان تمت وزارة صلاح الدين

(فصل)

في اخبار (١٦٥) الدولتين.

قد وجدته مبسوطا مشتملا على زيادات وفوائد في كتاب يحيى بن أبي طى الحلبى في السيرة الصلاحية فأحببت ذكره مختصرا ذكر ان الملك الصالح طلائع بن رزك وزير الملك المصطفى لما قتل في رمضان سنة ست وخمسين بتدبير عسة العاصد عليه أوصى عند موته ابنه رزك بشاور وقال له لا تزلزله من ولايته فإنه أسلمك ويقال انه أنشد أبياتا منها فإذا تبدد شمل عقدك * لا تأمن من شاور السعدى

وكان شاور متولى قوص والصعيد الأعلى فلما دخن الصالح استوزر ابنه رزك ولقب بالعادل ولما استقرت أحواله أرسل إلى عسة العاصد فحفظا واجتمع إلى رزك أولاد عمتيه ومن جعلتهم عز الدين حسام وأشاروا عليه بعزل شاور فامتنع ثم أحووا عليه فأجاب وبلغ شاور بأخباره بالعصيان وجمع العربان وأهل الصعيد دوزخا إلى القاهرة وخرج إليه جماعة من أمرائها كانوا كاتبوه فخرج رزك نصف الليل فاضطر إلى طرقيع وشمير ووت عرب قبضة وأهله وجعل إلى شاور وقد دخل القاهرة وتسللها وأخرجت إليه خلع الوزارة وتم أمره ولما حصل رزك عند شاور أكرمه ووصل الذي أتى به ونادى عليه هذا جزء من لا يرعى الجليل وكان الصالح إليه إحسان وتفوق آل رزك في البلاد فحبا حسام الذي كان سبب هلاكه بنى رزك بأموال وصار إلى جهاد فأقام بها واشتد على القرى ولم يزل بها إلى أن مات وكان في خروجه أودع عند الفرسيه عشرين ألف دينار فوفاه وردها عليه ثم أراد ثقي الدين أخذها منه فقال من العجب ان القرقي يبنى لى بردها وتأخذها أنت منى فكشف عنه قال وتكن شاور وكان له ثلاثة أولاد طي والكامل وسليمان فتسلطوا على الناس وتعاطوا فاجتهدوا النفس وكان ملهم وأخوه مصر غام من صناعم الصالح بن رزك فلما شاهدوا ميل الناس عن شاور بسبب أولاده أخذوا في مراسلة رزك بن الصالح وهو في السجن والجمل له في عاداته إلى الوزارة واتصل ذلك بطي بن شاور فدخل على أبيه وقال له أنت غافل وملهم وضرب غام بفسدان أمرك وقد شرع في أمر رزك واستخلفه جماعة من الأمراء ولا يمكن تلافى حاله الا بقتل رزك فقتل له شاوران الصالح أولاد جيمل وبسببه حالت هذا المحل فترك ولده طي ودخل على رزك فقتله في بيته وسمع شاور ذلك فقامت قيامته ونفى الخبر إلى مصر غام وأخيه ملهم فثاروا وأمران من استخلفه من الأمراء وزحفوا بالعساكر إلى شاور فقامت زم خرج من باب القاهرة وهرب إلى الشام وأدركه ضرب غام ولده طي واسلموا فقتلوا وأمر الكامل فأخذهم ملهم واعتقله عنده وأراد ضرب غام قتله فخنعه منه ملهم وحفظ له جيمل كان قد فعله معه واستقر أمر ضرب غام في الوزارة فخلع عليه ولقب بالملك المنصور ولما استقر به الأمر بلغه ان جماعة من الأمراء حسدوه واستصغروا وكتبوا شاورا وكان صار إلى الشام فأخذ في إعمال الحيلة عليهم واحضروهم إلى دار الوزارة فقتلهم جميعا ولم يتعرض لأموالهم ولا لمنازلهم وقيل انه قتل منهم سبعين أميرا ويقال انه جعلهم في نوايب وكتب على كل تابوت اسم صاحبها فكان ذلك أكبر الأسباب في هلاكه وخرج دولة المصيرين عن يد أصحابها لأنه أضعف عسكر مصر بقتل الأمراء وأما شاور فانه لما خرج من القاهرة فسار على وجهه حتى وصل إلى دمشق بعثا بحقيقة قتل ولديه ولما وصل إلى بصرى اتصل خبره بنور الدين فذهب جماعة إلى تلقيه وانزله في جوسق الميدان الأخضر واحسن ضيافته وأكرمه ثم بعد سبعة أيام من مقدمه احضر نور الدين ابن الصوفي وجماعة من وجوه الدمشقيين وقال لهم اخرجوا إلى هذا الطريق وسلموا عليه وعرفوه اعدا زنا في التقصير في حقته وسأوه فيما قدم وما جعله فان كان ورد علينا فاحتاروا الا فاقموا فردنا له من جهات ما يكفيه ويقوم بأريه وأوده وتكون عون له على زمانه وان كان وردنا ذلك فيقتض عن حاجته فنخرج الجماعة إليه بالرسالة فذكر احسان نور الدين وسكت عمارا وذلك فسأله القوم الجواب فقال اذالم يبيت الرأى جافطير افعاد القوم إلى نور الدين وعرفوه ما دار بينهم وبينه فأمرهم بالعمد اليه من غد ذلك اليوم ففعلوا وطلبوا الجواب فمكت ايضا واطال ثم قال ان رأى نور الدين اطل الله بقائه الاجتماع في قعر فوفوا نور الدين بقلاته فأجاب نور الدين ان يكون الاجتماع على ظهر بابيდან الاخضر وركب نور الدين من الغدنى وجوه دولته وخواص مملكته في أحسن زى وكل شاره فلما دخل الميدان ركب شاور من الجوسق والتقى في وسط الميدان بالحقبة فقط ولم يتجمل أحد منهم المصاحبه ثم سار من موضع اجتماعهم ما ووصف الميدان إلى آخره ثم انهضهم عنك وعاد نور الدين إلى قلعة دمشق وأخذ من وقته ذلك في جمع العساكر وأما ضرب غام فانه حين استقر به

مكتاب (١٦٦) الروضة

الامراء انشأ كتاباً إلى نور الدين على يد علم الملك بن النحاس يظهر فيه الطاعة ويعرض بخذلان شاور فأظهر نور الدين
 له علم الملك القبول في الظاهر ووقع شاور في الباطن وأجاب عن الكتاب وانفصل علم الملك عن دمشق فلما كان
 بظاهر الزكر أخذته فليب بن الرقيقى الفرجى وحصل على جميع ما كان معه وانهمز علم الملك بنفسه وتوجه إلى
 الساحل وسار إلى مصر وفي هذه الأيام أنفذ نور الدين واستحضر أسد الدين شيركوه من إقطاعه من الرحبة وكان نور
 الدين قد تبن بأسد الدين وتبرك به من ثقيلته لأنه لم ير له في أمر الإنجس ولم يولي به في مضيق الانفتح ولما حضر أسد
 الدين إلى دمشق خلا به نور الدين وتحدث معه بأشياء في أمر مصر وأمره بالاستعداد وكان نور الدين قد أراح علة
 العسكر الذى ين تدبيرة إلى مصر فخرج من بومه وكان شاور قد أطلع نور الدين في أموال مصر ورغبه في ملكها وأنه
 إذا ملكها كان من قبله فيها وبالبلغ شاور استجاب أمر العسكر سأل عن المقدم عليه فقيل له أسد الدين شيركوه فلم
 يطلب له ذلك لأنه ظن أن التقدم تكون له فلما زوهم بهذا التقدوسق في بدو وقت في عضده ولم يجد بدا من المسير فخرج
 واجتمع بأسد الدين وسار جميعه حتى وصالوا أطراف البلاد المصرية ونزلوا على تل في الخوف قرب من بليس يعرف
 بتل بسطة وضربوا خيامهم هناك واما أفضل بضرغام خبر ورد شاور وأسد الدين بالعساكر الشامية جمع أمرهم
 واستشارهم فأشار شمس الخلافة محمد بن مختار بأن يجمع العساكر وتخرج جريدة وتلقى العساكر الشامية بصددهم
 على يومين من القاهرة فانهم لا يثبتون لكونهم خرجوا من البرية ضعفاء وكان قلة الماء عليهم لان الماء إلى مصر
 يحمل الماء من الية مسيرة ثلاثة أيام فبروا ذلك واختاروا أن يلقوهم على بليس فأمر بضرغام الأمر بالخرج
 فخرجوا في أحسن زى وأكل عتده والمقدم عليهم ناصر الدين ملهم وأخو بضرغام وجاؤا حتى احاطوا بالتل الذى كان
 أسد الدين نازل عليه واما عن أسد الدين كثرة العساكر وانهم قد ملكوا عليهم الجهات وسدوا منافذا الطرق
 قال لشاور يا هذا القدر هتنا وغرتنا وقلت انه ليس بمصر عساكر هتنا في هذه الشريعة فقال له شاور لا يملك
 ما تشاء من كثرة الجوع فأكثرها الحسكة والقلاحون الذين يجمعهم الطبل وتفرقهم العصا ما ظنك بهم إذا حى
 الوطيس وكلبت الحرب وأما الأمر افان كتهم عندي وعهودهم هي وسد ترى ذلك اذ كذبناهم ثم قال أريد ان
 تأمر العساكر بالاستعداد والاركو ب ففعل ونهاهم شاور عن القتال ووقف الفريقان مصطفين من غير حرب إلى
 ان حى النهار والتهب الحديد على أجساد الرجال فضرب أكثر أهل مصر الحميم الصغار ونخله والسلاح ونزلوا عن
 الخيل وجلسوا في الظل فأمر شاور الناس بالجلسة فكان أسد أهل مصر من ركب فرسه وأطلق عنائه وولى مهزما
 وتركوا خيمهم وأهملهم ليس بها حافظ فاحتوى عليها أصحاب أسد الدين وأسرى شمس الخلافة وجماعة من أمراء
 مصر بين ولم يمكن شاور من تقيدهم والاحتياط عليهم فخرجوا وأساق أسد الدين وشاور في أثر الناس
 ونزلوا على القاهرة وقا تلوها يأما وراسل شاور العاضد في اصلاح الحال وان يأذن له في الدخول إلى القاهرة فاذن له
 وكان بضرغام صار إلى تحت القصر وقال أريد أمير المؤمنين يكلمنى لاسأله عما فعل فلم يجبه أحد فذهب على وجهه
 من غير ما خرج من باب وزيله العامة تلغته وتصبح عليه فالحقه رجل من اهل الشام ليقته فقال له بضرغام اوصلى إلى
 أسد الدين ولك منالك فلم يقبل منه وجل عليه فطاعنه فأرداه ونزل اليه واحتز رأسه وجهه إلى أسد الدين وأعلمه ما جرى
 بينهما فذهب على أسد الدين وأوجهه بضرغام وأراد قتله فشققه فيه شاور ودخل شاور القاهرة وقتل مله ما خاضر غام
 عند بركة الفيل ونجح ابنه الكامل من دار ملهم وكان معتقلا فيها ونحى معه للقاضى الفاضل وكان إضام معتقلا فيها
 معه واستقام أمر شاور في الوزارة وأقام أسد الدين على المقسم ينتظر أمر شاور فيما مضى لنور الدين وارسل اليه ويقول
 له قد طال مقامنا في الخيم وقد خسر العسكر من الحر والغيار فارسل اليه شاور ثلاث الف دينار وقال ترحل الآن
 في امن الله وفي عتته فلما سمع أسد الدين ذلك ارسل اليه ان نور الدين اوصانى عند انفصالي عنه اذ ملك شاور
 تكون مقيما عنده ويكون لك ثلث مغل البلاد والثلث الثانى لشاور والعسكر والثلث الاخر لصاحب القصر بصره
 في مصالحه فقال شاور انا ما قرت شئنا معك تقول انا طلبت تحدة من نور الدين فاذا انقضى شغلى عادوا إلى الشام وقد
 سرت اليك نفقة خذوها وانصرفوا انا انفصل مع نور الدين فقال أسد الدين انا لا يمكنى مخالفة نور الدين ولا اقدر على
 الانصراف إلا بأعضاء امره فأمر شاور باغلاق باب القاهرة وأخذ في الاستعداد للبعث واستعد أسد الدين أيضا

في اخبار (١٦٧) بالدولتين

وسير صلاح الدين في قطعة من الجيش الى بلبيس لجمع الغلال والانبان والاحتياط وما تدعو الحاجة اليه ويكون جميع ذلك في بلبيس ذخيرة واخذ في قتال القاهرة وكتب شاور ملك الفرنج مرسى يستعجده ويقول له ان شركه قد طلع معي تجده على ضرب عام فلما حصروا في البلاد طبعوا فيها مئتي ملكوها مضافة الى بلاد الشام لم يكن لهم عيش ولا قرار وضعن له في كل مر حلة برحله الى ديار مصر الف دينار وقرشاً للضميم واربعم وشياً للاسبتراريته فخرج مرسى من عسقلان في جموعه الى فاوس في سبع وعشرين مر حلة وقبض عن اسبحة وعشرين الف ديناراً لمحقق اسد الدين قرب الفرنج من القاهرة فاجفل عن ان يلبس وانصف اليه من اهل الكنائس وخرج شاور في عساكر مصر واجتمع بالفرنج وجاء حتى خيم على بلبيس واحاط بها محاصر الاسد الدين بما اكر الحارب ورواها واما ما على ذلك مدة ثمانية اشهر وانقطعت اخبار مصر ومن بها عن نور الدين وكان اتصل بنور الدين وهو بدمشق خبره سير الفرنج الى ديار مصر وغدر شاور فكانت الاطراف بقدم العساكر قدم عليه عساكر الشرق جميعها واجتمعوا بارض حلب فقتل بهم محمد الدين بن الدايه وكان نائب نور الدين بحلب الى جهة حارم ونزل على ارتاح وخرج نور الدين من دمشق وسن الفار على الساحل وقتل واسرع اعطاهم قسده جهة حلب وجعل طريقه حصن الاكرام فلما حصل بارضه سن الفار فيها وغنم غنمة عظيمة ونزل في مرجه فخرج اليه الفرنج الاخوة من حصن الاكرام وجعلوا عسكر وقتلوا جماعة من الاسبان وكان عسكر نور الدين غافلاً فتماسك الناس وساروا على وجوههم وسار نور الدين الى ان اجتمع عساكره على ارتاح وكان اخوه نصر الدين مع الفرنج فلما عين اعلام نور الدين لم يتماسك ان جل جميعه ليصحبه فاصدا انما نور الدين فلما قرب منه نزل وقبل الارض بين يديه فلم يلتفت اليه فم على وجهه واصطفت الناس للرب فحملت الفرنج فكمسرت المنسرة ثم عادت فوجدت راجلها جميعه قد قتل واخذت قدا طبع عليهم فتنزاعوا عن الجبل واقتروا اسلحتهم واخذوا بالامان فاخذوا جميعها فبضابا لا يدى وساروا الى حارم ففتحها وارادوا النزول على انطاكية فم يمكن لشغل قلبه من مصر من الاسبان فم تحرف قاصدا لدمشق ونزل على بانياس ففتحها واغار على بلدطبرية فجمع اعلام الفرنج وشعاهم وجعلها في محبة وسلمها الى نجاب وقال له اريد ان تمل الحيلة في الدخول الى بلبيس وتخير اسد الدين بما فتح الله على الاسبان وتعهده هذه الاعلام والشعاف وتاخره بنشرها على اسوار بلبيس فان ذلك مهابت في اعضاء الكفار ويدخل الوهن عليهم فتعل ذلك فلما رأى الفرنج الاعلام والشعاف قلقوا لذلك وشافوا على بلادهم وسألو شاور الاذن والانفصال فانزعج شاور لذلك وخاف من عاقبة الامر وسألهم للتمهل اياماً وجمع امره فليشورة فاشاروا عليه بمصالحه اسد الدين وتكفل له اتعام الصلح الامر شمس الخلافة فاتفقه اليه فتم الصلح على يديه على ان يجعل شاور الى اسد الدين ثلاثين ألف ديناراً اخرى وحكى ان شاور ارسل الى اسد الدين وعو بمحضور بلبيس يقول له اعلم انني اقبلت عليك ولم امكن الفرنج منك لانهم كانوا قادرين عليك وانما فعلت ذلك لاسر من احدى هاتي ما اختار ان اكرس جاهد الاسبان واقرى الفرنج عليهم والثاني اني خفت ان الفرنج اذا فتحوا بلبيس طمعوا فيها وقالوا هذه لنا لانفتحناها باسمهم وقتلوا من يوم كان بعضي الاوانا نأخذ الى كبار الفرنج الجيلة من المال وأسألهم ان يكسر واهمة الملك عن الزحف قال واقام اسد الدين بنظر بانيس ثلاثة ايام ورحلت الفرنج الى جهة الساحل وسار اسد الدين قاصدا الشام وجعل مسيره على البرية واتفق ان البرنس ارنط صاحب الكرك والشوبك تأول لبيسته التي خلفها لاسد الدين وقال اننا خلفت اني ما لحق اسد الدين ولا عسكره في البر وأنا اريد ان الحق في البحر وصار في يوم واحد الى عسقلان وخرج منهم الى الكرك والشوبك وجمع عسكره بالمقيم هناك وقدمه تقبلاً ورجع اسد الدين من البرية ليوقعه وعلم اسد الدين بمسكيد ارنط بالحدس والتخمين فسلك طريقاً من خلف المكان الذي كان فيه ارنط شق الى القور وخرج من البلقاء وسلم الله تعالى منه ودخل دمشق فاجتمع بنو رالدين وأخبره بالاحوال واعلمه بضعف ديار مصر ورغبه فيها وشوقه الى ملكها فوقع بفرانورالدين وأمره بتجهيد الاجناد واستعداد الرجال وأما شاور فانه بعد رحيل اسد الدين والفرنج الى بلادهم عاد الى القاهرة ولم يكن له هبة الاتتبع من علم ان بيته وبين اسد الدين معرفة او محبة كان استفسد جماعة من عسكر اسد الدين منهم خشتين الكركى واقطعه شلنوف وقتل شاور وجماعة من اهل مصر وشرد آخرين ثم توجه اسد الدين في ربيع الاول سنة اربعين وستين قاصدا لبلاد مصرية وكتب اخباره فدارع

شاورا الاور وكتب مري ملك الفرنج يعرفه فيه ان أسد الدين قد فصل عن دمشق بعساكره فأصدا دار مصر
 فطلب شاور منه إعادة الخجدة وأقر من المال يصل اليه على ما كان يصل اليه في العام الماضي فسار مري
 في عساكر الفرنج إلى مصر على جانب البحر وكان أسد الدين سائرا في البر فسبقه الفرنج ونزلوا على ظاهر بلبيس
 وخرج شاور بعساكر مصر واجتمع بالملك وقعدوا جميعا في انتظار أسد الدين وعلم أسد الدين باجتماع الفرنج بشاور
 على بلبيس فترك عن طريقهم وأمر الجبل وخرج على اطفح وهي في الجنوب من مصر وشن الغارة هناك وأصل
 بشاور خبره فسار في عساكره والفرنج في محبته بقة وأثره وأصل بأسد الدين ذلك فاندفع بين أيديهم حتى بلغ شرونة
 من صعيد مصر وتحيل في مراكبهم وعدى إلى البر القرفي ولما استكمل تعديته أدركه شاور وبعض ساقته ومنقطعي
 عسكريته فوقع بهم وأحضر شاور أيضا مراكب وقطع النيل في أن أسد الدين يجمع جيوشه وحيوش الفرنج وسار
 أسد الدين إلى الجزيرة ونحيم بهامقدار خمسين يوما واستمال قوما يقال لهم الاشراف الخعقر بين والطاحمين والقرشمين
 فأنفذ أسد الدين إلى شاور يقول له أنا أحلف لك بالله الذي لا اله الا هو بكل يمين يثق بها المسلم من أخيه اني لا أقم
 ببلاد مصر ولا أعاد اليها أبدا ولا أمكن أحد من التفرغ اليها ومن عارضك فيها كنت معك إلبا عليه وما أقول
 منك الا نصر الاسلام فقط وهوان العدو قد حصل بهذه البلاد والخجدة عنه بعيدة وخلاصه عسر وأريد منك ان
 تجتمع أنا وأنت عليه وتتفرغ فيه الفرصة التي قد أمكنت والغنية التي قد كتبت فاستأصل شافته وتخذ ثأره وما
 أظن انه يهوي يتفق للاسلام مثل هذه الغنية أبدا فلما صار الرسول إلى شاور وأدى الرسالة أمر به قتل وقال ماهؤلاء
 الفرنج هؤلاء الفرنج ثم أسل الفرنج بما أرسل اليه به أسد الدين وأعلمهم بما أبايه وجذبهم إجماعة فاجتمعوا بالبحر فبلغ ذلك
 أسد الدين فأكلمه بده أسفا على مخالفة شاور له في هذا الرأي وقال لعنه الله لو أطاعني لم يبق بالشام أحد من هؤلاء
 الفرنج ونزل شاور في اللوق والمقسم وأمر بعزل الجسر بين الجزيرة والجزيرة وأمر بالمرابك فشتحت بالرجال وأمرهم
 ان يخوضوا خلف عسكر أسد الدين ولما رأى أسد الدين ذلك كتب إلى أهل الاسكندرية يستعجدهم على شاور
 لاجل ادخاله الفرنج إلى دار الاسلام وتضييعه أموال بيت مال المسلمين فيهم فقاسموا معه وأمر وأعلمهم بنجم الدين
 ابن مهسال وهو ابن أحد وزراء مصر بين وكان لجأ إلى الاسكندرية مستخفا فبما ظفر في هذه الغفلة
 حدثني الشريفة الادريسي بن زيل حلب قال كنت بالاسكندرية يومئذ فكتبته مني ابن مهسال كتابا إلى أسد الدين
 وقال لي قل له اني أخبرك ان السلاح وأصل وكان أنفذ لاسد الدين خزائنه من السلاح قال فسمعتهم يومين وحضرت
 بين يدي أسد الدين وأعطيتهم الكتب وشافهم به رسالة ابن مهسال في معنى السلاح والالات ثم وصلت الخزانة بعد
 يومين مع ابن أخت الفقيه ابن عوف قال وبقينا على الجزيرة يومين فوصل المنار وول ابن مدافع يضر أسد الدين بقرب
 شاور منه ويأمره بالهجرة فترك أسد الدين الخيام والمخاض وما يشغل حمله وسار سراحيته حتى قارب دجلة فأمر أسد
 الدين بنهبها فهبت ونزل الناس لتعشية الدواب فلم تستم عليه حتى أمر أسد الدين بالرحيل وأوقدت المشاعل ليلا
 وسرنا فاذا الجاوش ينادي في الناس بالرجوع وعاد أسد الدين إلى دجلة فنزل عليها ونزل شاور على الأشوعين وأمر
 أسد الدين الناس ان يبقوا على تعبته فاصبحوا على ذلك والنقاة وقتل من أصحاب أسد الدين جماعة كثيرة وانهمزوا
 وكان أسد الدين قد فرق أصحابه فبقين فرقا معوقا يقاوجه مع صلاح الدين وأخذ ملثاق من خلف عسكر شاور
 فدخل الضعف من هذا الطريق ثم ان أصحاب أسد الدين تجمعوا واتفقوا على ان لا يخرجوا عن الاصل فبقوا
 على الموت وجسوا وطلع صلاح الدين من وراءهم فلم يزل الحرب قائمة إلى الليل فوالت عساكر الا فرنج والمصريين
 الادبار وكاد مري ملك الا فرنج يئوس وصار شاور ومن سلم معه إلى منية ابن خصيب وسار أسد الدين على القيو داني
 الاسكندرية فدخلها ونزل في قصر وجعل فيه محبس للفرنج الذين أسرهم وكان فيها ابن الزبير متوليا ديانا فدخل
 إلى أسد الدين الاموال وقواه بالسلاح وخاف أسد الدين ان يقصده شاور والفرنج فحصره وفر بما تآذى بالحصار فأمر
 صلاح الدين بالتمسك بالاسكندرية وترك عنده جماعة من العسكر ومن بهم من أوجاح أضعف واستخلفه
 وجوه الاسكندرية وأوصاهم به وحصل في أقوياء عسكره فاصدا إلى الصعيد ونزل الفرنج وشاور على الاسكندرية
 وحاصروا مدة ثلاثة أشهر بإشد القتال وبذل أهلها في نصره الملك الناصر أموالهم وأنفسهم وقتل منهم جماعة عظيمة ولما

في اخبار (١٦٩) الدولتين

صار أسد الدين بالصعيد حصل من تلك البلاد أموالا عظيمة ولم يزل هناك حتى صام شهر رمضان وأصل به اشتداد الامر على الاسكندرية فرحل من قوص الى جهتها واتبعه جماعة كثيرة من العربان وأهل تلك البلاد وبلغ ذلك شاورا فرحل هو والفرنج واضطروا الى الصلح ونصحت الفرنج أيضا فوسط ملك الفرنج في ذلك فقرر رأي الصلح على ان شاورا يجل الى أسد الدين جميع ما غرمه في هذه السفارة ثم يعطى الفرنج ثلثين ألف دينار ويؤد كل منهم الى بلاده وطلب صلاح الدين من ملك الفرنج مرا كبا يجل فيها الضعفاء من أصحابه فانقله عدة مرا كبا قال الادر بى كنت في جولة من خرج في المرا كبا فلما وصلنا الى مينا عكا أخذنا واعتقلنا في معصرة القصب الى أن وصل الملك مرمى فأطلقنا فخر جنا الى دمشق وخرج صلاح الدين من الاسكندرية بعد ان استخلف شاورا لاهلها بان لا يتعرض لهم بسوء واجتمع بهم أسد الدين ثم أنفذ شاورا روقبض على ابن مصال وجماعة من أعان صلاح الدين وضيق عليهم وتبيع اهل الاسكندرية واتصل ذلك بصلاح الدين فاجتمع ملك الفرنج وقال له ان شاورا نقض الالمان قال وكيف ذلك قال لانه قبض على من جلبنا اليه فاستأقنا قال له ان الالمان جرت على أن لا يتعرض لاحد من اهل مصر ولا الاسكندرية وان يسيروا في أي شيء لا يتعرض لاحد من جلبنا الى اسد الدين أو صلاح الدين ولما شاهد من التجا الى الاسد وصلاح فساد تلك الاحوال خاف من شاورا فأتى الرحيل الى الشام واتصل بذلك شاورا فخرج بنفسه وجمع جميع من عزم على الرحلة الى الشام وحلف لهم على الاحسان اليهم وحماية أنفسهم وأموالهم فثم من سكن الى ايمانته وثم من لم يسكن ورحل والهم الله تعالى أسد الدين ان الفرنج بما خطبهم في مصر فخطبهم فقامت فراسل الملك مرمى وقال له فسد اهل مصر بين الملك أن لا يدخل اليهم ولا يتعرض لهم فاستمع الملك ثم أجاب خوفا أن يتحقق أسد الدين وشاورا نه بما قصدت بار مصر فربما اجتماع عليه فليجيد به من العين خلف وحلف أصحابه وخرج أسد الدين من مصر وفي قلبه الداء الدوى منها لانه شاهد ما وشاهد ما لم يشاهد فوجد ما لم يفرح فأتى شاورا نور الدين في تميم من أمر مصر عليه وأقطعهم حصص وأعمالا وحديثي إلى رحمة الله قال حدثني غير واحد ان شاورا كاتب نور الدين في ذلك وضعي له أن يعمل في كل سنة عن ديار مصر ما لمصانعة والمال بلغ شاورا نور الدين صرف هذه أسد الدين عن ذكر مصر والتعرض لما أنفذ رسولاهم بديه سنوية وأصحابه كتابا حسنا أوله (ورد كتاب استدعي شكرى وحدي واستخلص من الصفا بما عندى واستقر غنى النساء على مرسله جهدى فكلما استلبت معانيه مما عندى واشتلت على حقائق قصدى وسررت للإسلام وأهله والدين الذى وعد الله أن يظهر على الدين كله بأن يكون مثله ملكا من ما ذكره مرجع اليه في عقده ووجهه وتشيرا لاصابعه وتعدد المختار على عماره والله يريد به عكسه انه تميم واقوة يحقق على يديه تحاليل النصر المرجوه فأصدر أسد الدين نصرته الكلمة ودنا الى سبيل الفتنة المسيلة ووفر على مصالح الامة تاو بربنا ياها المنقصة وأنتم من هذا الامر ما حذر منى وابق منه على ما نقل عنى لا أنتفع من المصلحة فيه ولا أعدل عما أظهره من ما أنفقه ولا استكثر كبير أصل اليه وأوصل به ما سبق لذلك العادل من حقوق استوجب شكرها قولا وفعلا ونصرة كانت في هجير الخطوب بردا وظلا وأنتم لا تزال آياتها بالنسب الجديتى وتلى ولعمري لقد علا بناؤها فخرا وارتنع على الاملا قد راود كرا ووجب أن يستقم افاضل يصل الى موارد الكدر ويجو طها فلا تطرق الى جوانبها الغير ووراء هذه المكائبة من اشتقائى ما لا يعوقه عائق الا انتظام القد على الامور المأوفة وبتمام التوثيق بالبين المنصوصة الموصوفة مع ان قوله كمينه وكابته كمينه يمينه والثقة به واقعة على كل حال والنجبة له توجب الاحتراس على الوداد من تطرق اسباب الاختلال

قال وفي سنة اربع وثمانين طمع مرمى ملك الفرنج في مصر وعول على الدخول اليها ولا يستلعل عليها وذلك انكشف له من عوارها وظهر له من ضعف من بقي فيها فجمع اليه مارك الفرنج وكبراء الدولة والاستبائية وشاورا فحرت بينهم في ذلك فخطوب ثم أجابوه الى الخروج معه الى الديار المصرية فاقضروا به وأمر بما قطع ولاد مصر لخياته وقرأها على أحناده وكان لعنه الله ما دخل ديار مصر قد أقام من أصحابه من كتب له أسماء قرى مصر جميعها وتعرفه له خبر ارتفاعها ثم سار حتى نزل الدارم فقامت قيامة شاورا بالباغة الخبير وانتخب أمير من أمرائه يقال له بدران وسيره الى لقنا مرمى يسأله عن السبب في قصده فاجتمع به رسأله فتلكا عليه ثم أسلان جانبهم وضمن له رضىة على ان

كتاب (١٧٠) الروضتين

يوردى عنهم ولا يكشف أسرارهم ويقال إن الملك أقطعته ثلاث عشرة قرية على أن يقيم على مصر بين الحيلة ويعلم شاور أنه إنما قصد مصر للخدمة ففعل ذلك بدران ولما سمع ذلك شاور أشفق منه وأحضر الأمر شمس الخلافة محمد بن مختار وقال له كأن بدران قد غشى ولم ينجحني وأنا فأتيتك فأريد تخريج وتنكسفى لي حال الفرع ففسر شمس الخلافة إلى مرمى وكان بينهم مؤالفة فلما دخل على الملك قال له مرمى شمس الخلافة فقال له مرحبا بالملك العذار والاما الذى أقدمك اليه يقال اتصل بى ان الفقيه عيسى زوج اخت الكامل بن شاور من صلاح الدين يوسف بن أيوب وتزوج الكامل اخت صلاح الدين فقلنا هذا عمل علينا فقال له شمس الخلافة ليس لهذا جمعة ولو فعل ذلك لم يكن فيه نقض للعهد فقال له الملك الفخيم ان قومنا وراء البحر اتهموا المتناوغلينوا على أرائنا ونحو جوا طامعين في بلادكم تخفنا من ذلك فخر جنائنا توسط الامر بينكم وبينهم فقال شمس الخلافة فأى شئ قد طلبوا قال أنفى ألف دينار فقال مكانكم حتى أصل إلى شاور وأبلغه مقالكم وأعود بالجواب فقال له ملك الفرع فحين نزل على بليس إلى أن تعود قال وحكى ان ملك الفرع لما وصل إلى الداروم كتب إلى شاور يقول له انى قد قصدت الخدمة على ماقرته لى من الهط إلى كل عام فأجابه شاور ان الذى قررت لك إنما جعلته متى أحببت اليك أو أؤا قدم على عدو فأما ما خابى من الاعداء فلا حاجة لى اليك ولا لك عندى مقرر فأجابه مرمى أن لا بد من حضوري وأخدى المقرر فعلم شاور أنه قد غدر بالاهل ومقتضى الايمان وأنه قد طمع في البلاد فأخذ في تجنيد الانجاد وحشد العساكر إلى القاهرة وأنفذ إلى بليس قطعة من الجيش وميزه وعده ثم أن ملك الفرع فمضى سار خلف رسول شاور ولا يرى على قول حتى خيم على بليس في صفرو كان معه جماعة من المصريين منهم علم الملك ابن النحاس وابن الخطاط يحيى وابن قرحلة وأرسل إلى طي بن شاور وكان بليس وقال له أن نزل قال على أسنة الرماح وقال له أنحبس ان بليس جبهة تأكلها أسل اليه مرمى نعم هي جبهة والقاهرة فزبدته فقاتل بليس ليلانها راحتي انتقمها بالأسيف وقتل من أمهله اخلة اعظم ما غريب أكرهها وأحرق حبل أدرها ثم أخرج الاسارى إلى ظاهر البلد وحضر وافي مكان واحد وحل في وسطهم برحمة ففرقهم فرقتين فأخذ الفرقة التي كانت عن يمينه لنفسه وأطلق الفرقة التي كانت عن يساره وعسكره وقال لفرقة قد أطلقتمكم شكرا لله تعالى على ما أولانى من فخر ببلاد مصر فاني قد علمتكم بالاشك ووقف إلى ان عسدى أكرههم التليل إلى جهة منة جبل وأخذ العسكر نصيبهم من الاسارى فاقبهم وهم وبقى أهل بليس الذين أسر وأكثروا أربعين سنة في أسر الفرع وهلك أكرههم في أيديهم وأقلت منهم الميسر لان الملك الناصر رحمه الله الملك ديار مصر وقف مغل بليس على كثرته على فكلك الاسرى منهم وسامح أهل بليس بفراجهم إلى آخر أيامه ولما اتصل بشاور ماجرى على أهل بليس من القتل والاسر وان الفرع فمضى شحونوا بالرجال والعدد وجعلوا لهم ظهر أشفق من ذلك وطلب الاذن على العاضد فلما اجتمع به بكى بين يديه وقال أعلن البلاد قد ملكت علينا ولم يبق الآن تكسب إلى نور الدين وتشرح له ماجرى وتطلب نصرته ومعونه فكتب جميع ذلك وأرسل شاور وطى تلك الكتب كتبها وسخما عالها بالمداد قال وحذثنى شمس الخلافة موسى بن شمس الخلافة محمد بن مختار قال إنما كتب هذا الكتاب برأى أبى شمس الخلافة لأنه لما رجعت من عند مرمى لعنه الله بعد أخذ بليس اجتمع بالكامل بن شاور وقال له عندى أمر لا يمكننى ان أفوض به اليك الا بعد ان تخلف لى انك لا تطلع بألك عليه فمنا حلفه قال له ان ألك قد وطن نفسه على المصاهرة وآخر أمره يسلم البلاد إلى الفرع فمضى ولا يكتب نور الدين وهذا عين الفساد فاصعد أنت إلى العاضد وأرماه ان يكتب إلى نور الدين فليس لهذا الامر غيره فقصدته الكامل كرت الكتاب فلما وصل إلى نور الدين انزعج انزعجا عظيما وأنفذ أسد الدين وكان ذلك من مناه وأرسل الفقيه عيسى الحكارى إلى مصر برسالة ظاهرة إلى شاور يعلمه ان العساكر واصلة برسالة سرية إلى العاضد وأمره ان يستخلفه على أشيائه عنينا وان يكتم ذلك من شاور وأما الفرع فمضى شاور وأمر مصر وأمر شاور بإحراق مصر وانذر أهلها فخرج الناس منها على وجوههم وهجروا في بلاد مصر وبلغ آخر ما لجل إلى القاهرة ثلاثين دينا وترك الناس أكثر ما لهم فنهبت وأحرق مصر في تاسع صفر وأقامت النار لعل فيها أربعة وخمسين يوما ثم ان الفرع فمضى لعنه الله نزول في بركة الحبش واثبت أخبارهم في الأطراف وتحفظوا من نظروا به فأخذ شاور شمس الخلافة إلى مرمى لعنه الله فلما دخل عليه أنه

في اخبار (١٧١) الدولتين

ان يخرج معه الى باب الحجة ففعل فأراه شمس الخلافة جهة مصر وقال له أتري دخنا في السماء فقال نعم قال هذا دخان مصر ما أتيت الا وقد أحرقت بعشرين ألف فارور فقط وقت فيها عشرة آلاف مشعل وما بقي فيها ما يؤكل بقاؤه ونفعه خذل الآن عنك مدافعي ومخاضتي وكن كما قلت لك انزل في مكان تقدرت في غير وما بقي لك الا ان تنزل بالقاهرة فقال هو كما تقول ولا بد من نزول القاهرة ومعنى فرنجي من وراء البحر قد طعموا في اخذها ثم رحل فنزل على القاهرة مما يلي باب البرقية نزولا قريبا به البلد حتى صارت سهام الريح تنفع في خيمته فقاتلوا البلد بأما فلما يتقن شاور الضعف عدل الى طريق المخادعة والمخاطلة والمغارة والمدافعة الى ان اتصل عساكر الشام فأخذ شمس الخلافة الى مري لعنه الله تعالى رسالة طوبى ليه قبل بها في غار به ودار من حوالبه وفي ضمنها (ان هذا بلد عظيم وفيه خلق كثير ولا يمكن تسليمة البينة ولا أخذه الا بعد ان يقتل من الفريقين عالم عظيم وما فعلت أنت ولا أنا من الدائرة والراي ان تحقن دماء أصحابك ودماء أصحابي وتحصل شيئا أدفعه لك يحصل لك عقول فاستسمرت المصانعة على أربع مائة ألف دينار وقيل ألفي ألف دينار يحصل له منها مائة ألف دينار فأجاب مري الى ذلك واتخذت الهندية وحلف مري ورحل الى يركنا الحديش وحل شاور اليه مائة ألف دينار في عدة دفعيات سوف فيها الاوقات ثم أخذ عظه بالباقي انتظارا لقدم العساكر وبوهم انه يجمع لهم الاموال فلبشعر الفرج في الاجيوس عسكر الشام عليهم فلما راى وهم رحلوا الى بليس ونزل أسد الدين بالقمم ثم رحل ملك الفرج فمات على فافوس وأتبعه أسد الدين ونزل على بليس وكنان لما اتصل بشاور ووصل أسد الدين الى صدر انقذ شمس الخلافة الى ملك الفرج فاستطاع له منه بعض المال فصار اليه واجتمع به وقال قد قل علينا المال فقال ملك الفرج فخرج طلب منه شيئا قال اشترى ان تهبط الى النصف قال قد فعلت فقال شمس الخلافة ما بلغني ان ملكك في مثل حالك وقد تركت علينا هوب مثل هذه الهبة لقومهم في مثل حالنا فقال ملك الفرج نعم أنا أعلم انك رجس عاقل وان شاور امك وانك كما ما سالتني ان أهبطك هذا المال العظيم الا لامر قد حدث فقال له صدقت هذا أسد الدين قد وصل الى صدر مصر لتساوم في لك مقام وشاور يقول لك أرى ان ترحل وتحن بأقرب على الهندية فانه أوفق لك ولنا واذا حصل هذا الرجل عندنا رضى عنه من هذا المال بشئ وجعلنا الباقي اليك متى قدرنا وان يحسن أخرجنا في رضاهم كثر من هذا المال عندنا عليك بما بقي علينا من المقدار فقال ملك الفرج نعم أنا راض بذلك وان بقي على شئ جعلته اليك وعول على الرحيل فقال له بعد ان تطلق طي ابن شاور وجميع من في عسكرك من الاسارى ولا تاخذ من بليس بعد انصرافك شيئا فأجابه الى جميع ذلك والمراجعات الفرج نعم عن القاهرة نزل أسد الدين بأرض يقال لها الموق وأخرج اليه شاور الاقامات الحسنة والخدم الكثيرة ولما اجتمعوا قال شاور لاسد الدين قد رايت من الراي ان أخرج أنا وأنت وان ندرلك الفرج ونوقع بهم فقال أسد الدين هذا كان رأيي والفرج نعم على التبرع في وليس لهم وزير وأما الآن فلا تنهم على التبرع المتصل بلادهم ونحن فقد خرجنا من البر في أسوأ حال من الضعف والتعب وقد كنا الله شرهم ونحن الى الزاحسة والاستحجام أحوج والمنازل أسد الدين بالوق أرسل له العاضد هدية عظيمة فوصلها كثيرة وأخرج الى خدمته أكبر أصحابه ثم انه خرج البسة في الليل سر امتنكر واجتمع به في خيمته وأفضى اليه بأمر كثيرة منها قتل شاور ثم عاد الى قصره وكان شاور قد رأى ليلة نزل أسد الدين على القاهرة كأنه دخل دار الوزارة فوجد على سر ملكه رجلا وبين يديه دواة الوزارة وهو وقع منبأ بأفلامه فسأل عنه فقيل هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما حصل أسد الدين بالديار المصرية وانفصل عنها الفرج نعم أممت البلاد وراجع الناس الى بيوتهم وأخذوا في اصلاح ما شغنه الفرج نعم وأفسدوه وتقاطر الناس الى خدمة أسد الدين فتلحقهم بالحب والسعة وأحسن لهم وأما شاور فانه أخذ في التودد الى أسد الدين والتقرب الى قلبه بجمعة ما وجد السبل اليه وأقام له والعسكر ما لم يكنه الكثيره والذقبات العزيرة حتى استحوذ على قلبه ونوى بيقينه في ملكه وصفا له قلبه حتى أنقذ له سر الحرس ففسد عساكر الشام وأما عسكر الشام فاتهم مارا وأطاب بلاد مصر وكثرة خبرها وسعة أمورها تاقت أنفسهم الى الإقامة بها واختاروا سكاها ورغبوا فيها رغبة عظيمة فمري طمع أسد في الاستيلاء عليها والاستبداد بملكها ثم علم انه لا يتم ذلك وشاور باق فيها فأخذ في ٤٠٠ مال الحيلة عليه وكان العاضد قد تقدم اليه بقلبه فجمع ايضا

كتاب (١٧٢) الروضتين

وشاورهم في أمر شاور وقال لهم قد علمت رغبتني في هذه البلاد ومحبتي لها ورضي عليا وما قد تحققتم أن عند الفتح منها ما عندى وعلمت انهم كسفتوا عورتها وعلموا مسالك رقعتها وتفتتت في متى خرجت منها عادوا اليها واختاروا عليها وهي معظم دار الاسلام وحلوة بيت مالهم وقد قوى عندي أن أثبت عليهم اقبل وثوبهم وأملكهم ما قبل ملكتهم وأتخذ من شاور الذي يلعب بنا وهم ويعزونا ويعزهم ويضرب بيننا وبينهم وقد ضيع أموال هذه البلاد في غير وجهه أوقوى بها الفرج عينا وما كل وقت يدرك الفرج ونسبة هم إلى هذه البلاد التي قد قتل رجالها وهلك أبطالها فجلت الاراء بين الامرء انه لا يتم لهم أمر الا بعد القبض على شاور وتفرقوا على اقباض القبض به وكان شاور ركب في الابهة العظيمة والحللة الجسيمة والعدة الحسنة والالة الجسيمة على عادتهم الاولى وكان من جلة قواعدهم ان الوزير اذا ركب حمل في مركبه الطويل والبوق وكان شاور قليل الركوب فجعل الامرء يترصدونه ورأى أسد الدين قبل قبض شاور بليلة **ك** أن شاور دخل إلى داره وتناول سيفه وعما مشه فتأوله أسد الدين بالقبض عليه وأخذ منصبه ثم ان شاور اركب يوما في أهله وجالته فلما عاينه الامرء اهابوا وأحجموا عنه وكان يوما عظيم الضباب وكان خروج شاور من باب القنطرة للسلام على أسد الدين فتقدم صلاح الدين فسلم عليه ودخل في موكبه ثم سار ثم تأيد ما في تلايته وصاح عليه فرحله ولم أر أيا ذلك عسكر الشمامسة فربعت عزائمهم ووقوا في عسكر شاور فخرجوا ما كان مع جاله وتناولوا منهم جماعة وحمل المالك الناصر شاورا راجلا في خيمة لطيفة وأراد قتله فلم يمكنه قتله دون مشاوره أسد الدين وفي الحال ورد على أسد الدين توقيع من العاضد على بخادم بأمر دفعه بقتل شاور فأخذ التوقيع على صلاح الدين فقتله في الحال وأخذ رأسه إلى القصر وبلغ الكمال بن شاور قتل أبيه فهرب إلى القصر وخلع العاضد على أسد الدين وقلة الوزير وأخذ إليه طبق فضة فيه رأس الكمال بن شاور ورؤس أولاد أخوته ولما خرج مشورا الوزير إلى أسد الدين أمر بقرعته على رؤس الأشهاد وفرح به غاية الفرح وأعيدت قرعته عليه عدة دفعات استحسن بالعباية واستنار الخيال وأودع من بديع الكلام فيه قال ولما قتل بنور الدين فتح الديار الحمزية فرح بذلك فرحاشدا وواصل الجدو الثناء على الله تعالى إذ كن في زعمه وعلى يده أمر بقتل البشار في جميع ولايته وتزين جميع بلاد وجلس للهناء بذلك وأشد الشعراء في فحشها سعدة أشعار غريبة أنا اتصل به ان أسد الدين وزر العاضد وأسدت بالامر في ذلك الصقع امضه ذلك وألقه وظهور في مخايل قسمة وفلتات كلمات الكراهة وأخذ في الفكر في أمره وسهر ليليا وافضى بسر إلى مجدد الدين بن الداية حدثني جماعة عن شمس الدين علي بن الداية أنه سمى مجدد الدين وحدثني الموفق بن محمد بن الخحاس الفقيه الحلبي وقد جرى ذكر فتح مصر وان نور الدين استنجد به فقال والله ما استنجد به لقد كان وده أن لا يفتح وأن لا يصير أسد الدين وصلاح الدين إلى ماصارا اليه ولقد ظهرت الكراهية منه لذلك في ألفاظه ووجهه ولقد أعمل الحيلة في إفساد أمر أسد الدين وصلاح الدين فاستأله لاسيما يوم بلغه حصول صلاح الدين على خزائن مصر فأنه أقام ثلاثة أيام لا يقدر أحد ان يراه وأهتم لذلك حتى افضى عليه الهم ولم يكن الفتح إليه منسوبا وعليه فضله محسوبا بالمصير على ماجرى ولا اغضي الملك العادل على القدي ولقد كتب العاضد عدة دفعات في أمر الاسد والصلاح فلم يحصل له فيها النجاح وكثيرا ما يوحى في كتب نور الدين إلى العاضد التعريض بأنفاد أسد الدين ولو أمكنه المجاهرة بالقول لقال فن بعض مكاتباته (ولقد أفتقر العبد إلى بعثه وأعوز عسك دهن قتيته واشتد حذب الضال على المسلمين لعينته لانه ما زال يرى شياطين الضال يشعابه الثاقب ويصمى مقل الشريك بعينه المانذ الصائب) قلت لعل نور الدين رحمه الله إنما أقامه من ذلك كون أسد الدين وزر العاضد شقاق من ماله إلى القوم وإلى مذهبهم وان يسد جند عليه بذلك السبب هذا ان صح ما نقله ابن أبي طي والله أعلم قال وكان أسد الدين لما ولي الوزارة لم يغير على أحد شيئا وأجرى أصحاب مصر على قواعدهم وأموهم إلى ان انقضت أيامه وميتت عوامه وكان ثمرا يحب كل اللهم ويواظب عليه ليلنا راقفة وارت عليه النجوم واتصلت به مر ضاته أن لي ظهرت بحلقه خوارق كان فيها تلافه ويقال انه أكل في ذلك اليوم مضرة ودخل الحمام فلما خرج منها أصابه الحنقا قال وكان شجاعا بارعا قويا جادا في ذاته شديد اعلى الكفار وطاعة عظيمة في ذات الله صرلته عفيفا دينيا كثير الخير وكان يحب أهل الدين والعلم كثيرا لا يشارح باعلى أهله وأقاربه وكان فيه امساك وخلف

في أخبار (١٧٣) البولين

مالا كثير وأخلف من الخيل والدواب والجمال شيئا كثيرا وخلف جماعة من الغلمان خمسة مائة يحملونهم الاسدية وهو كان مشيدا قواعد الدولة الشاذية والملك الناصرية وكان ابتداء أمره يتخذ مع صاحب تكريت على إقطاع مبلغه تسعة مائة دينار وتنفق على أن ملك الدار المصرية وعقد له العزاء بالقاهرة ثلاثة أيام قلت والبسمة تنسب المدرسة الاسدية بالشرق القبلي ظاهر دمشق وهي المظلة على الميسدان الاخضر وهي على الطائفة من الخنفية والشافعية والحنافاة الاسدية داخل باب الجابية يدرب الهاشميين قال ابن أبي طيغ وساعة وفاته وقع الاختلاف بين بولي الوزراء بين العسكري الشامي ومالت الاسدية الى صلاح الدين وفي تلك الساعة أخذ العاضد وسأل عن يصلح للوزارة فأرشد من جماعة من الامراء الى شهاب الدين محمود الحارثي خال صلاح الدين فأخذ اليه وأحضره وناطبه في تولى الوزارة فامتنع من ذلك وأشار بولاية الملك الناصر وكان الحارثي أولا قد رغب في الوزارة وتحدث فيها وحصل ما يجتأه فلما رأى من اجماعة الدولة من باروق وغيره عليهم خاف ان يشتغل بظلمها فيغرتبه وربما فاتت صلاح الدين فاشاره بالنهايا كانت في ابن أخته كانت في بيته وكان صلاح الدين قد وقع من العاضد وقع وأعجبه عقله وسد اندرأيه وشيخاعته وأقامه على شاور في موكله وأنه قد له حين جاءه أمر بولي تر بص ولا توفيق فسارع الى تقبله اذ وزارة وما خرج شهاب الدين الحارثي من حضرته العاضد الا وبلغ الوزارة قد سبقت الى الملك الناصر وكانت خلعة الوزارة عمامة بيضاء تنبسي بطراز زهبي وثوب يدي بطراز زهبي وجمعة تحتها سقلاطون بطراز زهبي وطيلسان يدي بطراز دقيق ذهب وعقد جوهرة ثمانية عشرة ألف دينار وسيف محلي مجوهر قيمته خمسة آلاف دينار وفسر حجر صقرا من مرابك العاضد قيمتها ثمانية آلاف دينار لم يكن بالدار المصرية السابق منها بلوق وتحت سور فسار ذهب مجوهر وفي رقبة الحجر مسددة بيضاء وفي رأسها طاقا خمسة جواهر وفي أربع قوائم الفرس أربع عقدود جوهرة وقضبة ذهب في رأسها طاقا خمسة جواهر وفي رأسها شبة بيضاء بأعلام ذهب ومع الخلعة عدة قبح وعدة من الخيل وأشياء آخر ومشررا الوزارة ملقوف في ثوب أطلس أبيض وسكان ذلك يوم الاثنين الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة وقرئ المنشور بين يدي الملك الناصر يوم سلاسه في دار الوزارة وحضر جميع أرباب الدولتين المصرية والشامية وكان بوماعته وأمناعه السلطان علي جماعة الامراء والكبراء وجوه البلد وأرباب دولة العاضد ومع الناس جميعهم بالهبات والصلوات والاستغفرات قدمه في الوزارة والرياسة قام في العمة مقام من قام بالشريعة والسياسة ونظم بحسن تدبيره من الدولة دهاجر في مناهج العدل على جددتها وجعل الى جوده وفضله ونادى الى رفده وبذله وكاتب الاطراف بمصاصار اليه من السلطان وسر قلوب الاصدقاء والاحباب بما حصل عليه من شريف الرتبة والمكان واستدعى الى حوزته الاصحاب والاهل وزوى بفسح كره من بعدهم وقرب من أهل الفضل وثاب من الخمر وعدل عن الله وقية ظل للتدبير وسعاهم السهر وتقص بلباس الدين وحفظ ناموس الشرع المبين وشمر عن ساق الجد والابتهاد وافاض على الناس من كرمه وجود جوده شأيب فضله النائب عن العهد وورد عليه القضاة والوزراء وأمر بشفائ أس الخطب وجواهر الاشعار حدثني بعض الامراء قال أقبل العاضد على السلطان الملك الناصر وأجبه محبة عظيمة وبلغ من محبته انه كان يدخل اليه الى القصر راكبا فاذا حصل عنده قام معه في قصره اليوم والعشرة لا يعلم أين مقره قال ولما استولى الملك الناصر على الوزارة ومال اليه العاضد وحكمه في ماله وبلاده وحسد من كان معه بالدار المصرية من الامراء المشايخامة كابن باروق وجردك وجماعة من غلمان نور الدين ثم انهم فارقه ووصروا الى الشام وحدثني أبي ربيعة الله قال حدثني جماعة من أصحاب نور الدين ان نور الدين لما اتصل به وفاة أسد الدين ووزارة صلاح الدين وما قد انقذه من المنحى في قلوب الرعايا أعظم ذلك وكبره وتأنف منه وأذكره وقال كيف أقدم صلاح الدين ان يفعل شيئا بغير أمرى وكنت في ذلك عدة كتب فلم يلتفت الملك الناصر الى قوله الا انه لم يخرج عن طاعته وأمره وانه ما فرق قبول رأيه وإشارته وأمر نور الدين من بالشام من أهل صلاح الدين وأصحابه بالخروج اليه وطلب منه حساب صر ما صار اليه وكان كثيرا ما يقول ملك ابن أيوب قلت هذا كالمعاملة تهميه الطباع البشرية والخلية الادمية وقد أجرى الله سبحانه وتعالى العسادة بذلك الامن عصم الله ومن انصف عذرو من عرف صبره الذي أنكره نور الدين هو أفرأ صلاح الدين في تفرقة الاموال

كتاب (١٧٤) الروضتين

واستبداد ذلك من غير مشاورته هذا مع ان ابن أبي طي مقيم فينا ينسبه الى نور الدين بما لا يليق به فان نور الدين رحمه الله كان قد اذل الشيعة بحلب وابطل مشاعرهم وقوى اهل السنة وكان ابن أبي طي من رؤس الشيعة فذمناه من حباب وقد ذكر ذلك كله ابن أبي طي في كتابه مفرقا في مواضع فلهذا هرفي الكتاب الذي له كبير الجمل على نور الدين رحمه الله فلا يقبل منهما ما ينسبه اليه بما لا يليق به والله اعلم قال والمالك الملك الناصر مضر أترع نور الدين حصن والرحبة من ناصر الدين ابن أسد الدين وقرى عاله واعطاه تل باشر ثم أخذته امانته ولقد كان يتألم الملك الملك الناصر ويقال لله ما مرض قال ما أخطأت الا في انفاذي أسد الدين الى مصر بعد علي برغبته فيها وما يجزئني شيء كعلي بما ينال اهل من يوسف بن أيوب ثم التفت الى أصحابه فقال اذا انامت فصوروا بني اسمعيل الى حلب فانه لا يبقى عليه غيرها قال ابن أبي طي ولقد كان يبلغ الملك الناصر من أقوال نور الدين وأقوال أصحابه أشباه تؤلمه وتغضه غير انه بقاءها يصدر رجب وخلق عذب حدثني أبي عن ابن قاضي الدهليز وكان من خواص الملك الناصر قال جرى يوم ابن بدي السلطان ذكر نور الدين فأكثر الترحم عليه ثم قال والله لقد صبرت منه على مثل خالدي ووخر الابر وما قدر أخذ من أصحابه ان يجحد علي ما يعتده زيارته اجتهد هو بنفسه ايضا ان يجزئني هفوة يعتدها على فلم يقدر ولقد كان يعمد في غشائني ومراسلني على الاشياء التي لا يصبر على مثله العلي انضمر رأوا تغير فيكون ذلك وسيلة الى مناديتي فما بلغتني به يوم اقط قلت قد وقتت على كتاب بخط نور الدين رحمه الله يشكره من صلاح الدين رحمه الله وذلك ما قاله ابن أبي طي كتب نور الدين ذلك الكتاب الى الشيخ شرف الدين بن أبي عصر من رحمه الله وهو بحلب ليوصله قضاء مصر مررت بحسبي الله وكفى وفق الله الشيخ الامام شرف الدين اطاعته وختم له بخبر غير خاف على الشيخ بما أعلاه وفيه وكل غرضي ومقصودي في مصالح المسلمين وما يترتب الى الله والله ولي التوفيق والمطلع على نيتي وانت تعلم نيتي كما قال عمر بن قائل (ومن عذره على الكتاب) أنت تعلم ان مصر اليوم قد تزلزلا بالنظر فيها فهي من الفتوحات الكبار التي جعلها الله تعالى دارا سلام بعدما كانت دار كفر ونفاق فلهذا المنة والحمد والان المقدم على كل شيء أمور الدين التي هي الاصل وبها النجاة وأنت تعلم ان مصر واقبلها ما هي قليلة وهي خالية من أمور الشرع وما تدخر الديموع الا لاداء ما كنت أعني ولا أشتهي مغاركك والآن فقد تعين عليك وعلى ايضا ان ننظر الى مصالحها وما لنا نأخذ اليوم لها لأننا ولا أقدرا على أمورها ولا أقدرها الا لا حتى تبرأ مني عند الله فيحب عليك وفقك الله ان تسمع عن ساق الاجتهاد وتتولى قضاءها وتعمل ما تعلم انه يقر بك الى الله وقد برئت مني وأنت نجاب والله فاذا كنت أنت هالك ولدك ابوا المعالي وفقه الله فيطيب قلبي وتبرأ مني وقد كتبت هذا بخطي حتى لا يبقى على حجة تصل أنت وولدك عندي حتى أسيركم الى مصر والسلام بواقفة صاحبي واتفاق منه صلاح الدين وفقه الله فأنامنه شاكر كثير كثير جزاه الله خيرا وأبقاه في نساء الصالحين والاختيار صلاح عظيم ومنفعة لأهل الاسلام الله تعالى يكثرون الاختيار وأعو ان الحبر رحمة الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما قال ابن أبي طي وابطل صلاح الدين من المكوس والمنظالم ما يستخرج بدويان صناعة مصر مائة ألف دينار وما يستخرج بالاعمال القبلية والبحرية مائة ألف دينار فسامح بجميع ذلك وأمر بكتابة سجل به من ديوان الانشاؤات الى سائر أعمال مصر بقرأ على المنابر وعرض عليه مائة ألف دينار واثني في جهات المستخدمين والعاملين لعدة سنين مقدمة آخرها سنة أربع وستين وخمسمائة فكان مبلغه ينيف عن ألف ألف دينار وألني ألف أرب غلة فسامح في جميع ذلك وابطله من الدواوين وأسقطه عن المعاملين وانهى اليه ما يستأدى من الجباية بالبحار والبحروس من المكوس فانكروا أكبره وعوض عنه بعدة ضياع فأغاث أهل الحجاز بما أسعهم من العين والغلة أشياء يطول شرحها قلت وسما في كل ذلك في موضعه ونسخة منشور اسقاط المكوس في أخبار سنة سبع وستين وذلك باشارة نور الدين رحمه الله وفي آياته

(فصل) ذكر الاما في ديوانه قصيدة يمدح بها نور الدين ويهنيئ به هلك مصر ولم يذكرها في كتاب البرق منها
 بلك مصر اهني ممالك الامم * فاسعد وابشر بنصر الله عن أم
 اضحى بعدلك شمل الملك ملتما * وهل بعدلك شيء غسب برمانم
 يا فاعل الخير عن طبع بلا كف * ومولى العرف عن خلق بلا سام

في أخبار (١٧٥) الدولتين

وواقعا لم تغر الكفر بجهه * لاثم تغر شبيب واضع شيم
 لله درك نور الدين من ملك * بالعزم فمفتح بالنصر مختم
 آثار عزمك في الاسلام واضحة * وسر ملك باد غمير مكتوم
 بامن العدل والاحسان تشهره * تخاف ربك خوفا المذهب الاثم
 اوردت مصر خيول النصر عادمة * ثنى الاعنسه اقداما على الليم
 فاقبالت في صحاب من ذوابها * وقض بها بدماء الهام منسحق
 تمكن الرعب في قلب العدو بها * تمكن النصار بالاحراق في الخضم
 سرت لقطع ماله الكفر من سبب * واه ولو وصل ماله الدين من رحم
 مستملات وعور الطرق في طليح * عليها مقضيات اصعب القعوم
 وعاجلات من الافح غلهم * والقيدي موضع الاطواق والحزم
 لقد شفت غلبة الاسلام وانتجت * من العدو بعد الصارم الحسوم
 أعانها الله في اطفاء حجر راذي * من شرشاور في الاسلام مضطرم
 وأصبحت بك مصر بعد خيبتها * للامن والعسر والاقبال كالحرم
 والسنة انشقت والبدعة انقضت * وعادت دولة الاحسان والكرم
 ملوكها لك صاروا اعبدا وغدا * بها عبيدك املا كاذوب حرم
 انبت عسك بها ما يربوبها * في البأس عن عتري الجود عن هرم
 لله درك نور الدين من ملك * عدل لحفظ أمور الدين ملتزم
 كانت ولاية مصر قبل عزتها * بكشف دولتها الجماع على وضو
 فالليل ملتطم جار على خيل * جارا لبحر نوال منك ملتطم
 أغز الفرج في هذه وقت غزوهم * واحطم جوعهم بالذابل الحطيم
 وطهر القدس من رجس الصليب وثب * على البغات ونوب الاجل القطم
 فلك مصر وملك الشام قد نظما * في عقد عز من الاسلام منتظم
 محمود الملك الغازي يسوسهما * بالفضل والعدل والافضال والنعم
 بالشكر كل لسان ناطق أبدا * شيم ود الملك شيم ود بكل قسم
 فاشك مصر والظهر عز سنتها * كم تعتي والى كم تشتمكي ومكم

ولعلم الدين الشاتاني في نور الدين رجه الله

مانال شاورك في المعالي سنجر * كارولا كسرى ولا اسكندر
 ياخير من ركب الجياد خاض في * لبح المنيا والاسنة تقطر
 هل حاز غيرك مصر وصار من * اتاعه من جده المستنصر
 والمستنضي بالله معتد به * وبجده مستنظر
 أوسد بالشأم الثغور مهابيا * للدين حتى عاد عنها قيصر
 بيكي فيروى الارض بحرد موعه * والجو من انفساسه يتسع
 أوما أترك بسيفه فتح الرها * والاسنة تنص الكماقوزار
 هابت ملوك الارض بأس كائنات * فتقاعدوا عن قهدها وتاجرنا
 ماضره طيح المنية ذاته * وصفاته بين السيرة تشهر
 فلكم على كل الملوكة منيه * لوقائع مشهورة لا تنكر
 واذا عتدنا للانام مناقبا * فملكك قبل الكل بئى الخنصر

كتاب (١٧٦) الروضتين

في الرأي قيس في السجادة حاتم * في النطق قس في البسالة حيدر
دانت لك الدنيا وأنت تعافها * وسوالك في آماله يتعسف
من ذا يصبون الصين عنك وأنت من * أسد الشرى منه تحاف وتحتذر
قال العماد وأنفذ صلاح الدين من مصر خلعا لجامعة من الاعيان وأنفذ للعماد عمامة ملبوسة فكتب اليه قصائد
في هذا المعنى منها

باصلاح الدين الذي أصغى الفا * سدا لعدل من خطوط الزمان
أنت اجريت نيل مصر الى الشام * م نوالأم سال نيل ثاني
وعلى نيلها لك فكيفك فضل * فهما بالنضار جارتان
وصلت اعطياؤك الغرغزرا * فتلفت آمالنا بالتهاني
خلع راقت العيون ورقى * وعلا وصفها عن الامكان
مذهبات كأنها خلعت الرض * وان قد أهدبت لاهل الحنان
مشرقات وطرزها الذهبيا * ت الحسان الرفيعة الأشمان
فالعمامات كالعمامات والطر * زبروق كثيرة اللعان
والموالي بهامن التيه والخفس * ر على الدهر صاحبو الاردان
كيف خص العماد بالادون الخساقى * من دون عصبة الديوان
اخلق من نسجه لك في المد * ح جديديامهن الخلقان
وكذا ذلة الدنيا لى قصص السفاضل المستغنى بالحرمان
لم تزل سائران جودك بالشام * ليه غيرة التمان
فاذا لم تزد مصر كمالا * في المعنى فاجه من التقصان

وكتب الى اخيه صلاح الدين قصيدة منها

عبدك شمس الدولة المرتجا * منتظر تشريفك المذهبيا
فاعتب صلاح الدين لي حالي * عساه بالاصلاح ان يعتبيا
عسرفه ماتم فاني أرى * من فضله للفضل ان يغضبا
وكيف يرضى ذلك بعض الرضى * ومجده دياها ككل الابيا
وقبل له بجاته ملبوسة * تختلفت من تبع في سبيا
عمامة رقت ورثتها * نشرتها الاوطار هيبا

قال فوصل الى من نور الدين عمامة مذهبية وكتب يعتذر عن العمامة التي قبلها وكتب الى سعد الدين كشككين كتابا
يقول فيه اسعير لسانه في الاعتذار الى العماد فاني استقل امرامه ارم ذات العماد فكتب العماد
أما العماد فقد تضاعف شكره * نعماك شكر الرض نعمي الصيب
لعمامة ذهبية كعمامة * يبدوا بهاميرق الطراز المغربي
ما كان أحسن حاله لو انه * شغعت عمامته بثوب مذهب
قال وكتب اليه

أهني الملك النسا * صر بالملك وبالنصر * ومامهد من بنيا * بن دين الحق في مصر
وما أسداه من بر * بلاعد ولا حصر * وما أحياده من عدل * وما خفف من أصر
واعلاء سنا السفسفة في بحوحة القصر * قد أسوتى على مصر * بحق يوسف العصر
واحسانة الاحسا * ن في البدو وفي الحضرة

وكتب اليه الامير اسامة بن منقذ من قصيدة أولها يقول

في اخبار (١٧٧) الدولتين

ديار الهوى حيامه الملك القطر * وجادل جود الناصر الفدق المهر
به رجعت في عنفوان شبابه * ونضرت ما من بعده ما هومت مصر
وكم خاطب رفته لم يكفوها * الى ان اتاهها خاطب سيفه المهر
سماها حتى اللث العرين وصانها * كما صان عينا من مسلم القذى شفر
وكان بها بحر اجاج فاصبحت * ومن جود العذب التبر بها بحر
وله فيه من أخرى

فما أنت الا الشمس لولا لم تزل * على مصر ظماء الظلال لغير هذا
وكان بها طغيان فرعون لم يزل * كما كان لما ان طغي وتسرذا
فبصرتهم بعد الغواية والهي * وأرشدتهم تحت الضلال الى الهدى
وله فيه من أخرى

قل للملوك تنزعوا عن ذروة السعلاة الملك الهمام الناصر
يعطى الالوف ويلتقيها باسمها * طلق الحيا في القنا المنشجر
وقرأت في ديوان العرقلة وقال في المولى الملك الناصر وقد أنفذ له من ديار مصر ذهبا ولغيره مسلاما
صلاح الدين قد أصلحت دنيا * شقي لم بيت الاخر صا
وأرسلت السلام لنا عوما * وجودك جاء في وحدى خصوصا
فكنت كيوסף المصدق لما * تلقى منه يعقوب القيصا
وكان العرقلة من جملة المترددين الى صلاح الدين أيام كونه بدمشق فلما صار الى مصر وعداهه متى ملكها اعطاه
ألف دينار فلما تم أمره بمصر كتب اليه العرقلة قصيدة منها

اليك صلاح الدين مولاى أشتكى * زمانا على البحر الكرم يحجور
تري أبصر الالف التي كنت واعدى * بها في يدى قبل المات نصير
وهيمات والافرىح يبتدى وينسك * سبياح قنيل دونه وأسسير
ومن يحجب الايام نك ذوغسنى * هصر ومثلى بالشأم فتسير

وقال أيضا

قل لصلاح معبى عند اسارى * بألف مولاى أين الالف دينار
أخشى من الاسران حاولت أرضكم * وما تقي جنسة الفرس دوس بالنار
بفسد بها عاضديات مبطورة * من بعض ما خلف الطائي أبو الطارى
حجرا كاسيا ذككم غبرا تكيلكم * عيقا قسالا كعدائى واطمارى
وأنفذ له من مصر عشرين ألف دينار فقال

بالمال كما برحت كفه * تجود بالمال على كفى
أفعل بالعشرين من لم يزل فى * رأس عشرين من الكهف
بألف مولاى ولتكنها * محسوبة من جملة الالف

وذكر العباد في الخبر ان العرقلة قصد صلاح الدين الى مصر فأعطاه ذلك وأخذ له من اخوته مثله فهاد الى دمشق
وهو مصر ورجع بوزو كان ذلك ختام حياته ودنا أجل وفاته فمات بدمشق في سنة ست وأربع وخمسين ونعمائة
قلت وفي ديوانه ما يدل على قدمه بمصر فان فيه وقال وكتبها على حمام عمرها المولى الملك الناصر بدار مصر المحروسه

باداخل الجسام هنيئها * دائرة كالذلك الدائر
تأمل الخنة قد زخرفت * وعسرت الملك الناصر
كأنما قبض أنا بيها * نداء للدار ودار الصادر

كتاب (١٧٨) الروضتين

(فصل) في قتل المؤمن بالخزائفة ووقعة السودان بين النصرين وغير ذلك قال العادوش مصر صلاح الدين في نقض أقطاع مصرين قطع منهم الدوائر من أجل من معه من العساكر وكان بالنصر خصي يدعى مؤتمن الخلافة مخبم في النصر فجمع هو ومن معه على أن يكاتبوا الفرنج ويقبضوا على الاسدية والصلاحية لأن صلاح الدين يخرج إلى الفرنج من معه فيؤخذ من بقي من أصحابه بالقاهرة ويتبع من ورائهم فتكون عليهم الدائرة فكانتوا الفرنج واتفقوا أن رجلا من التركمان عبر البصرة إلى صلاح الدين ففتقها فوجدها مكتوبة للفرنج فيقيم من أهل النصر يرجون بخر كنهم فأنكرها فأخذها وجاءهم إلى صلاح الدين ففتقها فوجدها مكتوبة للفرنج فيقيم من أهل النصر يرجون بخر كنهم حصول النصر فأخذ الكتاب وقال دلوني على كاتب هذا الخط فدلوه على يهودي من الرهط فلما أحضره لسلأوه وباعوه على خطه وبقاؤه نطق بالشهادته قبل كلامه ودخل في عصمة اسلامه ثم اعترف بما جناه وشيده من الامر وبناه وان الامر بمؤتمن الخلافة وأنه يرى من هذه الآفة فحسن لدى السلطان اسلامه وثبت اعتصامه وعرف استسلامه وروى اخفاه هذا السر واكتتمه واستشعر الخصى العصى وخشى أن ينسبته على شقي العصى فصار يخرج من النصر مخفاه واذ خرج لم يعلم مسافه وصلاح الدين عليه غضب وعنه بعض الايام فيسهل بيسط ولا قبض إلى أن استمرسل واستبسل فظن أن ما نسله من الشر العقيم نضل وكان له قصر في قرية يقال لها الخزائفة لخزفه ووقع ما يتبع عليه من خرقه وهو يقرب قلبه بقلبه يوما للذمة ولم يدركه يوم ذلته وانقضت ساعاته بالقتضاء دولته فانقض اليه صلاح الدين من أخذ رأسه وتزع من جاءه بلباسه وذلك يوم الاربعاء الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة أربع فورده وارده من رداءه على ادون مشرع قال ولما قتل غار السودان وثاروا وكانوا أكثر من خمسين ألفا وكانوا اذا قاموا على وزير ثلوه واجتأهوه وأذلوه واستباحوه واستباحوه فحسبوا أن كل بيضاء شحمة وإن سكل سواد فحمة فثار أصحاب صلاح الدين إلى المحييا ومقدمهم الامير أبو المحييا وأصلت الحرب بين النصرين وأحاط بهم العسكر يمين الجانبين ودام الشر يومين حتى حس الاساحم بالجبن وكما لجؤوا إلى محلة فخر قهوا عليهم وحوروا محالهم وخرجوا إلى الجيزة وأذلوا بالنبى عن منازلهم الفريز وذلك يوم السبت الثامن والعشرين من ذي القعدة فما خلاص السودان بعدهما من الشدة ولم يجدوا إلى الخلاص سبيلا وأبوا ما وقفوا أخذوا وقتلوا وقتلوا وكانت لهم على باب زويلة محلة تسمى المنصورة وكانت بهم المعجزة فأقبل بنيانها من القواعد فأصبحت خاوية ثم حرقها بعض الامراء واتخذها مستانا فهدى الآر حنة لها سابقه قال وكان قد وصل إلى صلاح الدين قبيل هذه النبوة أخوه الأكبر خفر الدين شمس الدولة ترر اشاه بن أيوب أنفذ إليه نور الدين من دمشق يشد أزره بمصر لما سمع حركة الفرنج وأهل القصر فوصل القاهرة في ثالث ذي القعدة قال وباشر بنفسه ووقعة السودان هذه وكان له فيها أثر عظيم ومن عجيب ما دلت أن الاعاضد كان يتطلع من المنظر ويعان الحرب بين النصرين فقبل أنه أمر من بالقصر أن يقذفوا العدا كرا الشامية بالشباب والخيالة ففعلوا وقيل أن ذلك كان عن غير اختياره فأمر شمس الدولة الزرافين بأحراق منظره المعاضد فهم أحد الزرافين بذلك وأذاب المنظر فدفنهم وخرج منه زعم الخلافة وقال أمير المؤمنين سلم على شمس الدولة يقول دونكم العبيد الكلاب اخرجوهم من بلادكم وكانت العبيد مشدة الانفس بأن المعاضد راض بها لهم فلما سمعوا ذلك فت في أعضادهم فخنوا وتخاذلوا وادبروا ومما كتبه العادوش على لسان غيره إلى صلاح الدين قصيدة منها

بالمالك الناصر استنارت * في عصرنا أوجه الفضائل
على من حقه فروض * شكر الما جاد من فاضل
يوسف مصر إلى الله * تشدأ مالنا الرواحل
أجريت بلبسين في ثراها * نيل نجيع ويل نائل
وما نفت السودان حتى * أحكت البين في القتال
صبرت رجب القضاء ضيقا * عليهم كنه محائل
وصكل رأى منهم كراء * وأرض مصر كلام واصل

في اخبار (١٧٩) الدولتين

وقد خلت منهم المعالي * واقفرت منهم المنازل
وما أصيبوا الا بطل * فكيف لو اطر روابيل
والسود بالبيض قد أبجوا * فهمي نواز لهم نوازل
مؤتمن القوم خان حتى * غالته من شره غوائل
عالمكم بالحنافاضى * ورأسه فوق رأس عامل
يا شجبل البحر بالابادى * قد آن ان تفتح السواحل
فقدس القدس من خبث * ارجاس كفر غتم اراذل

قال العماد ومحمد حدث به صلاح الدين في ذلك التاريخ ثم نعمة له بالملك وتعزية بعمة

أيابوسف الاحسان والحسن خيرين * حوى الفضل والافعال والنهى والامر
ومن لله دى وجبهه التجاج برأيه * تجبلى ونغر النصر من عزمه اقترأ
حتى حوزة الدين الحنيف بحوزة * من الخالق الحسى ومن خلقه الشكر
أوبه أبى الاله الى وعنه * بهر وقه عم الورى البددو والحضرا
وطال الماروك شبر كوه بطوله * وما شاركوه فى العلا حوى الخفرا
بنوا الاصفر الافرنج لا قوا يبيضه * وبهر عواليه منا يا همم حمرا
وما أبيض يوم النصر واخضر روضه * من الخصب حتى اسود بالثقع واغسبرا
رأى النصر فى تقوى الاله وكل من * تقوى بتقوى الله لا يعدم النصر
ولما رأى الدنيا بعين ملالة * اغذمن الاولى مسير الى الاخرى
وقام صلاح الدين بالملك كافلا * وكفى ترى شمس الضحى تخلف البسرا
ولما صبت مصر الى عصر يوسف * أعاد بها الله يوسف والعصر
فأجرى بها من راحت به بجرده * بما را فسمها الورى اتم الاغصرا
هزمتم جنود المشركين برعبكم * فلم يلبثوا خوفا ولم يكدوا ذعرا
وفرقت من حول مصر جموعهم * بكسر وعاد الكسر من أهلها جسبرا
وأمنتم فيها الرعا يا بعدلكم * وأطفأتم من شرها ورها الجسرا
بسفك دم خطتم دماء كثيرة * وحزتم بها أيدىتم الجسد والشكرا
وما يرتوى الاسلام حتى تغادروا * لكم من دماء الغادرين بها غدرا
فصبوا على الافرنج سوط عذابها * بأن يقسموا ما بينها القتل والامرا
ولا تهموا البيت المقدس واعزموا * على فتحه غايزن وافترعوا البكرا
تديرون بالمعروف طيب ذكركم * وما الملك الآن تديسوا لكم ذكرا
وان الذى أترى من المالقة ستر * وان تقنه فى كسب شمسدة أترى

قال وكثرت كتب صلاح الدين الى أسدقائه مشرة بطيب أبنائه فها كتاب ضمنه هذا البيت

ما كنت بالمتظورا أفع منكم * ولقد رزيت اليوم بالمعروف

فقلت فى جوابه أيا تامنا هده

يا هل لالساف عيشتى بفنائكم * من عودة محمود ورجوع
مدغبتم عن ناظرى ما أدنت * للقلب شمس مسرة بطسوع
كنت المشقة فى المطالب عندكم * فعدوت أطلب طيبةكم شفيع
أصحت أفتح بالسلام على النوى * وبقر بكم كم بت غير قنوع

قال ووصل أعضامه كتاب ضمنه هذا البيت

كتاب (١٨٠) الروضتين

وانتذر الدمع من قبل أيضا * وقد حال مذبذبتم فأصبح ياقوتا

فمنظمت في جوابه أياتها منها

هذه المصروع يوسف ملكها * بأمر من الرحمن قد كان وهو قوتا

وما كان قوما قتل يوسف شاورا * بمائيل الاقتسل داود جالوتا

وقلت لقاسي البشر اليوم بالمنى * فقللت ما أملت بل حزت ماشيتا

قال وفي هذه السنة قتل العاضد بالقصر ابن شاور الكامل وأخاه يعني الطاري يوم الاثنين الرابع من جمادى الآخرة وذلك انه لما قتل شاور عادوا في القصر فكانوا نزلوا في القبر فلو انهم جاؤا الى أسد الدين سبوا وامتنعوا وعصوا فانه ساءه قتل شاور وان كان أمن بقتله ما حاذر قتل الكامل هو وشجاع بن شاور وكان له اخوان طي بقدم ذكر قتل من غام له والاسخ الطاري قال الفقيه أبو الحسن علي بن محمد بن أبي السرور والروحي في تاريخه أخذوا شاور وشجاع الملقب بالكامل والطاري الملقب بالمعظم وأخوه الملقب بفارس الأسين فقتلوا ودير برؤسهم قال وما لى صلاح الدين ساس الرعية وأظهرهم من العدل مالم يملوه فاجتمع أهل البلاد وكونهم فاقصع براجلهم وأخرجهم من القاهرة اخراجا عنفا وأخرج بعد ذلك فارسهم وشقت شملهم قتلهم بيوتهم خاوية بما ظلموا قال ولما كانت سنة ست وستين رفع جميع المكوس صادرها واردها جليلها وحقيرها وغز بلاد الشام غز وتين قال ابن شداد وفي المحرم من هذه السنة توفي ياروق الذي نسب اليه الباروقية يعني المحلة التي يظهر حلب قال غيره وفيها احترق جامع حلب وأسواق البر وأخذ نور الدين في عمارته آخر السنة

(١) ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة (٢) في أول صفر منها نزل الفرنج خذلهم الله تعالى على دمياط من الديار المصرية قال ابن الأثير كان فرنج الساحل لما ملك أسد الدين مصر فدخلوا فوافتقوا بابا هلكا فكتبوا بالفرنج الذين بالاندلس وصقلية يستدوهم ويعرفونهم ما يقبضون من ملك مصر وانهم خائفون على البيت المقدس وأرسلوا جماعة من القسوس والرهبان يحرضون الناس على الحركة فأمدهم بالمال والرجال والاسلح وأعمدوا على النزول على دمياط فلما منهم انهم تمكنوا واتخذوها نظرا لما يكون به ديار مصر فلما نزلوها حصروها وضيقوا على من بها فإرسل اليه صلاح الدين العساكر في الليل وحشروها بها من عنده وأمدتهم بالمال والاسلح والذخائر وتابع رساله الى نور الدين يشكو ما هو فيه من الخوف وانه ان تخلف عن دمياط ملكها الفرنج وان سار اليها خلفه المصريون في خلفه ويخلف عسكره بالسوء وخرجوا من طاعته وصاروا من خلفه والفرنج من امامه فجهر نور الدين اليه العساكر ارسالا لكتابا تجهزت طائفة أرسلها فاسارت اليه يتلو بعضها لبعضا ثم سار نور الدين فحين عنده من العساكر فدخل بلاد الافرنج ففتحها وأغار عليها واستباحها ووصلت الغارات الى مالم تكن تبلغه فخلوا اليه بلاد عن ممانع فلما رأى الافرنج تتابع العساكر الى مصر ودخل نور الدين بلادها ونهبها واخربها رجعا خائبين ولم يظفروا بشيء وهذا موضع المثل ذهبت النعمان فطلبت قرنين فعدت بالأذنين فوصلوا الى بلادهم فقرأها خاوية على عروشها وكان مدية مقامهم على دمياط خمسين يوما أخرج فيها صلاح الدين أموالا لا تحصى حكى عنه أنه قال ما رأيت أكرم من المعاضد أرسل الى مدية مقام الفرنج على دمياط ألف ألف دينار مصر به سوى الثياب وغيرها قال القاضي ابن شداد لما علم الفرنج ما جرى من الأسين وعساكرهم وما تم من استقامة الأرض في الدار المصرية علموا ان صلاح الدين يملك بلادهم ويحرب ديارهم ويقطع آثارهم المحدث له من القوة والملك فاجتمع الفرنج والرؤس وجمعوا حذو ثوابهم بقصد الدار المصرية والاستيلاء عليها وملكها ورواوا قصد دمياط لتمكن القاصدها من البر والبحر ولعلمهم انها ان حصلت لهم حصل لهم معرس قدم بها ورواوا اليه فاستعجبوا المخنفيات والديابات والجروح وآلات الحصار وغير ذلك ولما سمع الفرنج بالشام ذلك اشتد أمرهم فمروا وحسن عكا من المستين وأسروا صاحبها وكان مملوكا لنور الدين يسمى طيخ العبدار وذلك في ربيع الآخر من سنة ثمان مائة في المحمدى صاحب نور الدين وأمير حاجبه وصكان صاحب علبك وتدمر ولما رأى نور الدين ظهور الفرنج ونزولهم على دمياط قصد شغاف قلوبهم فقتل على الكرك محاصرا لها في شعبان من هذه السنة فقصدته فرنج الساحل فرحل عنها وقصد لقاءهم فلم يلقوهم ثم بلغه وفاة محمد الدين بن الداية

في اخبار سنة ١٨١٠ هـ الدولتين

يحب في رمضان فاشتغل قلبه لانه كان صاحب امر فعاد يطلب الشام فبلغه خبر الزلزلة فحلب التي تحربت كثير امن البلاد وكانت في ثاني عشر وشوال من السنة المذكورة وهو يوم شتر افسار فطلب حلب فبلغه موت اخيه قطب الدين بالموصل وكانت وفاته في الثاني والعشرين من ذي الحجة وبلغه الخبر وهو يتل باشر فاسر من ليلته طالب بالبلاد الموصل وسال صلاح الدين شدة قصده العدة ودمياط أنفذ الى البلد وأودعهم من الرجال والابطال والفرسان والميرة وآلات السلاح ما أمن معه عليه ووعده المقيمين فيه بامدادهم بالعساكر والآلات واذا عاج العدة عنهم أنزل عليهم وبالغ في العطايا والهدايا وكان وزيره يحب كما لا يراد امره في شيء ثم نزل الفرغ عليهم في التارخ المذكور واشتد زحفهم اليها وقبائلها وهو رجه الله عليه يشن الغارات عليهم من خارج والعسكر بقائهم من داخل ونصر الله المسلمين يؤيدهم وحسن قصده في نصرته دين الله يسعدهم ويخجدهم حتى بان لهم الخسران وظلهم وعلى الكفرة والايمن ورأوا انهم ينجون برؤسهم ويسلمون بنفوسهم فرحوا واخاؤا بين خاسرين فخرقت مجانيقهم ونهبت آلاتهم وقتل منهم خلق عظيم وسلم البلد بحمد الله ومنه وقال العماد أقام صلاح الدين بالقاهرة في دار ملكه ومدار فكله ينهض اليها الممدد بعد الممدد ورسر اليها العدة بعد العدة يسهر ليله ولا يقبل نهاره وقد أخلص لله سره وجهاره ولا ينام ولا ينام وعندهم من ذلك المقدد المقيم وسبق في الدين ابن أبي السلطان الى دمياط قد دخلها وكذا خاله شهاب الدين محمود فترها واتصل الحصار وتواصل الانصار ودب في الفرغ الغنا وهب عليهم البلدا فرحوا وعظم في الحسادى والعشرين من ربيع الأول بالذلل الاكل والصغار الاشمل وكان لما وصل الخبر الى نور الدين بوصفهم واجتماعهم على دمياط ونزلهم اغتم وأهت واستعصب الملم وأنهم من عنده عسكر انقيلا مقدمه الامر قطب الدين خسر والمهاجرين وكان مقدما ماعثا ومهما وأمره ان يسير بالعسكر ويخوض بهم بحر الهجاج الاكثر فوصل في النصف من ربيع الأول قبل رحيل الفرغ بسبوع فوقع روعه من الكفرة في كل روع قتلت وبلغني من شدة اهتمام نور الدين رجه الله بأمر المسلمين حين نزل الفرغ على دمياط انه قرئ عليه جزء من حديث كان له به رواية في جملته تلك الاحاديث حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض طلبة الحديث ان تبسم لتتم السلسلة على ما عرف من عادة أهل الحديث فغضب من ذلك وقال اني لا استحي من الله تعالى ان يراني تبسما والمسلمون محاصرون بالفرغ وبلغني ان اماما لنور الدين رأى ليلة رحيل الفرغ من دمياط في منامه النبي صلى الله عليه وسلم وقال له اعلم نور الدين ان الفرغ قد رحلوا عن دمياط في هذه الليلة فقال يا رسول الله ربما لا يصدقني فاذا كر لي علامة يعرفها فقال قل له بعلامة ما يحدث على تل حارم وقلت يا رب انصرف دينك ولا تنصر محمد وامن هو محمد وال كذب حتى ينصرف فانتهت ونزلت الى المسجد وكان من عادة نور الدين انه كان ينزل اليه بغلس ولا يزال يتر كعبه فيه حتى يصلي الصبح قال فعرضت له فسألني عن امرى فآخذت به بالنام وذكر له العلامة الا اني لم أذكر لفظه الكتاب فقال نور الدين اذكر العلامة كلها وألح على ذلك فقلنا فبكى رجه الله وصدق الرؤيا فأمرت تلك الليلة بخفاء الخبر برحيل الفرغ بعد ذلك في تلك الليلة

﴿فصل﴾ أرسل نور الدين كتابا الى العاضد صاحب القصر يهنيه برحيل الفرغ من غير دمياط وكان قد ورد عليه كتاب العاضد بالاستقالة من الاتراك في مصر خوفا منهم والافتقار على صلاح الدين والزامة وخوفاه فكتب اليه نور الدين بحسب الاتراك ويعلم انه ما رسلهم واعتد عليهم الا لعلهم بان قطار يات الفرغ فيجلس لها الاسهام الاتراك فان الفرغ لا يرهون الا انهم وللاهم لراطمهم في الديار المصرية وتخصوا موافا على الامنية فعمل الله يسير فتح المسجد الأقصى مضافا الى نعمة التي لا تحصى قلت ولعمارة اليوى من قصيدة

من شاكر والله أعظم شاكر * ما مكان من نعمي بنى أبوب
طلب الهدى نصر اقبال وقد أنوا * حسبي فأتت غاية المطاوب
جليوا الى دمياط عند حصارها * عز القوي وذلة المغاوب
وجلوا عن الاسلام فيها كربة * ولم يجعلوها أنت بكر وب
فالناس في اعمال مصر كلها * عتقا وهزم من نازح وفرب

كتاب (١٨٢) الرومانيين

ان لم تظن الناس قسرا فارغا * وهم اللباب فانت غير لبيب

ولشهاب فتیان الشاغوري من قصيدة يقول

ولا غر وان عاد الفرج هزيمة * ولولم تعد لم يبق للشرك ساحل
فقد انقثت اعداؤه ان حفظهم * اديه رماح اشرفت اوسلاسل
ولما اتوا دمياط كالبخر طاميا * وليس له من كثرة القوم ساحل
يزيد عن الاحياء والعدي جمعهم * ألوف ألوف خيلهم والرواحل
وأودونهم أسدا بأيدهم القنا * ويضار قافا حكمتها الصياقل
وداروا بها في البحر من كل جانب * ومن دونهم أسد من الموت حائل
رجا الكلب ملك الروم انذرتهم * خفاف فأم الملك والروم هابل
فمادوا على الاعقاب منها هزيمة * كانوا زلزالهم جوافل
وما ملوا ان يلحقوا بلادهم * لتعصمهم مزاروا المعاقل
قال العماد وسألني كريم الملك ان اعل له آياتا في صلاح الدين ثمينة بالنصر في دمياط فعمت قصيدة منها
يا يوسف الحسن والاحسان يامسكا * بجند صاعدا اعداؤه هبطوا
حسنت من وسط العلياء في شرف * ومزكرا الشمس من افلا كه الوسط
هبت صوتك دمياط التي اجتمعت * لها الفرج فحاصوا ولا ربطوا
مصر يوسفها أخت مشرفة * وكل أمر لها بالعدل منضبط
وحين وفي صلاح الدين أصلها * فللمصالح من أيامه نمط
قال العماد ومما سبى به الى صلاح الدين قصيدة منها

كائن قلبي وجب ما لكه * مصر وقها الملك يوسفها
هذا سلب الفؤاد يظلي * وهو يقتل الاعداء يصفها
المسلك الناصر الذي أبدا * بعز سلطانه بشر فها
قام باحسا والها يديرها * حسنا واثقا لها يخففها
بعده والصلاحي يعمرها * وبالنسدى والجمل يكتفها
من دنس الغادين يحضها * ومن خبايا العدى ينظفها
وان مصر ملك يوسفها * جنة خلد روق زخر فها
وانه في السماح حاتمها * وانه في الوقار أحنفها
يوسف مصر الذي صلاحها * جاءت بأوصافه تعرفها
كتب التواريخ لا يزنها * الا بأيامه مصنفها
وحطت دمياط اذا حاط بها * من رجوم البلاد يقدفها
لاقت غواة الفرج خبيثها * فزاد من حسرة تأسفها
أوردت قلب القلوب ارشدة * من القنائل لآدم ترفها
وليستها سفاها فاملها * عاملها والسنان شرفها
يضي لك الله في قتالهم * عزمة للجهاد ترفها

وله فيه من أخرى

قد استقرت أموري * فيه بحسب اقتراحي
تفسير خمس أبا ديسه في سماء السماح * وأمره مستفاد * من القضاء المتناح
وأرسله نور الدين الى خلط ومتولين حينئذ ظهير الدين سبكان المعروف بشاه أرم قال فلما كنت بماردين كتبت

الى بعض المعارف

قد سئل في جوارك * وطلبنا قارب دارك * وسرنا في الدياجي * فهدانا صنوءه نارك
فقدارك أمرنا اليو * مبطول متسارك * وتفرد باغتنا م الشكر من غير مشارك
قال العماد وفي هذه السنة خرج نور الدين الى دار افا عا عارة بجامعه او عر مشهدا في سليمان الاداري وشقي بدمشق
(فصل) في مسير نجم الدين أيوب الى مصر بيا في أولاده وأهله وقد وصف ذلك عارة في قصيدة ملىح بها
السلطان صلاح الدين تقدم بعضها يقول فيها

سجنت به مصر وكانت به * تشكو سقاما لم يعن بطبيب
عجبا المعجزة أنت في عصره * والدجر ولا لكل عجيب
ردا الاله به قضية يوسف * نسقا على ضرب من التقريب
جاءته اخسوته ووالده الى * مصر على التدرج والترتيب
فأسعد باكرم قادم وبذولة * قد ساعدتكم رباحها يوب

قال العماد لما دخل فصل الزبروزاد استأذن الأمير نجم الدين أيوب نور الدين في قصده ولده صلاح الدين
والخروج من دمشق الى مصر بأهله وجماعته وسبده ولبده ونسبم نظار البلد الى ان بان وضوح جده وسار في
حفظ فوصل الى مصر في السابع والعشرين من رجب وقضى صاحب القصر العاضد من حق قدومه ما وجب وركب
لاستقباله وزاد اقبال البلاد باقباله ولما عزم على الرحيل الى مصر شرع في تزيين املاكه وتوفيره الى شركه على
اشراكه وما استحب شيئا من موجوده وجعله ثمنه ليجوده وكتب ووقف رباطا داخل الدرب رفاق العونية بباب
البريد ثم قال العماد لما نصب نجم الدين أيوب لقصده مصر مشاريه وسحب على على روض الرضى سحائبه خرج
نور الدين الى رأس الماء بمسكن وخيامه وأرشف الجسد في الجهاد جدا عازما منه ثم أقام بعد ترويعه والوفاء بحق
تشجيعه الى ان اجتمعت اليه عساكره وحضر يادى جسده وحاضره وعجب بجره وما جرحه ثم توجهت الى بلاد الكرك
مستعمل شعبان وزلنا يا ما بالبقاء على عمان وأقناع الكرك أربعة أيام فحاصرها فبذل عليها ما تخفون فيورد
الخبر ان الفرج قد جمعهم او وصلوا الى ما عين فقال نور الدين رى ان نعطف أعنتنا وبالله تسعين فانا اذا كسرناهم
وقسمناهم وقتلناهم وأسروناهم أدر كالأراد وما كالك البلاد فرحلنا اليهم فولوامد بن حنين معهم وارجعنا وقالوا
رحلهم عن الحصن قد حصل وهو قصبونا وعاد نور الدين الى حوران فقيم بعشرا وحماد رمضان وقال ابن الاثير
كان سبب حصر نور الدين الكرك ان نجم الدين أيوب والد صلاح الدين سارع دمشق الى مصر فسير نور الدين معه
عسكرا فاجتمع معهم من التجار ومن كان له مع صلاح الدين أنس وهو قد عملا لا يعتد فشاف نور الدين عليهم فسار الى
الكرك فنزل عليه وحصره وسار نجم الدين أيوب ومن معه سائمين ونصب نور الدين على الكرك للجنايت فأنامه الخبر
ان الفرج قد جمعهم واساروا اليه وان ابن المنقري وقلوب بن الرقيق وهما فارسا الفرج في وقتهم الى المقدمة اليه
فرحل نور الدين رحمه الله تعالى نحوهما للاقائهما ومن معهم ما قبل أن يلحق بهما ياق الفرج ثم كانا في فارس وألف
تركلي ومعهم من الرجال خلق كثير فلما قاربهم جازعوا التفقروا الى من وراءهم من الفرج وقصد نور الدين وسط
بلادهم ونهب ما كان على طريقه ونزل بعشرا وأقام ينتظر حركة الفرج في ليلتهما فمروا من مكانهم خوفا منه
وقال ابن شداد أنه قد صد صلاح الدين في طلب والده ليلكي له السر وروى جمع القصصه مشا كل ما جرى للنبي يوسف
الصدق عليه السلام فوصل والده نجم الدين اليه وسلك معه من الادب ما كان عادته والبسه الامر كله فاني ان
يلسه وقال ياولدي ما اختار لك الله هذا الامر الا وانت كقولك فاني نيت ان نغيره وقع السعادة في كفه في الخرائن
بأسرها وكان رحمه الله كرم جليل في ولايته ولم يزل صلاح الدين وزيراً محكما الى ان مات العاضد ابو محمد عبد الله وبه
ختير أمير المصيرين وقال ابن أبي طي الحلي أرسل الخليفة المستنجد بالله من بغداد الى نور الدين بعتابه من تأخير
اقامة الدعوة له بمصر فأحضر الأمير نجم الدين أيوب والزعمه الخروج الى ولده مصر بذلك وحله رسالة ثم أهدا أمر
تجب المبادرة اليه لخطي هذه القضية الجلية والمثقة النبيلة قبل هجوم الموت وحضور الفتوى لاسيما وامام الوقت

کتاب (۱۸۴) الروضتین

مطلع الى ذلك بكيمته وهو عنده من أهم أمثته وسارتيه الدين وأبجيه نور الدين هب بدمية تلك الناصر ونرج العاصد لتلقيه الى ظاهر باب القنوس عند شجرة الأهلين ولجبر بذلك عادهم وكان من أعجب يوم شهده الناس خلع العاصد عليه ولقبه الملك الأفضل وحمل اليه من القصر الاطاف والعنف والهدا وأظهر السلطان من بره وتعظيم أمره مما أجز به الشكر والاجر وأقره دار الى جانب داره وأقطعها الاسكندرية ومياط والبحيرة وأقطع شمس الدولة آنه قوص واسوان وعين شمس وكانت عبرتها في هذه السنة مائتي ألف وستة وستين ألف دينار وسار شمس الدولة الى قوص ولولا شمس الخلافة محمد بن مختار وكان السلطان قبل أقطاعها شمس الدولة قد سبر رسلا بن غش لحيا به خراجها فخرج عليه عباس بن شاذي في جماعة من الاعراب والعبيد في مخرجيهم ففهم رسلا بن عاد الى القاهرة وفي هذه السنة لبس عبد الفطر زرق السلطان ولده الملك الأفضل ونور الدين على وفرس به فرحا عظيما وخلع واعطى وتصدق من ماله بالعقول ومن قصده للحكم عبد المنعم قد تقدمت بعضهما

في مشرق المجد نجم الدين مطاعه * وكل أنبائه شهب فلا أفوا

جاؤا کیہ عقوب والاسباط اذوردوا * على العزیز من ارض الشام واشتملوا

لكن يوسف هـ اذا جاء اخوته * ولم يكن بينهم م نزع ولا زلل

وملك وأرض مصر في شهما خته * ومثلها لرجال مثلهم نزل

(فصل) في ذكر الزلزلة الكبرى قال ابن الأثير في ثاني عشر شوال كانت زلزلة عظيمة لم ير الناس مثلهما عت
أكثر البلاد من الشام ومصر والجزيرة والموصل والعراق وغيرها إلا أن أشدها وأعظمها كان بالشام فخرت بعلبك
وحصن ومحمود وشيزر وبعض غيرها وتدمرت أسوارها وقلاعها وسقطت الدور على أهلها وهلك من الناس
ما يخرج عن العدد الإحصاء فأتى نزالين خبيرهما والعلبك ليعبرهما فدمرهم من أسوارها وقلاعها وكان ليلته
خسبر غيرها فلما وصلها أتاه خبر باقي البلاد يخرب أسوارها وخدواهم أهلها فرتب بعلبك من تجهيزها وبعضها
وسار إلى حصن ففعل مثل ذلك ثم إلى حماد ثم إلى بابر وكان شديد الخدر على البلاد من القروى فخرج لاسيا من قلعة بابر
فانما مع قربها منهم بقي من سورها شيء البتة ففعل فيها طاقة صلحة مع الحكم أمير كبير وول بالعارية من بحث
عليها البلادها ثم إلى مدينة حلب فرأى فيها من آثار الزلزلة ناليس بغيرها من البلاد فانها كانت قد أتت عليها
وبلغ العرب من نجا كل مبلغ فكانوا لا يقدرون إلا وون إلى بيوتهم الساكنة من الخراب خوفا من الزلزلة فانما عادوهم
غير مرة وكانوا يخافون بقاءهم من نواظر حلب من الفرنج فلما شاهد ما صنعت الزلزلة بها واهلها أقام فيها وأضرأرأها
بنفسه وكان هو يوقف على استعمال النبله والبنائين ولم يكن كذلك حتى أحكم أسوارها وجمع جميع البلاد ووجاهها
وأخرج من الأموال ما لا يقدّر قدره وأما بلاد الفرنج فدمرت بدمر لم يبق فيها شيء فاضل بها من الزلزلة قرب بام. هذا
واحد من أضرأخاف من نزالين قد وقع في مذهبهم بدمر لم يبق فيها شيء فاضل بها من الزلزلة قرب بام. هذا
الفرنجي الجوار وقيل من حصن الأكراد صافيا والعرية وعرقا في بحر الزلزلة غرق لاسيا حصن الأكراد فانهل
يبقى لسور وقد تم عليه فدمر حور ودمر فقلعه من سورهم وكل أشغل بادهاءه ونواصيت الأبحار من جميع
بلاد الشام بما أحدثته الزلزلة من الانهدام والانهدام قال وما سكنت النفوس من رعبها وتسلت القلوب عن كربها
الابادهم الكفار من أسرها وعراهم من ضرها فلقد خدصتهم بالامض الاشق وأخدمهم الزحفه بالحق فانها واقت
يوم عيدهم وهم في الكنائس فأصبحوا الردى فرائس شاخته أبصارهم ينظرون في علبهم السقف من فوقهم
وأناهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم ذكر العاد قصيدة في مدح نزالين ووصف الزلزلة مطلعها

هَلْ لِعَمَانِي الْهَوَى مِنْ الْأَسْرِ فَادَى * وَلَسَارِي أَيْـلُ الصَّبَابَةِ هَادَى

جَنِّبُونِي خُطْبَ الْبَعَادِ قَسَمُ اللَّهِ * كَلَّ خُطْبُ سَوَى النَّوَى وَالْبَعَادِ

كنت في غفلة من البين حتى * صاح يوم الاثيل بالبين حادى

قد حللتهم من مهجتي في السويداء * ومن مقاتي محل السواد

وبخاتم من الوصال باسمه ❦ في أما كنتم من الاجساد

في اخبار (١٨٥) الدولتين

وبعثت نسيجكم يتلانا * في فساد النسيم من عوادي
 سموني تجلدا واشتافا * وشمال تجمع الاشداد
 ابقاء بعد الاحبة باقلا * في ما هذه شروط الوداد
 ذاب قلبي وسال في الدمع لما * دام من نار وجوده في انشاد
 ما الدموع التي تتهذر بها الاشواق * والاقتات الاكباد
 حبذا اسكنو فؤادي وعهدي * بهم يسكنون سفع الوادي
 أمتني بالشام أهلي يغدا * دواين الشام من بغداد
 ما اعتياضي من جهنم يعلم الله * تعسا لي الا يحب الجهاد
 واشتغالي بخدمة الملك العا * دل محمود الصكرم الحساد
 انامنه على سر سروري * راتع العيش في مراد مرادي
 قيدتني بالشام منه الايادي * والا يادي للسرر كالاقياد
 قد وردت البحر الخضم ونطف * ملوك الدنيا به كك الفهاد
 هو نعم الملائكة من نائب الدهر * ونعم المعاذ عند المعاد
 جيل زره الفرج فاستبوا منه * بليس الحسد بليس الحساد
 فوق الرعب منه في أنفس الكفار * بين الارواح والاجساد
 سطوت وتزلزلت بسكنها الار * ض وهدت قواعدا الطواد
 أخذتهم بالحرق رجفة يأس * تركتهم صرعى صرف الوادي
 خفضت من قلاعها كل عال * وأعادت تسلعها كالوهاد
 أنفذ الله حكمة فهو ما من * مظهر سر غيبه فهو وادي
 أية أثرت ذوى الشرك بالظلم * وأهل التوحيد بالارشاد
 والا عادي جرى عليهم من التد * مبرما قد جرى على قوم عاد
 أشركت في الهلاك بين القرية * من دعاة الاشراك والاحاد
 ولقد حار بالقضاء فامضى * حكمة فهم بغير جلال
 والادار ووف في الشمام عنا * دافع لطفه بلاء البلاد

قال العباد ومنه ما معني متبركا بتدعته في الزلزلة وهو

ويحيى اصيبت الارض لما * اشتكت من مقام أهل الفساد

قال والعماد في هذه السنة عند وصولنا الى حلب في الخدمة الزورية كنت مقرنا للفضائل الشهر زورية وكان الحاكم بها القاضي محيي الدين ابو حامد محمد بن قاضي قضاة الشام كمال الدين ابي الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري وكان كمال الدين قد علق به تشفيذا الاحكام واليه امور الديوان وهو ذو المكانة والامكان في بسط العدل والاحسان ومحبي الدين ولد منسوب عنه في القضاء بحسب وبلد انبها ونظر ايضا في امور ديوانها وبجها وحصل من بني الشهرزوري قاضيان وهما ساجان مخيمكان وكان هذا محيي الدين من اهل الفضل وله نظم ونثر وخطب وشعر وكانت معرفتي به في ايام الفتنة ببغداد في المدرسة النظامية منذ سنة خمس وثلاثين والمدرس شيخنا معين الدين سعيد ابن الرزاز وكان مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه بهما معلم مذهب الطراز وكانت الزلزلة بحلب قد نخرت دار محيي الدين وسلبت قراره وغلبت اصطبغاره وحلبت افكاره فكتبته اليه قصيدة مطلعها

لو كان من سكوى الصباة مشكيا * لعدا على عدوى الصباة معديا
 مات الرجاء فان اردت حمايته * وأشوره فارج الامام المحييا
 أفضى القضاة محمد بن محمد * من لست منه للفضائل محصيا

مكتاب (١٨٦) الروضتين

قاض به قضت المظالم لمحبها * وغذا على آثارهن معقبا
يا كاشفا للحق في أيامه * غررا بدوم لها الزمان مغنيا
لم تنعش الشهباء عند عثارها * لولم تجدك لطود حالك مرسيا
رجفت لسطوتك التي أرسلتها * نحو الطغاة لحد عزك مهيا
وتظلمات من شرهم فقلبت * عجل أجازتهم عليها مبقيا
انفتحت من الثقلاء فيها أذمرت * أنفاسها ورأتك منها ملجيا
حلب ملحط المدام معسيل * إن لاقت الخطب الفظيع المبيكا
وبعدل نور الدين عاودا فقهيا * من بعد غيم الغم جوامعجيا
أنجني لهم حتما بعدا بعدما * ذهبت وللمرؤف فيها مبديا
لامورها متدبرا لشتاتها * متأففا لصلاحها متوليا
فالشرع عاد بعله مستظها * والحق عاد بظله مستذرا
والدهر لا ذبه فوه مستغفرا * عما جناه مطرقا مستحسرا

﴿فصل﴾ في غزو صاحب البيرة ووفاته صاحب الموصل قال ابن الأثير كان شهاب الدين محمد بن الياس بن ايلغازي بن ارتق صاحب قلعة البيرة قدسار في عسكره وهم ما اتنا فارس الى الخدمة النورية وهو بعشتر افلا وصل الى البيرة وهي من اعمال بعلبك ركب متصيذا فصادف ثلثمائة فارس من الفرج قدساروا للعارفة على بلاد الاسلام وذلك سابع عشر شوال وقم بعضهم على بعض واقتتلوا وصبروا فارقان لاسيما المسلمون لان ألف فارس منهم لا تصبر لجله ثلثمائة فارس من الفرج وكثر القتلى بينهم وانهم الفرج وعهم القتل والاسر في بقات منهم الامن لا يعسده ولو تواعدتم لاختلتم في المعادول كن لي قضى الله امره ان كان مغفولا وسار شهاب الدين بالاسرى ورؤس القتلى الى نور الدين فركب هو وعسكره الى لقائه واستعرض الاسرى ورؤس القتلى فرأى فيها رأس مقدم الاستبارية صاحب حصن الاكراد وكانت الفرج تعظمه لشجاعته ودينه عندهم ولانه شجى في حياض المسلمين وكذلك ايضا رأى رأس غيره من مشهورى الفرج فازداد سرورا ورائه الجند قال وفيها في شوال توفي الملك قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل وكان لما استقدمه اوصى بالملك بعده لولده عماد الدين زنكي بن مودود وهو أكبر أولاده وأعزهم عليه واحبهم اليه وكان النساب عن قطب الدين حينئذ والقلم بامر دولته خفر الدين عبدا المسيح وكان يكره عماد الدين زنكي لانه كان قد أكره المقام عند عمه الملك العادل نور الدين رحمه الله تعالى وخدمه ووزج ابنته وكان عزيزه وحبيبه وكان نور الدين ببعض عبد المسيح لظلم كان فيه وبذمه ويولم اخاه قطب الدين على توليته لامرره مخافا عبد المسيح ان يصرف عماد الدين في امورهم امره ففعله وبعده فاتفق هو والحناتون ابنة حسام الدين بختراش زوجة قطب الدين فرتوه عن هذا الرأي فلما كان الغد أحضر الامراء واستخلفهم لولده سيف الدين غازي وتوفي وقد جاوز عشرين سنة وكان تام القامة كبير الوجه أبيض اللون واسع الجبهة جهورى الصوت وكانت ولادته احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفا وابتا توفى استقر سيف الدين غازي في الملك ورحل عماد الدين الى عمه نور الدين شاكيا بامرسته نصرها وكان عبد المسيح هو يتولى امور سيف الدين ويحكم في مملكته وليس لسيف الدين من الامراء الا امره لا نفى عن فنان وشبابه وعز جد الله قال وهذا حدادته تحت على العدل كان من جلالة اعمال جزيرة ابن عمر قرية تسمى العقبة مقابل الجزيرة من الجانب الشرقي بفصل بينهما دجلة لها بساتين كثيرة بعضها تسمى أرضه وتؤخذ على كل جرب من الارض التي قد زرعت شجرها وبعضها عليه خراج ولا مساحة عليه وبعضها ملق منها فامسوح منها لا يحصل لاصحابه منه الا القدر القوي وبو كان لها بعدة بساتين فحكي لي والى قال جاءنا كتاب خفر الدين عبدا المسيح الى الجزيرة وأنحنا فتشددتوني فلو انما يامر بان تجعل بساتين العقبة كلها موحدة فشي ذلك على لاجل اصحابها فقها تاس صالحون ولي بهم أنس وهم فقراء فراجعتهم وقلت لا تظن اني أقول هذا الا حصل ملكي لا والله وانما بدأت بدوم الناس على الدعا لولوى قطب الدين وأنا امسح بملكيه جميعه قال فأعاد الجواب بامر المساحة ويقول سمع ولا ملكك

يقعدى بك غيرك ونحن نعلم لك ما يكون عليه فشرع الشواب بمسكون وكان بالعمية رجلاً من صالحان بنى وبنيهما مودة اسم أحدهما يوسف والآخر ادة فظنرا عندي ونضرا من هذه الحال وسألا في المسكنة في المعنى فأظهرت لهما مكتاب عبد المسيح جواباً عن كافي فشكلاني وقالوا أيضاً وقد رآنا قوله فأمر على المساحة فمن قسمها الحال فلما مضى عدة أيام عدت يوماً إلى دارى وإذا هم قد صادفاني على الباب فقلت لنفسي بجها المحدثين الشيخين قد رأيا امرأته كيف هوها يذلان منى ما لا أقدر عليه فقلت لهما والله انى لا يستحيى منكم كما لا يستحيى في هذا المعنى وقد رأيتما الحال كيف هوها فالا صدقت ولم تحضرا الا لنعرفك ان حاجتنا قضيت فظننت انهم اقداراً إلى الموصل من يشفع لهما فدخلت إلى دارى وأدخلتهما معى وسألتهم ما عن الحال كيف هو ومن الذى سعى لهما فقالا ان رجلاً من الصالحين الا بدال شكرونا له حالنا فقال قد قضيت حاجة أهل العمية كما هم قال وقع عندي من هذا ولكن تارة أصدقهما لما أعلم من صلاح أحدهما وتارة أعجب من سلامة صدورهما كيف يعتمدان على هذا القول ويعتقدانه واقعا لا شك فيه فلما كان بعد أيام وصل فاصد من الموصل بكتاب يأمر فيه باطلاق مساحدة العمية واطلاق كل مسجون وبالصديقة فسألت القاصد عن السبب فأخبرنا ان قطب الدين شديد المرض قال فأفكرت في قؤولهما وتجنبت منه ثم توفى بعد يومين من هذا قال ورأيت والدي اذا رأى أحد الرجال يبالغ في كرامته ويحترمه ويبقى اشغاله واتخذها صديقين قال وكان قطب الدين من أحسن الملوكة وأعظمهم عن أموال رعيته بمسكنة الهم كثير الانعام عليهم محبوا إلى صغيرهم وكبيرهم حليما عن المنسبين سرور الانفعال للغير حسنة والذى قال استندعاني يوماً وهو بالخزيرة وكنت أتولى أعمالها فلا تثنى في بعض الامر فقلت أخاف من الاستقصاء الذى على بعض هؤلاء الملوكة وأومات إلى أولاده لكانت شعرة منه تساوى الدنيا وما فيها من مواضع فحتمل العمارة وعرفت تفصل منها أضعاف هذا فقال جزاك الله خيراً لقد نجت وأديت الامانة فأشعر في عمارة هذه الامانة كن ففعلت وكبرت منزلي عنده ولم يزل يثنى على قال وكان كثير الصبر والاحتمال من أعباءه لقد صبر من نوابه من الدين وجمال الدين وغيرهما على ما لم يصبر عليه سواه وكان حسن الاتفاق مع أخيه الملك العادل نور الدين كثير المساعدة والانتداب له بنفسه وعسكر وأمواله حضر معه المصافى بحارم وقتحه وأتم بانياس وكان يخطب له في بلاده باختيماره من غير خوف وكان احسانه إلى أعباءه متتابعاً من غير طلب منهم ولا تهم وبض وكان يرضى النظار وأهله وبعاقب من يفعله قال وبالله أقسم اذا ذكرت في الملوكة أولادى نكح سيف الدين ونور الدين وقطب الدين وما جمعت الله فيهم من مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال وحسن السيرة وعمارته البلاد والرفق بالرعية الى غير ذلك من المسباب التى يحتاج الملك اليها اذكر قول الشاعر

من تلق منهم تقل لاقت سيدهم * مثل النجوم التى يدري بها السارى

قلت وقرأت بخط الشيخ العلامة الله في كتاب كتبه إلى بعض الصالحين وسأله فيه الدعاء لقطب الدين صاحب الموصل وقال فيه (بالبحر) لودعت أشرك لك سيرته في بلاده وعش رعيته في ولايته أطمت وأخبرت غير أنى أذكر لك ما خصه الله به من الاخلاق الصالحة هو من اكثر الناس رجته وأشدهم حياءاً وأعظمهم تواضعاً وأقلهم طمعاً وأزهدهم في الظلم وأكثهم صبراً وأبعدهم غضباً وأسرهم رضا وهو من هذه الاخلاق على حد أحبه أنا بحسبه لا أقدر أصفه أو يبنى وبنيته الحياء ومنزلة ورثى وأزوره

(فصل) قال اس الاثير والمبالغ نور الدين وفاة أخيه قطب الدين وملك ولده سيف الدين بعده واستبلاء عبد المسيح واستبداده بالامور وحكمه على سيف الدين أنف من ذلك وكبره ووشق عليه وكان بعض عبد المسيح المبالغه من خشوته على الرعية والمبالغة في اقامة السيادة وكان نور الدين رجحه الله ليمارقه باعدال فقال أناأولى بتدبير نبي أخى وملكهم ثم سار من وقته فغير الفرات عند قلعة جعبر أول المحرم

(ثم دخلت سنة ست وسبعين وخمسائة) : وقصد الرقة فقامت مع السائب بها شياً من الامتناع ثم سار على شئ اقتصره فاستولى نور الدين عليها وقرأ مؤامرها وسار إلى الحلب فزعم له ان جميعه ثم ملك نصيبين وأقام بها جميع العساكر فانه كان قد سار جريداً فأتاه بها نور الدين محمد بن قراى السلطان صاحب الحصن وديار بكر واجتمع عليه العساكر

كتاب (١٨٨) الروستين

وقد ترك أكثر عسكره بالشام لحفظ ثوره واطرافه من الفرنج وغيرهم فلما اجتمعت العساكر سار الى سنجار
 فحصرها واقام عليها ونصب المجانيق وكان بها عسكر كبير من الموصل فكتبه عامة الامراء الذين بالموصل
 يحثونه على السرعة اليهم ليلبوا البلد اليه واشتازوا بترك سنجار فلم يقبل منهم وقام حتى ملك سنجار وسلبها الى ابن
 أخيه الاكبر عماد الدين زنكي ثم سار الى الموصل فأتى مدينة بلد وعبر دجلة في مخاضة عندها الى الجانب الشرقي
 وسار فزل شرق الموصل على حصن يذوى ودجلة بينه وبين الموصل قال ومن العجب انه يوم نزوله سقط من سور
 الموصل بدنة كبيرة وكان عبد المسيح قد سير عز الدين مسعود بن قطب الدين الى أنابك الذي كان صاحب بلاد الجبل
 واذرى ببيان واران وغيرهما يستجده فأرسل اليه دكر رسولا الى نور الدين ينهاه عن قصد الموصل ويقول له ان هذه
 البلاد لاسلطان ولا سليل لك اليها فم يلفت نور الدين الى رسالته وكان يستجيب فصار الى الموصل وقال للرسول قل
 لصاحبك أنا أرفق بيني أحمى منك فلا تدخل نفسك بيننا وعند الفرار من اصلاجهم يكون الحديث معك على باب
 هذان فانك قد ملكك انصف من بلاد الاسلام وأهلكت الثغور حتى غلب الكرج عليها وقد بليت أنا وحدي
 بأشيع الناس الفرنج فخذت بلادهم وأسرت ما لو كهم فلا يجوز لي أن أتركك على ما أنت عليه فانه يجب علينا
 القيام بحفظ ما أهلكت من بلاد الاسلام وازالة الظلم عن المسلمين فعاد الرسول بهذا الجواب وحصر نور الدين الموصل
 فلم يكن بينهم قتال وكان هوى كل من بالموصل من جنس دعى معي معه لحسن سيرته بعد له وكتابه الامراء يعلمونه
 على الوثوب على عبد المسيح وتسلم البلاد اليه فلما علم عبد المسيح ذلك راسله في تسليم البلد اليه وقرره على سيف
 الدين وطلب الامان واقطع اعانته فاجابه الى ذلك وقال لا سبيل الى ابقائه بالموصل بل يكون عندي الشام فاني
 لم آت لأخذ البلاد من أولادك إنما جئت لخلص الناس منك وأتولى أنا رية أولادى فاستقرت القاعدة على ذلك
 وسلمت الموصل اليه فدخلها ثلاث عشرة جمادى الاولى وسكن القلعة وأقر سيف الدين غازي على الموصل وولى بقلعتها
 خادما يقال له سعد الدين كشتكين وجعله زهدارا فيها وقسم جميع ما خلفه أخوه قطب الدين بين أولاده فبقي
 الفرصة وكان يحاصر الموصل جاءه جماعة من الخليفة فلبسها فدخل الموصل خلفها على سيف الدين وأطلق
 المكوس جميعها من الموصل وسائر ما فتحه من البلاد وأمر ببناء الجامع النوري بالموصل فبنى وأقيمت الصلاة فيه
 سنة ثلاث وسبعين وستمائة واقام بالموصل نحو عشرين يوما وسار الى الشام فقبل له انك تحب الموصل والمقام بها
 وترك أسرعت العود فقال قد تغير قلبي فيها فان لم أفارقها ظلمت وبعثتني أيضا ناني هاهنا لا أكون من ابطال العدو
 وملازم الجهاد ثم أقطع نصيبين والخابور العساكر وأقطع جزيرة ابن عرس سيف الدين غازي ابن أخيه مع الموصل وعاد
 الى الشام ومعه عبد المسيح فغير اسمه وسماه عبد الله وأقطعه أقطاعا كثيرا وقال العماد استدعاني نور الدين ونحن نظاهر
 الرقة وقال قد آمنت بك وآمنت اليك وأنا غير مختار للفرقة لكن المهم الذي عرض لا يبلغ فيه غيرك الغرض فخصني
 الى الديوان العزيز جردت وودى عنى رسالة سديدة تسعده وتنهى انى قصدت بيتى وبيت والذى ومعنى طريقي
 وتالذى وأنا كبيره ووارثه والذى له حديثه وحادثه فامض وتخذلى اذنا فاني أعد كل جارحة لما أخطبته اذنا واملت
 ما يصلني من المال لافعل كل مكروه كما وأمر ناصر الدين محمد بن شيركوه أن يسير في الى الرحبة في رجال ما وفى العجبة
 وسرت منها على البرية غري الفرات بخفي منى خفاجه فذكر انه وصل وقضى الحساجه ثم رجع من عند الخليفة
 المستعبد الى نور الدين وهو يحاصر سنجار فاخذها وسلبها الى خنته ابن أخيه عماد الدين زنكي بن مودود زنكي
 قال ثم رحل على عز الموصل وقصد بلد واستوضع فيها الجدد وذل هنالك في دجلة على مخاضه وكان ذا اخلاق
 وبهم من تاضه فاستسلم من خوضها والعجز فيها ما طرقت مستصعبا وسئل الله لانا ذلك رأيتناه أمر انجبا وجاء دليل
 تركاني قدامنا وهو قطع دجلة نارة طولاً ونارة عرضاً أماننا ونحن وراءه نتكلم واحداً لا يمشي ولا يسار ولا نجد
 لسائقى سوى ذلك المجاز اختيارا حتى عبرنا من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي برحلتنا واثقنا ونخيلنا
 وبغائنا وجائنا وأقننا بذلك اليوم حتى تم عبور القوم ثم رحلنا وزلنا على الموصل من شرقةا وخيلنا على تل
 توبه فاستعظم أهلها ذلك النبوه وما خطر ببالهم أنا انهم يعبروا الكب وأنا أخذنا عليهم ذلك الجانب ففرقوا انهم
 محصورون معقورون مجسورون وانقطعت عنهم السبل من الشرق وتعدر عليهم الرقع لتوسع الخندق وبسط العطا

في اخبار (١٨٩) الدولتين

وكشف العطا وتزكم في المصلحة والمصالحة الوسطا ومذا الجسر وقضى الامر وأنتم نور الدين على أولاد أخيه ومثلاو بناديه وأتوسيف الدين غاز ياعلى قاعدة أبيه وألبسه التشنيف الذي وصله من أمير المؤمنين المستضيء ثم دخل قاعه الموصل وأقام بها سبعة عشر يوما وجد من أشير أهل المناصب وثوقه جات ذوى المراتب من القضاء واللقاية وغيرهما وأمر باسقاط جميع المكوس والضرائب وأنشأ بذلك منشورا يقرأ على الناس فيه (قد قنعنا من كثرة الأموال بالسير من الحلال فصحقنا للصحق ومحققا للفرام الحقيقي بالحق وبعد ما يبعده من رضى الرب ويقضى من محمل الترتب وقد استخزننا الله وتقرنا بالله ونوكلنا في جميع الأحوال عليه وتقدمنا باسقاط كل مكس وضريبة في كل ولاية لئلا يعبدة أو قربة وإزالة كل جهة مشبهة مشويه ومحول سنة سنة شنيعة ونفي كل مخالفة منافية فظيعة واحياء كل سنة حسنة وانتهز كل فرصة في الخير يمكنه واطلاق كل ماحرت العادة بأخذ من الأموال المحظورة خوفا من عواقبها الرديئة المحذورة فلا يبقى في جميع ولا يتناحور جارا ولا عل لا يكون به الله راضيا إيشارا للثواب الاجل على الحظام العاجل وهذا حق لله قضينا وواجب علينا أثباته بل هي سنة حسنة سنناها ومحجة واضحة بينها وقاعدة محكمة مهندناها وقائدة معتمة أفدناها)

(فصل ١٠) قال العماد وكان بالموصل رجل صالح يعرف بامر الله سمي بذلك كان يلا تسائر الجلس بأجرة يتقوت بها وكل ما عليه من قيص ورياء وكسوف وكساء قدامه كسواه واستعاره فلا يملك ثوبه ولا زاره وكان له شيء فوهيه لاحد من يديه وهو يتخير نفسه فيه فاذا جاءه ضيف قراد ذلك المريد وكان ذامعة بأحكام القرآن والاحاديث النبوية وكان العلماء والفقهاء والمالوك والامراء من روفونه في زاويته ويقيمون بهته ويتعمون ببركته وله كل سنة دعوة يحتفل بها في أيام مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضره فيها صاحب الموصل وبعضه الشيوخ والعلماء يشهدون مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الحفل وكان نور الدين من أخص محبيه يستشير في حضوره وبكائه في مصالح أموره وكانت بالموصل خربة واسعة في وسط البلد أشيع عنها انه عاش في عمارتها الامن ذهب عمره ولم يتم على مراده فأشار الشيخ عمر على نور الدين باتباعها ورفع بناء جامع عاتقها فيه الجيع والجماعات ففعل وأنت في هذه الأموال الكثيرة ووقف عليه ضبيعة من ضياع الموصل ورتب فيه خطيبا ومدتسا وكان قد وصل في تلك السنة واقفا الفقيه عماد الدين أبو بكر التوفاني الشافعي من أصحاب الامام محمد بن يحيى فساءله ان يكون مدرسا في ذلك الجامع وكتب له به منشورا قال وحضر محيا هذا الدين فاعلمنا صاحب اربل الى الخدمة النورية بالموصل وان دخولهم بابها في بحبوحة الشتاء فكتب العماد الى بعض كبراء الموصل قصيدة منها

ما يمنع الحنادم من قصده السـخدمه غير الطرق والوصل
كانما موصولكم هـ قطع * ما يمتدى فيه الى وصل
وكل معسوف بهامتك * كما نراه ضيق السـبيل
وكل من حل بها لا يرى * في زمن الخصب سوى المحل
ومدخلنا حاصلنا بها * كرها على خرج بلاد خـل
أصعب ما نلقاه من أهلها * قول بلا أهل ولا سهل
وكنت أهرأها ولكنى * لقيت منها كل ما يسـل
وأنت من أصبح احسانه * حلية هذا الزمن العطل

قال وعاد نور الدين الى سنجار فأعاد عماره أسوارها ثم أتى حران وقد اقتطعها عن صاحب الموصل هي ونصيبين والخابور والمجدل ووصل حلب في خامس رجب قال ابن شداد دخل حلب في شعبان ورؤج صاحب الموصل ابنه قال العماد وقوض القضاء والحكم بنصيبين وسنجار والخابور الى الشيخ شرف الدين بن أبي عمرون فولى بها نوابه وحكم فيها أعنيها وقال القاضي ابن شداد ما صارت الموصل الى سيف الدين بن أبي نور الدين كان قد استولى عليه وتولى أمر البلد رجل يقال له عبد المسيح كان نصرانيا فاسلم وقيل انه كان ياقيا على نصرانيته وله بعة في داره وتبع أرباب العلم والدين فشتتهم وأبعدهم وأذى المسلمين فبلغ نور الدين ذلك وكتب له قصص في ذلك فأسر وزل

كتاب (١٩٠) الروضتين

على الموصل من جانب الشط والشط بينه وبينها وقال لأفأقل هذه البلدة وأهنتك حومتها وهي لولدي وراسل سيف الدين وقال له أأنا ليس مقصودي البلدة وإنما مقصودي حفظ البلد لأنه قد كتبك إلى في عبد المسيح كذا كذا ألف قصة ما يفعل مع المسبيين وأنا مقصودي أزيل هذا النصر إلى عن ولاية المسبيين قال وعبد المسيح يدبر البلدة ويدور فيه والأمر إليه وبذل الصلح لنور الدين فقال نور الدين أنا قد جئت ولا بقل من دخول البلد فقال نعم لا يدخل إلا من باب السر فقال نور الدين ما أدخل إلا من باب السر فجرت بين نور الدين وبين ابن أخيه من أسسالات إلى أن علم أن نيته صالحة فصالحه في السر وركب عبد المسيح وخرج يدور بين السورين فجاء بعض أصحابه وقال له أنت ناعم ودمك قد راح وأنت غافن فقال له ما الخبر فقال سيف الدين قد صالحت عك وقد علمت ما علمت في حفظ بلدك وما لي طاقة بقها بله نور الدين قال الله في ذي قبال له ما لي طاقة بدفعه عنك ولكن عليك بالمشيخ الملاقاة قال والله فومضت إليه لم يفتح لي عليه ما جرى منه في حق المسبيين ولكن تشير أنت إليه أنا فذهب سيف الدين إليه واستخضره وكان معه كنهافا قال له ما الخبر فقال سيف الدين لعبد المسيح منك إليه فوقف بين يديه يبكي فالتفت إليه المشيخ عمر وقال من بعد أدي الرجال يبكي مثل النساء فقال له قد تمسكت بك وأطلب منك حقن دمي فقال أنت آمن على دمك فقال وعلى ما لي فقال وعلى ما لك فقال وعلى أي فقال وعلى أي هلك وكان شرف الدين بن أبي عصرون مع نور الدين حينئذ فقال سيف الدين لعمر الملك ما تخلف نور الدين فأحضر الفقهاء وعلموا نسخة عين لنور الدين ونسخة عين لعبد المسيح فأخذها عمر وخرج إلى نور الدين فقام نور الدين وخرج من خيمته والتقاءوا كرمه فقال له عمر الناس يعملون حسن عقيدتك في وقد خرجت في كذا وكذا وزاوله النسخة التي تتعلق بسيف الدين فقرأها ونالها لأن أبي عصرون فقال لنسخة جيدة فقال له المشيخ عمر المأوى شيء تقول في هذه النسخة فقال جيبه فقال إذا حلف بها على هذا الوجه أليس أنها تقع لازمه فقال لي فقال للحاضرين أشهدوا على المشيخ بذلك يشهد لي أن نور الدين كان يجري منه إيمان في وقائع وكان ابن أبي عصرون يترجمه بالخروج منها فبعد عليه القول فأجاب نور الدين إلى ذلك فقال له قد علم الناس حسن عقيدتك في وأن قولي مسموع عندك وقد خرجت إليك ولا بد لي من ضيافة فقال كيف لي بذلك وأنت لا تأكل طعما ولا تقبل مني شيئا فقال تخلف لي بهذه النسخة فوقف عليها وتغير وجهه وقال أنا ما جئت إلا في هذا لأخلص المسلمين منه فقال المشيخ عمر فما نطلب منك أن توليه على المسبيين فقال قد أمنتهم على نفسه فقال وعلى أهله فقال ومن أهله فقال نصارى فقال أمنتهم فقال وعلى ماله فقال ومن أين لهذا الركب مال هذا ما هو لك لنا فقال قد أعتق وماله له وهو اليوم كان صاحب الموصل قال قد أمنتهم على ماله فخلف له على ذلك جميعه وأستقر الصلح وخرج سيف الدين إلى خدمة نور الدين فوقف بين يديه فأكرمه نور الدين وكان وصلا خلعة أمر المؤمنين فخلعها عليه فدخل إلى الموصل بها وانتقل إلى جانب الشط الآخر ولم يدخل إلى الموصل إلى أن جاء طرشد بد جدا فدخل من باب السر إليها وأقام بها مدة قوترب أمرها وولوى فيها كمشة كين فرأى النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وهو يقول له جئت إلى بلدك وطالبنا الانتقام وبزرتك الجهاد وقتال أعداء الدين فاستيقظ من منامه وسار سحرة ذلك اليوم ولم يلبث ولم يعلم به أكثر الناس حتى خرج ورحله ووجه الله

(فصل) وصل الحسين بن موت الامام المستجيد بالله أبي المظفر يوسف بن المقتدى بالله ونور الدين محمد بن شرف الموصل بنو به وكانت وفاته يوم السبت تاسع ربيع الآخر وبلغ ابنه المستجيد بنو به الله أبو محمد الحسن وكان مولد المستجيد بالله مسترل ربيع الآخر سنة عشر وخمسمائة وكانت خلافته إحدى عشرة سنة وستة أيام وهو الثاني والثلاثون من خلفاء بني العباس وهذا العدد له بحساب الجبل الثلاثين واليا وفيه يقول بعض الأدبا أصبحت لبني العباس كاهن * ان عدت بحساب الجبل الخلفاء

وكان اسم تمام القامة طويل اللحية وكان من احسن الخلفاء سيرة مع الرعية كن عادلا فيهم كثير افرق بينهم وأطلق من المكوس أشهر وأولم يترك بالعراق مكسا وكان شديد اعلى أهل العمى والفاساد والسعاية بالناس قال ابن الاثير بلغني انه قبض على انسان كان يسمى بالناس ويكتب فيهم السعائيات فأطال حبسه فحضر بعض أصحابه يشفع فيه وبذل

في أخبار (١٩١) الدولتين

عنه عشرة ألف دينار فقال له أنا أعطيك عشرة آلاف دينار ويحضر لي أنسانا آخر مثله احبسه لا تكف شره عن الناس وفي أيامه توفي شيخ الشيوخ اسماعيل بن أبي سعد وصار بعده ابنه صدر الدين عبد الرحمن شيخ الشيوخ وذلك سنة احدى وأربعين وفي سنة ثمان وأربعين توفي محمد بن نصر القيسرائي وأحمد بن منبر الشاعران وقد تقدم ذلك وفي سنة تسع وأربعين توفي الحكيم أبو الحكم الشاعر الاندلسي وفي سنة احدى وخمسين توفي الروا الشاعر الحلي وفي سنة ثلاث وستين توفي الشيخ أبو الحبيب الصوفي الفقيه الواعظ قال أحمد و جاءه برسول دار الخلافة مبشرين بسلامة المستضيء واتفق ذلك يوم عهده ورجله تركب يوم التزلزل على تن توبته في الالهية السوداء والبيضاء وذلك برأى ومنظر من أهل الموصل الحدياء ثم أرسل الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون الى بغداد انبا باعنه في خدمة الامام بها نظمه العماد فيه قد أضاء الزمان بالمستضيء * وارث البرد وابن عم النبي جاء بالحق والشرية والعبد * لقياس حبيب هذا النبي في بيتنا لاهل بغداد فازوا * بعدئذ يسكن كل عيش هني ومضى ان كان في الزمن المظلم فالعمر في الزمان المعنى

وله من قصيدة أخرى

لحق على زمن الشباب فاني * بسوى التأسف عنه لم اتعوض
نقضت عهد والغياب وانها * لولا نقاش شيبتي لم تنقض
يا حسن أيام الصبا وكأنها * أيام مولانا الامام المستضي
ذوالهمزة الزهراء بشرق نورها * والظلمة الغراء والوجه الوضي
قسم السعادة والشقاوة ربنا * في الخلق بين محبه والبغض
فضل الخلافة والخلق بالحق * والفضل والافضال والخلق الرضي
فانعم أمير المؤمنين بدولة * ماتت تبي وسعادة مائة تضي

قال ووصل نور الدين رحمه الله تعالى الى دمشق وأدى فرض الصيام ونجح بعد العذر الى الخيام وأتم حصر سرادقه الى جسر الخشب وسرنا الى عشر اثم ذكر العماد هنا مري صاحب البيرة الارثقي بالابوة وقد مضت في اختياره تسعة خمس وستين فتم ذكرها بن الاثير

(فصل) في ما جرى بمصر في هذه السنة قال العماد كان بمصر حبس للشحن يعرف بدار المعونة فاعادها صلاح الدين مدرسة للشافعية في أول سنة ست وستين وعمل في النصف من المحرم دار الغزل لمدرسة المالكية وولى صدر الدين عبد الملك بن دواس القضاء والحكم بمصر والناصرة وأقامها وذلك في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة ثم خرج الى غزة وانغار على الرملة وعسقلان وشيخه رضى غرة ثم رجع الى الناصرة ثم وصله الخبر بخر وج فافله من دمشق فيها أهله فاشفق عليهم وأحبب إليهم مع بهاء شمله فخرج في النصف من ربيع الأول وكانت باليلة قاسية في البحر قد حصنها أهل الكوفة فهاهم أكل وجعلهم الى ساحلها على الجبال وركب الصناعات هناك وشجعها بالرجال وفتح القلعة في العشر الأول من ربيع الآخرة واستأجرت لها واستباح بالقتل والاسراهاها وملاها بالعدد والعدد وحصنها بالرجال والجلاد والجلد واجتمع بأهل عليها وسار بهم على حمت القاهرة ودخلوا في السادس والعشرين من جمادى الاولى اليها وساروا الى الاسكندرية في الثالث والعشرين من شعبان لمشايد فابرتب وأعد لها وهي أول دفعة سار اليها في أيام سلطانه وعم أهلها باحسانه وأمر بمباراة أسواره وأبراجها وأبدانها في النصف من شعبان اشترى في الدين عمر بن شاهنشاه وهرابن أخى صلاح الدين منازل الغز بمصر وجعلها لمدرسة للشافعية واشترى الروضة وحمام الذهب وغيرهما من الاملاك ووقفها عليهم وفي النصف من جمادى الآخرة أغار خمس الدوله اخو السلطان بالصعيد على العربان ثم دخل القاهرة في عاشر شهر رمضان وفي الثالث والعشرين من جمادى الآخرة توفي القاضي الموفق أبو الجناح يوسف بن الخلال وكان من الامايل الا فاضل ولم يزل صاحب ديوان الانشاء الى ان اكبر وكان الاجل الفاضل يوصل اليه كل ما كان له وقام به مدة حياته يكرم عهده ويكفله وقال في الخبر يده وهاذا ديوان

كتاب (١٩٢) الروضتين

مصر وادسان ناظره وجاء مع مفناخره وكان اليه الانشا وله قوة على الترسل يكتب ما يشاء عاش كثير او عطل في آخر عمره واضر ولم يمت اليه ان تعرض منه القبر ومن شعره

يا أبا الغر تحسب الدهر من عظمة المغرور ما أجمع يدي
تؤثر الدنيا فهل نلت بها خلقة تخلص من همم وك

قلت وذكر ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري في أول كتابه المسمى بالوشى المرقوم في حل المنظوم قال حدثني عبد الرحيم بن علي البيسانى رحمه الله بمدينة دمشق في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة قال كان فن الكتابة بمصر في زمن بنى عبيد غضا طريا وكان لا يخلو ديوان المكاتبات من رأس برأس مكانا وبسانا وبقيم لسلطانة قبله سلطانا وكان من العادة أن كلما من أرباب الدواوين إذا نشأ له ولد وشذ أشيئان من علم الادب حضره إلى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويرى ويسمع قال فارسى والذى وكان اذذا لفاضيها بغير عسقلان إلى الدار المصرية في أيام الحافظ وهو أحد خلفائهم وأمرني بالمصير إلى ديوان المكاتبات وكان الذى برأس به في تلك الأيام رجلا يقال له ابن الخلال فلما حضرت الديوان ومثلت بين يديه وعرفته من أنا وما طلي رجبى وسهل ثم قال ما الذى أعددت لى فن الكتابة من الآلات فقلت ليس عندي شئ سوى أنى أحفظ القرآن العزيز وكأب الحاسة فقال وفى هذا بلاغ فغم أمرنى بزمته فترددت إليه وتدرت بين يديه ثم أمرنى بعد ذلك أن أحل شعر الحاسة فخلت من أوله إلى آخره ثم أمرنى أن أحله مرة ففانته فخلته

وقال ابن أبى طى في هذه السنة شرع السلطان يعنى صلاح الدين في إعادة سور القاهرة لانه كان قد تمدم أكثره وسار طريقا لا يرد داخل ولا خارجا ولا يفرأ قوش الخادم وقبض على القصور وسلمها إليه وأمر بتغيير شعرهاع الاسماء عليه وقطع من الأذان حتى على خير العمل وشرع في تهيد أسباب الخطبة ببنى العباس وفيها طلب شمس الدولة من أخيه السلطان ربع الكامل بالقاهرة وأزاد على إقطاعه بوش وأعمال الجيزة ومحمود وغيرهما قلت وقد وقفت على كتاب فاضلى وصف فيه غزاهما صاحب صلاح الدين رحمه الله في زمان وزارته وكان الكتاب إلى مدينة قوص وأوطن هذه الغزاة هى التى أشار اليها العادى أثناء كلامه السابق أول الكتاب (وانقلبوا بتمه من الله وفضل ليعلمهم سوء واتبوعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) وفيه (توجهنا من ركنا الجب يوم الخميس الخامس عشر من ربيع الأول ووصلنا بتاريخ السابع والعشرين من الشهر المذكور والعساكر بالسبل والوعر من نفاحه والهمم على السبل والصعب من دجه وجنود الله في الأرض المعلة قد أيدتماجنود السماء المسومة وصاحبنا الدين يوم الاربعاء بقتال جعل كل من فى حصن الدين راها وتصبنا عليه مخبئة قال يزال يشهاب القذف ضاربا فلما تعالى النهار ما كابر بضه وأطلقنا فيه النيران ورومنا الرجال بالدم وارمنا النسمان وزحفنا إلى أبراجه وهى أبراج قد استعانت للملجأ جليبا فغلغلنا لكل واحد جورة مفردة بابا وسر حنا اليهم ورسل المنايا من الشباب وتصدنا أحد الأبراج والبيوت توفى فى الحرب من غير الأبواب وتقدمت اليها نقابة الحلبية فباتت ليلتها تساوره وزاجعه بالسنة المعاول وتشاوره واسفر الصبح وقد أمكن تعلقه ويتسبح بريقه فأودعنا تلك العقود الآلات الودود فلم يكن المقدار اشتعالها حتى خصر صريرها وعفر بين أيدينا سامعنا مطيها وانتظمت الرجال على أسخاره وتوانبت إلى أمثاله من الأبراج وأنظاره فخلصت فى القمضه وبخجز من كان فيها من الفضه واحتكم فيها العذاب بالسيف والنار وضاق عليهم مجال النفس والقرار واستقبلنا يوم الخميس ثقب القلعة وتقدم المخينق وتسير السبل للقتال وتخلص الطريق وهذا السبب والنوب قد امتارت منها العساكر ونخرجت فيها مكدرات الذخائر وأضبه اليوم يوم تبلى السراير وطهر الأرض منهم بالدم المائثر فلما كان بكر الجمعة وردتنا الأخبار بأن الملك قد زحف من غرة فى فارسه ورجله وراحته ونابله وحشود ياره وجنود أنصاره فركبنا متسحين بزحفه موقنين بحتفه وبقيناه فاحطنا من بين يديه ومن خلفه وناوشته الخيل الطراد واجدق به احداق الأغلال بالاجياد وانتظرت لحته التى كانت لها قبل ذلك اليوم وقع وصدته التى لها من رجال الحرب موضع فلا والله قلبه رعبا ونفى صدقه كلبا ولم يزل يقاتل ولا يقاتل ويواصل المسير ولا يطاول والقتل فى أعقابها وأيدى السيوف وسواعد الرماح لا تنفى فى أعقابها حتى تحصل فى الدبر هو وخيله ورجله ولم يبق له من ملك الشام الا ما طشته رجلاه فبناصيناه

في الخبر (١٩٣) الدواوين

فناصبه الحصار في ليلة السبت مستهل ربيع الآخر بالكويت اليه والوقوف عليه لعله يبرز ويبارز ويخرج ولا يخرج فخرست غناؤه واستذابت خيراغمة فتركا هرونا وجعلنا بلادا امام صدورنا فكنا في قلوبنا من ضيق الله سبحانه لا مضيقين وفي تركه وراءنا ومباعدته من الله متقربين وواجهنا غرة بعساكرنا المنصورة وأطقنا لها في أحسن صوره وهي على ما علم من كونها بكر الم تفرعها الحوادث وحدها انما بطمن أهل طامث هي معقل الديوية الذين هم جرة الشرك وداية الافك وأنى الله ببنيانها من القواعد وأنجز فيها من النصر صادق المواعد ووردناها بأعين الموارد وفتحناها من عدة جوانب ووطئناها واذاهي كاس الذاهب فألفت البنا فلا كبد لها وذخير يديها فن بين مواش يحارب البلاد التي منها خرجت ونحويل مسومة كنهها لكونها أسرجت وألجت وحوامل أنقال وزوامل خففت عن عساكرنا وخرجت وميرة كثيرة تمكنت منها يد الاجتاد وأفرجت وأسارى المسلمين فكروا من القيد والقد وأنفذوا بلطف الله من سوء الأكيدة وشدة الجهد فأما الرأس المقطوعة وأسارى الفرنج الذين أبدى بهم إلى أعناقهم مجموعهم فان القضاء القضي تعصف من دماهم وتذهب وجرى منها ما به اضطرم وقد اعظم وتاهب وفي الحال أمرنا بالانذار ان تشغل بها وتشغل وبالهدم ان ينقل عنها ما وله ويثقل فيل ترى لهم من ياقبه أو تنظر الاطلولا على عروشها خاويه وعراصمها سكانها خاليه قديمت عبرة لا عروذ كرى للذاكر وموعظة سارة للسلم من غمة للكارف ثم عدنا بقية يوم السبت الى الملك خذله الله راجين ان يجعله الشكل على الاقدام ويخرجه من النار الى مقام الانتقام فاذا شئنا فانه قد نصحه وقتل أعصابه قد خرج فبنا عليه والاسمة بفراة تعبره واستناره بقرعه وبقوره وأصحبنا يوم الاحد ثاني شهر ربيع الآخر والكسب قد أنقل المقاتلة ونصر الله قد بلغ الغاية المستأصله ورحلنا والسلامة لصغير عسكرا وكبيره شامله والعدو قد غزى في عقرو عقر وأذل في دار ملكه وأحتقر ووصلنا الى مستقر سلطاننا في يوم الاثنين الحادي عشر من الشهر المذكور فاستقبلنا من مولانا صولات الله عليه ونسرفه واستقبال ركا به ومشافهتنا بقول دعائه الشريف وبجابه ما غلظت به النعم وجلت وزالت به وعنه الطريق وتجلت وبادتها سماء انعامه التي لم تزل تتودنا واستملت قلبت ومن قصيدة لعمارة في مدح صلاح الدين أومها

(فؤاد بنار الشوق والوجد محرق) يتولى فيها

لعل بني أيوب ان عسرا بما * تظلمت منه ان برقوا وشدة قوا
غزوا وعقد دار المشركين بغزة * جهارا وطرف الشر لئلا يخرن مطرق
وزاروا مصلى عسقلان بأربعين * بنقض اناء البر منه ويفهق
وكانت على ما شاهد الناس قبلهم * طرائق من شوك الله ليس تطرق
وما عصمتهم منك الامعاقل * نازعا على تحصينها وتأنقوا
جلبت لهم من سورة الحرب ما للثق * بؤادره سور عليهم وخندق
وأخبرت من أعاليهم كل عامر * بتره دايغ الخيل في فرق
أضفت الى أجر الجهاد زيارة * قليل فأبشرا ذ غازه ورفق
وهجت للبيت المقدس لوعة * يقول بها منه اليك التلشوق
تنشق من مقلاتك أعظم نعمة * تلبيب على قلب الهدى حين تنشق
وغزرك هذا سلم نحو فتحه * قريبا والارائد ومعلوق
هو البيت ان فتحه والله فاعل * فما بعد باب من الشام مغلق

(ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة) في سنة فتح صلاح الدين رحمه الله باقامة الخطبة في الجمعة الاولى منها بمصر ابنى العباس وفي الجمعة الثمانية خطب لهم بالقاهرة وانقطع ذكر خلفاء مصر وتوفي العاضد يوم عاشوراء بالقصر وانقضت تلك الدولة بانهاماد هامن العصور وذكر الامداد ايضا في أخبار سنة اثنتين وسبعين كاسب أن الذي خطب بمصر لبني العباس أولا هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الحسين بن أبي المنة البعلبكي وذكر ذلك أيضا ابن الدبيش في تاريخه وقد أشار اليه القاضي الفاضل في كتاب له الى وزير بغداد ما يأتي ذكره قال ابن الأثير كان السبب في ذلك ان

كتاب ١٩٤ الرومانيين

صلاح الدين يوسف بن أيوب لما ثبتت قدمه في مصر وزال المخالفون له وضعف أمر العاضد وهو الخليفة فمألم يبق من العسكر المصرية أحد كتب إليه الملك العادل نور الدين محمود بأمره بقطع الخطبة العاضدية وإقامة الخطبة العباسية فاعتذر صلاح الدين بالخوف من وثوب أهل مصر وامتداعهم من الاجابة الى ذلك بايلهم الى العلو فيل بصبغ نور الدين الى قوله وأرسل اليه بأمره بذلك الرمالا فصحته له فيه واتفق ان العاضد من من وكان صلاح الدين قد عزم على قطع الخطبة له فاستشار الامر أء كيف يكون الابتداء بالخطبة العباسية فمهم من أقدم على المساعدة وأشار بها ومنهم من خاف ذلك الا انه لم يمكنه الامتنال أمر نور الدين وكان قد دخل الى مصر انسان انجمي يعرف بالأمر العالم وقد رأياه بالموصل كثيرا فلما رأى ما هم فيه من الاحجام قال اننا ابتدئ بها فلما كان أول جمعة من المحرم صعدا المنبر قبل الخطيب ودعا المستضيء بأمر الله فلم ينكر ذلك أحد عليه فلما كان الجمعة الثانية أمر صلاح الدين الخطباء بمصر والقاهرة بقطع خطبة العاضد وإقامة الخطبة للمستضيء بأمر الله ففعلوا ذلك ولم يتطع فيما عتذر ان وكتب بذلكنا سائر الديار المصرية وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلم أهله وأصحابه بذلك فوافقوا ان سلم فهو يعلم وان توفي فلا ينبغي ان نتعش عليه هذه الأيام التي قد بقيت من أجله فتوفي يوم عاشوراء ولم يعلم قال والماتوفي جلس صلاح الدين للعزاء واستولى على قصره وعلى جميع ما فيه وكان قد رتب فيه قبل وفاة العاضد بأهل الدين قرقوش وهو خصي لحفظه وجعله كاستبازدار العاضد لحفظ ما بقيت تسلمه صلاح الدين ونقل أهل العاضد الى مكان منفرد ووكّل لحفظهم وجعل أولاده وعمومته وأبناءهم في الأيوان في القصر وجعل عندهم من يحفظهم وأخرج من كان بالقصر من العبيد والاماء فاعتق البعض وهرب البعض وأباع البعض وأخلى القصر من أهله وسكانه فسهج من لا يزال ملكه ولا يفسره من الأيام وتعاقب الدهور قال ولما استدعى من العاضد أرسل يستدعي صلاح الدين فظن ان ذلك خديعة فبعض اليه فلبا توفي علم صديقه فقدم على تبخله عنه فلبا أخبرني الأمير أبو الفتح وسخ من العاضد وقد اجتمعت به ستة ثمان وعشرين وسنة ثمانية وهو مجبوس مقيد بقلعة الجبل بمصر ان أباه في مرضه استدعى صلاح الدين فحضر وقال وأحضرت نايبي أولاده وهم جماعة صغار فإروا صا نفاقا لزم أن كرما واتوا احترامه نارجاه الله وأماند صلاح الدين فبلغني انه كان على استعجاله بقطع خطبته وهو مريض وقال ولعلنا انه هجرت من هذا المرض ما تطعتم الى ان يموت قال العماد وجلس السلطان للعزاء وغرب في الحزن والبكاء وبلغ الغاية في اجال أمره والتوديع له الى تهره ثم تسلم القصر بما فيه من خزانته ودقائمه وكان مذ نافي مؤتمن الخلافة وقتل صرف من هو زمام القصر وعزل ووكّل بهاء الدين قراقوش بالقصر وجعله زمامه واستنابه مقام نفسه وأقامه فإدخل الى القصر شيء ولا خرج الا يرى منه وسمع ولا حصل أهل القصر بعد ذلك على صفوه مشرع فلما توفي العاضد طبقت تلك القواعد وهت المعاهد وأمر السلطان بالاحتياط على أهله وأولاده في موضع خارج القصر جعله برسمهم على الانفراد وقررا يكون لهم برسم الكسوات والاقوات والازواد قلت اخبرني أبو الفتح انه جعلهم في دوائر جوان في الحارة المنسوبة اليه بالقاهرة وهي دار كبيرة واسعة كان عيشهم فيها طيبا ثم تولوا بعد الدولة الصلاحية منها وابتعدوا عنها قال العماد وهم الى اليوم في حفظ قراقوش واحتياطه راسطها به وكأهم ويحرسهم بعين حزم في ليله ونهاره وجمع الباقين من عوامتهم وعترتهم من القصر في ايوان واحتزل عليهم في ذلك المكان بكل امكان وابتعد عنهم النساء ثلاثا لتساوفا كثيرا وهم الى الآن محصورون محسورون لم ينظروا وقد نقص عدددهم وقص مددهم ثم عرض من بالقصر من الجوارى والعبيد والعدة والعديد والطريف والتلبد فوجدوا أكثرهن حرائر فإظلفت وجمع الباقيات فوهبن وفرقهن وأخلى دوره وأغلق قصوره وسلط جوده على الموجود وابطل الوزن والعددن الموزون والمعدود وأخذ كل ماصح له ولا له وأمر الله وخواص ملكه والديانة من أختار الفناء وزواهر الجواهر ونفائس الملابس ومحاسن المعدود وقلائد الفرائد والدرة واليقيم والياقوتة العالية القيمة والمصوغات الثمينة والمصنوعات العنبرية والالوانى الفضية والصوانى الفصينة والمنسوجات الغربية والمز وجات الذهبية والمخوقات النضارية والكراغ والياثاغ والعقود والناثاغ والنفود والمنظرم والمنصود والمخول والمسدود والمنعوت والمخوت والدر والياقوت والجلي والوشى والعيبر والخبر والوشى والنشير والعينى والجبني والبسط والفرش وما لا بعد احصاء ولا يحصى استقصاء فوقع فيها الفناء وكشف عنها الغطاء وأمر فيها العطاء وأطلق البيع

في اخبار (١٩٥) الدولتين

بعد ذلك في كل حدث وعتيق ولبس وسحق وبال واسمال ورنخيص ونعال وكل منقول ومحول ومصوغ ومحول واستقر اليه فيها مائة عشر سنين وتنهلت الى البلاديدي المداغرين الواردين والصادرين ونقات من ديوان التماخطة قال ولما وصل خبر موت العاهل الذي كان قصر في القصر موسوما بالامر في القلعة عاشورا سنة سبع وستين بعد الخطبة بها المستضي بالله أمير المؤمنين في هذه الايات في ذكر قصيدة منها

توفي العاهل الذي دعا فيها * يفتح ذوبد عسمة قصرها

وعصر فرعونها انقضى وغدا * يوسفها في الامور مستحكما

وانطأ في حجرة الغواة وقد * باح من الشرك كلها اضطرما

وصار شمل الصلاح ملتما * بها وعقد السداد منتظما

لما غدا معلنا شعار بني العباس حقا وبالباطل اكتمما

وبات داعي التوحيد منتصرا * ومن دعاة الاشراك منتقما

وظل أهل الضلال في ظلم * داجية من غيبة وعي

وارتبك الجاهلون في ظلم * لما أضأت منابر العلماء

وعاد بالانصاف ممتسدا * بناء حق قد كان منهدما

واعتلت الدولة التي اضطهدت * وانتصر الدين بعد ما اهتضما

واهتز عطف الاسلام من جذل * وافترس الإيمان وابتنما

واستبشرت أوجه الهدى فرحا * فلم يقرع الكفر سنة نهدما

عادر حريم الأعداء منتسكا * فوقع الطغاة مقتنما

قصور أهل القصور اخربها * عامر بيت من الكمال سعا

ازعج بعد السكون ساكنها * ومات ذل وانفسه رغا

ومن كتاب فاضلي عن السلطان صلاح الدين الى وزير بغداد علي بن الحنفليب شمس الدين بن أبي المضا في بعض السنين كتب الخادم هذه الخدمة من مستقر دوين الولا مشروع وعلم الجهاد من فروع وسودد السواد من فروع وحكم السداد بين الامة موضوع وسبب الفساد من فروع وقد توالى الفتوح عراة واشاما وصارت البلاد الدنيا والشهر بل الدهر حرا حراما فاضى الدين واحد ابعدا كان ايانا والخلافة اذا ذكر بها أهل الخلاف لم ينزع واعلها الاصحاب ايماننا والبدع شاشه والجمع جامعة والمذلة في شيع الضلال شاشه ذلك بانهم اتخذوا عباد الله من دونه اولياء وهم اعداء الله اصدقاء وتقطعوا أمرهم بينهم شيعة وفرقة وأمر الامة وكان فيهم نفع وكذب بانار فجعلت لهم نار الختوف ونيرت اقلام الظهار وفروهم نيرت الاقلام للبروف ومن قوا كل محرق واخذ منهم كل مخفق وطلع دابرهم وعظا ايهم غارهم ورغمت انوفهم ومنابرهم وحقت عليهم الكلمة تشريدا وقتلوا وقتل كاتر بك صدقا وعدلا وليس السيف عن سواهم من كفار النضر بضائم ولا الايل عن سير اليهم بنائم ولا شفاء عن المجلس الصاحي ان من شدة خلافه وحلى عقد خلاف وقام بدولة وتعد بانرى قد عجز عن الاخلاف والاسلاف فانه مقتدر الى أن يشكر مانع ويقلد ما فتح ويبلغ ما اقترح ويقدم حقه ولا يمارح ويقرب مكانه وان نزع ونائية التشريلات التشرية وتواصل اليه امداد التقوى بالجليلة الطيبة وتلى دعوتها بما أقام من دعوه وترسل غزواته بما وصل من غزوه وترفع دونه الحجب المعترضه وترسل اليه السحب المروضة فكل ذلك تعد وعوائده وتبد وقوائده بالادلة التي كشف وجهه لنصرها وحردسية لرفع منارها والاقام بأمرها وقد أتى البيوت من البرايا وطلب النجعة من سحباها ووعدها ما له الوائفة يجواب كلامها وانض لا يصال ملطقاته وتبخرت بقاته خطيب الخطباء بصرو والذى اختار له وصدره درجة المبروق بالامر قيام من بر واستقرت بلباس السواد الاعظم الذي جمع الله عليه السواد الاعظم امالانه بعد الاله بما يطوى الرجا فضل عقبه ويخلد الذكر في عقبه

ولصاحبنا محمد الدين محمد بن الظاهر الاربلي من قصيدة في مدح بعض ذرية السلطان رحمه الله تعالى

في اختيار ١٩٧ الدولتين

قط مثلها وكانه سأل بعض من حضر فقال ما هذا فقالوا قد استبدل الناس بامامهم قال وكان الرجل استقبل القسلة وهو يدعوا الله ان يجعله اماما رب اتقيا واستبقظ الرجل وبلغ هذا المنام ابن هبيرة الوزير اذ الشجعاد فمهر المنام بان الامام الذي مصر يستبدل به وتكون الدعوة لبني العباس لمكان القضية السوداء وقوى هذا عنده حتى كاتب نور الدين حين دخل أسد الدين الى مصر في أول مرة بأنه يظفر بمصر وتكون الخطبة لبني العباس بها على يده وقيل في ذلك الزمان اشعار في هذا منفا قصيدة شمس المعالي لبني الفضائل الحسين بن محمد بن تركان وكان حاجب ابن هبيرة فالحاسحين سمع تأويله المنام

لنبتك يا مولى الانام بشارة * بها سيف دين الله بالحق من هف
ضربت بها هام الا عادي مهمة * تقاصر عنها السهرى الميقف
بعثت الى شرق البلاد وغربها * يعوثا من الاراء تحصى وتتلف
قامت مقام السيف والسيف فاطر * ونابت مناب الرمح والرمح برعف
وقدت لها جشامن الزوع هائل * الى كل قلب من عدناك برعف
ملككت به أقصى المغارب عنوة * وكادت من فيها الماشرك ترجف
لبنك يا مولاى فخصا تتابعت * اليك به حوص الكائب ترجف
أخذت به مصر واقدح لادونها * من الشرك ناس في طي الحق تقذف
وقددت منها المنايا عصبية * بعاف التقي والدين منهم ويأنف
فظهرها من كل شرك وبدعة * أغر غرير بالمكارم يشعف
فمادت بمحمد الله باسم امامنا * تيم على كل البلاد وشرف
ولا غروا ن دانت ليوسف مصر * وكانت الى علمائه تشوف
تملكها من قبضة الكفر يوسف * وخلصها من عصبية الرقص يوسف

قال يحيى بن أبي طي ريد يوسف الأول يوسف الصديق النبي صلى الله عليه وسلم ليوسف الشافى المستعجب بالله الخليفة يومئذ وقاله على سبيل الضال ألا تراه قال بعد هذا البيت
فشابهته خلقا وخلقا وعفة * وكل عن الرحمن في الارض يخلف

وجرى الضال في البيت باسم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لان المستعجلات قبل تغيير الخطبة لبني العباس وهذا من عجيب الاتفاق قلت وذكر ابن المارستانى في السيرة المذكورة وكان هذا المنام سببا الى ان كاتب الوزير ابن هبيرة نور الدين بن زنكي يحثه على التمتع بمصر والبعت اليها والتفق في أثناء ذلك نوبة شاور وزير صاحب القصر وقد وهبها بامنه الى نور الدين فزك ذلك ما كان تخمير في نفسه مما كان كاتبه ابن هبيرة فاستطلع من شاورا لاسباب التي يمكنها الدخول على المصريين فشرحها وأوضحها فغير اليها أسد الدين كما سبق ذكره قال وبما قطعت خطبة العاصد استطل أهل السنة على الاسماعيلية وتبعوهم وأذلواهم وصاروا لا يقدر على الظهور من دورهم واذا وجد أحد من الاثر لمصر يأخذ ثيابه وعلمته الاذية بذلك وجلي أكثر أهل مصر عن الى البلاد فرح الناس بذلك وكتب الكتيب به الى الاقطار وتحدث به السمار والمواصل خبير ذلك الى نور الدين ندب للشار الى بغداد شعاب الدين أبي المعالي المطور بن أبي عسرون وكتب معه نسخة بشارة قرأ أهل مدينة مصر بها بقول فيها (اصدرنا هذه المكتبة الى جميع البلاد الاسلامية عامة بما فتح الله على أيدينا راجه وأوضحنا لمن حاجه وهو ما اعتمدنا من اقامة الدعوة الهادية العباسية بجميع المدن والبلاد والاقطار والامصار المصرية والاسكندرية ومصر والشاهرة وسائر الاطراف الدانية والقاصية والبادية والحاضرة وانتهت الى القريب والبعيد والى قوص وأسوان بأقصى الصعيد وهذا شرف لمانا هذا وأهلنا نفخر به على الازمنة التي مضت من قبله ومارحمت همننا الى مصر موصوفه وعلى اقتضاها موقوفه وعزائنا في اقامة الدعوة الهادية بها ماضيه والاقدار في الازل بقضاء أرائنا ونخبير مومنا نقاضيه حتى ظفر بناه بعد دياس الماولة منها وقد راعيناها وقد نجحوا واعنا وطمنا مررت عليها الحقب

مكتاب (١٩٨) الروشني

الحزب وأبى دونها أيام واليالي وبقيت مائتين وعشرين سنة مئة بدعوة المبطلين بمجاعة محبب الشياطين سابعة
 فالله للصلال مقفرة الحبل الأمن الحبال مفتقرة إلى نصرته من الله يسألها ونظرة سديها رافعة يدها في أشكائها
 متفظة اليه ليكمل بأعدائهم على أعدائهم حتى أذن الله لفتحها بالانفراج ولعلها بالعلاج وسبب قصد الفرج لها
 وتوجههم إليها طمعاً في الاستيلاء عليها واجتمعوا أن الكفر والبدعة وكلها شديدة الرعدة فلكل الله تلك
 البلاد ومن ألقى الأرض أوقد ناراً على ما سكتناؤه في إزالة الأحاد والرفض من إقامة الفرض وتقدمنا إلى
 من استنبه أن يفتح باب السعادة ويستخرج باب ما نسا من الإرادة ويقم الدعوة الهادية العباسية هنالك ويورد
 الادعاء ودعاة الأحاديث الناهك (وهو كتاب طويل اختصت منه الغرض وهو هذا قال وسار شهاب الدين بن أبي
 عسرون إلى جهة بغداد ولم يترك مدينة إلا دخلها بهذه البشارة الجليلة القدر وقرأ فيها هذا المنشور العظيم الخطر
 والذكر حتى وصل إلى بغداد فخرج الموكب إلى تلقاه وجميع أهل بغداد مكرمين لخطير وروده معظمين للجليل موارده
 ونشرت عليه دنائير الانعام وحبي بكل احسان واكرام وأرسلت التشرى بقات إلى نور الدين صلاح الدين كاسياً في
 ذكره وقال الهادي كان صلاح الدين لا يخرج عن أمر نور الدين ويعمل له على القوى الامين ويرجع في جميع
 مصالحه إلى رأيه المتيقن وقد كان كتيبه نور الدين في شوال سنة ست وستين بتغير الخطبة وتذليل أمورها الصعبة
 وافتراع بك هذه القضية وقرع الرتبة وأيقن أن أمره متبوع وقوله مسجع وحكمة مشروع ونطق بذلك قبل الختام
 أسكن الخواص والعوام فسير نور الدين شهاب الدين أبي المعالي المظهر ابن الشيخ شرف الدين بن أبي عسرون بهذه
 البشارة واشاعة ما تقدم له به من الاشاعة وأمرني بإنشاء بشارة عامة تقرأ في سائر بلاد الاسلام وبشارة خاصة
 للديوان العزيز بمحضرة الامام في مدينة السلام ثم ذكر نسخة الكتابين ونظمت قصيدة شملت على الخطبة بمصر وأهلها

قد خطبنا للاستغنى بمصر * نائب المصطفى امام العصر

وخدنا لنصرة العبد العباس ضد القاصر الذي بالعصر

أراد بالعضد وزير بغداد عضد الدين بن رئيس الرؤساء قال الهادي كتاب الخريدة قصيدت بالعضد والعاقد
 المجانب ونصرة وزير الخليفة كنصرته ثم قال

وأشعنا بأشعار بني العباس فاستبشرت وجوه النصر

وتركا الدعوى يدعو ثبورا * وهو بالذل تحت حجر وحصر

وتباهت منابر الدين بالخطبة مية لها شئ في أرض مصر

ولدينا قضا عنت نعم الله * وجلت عن كل عدو حصر

فما غتدى الدين ثابت الزكن في مصر محط المني مصون النفر

واستنارت عزائم المالك العما * دل نور الدين الكريم الاغر

وبنو الاصفى القوام من منه * بوجوه من الخافه صفر

عرف الحق أهل مصر وكانوا * قبله بين منكر ومقر

قل لداعي الدعوى حسبك فالله * اقتر الحق وخبر مقر

هو فخر بكرورن البرايا * خصنا الله بافتراع البكر

وحصلنا بالجد والاجور والنصر * وطيب الننا وحسن الذكر

ونشرنا أعلامنا السود تهرا * للعدى الرزق بالمانيا بالجر

واستعدنا من ادعاء حقوقا * بدعى بدعى لرب ودعر

والذي بدعى الامامة بالقاهر * ذاخط في حضرم القهر

خانته الدهر في مناه ولا يطا * مع ذواللب في وفاء الدهر

ما يقام الامام لا يجسق * ما تحاز الحسنة الاجهر

خلفاء الهدى سرابى العباس والطوبى من أهل الطهر

في الخبر (١٩٩) الدين

بهم الدين ظاهراً مستقيم * ظاهر قوة قسوى الظهور
شعشع النخعي كمثل بدور * ستم كالسحب كالبحر الزهر
قد بلغنا بالصبر بكل مراد * وبوغ المراد عني الصبر
ليس مثري الرجال من ملك الما * لولدهما أخو اللب مثري
ولقد لم ينفع صاحب القصص * وقد شارف الدثور بدثر
دام نصر الهدى بملك بني العباس حتى يقوم يوم الحشر

قال العماد في دوانه ونقلته من خطه قال ووصل الخبر بان الخطبة قامت في الامسك بدينية يوم الجمعة سابع شهر رمضان وفي
مصر والقاهرة يوم الجمعة ثامن عشر رمضان اولاً بالانعام المستنعي بأمر الله أمير المؤمنين واقامة شعاري العباس
بها فقلت ونحن نزول بحجر الخشب من دمشق في عاشر شوال وكتبتم الي بغداد فذكر هذه القصيدة قال في البرق
ووصل من دار الخلافة في جواب هذه البشارة ٤٢٤ الذين بن صندل وشو من كابر الخدم المقتنونه من ذوي الروي والهمة
الغوية وتولى استاذية الدار العزيزة بعد عزل كمال الدين عضد الدرس عن فافاً كرم نور الدين بارسال مثله اليه وعزل في
هذا الامر المهم عليه وهو اكرم رسول وصل فاتجرح الامل وجاء بالتشريف الشريف لور الدين فكلامه غنياً بما عليه
السوداء العراقة وحله الموشيه وطوقه التعتيل ولوانه الخليل وعين يوم محضره في الرسول ونصوا على من محض
في مجلس نور الدين واغصوا بذكر العاد فظلمه نور الدين لما حضر واقام لقيام الرسل له المخرى وقصد ان يعز من منزله
عنده وناوله الكتاب ليقرأه قال فتناوله مسني الموفق بن القيسر في خالده وكان عنده في مقام الوزير وله انبعاثا زاد
فدار به وما ماريته وركته يقرأ أنا وأرد عليه وأرشده في التلاوة الى ما لا يتبدى اليه حتى انهاء وأنا على اقتبائه على
لانها فاجب نور الدين حتى وصي وأخذني فضل الثاني رالتاني واجتلب الابهة وليس الفرجية فوقاً وتقلد
مع تقلد السيقين طوغة هلو فخرج وركب من داخل الخلعة وهو حال بجال عليه من الخلع والملاءة مشور والنصار مشور
والمر كان الشريفان أحد هاهنا كويه والاخر مجتبه مجتبه قال وسألت عن معنى تقليد السيقين فقيل لي هما اللذان
ومصر للجملة بين السلاطين وخرج الى ظاهر دمشق حتى انتهى الى منتهى الميدان الاخصر ثم عاد شريف المنظر
جميل المنظر حليل المحضر جليل المخبر سعيد المورد والمصدر اي قابلاً اعظم من السرور والمبرور وكان وزن الشوق مع
اكرته ألفد بدار من الذهب الاحمر وجعلوا اصلاح الدين تشريفافاضلافافا ثار ثعرا فاقباله وكاله لانتا لكن تشريف
ونور الدين أمير وفضل وأجل واكمل فسير تشريفه برمته اليه بصر له نظريه وسير ايضاً بطلع من عنده بكرم بها انجابه
وصلت تلك الخلعة اليه ولبسها وأنس من السعادة لاندانة بفسها ونافس في الحادي والعشرين من رجب وصي
أول اهل عباسية دخلت الديار المصرية يعني بعد الاستيلاء على بني عبيد عليا قال وكانت وصلت مع الرسل اعلازم ورد
وريات سرد واهب عباسيه للخطبة في الديار المصرية فسيرت الى صلاح الدين ففرقه على المساجد والجرامع
والخطباء والنضاة والماء والمجدد على ما أنعم وأولى وهب وأعطى قال ابن أبي الهيثم والفرغ السلطان من امر الدنيا
أمرها يقبض على التصور وجميع ما فيها من مال ونخائر وفرش وسلاح وغير ذلك فلم يوجد من المال كبير أمر لان شار
كان قد ضيعه في اعطائه الفريخ في المرات التي قد مناذكرها وجدفها بذخائر الجيلة من ملابس وفرش وشيل وشبابام
وكتب وجواهر ومن عجب ما وجد فيه قضيب زمر مطوله شبر وكسره وقلمه واحدة وكان يسمي حجمة متدار الابهام
ووجد فيه طبل للقولنج ووجد فيه أبريق عظيم من الخمر المانع وجد فيه سبعة بتيه من الجوهر فاغضب في الزمر
فان السلطان أخذها وأحضر صانعاً ليطعه فأبى الصانع فضعه فرماه السلطان فانه قطع ثلاث قطع وقرفه السلطان
على نسائه وأما طبل القولنج فانه وقع الى بعض الأكراد فلم يدر ما ذوقه فسكره لانه ضرب به في بياضنا لا يربى فانه ذه
السلطان الى بغداد واحتاط السلطان على أهل العاصم وأولاده في موضع في خارج القصر جعله برسمهم على
الانوار وقرفهم بأكفهم وجعل أمرهم الى قراقوش الخادم وفرق بين النساء والرجال ليكون ذلك أسرع الى
انقضاهم واستعرضن من بالقصر من الجوارى والعبيد والعذة والعديد والباريقات اليد فاما ما كان منهم حراً
وأعتق من رأى اعتاقه وهب من أراد هبته وفرق على الامراء والاصحاب من نفاس القصر ونخائره شيئاً كثيراً

كتاب (٢٠٠) الروضتين

وحصل هو على البيئات وقطع الجملش والياقوت وقضيب الزمرد وأطلق البيع بعد ذلك في كل جديد وعتيق فأقام البيع بالقصر مدة عشرة سنين قال ومن جملة ما باعوا خزانة الكتب وكانت من بحائب الذهب والفضة في جميع بلاد الاسلام دار كتب أعظم من الدار التي بالقاهرة في القصر ومن بحائبها انه كان بها ألف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبري ويقال انها كانت تحتوي على ألف كتاب وكان فيها من الخطوط المنسوبة شيء كثير وحصل للقاضي الفاضل قدر من أكبر بحيث شغف بحبها وذلك انه دخل اليها واعتبرها فكل كتاب صلح له قطع جلده ورماه في بركة كانت هناك فلما فرغ الناس من شراء الكتب اشترى تلك الكتب التي ألقاها في البركة على أنها مخسر ومات ثم جمعها بعد ذلك ومنها حصل ما حصل من الكتب كذا أخبرني جماعة من المصريين منهم الأمير شمس الخدا لافسة موسى بن محمد واقسم الناس بعد ذلك دور القصر وأعطى السلطان القصر الشما على الأمراء فسكنوه وأسسكن أباهم الدين في اللؤلؤة وهو قصر عظيم على الخليج الذي فيه البستان الكافوري وتقل الملك العادل إلى مكان آخر منه وأخذ باقي الأمراء مكان دور من كان يفتي اليهم وزاد الأمر حتى صار كل من استحسن العادل خارج منها صاحبها وسكنها واتخذت تلك الدولة قبر مترا وذهبت تلك الأيام بحملتها بعد أن كافأ قد حو على البلاد واستخدموا العباد مائتين وثمانين سنة وكسروا قال وحكي أن الشرىف الجلس وهو رجل كان قريبا من العاضد يجلس معه ويحدثه عن دعوة لئس الدولة بن أيوب أخى السلطان بعد القبض على القصور وأخذ ما بها وانهراض دولتهم ورغم هذا الشرىف على هذه الدعوة وما لا كثير وأحضرها أيضا جماعة من أكابر الأمراء فلما جلسوا على الطعام قال شمس الدولة لهذا الشرىف حدثني بأعجب ما شاهدته من أمر القوم قال نعم طبعني العاضد يوما وجماعة من الندماء فلما دخلنا عليه وجدنا عنده موكبين من الأتراك عليهم أقبية مثل أقبيةكم وفلان كـ لانس كـ لانسكم وفي أوساطهم مناطق كمنطقكم فقلنا له يا أمير المؤمنين ما هذا الذي ما رأينا فقط قال هذه هيته الذين يملكون ديارنا ويتأخرون أموالنا ونخاثرنا قال العباد وأخذت نخاثر القصر فقصها كمنطقكم ثم قال ومن جعلها الكتب فاني أخذت منها جلتي سنة اثنتين وسبعين وكانت خزائنها مشبهة على قريب مائة وعشرين ألف مجلدة مؤيدة من العهد القديم مجلده وفيها الخطوط المنسوبة وما اختطفته الأبدى واقطعته التعمدي وكانت كالمراث مع أماء الأتراك يتصرف فيها بشرة الاتهام ونقلتها من أثمان إلى الشام وتقاسم الخواص بدور القصر وقصوره وشرع كل من سكن في تخريب مجوره واتقل إليه الملك العادل سيف الدين الماناب عن أخيه واستمرت سكناه فيه وخطب لأمنا المستعني في قوص واسوان والصعيد والقاضي والداني والقريب والبعيد وشاعت البشائر وذاغت المفاتيح وسار بها البسادي والحاضر وتلك السلطان أملاك أشياعهم وضرب الألواح على دورهم الكريمة وقال ابن الأنبريا استولى صلاح الدين على القصر وأمواله ونخاثره اختار منه ما أراد وذهب أهلها وأمرأه وابعثه كثيرا وكان فيه من الجواهر والأعلاق النفيسة ما لم يكن عند ملك من المملوك قد جمع على طول السنين وفيه الدهور فنهضه القضيب الزمرد طوله نحو قبضة ونصف والجملش الياقوت وغيرهما من الكتب المنجوبة بالخطوط المنسوبة والخطوط الجيدة نحو مائة ألف مجلد

(قصة) ولما خطب بالدار المصرية لبني العباس ومات العاضد انقرضت تلك الدولة وزالت عن الاسلام عصر بانقراضها الذلة واستولى على مصر صلاح الدين وأهله ونوابه وكاهن من قبل نور الدين رحمه الله هم أمرأه وخدمه وأصحابه وفيهم يقول العرقلة

أصبح الملك بعد آل على * مشرقا بالمملوك من آل شاذي
وعند الشرق بمجد الغزب للقو * مومصر زهو على بغداد
ما حووها إلا بحزم وعزم * وصليل الفولاذي الفولاذ
لا كشرعون والعزب رزوم كا * ن بها كالخشب والاستاذ

يعني بالاستاذ كافور الأشمدي وقوله بعدال على يعني بذلك بني عبيد المستخلفين بها أظهر والناس انهم شرفاء فاطميون

في أخبار (٢٠١) الدولتين

فاطم بن خلكو البلاد وقهر والعباد وقد ذكر جماعة من كبار العلماء أنهم لم يعرفوا ذلك أهلاً ولا نسبهم
بل المعروف أنهم بنو عبد ود وكان والد عبد هذام نسل القُدَّاح الجُدوسي وقيل كان والد عبد هذام بن
أهل سبئية من بلاد الشام وكان جدًا وأجدادهم هذا كان اسمهم عبد القادح دخل المغرب فسمي بعبد الله وزعم أنه
علوى فاطمي وأدعى نسباً ليس بصحيح بل يذكره أحد من مصنفي الأسباب العلوية بل ذكر جماعة من العلماء بالنسب
خلافه وهو موافق لما ذكره من تركه به الحال أن هناك مني بالمهدي وبني المهدي بالمغرب ونسبت اليه وكان
زندقا حينئذ عادوا للإسلام فمظاهره بالشمع مستتر به حتى يصاعى إلى الزلزلة الإسلامية قتل من الفقهاء والمحدثين
والصالحين جماعة كثيرة وكان قصده أعدمهم من الوجود لتبقي العالم كلها فيهم فيمكن من أفساد عقائدهم
وضلالتهم والله ممتن نوره لو كان كافرون ونشأت ذرية على ذلك منطوبين يجهرون بها إذا أمكنهم الفرصة
والأمر هو والدعاء لهم منشون في البلاد بضامن من أمكنهم إضلاله من العباد وبقي هذا البلاء إلى الأمام من
أول دولتهم إلى آخرها وذلك من ذى الجدة تسع وتسعين ومائتين إلى ستمائة وستين وسبعة مائة وفي أيامهم كثرت
الرافضة واستحكمت بهم ووضعوا في المكوس على الناس وأدعى بهم غيرهم وأفسدت عقائد طوائف من أهل
الجمال الساكنين بغور الشام كالكثيرة وبالدرزية والحشيشية نوعهم وعكس رعايتهم منهم لضعف عقولهم
وجاهلهم لم يتكروا من غيرهم وأخذت الفرق في كثرة البلاد لشام والجزيرة إلى أن أتى الله على المسلمين بظهور
البيت الأتابكي وقد قدمه مثل صلاح الدين فاستردوا البلاد وأزاحوا هذه الدولة عن أرقاب العباد وكانوا أربعة عشر
مستخلفاً ثلاثة منهم بقرية وهم الملقبون بالمهدي والقائم والمنصور وأحدهم بجمرة وهم الملقبون
بالمعز والعزب والحاكم والظاهر والمستنصر والستنجي والأتم والحافظ والظافر والقائر والعاقد
يُدعون الشرف ونسبتهم إلى الجدوسي أو حمدي حتى اشتهر لهم ذلك في العوام فصاروا يقولون الدولة الفاطمية والدولة
العلوية وأما هي الدولة الجوسية أو البادية المحدثون من قباحتهم أنهم كانوا أمر من الخطباء بذلك
على المنابر ويكتبون على جدران المداخيل وجدرانها وخطب عبد الله بن جعفر الذي أخذهم من الديار المصرية وبني لهم
القاهرة المغرية بنفسه خديجة ما ولو لقال فيها (لأنهم صل على عبد الله) لم يثروا بالنبوة وسلبوا العترة الباقية المهديّة
معاداً في الامام العزدي من أنباء المؤمنين كما قيلت على أئمة الطاهرين وسلبوا الحقبة التي أنتموا لها (اشهد) كتب
عدوانه للعين فلا يخفى ولا يسهل عليه وأعين ولا في ذرية الباقين والعترتة التي سلبوا منها حقهم بجعل ذرية جده
عليهم وعلى أمثالهم من العذر الأول وقد بين نسبهم هذا وفي غيرهم ما هو كافوا عليه من أنهم وعدوا بالإسلام
جماعة من سلفنا من الأئمة والعلماء وكل مقترع عنهم لا يسميهم إلا بنبي عبد الله دعائياً يَدْعُونَ من النسب ما ليس
لهم ورحمة الله على القاضي أبي بكر محمد بن الطيم فإنه كشف في أول كتابه المسمى بكشف أسرار الباطنية عن
بطلان نسب هؤلاء إلى علي رضي الله عنه وإن القُدَّاح الذي نسبوا إليه حتى من الأدعاء بقر في كتاب وهو أصل
دعائهم أرقامه لعلم الله وأما القاضي عبد الجبار البصري فإنه استقصى الكلام في أصولها ويغيها ما ينافيها
في آخر كتاب تثبيت النبوة وقد نقلت كلامه في ذلك وكلام غيرهم في مختلفه من تاريخه مشدق في ترجمة عبد
الرحيم بن الياس وهو من ذلك الطائفة الذين هم ينسب الناس وهذا ما أنا ما كان كبيراً من أئمة أصول دين الإسلام
وأظهر عبد الجبار القاضي في كتابه بعض ما فسده من المنكرات والكبريات التي يفتق الشعراء عند استماعها
ولكن لا بد من ذكر شيء من ذلك تنفيراً لمن لعل يعتقد ما منهم ويخفي عنه محالهم بل يعلم بقباحتهم ومكارتهم وليعذر
من أزال دولتهم وأما بدعتهم وقلل عتدته وأفضى أمته وأطاع جترهم ذك عبد الجبار من أن نسبهم باللهدي لعنه الله
كان يخدجها لجهل وإسقاطهم على أهل الفضل وكان يرسل إلى اتقاهم والعامة فيخون في فرسهم وأرسل إلى قوم
وسلطهم على المسلمين وكثر من الجور واستصفه إلى المراتل وقتل الرجال وكان له دعاة يسيرون خلفه على قدر
طباقهم فيقولون لبعضهم (هو الماهدي بن رسول الله صلى الله عليه وسلم) ووجه الله خلقه) ويقولون لآخرين
(هو رسول الله ووجه الله) ويقولون لآخرى (هو الله الخالق الرازق) لاله الله وحده لا شريك له لتبارك سبحانه
وتعالى على ما يقول الظالمون علواً كبيراً وما هلك أنامه الله المسمى بالقائم مقامه وزاد شره على شرايه أضعافاً

كتاب (٢٠٢) الروضتين

مضاعفة وجاهر بسم الانبياء فكان ينادى في أسواق المهدية وغيرها (ألعنوا عائشة وبعلمها ألعنوا القرظا حوى)
 اللهم صل على نبيك وأصحابه وأزواجه الظاهرين والعن هؤلاء الكفرة النجرة المحدثين وأرحم من أزالهم وكان سبب
 قلعهم ومن جرى على يديه تفرق جمعهم وأصلهم سعيرا ولقهم ثورا واسكنهم النار جعلا وأجعلهم من ذلت فيهم
 الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (رجعنا إلى الأصل) وبعث إلى أبي طاهر القرمطي
 المقيم بالبحرين وحشه على قتل المسلمين وأحرق المساجد والمصاحف وقام بعده ابنه المسمى بالمصور فقتل أبا يزيد
 مختلدا الذي خرج على أبيه ينكر عليه فبيع فعلمه المقدم ذكره وسلخه وصلبه واشتغل بأهل الجبال يقتلهم ويشردهم
 خوفا من أن يشور عليه نائرا مثل أبي يزيد وقام بعده ابنه الملقب بالماز فبث دعواته فكانوا يوقون هو المهدى الذي يك
 الأرض وهو الشمس التي تطلع من مغربها وكان يسره ما ينزل بالمسلمين من المصائب من أخذ الروم بلادهم وأحجب
 عن الناس أياما ثم ظهروا وهم أن الله رفعه إليه وأنه كان غائبا في السماء وأخبر الناس بأشياء صدرت منهم كان ينقلها
 إليه جواسيس لهما مئلات فلوب العامة والجهال منه وهذا أول خلف خلفائهم بمصر وهو الذي تنسب إليه القاهرة
 المعز بنده فاستدعى ببقية الشام إلى بكر محمد بن أحمد بن مهمل الرملي ويعرف بابن النابلسي فقبل إليه في حفص خشب
 فأمر سلطه فسلخ حار حشى جلدته وتناو صلب رجه الله تعالى قال أبو زر الهريسي سمعت أبا الحسن الدارقي
 يذكره ويكي ويقول كان يقول وهو سلخ كان ذلك في الكتاب مسطورا ثلث وفي أيام الملقب بالحلما كتبهم أمر
 بكتب سب الصحابة رضى الله عنهم على حيطان الجوامع والقياسر والشوارع والطرق وكتب السجلات إلى سائر
 الأعمال بالسب ثم أمر بقلع ذلك وأمر بأرأته مقفوعة في بعض أبواب دمشق في الامكنة العلمية وروى إلى الخرج ودلى أول
 الكلام وأخر ذى ذلك ثم جدد ذلك الباب وأزيل الخرج وفي أيامه طوف بدمشق برجل مغربي ونودي عليه هذا
 جزا من يجب أبأك وعمر ضر بعتقه وكان يجرى في أيامهم من نحو هذا أشياء مثل قطع لسان أبي القاسم
 الواسطي أحد الصالحين وكان أذن بيت المقدس وقال في أذنه حتى على الفلاح فأخذ وقطع لسانه ذكر ذلك وما قبله
 من قتل المغربي وأبي بكر النابلسي الحافظ أبو القاسم في تاريخه وما كانت ولاية هؤلاء الملأعين الممحنة من
 الله تعالى ولهذا طالبت مدتهم مدة مئة سنة فأن عدتهم عدة خلفاء بني أمية أربعة عشر وأولئك بقوا بقاوتهم تسعين
 سنة وهؤلاء بقوا مائتين سنة فالحمد لله على ما يسر من هلكهم وأباد ملكهم ورضى الله عن سعي
 في ذلك وأزالهم ورحم من بين مخزقهم وكذبهم ومجاهلهم وقد كشف أيضا حالهم الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن علي بن
 نصر الشامي في كتاب الرد على الباطنية ذكر فيها ما كانوا عليه من الكفر والمنكرات والفواحش في أيام زاروما
 بعده ووصل الأمر إلى أن وصف بعضهم ما كانوا فيه في قصيدة سماها الإيضاح عن دعوة القديح أولها

حي على مصر إلى خلع الرسن ❦ ثم تعطيل فروض سنن

وقال لوروق مالوك الاسلام لصر فوا أعنة الخيل إلى مصر لغزو لباطنية الملاعين فانهم من شرعاة دين الاسلام وقد
 حزبت من حذ المناقين إلى حد الجاهل من لما ظهر في ممالك الاسلام من كفرها وفسادها وتعين على الكافة فرض
 جهادها وضر هؤلاء أشد على الاسلام وأهل من ضر الكفار إذا لم يقم جهادها أحد إلى هذه الغاية مع العلم بعظيم
 ضررها وفسادها في الأرض قلت ثم أتى لم يقنع في هذا من بيان أحوالهم فأفردت كتابا بالذات سميت كشاف ما كان
 عليه من عبيد من الكفر والكذب والكر والكيده فمن أراد الوقوف على تفاصيل أحوالهم فعليه ما في توفيق الله
 تعالى جمعت فيه ما ذكره هؤلاء الأئمة المصنفون وغيرهم ووقفت على كتاب كبير صنفته الشريفة الهاشمي رجه الله
 وكان في أيام الملقب بالماز بن زباني خلفاء مصر فيهم فيه أصوهم أتم بيان وأوضح كيفية ظهورهم وغلبيتهم على البلاد
 وتوسع ذكرفضائهم وما كان يصدر منهم من أنواع الرذيلة والفسق والخرفة فنقلت منه إلى ما كنت جمعته قطعة
 كبير وبالله التوفيق وما أحسن ما قال فهم بعض من مدح بني أيوب بقصيدة منها

ألسم من بني دولة الكفر من بني ❦ عبيد مصران هذا والفضل
 فنادقه شيعية باطنية ❦ مجوس وما في الصالحين لهم أعمل
 يسرون ككفرناظرون تشيعا ❦ ليستروا شينا وعهم الجهل

في اخبار (٣٠٣) الدولتين

أما فعله هؤلاء من الانتساب إلى علي رضوان الله عليه والتستر بالشيعة قد فعله جماعة القرامطة وصاحب الزنج وخارج البصرة وغيرهم من المنسدين في الأرض على ما عرف من سيرهم من وقت على أخبار الناس ككذبته في ذلك وأغاب عنهم التقرب إلى العوام والجهال واستباحتهم لهم واستجلبتهم إلى دعوتهم بذلك البلاء وبفعل الله ما يشاء ولا يغتربا بآيات الشريعة الرضى في ذلك فقد حصل ما يوجب عن في كتاب الكشف بوجهه وحسنه وبالله التوفيق وقد صنف الشعر بف العابد الدهشقي رحمه الله كتابا في أخبارهم إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفصل ذلك تفصيلا أحسنا وأطنب في ذكر أخبار أخوانهم من القرامطة لعنهم الله تعالى

(فصل) في ذكر غزو الفريخ في هذه السنة قال ابن شداد واستمرت القرامطة على الاستقامة وصلاح الذين كلما استولى على خزائن مال وهبها وكما فتح له خزائن ملك انهمها ولا يبقى لنفسه شيئا وشرع في التآهب للفرقة وقصدا بلاد الهند وعبدة الأمر لذلك وتقرر برقا وعده وأما نور الدين فإنه عزم على الفرقة واستدعى صاحب الموصل ابن أخيه فوصل بالعساكر إلى خدمته وكانت غزوة عراقا فآخذها نور الدين ومعه ابن أخيه في المحرم سنة سبع وستين وقال ابن أبي طي جمع نور الدين عساكره وخرج إلى عرقه ونارها وقائلها بما حتى فتحها واحتوى على جميع ما فيها وغنم الناس غنمة عظيمة قال ابن الأثير خرجت مراكب من مصر إلى الشام فأخذ الفريخ في الآذنية من تكبير منها ما هو تين من الامتعة والخمار وغدروا بالمسلمين وكان نور الدين قد هادنهم فتمسكوا فلبسهم نور الدين الحسنة واستعظمه وراسل الفريخ في ذلك وأمرهم بانعاده أخذوه وفعلوا به ما احتجوا به ورمتهم إلى المركبين كانا قد دخلوا ماء البحر لكسرهم ما وكانت العادة بينهم أخذ كل من كذب دخله الماء وكانوا كاذبين فلم يقبل مغالطتهم وكان رضى الله عنه لا يرحل أمرا من أو روعيته فلم يروا شيئا فجمع العساكر من الشام والموصل والجزيرة وبث السرايا في بلادهم وبعضهم فخرنا أكلية وبعضهم لم يحطوا باليس وحضره عرقه وأخبر بفضله وأرسل لما تمة من العساكر إلى حضني صاغية وصرعة فأخذها عنوة وكذلك غيرها وبخرب وغنم المساكين الكثير وعادوا إليه وهو بركة فسار في العساكر جميعها إلى قرب طرابلس فخر بوجع وبجرق وينب وأما الذين ساروا إلى أنطاكية فأنهم فعلوا في ولايتهم مثل ما فعل من الذهب والتخريب والتعذيب ولاية طرابلس فرأسه الفريخ وبذلوا أعتاد ما أخذوه من المركبين ويعدوهم لهدنة فأجابهم وكانوا في ذلك كما يقال اليهودي لا يعطى الجزية حتى يلدوه كذلك الفريخ ما أعادوا أموال الخمار التي هي أحسن فلما نهبت بلادهم وخربت أعادوها قال وكان لوالذي في المركبين تجارة مع شخصين فلما أعادوا إلى الناس أموالهم لم يصل إلى كل انسان إلا البدير وكان يحمل المتاع فكل من كان اسمه عليه أوعلى ثوب أخذوه وكان في الناس من يأخذ ما ليس له وكان أحد هذين المضاربين فيه، أماند وكان نصرانيا فلما أخذ المال ما عليه اسمه وعلامته فذهب من ماله ومالنا شيء كثير بهذا السبب وكان الذي حصل من مالنا أكثر من الذي حصل له فلما عاد إلينا الذي لنا إلى والدي فامتنع من أخذه وقال أخذت الجميع فانك أخرج إليه وأنا في غنى عنه فلم يفعل فقال خذ الحصف وأنا النصف واجتهد به والدي فلم يفعل فلما كان بعض الأيام وإذا قد جاء الغلام وبه عدة من الاثواب السوسية وغيرها وقال هذا من قاشنا قد حضر اليوم وسبب حضوره ان انسانا قسا عيا من أهل تبريز كان معاني المركب وقد أعادوا عليه ماله فلم رأى هذه الاثواب أسمى عليها فلم يسهل عليه ان يردّها يعني عاينهم وسأل عني وقد قصدت في وهي معي وحضر عندى الساعة وسبها إلى وقال قدرتك طريق انبرأذمتي فأخذنا نحن ما عليه اسمنا بعد الجهد وطلب والدي الرجل وسأله ان يقع عندنا لئلا يسلم اليها لا يتخبر فيه فلم يفعل وعاد إلى بلده قال وهذا ان الجلال نادى في هذا الزمان

(فصل) في عزم نور الدين على الدخول إلى مصر قال العماد وكان صلاح الدين وعده نور الدين ان يجمعه واعي الكرك والشوبك يتشاران فيما يعود بالصلاح المشترك فخرج من القاهرة في الثاني والعشرين من المحرم بالعزم الاخر والراي الاخرم فاتفق للاجتماع عائق ولم يقدر الا اتفاق قد مر وافق فلف في تلك الساعة شدة وعدم خيال ونورها وعده وعاد إلى القاهرة في الاصف من ربيع الأول قال ابن الأثير وفي سنة سبع وستين أيضا جرى ما أوجب نشر نور الدين من صلاح الدين وكان الجهاد ان نور الدين أرسل إلى صلاح الدين يأمره بجمع العساكر المصرية والمسيحية إلى بلاد الفريخ والتزوي على الكرك ومحاصرتة ليجتمع هو أيضا عساكره ويسير إليه ويجمعها هنالك على حرب الفريخ

كتاب (٢٠٤) الروصتين

والاستيلاء على بلادهم فبرز صلاح الدين من القاهرة في العشرين من المحرم وكتب إلى نور الدين بعرفان رجليه لا يتأخر وكان نور الدين قد جمع عساكره وتجهز وأقام ينتظر ورود الخبر من صلاح الدين رجليه ليرحل هو فلما أتاه الخبر بذلك رحل من دمشق عازماً على قصد الكرك فوصل إليه وأقام ينتظر وصول صلاح الدين إليه فأتاه كما به يعتذر فيه عن الوصول باختلال البلاد وأنه يخاف عليهم مع البعد عنها فعاد اليها فلم يقبل نور الدين عذره وكان سبب تقاعده أن أصحابه وخواصه خذوه من الاجتماع نور الدين فثبت لم يشغل أمر نور الدين شق ذلك عليه وعظم عنده رجزه على الدخول إلى مصر وأخرج صلاح الدين عنها فبلغ الخبر إلى صلاح الدين فجمع أهله وقيمهم وألهم بنجم الدين وخاله شهاب الدين الحارثي ومعهم سائر الأمراء وأعلمهم ما بلغه من عزم نور الدين على قصده وأخذ مصر منه واستشارهم فلم يجبه أحد منهم بشئ فقام ابن أخيه تقي الدين عرفان إذا جاءه أقاتلناه وصددناه عن البلاد ووافقه غيره من أهله فشقه بنجم الدين أيوب وأنكر ذلك واستعظمه وكان ذار رأي ومكر وكيد وعقل وقال لتقي الدين أقعد وسبه وقال لصلاح الدين أنا أولك وهذا شهاب الدين خالك أنظر في هؤلاء كما هم من جيبك ويريد لك الخير فقلنا فقال لا فقال بنجم الدين والله لو أت أبوهذا خللك نور الدين لا يمكنه إلا أن يترجل إليه وتقبل الأرض بين يديه ولو أمرنا بضرب عنقك بالسيف لفعلنا فإذا كنتن هكذا كيف يكون غيرنا وكل من تراه من الأمراء والعساكر أروا أي نور الدين وحده لم يجاسر على التماس على سرجه ولا وسعه إلا التزول وتقبل الأرض بين يديه وهذه البلاد وقد أقامك فيها فان أراد عزك فأضحية إلى الجي عيا مرلك بمكة تاب مع نجاب حتى تقصده خدمته ويولي بلاده من يريد وقال للبيعة كلهم قومه وانحنى بمالك نور الدين وعبدوه بفعل ساما يريد فقروا على ذلك وأكتب أكثرهم إلى نور الدين بالخبر ولما خلا بنجم الدين أيوب بانه صلاح الدين قال له أنت جاهل قليل المعرفة تجمع هذا الجمع العظيم وتطلبهم على ما في نفسك فإذا جمع نور الدين أنك عازم على منعه من البلاد جعلك أهم الامراء وأولاهما بالقصد ولو قصدك لم ترعك من هذا العسكر أحد أو كانوا أسلموك إليه وأما الآن بعد هذا المجلس فسيكتبون إليه ويعرفونه قولى وتكتب أنت إليه وترسل في هذا المعنى وتقول أى حاجة إلى قصدي يجي فنجاب ياخذني بجبل يضعه في عنقي فهو إذا سمع هذا عدل عن قصدك واشتغل بما هو أهم عنده ولا يأم تدرج وأنه كل وقت في شأن ففعل - صلاح الدين ما أشار به والده فلما رأى نور الدين رجاء الله الأمر هكذا عدل عن قصده وكان الأمر كما قال بنجم الدين توفي نور الدين ولم يقصده ولا أزاله وكان هذا من أحسن الآراء وأجودها

فصل ١٠ في الجمال قال ابن الأثير وفي سنة سبع وستين أمر الملك العادل نور الدين بالتخاذل الجمال الهراوى وهي المناسيب التي تطير من البلاد بعيدة إلى أوكارها فاختذت في سائر بلاده وكان سبب ذلك أنه اتسعت بلاده وطالت مملكته فكانت من حدة النوبة إلى باب هذا أن يتخللها أسوى بلاد الفرنج وكان الفرنج لغم الله زماناً لول بعض الثغور فإلى أن يصله الخبر ويسير اليهم يكونون قد بلغوا بعض الغرض فحينئذ أمر بذلك وكتب به إلى سائر بلاده وأجرى الجريات لها ولما رآها فوجدها راحة كبيرة كانت الأخبار رأتية لوقت الله كان له في كل تغير رجال مرتبون ومعهم من حجام المدينة التي تجي وورهم فاذا رأوا أو سمعوا أمر أكتبوه لوقت وعلقوه على الطائر وسرحوه إلى المدينة التي هم فيها في ساعته فتقبل الرقة من طائر إلى طائر آخر من البلد الذي يجاورهم في الجهة التي فيها نور الدين وهكذا إلى أن تصل الأخبار إليه فاحتفظ الثغور بذلك حتى أن طائفة من الفرنج نازلوا فترأوا أنه أتاه الخبر لومه فكتب إلى العساكر الجوار فذلك الثغور بالاجتماع والمسير بسرعة وكسر العدو وقهوا لذلك فظفر والفرنج قد آمنوا بعد نور الدين عظم فرحم الله نور الدين ورضي عنه فما كان أحسن نظراً لما عاين بالبلاد وقال العادل وكان نور الدين لا يقبل إلى المدينة أيام الربيع والصيف محافظاً على الثغور ونام الحيف ليجي البلاد من العدو بالسيف وهو متوفى إلى أخبار مصر وأحوالها وتحقيق اعتدالها بتحقيق اعتدالها نرى أنخذ الجمال المناسيب وتدرجها على الطيران لتعمل إليه الكتب أخبار البلدان وتقدم إلى مكتب منشور لاربابها وأعزاز أصحابها وهو حينئذ يظفر دمشق مخيم نوادي الألوان ونحن مستظفرون في ذلك الأولان غادرون على أهل العدوان وذلك في سابع عشر ذي القعدة من السنة ثم ذكر نسخة المنشور ووصف فيه الجمال فقال (هي براند الأسبابة الخوصات بفضيلة الإلهام والابحار وهي فيروج الراسائل

في اخبار (٢٠٥) الدولتين

المأمونة الاطباء والسباغات الهوج في الاهتداء والحمايات لمطافات الاسرار في اقرب مدعى الى بعد غايه والاموصلات مهمات الاخبار في فتحهم من افاض الامصار بكل هدايه والقسطاعات في ساعته الى السلاسل اجواز الغفار والاراي والنافات نبحهم المرام يعود السهام الى المرامي وهي تطوى الفزاسخ البعيدة الاشواط في سامعه وتنتهي الى اقصى عنايات الطاعة بانتم استطاعه وقدمهم انفع المرابطين والفزاة والمجاهدين في سبيل الله في اهداء اخبار الكفرة اليهم من اماكنها دال على مكابدها ومكامها طائفة بكتهم الى من وراءهم من الظلائع والسراري مظهرة لهم من احوالها خبايا الامور الخفايا وانها المأمونة المطار مأمونة العشار سالمة على الاخطار مهدية في الاسفار امينة على الاسرار سابعة الى الاوكار صادرة بالامطار من الاقطار سائرة الى المؤمنين بنينا الصكفار قلت وكل هذه اوصاف حسنة وعبارات مستحسنه وقد بلغني عن القاضي الفاضل رحمه الله تعالى انه وصفها بالطف من هذه الاوصاف واخصر فقال (الطيور ملائكة المنوك) يشير الى ان زولها على الملوكة من جواهر الهوا من زول الملائكة على الانبياء عليهم السلام من السماء مع فرط ما فيها من الامانة لا تهمهم من جهتها خيانة فلقد احسن فيما وصف وأبدع فيما استنبط وأنصف وهو بذلك أولى وأعرف برحم الله الجميع

(فصل) في باقي حوادث هذه السنة قرأت نسخة من سجل باسقاط المكوس بمصر قرئت على المنبر بالقاهرة يوم الجمعة بعد الصلاة ثالث صفر سنة سبع وستين وخمسة مائة عن السلطان المالك الناصر في أيام نور الدين رحمه الله فهو كان الأمر وذلك المباشر يقول فيه (أما بعد فانا محمد الله سبحانه على ما مكن لنا في الارض وحسنه عندنا من أداء كل نافله وفرض ونسبنا له من ازالة النصب عن عبادنا واختارنا له من الجهاد في الله حق جهاده وزهدنا فيه من متاع الدنيا القليل وألهمنا من محاسبة أنفسنا على التقير والعتيل وأولانا من شجاعة الساحة فيوما نهبنا المثلث الدوابين ويوما تقطع ماسقاه النيل فالنيل في أيامنا ترقى شفعنا وزرا والمسار كنظام الجواهر تتبع الواحيد منها الاخرى والاسماحت قدمنا السامع والمطامع وصنعت الحجة والصنابع وأرضت المنبر والجامع ولما قدنا أمور الرعية رأينا المكوس البوابة بمصر والقاهرة أولى ما قلنا بها من ان تكون لنا في الدنيا ان تكون لنا في الآخرة فان تعجز ومنها للنيل أبواب الاجراف فاشغره ونظهر من مكاسبنا ونصون عن ماطلنا ونسكن في الرعية ضرتهم الذي يتوجه اليهم وأضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ونعبد بها اليوم كأمس الذاهب ونضعها فلا ترفعها من بعد يد حاسب ولا قل كاتب فاستخروا الله ومجئنا اليه برضى رأينا فرصة أحرلنا فعن عليهم ابصار الابصار ولا بغض يخرج أمرنا بكتب هذا المنشور بمساحة أهل القاهرة ومصر وجميع التجار المترددين اليها والى ساحل المقسم والمنسية بأبواب المكوس صادرها واردها فيرد التاجر ويستر ويغيب عن ماله ويجعز ويقارض ويخبر براو يحمر بكاونه را سرا وجهه لا يحل ماشده ولا يحل ماعنده ولا يكشف ماستره ولا يسأل عما أوردته وأصدره ولا يستوفى في طريقه ولا يشترقيه ولا يؤخذ منه طعمه ولا يستباح له حرمه والذي اشملت عليه المساحة في السنة من العين مائة ألف دينار مساحته لا يشوبها تاويل ولا يتخونها تجوزل ولا يعتريها زوال ولا يعتبرها الانتقال دائمة بدوام الكهه فاقامة مقام دين القيمة من عارضها ردت أحكامه ومن ناقضها نقض ذمامه ومن ازالها ردت قدمه ومن أحالها حل دمه ومن تعقبها خلدت اللعنة فيه وفي عقبه ومن احتاط لدينه فيها أحاط به الخيط الذي هو من خطبه من قرأه أو قرئ عليه من كذبة ولا الام من صاحب سيف وقلم ومشارف أو ناظر فليتشمل مامل من الامر ولمضه على مر الدهر من خياره به مضيا لما مر به وفيها توفي الشيخ أبو بكر يحيى بن سعدون القرطبي المقرئ القوي وهو وزير الموصل رحمه الله تعالى وفيها ولد العزيز والظاهر ان صلاح الدين والمنصور ومحمد بن تقي الدين وفيها في ثالث شوال توفي أبو الفتوح نصر بن عبد الله الاسكندراني المعروف بابن قلاؤنس الشاعر بعين داب ومولده بالاسكندرية رابع ربيع الآخر سنة اثنين وثلاثين وخمسة مائة فيكون في مجموعها خمس

وثلاثين سنة

(ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسة مائة) ففيها توفي ملك الحياة الحسن بن صافي وفيها ترتب العباد الكاتب مشرفا قبايدون نور الدين مناضا في كتابة الانشاء قال وكان نور الدين ذكيا لاهيا فلهذا وزعيلا لا يشبهه عليه

كتاب (٢٠٦) الروضتين

الاحوال ولا يتبرج عليه الرجال ولا يتأهل لغير أهل الفضل منه الا فصولا قال ولما عرض صلاح الدين بعد العاضد خزانته واستخرج دقايقه سير من اعدته من الامتعة المستحسنة والاسلحة والاور واليشم والاواني التي لا يتصور وجودها في الوهم ومعها اثلاث قطع من البلخش أكبر هانيف وثلاثون مثقالا والثانية ثمانية عشر والاخرى دوما وقرن بهامن اللآلى مصونها ومكنونها وحمل معها من الذهب ستين ألف دينار ووصلت من غرائب المصنوعات ما لا يجتمع مثله في انحصار واعمار ومن الطيب والعطر ما لم يحضر ببال عطار فشب نور الدين همة وذكر بالكرم شيمته ووصف فضيلته وفضل صفته وقال ما كانت بحاجة الى هذا المال ولا سببه خلة الاقلال فهو يعلم انما انفقنا الذهب في ملك مصر وبنا الى الذهب فقر وما لهذا المحمول في مقابلة ما جده به قدر وتمثل بقول أبي تمام

لم ينق الذهب المار في بكثرتة * على الحصاب به فقر الى الذهب

لكنه يعلم ان ثغور الشام منتقرة الى السداد ووفور الاعداد من الاجناد وقد علم بالفجر بلاء البلاد فيجب ان يقع التعاضد على الامداد بالمعونة والامداد فاستنزه وما استغزى واستقل المحمول في جنب ما حرره وترقى فيما يديره وأفكر فيما يشتمل من هذا المهم ويؤخره قال ابن ابي طي لم تقع هذه الهدية من نور الدين بموقع وجرد الموفق بن القيسراني وزيره الى مصر وأمره بعمل حساب البلاد واستعلام أخبارها وارقتاعها وأين صرفت أموالها فاذا حصل جميع ذلك قرر على صلاح الدين وظيفة يحملها في كل سنة وعظم على نور الدين أمر مصر وأخذ من استيلاء صلاح الدين عليها القيم المقعد وأكثر في مراسلته في حل الاموال حدثني أبي قال لم يخف حال نور الدين في كراهية الملك الناصر وقد علم ذلك جميع الاجناد والامراء وتحدث به العوام والسماحين أنفذ هذه الهدية واشتد بعد ذلك في مراسلته وأنفذ ابن القيسراني لكشف الاحوال ولوطال عمره لم يكن له بد من دخول مصر قال العماد وكان نور الدين مذمولا كتب مصر وتوجه له فيها النصر يؤثر ان يقر له فيما لم يحمل يستعين به على كفاف الجهاد وتخفيف ماله من الثقل والايام تطاوله والاعوام تطاوله وهو ينتظر ان صلاح الدين يتدنى من نفسه ما يريده وهو لا يستدعي منه ولا يستزيده فلما حمل من أغانى الذخائر والمال الحاضر ما حمله وعرف بمجمله ومفصله تقدم الى الموفق خالدين القيسراني أن يرضى ويطلب ويقضى ويعمل أيضا بالاموال المصرية بقرضه ولا يفي في نفوس ديوانه من أمرها خزائنه وأرسل معه الهدايا والتحف السنية وأقام العماد مقامه في ديوان الاستقبال فجمع بين الاشراف والضيافة ومضاج العتابة ثم كان من أمره ما ساقى ذكره قال العماد وخرج صلاح الدين في النصف من شوال ومعه القليل والجارية العتابة والذخائر النفيسة التي كان اتخفها من خزانة القصر وهي معدودة من مخاسن العصر قد سبق ذكر تسخيرها الى نور الدين وقولت بالاحسان والتحسين ووصلت الجارية وكثرت لها النظارة وأما القليل فانه وصل اليها في سنة تسع وستين ونحن نجلب في الميدان الاخضر وأهداه نور الدين الى ابن أخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل مع شيء من تحفة الثياب والعود والعنبر ثم سيره سيف الدين الى بغداد هدية للخليفة مع ما سيره معه من التحف اللطيفة وسير نور الدين الجارية العتابة الى بغداد مع هذا واتخف سنانا

(فصل ١٠) في جهاد السلطانين للفرنج في هذه السنة قال العماد ووزل صلاح الدين على الكرك والشوبك وغيرهما من الحصون فخرج بها وقرع عنهما وخرج عمارتهم واشتت على أعمالها سراياه بغاراته ووصل منه كتاب الى الملك الناصر (سبب هذه الخدمة الى دولنا الملك العادل أعز الله سلطانه ومدايد احسانه ويمكن بالنصر امكانه وشيد بالآثار مكنه وانصر أنصاره وأعان أعوانه علم السموك بما يؤثره المولى بأن يقصد الكرك بما يقص أجنتهم ويعمل استلحهم ويقطع مواضعهم ويجرب بلادهم وأكبر الاسباب المعينة على ما يرويه من هذه المصلحة أن لا يبق في بلادهم أحد من العرباء وان يتقوا من ذل الكفر الى عز الانجاء وما اجتهد فيه غاية الاجتهاد وعده من أعظم أسباب الجهاد ترحيل كثير من أنصارهم والحرص في تبديل دارهم الى أن صاروا العدو اليوم اذ انهم لا يجيب بين يديه ليلا ولا يستطيع حيلة ولا يتدنى سبيل) ثم ذكر باقي المكاتب قال ابن شداد وهذه أول غزى وعزها صلاح الدين من الدار المصرية وانما بدأ بالكرك والشوبك لانها كانت أقرب اليه وكانت في الطريق تجمع من يقصد الدار المصرية وكان لا يمكن أن تفصل قافلة حتى يخرج هو بنفسه يعبرها بلاد العدو فأراد توسيع الطريق

في اخبار (٢٠٧) الدولتين

وتسهيله ليتمصل البلاد بعضها ببعض وتسهيل على السابلة تخرج قاصدا لها في أثنائها سنة ثمان وستين فخاصرها
وجرى بينه وبين الفرنج وقعات وعاد عنها ولم ينظر منها بشئ في تلك الدفعة وحصل ثواب القصد وأما نور الدين فإنه
فجع مر عشرين في ذي القعدة من هذه السنة وأخذ بهسنى في ذي الحجة منها وقال العماد حدثت عند الملك العادل
نور الدين يدمشق في العشرين من صفر ووجهه ينور البشير قدسفر والحديث يجرى في طيب دمشق وحسن الأئمة
ورقة هوائها وبهجة بائها وأزهار أرضها كزهر سمائها وكل منا يدحها وبهجة يحدها وكل منا ينظرها فقال
نور الدين أنا أحب الجهاد يسألني عنها فأرغب فيها فأرتجى هذا المعنى في الحال فقلت

ليس في الدنيا جميعا * بلدة مثل دمشق
وبسبب ما في منها * في سبيل الله عشق
والنقى الأصل ومن * يتركها يشقى ويشقى
كم رشيق شغل عنه * بهسنى الغزور رشقى
وأمتشاق البدين يغنى * عنه بالاقلام عشقى

قال وسألت نور الدين أن أعلل دويشيات في معنى الجهاد على لسانه فقلت

للعز وشاطى واليه طبرى * مالى في العيش غيره من أرب
بالجسد وبالجهاد تنجح الطالب * والراحة مستودعة في التعب
وقلت أيضا

لأراحة في العيش سوى ان * أغزوس في طرب إلى الطلى يهتز
في ذل ذوى الكفر يكون العز * والقدرة في غير جهاد عجز
وقلت أيضا

أقسمت سوى الجهاد مالى أرب * والراحة في سواء عندي تعب

الابا بسبب لا ينال الطالب * والعيش بلا جسد جهاد لعب

قال واتفق خروج كلب الروم اللعين في جنود الشياطين بقصد الغارة على رواد من ناحية خوران وهم في جمع غلبت
كثرت الخبر والعيان ونزلوا في قرية تعرف بسيمكين فركب نور الدين وهو نازل بالكسوة اليهم وأقدم بعساكره
عليهم فلما عرفوا وصوله وحاولوا إلى الفوارغ إلى السواد ثم نزلوا بالشلالة ونزل نور الدين في عشترا وقد سره ما جرى فأنفذ
سرية إلى أعمال طبرية وأغتم خلوتها فأدلت تلك الليلة وجدت في شبن الغارة غدوها فلما عادت لحقها الفرنج
عند المخاضة فوقها الشجعان وثبت من ثبته الإيمان حتى عبرت السرية وانفصلت تلك القضية ورجل نور الدين
من عشترا فنزل بظاهر زرا قال العماد وكتب راكبا في لقائهم مع الملك العادل وهو يقول لى كيف تصف
ما جرى فحدثه بقصيدة

عقدت بنصرك راية الإيمان * وبدت لعصرك آية الاحسان
يا غالب الغلب المساكين وصائد السوء * صيد اللوث وفارس الفرسان
يا سالب التيجان من أربابها * خرت الغنم على ذوى التيجان
محمودا المحمود ما بين الورى * في كل اقليم بكل لسان
يا واحد فى الفضل غيره مشارك * أقسمت مالك في البسطة ثانى
أحلى أمانيك الجهاد وانه * لك مؤذن أبدا بكل أمان
كم كن نفع اولادته نبالك من * حرب لتسمع المشركين عوان
كم وقعة لك بالفرنج حديدتها * قد سار في الاتفاق والبلدان
قصت قومهم رداء من ردى * وقرنت رأس برسمهم بسنان
ولم تترك رفقوا لهم وتركتهم * بالنال في الاقياد والاشجان

كتاب (٢٠٨) الروضتين

وجعلت في أعناقهم أغلالهم * وشجيتهم هواناً على الأذقان
اذقوا السوايف تحطهم السم القنا * والبيض تخضب بالجميع القناني
وعلى غشاء المشرفة في الطلي * والحام رقص عوالي المزان
وكان بين النقع لمع حديدها * نار تالق من خلال دخان
في مازق ورد الوريد مكفل * فيسه برى الصارم النظمان
غطى البجاج به نجوم سمائه * لتوب عنها أنجم الخرصان
أوما كفاهم ذلك حتى عاودوا * طارق الضلال وركب الطغيان
يا خبيثة الأفرنج حين تجمعا * في حسيرة وأثوا إلى حوران
وجاوت نور الدين ظلمة كفرهم * لما أثبت براضع البرهان
وهز متهم بالرأى قبل لقائهم * والرأى قبل شجاعة الشجعان
أصبحت للإسلام ركناً ثابتاً * والكفر منك مضجع الأركان
قوضت أساس الضلال بعزمك المماضي * وشدت مبادئ الإيمان
قل أين مثلك في الملوكة مجاهد * لله في سر وفي أعين
لم تلقهم بثقة بقوة شوكة * لكن وثقت بنصرة الرحمان
ما زال عزمك مستمراً لا يذلي * لا يستقل بثقله الثقلان
وبلغت بالتأنيب أسمى مبلغ * ما كان في وسع ولا إمكان
دانت لك الدنيا فقام صيادها * حقيقة له لنفاذاً مرادها
فن العسراف إلى الشام إلى ذرا * مصر إلى قوص إلى أسوان
لم تله عن باقي البلاد وانما * الهالك فرض التزوع همذان
للسروم والافرنج منك مصائب * بالترك والاكراذ والعربان
اذعن لله المهيمن اذعنت * لك أوجسه الاملاك بالاذعان
أنت الذي دون الملوكة وجدته * ملاك من عرف ومن عرفان
في بأس عسروني في سالة حيدر * في نطق قس في تقي سلمان
سير لوان الوحي ينزل أنزلت * في شأن أسور من القس رآن
فاسلم طويل العزم تدي المدى * صافي الحياة مخلد السلطان

وهي قصيدة طويلة وصف فيها أمراء الحاضر بن الجهاد معه ومدحهم

(فصل) في فتح بلاد النوبة قال العماد في جمادى الاولى غزائهم الدولة تورانشاه بن أيوب أخو صلاح الدين بلاد النوبة وأراهم سعاد المهر به وفتح حصنها لهم يعرف بابرهم والآن لا يرم وهي بلاد عديمة الجدوى عظيمة البؤى ثم رجع بالنبي وعاد به إلى أسوان وفتح على أصحابه في الغنائم السودان وقال ابن أبي طي الحلبي وفيها اجتمع السودان والعبيد من بلاد النوبة ونزجوا في أم عظيمة قاصدين ملك بلاد مصر وصاروا إلى أعمال الصعيد وجمعهم على قصد أسوان وحصارها ونهب قراها وكان بها الأمير كثر الدولة فأنفذ إليه الملك الناصر وطلب منه بمحنة فأنفذ قطعة من جيشه مع الشجاع البعلبكي فلما وصل إلى أسوان وجد العبيد قد عادوا عنها بعد أن أخرجوا أرضها فاتهمهم الشجاع والكنز فخرجت حرب عظيمة قتل فيها من الفريقين عالم عظيم ورجع الشجاع إلى القاهرة وأخبر بفعال العبيد وتمكنهم من بلاد الصعيد فأنفذ الملك الناصر أخاه شمس الدولة في عسكر كثيف فوجدهم قد دخلوا بلاد النوبة فسار قاصداً بلادهم وشحن مرأكب كثيرة في البحر بالرجال والميرة وأمرها بالحقاق إلى بلاد النوبة وسار إليها ونزل على قلعة ابريم وافتتحها بعد ثلاثة أيام وغنم جميع ما كان فيها من المال والسكر والميرة وخلص جماعة من

الأسرى

في اختيار (٢٠٩) الدولتين

الاسرى وأسر من وجده فيها وهرب صاحبها وكتب الى السلطان بذلك فأشدد السلطان أبو الحسن بن النذري مبعثه
بفتح ابريم قصيدة منها

فقد أدم العزم فدامت داءه * بقصر عن ملك الأرض منتهاه
وأصبح ذبول الجيش حتى ترى * أنجبه طالعة عن دجاء
سوالث من ألقى عصاه بها * فباعة لما استقرت بواه
عليك باروم ودع صاحب الننا * ج إذا شئت وتور انشاه
فقد غدت ابريم في ملكه * تبهم أمر افييه كيت العدا
لا بد للنوبة من نوبة * ترضى السخط الكفر دين الاله
تفضل من نوبة منسوبة * لعزيمة كامنسة في اناه
تسكو والغزاة القاطن أرضها * ما نسجت للرب أبدى الغزاه
سود وجمهر الظبا حوطها * كاعين الرمد بدت للارساء
أولاف مر يجمعها القنا * مثل دنان برزتها السقاء
لله جيش منك لا ينشئ * الا ينصل دميت شسقرته
ما بين عقبان واكنها * خميل وفرسان كمثل الزناه
أساد حرب فوق أيديهم * أسود الطعن فهم كالخواه
تقلدوا الانهار واستلوا * غدران فالنيران تجري مياه

قال ثم رجع شمس الدولة الى أسوان ثم الى قوص وكان في مبعثه أمير يقال له ابراهيم الكردي فطلب من شمس
الدولة قلعة ابريم فاقطعها ياها وأنفذ معه جماعة من الأكراد البطالين فلما حصلوا فيها تفرقوا فغارت وكانوا يشنون الغارة
على بلاد النوبة حتى رجعوا بهم واكسبوا أموالا كثيرة حتى غبت أروافهم وكثرت مواليمهم وانفقوا منهم عددًا الى
جزيرة من بلاد النوبة تعرف بجيزة ذبدان ففرق أميرهم ابراهيم وجماعته من أصحابه ورجع من بقي منهم الى قلعة
ابريم وأخذوا جميع ما كان فيها وأخاوها بعد مقامهم بها ستين فساد النوبة اليها وملكها وأنفذ ملك النوبة
رسولا الى شمس الدولة وهو عقيم بقوص ومعه كتاب يطلب الصلح ومع الرسول هدية عبد وجارية فكاتب له جواب
كاتبه وأعطاه زوجين شاب وقال مالك عندي جواب الأهل واجه زمعه رسولا يعرف بمسعود الحلبي وأوصاه أن يكشف
له خبر البلاد ليدخلها فاسار الحلبي مع الرسول حتى وصل دنقلة وهي مدينة الملك قال مسعود فوجدت بلاد اضيقة ليس
لهم زرع الا الذرة وعندهم فحل صغار منهم ادا مهم ووصف ملكهم بأوصاف منها ان قال خرج علينا يوما وهو عريان
قدركب فرس ساعر يا وقد التفت في ثوب أطلس وهو أفرع ليس على رأسه شعر قال فأثبت فسلمت عليه ففحك وتغاشى
وأمرني ان تكوي يدي فكوي عليها هيئة صليب وأمرني بقدر تحسين رطلان الدقيق ثم صرفني قال وأما دنقلة
فليس فيها عمارة الا دار الملك فقط وباقيها انحصار

(فصل) في وفاة نجم الدين أيوب والصلاح الدين وطرف من أخباره قال العماد وركب نجم الدين أيوب فشب به
فرسه بالقاهرة عند باب النصر وسط المحجة يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجة وحمل الى منزله وعاش ثمانية
أيام ثم توفي في يوم الثلاثاء السابع والعشرين من ذي الحجة وكان كرمًا حارًا عطرًا حلما وباهم من دحم الوفود وهو
متلف الموجود يبدل الجود وكان ولده صلاح الدين عنه غائبًا وفي بلاد الكرك والشوبك على الغزاة مواظبًا فدفن
الى جانب قبر أخيه أسد الدين في بيت بالدار السلطانية ثم نقل بعد ستين الى المدينة الشريفة النوبية على ساكنها
أفضل الصلاة والسلام والنجية والاكرام والاجلال والاعظام وعلى آله وصحبه وسلم قلت قبره هي تربة الوزير
جمال الدين الأصمها في وزير اواصل المتقدم ذكر درجهم الله وقال القاضي ابن شداد ولما عاد صلاح الدين من غزائه
بلغه قبل وصوله الى مصر وفاة أبيه نجم الدين فشق ذلك عليه حيث لم يحضر وفاته وكان سبب وفاته وقوعه من الفرس
رجسه الله وكان شديد الرخص ولها باب الكرك بحيث مر أنه يلعب بها يقول ما يفت الا من وقوعه عن ظهر

كتاب (٢١٠) الروشني

الفرس ومن كتاب فاضل عن السلطان الذي عز الدين فرخشاه بمصر يقول فيه (صمغ من المصاب بالمولى الداوود غفر الله له ذنبه وسقى بالرحمة تربة ماعظمت به الروع واشتدت الروعه وتضاعفت لغيبته ناعن مشمداً بالحسرة فاستغيدنا بالصبر فاني وانحدرت العبيرة فيما له فقيداً فقد عليه العزاء وهانت بعده الارزاء وانتير عمل البركة بفقدته فمضى بعد الاجتماع اجزاء وتحفظته بدالروى في غيبتي * هبني حضرت فكنت ماذا اصنع
قال ابن ابي طي الحلبي هو الامير نجم الدين ايوب بن شاذي ولا يعرف في نسبته أكثر من والده شاذي وحدثني ابي رجه الله قال كان تقي الدين عمر يزيد فيقول شاذي بن مروان قلت وسمعت أنا من يقول شاذي بن مروان بن يعقوب قال ابن ابي طي وقد ادعى ابن سيف الاسلام لما ملك اليمن منهم من بني مروان بن محمد الجعدي المعروف بالجارعي آخر خلفاء بني أمية قال وقد ثبت عن ذلك فاجمع الجماعة من آل ايوب ان هذا كذب وان جميع آل ايوب لا يعرفون جسد افوق شاذي وكذلك أخبرني السلطان الملك الناصر رجه الله قلت ودليل صحة ذلك اني وقت على كتاب وقف الرباط النجمي بدمشق ولم يرد فيه على نجم الدين ايوب سيد شاذي العادلي وابن سيف الاسلام هذه الروايات اسماعيل بن طه كين بن ايوب بن شاذي بن أخي السلطان صلاح الدين ملك اليمن بعد أبيه وتعاظم الى ان ولي نفسه الخلافة وادعى انه من بني أمية وعزم على إعادة الخلافة من بني هاشم الى بني أمية وله في ذلك اشعار كثيرة وتلقب بالامام الهادي بنور الله المعز لدين الله امير المؤمنين ومحمد هـ كثير من الشعراء بذلك وزينوا له فعله وما هو فيه من شعره

والى أنا الهادي الخليفة والذي * أودس رقاب الغلب بالضر الجرد
ولا يدمن بغداد طوى ربيعها * وانشرها انشر السما سر السبر
وانصب اعلاى على شرفاتها * وأحى بها ما كان أسسه حدى
ويخطبلى فيها على كل منبر * وأظهر دين الله في العور والنجد

قال ابن ابي طي وكان نجم الدين ايوب عدلاً مريضاً بكثير الصلاة والصلاة غزير الصدقات والخيرات يحب العلماء ويميل الى الفضلاء وكان حاداً مدحه العباد الكاتب بمجلة قصائد قال وكان مولد نجم الدين ايوب ببلد شيخان كذا حكاه مؤيد الدين ابن منقذ وحدثني جماعة ان مولد نجم الدين كان بجبل جور وروى في بلد الاوصل وانشأ شعاعاً باسلا وخدم السلطان محمد بن ملكشاه فرأى منه أمانة وعقلاً وسداداً وشامة فوله قلة تكريت فقام في ولايتها أحسن قيام وضبطها أكرم ضبط وأجلى من أرضه المفسدين وقطاع الطريق وأهل العيث حتى عرفت أرضه وحسن حال أهلها وامنت سبلها فخاراً السلطان مسعود الملك أقطع قلعة تكريت لجاهد الدين بهروز الجندى بغير رواتب شخصه بغداد ومولى العراق وكان هذا بهروز اميراً بقلعة تكريت وجميع العراق الى البصرة الى الموصل الى أصفهان وكانت خيله خمسة آلاف فارس فاقر الامير نجم الدين في ولاية تكريت وأضاف اليه النظر في جميع الولايات المتاخمة له وقرر أمره عند السلطان مسعود وجعل بهروز قلعة تكريت خزائن أمواله وبيت عقاقله وجعل جميع ذلك منوطاً بالامير نجم الدين ومعدوقاً بمهنته وكان نجم الدين عظيماً في أنفس الناس بالدين والخير وحسن السياسة وكان لا يمر أحد من أهل العلم والدين به الا جل اليه المال والضياقة الجلبلة وكان لا يسمع بأحد من أهل الدين في مدينة الاندلسية وقد ذكر العباد الكاتب في سيرة السجوقية الامير نجم الدين وقرطبه وأثنى عليه وذكر من دينه وعفته ووفور أمانيه وكرمه تحفه أشاء حسنة وحكى قضية عمه الغزيرين حبس عنده بقلعة تكريت من جهة الوزير الدركر بنى وأمره بقتله فاني نجم الدين الى ان قتله بهروز بنفسه بامر الدركر بنى ثم ان السلطان مسعود احشود وخروج في أخذ السلطنة وطمع هو وأتابك زنكي ابن آق سنقر في بغداد وجردها عسكر اغتصا وسارا الى تكريت طامعين في بغداد وتقاتلا وتلاقيا فراجعه الساقى وهو أتابك بن السلطان محمود بن جرد ألف فارس عليهم ثم اردفهم بهم عسكر ففهم فانهز من زنكي وقتل جماعة من أصحابه وجملة من سكان في عسكره ولبا الى سور زنكي وبه عسدة جراحات وعلم به الامير نجم الدين وأخوه شير كوه فغزاها الى القلعة بجبال رداً وياجرها وحدها ما حسن خدمة وقرر اليه فأقام عند هاتيكريت خمسة عشر يوماً ثم سار الى الموصل وأعمر زوال الظهور فأعطياه جميع ما كان عند هاهما من الظهور حتى انهما أعطياه جملة من البقر جل عليها ما سلم معه من

امتنه فكان زكي يرى لأيوب هذه الدنيا ويعرف له هذه الصديعة وتواصله بالهدايا والاطاني مئة مقابلة في تكريت فخا
 انفصل عنها على ما سذكر وتلقاه زكي بالرحمة والسعة واحترامها عظميا وأقطعه عدة قطاعا وكان نجم الدين
 قد ساس الناس بتكريت أحسن سياسة حتى ملك بذلك خبات قلوبهم وكان أخوه شير كوه معه في القلعة وكان معجبا
 بأسلاية من القلعة ويضعه الملم في أسبابه وحاجاته وكان نجم الدين لا يفارق القلعة ولا يزل منها فانفق أن أسد الدين
 نزل من القلعة يوما لبعض شأنه ثم عاد إليها وكان بينهما وبين كاتب صاحب القلعة قوارص وكان رجلا نصرانيا فاتفق
 في ذلك اليوم أن النصراني صادق أسد الدين صاعدا إلى القلعة فعميت به بكاسمة مخضدة فجرد أسد الدين سيفه وقتل
 النصراني وصعد إلى القلعة وكان مهيبا فلم يخشاه أحد على معارضة في أمر النصراني وأخذ النصراني برجله
 فالتقى من القلعة وبلغ به روز صاحب قلعة تكريت ماجرى وحضر عنده من خوفا جراءة أسد الدين وأنه ذو عشرة كبيرة
 وأن أخاه نجم الدين قد أسس وذعي قلوب الرعايا وأنه ربما كان منها أمر تخشى عاقبته ويصعب استدرا كه فكاتب
 إلى نجم الدين يشكر عليه ما جرى من أخيه ويأمره بتسليم القلعة إلى نائب سيره وصحبة الكتاب فاجاب نجم الدين إلى
 ذلك بالسمع والطاعة وأرسل من القلعة خبعا كان له به من أهل ومال واجتمع هو وأخوه وأسعد الدين وعيما على
 قصد عاد الدين زكي بالموصل وقيل أن أسد الدين كان خرج إلى الموصل قبل نجم الدين وأعظم أهل تكريت خروج
 نجم الدين من بين أظهرهم ولم يبق أحد إلا خرج لتويعه وأظهر الميكان والأسف على مفارقتها وما يصل بابانك
 زكي قد وهما أفرجه ذلك وأمر الموكب بالقيام ما أوكرهما أكراما عظميا وأقطعهما في بلد شهر زورا قاطعا عسنا
 وقيل أنه أقطع أسد الدين بالموز وروجر بين أسد الدين وجمال الدين الوزير مودة عظيمة حتى حلف كل واحد منهما
 لا لاخر أنه يقوم بأمره في حياته وبعد وفاته وتغير دجال الدين في أمر أسد الدين وأمر أخيه نجم الدين حتى فرهما من
 قلب أنابك وجعلهما معند ما كنز العنقة وتخرجاهما إلى الشام وشهدا معه حروب الكفار وقتال الفريجين نعم الله
 وكان لأسد الدين في ذلك الوقت الأربع اليد البيضاء والذئبة الغراء وحدثني أبي رحمه الله قال حدثني سعد الدولة أبو
 الميمان المؤملي وكان أحد أعجباب نجم الدين أيوب قال وحدثني أيضا بهذه الحكاية فيجد الدين بن داية الملك الصالح
 قال حدثني حسام الدين سنقر غلام الأمير نجم الدين أيوب طالب وكان سنقر هذا يتخدم مع الأمير نجم الدين أيوب بن
 شاذي قال كنت في صحابة الأمير نجم الدين لما انقذه نور الدين بن زكي إلى ابنه السلطان الملك الناصر إلى مصر من
 أجل قطع خطبة المصريين وأقامة دعوة بني العباس في أول سنة سبع وستين وخمسمائة واتفق أني كنت حاضرا
 وقد اجتمع السلطان الملك الناصر والامير نجم الدين في دار الوزارة وقد قعدا على طراحة واحدة والمجلس خاص
 بآرباب الدولتين وعند الناس من الفرح والسرور ما قد اذهل العقول فبينما الناس كذلك انقدم كاتب نصراني كان
 في خدمة الأمير نجم الدين فقبل الأرض بين يدي السلطان الملك الناصر والامير نجم الدين والتفت إلى نجم الدين
 فقال له يا مولاي هذا أنا ويل مقاتلي لك بالامس حين ولد هذا السلطان فضحك نجم الدين وقال صدقت والله ثم أخذ
 في جداله وشكره والثناء عليه والتفت إلى الجماعة الذين حولهم والقضاة والامراء وقال لكالام هذا النصراني حكاية
 عجيبية وذلك انني ليله زقت هذا الولد يعني السلطان الملك الناصر أمرني صاحب قلعة تكريت بالرحلة عنها بسبب
 الفعلة التي كانت من أخى أسد الدين شير كوه رحمه الله وقتله النصراني وكنت قد ألفت القلعة وصارت لي كالوطن
 فقل على الخمر وجعلتها والفقول عنها إلى غير ما وغمتم لذلك وفي ذلك الوقت جاني النشير بولاية فاشا معتم به
 وتطربت لما جرى على ولم أفرس به ولم أستشر وشجنا من القلعة وأنا على طيرى به لا أكاد أذكره ولا أسميه وكان هذا
 النصراني معي كيتا فلما رأيته نازل لي من كراهية الطفل والتشام به استندى مني أن أذن له في الكلام فأذنت له
 فقال لي يا مولاي قد رأيت ما قد حدث عندك من الطيرة بهذا الصبي وأحسب أنه من الذنب وما استحق ذلك منك
 وهو لا ينفق ولا يضر ولا يفتي شيئا وهذا الذي جرى عليك قضاء من الله سبحانه وتدرم ما يدرك أن هذا الطفل يكون
 ملكا عظيم الصيت جليل المقدر فخطفتي كلامه عليه وها هو قد وفقني على ما كان قالة فتهب الجماعة من هذا
 الاتفاق وجد السلطان والوالد الله سبحانه وشكراه قلت ولما جرى في نجم الدين مداخلة ومراعاة ما قالوه

نفس الزمان بنجم الدين بهتسم * ووجهه بدوام العسر متمم

كتاب (٢١٢) الروضتين

اضحى بك النبل مجوجا ومعتبرا * كما ما حل فيه الحبل والحرم
جاءت بسوك وتكمل الدين منشتر * فقام عواغه فهو اليوم منتظم
وما يرى أحمد من قبل رؤيتهم * ان الحظوظ باثم الأرض تقتسم
نامت عينون الزرى في عدل سيرتهم * كان بقية ثنائى عصرهم حلم
والناصر انك كاف كل معصية * اذا الحوادث لم تكشف لها غم
اعز بالأس والأحسان حوزتنا * فإدبر بنا خوف ولا غم
تسم السبت من أيوب عن ملك * تخط عن قدره الاقدار والهمم

وقال في مرثيته

هى الصدمة الاولى من بان صبره * على هول ملقاها تضاعف أجره
اذم صبغ الاربعاء فانه * تبسم عن نعر المنيمة فجره
أصاب المدينى في نجه مصيبة * تدعى سماك الجومئيا ونصره
فلا تغفلوا واعذرنا من بكى * على فقد أيوب فقد بان عذره
اقام يا عمال القبرات وخيله * براع به نبل العزيز وعصره
الى ان رماها من أخيه يضيق * فرى نابه أهل الصليب وظفروه
فلما قضى نحس حيا ودولة * بأمرك في ادرا كهاتم أمره
ثعا قبقا مصرا تعاقب وابسل * يبيت بقطر النيل ينهل قطره
نزلت بدار حلها حلالها * فتلك مغناؤه وقطره قطره
واخيه في النجى حيا وميتا * فقد برلك في دار القبر وقبره
وقد شخصت أهل البقيع الكفا * والافسكان الحيون وحجره
هتيا الملك مات والعز عزه * وقدرته فوق الرجال وقدره
وأدرك من طول الحياة مراده * وما طال الا فى رضى الله عهده
واسعد خلق الله من مات بعد ما * رأى في بنى ابنائه ما يسره
شديد تلقى ربه وهو صائم * فكان على أجر الشهادة قطره
مضى وهو راض عنك لم ترم صدره * لضيق ولا جاشت من الغيظ قدره
سعى حوزة الاسلام والدين بعده * ثمانية من أجلهم عز نصره
فكيف لحبس آل أيوب أسده * لقد بان خوف الدهر منه وذعره
رعى الله فحما تغرف الشمس انه * أبوها ونور البدر منها وزهره
وابسقى المقام الناصرى فانه * لدوائكم كمنزلة الجاء وذخره

وقال أيضا

صفوا الحياة وان طال المدينى كدر * وحادث الموت لا يبقى ولا يذر
وما يزال لسان الدهر ينشدنا * لو أثرت عندنا الآيات والنذر
فلا تغفل غرت الدينامطامعنا * فحما الموت لا غش ولا كدر
كأنما اذا ما الردى حيا الحياة بها * لم ينج من سكرها أنى ولا ذكر
كم شاح العز لاقى الدل من يدها * ما أضف القدران الوئى به القدر
فى كل جيل وعصر من وقائعها * شعواء بقطر منها التاب والظفر
أودى على عثمان بظلمها * ولم يفتها أبو بكر ولا عمر
ومن أراد الناسى فى مصيبتها * فلا يرى برسول الله معتبره

في اخبار (٢١٣) الدولتين

نجيم هوى من سماء الدين منكذرا * والنجيم من افقهنوى ويكذبر
منظومة ابهر الجوزاء من جرج * لهو عة الدالير اياته منه بشر
وكيف ينسج بحياها السكر من ومن * نعا في كل عيش مصالح اثر
جذبت من اسباب الدين الشميد لنا * خزائنه يشاوى الصبر والصبر
قد كان للدين والدين ابرم كما * ذكر بعينه النصارى الذكر
ان فاح نشر كلام تمدحان به * مسكا فستره ثوب اهي العطر
تخفى ذبال مصابيح اذا طلعتوا * صبحا وتنفى ماوك الارض ان ذكروا
كانما صور الله الكمال بهم * شخصا يوسف منه التبع والبصر
لاشوبك منه معصوم ولا كرك * ولا خيل ولا قدس ولا زعر
لم يرتحل قافلا الا وساكنها * امامها جاء اودم هدر
مامات ايوب الا بعد مهجرة * في المجد لم يؤتمها من جنسه بشر
مضى سعيها من الدنيا وليس له * في رتبة ارباق ولا وطر
وطول الله منه باع اربعة * منها الندى والشفق والمالك والغمر
واشرف المالك ما امتدت مسافته * في حجة اخوها العقل والكبر
وممن سعاده ان مات لاسام * يشكوه منه معانيه ولا يخبر

﴿فصل﴾ قال العمادوسار نور الدين فاصدا جانب الشمال لتسديدا اختل هنا من الاحوال فصار الى
بعابك ومنها الى حصن ثم جلب وفصل في كل منها من المصالح ما وجب وقصد بلاد تلج ارسلان ملك الروم ففتح
مرعش في العشرين من ذي القعدة ثم فتح مهنى واتبع في كل منها الطريقة الحسنى وكتب العماد الى صديق
له بدمشق وكان سافرا عنهما نور الدين في اطيب قصورها وهو من المشمش

كان في قدسك من مرعش * وخدوف فواثها مرعشى
وماحى في طوقها ميمر * صبح النواظر الاغشى
وماحل في ارضها امن * من الضيم والضر الاغشى
ترتحنى نشوات النصارى * مكا في من كاسه منقش
امير واعا من برج الجدوى * فقللى يسر دمي بشى
بذلت لك مهجتي رشوة * فيا كم جبكم مرثى
وكيف يلد الكرى مغرم * بنار القرام حشا حشى
مرعش ابى وبوطها * مضاهاة جلق والمشمش

قال العماد في الخبرية فسارت هذه القطعة ونهى جديته الى نور الدين قال فاستشدنيها فانشدتا ياها ونحن
سائرون في واد كبير مع بيتين بدت بهما في الحال وهما

وبالمالك العادل استأنست * فجاها من كل مستوحش
وما في الانام ككرهم سوا * هفان كنت تذكر ذا فئش

قال ابن الاثير في سنة ثمان وستين سار نور الدين رحمه الله نحو ولاية المالك عز الدين فليج ارسلان بن مسعود بن
ليج ارسلان بن سليمان السلجوقي وهي ملطية وسيراس وتوتية واقصرا عازما على حربه واخذ بلاد منه وكان سبب
لك ان ذا النون بن دانة صاحب ملطية وسيراس وغيرهما من تالك البلاد قد صد تلج ارسلان واخذ
لاده وانخرجه عنها طاردا فريدا فصار الى نور الدين مستنجرا ولم يتجأ الى نسطرا فأكرم نزله واحسن اليه
جعل له ما يلقى أن يجعل للسلوك ووعده النصر والسبي في رده لملكه اليه وكانت عادة نور الدين انه لا يقصد
لاية احد من المسلمين الا ضرر ورة اياها ليستعين بها على قتال الفرنج والخوف عليهم منهم كما فعل بدمشق ومصر.

كتاب (٢١٤) الروضتين

وغيرها فلما قصده ذوالنون راسل قليج أرسلان وشفع اليه في إعادة ما غلبه عليه من بلاده فلم يجبه الى ذلك فسار ذوالنون نحو قافا بتأيد بكيسون وبسنى ومرعش ومرزبان فملكها وما بينهما من الحصون وسير طائفة من عسكره الى سيواس فملكوها وكان قليج أرسلان لما بلغه قصد ذوالنون بلاد قد سار من أطرافها الى ثلث الشام الى وسطها خوقا ورفقا ورأسل ذوالنون يستعطفه ويسأله الصلح والصفح عنه فتوقف ذوالنون عن قصده رجاء ان يصلح الامر بغير حرب فاتاه من الفرغ ما أزعجه فاجابه الى الصلح وكان في جملته رسالة ذوالنون اليه (انني أريد منك أمورا واعدوهم بما تركت من بلادك ثلاثة أشهر ان أخذها ان تجد اداسلا منك عبيد يدرسون حتى يحصل لي اقرارك على بلاد الاسلام فاني لا اعتقدك مؤمنا وكان قليج أرسلان يتهم باعتقاد مذاهب الفلاسفة والثاني اذا طلبت عسكرك للفرقة تسير فافانك فقدمت طرفا كبيرا من بلاد الاسلام وترك الروم وجهادهم وهادنهم فاما ان تكون تجدي عسكرك لا تقاتل بهم الفرغ واما ان تجاهد من يجاورك من الروم وتبذل الوسع والجهد في جهادهم والثالث ان تزوج ابنتك لسيف الدين غازي ولد اخي وذكروا غير هذا فلما سمع قليج أرسلان الرسالة قال ما قصد ذوالنون الا الشناعة على بالزندقة وقد أجبته الى ما طلب اما أجد اداسلا على يدرسه واستقر الصلح وعاد ذوالنون وترك عسكره في سيواس مع خضر الدين عبيد المسيح في خدمة ذوقون فبقى العسكر بها الى ان مات ذوالنون فرحل العسكر عنها وعاد قليج أرسلان ملكه اقال الهماد (وفيها) وصل الفقيه الامام الكبير قطب الدين النيسابوري وهو فقيه عصره ونسب وحده فسر ذوالنون به وأثر له بحلب بدمرسة باب العراق ثم أطلعته الى دمشق فدرس رواية الجامع الغريبي المعروف بالشيخ نصر المقتدي رحمه الله ونزل بدمرسة الحاروق وشيخ ذوالنون في انشاء مدرسة كبيرة للشافعية لفضله وأدركه الاجل دون ادراك عملها لاجله فقلت هي المدرسة العادلة الآن التي بنها بعد الملك العادل أبو بكر بن أيوب أخو صلاح الدين وفيها ربه وقد رأيت اما ما كان بناء ذوالنون ومن بعدهم وهو موضع المصد والمحراب الا ان ثمة لما بناها الملك العادل ازال تلك المجارة وبنها هذا البناء المتين المحكم الذي لا نظير له في بنى المدارس وهي المأوى وبها المثوى وفيها قد رآه تعالى جمع هذا الكتاب فلا أقدر ذلك المنزل ولا أقوى وبقي قطب الدين الى ان توفي في الايام الناصرية في سنة ثمان وسبعين وقد وقف كتبه على طلبة العلم ونقلت بعد بناء هذه المدرسة اليها ما فاتها من ثمرته اذ فاتها ما بثمرته رحمه الله قال الهماد وكان وقد في سنة أربع وستين شيخ الشيوخ عماد الدين أبو الفتح محمد بن علي بن محمد بن جويه فأقبل عليه ذوالنون وأمره في انشاء معشور له بمسحاة الصوفية ورغبه في المقام بالاحسان اليه بالشام ومن جملة ما أنفق به عمامة باعثة ذهبية كان قد انقذه صلاح الدين من مصر قبل ان فيها ألف دينار بتهذهم اقل يصيب من سامه الى طلبها قلت وقد سبق ذكر هذه العمامة في أخبار ذوالنون أول الكتاب من كلام ابن الاثير وابن المعطي اياها وهو الشيخ تاج الدين عبد الله رحمه الله ثم ذكر الهماد نسخة المنشور وفيه (فلي نظر في رباط السجماطي وربة الطواويس ورباط الطاحونة وغيرها من الرباط الذي للصوفية بدمشق المعمورة وبه علمك) ثم ذكر الهماد انه في آخر شبان من هذه السنة قبل الرحيل من دمشق كان أهدى الى صديقه المفاضل الاديب علم الدين الحسن بن سعيد الشافعي فطائف وكتب اليه

ما راقت في محبون مستوطنات في سكوت * أو كالعقائل في الخدو رقد اعتقلن على ديون
أو كالتبائم للحياف ومانسين الى جنون * صرعى وما دامت لها يوم ارجى الحرب الزبون
يحبين بالتفرق بل يسمن في ضيق المحبون * نضدن بالترصيع في السجيمات كالذر المحبون
وقد اشبتن من اللطائف والصفات على فنون * يجلين أمثال العرا ئس بين أبكرا وعون
هتكت اللبذات السوا ثذالسهول من الخزون * السكرات الغريسة قات اغلال والشؤون
لفقن في أكسفاتهن على المنى لاللون * المستطابات الظهور والمستلذات البطون
المستعجات الصفوف وفوقن كالخيل الصفون * اسمع حديثي في انبسا طي فالحدث أخوشجون
وهي أكثر من هذا

في الخبر (٢١٥) الوثائق

﴿فصل﴾ قال الجناد قد سبق ذكر ملج بن لاون مقدم بلاد الارمن والتجائه الى نور الدين وتطاوله بقوته على الروم والارمن وكانت الدروب تحت اذنه والاصبصة وسواس يجيم اكلب الروم ويضبطها بيمينه حتى استولى عليها ملج بن لاون فسكرهم وقتل وأسروا قتل نور الدين من مقتدى الروم ثلاثين أسير افارس نور الدين القاضى كمال الدين السمرزوري بالاسرى والهدايا الى الخليفة المستضى بما امر الله ووجه كتاب يشترى هذه الكسرة وما فتح من البلاد ويقول فيه (وقد سطنت يدك والقدس يجرى ان الى امد الفتوح في مضمار المناقصة وكلاهما في وحشة ليل الظلام المدهشم على انتظار صباح الموائمة والله تعالى بكمه يدي قطاف الفتحين لاهل الاسلام ويوفى الخادم لخدمة مرضى الامام وفي آخره (ومن جملة حسنات هذه الايام الزاهرة ما تبصر في هذه النوبة من افتتاح بعض بلاد النوبة والوصول الى مواضع منها لم تنظر قها سنا بل الخيل الاسلاميه في العصور الخالية وكذلك استولت عساكر مصر ايضا على بركة وحصونها وتحكموا في محكمها قها واهمها حتى بلغوا الى حدود المغرب فظفر وامر السؤل بعنقاء مغرب) قلت اتفق في هذه السنة وصول قراقوش غلام تقي الدين من الدار المصرية مع طائفة من الترك فانضم اليهم جماعة من العرب فاستولى على طرابلس وكثير من بلاد افرقية ما خلا المهدي وسقاقس وقصبة وتونس وفي آخر ذلك الكتاب (وسأل الله التوفيق لاستدناء قواصى المني واقصاء عبدة الصليب الانجاس من المسجد الأقصى وان يجعل فتح البيت المقدس مفتوح مراده ومقتدر زنده ومقترحه في جهاده وان يحكم الساحل بجميع بلاده) وسير العباد معه قصيدة منها

بالاستضيء اى محمد الحسن * رجعت أمور المسلمين الى السن
في ارض مصر دعا له خطباؤها * وأنت لخطبك بكر خطبته عدن
فالغرب الأقصى بذلك مشرق * وينصر مصر محقق بن الجين
ورأى الاله المستضى لشعره * وعباد نعم الامين المؤمن
سرا النبوة كامن فيه ومن * فطر الامامة مشرق نور الفطن
تقوى ابي بكر ومن عمار الهندي * وحياء عثمان وعلم أبي الحسن
وبجده عرفت مقالة حيدر * لامن دد انى ولا منى الدن

ومنها في مدح نور الدين رحمه الله

هبل مثل مجدين زنى مخلص * متوحد بيني رضاك بكل فن
ورعدى المحراب أروع محرب * في حالتيه ان أقام وان نلعن
يمسى ويصبح في الجهاد وغيره * يضفى رضى سلافة ويخبر عن
وبعزة الاسلام متصراحر * وبذلة الاشرار متفتحا فن

قال ابن أبي طى وفيه ما وصل شهاب الدين بن ابي عمرو من بغداد ووجه توقيعه لنور الدين بدرب هارون وصريفيين وخمسين دينار من دنانير النشار التي نثرت يوم دخل المشاب الى بغداد بالباشارة بالخطبة في مصر وزن كل دينار عشرة دنانير قال الجناد وكانت ناحتا درب هارون وصريفيين من أعمال العراق زنى والد نور الدين قد بعام انعام أمير المؤمنين فسال نور الدين احياء ذلك الرسمى في حقه فأقيم له الخليفة عليه وجهه بما مثاله الشريف اليه وكان من مراده ان يستوعب بغداد على شاطئ دجلة أرضا بينهم امد مدرسة للشافعية وبقيت عليهم الناحيتين طلب للاجر والذكر الباقي على عار الدهر فقيل له ما تم موضع يصلح لهذا الادراك فعاقه أمر التمدد عن قدرته على هذا الامر

﴿ثم﴾ دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة ونور الدين قد فتح من حدود الروم مرعش وغيرها وملج بن لاون ممالك الارمن في خدمته ووصل الى خدمته ايضا ضياء الدين مسعود بن قنقاق صاحب ملطية وكان في خدمته ايضا الامراء من المجدل فسرهم بالعتاء الاجل والسمت الاجل وأظهر انه ينزل على قلعة الروم على الفراهة فتة به مستخلف الارض بالبراة وحمل خمسين ألف دينار على سبيل الجزية صاعا نعمة بذل وصغار وعاد الى حلب وقد نجح

* كتاب (٢١٦) الزوئين

في كل ما طلب وأراد أن يسرع إلى دمشق فالتفت سريره لاثبات سريره وخطي يرض القلب بارض جسم محظيته وجرت شكاية شكاية جاربه فتصدق عنها بألوف والتم لله في شفائها لنذور ووقوف ثم سيرها في محفة تمجيد على أيدى الرجال في خفة وسارت على الطريق المهيمن مع العسكر يحملها من الخدم والخواص المعشر بعد المعشر فما تقرب إليه يجل جلها والمثني معها وتقدم بحق لازم من بعده شبعها وتأخر نور الدين بجديعة عدة من مالهيك وأمرائه المناصبين في ولايته وتقدم إلى أن أسأله في طريقه وأخبره وأحضره في منازلهم واسأله وسرنا على طريق قبة ملاعب والمشموس عليه بجاءه الحسبران الفرج قد أغارث على دوران فثنى إلى الجهاد العنان وسمع الفرج به فتشترقوا وقلعوا بعدما كانوا أقلقوا ودخلنا دمشق قلت وفي جمادى الأولى أبطل نور الدين رجسه الله قرصة الاتبان ورأيت مشوره بذلك وعلاقمته عليه بخطه (الجد لله) يقول فيه (وبعد فإن من سنتنا العادلة وسير أماننا الزاهر وعوائدنا الفاهرة أشاعة المعروف وأغائه الملهوف وأنصاف المظالم واقفاء رسم ماسنه الظالمين من جاثرات الرسوم ومازال تجد للارعية زمام الحسان يرتعون في رياضه ويرتوون من حياضه ونشترق أعمال بلادنا لحرسة ونصفها من الشبه والوثاق ونلحق ما يعثر عليه من براف رسومها الضائرة بما أسقطناه من المكوس والضرائب تقربا إلى الله تعالى الكافل لنا بسبوغ الماوجب وبابغ المطالب وقد أطلقنا جميع ما جرت العادة بأخذة من قرصة الاتبان المقتطعة على أعمال دمشق المحروسة وضياغ القنطرة والمرج وجبل سسنة وقصر بجاج والشاغور والعقبة ومن أراحه الجارح في الاملاك وجميع ما يقسط بعد المقتطعة من الاتبان على الضياغ الخواص والمقطعة بسائر الأعمال المذكورة وروفرغنا على أربابه طلبا لرضا الله وعظيم أجره وثوابه وهو بامن انتقامه وألم عقابه وسبل الثواب إطلاق ذلك على الدوام وتعبه آثاره والاستعفاء من أوزاره والاحتراز من التندس بأضارته وأبطال رسمه من الدواوين لاستقبال سنة تسع وستين وما بعده على تعاقب الأيام والسنين)

(فصل) في فتح العين قال العماد وفي رجب نومه ثورا نشأه أكبر أخوة صلاح الدين إلى العين فملكها وكان يحميه على المسير إليها عمارة الدين شاعر القصر وكان كثير المدح لثور أنشأه فجهز وسار إلى مكة ثم إلى زيد فملكها وقبض على الخارجه بها وأهلكه أثمه سيف الدين مبارك بن مقبل ومضى إلى عدن فأخذها وأعطى كتاب فيهم أزالين عثمان الإنجليزي وفتح حصن نزع وغيره من القلاع ففتح أقليما ومنعها عظيميا وأفرج بركا وشيع ذكرنا وقال ابن شداد ولما كان سنة تسع وستين رأى صلاح الدين قوة عسكره وكثرة عدد أخوته وقوة بأسهم وكان للبعث بالعين انسانا استولى عليها وملك حصونها وهو يخطب لنفسه يسمى عند النبي بن مهدي ويزعم أنه ينشر ملكه إلى الأرض كلها واستتب أمره فرأى أن يسير إليها أخاه الأكبر الملك المعظم ثورا نشأه وكان كرما يجمع احسن الاخلاق سمعت منه يعني من صلاح الدين رحمه الله الثناء على كرمه ومحاسن أخلاقه وترجحه بإدعائه نفسه فغنى إليها وفتح الله على يديه وقتل الخارجي الذي كان بها قلت وكان أخوه هذا الخارجي قد خرج بالعين قبله ذكر عمارة النبي في أول كتابه في وزراء مصر في أثناء كلامه قال وكان جماعة من أمثال الناس مثل بركات المقرئ وعلى بن محمد النبيل والقمية أبي الحسن على بن مهدي القاسم الذي قام بالعين وأزال دولة أهل زبيد وغيرهم قد سبقوني يعني إلى صاحب عدن فذكر كلاما يتعلق به وقال العماد في المنزلة على بن مهدي ملك العين في زماننا هذا وسفك الدماء وسي الأساين وأقبل على شرب الخمر وأدعى الملك والامامة ودعا إلى نفسه وكان يحدث نفسه المير إلى مكة فأت سنة ستين وأقبل على بعده أخوه وله شعر حسن يدل على عاونه قال ابن أبي طي كان سبب خروج شمس الدولة إلى العين أنه كان كرما جادا وكان أقطاعه مصر لا يقوم بثمنه ولا ينهض بمرتبته وكان قد انتظم في سلوكه عمارة الشاعر وكان من أهل العين وكان وردا إلى مصر ومدح أصحابه ونفق عليهم فلما زالت دولتهم انضوى إلى شمس الدولة ومدحه وكان إذا خلا به يصف له بلاد العين وكثرة أمورها وأخبارها وضعف من فيها وانها قريبة المأخذ لمن طلبها قلت فمن جلة شعره في ذلك قوله من قصيدته أولها

العلم مذ كان محتاج إلى العلم وشنرة السيف تستغنى عن القلم
كثرة البعوض في الاجفان ظامية إلى الموارد في الاعناق والقلم

في أخبار (٢١٧) الدولتين

أمامك الفتح من شام ومن يمن * فلان قد رؤس الخيل بالبحر
فعمك الملك المنصور سورها * من الفرات الى مصر بلا سام
فاخلق لنفسك ملكا تضاف به * الى سواك وأور النصارى العلم
هذا ابن نومت قد كانت بدايته * كما يقول الوري لما على وضم
وقد ترقى الى ان امسعت يده * من الكواكب بالانفاس والكنه
حاسب ضميرك عن رأي أهلك وقل * نصيحة وردت من غيرهم
وله من أخرى

أفانح أرض النيل وهي عظيمة * على شكل راج فحها ومؤمل
مضى توخذ النصارى أنت قادم * بعد ان مشبو باسناها جندل
وتفهم ما بين الحصنين واتن * وصنعاء من حصن حصين ومقل
وتلك من خلاف طرف وجعفر * تقمصين من خزن خصب وسهل
وتخلق ملكا لا يحل بغزوه * على أحد الاعلى عزمك العلى
وله من أخرى

قالوا الى ابن المبرور رحلته * فقلت ما دونه شيء سوى السفر
سير يسرى الدنيا وطيب ثنا * وطول فكر كذا يحكى عن الحضر
لا توفد لها النصارى تجت * خفض عليك نيل ما شئت بالسرور
المال مسئلة والقوم ملك يد * ولا طيل وهسد اجلة الجبر

قال ابن أبي طي: وروا ذلك انه كاتبه رجل من أهل اليمن شريف يقال له هاشم بن غانم واجتمع في المعاونة لان صاحب اليمن عبد النبي كان قد تعدى على هذا الشريف هاشم فاعا شمس الدولة أجمعها به بعزمه على ابن فاجابوه فتجهز ثم دخل على أخيه السلطان واستأذنه في دخول اليمن فاذن له وأطلق له مغل وقص سنة وزوده فوق ما كان في نفسه وأجبهه جماعة من الأمراء ومقدار ألف فارس خارجين سيره من حلقة وسار في البر والبحر في البر العساكر وفي البحر الاسطول يحمل الازواد والعدد والالاف فوصل الى مكة شرفها الله تعالى فدخلها اذرا ثم خرج متوجها منها الى اليمن فوصل زبيد في أوائل شوال فنزل عليه ساقية الشريف هاشم بن غانم الحسيني وجميع الاشراف بنو سليمان في جمع جموعه وكبير فجهزهم زيد وتسلها واحتوى على ما فيها وقبض على صاحب اليمن عبد النبي أخى على بن مهدي ثم رحل الى عدن وفي صحبته ابن مهدي ففتحها وتوولاها عاز الدين الزنجيلي ثم سار الى الخلف وتسلم الحصون التي كانت في يد ابن مهدي كتغز وغيرها وسار الى صنعاء بعد فتح مدينة الجند وغيرها فاحرق صنعاء فدخلها شمس الدولة فليده بها الاشياء وامر أهله بتجوزا فاقام بها ثمانية أيام ثم لم يستطع المقام لقله الميرة فرجع الى زبيد فوجد ابن منقل قد قتل عبد النبي بن مهدي وكان شمس الدولة قد استتاب زبيد الامير سيف الدولة المبارك ابن منقل وأمره بجعله فلما بعد شمس الدولة خاف ابن منقل من فساد أمره فرأى المصلحة في قتله فقتله ابن منقل زبيد فلما بلغ شمس الدولة قتله استصوبه ولما حصل شمس الدولة في زبيد انقذ اليه صاحب طاروص الحله وهو باقى الملوكة على اداء المال ثم تبيع تلك الحصون والقلاع فاحتوى عليها جميعها وكتب بذلك الى أخيه الملك الناصر فارسلى نور الدين يحضره بما أقاض الله عليه من الاحسان وخوله من مال الديار والبلدان فارسلى نور الدين مهذب الدين أبا الحسن على بن عيسى النقاش بالشارة بذلك الى بغداد

في (فصل) ذكر العمداء: الامير محمد الدين سيف الدولة المبارك بن كامل بن منقل المستتاب زبيد ووصفه بأنه من الكفاة والكرماء والدها ذووى الاراء وهو فاضل من أهل بيت فضل كتب التمداد من شوره

لما نزلت الدبر قلت لصاحبي * قم فاخطب الصهباء من شماسه
فاني وفي يده صككاس خلعتا * مقبوسه في الديل من نراسه

كتاب (٢١٨) الروضتين

وكان مافي كاسه من خذّه * وكان مافي خذّه من كاسه
وكان لذة طعمها من ريقه * وأريجها الفياح من أنفاسه
لم أنس ليلته شرها بغيته * اذبات بجواهرها على جلاسه
اذ قام يسقينا المدام وكلنا * عاتبت به رد الجواب براسه
قلت ومدحه أبو الحسن بن الزنوي المصري بقصيدة غراء ذاليتها ما ظن انه نظام على قافية الذال أرق منها لفظا وأدق
معنى أولها

لك الخبير عن جنى على ربهم فذى * ربوع يفوح المسك من عرفها الشذى

يقول فيها

مباركك عيش الوقت باب مبارك * وهيل منقذ القصاد غيران منقذ
قال العماد ثم سير نور الدين الى بغداد بشارته بامر من أحد هافخ الجن والآخر كسر الروم مرة ثانية ومقدمهم الدوقس
لكمان وكان قديما أسيرا عند نور الدين من نوبة حارم وقداء خمسة وخمسين ألف دينار وخمسة مائة وخمسين ثوبا
أطبا وسير معه أسرى من الروم وذلك في شعبان هذه السنة وما تضمنه كتاب البشارة (ولم ينج من عشرة آلاف غير عشرة
سحر منقذهم من قسوره) وقبل ذلك بشهرين سيرت قصيدة للعماد في جنادي الأتمة على لسان نور الدين الى
بغداد أولها

أطاع دمي وصبري في العرام عصي * والقلب جرح من كاس الهوى غصصا
وان صدق حيتاني ما يكدره * الاشتياقي الى أحباتي الخالصا
ما أطيب العيش بالاحباب لو وصلوا * وأبعد القلب من بلواه لو خلاصا
من ذا الذي سار سيرى في ولائكم * غداة قال العذى لاسير عند عصا
قد نال عبيدك محمود ما ظفرا * ما زال ريقه من قبيل من تبصا
من خوف سطوته ان العبد إذا * ألم التغر على أعقابها نكصا
وكلف نور الدين في هذه السنة بإفادة الاطافي والزبادة في الاوقاف وتكثير الصدقات وتوفير النفقات وكسوة
النسوة والايامى في أيامها واغناء فقراء الرعية واتحادها بعد اعدامها وصون الاتام والارامل بسدله وعون الضعفاء
وتقوية المقوين بعدله ثم ذكر ما قد نماذ كره في أول الكتاب من مناقب نور الدين وافعاله الكريمة قال العماد وفي يوم
الاثنين رابع شهر رمضان ركب نور الدين على العادة وجلسنا نحن في ديوانه حافلين في ابوابه لبسط عدله واحسانه
وتفقيذا وأمر سلطانه بجأفي من أخبروا ان نور الدين نزل الى المدرسة التي اتولاه وبسط سجادته في قبلتها لسنة
الضبي وصلها ففتت في الحلال وهضيت على الاستهجال فلقيت في الدهليز خارجا في أجل العباداة انجها ولم ينج
العادة تاهجا فلما راى توقف ولقوى تشوف فتملت له ان الموضوع قد شرف أمازى انه من أيام الزبادة قد تشعث فلما
راى حاله تلبث وقال نعيده الى العماره وكسوة وحلل النضاره ثم حملته وجوه مسكر وشيئا من ثياب وطيب
وعنبر وكتب معها هذه الايات

عند تسليماني على قدره * هدية الخلة مقبولة
وبصغر الماروك عن ثلثة * عندك والرحمة ما موله
رقى لولانا وملكي له * وذمقي بالشكر مشغوله
وكيف يقضي الحق ذومنة * ضعيقة بالجزع معبولة
وانما شية مولى الورى * طاهرة بالخير محبولة

قال وكان رأى قبلة المدرسة غير مفضضة وبالترخيم والتذهيب والتزيين غير مخصصه فانغذلى لمارتها مفضوضا
مذهبة وذهبها ثم حمقدور حمامه وعاق القدر عن اتمامه ودفعته الى الموصل فرأيت في المنام وهو يجاري نبي
في الكلام ويقول ما بعد الى المدرسة معناه وقال الصلاة الصلاة فعرقت انه أشار الى الحراب وأنه لا رعى هيئة

كتاب (٣٢٠) الروضتين

مدفونه وتلك الدفاتر مخزونه قد دفن دافنها ونحن تحت الثرى خازنها إلى أن يأتي الله في الوصول إليها والاطلاع عليها وجمع من أموال هؤلاء ما يحمل إلى الشام للاستعانة به على جباية نفور الاسلام قال ابن أبي طى وفي هذه السنة اجتمع جماعة من دعاة المصريين والعوام وآمنوا فيها بنهم خفية وبكروا على انقراض دولة المصريين واصاروا اليه من الذل والفقر ثم اجتمعوا آراءهم على أن يقيموا خليفة ووزيرا وتجمعوهم وجماعة همدوهم من الامراء وغيرهم وان يكتبوا الفرع وان يثبوا بالملك الناصر وأدخلوا معهم في هذا الامر ابن مصال وأعدوا جماعة من شبيعة المصريين ليلته عيئوها وكتبوا الفرع بذلك وقرروا معهم الوصول اليهم في ذلك الزمان المقر خفا عنهم ابن مصال فيها عاهدهم عليه ونكث في اليوم وكفر عنها وصار إلى الملك الناصر وعرفه بجباية ما جرى قال فأحضرهم واحدا واحدا وقرعهم على هذه الحالة فأقروا واعتزفوا واعتذروا بكونهم قطعوا أرزاقهم وأخذت أموالهم فأحضر السلطان العلماء واستفتاهم في أمرهم فأفتوه بقتلهم وصلبهم فأمروا بصلبهم وقيل ان الذي أذاع سرهم زين الدين علي الواعظ وطلب جميع ما لان الداعي من العقار والمال فأعطاه جميع ذلك وكان الذين صلبوا منهم الفضل بن كامل القاضي وابن عبد القوي الداعي والعوريس وكان قد تولى ديوان النظر ثم القضاء بعد ذلك وشربا مكاتب السر وعبد الصمد القشة أحد أمراء المصريين ونجاح الجاهي ورجل مخيم نصراني أرمي كان قال لهما ان أمرهم يتم بطريق علم النجوم وعمارة البيت الشاعر قلت وبلغني ان عابرة انما كان تقرر بضه لشمس الدولة على المسير إلى أين ليتم هذا الامر لان فيه تغليلا لعسكر صلاح الدين وإبعادا لأخيه وناصره عنه قال العماد في الخبر بدو وقت انشاقا فحجبه من جلته انه نسب إليه بيت من قصيدة ذكره الله به في القصيدة التي حرص فيها شمس الدولة على المسير إلى أين أوها (العلم مذ كان محتاج إلى العلم)

وقد تقدم ذكرها أو ما البيت فهو هذا

قد كان أول هذا الدين من رجل * سعى إلى أن يدعو سيد الامم

قال العماد ويجوز أن يكون هذا البيت معولا عليه فأفتى فقهاء مصر بقتله وحرصوا السلطان على المثلثة مثله قال ولعمارة في مصابو مصر يقال له طرخان وكان خرج على الصالح بن رزيك فظفر به الصالح وصلبه وكان يسبحن آيات عمارة فيه وهي

أراد علوه تبة وقدر * فأصم فوق حذع وهو عال

ومد على صلب الجذع منه * بين لا تطول على الشمال

ونكس رأسه لعتاب قلب * دعاه إلى الغواية والضلال

قال العماد فكانت وصف حاله وما آل اليه أمره وقال في البرق ووصل من صلاح الدين يوم وفاة نور الدين إلى دمشق كتاب يتضمن هذه القضية وهو بخط ابن قريش يعني المرتضى وقال ابن أبي طى وقد كتب القاضي الفاضل إلى نور الدين كتابا شرح فيه قضية المصلين فقال بعد مطلع الكتاب (قصر هذه الخدمة على متجدد سار الاسلام وأهله وبشارة مؤذنة بظهور وعد الله في اظهاره على الدين كله بعد ان كانت لها مقدمات عظيمة الا انها اسفرت عن النصح وأرائل كالية الهجمة الا انها انفرجت عن الصبح فالاسلام ببركاته البادية وفشكانه الماضية قد دعا مستوطننا بعد ان كان غربيا وضرب في البلاد بجراجه بعد ان كان كالكفر يتم عليه تخيلا بحجبا الآن الله سبحانه اطلع على أمر هامس أوتاه وأظهر على سرها من مستقبه والمالوك يأخذ في ذكر الخبر ويعرض عن ذكر الاشهر ليرتل بوسم من جند مصر ومن أهل القصر بعد ما أزال الله من بدعتهم ونقض من عرى دولتهم وخفض من مر فروع كلهم انهم أعداء وان تعذب بهم الايام واضداد وان وقعت عليهم كلة الاسلام وكان لا يحتمل منهم حقيرا ولا يستعبد منهم شرا كبيرا وعميون لمقاصدهم موكله وخطراته في الخمر زمنهم مستعمله لا تخاف سنة ولا شهر برك من مكربهم على عليه وفساد يقصر عن اليه وحيلة يبرهنونها ومكيدة يتبهنونها وكان أكثر ما يتعالمون به ويستريحون اليه المكتبات المتواترة والمراسلات المتقاطرة إلى الفرنج خذ لهم الله الذي يوسعون لهم فيما سبيل المطامع ويحملونهم فيها على العظام والنظائع ويرتبون لهم الاقدام والتقدم ويخلفون فيهم اربعة الاسلام خلع المرتد المحصور ويدلفر فيجهد الله

في أخبار (٢٢١) الدولتين

قصير عن اجابتهم الا انهم لا يقطعون حبل طمعهم على عادتهم وكان ملك الفرنج كلما سأل به نفسه الاستتار في سر استهم والتخل في مقاضتهم سبرجج كاتبه رسولا اليها ظاهر او اليهم باطناعار ضاعلنا الجبل الذي ما قبلته قط انفسنا وعاقده امعهم القبيح الذي يشعل عليه في وقته علينا ولاهل القصر والمصر بين في انشاء هذه المدرسل تتردد وكتب الى الفرنج فتح تحدد ثم قال (والا ولي عالم ان عادة اوليائه المستفادة من اديبه ان لا يسطوا عقابا مولى ولا يعذبوا هذا باحسنا واذا طال لهم الاعتقال ولم يتجيب السؤل اطلق سراحهم وخلي سيدهم فلا يربدهم العفو الاضراوه والا رقة عليهم الا عساوه وعند وصول جرج في هذه الدفعة الاخيرة رسولا اليها ينبر عنه ورد اليها كتاب من لارتاب به من قومه يذكر انهم رسول مختالفة لارسول مجماله وحامل بلبه لاحمل هديه فأوجهناه الاغفال عن التيقظ لكل ما يصد منه واليه فتوصل من بالفرنج وجعل لادومر بال كوب الى الكنيسة وغيرهاتها الى الاجتماع بحاشية القصر وخسدها موباسر المصيرين واسبابهم وجماعة من النصارى واليهود وكلا بهم وكلمهم فدرسنا اليهم من طافتهم من داخلهم فصار ينقل اليها اخبارهم ويرفع اليها احوالهم ولما تكثرت الاقوال وكاد يشترعنا بهذه الاحوال استخزنا الله تعالى وقهضنا على جماعة مقسده وطائفة من هذا الجنس معمره قد اشغلت على الاعتقادات المارقة والسرائر المنافقة فكلما أخذ الله بذنبه فهم من أقرطاعه عند احضاره وممن من أقر بعد ضربه فانكشف أمورا كانت مكتومة ونوب غير التي كانت عندنا معلومة وتشريرات مختلفة في المراد مفة في الفساد) ثم ذكر نصرة لاحاصله انهم عينوا خليفه ووزير مختلفين في ذلك فهم من طلب اقامة رجل كبير السن من بني عمه العاضدومهم من جعل ذلك بعض أولاد العاضدوان كان صغيرا واختلف هؤلاء في تعيين واحد من ولدي له وأما نوربوك وأهل شاورفكل منهم أراد الوزراء لبثهم من غير أن يكون لهم غرض في تعيين الخليفه ثم قال وكانوا فاتفقوا على الكرك والشوبك والعسكر قد تبهوهم وقالوا لهم انه بعيد والفرصة قد أصبحت فاذا وصل الملك الفرنجي الى مصر أو الى ايلة تارت حاشية القصر وكافة الجند وطائفة السودان وجوع الارمن وعامة الاسماعيلية فتكت بأهلنا وأجماينا بالقاهرة ثم قال ولما وصل جرج تبهوا الى الملك الفرنجي أن العسكر كرميتاعدة في نواحي اقطاعهم وعلى قرب من موسم غلاتهم وأنهم يبيتون في القاهرة الا بعضهم واذا بعثت اسطولا الى بعض الثغور انقض فلان من عنده وبقي في البلد وحده فقلنا ما تقدم ذكره من الثورة ثم قال وفي أثناء هذه المدة كتبوا سنانا صاحب الحشيشية بان الدعوة واحدة والكلمة جامعة وان ما بين أهلها خلاف الا فيما لا يفرق به كله ولا يجب به تعدد عن نصره واستدعوا منه من يقيم على المالك غيلة أو بيت له مكيدة وحمله والله من وراءهم محيط وكان الرسول اليهم عن المصيرين خال ابن قرجلة المقيم الاثو وابن أخته عند الفرنج ولما صح الخبر وكان حكاية الله أولي ما اخذ به وأدب الله امعني فمخرج عن اديبه وتناصرت من أهل العلم الفتاوى وتوالت من أهل المشورة بسبب تأخير القتل فيهم المراجعات والشكاوى قتل الله بسمي الشرع المطهر جماعة من القوة الغلاة الدعاة الى النار الجاملين لاثقاعهم وانقال من أضاعوه من التجار وشقة وعلى أبواب قصورهم وصلوا على الجدوع المواجهة لهم ووقع التسبيح لاتباعهم وشردت طائفة الاسماعيلية ونفوا ونودي بأن يرحل كافة الاجناد وحاشية القصر ورجال السودان الى أقصى بلاد الصعيد فأما من في القصر فقد رقت الحلوة عليهم الى أن ينكشف وجهه رأي معني فيهم ولا رأى فوق رأى المولى والله سبحانه المستبحر وهو المشتار وعنده من أهل العلم نقيب النفس بتقليده وتضي الحدود بتجديده ورأى المالك اخرجهم من القصر فانهم هم ما يقاوه بقيت مائة لا تحسم الاطماع عن فانه حباله لفضلال منصوبه ويعد لايعد شجوجه قال المؤلف لعلها مشجوجه وبما عرف به المولى ان ثرا الاسكندر يعلى عوم مذهب السنة فيه أطاع البحث ان فيه داعية خبيثا امره بحتقرا شخصه عظيما كفره يسمى قديد القفاص وان المذكور مع خوله في الدار المصرية بقدة فشت في الشام دعوة وطبقا عقول أهل مصر فقتله وان أرباب المعاش فيه يجهلون اليه جوعا من تسبم والنسوان يبعين الله شغلوا واطمأ من أمارطه ووجدت في منزله بالاسكندرية عند القبض له والخيوم عليه كتبنا مجرعة فيها خلع العذار وصريح الكفر الذي اعنسه اعتذار ورفاع يخاطب بها فيها ماتهة من ماله بالسود وبالجلة فقد كفى الاسلام امره وحاق به مكره

كتاب (٢٢٢) الروصتين

وصرعه كفره قلب وفي قضية عماره هذه يقول العلامة تاج الدين السكندري رحمه الله وثقلته من خطه

عمار في الاسلام ابدى جنانية * وابيع فيها بيعه وصليبا
وامسى شريك الشرك في بغض اجدب * فاصبح في حب الصليب صليبا
وكان خبيث الملتقى ان يحجمته * تجدهم عوزا في النفاق صليبا
سابق غدا ما كان يسبق لاجله * ويبقى صديدا في لظى وصليبا

قلب الصليب الأول النصراني والثاني بمعنى مصلوب والثالث من المسالبة والرابع وذلك العظام وقيل هو الصيد
أي يسبق ما يسبق من أهل النار وذليله منها وكان عماره مستغفر من الغر وهم أيضا منه لانه كان من اتباع الدولة
المصرية ومن انتفع بها واختل أمره بعدها فم تصف القلوب بعضها البعض وصار يظهر في فئات لسانه في نظامه
ونثره ما يقتضي الخبز منه وابعاده وهو يرى ذلك منهم فيزداد فسادا في بنية وان مدحهم بكاف ذلك وصرح وعرض
فيه بما في ضميره وقد قال في كتاب الوزراء المصرية ذكر الله بأهمهم بجد لا يكل نشاطه ولا يدوى بساطه فقد وجدت
قدحهم وهنت بعدهم وقال من قصيدة مدح بها نجم الدين أيوب

وكان لي في مالوك النبل قبلكم * مكانة عرفها العرب والعجم
وكان بيني وبين القوم محبة * في سرها السن الاديان تحتصم
وما زال الى داري عوارفهم * يسبق اليها الانعام والكرم
ترك قصيدك لما قبل النبل * تجرد الاعلى من مسه العدم
ولست بالرجل المجهول موضعه * ولا تزر من الاحسان اغتم
ولا الى صدقات المال اطلبها * ولا عني نال اعضائي ولا صهم
وانما أنا ضيف للبلبل ولي * دون الضيف لسان ناطق وفم

وقال بن قصيدة مدح بها صلاح الدين رحمه الله

قررت لي انشاء ربك رزقا * كان في عصرهم مسماها
وأنت بعدهم مالوك فسئوا * في ما كان صالح القوم سنا
ورعدوني اما اقتداء بها من * أولعني فكاهم بي معنى

وله فيه من أخرى

فقد صارت الدنيا اليكم بأسرها * فلا تشبهوا منها ونحن جيباع
اذالم تريدونا فكونوا كن مضى * ففي الناس أخبارهم وسباع
وليس على من الفظام اقامة * فهل في ضرر منكر مات رضاع

وقال في قصيدة مدح بها تقي الدين

هل تأذنين بان أراد عتابكم * أم ليس في عتابكم من مطامع
ضيقهم من حقيق ضيقكم الذي * ما زال قبل اليوم غير مضيع
وتعافى السلطان عن حنين لم * اكشف قباع مذلة وتضرع
ورجوت تفعلك بالشفاعة عنده * فسححت لي بشفاعته تنفع
واذا نطاف الرزق ضاق بجناحه * امسى بحمال النطق غير موسع

وقال أيضا

تمت مصرأ اطلب الجاه والغنى * فذلتها في ظل عيش منيع
وزرت مالوك النبل ارئاد نيلهم * فاجدمر نادى واخصب مريع
وفرت بألف من عظمة فائر * مواهبه للصنع لالا تصنع
وجاد ابن رزبك من الجاه والغنى * بازاد عن مري رجائي ومطهي

في اختيار (٢٢٣) الدولتين

وأوحى إلى سعي ودائع شعوره * تخيرته متى بأحكم مودع
ولم يستأدي شاور بذيمة * ولا عهد هاعندي بعهد مضيع
ما لك ردوا إلى حرمة صارت بها * هشيارعته التائبات وما رعى
مذاهيمهم في الجود مذهب سنة * وإن خالفني باعتقاد التشيع
فقل لصالح الدين والعدل شأنه * من الجياكم المصطفى إلى فأدعي
أقت لكم ضيفا ثلاثة أشهر * أقول لصدري كلما ضاق وسع
وصكم في ضيوف الباب من لسانه * إذا قطعوه لا يقوم بأصبي
فيأراعي الإسلام كيف تركنا * فريقي ضياع من عرايا وجوع
دعونا لك من قرب وبعد فهد لنا * جوابك نالباري يوجب إذا دعي

وقال أيضا

اسفي على زمن الامام العاضد * اسف العقم على فراق الواحد
جالست من وزرائه وصحبت من * أمرائه أهل الثناء الخصال
لحقني على حجرات قصر كاذبات * يابن النسي من ازدحام الوافد
وعلى انفرادك من عساكر كذا الذي * كانوا كاهن واج الخضم الزاكد
قلدت هؤلاء الخلافة أمرهم * فكجا وقصر عن صلاح الفاسد
فعسى الليالي أن ترد اليك * ما عودتكم من جميل عوائد

وقال أيضا

قست رافة الدنيا فلا الدهر عاطف * على ولا عبد الرحيم رحيم
عفا الله عن آرائه ككل قرة * كلام العدى فيها على كأوم
وسامحه في قطع رزق فضله * وصلت إليه والزمان ذميم
الاهل له عطف على فاني * فقبيري ما اعتدت منه عديم

عبد الرحيم هو القاضي الفاضل رحمه الله، وبلغني ان عمارة لأمروا به ليصلب عبروا به على جهة دار الفاضل فظاب
الاجتماع به فقبل ليس اليه طريق فقال عبد الرحيم قد احجب * ان الخلاص هو العجب
قال وعذه القصيدة تحقق ما ذكر من الاجتماع على مكتبة الفرج والخوض في فساد الدول قبل الله، وتوضع عبذر
السلطان في قتله، وتتل من شاركة في ذلك وهي

رميت يادهر كفى المجد بالشلل * وجيده بعد حلي الحسن بالعطل
سعي في منحج الرأي العثور فن * فدرت من عثرات البني فاستقل
جذعت ما ترك الاقنى فانفك لا * انفك ما بين نقص الشين والخيال
هشمت قاعدة المعروف عن بطل * سقيت مهلا ما انشئ على مهمل
لحقني وطف بنى الامال قاطبة * على بقيعتنا في أكرم الدول
قدمت مصر فالتني خلائقها * من المكارم بالرأي على الامل
قوم عرفت بهم كسب الالوف ومن * كلها انها جاءت ولم أسئل
وكنيت من وزراء الدست حيث سما * رأس الحصان بهاد على الكفل
ولت من عظماء الجيش تكسرة * وخسلة حسرت من عارض الخلل
بأعاذني في هوى أنشاء فاطمة * لئلا الامة ان قصرت في عسلى
بأنه زر ساحة القصرين وابك مهي * عليهم مما لا على صفين والجل
وقل لاهله سما والله ما التهمت * فيكم فروعى ولا جرحى من دمل

كتاب (٢٢٤) الروضة

ماذا ترى كانت الأفراح فاعلمة * في نسل آل أمير المؤمنين علي
هل كان في الأمر شيء غير فقهه ما * ملكتم بين حكم السبي والنفل
وقد حصلت عليها واسم جسدكم * محمد وابكم غير منتقل
مررت بالقصر والاركان خالصة * من الوفود وكانت قبيلة القبل
فلت عنها بوجهي خوف منتقد * من الاعادي ووجهه الود لم يزل
أسبلت من أسف دمي غداة خلعت * رجاكم وغدت مهجورة السبل
أبكي على مآثرات من مكارمكم * حال الزمان عليها وهي لم تحصل
دار الضيافة كانت لنس وافدكم * واليوم أوحش من رسم ومن طلل
وفطرة الصوم أن أصغت مكارمكم * تشكو من الدهر حيفا غير محتمل
وكسوة الناس في الفصلين قد درست * ورث منها جسد بدعهم وبني
وموسم كان في كسر الخلق لكم * يأتي تجلجكم فيه على الجبل
وأول العام والعيدان كان لكم * فيهن من وبل جوديس بالوشل
والارض تهتز في عبد الغدير بما * ثم زما بين قصر بكم من الاسل
والخيال تعرض من وثى ومن شية * مثل العرائس في حلى وفي حلل
ولاجلته قري الاضياف من سعة * لاطباق الاعلى الاعناق والجهل
وما خصتم ببراهيل ملتكم * حتى غسمت به الاقصى من المثل
كانت روايتكم للضمين والضمين * المقيم والطارى من الرسل
ولجوامع من أحبا سلككم نسيم * لمن تصدق في علم وفي عمل
وربما عادت الدنيا لمعقلها * منكم وانجحت بكم محاولة العقول

وقال العماد في الخبر بدو الأرقام هبة الله بن عبد الله بن كامل كان داعي الدعوة بمصر للإدعاء وقاضى القضاة
لاؤلئك الاشياء بلقبه بنجر الامنا وهو عندهم في المحلة العالما والمرتبة الشما والمزلة التي في السما حتى
انكدرت نجومهم وتغيرت رسومهم وأقيم قاعدتهم وعرض عاضدهم وأخلط منهم مصرهم وأجلى عنهم
قصرهم حفر ابن كامل ناقص الذب عنهم والسد منهم فامال قوما على البيعة لبعض أولاد العاضد ليلغوا به
ما تخيلوه من المقاصد وسؤلوه من المكاييد فأثرت بجهنهم الجذوع واقتوت من جسمهم الربوع وأحكمت
في لحومهم النسوع وهذا أول من ضم جيل الصلاب وأمه فاقه الصلاب وهذا صنع الله فيمن الجسد وكفر الشمة
وجدد ذلك غرة رمضان سنة تسع وستين وسميائة سمعت الملك الناصر صلاح الدين يذكره وقد ذكره عنده
بالفضل والادب ونسبوا اليه هذين البيتين في غلام رفا وأنشدها الملك الناصر وذكرانه كان يشكرهما

يارافيا خرق كل رُب * ويارشاحه اعتهادي

عسى تكف الوصال نرقو * مامن الحير من فؤادي

(فصل) في التعريف بحال عمارة ونسبه وشعره قال العماد وقد أوردت شعر عمارة ابن أبي الحسن البني
في كتاب خريدة القصر وحريدة العصر ونقلت الى هذا الكتاب يعني كتاب البرق الشامي عما من ذلك فمن ذلك
ما أنشده نجم الدين أبو محمد من قال

لوان قلبي يوم كاظمة معي * المكتبة وكظمت غيظ الادمع

قال العماد انما أنشدني فيض الادمع فرأيت غيظ الادمع الزق بالكظم

قلب كفاك من الصبابة انه * لسي نداء النظار عنين وما دعى

ومن الظنون الفاسدات فوهي * بعهد اليقين بقاء في أصابعي

ما القلب أول غادر فالومسه * هي شية الايام مذخلت معي

في أخبار (٢٣٥) الدولتين

قال وأنشدني لعمارة أيضا

ملك إذا قابلت بشر جبينية * فارقته والبشر فوق جبيني
وإذا لقيت بميمه ونجرت من * أبوابه لثم الملوكة يميني

قال وأنشدني له عضد الدين أبو الفوارس من هفت بن اسامة بن منقذ يقول

لبي هوى الرشاء العذري أعتذار * لم يسبق لي مسذاقر الدمع انكار
لبي القادري * ودوني لثم الخلد ودوني * ضم النسر ودلهمات وأوطار
هذا اختياري فوافقي ان رصيت * أولا فذعني وما أهوى واختيار
لبي جزافا وسامحني مصارفة * فالتاس في درجات الحب أطوار
دخل عدلي في داري ودائري * من المهادرة قلبى لها دار

قلت ويرى (وغري في أسرى ودائري) والابيات العينية من قصيدة في مدح تقي الدين والنوينة في مدح نجم الدين أرباب والرائية في مدح شمس الدولة بن أيوب وكان عمارة هذا عمر يافقها أديباله كلاب صغير ذكر فيه أخباره وأحواله بالبحر ثم بمصر فذكر أنه أقام بن زيد ثلاث سنين بقرأ عليه مذهب الشافعي رضي الله عنه قال ولي في الفرائض مذهب بقرأ بالبحر في سنة تسع وثلاثين زارني والدي وخمسة من اخوتي الى زيد فأنشدته شيئا من شعري فاستحسنه ثم قال تعلم والله ان الادب لنجم من نعم الله عليك فلا تكفر بها بدم الناس واستخلفني ان لا أهجرهم سلبا يبيت شعر لحافته له على ذلك ولطف الله لي فلم أهج أحدا ما عدى انسانا هجاني بحضرة الملك الصالح يعني ابن رزبك بيتي شعر فاقسم الصالح على ان أجيبه ففعلت متأولا قول الله عز وجل وان انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل وقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم قال ولم يكن شيء غير هذا

وحجبت مع الملكة أم فاتك مائتي زبيد وكانت تقوم لأمير الحرمين بجميع ما يتأمله من حاج الدين برا وبحرا وبجميع خفارات الطريق فذكر أنه حصل له وجاهة عندها فاتفق بها حتى أئزى وكثر ما له وجاهة ثم طرأت أمور اقتضت ان يهرب من اليمن ووجه سنة تسع وأربعين وخمسةائة قال وفي موسم هذه السنة توفي أمير الحرمين هاشم بن ذليمة وولي الحرمين ولده قاسم بن هاشم فالزمى السفارة عنه والرسالة منه الى الدولة انصر به فقدمته في شهر ربيع الأول سنة خمسين والخاتمة بها يومئذ الفاضل بن الظاهر والوزير له الملك الصالح طلائع ابن رزبك فلما حضرت لاسلام عليها في قاعة الذهب من قصر الخلافة أنشدت ما

الجد له ليس بعد العزم والهمم * جد ايقوم بما أولت من النعم
لا أجد الحق عندي للركب يد * تمت النعم فيم ارتبسة الخلفم
قرين بعد من ار العزم من نظري * حتى رأيت امام العصر من أمم
ورجن من كعبة البجلاء والحرم * وفدا الى كعبة المعروف والكرم
فهل درى البيت اني بعد زورته * ماسرت من حرم الا الى حرم
حيث الخلافة مضرب سرادقها * بين النقة يضي من عفو ومن نعم
ولامامة أنوار مقدسة * تجاور البغض من ظلم ومن ظلم
وللتسوية آيات تضي لنا * على الخفيين من حكم ومن حكم
وللكرام اعلام تعلمنا * مدح الجزيلين من بأس ومن كرم
وللعلى السن تثنى محامدها * على الجدين من فعل ومن شيم
وراية الفرف البذاخ ترفعها * بدال فيعين من مجد ومن همم
أقسمت بالفاخر المعصوم معتقدا * فوز النجاة وأجر البهري القسم
لقد جنى الدين والدنيا وأهلها * وزيره الصالح الفراج القسم
اللابس الخضر لم تسج غلاله * الايد الصنعتين السيف والقلم

كتاب (٢٢٦) الروضتين

وجوده أوجدنا أياماً فترحت * وجوده أعدم الشاكين للعدم
قدمك فيه العوالي رق ملكة * تعبر أنف الثريا غيرة الشجم
أرى مقاماً عظيم الشأن أوهى * في بطن أنبها من جولة الحلم
يوم من العمر لم يحط على أمل * ولا ترق اليه رغبة المسمم
ليت الكواكب تدنو لي فأنظروها * عقود مدحها أرضى لكم كل
نرى الوزارة فيه وهى بأذلة * عند الخلافة نجا غسبر متمم
هو أطلب أعلمنا ان ينسجما * قرابة من جيل الرأى لا الرحم
خليفة ووزير مدعدهما * ظلا على مفرق الاسلام والامم
زيادة النيل تقص عند قضيتهما * فاعبى يتعاطى منية الديم

قال وعهدى الصالح وهو يستعيد هافى حال التشديد مرارا والاستاذون والامراء والكبراء يذهبون في الاستحسان
كل مذهب ثم أقيمت على خلع من ثياب الخلافة مذهبة ودفع إلى الصالح جسمانية ديناروا ذابعض الاستاذين
قد خرج لي من عند السيد تبت الامام الحافظ فجمع سائة دينار أخرى وحمل المال معي إلى منزلي واطلقت لي من
دار الضيافة رسوم لم تطلق لي أحد قبلي وتماديتني أمراء الدولة إلى منازلهم للولائم واستخفوني الصالح للجبالة سنة
ونظمي في سلك أهل المؤانسة واتنالت على صلاته وغرفي به ووجدت بحضرة من أعيان أهل الأدب الشيخ
الجليل أبو المعالي ابن الحباب والموفق أبو الحاج يوسف بن الخلال صاحب ديوان الإنشاء وأبا الفتح محمود بن قادوس
والمذهب أبو محمد الحسن بن الزبير وغيرهم وامن هذه الخلبة أحد الاوتضرب في الفضائل الشخصية والرياسة
الانسانية بأوفر نصيب وما زلت أخذ على طرائقهم حتى نظمو في سلك قرائتهم فقلت

ليالي القسطنطين شاطئي مصر * سقى عهد الماضي عهدا من القطر
ليال هي العمر السعيد وكل ما * مضى في سواها لا يعد من العمر
أفادتني الاقدار فيها مواليا * صفت بهم الايام من كدر الغدر
تواصوا على أن لا ترد اراقتي * ولو ستمهم ثم الكواكب في حجري
وله في الصالح من قصيدة

ولم يكن أدري بما جهل الوري * من الفضل لم تنفق لايه الفضائل
لئن كان مناقاب قوس فينبينا * فرائح من اجلاله ومراحل
قال وأنشدت الصالح وهو بالقهون دار الوزارة قصيدة منها

دعوا كل برق شمس غير بارق * بلوح على القسطنطين صادق بشرة
وزوروا المقام الصالحى فكل من * على الارض ينسى ذكره عند ذكره
ولا تجمع ادواءه وذكركم طالب العنى * فتخبوا على مجد المقام وغفرو
ولكن سلوا منه العلى نظفروا بها * فكل امرئ رضى على قدر قدره

قال ولما جلس شاورني دار الذهب قام الشعراء والخطباء ولفيف الناس الا الاقل بنالون من بني وزيرك وضرغام
نائب الباب ويعي بن الخطيب الاسفة سارا فأنشدته

صحت بدولك الايام من نسقم * وزال ما يشكبه الدهر من ألم
زالت ليالي بني وزيرك وانصرفت * والجد والذم فيها غير منصرم
كأن صالحيهم يوما وعادهم * في صدرنا الدست لم يفقد ولم يثم
كانظن وبعض الظن مائة * بأن ذلك جمع غفيرة موزم
فمدت وقت وتوقع النسر خاتمهم * من كان مجتمعا في ذلك الرخم
ولم يكونوا عدوا ذل جانبهم * وانما غرقوا في سبيلك العرم

في اخبار (٢٢٧) الدولتين

وما فصدت بعتظي غداك سوى * تعظيم شأنك فاعذرنى ولا تلم
ولو شكونت لئسا ليمم بحافضة * لعمري ما لم يكن بالهذه من قدم
ولو فحمت في يوما بذهمهم * لم ير عن فضلك الا أن يستدعي
وابنه يا ممر بالاحسان عارفة * منه وينهى عن التحشاء في الكلم
قال فشكر في شأوا رؤساؤه على الوفاء لبني رزيك قلت وشعر عارة كثير حرس وعندي في قوله الحمد للعيس وان
كانت القصيدة فائقة نفرة عظيمة فانه اقام ذلك قام قولنا الحمد لله ولا ينبغي أن يفعل ذلك مع غير الله عز
وجل فله الحمد وله الشكر فهذا اللفظ كما تبين بجهة الزبوية المقتضية وعلى ذلك اطراد استعمال السلف والخلف
رضي الله عنهم

(فصل في وفاة نور الدين رحمه الله تعالى) قال العماد وأمر نور الدين بتطهير ولده الملك الصالح اسماعيل يوم
عيد الفطر واختلافنا هذا الامر وغدونا يا ما قال ونظمت للهنا بالعيد والطور قصيدة منها

عبدان فطر وطهر * فتح قريب ونصر * كلاهما لك فيه * حقا هناه وأجر
وفيهما بالتهاى * رسم لنا مستقر * طهارة طالب منها * أصل وفرع وذكر
نجل على الطهر نام * زكاه منك نجير * محمود الملك العاد * لالكريم الآخر
وباشه الملك الصا * ملح العيون تقير * مولى به اشتد للديس والشر بعة ازر
نور تجلى عيانا * مادونه اليوم ستر * أخت مسامك غرا * كما اياك غفر
وكل قصدك رشد * وحكل فعلك بر * وان حبك دين * وان بعضك كفر
لنا ببنائك بمن * كما يبركك يسر * وللوالين نفع * وللعادين ضر
وللهاء سحاب * وسحب كفيك عشر * نادك بالرفد رجب * نذاك لوفد بحر
للجسر مد وجزر * وما لجودك جزر * عدل عي وجود * غر ويسر وبشر
وفي العطية حدوا * وفي الجيسة مر * قد استوى منك تقوى الدله سروجهر
تفالك والملك عند القياس عقد ونجر * يا أعظم الناس قدرا * وهل لغيرك قدر
وساها حين ناموا * وقامحين قروا * ما اعتدت الا وفاء * وعادة القوم غدر
وفعلك الدهر غزو * للشركين وقهر * وفعل غيرك ظلم * للعساكين وقسر
يفتر من كل ثغر * الى ايتسامك ثغر * روم به وفرنج * في شههم لك وتر
حرب عوان وفتح * على مرادك بكر * بنو الا صافر من خشية انتقامك صفر
لم يبق للكفر ظفر * لا كان للكفر ظفر * وما دجى ايل خطاب * الا وعزمك فجر
أصبحت بالغزو صبا * وعنه مالك صبر * لكسر كل يتيم * اسعاف برك جبر
في كل قلب حسرد * من حرب أسك جبر * قل تطهير ملك * له المسالك تجسر
يزهى سرير وتاج * به ودست وصدر * وكيف يعمل لظا * هرا المطهر طهر
هذا الطهور وظهور * على الزمان وأمر * وذال الختان ختام * بمسكة طاب نمر
رزقت طويلا * ما طال للسدر عسر

قال وفي يوم العيد يوم الاحد ركب نور الدين على الراس المعتاد محنوقا من الله بالاسناد مكنوقا من السماء والارض
بالاجناد والقدر بقوله هذا آخر الاعياد ووقف في الميدان الاخضر الشاهي لاطاع الخلق وروى القبي وكان
مسحود صلاته في الميدان القبي الاخضر وأمر بوضع المنبر وخطب له القاضي شمس الدين محمد بن المقدم قاضي
العسكر بعد ان صلى به وذكر وعاد الى القلعة طالع الهجة بجمع الظلمه وأناب العدا بالانعام على رسم
الازنك وأكابر الاملاك ثم حضر تاعلى خوانه الخاص وله عقد كال مصون من الانتفاض والانتفاص وما أوضع
بشره وأضوع نشره وأضحك سنه وأبرك يومه وفي يوم الاثنين ثاني العيد بكر وركب وبجل الموكب وكان الفلك

كتاب (٢٢٨) الروصتين

بهره جار والطود الثابت بجزر السحاب في وفار وكانه القمري في حالته والقدر في جلالته والبدري في دائرته سائر بين سيارته ودخل الميدان والعظماء يسارونه والقهضاء يحاورونه وفيهم همام الدين جودود وهو في الأكابر معدود وكان قديما في أول دولته والى حلب وقد جرت الدهر بجنكته ولا شطره حلب فقال لنور الدين في كلامه عظة لمن يغتر بأيامه هل تكون هاهنا في مثل هذا اليوم في العام القابل فقال نور الدين قل هل تكون بعد شهر فإن السنة بعيدة تجري على منطقتهم ما جرى به القضاء السابق فإن نور الدين لم يصل إلى الشهر والهام لم يصل إلى العام ثم شرع نور الدين في اللعب بالكرك مع خواصه البره فاعترضه في حاله أمير خراسم برتقش وقال له باش فأحدث له الغيظ والاستبشاش واغتناظا على خلاف مذهبه الكريم وخلقه الحليم فزجره وزيره ونهيه ونهره وساق ودخل القلعة ونزل وأحبب واعتزل فبقى اسبوعا في منزله مشغولا بنازله مغلوبا عن عاجله بمحدث أجله والناس من الحشاش لاهون وطأ به في الارطان فهناك روج بجوده وذلك بجود بروحه فما انتهت تلك الافراح الا بالانزعاج وما صلح الملك بعده الا بملك الصلاح قال واتصل مرض نور الدين وأشار عليه الأطباء بالصدق فامتنع وكان مهيبا فاروجع وانتقل حادى عشر شوال يوم الاربعاء من مريع الفناء الى مرتع البقاء ولقد كان من أولياء الله المؤمنين وعباده الصالحين وصار الى جنات عدن أعدت للمتقين وكانت له صفة في الدار التي على النهر الداخل الى القلعة من الشمال وكان جانيه عليها في جميع الاحوال فلما جاءت سنة الزلزلة بين ابناء تلك الصفة يتنامن الاخشاب مأمون الاضطراب فهو بيت فيه ويصعب ويخلو بعبادته ولا يبرح فدفن في ذلك البيت الذي اتخذه مكنى من الحمام وأذن بناؤه بانيه بالاهدام قال العماد وقلت في ذلك

مجيئت من الموت كيف أتى * الى ملك في سحبا ملك
وكيف نوى الفلك المستدير في الارض والارض وسط الفلك

وله في رجهما الله تعالى

يا ملوكا أيامه لم تزل * لفضله فانه مسألة فاخرو
غاصت بحجار الجود مذغبت * أعلام الفاضلة الزاخرو
ملكك دنياك وخلقتها * وسرت حتى تملاك الآخره

قال ابن شداد وكانت وفاة نور الدين رحمه الله بسبب خوانيق أعترته بحج الأطباء عن علاجها ولقد حكى لي صلاح الدين قال كان يبلغنا عن نور الدين أنه ربما قصدنا بالدار المصرية وكانت جماعة أعياننا بشيرونا بأن نكاشف ونخالف ونشق عصاه ونأق عسكره بمصاف رده اذا تحقق قصده وكنت وحدي أخافهم وأقول لا يجوز أن يقال شئ من ذلك ولم يزل النزاع بيننا حتى وصل الخبر بوفاة رحمه الله ورضي عنه قال ابن الأثير وكان نور الدين قد شرع بجهاز السير الى مصر لاختداه من صلاح الدين لانه رأى منه فتورا في غزو الفرنج من ناحية فأرسل الى الموصل ودار بالجزيرة ودار بكر بقلب العساكر ليتزكها بالشام لمنع من الفرنج ليسير هو بعساكر الى مصر وكان المانع لصلاح الدين من الغزو الخوف من نور الدين فانه كان يعتقد ان نور الدين حتى زال عن طريقه الفرنج أخذ البلاد منه فكان يجتري بهم عليه ولا يؤثر استصالحهم وكان نور الدين لا يرى الا الجدي في غزوهم بجوده وطاقته فلما رأى اخذ صلاح الدين بالغزو وعلم غرضه بتجوز بالسير اليه فأتاه أمر الله الذي لا رده قلت ولوعلى نور الدين ما ذا أنزل الله تعالى للاسلام من الفتوح الجليل على بدصلاح الدين من بعده فلقد رت عينه فانه بنى على ما أسسه نور الدين من جهاد المسلمين وقام بذلك على أكمل الوجوه واتفقها رجهما الله تعالى قال وحكى لي طبيب بدمشق يعرف بالرحبي وهو من حذاق الأطباء قال استدعا في نور الدين في مرضه الذي توفي فيه مع غيره من الأطباء فدخلنا عليه وهو في بيت صغير بقلعة دمشق وقد تمكنت الخوانيق منه وقارب الهلاك فلا يكاد يسمع صوته وكان يخوفه لانه بعد في أكثر أوقاته فابتدأ المرض فيه فزيتنقل منه وقارب الهلاك فلا يكاد يسمع صوته وكان يخوفه لانه بعد في أكثر يشتد بك المرض في هذا الحثقالا ن ينبغي ان تنتقل الى مكان فسيح فله أثر في هذا المرض وشرعنا في علاجه فلم ينفع فيه الدواء وعظم الداء ومات عن قرب برضي الله عنه قال ابن الأثير وكان أمير طوبل القمامة ليس له حلية

الافى حنكه وكان واسع الجنبه حسن الصورة حاول العيينين وكان قد اتسع ملكه جدا فهاك الموصلي وديار الجزييرة وأطاعه أصحاب ديار بكر وملك الشام والند يار مصرية واليمن وخطب له بالخرمين الشريفين مكة والمدينة وطبق الارض ذكره لحسن سيرته وعدله ولم يكن مثله الا الشاذل سادر رجة الله تعالى عليه قال الحافظ أبو القاسم بعدما ذكر أوصاف نور الدين الجليلية المتقدمة مفرقة ومجموعة في هذا الكتاب هدامع ما جمع الله له من العقل المتين والارأى الثاقب الرصين والاعتداده بسيرة السلف الماضين والتشبهه بالعلماء والصالحين والافتقار لسيرة من سلف منسجم في حسن سمتهم والاتباع لهم في حفظ حالهم ووقتهم حتى روى حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم سمعته وكان قد استجيز له من سمعه وجمعه حرصا منه على الخير في نشر السنة بالاداء والتحديث ورجاء ان يكون من حفظ على الامة أربعين حديثا كما جاء في الحديث فمن رآه شاهدا من خلال السلطنة وهيبة الملك ما يهره فاذا فاوضه رأى من لطافته وتواضعه ما يصيره يحب الصالحين ويواخيم ويرورسا كنهم لحسن ظنه فيهم واذا احتلم بما يليكه أعتقه هم وزوج ذكرانهم بانائهم ورزقهم وحتى تكررت الشكاية اليه من أحد من ولاته أمره بالكف عن اذى من نظم بشكاية فمن لم يرجع منهم الى العدل قابله باسقاط المنزلة والعزل فلما جمع الله له من شريف الخصال تيسر له جميع ما يقصده من الاعمال وسهل على يديه فتح الحصون والقلاع ومكن له في البلدان والبقاع ثم قال بعد ذلك كثير ومناقبه خطيره ومما حقه كثير ومعه جماعة من الشعراء أكثروا ولم يبله واوصف الله بل قصروا وهو قاتل الانتهاج بالشمر زبادة في تواضعه لعز القدر ومولده على ما ذكرني كاتبه أبو اليسر شاكرا بن عبد الله وقت طلوع الشمس من يوم الاحد سابع عشر شوال سنة احدى عشر وخمسمائة وتوفي يوم الاربعاء الحادي عشر من شوال سنة تسع وستين وخمسمائة ودفن بقلعة دمشق ثم نقل الى تربته بخوار مدرسته التي شاهها الى صاحب أبي حنيفة رضي الله عنه جوار الخاصين في الشارع العربي رحمه الله قلت وفي هذه المدرسة يقول العرقلة

ومدرسة سيدرس كل شيء * وتبقى في حبي علم ونسك
تضو عن كرها شرفا وغربا * بنور الدين محمود بن زكي
يقول وقوله حق وصديق * بغبر كاتبة وبغبر شاك
دمشق في المدائن بيت ملكي * وهدي في المدارس بيت ملكي

ولما اشتهر من قلة انتباهه بالمدح اعلم من تزايد الشعراء وهي طريقة عمر بن عبد العزيز زاهدا الخلفاء قال يحيى بن محمد الوهري في مقامه له وقد سئل في بغداد عن نور الدين (هو منهم لا دولة شديد وركن للخلافة شديد وأمير زاهد وملك مجاهد تساعده الافلاك وتعضده الجيوش والاملاك غير انه عرف بالارأى الويل لابن السبيل وبالملك الجديب للشاعر الاديب خايززي ولا يعزى ولا شاعر عنده من نعمة تجزى) واباه عن أسامة بن منقذ بقوله سلطاننا زاهد والناس قد زهدوا * له فكل على الخبثات منكش
أباهه مثل شهر الصرم طاهرة * من المعاصي وفيها الجوع والعطش
قلت رحمه الله ما كان يبدل آل والمسلمين الا في الجهاد وما يعود نفعه على العباد وكان كما قيل في حق عبد الله بن محيرز وهو من سادات التائبين بالشام قال بقرع بن سفيان الحافظ حجة شاعرة عن الشيباني قال كان ابن الدبلي من أنصار الناس لاخوانه فدكر ابن محيرز في مجلسه فقال رجل كان بخيلة فغضب ابن الدبلي وقال كان جوادا حيث يحب الله بخيلة حيث تحبون وأما شعر ابن منقذ فلا اعتبار به فهو والقائل في ليله اليلا يدح نور الدين رحمه الله

في كل عام للبرية ليليلة * فيها تشب النار بالايصاد
ليكن لنور الدين من دون الوري * نار ان تارقى ونار جهاد
أبدا يصرفه فانه وبأه * فالعالم أجمع ليله الميلا
ملك له في كل جيممة * أبهى من الاطواق في الاجياد
أعنى الملوكة يدأ وأمنه هم حبي * وأمد هم كف باسندل تلاد

كتاب (٢٣٠) الروضتين

يعطى الجزيل من النوال تبرعا * من غير مسألة ولا مهاد
لازال في سعة ومالك دائم * مادامت الدنيا غير نقاد

وقد تقدم من شعر ابن منير وابن القيسراني والهاد الكاتب وغيرهم من مدح نور الدين بالكرم والجود ما قبل منه برّد قول الوهراني وابن منقذ علي أن ابن منقذ قد ردّدنا شعره كشعره وأنما الشعراء وأكثرت الناس كما قال الله تعالى في وصف قوم فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها أذاهم يستخطون وما كل وقت ينفع العطاء ويفعل الله ما يشاء

(فصل ١٠) قال ابن الأثير لما توفي نور الدين جلس ابنه الملك الصالح اسماعيل في الملك وحلف له ولم يبلغ الحلم وحلف له الأمراء والمقذّمون بدمشق وأقام بها وأطاعه الناس في سائر بلاد الشام وصلح الدين بصر وخطب له بها وضرب السكة باسمه فيها وتولى تربيته الأمير شمس الدين محمد بن المقدّم قال الهادي واخرجوا يوم وفاة نور الدين ولده الملك الصالح اسماعيل وقد أئدى الحزن والنويل وهو مجروح وزلّ الذنائب مشقوق الحنجرة حاسر جوفها فخافه وجفّه من الرعب واجلسوه في الأيوان الشمالي من الدسّ والتخت الباقى من عهد تاج الدولة ندش فاستوحى كل قلب خزيه واستوحش قوفك الناس يضطرمون ويضطربون ويتلهفون ويلتمسون ولما كف بحلّة الكرامه ودفن في روضة بأنها إلى باب رضوان من دار المقامه وقصوا الخبز وقصوا الفزع وغيبوا الدّمعة واحضرها إلى ربه حضر القاضي كمال الدين وشمس الدين بن المقدّم وجمال الدولة ربحان وهو أكبر الخدم والعبد والبصالحين الجعي أمين الأعمال والشيوخ اسماعيل خازن بيت المال وتحالفوا على أن تكون أيديهم واحدة وعزائمهم متعاقده وأن ابن المقدّم مقدّم العسكر واليه أجمع والمصدر قال وانشأت في ذلك اليوم كتابا عن الملك الصالح إلى صلاح الدين في تعزّيته بنور الدين ترجمته (اسماعيل بن محمود) وفيه (أطال الله بقاء سيدنا الملك الناصر وعظم أجرنا وأجره في والدنا الملك العادل ندب الشام بل الإسلام حافظ نعموره وملاحظ أموره ومقدام الجهاد مقتني فضيلته ومؤدّي فريضته ومحبي سنته وأورثنا بالاستحقاق ملكه وسرّ به على أنه يعزّان يرى الزمان نظيره وماهاهنا ما يشغل السر ويقسم الفكر الأمر الفرض بخذلهم الله وما كان اعتماد مولانا الملك العادل عليه وسكونه إليه الاثقل هذا الحادث الجلل والضرر الكائن المذهل فقد اختره لكفاليات الذنائب وأعدّ لحسم أدواء المعضلات والاوزار وأمله ليوميه ولقدّه ورجاه لنفسه ولولده ومكنه قوّة لضعفه فما قدّره الله الا صورة والمعنى باق والله تعالى حافظ لبيته واق وهى غير داهم سمعهم ومؤازر وهل سوى السيد الاجل الناصر ناصر وقد عرفناه القدر ليس وراءه من الأمر ما يحجم والأهم شغل الكفّار عن هذه الديار بما كان عازما عليه من قصدهم والنيكايه فهم على البدار ويجرى على العادة الحسنى في أحياء ذكر الوالد المحيّد ذكرنا رغبة في اغتنام ثنائنا وشكرنا قلت وكان قد بلغ صلاح الدين خبر نور الدين فأرسل كتابا بالمثل الفاضل فيه (ورد خبر من جانب العدو واللعن عن المولى نور الدين أعادنا الله فيه من سماع المكره ونور بعافيته القلوب والوجوه فاستدبه الأمر وضاق به الصدر وانقص مجادته الظهور وعز فيه التثبت وأعزز الصبر فان كان والعياذ بالله قد تمّ وخصه الحكم الذي عمّ قلل عوارث تدخّل النصال ولا يام تصنع الرجال وما رزب المانك بمالكها الا لا ولدها ولا استودعت الأرض الكرامة البذر الا لا تدعى حقها يوم حصادها فآله الله ان تختلف القلوب والأيدي فتبلغ الاعداء مرادها وتعمد الاراعار شادها وتنقل النعم التي تعبت الايام فمأ إلى ان اعطت قيادها فكونوا بدوا واحده واعضادها متساعده وقوا بجمعها ود وسبقوا بضمها غمد ولا تختلفوا فتكثروا ولا تنزعوا عن فاضلها وقومرا على امشاط الارجل ولا تأخذوا الأمر باطراف الاغل فالعداوة محمّدة بكم من كل مكان والكفر مجمّع على الاعيان ولهذا البيت منادى لا تخذله وقائم لانسائه وقد كانت وصيته اليه ناسبت ورسالته عندها تتحقق بأن ولده القائم بالأمر وسعد الدين بمشككين الا تباك بين يديه فان كانت الوصية ظهرت وقبلت والطاعة في النية والحضور رأيت وفعلت والا فخير لهذا الوليد على من ناواه وسيف على من عاداه وان اسفر الخبر عن معافاه فهو القرض المغلوب والنذر الذي يحمل على الأبدى والقلوب قال الهادي ودور كتاب صلاح الدين بنماشال الفاضل معزّيا لابن نور الدين وفي آخره (وأما العدو فخذله الله فورا من الحتام من يطلبه طلب ليل لهناره وسيل لقراره الى ان يرتجعه من جثائه ويستوقفه عن مواقف مقامه وذلك من أقل فروض البيت الكريم

في أخبار (٢٣١) الدولتين

وايسر لزامه اصدر هذه الخدمة يوم الجمعة رابع ذي القعدة وهو اليوم الذي اقيمت فيه الخطبة بالاسم الكريم وصريح فيه يذكر في الموقف العظيم والجمع الذي لا توفيه ولا تأثم وأشبه يوم الخادم أمسه في الخدمة ووفى بالزامه من حقوق النعمة وجمع كلمة الاسلام عالما ان الجماعة قرحة والله تعالى يتخلد ملك المولى الملك الصالح ويصعب به وعلى يديه ويؤكدهود الثناء اراهنه لديه ويجعل للاسلام واقية باقية عليه وبوفق الخادم لما ينويه من توثيق سلطانه وتشبيده ومضاغفة ملكه ومزيده ويسر من كل أمر صالح وتقريب بعيدة ان شاء الله ومن كان آخر الخادم مستقر على بدأته من الاستشراق لاوامر هاوا تعرض لراسمها والى فعل كالمته والى باله لسكرها والتحقق بتقدمتها في اوطان الاحوال وظواهرها والتقرب لان يؤمر فيمثل ويكلف فيحتمل وان ربح في نحر العدو فيستبد بجيده ووفى بام الدولة العلية يوما يكشف الله فيه للمولى صغير عبده قال العباد ولما توفي نور الدين اختل أمرى واعتل سرى وعلت حسادى وبلغ مرادهم اضدادى وكان الملك الصالح صغيرا فصار العبد ابن الجبى له وزرا وتصرف الخلق الفون في الخزانة والدولة كما أرادوا وولوا وصروا ونقصوا وزادوا واقتصروا على الكفاية والجمهورية الدعوة من الاجابة وما نظمت في مزية نور الدين قصيدة منها

AL-IBRAHIM

لشقد الملك العا * دلي بيكي الملك والعدل * وقد اطلعت الافا * قلاش ولا كلال
وما غاب نور الدين عننا اظم الجمل * وزال الخصب والخير وزاد النجى والجمل
ومات البأس والجو * ودعاش اليأس والجمل * وعز النقص لماها * من اهل الفضل والفضل

No. 40.
Date

وهل ينفق ذوالعلم اذا ما تقق الجمل * وما كان لنور الدين لولا الجمل

AL-IBRAHIM

(فصل) وقال العباد واقق نزول الفرج بعد وفاة نور الدين على النور وقصد هم باباس ورجوان في خدمتهم ظهرت خيبتهم وبان الياس وذلك ان شمس الدين ابن المتقدم خرج وراسل الفريخ وخوفهم بقصد صلاح الدين لخدمتهم وأنه قد خرج على جهادهم ونكدهم في الهدنة وقطع مواد الحرب والفنته وحصلوا قطعة استجباها وعدة من اسرارهم استطاعوها وقت المصالحة وبلغ ذلك صلاح الدين فانكر ولم يجهبه وكتب الى جماعة اعيان كنيادالة على التوقيع والمالم ومن جعلتها كتابا للمسال الى الفاضلى الى الشيخ شرف الدين ابن ابي عصرون يخبره فيه انما اتاه كتاب الملك الصالح بقصد الفرج فيجهز وخرج وسار اربع مراحل ثم جاءه الخبر بالهدنة المؤقتة بذل الاسلام من دفع القطيعة واطلاق الاسارى وسيدنا الشيخ اولى من اطلق اسانه الذى تعمله السيوف ويجرد وقام بسبيل الله قيام من قطع عادية من تعذى وتمرد وفي آخره وكتب من المنزل بفاقوس والفجر قد هم من يشق نوب الصباح لولان الثريا تعرضت تعرض اثناء الوشاح وهذا الالة ساورة عن نهار يوم الجمعة ثاني عشر ذي الحجة بلفه الله فيه امه وقيل عمله بالغاسنى المراد افضله وقال ابن الاثير لما توفي نور الدين قال الامر اعمهم شمس الدين ابن المتقدم وحسام الدين الحسين بن عيسى الجزاى وغيرهما من اكابر الامر اقد علمتم ان صلاح الدين من محاليك نور الدين ونوابه والمصلحة ان نشاوزه فيما فعله ولا تخرجه من بيننا فيخرج عن طاعة الملك الصالح ويجعل ذلك حجة علينا وهو اقوى منا لان له مثل مصر ورجا آخرتنا وتولى هو خدمة الملك الصالح فلا يوافق اغراضهم هذا القول وخافوا أن يدخل صلاح الدين ويخرجوا قال فلم يرض غير قليل حتى وصلت كتب صلاح الدين الى الملك الصالح حينئذ بالملك ويعزبه بابه وراسل دنافير مصرية وعلم اسمهم ويعرفه ان الخطية والطاعة كما كانت لوالده فلما سار سيف الدين غازى بن عمه قطب الدين وملك الديار الجزيرية ولم يرسل من مع الملك الصالح من الامر اء الى صلاح الدين ولا اعاده الحال كتب الى الملك الصالح بعثته حيث لم يعلمه قصد سيف الدين بلادا لبعضى في خدمته وبعثه وكتب الى الامر اءة وان الملك العادل لوعان فيكم من يقوم مقامى أو يثق اليه مثل ثقتي لى لى لى مصر التى هى اعظم ملكه ولولان ياته ولولم يجعل عليه الموت لم يعهد الى احد بترية ولده والقيام بخدمة سواى وأرا كة قد تفرقت بخدمته مولاى وابى مولاى دونى قصوف أصل الى خدمته وأجازى انعام والده بخدمته يظهر أثرها وقابل كلامه على سوء صنيعه واحمال أمر الملك الصالح ومصلحته حتى أخذت بولاده فأقام الصالح بدمشق ومعه جماعة من الامر اء لم يكنوا من المسير الى حلب لثلاثين عليهم عليه شمس الدين على بن الداية فانه كان اكبر الامر اء الدورية وانما تأخر عن خدمة الملك

ص ٢٣١ (٢٣١) الكتاب الرضوي

يعطى الجزيل من الثواب ثبعا * من غير مسألة ولا ميعاد
لأزال في سبيلك دائم * مادامت الدنيا غير تفاد

وعندئذ من شعر ابن منير وابن القيسراني والعماد الكاتب وغيرهم من مدح نور الدين بالكرم والجود ما قليل منه برّد قول الوهراني وابن منقذ على أن ابن منقذ قد ردّ دناشهم ولشعره كما تراه وأنما الشعراء وأكثرا الناس كما قال الله تعالى في وصف قوم فان أعطوا منهم رضاء وان لم يعطوا منهم اذاهم يسخطون وما كل وقت ينفع العطاء وبفضل الله ما يشاء

(فصل ١٠) قال ابن الاثير ما توفي نور الدين جلس ابنه الملك الصالح اسماعيل في الملك وحلفه ولم يبلغ الحلم وحلفه الا امرء والمقدمون بدمشق وأقام بها واطاعه الناس في سائر بلاد الشام وصلح الدين بمصر وخطب له بها وضرب السكة باسمه فيها وتوفي تربته الامير شمس الدين محمد بن المقدم قال العماد واخرجوا يوم وفاة نور الدين ولده الملك الصالح اسماعيل وقد ابدى الحزن والعويل وهو يحزوز الذوايب مشقوق الجيب حاسر في مما جاءه ويجمعه من الرعب واجلسوه في الانوار السماوي من الدسيت والتحت الباني من عهد تاج الدولة ننش فاستوحى كل قلب حزنه واستوحش وقوف الناس يضطربون ويضطربون ويتلهفون ويتلهفون وما كفن بحلة الكرامه ودفن في روضة باغها اب رضوان من دار المقامه وقصوا الجزع وقصوا الفزع وغيبوا الدمه واحضروا الرعب حضر القاضي كمال الدين شمس الدين بن المقدم وجمال الدولة ربعان وهو اكبر الخدم والعدل أبو صلاح بن العجيج أمين الامال والشجاع اسماعيل خازن بيت المال وقطافوا على أن تكون ايديهم واحدة وعزائمهم متعاقده وان ابن المقدم مقتدم العسكر اليه المراجع والمصدر قال وانشأت في ذلك اليوم كتاب عن الملك الصالح الى صلاح الدين في تعزيته بنور الدين ترجمته (اسماعيل بن محمود) وفيه (اطال الله بقاء سيدنا الملك الناصر وعظم أجرا وأجره في والدا الملك العادل ندي الشام بل الاسلام حافظ نوره وملاحظ أموره ومقدام الجهاد مقتني فضيلته ومؤذي فريضته ومحسني سنته وأورثنا بالاستحقاق ملكه وسريره على انه يعزان يرى الزمان نظيره وماها هنا ما يشعل السر ويقسم الفكر الامر الفرج خذ لهم وما كان اعتماده ولا نال الملك العادل عليه وسكونه اليه الا لئلا هذا الحادث الجلل والصراف الكارث الذي هزل فقد اخذوه كفتايات النوايب واعتمد لهم ادوا المعصيات الواو اب وأمله ليومه ولعده ورجاء لنفسه ولولده ومكنه قوتله ضده فما قد قدر جبه الله الا صورة والمعنى باق والله تعالى حافظ لبيته واق وفي غير هذه ام من غره من وأزر وهل سوى السيد الاجل الناصر من ناصر وقد عرفناه المقترح ليروض رأييه من الامر ما يجمع والا هم شغل الكفار عن هذه الدار بما كان عزما عليه من قصدهم والكتابة فيهم على البدار ويجري على العادة الحسن في أحياء ذكر الوالد المحسود ذكرنا راغبيا في اغتنام ثنائنا وشكرنا قلت وكان قد بلغ صلاح الدين خبر نور الدين فأرسل كتابا بالتمثال القاضي فيه (ورد خبر من جانب العدو واللحم عن المولى نور الدين أعادنا الله فيه من سماع المكره ونور ما فيته القلوب والوجوه فاشتبهه الامر وضاق به الصدر وانقص مجادته الظاهر وعز فيه التثبت وأعوز الصبر فان كان والعباد بالله قد تم خصمه الحكم الذي عم فله عوارث تدخر النصال ولا ايام تصطنع الرجال وما رتب الملوأ مما لكها الا لا ولادها ولا استودعت الارض الكربة البذر الا لا تؤدي حقها يوم حصادها فالح الله ان تختلف القلوب والايدي فتبلغ الاعدام مرادها وتعدم الاراء رشادها وتنقل النعم التي تعبت الايام فيم ان اعطت قيادها فكروا يدا واحدة واعضادا متساعده وقلوبا يجمعها وسدوفها يجمعها غدا ولا تختلفوا فتكلموا ولا تنازعوا فتفشلوا وقوموا على امشاط الارجل ولا تأخذوا الامر باطراف الاغمل فالعداوة محدقة بكم من كل مكان والكفر يجمع على الايمان ولهذا البيت منانا صرا لا تخذله وقائم لانسبه وقد كانت وصيته اليه ساقية ورسلته عندنا تحققت بان ولده القائم بالامر وسعد الدين كمشكين الاتابك بين يديه فان كانت الوصية تظهرت وقيلت والطاعة في الغيبة والحضور اذيت وفعلت والا فحق لهذا الواديعلى من ناواه وسيف على من عاداه وان اسفر الخبر عن معافاه فهو الغرض المتألوب والندرا الذي يميل على الايدي والقلوب قال العماد وورد كتاب صلاح الدين بالتمثال القاضي معز يالان نور الدين وفي آخره (وأما العدو فخذله الله فورا هه من الخسادم من يظلمه طلب ليل لنهاره وسيل لقراره الى ان يرتجحه من مجامعهم ويستوقفه عن موافقه معافاه وذلك من أقل فروض البيت الكريم

في أخبار (٢٣١) الدولتين

وايسر لوائمه اصدر هذه الخدمة يوم الجمعة رابع ذي القعدة وهو اليوم الذي أقيمت فيه المظبية بالاسم الكريم وصرح فيه ذكر في الموقف العظيم والجمع الذي لا يفوقه ولا تأخيه وأشبهه يوم الخادم أمسه في الخدمة ووفي مآثره من حقوق النعمه وجمع كلمة الاسلام علما أن الجماعة رجعوا والله تعالى يتخلد ملكا أولي الملك الصالح ويصلي عليه وعلى يديه ويؤكدهم والنعمة اثاره عليه ويصلي على الاسلام واقية باقية عليه ووفق الخادم ما يشوبه من توفيق سلطانه وتشيده ومضاعفة ملكه ومن يده ويسر من كل أمر صالح وتقرّب بعيدة ان شاء الله ومن كتب آخر الخادم مستر على بدائه من الاستشراف لاوامرها والتعرض لمراسمتها والرفع لكلمتها والباله العسكراها والتحقق بتقدمها في بواطن الاحوال وظواهرها والتربّ لان يؤمّر فيمثل ويكلف فيمثل وان يرى به في بحر العدو فيستدّ بجهده ويوفى بأيام الدولة العسالية يوما يكشف الله فيه للموتى ضمير عبده قال العباد وما توفي نور الدين اختل أمرى واعتل سرى وعلت حسادى وبلغ من ادهم اضدادى وكان الملك الصالح صغيرا فصار العبد ابن العجى له وزيرا ونصرتى المتخالفون في الخزانة والدولة كما أرادوا وولوا وصروا ونقصوا وازادوا واقتصروا الى على الكمال محمود

No. _____
Date _____
ALIGARH

لشقد الملك العسا * دل ينى الملك والعدل * وقد أظلمت الافا * قلا شمس ولا كمل
وما غاب نور الدين عسا أظلم الحفصل * وزال الخصب والخسر وزاد النرج والخل
ومات الياس والجو * ودعش الياس واليخل * وعزل النقص لماها * بن اهل الفضل والفضل
وهل ينقى ذوالعصم اذا ما نطق الجهل * وما كان لنور الدين ولا الجهل
فصل وقال العباد ونطق نزل القرفي بعد وفاة نور الدين على النفر وقصدهم بناس ورجوان
ظهرت خبيثتهم وبان الياس وذلك ان شمس الدين ابن المقدّم خرج وراسل القرفي وخوفهم بقصد صلاح الدين ليقادحوا
وأنه قد عزم على جهادهم وتكلموا في الهند وقطع مواد الحرب والقتله وحصلوا قطعة استجهلوا وعدة من
اسرارهم استطلقوها وعت المصالحة وبلغ ذلك صلاح الدين فأنكرهم بعجبه وكتب الى الجماعة الاعيان كتابا دالة
على التوبخ واللام ومن جملتها كتاب بالمشال الغاضى الى الشيخ شرف الدين ابن ابي عسرون يخبره فيه انما اناه
كتاب الملك الصالح بقصد القرفي تجهيز وخرج وسار رابع من احل ثم جاءه الخبر بالخدمة المؤذنة بذي الاسلام من دفع
القطعية واطلاق الاسارى وسيدنا الشيخ اولى من اطاق اسانه الذى تمخذه السيوف وتجرّد وقام في سبيل الله قيام من
يقنع عاديه من تعدّى وتجرّد وفي آخره وكتب من المنزل بفاقوس والقرفي قد هم ان يشق ثوب الصباح لولان الثريا
تعرضت تعرض أثناء الوشاح وهذه الليلة سافرة عن نهاري يوم الجمعة ثاني عشر ذي الحجة بلغه الله فيامله وقيل له
بالغاسنى المرادوا فضله وقال ابن الاثير لما توفي نور الدين قال الامراء منهم شمس الدين ابن المقدّم وحسام الدين
الحسين بن عيسى الجزاى وغيرهما من أكابر الامراء قد علمت ان صلاح الدين من ممالك نور الدين ونوابه
والمصلحة ان نشاوزه فيما نفعه ولا تخبره من بيننا فيخرج عن طاعة الملك الصالح ويجعل ذلك حجة علينا وهو أقوى
مثالنا له مثل مصر وربما أخرجنا وتولى هو خدمة الملك الصالح فيل يوافق اغراضهم هذا القول وخافوا أن يدخل
صلاح الدين ويخرجوا قال فلم يرض غير قليل حتى وصلت كتب صلاح الدين الى الملك الصالح حينئذ بعث اليه
بأبيه وارسل دثاير مصرية وعياها اسمه ويعرفه حتى الخطبة والناعطة له كما كانت لوالده فلما سرق الفادرين غاى بن
عه قطب الدين وملك ابادا الجزرية ولم يرسل من مع الملك الصالح من الامراء الى صلاح الدين ولا اعماؤه الحال كتب
الى الملك الصالح بعبه حيث لم يعلم قصد سيف الدين بلاد بخرى في خدمته وبعثه وكتب الى الامراء وقل ان
الملك العادل لوعلى فيكم من يقوم مقامى أو يثق اليه مثل ثقته في سلم اليه مصر التي هي أعظم ممالكه ولا ياتد ولولم
يجل عليه الموت لم يبعده الى أحد بتر ية ولده والقيام بخدمته سوائى وأرا لإقادة تخدم بخدمته مولاي وابن ولاى
دوتى فسوف أصل الى خدمته وأجازى انعام والاد بخدمته يظهر أرها وأقابل كلامكم على سوء صنيعه وأهمال
أمر الملك الصالح ومصلحته حتى أخذت بلاد فاقام الصالح بدمشق ومعه جماعة من الامراء لم يكنه من المسير
الى حلب لثلاثين عليهم عليه شمس الدين عيسى بن الداية فانه كان أكبرا الامراء النورية وانما تأخر عن خدمة الملك

كتاب (٢٣٢) الزوشتين

الصالح بعد وفاة نور الدين ارض لحقه وكان هو واخوته يحلب وأمنها اليهم وعسكرهم معهم في حجة نور الدين وبعدده
ولما عجز عن الحركة أرسل الى الملك الصالح يدعوه الى حلب ليجتمع اليه من سيف الدين بن عمه وأرسل الى الامراء
يقول لهم ان سيف الدين قد ملك الى الفرات ولئن لم ترسلوا الملك الصالح الى حلب حتى يجتمع العساكر ويسترد ما أخذ
منه والا عسير سيف الدين الفرات الى حلب ولا تقوى على منعه فلم يرسلوه ولا مكبوه من قصد حلب قال وكان نور الدين
من قبل ان يرضى قد أرسل عساكره فلما ضحك بعض الطريق في أثناء الحسير عوت نور الدين فعدا الى نصيب
فلقبها وأرسل الشهن الى الخاقان فاستولوا عليهم واساروه والى حران فحضر هاعده ايام ثم أخذها وملكها والى الرقة
وسر وج واستكمل ملك سائر ديار الجزيرة سوى قلعة جعبر فقال له خضر الدين عبد المسيح وكان قد فارق سبواس بعد
وفاة نور الدين وقصد سيف الدين فلما منه ان سيف الدين ربحى له خدمته وقيامه في أخذ الملك له من والده قطب الدين
على ما ذكرناه أولا فلما بين ثم غرس وكان عنده بعض الامراء ليس بالشام من يمنعك فاعبر الفرات وأملك البلاد
فاشار أمير آخرعه وهو كبير امرائه قد ملك كثر من ذلك والمسلحتان تعود فرجع الى الموصل

(فصل) قال ابن الاثير قد سبق ان نور الدين كان قد جعل بقلعة الموصل للمملكة كذا دياره وهو سعد الدين
كشمتكين بعض خدمه المخلص ان قال سار سيف الدين الى الشام كان في مقدمته على مر حمة فلما أتاه خبر وفاة نور
الدين هرب وأرسل سيف الدين في أثره فلم يدر كنه فينب تركه ودوابه وسار الى حلب وتسلم بخدمته شمس الدين بن الداية
واخوته واستقر بينهم وبينه ان يسير الى دمشق ويحضر الملك الصالح فسار الى دمشق فاجتمع ابن القدر عسكره اليه
فعادهم من اهل حلب فاختلف عليه شمس الدين بن الداية ما أخذ منه وجهه وسيرد الى دمشق وعلى نفسها تخفى
براقش فلما وصلها سعد الدين دخلها واجتمع بالملك الصالح والامراء واعلمهم ما في قصد الملك الصالح الى حلب من
المصلح فاجابوا الى تسييره فسار اليها الموصلها ووصلها الى قلعتها فقبض الخادم سعد الدين على شمس الدين بن الداية
واخوته وعلى ابن الحشاش رئيس حلب قال ابن الاثير ولولا مرض شمس الدين لم يتمكن منه ولا جرى منه ذلك الخلف
والوهن ثم سكن أمر الله قدرا مقدورا فاستبد سعد الدين بتدبير أمر الملك الصالح فخافه ابن المقدم وغيره من
الامراء الذين بدمشق وكانوا سيف الدين لسلوا اليه دمشق فلم يفعل وخاف ان تكون بكيدة عليه فالتفات
ويسير الى دمشق فجمع عناء وقصد ابن عمه من وراء ظهره فلامه كنه الثبات فراسل الملك الصالح وصالحه على اقرار
ما أخذ يده وبقي الملك الصالح يحلب وسعد الدين بين يديه يدبر أمره وتمكن منه تمكنا عظيما يقارب الخ على قال
العماد كان كشمتكين الخادم النائب بالموصل قد سمع مرض نور الدين فاخفاه واستأذن في الوصول الى الشام فطلب
سيف الدين غازي رضاه وخرج وسار مري حلتين وجمع البقي فاغذ السير والسعي وتجهاله وبجالة ونبد صاحب
الموصل على الرضى فترجاله وكانت عنده وفاة عه بشاره وظهرت على صفحته منها المارة فانه لم يزل من كشمتكين
متشككا فانه كان ليل الامر عليه مذكا وكان المرحوم قد أمر براقعة الخمر وازالة المحظور واسقاط المكوس
واعدام اقساط البوس فدوى في الموصل يوم ورود الخبر بالفسحة في الشرع جهارا ليلان نارا وزال العرف وعند
النكر وأنشد قول ابن هاني (ولا تسقن سرافقة أمكن الجهر) وقيل أخذ المنادى على يده دناء عليه فذبح
وزمر وعزمه انه خرج بهذا أمر فلا خرج على من يقضى ويشرب وعادت الضرايب وضربت العوائد فاما
كشمتكين فانه وصل الى حلب بعد ان جرى ما جرى وقبض عليه عند الصباح بجهد القوم السرى واجتمع هناك الابرار شمس
الدين على ابن الداية واخوته اخذوه وحبسوه وأظهروا له من الخالصين وكان مجيد الدين أبو بكر أخو رضاع نور الدين
وقد تربى معه وزمعه وشبهه الى ان ملك الشام بعد والده فقوض الى مجيد الدين جميع مقاصده من طرقة والده وحكمه
في الملك وظلمه في السالك فلا يزال ولا يعقد الا رأيه وكانت حصونه حصنة وهو يسكن عنده في قلعة حلب والحاضر
عنده صباوحا وساءا اذا طلب وشبهه مع أخيه شمس الدين على قلعة جعبر وول باشر مع سابق الدين عثمان وحارم
مع بدر الدين حسن وعين تاب وعز ازوغيرها تواب فيها وهو صنهاوجيها ولما توفي جرت اخوته في القرب والانبساط
على عادته وهم أعيان الدولة وأعضاءها وابدال أرضها وأوتادها ومجاده واجوادها فلما توفي نور الدين لم يشكوا
في انهم يكونون ولده وورثوه ويحبهم لاجل سابقتهم ويحبونه فقام شمس الدين على وهو أكبرهم وأجهمهم ودخل قلعة

في اختيار (٢٣٣) الدولتين

حلب وبها واليا شاذيحت وسكنها وأسرها مصلحة الدولة وأعلنها وعرف ماجرى دمشق من الاجتماع واتفاق ذوي
الاطماع فكانتهم وأمرهم بالوصول اليه في خدمة الملك الصالح وإنفذ أخاه سابق الدين عثمان وكان قليل الخبرة بعيدا
من الدهاء فاستقر الامر على ان يجاهد الملك الصالح اليه ويقدموا به عليه وهو يتسلح بماله ويكون أنابك ووصل
كشكتين الى دمشق في تلك الايام فوافقهم على ما دبروه من المرام وسار الصالح ومعه كشكتين والعدل ابن الجعي
واسماعيل الخازن فبقيت وأخوة محمد الدين الثلاثة فقبضوهم واعتقواهم وجاء ابن الخشاب أبو الفاضل مقدم الشيعة
فسفكوا دمه وأقام شمس الدين ابن المقدم بدمشق على عساكرها قتلها وفي مصالحتها محكم وجمال الدين رجب بن
الى القلعة والشحن من قبله والامر اليه بنقصه ووجهه والتقاضى كال الدين الشهر زوري الحاسككم النافذ
حكمه الصائب سمه الساقب نجحه وكان مسير الملك الصالح من دمشق في الثالث والعشرين من ذي الحجة وغاذا
صلاح الدين ما فعل بأخوة محمد الدين وقال ابن أبي طى الخليلي لما مات نور الدين أجمع أمره دولته واتفقوا على ان
يكونوا في خدمة الملك الصالح بن نور الدين وكان يومئذ صبا وأجمعوا على منابذة الملك الناصر وقبض انصبا به
الدين بالشام ومصالحة الفرنج على يد ابن المقدم شمس الدين مقدم العساكر وتم ذلك واستقر وركب الملك الصالح
بدمشق وخطب له وكانت الفرنج قد تفرقت الى قصد دمشق فخرج ابن المقدم وزل على باياس في عساكر نور الدين
وراسل الفرنج في الهدنة فأجابوه بعد ان قطعوا قطيعة على المسلمين فجعل حملها وتم أمر الصلح وعادت الفرنج الى
بلادها وابن المقدم الى دمشق واتصل خبر هذه الهدنة بالملك الناصر وكان قد خرج من مصر أربع مئة رجل
فأعظم أمرها وأصغره أمر أهل الشام وعلم ضعفهم فراسل ابن المقدم وغيره من الامراء بان ياتوا بثلث
والتوقيع عليه وقال في كتابه الى ابن أبي عمرو (ورد الحاضر يصلح بين الفرنج والدمشقيين وبقية بلاد المسلمين
ما دخلت في العقد ولا تنظم في سلك هذا القصد والعدولهما واحد ورف مال الله الذي أعدتكم الطاعة
ومصلحة الجماعة في هذه العصية المضنية لله ولرسوله ولصالحى الامه وكان مذخورا لكشف الغمه فصار عونا وان
أسارى من طرية وقرسانا كائنا وطأهم شديده وشوكتهم حديده دفعوا في انقليعه وجعلوا الى السليم السبب
والذي ربه فلما بلغنا هذا الخبر وقفنا به بين الورد والفسد وأن أعمتنا لنين بنا غير من يد وان عدنا فالعدو من بقية
التغور التي تدخل في الهدنة غير بعيد وان فرقنا العساكر لئلا ينافقوا جمعهم ابعدا فقرأها شديدا قرأها بنان سيرا الى حضرة
الامير شمس الدين أبي الحسن على وأخوته من يعرفهم قدر خطر هذا الارتباك وأنه أمر رجب بن جهم فيه عن الاستدراك
وان العدو مطالب لا يغفل وجادلنا بكل وليث لا يضيع الفرصه بجذل لا يميل الى الرخصه فان كانت الجماعة ساخطين
فيظهر امارات السخط والتغير ولا يمسك في الاول فيجز عن الاخير لاسيما ونحن نغار لقله ونغير ونقص المسلمين ما نجمع
به صلاح الرأي وحواب التدبير وقد منعنا ساكرنا ان تفرق خوفا ان يقصد العدو ناحية حمار بال الذي قوت به
قوته وثرته بروته وان بسطت به خطوته فانه ما دام يعمل انا جنتهم وعلى طلبه يجمعون لئلا يكفه ان يرايل مرأكزه ولا
يبادر منها زه قال وكان متولى قلعة حلب شاذيحت الخادم الزوري وكان شمس الدين على أخوة محمد الدين بن الداية
اليه امور الجيش والديوان والى أخيه بدر الدين حسن الشحنة كية وكان يمددوا أخوته جميع المعاول التي حول حلب
فما بلغ علم موت نور الدين سعد الى القلعة وكان مقعدا واضطرب البلد ثم سكته ابن الخشاب فامتنع من السعد واليه
وترددت بينهم الرسالة فتعجب الناس بحلب أهل السنة مع بني الداية والشيعة مع ابن الخشاب وجرى أسباب اقتضت
أن أنزل حسن بن الداية جماعة من التلععين وأهل الحاضرة وزحفوا الى دار ابن الخشاب فلو كانوا هموها واحتفى
ابن الخشاب واتصلت هذه الاخبار بن في دمشق وأخذوا الملك الصالح وساروا الى حلب في الثالث والعشرين من
ذي الحجة وسار مع الملك الصالح سعد الدين كشكتين وجرديك واسماعيل الخازن وسابق الدين عثمان بن الداية
وقد ركبت الجماعة به وهولاء يساروا الى حلب وخرج الناس الى لقاءهم وكان حسن قد رتب في تلك الليلة جماعة
من الخليليين ليصيحوا ويصلحوا لهم فلما خرج الى لقاء الملك الصالح وقعت عينه عليه ترجل لخدمته هو وجماعة من
أصحابه فقدم جردك وأخذ به وشتمه وأركبه خلفه وروى ما قبض سابق الدين أخوه في الخيال وتخطفت
أصحابهم جميعهم واحتطوا عليهم وساروا مجدين حتى سبقوا الخبر الى القلعة وسعدوا اليه واقبضوا على شمس الدين

كتاب (٢٣٤) الروضتين

على ابن الداية من قرأه وحل الى بين يدي الملك الصالح فاستقبله أحد عماليك نور الدين المعز ووافق بالجفنية فركله برجله ركعة دحاه على وجهه فانشقت جبهته ثم صعد واجتمعوا جميعا وحبسوا في جيب القلعة وقبضوا على جميع الاجناد الذين حلفوا في الاولاد الداية وآخر جوا جميعا من القلعة قتل وفي آخر هذه السنة توفي مري الفريجي الملك الذي كان حاصر القاهرة وأشرف على أخذ الدار المصرية وفي كتاب فاضلي (ورد كتاب من الداروم يذكر ان له كان عسيرة الخيلس ناسع ذي الحجة هلك مري ملك الفريجي لعنه الله ونقله الى عذاب ككاسمه مشقة وأقدمه على نار تلظى لا يصلاها الا الشقي)

(ثم دخلت سنة سبعين وخمسائة) قال ابن أبي طي في أولها ضمن القطب ابن العجمي أبو صالح وابن أمين الدولة الجردك ان قتل ابن الحشاش ونودي عليه جميع ما نهب له في دار ابن أمين الدولة فدخل على الملك الصالح وتحدث معه وأخذ خاتمة أمنا لابن الحشاش ونودي عليه فحضره وركب الى القلعة فقتل وعلق رأسه على أحد أبراج القلعة وبقي الملك الصالح في قلعة حلب ومضى العماد الكاتب الى الموصل قال وعزمت على خدمة سيف الدين صاحبها وقد أخذ من بلاد الجزر الى حد الفرات ومضى اليه ابن العجمي للاستصلاح فأخبر بين ابن العجمي وعلق رهن أخوة محمد الدين في الاعتقال وضيقوا عليهم في القيود والأغلال وأزموهم بتسليم الحصون وتقديم الزهون الى أن غصبوا دورهم وخربوا مع دورهم قال وكان الموفق خالدا بن القيسراني قد وصل ونحن بدمشق من مصر فزيم داره ولم يدخل مع القوم فأما صلاح الدين فإنه اعتقد ان ولد نور الدين ولا بعده أخوة محمد الدين فلما جرى ما جرى ساء ذلك وقال أنا أحق برعي اليهود والسعي الحمود فإنه ان استمرت ولايته هؤلاء تفرقت الكلمة مجتمعة وضاعت المناهج المتبعة وانفردت مصر عن الشام وطمع أهل الكفر في بلاد الاسلام وكتب الى ابن المقدم ينكر ما أقدموا عليه من طريق الكلمة وكيف اجتروا على اعضاء الدولة وأزكأها بل أهلها واخوانها والله يلزمه أمرهم وأمرها ويضره ضرهم وضربها فكذب ابن المقدم اليه برده عن هذه العزيمة ويقع له استحسان هذه الشبهة ويقول له (لا يقال عنك أنك طمعت في بيت من غرسك ورباك وأساسك وأصفي مشربك وأضي ملبسك وأجلى سكوك الملك مصر وفي دسته أجسادك فأ يلق بصلاك ويحسان ان لا قلاك وخلا لك غير فضلك وافضل لك) فكذب اليه صلاح الدين بالانشاء القاضي (الانلاؤثر للاسلام وأهل الاملا مع شملهم وأف كتمهم ولا بيت الا تباكي أعلاه الله الاما حفظ أصله وفرعه ودفع ضره وحلب نفعه قالوا نعم انما يكون بعد الوفاء والمحبة انما تناهوا آثاره عند تكاثر طامع العداة وبالجملة انافي وادوا لظانين بشأنك البدوي واد ولنا من الصلاح مراد وان يعيننا عنه مراد ولا يقال ان طلب الصلاح الملك قاذح ولن

أبقي الصلاح انك جارج)

(فصل) قال العماد ثم عزم السلطان على أن يسارع الى تلافى الامر فاعترضه امران أحدهما وصول اسطول صقلية الى الاسكندرية وادراكه والثاني نوبة الكنز ونفاقه وهلاكه أما وصول الاسطول فكان يوم الاحد السادس والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وستين وانهمز في أول المحرم سنة سبعين ثم ذكر كتابا وصل من صلاح الدين الى بعض الامراء بالشام يشرح الحال وحاصله ان أول الاسطول وصل وقت الظهور ولم يزل متواصلا متكاملا الى وقت العدس وكان ذلك على حين غفلة من الموكبين بالنظر لاعلى حين خفاء من الخبر فأمر ذلك الاسطول كان قد اشهر وروى عن ابن عبد المؤمن في البلاد المغربية وهذبته في الجزائر روميه صاحب قسطنطينية فثبوه في الثغر من وفور عدته وكثرة عدته وعظيم الهمة به وفرط الاستكثار منه ماملا البحر واشتد به الامر حتى أهل الثغر عليهم البر ثم اشير عليهم ان يقر بوا من السور فمكن الاسطول النزول فاستنزوا خيوطهم من الطرا اندر جواهرهم من المراكب فكانت الخيل ألفا وخمسة مائة وس كاتوا ثلاثين ألف مقاتل مابين فارس وراجل وكانت عدة الطرا ثلثة وثلاثين طر بدة تعمل الخيل وكان معهم مائتا شيني في كل شيني مائة وخمسون وراجل وكانت عدة السفن التي تحمل آلات الحرب والحصار من الاخشاب الكبار وغير هاستسفن وكانت عدة المراكب الجاللة برسم الازواد والراجل أربعين مراكب وروما من الراجل الملقى وغلمان الخيالة وصناع المراكب وراجل الزحف ودياباته والمجنبة مائة وتسعين ألف رجل ومائتا كابلوا نالين على البر خارجين من البحر حمارا على المسلمين حيلة وأصلوهم الى السور وقدم من أهل

في اخبار (٢٣٥) الدولتين

الثغر في وقت الحلة ما يشاهد سبعة أنفس واستشهد بمجودين البصائر وبسهم جرح وحذفت من أكاب الفرج دخالة إلى الدنيا وسكان بهما أكاب مقاتله ومراكب مسافره فسبقهم أصحابنا إليها فغصوها وغرقوها وعلوهم على أخذها وأحرقوا ما احترق منها واتصل القتال إلى المساء فضر بواخيهم بالبر وكان عدتهم ثلثمائة فماتوا وأصبحوا زحفاً ومضايقة وحاصروا ونصبوا ثلاث دبابات وكشها وثلاثه مائة سبق صكباراً لمقاتلة فقتلوا بجمجمة سود استعجبوا منها من صفية وتجب أصحابنا من شدة أثرها وعظم جبرها وأما الدبابات فماتت بآثارها في جفاه أخذها بآثارها ورغفها وكثرة مقاتلتها وانساعها وزحفها إلى أن قاربت السور وبلوا في القتال عامة النهار إلى أن كور وورد الخبر إلى منزلة العساكر بفاقد يوم الثلاثاء ثالث يوم نزول العدو على جناح الطائر فاستنصنا العساكر إلى الثغرين اسكتدنية ودمياط احترازاً عليهم وأوحيا ما في أمرها وخوفاً من مخالفة العدو وإليها واستمر القتال وقدمت الدبابات وضربت الخنجرينات وزاجت السور إلى أن صارت منه دماراً ما ج البحر وهاج الدور فاتفق أصحابنا على أن يفتحوا أبواباً قبالتهم السور ويتركوها معلقة بالقشور ثم فتحوا الأبواب وتكاثرت رجال الثغر من كل الجهات فاحرقوا الدبابات المنصوبة وصعدوا عند هامن القتال وأثر الله على المسلمين النصر وعلى الكفار الخذلان والظهر واتصل القتال إلى العصر من يوم الأربعاء وقد ظهر فشل الفرنج ورعبهم وقصرت عزائمهم وفتحهم ثم حرقت آلات قتلهم واستخروا القتل والجراح في رجالهم ودخل المسلمون إلى الثغر لاجل قضاء فريضة الصلاة وأخذوا ببناء قلاع الحياة وهم على نية الميمنة والعدو على نية الحرب والمبادره ثم كر المسلمون عليهم بغتة وقد كاد يهتلك منهم في الجحيم في الخيام فقتلوا ما فيها وقتلوا في الرجال أعظم فقتلوا وتسبوا الخبيلاء ولم يسلم منهم إلا من نزع إليه ورحل في الجرح نفسه وتقيم أصحابنا في البحر على بعض المراكب فغصوها وأتلفوها فقلت بشية المراكب هاربين وجاءتها أحكام الله الغالبة وبقي العدو بين قتل وغرق وأسر وفرق واحتجى ثلثمائة فارس منهم في رأس تل فأخذت خبرهم ثم قتلوا أسراً وأخذوا من المتاع والآلات والأسلحة ما لا يحصى مثله وأتلف هذا الأسطول عن الثغر يوم الخميس وذكر ابن شداد أن نزول هذا العدو كان في شهر رجب وكانوا ثلاثين ألفاً في ستمائة قطعة مما بين شين وطراد وبسطه وغير ذلك **(فصل ١٠)** وأما نوبة الكفة فقال ابن شداد الكفة أناس مقدّم من المصريين كان قدامهم إلى أسوان فأقام بها ولم يزل يدبر أمره ويجمع السودان عليه ويخيل لهم أنه يملك البلاد ويعيد الدولة المصرية وسكان في قسارب القوم من لها وأتلف مصر بين ما تستصغر هذه الأفعال عنده فاجتمع عليه خلق كثير وجمع وأفر من السودان وتصد قوص وأعماها فأتته شجرة إلى صلاح الدين فحرقه عسكر أعظم ما شاكين في السلاح من الذين ذاقوا حلا وملاك الديار المصرية وخافوا على قوت ذلك منهم وقدم عليهم أخاه سيف الدين وسار بهم حتى إلى القوم فلقنهم بحصاف فكرهم وقتل منهم خلقاً عظيماً واستأصل شاقهم وأخذنا نثرهم وذلك في السابع من صفر سنة سبعين واستقرت قواعد الملك قال العماد وفي أول سنة سبعين مسستها فقام المعروف بالكزفي الصعيد وجمع من كان في البلاد من السودان والعبيد وعدا ودعا القريب والبعيد وكان عنده من الأمراء أشجع من الدين إلى الهباء السبعين فقتل به ومن هنالك من المنقطعين فغارت جبهة أخيه ونارت لئسا وساعده أخو السلطان سيف الدين وعز الدين موسك بن خاله وعدة من أمرائه ورجاله وجاءوا إلى مدينة طود فاحتقت عليهم وأمتنعت فأسرعت البلية إليهم وهاوت وأتى السيف على أهلها وبات بعد عزها بذا ثم قصد الكفة زحف في طغيانه وعدوانه وسوءه وسودانه فسفك دمه وظهر بعد ظهور وجوده عدمه وارتقب دماء سوده وهجم غايه على أسوده ولم يبق للدولة بعد كثره أكثر وظل دمه ولم يبق طبع فيه عز وارتدع المارقون فثاروا بعده مسلم تفاق والله لنا صرى دينه ناصر وواق وقال ابن أبي طي واتفق أيضاً أن خرج بقرية من قرى الصعيد يقال لها طود رجل يعرف بعباس بن شاذي وثار في بلاد قوص ونهب ما وخر بها وأخذ أموال الناس واتصل ذلك بالملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب وكان السلطان قد استأجبه بمصر فجمع له العساكر وأوقع به وبقتله وفن جوعه وقتله ثم قصد بده كز الدولة الوالي بأسوان وكان قصد بده طود فقتل أكثر عسكره وهرب فأدركه بعض أصحاب الملك العادل فقتله **(فصل ١١)** في توجيه صلاح الدين إلى دمشق ودخوله إليها في يوم الاثنين آخر شهر ربيع الأول قال العماد لما خلا

كتاب (٢٣٦) الروميتين

• بالهامة المذكورة فبحر زلف قصد الشام فخرج إلى البركة مستنزل صفر وأقام حتى اجتمع العسكر ثم رحل إلى البليس ثالث عشر ربيع الأول وكانت رسل شمس الدين صاحب بصرى صديقي ابن جادلي وشمس الدين بن المقدم عنده تستوري في الحث والبرع زنده وتستقدهم وحينئذ وسار على صدره وأخذ ووصل السير بالسرى حتى أتاه على بصرى بصير بالعلي نصيرا للهدى فاستقبله صاحب بصرى وشدأزره وسدد أمره واستضاف إلى بصرى صرخند وقدر بالسبق إلى الخدمة وتوحد وسار في الخدمة معه إلى الكسوة وبكر صلاح الدين يوم الاثنين أنسلخ الشهر وسار في موكب قوى بالعدد والعدد وحسب ما يمتنع عليه البلد وإن الأطراف توثق والأرباب تغلق فأقبل وهو بسوق وأقبله يشوق حتى دخل دمشق وخرقها وكان الله تعالى له خلة بها ودخل إلى دار العقيق مسكن أبيه وبقي بجال الدين ربحان الخادم في القلعة على تأييده فراسله حتى استماله وأعزله نواله وتلك المدينة والقلعة ونزل بالقلعة سيف الإسلام وأخذوا السلطان صلاح الدين ومالك ابن المقدم داره وكل ما حارباها وبذل له طلبته التي أشار إليها ونص عليها وأظهر أنه قد جاء لتربية المالك الصالح وحفظ ماله من المصالح وتدير ملكه فهو أحق بصيانة حقه واجتماع أعيانها وخلص لولايته أمرها وأعلامها وأصبح وهو سلطانها وزاره القاضي كمال الدين ابن الشهر زوري فوافقاه من الاحترام وأقره حفظ التيجين والاعظام ونقلت الكتب بالامثلة الفاضلية إلى مصر بهذا الفتح والنصر وفي بعضهما يوم وصولنا إلى بصرى وبقيت له وفدت وهاجرت وزاجت ونكحت وتوافت الأمراء والجناد الأتراك والأكراد والعربان وراجل الأعمال وأعيان الرجال وردت دباب من دمشق بعد كتاب وكل مخبرونا وهو غائب بكتابه حاضر يذكر أن البلاد مكرمة القوام مدعنة إلى المراء وأما الفرق فخرجت منهم في غانا في هذه السفرة المباركة في ثلثي بلادهم نزول المتحكما واختارهم الإقامة الحاضرة المختف وعيونهم متداومة وجزنا وأوفهم رافعهم ووطئنا وورقاهم صغرهم وراو عيشهم من الله يريدهم ولا يجعل عداوة الإسلام في صدورهم غلا وفي أعناقهم غلا وفي كآب آخر (وكان ربحان من بصرى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من ربيع الأول وقد توجه صاحبها بن أبي شاذان فابشر خطبة وأمرها وتم لقبها الجبل ناصر الدين ابن المولى أسد الدين رحمة الله عليه وأدام نعمته والأمير سعد الدين ابن أنزلي يوم السبت السابع والعشرين من ربيع الأول الأحد بمصر الحشب والجناد المشقة البيات مرافقه والوجود على أبوابنا مريمة ولم تأخر الأمن أبقي وجهه ورأى صاحبها ومن اعتقد بالنعوة ودانه قد نظر نفسه في العاقبة ولما كان يوم الاثنين التاسع والعشرين من الشهر ركبنا على خير الله تعالى وعرض دون الدخول عددهم الرجال فدعسهم عساكرنا المنصورة وصدهم وعرفهم كيف يكون اللقاء وعلمتهم ودخلنا البلد واسعة فترت بنا دار الدنا رحمة الله عليه قرر عيوننا مستقرا سكنون الرعية وسكنوا واذعنا في أرجاء البلد النداء باطابة النفوس وإزالة المكوس وكانت لولايته فيهم قد ساءت وأمرفت واليد المتعدية قد امتدت إلى أحوالهم وأخفشت فشرعنا في أمثال أمر الشرع رفعها واعفاهما منهمها بوضعها قال ابن الأمير لما خاف من بدمشق من الأمراء أن يقصدتهم كشتكين والمالك الصالح من حلف فبعلمهم بما عامل به في الديار واساوا سيف الدين غازي ليسلموها إليه فلم يجيبهم فعلمهم الخوف على أن راساوا صلاح الدين يوسف بن أيوب عمر وكان كبيرهم في ذلك شمس الدين ابن المقدم ومن أشبهه أباه فاعظم قلما أتته الرسل لم يتوقف وسار إلى الشام فلما وصل دمشق سلمها إليه من جهات الأمراء ودخلها واستقر بها ولم يقطع خطبة المالك الصالح وانما أظهره في أعناجنت لأخدمه واسترذله ببلاده التي أخذها من أعنه وجرت أمور خذلها اصططع وهو سيف الدين والمالك الصالح على ما يده وقال القاضي ابن شاذان لما تحقق صلاح الدين وفاة نور الدين وكون ولد له طفلا لابن ضاح باعباء المالك ولا يستقل بدفع عدو الله عن البلاد فخرج للفرج إلى الشام أذهواصل بلاد الإسلام فجمع كثير من العساكر وحلف بالالمصرية من يستقل بحفظها وحراستها ونظام أمورها وسياساتها وخرج هوسا من جمع من أهل وأقاربه وهو كتاب أهل البلاد وأمرهم وأهلها واختلفت كلمة أجناب المالك الصالح واختلت تدبيراتهم وخاف بعضهم من بعض وقبض البعض على جماعة منهم وكان ذلك بسبب خوف الباقين من فعل ذلك وسبب التثنية قلوب الناس عن الصبي فاقضى الحال أن كاتب ابن المقدم صلاح الدين فوصل إلى البلاد مع المالك الصالح ليكون هو الذي يتولى أمر موثوق به حاله فدخل دمشق يوم الثلاثاء سابع ربيع الآخر وكان أول دخوله إلى دار أبيه واجتمع

كتاب (٢٣٨) الروضتين

الرسالة منه فلما فاه ابن حسان بذلك الشقاق الباطل ووقع تلك التزيمات العاطله لم يعرفه السلطان رحمه الله طرفا ولا سمعا ولا رده عليه خفصا ولا رفعا بل ضرب عنه صفحا وتغاضيا وترك جوابه احسانا وتغاضيا وجرى في ميدان أرحمته واسكن في سنن مرقته وخطابه بكلام لطيف رقيق وقال له يا هذا اعلم اني وصلت الى الشام لجمع كلمة الاسلام وتمذيب الامور وحياطة الجهور وسد الثغور وتربية ولد نور الدين وكف عادية المعتدين فقال له ابن حسان انك انما وردت لاختدائك الملك لنفسك ونحن لانطاولك على ذلك ودون ما نرى منه خطر القتل وقت الاكباد ولبس الام والولاد فسلم بانفت السلطان لبقائه وتراى في اجتماعه وأوى الى رجاله يا فافتمه من بين يديه بعد ان كاد يسقط عليه ونادى في عساكره بالاستعداد لتصد الشام الاقل ورجل متوجه الى حصن فسلم البلد وقا تل القلعة ولم يرض فنيصع الزمان عليهم فوكل بهام من يحضر هاور حل الى جهة حماه فواصل الى الرستن خرج صاحبها من الدين جرديك وأمر من فيها من العسكر بطاعة أخيه شمس الدين على واتباع أمره وسار جرديك حتى لقي السلطان واجتمع به بالزستن وأقام عنده يوما وليلة وظهر من تقيته اجتماعه به انه سلم اليه جادوسا له أن يكون السفير بينه وبين من يحلب فأجاب السلطان الى مراده وسار الى حلب وبقى أخو جرديك بقعة حماه قال وسار جرديك الى حلب وهو طنان انه قد فعل شيئا وحصل عنده من يحلب بدا فاجتمع بالامراء والملك الصالح وأشار عليهم بمصالحة الملك الناصر فامهم الامراء بالخنصرة وردة وامشورته وأشاروا بقبضه فامتنع الملك الصالح وبلغ سعد الدين كشتكين في القبض عليه فقبض ونقل بالحديد وأخذ بالعذاب الشديد وجلى الى الحب الذي فيه أولاد الدايه قال ولما قدم جرديك وشذ في وسطه الحبل ودلى الى الحب وأحسن به أولاد الدايه قام اليه منهم حسن وشقه أقيش وسبه الاسم وحلف بالله ان أنزل اليهم ليقبلنه فامتنعوا من تدليته فاعلم سعد الدين كشتكين خضرة الى الحب وصاح على حسن بشقه ووقعه فسكر حسن وامساك وانزل جرديك الحب فكان عند أولاد الدايه واسمه حسن كل مكرو وقال وكتب ابى الى حلب حين اتصل به قبض أولاد الدايه وجرديك وكانوا تعصبوا عليه حتى نقاه نور الدين من حب قصيدة منها بنوافلانة اعوان الضلالة قد قضى بذهم الافلاك والفسد واصبحوا بعد عز الملك في صفد وقهره من غلبة بغى لها البصر وجرد الدهر في جرديك عزمتيه والدمع لا يلجأ منه ولا زور

قال ولم يزل السلطان مقبلا على الرستن ثم طال عليه الامر فسار الى حجاب التركان فلقاه أحد غلمان جرديك واخبره بما جرى على جرديك من الاعتقال والقهر ففرح السلطان من ساعته عائد الى حماه وطلب من أخى جرديك تسليم جاداه اليه واخبره بما جرى على أخيه ففعل وصعد السلطان الى قلعة حماه واعتبر أحوالها وولاهامبارز الدين على بن أبى الفوارس وذلك مستعمل جادى الآخر وسار السلطان الى حلب ونزل على أنف جبل جوشن فوق مشهد الدكة ثالث النهر وامتدت عساكره الى الخناقية والى السعدى وكان من يحلب يظنون ان السلطان لا يقدم عليهم فلم يرعهم الا وعساكره قد سنازلت حلب وخيمه تضرب على جبل جوشن واعلامه قد نشرت تخافوا من الخليمين أن يساءوا البلد كما فعل أهل دمشق فأرادوا تطيب قلوب العامة فأشبعوا على ابن نور الدين أن يجمعهم في الميدان ويقل عليهم بنفسه ويخطبهم بنفسه انهم الوزر والمجأ فأمر أن ينادى باجتماع الناس الى ميدان باب العراق فاجتمعوا حتى غص الميدان بالناس فقبل الصالح من باب الدرجة وصعد من الخندق ووقف برأس الميدان من الشمال وقال لهم يا أهل حلب انار بكم وتري بكم واللاحي اليكم كبير عندى منزلة الال وشايبكم عندى بمنزلة الاخ وصغيركم عندى بحمل الولد قال وشفقه العيره وسبقته الدمه وعلا شيعه فافتن الناس وصاحوا بصيحة واحدة وزموا بها متهم وخيوا بالبكا والعيول وقالوا نحن عبدك وعبيدك نقتال بين يديك ونسذل أموالنا وأنفسنا لك واقبلوا على الدعاء له والترح على أبيه وكانوا قد اشترطوا على الملك الصالح ان يعيد اليهم شرقية الجامع بصلاصون فيها على قاعدتهم القديمة وأن يجهز مجي على خير العل والاذان والتذ كبرى الاسواق وقدام الخنازير بأسماء الائمة الاثنى عشر وان يصاوا على أمواتهم تجس تكبيرات وان يكون عقود الاتسكة الى الشريف الطاهر ابى المكارم جوقين زهر الحسنى وان تكون العصبية من نفقة والناموس وانع عن أراد الفتنة وأشياء كثيرة افترحوها مما كان قد أبطله نور الدين رحمه الله فأجيبوا الى ذلك قال ابن أبى طي

في اخبار (٢٣٩) الدولتين

فأذن المؤذنون في منارة الجامع وغيره يحيى على خير العمل وعلى أبي في الشرقية مسيلواصلى وجوهو الجامعين خلفه
ونذكروا في الأسواق وقد أمان الجنائز بأسماء الأئمة وصاوبوا على الاموات خمس تكبيرات وأذن للشرىف في أن يكون عود
الجامعين من الامامية اليه وقبلوا جميع ما وقعت الايمان عليه

في فصل قال ابن أبي طي وكانت هذه السنة شديدة البرد كثيرة الثلوج عظيمة الامطار هائجة الاهوية وكان
السلطان قد جعل أولاد الداية علالة له وسببا يقع به السنة من ينكر عليه الخروج الى الشام وقصد الملك الصالح
ويقول أنا أمانا أنت لا سيخلاص أولاد الداية وأصلاح شأنهم وأرسل السلطان الى حلب رسولاً يرض بطلب الصلح
فأتمتع كسبهم كمن فاشته حينئذ السلطان في قتال البلد وكانت ليالي الجماعة عند الملك الصالح لا تنقضي الا بنصب
الحبال للسلطان والفسكة في مخائله وارسل المكره اليه فاجعوا آراءهم على من اسلة سنان صاحب الحشيشية
في ارضاد المتالف للسلطان وارسل من يفتك به ويخبره على ذلك أمرا لاجعة وعدة من القرى فأرسل سنان جماعة
من فتلان محببه لا غتيال السلطان فجاءوا الى جبل جوشن واختلطوا بالعسكر فغرفهم صاحب بوقيس لانه كان
مؤاخر لهم فقال لهم يا ايديكم كيف تقياسرتم في الوصول الى هذا العسكر ثم لي فيه فاضا فغانته فوثقوا
عليه فقتلوا وفي موضعه وجاء قوم للدفع عنه فجزعوا بعنهم وقتلوا البعض وبدره الحشيشية أحددهم ويده
سكبنة مشمورة تلي قصد السلطان ويجمع عليه فلما صار الى باب الخيمة اعترضه طغريل أمير جانداز فقتله وطلب
الباقون فقتلوا بعد ان قتلوا جماعة قال ولما فات من محلب الغرض من السلطان بطريق الحشيشية كاتبوا قص
طربلس وخبروا له أشياء كثيرة مبيت رحيل السلطان عن حلب وكان لعنه الله في أسر نور الدين منذ كسرة حارم
وكان قد بذل في نفسه الاموال العظيمة في قبلي نور الدين فلما كان قبلي موت نور الدين سعى له فخر الدين مسعود بن
الزعفراني حتى باعه نور الدين بمبلغ مائة وخمسين ألف دينار وفكك ألف أسير وانفق في أول هذه السنة موت ملك
الفرنج صاحب القدس وطبرية وغيرهما فقتل هذا القاص بأمر ولده المجدوم فظلم شأنه وزاد خطره فأرسل
الى السلطان في أمر الحلبين وأخبره الرسول ان الفرنج قد تعاقدوا وصاروا بيدا واحده فقال السلطان لست بمن
يرهب يتأب الفرنج وهما أناسا اريهم ثم انقض طلعته من جيشه وأمرهم بقصد انطاكية فغزو اغنية حسنة وعادوا
فقصد القاص جهة حص فرحل السلطان من حلب اليها نسمع الملعون فنكص راجعا الى بلاده وحصل الغرض
من رحيل السلطان عن حلب ووصل الى الحص فسلم القلعة ورتب فيها واليا من قبله قال وفي فتح قلعة حص يقول
العالم الكاتب من قصيدة وستأق

يا باب ابن أيوب نحو الشآ * م على كل ما يبرجه ظهور
بوسف مصر وأيامه * قر العيون وتشفى الصدور
رأت منك حص لها كفا * فوانك ثم القوى العسير

ومن كتاب فاضلى عن السلطان الى زين الدين بن نجبا الواعظ يقول في وصف قلعة حص (والشيخ الفقيه قدس شاده
ما يشهد به من كونها متجنى في حجاب وعقاب في عتب وهامة لها القامة عامه وانغلا اذا خضعت الاصيل كان الحلال
منها قلامه عاقلة حجة صالحها الدهر على أن لا يعلها بقرعه عاهدة عصية صالحها الزمن على أن لا يردعها بختها
فاكتفت بها قارب مخيفات لا تطيع طبع حص في العقارب وضربت بشارتها الجحار فأنظرت فيها العدواة
المعاوضة بين الاقارب فكأن غير الله من الحد الا وقد أثرت فيها جدر يافترها ولم تصل السابغ الا الواجران منذر
بنقها واتسع الحرق على الراجع وسقط سعد هاعن الطالع الى مولدها واليا الطالع ونفت الارجح فكانت
أربابا وسيرت الجبال بها فكانت سرايا فهناك بدت تقرب رى قائم من دونها ومارها وحشيت فيها النار فولا
الشعاع من الشعاع اضاءها) ومن كتاب آخر فاضلى عن السلطان الى أخيه العادل (قد اجتمع عندنا الى هذه الغاية
ما راحم سبعة ألف فارس وتكاثفت الجوع الى الحنم الذي يخرج عن الغد وبعد أن ترتب احوال حص حرم الله
توجه الى حماه والله المعين على ما نريد من الرشاد وننطقه من طرق الجهاد وقال العالم المبرور الملائك
الصالحا قبلا صلاح الدين المؤذن بادارهم سقط في أيديهم وراسوا المواصلة وكاتبوهم وراسوا الى صلاح الدين

كتاب (٢٤٠) الرومانيين

بالاغلاطا والاحفاظ وكان الرواصل منهم قلب الدين بنال بن حسان وقال له هذه السوف التي ملكتك مصر وأشار الى سيفه البهازيك وعا تصديت له تصدك فسلم عنه السلطان واحمله وتغافل كما واغفله وخطابه بما أن يقبله وذكر انه وصل لترتيب الامور وتمليب الجمهور وسد الثغور وتربية ولدنفر الدين واستنقاذ اخوة محمد الدين فقال له أنت تريد الملك لنفسك ونحن لا ننزع في قوسك ولا نأنس بأنسك ولا نرتاع لجرسك ولا نبني على اسك فارجم حيث جئت وما وجد واصنع ما شئت ولا تنامع فيما ليس فيه مضاع ولا تطلع حيث ما ليسه وذلك فيه مطلع ونال من تعقيب القطب بنال كل ما حال الحال وابلى البال وابدى له التيسم واخفى الاحتمال ثم انه استناب أنجاه سيف الاسلام طغتكين بدمشق وسار بالعسكر ونزل على حصن فأخذها يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الاولى وامتنعت القلعة فأقام عليهم من يحصرها ورحل الى حماد فأخذها مستهل جمادى الآخرة ثم مضى ونزل على خلب فحصرها ثالث الشهر فلما اشتد على الحلبين الحصار واعوزهم الانتصار استغاثوا بالاسماعيلية وعينوا لهم ضياعا وبذلوا لهم من البذول أنواعا فجاءهم منهم في يوم بارد شات من قنا كههم كل عات ففرهم الا ناصح الدين بنجار تكين صاحب بوقبيس وكان مدافعهم الاسماعيلية فقال لهم لا شيء جئتم وكيف تجاسرتم على الوصول وما خشيتم قتناوه وجاء من يدفع عنه فأنشروه وعدا أخذهم لهم جميع على السلطان في مقامه وقد شهر رسك في انتقامه وطرز لأمير جاندار واقف ثابت ساكن ساكن حتى وصل اليه ففعل بالسير رأسه وما مثل الباقرن حتى قنوا عده ولاق من لاقاهم شدة وعدم الله حشاشته في تلك الدوبة من سكاكين الحشيشه فأقام الى مستهل رجب ثم رحل الى حصن بسبب ان الحلبين كاتبوا قس طراباس وقد كان في أسر زوال الدين مذكوم تحارم وبقى في الاسر أكثر من عشرين ثم فد انشبه بملع مائة ألف وخمسين ألف دينار وفكاه ألف أسير فتوجه في الافرنجية الى حصن فلما سمع بالسلطان رجوعنا كصاعلى عقبيه خوفا مما يقع فيه وبين عليه ومن كآب فاضلى عن السلطان الى العادل (قد اعلمنا المجلس أن العدو غنذله الله كان الحلبيون قد استنجذوا وبصلبتهم واستصاوا على الاسلام بعدواهم وأنه خرج الى بلد حصن فوردناجاه وأخذنا في ترتيب الاطلاق لطلبه ولقاه فصار الى حصن الاكرام متعلقا بجبله متفصا بجبله وهذا فتح فتح له ابواب القلوب وطرز وان كان قد كفى الله تعالى فيه القتال المحسوب فان العدو قد سقطت حشمته وانحطت فيه هيمته وولى ظهرا كان صدره يصوره ونكس صلبا كانت ترقه شياطينه)

وقال العمادى الخريدة لما خيم السلطان بظاهر حصن قصده المذهب بن اسعد بقصيدة أولها
 ما ناهى بعد الدين يستحل الكبرى ❖ الا ليطرقه الخيال اذا سرى
 كلف بقبركم فلما عاقه ❖ بعد المدى سلك الطريق الا خصرا
 ومودع أمر الفترق دمع ❖ ونهته رقية ❖ كاشع فخير
 تردى السكاك كتيه فاذا غدت ❖ لم يدرا نقذ اسطرا أم عسكرا
 لم يحسن الاتراب فوق سطورها ❖ الا لان الجيش يسه قد عسيرا

فقال القاضي الفاضل لصلاح الدين هذا الذى يقول (والشعر ما زال عند الترك متروكا)

فجعل جازيتم كذيب قوله وتصديق طنه فشره فوجع له بين الجملة والضعبة وعنى الفاضل ما قاله في قصيدة في مدح

الصلاح بن رزيك التي أولها (أما كذاك تلاقى في تلافيك)

يقول فيها

بالكعبة الجودان الفقر اعدنى ❖ ورقة الحال عن مفر وض مخيكا

من ارتقى بالكرم الدهر يتعشنى ❖ جسد وادان خاب سعى في رجا تيك

أمدح الترك أبغى الفضل عندهم ❖ والشعر ما زال عند الترك متروكا

أم أمدح السوق قالوا لى رفدهم ❖ واضبعنا ان نخططنى أيا ديكما

لا نتركنى وما أملت في سقرى ❖ سواك افضل لنحو الاهل صعاوكا

قلت وقد مضى ذكر ابن أسعد هذا في اخبار سنة ثمان وخمسين وسبأى من شعرة ايضا في اخبار سنة ست وسبعين

وثمان وسبعين وما أحسن ما ترجم ابن الدهان من الغزل الى مدح ابن رزيك في قوله من قصيدة أولها

في اخبار (٢٤١) الدولتين
اذالاحرق من جنباك لامع * أعضاء لوش ماتجسج الاضالع

يقول فيها

ثم ادى بنا في جاهلية نحلها * وقد قام بالمعروف في الناس شارع
وتجسب ليل الشبح عتد بعدنا * بداد العا شمس السخفا طلاع

فصل ثم ارسل السلطان الخطيب شمس الدين بن الوزير ابي الفضل الديوان العزير رسالة ضمنها الفاضل
الفاضل كتابا طويلا رافقا فاقه يشمل على تعداد ما للسلطان من الايادي من جهاد الا فرنج في حياة نور الدين ثم
فتح مصر واليمن وبلادهم من اطراف المغرب واقامه الخطبة العباسية بما يقول في اوله لرسول (فاذا قضى التسليم حق
النقاء واستدعى الخلاص جهد الدعاء فليعد وليه وحادث ما كانت حديثا بقتري وجواري امور ان قال فيها
كثيرا فاكثرت منها ما قد جرى وليس شرح صدرنا منها ليه يشرح مناصدرا ويدرج الاحوال المستمرة فان الله لا يعبد سرا
ومن الغرائب ان تفسير عرائب * في الارض لم يعلم بها المأمول
كالعوس اقل ما يكون لها الصدى * والماء فوق ظهورها مجول

فانا كنا نقبس النار باكفنا وغيرنا نشتت ونستببط الماء بآيدنا وسوانا نستمر ونلق السهام بنحورنا وغيرنا يعقد
التصور ونضامح الصفا بصدورنا وغيرنا يذبح التصدير ولا يدان تستر بضاعتنا بوقف العدل الذي رتبته
الغصوب ونظهر طاعتنا فأنما نحن نخطئ الاسن كما أخذنا بخطط القاري وما كان العائق الا اننا كنا نتظر ابتداء من
الجنب الشرقي بفسادهم ايضا هي ابتداءنا بانخدمه وانجبا للحق يشاكل انجبا للسبق كان اول امرنا اننا كافي الشام
لفتح الفتح مباشرين بانفسنا ونجاهد الكفار متقدمين لعساكرنا نحن ووالدنا وفي اي مدينة ففتح او معقل ملك
او عسكر لا عدو كسر او مصاف للاسلام معه ضرب فما يجهل أحد صعدنا ولا يجحد عدونا اننا صلب الجره وتلك
الذكره وتتقدم الجماعه وترتب المقاتله وتذبر التعبيه الى ان ظهرت في الشام الاخبار التي لنا غيرها ولا ينظر ان يكون
لغيرنا ذكرها وكانت اخبار مصر متصل بنا في الاحوال عليه فهم امن سوء تدبير وبادولتها عليه من غلبه صغيره على
كبير وان النظام ما قد فسد والاسلام بها قد ضعف عن اقامه كل من قام وتقدم والفرنج قد احتاج من يدبرها الى
ان يقاطعهم بأموال كثيرة لهما قدير خطيره وان كله السنه بها وان كانت مجموعها فانهما مقهوره واحكام الشريعة
وان كانت مسماها فانهما مخمماه وتلك البسديع ما على ما يعلم وتلك الضلالات فيها على ما يفتي فيه بقران الاسلام ويحكم
وذلك المذهب قد خالط من أهله اللحم والدم وتلك الانصاب قد نصبت آلهة تعبد من دون الله وتعظم وتقيم فتعالي الله
عن شبه العباد وويل لمن غرته قلب الذين كفر وافي البلاد سمعت همت نادون هم أهل الارض ان ان نستفتح مقلها
ونسترجع للاسلام شاردها ونعيد على الدين ضلالتة منها فسرنا اليها في عساكر فضعه وجوعه بأموال
استهكت الموجوده وبلغت منها المجموعه أنفقناهما من ماضل ذمنا وكسب آيدنا وثن أسارى الفريخ الواقفين في
قبضتنا فعرضت عوارض منعت وتوجهت للمصر بن رسل باستجد الفريخ قطعت ولكل أجل كآب ولكل أمل باب
وكان في تقدير الله اننا لم نكدها على الوجه الاحسن ونأخذها بالحكم الاقوى الامكن فعدنا الفريخ بالمصر بين غدرة في
هدة عظم خطيبها وخطبها وعلم ان اتصال كلمة الاسلام محطها فكانت بنا المسلمون من مصر في ذلك الزمان كما كانتنا
المسلمون من الشام في هذا الزمان باننا لم نترك الامر والاخر عن اليدوان لم ندفع غريم اليوم لم نعمل الى الغد فسرنا
بالعساكر المجموعه والامر اهل المعروفة الى بلاد قد عدلنا بها أحرار ونقررنا في القلوب ودان الاول ما علوه
من اشارة للمذهب الاقوم واحياء الحق الاقدم والآخر ما رجونه من فك اسارهم وقالة عثارهم ففعل الله ما هو
أهدر وجاذا لخيرنا الى العدو فاقطع حبله وضاع بسبيله وأفرج عن الديار بعد ان كتبت ضياعا اورشليمها وبلادها
واقامها قد نفدت ذهاب امره وخفقت عليها بصلبها ونصبت بها أوثانها وايس من ان يسترجع ما كان يدينه محاصلا
وأن يستقنما صار فيهم دأخلا ووصلنا البلاد بهم أختاد عددهم كثير وسوادهم كبير واما لهم واسعه وكثرتهم
جامعه وهم على حرب الاسلام أقدر منهم على حرب الكفر والحيلى في السرف فيهم أنفذه من الغزاة في الجهر ومارا جل
من السودان يذ على مائة ألف كهم أغتنام أنجم ان هم الا كالانعام لا يعرفون بالاسكان كسرهم ولا قبله الا

مكتاب (٢٤٢) الروضة

ما يتوجهون اليه من ركنه وامثال أمره وبها عسكر من الارمن باقون على النصرانية موضوعه عنهم الجزية كانت لهم شوك وشكة ووجه وجهه وهم حواسل لقصورهم من بين داع تتلطف في الضلال مداخلة وتصب القلوب مخالطة ومن بين كتاب تفعل افعالهم الاسل وخذام يجمعون الى سواد الوجوه سواد النخل ودولة قد كثر غلبها الصغير ولم يعرف غيرها الكبير ومهابة تمنع ما يمسك منه الضمير فكيف بخطوات النذير هذا الى استباحة للمخارم ظاهره وتعطيل للشر افض على عادة تجارية جائره وتغير للشرعة بالتأويل وعدول الى غير ما د الله بالتعويل وكثر سمى بغير اسمه وشرع يستتر به ويحكم بغير حكمه فجاز لنا ان نبحثهم تحت المبادر للشفار ونحققهم تحت سيف الليل والنهار بمحائب تدبير لا تحفلها المساطير وغرائب تدبير لا تتجملها الاساطير ولتليف توصيل ما كان من حيلة البشر ولا قدرتهم لولا اعانة المقادير وفي انباء ذلك استنجد واعلنا الفرق بين دفة الى بليس ودفعة الى ديمياط وفي كل دفعة منهم ما وساروا بالعدد المجهر والحشد الاوفر ونصوصنا في نوبة ديمياط فانهم نازلوا هجرا في ألف مراكب مقاتل وحامل ورافى ما تاتي الف فارس ورجل وحصروا شهرين ياكرونها وبرادحونها وبماسونها وباصبحونها القتال الذي يصليه الصاب والفرع الذي ينادى به الموت من مكان قريب ونحن نقاتل العدو بين الباطن والظاهر ونصارى الضمير المناق والكاثر حتى اقي الله بأمه وأيدنا نصره وخابت المطامع من المصريين والفرنج وشرعنا في تلك الطوائف من الارمن والسودان والاجناد فآخرونا منهم القاهرة تارة بالاداء المرهقة لهم وتارة بالامور الفاضحة منهم وطورا بالسيوف الجردة وبالنار المحرقة حتى بقي القصر ومن به من خدم ومن ذرية قد تشرقت شيعه وتقرت بدعه وخفت دعوة وخفت ضلاله فهناك لم نلنا قامة لكلمه والجهر بالخطية والرفع لواء الاسود والاعظم وعاجل الله الطاغية الاكبر بهلاكه وفناؤه وبرأنا من عهد عديمين كان اثم حشنا اليسر من اثم ايقانه لاندعوجل لفرط رعبته ووافق هلاك شخصه هلاك دولته ولما خلا ذرعنا ورحب وسعنا نظارنا في الغزوات الى بلاد الكفار فلم تخرج سنة الا سنة اقيمت فيها برا وجبرا ما كواظلورا الى ان اوسعناهم قتلا وأسرنا ومكنا قراهم قهرا وقتلناهم ففجناهم معاقل ما خطر أهل الاسلام فيها منذ اخذت من ايديهم ولا أوجفت عليها خيلهم ولا ركبتهم من مذمكها أعادهم ففجناهم محنت في سبب الخراب ومنعنا السوت عليه يد الاكساب ومنعنا قاطعة بشرا بانه كان العدو قد نبها في بحر الهند وهو السائل منه الى الحرمين واليمن وغزا ساحل الحرم فساعته خلقنا وخرق الكفر في هذا الجانب خرقا فكدت القبلة ان يسوتى على أصلها ومشاعر الله ان يسكن اعير أهلها ومقام الخليل عليه السلام ان يقوم به من ناره غير رد وسلام ومضجع الرسول صلى الله عليه وسلم ان يتأرقه من لا يدين بما جاء به من الاسلام فاخذت هذه القلعة وصارت معقلا للجهاد ومؤيلا لسفار البلاد وغيرهم من عباد العباد ثم قال (وكان باليمن ما علم من امر ابن مهدي الضال المجدد المبدع المنفرد وله انار في الاسلام ونار طلبة النبي صلى الله عليه وسلم لانه سبى الشرائف الصالحات وباعهن بالخن الخس واستباح من كل ما لا يقرب اسما عليه نفس ودنا بدعه ودنا الى قبرا به وسماه كعبة وأخذ أموال الرعا بالمعصومة واجاحها واحل الفروج الحرة وأباحها فانقضت اليه أغانا بعسكر نابعدان تكافئ له نفقات واسعة واسلم قراعه وسارق اخذناه والله الجدد وأنجزنا فيه القصد والسكامة هنالك عيشة الله الى الهند سامية والى ما يقتضى الاسلام عذرة بمقادير ولذا في الغرب أنرا غروب وفي افعاله اعال دون مظالمها لك كما يكون المالك دون المذاب وذلك ان بنى عبد المؤمن قد اشترى ان امرهم قد أمرهم ومكناهم قد عمر وجيوشهم لطاق وأمرهم لا يشاق ونحن بمجد الله قد علم كما يجاوزنا منه بلادنا زيد مصافنا على شهر وسيرنا اليها عسكر انعد عسكر فرجع بضر بعد نصر ومن البلاد الشاهير والاقاليم الجاهلية برقة قضيه قسطنطينية توزر كل هذا انقام فيها الخطية بالاولا بالامام المستضيء بامر الله أمير المؤمنين سلا الله عليه ولا عهد لاسلام باقامتها وينفذ في الاحكام بعلمه المنصور وعلماتها وفي هذه السنة كان عندنا وفد قد شاهدوه وفد الامصار ورومهم باسماع وأبصار مقدار سبعون راكبا كلهم بطلب اساطين بلده تقلبدا وبرحمنوا وعدا وبناف وعدا وقد مدت عنا نجد الله تعالى بدها والتمت البنا مقابله بدها وسيرنا الخالط والمناسير والاولوية بما فيها من الامور والالتصية فاما الاعداء المحذقون بهذه البلاد والصفكار الذين يقتاتوننا بالمالك العظام والعزائم الشداد ففهم صاحب قسطنطينية وهو الطاغية الاكبر والبالوت الاكفر وصاحب

في اخبار (٢٤٣) الدولتين

المملكة التي أكلت على الدهر وشربت وقامت النصرانية الذي حكمت دولته على ممالكها وغلبت حرت انعامه غزوات بحريه ومناقلات ظاهرة وسريه ولم يخرج من مصر الى ان وصلتته رساله في جمعة واحدة وثبتين بكتابين كل واحد مائة مائة ظهر فيه خفض الجناح والبقاء السلاح والانتقال من مهادنة الى مهادنة ومناخحة الى مناخحة حتى انه انذر بصاحب صقلية واساطيله التي تردد ذكرها وعساكرها التي لم يخف أسرها ومن هؤلاء الكفار هذا صاحب صقلية كان حين علم بان صاحب الشام وصاحب صقلية قد اجتمعوا في نوبة دينا قطبا وقسرا وهزما وكسرا أراد ان يظهروا قوته المستقلة فمراسط ولا يستوعب فيه باله وزمانه فله الا ان خمس سنين تكبر عدته وتخب عدته الى ان وصل منها في السنة الحادية الى الاسكندرية امر ان يعرض وخطب هائل ما أنقل ظهر البحر مثل جله ولا ملأ صدره مثل خيله ورجله وما هو الا ظلم بل أقام نعله وجيش ما حنقل ملك قط بنظيره ولان الله خذله ومن هؤلاء الجيوش البنادقة والباشنة والجنوية كل هؤلاء تارذوا وتوزن غزاة لانتفاق ضراوة ضرهم ولا تضام شراة ضرهم وتارة يسفروا ويحكمون على الاسلام في الاموال المجاورة وتفسر عنهم يد الاحكام المهره وبماهم الامن هو الا ان يجلب الى بلدنا آلة قتاله وجهاته وبتهرب البنا اعداء طرائف افعاله وتلاده وكلهم قد قرت عنهم المواصله وانتظمت معهم المسالمة على ما تريد ويكرهون وعلى ما تؤثرون ولا يؤثرون ولما قضى الله سبحانه بالوفاء الدورية وكفى في تلك السنة على نية الغزاة والعساكر قد تيزرت والمضارب قد تيزرت ونزل الفرس على بابنايس واثر فروا على احتيازها ورواها فرصة مديدا انتهازها استصرخ بها صاحبها فمرنا من اصل اتصل بالعدو وأمرها وعجل بالهزيمة الدمشقية التي لولا مسيرنا ما انتقم حكمها ثم عد الى البلاد وتوافد البنا الاخبار بما للملكة النورية عليه من شعب الاراء وتوزعها وتشتت الامور وتقبلها وان كل قلعة قد حصل فيها صاحب وكل جانب قد طمع اليه طالب وانفرش قد بواقلا عايتخوفون بها الاطراف الاسلاميه وبضايقون بها البلاد الشاميه وأمر الدولة النورية قد سجن كارههم وعوتهم واددروا والمجاليك الاعمال الدين خلقه والا طراف لا لا صدور وجعلوا لقسام للالعود في المجلس المحصور قدموا الايدي والاعين والسيف وسارت سيرتهم في الامر بالمتكر والهنى عن المعروف وكل واحد يتخذ عند الفرس فدا ويجهلهم لنظروا عندنا عدنان البيت المقدس ان لم يتيسر الاسباب لنفخه وأمر الكفران لم يتجر بد العزم في تلعه والابيت عروقه واتسعت على أهل الدين خروقه وكانت الحجة لله قائمه وهم القادريين بالقعوداغة وانالانتم كن بمصر منته مع بعد المسافه وانتفاع البماره وكلال الدواب التي بها على الجهاد القوه واذا جاورنا كانت المشقة بايدي والمنفعة بامهه واليد قد ادره والبلاد قريبه والقروه ممكنه والميرمة متسعه والمخيل مستترجه والعساكر كثيرة الجوع والافاق مساعده وأصلحنا ما في الشام من عقائد معتله وأمر بخيخته وأرا فاسده وأمره متجاسده وأطاع غاليه وعقول غايه وحفظنا الولد القشائم بعدد أبيه قابله أولى من قوم يأكلون الدنيا باسمه ويظهرون الوفاء في خدمته وهم عاملون بظلمه والمراد الا ان هو كل ما يقوى الدولة ويؤكده الدعوة ويجمع الامه ويحفظ الالفه ويضمن الرأفة ويحقق حقيقة البلاد وان يطبق بالاسم العباسي كل ما تطبقه العهد وهو تقليد جامع عصر والين والمغرب والام والمانا على عليه الولاية النورية وكل ما يفعله الله للدولة العباسيه بسموه واسموف عساكرنا وان يقيه من أخ أو ولد من بعدنا تقليدا يضمن للجمعة تقليدا ولد الدعوة بتجديد مع ما يقيه من الساعات التي فيها الملك والجللة والشام لا ينظم أمورهم بقيه والبيت المقدس ليس له قرن يقوم به ويقيه والفرش يقيه هم يعرفون منا خصمنا لا على الشر حتى يماروا وقرنا لا يزال نهر السيف حتى يجاروا واذا شربنا نحسن الرأي ضربه شارب سيف يقطع في غده وبلغنا المني عشية الله ويد كل مؤمن تحت يده واستبقنا أسبيرا من المسجد الذي أسرى الله الله الله به (بعده) ومن كآب آخر فاضل عن السلطان الى الديوان في تعداد ما له من الابدى (والذي أجزاه الله على يد المملوك من الممالك التي دوحها وسن الضلال التي تسخنها وعقودا الحاد التي فسحها ومنابر الباطل التي رخصها وخبث الزندقة التي رخصها فله على المنة فيه اذا هلك اشرف مشهده وما فله الا لوجهه ويد الله كانت عون يده والا فقد خضت اليا على واليام على تلك الامور وماتت كركت الفلانة في قلعهها نابضه وبغيرت الاحوال على تلك البعدة وما تارت لا فراسها رابضه فحسبكر يد الله تعالى فيما أجزاه على يده

كتاب (٣٤٤) الروضتين

منها ان يجتهد في اخرى مثلها في الكفار وقد عاد الاسلام الى وطنه وصوتحت من الكفر خضر ادمه (ومن كتب
أخر للفاضل بك كرسية إعادة صلاح الدين الخطبة بصهر لدولة العباسية يقول فيه) حتى أتى الدنيا ابن بجندتم
فقتضى من الامر ما قضى وأحفظ من الله في سخطه رضا وجعل وجهه لى السوادميض فأدر لهم بشار
نامت عنه الهمم ودوت عليه الامم وشقى الصدور وجاء الحق الى من غرته بالله العرور واستبضع الى الله
تعالى تجارة لن بور) ومن كتاب آخر (قد بورك للشام في الطاعة التي لبس الاولاء شعارها وأمضى في الاعداء
شفاؤها وجمع عليها الدين وكان أدبانا واستقامت بها القلوب على صبة التكاف وكانت ألوانا) ومن كتاب آخر (لم يكن
سبب خروج الممولى من بيته الا وعد كان انعقد بينه وبين نور الدين رحمه الله في ان يتجاذبا بطريق الغزاة من مصر
والشام المسلموك بحسب كبره ويجتهد ونور الدين من جانب سهل الشام وغيره فلما قضى الله بالجنوم على أحدهما
وحدث بعد الامور امور اشهرت للمسلمين عورات وضاعت ثعور وتحكبت الآراء الفاسدة وفورقت المحاج القاصده
وصارت الباطنية بظانته من دون المؤمنين والكفار بحيلة البرأى المسلمين والامراء الذين كانوا للاسلام قواعد
وكانت سب وفهم لانصره وارد يشكون ضيق حلقات الاسار وتطرق الكفار بالبناء في الحسدود الاسلامية
ولاخفاء ان الفتح بعد حلولنا بسنده الخطبة قاموا ووقعوا واستجدوا علينا انصار النصرانية في الاقطار وسيروا
الصليب ومن كسى مذايحهم بقمهم وهذوا طاغية كفرهم باسراط القيامة وانفذوا البطارقة والقسيدين برسائل
صور من يصورونه من يسمونهم القديسين وقالوا ان الغلبة ان وقعت وأقعت فيما لا يستدرك فادركه وأن كلام
صالح بظن طينة وصاحب صقلية وملاك الامان وممولى ما وراء البحر وأصحاب الجزائر كالبندقية واليشانبة
والجنوية وغيرهم قد تاهبوا بالهائمات البحرية والاساطيل القوية والاسلام بأمر المؤمنين أعز ناصر لاسيما وهم
ينصرون باطلا وهو ينصرون حقا وهو بعد خالقنا وهم بعد خلقنا)

(فصل) قال الامجد وكنت بالموصل فسئلت انظم مرثية في نور الدين فنظامت بعد عدى الى دمشق في رجب

الدين في ظلي للغيبة نوره * والدر في غم لفقد أميره
فليتدب الاسلام حامي أهله * والشام حافظ ماله وتغوره
ما أعظم المقدار في اخطاره * اذ كان هذا الخطب في مقدوره
ما أكثر المتأسفين لفقد من * قوت نواظرهم بقدر نظيره
ما أغوص الانسان في نسيانه * أو ما كفاه الموت في نذ كبره
من للساجد والمدارس بانبا * لله طوعا عن خلوص ضميره
من ينصر الاسلام في غزواته * فلقد أصيب بركنه وظهيره
من للفرح من لاسر ماوها * من للهدى يبعي فكاك اسيره
من للخطوب مدلا لجاحدها * من للزمان مسم لا لوعوره
من كاشف للعضلات رأيته * من مشرق في الداحيات شوره
من لا كرم ومن لنعش عثاره * من للقيم ومن لجبر كسره
من للبلاد ومن لنصر جيوشها * من للجهاد ومن لحلف أعورده
من للفتوح يحمالا أبكارها * برأحه في غزوه وبكوره
من للعلي وهودها من للندى * ووفوده من للنجى ووفوره
ما كنت أحسب لنور دين محمد * يتجه وويل الشرك في يجرده
اعز زعي يلبث غاب للهدى * يخاول الشر من زوره وزئيره
اعز علي بان آراءه مغيا * عن محفل مشرف بحضوره
لهي على تلك الانامل انها * مذغبت غاض الندى بجوره
ولقد أتى من كنت تجرى ربه * فضع العلامة منك في مشوره

في أخبار (٢٤٥) الدولتين

ولقد أتى من كنت تكشف كربة * فأرفع ظلامته بنصر عشرة
ولقد أتى من كنت تؤمن سريره * وقع له بالامن من مشدوره
ولقد أتى من كنت تؤثر ربه * فأدم له النقر رب في شوره
والجديش قد ركب الغداة لعرشه * فأركب البصره أو ان عبوره
أنت الذي أحيت شرع محمد * وقضيت بعد وفاته بشوره
كم قد أقت من الشر بعتة معلما * هو من دعيت معترض لدوره
كم قد أمرت بحفر خندق معقل * حتى سكنت الخلد في مشوره
كم قد صر للرم رميت بقصره * ارواه يرض الهند من تاهوره
أوتيت فمخ حصونه وملكت عقره * بلادته وسيت أهل قصوره
أزهدت في دار الفناء وأهلها * ورغبت في الخلد ماقيم وجوره
أوما وعدت القدس انك محب * ميعاده في فتحه وظهوره
ففي تحير القدس من دنس العدى * وتقدس الرحمن في تظهوره
يا حالمين سريره مهلاقي * بتجيبه وضيقك جعل شيره
يا عابرين بنعشه انشقتم * من صالح الاعمال نشر عيوره
نزلت ملائكة السماء لدفنه * مستجيبين على شفير حفيره
ومن الخفاء له ما في بعده * هلا وفيت وسرت عنده سريره
حيالك معتل الصبا بنسجه * وسقائك منزل الحيا بدروره
وليسست رضوان الهمين ساجدا * أن يال سندس خزيره
وسكنت عليين في فردوسه * خلف المسرة نظار اجوره

قال العماد وجاءت نجاب الى الموصل وذكر انه فارق سلاح الدين بقرب دمشق بالكسوة وهو الآن يستكمل من هلك
دمشق الخفاوه فهاجتي الطريق فصد دولساقي معرفته وقد عرفت قد قدمت دمشق على طريق البرية والاسطان على
حلب وكان العماد في عقائيل ألم فهاشني وعماد السلطان الى حمير قصد فيها وقد تسلم قلعتها في شعبان في الحادي
والعشرين منه قال وكنت انظمت تهنيده في الشوق الى دمشق والناصف عليه اسم جعلت مدح السلطان مخلصها
وهي طويلا وأولها

أجير ان جبرون مالي شير * سوى عطفك فاعدلوا أوجوروا
ومالي سوى دليفسك زائر * فلا تمنعه اذالم تزوروا
يعز علي بان الفسؤاد * لذيكم أسير وعنسكم سير
وما كنت أعلم اني أعيد * تن بعد الاحبة الى سير
وفت أدمعي غير ان الكرى * وقلبي وصبري كل عذور
الى الناس بنهباس لي صبورة * لها الوجد داع وذكر مشير
يزيدا شتبا في وبنفوكا * يزيد يزيد ونورا يثور
ومن برد أبرد قاي المشوق * فها أنا من حرمه مستجير
وبالارج مرجوع عيشي الذي * على ذكره العذب عيشي مير
فتدنيكم فتدني الحياة * ويوم اللقاء يكون النشور
تظاول لسؤلي عند القدير * فعن يله اليوم باحي قصير
وكن لي بر دايساب البريد * فأنساب أخبار شوقي خبير

كتاب (٢٤٦) الروضين

مضى نجد الرى بالقريتين * خوامص أثر فيها الحجير
وتحسوا الجليل أزعجى المطى * لقد جمل هذا المرام الخطير
ترائى أنيج بأذى فحسير * مطايا براها الوجود الغفور
وعند القطيعة والمشقة * قطوف بها للاماني سفور
ومنها بكورى نضو القصر * ومنية عرى ذلك البسكور
ويطيب بشرى من خلق * اذا جاءنى بالخيال البشير
ويستبشر الاصدقاء الكرام * هنالك لى وتوفى النذور
تري بالسلامة يوما يكون * بساب السلامة من عبور
وان جوازي بساب الصغير * نعمرى من العر حفظ كبير
وما جنة الخلد الا دمشق * وفي القلب شوق اليها سير
مياذنها الخضرة الحجاب * وهما لها العذب صاف غير
وجامعها الحب والفتنة * منيفه والفلك المستدير
وفي قبسة النسرلى سادة * بهيم للسكرام أفى منير
وباب القرايس فردوسها * وسكنها أحسن الناس حور
والأرضه فالهيم فالنيران * فجنات منها فالصخور
سكان الجواسق مأهولة * بروج تطلع منها السدور
بشعر بها تستبهر الهوم * برزخها يسترى السرور
وما غدت فى الرواة العاشقة * بين الحسن الا لى بى الغرير
وعند المغارة يوم الخيل * أغار على القلب منى معير
وعند المنبيع عين الحياة * مسدى الدهر نابعة مانعور
يجسرين شواش ثم السكون * لنقى شفى تذك الجسور
وما انس لانس انس العيون * على جسر جرين الى جسور
وكبت الهوى بقرب الحبيب * بيت هيا ونام الغيور
فان اغتبطى بالغوطة بين * وتلك الليالى وتلك العصور
وأشجار سطر ابدت كالسلو * رقة هن البليغ البصير
وأين تأملت فلك يدور * وعين تقور وبجور
وأين نظرت نسيم برق * وزهر يروق وروض نصير
الام القساوة يا قاسيون * وبين السنا يتجلى سسير
ومنشد نوى نوردين الاله * لم يسبق للدين والشام نور
ولناس بالملك الناصر * صلاح صلاح ونصر وخير
هو الشمس أفلاكه فى البلاد * ومطلعه سرجه والسرير
اذا ما سطا أو جنى واجتبي * فما الليث ما حاتم ما يسير
بيروستف مصر وأيامه * تقرأ العيون وتشفى الصدور
ما كنت فاصبح فى البلاد * سواك بغير ومولى نصير
وفي معصم الملك للغر منسك * لسوار ومنك على الدين سور
لك الله فى كل ما تنفعيه * به يحق ظهرو نعم الظهير
اما المفسدون مصر عسوك * وهذى ديارهم اليوم قور

في أخبار (٣٤٧) الدولتين

أما الادعاء بها اذن شطبت لابعادهم زال منك الفتور
ويوم الفسوخ اذا ما قورك * عبوس برعهم قطر بر
نهوضا الى القدس يشقى العلم — بفتح الفتوح وماذا عير
سئل الله تسهيل صعب الخطو * ب فهو على كل شيء قدير
اليك هجرت ملك الزمان * فمالك والله فيهم نظير
وفورك فيه الفسرى والقرآن * جميعا وبقر الجيع النجور
وأنت تريق دماء الفسور * وعندهم لاتراق النجور

﴿فصل﴾ في فتح بعليك قال العماد ولما فرغ السلطان من حصن وجعلها سارا الى بعليك فتساقا في رابع
شهر رمضان قال ابن أبي طي وكان به انادم يقال له بن فلما شاهد كثير عساكر السلطان اضطرب في أمره وراسل
من يطلب على جناح طائر فلم يرجع اليه منهم خبر فطلب الامان وسأله بعليك الى السلطان قال العماد وهنأته
بآيات منها

بفتوح عصرك بفخر الاسلام * وينور نصرك تشرق الايام
وبفتح قلعة بعليك تمذبت * هذى الممالك واستقام الشام
وبكى المسودد ما وثق النعمان * فرح بنصر لك الهدي بسام
فتح تسبي في الصيام * شكرا لما منح الاله صيام
من دارأرى في الصوم عيد عادة * حلت لنا والأفطر فيه حرام
أسدى صلاح الدين والدنيا * بنوا لها سوق الرباء تقام
فعل فتحك واتصد الفتح الذي * بمصولة لفته وحسك الانعام
دم للعلى حتى يدوم نظامها * واسلم بعز بنصر لك الاسلام

قال ولما خدمته ارحل برحله وأثر بنزوله وكنت ليلة عنده وهو يذكر جماعة من شعراء الزمان وعند ديوان
الامير مؤيد الدولة اسما متين مرشد بن سيد الملك علي بن منقذ وهو به مغشوف وخطا على تأمله موقوف وإلى
استحسانه مصروف وقد استحسن قصيدة له طائفة لوعاش النابائين لا قرا بفضلها وان خواطر المبتكرين انقص
عن مثلها على ان الشعراء المحدثين ما منهم الا من نظم على رويها ووزنها واستخدمت خطا طوره من مفرها فغم
المعري وابن أبي حصينة والاربايعي والصالحي ابن رزيك وقد أوردت جميعها في كتاب الخريدة ومطلع قصيدة المعري
(من جيرة سيرا النوال قل بنوا)

فنظمت في السلطان ونحن على بعليك بتاريخ أسلاخ شعبان قصيدة طائية منها

عفا الله عنكم ما لكم أيها الرهد * قسطتم ومن قلب الخبثكم قسط
شرطتم لنا حقد الوداد * خيانتكم ما هكذا الود والشرط
جعلتم فؤاد المسدود * محطافه ثقل همهم خطوا
ملكتم فانكم تم قسديم ووقى * كان لم يكن في البين معرفة قسط
فدنت منه بجيتي من لا يذم الهجيتي * اذا ما كتمه وهو في الحكم مشط
وما كنت أدري قبل سدا وطرفه * بان ضعيفا فازا مثله بسط
واهيف الاشفاق من ضعف خصره * يجعل نطقا لاقبيل بدير بط
يلازم قاي في الهوى القبيض مثما * يلزم كف الناصر الملك البسط
ملكك حوى الملك العقيم بعبطه * كريم وما المال فيده ضسبط
اذ التت أيدي المراك * فغده * مدى الدهر اجلاله تاغ البسط
عندك طوعا نيل مصر ودجله * راق ودان العرب والعجم والتهبط

كتاب (٢٤٨) الروضة

والليل شمس يطفى سبيله به * ونياك للراجلين نيسل ولا شط
عبدوك مثل الشمع في نار حقه * له عنق اصلا ح فاسده القط
وهي غمانية وما نون يتاوسعا دة الاعى قصيدة طائفة في السلطان سميأ في ذكرها قال العماد ولما وصلت الى
السلطان ورغبت منه في الاحسان وجدته لا مري من غلا ولشغلي مهلا ثم عرفت ان حسادي قالوا له متى أعدت
ديوان الكتابة الى العماد وهو لا شك يعمل الوثوق والاعتماد وهذا منصب الاجل الفاضل وهو عنده في اجل
المنازل رياضا في صدره وتشعث سره فلما عرفت هذا المعنى لجأت الى الفضل الفاضل لانه به يعني فقام
بامري وانه بقدرى وأراح سري وشدا أزرى

فصل في ما جرى للمواصلة والحلب مع السلطان في هذه السنة قال ابن شداد ولما احسن سيف الدين صاحب
الموصل ما جرى عمران الرجل قد استخفى أمره وعظم شأنه وعلت كلمته وخاف انه ان غفل عنه استخوذ على البلاد
واسقط قدمه في الملك وتعذى الامر اليه فجهاز عسكر او افرو جيشا عظيما وقدم عليهم أخاه عز الدين مسعودا وساروا
بريدون لقضاء السلطان وضرب المصاف مع ورده عن البلاد فوصل الى حلب والسلطان بهمض وأنضم اليه من كان
يحب من العسكر وخرجوا في جمع عظيم ولما عرف السلطان مسيرهم سار حتى وافاهم بقرن جهاد وراسلهم
وراسلوه واجتهد ان يصلحهم فاصالحوه ورأوا ان المصافير بما نالوا به الغرض الاكبر واتقصدوا الاوفر والقضاء بغير
الأمور وهمم الا يشعرون وقام المصاف بين العسكرين فقضى الله تعالى ان انكسر وابن يديه وأسرجاعة منهم
ومن عليهم وأطلعتهم وذلك عند قرن جهاد في تاسع عشر شهر رمضان ثم سار عقيب انكسارهم ونزل على حلب
وهي الدعوة الثانية وصالحوه على ان أخذوا لعمرة وكثرة طابو بارين قال العماد لما تسار السلطان قلعة بعلبك عاداني
حصن وقد وصل عز الدين مسعودا وأخو صاحب الموصل الى حلب فجددوا لعمرة فوا ان السلطان مشغول بالحصون
جاؤا الى جهاد فحصر وهما وراسلوا الى الصلح فقدم السلطان في خوف من أصحابه وجاءت كشكتين وابن العجمي وغيرهما
وأجابهم السلطان الى ما طلبوا وان رد عليهم الحصون وان يقع بد مشق فأتيا عن الملك الصالح وله خاطبا وعنى
الانتفاء اليه ما طلبا وان رد كل ما أخذهم من الخزانة وان يسلك فيه سبيل الامانة فلما رأوه جميعا بكل ما ياتس منه
وهو في عسكر خفيف قالوا لما خبره بفتح فشرعوا في الاشتطاط فطلبوا الرجعة واعمالها فقال له ابن عمي ناصر
الدين محمد بن شيركوه وكيف الحق به في رضاكم المكره فنفر واوجفوا وأصبحوا على الرحيل الى جانب العاصي
قر بياض شيزر وجعلوا العسكر وأظهروا انهم على المصاف وعزم الانتصاف فغير السلطان الى سفح قرن جهاد
وخياه وركز على مقابلتهم اعلاهم ووصل العسكر المصري في عشرة من المتقدمين منهم فرخساده واخوه تقي الدين
والتقوا فزهمهم السلطان ونزل في منزلهم قال العماد ولما نفاقت في هذه الواقعة في مدح ناصر الدين محمد بن شيركوه
قصيدة فقد كان له فيها غناء ولاء حسن منها

ولقد ألفت نفاها وذويتها * اذ ليس يشكر للظباء نشار
يا جارة للقلب جائرة دعي * ظلي والا قلت جار الجار
فلي كداني ما يفتسي افاقسة * سكران ما دارت عليه عقار
صب بصب الدمع حثرت الحشا * خطرت ببال بلائه الاخطار
لم يمتش من خمار الهوى حتى جى * ذلك القوام شبيهه الخطار
يذرى الدهوع كأنهم عوارف * لابن المملوك شيركوه غزار
هن آل شاذي الشائدين بنا العلى * اركناهن لهادم وشعار
حسنتم لهم للدولة الايام والسمو * لعمال والاحوال والاثر
قد جازم ملك الشام يوسف الذي * في مصر تعبط عصر الاعصار
نصر الهدى فتوطد الاسلام في * أيامه وتضعف الكشاور
لما لقيت جوعهم من ظلمة * صارت ذاك النظم وهو نثار
في حالتي جود وبأس لمرل * للتبر والاعداء منسك تبار

في اخبار (٢٤٩) الدولتين

تمب الالوف ولا تهاب أولفهم * هان العدو عليك والدينار
لما جرى العاصي هنالك طائعا * بدما تمم جرت به الاخبار
وتخطت عند القرون تروهم * بل كات الانبياء والاطفار
عسروا المعرفة مال كين معرة * والعمار ملك تارة ويعار
أوما كفاهم يوم حصن وكفهم * في بعلبك بملها الانذار
قال وهنأت الملك المنظر تقي الدين عمر بن شاهنشاہ بن أيوب بقصيدة منها

لا تفن من فرق الفراق الادمعا * فهي الشهور على الغرام المندعى
واستبق صبرك ما استطعت فانه * عون لقبك ان هانت بنا معا
قلب أصابته العيون ولم يرل * من مسها بالهاجست مر وعا
ماباله قد صد عند صدودهم * غنى ولما ودعوى ودعا
ومن التفسير اتى أصرته * في ناعهم وسالت عنه الاضلع
أصبحت اذ شيعتهم لثلاثة * صبرى ونغضى والفؤاد مشيعا
أوما اتقيتم حسين رعم سربه * فيسنة تقي الدين ذاك الاروعا
عمر بن شاهنشاہ من هو عامر * أركان ملك الشام حين تقصصها
خضع العبد وذل بعد عزز * ليكر وحق عدوكم ان يخضعها
من معشر غر يرون جميع مالم * يسألوه في السماع مضيعا
في مصر والين اجتليتا منسهم * في عصرنا تبعنا يوسف تبعها
الحاويان ملك مصر ومكة * والشام والين الحظا بالاربع
لما عصى الاعداء العاصي جرى * بدما تم طوعا وسبوا فلا دعا

وقال ابن أبي طي لما تسل السلطان بعلبك وأزاح عليها عاد الى حصن وزلزمه فاقبله به وورد عز الدين مسعود الى
سيف الدين صاحب الموصل فجدد الملك الصالح وكان سبب وروده ان جماعة من أمراء حلب لما كان السلطان نازلا على
حلب أجمعوا آراءهم وكانوا سيف الدين والزمو فجدد ابن عمه وأخبروه بان السلطان متى ملك حلب لم يكن له قصد الا
الموصل وأرسلوا بذلك أمين الدين هاشم الخطيب لحلب وقطب الدين يتال بن حسان وغرس الدين قليج وكان سيف
الدين منازل السخيار وفيها أخوه عاد الدين بن زكي وكان عاد الدين قد أذهر الانقضاء الى السلطان فأنجد السلطان
بقطعة من جيشه فحكمهم ومنهم عاد الدين بهم وببعضه فها وصلت رسالة الخليلين الى سيف الدين صالح أخاه عاد
الدين وحشد عسكره وأنفذ فيهم مع أخيه عز الدين مسعود فورد حلب بعد رحيل السلطان عنها الى بعلبك فاعتنم
الخليليون بعد السلطان عنهم فاحتشدوا وتخرجوا جميعا حتى شيوخا على جهاه وأخذوا في حصارها واتصل بالسلطان
ذلك فرحل من بعلبك الى حصن وبلغ عز الدين فعاد عن جهاه وزلزمه قريبا من جناب التركان الى جهة العاصي الى
قريب من شيرزور واسل النائب بجهاه على بن أبي الفوارس بقوله له انما وصلت في اصلاح الحال ووضع أوزار القتال
وسأله مكتوبة السلطان فيما يجمع الكلمة وباشع النقرة فكتب ابن أبي الفوارس بذلك الى السلطان وحسن
له الصلح وتلطف في ذلك غاية التلطف وقدم أبو صالح ابن العجي وسعد الدين كشتكين لطلب الصلح فلما بهما
السلطان الى ما أراد وأقرر الراعي انه برأ إليهم جميع الحصون والبلاد ويقنع بدمشق وحدها ويكون نائباً
للك الصلح فلما عاين سعد الدين أجابة السلطان الى الصلح والتزلزل عن جميع الحصون التي أخذها حصن وجهاه
وبعلبك طمع في جانب السلطان وتجاوز الحد في الاقتراح وطلب الرحبة واعمالها فقال هي لابن عمي ولا سبيل
الى أخذها فقام سعد الدين من بين يديه نافرا وكان ذلك برأى أبي صالح ابن العجي لانه كان معه فاجتهد السلطان
به ان يرجع فلم يفعل وخرج الى عز الدين مسعود وكان بعد تنازلا على جهاه وحشدته مدار بينه وبين السلطان وهون
عليه أبو صالح أمر السلطان وأخبر به بقله من معه وكان السلطان لما كتب في أمر الصلح سار في خيف من أخطابه

مكتاب (٢٥٠) الروضتين

فلما علم بذلك طمعو في جانبيه وعلوا على لقائه وابتهاز الفرصة في أمره فكتب باقي أصحابه واستعذ لهم به وسارا إلى أنزل على قرون جاء وأخذ في مدافعة الأيام حتى يقدم عليه باقي عسكره وراسلهم في التسلط للاحوال فلم ينجح فيهم بحال وكما أن في كل يوم يعززون على إقامته وقتاله فيبطل عزيمتهم وراسلته فيقبلونه تسويها للأوقات وقليلها الزمان حتى يقدم عليه عسكره وكانت هيئته قد ملأت صدور القوم ولولا ذلك لكانوا قد ناهزوا الفرصة ونالوا منه الغرض قال وفي يوم الأحد التاسع عشر رمضان الثمنا ولم يكن بعد قد وصل للسلطان من عسكره أحد فجمع أصحاب السلطان كرد وسأوا حدا وأخذوا يجهلون بمنته وبسرور دافعون الأوقات رجاء أن يتصل بهم بعض العسكر وضرى عسكر حبيب والعسكر الموصل على أصحاب السلطان حين شاهدوا قتلهم واجتماعهم وكاد أصحاب السلطان يولون الأدبار فوصل في الدين عرسد الحاجة إليه لتمام السعادة للسلطان فإنه لو تأخر ساعة لانكسر عسكره فوصل في الدين في عسكر مصر وجماعة من الأمراء وهم غير عاملين بالحرب وقيامها فلما رأوا الناس في الكر والضرب الهبر جملوا جميعا بعد أن أفتروا في المنية والمصرة فقدموا عسكر الموصل صدمة ضعفتهم وكان السلطان في هذه المدة قد كتب جماعة من عسكرهم واستفسدهم اليه وحمل اليهم الأموال وهذا الذي إبطأ بهم إلى أن وصلت عساكره والافوا كان عسكر حبيب نضع لم يقدر السلطان على الثبوت ساعة فلما اشتد القتال لم ينصح الجماعة التي كانتها السلطان بل كانوا مشبهين بخوفين أن قرب منهم ثم أنهم بعد ذلك أنتم مواضعهم عسكر السلطان وأتبعوا أموالهم وخيامهم وأمر السلطان أصحابه أن لا يوغروا في طلبهم ولا يقتلوا من رأوه منهم وما لا يدفقه وأعلى جريح ورحل حتى نزل في منزلهم ثم ساروا وقتة مجسدا حتى نزل برج قرا حصار ولم يزل هناك حتى عديدهم الفطر فجاءته برسل الملك الصالح يسألونه المهادنة وأن يقر الملك الصالح على ما فيه وما هو جار تحت حكمه من الشام الأسفل إلى بلد جاءه ففرض بذلك فجعلوا له معززة وكفرطاب فرضني بذلك وحلف على نسخة رأيتها وعليها خطه قال وكان في جملة الذين هم في قصد الملك الصالح عدو حضر نفسه وجيشه ودفع عنه وأن لا يغير الدعاء له من جميع منابر البلاد التي تحت يد السلطان ولولا به وولاية أصحابه وأن تكون السكينة باسمه والمخالف للسلطان والملك الصالح وأمر أنه عاد السلطان فاصدق ما مشق في ما وصل إلى جمادى وصلت إليه برسل الخليفة المستنصر ومعهم النثر بقات الخليفة والأعلام السود ووقع من الدوان بالسلطنة بلاد مصر والشام وفي هذا الخلع يقول ابن سعدان الحلبي

يا أيها الملك العزير فضله * لقد غدوت بالعلي مليا

كفي أمير المؤمنين شرفا * أنك أصبحت له وليا

طارحت الودع على شخط النوى * فكنت ذاك الصديق الوفا

أولئك من لباسه زخرفة * لم يولها قبلك أدهما

نابت الروض سناو بهجة * حتى حكته روتقا وريا

قال ورحل السلطان من جمادى إلى بعرين وكان فيها غفر الدين مسعود ابن الزعفراني وكان خرج إلى السلطان لما وصل إلى الشام وتطارح عليه وخدمه وطلب أن السلطان يقدمه على عساكره فلم يلتفت إليه فترك السلطان وعاد إلى حصن يعرب فغضب السلطان ذلك وسار إليه وحاصره حتى تسلم حصنه وقال الحمد لنزل السلطان قرا حصار بنية الحصار فحقت أسلهم بالانقياد وأجابوا إلى المراد وقالوا اقتنعوا بما أخذته ودا إلى حماه ولا تتهمة وأبنا العداة فاستدنا عليهم كفرطاب والمعهز واستوفينا عليهم الأيمان المستقره وسألهم في المعتقلين أخوة مجده الدين فأجابوا وأفرجوا عنهم وتم الصلح وعم الحجج ورحلنا ظاهرين نفاقرين ونزلنا جمادى يوم الاثنين ثاني عشر شوال ومها وصلت إليه برسل الدوان العزيز بالشمر بقات والتقايد بها أرا دمن الولايات وأفاضوا على السلطان وأغار به الخلع وخص ناصر الدين محمد بن شيركوه بن زيد تفضيل على أقارب السلطان وكان زعامة يلق والده أسيد الدين رحمه الله ثم تسلم السلطان حصن بعرين وكان يسيد الأمير بقر الدين مسعود ابن الزعفراني وهو أم كابر أمره نور الدين وذلك في أول خرب شوال وأقطع مدينة جمادى لابن خاله ومهره الأمير شهاب الدين محمد واتفق جميع على ابن عمه ناصر الدين قال العبادوا ذكرنا عن بئر العاصي عائدتين وقد انكسفت الشمس وادهم النهار وغلب على القلوب الاستعداد

في اخبار (٢٥١) الدولتين

وطاحت الأناوار وخفيت الرسوم وظهرت النجوم وحننا جض ثم بعلبك ثم البقاع ووصلنا دمشق في ذي القعدة
 (فصل) قال العماد قد سبق ذكر ما قرره حسادى في خاطر السلطان وقالوا شغله المكاتبه وهى منصب
 الاجل الفاضل وهو يستنب فيه من رآه من الافاضل وهذا تصرفه برؤس جليل والسلطان مع شدة
 رغبته متوقف والى ظهور وجه الخبايا فى أمرى منه وقف وأنت قد أنست مدة مقامى بالعسكر بذى الجبل والمفتخر
 ومورد الكرم والمصدر الامير نجم الدين بن مصال وهو ذو فضل وافضل وقبول واقبال وله من السلطان ومن الماضى
 لجلالة قدره اجلال وقدمال الى فضله ونباهته ونبله وكان أبوه قدوز رلنا فظ فى آخر عهده منفردا بودده وبجنده
 وكان من أهل السنة والجماعة والتقى والورع والعفاف والطاعة وله يد عند السلطان فى الذنوب التى قصدوا فيها
 مصر وأجل عنده الاحسان والبر لا سيما عند كونه بالاسكندرية محصورا وكان احسانه مشكورا واعتناؤه لحفظه
 مشهورا فلما ملك أحبه واختار قر به فلزمته التودد وجعلته الوسيط بين وبين الاجل الفاضل واتخذته من أطب
 والوسائل ووقف خاطر على تقاضيه نظم ما نثرنا ورسالة شعرا فى ذلك ما كتبه الله
 لعل نجم الدين ذا الفضل * يذكر الفاضل فى شغلى
 ان أجل الناس قدرا فتى * بفضلته يتعب من أجلى
 ومثله من يعتنى بالعسلى * ويستديم الحمد من مثلى

قال وأول ما أهديته للفاضل مدحة حين لقيته بهمض فى شعبان منها

غابت طل ودسك كنه ورأيت شمس فضيلة ووردت بحر فواضل
 ورأيت سحبان البلاغة ساجدا * بيانه ذيل الفخار لوانل
 أبصرت قسا فى النضاحة ميمزا * فمرفت فى فهاهة باقل
 حلف الحصافة والفضاحة والسما * حة والجماسة والتقى والنائل
 بحرم من الفضل العز برخصه * طامى العباب وماله من ساحل
 وجميع ما فى الارض سبعة البحر * ويجوره تسمى بعشر أنا منل
 فى كنه قلم يعجل جريه * ما كان من أجل ورزق أجل
 يجرى ولا جرى الحسام اذا جرى * حداه بل جرى القضاء النازل
 نابت كتابته مثاب كنيته * كفلت بهزم ككتائب وجناقل
 فعده وفى عدوه ووليته * فى عدله احكم بعاد عادل
 ريان من ماء التقي صادالى * كسب الحسامد وهى خير مناهل
 يا واحد العصر الذى بذلورى * فضلا بغير مشابه ومشا كل
 ماى وجاه الجاهلين فاغتنى * عنهم ككتيفتهم وجد بالجاهلى
 أرجوك معنيا لى السلطان فى * كرامتك لى يبنى بامانى
 قررى الشغل المجلج مجليا * بالى من الميم المقيم الشاغل

قال فدخل الفاضل الى السلطان وعرفه انه فى راع وقال ان لا يكتفى الملازمة الدائمة فى كل سفرة وغد
 يكاتبك مالوك الاعاجم ولا تستغنى فى الملك عن عقد المظفات وحل التراجم والعماد فى ذلك ولك اختار وقد
 عرف فى الدولة النورية بقداره وأخذنى خط السلطان بما قرره من شغلى وقد عرف ان الاجل الفاضل قد أجل
 فضلى قال وخدمت أمير المؤمنين المستغنى بالله فى ذي القعدة مع الرسل بهذه القصيدة

أصبح عقود الغانيات مرصفا * وافتك الحماض الحسنات غصيفها
 ومن يحب صلت لقبيلة بأسهم * رؤس أعاد من نلباهم جميعها

قال ابن ابى طى وظهرونى مشغرا قريه من قري دمشق رجل اتى النبوة وكان من أهل المغرب وأظهر من القضاة يسيل
 والتمهيات ما فتن به الناس وادعاهم عظيم من الفلاحين وأهل السواد وعصى على أهل دمشق ثم هرب من

كتاب (٢٥٣) الروميتين

مشغرا إلى الليل وصارا إلى بلحلب وعادوا إلى أفساد عقول الفلاحين بما يربهم من الشعبية والتخايل وهو امرأة وعلمها ذلك وأذعت أيضا النبوة قال وفيها توفي شهاب الدين الياس الأرتقي صاحب البيرة وأوصى إلى الملك الناصر

صلاح الدين بولده شهاب الدين محمد

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين قال العماد والسلطان نازل بمرج الصفر من دمشق فجاءه رسول الفرنج يطلب الخدمة فأجابهم السلطان بعد أن اشترط عليهم أمورا فأنهزموها وكان الشام ذلك العام جدبا فاذن السلطان للعساكر المصرية في الرحيل إلى بلادهم وإذا استغاثوها خرجوا إليه وسار معهم الفاضل واعتمد على العماد فيما كان يصده

وواظب السلطان على الجلوس في دار العدل وعلى الصيد ومدحه العماد بقصيدة منها

سألك لهم العلي لن يرشأ * فنسأل رب العلي أن يعيشا

من الناس بالبرصدت الكرا * ثم وباليأس في البرصدت الوحوشا

وكمرت من مصر نحو العربيش * فهتفت للشركين العربيش

سرايك تبعث قدامها * من العرب نحو الأعدا جيوشا

ويوم جاء تركت العدا * فكطرت بالفسل الريح ريشا

قال ومدحت مسترل بربيع الأول تقي الدين بقصيدة موسومة وكان قد قوض إليه ولاية دمشق ومنها بيتان ابتكر المعنى فيها ولم أسبق إليها

يقيد العاقل المقلد التغابي * ليدرك في الغنى حظ العبي

ولم تصب السم على اعتماد * بها لولا عواج في القسي

فقبل الدهر بقصر عن عنادي * أما هو يتقى بأس التقي

خلعت رب مكة والمصلى * وثاوى ترب طيرة والغري

لأنتم يا بني أبواب خبير السورى بعد الامام المستضي

قال وفي أول هذه السنة وصل إلى دمشق الجماعة الذين خرجوا من بغداد فاقفة قطب الدين فيما زفاخذوا لأنفسهم بالانجلاء إلى السلطان والاستراز وكان قائما زهدا شديدا في الدولة الامامية من أول الأيام المستفيدة وقوى في الأيام المستفيدة على وزير الخليفة عضد الدين ابن رئيس الرؤسا وسامه أنواع البلاء وأخافه ورام أنلافه حتى استعاض منه برباط صدر الدين شيخ الشيوخ فسلبه ثمان فاما خالف الخليفة وشق العصى وعزل حصار الدار

فأمر الخليفة بالقبض عليه فلم ينجس الحيد بداره إلا بفتح باب في جداره وانهمز فوصل إلى الحلة في أوائل ذي القعدة سنة سبعين وهو في موسم الحج فجمع رجاله وتوجه إلى الموصل وثانته اخوانه فدخله فأنجبه فقتل في بعض قرى الموصل ونثر في أعماق بلاد فذهبهم من رجع إلى بغداد ومنهم من أتى الشام منهم حسام الدين تبريك وعز الدين

اقبري بن أغش وكان صهر السلطان قديما وعنده كرم فاقطعه في الدار المصرية وكتب في حقه إلى الديوان شفاعة في تقليص ماله واستقامته طاله وكان إذا خزا من مأواه وخيل مسومه فلم يكن ذنبه عندهم في متابعة فيما زها

بقيل الصغير وكان اقبري زوج أخت السلطان والسلطان خال بنته وهي زوجة عز الدين فرخشاد بن أخى السلطان قتل في بعض الكتب المحررة عن السلطان إلى وزير بغداد بالمثل الفاضل (وما تحسب أنواع الموالاة المتناصرة المستظهرة والمسامحة التي كانت لثارات هذه الدولة بالغة غير متقلصة ولما زعيم الامر قاصه ولما زعيم الحق

واقه وبجورق الله تعالى الواجبة لهم قائمه وكذا ما اعانها بخبذة من رجال ولا بما دقة من مال ولا بما نة بحال من الاحوال رخصا من الدولة أعلاها الله ذي قري لا نستطيع دفعه ولا يقبل اسباب الدفع إذا أردنا دفعه فالاجبار عندنا واسع والاعراض لدينا غير متذررة والولايات التي تتوضن اليه عن كفايته غير مستغنية ولكنه ما يعكاه من الخدمة مكانا ولا أثر غير سلطان سلطانا ولا اعذار لايأس ان نغير فيها لانا وبنا) ثم ذكرها ثم قال

(وهذا الامر منة فكيف بعدت منا عاصيا وبالسننا وسفنا يدعى الخلق إلى الطاعة وكيف تخلد دار الخلافة من واحد من أهلنا بنوب عنا وعن بقية الجماعة فحين في أنفسنا شئنا وعن جاهنا ندفع ومن مكاننا نأسل ونحتلنا

في أخبار (٢٥٣) الدولتين

الذي لا نسبحه إلا سلام نخل وأنت أيها الأمير السائر ثالث رسول ندب في أمر هذا الأمير والله ولي التدبير وقال
العماد في الخبر بدة كنت جالسا بين يدي الملك الناصر صلاح الدين بدمشق في دار العدل أنشد ما يامر به من الشغل
بغير سعادة الأعمى من أهل حصن وكان مسلوكا لبعض الدهشقين مولدا ويكتب على قصائد سعيد بن عبد الله
فوقه بنشد هذه القصيدة في عاشر شعبان سنة إحدى وسبعين

حيثك اعطاني القصد وديانها * لما انتفت بها على كتبها
ثم ذكر القصيدة وغزها في وصف دمشق ثم قال

سلطانها الملك ابن أيوب الذي * كشاه لا يكف عن هفلائها
بمواهب لولم كن فوطا * نجيبت يوم نداء من طوافها
سمع روح الى النسي براحة * قد اعشب المعروف بين بناتها
وفسقى اذ انخرت بحار نواله * غرقت بحار الارض في خليجها
ذلك السيف المرفعات بصفته * امضى على الايام من حدثها
ملك اذا جلبت عرائس ملكه * رصعت فريد العدل في يفيانها
فأسلح صلاح الدين وابقى لدولة * ذلت لدولتها مبارك زمانها
وانفض الى فتح السواحل نهضة * قادت لك الاعداء بعد زمانها
وهي طويلة قال وقام اليوم الذي يليه وقد جلس السلطان للعدل فأشده قصيدة منها
هل بعد حياقي الآن ترى حليبا * وقد تقبل منها مشكل عقد
وقد أنتك كما تقتار طائفة * وقد دعا لك منها الحصن والبلد

قال وكان سعادة سافر الى مصر في أول ملكة الملك الناصر فدحه بقصيدة طائية فاعطاه ألف دينار فغنى يصرف
غارته على غزه وعنده من ذلك الغزو بالعزيز

فتي مدغز بالخيل والرجل غزه * نأى عن نواحيهم الرضى ودنا السخط
رماها بأسماء ملحق من ابيض * ولا أجم الا الذي تنبت الخط
وئات ضواحيها ضحى بكائب * من الترك لا نوب طعام ولا قط

وله في السلطان قصائد آخر قال وقام البهاء السنجي باري وأنشد الملك الناصر قصيدة في دار العدل بدمشق سنة إحدى
وسبعين في شعبان منها

يا ظبية الحرس من مصر على الس * ربيع السلام ذات قوس وأوعفا
اصبو الى عصر قدام عهد * فأزيد من ولده عليه ناهفا
أحبنا بنا بالقصر لو تفرتم الهمجران ما شئت الحسود ولا شقي
اشكرو الى الوادي فيمنوره * من رقة الشكرى على تعلفنا
وجرى في الامس المظوم فأمرى * سلطان أرض الله طرايوسفا
الناهب الارواح في طلب العلى * والواهب السبل في حسم الوفا

فصل في فتح بلاد الموصل والحلبين قد سبق ذكر الفتح الذي جرى بين السلطان والحلبين فلما سمع به الموصلية
عقبوا عليهم ووثقوهم ونهسهم الى الجبلية في ذلك وسلك غير طريق الخنزير فهاجمهم على النققن والتكت وأنفذوا من
أخذ عليهم الموائيق وتوجه ذلك الرسول منهم الى دمشق ليأخذ الموصلية من السائلان عهده وكشف أيضا ما عنده
فلما خلاه طالبه السلطان بالهجرة الى رأى فغلطوا من كنهه فحدثه بين حلبين لهم ونالها آياه فتأملها واخفى
سره وما ابتداء واطلع على ما اتفقوا عليه وردّها اليه وقال اعلموا قد تبدلت فعرف الرسول انه قد غلط ولم يكنه
تلافي ما فرط وقال السلطان كيف حلفا حلبيون لأوالملة زمن شر لا يمانهم لا يمتدون أمر الاميراجعتهم لنا
واستأذنتهم وعرف من ذلك اليوم ان العهد مشقوق والوفاة في فوضى وشاع الخبر عن الموصلية بالخروج في الربيع

مكتاب (٣٥٤) الروتين

فكتب السلطان إلى أخيه العادل وهو نائبه بمصر يعلمه بذلك وأمره أن يأمر العساكر بالاستعداد للخروج في شعبان
قلت وفي كتاب طويل فاضل جليل إلى بغداد عن السلطان (بطالع بن الحلبين) والموصلين لما وضعوا السلاح
وخفضوا الجناح اقتصرنا بعد أن كانت البلاد في أيدينا على استخدام عسكر الحلبين في البعثات إلى الكفر
وعرضنا عليهم الأمانة فقبلوها والأيمن فقبلوها وساررسولنا وحلف صاحب الموصل بمصر من قهقهه بلده وأمره
مشهد عينا جعل الله فيها حكما وضيق في تكلم النجمال على من كان حنيفا مسلما وعادرسوله ليعلم منا البين فلما
حضر وأحضر نسختها وأمر بيده بخروجها فخرج نسختها من كنف بين الموصلين والمسلمين مضموها الاتفاق على
خزينا والتساعدي إلى خزينا والتساعدي إلى خزينا والاستعداد على إزالة خطبنا والاستعداد لربان هو على بعدنا وقرنا وقد حلف بها
كشتمكين الخادم بحلب وجماعة معه بمناقصت الأولى فردنا البين إلى بين الرسول وقلنا هذه بين عن الأيمان
خارج وأردت عمرا وأراد الله خارجة وأصرف الرسول عن بابنا وقد زهنا الله أن يكون اسمه معر ضاللت العظم
والنكت الذميمة وعلمان النقاد بصير والاختلاف والمواقف الشريفة النبوية أعلاها الله مستخرجة الأوامر إلى
الموصل أما كتاب مذكر كان لا ينقض عهد الله من بعد ميثاقه وأما أن تكون النسخة واقعة لنا في نصديق خناقة ثم
ذكر أمر الفرج ثم قال (والموصلين عدوا و إسلام بشاركونه في هذا الاسم لفظا ولا بنونا باستحفظوا وحفظوا وعدوا كفر
فالمجاورهم الأبلدة ولا تقارعهم إلا خناده ثم طلب خروج الأمر بخطاب جميع مالوك الأطراف أن يكونوا للمالوك على
النشر كبر أعوانا وإن يمثل أمر نبينا بحمل على الله عاياه وسلم في أن يكونوا بانيانا وبعضه واساسي ويلبوه إذا دعا ولا
يقعدوا عن المهادنة في فتح البيت المقدس الذي طالبت النفوس عن ثاره وطأ طأت الرأس تحت عارده وصارت القلوب
مجرة لا ترق على مخبرته والعراغم قاصية عن تطهير اقصاه من رجس الشر وكعمرته فان قدعت بهم العراغم وأخذتهم
في الله لومة لائم فلا أكل من أن لا يكونوا أعوانا عليه يلقونه عن قصده حريصين على اتصال المكره إليه قال ابن
شذاد لما وقعت الواقعة الأولى مع الحلبين والمواصلة كان سيف الدين صاحب الموصل على شجيرة بمصر أخاه عماد
الدين يقصد أخذ هامته ودخوله في طاعته وكان أخوه قد أظهر الانتماء إلى المظالم صلاح الدين واعتصم بذلك واشتد
سيف الدين في حصار المكان وضر به بالمنيح حتى استسلم من سورة ثم كثيرة وأثر على الأخذ فبانه وقوع هذه
الواقعة ثلثان أن بلغ ذلك أخاه فشد أمره وبقوى حاشه فراسله في الصلح فصالحه ثم سار من وقته إلى نصيبين وأهزم
بجمع العساكر والاتفاق فيها وسار حتى أتى الفران وعبر باليرة وخيم على جانب الفرات الشامي وراسل كمشتمكين
والمالك الصالح حتى تستقر قاعدة يصل عليها اليهم فوصل كمشتمكين إليه وجرت مراحعات كبيرة عزز فيها على
العدوم أرا حتى استقر اجتهادهم بالملك الصالح وسار به وسار ووصل حلب وخرج الصالح إلى لقائه بنفسه فالتقاءه
قرب القلعة واعتنقه ووجهه إليه وبكى ثم أمره بالعودة إلى القلعة فعاد إليها وسار هو حتى نزل بعين المباركة وأقام بها
مدة وعسكر حلب يخرج إلى خدمته في كل يوم وعدد القلعة جريرة وكل فيها خبزنا ونزل وسار إلى أرسلا إلى تل
السلطان ومعه جميع كبير وأهل ديار بكر والسلطان رحمه الله قد أنفذ في طلب العساكر من مصر وهو رقب
وصولها وهو لا يتأخرون في أمورهم وتدابيرهم وهم لا يشعرون أن التأخير تدمر حتى وصل عسكر مصر فسار رجه
الله حتى أتى قرون حماد فبلغهم أنه قد قارب عسكرهم فأخبروا بالبرك ووجهوا من كشف الأخبار فوجدوه قد وصل
جريرة إلى جباب الترك كان يترقب عسكره يسبق فأوآراد الله نصرته لم يقصدوه في تلك الساعة لكن مصر وأعليه حتى
سقى خيله وهو عسكره واجتمعوا وتعبوا وتعبوا القتال وأصبح القوم على مصاف وذلك بكره المجلس العاشر من شوال
فالتقى العسكران وتصادما جرى قتال عظيم وأنه كسرت مصره السلطان بآب زين الدين بن مظفر الدين كان في
معية سيف الدين وحمل السلطان بنفسه فأنكسر القوم وأسر منهم جمعا عظيما من كبار الأمراء منهم الأمير خضر الدين
عبد المسيح بن عليهم وأطلقهم وعاد سيف الدين إلى حلب فأخدمها خزانة وسار حتى عبر الفرات وعاد إلى بلاده
وامسك وهو رجه الله عن تتبع عسكره ونزل في بقية ذلك اليوم في خيم القوم فأنهم كانوا قد أثبتوا الثقل على ما كان عليه
والطابع عاتق ففرق الاصطبلات ووعب الخزائن وأعطى خيمة سيف الدين عز الدين فرخشا وقال الحمد لرحلنا
في شهر رمضان من سنة شق مستأنفين فعبرنا العاصي الله طاعين وإلى المسار مسارعين فاعرجنا على بلد ولا نتظرنا

في اخبار (٢٥٥) الدولتين

ما وراءنا من مدد ونزلنا العسولة وجزنا جاهد وخيمنا في مرج بوتيس وجاء الخبر انهم في عشرين الف فارس سوى سوادهم وما وراءهم من امدادهم وانهم موعودون من الفرنج بالعبدة وانهم يزيدون في كل يوم قوة وشدة وما كان اجتمع من عسكر ناسوى الف فارس فرتب السلطان عسكره وقوى بقوة قلبه وأمد الله بحزب ملائكته حربه ولما وصل المواصلات الى حلب أطلقوا من كان في الاسر من ملوك الفرنج منهم طرناط ابرس الكرك وكجوساين خال الملك وقزروا معهم ان يدخلوا من مساعدتهم في الدرك فلما عينا وصل الى السلطان الخبر بوصفهم الى قل السلطان فغيرنا العاصي عند شيزر ورزينا العسكر وأعدنا الاثقال الى جناه ثم وصف الوقعة الى ان قال وركب السلطان أكتافهم فسل مشيمم والا فاهم حتى أخرجهم من خيامهم وأشرفهم بانهم وركب السراشق سيف الدين غازي ومضارب ابن أخيه فرشاه وركض وراءه حتى علم انه تعداه ووقع في الاسر جماعة من الامراء المقتدئين ثم من عليهم بالخلع بعد ان نقلهم الى جناه وأطلقهم ثم نزل في السراشق السيفي فسلمه بخزائنه ومجاسمه واحضرت لانه ومطابقته ورواسى عزه ورواسخه فبسط في جميع ذلك ايدى الجود وفرقه على الحضور والشهود وأبقى منها نصيبا للارسل والوفود ورأى في بيت الشراب بل في السراشق الخاص طيور من الهامرى والبلابل والهزار والبعثا في الاقفاص فاستدعى أحد الندماء مظفر الاقرع فأنسه وقال خذ هذه الاقفاص وادخل بها الخناص واذهب بها الى سيف الدين فأوصلها اليه وسلم ما عليه وقل له عد الى اللعب بهذه الطيور فهي سلمية لا توقعك في مثل هذا الخذور قال ولما كسر القوم طورا مدبرين الى حلب فلقب بعضهم على بعض ونزلوا ان العساكر وراءهم ركضوا وراءه وكش فميجت خيموهم وتموجت سيموهم وما صدقوا كفى يصاون الى حلب ويغلقون أبوابها ويسكنون اضطرارها وأما سيف الدين فانه ركض في يومه من تل السلطان الى براعه وجاوز في سوقه الاستطاعة وفرق وفارق الجماعة وفي كتاب ابن أبي طي ان مسرة سيف الدين انكسرت ففكر الى جانبها لكون ردا لها ومدا فقلن باقي العسكر انه قد انزمت فانه زوالا فحق ما كان وهما فسار على وجهه لا يوازي على شئ وبقيهم السلطان في تلك منهم جماعة قتلا غرقا وأسر جماعة كثيرة من وجوههم وأمر انهم ثم رجع وأمر ان يغلبه برقع السيف عن الناس وترك التعرض لمن وجد منهم يقتل أو يهبط وفرق ما وجد في خزائن سيف الدين وسير جواريه وحفظا يا الى حلب وأرسل اليه الاقفاص وقال له عد الى اللعب بهذه الطيور فانها الذم مقاسا ناله الحرب ووجد السلطان عسكر الموصل كالحانة من كثرة الجور والبرابطة والعيوان والجنوك والمغنيين والمغنيات قال واشترانه كان مع سيف الدين أكث من مائة مغنية وان السلطان أرى ذلك لمساكره واستعاذ من هذه البلية وكان أنفذ الامراء الذين أسره من الى جناه ثم ردهم وخلع عليهم وأرسلهم الى حلب وهذا الهامد للسلطان بقصيدة منها

فالحمد لله الذي أفضاله * حاول الجني على السنة اوضاحه
عاد العبد في ظلمة من ظلمه * في ليل ويل قد خيم مصباحه
وجنا عليه جهله بوقوعه * في قبضة البازي فهرض جناحه
جل السلاح الى القتال وما درى * ان الذي يميني عليه سلاحه
أخشي يريده واصل به مسدوده * وغدا يدركه ناءه مداحه
ان أفسد الدين الفسلة يمتهم * فالناصر الملك الصلاح سلاحه
قد كن عز منك لاله معي * فقيم فلاح كبارت فلاحه
وكاني بالساحل الاقصى وقد * ساحت بهر دم التربة ساحه
فاعبر الى القوم الشرار ليسروروا السموت الاجاج * فقد طوى طفاحه
لثقتك من أيديهم رهن الرها * عيلا ودرك ليلها اصباحه
وابغوا لحران الخلاص فكيفها * حران قلب فتوهم ملتصاحه
نجوا البلاد من البلاء بعدلكم * فالظلم ياد في الجنيع صراحه
واستقيروا ما كان من مستغلق * فيما فر بكم لكم فتاحه

كتاب (٢٥٦) الروضتين

أنتم رجال الدهر بل فرسانه * ولدى الحلو الطائشات رجاحه
فتكاه نساك مضراره * نفاعه مناعه مناحه
وأبو المظفر يوسف مطعمه * مطعانه مقدامه بججاحه
وإذا انتدى في محفل خفيه * وإذا غدى في محفل قوفاحه
قال وكان لعزيز الدين فرخ شاه في هذه الواقعة يد بيضاء وهو بحسب الفضل وأهله باعث للخواطر على مدحه بيده فتنظرت
فيه قصيدة منها

نصر أنار المالككم برهانه * وعلا دلالة شائتيكم شانه
ما أسعد الاسلام وهو مظفر * وأبو المظفر يوسف سلطانه
المالك من فروع لكم مقادير * والعدل موضوع بكم ميزانه
والدهر لا يأتي بغير مرادكم * فهل القضاء لا جاك جريانه
وكان الله في أحكامه * فلك على ابشاركم قدورانه
فخر ابن أيوب ان فخاركم * بد الملوكة السابقين رهانه
بكي حسودكم اعتقالاته * فكانما أشجائه أسجانه
الدين عز الدين عز بنصركم * والكفر ذل يعونكم أعوانه
قد كان يشكم كبحر زاهر * والألايسون جوارشنا حيتانه
قطب الحسب لهم عليهم بصركم * بأسا وعرف فلككم طوفانه
فضل الملوكة الأكرمين بفضلهم * فعلا زمانهم البعج زمانه
في فضله في عدله في حلمه * صدقه فاروقه عثمانه
هو في السامح وفي اللقاء عليه * هو في العاف وفي التقي سمانه
من آل شاذي الشائدين لمجده * بينيه رعا عاليا بنيانه
بيت من العلياء سام شاق * بيتي على كبرياء البروانه
يا مالبا السجيان من أربابها * ومن البناء مصوغه تيجانه
والجسد مال أنتم بذاته * والمال جسد أنتم خزانه

قال ثم ان صاحب الموصلي أسرع عودته وواصل لدته والحلبيون أوثقوا الاسباب وغلقوا الابواب وسقطوا
في أيديهم حين أفرطوا في تعديهم وتمشوا للخصار وخافوا من البوار وتسلطوا وتلذذوا وتجادوا ثم تجلدوا وقال ابن
سعدان الحلبي من جملة قصيدتي في السلطان بهذه الكسره

وما شئت قوم حين قت عليهم * غداة التقي الجمعان انك غالب
ولو لم تعد تلك المقاتل لا غتدي * لنفسك في نفس العدو مقاتل

قال ابن أبي طي وأما سيف الدين فإنه امتدحت به الهزيمة إلى نزاعه فأقام بها حتى تلاحق به من سلم من أصحابه
ثم خرج منها حتى قطع الفرات وصار إلى الموصل وصار إلى عسكر حلب إلى حلب في سبع شوال في أقيص حال وأسرته
عسرة حفاة فراء يتسلطون على نقض الأيمان والعهود وخاف أهل حلب من قصد السلطان بهم فاختدوا
في الاستعداد للخصار وجاء السلطان وخرج عليها أياما ثم قال الرأى ان تقصد ما حوشها من الحصون والمعاقل والقلاع
فنهضها فاننا إذا فعلنا ذلك ضعفت حلب وهما أمرها فصوروا رأيهم فزروا على نزاعه فقبلها بالامان ولا هاعز الدين
خشترين الكردي

(فصل) في فتح جملة من البلاد دخول حلب قال العماد ثم نزل السلطان على حصن زراعة وتسلم في الثاني
والعشرين من شوال ثم فتح معج في التاسع والعشرين منه وكان فيه الأمير قطب الدين شال بن حسان والسلطان
لا يزال به احسان بل كان في عسكر الموصل اليه أقوى سبب ولا يمازحه ولا يحفظ معه شرط أدب وبراهمه بما

في أخبار (٢٥٧) الدولتين

يكره فسلم القلعة فيها وقومها كان سماء ثلثمائة ألف دينار منها عشرين ألفاً ومصدوع ومصدوع ومصدوع ومصدوع وغلات وسامه على أن يتقدم فاني وألف وكبرت نفسه فتعبر سره وشعب ما جمعه ومضى إلى صاحب الموصل فاقطعه الرقة فبقى فيها إلى أن أخذها السلطان منه مرة ثانية في سنة ثمان وسبعين قال العماد

نزولك في منسج * على النفر المهيج * ونجحك في المرقى * ونجحك في المرقى
دليل على نفع ما * نضاول أوترقى * أمورك فيما ترو * مواضع المهيج
وشأنك داني الشؤ * من منك شقي شجي * ومن كان في حصنه * ومن قبل لم يضرج
يقال له ليس ذا * بعشك ثم قادرج * قرأ بك يستزل السجج * نجح من الإبرج
فجعل عبور الفراء * تأسروا سرور الخ * وعجج بحور البلا * وعن غيها عرج
خسران الرقة * ن تاليسما نهيج * وجل عن المسمين ليلهم المديج

قال ابن أبي طي لما ملك السلطان منجج وتسلم الحصن بعد إليه وجلس يستعرض أموال ابن حسان ونخارته فكان في جملة أمواله ثلثمائة ألف دينار ومن الفضة والاثنية الذهبية والاسلحة والذخائر ما يناهز ألفي ألف دينار فكان من السلطان الثقلانة فرأى على الأيكاس والاثنية مكي وبابوسف فسأل عن هذا الاسم فقيل له ولد يعبه ويؤثره اسمه يوسف كان يتجره هذه الأموال له فقال السلطان أنا يوسف وقد أخذت ما خبي في فتجب الناس من ذلك قال ولما فرغ من منجج نزل على عزاز ونصب عليها عسنة بجنايق وجد في القتال وبذل الأموال قال العماد ثم نزل السلطان على حصن عزاز وقطع بين الحلبيين وبين الفرس الجواز وهو حصن متيع رفيع شامسة ثمانية وثلاثين يوماً وكان السلطان قد اشفق على هذا الحصن من موافقة الحلبيين للفرس فان الغيط جعلهم على مهادة الفرس وأطلق ملوكهم الذين تعبر نور الدين رحمه الله في أسرهم فرأى السامان أن يحتاط على المعاقل ويصونها صون العقائل فسلمها إحدى عشرة ألفاً بعد مدة حصارها المذكورة وقال العماد فسميها

أعطاه رب العالمين دولة * عزاه أهل الدين في اعزازها
حازا على بأسه وجوده * وهو الحق باختيارها
بجده أفي كنوزا في الس * ملوك في المجد على اكتنازها
مهلك أهل الشر لطرارهمها * أرمها الفرج بها اختيارها
تفانرا الاسلام من سلطانه * تفانرا الفرس بابرا وازها
تمن من فتح عزاز نصره * أوتعت العداة في اهتزازها
واليوم ذلت حلب قائمها * كانت تنال العزم من عزازها
وحلب تني كشتكينا * كما انتفت بغداد من قيامها
برزت في نصر الهدى بجمه * وضوح نعيم الحق في ابرازها
كما حمل الرمح غادمها * عجزت وزالحى عن عكازها
أرفع حفاطها من حشيشه * وعسدهن هازها لمازها
والشعر لا يؤله من باعث * كناية ليل الهمهازها

قال وأغار عسكر حلب على عسكنا فمدهم ما منع على عزاز فأنفذوا على غز وغيلة ما تجمهروا وعادوا فركب أصحابنا في طلبهم فألدر كوكا الأفراس واحد أفراس السلطان بقطعه به يتركه فقلت لأمرور ذلك سمع من السلطان تمهل ساعة له ليقبل متى شفعاه ثم قلت هذا لا يحل وقد ركب ليل دنك عن هذا ليجل وما زلت أكر عليه الحديث حتى تبسم وعادته طلته ورحم وأمر بجسسه وسرى سلامة نفسه ودخل ناصر الدين بن أسد الدين وقال ما هذا الشغل واللونا وإن سكتكم أتم فما أسكت أنا ودمدم وزجر وغضب وزير وقال لا يفتل هذا الرجل ولما اعتقل فوعظ له السلطان واستعطفه وسكن غضبه وتعطفه وتلا عليه ولا تزر وازرة وزر أخرى وأطلق سراحه وتم في نجاته فجماعه

كتاب (٢٥٨) الروضتين

﴿فصل﴾ في وثوب الحشيشة على السلطان مرة ثانية على عزاز وكنات الاولى على جلب قال العماد
وفي حادي عشر ذي القعدة قفز الحشيشة على السلطان ليلة الأحد وهو نازل على عزاز وكان الامير جاولي الاسدي
خفية قريبة من الخنيجات وكان السلطان يحضر فيها كل يوم لمشاهدة الآلات وتزيب المهمات وحض الرجال
والحدث على القتال وهو باربع ياديه قارع على الدهر بكف عوادهيه والحشيشة في زى الاجندة وقوف والرجال
عنده صفوف اذ قفز واحد منهم فضرب رأسه بسكينه فعاثه صفا فالحديد المدفونه في لفته عن سكينه ولحقت
المدية بخنده فلدسته ففوى السلطان قلبه وحاش رأس الحشيشي اليه وجسديه ووقع عليه وركبه وأدركه سيف
الدين بازكوج فاحسده حشاشة الحشيشي بوضعه ووقطعه وجاء آخر فاعترضه الامير داود بن مذكلا فقتله وجرحه
الحشيشي في جنبه فمات بعد أيام وجاء آخر فعاثه الامير على بن أبي الفوارس وجمعه من تحت ابطيه وبقيت يد
الحشيشي من ورائه لا يتحرك من الضرب ولا يتأني له كشف ما عراه من الكرب فنادى اقنوني معي فقد قتلتني
واذهب قوتي وأذهلني فطعنه ناصر الدين بن شيركوه بسيفه وخرج آخر من الخيمة منهزما وعلى الفتك بين
يعارضه مقدما فثار عليه أهل السوق فقطعوه وأما السلطان فانه ركب وجاء الى مرادقة وقد خرجه الحادث وفزع
الكارث وصوبه جهوري وزئير قسوري ودم خنده سائل وعطوف روعه مائل وطوق كراخنده بتلك الضربة
مفكوك وخرج سلامته مساوك وكان سلاسله وأقام القوم قيامه ومن بعد ذلك رعب ورهب واحتشز
واحتجب وضرب حول مرادقة على مثل خشب الحركاه نازرا ووقفه تحسيرا وجلس في بيت الخشب وبرز
الناس كالحجج وما صرف الامن عرفه ومن لم يعرفه صرفة واذا ركب أو يصرن لا يعرفه في موكبه أبعد شمائل
عنه فان كان مستشفعا أو مستعدا لاسعفه وأسعده ومن كذب فأنلى الى العادل (السلامة شمالي والراحه بجذائنه
لجسم الثوب بالنصاري حاصله ولم يله من الحشيشي الملعون الاخذش قطرت منه قطرات دم خفية انقطعت
لوقتها واندمت لسانها والزكوب على رسمه والحصار لعزاز على حكه وليس في الامر بمجداله ما يضيق صدره
ولا ما يشغل سرا وقال ابن طي ما فتح السلطان حصن براعة ومنيع أيقن من محلب يخرج ما في أيديهم من المعامل
والقلاع فعداوا الى عادتهم في نصب الجبائل للسلطان فكاتبوا سادنا صاحب الحشيشة من ثابته ورغبوه بالاموال
والماء ودعواهم على انقاذهم بذلك بالسلطان فأرسل الله الله جماعة من أصحابه فجاءوا بزي الاجناد ودخلوا بين
السلطان وبينما جالس في خيمة جاولي والحرب قائمه والسلطان مشغول بالنظر الى القتال اذ وثب عليه أحد الحشيشية
وضربه بسكينه على رأسه وكان رحمه الله مخترا خافه من الحشيشة فلا يترع الزردية عن يديه ولا صفا فالحديد عن
رأسه فلم تصنع ضربة الحشيشي شيئا المكان صفا فالحديد وأحس الحشيشي بصفا فالحديد على رأس السلطان
فشدته بالسكينه الى خند السلطان بفرجه وجرى الدم على وجهه فتقطع السلطان لذلك ولم أر الحشيشي ذلك
هجم على السلطان وجذب رأسه ووضعه على الأرض وركب به ليخبره وكان من حول السلطان قدامهم دشتا فخذت
بعضوفهم وحضرت في ذلك الوقت سيف الدين بازكوج وقيل انه كان حاضرا فاختلط بسيفه وضرب الحشيشي
فقتله وجاء آخر من الحشيشية أيضا بقصد السلطان فاعترضه الامير مذكلا الكريدي وضربه بالسيف وسبق
الحشيشي الى مذكلا فجرحه في جبهه وقتله مذكلا ومات مذكلا من ضربة الحشيشي بعد أيام وجاء آخر من
الباطنية فحصل في سهم الامير على بن أبي الفوارس فهاجم على الباطني ودخل الباطني فيه لضره فاخذ على
تحت ابطيه وبقيت يد الباطني من ورائه لا يتحرك من ضربه فصاح على اقنائه واتصلوا معه فجاء ناصر الدين محمد
ابن شيركوه فطعن بطن الباطني بسيفه وما زال يخنضضه فيه حتى سقط ميتا ولجأ ابن أبي الفوارس وخرج آخر
من الحشيشية منهزما فلقبه الامير شهاب الدين محمود خال السلطان بالباطني عن طريق شهاب الدين فقتله
أصحابه وقطعوه بالسورف وأما السلطان فانه ركب من وقته الى مرادقة ودمه على خنده سائل وأخذ من ذلك الوقت
في الاحتراس والاحتراز وضرب حول مرادقه رجاء من الحشيش كان يجلس فيه وسام ولا يدخل عليه الا من يعرفه
وبطلت الحرب في ذلك اليوم وخاف الناس على السلطان واضطرب العسكر وخاف الناس بعضهم من بعض فاجلأت

في اخبار (٢٥٩) الدولتين

الحال الى ركوب السلطان لشاهد الناس فركب حتى سكن العسكر وعاد الى خيمته وأخذ في قتال عزازة فانه امدته ثمانية وثلاثين يوما حتى عجز من كان فيها وسألو الامان فسلمها احادي عشر ذي الحجة وصعد اليها واصطحبها ثم قطعها لابن اخييه تقي الدين عمرو وكانت عزازة واللقية غلام نور الدين فاما ملك السلطان منيخ أخذها منه الملك الصالح وقرأها لعملة يحفظها من الملك الناصر فلم يبلغ ذلك وما فرغ السلطان من أمر عزازة قد علم من يحب لها فبعها من أمر الحشيشة فصار حتى نزل على حلب خامس عشر ذي الحجة وضربت خيمته على رأس الباروقية فوق جبل جوشن وجبى أهواها واقطع ضياعها وضيق على أهلها ولم يشعرك عسكره في مقاتلتها بل كان يمنع أن يدخل اليها شيء أو يخرج منها أحد وكان سعد الدين كشتكين في حارم وكانت اقضاعه في يد نوابه وكان انتزعها من يد أولاد الدابة بعد أن عصى نائبها وكان سبب خروجه اليها ان السلطان لما نزل على عزازة خاف كشتكين أن ينقل منها الى حارم فخرج اليها فلما نزل السلطان على حلب ندم كشتكين على كونه خارجا في حارم وخاف أن يعجز بين السلطان وبين الأمراء الحليين صلح فلا يكون له فيه ذكروا اسم فراسل السلطان يتلطف معه الحال ويقول لو فتح في في الدخول الى حلب سارعت في الخدمة وأصلحت الأمر على ماير ومه السلطان وراسل ايضا الملك الصالح والأمراء يحبونهم قد صلت خارجا وقد بلغتني أمور ولا بد من طلب من الملك الناصر لما أذن لي في الأخير وروا اليك فان الذي قد حصل عندي لا يمكنني الكلام فيه فراسل الملك الصالح السلطان في الانذار له في الدخول الى حلب فأذن له وطلبوا الرهائن منه فانفذ السلطان اليهم رهينة شمس الدين ابن أبي المضا الحطاب والعماد الكاتب الأنشأ وأنفذوا من حلب الى السلطان رهينة نصرية الدين ابن زكي وحكي العماد الكاتب قال المصنف لما دخل حلب أخذنا رأي العدل ابن الجبجي وجعلنا في بيت ومنع منا غلبتنا ولم يحضر لنا طعام ولا مصباح وبتنا في انكد عيش وفي تلك الليلة دخل كشتكين الى حلب فلما أصبحوا أحضرت أنا وابن أبي المضا الى شمس الملك الصالح وكان عنده ابن عمه عز الدين مسعود بن مودود وجماعة من أرباب الدولة وكان صاحب الكلام العدل ابن الجبجي فاخذنا نتحدث بلغة وبتبرجهم بليكنته ويضرب صيحا عني ويوهما للجماعة اني واني

ومادري الغمر بأني أمرو * أمير التسيير من الترب

قد عارك الأهوال حتى غدا * بين الوري كالصارم العضب

قد اراضه الدهر فلو أمه * ينطيه ماريع القطب

قال وعرضت نسخة العين علينا وصرفنا ولم يلبثت لنا فاما سارا الى السلطان واخبراه بما جرى في حقهما من الهوان على ان ذلك كان حيلة عليه حتى دشبل كشتكين الى حلب فأطاع نصرته الذين وقال أهل حلب ولم يزل متنازلا لحلب الى انسلاخ سنة احدى وسبعين وخمسمائة ثم كان ما سيأتي ذكره

(فصل) في وقایع حوادث هذه السنة ودخول قراقوش الى المغرب قال العماد في سابع شوال وصل أخو السلطان شمس الدولة من العين الى دمشق وذكر ابن شداد انه قدم في ذي الحجة قلب ولما سمع السلطان بشده ومه أرسل اليه بالمثل الفاضل كتاباؤه (أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا) وقال في آخره (ولقد أحسن عدنان المبشر اذ طلع علينا بطوع البقر قبل شمس وغفر من في القلوب ما يسرنا ويسر حتى غرسه) قال ابن أبي طي كان سبب خروجه من العين كراهية البلاد والشوق الى اخيه الملك الناصر وان يرى مآواك الشام ويخبرها وأمر العساكر بما أنعم الله به عليه من النعم والاموال قال وحكي انه لما تعدت الشام بخرج شمس الدولة من العين كان باين رجل يقال له عباس وكان صهر ياسر بن بلال الحبشي صاحب سعدن وكان بين عباس وياسر عداوة فاقبل عباس نأيا على لسان ياسر وزير عليه علامته الى زيد بن عمرو بن حاتم صاحب صنعاء يقول فيه ان شمس الدولة سائر الى أخيه الملك الناصر الى الشام وسبب خروجه من صنعاء عن العين فامسكوا ما كنتم تهمزون اليه من الاتاة والرشوق لكم واستمال حتى وصل الكباب الى شمس الدولة وكان نازلا على حصن يعرف بالحضرا يحاصره فلما وقف شمس الدولة على الكباب استدعى ياسر وقال له هذا خطك وعلامتك قال كانه هو قال باي شيء استعقت منك هذا وقد قرئت منزلك وأبقيت عليك بلادك ورفعت بضبعك على أهل اقليمك وأرأه الكباب فلما وقف عليه ياسر حلف انه

كتاب (٢٦٠) الروشدين

ما كتبه ولا يعرفه ولا املا ولا حد ولم يعلم خبره فلم يصدقه شمس الدولة وأمر به قتل بين يديه مسيرا فهاب شمس الدولة مسلولاً بين وجنائه الى الاموال وحلته واله على الطاعة ثم ان شمس الدولة تخرج الى خاتمة وتوجه الى الشام واستخلف على خاتمة سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ وعثمان بن علي الزنجي على عدن وتوجه الى حضرموت ففتحها واستناب عنه بهار جلال كرمي بهي هارون وكان قنصله بشام واستقر الكردى بهامة ثم ان صاحب حضرموت تفرج وتجمع فقتل وعاث هارون في تلك البلاد واستقام أمره وولى شمس الدولة نفعه بمملكته باقوت وجعل اليه أمر الجند وولى قلعة بعكر بمملكته قايم ازا قال وكان وصول شمس الدولة الى السلطان قبل وقعة الموصلية وكسرتهم وكان شمس الدولة هو سبب الظفر واعطاه السلطان سراق سيف الدين صاحب الموصل بما كان فيه من الفرس والاثاث والالآت وولاه دمشق واعمالها والشام وأمره ان يكون في وجه الفرس لان السلطان خاف من الحلبيين ان يكاتبوا الفرس كعادتهم قال وفيه اقل صديق بن جولة صاحب بصري وصرخند قتله ابن أخيه وملك بعده بصري وصرخند ثم رافضكاتبه شمس الدولة أخو السلطان وحلف له على ما يريد من اقطاع واقترع شمس الدولة ان يكتب هو ما يريد له ليجعل عليه فانفذ من بصري نسخة من كتبها قاضي بصري وكان قليل المعرفة بالفتنة والنصر في القول فلم يستقص فيها وجوه التأويل فلما استوفى بها من شمس الدولة خرج اليه أو ثل عليه شمس الدولة في الجبين وقبضه ثم اقطعه عشرين ضبعة ثم أخذها منه بعد ان قتله قال وفيها عصى الأمير غرس الدين قليج بل خال بسبب كلام جرى بينه وبين كشتكين فانفذ اليه من حلب عسكر الخصاصر وأياما وسلم الحصن وصحبت حاله قال ولما خلا شمس الدولة الى نفس بن أخيه بقي الدين الى الملك وجعل يرتاد مكانا يحتوى عليه فأنشبر ان قلعة الزبري هي فمدراب المغرب وكانت خرابا فأشبر عليه بعمار ثم اقبل له متى عمرت وسكن الجناد فأوراء شيخان ملك بركة واذا ملك بركة ملك ماوراءها فانفذ اليه بقاء الدين قراقوش وقدمه على جماعة من احبائه ومالكيه فصار الى القلعة المذكورة وشرعوا في عمارتها واجتمع قراقوش رجل من المغرب فحدثه عن بلاد الجريد وفران وذكره كثر خبرها وغزارتها وأهلها وضعف أهلها ورغبه في الدخول اليها فأخذ جماعة من أصحابه وسار في حادي عشر الحزم من هذه السنة فكان يكن الثمار ويسير الليل مدة خمسة أيام وأشرف على مدينة أوجلة فلقه صاحبها واكرموا احترامه وسأله المقام عنده ليعضديه ويروجه بشه ويحفظ البلاد من العرب وله ثلاث ارتفاعا ففعل قراقوش ذلك فحصل له من ثلث الارتفاع ثلاثون ألف دينار فأخذ عشرة آلاف لنفسه وفرق على رجاله عشرين ألفا وكان الى جانب أوجلة مدينة يقال لها الازراقية فبلغ أهلها صنيع قراقوش في أوجلة وأنه حرس غلاطهم فصاروا اليه موصيه واليه بلدهم وكثرة خبره وطيب هوأله ورغبوه في المصير اليهم على انهم يملكونه عليهم فأجاب على ذلك واستخلف على أوجلة رجلا من أصحابه يقال له صباح وعده تسعة فوارس من أصحابه فحصل قراقوش أموال كثيرة واتفق ان صاحب أوجلة مات فقتل أهل أوجلة أصحاب قراقوش فجاء قراقوش وحاصرها حتى اقتحمها عنوة وقتل من أهلها سبع مائة رجل وغنم أضيحا بد منها غنيمة عظيمة واستولى على البلد ثم ان أصحابه رغبوه في الرجوع الى مصر وخشى قراقوش ان يقم وحده فرجع معهم فلما حصل بمصر طاب له المقام وثقل عليه العود ووجه في الدين باحدى واربع وكان استناب بأوجلة وقال لاها أنا أمضى الى مصر ليجدد رجال وأعوان ليكم قال ابن الأثير وفيه ما يبيع الاتحاضور سيف الدين صاحب الموصل جلال الدين أبي الحسن على بن جمال الدين الوزير رحمه الله تعالى وقدمه مكنه في ولايته فظهرت منه كفاية في نظم الناس وبدا منه معرفة بقرعة الدول وأوضاع الدواوين وتقرير الامور والاطلاع على دقائق الحسابات والعمل بصناعة الكتابة الحسابية والانشاء حيرت العقول ووضع في غاية الانشاء وضعا لم يعرفوه وكان عمره حين ولي الوزارة ثلثا وخمسين سنة ثم قبض عليه في شعبان سنة ثلاث وسبعين وشفع فيه كمال الدين بن بلسان وزير صاحب آمد وكان قد زوجه بنته طاطوق وسار اليه وبقى بامام يسير امره بضائع فارقتها وتوفي بدينير سنة أربع وسبعين ووصل الى الموصل فدفن بها ثم شمل منها في موسم الحج الى المدينة ودفن عند والده وكان من أحسن الناس صورة ومعنى رحمه الله تعالى

قال ثم ان سيف الدين استناب دزدان بالقلعة الموصل الأمير مجاهد الدين قايم ازا في ذي الحجة سنة إحدى وسبعين ورد

في اخبار (٢٦١) الدولتين

اليه أزمه الامور في الحبل والعقد والرفع والخفض وكان بيده قبل هذه الولاية مدينة أربل واعمالها معه فيها الصغير
 زين الدين على لقيه ابيصان بن الدين فكان البلد لولدين الدين اسماعيل معني بخته وهو لمجاهد الدين صورة ومعني قلت
 وفيها حادي عشر رجب توفي حافظ الشام أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر صاحب التتار شيخ الدمشقي رحمه الله
 تعالى وحضر السلطان صلاح الدين جنازته ودفن في مقابر باب الصغير وفيه بقاء دم دمشق أبو الفتح عبد السلام
 ابن يوسف بن محمد بن مقلد الدمشقي الاصل البغدادي المولود لثوبخي الجاهري الصوفي ابن الصوفي ذكره العماد
 في الخريدة وقال كان صديقي وجلس للوعظ وحضر عنده صلاح الدين وأحسن اليه وعاد إلى بغداد وذكر العماد
 من أشعاره مقطعات منها في الحقائق وأنشد هائي مجلسه

يا مالكا مهدي يا منتهى أملي * يا حاضر اشهاد في القلب والفكر
 خلقتني من تراب أنت خالق له * حتى اذا صرث تشالا من الصور
 أجريت في قالبى روحا منورة * ترفيه بكبرى الماء في الشجر
 جمعت بين صفى روح منورة * وهيكلى صفته من معدن كدر
 ان غبت فيك فيا فخري ويا شرفي * وان حضرت فيا منسى ويا بصري
 أو اخبجت فسرى منك في رله * وان طخرت قلبي منك في خطر
 تسدو فتحو رسومي ثم تبتها * وان تغيب عني عشت بالامر

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة * قال العماد والسلطان مقيم ببلد شرب فعرف أهلها ان العقوبة
 آتية والعاقبة وخيمة فدخلوا من باب التلذل ولاذوا بالتوسل وناطبوا في الفضل وطلبوا الصلح فاجابهم وعفا
 وعف وكفى وكفى وأبقى الملك الصالح حلب واعمالها واستقرى كل عترة لهم وأقالها واراد له اعزاز فرد عليه
 عزاز وقال ابن شداد أخر جو اليه ابنة نور الدين صغيرة سألت منه عزاز فوهبها لها قال ابن أبي طي لما تم الصلح
 وانعقدت الايمان عول الملك الصالح على مراسلة السلطان وطلب عزاز منه فأشار الامر عليه بانفاذ أخته
 وكانت صغيرة فأنجرت اليه فكرمها السلطان اكراما عظيما وقدم لها أشياء كثيرة وأطلق لها قلعة عزاز
 وجسم ما فيها من مال وسلاح وميرة وغير ذلك وقال غيره بعث الملك الصالح أخته الخاتون بنت نور الدين الى صلاح
 الدين في الليل فدخلت عليه فقاسم قائما وقبل الارض وبكى على نور الدين فسألت ان يردها لهم عزاز فقال سمعنا
 وطاعة فاعطاها اياها وقدم لها من الجواهر والخف والمال شيئا كثيرا فاتفق مع الملك الصالح ان له من حياه ومافتحه
 الى مصر وان يطلق الملك الصالح اولاد الداية قال العماد وحلفوا له على كل ما شرطه واعتمدوا على كل ما لم يخطئه
 وكان الصلح عامها م وللاواصله وأهل ديار بكر وكتبته في نسخة اليمن انه اذا غدر منهم واحد وخالف ولم يقف بما عليه
 حالف كان الرابون عليه يد او احده وعزيمته معاقبه حتى يفي بالرفاء والوفاء ويرجع الى من افقه الزفاق
 فلما انتظم الصلح ذكر السلطان ثاره عن الاسماعيليه وكيف قصده بتهلك البلية فرحل يوم الجمعة لعشرين
 من المحرم فحضر حصنهم مصيفان ونصب عليه الخيام والكبار وأوسعهم قنارا وأسر اسواق ابقارهم وخرب ديارهم
 وهدم اعمارهم وهدمك أسس ثارهم حتى شفع فيهم خاله شهاب الدين محمد بن تكتكش صاحب جهاد وكانوا قد راسوه
 في ذلك لانهم جيرانه فرحل عنهم وقد انتقم منهم قال وكان الفرغ قد أغار وعلى القلاع فخرج اليهم شمس الدين
 محمد بن عميد الملك المعز وفي باب المتقدم وهو متولى بعلبك ومقطع اعمالها ومدير أحوالها والمتحكم في أموالها
 فقتل منهم وأسرا أكثر من مائتي أسير واحضرهم عند السلطان وهو على حصن مصيفات فقتل منهم اثنان وعزرو
 الفرغ والانبعاث قال ابن أبي طي وهذا كبر الدواعي في مصالحة السلطان لسانا وخروجه من بلاد الاسماعيليه
 لان السلطان خاف أن تهيج الفرغ في الشام الاعلى وهو بعيد عنه فرمى بانه من البلاد بطائل فصالح سنانا وعاد
 الى دمشق قال العماد وكان قد خرج شمس الدولة الخواله اهلان من دمشق حين سماع الفرغ على الخروجه
 وبسطهم عند عين الجرف في تلك المروج ووقع من اصحابه عدته في الاسار منهم سيف الدين أبو بكر بن السلا ووصل
 السلطان الى جهاد وقد استكمل النظر واجتمع فيها بأخيه شمس الدولة ثاني صفر وهو أول لقائه بعد ما أزمع عنه الى

كتاب (٢٦٢) الروميتين

ابن السفر وتعاين الاخوان في الخيم بالميدان وتحدثنا في الحديثان وروعات الفراق ولوعات الاثواق وكان قد وصل الى السلطان من اخيه هناك عند مفارقتها بلاد الدين كتاب بخطه آياتا نظمها من شعر ابن النجم المصري اولها

الشوق أطلع بالقباب وأوجع * فسلام أدفع منه ما لا يدفع
وجئت من وجد الاحبة مفردا * ما ليس تحمله الاحبة أجمع

لا يستقر في النوى في موضع * الا تقاضى الترحل موضع
فالى صلاح الدين أشكوا نبي * من بعده ضنى الجوانح موجه

جزعنا بعد الدار منه ولم أكن * لولا هواه لبعد دار أخرج
فلا رصكن اليه متن عزائي * ويضرب ركب الغرام ويوضع

حتى أشاهد منه أساطيل طاعة * من ألقها صبح السعادة يطلع
قال العماد فسألني السلطان أن أكتب له في جوابها على رويها وزنها فقلت فذكر عميدة منها

مولاي شمس الدولة الملك الذي * شمس السيادة من سناه قطع
مالى سرك من الحوادث منجأ * مالى سرك من الزوائد مفرع

ولانت نحر الدين نحرى فى العلى * وملاذ أمانى وكنى الأرفع
الاجتهدك المحسنة موقعي * وألقه الملك عند مواعي

وبغير تبرك كمال أجوده من * ذلك المني متعذر مقنع
لاسر ان أقبلت نحرى مقبل * والبن ان أسرعت نحرى مسرع

قال ثم من زالى دمشق ووهبنا اليه اسابع عشر صفر وفوض ملك دمشق الى اخيه الملك العظيم شمس الدولة وعزم الى مصر السفر

في ذكر جماعته من الاعيان فحدثهم ما اقتضى ذكره في هذه السنة قال العماد في السادس من الحرم توفى بدمشق القاضي كمال الدين بن الشهرزورى وعمره ثمانون سنة لان مولده في سنة اثنى عشر وتسعين وأربعمائة

وكان في الايام النورية بدمشق والحاكم المصطفى صلاح الدين اذ كان يتولى الشخصية بدمشق وكان الدين يعكس مقاصده بتوجيه الاحكام الشرعية وربما كسر اغراضه وأبدى عن قبوله اغراضه ويتعصب في كل باهر فنهله

اغراضه وكم صبر على جهاجه بجله وراضه الى أن نقله الله سبحانه من نيابة الشخصية الى الملك وصار كمال الدين من قضاة مملكة المنتظمة في السلطان وكان في تلبية ما فرط فيه وافرط منه ما فات وقت تلاقيه فلما ملك دمشق

يجراه على حكمه ولم يأخذ بحججه واحترم زواجه وأكرم أعمامه وفتح للسر عبايه وضابطه واستحسن جوابه ولم يزل استعنته ويستمد يد ويعرض على رأيه ما يعيده ويريد به وكان ابن اخيه ضياء الدين ابن تاج الدين الشهرزورى قد

هاجر الى صلاح الدين بمصر في ريعان ملكه وأذنت بهجرت في دارك ارادت بادارة فلكه وأنتم عليه هناك بمنزلة

الذهب ومن دار الملك بمصر بدار الذهب ووفر حفظه من الذهب ومملكة دارا بالقاهرة فتفقت عليه حامية طيلة ورتب له وظائف ونصه بذاائف ووصل مع صلاح الدين الى الشام وأمر جاره على التنازل ولما اشتد بكسال الدين المرض

وكاد يفارق جوهرة العرض أرا: أن يبقى القضاء في ذويه فوصى مع حضور ولده بالقضاء لضياء الدين ابن اخيه علما منه بان السلطان يرضى حكمه لاجل سؤالاته ويجمع له عنده من عراند عوارفه ومات ولم يخلف مثله ومن شاهده شاهد

العقل والفضل كله بارا بالابرار مختارا للاختيار مستكملا لاكمال ما ضايف الاحكام وخذوا نورا الدين رحمه الله

ولده في أيامه وسد دمر اى مرامى وهو الذى سن دار العدل لتنفيذ احكامه بحضرة السلطان فلابقى عليه من غير ولا من لادى الشان وهو الذى تولى له بناء اسوار دمشق ومدارسها والبيمارستان فاستمرت عمارته واستقرت قاعدته

في دولة السلطان وتوفى ونحن بحلب محاصرون وذكر العماد في الخبر بدلالة يحيى الدين قصيدته في مرثيته منها

أوالا صفى قاسيون فسلما * على جدت يادى السناتور حوا
وبالرغم متى أن أناجيه بالنى * وأسأل مع عبد المدى من رسل

في أخبار (٢٦٣) الدولتين

لقد علمت منك البرية والدا * أحسن من الام الزوف وأرحم
ولاسما اخوان صدق بجميل * هم في سماء المجد والجد أنجم
نشرت لواء العدل فوق رؤسهم * فما كان فيهم من يضام أو يظلم
لقدت من الرحمن عفو ورحمة * كما كنت تعرف ما حيت وترحم

قال العماد وجلس ابن أعين به ضياء الدين مكانه وأحسن احسانه وابقى زاب ٤٠ وأخذ احكامه بما فذ حكمه وكان
الفقيه شرف الدين أبو سعد عبد الله بن أبي عصرون قد هاجر من حلب الى السلطان وقد أنزله عنده بمشق في ظل
الاحسان وهو شيخ مذهب الشافعي رضي الله عنه والاقوم بالفتيا وأعرفهم بمناقبه الشريفة من أمر الدين
والدنيا والسلطان يؤثران بقوض اليه منصب القضا ولا يرى عزل الضياء فافضى بسر مراده الى الاجل الفضائل
وكان الفقيه ضياء الدين عيسى بن عصب الشيخ فاستشعر الضياء من العزل وأشبه عليه بالاستعفاء ففعل فاعفى
وبقيت عليه الوكالة الشرعية عنه في بيع الاملاك قال العماد وأول ما اشترت منه بركة السلطان الارض التي
ييسن بقر الوحش التي بنت فيها المواضع من الحمام والدور والاصطبل والحان وكنت قد احكمت في الام لا يريه
فلما كتبها في الايام الصلاحية قلت قد شربت هذه الاماكن في سنة ثلاث وأربعين وسقاة بسبب الحسد واستمر
خراجها وعفت آثارها وصارت طريقا على خافق بردا وانت خارج من جسر الصفي خارج باب الفرج مارا الى ناحية
المسدان قال فلما استعفى ضياء الدين ابن الشهر زوري من القضاء فمضى في منصب القضاء الفقيه يعرف بالاولاد
داود بن ابراهيم بن عرب بن بلال الشافعي وكان يوب عن كمال الدين فأمره السلطان ان يجرى على راسه ويتصرف
في حكمه وكان السلطان لاجاء القضاء في البيت انز كرى مؤثرا ولذا كرمناقيه مكثرا وقد سبق منه الوعد للشيخ
شرف الدين بن أبي عصرون وهو راج وبطل بخازنة مناج فقوض اليه القضاء والحكم والانفاذ والامضاء على ان
يتولى محبي السن أو المال على عبد بن زكي الدين والا واحد قاضين في دمشق يحكمان وهما عن نيابة يوردان وبعد ان
توليا تم ما يتوقع من السلطان ولم يزل الشيخ شرف الدين ابن أبي عصرون متوليا للقضا منه بعد الحكم والامضاء سنة
اثنين وثلاثين في ولاية أخى السلطان الملك المعظم غفر الله له الى الشام تكلم الناس في ذهاب نور
بصره وأنه لا يقوم في القضاء ببرد وبدره فقوض السلطان القضاء بالاشارة الفاضلية الى ابنه محبي الدين أبي
حامد محمد كان نائب أبيه ولا يظهر للناس صرفه عما هو مراهيه واستمر القضاء الى انقضاء أشهر من سنة سبع
وثمانين ثم صرف واستقل به ابن زكي الدين فأقام في مدة ولايته للشرع والقواعد والقوانين وقوض ديوان الوقوف
بجامع دمشق وغيره من المساجد والمناهد الى أخيه محمد الدين ابن الزكي فتولا دالي ان انتقل من أعمال الوقوف الى
موقف اعتبار الاعيان وتولاه بعد أخوه محبي الدين على الاستقلال الى آخر عمره السلطان وبعده قلت وفيها
في صفر وقت السلطان قريظم بالاولى من حوران على الجماعة الذين يشتغلون بعلم الشريعة أو بعلم يحتاج اليه الفقيه
والحضر لسماع الدروس بالزاوية الشريفة من جامع دمشق المعروفة بالفقيه الزاهد نديم المقدسي رحمه الله وعلى من هو
مدبرهم هذا الموضع من أصحاب الامام الشافعي رضي الله عنه وبجمل النظار لقب الدين النيسابوري رحمه الله
ورأيت كتاب الوقف بذلك على هذه الضرورة وعليه علامة السلطان رحمه الله (الجلل لله توفيق) قال العماد وفيها في
ليلة الجمعة الثاني عشر من صفر ونحن في طريق الوصول الى دمشق توفي شيخنا الدين ابن الوز بن أبي الخطاب دمشق وهو
أول خطيب بدار مصر بدار ولاه الامام سيده وكان يتولى الرسالة الى ديوان العزيز وبقيته له العزاء ويحضره الكراماء
في كل عامهم وجوازهم ويبحث على مدبرهم ثم جعل السلطان همه وقرب ولاد وجبر بقر بيته بقره ثم عين ضياء
الدين ابن الشهر زوري بعده لارسالة الى الديوان وصارت منصبه بالافاقس عاينه واستقيت له هذه السفار الى آخر
العهد السلطاني وذلك بعد المضي الى مصر والعرد الى الشام فان بعد ذلك تناوب في هذا المرام فأما في هذه السنة فانه
كان في مسيرنا الى مصر في الضميمة وهومة وقد دالي بشفاعة المنجية وفيها في آخر صفر تزوج السلطان بالحنان المعروفة
عذبة الدين بنت الامير معين الدين انز وكانت في عهدة نور الدين رحمه الله فاما في فامت في منزله بقلعة دمشق
رفعة القدر وسنة ثمانية باعها كثيرة الصدقات والاعمال الصالحات فأراد السلطان حفظها من هدمها وصيانتها

كتاب (٢٦٤) الروستين

وعجمتها فأحضره شرف الدين ابن أبي عسرون وعدوله وزوجه أياها بحضرتهم أخوها لايها الأمير سعد الدين مسعود بن ابن زنها ودخل بها وابتاعها وقتل بسعد مسعودها وخبر بعد يومين إلى مصر وذكر العام بعد وفاة ابن الشهرزوري وابن أبي المفضا الأميره مؤيد الدولة بأخبار ما أسامته من مرشد بن سيد الملك إلى الحسن علي بن منقذ وعودته إلى الشام عند علمه بوصول السلطان فقال هذا مؤيد الدولة من الأمراء الفضلاء والكبراء الصكبراء والسادة القادة العظماء وقده تبعه الله بالعمرو طول البقاء وهو من المعسودين من شجعان الشام وفرسان الاسلام ولم تزل بنو منقذ ملكا شديرا وقد جعلوا السيادة والمختر والماتقربا لعقل منهم من تولاه لم يرد ان يكون معه فيه سواه فخرجوا منه في سنة أربع وعشرين وخمسمائة وسكنوا دمشق وغيرها من البلاد وكانهم من الاجداد الاجساد وما فيهم الا ذو فضل وبذل واحسان وعدل وما منهم الا من له نظم مطبوع وشعر مصنوع ومن له قصيدة وله مقطوع وهذا مؤيد الدولة أعرقه في الحبس وأعرفهم بالادب وكانت جرت له نبوة في أيام الدمشقيين وسافر إلى مصر وأقام هناك سنين في أيام المصريين فمقت نوبة قتل المنعوت بالناظر وقيل عباس وزيره أخوته وأقامه المنعوت بالناظر ومار في ذلك من المزاخر فعاد مؤيد الدولة إلى الشام وسار إلى حصن كيفا وقطن بها ولما سمع بالملك الصالح جاء إلى دمشق وذلك في سنة سبعين وقال

حدثت على طول عرى المشيا * وان كنت أكرت فيه الذنوبا

لا نحييت إلى ان لقيت بعسود العبد وصديقا حبيبا

قال وكنت أسع بضله وأنا بصيهان في أيام الشيبية وأشدني له مجد العرب العامري بأصفهان في سنة خمس وأربعين هذين البيتين وهما من مبهترات معانيه في سن قلعهما

وصاحب لأمل الدهر صحبته * يشقى لنفسي ويسعى سعي مجتهد

لم ألقه منذ صاحبتا حين بدا * لنا طرى افترقنا فرقة الابد

قال فاللقية به دمشق في سنة سبعين أنشدتها لنفسه مع كثير من شعره المبتكر من جنسه قلت ومن عجيب ما انتقى اني وجدت هذين البيتين مع بيتين آخرين المجموع أربعة أبيات في ديوان أبي الحسن أجد بن منير الاطرابلسي ومات ابن منير سنة ثمان وأربعين وخمسمائة قرأت في ديوانه وقال في الضرس

وصاحب لأمل الدهر صحبته * يسقى لنفسي وأجنى ضربه يدي

أدنى إلى القلب من سعي ومن بصرى * ومن تلادى ومن مالى ومن ولدى

أخسوا بيسى من خال بوجنته * مداده زائد التقصير للحد

ثم قال (لم ألقه منذ صاحبتا البيت) فالاشبه ان ابن منير أخذها وزاد عليها ولهذا غير فيها كلمات وقد وجدت هذا البيت الاقل على صورة أخرى حسنة (وصاحب ناصح لي في معاملتي) ويجوز ان يكون أسامة أنشدتها مع منسلا فنسب اليه لما كان مظنة ذلك ويجوز ان يكون اتفاقا والله اعلم قال العماد وشاهدت ولده عضد الدين بالأنوار من ههنا وهو جليس صلاح الدين وأينسه وقد كتبت ديوان شعر أبيه لصلاح الدين وهو لشعره به يفضل على جميع الدواوين ولم يزل هذا الأمير الأعظم من ههنا مصاحبا له بمصر والشام وإلى آخر عصره وتوطن بمصر فلما جاء مؤيد الدولة أنزله أرحب منزل وأورده أعذب منزل وملكه من اعمال المعرفة ضمنية زعم انها كانت قدما تجري في املاكه واعطاه دمشق دارا وادرا واذا كان به مشق جالسه وآتسه وذاكره في الادب ودارسه وكان ذاريا وتجربه وحكمة مهذبه فهو يستشير في اوائيه ويستشير برأيه في غيبابه واذا غاب عنه في غزواته كاتبه واعلمه بواقعه ووقعائه واستفخرج رأيه في كشف ههنا وحل مشكلاته وبلغ عمره ستا وتسعين سنة فان مولده سنة ثمان وخمسين وأربع مائة وتوفي سنة اربع وخمسين وخمسمائة قلت وقد تقدم من أخباره في قتل الاسد في شبينته أيام كونه بشير و ذكرت ايضا له ترجمة حسنة في تاريخ دمشق

(فضل) في رجوع السلطان إلى مصر خرج من دمشق يوم الجمعة رابع شهر ربيع الاول قال العماد لما استتمت

في اخبار (٢٦٥) الدولتين

للسلطان بالشام أمور عاكلة وأمن على مناهج أسره ومسالكة أزمع الى مصر الاباب وقد انحلت من بعده من جود
جود السحاب وتقدمه الامراء والملوك وخرج بك ذا الجعة ونزل بهج الصفر ثم رحل عنه قبل العصر الى قريب الصغين
وخرجت معه وقلبي مروع الى أهلي فانزلت منزلا انقذت أيبا تاقت لي يوم المسير وقد عبرت بالخيصاره

أقول ركب بالخيصاره نزل * أثروا الخالي في المقام نهار
هم رحلوا عنك الغداة وما دروا * بانهم قد خلفوك وساروا
حليف اشتياق لا يرى من يجمعه * وفي القلب من نار الغرام أوار
أجير وامن بالباوي فؤادي فعندكم * ذمام له يأسدني وجوار

وقلت وقد نزلنا بالقيمع

رأيتني بالقيمع منفردا أضيق من ققع قاعها الضائع
بعث بمصر دمشق عن غرر * متى فاعين صفقة البائع
صيري والقلب عاصيان وما * غير هوى وأدعى طائفي

وقلت بالفوار

تعدن بالفوار دمعي على الفور * فقلت لجسيري أجير وامن الجور
وأصعب ما لاقيت اني قانع * من النيف مذبذبم بزور من الزور

وقلت بالزرقا

ولم انس بالزرقاء يوم ودعنا * أنا مل تدني حيرة للندم
أعدت لك بازرقاء جراء اني * كيتك حتى شيب ماؤك بالدم
تأخر قلبي عندهم مخاضا * وشافتم في عزمتي والندم
فيا ليت شعري هل أعود اليهم * وهل ليت شعري ناذم للتميم
قال وقلت وقد عبرنا على مسالك قريية من قلعة الشوبك وفيها تخطف الافرنج القاصدين الى مصر
طريق مصر ضيق المسالك * سالكة لاشك في مهلاك
وحب مصر صار حبا لمن * أوقعه في شبك الشوبك
لكلنا من دونها كعبسة * تتجوج به ورة المنسل
بها صلاح الدين يشكى الذي * البسه من أيامه يشكى

قال ونزلت في طريق مصر قصيدة مستقلة على ذكر المنازل بالترتيب وأراد البعيد منها والقريب وانفق ان
السلطان سير الى مصر الملك المظفر في الدين وكان لا يستدعي من شاديه الا انشاده في ناديه ودار بلسماعها
ويجب بابداعها وكان قد فارق أهله بدمشق كما فارت بها أهلي وجمع اليهم بعد ذلك ثم لي وهي هذه
هجرتك لا عن ملال ولا غسدر * ولكن بقدر أني من الامر

واعلم اني شغل في فراقتكم * وعذري في ذنبي وذني في عذري
أرى فوالله هجر تحدي ولا أرى * أشد من المجران في نوب الدهر
يعني الى لابسوا كم غشاوة * وعسى عن نحوي سوا كم لا زوفر
وقلبي وصبري فارقاني ليهدمكم * فلا صبر في قلبي ولا قلب في صدري
واني على العهد الذي تعهدت به * وسرى لكم سرى وجهي لكم جهري
تجرت صرف المهم من كاس شوقكم * وهأنذا في نحوي تريف من السكر
وان زمانا ليس يعمر موطني * بسكنكم فيه فليس من العسر
واقسم لو لم قسم اليه بيننا * جوى الحسم ما أمست مقسم الفكر
أسير الى مصر وقلبي أسيركم * ومن يحب أسرى وقلبي في أسر

صكتاب (٢٦٦) الروضتين

اخلاى قد شط الزرافار ساوا السخيل وزوروا في الكرى واربعوا جري
 تذكرت أحبابي بخلق به سدا * * * ترحلت والمستشفق يأنس بالذكر
 وناديت صبري مستغيثا فلم يجيب * * * فاستبليت دهمي للبكاء على صبري
 ولما قصصنا من دمشق غبا غبا * * * وبتنا من الشوق المفض على الجمر
 نزلنا برأس الماء عند دوز اعنا * * * موارد من ماء الدموع التي تجرى
 نزلنا بعصراء الفقيع وغودرت * * * فواقع من قبض المدامع في الغدر
 ونهنت بالفوار فيض مدامعي * * * ففاضت وباحت بالكم من صرى
 سرينا الى الزرقاء منها ومن يصب * * * او اما يسر حتى يرى الورد أو يسرى
 تذكرت حمام القصر وأهله * * * وقد خرت الحمام في البلد السقر
 وبالقرينتين القريتين وأين من * * * مغاني الغواني منزل الادم والعفر
 وردنا من الزيتون حمى وابلة * * * ولم نسترح حتى صعدنا الى صدر
 غشينا الغواشي وهي يادة الثرى * * * بعيدة عهد القطر بالهد والقطر
 وضح علينا بالندى غدا لخصي * * * ومن رنجي ريا من الحمد انز
 فقلت اشري بخمس صدرا مطيقي * * * بصدر والا جاك الذيل للعشر
 رأينا بها عسرين الما سافانا * * * الى عشرين مرسى نزل الزاد للسفر
 وما حشرت عيني على فيض عيرة * * * اكفكتكها حتى عبرنا على الجسر
 وملنا الى ارض السدر وجنة * * * هنالك من طلع نضيد ومن سدر
 وجينا الفلاح حتى أصبنا مياركا * * * على بركة الجب المشر بالقصر
 ولما بدا القسطا بشرت رقتي * * * بمن يتلقى الوفد بالوفر والبشر
 بكت أم عمرو من وشيك ترحلي * * * فاحجلتي من أم عمرو ومن عمرو
 تقول الى مصر قصير نجبا * * * وماذا الذي تبغني ومن لك في مصر
 فقلت ملاذي الناصر المالك الذي * * * حصلت بجدواه على المالك والنصر
 فقلت اقم لاتقدم الخبز عندنا * * * فقلت وهل تغني السواق عن البحر
 تقي رجوع بضم الله نجدة * * * ولا تفتني ان تبدل العسر بالعسر
 عوايته قد ضاعفت منسة الرجا * * * ونعمته تد أضعفت منه الشكر

قال وكان الدخول الى القاهرة يوم السبت سادس عشر ربيع الأول بازي الاجل والعز الاكل وتلقى السلطان
 أخوه ونائبه الملك العادل سيف الدين الى صدر وعبر اليه عند بصر القازم الجسر وثلة ناصري مصر ووصلت اليها
 وجعلت علينا زهرا تما فظهر لنا شاطها وزاد اغتيالها فدخل السلطان داره ووقف في جميع الامور اراده
 واصداره وكانت قد صعدت على منارة دمشق وأهلها لثلة لو لوق بانى حصل بمثلها فغضت يوم خرج منها
 آياتا الى ناصر الدين محمد بن شيركود منها

هه حتى خنت العطف مستلذا الدلال * * * يقول الى بانك سار * * * ورتة واعتلال
 معاتبا بحديث * * * اصفي من السلسال * * * ما مصر مثل دمشق * * * بعث الهدى بالفضل
 فقلت عنت أمر * * * بحبيسة الاشكال * * * أسير في طلب الس * * * هز مثل غير الهلال
 لم يبلغ البدر لولا * * * سير أوج المكال * * * وكيف أترك شغلي * * * وانه رأس مالي
 صلاح حالي صلاح * * * السدين الغر بالنوال * * * مالي فأفارق ملكا * * * خلصته أمالي
 يناصر الدين فلي * * * عليه في بللي

(فصل ٤) في بيع الكتب وعمارة القلعة والمدرسة والبيمارستان قال العماد وكان لبيع الكتب في القصر كل أسبوع يومان وهي تباع بأرضي الأثمان وخزانها في القصر مئة البيوت مقسمة الأرفف مئة مئة وتسعون بيتا لا يعرف إلا من يبيعها الذين قرأوا في القصر والحال والمعادلة من هذه الكتب قد عثفت فيها العث وتساوى سميتها والعث ولا غنى عن ثوبها وقصدها وأجرها من بيت الخزانة إلى أرضها وهو تركي لا يخبره بالكتب ولا يدري به أسفار الأدب وكان مقصود دلال الكتب أن يوكسوها ويخرموها ويعكسوها فأخرجت وهي أكثر من مائة ألف من أمكنها وغربت من مساكنها وخربت أوكارها وذهبت أنوارها وشئت شملها وبنت حبيلها واختلط أديبها بغير ميمها وشرعها بمطبخها وطبخها بمذبحها وتوارى فيها بفتاسيرها ومجاهيلها بمشاهيرها وكان فيها من المكتب الصكبار وتوارى في الأمصار ومصنفات الأخبار ما يشغل كل كتاب على خمسين أو مئتين جزأ مجلدا إذا قدمه ناجز ولا يختلف أبدا فاختلطت واختلطت فكان الدلال يخرج عشرة عشرة من كل فن كتبها مائة فقام بالدون وتباع بالهون والدلال يعرف كل شدة وما فيها من عده ويعلم أن عنده من أجناسها وأنواعها وقد شارك غيره في ابتاعها حتى إذا لقي كتابا قدم عليه بعشره باعه بعد ذلك لنفسه بمائة قال فلما رأيت الأمر حزين في القصر واشتربت كما اشتروا ومررت بالطباء كما هموا واستكثرت من المتاع المتاع وخويت نفائس الأنواع وما عارف السلطان ما يتبعه وكان عشرين ألف على بها وأبرأ مني من ذهبها ثم وهبت أيضا من خزانة القصر ما عرفت عنده من كتبها ودخلت عليه بما يريه به بمائة دنانير كثيرة انتفعت له من القصر وهو ينظر في بعضها ويسطدري قبضه قال وكنت طلبت كتبها عتقا فقال وهل في هذه شيء منها فقلت كما هو ما استغنى عنها فأخرجتها من عنده بمال وكان هذا منه بالإضافة إلى سماحه أقل نزال

قال وكان السلطان لما ملك مصر رأى أن مصر والقاهرة لكل واحدة منها سور وأحد من سورها سور واحد من الشاطئ إلى الشاطئ وأمر ببناء قلعة يسور واحتاجت إلى جند مفرد يجمعها وأمر أن يرى أن أدير عليها سور واحد من الشاطئ إلى الشاطئ وأمر ببناء قلعة في الوسط عند مسجد سعد الدولة على جبل القطم فابتدأ من ظاهر القاهرة يبرج في القسما انتهى به إلى أعلى مصر يبرج وصلها بالبرج الأعظم ووجدت في عهد السلطان بشار فعه الزنوب وتكفل فيه الحساب ومبلغه وهو دواير البلد من مصر والقاهرة بما فيه من ساحل البحر والقلعة بالجبل تسعة وعشرين ألفا وثلاثمائة وذراعان من ذلك ما بين قلعة المقسم على شاطئ النيل والبرج بالكرم الأحمر إلى ساحل مصر عشرة آلاف وخمسمائة ذراع ومن القلعة بالمقسم إلى حائط القلعة بالجبل مسجد سعد الدولة ثمانية آلاف وثلاثمائة وأثنان وتسعون ذراعا ومن جانب حائط القلعة من جهة مسجد سعد الدولة إلى البرج بالكرم الأحمر سبعة آلاف ومائتا ذراع ودائر القلعة بجبل مسجد سعد الدولة ثلاث آلاف ومائتان وعشر أذرع وذلك طول قوسه في أبعاده وأرجاه من النيل إلى النيل على التحقيق والتعديل وذلك بالذراع القاسمي بتولى الأمير شهاب الدين قراوش الأسدي وبني القلعة على الجبل وأعطاهما قهنا من إحكام العمل وقطع الخندق وفتح حفرة وحفره وتضييق طريقه وهناك مساجد يعرف أحد لها مسجد سعد الدولة فاشتملت القلعة عليها ودخلت في الجبل وحفر في رأس الجبل بئر ينزل فيها الماء من الجبل إلى الماء العين ولما نبأ به هذا كله في سنين متقاربة لولا أن كان به العين وتوفى السلطان وقد بقي من السور مواضع والعمارة فيه مستمرة ووظائف نفقاتها مستمرة قال وأمر ببناء المدرسة بالنزعة المقدسة الشافعية وترتيب أوعدها بغيره إلا المعية وتولاهما الفقيه الزاهد الشيخ الدين الشيرازي وهو الشيخ الصالح الفقيه الورع التي التي قال وأمر بالتخاد في القصر بيمارستانا للرضى وأستغفر الله بذلك وأستغفرني ووقف على البيمارستان والمدرسة وقوفا وقد أطل منكروا أسباعهم وفا وأضر ب عن ضرب أعينها وهب إلى مواهب فأسادها وأهم برفاض ونوافل فأذاها

(فصل ٥) في خروج السلطان إلى الإسكندرية وغير ذلك من إواق حوادث هذه السنة قال العماد ثم خرج من القاهرة يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شعبان واستخفى ولديه الأفضل عليا والعز بن عثمان وجعل طريقه على دمياط ورأى في الحضور بالقرامند كوروشا ساهدته الاحتياط وكان له بها سبي كثير جارية الأسطول فامتد بظاهر البلد يومين وهب في متعجربة ثم وصلنا إلى شبراخية الإسكندرية وترددنا مع السلطان إلى الشيخ الحافظ أبي طاهر

في انخبار (٢٦٩) الدولتين

أحمد بن محمد السلفي ودأومنا الحضور وعنده واجتلبنا من وجهه نور الايمان وسعده وبهنا عليه ثلاثة ايام
التي ليس والجمعة والسبت رابع شهر رمضان واغتفنا فرصة الزمان فتلنا الايام الثلاثة هي التي حسبناها من العمر
فهي آخر ما اجتمعنا به في ذلك الغمر وشاهدنا ما استعجبه السلطان من السور والدائر وما ابقاه من حسن
الانثار والمآثر وما انصرف حتى أمر باتمام الثغور وتعجير الاسطول قال ابن أبي طي: وما نوى السلطان
المقام بالاسكندرية ليدوم فيها رأى انه لا يحل في نفسه من ثواب يقوم له مقام القصد الى بلاد الكفار والجهاد في
المشرق فكأن فرأى الاسطول وقد اخلقت سفنه وتغيرت آلاته فأمر بتعجير الاسطول وجمع له من الاختشاب
والصناعات شبيهة كثيرة وما تم عمل المراكب أمر بحمل الآلات فتقل من السلاح والعديد ما يحتاج الاسطول
اليه وشحنه بالرجال وولى فيه أحد أصحابه وأفرده اقطاعا مخصوصا وادناه قردا وكتب الى سائر البلاد يقول
القول قول صاحب الاسطول وان لا يمنع من أخذ رجاله وما يحتاج اليه وأمر صاحب الاسطول ان لا يبرح البحر
ويغزى الى جزائر البحر قال العماد وقت في معنى تنقل في البلاد

يوم ما جئني ويوما في دمشق وبالسفسطاط يوما ويوما بالعرفين
كان جسمي وقلي الصب ما خلقتا ❖ الالية بما بالشوق والبين

وقلت يوم الخروج من القاهرة

يا باخلا عند الوداع بوقفة ❖ لوسامني روي بهالم أيقظ
ما كان ضرك لوروقت لاسفل ❖ ترك الفؤاد بدائه في المنزل
هلا وقت القلب من أحرقت ❖ مة قدرا طفاها الحريق المشعل
ان أسرم من قهلا في أسرا الهوى ❖ تلي ليدل عقيد المبرحل
عذب العذاب لدى فؤادي المبتي ❖ أذكرت أنت معلمي والمبتي

وقلت وقد نزلنا بين منية غمر ومنية سمند

نزلت بأرض المنتبين وميتي ❖ لقائكم الشافي ووصلكم المجدي
سأبى ولا تبلى سريرة وذك ❖ وتؤنسني امت في وحشة اللد

قال وعندنا من الاسكندرية في شهر رمضان قصة متابقة الشهر بالقاهرة والسلطان متوقفا ليله ونهاره على نشر العدل
وانشاره وافاضة الحدود واغزاره وتماح أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأخباره وأشاعه العلم والاعلان بأسراره
وأبدا شعار الشرع واطهاره وابقاء المعروف على قراره وافناء اعلام الباطل وانتقاره وقال ومن مدائني في السلطان
ما أنشدته اياه سادس شوال

قد يتك من ظالم نصف ❖ وناهيك من باخل مسرف
أبلغ دهرى قصصدى وقد ❖ قصدت بعصر ذرا يوسف
ويوسف مصر بعسير التقى ❖ وبذل الصنائع لم يوسف
فسر وافتح القدس واسفل به ❖ دماعي فبحسرها يتخلف
وأهدى الى الاستبارة ليتا ❖ وروضة السقوف على الاسقف
واخلص من الكثرة تلك الابل ❖ وتخلصك الله في الموقف

وفيها واصل رسول المواصلة وصاحب الحصن وما ردين الى دمشق فاستمر وثقا وتخلينا حتى السلطان شمس الدولة
تورائنا من أيوب ثم قصده وادعير ووقع رسول صاحب حصن كنه في الاسر قال ابن أبي طي وضم رسول الموصل
القاضي عماد الدين بن كمال الدين بن الشهر زوري بهدية وقد تخرج الموكب الى لثائه وأكرمه السلطان واحترمه
وقدم بعد رسول نور الدين قرا أرسلان ورسول صاحب مارد بن هدا با واجتمعوا في دمشق وخرجوا الى السلطان بصر
فاعترضهم القرمي فاسر رسول صاحب الحصن ولم ير في الاسر حتى فتح السلطان بيت الاجران فأطلقه وأحسن اليه
قال وفيها رجع قرا قوش الى أوجلة وتلك البلاد بجمع أموالا ورجع الى مصر ثم أراد الرجوع فغنه العادل ثم خلعه

كتاب (٢٧٠) الروضتين

فرخشاه فرجع وفتح بلاد قران بأسرها قال العباد ثم خرج السلطان الى مخرج فاوس من أعمال مصر الشرقية لارهاب العدو وهو ركب الصيد والقنص والطلع الى أخبار القرى لئلا يتهازل القرى واقترح على أن أمده عز الدين فرخشاه بقصيدة موسومة أنهم قتل الشين قبل الهباء فعملت ذلك في أوامر وذى الخلق فقلت

مولاي عز الدين فرخشاه * الأهر من برجك لا ينشاه
تلقاه سمح الكف دافعا * طلق المحما كمر ما يشاه
ان شئت فؤنا بالردى فائقه * أوشئت فوزا بالعلى فاغشاه
يدى باليدى وباليدى فى * حذى لها والعدى بظشاه
كم لك عادا ككم لم يبت * الاجعلتم عرشه نغشاه
خوفتم المشرى فلاقصه * أمشيت يوما ولا ننشاه
أورثك السودد يا ابن العلى * وأندك السبيد شاهنشاه

وقال فى الحزينة كاخمين مخرج فاوس مصممين على الغزاة الى غزة وقد وصلت أساطيل تخرى دسماط الاسكندرية بسبى الكفار وقد أوفت على ألف رأس عددة من وصل فى قبة الاسرار فخر ابن راحة مشدا مهتبا بعد الفجر سنة اثنتين وسبعين ومعرضا بمهيمه الملك الناصر من الاماء والعبيد قصيدة منها

لقد شرب التجارب منه حزم * وقاب نهى رطو ظهر البطن
فقال الى النرجس الخليل برا * وأدر كى على حجر بسفن
وقد جاب الجوارى بالجوارى * يدن بكل قدس بجفن
يزدهم اجتماع الشمل يؤسا * فخر بان يوح على مرن
زهت اسكندر بة يوم سيقوا * ودسماط الى المينا بغين
برون خيال كاطيف يسرى * فلو شيعوا أتاهاهم بعدوهن
أبادهم تحو فامسى * مناهم لو تبينهم بأمن
تألى حو طهم شرقا وغربا * فصاروا لاقتناص تحت رهن
أقام آل أبى سوب باطا * رأت منه الفرخية ضيق سجين
ربنا أقصى الملوكة السامهم * ولم يرجده فى الرأس يعنى

وفى أبطال السلطان المكس الذى كان بمكة على الحاج وسياق ذكره فى أخبار سنة أربع وسبعين قال ابن الاثير وفى سنة اثنتين وسبعين شرع بجماهد الدين يعنى قائما زدار قلعة الموصل فى عمارة جامع بظاهرها الموصل بساب الجسر وهو من أحسن الجوامع ثم بنى بعد ذلك الرباط والمدارس والبيمارستان وكلاهما متجاوران قال وتوفى فى شهر ربيع الاوّل من سنة خمس وتسعين بقلعة الموصل وهو متريها والحاج فى الدوا الا تاتيكية النورية وكان ابتداء ولايته القلعة فى ذى الحجة سنة إحدى وسبعين ثم فى ذى الحجة سنة تسع مائة وأعيد الى ولايته بعد الافراج عنه وبقي الى الآن وكان أصله من أعمال شجنا وأخذ منها وهو طفل وكان فاضلا تعلم الفقه على مذهب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه وكان يحفظ من الاشعار والحكايات والنوادر والتواريخ شيئا كثيرا الى غير ذلك من المعارف الحسنة وكان كثير الصوم وله ورد يصليه كل ليلة وكثير الصدقة وبني عدة جوامع منها الذى بظاهر الموصل وبني عدة خانات منها التى بالموصل ومدارس وتماطر على الانهار الى غير ذلك من المصالح ومما فيه كبرية قال العباد فى الخبر بدرة نسا بركة الجلب قصد فرض الجهاد وعرض الاجناد فكاتب الاسعد بن ممان الى تصيدته فى الملك الناصر ويعرض بالسطر ثم فان كان يشتغل بدور ذلك فى ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين

يا كريم الخيم فى الخيم * أحيف كل يوم شيم
كيف لا تصمى لواخله * ورماء الظرف فى الخيم
يا صلاح الدين يا ملكا * مدبىراء الله للامم
يجبى للشمس اذا طلعت * منه فى داج من النظم
لا تصد قلب المحب لكم * لا يهيل الصيد فى الحرم
أفنت الكفار فى نعم * وغدا الاسلام فى نعم

في الخبر (٢٧١) الدين

ان يلى الشطر في مشغلته و معنى القدر والمهم * فهى في ان يلى تذكرة * لأمور الحرب والكرام
فلكم ضاعفت عزتها * بالعبادة الجدة لالـ القلم * وضربت الحرب نصبتها * فانت كفاك بالقيم

فابق للاقدار ترفعها * وأمر الاقدار كالخدم

وقهره أوفي بالاسكندر بن القاضي الشريفة أبو محمد. والله العظمى البياحي من ولد البياحي شمس الدين عبد الله بن ٤٠٠ وبن عثمان رضي الله عنه وغيره فان أبي الماس من بيت القضاء والعلم وكان واسع السماع في علم الاحاديث كثير الرواية قبالا بدمقصر فاني التفتهم والنرا الانه من قبل من الختام أوحدهم في علم الشروط وقوله المقبول على كل العدل ذلك المادرجه الله في المخرجه

١٠) ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسة مائة **هـ** والسلاطان المنصور بن جفارة توسع نظم العمار في الاجل الفانسل قضيدة عجيبة في منصف الحرم وخدمه بها اهل الكوفة الخيما وأهلها

ریم ضمیمہ بروم ہفتی * من سقم عینیبہ عین سق

ان رمت یا عاذلی صلاحی * خفانی والہوی وزعمی

لَوْ مَسَّكَ يَدُكَ الْغَرَامُ قُلْ لِي * أَنْتَ نِعْمَ بِي أُمُّ أَنْتَ خَيْرُ

ایازمانی الغشوم اقدس * اندلا تسمت طایع عشی

عبد الرحيم الرحيم انشى * عوى على خطابك الملم

الفاضل الافضل الاجل المفضل المشرق المشرق المشرق

عَيْثُ عِيَابٍ وَ جُودٍ جُودٌ * وَبَعْرِ عِلْمٍ وَ طُودٍ حِلْمٌ
أَعْرِفْ أَلْفَ مِثْقَالِ مِثْقَالِهِ * تَسْتَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ نِجَالَهُ

براعته في الإتيان به * * * راجع الدرر من خدم
عاسة في المحرم على الدر الشاتاني وهو من ادباء الموصل وشعرا

وفدئنة التتئين وسبعين الى مصر وأعدى النظم والنثر واصطنعه عز الدين فرسخه وأزله في جوارحه وجعل من رفقه
ومن الامراء القديس رفد السلطان بالخير كجاءه فطاعها

غدا النصر مع قوداير أياك الصنرا ❀ فسروا فتح الدنيا فأنت بها أخرى

فلما لم يذكر العماد من هذه القصيدة غير هذا البيت وإنه لاشفاقهم مقام قصائد كثيره وانما اناني هو ابو علي الحسن بن سعيد له ترجمة في تاريخ دمشق وذكره العماد في الخريدة وذكره في ان هذه القصيدة

كُفَيْهِمَا إِلَيْنَا فَاَلْيَسَ فِي الْيُسْرِ ﴿١٠٠﴾ فَبَشِّرْهُمَا بِمَا كُنتَ بَشِّرُ

قال العماد وكانت الاعلام السابعة صفرا لا يفارق ثمرها نصرا قلت وفيها يقول بعض الفضلاء

وَأَسْوَدَ خِلَابِ دُونِ الْمَوْتِ أَجْمَرُ ۞ أَتَى بِالْأَيْدِي الْبَيْضِ أَعْلَامَهُ الصُّفْرُ

وقد ظهرت منه صوبية تجزئتها في ظهورها على من ردها الخلفى والجبر

وَأَصْحَابُ الْجُبُورِ الَّذِينَ كَانُوا يَكْفُرُونَ ۚ إِنَّهُمْ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ ۚ

وقال العماد خاتمة السلطان في القاهره يوم ايام الحبيب بالبراقع التي عرودها كمن خرج يوم الجمعة نالت جادى الاولى بعد الصلاة وشتم بالبراقع بليس في شتمه بغيره ثم شتمه فقام على السدم وختمنا بالبراقع ثم رضى عنوا زاد شتمه ايام اخرى باذلالا مستنهار واعرا وزنا عنده توشه وازار اكار قال العماد فركت الى سوق العسكر للابتياح وقد اخذ السعر في ارتفاع قتل العلفى قد بدى وقدره من الرجوع من طاعن الى فاعرض للبيع اجمالى واقتضى وانتهز فرصة هذا السعر العالي والعالى الى صاحبها وقد استعمرت شتى في هذه العزرة من عاقبة ندم منان بعد ان طردت شديده وهذا نوبه الى لانه لا يوافق في سلمه وتسلطه في الاسلام والرجوع الى كل منان لم يجد شغبه ولا تفرقه ولا ياوز منه لاسباب وازاب الديوان قد استأذنى العبد وانتهز واقبله على كل واظهرت سرى الاولى الاجل الفاضل فسرده ذلك اشفاقا على وحسانالى وركان السلطان ايضا ثم اشرى اريارى ويختار اختياري فقال لي أنت معصا أوعزت ان تدعنا ولا تدعنا قتلت الامسى الاولى وما تخرقه في هوى اولى فقال تعود

كتاب (٢٧٢) الرومانيين

وتدعولنا وتسال الله ان يلغنا من النصر سؤلنا وكنت قد كتبت أياها الى الخدم الفاضل ونحن بالبرز في العشر من الشهر

قبيل في مصر نائل عسدد الرسل وورق كنيلها الموفور
فأعترنا بها وسرنا اليها * ووقعنا كاتري في القسور
وحظينا بالرمسل والسبير فيسه * ومنعنا من نيلها المسور
وبرزنا الى المسبر نشكو * سذرا من نزولنا بالسدر
قبيل الى سرا الى الجهاد وماذا * بالغ في الجهاد جهد مسري
ليس يقوى في الجيش جاشي ولا قو * سي يرى مسورتورا الى وفور
انا للكتب لا الكنايب اقصد * سي ولا يحفظ لا الصفا حضوري
كاد فضلي يضيع لولا اهتمام السفاضل الفاضل الذي بأموري
فانا منسه في ملابس جاه * رافلامنه في حبير حبور
فبور في من الحضر حطوطي * وسماي الى سر بالمرور

وقال وما انقطع عن السلطان في غزواته الا في هذه الغزوه وقد عظم الله فيها من النبوه وكانت غزوات السلطان
بعدها مؤيده والسعادان فيها مجتده وكنيت للمفارقت القاهره فاستوحشت وتشوقت الى اصدقائي وتشوشت
وكنيت من الخيم بيليس الى القاضى شمس الدين محمد بن محمد بن موسى المعروف بابن القراش وقد أقام بالقاهره
وكان صاحبالي من الايام النوريه واستشرته في التأخر عن السلطان فكتب في الجواب رافقه ولا تفارقه فكرهت
رأيه فكتبته اليه

اذا رضيتم بحروى فذاك رضا * لا أبتغي غير ما تبغون لي غرضا
وان رأيتكم شفاء القلب في مرضي * فأنتي مستطيب ذلك المرضا
أنتم أنتم بتمتعني فصرته * مستعد با استدألم والمضضا
أصبحت ممتعظا في محبتكم * فحاش لله ان أبقي بكم عوضا
لله عيش تقضى عنكم ومضى * وكان مثل شحاب برقه ومضى
العيش دان جناه الغض عنكم * والقلب محترق مني بمجر غضا
ما كنت أعهد منكم ذا الجفاء ولا * حسبت ان ودادي عندكم كرفضا
قد أنطم الا فقي في عيني لغيتكم * فان أذنت لشخصي في الحضورا
واست أول صب من أحبته * لما حقا وما قضى أوطاره وقضى
مر واما شتم من محنة واذى * فقد رأيت امثال الامر مفترضا
طوي لكم بصير والدار التي قضيت * فيها المأرب والعيش الذي خفضا
بعثكم ان خسوتم بانيساطكم * تذكر وانجروا بالعيش منقبضا
رضيتم سفرى عنكم واعهدكم * بسفرى عنكم لا تظهرون رضا
هلا تكتلتم قولوا أسره * هيات جوهركم قد عادت عرضا
تفضلوا واشروا حواضري بقر بكم * أوقاشروا لي ذالمعنى الذي غضا
فكتب الى في جوابها أياها ناصيا

لا تنسوني الى اشارة بعدكم * فلست أرضى اذا فارقتم عوضا
ولي ردادوني الصدق عقدته * فماتراه على الايام منتقضا
يلقائه قلبي على سبل العتاب له * بصحة ليس يحشى بعد هامرضا
وصرت كالدهر يحيني أهله أسفا * ويلاتي من عتاب الماذنب المضضا

قال ثم ودعت وعدت ونهضوا وقعدت
في فصيل في نوبة كسرة الزملاء وكانت على المسلمين بالجله وذلك يوم الجمعة غرة جمادى الآخرة وأثنائه ورجل
 السلطان بعساكره فنزل على عسقلان يوم الاربعاء التاسع والعشرين من جمادى الأولى فسي وساب وغنم وغلب
 وأسر وقسر وكسب وكسمر وجمع هنالك من كان معه من الأسارى فضرب أعناقهم ونفّر عسكره في الأفعال
 معيين ومبيدين فلما راوا أن الفرنج خامدون استرساوا وانبطوا وتوسط السلطان البلاد واستقبل يوم الجمعة مستهل
 جمادى الآخرة بالرملة را حلا قصد بعض المعسكر فاعتز حربه منهم عليه قتل الصافييه فازدجحت على العبور أن تقال
 العساكر المتوافيه فهاشعروا إلا بالفرنج طلبة باطلها حازبة بأجرامها ذابئة بذناهم عاوية بكالها وقد نفر
 نفيهم وزفر فرغهم وسرا بالاسلحين في الضياع مغيرة ورحى الحرب عليهم في دورهم سديره ووقف الملك المنظر
 قتي الدين ولفظهم وباشرهم ببضيه وسهره فاستشهد من أخصاياه عدّة من الكرام انتقلوا إلى نعيم دارا لمقام وهلاك من
 الفرنج اضغاثها وكان لثقي الدين ولا يقال له أحد أول ما طر شاربه فاستشهد بعد ما أوردى فارسا قال وكان لثقي الدين
 أيضا ولد آخر اسمه شاهنشاه وقع في أسر الفرنج وذلك أن بعض مستأمن من الفرنج بدد شق خذعه وقال له بقي إلى
 الملك وهو يعطيك الملك وزوجه فأبى سكن إلى صدقه وخرج معه لثقي الدين شدة وثاقه وغله وتيد وجهه إلى الداوية
 وأخذ به مالا وبجده عندهم حالا وجمالا وبقى في الأسر أكثر من سبع سنين حتى فكّه السلطان بحال كثير وأطلق
 للداوية كل من كان هم عندهم من أسير فغلظا التلب القوي على ذلك الولد جهلاك أخيه ولما عاين من الغزوة زناه
 للتعزيب فيه قال ولوان لثقي الدين رداء لادى القوم لكن الناس تفرقوا ورأى أن تسلمهم فنجوا برحاهم وحسب العدو
 يجهلهم فجلسهم على السلطان فثبت ووقف على تقدمه من تخلف وسمعتهم يوما يصف تلك الذبوبة ويشكر من جماعتهم
 الفخية ويقول رأيت فارسا سمحت نحوي حصانه وقد ضرب إلى نعري سبانه فكذلك لمعني لعنه ومعها آخران قد
 جعلناهم ماشائه فرأيت ثلاثة من أخصاياه خرج كل واحد إلى واحد منهم فبادروه وطعوه وقد تمكن من قري فها
 مكدوه وهم إبراهيم بن قنبر وفضل الفيضي وسويد بن غشم المصري وكانوا فرسان العسكر وشجعان المعشر واتفق
 السعادة السلطان أن هؤلاء الثلاثة تراققوه وما فارقوه وقارعوا العدو ذنبه وضايقوه فما زال السلطان يسير
 ويقف حتى لم يبق من طين تلك الزملاء وسلك الرمل ولما دلت دلائل ولا كثير من الزاد والعلف ولا قليل
 وتعسفا الساروك في تلك الرمال والأوعاث والأوعار وبقوا أياما ولا إلى تغيير مراء ولا زاد حتى وصلوا إلى الديار وأذن
 ذلك تلف الدواب وترجل الركب لغروب الأضباب وفقد كثير من لم يعرف لشبهه ولم يظهر له أثر وقدس الفقيرة
 ضياء الدين عيسى وأخوه الظاهر ومن كان في صحبتهم فضل الطريق عنهم وكانوا سائرين إلى وراء فأصبحوا يقرب
 الأعداء فأكثروا في مغارة وانتظار وأمن بدتهم من بلاد الإسلام على فاره فدل عليهم الفرنج من زعم أنه يدلهم وسعى
 في أسرهم وعظمهم فأسروا وباعوا بعض النقمه عيسى وأخوه الأبعد سنين بدين أو سبعين ألف دينار وقكك جماعة
 من الكفار قال وما أشدّت هذه الذبوبة بكسره ولا عدم نصره فان النكابة في العدو وبلاده بلغت منتهى ما هو أدركت
 ككل نفس مؤمنة مشتبهاتها كن الخروج من تلك البلاد شئت السهل وأوعر السهل وسلك مع عدم الماء والدليل
 الرمل وما قدر الله تعالى من أسباب السلامة والهداية إلى الاستقامة أن الأجل الفاضل استنهر في دخول بلاد
 الأعداء واستعجاب الكلبة والأدلا وأنهم ما كانوا يراققونه في الغداء والعشاء فلما ودعت الواقعة خرج بدوابه وغلانه
 وأعيابه وأدلائه وبث أخصاياه في تلك الرمال والهضاب والتمسح حتى استخبر السلطان وقصده أو وضع
 بأدلائه جده وفرق ما كان معه من الاز وادعى المتقنعين وجعهم في خدمة السلطان أجمعين فسهل ذلك الوعر
 وأنس بعد الوحشة القسفر وجبر الكسرة وكان الناس في مجد أوجه السلطان إلى الجهاد ودخول الأجل الفاضل
 مع إلى البلاد وعلقته أو قالوا الوعد وتختلف كان أوليه فان الحرب ليست من دأبه ثم عرف أن السلامة وأبركة
 والنجاة كانت في استعجابه وجاء الخبر إلى القاهرة مع شهابين خلع عليهم وأركبوا وأشبعوا بأن السلطان نصر الله
 وان الفرنج كسروا وغلبوا فركبت لاصمع حديث النجابين وكيف نصر الله المسلمين وأداهم بقولون أبشروا فان
 السلطان وأهله والمؤمن وأنهم واصلون غنائون فقلت لرفقي ما بشر بسلامة السلطان إلا ودعت كسره وما ثم

مكتاب (٢٧٤) الروضتين

سوى سلامته نصره ولما قرب تخرجنا لتأقيبه وشكرنا الله على ما يسر من تزييه وتوقيه ودخل القاهرة يوم الخميس من منتصف الشهر ونابت سلامته مناب الدهر وسيرنا به البشائر وأنهم يضبط أقالم الفاتح لأخراس السنة الإبراهيمية وأبدال الثامن من الخويف فقد كانت نوبتها لله ووقعنا غائله وقال القاضي ابن شداد خرج السلطان يطلب الساحل حتى وافى الفرنج على الرملة وذلك في أوائل جمادى الأولى وكان مقدم الفرنج البرنس أرناط وكان قد بيع بجلب فاته كان أسيراً ما من زمن نور الدين رحمه الله وجرى خلل في ذلك اليوم على المسلمين ولقد حكي السلطان قدس الله روحه صورة الكسرة في ذلك اليوم وذلك أن المسلمين كانوا قد تدبروا تعبئة الحرب فلما قارب العدو رأى بعض الجناحية تغير المينة إلى جهة الميسرة والميسرة إلى جهة القلب لم يكون حال اللقاء وراء ظهرهم بل معروف بأرض الرملة فبعضنا اشتغلوا بهذه التعبية فجعل الفرنج وقد رآه الله كسرهم فأنكسروا كسرة عظيمة ولم يكن لهم حصن قريب يأوون إليه فطلبوا جهة الديار المصرية وتوضأوا في الطريق وتبددوا وأسر منهم جماعة منهم الفقيه عيسى وكان وهماً عظيماً جبره الله تعالى بوقعه خطين المشهوره والله الجدد قلت وذلك بعد عشرين سنين فكسر قال رملة هذه كانت في سنة ثلاث وسبعين وكسر خطين كانت في سنة ثلاث وعشرين قال العماد الكاتب وحيث كانت للملك المظفر في الدين في هذه الغزوة اليد البيضاء أنشدته قصيدة منها

سقى الله العراق وساكنته * وحيام حيا الغيث الهتون
وجيرانا أمث الجور منهم * وما فهم سوى واث أمين
صفا والهدى ذكروا قدما * وفوا بالعهدي الزمن الخؤون
بنو أيوب زانوا الميثاق منهم * بخليصة سودد وثقى ودين
صلوا لك أصبحوا خسير البرايا * لخير رعية في خير دين
أسانيد السيادة عن علاهم * معتمنة مصححة المتون
شوايوس مثل قريش مجدا * وأنت لها كازعها البطين
أخفت الشر لك حتى الذعر منهم * يرى قبل الولادة في الجنين
ويوم الرملة المروء بأسا * تركت الشر لمزعج القطين
وكنيت لعسك الاسلام كهفا * أوى منه إلى حصن حصين
وقد عرف الفرنج سطامنا * رأوا آثارها عين البقين
وأنت ثبت دون الدين فحمي * حماه أو أن ولي كل دين

قال وأهتم السلطان بعد ذلك بإفاضة الجود وتفرق الموجود واقتاد الناس بالنقد والذنا بالصداقة الوعد وجبر الكسبر وفك الأسير وتوفير العدد وتكثير الممدد وتعويض ما نفق من الدواب فسادا ما تابهم ولم بأسوا على ما أصابهم قال ابن أبي طي وقال ابن سعدان الحلبي مدح السلطان ويذكر ما فعله على عسقلان ويهون عليه أمر هذه الكسرة من قصيدة

قربت من عسقلان كل نائبة * بابت ثقل بوكاف من الاسل
فاض النجيب عليها وهي مجللة * فأصحت من تعال النجيب والابل
قل للفرنجية الخذل رويدكم * بالنار أو تخرج الشعرى من الجبل
ترقيه ما من الفوارط العلة * وخوارق الأرض تمحور وثقى الاصل
كأنني بنواصبين يقدمها * كاس من الجود عريان من الخجل
حسب العدا بإصلاح الدين حسبيهم * أن يقر فلو لم يجرح غير منسدم
وهل يخاف لسان الخجل من الخس * مرت على أصبعيه لذة العسل

(فصل) في وفاة كشتكين وخروج السلطان من مصر بسبب حركة الفرنج قال العماد وقعت المناقشة بين الحلبيين ومدبري الملك الصالح واستولى على أمره العدل ابن الجعي وكان سعد الدين كشتكين الخادم مقدم العسكر

في اخبار (٢٧٥) الدولتين

وامير المعشر وهو صاحب حصن حارم وقد حصد ما مشاله من الامراء والحكام فسلموا ابن العجبي الاستبداد بقتدير
الدولة فقتل عليه الاسما عليه يوم الجمعة بعد الصلاة في جامع حلب فقتلوه واستقل كشتكين بالامر فتم حكم نفسه
حصاده وقالوا الملك الصالح ما قتل وزيرك ومشيرك ابن العجبي الا ككشتكين فهو الذي حسن ذلك الاملا على
وقالوا له انت السلطان وكيف يكون لغيرك حكم أو امر شأن الزواله حتى قبض عليه وطالبه وتسليم قلعة حارم وأوقفوا
بها لاجله العناثم فكذب الى نوابه ما فقهوا وأبوا فقبلوه وقتلوا به تحت القلعة وخوفوه بالامر فقام المال امره قصر
عمره واستبد الصغار بعده بالامور الكبار وامتنعت عليه قلعة حارم وجرد اليها العزائم ونزل عليه الفريخ ثم رحلوا
بقطعة يدها لهم الملك الصالح واستنزل عنها كشتكين وولى بها امره كالايه يقال له سرخك وقال ابن الاثير
سار الملك الصالح من حلب الى حارم ومعه كشتكين فعاقبه ليأمر من بها بالسلم فلجيب الى ما طلب منه فمات
مذكوسا ودخن تحت أنفه فمات وعاد الملك الصالح عن حارم ولم يكها ثم انه اخذها بعد ذلك قال ابن شذاد اما الملك
الصالح فانه تخطأ امره وقهرض كشتكين صاحب دولته وطلب منه تسليم حارم اليه ففعل فقتله ولما سمع الفريخ
بقتله نزلوا على حارم طمعا فيها وذلك في جمادى الآخرة وقاتل عسكر الملك الصالح عسكر الفريخية ولما رأى أهل
القلعة خطرهم من جانب الفريخ ساءوا الى الملك الصالح في العشر الاواخر من شهر رمضان ولما عرف الفريخ بذلك
رحلوا عن حارم طالبين بلادهم ثم عاد الصالح الى حلب ولم يزل أعمامه على اختلاف يميل بعضهم الى جانب السلطان
قدس الله روحه قال العماد ووصل في هذه السنة الى الساحل من البحر كند كبير يقال له اقلندس اكبر طواغيت الكفر
واعتقه خوار الشام من نصري الاسلام ومن جملة شروط هدنة الفريخ انهم اذا وصل لهم ملك اكبر ما هم في دفعه
تدبير انهم يعاوضونه ولا يباينونه ويحالفونه ولا يخالفونه فاذا عاد عادت الهدنة كما كانت وهانت الهدنة ولان
وبحكم هذا الشرط حشدوا المشدود وجندوا الجنود ونزلوا على جمادى العشر من جمادى الاولى وصاحبها
شهاب الدين محمود الحارمي مريض ونائب السلطان بدمشق يومئذ اخذوا الكبر نور انشاه وهو الامر اعشع ولون
بذاتهم وكان سيف الدين علي بن أجد المشطوب بالقرب قدسها وخرج للرب واجتمع اليها رجال الطعن والضرب
وجرت ضرب من الحروب وكادت الفريخ تهجم البلد فخرجوهم من الدروب ونصر اليه أهل الاسلام بعد حصارهم
لهم أربعة أيام فقام من الملاحين ونزلوا على حصن حارم كما تقدم ذكره فوحلهم عنه الملك الصالح بعد حصار أربعة
أشهر ومن كتاب فاضل الى بغداد (توحيد الكفار الى البلاد الشامية فاصبحين لعقد كان محكما غادرين غدا صريحا
مقدري ان يجهزوا على الشام لما كان بالجدد جريحا ونزلوا على ناهر جناه يوم الاثنين الحادي والعشرين من
جمادى الاولى وزحفوا اليها في ثمانية فخرج اليهم أعمامها وتعين كتاب سيف الدين (يعني المشطوب) ان القتلى من
الفريخ نزل على ألف رجل ما بين فارس وراجل شي الله منهم الصدور ورزق عليهم النصر والظهور ثم انصرفوا وجمعوا
لهم بين تنكيس الصلاب وتخطيم الاصلاب مقرقة أجزايم عن المدينة المحروسة كما افترقت عن المدينة الشريفة الذبوبة
الاجزاب قال العماد وتسمع الخلبون يوم رحلنا من مصر قصد الشام لخصرة الاسلام وقالوا أول ما يصل حلالح
الدين نسل حارم فرساوا الفريخ وقاربوهم وأرغبوهم وأرهبوهم وقالوا لهم صلح الدين واصل ومالك بعد حصوله
عندكم حاصل فرحل الفريخ بقطعة من المال أخذوها وعدة من الاسارى خلصوها ثم توفي خاله السلطان شهاب
الدين محمود بن تنكش الحارمي في جمادى الآخرة وتوفي ولده تنكش بن خال السلطان قبله بثلاثة أيام وذلك اوان وقعة
الرملة ولما سمع السلطان بنزول الفريخ على حارم رحل من البركة يوم عيد الفطر بعدا كرو ووصل الى ايلة في عاشر الشهر
واستجاب بمصر أخاه العادل وأقامهم ايضا القاضى الفاضل بنية الحج في السنة العاقلة ووصل السلطان الى دمشق
في الرابع والعشرين من شوال ومما نقله العماد في التشوق الى مصر قوله

ساكني مصر هنا كطايها * ان عيشي بعدكم لم يطب
لاعدتم راحة من قربها * فانا من بعددتها في تعب
بعد الهدد باخباركم * فابعدوا اخباركم في الكتب
ليت مصرا عرفت اني وان * غبت عنها فاهوى لم يغيب

كتاب (٢٧٦) الروشتين

ومن ذلك قوله

تذكرت في جلسي داركم * قصر ويا بعد ما بيننا
وما أنفي سوى قريكم * وذلك والله كل المني
لحم الجفنان وطيب المتأ * وموحسن العجم قصر الهنا

ومن ذلك أيضا

يا ساكني مصر قد فقم بفضلكم * ذوى الفضائل من سكان أمصار
لقد دركم من عصبية كرمت * ودر مصركم الغناء من دار
ومن ذلك أيضا

يا حسدا مصر وير * كتم ابو صدر والعروش
فهناك أملاكى الذين سمعت بعزم العروش

قال ووصل كتاب من الفاضل يذكر فيه ان العدو قد خذله الله نهض ووصل الى صدر وقال القلعة ولم يترك له امر فصرف الله شره وكفى أمره ووصل من الفرنج مستأمن وذكر انهم يريدون الغارة على فاقوس فاستقلوا أنفسهم وعرجوا وذكر انهم مضوا بنية تجديد الحشد ومعاودة النصد قال وأما نوبة العدو في الزمة فقد كانت عشرة علينا ظاهرها وعلى الكفار باطنها ولم نمانس من اسمها ولم نهم ما بقي من عزمها ولا دليل أدل على القوة من المسير بعد شهرين من تاريخ وقتها الى الشام فخنقوا بلاد الفرنج بالقوافل الثقيلة والحشود الكبيرة والحريم المستور والمال العظيم المورقور قال العادوا ما دخلنا دمشق وجدنا رسل دار الخلافة قد صاوا باسباب العاطفة والرأفة وكان حينئذ صاحب الخزانة ظهير الدين أبو بكر منصور بن نصر العطار وهو من ذوى الاخطار وله التحكم في الاراد والاصدار وقد توفى على محبة السلطان وترى رجاؤه وتلبية دعائه ووصل كتابه ورسوله بكل ماسر المراتي ونزول البصائر

﴿فصل﴾ في ذكر أولاد السلطان قال العاد في هذه السنة ولد بمصر السلطان ابنه أبو سليمان داود وكتب الفاضل الى السلطان يهنئه به ويقول (انه ولد لسبعين من ذى القعدة وعرضا الولد المبارك هو المولى لاثني عشر ولدا بل لاثني عشر نجما متوقدا فقد زاد الله في أنجمه على أنجم يوسف عليه السلام نجما وآرام المولى بقطة ورأى تلك الانجم حيا ورأهم ساجدين له ورأى الخلق له سجودا وهو قادم سبحانه ان يزيد جسد ودالمولى الى ان يراهم بأه وجسد ود) قال العاد وكنيت في بعض الليالي عند السلطان في آخر عهده وجرى ذكر أولاده واعتزاده بهم واعتزاده فقلت له لو عرفت أيام ولدهم في أعوامها لانشأت رسالة على نظامها فذكر لي ما أنبئه على ترتيب أسنتهم

﴿ماصورته﴾

الملك الافضل نور الدين أبو الحسن علي ولد بمصر ليلة عيد الفطر عند العصر سنة خمس وستين وخمسمائة العزيز برأب الفتح عثمان عاد الدين ولد بمصر ثامن جمادى الاولى سنة سبع وستين

الظافر أبو العباس خضر مظفر الدين ولد بمصر في خامس شعبان سنة ثمان وستين وهو أخو الافضل لأبويه الظاهر أبو منصور غازي غياث الدين ولد بمصر منتصف رمضان سنة ثمان وستين

العزيز أبو يعقوب اسمعيل فتح الدين ولد بمصر في ربيع الاول سنة سبعين

الأؤيد أبو الفتح مسعود نجم الدين ولد بمصر في ربيع الاول سنة إحدى وسبعين وهو أخو العزيز لأبويه العزيز أبو يوسف يعقوب شرف الدين ولد بمصر في ربيع الآخر سنة اثنتين وسبعين وهو أخو العزيز لأمه الزاهر أبو سليمان داود مجير الدين ولد بمصر في ذى القعدة سنة ثلاث وسبعين وهو أخو الظاهر لأمه المفضل أبو موسى قطب الدين ثم نعت الظفر ولد بمصر سنة ثلاث وسبعين وهو أخو الافضل لأمه

الاشرف أبو عبد الله محمد بن بر الدين ولد بأشام سنة خمس وستين وخمسمائة

الحسين أبو العباس أحمد ظهير الدين ولد بمصر في ربيع الاول سنة سبع وسبعين وهو لام الاشرف

ثم ذكر أبو منصور نورأشاه خفر الدين ولد بمصر في ربيع الاول سنة سبع وسبعين

في اخبار (٢٧٧) الدولتين

قلت ومات سنة ثمان وخمسين وهي السنة التي أخرج العدو من التتار خذهم الله تعالى مدينة حلب وغير

والله أعلم

ثم دخلت سنة

خطة الاصل

سنة أربع

لوالديه

بن

الجلود أو سعيد أبو بكر بن الدين ولد في ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وهو لام المعز
الغالب أبو الفتح ملك كشاد نصير الدين ولد له بالشام في رجب سنة ثمان وسبعين وهو لام المعز
المنصور أبو بكر وهو أيضاً أخو المعز لا بويه ولد بخران بعد وفاة السلطان
قلت فهذه خمسة عشر ولداً ذكرهم العامد في هذا الموضع وقال في آخر كتاب الفتح القدسي على ما سنده ذكره في آخر
هذا الكتاب ان السلطان الماتوني خلف سبعة عشر ولداً وابنة صغيرة فقد فاته هذا ذكر اثنين وهما عماد الدين شاذي
لام ولد ونصرة الدين منى وان لام ولد وأما البنات فهن مؤنساتان تزوجها الملك الكامل محمد على ما سنده ذكره
وهو ابن عمه الملك المعادل أبي بكر بن أيوب والسلطان غيره ولا الأولاد من درج في حياته كالمالك المنصور وحسن
وسمى في ذكر وفاته والامير أحمد وهو الذي رثاه العرقلة بقوله

أى هلال كسفا * وأى غصن قصفا * كان سراجا قد طفي * على الورى ثم انطفأ

لم يركب الخيل ولم * يقاسد دود مصر حفا * قل للنجاة ويحك * أحمد لم قد صرنا

صبرا صلاح الدين يا * رب السماح والرفا

قال العامد ورد من الفاضل كتاب تاريخه منتصف ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين بكيفية فصوله متعددة منها
للولى أولاد وقصصا واربعا ويجب ان يتجسد للسلاطين كما فعل السابقون أعاروا وأعمالا وقيل القلائع
أنوف من حلقها شمعها (ما في الرجال على النساء امين) ومنها أبيات في ذكر السلام

مولانا وهاراك ابنه * وأخيه وابن أخيه والجيران

على الكتاب السهم منه أجابة * لسلام مولانا ابنه عثمان

والله قد ذكر السلام وانه * يميزى باحسن منسه في القرآن

وغربسة قد جئت فيها أولا * ومن اقتناها كان بعدى الثاني

فروى السلطان في أرسالها * والامير رسلهم الى السلطان

قلت وقد وصف الفاضل الملك الماتوني في كتاب آخر فقال (وقد تطلبت به السن رامتني وتأهبت السعادة لحظيته
واعتدت ولا حظته العيون بالوقار وطرفت دون جلالة وارثتي) وفي بعض كتب الفاضل عن السلطان
الى ولده الافضل (إعزازه لاهل الفضل دليل على فضله وان الاولى ان تكون كتب الادب عند أهله وما أجدنا
جال في فضله النضائل ونماذج من أبقار المعالي كراعم العقائل وأتى بين السيف والقلم وصار في موكبه العلم
والعلم) ومن كتاب آخر في المعنى (فلقد زادت هذه المنقبة في مناقبه ونمازت عود سدود في تراثه

فأترجم الانسان عن سرفته سله * بأفضل من تقيده لاولي الفضل

قال العامد ونجح السلطان للصيد في الحجة نحو قاراقش حيث تفرقت فرسه وعلمت أنسى فرجه مع عز الدين
فرخشاه لحى عرته فنهكها من الأثر والانباء راجعها راولا تفارق بعرق بالفسد من الحى التي وصفها أبو الدليل
المنجى فنمازت فيه كنه طوبى له أولا

يمسكك أديم بابل اليسار * وكفك صوبها بابل اليسار

وأنتك من مولك الارض دارا * بنزلة اليه من اليسار

وأنت البصر في بث العتاي * وأنت الطود في ندى الوقار

ومنها في وصف الحى

وزارة وليس بها حياء * فليس تزور الا في النصار

ولور هبت لدى الاقدام جورى * المرغبت هاراجى جوارى

أنت والقلب في هيج اشتياق * ليظهره أوارى من أوارى

كتاب (٢٧٨) الروشتين

ولو عرف لظى سطوات عزمي * لكأنت من سطاي على حذار
تقيم تخمين تبصر من أناني * ثبات الطود ترمع في الفرار
نفا رقتي على غير اغتسال * فلم أحلل لزومها إلزاري
أياشمس المسلول بقميت شمس * تنبر على المأناك والديار
أجالك استعارت لفتح نار * لعزمك لم تزل ذات استعار

(فصل) قال العماد وفي العشر الأول من ذي القعدة قتل عضد الدين بن رئيس الرؤساء وزير الخليفة ببغداد على أيدي الملاحدة وكان قد توجه إلى الحج فوقف له في مضيق وطش شاغري دجلة كهل في يد قصة برعسم انه يريد رفعها إلى الوزير بمن يده إلى يده فأوليد وصل قصته فأنتهز فيه فرصته فقتله وبدر كمال الدين أبو الفضل بن الوزير فقتل قاتل أبيه بسيفه وكان مع ذلك الجاهل المخدرة إن له فجر أحد حياح حبيب البياض المعوج فأت وجرح آخر ولد قاضي القضاة وقيل الملاحدة وأحرقوا واستقل ظهير الدين أبو بكر منصور بن نصر المعروف بابن العطار صاحب الخزن بالدولة وكان السلطان خذنا مصافيا قتل وابن العطار هذا هو المرحوم المشهور بعد موته ببغداد كما سيأتي ذكره في آخر حوادث سنة خمس وسبعين قال ابن الأثير وكنت حينئذ ببغداد عاجزا على الحج فعرض عضد الدين دجله في شبارة فلما ركب دابته والناس معه ما بين راكب وراجل تقدم إليه بعض العامة ليدعوا له فنهجه أجبجياه فزجرهم وأمرهم أن لا يذعروا أحد اعنه فتقدم إليه الباطنية فقتلوه بالجانب الغربي فقتلوا فيهم قال العماد ووردت مطالعة الفاضل إلى السلطان تمنع التوجع لقتل الوزير عضد الدين وفيها (وماربك يظلام للعبيدة فقد كان عفا الله عنه قتل ولدى الوزيرين هبة وأزهق أنفسهم وجماعة لا تحصى (من ذا يسر بذبته * والدهر لا يغير به) وهذا البيت بيت ابن المسألة عريق في القتل وجده هو والمقتول بيد البساسيري في وقت إخراج الخليفة القائم في أيام المقلب بالمستنصر عصره ومن ذرية لم تزل قاتلة مقتوله وما زالت البساسيرف عليها ومنها مأسوله فهم في هذه الحادثة المسماة المعصية كما قال دريد (أبى الموت إلا الاله) والايسات المولى يحفظها وهي في الحساسة وقد خدمت له السعادة بما ختم به له الشهادة لاسما وهو خراج من يته إلى بيت الله قال الله سبحانه ومن يخر من يته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله

ان المسألة قد تضر ورعا * كان السرور بما كرهت جدر
ان الوزير برز برآ لمحمد * أودى هن يشنالك كان وزيرا
وهذان البيتان قيل في أبي سلمة الخلال أول وزير لبي العباس ثالث وبلغني ان الفاضل قال في ذلك وأحسن من نيل الوزارة للقي * حبيسة تزيه مصرع الوزراء
قال العماد وكان ضيباء الدين بن الشهرزوري قد سافر في الرسالة إلى بغداد وتوقف في الموصل لحادثة الوزير ووافق وصوله إلى الموصل وفاة ابن عمه القاضي عماد الدين جدين القاضي كمال الدين بن الشهرزوري وكان شابا وجاء كتاب الفاضل يذكر ذلك وفيه (يدلى ابن عشرين في حسده والاسعون صاحبها راع اغتبط الولد مع نصارة الشباب المقتبس وعمر الوالد مع ذبول الشيب المشغل ليعلم ان الشيب ليس بمسلم وان الشباب الغض ليس بمائع ولما كان العبد حذرا من بغتات الأجال في كل الأحوال والله يطبل للمولى العر كما أطل له في القدر ونسج منه

ولا نسج فيه وبقية سندا

للدين الحنيفي

فان بقضاءه

يكفاه

في أخبار (٢٧٩) الدولتين

٢٧٩

وهذا آخر الجزء الاول من كتاب الروضة في أخبار الدولتين يتاوه ان شاء الله تعالى في الجزء الثاني ثم دخلت سنة أربع وسبعين وخمسةائة قال العماد وكان شمس الدين ابن المقدم من أكابر الامراء الى آخره قال ناسخ نسخة الاصل التي حصل عليها شميل هذا الطبع ووافق الفراغ من نسخة يوم الاربعاء ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وسبعمائة على يد اضعف الحافظ وأحوجهم الى عفو الله أحمد بن العلم بن عبد الله غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه الطيبين الطاهرين وسلم

وعلى نسخة الاصل المذكورة أيضا ناص هذه العبارة المسدورة شاهدت على نسخة الاصل المنقول منها هذه النسخة وهي جميعها بخط قاضي القضاة نجم الدين المصري الشافعي رحمه الله ما صورته يقول شاهدت على آخر الجزء الاول من الاصل المنقول منه هذه النسخة بخط المؤلف في آخر المجلد الاول من كتاب الروضة بن فرغ منها مصنفها نسخها في حادي عشر شهر رمضان المبارك سنة احدى وخمسين وسبعمائة واشتقت هذه النسخة المبيضة على زادات كثيرة فانت النسخ المتقدمة على هذا التاريخ المتقدمة من المسودة وكل ما نقل من هذه النسخة هو الاصل الذي يعتمد عليه ويركن اليه كتيبه ماصورة شمس الدين بن اسماعيل بن ابراهيم الشافعي مصنفه عفا الله عنه

وشاهدت عليه ماصورة شمس الدين بن اسماعيل بن ابراهيم الشافعي مؤلفه الشيخ شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم الشافعي ولده شمس الدين ابو الهادي أحمد وشهاب الدين ابو العباس أحمد بن فرح الاشيلي وزير الدين على بن أحمد بن يوسف القرداجي وشمس الدين اسماعيل بن أحمد بن ابراهيم المالكي وابنه محمد وعفيف الدين محمد بن ابي بكر ابن ابراهيم المؤذن الشاغوري ومحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الكندي وسمع آخرون بفوات عينا وفي الاصل وسمع ذلك بقراءة يوسف بن محمد بن عبد الله الشافعي في مجالس آخرها ثمان مئتين سنة أربع وستين وسبعمائة بن دار الحديث الاشرفيه كتيبه قارئه يوسف بن محمد حامد الله مصليا على نبيه محمد ومسلم نقل ذلك كانه مختصر أحمد بن مصمري التلعلي الشافعي غفر الله له

وشاهدت عليه أيضا بخطه ماصورة شمس الدين بن اسماعيل بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن عمر الارابلي سمعته بقراءة شهاب الدين أحمد الامام زين الدين ابي ذكر يحيى الحضرمي وآخرون بفوات ذكره في الاصل وفتح من ذلك يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الاول سنة خمس وخمسين وسبعمائة بن أروعة عمر مجلسا كتيبه مصنفه عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم الشافعي عفا الله عنه

يقول العبد الفقير المعروف بابي السعد أفندي شرمية وادي النيل قد تم بحمد الله وحسن توفيقه بطبعة وادي النيل في اواخر سنة ١٢٨٧ طبع هذا الجزء الاول من كتاب الروضة في تاريخ الدولتين الذي هو

كما لا يخفى على كل ذي فضل فضيل كتاب جليل وسفر جميل واقد اعنتني هذا العبد الغفيل

بإحسانه وانه وفتحه واستجاب رفاقته وتسلمه على قدر الطاقة حتى جاء

بعمد الله تلو روضة الغنا وقد صاح فيها البابل وغنى من اطلال

الاسلام بعض دوايرها وبعيد من آثار السلف الصالح شأما من

مغارسها والمزج من المولى سبحانه ان يتم احسانه

ويعين على خبازا الجزء الثاني كما أعان على

تمامه هذا الجزء الاول وصلى

الله على سيدنا محمد وسلم

وشرف وعظم

وصيته

ونيل

(فهرست)

(مالايد من التنبیه عليه من الخطأ والصواب فی الجزء الاول من هذا الكتاب)

صفحه	سطر	خطا	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب
٥	٢٩	جارم	حارم	٨٦	١٣	توجهت شهابها	توجهت شهابها
٦	٣٦	سماكم	سماكم	٩٧	٠٩	المهجي - منج	المهجي - منج
١٤	٢٧	بكا	بكي	٩٧	٢٠	معدا	معدا
١٧	٠٧	بجبل	بجبل	١٠١	٢٥	جوت	جوت
٢٢	١١	ياسوطه	ياسوطه	١١٥	١٨	ونخد العيش	ونخد العيش
٢٢	١٦	بم	بم	١٢٢	١٠	الجفار	الجفار
٢٣	٣٠	الغار	الغار	١٣٠	٣٦	حنك	حنك
٢٤	٢٤	م	م	١٣٢	٠٢	جبل	جبل
٢٥	١٥	منقد	منقد (وهكذا)	١٣٤	٠١	لاونف	لاونف
٢٦	٣٦	وحفظا	وحفظا	١٤٩	٢٨	السابعه	السابعه
٢٨	٢٥	شخير	شخير	١٥٢	٢٧	بلك	بلك
٢٨	٢٨	قلع ارسلان	قلع ارسلان (وهكذا)	١٥٣	٠٢	ملك	ملك
٣٤	١٠	انابك	انابك (وهكذا)	١٦٤	٣٠	ناشره	ناشره
٣٤	١٦	ليه الهرب	ليه الهرب	١٧٠	٣٣	واصله برساله	واصله برساله
٣٤	٣٧	مقترع	مقترع	١٧١	٣٧	اصحابه	اصحابه
٣٩	١٥	بغا	بغا	١٨٥	٢٧	قال العادق	قال العادق
٤٠	١٦	فاخلتها	فاخلتها	١٩١	٣٣	منازل العز	منازل العز
٤٠	٣٥	البيره	البيره	١٩٦	١٥	المستضي	المستضي
٤٧	٣٠	اسعد	اسعد	١٩٨	٠٦	استبناه	استبناه
٥٠	١٧	البيساني	البيساني	٢٠٧	٠٤	الانما	الانما
٥١	١٢	اعنفت	اعنفت	٢١٥	٣٠	مثاله	مثاله
٥٦	٢٢	عبدونهم	عبدونهم	٢٤١	١٠	عرايب	عرايب
٦٥	٣٤	الى مبر الكفى المجد	الى مبر الكفى المجد	٢٦٢	٢٦	مراي مراي	مراي مراي
٦٦	٠٢	وملائتنا	وملائتنا	٢٧٢	٢٠	السعاده	السعاده
٦٦	١٣	الردى	الردى	٢٧٢	١٥	تستجند	تستجند
				٢٧٧	١٥	عفا	عفا

هذا هو الميزان الذي وجد في طبع هذا السفر الشريف بعض تحريف وتضعيف كتنقص بعض نقط أو عدم ضبط في طبع بعض الحروف لا تحفى على فهم القارئ البصير والله سبحانه وحده هو المنزه عن الغلط والسقط وهو العالم الخبير

كتاب الروضتين في اختيار الدونين
 تأليف الشيخ الامام العالم الفاضل الصدر الكامل
 الاوحد فرید عصره وحید دهره مجموع الفضائل
 شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن اسمعيل
 ابن ابراهيم المقدسي الشافعي
 رحمه الله تعالى
 بر حقه
 آمين
 ٢

رواها الشيخ الامام محمد الدين أبي المظفر يوسف بن محمد بن عبد الله الشافعي - جامعته

:(الجزء الثاني):

(طبعة جديدة)
 "مطبعة وادي النيل" مصر القاهرة
 سنة ١٢٨٨

١٣٦
 ١٣٦

في أخيار (٣) الدولتين

الدواعي وعن مقدور صاحبها من الفعل بحسب الاستطاعة وإذا كان المولى أخذ في أسباب الجهاد وتنظيف الطرق إلى المراء في طاعة قدامته الله عليه بياول أمدا وهو منه على أدل في فتحه ومعددها والأواب على قدر مشقة وانما عظام الجراح جده وبعد مشقة ولوان المولى دفع الفتوح العظام في أقل الأيام وفصل النفقة بين أهل الاسلام وأعداء الاسلام كانت تكاليف الجهاد قهضت وبها انبأ البر بالكتابة بالارادة والانتظار وطوبى ومنه في ذكر أولاد السلطان (وقبل الاجابة عن الفصول فنبشع ما جرت العادة في الاقمار الله تلك العادة من سلامة وصحة وبأية شملت والنبأ وأولاده السادة أطاب الله الخيرة اليهم عن المولى وإلى المولى عنهم ويجعل لقاهم لهم ولقاءهم فأنهم يلقونهم كل منهم ملك دسته بمرجه وفارس مهده بمرجه فهم يحميهم الله بجمعة الدنيا وزينتها ورحمة الحياة وزينتها وان فؤاد أوسع فراقهم لواسع وان قلبه أوسع باخبارهم لقانع وان طرفا نام على البعد عنهم فالحاج وان ملكك ملكك تصبر عنهم بالزم وان نعمة الله فيهم لشعبة العيش ناعم أما يشاق جيد المولى ان يتطوق بذرهم أماتوا معي عنه إلى أن تروى خبرهم أما يحسن قلبه على قلبه أما ينقطع هذا الظائر بتقبلهم ما خرج من حبه وللولو أبقاها الله تعالى ان يقول

وما مثل هذا الشوق قبل مضغته ❦ ولكن قلبي في الهوى متقلب

وفي أخرى (والملك والاولاد في قناعة العافية لا رقت عنهم كانوا رعايهم بجزالة السلطنة لا فارقتهم جهلنا الله من المولى السادة الامراء والاولاد والامه كاهم جوهر وكاهم المقدم وليس فيهم يحميهم الله من يتوكل على ما عود الله من نعمة وسلامه وكذا يتروا به ولم يمسك منهم بشمدا الكتاب ووقوف الامايج ومخاض الحفر فيهم من تحت ليل الصبر الزود لثقتهم ضوء السراج والله تعالى يمد في المولى إلى أن يرى من ظهروهم مارا جده بمرجه الله في أهل بيته من الابان الرابع فوارس الحرب الرائعة وما لك الاسلام التي منهم للاسلام تأملر وتوابعه وكافهم عند العلاء صغر ومغيرا ان الشار كبير في يوم الارض وزين بمرجه من بعض الخلف السام الحاضر وهم في الدنيا والاشرة فرسان القوة التي في يوم الحرب ويوم العرض ومنها في ذم ما دمشق ووجهها (عرف الملك من الكتب الواحدة التي ان جسم المولى الامير عثمان والحق بها نبال ذلك الجسم الكريم يوقد في قلبه الاولياد الاثر العظيم وتامل قناعة العين غير قليل وماذا يقول في بلد لو حجت اية من دانه لكانت من أكبر أسباب حجة الحق وشفاة فانه ما يوقد في قلبه المياد تشرب ويجرد خامته من نصف ولا يتعصب ومنها (وأما المأمور به في معنى المنسكات الفاهرة والارادة أسباجها واغلاق أبوابها وتجهيز كل مشورة من عهده وتجاهل كل موسومة بوجهه فانه يتيب المولى أبواب من غشيت بغير ضيقه بغضبه وحمل الخلق على منهاج شمره وادب) ثم أورد الامام ذنولا كثيرا وقال انما

أوردت الفصول الفضيلة لان في كل فصل منها ذكر سره وقوائده

(فصل) قال الامام ذنول انما أغفلته ذكر ما أفتاه السلطان من مكس مكسرها الله تعالى عن الحاج وتعويز اميرها بجلاب غلة قبل اليه في كل سنة وتعيير شيئا عهدة عهده بالاعمال المدرية كان الرسم بمكة ان يؤخذ من حاج المغرب على عسدا الروس ما ينسب إلى القرائب والاكوس فاندخل حاج حبس حتى يؤدى مكسه ويترك ما ينسب منه بنفسه وإذا كان قنار الامالك فهو يحبس ولا يترك ويؤتة الوقتة وقوة ولا يدرك فقال السلطان نريد ان نعوض امير مكة عن هذا المكس بمال ونغنيه عنه بنوال وان أعطيتنا ضياعا استوعبها ارتنا وان انتفاعا فلا يكون لاهل مكة فيه انصيب فقر ومع ان يجعل اليه في كل سنة مبالغ ثمانية آلاف أردب قبح إلى ساحل جده فان الامير بها يحتاج إلى بيعها لانتفاع بامانها ويثق أهل الحر من الدولة بدوام احسانها وقر ايضا حيل الغلات إلى الجمارين بالحرمين والاقرا ومن هنالك من الشرفا ووقف لها وقفا وخلدها إلى قيام الساعة مع رفا فسقة المكوس واغتبطت النفوس وزاد البذر وزال العروس واسقرت النعمي وزال الروس وذلك في سنة اثنتين وسبعين ومن كلام الفاضل في ذلك في بعض كتبه من الباشا التي لا عيب في حاجه دار مصر عنهما ولا عيب في ملكهم مارك البارامير يتاحل على غرضها واجرها انتفاع الكاسين عن جنة وعن شقة السوادحل ويكفي ان قام هذه النعمة بوجوب الاستانة قهضت بحجة الله في الخلق فكانت النعمة على سقوطه مع وجوده لاهل وما

كتاب (٤) الروضتين

أكثر ما جرى الله للخلائق على يد المولى من الرزاق التي تفضل عن الاستحقاق وما أولاه من يدونى بالمعروف مكانه من هذين الحرمين الشريفين المهاجرين من اسعاف أهل الاقتدار والمجروح من قدرهم ما على خير فاضع فرصته بترك البسار وغير يخاف عن مولانا همة الفرج بالقدس براويجها ومن كبا وظهرا وسلمى وحربا وبعد اقربا وتوافقهم على جاسسه وهو أنف في وجه الاسلام ومساير عتهم الى نغرة أهليه بالار راجح والاموال على من الايام ومعاذ الله ان يستعبد رافي الضلال ونصرف نحن عن الحق ويضيق بنا في التوسعة على أهله سعة المجال والمالوك في مسهل رجب عشرينا لله معول على السفر الى الحجاز القضاء الفريضة قولاً وفعلًا والسايرون في هذه السنة بطاعة وقوة الجماعة وبطاعة وضع المكس خلق لا يحصى والمولى شريك في أجرهم فليهنه ان المالوك عرفت بيوتنا غربت وان المولى عمر بيت الله فمن كرمه سبحانه ان يعز بيت المولى وما أشد خجل المالوك من النبي صلى الله عليه وسلم في التقصير في قوت جيرانه في هذه السنة وما هكذا أوصى للطبع ولكن للغائب حجتة قلت وفي هذه المكرمة التي فعلها صلاح الدين رحمه الله بالحاج يقول الشيخ الفاضل أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبر الاندلسي من قصيدته التي يمدح بها صلاح الدين وستأني فيما بعد أخبرني بها ثقة لها من خطبه

رفعت مغارم مكس الخبايا * زنا نعامك الشامل الغامس
وأمنت أكاف تلك البسلا * دفهان السيل على العابر
وتحجب بأديك فياضة * على وارد وعلى صادر
فكتم لك بالشرق من حاد * وكلك بالغرب من شاكر
وكما لد عادلكم كل عا * مبهمة من معين جاهر
وقد بقيت حسيبة في فلا * ن وثك الخيرة للذائر
يعرف حجاج بيت الاله * ويسطو بهم سطوة الجابر
ويكشف عما بأيديهم * وناهيك من موقف صاغر
وقد وقوا بعد ما كسفوا * كأنهم سم في يد الاسر
ويزلهم حلقا باطلا * وعقبى اليمين على الفاجر
وان عرضت بينهم حرمة * فليس لها عنه من سائر
أليس يخاف غدا عرضه * على الملك القادر القاهر
أليس عسلى حرم المسلمين * بتلك المشاهد من غابر
الا حاضرنا فمع زجره * فياذلة الشاهد الحاضر
الناصح مبلغ نصحه * الى الملك الناصر الظاهر
ظالموم تذهن مال الزكا * قلقد تعبت صفة الخاسر
يسر الخبيثة في باطن * ويسدى النصيحة في الظاهر
فاوقع به حادثا انه * يفرج أحدى قوته الذاك
فما لنا كبر من زاجر * سواك وبالعرف من آمر
وحاشاك ان لم تزل رهما * فمالك في الناس من غادر
ورفعك أمهالها وسع * رداء فخارك للناسير
وأنا نارك الغر تبقي لها * وتسللك الماسر للآثر
نذرت النصيحة في حاكم * وحق الوفاء على الناصر
وحبك أنفذتني بالقرى * وما تبقى صلاة الشاعر
ولا كان فيما مضى مكسبي * وبئس البضاعة للتاجر
اذ الشرح صار شعرا الفتي * فمالك من لقب شاعر

في اخبار (٥) الدولتين

وان سكان نطعن له نادرا * فقد قيل لاحكمكم للنادر
ولكنما خلد رات الهوى * تعسق قلبك بالقطار
وأما وقد زان تلك العسلى * فقد فاز بالشرف الباهر
وان كان منك قبول له * فتسلك العسكرامة للزائر
وبكفيه سمعك من سامع * وبكفيه لحظك من ناظر
وربهي على الروض غب الحيا * بما حاز من ذكرك العاثر

قال العماد في المحرم من هذه السنة توفي الحكيم مذهب الدين أبو الحسن علي بن عيسى المعروف بابن النقاش البغدادي بدمشق وكان كنعته مهنذا ومن المأثورات لفرداه بفضل مة تريا وهو موزني فنه حتى ان من شدى أشيائه من الطب تنجح بانه قرأ عليه وتردد لاستفادته اليه وقدر احتشاه العوام الر ياضيه وأحكمت أخلاقه المعارف الحكيمه وفي الثاني عشر من جمادى الاولى توفي الامير نجم الدين بن مصال مصر وجأ ناعيه وممن يخصص لجوارز عظام السلطان برزته حذته وجلس في بيت الحشيش مسجوحا وحده وقال لا يختلف الدهر في صدقة ما مثله بعده وأجرى ما كان له جميعه لولده وحفظه هذه وكان لجماعة من الاعيان والتعراء والامثال والادباء بعناية ووساطة من السلطان رزق ابتداء عليهم كما أنه عليه مستحق وفي العشر الاول من ربيع الآخر غارت طائفة من الفرنج فعلى بلادهم فخرج اليها وتولى عسكر حماد الامير ناصر الدين منكور بن حمار تكسر صاحب حصن بوقويس فأمر بالمقتل ثم وسفك بسيفه دم المأقين وجاء الى الخندمة السلطانية بظواهر حصن وساق معه الاسارى فأمر السلطان بقتلهم وان يتولى ذلك أهل التقى والدين من الخاضرين فتقدم امامه الضياء الطبرى وضرب عنق بعضهم ولاد الشيخ سليمان المغربي ثم الامير ايلخان بن ياروق واستدعى العماد حتى ايليك فباذرا ما عدا من غير قتال فقتل أمره هالوا لم يسمع بها صاحبها ودخل فصل الشتاء فرحل السلطان عن ابل دمشق وكل بها من يصصرها بالمع من الخروج وال دخول من غير قتال وهم جماعة مع مغرور الجنادر ودخل الى دمشق في العشر الاواخر من رجب وتنادى الامر ان رضى ابن المقدم بن من يعرر وأعماله وسلك كقرطاب وأعيان فواضى وقرى من بلاد المعمر ولم يسلم بعلبك من المنصرة والعمره وكان الذى أخذها كثر وأوقع بها خلاه وما خطر بها له ما حصل له ولا ترجاه ولا تمناه

في فصل ١٠ كان في قبلة في حوادث متفرقة قال العماد كتب النواب بدمشق الى السلطان ان الاموال ضائعة وان الاخلاص في غير افعاله وان في ارباب الصدقات اغنياء لا يستحقونها وما لهم رتبة من الله يتقونها وان ارباب الغنى بات استوعبوا وما استوجبوها وان المصلحة تنفعني افراد جهات لما سئمت من مهمات وكانت الصدقات مبلغ احد عشر ألف دينار فقال في كتب عليها جميعها بالامضاء ولا تصبى على ذوى الاماله واراد العطاء فقلت ان اثار عليك الاسماء فقال لا بل نزلني عن هذه الاشياء فبقيت تلك الرسوم دائره والامال بها ساره قال وفي شعبان من هذه السنة توفي متولى المقياس بمصر فتو من السلطان منصبه الى أخيه قال وهذا المقياس موضع مبني من عهد خلفاء بنى العباس ليعرف زيادة الماء ونقصه انه بالقياس وهذا كمن في المائمه مقوم بالذرع والاذرع مقسومة بالاصابع في مقياس يرب في الجزر عن الجامع تصل في الجوامع والجمع ولا يولد من العهد القديم متول من ولد آل الرداد من هو معروف بالزراعة والعلم والسداد والبراد داز ورسم وقرار قالت بلغني ان ابا الرداد هذا كان معانا من أهل الصدق والصلاح ربه جعفر المتوكل على الله في ولاية المقياس وبقي من بعده على ولده وقرأت في تاريخه ان عمر بالابن قدموا مصر لابي سعيد بن يزيد بن قال (عبدالله بن عبد السلام بن الرداد العمى بصرى قديم مصر وحديث بها وكان قد جعل على قياصة النيل توفي بمصر لسبع سنين من رجب سنة ست وثمانين وما تثنى وذكره ائرس عمدي أهل مصر ايشوا لشيء له ولد هو ابراهيم قال ابن الاثير في سنة اربع مائة وسبعين وثمانمائة اشتد الغلاء وعم أكثر البلاد القارصه وورد ياربكر ديار الجزيرة والشام وغير ذلك من البلاد ودام الى ان انقضى شمس سنة سبع مائة وخروج الناس في البلاد يسيرة فلم يبقوا ثم ان الله تعالى ارادهم عبادته ولطف بهم وأزل عليهم القيس وأخذ من الله ابراهيم

كتاب (١) الروضتين

عجبت ما رأيت تلك السنة اني كنت في الجفرة فاقبل انسان تركاني قد انرفيه الجوع وكأنه قد أخرج من قبر فيكي وشكا الجوع فأرسلت من اشترى له خبزاً فأتى آخر احضاره لاعدمه وهو يبكي ويتنزع على الارض فتعجبني السماء وبجفت نقط مطر متفرقة ومضج الناس ثم جاء الحزن فأكمل التركاني وأخذ الباقى معه ومضى واشتد المطر ودام من تلك الساعة فخصت الاسعار ووجدت الاقوات بعد ان كانت معدومة ثم تعجب الغلاء وباء شديد كثير وكان مرض الناس شديداً واحداً وهو سر سام هات فيه من كل بلد لا يحصى من كثرة ولقي الناس ما يجزىهم من الله ثم ان الله تعالى رفعه في سنة ست وسبعين وخمسة مائة وقد وضعهم العالم

(فصل ١) في عمارة حصن بيت الاحزان ووقعة الهند في قال العماد وفي مدة مقام السلطان على بعلبك واشتغاله بالمرها التي في الفرنج النرصية فين واحد صن على محاشية بيت الاحزان وينه وبين دمشق مسافة يومين وبينه وبين صفد وطبرية نصف يوم وقيل للسلطان متى أحكم هذا الحصن تحكم من النفر الاسلامي الوهن وغلق الزمن فتقول اذا أتوت لنساء عليه وهذا مدنا الى الاساس وجعلناه من الرسوم الادراس فكان الامر بعد سبعة على ما جرى لفظه من عدة حسنة فلما انقضى أمر بعلبك وصل السلطان دمشق فأقام بها وأمر الحصن من همه وقصد حصاره من عزمه وكان العام مجدداً والجذب عاماً وقيل للسلطان ايس هذه سنة جهاد فان استعجلك السلامة فامض وان يخبروا السلطان في فتح فقال السلطان ان الله أمر بالجهاد كقول بالزق فأمره واجب الامثال واعدوا من الصدق فتأتمر بما كلفه النور مما كلفه ومن أغفل أمره أغفله قال ووصل في هذه السنة رسول دار الخلافة وهو الخادم فاضل وكان من أفضل الخدم ندب بافضل الخدم وفرح السلطان به واستعجبه معه الى الفزاة ووقف بعد على الحصن الذي استعمله الفرنج بالهند البعقوى وتخطف من حوله من الفرنج جماعة وأقام على أهل العصبة بجهاد الطاعة وعاد وقد عرف ما يعزم عليه من أمر فتحه قال وفي مشتمل ذي القعدة كانت وقعة هندي ومقتله وذلك ان الاخبار تواترت بان الفرنج قد تجمعوا في جميع عظيم وانهم عازمون على الخروج على المسلمين على غرة قدم السلطان ابن أخيه فرخشا على عساكر دمشق وأمره ان يخرج الى التفرقة ولأمره ان يخرج ويجهدهم ان يتخذ الى السلطان بعله بذلك ولا يلقاهم بل يتركهم حتى ينزسطوا الى بلاد فرخشا في فرخشا الا وقتلوا طوهم على غرة فوقع الواقعة فقتل صاحب الناصرة وجماعة من مقدمهم وطلب الملك فطر حصاره ورح فرسانه وجاء الهند في يجهده فوقع فيه جراحات أحدها شابة وقعت في راسه فجلدهته ونقلت الى فيه وموت بضربه فقلعته وخرب من تحت فكفه ووقعت أخرى في مشط رجله فنفذت الى أخمصه وأخرى في ركبته وضرب ثلاثاً في جنبه فكسر له ضلعين وقتلت عدة من الرجلة والخيالة ورجعت الفرنج يفتزي عظيم ليس فيهم الا بجرع وكل يوم ترد البشرية موت مقدم من جراحة أصابته ووردت بطاقة الطير في ذلك اليوم الى دمشق فخرج السلطان فواصل الى الكسوة الاور وسهم وأسراؤهم قد بقي بها فرجع منظره منصوراً واذلت الفرنج بعددها وانكسرت بموت الهند في ثم سار السلطان الى الحصن الذي منه فازت عنهم ودعهم وعاد على عزم العود اليه قال ثم خرج السلطان أخداً اكبر تورانشاه من الشام الى مصر عن ضعف من الاجساد لاجل محل البلاد فرتب في بعلبك أنواره وودعه السلطان من مرج الصفر وذلك في أو احدى القعدة ومضى على بصري ومنها الى الازرق ومنها الى الجفرة الى ابنة الى صدر ووصل معه خلق كثير من التجار والرجال والنساء والاطفال

(فصل ٢) قال العماد وسافر النفاضل الى الجفرة في هذه السنة وركب البحر فقصت ثبت اليه كافيته (طوى للبحر والجون من ذي الحجة والحي منيل الجدا ومنير الدجى ولندي الكعبة من كعب البندی واهلها بالمشهرات من مشعر الحدي والقام الكريم من مقام الكريم ومن ساطع قسار الفقير للعظيم ومتى رضى هرم في الحرم وساطع ثمزم وهي ركب البحر البحر وسلك البر البر لقد عاد قس الى عكاظه وعاد قس يحفظه وياحبها الكعبة يقصدها كعبة الفضل والافضل والقبلة لينة قبلها قبله القبور والاقبال) ثلث ومدحه أبو الحسن بن النوري عند عودته من الحج بقصيدة حسنة منها

علم العرائك المسلق وأفا * فامسى حشاه ينفق رعبا

في أخبار (٧) الدولتين

وغدا دَرَه لِدِه حَقِّ سِرًّا * اذْ رَأَى الذَّمَّ مَكَانَ نَشَأِهَا
 وَلَوْ احْتِزَّ قَطْرَةً مِنْكَ يَاجُجْزَلَانِي أَجَاجُهَا المَخْ عَسَا
 هَاتِجٌ لَمْ يَزَلْ دَعَاؤُكَ حَتَّى * هَوَّنَ اللَّهُ مَنَسَّهُ مَا كَانَ صَعْبًا
 وَلَقَدْ نَامَ اذْ رَكَبْتَ وَالرَّيْحُ * هَيَّوبٌ وَجَسَّدَتْ أَرْسِيَّتُهَا
 حَبْسًا لِمَا صَنَعْتَهُ مِنْ آيَادٍ * نَادَجْدَبَ الْجَبَابِ مَزْمَقَ خَصْبَا
 رَمَتْ كَتَمَانَهَا فَنَاعَتْ وَهَلْ يَتَسَدَّدُ رَغِيثُ يَفْنَى عَنِ الْأَرْضِ مَهْجَا
 فَدَرَأَتْ مِنْكَ كَعْبَةَ اللَّهِ لَهَا * جَنَّتْهَا حَامِقًا وَإِنْ شَتَّتْ كَعْبَا
 بَلْ رَأَى مِنْكَ يَتَسَدَّدُ بَيْتُ بَدَدٍ * أَسْرَمَ الْجِسْرُ حَوْلَهُ تَهْلِي
 وَرَأَى الرُّكْنَ مِنْ مَيْتِكَ رُكْنَا * جَاءَ لِلشَّمِّ أَيْضُ اللَّوْنِ رَوْبَا
 وَزَعَتْ زَمْرُ مِ بَشْرِكَ مِنْهَا * وَجَعِبَ أَنْ يَظْهَرَ الْمَاءُ عَجْمَا
 وَتَوَجَّهَتْ لِلْمَدِينَةِ عَنْ مَعْنَى مَا تَشَاءُ وَكَأَيْفِكَ حَسْبَا
 وَأَتَيْتَ الشَّامَ تَوَاقُفُوحٍ * سَارَ شَرْقَابُهُ الْهِنَاءُ وَغَمْرَا
 أَنْ تَعَسَّكَ غَبَّتْ عَنْهُ وَاللَّهُ يَقِينُ * لَكَ لَا مَسَالَةَ شَاغِبَتْ قَلْبَا
 سَرَتْ وَالرَّأْيُ فِيهِ مِنْكَ مَقِيمٌ * وَبَعَثَ الدَّعَاءُ فِي اللَّيْلِ كِتَابَا

وتدو قفت على الرفعة التي كتبها السلطان الفاضل رحمه الله بخطه إلى السلطان يلغس منه الاذن له في سفر الحج فأحببت نقلها هنا وما كتب السلطان رحمه الله عليها وما كتب يسير بها إلى بعض أوثاقها. نقلت من خط الفاضل رحمه الله (بسم الله الرحمن الرحيم) كتب الماركة هذه الرفعة بعد ان استخيار الله سبحانه من مسئول رجب في اكله اليه وإلى آخر هذه الساعة وهو ينهى الله قد شارف الاربعين وما يرى له ما عاقبة اللقاء وفرض الله في الحج قد تعين وبعد المولى به قد سبق عند ابنة ومدة القليلة قصيرة والنائب بنذ ما يحتاج اليه في السفر والحضر والثقة به. حاصله في الراي من الكتاب وهما الكتمان والمعرفة وحسن المولى في حقه والله أضعاف خطه في مقامه لانه ان كان ينفع بها في الدنيا فهو ينفع هناك في الآخرة وان لم يكن أهلا لان يستجاب منه فانه أهل لان يجيب في المولى والمالوك فما مثل عط في سؤال وليس لان المولى لا يقتضيهما ولا يمكن لانه يقتضيه عن السؤال فيها وهذه حاجة الدنيا والآخرة وبعدها ينشد

محي يأت هذا المورث لا يلبث حاجة * لنفسي الا قد قضيت قضايها

وما أراد المالك ان يتشفع عن يشارك المولى في الاجر وما يريد الا دستور اعن نفس طيبة ورضى ذاهرو باطن ولا يريد خلاف العرض فابني له بقضاء ما ترضى والله المغير برحمته المجد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلامه

وعلى رأس الرفعة في سطر البسطة بخط السلطان رحمه الله ما صورته (على خير زمانك تعالى ياليتني كنت معكم فافوز فوزا عظيما) نقلته من خطه ونقلت من خط بعض الكتاب ما نقله من خط السلطان رحمه الله إلى بعض النواب فسلم من معسكرهم بالخط العالي الناصري أعلاه (ورد بتاريخ السابع والعشرين من جمادى الاولى سنة اربع مئتين وخمسة مائة) (وصلى كتاب القادي الفاضل وهو ذكر الله معهم على الحج ليعلم به يارك سمون ولكن لا أنشد فيه الا بعد اثنين واحدة انه لا يركب بحر يسير من العسكر إلى ابنة ومنها يتوجه ويقيم العسكر على ابنة ليله وعلى ارم ليله دون ارم ليله وقال علم ارم ليله فيكون هرة بعد دوما يقي عليه خوف شانا الله تعالى وثانية تأخذ به وتقلبه راسي انه لا يجاور والثالثة تعدي به من مال الجوالي ثلاثة ألف دينار وتقول له لا بد ان يفرج هذا عني لانك في الجاوير بكه والمدينة وفي أهلها هذا آخر لا بد منه فان الناس لا بد لهم من الدلب ولا بد لك من العنا وان قال ان الشيء قليل فانت تقرضني مثل هذا المبلغ من مالك وتعلمه يا هرة ولا فلا اذن له في الواح إلى الحج الاعلى هذه الشرط التي قد شرطها وأما بنيت به فعني إلى الشام فانا ما بقي لي دارا لاهي حتى يقتني الله بيننا وبين الشرفج وهو خير

كتاب (٨) الروضتين

الحاكمين) وكتب الفضل الى بعض مشايخ مكة بعدد بجوعه (سقى الله الجحيزا كعبته ويا طول ما ترشعني سهام الشوق الذي أصبح الذكر جعبته أهاعلى تلك المواقف وتبلمن رضى ان يكون مع الخوائف فرعبا ونعبي وحسنة وحسنى لجأورى ذلك الحرم والعامري اياه التي هي الايام لأيام ذى سلم في المقلب الصدور وجاول ظمأها الى ورود ما من زممه وطوى لمن استضاء في مضال الظلم بعلمه ومهما نسيت فلا أنسى برد السكب بدبحر صيفها وهو رم الانس بثلاث منها وخذفها

أهاعلى باليال ما تركن لنا * الا الاسى وعسلالات من الحلم

عسى الرياح اذا سارت به بلغة * توفى فقد غدرا لاجباب بالذمم

ثم قال فاما الطريق المباركة فقد جرى فيها خطوب وشؤون وأحاديث كلها شجون وكانت العقبى الى سلامة والمقارنا الكركل نمض العدو فكم تكن الرجعة ولا التمتع بجانيائهم من الله تعالى بالخيلاء النوبة ووصلنا الى بلاد السلطان ولقينا ذلك الوجه فلا عدونا بشره وذلك الفضل فلا فارقت أعيننا بخره ووجدناه في الغزاة جاهدنا ولعدو مجاهدنا وأوقاته مستغرقة وعزماته شحقة

(فصل ١٠) فيما فعل مع الفرنج في باقي هذه السنة وأول الاخرى ووقعة مع عربون قال ابن أبي طى كانت الفرنج قد عرت بيت الاذان وكان على المسلمين منه ضرر عظيم فراسل السلطان الفرنج في هدمه فاجابوا انه لا سبل الى هدمه الا ان يعطينا ما غرنا عليه فبذل لهم السلطان ستمين ألف دينار فاعتصموا نراهم الى ان بلغ مائة ألف دينار وكان هذا الحصن للدابة وكانوا يقرن من فيه بالاموال والنفقات لقطع الطرقات على قوافل المسلمين فاشترى الدين على السفان بئذ هذا المال لاجناد المسلمين ويخرجهم الى الحصن ويسد به ففعل ذلك كما سنده قال العماد والادع السلطان أخاه ورجع مع أعار في طريقه على بلاد الفرنج وقصد الحصن الذي بنوه ورجع بالاسراء والعنائم وخيم السلطان بهم وجلسهم راء ثم انتقل الى بانياس وبلغت الخيم الى حدود بلاد الكفر وأضرم عليهم طلب النسيان المستعمر وكان كل يوم ركب بحجة الصيد وينزل على الغر ويجرد فرسان الجلال والقهر ويسير قبائل العرب الى بلد الصيد ويبروت حتى يحصدوا غلات العدو وما يبرح مكانه حتى يعودوا بجواهرهم واجمالها موثقة بانقاها حتى جف زرع الصكفار قال وفي هذه السنة انتضى رأى الفرنج ان يعبروا المسلمين في كل ناحية خوفا من اجتماعهم على جهة واحدة فعدوا برنس انطاكية وأغار على شيزرو وغدر القمص بطرابس بجماعة من التركمان بعدد الامان فرتب السلطان ابن أخيه سقى الدين عمر في نجره ومعه خمس الدين ابن المقدم وسيف الدين على المشطوب ورتب ابن ناصر الدين في نجره في مقلابة القمص وكتب السلطان الى أخيه العادل وهو نائبه بمصر ان يتخبط له من عسكر مصر ألفا وخمسمائة فارس يتقوى بهم مع عسكر الشام على العدو

(ثم دخلت سنة خمس وسبعين) والسلطان نازل على تل القاضى ببانياس فاجمع رأيه مع بقية المسلمين على ان يتقدموا على الكنارد يارهم ويستوعبوا ما بقي في أيديهم من الغلات في يوم واحد ثم رجعوا وفرحوا صوب البقاع فمضوا تلك الليلة وهي ليلة الاحد ثاني المحرم فلما أصبح السلطان جاءه الخبر بان الفرنج قد خربت فالتفتهم وأرسل الله نصره على المسلمين وأمر فرسانهم وشجعانهم وهزم مرتزقاتهم في أول اللقاء فكان من جملة الاسرى مقدم الدابة ومقدم الاستبارة وصاحب طبرية وأخو صاحب جبل واين القمصه واين بارزان صاحب الرملة وصاحب جبين وقسطلان يافا واين صاحب مرقية وعدة كثير من خيالة القدس وعكازن البروتية وغيرهم من المقدمين الا كبار ما زاد على مائتين وخمسين وسبعين سوى غيرهم ثم قدمت الاسارى وهم يتسادون كهم سكارى قال العماد وأنا جالس بقرب السلطان استمع منهم بقل من اللطاف بالله تعالى أنا وخواصه الحاضر ين لم نزل على عشرين والاسراء قد أنا فواعلى سبعين وقدر الله علينا السكينة وخدعهم بالذلة المستكينة وطلوع الصباح ورفع المصباح وقتوا صلبنا بالوضوء الذى صلبنا به العشاء ثم عرض الباقون من الاسرا ثم تقاروا الى دهش فاما ابن بارزان فانه بعد سنة بئذ في نفسه مائة وخمسين الف دينار صورية واطلاق ألف أسير من المسلمين وكان الفقيه ضياء الدين عيسى من نوبة الرملة هدمهم من الماسورين فالتمز ادراكه وان مؤذى من قطيعا المذكو والفتايعه التي قدس بها فكاكده وأما ابن

في اخبار (٩) الدولتين

القمصية فانه استغفركم أمه بخمسة وخمسين ألفاً من الذين في الصورة وأما أودمقدم الدوايه فإنه انتقل من صهيون الى سعين فطلبت حقيقة فاختاروها باطلاق أسير من مقتدى المؤمنين وطال أسرا الباقي منهم من هلك وهو عان ومنهم من خرج بقلية وأمان وهذه هي وقعة مرج عيون وكان العدو في عشرة آلاف مقاتل وانهم ملوكهم بمرجوحا وكان اعز الدين فرخ شاه في هذه الواقعة بلاء حسن حكى حسام الدين شيرازي بن يونس وكان مع عز الدين قال كافي أقل من ثلاثين فارساً قد تقدمنا العسكر فشاهدنا خيل الفرسخ في ستمائة فارس واقفين على جيسل وبيننا وبينهم الماء فاشار عز الدين بأن نعبث بالنهر اليهم ففعلوا ولحقنا عسكر السلطان فوهمناهم ومن أحسن ما انتفى الله في اليوم الذي كسرت فيه الفرسخ بروج عيون فلفر الاسطول المصري بعشرة كبرى فاستولى عليهم وأعلى أخرى وعاد الى النهر مستعجلاً فأرأس من السبي فأقرب ما بين النصرين في المصريين وما أعذب عذاب الفنتين وبجرعهما الامرين الامرين لقد دعم النصر وتساوى فيه البر والبحر وبما مدح به السلطان في هذا الفسخ مدح سيرة همام مصر اليسخر الحجاب أبو علي الحسن بن علي العراقي الجويني أو ثلما

لأعرب السماء خيرة عيين * وكشفاه جانتع صيين
فله الجيد أي نصر عزيز * قد حبا نابه وفتح مبين
أدرك النارحين نازله المغس * وأرحيف الكفار ليث العرب
الهام الغضنفر الملك النسا * صره في الوري سلاح الدين
يامايكا أنجز الزمان ناجي * بلطف المذل المسكين
قد ذقت أهل الحقدون الى بيا * سلك حتى عوضتهم بالسجون
وأراهم رب السماء ياسما * فك ما لم يزل لهم في تلخون
لاك قاب عند اللقاء مكين * وله من تقاه ألف كين
يامايكا في الحروب يحول الله * مستعجلاً وصادق اليقين
ان هذا الفسخ المبين شفاء * لصدور ورفرة لعيون
هو يوم أديحي كرم جنين * سهل الله نصره في الحزون

قال العماد وكان تقي الدين غائباً عن هذه الواقعة واشتغل عنها بغيرها وذلك ان سلطان الروم قلع ارسلان طلب حسين وعبدان وادعى الله من بلاده وانما أخذ هذه شه نور الدين رحمه الله على خلاف مراده وان الملك الصالح ولده قد انعم به عليه وردى بعوده اليه ففعل السلطان وكان هذا الحصن مع ابن المقدم فارس قلع ارسلان عسكر اجتمعوا في عشرين ألفاً فصار الحصن للقسيم تقي الدين ومعه سيف الدين على المشدوب في أنفسهم قاتل فوهمهم قال ولم يزل تقي الدين يذلهم بهذا النصرة فانه هزمهم بأدولوا وارغم باعداد من الاعداء أنزوا وقال ابن أبي طي وانصل بالسلطان ان قلع ارسلان قد طمع في أخذ عيون ولبسوا نيلنا نخل دمشق وصلارسله بطلبه جمانه ويذ ان نور الدين ابن زكي اغتصبهم بمانسه ران الملك الصالح قد أتت عليه بما فاضل السلطان وزجر الرسول وتوعد صاحبه فعدا الرسول واخبر قلع ارسلان فغضب وبصر عسكره ان يبرعون فضايرها وجمع السلطان فندب تقي الدين عرفت شاعاً فافارس فصار قلع ارسلان رعبان أخذ معه جماعة من اتباعه مقداريات فارس وتقدم عسكره وسار حتى أشراف على عسكر قلع ارسلان ليلاً فرائهم قد سدوا النضاه وهم يائزون آمنون وادعون فقال تقي الدين لا يحميه هؤلاء على مازون من الله أئمة والامن والعزلة وقد رأيت ان نخل الساعة فيهم بعد ان تفرق في جوارب عسكرهم ونفع فيهم فأنهم لا يثبتون لما فاجأه الى ذلك فأنفذ واحداً من أصحابه الى باقي عسكرهم واهمهم يشترطوا ان لا يواوون يجعل في كل الملب قلعاً من الكوسات والبقوات فأنهم والفتنة دبروا كوساتهم ووقاتهم وجدوا في السير حتى بلغوا به ففعلوا ما أمرهم ثم انزل في عسكر قلع ارسلان ومن اتبعها في جزائه وكان عدة عسكر قلع ارسلان ثلاثة آلاف فارس فأنهم والفتنة راح الكوسات والبقوات وقد وقع حوافر الخيل وجعلت الرجال واسط كالأحجار الحديدة هالما لك وانهم وان قد فوهموا وباعنا عليهم فلم يكن لهم الا ان جازوا في كواكبهم وطهم

كتاب (١٠) الرومانيين

عربا وطلبوا النجاة وأخذتهم السيوف فتركوا خيماهم وأثقالهم بها والمها وأكثرت في الدين فيهم القتل والأسر وحصل على جميع ما تركوه فلما أصبح جمع الناس ورين ومن عليهم بأموالهم وكرأهم وسرحهم إلى بلادهم قال وقيل إن الخبر بهذه الكثرة وصل إلى السلطان في اليوم الذي كسرت فيه السلطان الفرج على مخرج عيون فتوافقت البشارتان إلى البلاد قال وقد مدح ابن التعاويذي السلطان الملك الناصر بقصيدة أنشد فيها إليه من بغداد يذكر فيها واقعة مخرج عيون يقول فيها

كاد ألا عادي أن يصيبك كيدها * لولم تكدك برأيها المأفسون
تخفي عداوتها وراء بشاشة * فتكشف عن نظرها مشفون
دفنت حبايل مكرها فردتها * تدرى بغبط صدورها المدفون
وعلمت مأخذا واكأن قلوبهم * أفضت اليك بسرها المخزون
كروا وكنكم لك من كين سعادة * في الغيب تظهر من وراء كين
فهوت فحرم سعودهم وقضى لهم * بالنحس طائرهم مخرج عيون
قلت هكذا أنشده وهو حسن وقد كسفته في نسخة من ديوان ابن التعاويذي فوجدت آخر هذا البيت (طائر جلدك الميرون) وأول هذه القصيدة

إن كان دينك في الصبا بديني * فقف الملقى برملتي يبرين

ثم قال بعد تمام الغزل

ليت الضنين على الحب بوصله * لقن السماحة من صلاح الدين
ملك إذا عاقت بدنيا ماسه * علقته بجبل في الحفاظ متين
قادا للعبادة ما قلا من اكتفى * بمعاقل من رأيه وحضون
سهرت جفون عدا خيفة ما جد * خلقت صوارمه بغير جفون
لوان ليث الحسز برسطاهم * يلجأ إلى غاب لهوعورين
أضحت دمشق وقد حلت بجوها * مأوى الطريد وموئل المسكين
الك عسنة في قدرة وتواضع * في عسرة وشراسة في لين
وأر بتسا جمل صنعك ماروى السراورين عن أم خلت وقرون
وضعت أن تحي لنا أيامهم * بالمكر مات فكنت خير من

قال ابن أبي طي نزل السلطان على تل القاضي ببانياس على المرح الذي يعرف بمرج عيون وأنشد في ثاني المحترم قطعة من عسكره مع عز الدين فرخشاه لشن الغارة على بلاد الفرج فلما أصبح مركب يستوقف أخبار فرخشاه فها هو إلا أن خرج من الخيم حتى رأى اغنام بانياس قد أقبلت من المراعى حاجة على وجوهها من الغياض والأودية فقال هذه غارة فأمر بلبس السلاح والاستعداد للحرب فوصل بعض الرعاة فأخبر أن الفرج قد عبروا وصاروا قريباً منه على هيئة المتفلة فسار حتى أشرف على الفرج فاذا عدي في الفرج فأخذتهم السيوف والدايات حتى فرشت الأرض منهم والتي جماعة منهم سلاحهم وسبوا أنفسهم أسارى ونجا ملك الفرج هين فرى هاربا ويقال أنه وقع به فرسه فحمله أحد خيالة على ظهره ثم رجع السلطان إلى معسكره وسيفه يقطر دما وجلس لا ستمراض الأسارى فذكر نحوه ما سبق وفي كتاب الفاضل إلى صاحب له حكمة وقد سبق بعضه قال (وجرت نوب منها قتل الله نفرى لعنه الله وتما سب عين فارسا من كرا لخيالة وطرح ملك الفرج في من على ظهر دابة وقتلها بأخرق مع قبعة من نجان من خيالة ومنها نوبة وادي الحريق وقد جمع الله العدة ونارسه وراجله ومنها نصر الله الذي ما كان قبله الملك من ملوك الأرض قتل ابن بارزان ومقدم الداوية وابن صاحب طبرية وأخواسه صف صور صاحب جميل وأصحاب الحصون والتسلاخ ومقطعه والاقليم والضياع وحصل تحت اليد الناصر بآلاء الله مائة وسدس مائة ثمن عليهم المختصر وقتل بهم العساكر ومنها دخول العساكر إلى بيروت وصور وغارت على غرة من أهلها وقطع كل شجرة مخرمة من أصلها قال

في اخبار (١١) الدوشين

وكانت الاساطيل المنصورة قد نضاعت عنكم الى أن بلغت ستين شهرا وعشرين طريفة فصار الشواقي خاصة قد خلت البلاد وروميه ودوت السواحل الفريسيه وأسرت ألف عبح احضرتهم امري في قيد الاسار وقتلت الرفاق الكبار وغنمت من هذه الغزوة أمة وام كانت أعينهم لا تعرف عين الدرهم ولا وجه الدينار

(فصل) في فتح حصن بيت الاحزان وذلك في شهر ربيع الأول قال العباد جمع السلطان جموعا كثيرة من الخيالة والرجالة فوصل الى المخاضة يوم السبت تاسع عشر الشهر والحصن مبني دون من الغرب بنقيم ومن بابا اقرب وضاق ذلك المرجع عن العسكر واحتاج الى نصب ستائر لاجل المنجنيقات فركب السلطان بكرة الا حد الى شياخ صغد وكانت قلعة صغد يومئذ لا دوايه وهو عشر البليه وامر بقطع كرومها وحل أخشابها فأخذ كل ما احتاج اليه ورجع بعد الظهر ورحلوا الى الحصن بعد العصر فما أمى المساء الا وهم قد استولوا على الباشورة وانتقلوا وكتبهم اليها وابتازوا ليل الليل بحرسون وخافوا ان يفتح الابواب ويغيروا عليهم على غرة واذا لم يفتح قد أودوا خلف كل باب نارا لئلا يمانهم المسلمين اغتترارا فاما ما كان المسلمين وقالوا ما بقي الا نقب السرج فحرقه السلطان على الاسراء فأخذوا شاما الجانب القبلي وأخذ السلطان الجانب الشمالي وقصد ناصر الدين بن شيركوه بقره تقيما والملك تقي الدين وكل كبير في الدولة جعل له قسما وكان البرج محكم البناء فصعب نقبه لكن ما التقى يوم الاحد الا وقد تم نقب السلطان وعلق وحشي بالجانب ليله الانسين وحرق وكان النقب في طول ثلاثين ذراعا في عرض ثلاث اذرع وكان عرض السور تسع اذرع فمات ثلث ذلك فاحتاج السلطان صبيحة يوم الاثنين الى اطفاء النيران لئلا تنقبه وقال من جاء بقره بثمانية دينار قال العباد فرأيت الناس القرب حاملين ولا عية الماء فاقبل حتى اغرقوا تلك القرب فمهدت فعدا نقبها وقد بدت تحرقوه ونحرقوه ونحرقوه وقتلوه وقتلوه وشقوا حتى دلفقوه ثم حشوه وعلقوه واستنظفوا وفيه يوم الثلاثاء والاربعاء تم حرقوه واشتد الحرق عليه لان الحبراء غمهم بان الفرنج قد اجتمعوا بدية في جميع كثير فلما أصبح يوم الخميس الرابع والعشرين من ربيع الأول وتعالى الله ما ارتقى الجدار وتباشرت الاربار وسكان الفرج قد جمعوا واوراه ذلك الواقع خطبا فما وقع الجدار دخلت الرياح فورد النار عليهم واحترق بسورهم وطائفة منهم فاجتمعوا الى الجانب الريم من النار وطلبوا الامان فلما خمدت النيران دخل الناس وقتلوا وأسر واوغنوا مائة ألف قطعة من الحديد من جميع أنواع الاسلحة وشبها كثيرا من القوات وغيرها وحبس بالاسارى الى السلطان فن كان من تدأورا مياضرت عنقه واكثر من أسر قتله في الدريق الفزاة المأخوذة وكان عدة الاسارى نحو سبعة مائة وخلص من الاسرا أكثر من مائة مسلم وسير باقي الاسارى الى دمشق وأقام السلطان من منزله حتى هددوا الحصن الى الاساس وطعم جيب ماء معين كانوا حفر روفي وسيله وروى فيه القتلى وكان عند السلطان رسول القمص معافي وهو شاهد بلية أهل ملته وقد كان السلطان يذل لهم في هدمه ستين ألف دينار فلم يفعلوا فزادهم حتى بلغ مائة ألف فأورا وكان مدة المقام على الحصن في أيام فتحه وبعدها أربعة عشر يوما وبعد ذلك سار السلطان الى اعمال طبرية وصدد وبيروت وغيرها فأغار عليها وأرجفت تلويهم بوصولها اليها ورجع السلطان الى دمشق يوم الاربعاء ومن صر جماعة من ذلك الوباء لان المراكب شديدة وأنتجت جيف القتلى وطول السلطان المقام عليه بعد فتحه لاجل تقيم هدمه فتوفي أكثر من عشرة أمرا وعاد المشهد البقية في كما كان من دورا وتكبير المسلمين وصلاتهم وورا وهنا الشعراء السلطان بفتح هذا الحصن فن ذلك ما أنشده نشوا الدولة أجد بن نقاد في الدمشقي من جولة مدائحه

هلاك الفرج في عاجيلا * وقد آن تكسير صلبانها

ولولم يهتكن قد دنا حقهها * لما عبرت بيت احزانها

ولابي الحسن علي بن محمد بن رستم الساعاني المنزاساني ثم الدمشقي من قصيدة أو لها

يبيدك اعطاف القناتع زلف * وطرף الاعادى دون مجدك بطرف
شباب عسدي في ظلمة الشك ثاقب * وسيف عادي في طاعة الله مرهف
وقفت على حصن المخاض وانه * ما وقف سسسيق لا يوازيه موقف
فلم يستد وجه الارض بل حال دونه * رجال كآساد الشرى وهي ترجف

كتاب (١٢) الروضتين

وجراء سلووب وذرع مضاعف * وأيضه غنسدی ولدن مثقف
ومار جغت اعلا ملك الصفر ساعه * الى ان غدتا بكادها السود تر جف
كبا من أعاليه صليب وبيعه * وشاد به دين حثيف ومخفف
صليبه عباد الصليب ومنزل السبزال لقد غادرته وهو صنف
أيسكن أوطان النبين عصبة * تمسين لدى ايمانها وهي تخلف
نحنتك والدين في التمتع واجب * ذروا بيت يعقوب فقد جاء يوسف
ومن قصيدة لسعادة الضرير الجصبي

حالت فكنت الاماني المسددا * وسرت فكنت الشمرى المؤيدا
وقت باع بقاء المالك ناهضا * فأقعدت اعداءه ولم تحش مقعدا
تعودت ضرب السيف والطعن والقنا * وكل امرء مغرى بما قد تعودا
نصرت الهدى لما تخاذل حزبه * فنادى الحزب الله يا ناصر الهدى
غضبت لدين أنت حقا صلاحه * فأرضيت لما ان غضبت شجدا
فيا يوسف الخير الذي في يمينه * من الخير ما قد غار فينا وأنجدا
وصلت لدى سل وصلت لدى ونى * ففقت جميع الناس بالأس والندى
وقدت الى الاعداء جيشا عرمرما * اذا أبرقت فيه الصوارم أوعدا
فلم تبسق للظفر بان شمس لا يجعا * ولم تبسق للايمان شهلا مبدا
فناهيك من جيش نهضت بعيشه * فأقعدت لما ان نهضت به العدى
جملت ذبالا في ذوابل سمره * فلما دجى ليل العجا جتوقدا
وزرت به الحصن الذي لو قصنت * فوارسه بانجم أوردته الردى
قصمت به صلب الصليب ورعته * ونهضته لما غشا فتشعبدا
هبطت اليه هبب يوسفية * تعين بدهاء كل ما كان جمدا
وفض بما قد فضسه من سهامه * انرا جسد نثر المنقرى وقددا
قال ومنهم الامير نجم الدين شمس الدين الحسن بن زهير العراقي من أهل الحلة المازندية وكان حاضرا في زينة ابن بارزان له
من قصيدة أخرى

هنيئا صلاح الدين بالغفر والفر * ونيل الاماني التروا فتحة البكر
وما خرت فيها من نثار زمن علا * وحسن تشايفي الى آخز الدهر
سموت لها بالمرقسية والقنا * سمواتي لا ينجم عسى في وزر
وصلت بها حبل المفاخر مملها * قطعت بها يوم الوغى دابر الكفر
سكنت رياض الصبح وهو عوارم * وخضت سواد الليل وهو دمى جبرى
وقد عرف الافرنج بأسك في الوغى * وجرعتهم منه أمر من الصبر
وظنوا نساء الحصن صونا لملكهم * فأصبح بالشعواء مهتلك السمر
فما قصبت منهم بد العذر قطعت * أناملها الاعلى صبقة الحمر
هي الفتكة الغراء لا زالت قائما * نامنا لها في الدين في السر والجمهور
وأصبح في أقصى خراسان ذكرها * وفي كل قلب منه جيش من الذعر
فلان رض منهم بعدها بذل طاعة * فما خلقوا الاعلى شمة القدر
فسروا لاهل الارض التي اوتركتها * لا غصت عيون المجد منها على أمر
فيما آل أبوب حور وتم مناقبا * باجدها عساو على الانجم الزهر

في أخبار (١٣) الدولتين

اذعاباً لأرباب الفخار فأنتم * ذوا النفعلات الغر والنائل النعم

وأنت الذي أصبحت بالباس والفق * وبذل الله على السباع طر الفكر

ومن قارب فاضلي إلى بغداد في وصف الحصن (وقد عرف من حائله إلى أن زاد على عشرين ألف شحور لا يستقر الجحر في مكانه ولا
كل قص منهم سبع أذرع إلى ما فوقها وما فيها وعدتها تزيد على عشرين ألف شحور لا يستقر الجحر في مكانه ولا
يستقر في بنيانه إلا بأربعة ذنانير فما فوقها وفيها بين الحائطين خشب من الجارة العجم المارغم بها أنف الجبال الشم
وقد جعلت سقيته بالكس الذي إذا حطت قهضته بالجحر ما جعله مثل جسمه وساحبه ما وثق وأصلب من جرمه
وأعز إلى خصمه من الحديد بأن لا يتعرض له ذمه) ومنه في وصف النار قال (وبات الناس في ليلة الجمعة مطيعين
بالحصن والنار مطيعين عليه مشتهل. وعذبات المستعاض على تاجه مسدلة ومن خلفه مسجله ونارهم قد أطفأها الله
بتلك النار الواقعة ومنعهم قد أذهب الله بتلك الأبرجة الساجدة وبقيهم الخائفاء قد استعمل جنانا والشفق قد دعم
الآلة فلم ينجس أصال ولا اعتبارا ونجاستهم أجمية وقودها الناس والجحار والمنادي ينادي بلسان مصابيحك أعي
فاسمى بأجاره فويلت النار والنجاضيق منها الفكر ويحترقها الأبر وتقتل النيام العيين إلى الأثر وقال الكفر
أنها إحدى الكبر وخواف المثل أن السعادة تلتحظ الجحر وأغنى ضوءه الناس كل أفعلة أن يسأل هذا وهذا الخير
وقد فت بشركا لجبال الصفر وزفر بغد قد تغرق له حدود الجبال الصفر وألقه بها بالكعب العفر وبات الليس
والنار يزل وكلما غدا الخوج جعل الرقود له إلى أن يدا الصباح ~~منها~~ كأنها من أمتار الأثر وأنشق الشرق ومن
عنبرها صبيغ الأثر فبذلك تقدم الحاد من أمتار الأثر من أسها وعنبرها في البينان من طرسها وسبعها الميس
ورغاة وقفة من أشعل عليه نطاقه وفي قلوب آخر (وكان من أعل على نل وفيه من جريح المفسد المملون الحصن رد وفيه
من أمتار ألف قتيل ودابة حيرة بالشارف استقر عرشه ولا ملامت حفرته وكان فيه من الفز زبدية والمقاتلة شافرة
فأرسلوا إليهم وخسبه عشرين ألفا إلى المال مع كل مقدم خسران ولا هذا إلى الضاععين بناء ومعلو وحدا ونجار
ومبطل وسير في صنائع أنواع الأسلحة وكان بين أمرى المسلمين ما يزيد على مائة رجل نزعوا القيود من أرجلهم
وجعلت في أرجل الفريخ وقوت فيه أقوات عدة سنين وأنواع اللذوم الطبية والخليفة فيها لإعطاء ما في الحين ولا قوت
أول يوم الجمع حوصه وفيه جماعة من المقاتلة فضررت رقابهم وأخذت دوابهم وفي الحال علقب النقوب على خمس
بمئات وجبت للبران وتأخر وقوع الجدران لفرار عرض البينان ولم تزل النار وقد شتم شتم ثم شتم ثم شتم
المان فمكثت النقوب وحشيت بالاحذاب وأطاعت فيها البران في يوم الخميس فبذلك وقعت الواقعة واشتقت
الأبرجة فهي يومئذ واهية وذلك المملون الحصن بما فيه ومن فيه واشتعلت البران في أرجائه ونواحيه وكان
الضاحية مقدم الحصن يشاهد ما حل ببنيانه ونازل من البلاصا صبا وأعوانه وما وصات النار إلى جهته التي نفسه
في أنشد في نار صبا على حرجها في الحال نقلته هذا النار إلى تلك النار وما أشد أسارى الفريخ وهم عدة يزيد على
سجدها بعد المقتولين وما مضى عذبتهم عن مثلها أو فرت الهمة على هدم هذا الحصن وتغير أثره وإزالة أثره
فالمقاتلة أعاليه وقاعدته وحاراً أربعين في مشاهد عين هذا الفريخ فمعين في طيريه يشاهدون الأمر عيانا
ويزنزون إلى الحصن وقد ماتي نارا ناراً رفع دنانا وسارت العساكر إلى أقاليم بيد وبيروت ومصر واشتدت مغيرة
فاساترون كل غامضه ووصلت إلى كل ذخيرة ودارت بلاد الفريخ لا يسكن فيها إلا القلة وأمدته ولا يقم في الأمن
نشد ما شئت فقل في مقتله في نفسه وأمشرون) ومن حكايات آخر فاضلي عن السلطان الذي وزير بغداد (أنه فرط
أعز ورات منها أمر أش كانت قد عذبت بها الباري وكثرت في الشكوى وتأنى كرهانها بالباعدين من العساكر
من زينة فبحر الحصن وكان خادما الجالس السابق أن أخبته بقي الدين وابن عمه ناصر الدين قد جهدا وأثبنا ولغا
سدا لباس وأمتنا ولا راحة لأن من دمر المني فن الله تعالى بالثنا وهذا البصري في الحصن وإن كانت شربة
دوايحها نامة متفادها فبذلك يثبت بعد هداية طاعة بإشارة راقه وجاءت في مكان الردف لاخرى لا فرق بينهما
الآن تلك السابغة وهذا للاحقه وثلاثان الأسعد لول المسمى غزاة مرة ثانية غير الأولى ونوحه عن السواحل
اللامية ممر أخرى من الله في أمة أخرى وكانت عذبت في هذه السنة قد أمتعت وقوت واستغرقت في أمتازم

كتاب (١٤) الروضتين

الجهاد واستقصيت واحتات به الرجال الذين يعملون في البحر وفيه تكون في البر ومن هو معروف من المغاربة بغزو بلاد
أكثر فسارت على سوارها كأنها تفرق صروف السهام وروا كدهي مذائن الانا تفرق من السحاب غير الجاهل
فلا تحجب من اسمي غرابا وتنشر من ضلوعها أجنحة الخيام وسمي جوارى وكيشر بحرهم من النصر بعلام فطقت
في الاحساد حادي عشر جنادي الاولى مينا عكا وهي تسطن طينة الفرج ودار كفرهم أيدها الله من الكفر اسلما
ونخلع عنها الشرك البالي وخلع عليهم امن التوحيد اعلاما وكنت مشرودة فاصبحت مقترسة وباتت جميع الفرج
محتترسة وغدت مترسة فهاهي الان حذفت والحجة على الدنيا وفيه المراكب والبضائع فاستولت على عدة
من المراكب تحطيمها وتكبيرا وقلما يقلقل ولو كان ثبيرا واخلت ساحل الفرج بقتلها وباشت مثل
الماء بنزلها ونزلها وهذا ما لم يهدهم من الاسطول الاسلحة في مثل في سالف الدهر لاني حالة قوا سلام ولا ضعف
كفر وماسيلا ان تفرز اسير الكربة بخمزة كاطر زائله الحقيقة الشريفة باجرة وقيل على قلعة عكا ثلاثة نفر بألم
السهام أبعد ما كانوا وقوا عنها وأمن ما كانوا منها فصبر عنهم الايدي والاقواء وخزوا مسجد على الجبابه سجودا
لا يرفعون منه الرأس ولا يتناقون منه الى حالة الجحوش ولا يرفع خيما يرفع لهم من عمل ولاهم فيه من قبله ولاهم
به من قبل وأقامت المراكب يومين تقابلها وتقاتلها وتناضلها

(فصل ١٠) في باقي حوادث هذه السنة منها حجة الفاضل الثاني ووفاته الخليفة المستضي بالله وغير ذلك قال
العماد وفي العشر الاخير من شوال سنة خمس وسبعين خرج الفاضل من دمشق الى الحج ثم عاد الى مصر من مكة
قلت وقفت على نسخة كتاب الفاضل الى الصفي بن القايب يصف له ما بقي في طريقه الى مصر وركوب البحر
وكانت جملته ذهبت بمكة في خمس عشر ذى الحجة فقال (خرجنا من مكة شرفها الله يوم الثلاثاء والعشرين من ذي
الحجة وفي هذه الايام زاد توسط المفسدين واسراف المسرفين وظهر من هوان أمير الحاج العراق ومن ضعف نفسه
واخفاض جناحه ما أطعم المفسد وأخاف المصلح ووصلنا الى جدة يوم الاحد السابع والعشرين من ذي الحجة
وركبنا البحر في يوم الثلاثاء التاسع والعشرين منه وبتنا في ليلة الاربعاء والخمس رودة المرجع الى جزيرة القرب
من بلاد اليمن تسمى دباب وكانت احدي الليلتين في البحر من ليالي البلاء وبالله أقسم لقد شاب بعض رؤس أعجابتنا
في تلك الليلة واسوام الانه ونحن واما جلة الامر وتقصير العذاب وظنوا انهم أحيط بهم وعجبوا أنفسهم ثم
احتجوا على ما لا قدر الله لاحلة فيها وصبرنا الى ان قرع الله سبحانه ونزلنا البرية بحثا لاهاء مشرب ولا رجل ركب
وانفذنا الى الجلاء الدالين على ساحل البحر فاحضروا جالا ضعيفا أخرجنا أكثر من غمنا وشن ما نتجده فركبنا ووصلنا
الى عذاب بعد عشر ايام وقد هلك كثيرا ضعفا وتعبا وجوعا وعطشا لان الخلق كانوا كثيرا والاراضي سيرا وركبنا
البرية من عذاب الى اسوان فكانت أشق من كل طريق سلطناها ومن كل مسافة قطعناها لا نور ذال الماء
في احدي عشرة ليلة مرتين وكانت الهمة فاصرة في الماز فكانت البأوى عظيمة في العطش فاما الخزون والوعور
فهو يزيد على ما في برية الشام يكونها طريقا بين جبابين كالرب المتضائق والنفاق المتقارب وحر الشمس شديد
وقرب الودع بينهما بعيد ولطف الله الي ان وصلناه مصر في السابع عشر من صفر قلت والوجه من الذروري
في الفاضل

لأن الله ما حجة أو وفادة * فمن مشهد رضى الاله وموسم
تري تارة بين الصوامر والقنا وطورا ترى بين الخطم وزمزم
وكذلك يا عبد الرحيم ماثر * لها في سماء النحر اشراق النجم
كانك لتخلق لغير عبادة * واظهار فضل في الوري وتكرم

قال العماد وفي هذه السنة طهر الملك العزيز بأمر الفتح عثمان غام الدين ابن السلطان وكان أحب أولاده اليه وهو
الذي قام به تدير المال بعده وولد بمصر ثامن جمادى الاولى سنة سبع وسبعين وخمسة مائة كاسبق ذكره وكان
السلطان لما قدم الشام زاد شوقه اليه فاستقدمه فقدم عليه عاشر رجب سنة احدى وسبعين وأشد العماد
السلطان عند دومة قبيد منها

في اخبار (١٥) الدينين

بأسد ايمى عرين العلى * هنتت جمع الشغل بالشبل
عثمان ذى النورين بن الورى * من سودد سام ومن فضل
يحكيك اتمداو بأسا ها * أشبه هذا القرع بالاصل
مخائل الرشده على بشره * شاهدة بالفضل والنبل
ملك قضى الله له انه * على ملوك الارض يستعلى
بالمالك الناصر سسلطتنا * طالت يد الاحسان والعدل

ثم لرفارقه واستصعبه الى مصر في سنة اثنتين وسبعين ثم عاد به معه الى الشام في شوال سنة ثلاث وسبعين واتخذ له
معلمان من مصر وهما نجم الدين يوسف بن الحسين النجاشي وفصل من محبته زرقا واسمها لاسيما في عام الظهور فانه عم
فيه السرور والحبور وكان متولى الانفاق في الظهور وصفي الدين بن القبايض لانه كان متولى الخزانة والديوان
والاعمال بدمشق قال وتبعني ابن القبايض سنة أربع وسبعين وفيها جع الفاضل من مصر يعني حخته الاولى وعاد
الى الشام ومعه ابن القبايض قلت فلما رجعا معا في حجة الفاضل الاولى الى الشام ثم اتفرد الفاضل بالتحل ثانيا
من العام المقبل وهو سنة خمس وسبعين وتم له في رجوعه ما تم كتابه بالكتاب الذي سبق ذكره يصف له ما في في
رجوعه وكانت حجة الفاضل الاولى من مصر ورجع الى الشام وكانت الثانية من الشام ورجع الى مصر وفي هذه
السنة توفي الملك المنصور وحسن ابن السلطان صلاح الدين وتبره القبر القسلي من القبور الاربعه بالقبه التي فيها
شاهنشاه بن أيوب بالمقبرة العجمية بالعونية ظاهري دمشق قال العماد وفيها خرجوا الى بعلبك لتسليمه الى عز الدين
فرخ شاه قبايطا وبقى الرواديف وهي طريق شاقه وفيها أغار عز الدين على بغداد ثمانين عشر ذى القعدة وكان قد
جمع لهم من رجال بانياس ومأجولها ورجع غانما سالما قال وفي مستهل ذى القعدة وأتابيه وفي بغداد الحليفة
الانام المستغنى بالله أمير المؤمنين واستغنى ولده الناصر لدين الله أبو العباس أجدو كان رسول السلطان ضياء
الدين الشهرزوري حاضر حاضر وأبيع وأخير بعلبك الحبال فبادر السلطان الى الحليفة الى جميع البلاد وهنى
مندر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن اسماعيل بن بغداد رسولاً الى بهاوان وأزمه حتى خطب بهمدان وأصفهان
و٤٢ الدعوة الحمدانية في جميع بلاد خراسان ثم لما رجع شيخ الشيوخ جاءه اليه رسولاً في سنة ست وسبعين وأخذه
السلطان معه الى مصر وتبع منها وركب البحر كسافى ذكره ولما عاد في مدح الامام الناصر فنادى منها قصيدة
بائية مدحهم سنة فتح القدس وسيا في من ابيات عنده ذكره ومنها

الدهسر يضر في ادمام ينسبني * لخدمة الناصر المنتصور نساب
بطاعة الناصر بن المستغنى * أبى السعاس أحمد لا يام انجساب

وقال شهاب الدين القادسي في تدليل تاريخ الى التاريخين الجوزي وولد المستغنى في ثلاث عشر شعبان من سنة ست
وثلثين وكانت خلافة تسع سنين وستة أشهر وواحد اربعين يوماً بربع تسع اربع الاخر سنة ست وستين وكان
كره ارجو ما بارا بالعبية بعد فوج الجسرا ثم الكبار عاد لا تظهر بهم مهادنة من ردكنا الموالا ملك القهرونسة
والافرا جع من المسجونين واستقاط الضرائب والمكوس ماشاع واشتر قال وتقدم الى شيخ الشيوخ عبد الرحيم والى
عبد الرحمن بن الجوزي فضاياه عليه ثم بايع الناصر أخوه الأمير أبو منصور شام ثم وأعمامه وخوادمه ثم الولاة
وأرباب النصاب والاعيان والوافدون للفتح من بلاد خراسان وغيرهم وكان والده المستغنى قد عهد له قبل
وفاته بيوم واحد قلت كذا نقلته من خطه وعلل أراد بايعه وواحد فسبق به فله فان ابن الديوبى ذكر انه خطب
للناصر يوم الاثنين يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال ثم قال ابن القادسي وفي سابع ذى القعدة قبض على
صاحب الخزن ظهير الدين أبي بكر بن العداد وكل به وتبعه أصحابه ومن يتعاقب ووقل النقيب مسعود الذي كان
بين يديه وكان أحد الاعوان بسباب الذوق قد نزع الرجة من قلبه ففقد قطع عاوشا في رجله حبيل وصحبه العامة
في الدروب ثم أفرقوا بعد ذلك قال وفي حادى عشره من شهر جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين في جميع بغداد وما فقه دور ورجلها
الجالون وهو را فأنه العامة وشده واثى رجله شريتا وصحب في جميع بغداد وما فقه دور ورجلها

كتاب (١٦) الروضتين

وقطع له قطعاً قال وتوجه شيخ الشيوخ أبو القاسم عبد الرحيم إلى البهوان بن ايلدكن شهنة هذان لأجل الخطبة
فتوقف عن ذلك فهاجبت العامة علمه ووثب أهل المذكور وخطبوا وجاء كتاب شيخ الشيوخ إلى الديوان سطرها
فلان والجال في الجنوح قصة نوح من قرأ السورة عرف الصوره قال وفي هذه السنة اشتد الغلاء وكثر الوفاة بـعبد
وغيره من البلاد وذكرا نرجلا راسداً ذبح بنته وأكلها وآخر بقر بطن صبي وأخذ كبده وشواهها وأكلها
قال وفي ربيع أربع عشر ربات الأرض بعد العمة فوق البلاد ربل فلما أصبح الناس عادت الزلزلة في الجبال
فتصادمت ووقع منها الخبازة وسقطت قلاع كثيرة وهلكت قري من فيها وكان يكون بين الجبل والجبل عشرون
ذراعاً فافتتد فيهما الزلزلة في تصادمان وبعودان إلى مكانهما قال ابن أبي طى وفيها أحرقت الاسماعيليه أم واق حلب
وافترق أهلها بذلك وكانت إحدى الجوامع التي أصابت حلب وأهلها قال وفيها خرج قراقوش الثقفي إلى طرابلس
المغرب ففتح بلاداً وصلح حر وبيع إبراهيم السلا حذار الذي دخل بلاد المغرب أيضاً من أصحاب بقي الدين لأن نفسه
أطمعته أن يفعل فعل قراقوش في تلك البلاد ثم أصلي بينهما

ثم دخلت سنة ست وسبعين كوفتهم أوفى المحافظ أبو طاهر السلفي رحمه الله بالاسكندرية وقد زرت قبره بما داخل
الباب الاخضر قال العماد وفيها هادن السلطان صلاح الدين الفرنج وتوجه إلى بلاد الروم فاصلي بين نور محمد بن قرا
ارسلان بن داود بن أرتق صاحب حصن كيفا وبين زوج ابنته السلطان عز الدين قليم ارسلان بن مسعود بن قليم
ارسلان واجتمعوا على تبريقاله كركسو وكثرت الهدايا والدعوات والافراح والتهنئات وفيها دخل السلطان بلاد
الأرض ففتح ملكهم ابن لاون لانه كان استمال قوماً من التركمان حتى برعوا في امرى بلادهم بالامان ثم صبحهم بغيره
وحصروا بأسره في أمره فدخل السلطان بلاده وأذل أعوانه وأجنداه ونصر الله المسلمين بالرعب نأحرق من الختوف
قلعة شامنة تعرف بالناشير وبادر المسلمون إلى إخراجها فها من الآلات والغلات فتنة قوتها وها وتموها هدمها إلى
الاساس قال ابن أبي طى ووجد المسلمون في أرضها صهر يجاهلوه آلات الخحاس وقصة وذهب لها من دلول قال
وبذل السلطان جملته من المال والله يطلع من عنده من الاسارى فلم يرش السلطان بما يذله في المال والله يشتري
تجسماته أسير من بلاد الفرنج وبعثهم فاجاب السلطان وأخذ منهم رهينة على ذلك قال العماد وأذعن الارمني
وذل وأطلق ما يئده من الاسارى ورجع السلطان مؤيداً منصوراً ووصل إلى حماه في أواخر جمادى الآخرة وكان
الجمال الواسطي أبو غالب محمد بن سلطان بن الخطاب المقرئ شاهداً هذه الغزاة فنظم قصيدة في السلطان منها

أقد جعل الله منك الورى * بأوفى مليك وفي سحيمان

تمش إلى نعمات السمو * فك الهام لانعمات القيان

أزرت ابن لاون لا واه * فاضحى به خبرا عن عيان

ودان من الذل لا برعوى * حذارا من الزاعفات اللدان

فلا قدم عنده لشبا * ت وليس له بسدا كميدان

وأغشى اليك مناقيره * وغادر لاهدم تلك المياني

وأرسل بالاسراء انعنا * فبسال اطلاقه فهو عاني

رتقت بعزمك والمكرما * ت فوفان الارفق الجميان

ورعت ابن سلجوق في ملكه * ففقم من رعيه بالشان

قال ولما وصل السلطان إلى حصن وخيم بالعاصى أتاه النقيب مهذب الدين عبيد الله بن أسعد الموصلي وأنشده وله في
السلطان مدائح منها قصيدة غراء مطلعها

أما جوفوك المرضى الصحاح * وسكرة مقاتليك وأنت صاحي

لقد أصبحت في العشاق فردا * كما أصبحت فردا في المسلح

يمزج النصف فوق نقي ويرنو * بمهتد ظبي ويسم عن افاح

وقد غرس النضيب على كتيب * فأثر بالظلام وبالصباح

في أخبار (١٧) الدولتين

ومال مع الوشاة ولا يجيب * لغصن ان يميل مع الرياح
قطعنا الليل في عتب وشكوى * انى ان قيل حتى على الفلاح
ولاح الصبح يمشى في سناه * صلاح الدين يوسف ذا الصلاح
ولما ضاق حسد عن مداه * لتيفناه بأمال فساد
فنهرم وكعب وابن سعدى * رعاه الشاء والنعم المراح
جواد بالسلالة * اولاد وما حوته * اذا جادوا بأليان التلاح
ليندحيه وجهك كل وجه * اذا سئل الندى جهم وقاح
مازلت جلهم مغرى بظلم * ومشغول بلاءه وأومراح
اذا ما جالت الايصال ولي * ويقدم فخر حافلة الوشاح
ولون بسين مالك بيت مال * ومالك رق املاك الذوايح
هم جعوا وقد فرت لعتن * جمعت به الرجال مع السلاح
وما مضع الفخر ليدك حتى * رأوا ما لبطاق من الكفاح
وما سألوك عقد أنضج ود * واسكن خوف معلة رداح
ملا ت بسلادهم سبال وجزنا * أسودا تحت غابات الرماح

وقال ابن شداد لما عاد السلطان بعد الكسرة قيعني كسرة الرملة الى الديار المصرية وأقام بها ريثما لم ينس شعثهم
وعلى تخبط الشام عز على العود اليه وكان عوده لثارة فوصله رسول قليم أرسلان ياتسون منه الموافقة ويستغيث اليه
من الارون فاحتمل غزو بلاد ابن لاون لنعرة قليم أرسلان عليه ونزل بقرا صار وأخذ عسكر حلب في خدمته لانه
كان قد اشترط في السلطنة ذلك واجتمعوا على نهر الازرق بين عسني وحسن منصور وعبر منه الى النهر الاسود طرف
فلا دابن لاون فأخذ منهم حصصا وأخر به وبذلوله أبادرى والتس وامننه الشيخ وعاد عنهم ثم راسله قليم أرسلان في صلح
الشرقيين باسمهم واستقر الصلح في عاشر جمادى الاولى سنة ست وسبعين ودخل في الصلح قليم أرسلان والمواصله
واكمل ديار بكر وكان ذلك على نهر شيخه وهو نهر برقي الى الفرات وسار السلطان نحو دمشق

(فصل ١٤) في وفاة صاحب الموصل قال العماد وفي أوائل هذه السنة توفي صاحب الموصل سيف الدين غازي بن
مودود بن زكي صاحب الموصل والسلطان شفيق على كرلوسون حذو بلاد الروم وجلس مكانه أخوه عز الدين مسعود
ابن مودود وجاءه رسول بجاهد الدين فاعاز وهو الشيخ النقيه خنجر الدين أبو شجاع ابن الدهان البغدادي الى السلطان
والب منبه ان يكون معه كما كان مع أخيه من ابقاعه ورج وزهارة الرقة وخران والخابور واضمير في يد ففعل
السلطان وقد كانت له بالذوق الحليقة واعمالها في يد سيف الدين غازي بالشفاعة على شرط أن يقوى السلطان
بالعسكر فقامت سيف الدين كتب السلطان الى الخليفة الناصر بعماله بذلك وان هذه البلاد لم تزل تحت قوى بها
ثغور الشام فتوقفت اليه على ما أراد وكان الكتاب الى حذر الدين عبد الرحيم شيخ الشيوخ من انشاء العمادوق (قد
عرف اختصا صان من الذباغة والعنوبية للدار التي في القاموبية بالم يفتن بآحاد وامتد ذلك في اقامة الدعوة
الحامدية بصر واليمن والمغرب بعماله فاليه يد وانزل من ان الاذليين الثلاثة ادعيا وخلصت منهم لاردا حيث دعوا
بلسان بصر واليمن والمغرب بعماله فاليه يد وانزل من ان الاذليين الثلاثة ادعيا وخلصت منهم لاردا حيث دعوا
وبانت صكل عليه حتى أقتضها الله عز وجل شامن عبد بن عبيد وأطلقه باعلاقات أعنتها اليها من عناء
كل قيد وفيها شيعه القوم وهم غير مأوى الله راني اليوم وطوائف أناليم الروم والفخر بن الزين والبخير بها مطيعة
فن حنقنا ان يرفع عسكرها فارجعوا العباد باليد بها فتقلا عدل رتقه واتسع على الارتفاع خرقه واحتجنا
في حنقا بلاد الشام وثغور الاسلام الى استعجاب العسكر الماصري اليها ولا مدعته من سنين في بكاهر منتهى ان
كاهرها فتمم لاشاعتها على بلادها واما اخرج الى ثلاث بلاد من الفخر قد طوعت عنه وعساكرها
اخذت منه وكانت في تولى زوال الدين رحمة الله ثم ذكرها كسبي فتوقفت اليه كما ساني وقال ابن الاثير توفي

كتاب (١٨) الروضتين

سيف الدين يوم الأحد الثالث صفر سنة ست وسبعين وكان مرضه السبل وطال به قال ومن الجائبات الناس لما
 بنحو ما يستقون بالموصل سنة خمس وسبعين للغلاء الحادث في البلاد خرج سيف الدين في موكبه فزار الناس
 وقصدهم مستغنيين به وطلبوا منه أن يأمر بال منع من بيع الخبز فأجابهم أن ذلك قد دخل البلد وقصدوا مسكن
 الخبز ونحوه إبراهيم ما ينفقونها وأراقوا الخبز وكسروا الأواني وعابوا ما لا يحل فاستغاث أصحاب الدور إلى رؤب
 السلطان وخصوصا الشكرى رجلا من الصالحين يقال له أبو الفرج الدقاق ولم يكن له في الذي فعله الناس من الغضب
 فعل اغاها وأراق الخبز والرأى فعل العادة ثم ساهم فلم يجمعوا منه ثم شكى احضر بالقلة وضرب على رأسه فسلطت
 غمته فلما اطلق لينزل من القلعة نزل مكشوف الرأس فارادوا قطعته به بمحامته فلم يفعل وقال والله لا غمته حتى
 ينتقم الله من ظلمي فلم يضر غير قليل حتى توفي الدردار المباشر لآذاه ثم تعقبه مرض سيف الدين ودام مرضه إلى
 أن توفي وكان عمره نحو ثلاثين سنة وكانت ولادته عشرين سنة وشهورا وكان من أحسن الناس صورة تام القامة طبع
 الشمايل الأبيض اللون مستدير الحية متوسط البدن بين السمين والدقيق وكان عاقلا قويا قليل الالتفات اذراك
 واذا جلس عفيفا لم يذكر عنه شيء من الأسباب التي تنافي العفة وكان غيورا شديد الغيرة لم يترك أحد من الخدم
 يدخل دور نسائه إذا كبرا عما يدخل عليهم من الصغار وكان لا يحب سفك الدماء ولا أخذ الأموال مع شيء قال
 ولما اشتد مرضه أراد أن يعهد بالملك لولده معز الدين شجر شاه خفاف من ذلك لأن صلاح الدين يوسف بن أيوب كان
 قد تمكن بالشام وقويت شوكمته وامتنع أخوه معز الدين من الإذعان والاباحة إلى ذلك فأشار الأمراء البكار ومجاهد
 الدين قباغا بآن يجعل الملك بعده في أخيه لما هو عليه من كبر السن والشجاعة والعقل وقوة النفس وحسن سياسة
 الملك وأن يعطى إليه بعض البلاد ويكون مرجعها إلى أخيه معز الدين فيبقى له ما ذلك ففعل ذلك وحلف الناس
 لأخيه فلما توفي سيف الدين كان مجاهد الدين هو المدير للدولة والدائب فيها والمرجع إلى قوله ورأيه فركب إلى
 الخدمة العزمية وعزاهور كبد إلى دار الملكة راجلا فدخلها وجلس للعرء وكانت الرعية تفتشاه قبل أن يملك لأقامه
 وجراعه وحده كانت فيه وكان لا يلتفت إلى أخيه سيف الدين إذا أراد أمرًا فلما ولي تغيرت أخلاقه وصار فيضا
 بالرعية محسنا إليهم قريب منهم قال ابن شداد وفي عاشر المحرم سنة ست وسبعين ملك الملك الصالح نور الدين
 عيسى بن غرس الدين قباغا بل خلد في الخروج إليه العسكر ثم بلغه وفاة ابن عمه صاحب الموصل ثالث صفر

فصل في وفاة شمس الدولة بن أيوب أخى السلطان الأكبر وقدم رسل الديوان بالتقويض السلطان
 فيما طلبه قال ابن أبي طى كان السلطان قد أنفذ أخاه شمس الدولة إلى الاسكندرية وجعل إليه ولايتها فلما حصل بهالم
 توافقه وكان يعتاده التواضع فذهب به ودفع بقصر الاسكندرية وكان أحد الأجواد الكرماء الأفراد شجاعا عادلا
 عظيم الهبة كبير النفس واسع الصدر متحافيه يقول ابن سعدان الحلبي من قصيدة

هو الملك أن تسع بكسرى وتيسر * فأنهم في الجود والبأس عبداه
 وما حاتم بمن يقاس بمسألة * فخذوا رأيناه ودع ما وروينا
 ولذ بذراه مسـتـجـيرا فأنه * يجيرك من جور الزمان وعدواه
 فلا تهمل للمصائب منـة * إذا نطبت جودا مصائب جدواه
 ورسـل كفيـه عـا الشـرق منـها * فلما من يمناه واليسر يسراه

وقال العماد وفيها في المحرم توفي بشعر الاسكندرية نور انشاء آخر صلاح الدين ووصل الخبر بذلك إلى السلطان وهو
 نازل بظاهر حصن خزن عليه جزا شديدا وجعل يكتم انشاد أبيات المرافى وكان كآب الحماصة من حفظه وكان صلاح
 الدين لما ملك مصر أرسله إلى النبال كها ثم استناب فيها وقدم الشام سنة إحدى وسبعين فواصل بها جأته كتاب
 وفيه أبيات لشاعر ابن المخيم منها

فهل لآخى بل مالكي علم انتى * البسه وان طال التردد راجع
 وفي يوم واحد من لقاءه * للمكي على عنان الزينة تائب
 ولم يبق الا دون عشرين ليلة * وتجنى التبي ابصارنا والمسامع

في أخبار (١٩) الدولتين

لدى ملك تغزو المملوك اذا بدا ❊ وتتشع أعظامه وهو خاشع
كتبت واشواق اليك يعضها ❊ تعلمت النوح الحام السواجع
وما ملك الاراحية انتب زندها ❊ قصم على الدنيا فغن الاصابع

قالت وتغرور انشاه الاكن بالتر باله اسماء بالعوبة ظاهرو دمشق نقلته اليها الختمت الام بنت أيوب وبنت القيز
عليه وعلى زوجها ناصر الدين بن شير كوه وهو ابن عمها وعلى غيرها وابنها ناصر الدين بن شير كوه وابن شير كوه
ذكره واليه تنسب التربة فهي ثلاثة قبور القبي لنور انشاه والامه لابن شير كوه والشايب است الشام وابنها
رحمهم الله قال العماد وفيه في رجب وصلت رسول الديوان العزيز الناصري صدر الدين شيخ الشيوخ ابو القاسم عبد
الرحيم ومعه شهاب الدين بشار الخاص بالقبض والقبليد والتشريف الجديد تتلقاهاهم بالتعظيم والتعظيم وركب
السلطان للملكي وعلى حشمتها بشار الترقى فلما تراءى له الرسل الكرام ووجب لهم الاجلال والاعظام نزل وترجل
وابدى الخضوع وتوجد لي ونزل الرسل اليه وسأوا عن أمير المؤمنين عليه فقبل القرض وقبل الارض ثم ركبا
ودخلوا المدينة قال ابن طي وكانت هذه أول خلعة قدمت من الامام الناصر على الملك الناصر وكانت
ثوب اطللس أسود واسع الكم مذهب وبيقار أسود مذهب ويطلسان أسود مذهب وشدة سوداء مذهب وطوق
وتفت وسر فسار وجوان كيت من مر اكب الخليفة عليه سرج أسود وسلال أسود وطوق به زهر وقصبة ذهب
وعلم أسود ودعوة خيول وبقع وركب السلطان بالخلعة وزينت له دمشق وكان يومها غنما قال العماد ونظر السلطان
من صدر الدين بصدق صدوق وكان قد عزم على قصد الديار المصرية وسأول طريق ابنة والبريه فحسن لتبني الشيوخ
مصاحبة ورغبه بارة قبلة الشافعي رضي الله عنه فقال قد عزمتم في هذه السنة على الخلق فاحمل معكم الى القاهرة
بشرط اقامه يومين ولا دخلها وانما سكن بالتر باله اسماء بالعوبة واسر مني الى بصر عبداب قلعي ادرك صوم رمضان بمكة
فالتزم له ذلك واعاد اعميابه ليلته من طريقه الى الجواز ورجع شهاب الدين يسير في جواب رسالته ومعه رسوله ضياء
الدين ابن الشهر زوري وأنشأ العماد كتابا في الجواب الى الديوان وفيه (وقد توجه الامام الى الديار المصرية لتجديد
النظر فيها ثم يستخير الله في ما يراه ويقرر في ما يعتاده)

(فصل ١٠) في رجوع السلطان الى مصر مرة ثانية قال العماد ولما عزم السلطان على الرحيل استناب بالشام
ابن اخيه عز الدين فرخ شاه وكان عزير المثل غزير الفضل وقال فيه العماد عندئذ قد بعده قصيدة منها

اسأل الله ذا العلي ان تعيدنا ❊ الشعام لندسه مستبشدا
لست اكدي شيئا سوى قرة من منسلكك وابني اسقر في اكديشا
كيف يمشي من دفع ظاهرو زاهر ❊ سالك مسرق ابنة والعربشا

وروقت على ثلاثة كتب للشافعي عن الملك العادل الى الولاة باليمن يعلمهم ان مملوك الشرق قد دخلوا في طاعة
السلطان وانما عزم على القدوم الى مصر وصوم رمضان بها والنج الى بيت الله الحرام معها وبأمرهم بالاستعداد
مما يعمل لاجلها الى مكة من المال والازواد والمال مما تشتغل عليه تباشير الامال ووقفت على كتابين آخرين أحدهما
الى أمير مكة والآخر الى أمير ينبع يعلمهما بالثبوت لأهله القدومه ووقفت على كتاب سادس من الفاضل الى السلطان في
ذلك يقول فيه (جعل الله المملوك ذلة تليق به وشرد من اعداءه منهم بطلاعه وأمن أهل الاسلام بعدله من جور الدهر
وحيله وانتهدهم وقفا الخ الاكبر وزان بمحضه من مشيخته وجعل وقدة الانام ضيف بيته في هذه السنة وفيه
وضيفه ثم هناء ما فتح الله عليه من شعبة الجناد وما أثره في بلاد الارمن وغيرهما من البلاد وما تبع ذلك من نية
النج بالغه الله منه المراد ودخل السلطان بلاد الارمن كان في هذه السنة كما سبق فاعله سخر له الخ جميع شيخ الشيوخ
ثم جعل له ما عنده من خال العماد ورجل الدان الى مصر يوم الاثنين ثامن عشر رجب ومعه شيخ الدين شيخ الشيوخ
فانما يومين كاذكر ونوجه منها الى مكة على البحر فادرك الصوم قال العماد وصلنا الى القاهرة على طريق ابنة
ثالث عشر رجبمان واستقبلنا اهل ساوالة بالاكبر والاعيان والملك العادل انحر السلطان حينئذ بانابه وتلقانا

كتاب (٢٠) الروضتين

مواضعه ومراهبه وخدمته بقصيدة ذكرت فيها المنازل والمناهل من يوم الرحيل من دمشق الى الوصول بالقاهرة منها

احبسة قلبي طال ليسلي بعدكم * اسى فتى آتني بوجهكم الفجرا
فقدت حباتي مذ فقدت لقاءكم * فهل يجاني منكم نشأ فآخرى
اجبر ان جبرون المجبرون جارهم * من الجور حوزوا في مشورةكم الاجرا
محبكم قد فلتخانه الصبر فاطلبوا * شجيبا سوا عمتكم بحسن الصبرا
ومذغبت عن مفرى مفرى قدنيا * سقى ورعى رعى مفرى في مفرى
احق الى عذرا وعذرى واضح * لان الهوى العذرى مئى في عذرا
اذا القدر المحثوم من خلق بنا * الى مصر اسرى فالقلوب بها اسرى
رحلنا فما باحت باسرا ناسوى * عبارة عين خوف يوم النوى عبرى
تركنا دمشق والجنان وراءنا * وقدامنا بالكسوة الرفقة الاسفرا
وجئنا الى المرج الذى طاب نشره * فلازل من احبنا طيبا نشرنا
رحلنا مع الصبر بالعين غدرة * فسارت وحطت في محجتها ظهرا
وقد طعت تننا الى الدبر بعدها * وما عرست حتى اناخت على بصرى
نزلنا الداح را الجلاب بعدها * وبعدها غدر الشامية القفرا
ورأس الجشا والقريتين وكها * موارد فيها السحب قد غادرت غدرا
وردنا من الزبون حسمى وابلة * وجزاعا با كان سلكها وعرا
الى قسلة الراى الى النابع الى * جاول فالنخل الذى لم يزل قفرا
الى منزل في روضة الجبل اغتدت * به عيسنا في صدر شارحه صدرا
ودون حنالمنا حننار ككنا * عيون لموسى لم يزل مأثرها صرا
هناك تلقانا الوفود بيزهم * فسر وابنا نفسا وزادوا بنا بشرا
قطعنا الى بحر الندى بجزلزم * ومن قصده بحر الندى يقطع البحر
عبرنا الى من كثر الرمل جوده * وجزا اليه ذلك الرمل والجسرا
ولم يرونا ماء العمد بجهنم رد * ولم يفتح بالقل من يأمل الكفرا
وجبت البويوب والمصانع قبله * الى بركة الحب التي قربت مصر
الى عزمة في المسجد غير نصيرة * وكان قصارى أمرنا ان نرى القصر
ولما نزلنا مصر في شهر رطوبة * وردنا بكف العادل النيل في مصرى
غدا فاصراعن قصره قصر نصير * وايوان كسرى عند ابوانه كسرا

قال العمادون في هذه السنة مصر عريت كتاب كيمياء السعادة تصنيف الامام الى حامد الغزالي في مجلدين وفرت من تعريبه وعلم ما فيه بسعادتين وذلك بامر فاضل زوى امتثاله وشهاني في انعامه اقباله قال وفيها في خامس عشرى شوال توفي صاحب المعتمد ابراهيم بدمشق وأنا بصير قلت وهذا غير واحد دمشق المعروف بالبارز ابراهيم بن موسى ويلقب ايضا بالمعتمد ورى العماد صاحبه بقصيدة منها

أرى الحزن لا يجدى على من فقدته * ولو كان في حنى مزبد زبدته
تعبرت الاحوال بعد ذلك كذاها * فليست أرى الدينار على ما عهدته
عقدت بك الامان والخمس وانقا * فخلت بيد الانتدار ما قد عقدته
وكان اعتدائى انك الدهر مسعدى * فحسنتنى الايام فيما اعتدته
أردت لك العسر الطويل فلم يكن * سوى ما أراد الله لا ما أردته

في اخبار (٢١) الدولتين

وداع عاني باسمه ذاكره * فاطر بني ذكر اسمه فاستعدته

فقدت أحب الناس عندي وخبرهم * فن لا تفي فيه اذا ما شئته

قال ورثته بيتين وذكر العنصر الاربعة في بيت واحد ثم ما

لحق على من كان صبي وجهه * فعدمت حين عدهته أنواره

سكن السراب ونماض ماء حياته * مسددا لطافت ربح المنة ناره

قال ابن أبي دابي وفي هذه السنة سافر قراوش الى قابس فذكر حناصرتهم لجاله من القلاع وقتله جماعة من البربر
وهذا ذكره انه أسرج جماعة على حصن وأمر بقتلهم وفيهم صبي أمره فبذل فيه أهل القلعة عشرة آلاف دينار على أن
لا يقتله فأبى فزادوه الى مائة ألف فأبى وقتله فما استمر قتله حتى نزل شيخ من القلعة وبعده مائة دينار وقدمه القراوش
فقال له الخبر فقال هذا الصبي الذي قتله ولدي ولم يكن لي سواه ولا جليله كنت أقتله هذه القلعة فلما قتلتها
علمت ان بقيت هذه القلعة في يدي وميت صارت الى أولاد أبي وأما بعضهم فردوا الى القلعة وأخذ منه أمه وال

ثم دخلت سنة سبع وسبعين * قال العماد والسلفان قديم بالقاهرة وقد عيّن لسمع الاحاديث النبوية بقراءة
الامام تاج الدين النبدعي السعدي مقلنا وجميعه من أهل العلم والعلماء عنده اشتاتا ورد كتاب عز الدين فخشاه
من الشام يذكره ان الله بعلى الانعام بكثرة ولادته في ذلك العام وجبر الله به ما كان قبله من الولاء
وقتا لواله بالحب بعد الجلب والغلاء قال ودخلت الجبال الذي ينادون الدين أبو الحسن على نجاها واعطى في داره
خارج باب زويلة بالقاهرة في ذي القعدة فقلت

ما فعل من يرى فيسبى غير عار فعار * به قنطار الاذايا * وترجس الاوانير

والعيش فيسبى قمر * والندى فيه وقار * والسبت في كل يوم * لمن يرى شتمار

نار تليق بالآعجب * جنسية هي نار

وله فيسبى

ومنزله يدخله * لشعله لكل أحد * يوجد فيه السبب في * كل تخيس واحد

(فصل في ذكر وفاة الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين رحمه الله وما تم في بلاده بعده وذلك بحلب قال
ابن شداد وكان من منتهى الفواجح وكان أول مرضه في تاسع رجب وفي الثالث والعشرين من رجب غلق باب قلعة حلب
لشدة مرضه واستدعى الامراء واولادها واستأذوا عز الدين صاحب الموصل وفي الخامس والعشرين منه
توفي رحمه الله وكان موته وعزائم في قلوب الناس وقال ابن أبي دابي كان سبب موته ان عز الدين سليمان بن جندر
سأه سمع في عتقه وعذب وهو في العبد وقيل الذي سقاه ياتوه الاسدي في شراب وقيل انه أكله من خشك كان كره
ونرى الصيد قال ودفن بالمقاسم الكبير الذي في القلعة وحزن الناس لحزنه عاليا وكان من أحسن الناس صورة
والهيم اعداها قلت وبلغني انه كان يقال ان موت الملك الصالح بغير اكل من كرامات نور الدين رحمه الله فانه
سأل الله تعالى ان لا يعذب شيئا من أجزائه بالنار وولد جرد فبات قبيل ان يدور في عمره على أسن سيره وحالة
رحمه الله قال ابن الاثير ولم يبلغ عشرين سنة ولما اشتد مرضه وصف له الاطباء شراب الخرنوب واولاه فقال
لا أفعل حتى استعفى الفتوة وكان عند عماله الدين الكاساني الفقيه الذي في منزله كبيرة تعفقه فيه اعتقادا حسنا
ويكره فاستعفاه فاقامه وجره بها فقال له يا عز الدين ان كان الله سبحانه وتعالى قد قرب اجلي افرح وشرب
الخير قال لا والله لا لئيم الله تعالى وقد استعملت ما حرمه علي قلت يستعمل الله ذكره ان من العلماء
من ذهب الى جواز ذلك لانه كان يرى لك فان مذهبه بخلافه والله أعلم ثم قال ابن الاثير فلما ايس من نفسه
أدبر الامر اكله وسائر الجناد واستعملهم لئلا ينزعوا ناله عز الدين وأمرهم بتسليم حاكمه جميعها اليه فقال
له بعضهم ان ابن عمك عز الدين له الموصل وغيرهما من البلاد من ههنا الى القنرات فلما قربت حلب لاولي عماد الدين
ابن عمك امكان أحسن فهو تربية والدك وزوج أختك وهو أيضا عديم المثل في الشجاعة والعقل والتدبير وشرف
الاعراق وطهارة الاخلاق والحلال التي تزد بها فقال ان هذا ليعجب عني ولكن قد علمت تغلب صلاح الدين على

كتاب (٢٢) الروضتين

عامة بلاد الشام سوى ما يبدى ومعى فان سلب حلب الى عماد الدين ينجز عن حفظها من صلاح الدين فان ملكها صلاح الدين فلاجى لاهلها معه مقام واذا استتبها الى عز الدين امكنه ان يحفظها اكثر عساكره وبلاده وامواله فاستحسن الحاضر ونزل قريه وعلموا حقيقته ونجى وامن جوده رايه مع شدة مرضه ومن اشبهه باه فاضل فلما توفي أرسل دزدار حلب وهو شاذ بنجت وسائر الامراء الى اتابك عز الدين بدعوه الى حلب ليلموه اليه فورد الخبر وبعث عماد الدين قاضي قندسار الى ماردين بهم عرض فاقى القاصدين عندها فخير ودا الخبر فسار الى الفرات وأرسل الى اتابك عز الدين ويشير بتجديد الحركة وأقام على الفرات ينتظره فسار اتابك مجددا فلما وصل الى المنزلة التي بها يجاهد الدين أقام معه وأرسل الى حلب يستحضر الامراء فحضروا كلهم عنده وجددوا العهد بينه فصار حبيته الى حلب ودخلها وكان يوما مشهودا ولما عبر الفرات كان تقي الدين عرين أخى صلاح الدين بمدينة منبج فصار عنها هاربا الى مدينة جاه وناراهل جاه ونادوا بشعار اتابك وكان صلاح الدين يصير فأشاره على حلب على عز الدين بقصد دمشق وأطمعوه فيما روى غيرهما من البلاد الشاميه وأعلموه بحبة أهالها لبيت الانابكي فلم يفعل وقال بيننا وبينه فلا نغدر به وأقام بحلب عسكته وشورهم سارمنا الى الرقة فاقام بها وجاءه رسول أخيه عماد الدين يطلب ان يسلم اليه حلب ويأخذ منه عوضها مدينة سنجار ففر بحبيته الى دلا ولج عماد الدين وقال ان سلمت الى حلب والاسلمت اناس سنجار الى صلاح الدين فأشار حينئذ الحماة بسلطه اليه وكان اكبرهم في ذلك يجاهد الدين قائما فانه لم ينج في تسليمها الى عماد الدين ولم يكن اتابك عز الدين مخالفة لفتحها في الدولة وكثرة عساكره وبلاده وفاقه وهو كره فسلم حلب الى أخيه وتسليم سنجار وعاد الى الموصل وكان صلاح الدين يصير وقدايس من العود الى الشام فلما بلغه ذلك برز عن القاهرة الى الشام فلما سمع اتابك عز الدين بوصول صلاح الدين الى الشام جمع عساكره وسار عن الموصل خوفا على حلب من صلاح الدين فاتفق ان بعض الامراء الاكبراء الى صلاح الدين وعبر الفرات اليه فلما رأى اتابك ذلك ما شى بعدهما الى احدمن أمراته اذ كان ذلك الامراء وقتهم في نفسه فعاد الى الموصل وعبر صلاح الدين الفرات وملك البلاد الخزرية ونازل الموصل فلما تمكن من التزول عليها وعاد الى حلب وحصرها فسلمها لعماد الدين اليه وسبب ذلك ان عز الدين لما سلب حلب بترك في خزائن من السلاح والاموال شيئا لانتقله الى الموصل وتسليمها لعماد الدين وهي كبقايا بطن جارة وكان السبب في تسليمها قال ابن شداد لما توفي الملك الصالح ساروا الى اعلام عز الدين مسعودين قطب الدرس بذلك وبما جرى له من الوصية اليه وتخليف الناس له فسار عسائر الى حلب مبادرا خوفا من السلطان فكان أول قادم من أمراته الى حلب منافر الدين بن زرين الدين وصاحب سر ورج ووصل معه همام حلف الامراء له وكان وصولهم في ثالث شعبان وفي العشر من منه وصل عز الدين الى حلب وصعد القلعة واستولى على خزائنها ودخلها وتزوج أم الملك الصالح في خامس شوال من السنة المذكورة ثم أقام عز الدين بقلعة حلب الى سادس عشر شوال وعلم انه لا يمكنه حفظ الشام مع الموصل لحاجته الى ملازمة الشام لاجل السلطان والى عليه الامراء في طاب ان يبادت ورأته فنهضهم انهم قد اختاروه وضاق عاقله وكان صاحب امره يجاهد الدين قائما وكان ضيق العطن لم يبعده مفاصلة أمر الشام فرحل من حلب طاب الرقة وخلفه ولده ومنظر الدين ابن زرين الدين بها فاقى الرقة وقلعه أخوه عماد الدين عن قرار بينهما واسعة وقباضة حلب وسنجار وحلف عز الدين لا يخيه عماد الدين على ذلك في حادى عشرى شوال وسار من جانب عماد الدين من سلم حلب ومن جانب عز الدين من تسلم سنجار وفي ثالث عشر المحرم سنة ثمان وسبعين صعد عماد الدين قلعة حلب قتل وورقت على ككتاب فاضل عن السلطان الى عز الدين فرشاه وهو نائيه بدمشق (وقتنا على كتابه وعيننا لتجد من الخبر من ض الملك الصالح واشتد داحاه وانقطاع الدار اخذ عليه) ثم أشار بفتح بلد عسكرى كآبه وجهه أخيه تقي الدين على انظار قاعدة القناري في القضية الحادثة بين ديار بكر وابن قرا أرسلان والتوجه لفضله قال (فيكون ظاهر حركة العسكر لهذا السبب المتقدم وباطن لهذا السبب المتأخر وقد كوت الولد تقي الدين ان يتوجه الى منبج على النظار والباطن المذكورين وان يحفظ المغازى ويراد الفرات ونزع المعابر ولتلايل وقلعة جعبر ومنبج وتل ياشروهي جهور الطارق بل كلها وقد أوعدنا الى تقي الدين بأن يكون حكام جاه في حلب وحمام دمشق في جاه والى الاجل ناصر الدين بأن يكون حكام دمشق في حصن وحمام حصن في حلب وولادنا

في اخبار (٢٣) الدولتين

عز الدين يؤسر بأن يكون حمام بصري في دمشق وقد بعثنا نجاب بن كزاون من عتق بن بصري فان تحققت الوفاة فنعين
 اسبق اليكم من الجواب قولاً وفعلًا ووعداً ونجساً فالعالية خراجها والعساكر مسترجعة والظفر قد استعد
 والمصلحة في الحركة ظاهره وبتحقيق المذاق في هذه القضية ساقطه وقال الماكدان قصداً السلطان اصلاص سال
 الملك الصالح والله القاصم مقام أبيه فصدده عنه ما ليكه فأخذت بلادهم بجمعهم ومن ضمت دولة لسوء علاجهم
 فاتشع بجلب الى ان توفي ووصل ابنه عز الدين وهو صاحب الموصل الى حلب بجمع ثلثه وابطنته واخذ
 خزائنه واستخرج دفاقته وأخذ كائنه ثم عرف الله لا يستقر له بها أمر فرغب أخاه عماد الدين زكي صاحب
 سمجرات في تعويضها بجلب فقال الى بذلك ورغب لما سمع السلطان في مصر بوقا المالك الصالح فترك عزمه وندم
 على الزوج من الشام مع قرب هذا المرام فكتب الى ابن أخيه تقي الدين وهو ولي له المهره وجاه وأمره بالتأهب
 للفرض وكذلك شجع عز الدين بانه بالشام بتعدد الملكات لهم ويعتبر على الاستعداد وجاهم وكان نائبه بدمشق
 ابن أخيه عز الدين فرخشاه تدنض في مقابلته فيج بالكر ك فان الاراس الكركي كان يحدث نفسه بقصد سبيها
 في البرية فزال فرخشاه في مقابلاته حتى تركس العن على عقبيه ذليلاً ولم يجد الى ما حدثت به بنفسه سيلاً
 فعرف السلطان ان غاله بهذا المهم فكتب ككاً ما شرع الحال الى بغداد باللقط العادي يقول فيه (وشاخ الخبر
 بغارة فرخشاه على حارم وأتوا من السبي والذهب بالعتا ثم وشاخ أيضاً ان عسكر جلب أنار على الراوندان وهي
 في عتلتنا ورسولهم عند الفتح يستبد بهم ويغريهم بنا وقد راسوا الحشيشية والمراد من الرسالة غيرة خاف والعام بالمعتاد
 منه نأف وابن أخى غائب في أقصى بلاد الفتح في أول برية تلجأ تان طاغية منهم جمع شيعه ورجله وحذنته تشبه
 الحثيثية بقصد سبيها وفي دليمة المدينة على ساكنها السلام واغتنم كون البرية معيشة مخفية في هذا العام والحب
 إننا في عن قراة النبي صارت الله عليه وسلامه مشقة ملين بهم والمذكور (يعني صاحب الموصل) يزار في ولاية
 هي لتأخذها بطله وكمين من يجارب الكثرة ويحمل اليهم قواهم الآجال وبين من يخذلهم بطلان دون المؤتمنين
 ويحمل اليهم كرائم الاموال خدام مانعة في الدولة المنيعة والدولة الحادية العباسية من آثار لا يعود ثلثها ولا لاني
 مسالم أقدم ثم خاسروا والى شولى ولا آخراً لتغرل بك فانه نصر ونصب ثم عجز وحب وقدره ما فضل الله به
 تدليها في نصر الدولة وقدع من تان يزارع الخلافة واهوا وتغير الما من رجس الاعداء ولم يفعل ما فعلت لاجل الدنيا
 غير ان الخفت بنعمة الله واجب والتجبر بالخدمة البرية والافتخار بالتوفيق فيها على السخية غالب ولا غنى عن
 بروز الامور الشريفة الى المذكور بأن يلزم حذره ولا يتجبر ورحقه فان دخول الايدي الختلة عن الاعداء المقتة
 شاغل ويحتاج الى مفر من في العر بغير طائل فان الامارة ترم السحاب والفرس تفتن ومن السراب وقاونا
 في هذه الدار القليل البعث النصر المكتوب وثران تعتمه في مساعدة العدو والكافر الذي مدار به البيت المقدس محسلاً
 للارباب وحضت عليه دهور ومواكب لخصصارا من رجاء تظهيره الاعلى الياس وان كان القوم يذبلو للدور العزيزة
 بذلا مسارة فقد اسلف الحساد خدمتات ليست به وار فانهم لو بذلوا بلادهم كاهلما وفت بفتح مصر التي رجلي عنها
 أساس الادعاء راكبة أو عوادها وأعاد الى عتيا بعد دياض عاتما من نور الشعار العباسي سرادها فان اقتضت
 الامور الشرية تان بوعز المذكور في الحبقة لاولى ان يقاد الجراح فزع في الايام من معشر الشريك
 والمالك الامير الحكيم في جماعة السليمان (وكان في الكتاب أيضاً ان عاتما من حلب من جله البلاة التي أشعل عاتما بتفيد
 أمير المؤمنين المستنصر بأمر الله له عاتما كفاي بد بن زراة الدين لا يوليه والمالين طبر جمع كل الى عاتمة لمع رقه
 ومن داب فاشلى (فقد صرف وجهنا في هذا الوقت عن جهاد لوكبهم دعه وعن فرض لودس ان يوهه بغده لكان
 الاسلام قد اعفى من شرك الدرك وانما أهل الدولة من رقة أهل الافك وكانت الاسماء الشريفة قد عرفت منابر
 طامعرات الصلب خطباها وكان الدين الى الله قد خاض الى بلاد سار المشرق ومن مطول به اولا كون غراهاها
 وفي كتاب آخر له (وقد علم الله ان الله قد تم كارهون وفي مهلة أهل الاسلام وفي مصالحهم راغبون ولما طيل بقوم
 كافر أشوأخف عقولا وتالاعام أوأخل سبيلا ان بنى معهم فولى غراساس وان عاتمة العدمهم فهو واغترن
 الانساس) وفي كتاب آخر (والخالد والحمد لله بعدد سوا في الاسلام والدولة العباسية لا يعلوها ولاية في الإسلام

كتاب (٢٤) الروضتين

والى ثم وارى ولا تخبر بغير ذلك لانه بصير شجر الخادم بحمد الله خلق من كان ينازع الخلافة قد ردها واساغ الغصة التي ذكر الله لا ساعفة في سبفه ماها فرحل الاسماء الكاذبة الى اكمة على المنابر وأعز بتأييد ابراهيمي وكسر الاصنام الباطنة بسيفه الظاهر لا السائر وفعل وما فعل للديناو معنى الاعتقاد بها هو متوقع لجزءه عنه في اليوم الآخر ومن كتاب أكثر عند دخول صاحب الموصل حلب واستبلاثة عليها وكانت داخلته في تقليد السلطان السابق فقال (دخل حلب مستوليا وحصل بها معتذرا وعقدوا الخلفاء لاجل والسيوف في أوجه أوليائهم لا تسول وانسان فغى باب المنازعة أدنى من نداه وأبعد من سلامه ونخرق ما يعي على الواقع وجذب الرداء فلم يبق فيه الا حيلة الخالعة وليس الاستبلاء بحجة في الولايات لطلالها ولا الدخول الى الدار بموجب ملكها غاصبا الا ان تكون البلاد كالديار المصرية حين فتحها الخادم وأهلها حيث أجمعه مستر بيه والخلافة في غير أهلها غريبه والعلة أنه لغير الخلق مسخيه فتلك الولاية أولى من فتحها من وكان سلطانها من أدخل في كان شيطانها وأما حلب فان الكلمة فيها عالية والمنابر فيها بالاسم الشريف حاله فانما تكون لمن قلدها لان توردها وان تسلمه الامن بالباطل تسلمها ولو كانت حلب كما كانت مصر لخلها الخادم ولم يشاور ولو جهل ما ينظر ولكنه أتى البيوت من ابوابها واسطر القطار من سخاها) ثم ذكر ان المراءاة الملاحدة الحشيشية واتخذوهم بطانة من دون المؤمنين وواسطة بينهم وبين الفرنج الكافرين وبعدهم بقلع من يد الاسلام بقلع وضاع من في المسلمين توضع ودارد عودته بصلب فيباع الضلالة لفرع واليحب من الخصم يمدد وله حق وهي تبني ومن العبد يبي ملكه بانفسه وماله وذوبه وهي نراقب اعلاه فبه ودعواه في رسائلهم وحقوا لهم ليست يدعوى لا يقوم شاهد لها ولا هي بشاعة لا تدرى قائدها بل هذا رسو لهم عند سنان صاحب الملاحدة ورسو لهم عند القميس ملاة الفرنج وهذه الكتب الواصلة بذلك قد سرت ولاستحباب الولاية طرقا ما السبق الى التقليد فلغادام السبق وأما العدة والعدل فافروغ الفرق لوقع الحق وأما بالانوار الطاعة فله فيها ما لا معونة الخلق فيه لتقصرت عنه أيدي الخلق ومتى استمرت المشاركة في الشام اقتضت الى ضعف التوحيد وقد لا اشركه وراحت الى اخطار يجهز عنها اخطار الاستمراء واحسرت قابض الاعتدال ان يعلم الجدد وسبله العراك وطريق الصلاح والمصالحات الايمان والمشار اليهم بل يتزمنون ربقها ولا يوجدون صفقتها وكفى بالتعريب ناهي عن الغر ولا يبلغ المؤمن الامر واذ اجتمعت في الشام أيد ثلاث عادية ومحدودة كافر فنهض الكفر بتبليغه وقصرت عن الاسلام بدعيته ولم ينفع الخادم حينئذ تصحج حسابه وتصديق حديثه وما يريد الخادم الامن تكون عليه يد الله وهي الجماعة ولا يؤثر الا ما يتقرب به اليه وهو الطاعة ولا يتوخى الا ما يقوم به الحاجة اليوم ويوم تقوم الساعة) ومن كتاب آخر (قد احاط العلم بما طالع يد أولاء عند وفاة ولور الدين رحمه الله ان التقليد الشريف المستضيء مواصلة البلاد وكان قد فتح أكثرها قلاعاً وأمصاراً وحصونا وديارا ولم يبق الا قصبة حلب وهو على أخذها عدل ولور الدين عن القتال الى النزال وعن النزول الى الاستنزال وقصد القصد الذي ما أوجبت المحافظة ان يلتقي بالارد فافرد على الولاية فرعا لأصلا وثائبا لاستقلال وسلم اليه البلاد وولد الغالبية لا المغاوبه وسميوه السالبة لا المساوية ومشي الامر معه مستقبلا مائلا وجائز او جادلا الى ان قضى نحبهم ولقي ربه فبدامن المواصلة تنقض الايمان والابتداء بالعدوان والتعرض لبلاد والتصرف في ابعث بحجة يكون علم الاعتماد فطالع الديوان بالقبضه واستمهذ بدلا لا قوايته الجلبه في هذا التقليد الذي تمهاده المحاضر وأشاعته المنابر وسبرت الى الشرق والغرب نسخته وغلت الايدي التي تتحدث انفسها انها نسخته)

(فصل) قال العباد توجه السلطان بعد شهر رمضان الى الاسكندرية على طريق البحيرة وخيم عند الاسوار وشاهد الاسوار التي جدها والعمارات التي مهدها وأمر بالانعام والاهتمام وقال السلطان يقتم حياة الشيخ الامام أبي طاهر بن عوف فحضرنا عنده وسمعنا عليه موطأ مالك رضي الله عنه بروايته عن الطرطوشي في العشر الاخير من شوال وتم له ولا ولد ولا وليه السماع والوالي بو محمد بن الفخر الدين قراجا قلب ووجدت للقاضي النفاضل كتابا كتبه الى السلطان منه به هذا السماع يقول فيه (أدام الله دولته المولى الملك الامير صلاح الدين ابايدين سلطان الاسلام والمسلمين يحيي دولة أمير المؤمنين وأسعد مرحلة مله علم وأتابه عليها وأوصل ذخائر الخير اليه وأوصله اليها وأوزع الخلق شكرا

في أخبار (٢٥) الدولتين

لنعمته فيه فانهم اتوا لوصول الى شكرها الا يراعه وأودع قلبه نورانية فانه مستقر لا يودع فيه الا ما كان مستندا الى ابدائه والله في الله رحاته وفي سبيل الله يومه وما ثم الا أغر خيول والجليلة الذي جعله ذا يومين بسفلت دم الخراف تحت قدمه ويوم بسفلت دم الكافر تحت قدمه في الأول يطلب حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم يجعل أثره عينا لا تستر وفي الثاني يجعل النصرة شرعية هداية الى الضلال فيعمل عينه أثر الا يظهر وقد استغرق الناس هم العلماء في رحلتهم لفضل الحديث وسماعه والموالات في طلب ثبته واتجاهه وصنفوا في ذلك تصانيف قصدوا بها التحريز على لاهم والتنبيه والرفع من اقدار أهل التنوير فقالوا رجل فزن لسماع مستور فزن وسارزدا في عمرو على بعد المكان هذا وصاحب الرحلة قد نصب نفسه للعلم وشغل به دهره ووقته عليه فكره فلا يتخلف عنان همته البكاثر فما القول في مدى خلو طرقة كوابه مطروقة وأورشاقي الله كما ورد به معذوقه اذ هاجر الى بقية الحسير في أضيق أوقاته وترك لاهل أشد ضرراته ووجب له أيا ما علم في الغزاة بحسب طائفة نفسه على لحناته وساعاته وما يحسب المساركون كاتب اليدين كتب قطا تلك الرحلة في طلب العلم الا لاشديد حارون رجعة الله عليه على أن لا تخط زيارة تته بطلب ورجل يوليه الى ماللا رجعة الله عليه لسماع هذا الموطأ الذي اتفقت الحمان الرشيدية والناصرية على الرغبة في سماعه والرجلة لا تنجعه وقد كان الرشيد ساما لكارحه الله ان يجعل له ولولديه الامين والمأمون مجلسا خاصا لسماع مصنفه فقال له ما معناد انما سانة ابن عمك صلى الله عليه وسلم وغيرك من سرهش ومثلك من نشرها فلهو رجلة ثانية في الزمان وأولى في الامان يكتم الله لئلا يرقم كاتب اليدين ويقوم فيها مقام الرشيد ويقوم عليه وعثمان مقام ولديه المأمون والامين وكان أصل الموطأ بسماع الرشيد على مالك رجعة الله عليه في خزنة الكتب المصرية فان كان قد حصل بالخرانة الناصرية فهو بركة عناجه ومنقبة كرمه وخيرة قدومه والافلاحة برك ذلك حظ موسى بن جعفر في فتيا الامان وجهما الله كان ايضا فاما وكلاهما برك بطله ويعلم به فضل العلم لا خلا المولى أبقاه الله من فضله وقف الماروك على ما يشربه من صنع المولى وتوفيقه وجمعة من اجتهاد في طريقه وانقطاعا كان من دم واستراخ القلب من كل هم وقد استفتحت هذا الطريق بكل قال مباركة البكر والقال مأثور عن سيد البشر فن ذلك جمعة جميعه فلتتمه افعه ونسخته قلبه دامت له الفمحه واقطاع الدم وطريقة الى الشام تقطع بها الدم ويتصل النصرة وينتظم السلم وأخرى الله رحل الى المولى ارحم الله مالكة ويرجل فيما يطلب من الشام الى الموطأ أسعد الله به مالكة والله تعالى يحقق الخير ويصرف الضرر ويركز لانا في اتمام والسير ان شاء الله فلت هكذا يقع في كتب الفضل رجسه الله كثيرا وهو اذ يفتحه ها بالادعية متصلة بقوله ان شاء الله والتعليق بالمشقة غير لائق بالادعية في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارزقني ان شئت ليه زم مسئلة فانه يفعل ما يشاء لا مكره له

(فصل) في أمر رتبة عاتق بولادة المرن في هذه السنة قال العباد كان الامير محمد الدين سيف الدولة مباركين كامل بن منقذ نائباً عن الدولة أثنى السلطان يزيد وحصل له من أموال الدار برف والتبليد ثم اتباع من السلطان الناحية المعروفة بالعدي به مصر اعاد اليها وفي أخوه حطان بن يزيد والياس عليا فصنع دعوة غفيرة بها ذكر العباد انه حضرها هو وغيره من الفضلاء الاعيان فيمنعهم عند في أسر حال اذ أحق بهم الامير بهاء الدين قراقوش فقبض على سيف الدولة واعتقل بالانصر وكان سببه ان أقارب السلطان وخدراجه اكثر واعليه عنده اناس وعب مال يزيد وان له كدوا لا تبديد وأشاروا عليه بقبضه وهو يدافع عنه الى ان أكثر اوقين فبه ان لم تترك فأت فاهم به فاعتقل فسمع للسلطان خاصة من القادح المصري الثمانين ألف دينار لم يظفر فرباه مع متاع ولا امتدانة من تجار وغرم لاخوي السلطان العادل وتاج الماروك ما حافظ على جميع الكرم المساروك وخرج مشرفا كرم ما مصر فاجتمعا وزاد السلطان في تكريمه وانفذ اليه باقضة مئة خط يد بان الغد يدين في ذمته ثم باعه املا كما يصير بتقدير ثلاثين ألف دينار وبذل لكل ما طلب عن اشارة اختيار وزاد في اقطاعه وبارك الله له في أشياء وأشياء قال العباد وكان هذا الامر من راحة عقده وحسنة فضله ما سمعت منه شكوى ولا حكاية في بلوى وقتل أخوه حطان بن يزيد وأخذهم فلم يظفر منه السلطان كراهه وكل شيته زاحقة بسا به قال وكان لما توفي الملك المعظم شمس الدولة اشفاق

مكتاب (٢٦) الروضتين

السلطان من نوابه باليمن وذكر ما بين ولايته من الاذن ووصل الخبر بما جرى بين الامير عثمان بن الزنجيلي والى عدن وبين الامير حطان والى زبيد من الفتن فندب الى زبيد عدة من الامراء لحفظ البلاد واصلاح الامور التي يحشئ عليها من الفساد ومن جلتهم والى مصر صرام الدين خطيبا وبقيت الولاية له بها في غيبته يقوم بها نوابه ويرجع الى رأى أهل أصدابه فشرعت زوجته في عارة دار عفتة سنه وذكر الامجاد انه حصل له ولغيره من الاعيان بها ضيافة جليلة تفاديه وقال ابن أبي طي كانت نفس سيف الاسلام طعت كين أخى السلطان تشرأب الى اليمن من حيث مات أخوه شمس الدولة ويشترى ان يصير اليها فامر ابن سعدان الحلبي ان يعمل تصيد يعرض فيها باشتاد سيف الاسلام الى اليمن فعمل التصيد ذاتي وقول فيها

جرحها السيف الضيق فتنه * فالسيف لا يزخر الا لقتل
شده أزر العسلى فانه * ثم فقي من شرع الجود وسن
التائل المسموع في مقالته * والصادق الدب الامين المؤمن
بادى الفؤاد كنهها سبيرة * حن الى دار الوعى ثمتان

وفيها يقول

يا ابن الكرام الجباء والذى * تلقف العلماء فيها ولفن
لا تدعيك عن المالك فما * يتخاطب العلماء الا من ومن
قد سد المالك وقد طال العدى * واقتصر وراهم ملك اموال اليمن

قال فلما سمع السلطان هذه القصيدة أذن لسيف الاسلام في المسير الى اليمن وقال الحمد وفى هذه السنة تفرع سيف الاسلام ظهر الدين طعن بين أرباب اليمن الى بلاد اليمن وزبيد وعدن وأز يقطع بها الفتن وتولاها وبنى ويعزل ويحسن ويعدل فسار بعدهم الى الشام وجرت ملكته فيها على أحسن نظام وذلك في سنة ثمان ووصل الى زبيد وحط حطان عن رتبته وأمنه وطمنه ثم أذن له في الانفصال الى الشام فجعل حطان كل ماله من سبيل ولد ومطرف ومثله ولجئ وعسجد وباقت وزبيد وآلات وعدد وحصن وخجور وعرب ومال اعطه من اليمن بغير حساب ثم أتاخ جماله ورجل عليها احواله وقدم قدماه أثقاله وتلن انه يجازى واركب الاوقاز فرددا اليه ولده ثم شيعه وركب معه فلما دخل عليه اعتقله وسير وراء ماله من أهله والى شرايته شقه ثم أنشده فى بعض معاقفه فحسبه ثم قتله وفيما ذكر للسلطان من خبر زبيد وماله الداهى ما يعنى بمحصر تفاصيل جملة أغل الحساب ان نيفا وسبعين غلاما من غلب الزركا كانت ملوءة بالذهب الاجر المنقذ وقوم المأخوذ بقيمة ألف ألف دينار وأما صاحب عدن الامير عز الدين عثمان بن الزنجيلي فانه لما سمع بسيف الاسلام توجه الى الشام قلت ولهذا الامر أوقاف وصداقات بمكة واليمن ودمشق فآله تنسب للمدرسة والرباط المتقابلان بباب العمرة بمكة والمدرسة التي خرج بها يوما بدمشق رحمه الله ومن كتاب فاضلى عن السلطان اليه (البلاد) فيها عدة سنين وأنت فيها مؤمن على مال الله فاذه الى من يجاهد به أعداء الله ويقوم به كلمة الله ويعتظ به البيضاء ويذب به عن الملة ويقا تل به أعداء القبلة ويضرب بالاسد ابن الكفر والاسلام وينصب وجهه بين الخير والزهر يرعاهما في أثر عام ومناقب منك الباطل الذى لا يجوز ان انظله ولا انك تدفعه ولا تريد الا الحق الذى لا يجعل لى ان تتركه ولا انك تمنعه)

(فصل) فى باقى حوادث هذه السنة قال الحمد وفى هذه السنة وصل السلطان من دمشق العلم بخطيب المزة وكان قد رور على السلطان مثالا ينفخ له منالا ورفعه الى عز الدين فرخ شاه فاضلى تزوره عليه وهم بالانقاع به قصد السلطان فجمروا طلعه على حاله فأكثر شقه وقال تحقق ما زورت وأمر ان يكتب له توقيع بضعت ذلك الادوار قال وكان له امام يصلى به وهو يكتب مثل خطه فاطق به اموالا وأصلى وأنجح بنزوره لاصد فآله أخو الاموال يشك صاحب ديوانه ولا يوفى خزائنه فى انه يجمع فلما دسم من انكشف وشارف التلف وجلس اخوه السلطان وأمر أوه عنده بغيرونه به فقلت له بالعجبة سر آتبه للقرآن فقال نعم فنهض من خنقاؤه وأمر باطلاقه وأبقى عليه خبره حتى استبدل به غير وصار بعد ذلك اماما وبقي شغله معه عندما قال وفيه اغدر الفرح ونقضوا عهدهم واستولوا على تيارى البحر

في اختبار (٢٧) الدولتين

وغيرهم وسئل الله تعالى بباطشة لهم عظيمة من المراكب الفرجية متقلة من بلدهم يقال له بوليه تخموى على الفين وخمسة مائة نفس من رجال القوم وابطا لهم فالتهم الزمخ إلى بغداد مياط ففرق منهم الشذر وشغل الباقيين الاسر فحصل في الاسر منهم زهاء ألف وسبعمائة وست وسبعين نفسا واتفق ذلك امام الامام فقام بالسير إلى الشام قال ابن أبي ملي وفيها ولد لاسلطان الملك المعظم تورانشاه والملك الحسن أحد بينهما بعة أيام واتصل الفرج بهم ألبعة عشر يوما وفيها سار قراقوش إلى افرقية فأدخل في بلاده وانتخب ما قدر عليه وحارب بكر ابن عبد المؤمن بالفرق وان ثم باعته أن ابراهيم السلاجق دارا حتى على أهل قراقوش وبلده فرجع إليه فهرب ابراهيم وسار إلى خدمة ابن عبد المؤمن ومالك قراقوش ما كان يسد ابراهيم قال ابن القاسمي وفيه اعشمة الخمس ثامن شعبان توفي الامام كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي السعادات الأبرار الذي وكان فقيها فخر زاهد عابدا حسن العيش صبوراً على الفقر وكان يسرد الصوم ولا يقبل من أحد شيئاً وكان يحضر في زبنة الصدوقية بدار الخلافة المعظمة في الوقت فينفذ إليه بالتمريض والذهب فيعده ولا يقبله وكان يحضر به الوزير ابن رئيس الرئاسات يقبل لولده شيئاً فما كان يفعل وكان يقدر على التبرأ الحشكار ويتأخر غيرة أروا وماشا وكان بابا معتزلاً إلى العلم يعلمهم لوجه الله تعالى وكان إذا أحسن أحدهم في العصف من وحشة يترجمها فإذا خرج يقول له تدمر وتلك معك فيجهد بذلك أن يحياها عنده إلى غدا فيعمل روضاً نصف قصاص كثيرة ودفن في تربتها إلى المشرق وسنة ٧٠٠ ول الربيعين وقد تقدم من شعره في بيت الفاضل وفي مدح ابن منقذ وغيره ما من ذرية شعره وقد في أحد

يا أي كفيف غير تال إلى اليا * كيف سالت ما بيننا بال
حاش لله ان أصابني خيلا * فمراني في دوده ذا اختلال
زفسر والاني أتيت فحجو * فوالنمقة بسج حلال
كأن بالناودخت الذي حو * تهن النبل والسنوا الكمال
لا تفتن حبة التورعيا * ففني الحسن من صفات الللال
وكذلك التقى همدون * وفي أنكي من الفيا والوال
ودناني القضاة وهي كاتبة * لم كنت موسومة بالجمال
وإذا ما علا السام فنه * لقروم الجبان أي جمال
وارى الانبياء في دهر الس * كاس يلق وشمال الربال
وأمر الحسن أنت لاشك فيه * وبورب التورم والاعتدال
قد تميزت بالفضاء فانت الس * راكم المستقر في كل مال
وتجملت جل وزرك في القاه * رفاه في مرتب الاهرال
ان جعل الذر بادهون في الدنس * يا علي انتم النشال
كسرو الله حذبة فلك ان شمس * من الفضل اومن الافثال
فانت ررة على حاد حل * مثلك اوموجهة بنسرة ال
مارأيتها النساء الا تحت * لوعدت تامة لكل الربال
عدد الى ذوالالقيس * لا تقصص الخليل من الوشال وقال

في (فصل) في عهد السلطان من بلاد المشرق يقال الشام ذال الامام وعنده من الاسكندرية إلى القاهرة في ذي القعدة يشرع السلطان في الاستعداد لزيارة الشام بجمع السكاك والسلاح وامتحنه نصف العسكر وأبقى النصف الآخر في بغداد ثم رجع وأمر قراقوش بأنعام الاسرار الدائرة على مصر والقاهرة قال وبن اسلطان عشية نوديعا أهل مصر إلى مصر وكن يشهد به في الوداع خارجاً كده ردياً ولاد رأسه واشده فاهراً في فضله ورافاه به به

كتاب (٢٨) الروضتين

تتمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

فلما سمعته تحدثنا طه وتبدل بالانقباض انبساطه ونحن ما بين مغضب ومغض ينظر بعضنا الى بعض ولا يقضي الحب من مؤدب ترك الأدب فكانه نطق بها هو كائن في الغيب فانه ما عاد بعد هذا الى الديار المصرية حتى اتصل بنحج المني الى المنية قال ومن جلتهم في القول ما حكاها لنا شيخنا ابو محمد بن الحشاش قال وصلت الى تبريز فاحضرت يوما رثاء بها في داره وأجلس ولد دالية رأيت مائلته على فقالت فرغ البطح سابع فقال معلمه وكان حاضرا ثم وجزوا الكلب نابع فجلت من خطاه خطابه واذابه على دابه في سوء أدابه ومقصود ان يذكر قريته ولا يبايى بعدهم فردد ام يخطبه ودأب أدابه اولاد الملوكة لاجترائهم على أعز أولادهم الاجتراء على الابهاء ويحتمل ما يصدرو منهم لغز قائلته وانما يصلح لجالسة الملوكة من يحتفظ في كلامه وينتقظ حتى في منامه

ع ثم دخلت سنة ثمان وسبعين قال الهادي في البحر من هذا دخل السلطان من البركة فاصد الى الشام ولم يعد بعدها الى مصر حتى اذركه الحمام وأخذ على طريق صدر واليلة في الفساز فبات بالربوب ثم كانت متبازله على الجسر وادى موسى وخاوصد ربه بعد خمس ليال وصل عقبة اليلة وهناك سمع باجتماع الكفار بالكرنك لقصده قطع الطريق فاحتز به حفظ الاطراف وانجاز يهوى ثم عقبة شتار ثم القريتين وأغار في تلك الايام على اطراف بلاد العدو ثم تجرد السلطان في كسائه وسلكتهم سميت الكرك الى الحسبي وأمر أخاه تاج الملوكة بوري على الناس وأمره بان يسير بهم عنقه منه ثم اخرجته والابان بالازرق بعد سبع ووصل الى تبريز فمر الملك المنصور عز الدين فرخشاه قال العهد ولبق أيضا من الدين بما غنمه أيضا من بلاد العدو وذلك ان الفريخ لما سوا جسر السلطان من مصر ومعه خلق من التجار اربعة والكرك للقتل من الدار في كل علمهم يتزرون فرصه فيقتله دون من القافله فيقتله فخرج فرخشاه من دمشق واغتم خلود يارهم فاغار على بلاد طبرية وعكا وفقد يوريه وحاله الى مبيس جلدك بالسواد وهو شقيف يشرف على بلاد المسابين فتخذه واسكنه المسابين فقي عينها على الكفار بعدما كان لهم ورجع بالاسرى والغنائم مظفر اعنصورا ومعه ألف أسير وعشرون ألف رأس من الانعام ثم وصل السلطان بصري ودخل دمشق سابع عشر صفر قال وفي العشر الاول من شهر ربيع الاول خرج السلطان وأغار على بلاد طبرية ويسان والتهم بينهم القتال تحت حصن كوكب واستشهد جماعة من المسابين ولكن كانت الدائرة على الكافرين ورجع السلطان بمحمد الله ظافرا وكتب بالمثل الفاتح الى الديوان (كان الخادم طالع بخروجه من مصر طالب للقراءة المودة والمساقة بين مصر والشام) برفق في المسير لا تقصر عن ثلاثين يوما خشد الفريخ ونزلوا بالكرنك على ارجاف بالماصاف ولم ينزل الخادم على مداومة الاعمال الى اوساط الاعمال فخل بها وثن الغارة فابعد واذكى النار فارتد وطلب الماء المحي أزرقه بازرقهم فاورد ومكدم الخشب بالنار وأخذ وفيها عدل السيف الجبار بالجار وعلم ان الفريخ قد تسللوا لولدا وتعللوا بالحصى احتجازا ولذا وانهم لا يقاتلون الا في قري يهجمونه ولا يقر تاون الاعلى لجهة مقيته وسرح الخادم الى تلك الدار الى واستقر لها من كل فرقة منهم طائفة وساروا في طريق على العدو غير خافية ومنهم غير خافه وركب هروجه الاسلام الحساميه التي تستنض ارواح الكفر الى نار الله الخامة وسلكت البسلاد المأذوبة اوديتها الى السجول الشرك الظاميه وسوق الضلال الداميه فحتموا جثوم الكسبر وجذعوا أنوف الانف جذعا فصره رأى قصر وجاز الخادم المسافة المقابلة لهم التي كانت تجاز في يوم واحد في ايام واورد عليهم طيف الخوف غير لايس ليايب الاحلام ويسر الله الوصول ورقاب عصبة الكفر تنكادت وثوب عليها سارقاها وعيون الاعيان منهم قد قيدهم للذل أطواقها وتوجه يوم الاثنين سابع شهر ربيع الاول ونزل امام طبرية ليلة الثلاثاء نافع عشر ربيع الاول بخاه الخبيران الفريخ جارا في ليل ركبه ووجلا وبسوه سترادون القامسيلا وأصبحت الاطالاب الاسلاميه طالبه الاردن وأشرف عليهم الملوكة فرخشاه وكان على ميرة الاله لاهم فخرج منهم من أخرج كفا ولا تظفر في منهم من اجل ظرفا ولا ركض طرفا ولم ينزل الخادم مقيما نادى للفريخ الصم الذين لا يسمعون الدعاء الى ان طوى التراملا كه ومسد عليهم كلاته فانه رعى ما بينهم وبين مناسبه وجوههم وحنانهم بسواده ولان الليل يدي كافر افهدتهم وخبأهم في فؤاده وانبرى لهم من المنال ذلك ذووسهم كل رمية منها طعنه وكل الله من قوسه اجتباو بها للذين انه فاستخر جواضائهم كناتهم

في اخبار (٢٩) الدولتين

وقصدوا بها ضماير ضغائنهم فرب كائن التوفيق بقودها الى حيث أمت فامات وطارت جرادات زرع الحياة
فبتت وما ألبت ولم يروا مضاجع ذوات حسك كضاجع حسكها السهام ولالية لهم ذات أحلام كثيرة لهم باقظته
الجسم وأصابت خيوطهم صرايئها وتعللت نصالهم بدهها فكانتهم في ظلمات كواكبها فلما انشق السبع غطمان
شفاق كفرهم شوعدوا بازاء من حصنهم الذي كانوا اليه آوين وطالبى التباعد عنه الى حصن الطور الذي كانوا اليه
ناوين فساقت اليهم طلاب الميرة بحجة الملولك فرشاه وساق الملولك عنهم المينة طلبة لحومة القتال فأروا الخطة
عليهم متضايقة وشهادات البلاد الى فنتهم متناقصة وأنزل الله النصارى سمائه على مدليه في أرضه ومنح نافلة
المهية لمن قام في الجهاد فرضه وتوالى من التفرج جلات المناهم اليهم الاضطراب والاختيار وثبت من دنائهم من
الساكنين من الاطلاب ولقوهم وهم الاعداء لقاء الاحباب وتعاثت لغير الوداد فصارن أيديهم الأوشحة وطارت الى
أقرانها فصارن أرجل الخيل لها أجنحة وصرفت للفرغ أبطال وخياله وتمت الجلة الاسلامة على من كان وراءهم
من الرجال فأخذ القتل كثيرا وقيل لترك وفرت روح الكافر من الجسد وعلت النار اية سلك والجأهم البلا الى حصن
يعصرف بعقر بلا وسع الخوف منه ما هو شيق وعلق بالحياة ثم من هو متعلق ولم تصرف صدور الخيل دون ان
اعتقلتهم في سجنهم وأرمتهم به فصاروا قوطا في أذنه وكان ذلك اليوم من الايام الذي اضطربت فيها نيران الجحيم ارتياحا
لن قدسها من أرواح الكفار وكان قائم الظهير في الثورة منع من استقام عودة المغار وموردا لماء بعد من غريمه
والى ولوانه من حيم أحب الى المرء من حيم خالت الجنة ردا الى المناهل متفرقة عابها ومنصرة القبا وساقها من
حوايلها وأذعن الى الكفار بالحضر والمنة لدى من الاخبار والاعتدال على المناولة والاخبار والاستعصام على الاطاق
من أنفاس الجحير الجوار وبات الحساد والمساكين على الحرس المذكور الذي باتونه نازلين قدسهم من أحوال اللقاء
ما كانوا به جاهلين وفعل الله سبحانه وتعالى في هذا الموضع ما عاوقه مسفر عن المراد ودلا له حقيقة ما قوله تعالى
لا يفرق قلب الذين كفروا في البلاد وان الكفرة منهم فائمة والشام مذلة ظلاله لم يعبر أحد من ولاد الامر هذا
الجدا على حين غفلة من أهله ولم يواجه الكفر وهو شمع في خيمه فضلا عن رجله ولم يقد العذر بضرب مصاف
الواست كانت العزائم تهدده ولم يفتح أمره على النقاء الاصره عنه الامر بصرف ذهبه لاجديده فاما الآن فقد
أنس المسكون بجزيه وتقرنوا بجزيه

(فصل) في سير السلطان الى بلاد الشرق مرة ثانية قال العادثم ان السلطان عزم على المسير الى حلب وبلغه ان
المواصلة كتبوا الفتح ورضيهم في الخروج الى الثغور ليشاغروا السلطان عن قصدهم فترجعه على سمع بعلبك
وختم بالبقاء وكان قد واعد اسد اهل مصر ان يجهزوا الى بلاد الساحل فيلقه الخبر ان وصل الى بيروت فبادره السلطان
بعسكره جريده قبل ان يفرق فلما وصل رأى ان أمر بيروت بطول وكن قدسبي الاستطول منها سلب ونظر
من غشيتها يطلب فأغار السلطان على تلك البلاد ورجع وأعاد فرشاه الى دمشق ورجل الى بعلبك ومنها الى
جس فخر رجب الفقيه المهذب عبيد الله بن أسعد بن الدهان وله في السلطان مدائح منها قصيدة أولها

أعلنت بعبدك وقفتي بالاجرع * ورضى طلولك عن دهمي الجمع
وطارت غضا في منزلك فذا دوا * في أربسبع وهؤجما في أضلع
هل يعلم المتحسحسح لحن النجعة * ان المنازل أخضت من آدمي
دعسني وما شاء التلذذ والاسي * واقصد باموك من بطنك أوي
لا قاب لي فاعى المسسلام فأتى * أودعته بالامس عند مودى
قل للنجيلة بالسلام نوزى * كيف استنجت دى ولم تنوزى
وبديعة الحسن التي في وجهها * دون الرجوع عنابة الى سدع
ما بال معتمر بربعك ذائبا * بقضى زيارته بغسيرة تسع
ومنها

ووعده ان عدت عدو وصالنا * هين ما أبقى الى ان ترجى

كتاب (٣٠) الروضتين

هل اسمعين بسند أيسر نائل * ان أشتكى وجدى البك ونسعى
فتيقنى إلى بحبك مفرم * ثم اصنعى ما شئت أن تصنعى
ومنها

عنى الريع الجون رباطا لما * أبصرت فيه البدر ليلة أربع
ولو استطلعت سقيته سبيل الغنى * من كفى يوسف بالأدر الانفع
يسدى فتى لو ان جود يمينه * لاغيث لم يك مسكا عن موضع
فاذا نسيم قال يا حبس ودا تدفق * فمساو يا حبيب الندى لا تقبلى
واذا نغم رقال يا أرض ارجعنى * بالصاهيات ويا جمال ترعزنى
واذا علفى المحب دأ على غاية * قالت له اللهم الجسم ترفع
كم وقفة لثاق الوغى شودة * أبدا وكجود جسد الموضع
والناس بعدك فى الحكارم واندى * رجلا انما سارق أو مدعى

قال ثم رحل السلطان إلى حما واستعجب معه ابن أخيه تقي الدين فلما قرب من حلب أقبل مظفر الدين كوكبرى بن على كوكج صاحب حران حينئذ فاجتمع بالسلطان وسار في خدمته من جهة الاعوان وأشار عليه أن يعبر الأنهار ويجوز ماوراها ثم يترك حلب إلى ما بعد ذلك لئلا تشغله عن غير ما فاستصوب السلطان رأيه وعبر الأنهار وقال القاضى ابن شداد نزل السلطان على حلب فى ثامن عشر جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وأقام ثلاثة أيام ورحل فى جمادى والعشرين من سنة بفتح باب الأنهار واستقر الحال بينه وبين مظفر الدين ابن زين الدين وكان صاحب حران وكان قد استوخض من جانب الموصل وخاف من عياد هذا الدين فالتجأ إلى الخطان وعبر إليه قاطع الأنهار وقوى عزمه على البلاد وسهل أمره حينئذ فعبه الأنهار وأخذها والقرعة ونصيبين وسرج ثم شخ من على السماوير وأقنعهم وقال ابن أبى طى فى أول السنة أراد مظفر الدين بن زين الدين وكان إليه شخص حكيمة حلب الاستيلاء على قلعة حلب بأن يضعها فى يمينك وتناهر أمرى وبعد هذه الواقعة اجتمع الإخوان عز الدين وعز الدين على القرعة ونصافا على بساط واحد وسلم عماد الدين ما كان يبد منه من سبجيا رغو غير بما إلى عز الدين وسلم عز الدين إليه حلب فسار إليها ودخلها فخرج مظفر الدين عنها وصار إلى الأنهار فلما اتصل به قصد السلطان حلب سارا إلى خدمته واجتمع به على جب باب التركان وأشار على السلطان بعبور الأنهار والاستيلاء على بلاد الشرق وتأخير أمر حلب ففعل ورحل عن حلب بعد أن أقام عليها ستة أيام وأقام على نيل ثلاثة أيام ثم رحل إلى البصرة وفيها شهاب الدين محمد بن الراس الأرتقى فنزل إليه وقيل الأرض بين يديه وسأله الصعود إلى قلعة البصرة فأجابته وقدم له مفاتيح القلعة فرتها إليه ووعده باستيلائها ما كان صاحب ماردبر رة دعه ورحل السلطان إلى السروج فنزل إليه صاحب ابن مالك مستأذنا فأعادته إلى بلده وراسل صاحب ماردبر فبرذما كان تغلب عليه من أعمال البصرة ففعل ثم أخذ إلى الشام لقرعة ثم سلم الرها إلى ابن زين الدين والقرعة إلى صاحب الرها لانه سأل أن يكون فى خدمة السلطان ومن كتاب فاضل عن السلطان إلى عز الدين فرخشا به لعله بالحال وفى آخره (وتجعل بحمل ما شئت من الاموال فكما فغبت البلاد أبوابا ففتحت المطامع أقواها واستعيت الخزائن اخرجوا وانفاقا واستعدت الحواصل اعطاه اطلاقا وقدمنا على بحمر لا يسعد البحر وعلى أيدان كان بها التنى ففى أنفسنا الفقر) ومن كتاب آخر إلى العادل (بعنا مقدار الحاجة إلى الأتفاق وكثرة الفرج الذى اشتد به أهل الكاف وانتم متى نصبت المواد وقتت الأمور التى قد شارفت نهايتها وتفرقت الجموع التى تناذرت الاعداء فكنايتها ومادون تملك البلاد الا الوصول إليها والنزول عليها) قال العادل وقال مظفر الدين السلطان ما زلت وثقا اليك فى حران حران وإلى الرى من وردت منك ظلماتى وهى لك مبدولة وبأولائك من أهل الدين والدينا بدولة والرها لبعسر أمرها والقرعة لك وبعض حقلها والخاور فى انتظار خبرك ودارا دارك ونصيبين نصيبك ومالك الموصل موصلا إلى الملك وماخذنا أو ان الونا فادن ابننا وكل بعيددنا قال ووصل البحر إلى الأنهار وخيم عليها من غربى البصرة ومذا المسر وكانت البصرة قد طمع فيها صاحب ماردبر واستولى

في اختيار (٣١) الدليلين

على مواضع من أعمالهم فلما سمع بالسلطان قتل على فأتاه اليها صاحبها شاب الدين محمد بن الياس الاثري وكتب
 السلطان بالمثل الفاضل الى الديوان عند عبور الفرات فكانا يتقاربان ولا يقل فيه (خدم الخادم متوالية الى الارباب
 الشريفة خلف الله سلفنا بأشراح لاجواله ومعتداهما من صالح أعماله وموتوعاه من الاجوبة عما يجرى عليه من أمره
 وشيئا وبشرق الاعضاء اذ كادوا يكرزون عليه ليدنا جان الاراء الشريرة لولم تفتح عن الانشا آت وتفتحها
 الاجابات والابتداء آت لا فتحت عنها والاقاد الخادم التي اسمته تجت الدولة بعقائل الفتح قبل خطبتها وردت
 الاسماء المرسلة الى اوطانها من المنابر بعد طول غربتها فذلك الاعمال كالجمرة والكلية هاجرها هاجر اليه ونية المرأة
 توبه فلا يأس الا ما ختمه الشريعة على موكب الخدام الا ان من البيرة بعدما قطع الفرات وتجان من لا تقرب عليه العزائم
 داهو وميد ولا يلقى السمع وهو شهيد فبان ان سائر النبل يحول الفرات بينه وبين قصده وانه يسمى عزيمته رايه
 اذ اذ كر طول مده وهول مده وكشف ما كان هذا المخرج فقد أسست الى الخدام اساعة اليه وقرب من شغل
 دار السلام بل السلام فلما كثر ما قال السلام عليه واستشرف حشائه من جنابه لما نذر أوجعته ما لولاة والما به
 وطلعت عنه أنواء وانوارا تسب الى بر كاتما كل سعيه وكذبيل عن السروج والاكوار ويقبل الثرى لاجل
 شرف الجوار ويستفد حلة ماء الفرات لانه يبرق بلباك الديار ويقرأ من حلقه صفاء الخواطر العالقة بالخراب
 عذوبته مدهو بذلك الانعام الذي هو اعم وأغنى الاقنار من الفار وتورد دار السلام من منزلته فأتاه بالنظر العالي
 واساقه ماله حوز الفز عافرة فجميعا من قربه والامال أمانى والله تعالى يشرف أرضنا وهو وطنها وبرئى سر وجاها
 كاليها وبسعيه امة هوار هاد اياقه من هوار بها والله حق الخدام ان الما دله تدوا والفر في مواصلته انما صار فيها
 الضائر ولم يستطعوا فيها المكان السرائر وختمتهم خيل وطال ابدى الحق كنهه الكافر وعقدوا معهم عقد أنهم مده من
 حواشيه ونقله الى من سمعه من هوار هاد وكان عقدهم احدى عشرة مئة والمائة مئة في كل سنة عشر رقالة فدينار
 على ان تسلم ثغور الماين الى الكناز ما يباين وشققت ثيرون وحيس خلدك وأسارى الفرج في كل بلاد يأتهم وفي
 كل بلد يسترجعونهم من الخدام مساعدا للفرج ولما تم لهم العقد وجار الى الفرج في ذلك العقد فأنوا ان الحق يبادله
 الماين في دحضه وان يدلكه تفسد الى الاسلام فتقبضه وان الخادم لا يكتمه ان يفرجه اليهم الا ان يكون الفرج
 سائما لا يستطاع ان يقسم العساكر فيجعل باراء الفرج في شيا وبازاتهم قسما وعار على هذا الوهم ويتوكل هذا الحكم
 استنصروا الفرج على تقابل الخلدود واستنصر جوشهم على ما بهم من كرم الغزو بعد الغزو ففهموا ملت أرجل الكناز
 على ظلعها وخرجت على دمعها الى الفرعها وانفست في رجا لها ما لا يجارده اليهم بها وجرت الى الاسلام يشاجروهم
 ينشئ الى السلام لفظا وفارقه حكا وتواعدوا مصلحة الفرج فيليب والولاية والخادم من جانب وديار الفرج من
 جانب ونظر واقفا بمصلح الماين الى الخدام ولم ينفذوا السلام في الفراقب فوصل الماين الى انصبيس بمجنين شذلين
 وحرزوا الفرج لفرج الى الشام شارفين وموتولين فلاجزم ان أمر ايمانهم وخواصن صاحبهم لم يسعهم المروق
 من الدين والخرز من امر قداما حدين فارضوا ان يبايعواهم واشتقوا على دينهم اشتقا فادل على قهرهم له
 واعتزلهم فاتبهم الحق وسلكوا سبيله ورضع لهم المدي مناره فاقفوا دليلا لتبدهوا وارتدون بالله واليوم الآخر
 يزادون من جاد الله ورواه فاستعان الخدام عليهم بالله الذي استعانوا على دينه باعدائه ولما رأى أنهم قد أمروا النصر
 من أرضهم املهم من سمائه فرتب الخدام في رأس الماين شق باراء الفرج الماين فرتب شدا بن أشيه ورائع عسكر
 الشام وحاميته فيه واستنصر أخاه من مصر الى ما يليه من بلاد الكفر ففرض ونام الخدام بها اقامه له وودع وجبل
 بما فرض وسار الخادم بالعسكر المصري الى هذا الجانب الذي هو لا في فيه وكان أمير ديكته وتماق في الطريق
 انقار الان يا أبا البيوت من أبرها ويزجر جوارع الولد يأتى اغصانها ويعتذر والى السيف بالسته يشق على
 رقاها فأبرأ الاالباء وادوا الماين انما ادعوا فيه تغلبه بالخلفا بل الالباء ولما قرب الخدام من الفرات وسبل اليه
 صاحب حران ابن زين الدين على كوجك وقدم عسكرهم وابن أميرهمهم وكذلك صاحب سروج وساحب
 البصرة وكل بيده فاقب باده وأماه أمان الخدام له قداسة بده من قتلده وبراءه عسكره على كمال عدده وعدده
 وتوالت كتب أمرهم الذين بأخذون افعالهم خدامه وصانعات ورعا بهم الذين بأخذون أوالدهم بسايت

كتاب (٣٢) الروضة

ومقاطعات ومكوسا وعشور واحتكارات يرغبون الى الخادم في الانفاذ ويحثونه في المسير على الاغذاء ويشكون
انهم مع جواردار الخلافة العظيمة لا يسلك فيهم سبيلهم ولا يفتق فيهم شرائعها وسبيلهم في الاغذية
المغائر التي تزنم الفريدين وبعدلهم عن اقصاء الطريقين ما يروغ السامع ويسمع الراعي ويسجل عليهم بالخلاف
ويشبههم بالانحراف لانهم ان ادعوا لتقليد اقدنقذه كونهم ابتدعوا وما تبعوا ونقضوا وما اقترضوا ومشلوا
بالحق وما امتسكوا وامر واكف الا بدى وقد بسطوها وبأخذ الاموال من حلها وقد خلطوها ورسرعة امة التي
ضلي الله عليه وسلم وقد انحطت وفيها وانحطوا وابن الدعوة العباسية من رعاها لا من ادعاهما والعهد ودوايا
وما الاولي بها من "بهم" بل من وعاهما وأى عهد بلان لاهدله بالطاعة وأى ولاية تلاء وربان يجمع أهل الفترة ففرق
أهل الجماعة فالجندى نوكل الأرض باسمه ولا شيء بيده والعاسى يرفع الى السماء استغاثة لما يهل الله عليه ولقد
تعب الخادم من الشغاف الانفس الغنيبة الا انها فقيرة والارتفاق بتلك الطم الجلييلة وهي على الحقيقة
الحقيرة يوم يسمي عليهم في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم الا انه هذا الى طامة أخرى لا تفر
عليها الجنوب ولا تدركها الحلوب ولا ينال على سحر بارقه وان كان الحلوب وروان الخادم بلغه انهم كانت واجهة
من الجهات التي الدولة متخرفة فعبها وبذلوا الطاعة لها وقد أمر اباها لا متناغم منها وهذا نص في الخلاف لا بدخله
التأويل وقول قدامط به العز فلا يتخلجه التحويل وكل صغيرة من هذه الكثر وكل واحد من هذا الجتمع المتكثر
ينقض الولايه ويجرح العدا له ويسلب الشد ويثبت الضلالة وعرضية الولي فيها هو له ماض ويبعث عزمه
فيقتضي ما هو فاض ويسخطه وكيف لا يسخط بالخط والمولى غير راض وبغضه بما لا عذره لمعناظ متعاض وما انتهى
الخادم ما اتصل به الا الاوائل والاطراف وما عول الاعلى ما يحتمه النفس دون ما خيله الارجاف واذا قد ساق
الله الى هذه الولايه يحفظها من معدلة كان الزمان بها طويلا مطلة وانشأها سحاب اسنان كان بعيدا عليها طلة
فقد كتبت الحواطر الشريفة ما كانت به على اهتمامها كيجب اللازمة على امامها واليه يتفرق الله يرجع أمرها
ويديع يعلب بقها ويحيي شرها وقد جددت للدولة الثم بقة قوة واستظهار وبسطها وانتدار وسيفه سبائل من
يسئ الجوار واسان يياد يديهم من يرد الدار وكان الخادم طالع بوصول الاسطول المصري الى الشام الفريدي وما
فعله في موافقه وسوا حله وماعنه من مرا كبه وقوافله وورد كتاب من مصر بأنه كسب بطشة فريجي خرج من فيها
هاريا من القسطنطينية لقتنه وقعت فيها بين رومها وفرنجيها قتل منهم نحو ثمان ألف فريجي واقتلت منهم بطش
منها هذه البطشة وفيه رجال اكابر ومقدمون لهم ذكر سائر وغنى المجاهدون منهم ما ملا أيديهم من سبي ونخائر
وانتقدوا بنعمة من الله وفضل وحازت القبضة من الاسارى ما يزيد على أربع مائة بعد من درج بالقتل

فصل قال العادى كاتب السلطان المولى بالفودنلا تفتاق فين جاءه سبيلها سبيلت بلا دعه على ان يكون من
اجناد السلطان واتباعه في جهاد الكفار براء رسول صاحب حصن كيمبالا اذعان ونهور الدين محمد بن قول
ارسلان ثم رحل السلطان من البصرة ونزل على الرها وكان فيها خفر الدين مسعود بن الزعفراني فاذعن وانقاد
وتسلمه انظر الدين مضافة له الى حران ثم وصل السلطان الى حران فرتبها وانفصل منها الى الرقة وفيها الامير قطب
الدين بنال ابن حسان فاذعن ايضا وسلم ولم يوافق مر اياها صاحبه فاصحها السلطان ورجل منها الى مشهد الزمان
ثم الى عراقان ففسدها واصبح من شأنها وتواصلت اخبار وصول السلطان بالخباوير وما شرمن العدل في البلاد التي
فتحها فانفتحت رأس عين ودرين وما كسين والشمسانية والغدير والمجدل والحصين قال وقطاعها من الخباوير
على قطرة التنبير الى نصيبين فاستصحت فاعتما باما ثم فتحها استسلاما وولاها السلطان حسام الدين ابوالهيجه
السعين وولى الخباوير جمال الدين خورشيد بن شمرنا الى الموصل وقطعنا الاعمال بين النهرين ثم اجبال البقعة شمرنا
الى بلد وأشر فناعلى دجله وكذا وردنا خيلنا في أشهر من تلك السنة نيل مصر والفرات ودجله ثم هممنا على قصد
الموصل فلقا فر بنان الموصل كبرنا تكبير من ظفر بالسول وتقدم السلطان في الامراء ذوي الاراء ودار حول السور
وعين اسكل مقدمه ما قتل هو وراء البلد ونفى الذين من شرقه وأخوه تاج المولى بوزى عديب الدين العمادية فسلمت
الحاضرة والمضايقة وتولى مجاهد الدين قايجاز حفظ البلاد باحسن تدبير وكاتب الديوان العز زكي ابن شهنشاه ثم

في اخبار (٣٣) الدولتين

الى السلطان فقدم في ذلك صدر الدين شيخ الشيوخ وشهاب الدين بشير في الشفاعة فرحل السلطان عنها في شعبان
وقعد سنجار وتقدم أمامه تقي الدين وقال القاضي ابن شداد كان نزول السلطان على الموصل في هذه الدفعة
يوم الخميس حادي عشر رجب سنة ثمان وسبعين وكنت اذ ذلك بالموصل فسيرت رسولاً الى بغداد قبل نزوله بأيام
قليل فسرت مسرعاً في دجلة وأثبت بعداً في يومين وساعتين من اليوم الثالث مستجداً بهم فلم يحصل منهم سوى
الانفاذ الى شيخ الشيوخ وكان في حجة رسولاً من جانبهم يأمر وينهى بالحدوث معه وتلذيف الخلال معه وسير الى الموصل
رسول من الموصل يستجده فلم يحصل من جانبه سوى شرط كان الدخول بجمته أخذ من حرب السلطان ثم أقام
السلطان على الموصل أياماً وعلماً أنه بلد عظيم لا يتحصل منه شيء بالمصادرة على هذا الوجه ورأى ان يطرأ في أخذه
أخذ قلاعها وما حولها من البلاد واخضعها بطول الزمان فحصل عنه ونزل على سنجار في سادس عشر شعبان فأقام
بمحاصر ها وفيها شرف الدين ابن قطب الدين وجماعة واشتد عليه الامر حتى كان ثاني شهر رمضان فأخذها
عنوة وخرج شرف الدين وجماعته محترمين محفوظين الى الموصل وأعطاهما السلطان ابن أخيه تقي الدين ورحل
عنه الى نصيبين وقال العماد لما قصد السلطان سنجار نزل بارتجان فوجد عسكر من الموصل سائر اليها فحاط به
وأخذ خيلهم وعددهم ودرهم الى الموصل رجالة ووصل الى سنجار ومعه سر دار الخلافة ونواب الدين صاحب
حصن كيفا وكان في سنجار شرف الدين أخو صاحب الموصل فامتنع من تسليمها فصور رميت القلعة بالمتجنيق
فاندم منها ثلثة من السور فوكل بها من يحفظه او دخل شهر رمضان فكشف السلطان عن القتال فجاءه الخبر ليد
ان الموكلين يحفظ تلك الثلثة نيام فأرسل اليهم من أوثقهم وجعلهم اليه وكان في جماعة من المقاتلين والاعيان فلما
أصبح صاحب سنجار اذن وسلم ورحل بأهل وواله ودخل السلطان القلعة ورتبها وأمر بعمارها وولادها الامير
بعد الدين مسعود بن ابرو وكان السلطان يعتمد عليه وأختها بنت معين الدين كانت في حبة السلطان وكان رؤسا
سنجاريين يعقوب فسترك الياضية فيهم وولى القضاء منهم نظام الدين نسر بن المنصور بن محمد بن يعقوب ثم رحل
السلطان الى نصيبين فأقامهم الان ايام كانت باردة ومناوذة ورسول دار الخلافة وشكا أهل نصيبين من أميرها أبي
الحجاج السجيني فاستجبه السلطان معه ورسار الى دارا أميرها مصمم الدين برام الارقي فملقى السلطان بأحسن
ملقى فأكرمه ورسار الى حران وأقام بها للاستراحة وعاد كل الى بلده وسارت في الدين الى حماه هذا والمواصله
في حدم من جمع الجميع وابتغاء الغوائل للسلطان

(فصل ٤) في وفاة فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب قال العماد وفي هذه السنة في جمادى الاولى توفي بدمشق
الملك المنصور عز الدين فرخشاه ووصل خبره الى السلطان عند عبوره الفرات فأقر السلطان ولده الملك الأحمدي
بهرام شاه على بعلبك وأعمالها مكان أبيه وانتدب شمس الدين ابن المقدم واليا مكانه على دمشق وأعمالها قال ابن
أبى طي كان فرخشاه من أكرم الناس بدواطهرهم اخلاقاً وأسدتهم رأياً وأشجعهم قلباً وبما يحكي من كرمه انه
دخل الحمام يوماف آرى رجلاً قد عذبه الزمان وكان يعرفه من أهل اليسار وشاهد عليه ثياباً رثة يبين منها بعض
جسده فاستدعى جميع ما يحتاج الى لونه وأمر له بغلام وبغلة مسرجه وبأنف دينار وقال لبعض غلمانه
اجعل هذا كله في موضع ثياب الرجل وخذ ثيابه واجعل هذا الغلام والبقلة له ففعل فلما قتل الرجل وخر برأى
موضع ثيابه تلك الثياب وسأل الخاوي عن ثيابه فقال لبس تلك الثياب فتقدم اليه الغلام وأخبره بجميع ما مضى
عز الدين وأخبره بأنه قد أجرى عليه معيشة عشرين ديناراً في كل شهر فابس الثياب وخرج من الحمام وهو من أغنى
الناس قال وكان فرخشاه معتمداً عليه ابن سعدان بعدة قصائد من جانتها التي يقول فيها

فقدنا الباري ليد او عود السدان بابا والهند واني ظفرا
أججني الانساب قصرت الاعراب عنه سجعاً ونظماً ونثراً
هزمت كنه الكنايب جشلاً وأعاد دجى الحوادث جفراً
فهرس كالمنازى علماً وكالاحسن سناً كالفرزدق شعراً

قال وكان فرخشاه مضافاً الى شجاعته كونه عالمًا مثقفاً كثير الادب مطبوع النظم والنثر في شعره وقوله

كتاب (٣٤) الروضتين

أنافى أسرار السقام * من هوى هذا الغلام * رشاء ترششق عينا * هـ فؤادى بهمهم
 كتابا أرشفه شفى فا * دعسىلى جزالواوم * ذقت منه الشهدى فى الشلج المصفى فى المدام
 قلت ونسبغ ابنه الامجد ايضا شعرا وكان السلطان كثيرا لا عتماد على فرخشاه وفى بعض الكتب الفاضلية عن
 السلطان اليه (وصل كتابه بفتح ن خروج الفرج واداره من الاحوال واعده من مكائد القتال وأسناد السعد ان
 يبنى الله به كل بعيد من المراد وان يقلل بتدبيره تغلب الذين كفروا فى البلاد وان يجرى على يده أول الفحل الذى
 قوعديه الخرصان وان يصيبه على المشرى من حوت عذاب ان ربك لهما المرصاد) وقال العماد كان عز الدين فرخشاه
 من أهل الفضل والفضل على أهله يعنى الكرام عن الا بتدال بكم بذه ومن أخص خواصه وذوى اصطفائه
 واستخلاصه الصدر الكبير العالم تاج الدين أبو الين الكندى أوجد عصره وأصبح وحده وقرع دهره وعلا مة
 زمانه وحسان احسانه ووزر دسسته ومشر وقته وجليس أنسه ورفيق درسه وشعاع شمسه وحبيب نفسه ولى
 فى هذا الملك قصائد منها قصيدة هائية مرسومة مدخته بها فى أول سنة تجمعت فيها السلطان الى مصر وهى سنة
 اثنتين وسبعين وعارضا تاج الدين أبو الين بكلمة بدعية فى وزنها ووزنها وحسن ربيها فأما كلفتى فهى
 بين أمر حلا والعيش الشهى * وهوى حال غضارة الزمن البهى
 وصبا بلا لاسقل بشرحها * عن حصرها حصر البليغ المدره
 أأجبت ان غبت عنكم فالهوى * دان لقلب بالغرام موله
 انهى اليكم ان صبرى منق * بيل منته والشوق ليس بمنتهى
 أما عود مدامى فقدمت * وأبت عقود الوعد منى ان تمنى
 ولقد ذهبت بينكم فاستقتكم * يامن شتاق بينكم دهمى
 فى شوقكم أبدا الزمان تفكرى * وبذركم عند الكرام تفكرى
 لو قيل لى ما تشهى من هذه الدنيا لقلت سواكم لأشهى
 ما كان أرفه عيشى والذها * من ذا الذى يسقى بعيش أرفه
 ومن السفاهة انى فارقتمكم * من أين ذوالحلم الذى لم يسقه

ومنها

وعقاب ايله ما يشارق جلقا * أحسد البها غير غرابه
 مالى ومصر والمادامع انما * ملكك تبادى حيا ثم اتزده
 لا تنهى يا عاذلى فأنا الذى * تبسح الهوى وأنى بما عذمتى
 قد قلت للحماى وقد نادى به * فى مهمه افصر وصلت مهمه
 حتام جسدناك للزمام فأرخه * فلقد أنفخت الى ذرى فرخه
 متكزما بالطبع لا متكره * شتان بين تكرم وتكره
 احسان ذى مجسد وهمة ماجد * مجسد وتقوى عابد مأؤه

وهى ثلاثة وعشرون بيتا والقصيدة الساجية تسعة وأربعون بيتا أولها

هل أنت را حرم عيرة وتوله * ومجرب صب عند ما منته دهمى
 هبنا برحيم قاتل مقلوله * وسنانه فى القلب غير مهمه
 من بل من داء الغرام فأتى * مذحل بى مرض الهوى لم ألقه
 انى بليت بحب أغمد سحر * بلحاظه رخص البنان برهره
 أبغى شفاء تدلى من دله * ومسى بى رقى مدلل اسدله
 بامره دابا لحسن انك منته * فيه كما أنافى الصبا بمفتهى
 قد لام فيك معاشرا فانتهمى * بالالوم عن حب الحياة وانتهمى

في أخبار (٣٥) الدولتين

ابنك لديه فان أحسن بلوعة * ويشمة أو ما يطرف مقفه
 انامن بحساسة وحالي عنده * حيران بين تفكه وتفكه
 ضدان قد جعما بلطف واحد * لي في هواه معينين موجه
 قلت بقال تفكهت بالشئ أى تفكهت به وتفكهت تجيت ويقال أيضا تفكهت تدمت ومنه قوله تعالى فظالم
 تفكهون فهو في تفكه أى يتمم بالحساسة وفي تعجب من حاله وتقدم عليه ثم قال

أنا عسدمن شهد الزمان بجزءه * عسان يجي له بسد مشبه
 عبدلعز الدين ذى الشرف الذى * ذل المساك لعز عبد فرخشه
 طابت موارده فقص فنأوه * وشدا الحدا بقدره فى ماهمه
 بفسد يك كل ملك متنايه * أبدا بالسنه الراع محمده
 لا يفقه الخوى اذا حذرته * وأذا اتى بسد ديه لم يفقه

قلت وذكر العادى ديوانه أيضا تاحسنة فى مدح الشيخ تاج الدين أبى الين رحمه الله قال
 تذاكر من وزاد مصر عصابة * حديث فتى طاب الندى بذكره
 وقالوا رايضا فاضلا ذات باهة * أديبا يفوق القاضى ليعنصره
 يدين جيب والوليد لتنظمه * ويحمده عبد الحميد لنبته
 ولوعاش قس فى زمان يسانه * لكان مشيدا فى البيان يشكره
 فضاؤه كالشمس نورا ولم تزل * مناقبه فى الدهر اعداد زهره
 بيان هو السحر الحلال وانسا * نرى معجزا من فضله حل سحره
 ذروا الفضل هم عند الحقيقة بجزر * وانكمهم أنجوا جاد اول بحره
 يرضو عهبا الجدم من عرف عرفة * وتار ج ارجا لجا بد سره
 فقلت لهم هذا الذى تصفونه * أبو الين تاج الدين أوجه عصره

قلت وبلغنى ان أول مع فرخ شاه به الله كان فى مجلس القاضى الفاضل بالقاهرة فجلسا فرخ شاه الى الفاضل
 بقرى ذكربت من شعر أبى الطيب المتنبي فتكلم فيه تاج الدين بما يلقى به فأعجب فرخ شاه وسأل القاضى الفاضل
 عنه فقال هذا فلان وعرفه بفضل له فلما قام فرخ شاه من مجلس الفاضل أخذ بيد الشيخ تاج ونحى جبهه ولزمه الى ان

توفى رحمه الله أجمعين

(فصل) فى أخذ السالكين البحر لقصدا لخير قال العادى فى سؤال سنة ثمان وسبعين كانت نصرة الاساطول
 المتوجه الى بحر القلزم والمقدم فيه الحاجب حسام الدين أو لؤى طلب الفرج السالكين بحر الخجاز وذلك ان الابرئس
 صاحب الكرك لما صعب عليه ما تولى عليه من تكايد أصحابنا المقيمين بقلعة ايلة وهى فى وسط البحر لاسيدل عليها
 لاهل الكفر أقر فى أسباب احتياله وفتح أبواب اغتياله فبنى سفنا ونقل أخشاهما على الجبال الى الساحل ثم ركب
 المراكب وشعبها بالرجال وآلات القتال ووقف منها ركبين على جزيرة القلعة فذم أهلها من استقاء الماء ومضى
 الباقيون فى مراكب فخر عذاب فقلعه وادار بقى النجار وشعره فى القتل والنهب والاسار ثم توجهوا الى أرض الخجاز
 وتعدروا على الناس وجه الاحتراز فغلبهم البلاء وأفضل الداء وأشرف أهل المدينة النجوة منهم على خطر ووصل
 الخبر الى مصر بها العادل أخو السلطان فأمر الحاجب حسام الدين لؤى فخرج فى بحر القلزم مرأى كسب الرجال البحر به
 ذوى التجربة بمن أهل الخوة والدين والحسية ودار الى ايلة فظفر بالركب الفرجى عندها فخرق السبينة وأخذ
 جندها ثم عدى الى عذاب وشاهد أهلها العذاب ودل على مرأى كسب العدو فقتلها ثم توجه بها بعد أيام فأوقع
 بها واقعها وأطلق المأسورين من النجار ورد عليهم ما أخذ منهم ثم صعد الى البر فوجد اعرابا قد نزلوا منه شامبا
 فركب سيدهم وراة الحار بين وكان فى أرض تلك الدارق ضاربين فحصرهم فى شعب لاء فيه فأمرهم بأمرهم
 وسكان ذلك فى أشهر الخ فساكن منهم أسيرين الى منى كما يساق الهدى وعاد الى القاهرة ومعه الاسارى فكتب

كتاب (٣٦) الروضتين

السلطان اليه يضرب رقابهم وقطع أسيابهم بحيث لا يبقى منهم عين تطرف ولا أحد يخبر طريق ذلك البحر أو يعرف قلت ولا يابى الحسن ابن الذرؤى في الحاجب لؤلؤ بسبب هذه الواقعة اشعارها

ممن يوم من الزمان يجيب * كاد يدي فيه السرور الجاد
اذأى الحاجب الاجل بآرى * قرتهم في طمها الاصفاد
بحسب مال كائن جميل * وعناوج كأنهم أطواد
قلت بعد التكبير لما تبدى * هكذا هكذا يكون الجهاد
حبذا لؤلؤ يصيد الاعادى * وسواه من اللآلى يصاد

ومنها

قلت وقد سافرت بامن غدا * جهاده بعضه من حقه
اذ قيل سارا الحاجب المرتضى * في البحر يارب السما تخيه
البحر لا يعدو على لؤلؤ * لانه صكون من الخيه

ومنها

يا حاجب المجد الذي ماله * ليس عليه في الندى حقه
ومن دعوه لؤلؤا عنسدا * صبت من البحر له نسبه
لله مائمه ل من صالح * فيه وما تظهر من حبه
كفيت أهل الحرم العدا * وذدت عن أجند والكهبه

ومنها

لئن كنت من ذا البحر بالؤلؤ العلى * نعت فان الجود فيك وفيه
وان لم تكن منه لاجل مذاقه * فانك من بحر السماح أخيه

ومنها

انما أنت لؤلؤ للعالي * جاء من بحر السماح العذاب

وكتب السلطان الى العادل من كلام الفضل (وصل كتابه المؤرخ بن حنا من ذى القعدة المسفر من المسفر من الاخبار المتبس من المتبس من الامار وهي نعمة تضعت لهما ونصرة جعلت الحرم حراما وكفاية ما كان الله يؤخر مجزة بنيه صلى الله عليه وسلم بتأخيرها وبجبهة من عجائب البحر التي يحدث عن تسيرها وتسهيها وما كان الحاجب لؤلؤ في الاسرار ما أصاب وجهه سدده وسيفه قطع وتكر مجرده ورسولا عليه البلاغ وان لم يجعل ما أثر تده وقد غبطناه بأجر جهاده ونجى اجتهاده ركب السيلين برا وبحرا وامتلأ السابقين من كواولهرا وخطافا وسع الخطا وغزا فالتحق الغزو وحيد العنان الذي في هذه الغزوة أطلق والمال الذي في هذه الكرة ألق وهو لاء الاسارى فقد ظهر وعلى عورة الاسلام وكشفوها وآثاره قوا بلاد القبلة وتناو فوها ولوجرى في ذلك سبب والعياد بالله لغشقات الاعذار الى الله والى الخلق وانطلقت الاسن بالذمة في الغرب والشرق ولا بد من تطهير الارض من ارجاسهم والاهراء من انفسهم بحيث لا يعود منهم مخبر يدل الكفار على عورات المسلمين وان هذا العذر القليل قد نال ذلك المنال الجليل وهذا مقام ان روى فيه حراسة الظاهر والوفاء للكا فحدث الفتق الذي لا يمكن في كل الاوقات سدود رقة ولدى المؤمن من تين والاولى تكفى لمن له في النظر رقة) وفي كتاب آخر الى العادل أيضا (وممن ينهى المجلس السامى بظنره ولم لا يكسبه وينصره ولم لا يجله وينكره وليس في قتل هؤلاء الكفار من ارجعه ولا لشرع في ابقائهم فصححه ولا في استبقاء واحد منهم معصيته ولا في التناحى عنهم عند الله عذره قبول ولا حكا الله في أمثالهم عند أهل العلم عيش كل ولا يشهدون فليمن الغزى في قتلهم ليمتدأى أمثالهم عن قلوبهم وقد كانت عظمه ما طرق الاسلام بمثلها وقد ألقى الله بعد هابلطيفة أجراها على يده من أهله) وفي كتاب آخر أيضا الى العادل (قد تكررا القول في معنى أسارى بحر الجواز فلا تدر

في أخبار (٣٧) الدولتين

على الأرض من الكافرين ديارا ولا توردهم بعد ما البحر الانارة فاقلمهم اذ اتي جنى الامر الاصعب ومتى لم تيجل
 الراحة منهم وعدت العاقبة بالاشق الاتعب) ومن كتاب آخر الى بغداد (وسارت المراكب الاسلامية طلبة شوكة
 المراكب الحربية المتعززة للمراكب الخجازية والينية وكانت مراكب العدو قد أغلقت في البحر ودلها على عورات
 الساحل من العرب من أشبه كاهن الكفر فوصلت الى عيذاب فلم يزل منها مراد اغبر ما وجدت في طريقها
 أوفى فرقة عيذاب التمته وشعثت وافسدت فيه وعثت وتمادت في الساحل الخجازي الى اربع السواحل
 الحوراء وهناك وقع عليهم انهم اناؤا وقوامها السد ثايقاع وأخذوا المراكب الفرجية على حكم البدار والاسراع
 ففر فرقة الى الساحل فركب أنجاسا نور آهم خول العربان التي وجدها وأخذوا الكفار من شعاب وجبال
 اعتصموا بها وقصدوها وكفى المسجون أسد فساد في أرضهم وأقطع فاطم لفرضهم وانسدت كمالهم بقضهم وعيث
 على الكفار هذه الطرق التي لو كشف لهم غطاؤها قدسا ولو أحاطوا بها علما لاشتطت نكايتهم واشتدت جناباتهم
 وعز على قدامه ملك مصران يصرعوا هذه الاقران ويطةقوا هذه الثيران ويركبوا غوارب البجع ويرخصوا غواي
 الهج ويقتنعوا هذه السائر من جوء الذي لا يدرك لوجه ويدركوا هذا العدو الذي لا يدرك الا ان تستخذه عليه
 ملائكة الله وروحه) وفي كتاب آخر الى بغداد (كان الفرجي قد ركبوا من الامر نكا واقضوا من البحر نكا وعمروا
 مراكب حربية شتى وهما بالاقالة والأسلحة والازواد وضربوا بها سواحل اليمن والخجاز واشتدوا غواي البلاد
 واشتدت مخافة أهل تلك الجوانب بل أهل القبلة لما أوهض اليهم من خلل العواقب وما نزل المسجون الانها
 الساعة وقد نسر ملوى اثرها والدياق قد طوى مشور ربها طها واشتد غضب الله لقتله يته الحرم ومقام
 خيليه الاكرم وتران انبيائه الاقدم وضرب يتيه الا عظم صلى الله عليه وسلم ورجوا ان تشهد البصائر آية كاية
 هذا البيت اذ قصد أصحاب الفيل وكونوا الى الله الامر وكان حسبيهم ونعم الوكيل وكان الفرجي مقصدا ان أحدها
 قلعة ايلة التي هي على فوهة بحر الخجاز ومداخله والاكثر الخوض في هذا البحر الذي تقابور به من ساحله
 واقصموا فرقتين وسلطوا طرقتين فاما التي في الذي قصد قلعة ايلة فانه قد ران عنهم أهلها من مراد الله اليه
 قوام الحياه ويقاهاهم نار العطش المشوب الشاء وأما التي في القاصد سواحل الخجاز والين فقد ران عنهم طريق
 الحاج عن حيه ويجول بينه وبين حيه وبأخذت تجار اليمن واكارم عدن ويلبسوا حل الخجاز فيستبيع والعابذ بالله
 المبحار ويحج حيرة العرب بعلجة دونها العفائم وكان الاخ سبيف الدين بمصر قد عمر مراكب وفرقها على
 الفرقين وأمرها بان تلوى وراءهم الشقتين فاما السائرة الى قلعة ايلة فانه انقضت على مرابلي الماء انقضاض
 الجوان على نبات الماء وقد فها فنف شهب السماء مسترقى سمع الدائم فاخذت مراكب العدو رمتها وقتلت
 أكرمة ماتتها الامن تعلق بهضة وما كاد أودخل في شعب وما عاد فان العربان اقتصدوا آثارهم والتمزوا
 احضارهم فلم ينجحهم الامن بنى عن المعاودة ومن قد علم ان أمر الساعة واحده وأما السائرة الى بحر الخجاز
 فمادت في الساحل الخجازي الى اربع سواحل الحوراء فاخذت تجارا وأنافت رفاقا ودلها على غوارب البلاد من
 الاعراب من مؤاتد كثر وانفاقا وعنائت ونوع عليها بأعجابتها وأخذت المراكب بارسها وفرقتها بها بعد اسلام
 المراكب وسلطوا في الجبال مهاوى المهلك ومعالن المعاطب وركبوا بها اناورا وهم خول العرب يشاؤونم شلا
 ويقتصدونهم اسرا وتلا هازا الوابيعونهم خمسة أيام خيلا ورجلا نهرا وبلدا حتى لم يترك عنهم خبرا ولم يبقوا لهم
 أثرا وسبق الذين كسروا الى جهنم زمرا وتقدمهم مائة وسبعون أسيرا) ومن كتاب آخر (ومن جملة ما جاز
 الواصلة من مصر عود الاسطول من ثمانية كاسرا ناسيا غاما غالبا بعد نكايتهم في أهل الخجاز واخراب ما جده
 فيها من الاعمال والعائمر ومن جملة ما ظفر بسى طريقة بنشاه من مراكب الفرجي تحمل أخشابا مبخورة الى عكا
 ومعهما تجارون يلبسوا وانهاشوا وافي فاسر التجارون ومن معهم وهم سيف وسبعون وأما الاخشاب فقد انتفع بها
 الجاهدون وكفى شرها للمؤمنون ولانهم في المغرب عسكر قد بلغت اقصى افرقة فتوجه وعاد به شخص الدين
 في تلك البلاد روجه

(فصل) في بقاء حوادث هذه السنة قال العماد في هذه السنة وهي سنة ثمان وسبعين اتم السلفان على اثر الدين

كتاب (٣٨) الروضة

محمد بن قرا أرسلان بأعمال الحشم وكانت جارية في عمل الموصل فلما تسلمها جعلها من نصيبه وقد كان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله حين توجه إلى الموصل في أوائل سنة ست وستين عند وفاة أخيه مودود بن قرا أرسلان بقاعة الحشم ثم سلمها إليه دون ١٤٠ ألفاً لخدمة أئيمته ووفاء بوعده الذي عهد به ولما جاء لمساعدته ثانی هذا العام خصه السلطان عاجلاً بمسألة هذا الانعام ثم وهب له قلعة جديدة وهي قرية من نصيبين ووعده بفتح آمد له فوق بوعده كما سيأتي قال وكان شاه أرم من صاحب خلطاء ظهر الدين سكبان وهو خال صاحب ماردین ابغلازی بن الی بن تمشاش وصاحب ماردین هذا هو ابن خال صاحب الموصل عز الدين بن مسعود بن مودود بن زنكي فانفذ شاه أرم من يشفع إلى السلطان في الموصل وسجبار وهو على سجبار وأرسل إليه سيف الدين وهو من أعز أصحابه عليه فلم يسمع السلطان شفاعة فاجتمع هو وصاحب ماردین وصاحب الموصل وصاحب ارزن وديليس وغيرهم من عسكر حلب وجعوا جمعوا وعزموا عليه إلقاء السلطان ونزلوا ضيعة من أعمال ماردین يقال لها حرم جمع السلطان عساکره وجاءه تقي الدين من جنه إلى حران في خمس ليال فساروا إليهم بعد العيد إلا كبر فلما وصل السلطان رأس عين وسعرا بمجتمعة فرقوا وأفرقوا وأعاد الخياط إلى خلطاءه باختلاطه ورجع الموصل إلى موصله وأوصله احتياطه واعتصم الماردی بمصنعه المارد وهتكرا حرم جزن للصادر والوارد وهاب عسكر حلب العود إليها ونحن على طريقه فاذن جسمه بتفرقه ومضى معظمهم إلى الموصل فبعد الفرات عند غانه ولم يجدوا أعانه ونسقتهم ريحنا وهم جبال وذهبوا بقلوب النساء وقد جاءوا وهم رجال ثم نزل السلطان منزلة القوم بحرم وفيها قصر لصاحب ماردین كان يتبرزه فيه فاقام فيه تاج الملوک أخو السلطان قال ابن أبي طی وقفي هذه السنة نزل قراقوش على بلد زلوت وقالته إلى أن هنر منه أهله ودخل المدينة ليقضي بها أيام الشتاء فصحب يوماً فادخل المدينة عسكر مقداره خمسة آلاف رجل فقاموا فقتل أصحابه فاجتمع إلى الجماعة من الملبين والركابدارية وبقي الناس سكارى ورأى أحد البوقية فامر أن يضرب بالبوقة وفتح الباب وخرج فظن العسكر أن قراقوش وعسكره قد شربوا بهم فانهزموا قال ثم انه قصد طرابلس فحاصرها وضيق عليها وكان شهنشاها عبد المجيد ابن مطر قد أرسل قراقوش وطلب منه الامان وسأل أن ينقذ إليه قوماً رجعهم أمر التسليم فانفذ إليه وزيره وثلاثة من وجوه وأخذهم عبد المجيد وأزله في دار أخلاهم وأمر لهم بجمع ما يحتاجون إليه فلما خلا لهم الليل أخذوا الخناد وقصا فغوا بها حتى قطعوها وقام بعضهم إلى صبرهم على ما عزموا للشرب فأحدث فيه فأخبرت الرقباء عبد المجيد بما كان منهم فأحضر وجوه البلد وقص عليهم ما كان منهم وقال إذا كان هؤلاء خيارهم فما ظنكم بغيرهم وكان أهل البلد قد أشاروا على عبد المجيد بتسليم البلد فامتنعوا واحتجوا وحضر ابن مطر وح من القدامى إلى الدار ومعه وجوه البلد فقال لصاحب ضيقه لم أحضر هؤلاء السادة فمخادمة مقطعة فقال ما أحضرتهم إلى الخناد جددا ولكن القوم أكوا طعام الصوفية الذي لا نعرفه في بلادنا فاستحي القوم وعلما أنهم قد فطنوا بحالهم ونزل رجل إلى الصبر فرأى العذرة على وجهه الماء فقال من فعل فلم يرد واحد منهم جوابا فقال ابن مطر وح يا قوم ما أدخلناكم إلينا إلا عازمين على تسليم البلد اليكم وان تكون لكم رعايا وقد شاهدنا منكم أفعالا مانزها فان قلتم أن هذا الفعل من غلبتنا وعبودتنا فما أقيم هذه الاحدثة عن خيار أصحاب هذا الرجل وان كان عند من هو خير منكم فلم نعمكم إلينا هذا طعن في عقله ثم أمر بإخراجهم فأخرجوا من المدينة فلما صاروا إلى قراقوش وعمل القصة عظم عليه الأمر وأراد الفتك بهم وعمل أنهم قد فتنة وأعلمه فتقلا بالملك به رقة أبداً وتبين أنه لا يملك البلد أبداً وأنه قد عبد المجيد إلى قراقوش أنك لست بتاد على أخذ هذا البلد لأجل ما نفع به أصحابك قلوب أهله فان رأيت أن نجعل لك جبالاً تحملها إليك في كل سنة وترحل عنا فقلنا فأجاب إلى ذلك ورحل عنهم بعد أن احتوى عليهم قال وتوافقت إليه الفرسان من مصر حتى صار في ثمانمائة فارس من الأتراك وسار من جبل نفوسة إلى قابس في يومين ثم إلى قصر الزوم وغيره من المواضع والقلاع فهجم ونهب وغنم وغلب وخاف أهل تلك النواحي

(فصل) في فتح آمد قال العماد ثم سار السلطان إلى آمد ونزل عليه يوم الاربعاء سابع عشر ذي الحجة بعد أن استأذن الخليفة في ذلك فأذن له فذهب السلطان عليها المجانيق وصايقهم وطال حصارهم ثم أخذها في السنة الثانية كما سيأتي

في الخيبر (٣٩) الدولتين

لجئهم دخلت سنة تسع وسبعين هـ قال ابن أبي طي والسلاطون منازل لا تدواشتم قتال العامة بها فأمر السلطان بكتب رقع فيها البراق وأرعدا ووعدها بعد وأن داموا على القتال لنستأصلن شاقهم وأن اعتبروا وسبوا البلد لمحسن الزهم وأنضه من ماعليهم من الكلف والضرائب وأمر أن تعلق تلك الرقع على السهام وترى إلى آمد فرى من ذلك شيء كثير فكة وأعان القتال وأشاروا على ابن تيسان بدلب الامان فأومر على أن يخرج بجميع أمواله دون الذخائر والأسلح وأهل ثلاثة أيام فلما عول على نقل أمواله تعديب أعصابه فأرسل إلى السلطان فأنفذ إليه غلمانا ودواب وضربت له خيمة بظاهر آمد وجعل ينقل ما يقدر على نقله من المال والقماش وآلات الذهب والفضة مدة ثلاثة أيام بعلم عظيم كانوا يريدون على ثلاثة أناس ولم ينقل عشرين ما كان له وسرق من أمواله أكثر مما حصل له لأنه ما أخرج أحد شيئا إلا أخذ نصفه أو أكثر وكان ابن تيسان قد حصل في آمد أشياء كثيرة لا يمكن وصفها من الأسلحة والأموال والغلال والكتب وما انقضى الأجل أخذ ما حصل وسار قاصدا إلى بلاد الروم وتسلم السلطان مدينة آمد بأموالها وذاخيرها ونصبت أعلامه على أسوارها وذلك في رابع عشر المحرم ووجد فيها من الغلال والأسلح وآلات الحصار من الخيانيق والالعاب والارادات أشياء كثيرة لا يمكن أن يوجد في بلد مثلها ووجد فيها برج من أبراجها فيه مائة ألف شعرة ورج مأوى يصول النشاب وأشياء يطول شرحها وكان فيها خزائن كتب كان فيها ألف ألف وأربعون ألف كتاب فوهب السلطان الكتب للقاضي الفاضل فانتخب منها جمل سبعين مجازة ويقال إن ابن قرا أرسلنا برع من ذخائر آمد وخزائنها لأحاجة إليه مدة سبع سنين حتى امتلأت الأرض من ذخائرها وكان السلطان لما تسلم آمد وهبها لذر الدين محمد بن قرا أرسلنا بها فيها وكتب له بها وأبنا عما فوقها وفي له بها وعده وقيل للسلطان أنك وعدته بآمد وما وعدته بها فيها من الأموال والذخائر وفيها من الذخائر ما يساوي ثلاثة آلاف دينار فقال لأرض عليه بها فيها من الأموال فإنه قد صار من أتباعنا وأصحابنا قال وفي فتح آمد يقول سعيد الحلبي من قصيدة في السلطان

رمى آمدا بالاصافات فأذعنت * له طاعة آكامها ووعورها
لما عجز ناديا ولا اعتاض ثمرها * ولا جاش طامها ولا دسورها
وأنزالت بالكرها بن تيسان حرجا * كما أنزل الزباء كرها قصبها
نهضت لها حتى إذا انقاص صعبها * تنقضى على طول الشماش نفورها
سمحت بها جردا لمن نزل برهته * بغاورها طو وراوطو راغبها
وملكت ماملكت منها تحولا * وكان قلبه لا في ذلك كثيرها
وان بلاد أجددك مدامو كرها * لا جدران يرجون ذلك فقيرها

وقال ابن سعدان الحلبي يذكر فتح آمد

فأسا كئي الرعداء من سفع آمد * أرى عارضا ينبل بالموتها طاله
لأن غضبت يوما عاكرو شها * فهذا ابن أيوب وهذى معاقله
ولورامها يوما سسواه لقطعت * أباهر من دونها وأباجسه

ثالث وقال آخر

لوعرفت آمدا من جاءها * ينطب في الاسلام تسليها
لصيرت أعلى شرار فيها * إن عبل الأرض سلاطنها

قال العماد وأما آمد فحصل فتحها يوم الأحد في العشر الأول من المحرم وكان مدبر آمد ابن تيسان فهو رئيسها والناظم بأمرها وكان لآمد أمير قديم يقال له أركادى من أيام السلاطين القديما ولد دشم وشمج كبير عنده بطنه وبقية ويندعي الله من علمائه ووسطه عليه وأنه يحفظ البلد وأنه لا يغدر به ولا يؤثر بدله وإذا جاءه رسول يحضره عند أميره ويسند ما يديره إلى تدبيره ويقول أنه غلام ومما عه كلام وحافظ على سره هذه السريرة وأمن بالتميل له من جور الجيرة بل مامن لهم لأن يخاف مكره ويحفظ منه مكره ويذكر عرفه ويعرف نكره ولم يزل أهل الحصار عليهم إلى أن

كتاب (٤٠) الروضتين

أذعنوا للانقياد وخرجت نسائهم بجرأ إلى الخيم الفاضلي بطلين الامان فأمنهم السلطان على انهم يخرجون بعد ثلاث وبمعاون ما قدره عليه من المال والاثاث وأعانهم السلطان على نقل الاموال والدواب والرجال فلما انتقضت مدة الامان تسلمها السلطان وسلمها إلى نور الدين بن قرا ارسلان بأعجالها وما فيها وكان السلطان وعده بها قبل ذلك فأنجزه له العود وقد كان أبوعها بالها مده وقضاها فقدر عليها ثم وصف العماد ما كان في قلعة آمد من الخناثر والاموال والحواصل والامتنعة وان أصبحها لم يبق بعد روافي تلك الايام الثلاثة الا على تحويل ما خفي منها واستغنى المساعدون لهم في تحويلها اليهم وكتب الفاضل عن السلطان إلى الديوان ببغداد (ورد إلى الخادم التقلید الشر بف لولاية آمد فلما آه مستقر اعنده قال هذا ما فتحها وسمع الوصا يا فاستضاء عني في طلبات القصد وقال هذا مصباحها وتناولها فاطمة الا لاكتتابا أنزل عليه من السماء في قرطاس وما يقينه الا نوراني في في الناس فسار به ولولا العادتها استحب جند يا وعزل عليه ولولا الرتبة المنقلبهند يوطرق بابها بالقيده ولولا ما استطاع الا ولها أن يظهر وه ما استطاع احواله تقيا وتشد القيد بثلاثة أيام ثلاث رسائل فلو كان ذا سمع أصغى ولو كان ذاب لبي فلما انتقضت ضيافة أيام النذاره واخترق من بآمدنا الحرب جاهلان وقودها الناس الجاره عمد لها في اليوم الرابع فزلزل عدها وقائلا فأزال جلدتها وزيل جلدتها ثم رأى أن الشوكة ربما أصابت غير ذات الشوكة من جندتها وان المسلم قد لمن عذاب الحربى ولا يأمن أن تعرقه النفس من السهام بشرار زندها فعدس إلى مخيبتها الذي أمل صاحبها منه مخيا بقره ورأى أن سوط سطوته يضرب الخجر ويضرب عن أن يه اشر البشر وتلك الاربعة قد شخت أناتها ونأت بقطعة وتأهت على راقعة وغضت عين راقعة في عن عقاب لوح الحرك كالظائر الآن المخيش أغرى بها عقابيه وضغمها بخيليه وخضم امامها بخاضعها وقام إلى العير بها كها ويضرب بعصاها الخجر فتنبس من النقوب أعين لا ترسل الماء ولكن ترى العطاش إلى منزل المدينة وتهل الظماى كذلك أيا ما احتاجى محي من المشرقات شنب تغرها وتناوب كاس فتك تبس به زاراجها آثار شكرها وعلت الايدي الزاوية لها وفعت الايدي الحامية عنها فلم يبق على سورها من يفتح جفتها وشن المخيخ عليها غارية إلى أن صارت شفا وفعت صناديق الجارة المقله ففصلت منها الأعضاء السور المتصلة وموجب القتال لتلاظن بالخادم ان لا حمله الا بجعله فأوعز بالتقدم إليها ودخل النقا بين فيما فاختفت جراحا بالنقوب وهتك الخياط من أضاء البالد فكا بدتصل إلى ماوراءها من القلوب وخشيت معرف الجيش في وقت هجومه وروسل صاحبها بأنه كشف له الخذلان حتى نصر على شكه بعمله فاعاد الرسول مستنكها فتجب النجاة بارسال ذوات الخجاب وابرارهن ومستنكها اليد القتل بن لم يكن جوابه غير احواله واحرازهن ولم يعارض في نفسه ولا في قومه ولا في أمواله وهي ما هي ذخائر موفره ومكاسب من أرباح مخسره كانت الحقرة عنهما مذوده والامال دونها مطروده وغض الخادم كل عين عن عينه وورقه وصانته في مخمهم من الفقر صيائنه في ذات سورة وخندقه واستوفى شرط الوفاء بأعناؤه من موثقه وهذه آمد فهي مدينة ذكرها بين العالم معالم وطما اصادم جانبها من تقادم فرجع مجدوعا أنه وان كان بخلا وقرعها فربدا لهمة واستحب جفلا ورأى محمها فأنذر انه لا يبق له محم وسوادها حسب انه لا يمتحها فخر رجعية أنفأ أنها فاعتقد انه لا يستجيب بن جر من ماولا كلهم طرى صدره على التليل إلى مردودها ووقف بها ووقف الحب المسائل فأيضاً أمل من جواب معهده ثم ذكر تسليها إلى ابن قرا ارسلان ثم قال (ولما رأى صاحب ميا فارقين اخت صاحبته قد ابتنى بها خاف أن يجمع له بين الاثنين فرأس بئذ الخدمه التي يكون فيها نور الدين ناني الذين) ثم ذكر اجتماع المواصله وشاء أمر من صاحب ماردين وصاحب أرزن وبردليس وغيرهم على قصد الخادم وتزولوا تحت الجبل فلما صبح عندهم قصد طنوا أنه واقعهم فأنذرا عنه الفرار بقوة وذكر ما في تسامه من عرائد كانت عندهم مخوفة وعندهم جوه وسائر كل فريق على طريقه عدو وفعل صديق والخادم يقول مهورا أراد في الاراء الشريفة أنها ومهما نوت فيه من احسان قرب عليه ما نواه فهذه أملا أرسل اليه مفتحها وهو التقلید فتحها وهذه المواصل ما تأخو عنه المفتاح منعها وما مضىها وأولع عينه به لمظمت على الاسلام عانته وظهت في رفع مناره فأنذته لان اليد كانت تكون به على عدو الحق وحاده والهمة لا لات النصر واجده فان رأى أمه بالامور من ان عي بين أوليائه وينظر أليم أسم أبنا أوليائه وأشد على أعدائه وأقرب بهقه وحق

في اخبار (٤١) الدولتين

آبائه وأيمهم أنزل كلفا لفراس المهدي وأعتك لظفر بنقي المحدث وأهجر في سبيل الله لراحه وأصبر في جهاد عدو الله على مضض جراحه واصل عن رحمة فؤاد وأكثر ممارسة لخدمة واد فخصنا لهذه الامة التي جعله الله اماما وأماما أسعد من أجر في طاعته ضامرا وملا بزلل بيه ضميرا فغن عدله أن يولي عليه العدل الذي يقر عينها ومن فضله أن لا ينسى الفضل بينها وقد ورد ذلك المنشور بأمد فأورد الميسر فان ورد المنشور بالشار اليه بالجزيرة وسعت فانه يورع في نور وما ياسب الخادم أن كيدا للعدو والكفار أكيد ولا جهدا لأهل الضلال أجهد ولا عائدة يغيظ رؤساء أهل الاتحاد أعود من تقيهم أمر الخادم عزير الاستخدام والا فليظفر هل يشق على الكفار من يذبح أحد سواه من ولا لا اسلام فكل ذي سلطان هو الطاعم الكاسي الخبي بالناضل لا الحاسي المكفي لا الكافي يقتضي ٤٠ وهو لا يشهد بالظلم الا في الميادن ولا يغلل الهام طائرا لولا الكثرة في الصولجان ولا يشق بسهمه الا قسطاسه ولا يخطئ برؤفة الا أكاسه فأعاد الله بأمر المؤمنين هذا الدين الى معالم حقه الاولى وأطال بدسلطانه الطويل الى ان تأخذ الامور ما أخذها عدلا واعتدالا وساموقلا فعدوا الى الاسلام عواذ راحه وأيام منصرف دوسفاحه (ومن كتاب آخرفاضلي عن السلطان الى وزير بغداد (أصدر هذه الوهيلة الى المجلس السامي مع ولا على كرمه فيما جعلته من اللبانه مستغنيا بشهر الحلال المجتهد عن الابانه فان أمد قصر الامد في الظفر بها وانقاذها من المظالم التي كانت تلبس بها رها بقية غيرها وسار اليها بقية العساكر بعد الذين ساروا الى الشام وأقاموا قبالة الكفار بعدة فقتلهم على أكثرها من عساكر الديار المصرية على بعد تلك الديار لظفر بن نزي المناواه ويقيم لمن كان على منافقة الالتقاء ان يرجع الى مصر ففروا أمد بعد سنة من البسكار وبعد غزوتين قد طوع بهما في نوار يخفهم الى الكفار في ذلك ما بعض الحاسد وبعض الحاقد ويعلم ان في أولاء الدولة ما رد كل مارد فالحال يعقون أمد اراد ان يجري الامر على سوابه ويلج الامر من يابه وان يندبر المتمر ويوقظه ويعنه بالقول الذي رأى من الرفق ان لا يغضه فبعث اليه ان يهيب من كراهه ويعتد بصف التقليد قراه ويجري بنفسه حجاب الذئاب ولا تعرض بان يكون متجبالا للذئاب فاذ اضر بكنهه لا تباين الا بالعراك وطردته لا تصاد الا بالاشراك فهناك رأى عاجلا همتك وقول حتى القتال في يوم واحد عرف ما بعده من الايام ووقع الاشتقاق من روعة الحاريم وسفك الدرام ونصب المجنحقات فأرسل عازنها مطرارة وفطر السور بشهد الذي فطره وخطب امامها خطيب خطيبه وأغدق الصبارم ككفا بغير به وقره أهل الحرب الحسن المناب منه عن حزبه فصار في اقرب اوقات جيلها كتيها هيسلا وعقرت الابرجة وجهان ما وطلعت القلعة نظرا كالمسا حتى اذا اكتمت النقوب ان تؤخذ وكبد السور ان تغلق رأى الذي لا يصبر على بعضه واعتذر اليه البناء الذي ساء له يقضه فلا بد من نقضه وسأل فأجيب الى الامان على نفسه وخروج منها وانما أخرجه الظلم وسلم وهو يرى السلامة امان الحل وامان الحكم) ثم قال (ولو لا تقليد أمراء المؤمنين لما فقه له الباب الذي قرعه ولا أنزل عليه النصر الذي أنزل معه ولا ساعدية فاساعدوا لثالث مدت من مصر فأخذت آه دون يامد ولوقلت مسائلته في تقليد الموصلي لكان قد طوبى لها ولولا لجة أدبها وأخذها ولولا حباتها وهو وقع في جواب هذا الفتح ان عجب جيش هو الكلام ورباحه في الاقلام ونصره ووافد الامر وترشيد هوق الجفر وليس ذلك لوسائل من دولة أقامها بعد عمل عروضا ولا الدعوة قام فيها عاتبا غرت دونه جوشها ولكن لان هذا الجفر رسالة صغيرة منها تبث الجزيرة الكبرية وهي دار الفقرة ومدار الشقة ولوانتفعت في السلك لا تنتظم جمع عسكر الاسلام في دار الشرك ولكن الكبرياتي بيديه وينقلب على عقبيه ويعشاده الاسلام خلفه ومن بين يديه وبغري من مصر برا وجرا ومن الشام برا وجرا ومن الجزيرة رمة او جزا ويكون خادمه قد جبان فيقول قوله تعالى ولقد متنا على من أصغى) ومن كتاب آخر (كتابا هذا والمدنية تدشحت أبرابها وعذقت بدولتها ألبابها وتكلم اسنان علمنا في قم قلعتها وبعد ان لبس تهاد ولتناقروا جرح عدا عاتما فالجند لله الذي تنال النعم بجده ويصبح الاصل بقضه ما يفتح الله الناس من رجة فلا يملك لها وما يملك فلا يملك له من بعده) قال العماد ثم دخل السلطان مدينة أمد وجلس في دار الامارة وحلف نورا الدين بن قرا الرسل ان على انه يظهر بها العدل ويمنع الجور ويكون سامعا لمطيعا لاسا لسلطان من معادات الاعداء ومصاداة الخللان في كل وقت وزمان وانما حتى استقدم أمد لقتال النور في وجهه لذلك يفتلان

مكتتاب (٤٣) الروضتين

والله عظيم قال وكان هذا خبر الدين في خدمة السلطان بنفسه وعسكره منذ عبر الفرات ثم إن رسل الملوكة الاطراف اجتمعت عند السلطان كل يطلب لصاحبه الامان وان يتخذ من جهة الاعوان منهم صاحب مارد بن صاحب ميفارق بن وهما قريبات ابن قري أرسلان فرد السلطان كل رسول بسلوه وأجاب اقباله بقبوله ثم رحل السلطان من آمد وعبر الفرات لقصده حلب وولايتهما قد سلم في طريقه تل خالد بالعرب ولم يكن منهم بالقرب فأقرأ أهلها فيه ثم نزل على عين تائب فبادر صاحبها ناصر الدين محمد بن بشار بكنى الى خدمة السلطان فأعاده الى مكانه بالاحسان وقال ابن أبي طيخ: تسلم السلطان تل خالد في رابع عشر المحرم وسبأها الى بدر الدين دلدرد ومن مكتتاب فاضلي (نزلنا تل خالد يوم الثلاثاء نائي عشر المحرم وكان قد تقدمنا الاجل تاج الملوكة اليها وأناخ عليها وقابلها وقاتلها وعلجها ولوشاء لعاجلها وما أطلت عليها رايانا ألقى من فيها بيده وانجز النصر صادق وعده وأرسلتها صاحب مقدمة لفتحها وقد أنعم الله علينا بنعم لا تحصيها تعدادا ولا نستقصيها اعتدادا ولا نستوعبها ولو كان الفارطوسا والبحر مدادا ورايتنا المنصورة قد صارت مغناطيس البلاد تجذبها بطبعها وسيفنا قد صارت مفاتيح الامصار تفتحها بنصر الله لا يجدها ولا يظفها قلت وما أحسن ما قال البلغوي من قصيدة له في السلطان

قل للملوكة تخو اعن مالككم * فتدأى أخذ الدنيا ومعطيا

(فصل) في فتح حلب قال القاضي ابن شداد لما عاد السلطان بدأ بتل خالد فنزل عليها وقاتلها وأخذها في ثاني عشر المحرم سنة تسع وسبعين ثم سار الى حلب فنزل عليها في سادس عشر المحرم وكان أول نزوله بالميدان الاخير وسرا لمقاتلة بقائين وبسائطون عسكر حلب سابقا ويا باب الجنان غدوة وعديه وفي يوم تزوله جميع اخوه تاج الملوكة وكان عماد الدين زنكي قبل ذلك قد خرج وخرّب قلعة عزاز في تاسع جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين وخرّب حصن كفر لانا وأخذها من يكش فانه كان قد صار مع السلطان وقت نزل بشار فتم بقدر عليها وحرت غارات من الفرنج في البلاد بحكم اختلاف العساكر قال ولما نزل السلطان على حلب استدعى النصارى كرم الجوارب فاجتمع خلق كثير وقتلها قتلا شديدا وفتح عماد الدين زنكي انفسه له يد قبل وكان قد ضرب من افتراح الاسرا عليه وجيهم ياه فأشار الى حسام الدين طمان ان يسفر له مع السلطان في اعادته ببلاده وتسلم حلب اليه واستقرت القاعدة ولم يشع أحد من الرعية ولا من العسكر حتى تم الامر ثم أعلمهم وأذن لهم في تدبير أنفسهم فأنفذوا عنه عز الدين جريدك وزير الدين بابك فبقوا عنده الى الليل واستخفوه على العسكر وعلى أهل البلد وذلك في سابع عشر صفر وخرجت العساكر الى خدمته تعالى الميدان الاخير ومقدموا صاحب وخلع عليهم وطيب قلوبهم وأقام عماد الدين بالقلعة يقضى اشغاله ويقبل أقضية وخرزائه الى يوم الخميس ثمان عشر صفر وفيه توفي تاج الملوكة أخو السلطان من الجرح الذي كان أصابه وشق عليه أمر موته وجلس للعزاء قلت وكان أصغر أولاد أيوب ذكر ابن القادسي ان مولده سنة ست وخمسين في ذي الحجة فيكون عمره اثنتين وعشرين سنة وشيئا وأنشد له شعر أوفى العاد الكاتب في كتاب الخريدة أنه لم يبلغ العشر بن سنة وله نظم لطيف وفهم شريف ثم قال القاضي أبو الحسام وفي ذلك اليوم نزل عماد الدين الى خدمته وعزا له وسار معه بالميدان الاخير وتقررت بينهما قواعده وانزله عنده بالخدمة وقدم له مقدمة سليمة وخيل لا يجيلة وطلع على جماعة من أصحابه وسار عماد الدين من بومه الى قرا حصار سائر الى سنجار وأقام السلطان بالخميس بعد ميسر عماد الدين غير مكترها بأمر حلب ولا مستعظم لشأنها الى يوم الاثنين سابع عشر صفر ثم صعد في ذلك اليوم قلعة حلب مسرورا متهمورا وعمل لحسام الدين طمان دعوة سنية وكان قد قبلت لاختلافها لاختلاف عماد الدين من قماش وغيره وقال العماد وصل السلطان الى حلب وفيها عماد الدين زنكي بن موز ود الذي كان صاحب سنجار وقد تحصن بكنة ذات الاجناد والعدد وأراد مقابلة السلطان ومقاتلته وأراد السلطان ان يظفر بها بدون ذلك من القتال وعداؤ الرجال لكن الشباب وجهال الاحباب راموا القتال وأحبوا النزال وتقدموا وأقدموا والسلطان بنهاهم فلا ينتهون وكان فيهم تاج الملوكة يورى أخو السلطان فطعن في خفيه ثم مات بعد ذلك بياض بعد فتح البلد وكان السلطان ذلك اليوم قد صعد ولبية لعماد الدين زنكي وكان السلطان أول ما نزل على حلب نزل في صدر الميدان الاخير وذلك في ربيع الاخر ثم رحل ونزل على جبل جوشن ونهى عن القتال وقال نحن هاهنا

في اخبار (٤٣) الوثائق

تستغل البلاد وما علمنا من الحصن الذي بلغ منه هذا العناد وانفذ رسول الترهيب اليهم فذكر عماد الدين زكي في أمره ورأى ان الصواب مصلحة السلطان فانفذ سر اليه حسام الدين طمان وصاحبه وحلفه على أن يسلم اليه حلب ويرد عليه بلده سنجار ففعل وزاده الخابور ونصبيين والرتة وسروج واشترط عليه ان يسلم العسكر في الخدمة الغزاة ومن كتب فاضليه (تسليمه مدينة حلب وقلعته اليه ونسختهم الحرب أو زارها) وبلغت بهم الهجم وأطارها وعرض صاحبها بمجالسهم عن اليد لانه مشروط عليه به الخدمة بنفسه وعسكره ومخيمه بالخدمة في واحد الا ياتي في معيبيه ومخيمه وعرض عماد الدين عنهما من بلاد الجزيرة سنجار ونصبيين والخابور والرتة وسروج فهو صرف بالخدمة اخذنا فيه الدينار وأعطينا الذراهم ونزلنا عن المشيحات وأمرنا العوامم وسرناهم الخيل والكفار المحارب والمسلم هو والمسلم واشترطنا على عماد الدين الخدمة والمظاهرة والحضور في واقف الغزو والمصاره فانظم الشغل الذي كان ثيرا وأصبح المؤمن بأخيه كثيرا وزال الشعب وأخذ الهمب وانفصل السبب وأخذت للغزاة الالهج ووصلت الى غاية الهمب والطلب والافاقه واقعه والمصلحة جاءه واسعة أنوار الاتفاق شائعة ومنها (فكنا مدينة حلب بسلمها كسفت بمرمتها قساعا وتسلمنا قلعتها التي ضمنت أن تسلم بعدها بشيئة الله قلاعنا وعرض صاحبها من بلاد الجزيرة ما اشترط عليه به الخدمة في الجهاد بالعدو الموفوره فبيدنا بالخدمة لان من ادان من البلاد رجالها لأمرها وشوكتها لازهرتها ومنافرتها العدو لانفرتها وان يعظم في العدو والكافر كذا لان تعدد بالولي المسير لا يتراها والا امره بحلب نافذه والرايات بأطراف قلعتها أخذ وجاء أهل المدينة بمشرون وقد بلغوا ما كانوا يؤمنون وامنونا ما كانوا يمدون وعرض صاحبها بالمد من الجزيرة على أن تكون العساكر شقيقة على الاعداء مرصدة للاستدعاء فالبلاد يدينها معفيا ولغيرنا معفيا وفي خدمتنا ما لا نسبح به وهو عسكرنا وفي يده ما لا نضن به وهو درهمنا شرطنا على عماد الدين الخدمة في أوقاتها والمظاهرة على العداة عند ملاقاتها فلم يخرج من البلاد الا ليناعاد عسكره وانما استبقنا فيه من يحمل عنه ذنوبه ويديره وتكون عساكره الى عساكرنا مضافة ونتمثل قوله سبحانه وتعالى (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) ومنها (نشر الأمير بما من الله به من فتح مدينة حلب التي هي مفتاح البلاد وتسلم قلعتها التي هي أحد ما رست به الارض من الزناد فله الجدد وابن بفتح الجدد من هذه المنه ونسأل الله العافية المطوية بعد هذه الغاية وهي الجنة وسدرت نذال الشرى والموارد قد أمضت الى مصادرها والاحكام في مدينة حلب نافذة في بلادهم احاضرها وقلتها قد أرفأوا وارتاعا على أنفسها وقبضت على عقبه بكفا واعتذرت من لقائه أمس برشقها ورأينا أن نقساعا على ما يترك لنا فيه من الجهاد وان توسع المجال فيما نضيق به تغلب الدين كفو والى البلاد) قلت ولا ياب الحسن بن الساعاتي في مدح السلطان عند ارادة فتح حلب تصيدتها

ما بعد قيامك للعاقين من أمل
فانقض الى جانب كل سائفة
ما فتحه اغير اقلد الممالك
وما عصمت منعة لكنه غنيت
غارث وحقق من جاراتها فاشكت
ماباله في صاخي غير يتقلى

والقاضي السعيد بن سناء الملك من قصيدة

بدولة الترك عزت دولة العرب
ان العواصم كانت أي عاصمة
جالسة النجم في أعلى مراتبه
وما نعت به ككع شوق تهنئه
فسرعها بلا غيظ ولا خنق
تدوى البلاد وأهيا كائنه
أرض الجزيرة لم تلتفت عما لكها
سار عنها بلا حقد ولا غضب
أيما كطوت الكتاب للكتب
بملاك فدرس أو سانس درپ

كتاب (٤٤) الروضتين

ملك لم يذهبها مسدبرها * الأثر أخصى أو يعقل صبي
 حتى أتاهم صلاح الدين فأنهضت * من الفساد كاحت من الوصب
 وقدر جواهرها وأعطى بعضهم أمانة * فهو الذي يبذل الدنيا ولم يب
 ومذرات صدقة عن ربيعها حلب * ووصله لبلاد الغير بالحلب
 غارت عليه ومدت كفى مقتدر * من اليه وأبدت وجهه مكشوب
 واستعطفته فوائدها عواطفه * وأكتب الصلح أذنا دته عن كتب
 وحل منها بأق غير مخفض * للصاعدين ورج غير منقلب
 فتح الفتوح بلامسين وصاحبه * ملك الملوكة ومولاه بلا كتب
 وقال ابن أبي طي * وكان كثير من الشعراء يحضرون السلطان على فتح حلب منهم أبو الفضل بن جسيم الحلبى له
 من قصيدة

يا ابن أيوب لا برحت مسدى السدور فبيع المكان والسلطان
 حلب الشام نحو مرآة وهى * وله الصب ربيع بالمعبران

وقال ابن سعدان الحلبى من قصيدة

دونك والجسنة أم القسرى * ونار الانهيب والطود الاثيم
 واركب الى العلماء كل صعبة * أبيت لغنا ونحلك كل ذم
 وارم فكل الصديق جوف القرى * لاصار السم ولا نأى الحكم
 مسدالى أخت السماء زورة * لافترق بعقبها ولاندم
 فيها لها شمس مشغورة * تطارح البرق وساحات الديم
 ايه صلاح الدين شذازرها * واعزم عليها فالزمان قد عزم
 ودونك المنعة من قبائها * وباهى المغلى فى وجه الامم

قال وفى آخر يوم السبت ثامن عشر صفر سنة ٦٠٠ هـ سقى السلطان الاصغر على سور قلعة حلب وضربت له البشارة وفى ذلك
 الوقت تخفى عماد الدين وخرج من القلعة ليلاً الى الخيم وأخذ فى اخراج ما كان له بالقلعة من مال وسلاح وأثاث وكان
 استناب الأمير حسام الدين فاجان فى القلعة حتى توافى رسوله بتسليم سجنار ونصيبين والخابر الى نوابه وأعطى السلطان
 طمان الرقة لوساطته فى أمر عماد الدين وكان السلطان شرط أنه ما يريد من حلب الا الخمر فقط وأذن لعماد الدين فى
 أخذ جميع ما فى القلعة وما يملكه من حمله فليترك عماد الدين فيها شيئاً ويأخذ فى السوق كل ما لم يملكه من حمله وأطلق له
 السلطان بغالا وجمالاً وخيلاً برسم حمل ما يحتاج الى حمله وعمل له يوم الاحد تاسع عشر صفر دعوة عظيمة فى المسجد
 الأخضر وأحضرها جميع الأمراء ومقدمى حلب قال ويخبر السلطان على لذة بالدعوة والاشارة والاعطاء والاعان
 والحبا أخضر اليه من عرفه وفاته أخيه تاج الملوكة بسبب الضربة التى أصابته على حلب فليغير ذلك ولا اضطرب
 ولا انقطع عما كان عليه من البشاشة والفرح وبذل الاحسان وأمر بستر ذلك وتودعها أن ظهر وكلام خمره
 وأخفى رزيمته وصبر على مصيبتة ولم يزل على طلاقته وبشاشته الوقت العصر وفى ذلك الوقت انقضت الدعوة
 وتفرق الناس فحينئذ قام رحمه الله واسترجع وبكى على أخيه ثم أمر به فغسل وكفن وصلى عليه وأمر به قد دفن بمقام
 ابراهيم صلى الله عليه وسلم بظاهر حلب ثم حج له بعد ذلك الى دمشق ودفعه بمقال وكان تاج الملوكة شاباً حسن الشاب
 مليح الاعطاف عذب العبارة حاولت كاهنه مليح الرى بالقوس والطعن بالرمح وكان شيخاً تاملاً سلاماً قداماً على
 الاحوال وكان قد جمع الى ذلك الكرم واللين فى الادب وله ديوان شعر حسن متوسط فيه
 باهذه وأما فى النفس فربكم * باليتها بلغت منك أمانيها
 ان كانت العين مفارقة فكيف نظرت * الى سوا كفايتها لها مقىها
 قال ولما انقضت تعزية السلطان بأخيه خلع على الناس فى اليوم الرابع وفرق فى وجوه الحلبى من الاموال وفى

في الخبر (٤٥) الدولتين

سادس عشرى صفى ورد أصحاب عماد الدين وأحضروا إليه السلام ثم تسلم سخيخار ونصيبين والخنازور في ذلك اليوم تسلم قلعة حلب وانزل من الأمير طمان وأصحابه واستلموا إلى نواب السلطان ركب عماد الدين في وجوه أصحابه وأمراته وخرج إلى خدمه السلطان فساغر أوركب السلطان إلى لقائه فاجتمعوا عند مشيهم بدعاء الذي يظهر حلب من جهة الشمال فقاموا ولم يترجل أحد منهم الصابحة ثم جاء بعد عماد الدين ولده قطب الدين فترجل السلطان وترجل السلطان له واعتقه ونادى أفركاوسار فوألوه في خدمة السلطان إلى الخضم بإيدان الأخضر فأجلس السلطان عماد الدين معه على دراجته وقدم له مقدمة حسنة عشرين بقجة صفر فمائة ثوب من العناني والاطلس والماتى والمرس وغير ذلك وعشرة جبارد قدس وخمس خلع خاص برسمه ورسم ولده ومائة قيامائة ثوبه وخمسين عريتين بادانهم أو بعلتين ممر وحتين وعشرة أكاديش وخمس قطار بغال وثلاث قطار جمال عريسات وقطار بحث والمافرخ السلطان من عرض الهدية قدم الانعام ثيابا أصاب منه عماد الدين ثمض لار كوي وخرج السلطان معه وركب لوداعه وسار معه إلى قريب من بابي وودعه وعادوسار عماد الدين إلى بلاده قال وفي يوم الاثنين سابع عشرى صفى ركب السلطان وصعد إلى قلعة حلب وكان صعوده اليها من باب الجبل ومع وهو صاعد إلى قلعة حلب يقرأ قل اللهم مالك الملك توفى الملك من شأنه الآيات وقال والله ما مررت بفتح مدينة كسر وري بفتح هذه المدينة والآيات قد تبينت أنى أمالك البلاد وعلمت أن ملكي قد استقر وثبت وقال صعدت يوما مع فراديس رحمه الله تعالى إلى هذه القلعة فسمعتهم يقرأ قل اللهم مالك الملك الآيات قال وما بلغ السلطان إلى باب عماد الدين فقرأ أو أوركب أرضهم ودارهم وأمرهم وأرضهم فلما وروها ثم صارت إلى المقام فبلى راعيتين ثم سجد فأطال السجود ثم خرج ودار في جميع القلعة ثم عاد إلى الخضم وأطلق المكوس والنفرا تائب وسامع بأموال عناية وجلس لانهاء بفتح حلب وأنشده جماعة من الشعراء منهم يوسف البراءى له من قصيدة

شرفت بساى جندك الشهباء * وتجلتها بجمعة وضياء

ألقك إليك قيادها وبها على * كل المبارك ترفع وإياه

ومتهم سبعين بن محمد الحريرى له من قصيدة وتقدم بعضها

وصبحت شهباء العواصم وصلتها * قواضب عزم لا يقل شهرها

فامطبت منها غاريا في سائر اغما * وتنادى سيرا في يد يات عسرها

وأوطأت منها تحت سيك ترفقة * بعز على الشعرى العوم وعرها

ورق الهمار وحيد لا روجها * وكانت ريم لا يجرى نشورها

قال وقال والدى الرواى النجاشى من قصيدة

حلب شامة الشام وقد زبد * تجللا لا يسوف وجلا

هى اس الفخار من نال أعلا * هاتعالي تخامسة وتعال

وهمل العلاء من حل فيها * تاه كسكر برا وعزة وجلا

من حواهلها ملك الار * ضراقة ساراسم ولانوجلا

فافسدت عراها مهناء بجمل * سلك الانبياء الموضا وطلا

قال وحديثى جماعة من الحلبيين منهم الركن بن جهل العدل قال كان الفقيه جند الدين بن جهل الشافعى الحلبى قد وقع اليه تفسير القرآن لآلى الحكيم المخرى فوجد فيه عند قوله تعالى لم يغلبت الروم الا بآياتنا قال الحكيم قال ان الروم يغلبون في حرب سنة ثلاث وعشرين وخمسة مائة ويهبط البيت المقدس ويصير دار الاسلام الى آخر الايد واستدل على ذلك بأشياء ذكرها في كتابه فلما فتح السلطان حلب كتب اليه الجندى بن جهل ورقة يدسده بفتح البيت المقدس على يديه وبعين فيه الزمان الذى يفتح فيه فيه واعلى الورقة للفقيه عيسى فلما وقف الفقيه عيسى عليها لم يمسرها على عرضها على السلطان وحديثى فى الورقة لى بن زكى الدين القافى فى دمشق وكان

كتاب (٤٦) الرومانيين

ابن زكي الدين واقفاً بعقل ابن جهيل وأنه لا يقدم على هذا القول حتى يحققة ويثق به فعمل فصيد من مدح السلطان به حين فتح حلب في صفر وقال فيها

وفتحكم حلباً بالسيف في صفر * قضى لكم بافتتاح القدس في رجب
ولما سمع السلطان ذلك تعجب من مقالته ثم حين فتح البيت المقدس خرج اليه المجدين جهيل من مثاله بفقهه وحذقه
حدثت الورقة فتعجب السلطان من قوله وقال قد سبق الى ذلك محبي الدين بن زكي الدين غير اني اجعل لك حقاً
لا تراحمك فيه أحدم جمع له من في العسكر من الفقهاء وأهل الدين ثم أدخله الى القدس بعد ما خرج الفتح منه
وأمره ان يذكر رسام الفقه على المحبرة فدخل وذكر رسامه ذلك حفظي بما لم يحفظ به غيره فالتفت وسألتني
في فتح بيت المقدس في فصل المنبر ذكر ما قاله أبو الحارث في تفسيره وغيره مما يناسبه وبالله التوفيق وقال العماد
ثم فتح حلب في صفر من هذه السنة ومدح القاضي محبي الدين بن زكي السلطان بأبيات منها
وفتحكم حلباً بالسيف في صفر * مشرع بقروح القدس في رجب
فوافي فتح القدس كما ذكره فكانت من الغيب ابتكره قال ويشبه هذا النبي في سنة اثنتين وسبعين طلبت من
السلطان جارية من سبي الاسطول المنصور في أبيات وهي

يؤمل المسلول المصور في أبيات وهي
تبتدل الوحشة بالاناس * بتجرجه من ايل وسواسه
تخرج من العزة قد حركت * سوا كن البلبال والماس
فلا تدع يمدد شيطانه * ما أحكم التقوى من الاس
فوقع اليوم بطوبه * مما سبي الاسطول بالاس
لازلت وهاباً لما حازه * سيقك من حور ومن اس
وانني امسك من بعدها * كرائم السبي من القدس

قال جفاء الامر على وفق الامل فوهب لي ما أملت عام القدس

(فصل) فيما جرى بعد فتح حلب قال ابن أبي طي كاتب الوالي بحارم الفرج واستدعاهم اليه فطعمهم
في الاستيلاء على حارم بشرط ان يعصوه من الملك الناصر وعلم الاجناد بقلعة حارم بما عزم عليه فتوأمروا بينهم
في القبض عليه وكان هذا الوالي ينزل من القلعة ويصعد اليها في أورد ولذاته فاتفق انه تزل منها لبعض شأنه
قوب أهل القلعة لما خرج وأغلة وابايا ونادوا بشعار السلطان وكان السلطان راسل والى حارم وبذل في تسليم
حارم اليه في أشياء كثيرة منها ولاية بصرى وضيعة في دمشق على كنه اياها ودار العقيق التي كان نجم الدين أيوب
والد السلطان يسكنهم وجام العقيق بدمشق وثلاثون ألف دينار عينا ولاخيه عشرة آلاف دينار فاشط في السوم
وتغلى في العوض فأنفذ اليه السلطان وتوعدوه ثم دده فكتب الفرج يطلب بخدمتهم وقيل ان نقيب القلعة
أراد ان تنفق سوقه عند السلطان ويتحصل منه شيئاً فكتب السلطان بالرجل على الوالي فكتب اليه السلطان
بفتح ذلك ووعده بأشياء سكن بها وجرى الامر على ما ذكرناه من اغلاق الباب في وجه الوالي وقيل ان النقيب
وأهل القلعة لما أغلقوا الباب في وجهه شنعوا عليه بكتابة الفرج لم يكن فعل ذلك اقامة لعذرهم وقد فوجوا بخيانة
ونادوا بشعار السلطان ولما اتصل بالسلطان هذه الاحوال أنفذت في الدين الى حارم اليه فها فتبعت النقيب وأهل
القلعة من تسليمها اليه فرحل السلطان اليها بنفسه جريده فلما أشرف عليها نزل اليه النقيب ووجوه القلعين
وسأله اليه في تاسع عشر صفر ولما حضر واعند السلطان حدثوه بكيفية الحال وكان بدر الدين حسن ابن الداية
حاضراً فقال للسلطان يا مولانا لا تلتفت الى هؤلاء فانهم آذوا هذا الوالي وكذبوا عليه حتى قوتوهم ما كان السلطان
وعنده به وما قلت هذا الا عن تجربة فأنني لما كنت مولياً لهذه القلعة جرى علي من كذبهم في حق وقهرتهم
على أمور كذبت بها هؤلاء من نزل الدين وهم كانوا سبب خروجي من هذه القلعة وأنا أرى ان السلطان يفرهم في القلعة
على هذه التجربة فيفتح السلطان وأمر لهم ما كان وعدهم به وأفضل عليهم وولى في القلعة غيرهم وقال لابن الداية

في أخبار (٤٧) الدولتين

ان بين أيدينا أمكة نريد أخذها ومعني نف ما نعد ونجزل العطاء لم يثق بنا أحد وبات السلطان بقلعة حارم يلبث من وعاد
 الى حلب في ثالث ربيع الأول فرتبها وقرر ولده الظاهر سلطانا بها وقرر له في كل شهر أربع ألف درهم وعشرين كبة
 وتبأوا يحتاج اليه من الطعام وغيره وجعل معه والاسيف الدين أركش الاسدي وولي حسام الدين بن كمال الخليف
 شحنة حلب وولي الديوان ناصر الدين اسماعيل بن العميد الدمشقي ودار الضرب فاضرب الدرهم الدناصري
 الذي سكته خانم سليمان ونقل الخطابة من بني العديم الى أبي البركات بن الخفاف هاشم بن فارة القاضي الفاضل
 وولي القضاء محسي الدين ابن زكي الدين الدمشقي فاستناب فيه ابن عمه أبا البيان بن أبي البناي وولي الجناح
 والوقوف لابي علي بن العجي وقال العماد كان في قلعة حارم محمولك من مالك نور الدين فعرض وثاق عن تسليمها
 فأخرج منها أهلها لما أنهم موكبة الفرج وأرسلوا الى السلطان فسلمها ودير أمرها وأحكمها وقال ابن شداد انفذ
 الى حارم من يتسلمها وادفعهم الروابي فأنفذ الجناد الذين بها يستقبلونه فوصل خبرهم اليه يوم الثلاثاء من عشرين
 صفر خلفهم وسار من وقته الى حارم فوصلها تاسع عشرين صفر فسلمها وزيات بن التليق وقرر فوعد هار وولي فيها
 ابراهيم بن شرو وعاد الى حلب فدخلها ثالث ربيع الأول ثم أعطى العساكر مسرورا لكل منهم الى بادء وأقام
 بقرقو وأعد حلب ودير أمرها قال العماد ورجعت انطاكية بعد ذلك رعبا فأرسل صاحبها جاعة من أسارى
 المسلمين وأقام دسار على أمان السلطان وولي السلطان القضاء بـ حلب محسي الدين بن الزكي فاستناب فيه ابن الدين
 بن أبي الفضل بن سليمان المعروف بابن البناي وكشف السلطان عن حلب المظالم وأزال المكوس وولي قلعة أسيف
 الدين ياز كوج وولي الديوان ناصر الدين اسماعيل بن العميد وجعل حلب باسم ولده الملك الظاهر غازي وكان
 استعجبه من معمر عند وصوله الى الشام وأقر عين نائب على صاحبها وأعادى تل خالد وولي ناصر بدير الدين بدير من براء
 الدولتين ياروق وأعطى قلعة عزازع لم الدين سليمان بن جندر قلعة وفي توضع اسقاط المكوس بـ حلب من كلام
 الفاضل عن السلطان (وانتهى البناء بمدينة حلب وسوما استقرت الايدي على تناولها والالسة على تناولها وفيها
 بالزراعة ارفاق وبالزراعة اضرار ولها مقدار الاغذية من كل شيء عنده تدار منها ما هو على الاثواب الجارية ومنها ما هو
 على الدواب المروكية ومنها ما هو في المعاش المنطوية وقد رأينا بنماحة الله ان تظلمها ونضعها ونعطها ونضعها
 ونضرب عن غنائمها ما نضرب عليها بأقل ما نضرب عليه ما هو أشد سبيلا ونقول ما هو أقوم قبلا ونسك ما كره
 الله ونحظر ما حظر الله ونأجر ما سجنه الله من ترك شئنا لله عوضه الله أمشاه وأرجع مخبر في الرعية اليوم بما
 يوضع عنهم من أمرها ولنا عند الله ما يرفع من أجرها فعلى كافة أوليانا ولا تأمروا اتنا والمصرفين من
 قبلنا ان لا يروا الهباد ولا يردوا ولو بلغ الظلم ما منهم وردا ولا يشقوا رجاها يزان المال فتخفف ميزان الاعمال
 ولا يرغبوا في كثير الحرام فان الله يغني عنه بقايل الحلال ولما ان ذلك من الامر المحكم والقضاء المبرم والعزم
 التام وفي منشور أهل الرقة بمثل ذلك (ان أبقى الامر من سمن كسبه وأهزل الخلق وأبعدهم من الحق من أخذ
 البادل من الناس وما عاد الحق ومن ترك شئنا عوضه ومن أقرض الله قرضنا حنا فاقامنا قرضه والمات هي امرنا
 الى فتح الرقة أشهر فنامها على صحت يؤكل وتلمها أمر الله به ان يقطع وأمرنا الماوان ان يوصل فلو بنا على أنفسنا
 وعلى كافة الولاة من قبلنا ان يضعوا هذا الرسوم بأسرها وبقرا العايمان بإشار أيام ملكنا بأسرها ونعتق بالدرقة
 من رقبها ونثبت أحكام المدة فيها بحجوهذا الرسوم ونحفظها وقد أمرنا بأن نسد هذا الباب ونعدل في فتح هذه
 الاسباب وتظل وستظل بها نائب الحصب العدل وتقتل ويعفي خبر هذه الضرائب من الدواوين ويسلم ما
 جميعها مع الاغنياء والمساكين مساجعة ماشية الاحكام مستقرة الأيام دائما ما ورد خالدة الدوام تامة البلاية بالغة
 التمام موصولة على الاحقاب مستوفى الاقواب ملعونان يظعن اليها نادر وتناولها يدايهم عن اليوم
 على طمع لا يوصله اليه غده) قال العماد وورد على السلطان وهو نازل على حلب بشارتان احدهما ان الاسدي وولي
 المصري غزا في خامس عشر المحرم ورجع بعد تسعة أيام وقد فطر حطاشه وقلعة من الشام في ثمانية وخمسة وسبعين
 علبا من خبث التوتجوار والثانية ان فرنج الداروم تمضوا فندجزهم الى الشرق فخرج اليهم فالتقوا على ما يعرف
 بالسحله فاستولى عليهم المسلمون بعد ان كادوا ان يكون عدائا لان الفرنج كانوا قدما كوا الماغار واهم الله بـ

كتاب (٤٦) الروضتين

ابن زكي الدين واقفا بعد قل ابن جهيل وانه لا يقدم على هذا القول حتى يحققة ويشق به فعل فصيدهم مدح السلطان بها حين فتح حلب في صفر وقال فيها

وفتحكم حلبا بالسيف في صفر * قضى لكم بافتتاح القدس في رجب

ولما سمع السلطان ذلك تعجب من مقالته ثم حين فتح البيت المقدس خرج اليه المجدين جهيل مهنثا له بفخه وحذنه حديث الورقة فتعجب السلطان من قوله وقال قد سبق الى ذلك محبي الدين بن زكي الدين غير اني اجعل لك حظا لا يراجك فيه أحد ثم جمع له من في العسكر من الفقهاء وأهل الدين ثم أدخله الى القدس بعد ما خرج الفريخ منه وأمره ان يذكر رسام من الفسقة على المنجرة فدخل وذكر رسامنا لحظي بما لم يحفظ به غيره فكتب وسباني في فتح بيت المقدس في فصل المنبر ذكر ما قاله أبو الجحدي في تفسيره وغيره مما سببه وبالله التوفيق وقال العماد ثم فتح حلب في صفر من هذه السنة ومدح القاضي محبي الدين بن زكي السلطان بأبيات منها

وفتحكم حلبا بالسيف في صفر * مبشر بفتح القدس في رجب

فوافق فتح القدس كاذره فكانه من التوب استكره قال ويشبهه هذا النبي في سنة الفنتين وسبعين طلبت من السلطان جارية من سبي الاسطول المنصور في أبيات وهي

يؤمل المسلولك مسلولك * تبذل الوحشة بالانس

تخرج من ليل وسواسه * بطاعة تشرق كالهمس

فوحدة العزبة قد حركت * سوا كرك التبلال والمس

فلاتع يمدد شيطانه * ما أحكم التقوى من الانس

فوقع اليوم مطاوبه * مما سبي الاسطول بالانس

لازلت وهابا لما حازه * سيفك من حور ومن انس

وانتي امسل من بعدها * كراغ السبي من القدس

قال فجاء الامر على وفق الامر فذهب لما أمات عام القدس

(فصل ١٠) فمبارجى بعد فتح حلب قال ابن أبي طى كاتب الوالى بحارم الفريخ واستدعاهم اليه فمعهالم في الاستيلاء على حارم بشرط ان يعصوه من الملك الناصر وعبد الاجناد بقلعة حارم بمعاظم عليه فتأمروا بفتحهم في القبض عليه وكان هذا الوالى يزل من القلعة ويصعد اليها في أموره وإذاته فاتفق انه نزل منها لبعض شأنه فوثب أهل القلعة لما خرج وأغلقت أبوابها ونادوا بشعار السلطان وكان السلطان راسل والى حارم وبذل له في تسليم حارم اليه في أشياء كثيرة منها ولاية بصرى وضيعة في دمشق ملكة ياها ودار العقبة التي كان نجم الدين أيوب والد السلطان يسكنها وحام العقبة في دمشق وثلاثون ألف دينار عينا ولاخيه عشرة آلاف دينار فاشتط في السوم وتعالى في العوض فأنفذ اليه السلطان وتوعدده وتهدده فكتب الفريخ يطلب تجديدهم وقيل ان نقيب القلعة أراد ان تنفق سوقه عند السلطان ويتحصل منه شيئا فكتب السلطان بالجميل على الوالى فكتب اليه السلطان بتجديد ذلك وتوعدده بأسماء سكن البهاوى امر على ما ذكرناه من اغلاق الباب في وجه الوالى وقيل ان النقيب وأهل القلعة لما أغلقوا الباب في وجهه شنعوا عليه بكتابة الفريخ ولكن فعل ذلك إقامة لعذرهم وقد فوجوا بخسارة ونادوا بشعار السلطان ولما اتصل بالسلطان هذه الاحوال أنفذ الى الدين الحارم ليه تسليها فامتنع النقيب وأهل القلعة من تسليها اليه فرحل السلطان اليها بنفسه حريه فلما أشرف عليها نزل اليه النقيب ووجوه القلعة دين وسلموها اليه في تاسع عشر صفر ولما حضره وعند السلطان حذره بكيفية الحال وكان بدر الدين حسن ابن الداية حاضرا فقال للسلطان يا مولانا لا تلتفت الى هؤلاء فانهم آذوا هذا الوالى وكذبوا عليه حتى قوتوه ما كان السلطان وعدده وما قلت هذا الا عن تجربة فاني لما كنت متوليا هذه القلعة جرى علي من كذبهم في حقى وتغررهم علي أمور كنت بها أهلك مع نور الدين وهم كانوا سبب خروجي من هذه القلعة وانا أرى ان السلطان يقرهم في القلعة على هذه التجربة فيفتح السلطان وأمر لهم بما كان وعدهم به وأفضل اعلمهم وولى في القلعة غيرهم وقال لابن الداية

في أخبار (٤٧) الدولتين

ان بين أيدينا أمثلة نريد أخذها وهي تمثف بما نعد ونجزل العطاء لم يبق بنا أخذ ويات السلطان بقلعة حارم بليتين وعاد
 الى حلب في الثالث من ربيع الاول فرتبها وقرر ولده الظاهر سلطانا بها وقرر له في كل شهر أربع آلاف درهم وعشرين كبة
 وقباً وما يحتاج اليه من الطعام وغيره وجعل معه واليا سيف الدين أركش الاسدي وولي حسام الدين بركا الخليفة
 شحنة حلب وولي الديوان ناصح الدين اسماعيل بن العبيد المدمقي ودار الضرب فغضب الدرهم الناصري
 الذي سكته خاتم سليمان ونقل الخطابة من بني العديم الى أبي البركات بن الخطيب هاشم بسفارة القاضي الفاضل
 وولي القضاء لمحسي الدين ابن زكي الدين المدمقي فاستناب فيه ابن عمته بالبيان بنسب ابن البهايمي وولي الخيام
 والوقوف لابي علي بن الجبجي وقال العماد كان في قلعة حارم محلولاً من مهالك قرا الدين فعصى وتأتى عن تسليمها
 فأخرج منها أهلها لما أعظموه بكتابة الفرج وأرسلوا الى السلطان فتسللها ودير أمرها وأحكامها وقال ابن شداد انفذ
 الى حارم من يتسلمها اوداهمهم الى الوالي فانفذ الاجناد الذين بها يستحقونه فوصل خبرهم اليه يوم الثلاثاء من عشرين
 صفر فحلف لهم وسارهم وقته الى حارم فوصلها تسعة عشرين صفر فتسللها ويات بها اليه في ربيع الاول فقرر قواعدها وولي فيها
 ابراهيم بن شروه وعاد الى حلب فدخلها في الثالث من ربيع الاول ثم أعطى العساكر مائة دينار كل منهم في بلده وأقام
 يقر قواعدها ويديرها وقال العماد ورجعت انطاكية بعد ذلك رعباً فأرسل صاحبها جماعة من أسارى
 المسلمين واتقاد وسارع الى أمان السلطان وولي السلطان القضاء بحلب محسي الدين بن الزكي فاستناب فيه ابن زكي
 بنسب الفضل بن سليمان المعروف بابن البهايمي وكشف السلطان عن حلب المظالم وأزال المكوس وولي قلعته سيف
 الدين يازكوج وولي الديوان ناصح الدين اسماعيل بن العبيد وجعل حلب باسم ولده الملك الظاهر غازي وكان
 استصحبه من مصر عند وصوله الى الشام وأقر عين تاب على صاحبها وأعطى ثل خال الدولة باسر بدر الدين فادرم بهاء
 الدولة بن يارق وأعطى قلعة عزاز علم الدين سليمان بن جندر ثلثة وفي توقيع اسقاط المكوس بحلب من كلام
 الفاضل عن السلطان (وانتهى البناء بمدينة حلب رسوماً استقرت الايدي على تناولها والالسة على تناولها وفيها
 بالعارف افاق والارضا بالاضرار ولها مقدار الاعن من كل شيء عنده بمقدار منها ما هو على الاثواب المجاورة ومنها ما هو
 على الدواب الكروية ومنها ما هو في العايش المظلوبه وقدر يشاء بحجته الله ان يظلمها ونضعها ونعطها ونضعها
 ونضرب عنها في أيامنا ونضرب عليها بأقلامنا ونسلك ما هو أهدي سبيلاً ونقول ما هو أكرم قيسلاً ونسلك ما كره
 الله ونحظر ما حظر الله وننجز ما سيجاه فانه من ترك شيئاً لله عوضه الله آمثله وأرجع محرقه في العية اليوم بما
 يوضع عنهم من أمرها ولنا غداً شئنة الله ما رفع من أجرها فعلى كافة أوليانا ولا تنأوا أمرنا والمتصرفين من
 قبلنا ان لا يهروا الهياكل ولا يردوا ولو بلغ الظم أمهم من موردا ولا يثقلوا بها ميزان المال فنحن ميزان الاعمال
 ولا يرغبوا في كثير الحرام فان الله يغني عنه بقال الحلال وليعلم ان ذلك من الامر المحكم والقضاء المبرم والعزم
 المقيم وفي منشور أهل الرقة بمثل ذلك (ان أشقى الامراء من عمن كبسه وأهزل الخلق وأبعدهم من الحق من أخذ
 الباطل من الناس وساء الحق ومن ترك لله شيئاً عوضه ومن أقرض الله قرضاً حسناً وفاء ما أقرضه ولما انتهت امرنا
 الى دفع الرقة أشرف فنامنا على سحت يؤكل وظلم بما أمر الله به ان يقطع وأمر الظالمون ان يوصل فأوجعنا على أنفسنا
 وعلى كافة الولاءة من قبلنا ان يضعوا هذه الرسوم بأسرها ويلقوا الرعايا من إشارتنا أيام ملكنا بأسرها ونعتق بلد الرقة
 من رقبها وثبت أحكام المعذلة فيها بمحور هذه الرسوم ومحققتها وقد أمرنا بان نسد هذه الابواب ونعطل ونسحق هذه
 الاسباب ونبتل ونسحق سحائب الخصب بالعدل ونستزل ويعفي خبر هذه الضرائب من الدولوين ويسامح بها
 جميعها جميع الأغنياء والمساكين مسامحة ماضية الاحكام مستقرة الايام دائمة الخلود خالدة الدوام تامة البلاغ بالغة
 التمام موصولة على الاحقاب مسنونة في الاعقاب ملعوناً من يطعن اليها ناظر وتتناولها يده اويحسك عم اليوم
 على طمع لا يوصله اليه غده) قال العماد وورد على السلطان وهو تازل على حلب بشارتان احداهما ان الاسطول
 المصري غزا في خامس عشر المحرم ورجع بعد تسعة أيام وقد ظفر بسطاسة مقلعة من الشام فيها ثمانمائة وخمسة وسبعون
 عسكاً من خيالة وتجار والشانية ان فرنج الداروم نهضوا وانفذ بهم والي الشرقية فخر بن السهم فالتقوا على ماء يعرف
 بالسيح فاستولى عليهم المسجون بعد ان كادوا يهلكون عطشان لان الفرج كان قد قتلوا الماء فاروا وهم الله بجاء

كتاب (٤٨) الروضتين

السماء قات وكتب الفاضل عن السلطان الى بغداد ابين البشارتين ويخجل حب وحارم كيا شافيا قوله (ادام الله أيام الديوان العزيز ولا زالت منازل ملكته منازل التقديس والتطهير والوفاء بنص المخارح من أروابه وموجب التقديم والتصديق والامة مجموعة الشعل بامامته جمع السلامة لاجمع التكسير الخادم ينهى ان الذي يقتضيه من البلاد وينسب له ما يسكون التعمد أو يجبر كتمانها الى انقادا غايته طريقا الى الاستنصار الى بلال الكفار ويحسبه جاحلًا كنه به اطارا الى ما يلبسه الكفار من الاقنار وعلى هذه المقدمة فهو يستغنى بذكر نظيرين الاسلام يرى ويحرق شافي ومصرى أحدهما وهو البحرى عودا أحد الاسطولين الذين أغزاهما أخوا الخادم ألو بك بمصر وكانت مدغيتته من حين خروجه الى وقت عودته الى دماط تسعة أيام فظفر بطشة مقلعة من الشام فيها ثلثمائة وخمسة وسبعون عسكيا منهم خميا للذو وشكة وازعه وتجارا ولو ثروة واسعه والثاني وهو البرى نهوش فزنج الداروم الى أطراف بعيدة فغذبرهم الى الشرقية فركب اليهم الليل فرسا كبار كبروه جلا وسروا يقتلا وسروا زملا فتروا في القرية كان الى ما يعرف بالعبسيلة سبج الفرج الى الموردية والسابق الى الماء مختاصر للمسبوق وورد وارزقه فتعصب لارزقهم فظن المؤمن ان الكافر من روق واشتد بالمسلمين العطش ثم نابوا الى الفرج بقوة الخصاد السماء بما فلق ينج من الفرج الارجلان احدهما الدليل والثاني الدليل وعاد المسلمون برؤس عدوهم في رؤس القنا وقد اجتمعوا وانابوا وارواحهم في رؤس الغلبا وقد أطلقا بامانها جرائها) ثم قال (ويثنى الخادم بذكر ما مثله من الأوامر العلية في انقادا سيف مجر منه من استمدى تقيده موده موده من عرض له وريده) ثم (ذكر تسلمه) وأنه لا يؤثر الا ان تكون كلمة الله هي العليا لا غير وتعمد المسلمين حال رعاية ولا ضير ولا تغتارا ولا ان تعد وجوبش المسلمين متخاشدة على عدوهم لانها سادعة بغير تها ولو ان أمور الحرب تصحها الشر كمالا اعز عليه ان يكون كثيرا المشار كين ولا أساءة ان تكون الدنيا كثيرة المالكين وانما أمور الحرب لا تتجمل في التدبير الا للوحده فاذا أصبح التدبير لم يتجمل في اللقاء الا للعدو فعوض عن عاد الدين من بلاد الجزيرة سنجار وخابورها وتضمين والرقه وسروج على ان المظالم تمت فلا ينشره قورها والعسا كتنشر رأية غزوها فلا يتولى منشورها وأجاب الخادم عاد الدين ان ماسأل فيه من ان يصلح المواصلة هما استقاموا لعماد الدين لان لم يبق بهم وان كان لهم أخطا لم يطعنوا الى مجاورتهم ان يضرب بينه وبينهم من عنابهم برزخا فليطرح الا ن عدرا اجنبي اذا لم يبق ولتكن هذه نصيحة من عوتب في شكه يحسن الظن فليبق ومن شرطه على المواصلة المعونة بكم كره في غزواته والخروج من المظالم فما زاد على ان قال سالوا مسلما وحاربوا كافرا واسكنوا التكون الرعية سأكنته وأظهروا ليكون حزب الله ظاهرا وهذه المقاصد الثلاثة الجهاد في سبيل الله والسكف عن مظالم عباد الله والطاعة لخليفة الله هي مراد الخادم من البلاد اذا انتخه ومعهم من الدنيا اذا انتخه والله العالم انه لا يقاتل ليعيش ألين من عيش ولا تعذب بلاء العيان من نزع ولا طيش ولا يريد الا هذه الامور التي قد توهم انها تازم ولا يتوى الا هذه النية التي هي خير ما يسطر في الصحيفة ويرثم وكتب الخادم هذه الخدمة بعد ان بات بحلب ليلة وخرج منها الى حارم وكانت استحضت ملكا لا ملكه دين ولا عقل غرما هذبه بنفسه ولا أهل فاعتقد ان يسلمه الى صاحب انطاكية يسمر الله فتحه الاعتقاد اصرح بقله وشهره بكتيبة ورسله وواطأ على ذلك نفران رجال يعرفون بالاسمية ولا يعرفون خالقا الامن عرفوه رازقا ولا يسجدون الا لمن رونه في نهر النهر اسما وفي بحر الظلام غارقا فظهر به من قيم ان الجناد المسلمين فشرذوه ومن تابعه على فعله وظفر به الماوك عبر من اخيه في ضواحي البلد فأخذها وأرسله الى قلعة حلب وسارا الخادم اليها فاستلهوا ورثب بها حامية ورابطه ولم يعمل على انهم العمل طرف بل انها لاهقد واسطه والخادم كاطال مع ما ضيه الذي حازه الامس المذكور يطالع مستقبله الذي ينجزه وشيئة الله العند المشكور فهو متأهب للخروج نحو الكهرا لتأمر رايته النصب ولا جهة سيره الى فعله وحشه الحز ولا ينص الى قول خاطر الراحه المغند لا تنفر والى المارت ولا يجيب دعوة الفرائش المهد ولا يرجع على الظل الممدد والديمعة القصر المشيد ولا يعطف على ربحانة فؤاد يفرقه ولا يلقاه يوما ولا يقسم على زهرة ولد استعمل في ذكره النظر على راحته قال اني نذرت للرحمن صوما (ومن كتاب آخر أنفذه من نصيبين سنة ثمان وسبعين الى بغداد (سبيل الخادم ان يني ولا يهدم ويوفو جانبته ولا يثلثم وان يتفرق بينه وبين من يسكون أعنة اخياد المسومة ولا يطلعونها

في أخبار (٤٩) الدولتين

ويكثرون الذهب والفضة ولا ينفقونها فقد علم ان الخنادم بيوت أمواله في بيوت رجاله وان مواطن تزله في مواقف
نزله ومضارب خيامه أكنة ظلاله وأنه لا يذخر من الدنيا لشكته ولا ينال من العيش الاستمكته وعدوا الاسلام
شديد على الاسلام كما يصعظهم على أهله عليه زجل اذا أصغت اسماع التأمل بجنبه ولوان أحد من يدعي الملك مرامنا
ويعتد البلاء له زمانا دفع الى مدافعة هذا العدو الكافر والى مشافرة هذا الفريق النصارى لعرقته الايام ماهو جاهله
ولقد دلت الحرب ما هو قاتله وقلته الاحوال ما تحوز نجته محابله وفي كتاب آخر (واذا اولاد أمير المؤمنين في غرام البيت
في وسطه وأصبح في طرفه واذا سوغه بلدا عجم في ظل خيمه ولم يقيم في ظل غرفه واذا بات بات بسيفه تضييها واذا
أصبح أصبح ومعتك القنابل له ربيعا لاصكك الذين يغيرون أبواب الخلافة اغياب الاستبداد ولا يؤامر ونهيا
في نصر قائمهم ومأمرة الاستعباد وكان الدنيا لهم اقطاع لا يداع وكان الامارة لهم تقليد لا تقلد وكان
السلاح عندهم زينة لحامه ولا يسه وكان مال الخلق عندهم ودية فلا عذر عندهم لمناعه ولا حيلة وبكثرتهم
في البيوت دمي مژرة في ازوم جدرها لا في مستحسنات صورها راضين من الدين بالعمرة القبيحة ومن اعلى كلمته
بما يسهو على الدرجات الخشبية ومن جهاد الخارجين على الدولة باستحسان الاخبار اراه عليه ومن قتال الكفار
بانه قسرس اكمية تقوم به طائفة فيسقط عن الاثر في آخرها ومن طاعة الخلافة بذكر اسمها والخروج عن
سيماها فلا ينفقون بانهم لا يجاهدون الى ان ينعوا من يجاهد عنهم ويشاغر وانهم لا يساعدون لانهم لا يهابون الى
ان يساعدوا عليهم عدوهم الكافر فقد توالوا الشيطان تلدا وطريفا ووطوا الاسلام وأهله وطاء عنيقا فاذاجفة
وعدا آخره خباء الله في زمرة الشيطان لفيقا وقال في هذا الكتاب (ان المواصلة مفرع الى دار الخلافة لا اريد
ان فرعوا ولا فطما طمع اهلهم كما طمعوا وقدماء عدوا الى طاعتها فاشبعوا وسعوا وانها التبعوا حتى ان الاولين
منهم علوا اولياء الدولة من الازك ضد ما جلت اخلاقهم عليه من عقوقها وسنواهم اضاعه حقوق الله باضاعة
حقوقها فابن كان التعاق بالدار العزیزة وهم يحاصر من دار الاسلام باخراهم وبرامون انتاج الشريف نشابهم
ويجسرون محاصرهم بالبالحة والمجنينقات والازدادوا لاقامات ويصافون الخلفاء مصافة الواقف وبكاشة ونهم
مكاشفة المخالف ويعززون ددر تركيت وهي من أهون بلاد الله بجور الجوار ويجعلونها سجن المالك الخلافة
ذوى الاقدار ولو تحرك اليوم لم تحرك لكافوا له كانه ولكانت بلادهم له خزانه ويرجوا الخادم بالموصل ان يكون
الموصل الى القدس وسوا حله ومستقر الكفر من القسطنطينية على بعد مراحله وبلاد الكرج فلوان لهم من
الاسلام جارا الاستباح الدار وبلاد اولاد عبد المؤمن فلوان لها ما سيف لاطاعها فيها من النار الى ان تعارك
الله العليا وتلا الولاية العباسية الدنيا وتعود الكائن مساجد والمذابح المستعبدة معابد والصلب المرفوع
حطبا في اموالهم والناقوس الصاهيل أنرس الالهية في المشاهد ويضيف الى الديوان مشيئة الله تعالى ما يجاور
اكنافه ويجدا طرافه مثل تركيت ودقوقا والبواريج وخوزستان وكيش وعبان والذي وقع أعظم من الذي
يتوقع والذي طلع أكثر من الذي يتطلع والذي رؤى أمس أكثر من الذي يسمع) قلت يعني ان ما فقهه من البلاد
أعظم من هذه التي يرجوها وأشار بفعل المواصلة الى ما سبق من فعل تركيت في حصار بغداد ومساعدته للاستورقة
على العادة في ذلك الزمان والله أعلم وفي آخر كتاب فاضل الى حطان بن منقذ بالين عن السلطان (فتح الله علينا
بملك وأضافها وبلاداً آتينا بما أخافها وبلغنا غرائب صنع لا يبلغ أحد أوصافها منها بلاد الشام بأسرها وملككة
حلب بملحتها والمدنية بقلعتها وبلاد الجزيرة بدجلتها فنها ما أعيد على من اشترط عليه استخدام عسكره
في بيكانها ومنها ما استقر في السد وولاه من أولياءنا وأصاونا والمال يبق في البلاد الاسلامية الا ما هو في دننا أوبد
مطيع لنا كان من شكر هذه النعمة ان نصر في القوة ونثي العزيمه ونخذل الشوكه ونلبس الشككة لنفر الملاحعين
فدنناهم ونشازهم ونفخهم الى الله وننازعهم فظهر الارض المقدسة من رجسهم بدمائهم الى ان ترق السيوف
للصخرة الشريفة الماحرهم بامهم من قوة كفرهم واعتدائهم فحين نرجوان نكون عين الطائفة من الامة التي أخبر
نيها صاوات الله عليه انها لاتزال على الحق ظاهره وشواب الله وعدة ظافره والله تعالى يعيننا على ما يعيننا
ويلهمنا الاستجابة لدعوتنا الى ما يجيبنا

كتاب (٥٠) الروضتين

(فصل ١) في رجوع السلطان الى دمشق وخروجه منها لغزاة بخاضة الأردن رحل السلطان من حلب فمر على حماه ثم حصن ثم عسكر ثم دمشق قال القاضي ابن شداد لم يبق السلطان في حلب الا الى يوم السبت الثاني والعشرين من ربيع الآخر وانشأ عزم على الغزاة فخرج في ذلك اليوم الى الوضيعة مبرزا نحو دمشق واستدعى العساكر فخرجوا ليلة عودته ثم رحل في الرابع والعشرين منه الى حماه فوصلها ثم رحل في بقية يومه فلم يوصل بين المنازل حتى دخل دمشق في ثالث جمادى الاولى فاقام بها متأهباً الى السابع والعشرين منه ثم رزق في ذلك اليوم ونزل على جسر الخشب وتبعته العساكر مبرزة واقام به تسعة ايام ثم رحل في ثامن جمادى الآخرة حتى أتى القوار وتبعه فيه للهرب وسار حتى نزل القصير فبات به وأصبح على المخاض وعبر وسار حتى أتى بيسان فوجد أهلها قد نزحوا عنها وتركوا ما كان من ثقلين الا قشة والغلل والامثلة بها فنهبا العسكر وغنوا وأحرقوا ما يمكن أخذه وسار حتى أتى الجالوت وهي قرية عاصره وعنددها عين جارية فحفر بها وكان قد قدم عز الدين جرديك وجماعته من المماليك النورية وجاؤا بمولود أسد الدين حتى تكشفوا شبه الفرج فاتفق انهم صادفوا عسكر السركا والشوبك سائرين بجدة لفرج فوقع اسيحا بينهم وقتلوا منهم قتلة عظيمة وأسروا منهم زهاء مائة نفر وعادوا لم يبق من الاسبين سوى شخص واحد يدعى برام الشاوس فوصل اليه في بقية يوم الكسرة الواقعة وهو العاشر من جمادى الآخرة وفي صادي عشر موصلا الخبر الى السلطان ان الفرج قد اجتمعوا في صفورية ورجعوا الى القولة وهي قرية مدعومة وكان غرضه ان يصفى فلما سمع ذلك تسمى القتال وسار للقاء العدو فالتقوا وجرى قتال عظيم وقتل من العدو جماعة وجرح جماعة هرب بعضهم الى بعض يخفي راجلهم فارسهم ولم يفرجوا والمصاف ولم يراوا سائر حتى أتوا العين فزولوا عليها ونزل السلطان حولهم والقتال والجرح دمل فقم ليجزوا الى المصاف وهم لا يفرجون لخوفهم من المسلمين فانهم كانوا في كثرة عظيمة فرأى السلطان الانتزاع عنهم اهلهم برحلهون فيضرب معهم مصاف فرحل نحو الطوس سابع عشر جمادى الآخرة فنزل تحت الجبل من قريار حيلهم لم يأخذ منهم فرصة فاصبح الفرج راجعين وعلى اعقابهم ثمانين فرحل رجمه الله فسمعهم يجرى من روى الشارب واستنابهم للمصاف أمور عظيمة فلم يفرجوا ولم يزل السلطان حولهم حتى نزولوا للقتال اجمعين الى بلادهم وعاد السلطان منصورا وقد نال منهم قتيلا وأسرا وخرب كبريلا وبيسان وزرعين وقرى عديدة فنزل القوار وأعطى الناس ستورا فاسار من آثار المسير وأتى هو دمشق يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الآخرة قال فانظر الى هذه المهمة التي لم يشغلها عن الغزاة أخذ حلب ولا الظفر بهال كان غرضه رجمه الله عليه الاستعانة بالبلاد على الجهاد والله يحسن جزاءه في الآخرة شكوا وقفة للامال المحضة في الدنيا وقال العباد خرج السلطان الى الغزو وربط العدو بعين الجالوت وعبر الحاضرة الحسينية تاسع جمادى الآخرة فوصل الى بيسان وقد أخلاها فاطلق الناس فيها النيران ونهبوا ما فيها وكذلك فعلوا بابر اج وتلاع وغيرها وصادفت مقدمة العساكر خيلا ورجلا للفرج عابرين من نابلس ومقدمهم ابن هذفرى فقتل منهم وأسروا وتولى الباقون في الجبال ووصل الخبر ان الفرج قد أقبلوا في ألف وخمسمائة رمح ومثله تركيبي وخمسة عشر ألف راجل فاناهم المسلمون وذلك على عين الجالوت فاخذهم الرعب وتهاووا عن الاقدام عليهم فخذقوا احوالهم وأسندوا ظهورهم الى الجبل واقاموا كذلك خمسة ايام فاسارى المسلمون منهم ذلك رجوعا عنهم فتمت نفس خناقهم وتكصروا على اعقابهم الى الناصرة وعاد المسلمون بالغانم والاسارى لم يخلص العدو منها شيئا وذلك يوم الخميس سادس عشر جمادى الآخرة وقد كانوا مائة مائة منهم يخطفهم المسلمون من كل جانب ويرمونه بالنبل وينتظرون ان يجيأوا أولا كما هو عادتهم فما فعلوا ومن كتاب فاضلي عن السلطان الى بغداد (ما كان بتاريخ الثامن من جمادى الاولى سارا لخادم من أدنى المنازل من بلاد الاسلام الى بلاد الكوفة وقد كانت كاملة ود الاسلام وتعبت سياحته ومياسره وأخذت أهله وشجذت قضيبه وراعى الله الله ما اشتراه ومثل لا عينهم ثوابه فكما نهازاه وساروا تحت ليل عجاج ستر السائر تحمسه راه وأصبح الخادم وياهم بعين الله في سبيله على ماء الأردن وهو النهر الفاصل بين الاسلام والكفر والحاضرة المضرب منها بسور على ذلك القطر فحاض ذلك البحر وذلك النهر وادته نطف الحديد فاذا الماء يرى بالسرور وبغذف بالجر وذلك يوم الخميس تاني يوم المسير وهو تاسع الشهر ولما جاز الحاضرة أخذ البلاد ضرب المخاض ورزلات أرضها فبقي بالقوم ترش والنعمة

كتاب (٥٢) الروضتين

يستشير به في التعويض عن مصر يحلب فكذب اليه الفاضل كتابا فيه

انما أنت كغيث ماطر ❀ تحميمه الله انصرف

(والمولى أعلم وبسياسة الدنيا أقوم وقد تكرر السكاب الناصري اليه بمناص عليه وكشف له الغطاء وسنى له العطاء وقالت له المخطوبة هبت لك وأدى اليه مالان الامر ما قدم لك فلزالث سعادته أنور من شمس وأدور من ذلك ولا زال راجعا على الدهر ان امرء خسر وباقيا ان امرء هلك) ومن كذب آخر اليه (أدام الله دولة حامى الحلى وثبت الدولة الناصرية التي يقوم بها ملكان هما مان هذا صلاح يمنع فساد او هذا سيف يحقق دما) قال ابن ابي طي كان السلطان يعظم الملك العادل ويعمل برأيه في جميع أموره ويتبين عشورته ولا يعلم بانه أشار على السلطان بأمر شقائه حدثني قاضي المين جمال الدين قال كان السلطان يجمع الأمراء للمشورة فان كان العادل حاضر سمع من رأيه وان لم يكن حاضر لم يقطع أمرا في المهمات حتى يكتبه بخطية الاحوال ثم يسمع رأيه فيها قال وحدثني أبي قال حدثني جماعة قالوا كان السلطان ليس له غناء عن العادل ولا عن رأيه فلما حصل العادل وعصر وبعد عن السلطان هنالك صار السلطان يكلف في مكاتبه بالانخبار بأمور الاموال الى ان يرد عليه جوابه فيسوته بذلك كثير من المنافع الحاصلة للدولة ولجهدا فلما حصل الكرك في هذه السنة كاتبه بالحضور اليه بعياله وأمواله وجبوع أصحابه وولى مصر قتي الدين ولما حصل العادل عند السلطان وتبع في نفسه ان يعوضه عن ولاية مصر شحارفي ولاية بوليه اياها قال وحدثني علم الدين قيسر الصلاحي قال انما أقدم السلطان العادل من مصر لاجل ولاية حلب وذلك كاتبه ولهذا خرج العادل بأمواله وبعياله وأثقاله قال وحدثني غيره قال لما حصل العادل عند السلطان بأمواله وأثقاله كانت الاموال قد قلت على السلطان وقد حصلت عنده عساكر عظيمة فأخبر العادل لئلا قال أريد ان تقرضني مائة وخمسين ألف دينار الى الميسور فقال السميع والطاعة ثم قام وخرج من عنده وكتب اليه يقول أموالى جميعها بين يديك وأنا ما وكك واشتوى ان أحل هذا المال الى خدمة السلطان ويكفون عوضا عنه مدينة حلب وقلعها فأجاب السلطان بخي والله ما أقدمت لك الا لوليك حلب واذ قدنا فترحت ذلك فقد وافق ما عندي فلما أصبح العادل أنشد وسأل السلطان ان يكتب له مدينة حلب كآبوا ويعمله ككتاب البيع والشراء فامتنع السلطان وقال انما تكون حلب اقطاعا والمال على له فاعتذر العادل الى السلطان ولما اتفقما قال له السلطان أظننت ان البلاء يتبع أعواما علبت ان البلاء لا يلهها المرابطين بها ونحن خزنة المسلمين ورعا قلدن وراس لامرهم أو ما علمت ان السلطان ملك شاه السجوقى ما وقف طبرية على جامع خراسان لم يحكم به أحد من القضاة ولا من الفقهاء ثم قرأ السلطان ولاية العادل لحلب وأعمالها الى رعبان الى الفرات الى حاه وكتب له التوقيع وقرع عليه ما لا يحمله ريسم الزرد خانات وخزانة الجهاد ورجالة من الحلبين ورجل السلطان الى دمشق واستدعى ولده الظاهر من حلب فلما حضر أمره بالعود الى حلب وتسليمها الى عمه العادل ففعل وعاد الى دمشق وسار العادل الى حلب فالتقى بالرسن وباتاقية فكانت ولاية الظاهر يحلب في هذه النوبة نحو ستة أشهر والمواصل الظاهر الى دمشق أقبل على خدمة والده والتعرب اليه الا ان الانكسار لم يجر حب عنه ظاهرا عليه وهو مع ذلك لا يظفر وشيئا الا الطاعة لوالده والانتقاد الى مرضاته حدثني أبي عن مجد الدين بن الحشاش قال حدثني الملك الظاهر قال لما بلغني ان السلطان أعطى حلب للملك العادل جرى على ما قدم وما حدث وأصابني من الملم ما لم أقدر على التوضيح ووردت الى لم أكن رأيته ولا دخلت اليها لان قلبى أحب اوقبله او طاب لى هواؤه ما فارتبك كنت أحت اليه ما وشقها قال ودخل العادل حلب في رمضان وخلع على القديمين والاعيان وكان قد قدم بين يديه كاتبه المعروف بالصنيعه لتسلم حلب وقلعها من الملك الظاهر وولى القلعة صارم الدين بن عرش وولى الديوان والاقطاع شجاع الدين بن البيضاوى صباغ ذقنه وولى الانشاء وما يتعلق بأموال الرلاصة ابن الخيال وسكان نصرانيا ثم أسلم على يد العادل وولى ابن الخيال الوظائف لجماعة من النصارى وفي ذلك يقول الشاعر

فأقرب من السمع في دولة العا ❀ دل حتى علا على الاديان

ذا أمير وذا وزير وذا و ❀ ل وذا مشرف على الديوان

في أخبار (٥٣) الدولتين

قال ولم يزل الملك العادل يهذب أموره لحلب إلى السادس عشر ذي القعدة ثم خرج متوجهاً إلى دمشق بسبب أن السلطان اجتمع عنده في ذي القعدة عدة رسل منهم رسل الخليفة ورسول طغرل بن البهاوان ورسول قزل أخى البهاوان ورسول شاه أرمن صاحب خلاط ورسول الموصل ورسول عماد الدين صاحب سجستان ورسول قانج أرسلان صاحب الشمال فأراد السلطان إحضار العادل لسماع الرسائل ولحضور الأجوبة عنها ولتقرر برأى أمور الفرج يوم وصل العادل إلى دمشق أحضره السلطان لسماع الرسائل وممع ما عنده في الأجوبة ولما قضى أجوبة الرسل ودع السلطان وعاد إلى حلب قال ولما بلغ سيف الإسلام أن السلطان كتب إلى الدين عهداً بولاية مصر عتب لاجل ذلك فكتب السلطان له عهداً ببلاد اليمن جميعها قال وأقطع السلطان تقي الدين الإسكندرية ودمياط وجعل لخامسة البحيرة والنيوم وبوش ثم عوذه عن بوش عنود وحوف ديميس وذكر غير ذلك قال العادل أن السلطان على تقي الدين بالأعمال القيومية وسائر نواحيها بجميع جهاتها وأحوالها وزاده القبيبات وبوش وأبقى عليه بالبلاد الشامية مذبذبة حياء وقلة ثم باو جميع أعمالها ولما وصل تقي الدين إلى مصر اقتدى بالتدبير الفاضل وكان السلطان لا يؤثر مفارقتها فلم يجد من توجيه تقي الدين إلى مصر بدا وكانت فيه حذرة لم تكن في العادل احتياجاً فتوجه إلى نديه لاجل الفضل قال القاضي ابن شداد وقتل على السكر في هذه الكوفة فالدبر غش النوري شهيد راحة الله ثم رحل السلطان عنها مستحباً أخاه العادل إلى دمشق فدخل دمشق في رابع عشر شعبان وأعطى العادل حلب في ثاني شهر رمضان فسار في ذلك اليوم نحوها فوصلها وصعد القلعة في يوم الجمعة الثاني والعشرين من رمضان وكان هو والدة السلطان الملك الظاهر ومع سيف الدين يازكوج بيدبر أمره وابن العميد في البلد وكان الظاهر أحب أولاده إلى قلبه لما قد خصه الله به من الشهامة والفطنة والعقل وحسن السمعت والشغب بالملك وظهور ذلك عليه وكان من أمر الناس بالدمياط وعهدهم ولكن أخذ منه حلب لمصلحة أخيه فخرج من حلب ما لم يدركه في العادل وباركوا في سائر ين إلى خدمة السلطان فدخل دمشق يوم الاثنين ثامن عشر شوال فأقام في خدمة والده لا يظهر له إلا الطاعة والقيام مع انكسار في باطنه لا يخفي عن نظار والده قال وفي ذلك الشهر ورد ناعلي السلطان رسالاً من جانب الموصل ومكة فاقترب سلفاً إلى الخليفة الشام لمرابن الله في انفاذ شيخ الشيوخ وصدور الدين رسولاً وشيعياً إلى السلطان فسيره معاً من بغداد وكان عزير المروعة عظيم الحرمة في دولة الخليفة وفي سائر البلاد وكانت مكانته عند السلطان بحيث يتردد إليه إذا كان عنده في معظم الأيام قال وكان الشيخ قد وصل إلى الموصل وسار منها بعد أن سار في محبته التقاضي محبي الدين بن كمال الدين وكان بينهما محبة من الصبا وكنت مع القوم وسرناحي أيتنا دمشق وخرج السلطان إلى لقاء الشيخ ونحن في خدمته وأقنأ ليلنا راجع في فصل حال فلم يتفق صلح في تلك الدفعة وخرجنا راجعين إلى الموصل وخرج السلطان إلى وداع الشيخ إلى القصر واجتمعوا في ذلك اليوم أن يتقضى شغل فلم يتفق وكان الوقوف من جانب محبي الدين فإن السلطان اشتراط أن يكون صاحب أربل والجزيرة على خير ما في الانتفاء إليه أولاً صاحب الموصل فقال محبي الدين لا بد من ذكرهما في النسخة فوقف الحال وكان مسيرنا يوم الخميس سار ذي الحجة قال وفي تلك الدفعة عرض على السلطان وواضع اليها بصر على لسان الشيخ فاعتذرت ولم أفعل خوفاً من أن يحال توقف الحال على ومن تلك الدفعة ثبت في نفسه الشريعة متى أمر لم أعرفه إلا بعد دخمي له وأقام السلطان بدمشق ثم رد عليه الرسل من الجوانب فوصله رسول سنجار شاه صاحب الجزيرة فاستخلفه لنفسه وانجى إليه ورسول أربل وحلف لهم وساروا ووصل إليه أخوه العادل يوم الاثنين رابع ذي الحجة فأقام عنده وعيد وعاد إلى حلب قال العادل وصل رسول صاحب الجزيرة مع الدين سنجار شاه بن سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي ورسول صاحب أربل زين الدين يوسف ابن علي كوجاك بن بكركين ورسول صاحب الحديدة ونكريت بشكون من صاحب الموصل ويطببون أن يكونوا من أولياء السلطان المنتهين إليه ففعل السلطان ذلك وكان يوسف سنجار شاه سيف الدين غازي وصاحب الموصل بعد والده مودود كما قد سدد ذكره فهدى إلى استخراشها بفعليه عليها عز الدين مودود بن مودود فبقت الجزيرة بيد سنجار شاه وهو من تحت يداه وفي تلبه منه ما فيه وكانت أربل وأعمالها ما يليها كلها مضافة إلى الموصل وصاحب الموصل هو الحاصم على جميعها فنظم طابها والآنحياز إلى خدمة السلطان فأجابهم جميع بذلك صاحب الموصل

كتاب (٥٤) الروضتين

فاستشفع بدار الخلافة الى ان ارسل منها شيخ الشيوخ وشهاب الدين يشيرا الى السلطان ان يجتهد لصاحب الموصل
الاجان ويكون له من جملة الاعوان حريالمن حاربه سلمان سالمة وجاهر رسول صاحب الموصل قاضي القضاة محيي
الدين اوسامه محمد بن قاضي القضاة كمال الدين محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري وترفع في أداء الرسالة وأغلظ
في الكلام قال ان له السلطان وقال أنا أقضي حاجته علي ما أورد ولكن قد سبق في عين لا تلك السلطان فانا
استنهم وأردهم الى اختيارهم في أوله فإني ذلك وأراد ان تكون الصداقة له دون سائر ذوى الممالك وأشار الى ان لهم
من ينصرهم من جهة البهاوان ملك النجم فعظم ذلك على السلطان وكان ذلك محر كاله الى ان يعود الى الموصل
ورجعت الرسل على ذلك غير ظافرين بطائل وكان منزل شيخ الشيوخ خرابا على المنيع ومنزل القاضى محيي
الدين في جوسق بستان الخلل وشهاب الدين بشير بجوسق الميستان وتوفي ولد شيخ الشيوخ بدمشق وكان
في صحبته قد فنه في القبرة المحاذية للرباط وحضر عنده السلطان وجماعة الامراء والعزاة
(فصل ١٠) في باقي حوادث هذه السنة قال العماد وكانت شتوة هذه السنة كثيرة الامطار وكثرت مكاتبات
العماد للفاضل وأورد في بعضها أيا تافها

عذر الزمان بأى وجه يقبل * ومحبك بالصدفه يقتل
مالى سوى انسان عيني مسعدا * بالدمع انسان عليه أعول
الدهر ليل كاه في ناطرى * لاصبح الا وجهك المتهلل
خير من بين المنية والمخى * لا تمجروا فامرت عندى أسمل
يا غائبين وهم بركى حضر * ياراحلين وهم بقاى نزل
مالسلو الى فؤادى منيع * مالا صباية غير قلى منيل
لا تعدلوا عني فالى معدل * عنكم ولا يس سوا كلى موئل
كل الخطوب دفعتم بالجدى * الا التفرق فهو خطب معضل
ان لم يجدنى طيفكم فى زورة * فلانى منه أدق وأنجل
لا صبرى لا قلبى لا غمضى * لا علم لى بالبين ماذا أقفل

قال ابن الاثير وفي جنادى الاولى من سنة تسع وسبعين قبض عز الدين أنابك على مجاهد الدين قايماز وهو
حينئذ نائبه في بلاده واتبع في ذلك هوى من أراد المصلحة لنفسه ولم ينظر في مضرة صاحبه وكان الذى أشار به عز
الدين محمود زلقندار وشرف الدين أجدى إلى الخبر الذى كان أبوه صاحب العزاف وهما من أكابر الامراء فلما
قبضه كان يسده بأربل وشهرزور ودقوا بجزيرة ابن عمر وكان بهما عز الدين شجر شاه من سيف الدين صغيرا
والحكم فها الى مجاهد الدين ولهم أيضا قلعة العقر خفين قبض امتنع زين الدين يوسف بن زين الدين على بأربل
وكان فيها الاحكم مع مجاهد الدين وامتنع عز الدين بالجسر ردقوا رسل الخليفة الناصر لدين الله عسكر احصر دقوا
فأسكها ولم يحصل عز الدين الا شهر زور وصارت هذه البلاد التي كانت يسدها آخر شئ على الموصل ربي مقبوضا
فانخرجه وأعادته الى ولاية قلعة الموصل الا ان الذى أخذ من البلاد لم يعد الى طاعته وقبض عز الدين على من كان
أشار عليه بقبض مجاهد الدين قال ابن الاثير وعلى الحقيقة ليس على الدول شئ أصغر من ازاله مدبر لها واقامة
غيره فان القول يكون كالطبيب الحاذق العارف بمزاج الانسان وممرضه وعلاجه وما يوافقه ويؤذي فاني ان
يعرف حاله يشهد أكثرهما صلح قال ابن القادسي وفي هذه السنة في جنادى الاسخرة توفي الابله الشاعر وهو من
أسماء الاضداد واسمه أبو عبد الله محمد بن بختيار بن عبد الله وكان فصيحاً سمحاً وله اشعار رقيقة منها

زار من أحببنا زورته * والديني في لون طرته
بالهامن زورة قصرت * فأما ت طول جفوتة

(ثم دخلت سنة ثمانين) قال العماد وقد تقرر اص لبرد فإطاب الزمان فجوز السلطان بالعاكر المصورة الى الكرك
مرة أخرى وأرسل الى تقي الدين بقاء بالعاكر المصرية والاحل الفاضل وتباعت العساكر المشركه والملك العادل

في الخبر (٥٥) الدولتين

وجاء نور الدين بن قرا ارسلان صاحب الحصن وأمدو صاحب دارا وأخو صاحب سنجار وعسكر ماردین فاجتمعت العساكر رأس الماء وأشفق السلطان على ابن قرا ارسلان من اقتحام المشاق فقامه برأس الماء بجوران إلى حين العود وأمر العادل بالاقامة معه وقال القاضي ابن شداد سبب السلطان إلى العساكر بطلبه أقوصل بن قرا ارسلان نور الدين إلى حلب ثامن عشر صفر فأكرمه الملك العادل أكراما عظيما وأصعد القلعة وبأسطه ورجل معه طالبا دمشق وكان السلطان قد مرض أياما ثم شفاؤه الله تعالى وبأسطه ووصل ابن قرا ارسلان خرج إلى لقائه وكان رحمه الله يكره الناس مكارمة عظيمة فالتفتاه على الجسر بالبقاع في تاسع ربيع الأول ثم عاد إلى دمشق وخلف نور الدين وأصلح العادل فتأهب للفرار وخرج مبرزاً إلى جسر الحشب ووصل العادل وابن قرا ارسلان دمشق فأقام بها أياما ثم رحلوا بالحقون بالسلطان ورجل السلطان من رأس الماء ثاني ربيع الآخر طربسالكرك فأقام قريباً منها أياماً ينتظر وصول الملك المنقز من مصر إلى تاسع عشر الشهر فوصل ثقي الدين واجتمع به ومعه بنت العادل وخزانته فسيرهم إليه وتقدم إليه وإلى بقية العساكر بالوصول إليه إلى الكرك فتناحلت العساكر إلى خدمته حتى أحدقوا بالكرك في رابع عشر جمادى الأولى وركب الجبايقي عليه وقد اتقت العساكر المضربة والشامية والخزنية وبأسطه الفرس في ذلك خرجوا برجلهم وفارسهم إلى الذبح عن الكرك وكان على المسلمين فيه ضرر عظيم فإنه كان يقطع عن قصد مصر بحيث كانت القوافل لا يمكنها الخروج إلا مع العساكر الجبلية فأهمل السلطان بأمره فكانت النار ترقى سائله وبسر الله ذلك وله الجد والمه ولكن كان فتحها بعد ذلك وبأسطه السلطان خبر خروج الفرس فبعث العدو وأمر العساكر أن يخرج إلى نهر الكرك وسير الثقل نحو السلا وبقى العسكر يديتهم سار السلطان يقصد القلعة وكان الفرس قد نزلوا موضع يقال له الواله وسار حتى نزل بالقلعة على قرية يقال لها حسان قبالة الفرس في طر بهم ورجل منها إلى موضع يقال له ماء عين والفرس مقيمون بالواله إلى السادس والعشرين من جمادى الآخرة ثم رحلوا فاصد عن الكرك فسار بعض العسكر وراءهم فقتلواهم إلى آخر النهار ومارأى رحمه الله تصعب الفرس على الكرك أمر العساكر أن يدخل الساحل لحناؤه عن العساكر ففهموا على نابلس ونهبوها وغنموا ما فيها ولحق بها الاصحاب وأخذوا جنين والحقوا بالسلطان رأس الماء قلت وقد وصف القاضي الفاضل حصن الكرك في بعض كتبه فقال (هو شجاً في الجناح وقد في الجناح قد أخذ من المال بفتحها وقعد بارصاد العزائم وطرقها وصار ذنباً للهدى في ذلك الفتح وعذراً لتبارك فرضة الله من الخ وهو حصن الشوبل يسر الله التحريك الواصف للاسدين

ما هي يوم الاوعندها ✽ لهم رجال أو يولعان دما

وفي كتاب آخر (وأما الكرك فكلمات المختبقات عليه متنافرة وحجارتها على من فيه حارة وقد جذعت الأنوف البرجحة وأسبلت قلاع السائر وجوها المتبرجة وكل جوانبها عرة المرتقى صعبة المحتلتي والسلطان يستعذب المشقات التي تنفاد من الهيم وبسائر جرات الشبه الكالج بوجهه الملتهم) ومن كتاب آخر (وقد جذعت الجسارة في الاسقاط بين رؤس الأبراج ورؤس الاعلاج فرمت الشراريف والواقفين عليها الجانبتها وأرت الفرس بها نذما إلى اردادها غلبة غوايتها ما أخرج أحد منهم رأساً إلا دخل في عيه نصل وما هي قرا بالاسلام سيف الاله مع رقاب الكفر غد قطعه اواصل وما على الجحرفي الاسراف والتبذير حجر ولكل ليلة من تقع الحوافر ومن سنا الاسنة غير ولقد أخذنا من العدو بالحق وشرعنا في طم الخندق والحائط واقع والواقعة بهم محيطه والدروع بالسيف مفصلة وبالجرح محيطه) ومن كتاب آخر (عذاب الله بالحصن وأهله واقع ماله من دافع واقع دلائل النصر قد ظهرو وما دونه من مانع وأما المختبقات فقد نكت في الأبراج بالهدم وفي الاعلاج بالهتك فلم تبق لها الجحارة الظائرة بها حجارة قائمه وان لها من اطرافها عمارا ليلانها رادية دائمة واطافنا عليها بالزبدون حتى وقعت الاسوار من سكرها وضربنا دونهما السائر حتى رغمت لصفها وعاطتها كفة المختبقات عقار عقورها فالسور والمقابل للمختبقات قد نهدمت أبراجه وأبدانه وانهدت قواعد وركانه ولولا الخندق الذي هو واد من الادوية واسع غمقى لماتعدز إلى الخندق اليهم والمجمع عليهم طريق) ومن كتاب آخر (الحصن الذي نحن حاضر وهو محاصره في حصنة الحصانة

كتاب (٥٦) الروضتين

فذهبت الجحارة منهم ما أحكموه بالجحاره وعدا عليه بالتخريب ما أعدوه للجحاره فغشى المخنيقات ترحى ولا ترحم
سهماها ويستديم من أعداء الله ومعه لهم بالقتل والهدم انتقامها فاقابل المخنيقات من الأبراج والابدان قد أتى
التخريب على ما فيه من العران فلم يبق الاطم الخندق والاخذ بعد ذلك من العدو والخندق والقلوب وأتت بمحصل
الفتح وقد علم كل واحد منهما أن مخبره قد فاز بالفتح فما سمع من جند الله من أحمد مل ولا ضجر ولا تسفر هذه النبوة
إن شاء الله تعالى إلا عن نصر وظفر وقال العباد دخل السلطان من رأس الماء على طريق الظليل والرفقا وعمان
والبلقاء ثم أقيم وزيراً والقبوب والنجون ثم أدر ثم الزينة وذلك في بلد ماب فلما تلاحقت العساكر نزل على وادي
الكرك ونصب عليها تسعة مجانيق صفاء دام الباب فهزمت السور بالمقابل لها ولم يبق مانع الا الخندق الواسع
العميق وهو من الأودية الهائلة والمهاوى الحائلة والمهاالك العائرة الغائلة ولم يكن في الرأي الا طمحه وهو به بكل
يمكن وردمه فعد ذلك من الأمور الصعاب وتعدر لخرقونة الأرض وتجرها حفر الأسراع فأمر السلطان بضرب
اللين وجمع الأخشاب وبناء الميطان المقابل له من المريض الى الخندق وتسقيفها وتلقيق ستائرهما وألقفها ففتت
دروباً واسعة لا يزحم فيها الجاني الذاهب وتوافدت رجال العسكر واتباعه وعلماؤه وأشياعه على نقل ما يرى في
الخندق وهان طم الخندق بالديابات التي قدمت والأسراب التي نبت وأحكمت فوجد الناس الى الخندق طريقاً
مهيأ فهم يزحجون آمنين من الأبراج عاملين بالاشراج والناس يجيب القلعة على شفير الخندق لا يستشعرون حذراً
ولا يخشون سهماوا لاجراً وقدامتلاً الخندق حتى أن أسرا مقيدا رعى بنفسه اليه ونجا بعد ما تولى من رعى الفرق
رمى الجحارة عليه وفي بعض الكتب العبادية (ولا الخندق المانع من الإرادة وأنه ليس من الخنادق المعتادة بل هو
وادم من الأودية واسعة الأفنية لمهل المشرع وهجم الموضع فلم يبق الا تدبير طم الخندق والاخذ بعد ذلك من العدو
بالخندق فعملنا ديابات قدمناها وبنينا الى شفير الخندق ثلاثة أسراب باللين سقفتهاها وأحكنهاها فصارت منها الى
طرف الخندق طرق آمنه وشرع الناس في طم الخندق منها ونقومهم مطمئنة وقولهم ساكنة وكان الشرع فيه يوم
الخميس سابع جاذي الأولى وقد تسمى طامه وتبارك الله وتبارك الناس اليه وازدجوا عليه ولم يبق صغير ولا كبير
الا وهو وسبش بالعلم منظر لشري نفع الأمل وقد تجاسروا حتى ازدجوا لحت القلعة ثم أرا كان حادهم في المصطفى
يوم العبد ولا يكفروهم في جامع دمشق ليلة النصف السعيد وهم يحمدا الله من الجراح سامون وبالنصر موقوفون
عاملون وإن أيضاً العدو عن الخندق فالنصر سريع والحسن ومن فيه صريع قد خربت الجحارة حجابها وقطعت
بهم أسبابه ونالته من الأجل كآبه وجرت لثام سورته وحلت بقابه فاناف الأبرجة مجدوده وثنايا الشرقات
مقارعه ورؤس الأبدان مجدوزة وحروف العوامل مهمزورة وبطون السقوف مبقورة وأعضاء الأساقف
مبقورة ووجوه الجدره مساوخته وجاود البواشر متسورة والنصر أشهر من نار على علم والحرب أقوم من ساق على
قدم قال واشرف السلطان على أخذها فوصل الخبر ان الفرق قد تجمعوا وأجاءوا مجدين لاهل الكرك ليزحجوه
عن حصارها فثنى السلطان عنان العزم اليهم وكانوا في منزلة الواله وتلك المواضع ضيقة صعبة المسلك فانظر
السلطان ان يجزوا الى البلقاء وتقدم عنهم بامه يال فرج عوا وقرقوا ولم يبقه وادعى قصد الكرك عزمو ولما
رأى السلطان ان الفرصة من الفتيان فانت مر على نابلس فاغار وغتم وفي طريق عوده نزل على سبسطيه وفيها
مشهد ذكر يا عليه السلام وقد اتخذته الفرنج كنيسة وأودعوها أمتعة نفيسة وبها من الفرنج اسقف وقسس ورهبان
فقدوها باسارى سلبان ولاذوا بالامان معتصمين ثم أتاه على جينيز فاهبط أوجها وهدم برجها وآب بالنهاب
والسببا والرباع والصفايا واجتمع بها على القوار وتحدث بالايحيا لحوادث الغوري القوار

(فصل ١٠) ثم رحل السلطان الى دمشق للاجتماع برسل الخلافة شيخ الشيوخ وبشير وكانوا أوصاراً والسلطان
شما صرا الكرك فاجتمع بهم وأمرهم وكانوا قد همضوا ومات جماعة من أصحابهم وعاد السلطان شيخ الشيوخ كل
يوم وليلة في الرباط بالمتنبيع واستأذن في العود قبل الشفاء فضاقت الصدور بصدر ذلك الصدر على تلك الحاله
وتجرت تلك العثرة كما شاء الله عن القاله ثم استقل وودع أوداع الأبد وكان حسام الدين طمان مقدمه عسكر سنجار
مع السلطان حاضر في الجواد فاذن له في العود وأمره برفقة صدر الدين والرسل معه والرفق بهم في مسيرهم فساروا

في اخبار (٥٧) الدولتين

على سمت الرحبه فاعتنم الامر ظمان بركة ذلك الخبيثه فادركت المنية شهاب الدين بشيرا بالسجنه ووصلوا
 بشيخ الشيوخ الى الرحبه وهناك لقي ربه قال وقد توفاه الله على الوفاء بهده والوفاء بعقده مشيم الكريم كريم
 الشيم صالح العمل ناجح الامل مشارقا للدين في حياته مقبلا على الآخرة قبل وفاته فهو من رفعت سيرته الملائك
 ووضعته في عليين الارائك وكانت وفاته في شعبان بؤراه الله الجنان قلت كان صدر الدين هذا أحد السادة
 وأبوه جده من اكابر الاعيان وشيوخ مشايخ الزمان وهو عبد الرحيم بن اسماعيل بن أبي سعد احمد بن محمد
 النيسابوري وقد كرت ترجمة والده في تاريخ دمشق والحقة ما من أخبار جده بما ذكره أبو سعد النيسابوري في تاريخه
 وقال ابن القادسي توفي صدر الدين في رجب برحبه مالك بن طوق ودفن في قبعة الى جنب نهر الشيخ موفق الدين
 محمد بن المتقنة الرحي وكان مولده في ذي الحجة سنة ثمان وخمسائة وكان شيخا طائفا في العلم والدين والسداد
 ثابت الجنان في الحوادث المتعجبه والوقائع الباغتمة المجلجسة سيد البديهة صافي الذكركه جمع بين نظم
 الشعر ونثر الترسل وكان يرسل الى الاطراف ورث في مشيخة الشيوخ منذ توفي والده في جمادى الاولى سنة إحدى
 واربعين وخمسائة ولم يزل على ذلك الى أن توفي وتولى بعده مشيخة الرباط صفي الدين اسماعيل ومن شعره يعني
 صدر الدين

ولم أخضب مشيبي وهزيرين * لا يشارى جهالات التصابي
 واصكن كي يرائي من أعادي * فارهبه بوثبات الشباب

قلت ووقفت على كتاب فاضلي اليه جرابا عن كتاب عتب فيه (وقف على الخيمة الطيبة والكرامة الصبية والالفاظ
 العذاب الانه الغضاب والتعيم الا انه العذاب والمسماحة الانه الحسب والمشاهاة الا اني أولها أحسن
 تأويلها والمحكمات الا اني هن أم الكتاب ويكني الله مريح الصاب بعسله وارفع قلبه بما لا يعرفه الشجعان من
 أنوف أسله وهذا باب قد أن سده وسيدل قد وجب حده وعين دهر أصابت هذه الموده وقد أن لها أن تنظر طرف
 وتصفرب وبادرة هم قدحان أن تنكشف وتكشف فلا تنظر بعد هذا لعين التي أصابت ولا خط في أثرها
 للظنرة التي آبت ولا كان لا يام في فضل سيدنا على عيده نصيب ولا عدا بأبداع شهاب الرضى عنه مشيب ولا
 تمكن من حبيب وذه الى القبر رقيب ولا ملك رقة غير تلك السيد الكريم ولا سمعت حديثا لحواثم تلك الموده
 القديسه قال العمادوخبرنا من دمشق في شعبان وخمينا على سبع وعشرون الدين فامر ان يرجع بالعسكر الى
 مصر فسار في منتصف الشهر ثم خرجنا من فرض الجهاد الى فرض الصيام بدمشق ورجع كل عسكر الى مركزه ومدح
 العماد في الدين في هذه الذكر بفضيلة ثاقبة نحو خمسة وعشرين بيتا أولها

أذا شئت عن غير قلبي تحسدنا * فما حل فيه الهزم الا ليلينا
 خذا شاهدي صدي على محبة الهوى * ضنا ساكنا مني ووجدنا محمدا
 مريضك أشقى على الناس سقمه * فلا تعجسلا في أمره وترشبا
 ربي على عدوى من جفعا: احبتي * وناهيك من حال عدوى لهارفي
 عهدكم بعد النوى ما تسمعت * وناشئ لذلك العهد ان يتبعنا
 واملك بالملك المظفر فلما فسرنا * من الجد والجدي قديما ومحمدا
 شؤف السطا صعب الا باحسن الدنيا * مري الذي سهل الرضى طيب الدنيا
 صفا آخر المهر من من عمر الذي * به العمران اليوم بالعدل ثلثا
 هم أحد تواقع الضلالة بالهدى * فذلكتوا الرتل في الدين محمدا
 غشائي وغشي أنت حامل نقصه * بفضلك ان البحر يحتمل الغشا

ومنا في وصف القصيدة

وقد سلمت والشاء أو عمر ماتي * فلا فرق عندي بين تاء وبين ثا

(فصل) يحتوي على ذكر المفاصلة بين مصر والشام والنعريف بجمال زين الدين الواعظ الذي كان صلاح الدين

مكتاب (٥٨) الروشيت

يكاتبه بوقائعه وهو الذي هم على عار وأحجابه كما كانوا عموماً عليه من قلب الدولة الناصرية مصر به كسابق
وسبب ذلك هو الله الذي شرع في تفضيل مصر بكتاب كتبه إلى السلطان في هذا العام وقد تقدم القاضي الفاضل
كلان في تفصيل مصر ودم الشام في أوائل أخبار سنة أربع وسبعين وله من كتاب آخر (قد عوانا من بعلبك البلد
الاعسر ومن رأس عينها الضيقة الحجر ومن نجليها الذي تنقش الجبال بعينه ومن بردها الذي لا يشفع البحر عنده
الأياذنه وعمودوا إلى ما زل فتم فيه ومسا كنك فأنما قد علمتها وحشة لقطيها فسألت مطالع دستور ما عن آثار سلاطينها
وأذكر والنيل الذي وفي لكم في هذه السنة نقصه وأني أن يكون ماؤه ذخيرة لغير جود كالأذى أحصاه الله ولم تحصه
وأذكر وأفيضه أوماه وطوبى فقد كان يقم الخفة على نبح الشام ووجهه وشغل لعل برده فيسرى إلى قلب العليل وكان جازيا
على غير طريقه وأذكر وأصحها وأنها وتعصبه لا يامك حتى أنم الله عليكم قبل حجة أجسامنا بصحة أجسامكم) ومن
كتاب آخر (وأما أحوال فاني لم أزل ملتأنا: إذ دخلت دمشق تغربانها وهوائها وأشيئها وأثانها وأوديتها وأدائها
وقراها وقراها ومن لم يصرفني أفتع ما تنبته أرضها من بقلها وقثانها وأربع بردي ومعاها بشرقة من ثمانها وامتنى
من السيف في هجر سوادها وسودائها فالطلل هائل ولا طائل وما كان سمع به من تلك الفضائل متضائل حتى إذا
جاءه فيجده شياً فني بلاد تسجدي ولا تجدي وفعل المال بها (الزم العدي) وقال العماد هذا زين الدين علي بن نجبا
الواعظ من أهل دمشق ومن ساكني مصر وهو ذو فطنة في الوعظ فصحه وبهجة الفصل صحه وقبول من القلوب
وقصور في فصل الخطاب للخطوب وقد أنشأ وتأنل وقيل وأقبل وأحسن السلطان إليه بالاعطيات والآطلاعات
وأجل واعطاه وأجل وأتم له مرادة وكل وكان السلطان يستشيره وبروقه تديرة وعيل إليه لتقديم معرفته وكرم
سميته ووصل في هذه السنة منه كتاب إلى السلطان يشوقه إلى مصر وزيلها ونعمها وسلبها ودار ملكها ودار فلها
وبحراها وخيلها ونشرها وأورجها ومقسه وأوقاسها وأنيبى ناسها وقصور معزها ومنازل عزها وجيزتها وجزيرتها
وخيرتها وجزيرتها وبركتها وبركتها وعدوتها وعدوتها وتعلق القلوب بقلوبها واستلاب النفوس بأساؤها وملقى
الجبرن ومرقى الجبرين وروضة جناتها وجنة رضوانها ومساجدها وجوامعها ومشاهدها ومرابيحها ونواظر
بساتينها ومناظر ميادينها وساحات سراحها وآيات فضائلها ورحاب شوارعها وحلاب مشارعها وشروق غربتها
وغروب شرقيتها وطيب طوبيتها وسار سراحها وبحري فلها وأمر ساها وبجائب بانها وغراب ميناها وبيان
عينها بالسان بلسانها وكياسة أخلاقها ونفاة أعلامها وشتاؤها في الفضل ربيع نصير وغبار عابر وماؤها
كوترى وزراها عبرتى ثم وصف العماد غير ذلك ثم قال وذكر زين الدين الواعظ في كتابه ما دل به على فضيلة تلك الديار
من الآيات والأخبار والأدب والآثار ولو ظفرت به لا وردته بلفظه وجاوته بوعظه أكنى فقدمته فزمت معانيه
وأحكمت معانيه قال فكسبت إلى زين الدين الواعظ في جوابه عن السلطان (عرفنا طبيب الدار المصرية ورقة
هو أنما ونحن نسله المسئلة في طبها وتوفير نصيها ورقة نسيها ورائق نسيها لكن لا ريب أن الشام أفضل وأن
اجسامنا أجزل وأن القلوب إلى قلبه أميل وأن الزلال البارده أعل وأنهم وأنهم في صفة وشتاؤها أعدل
وأن الزهر به أشبه والنبت به أكل وأن الجمال فيه أكمل والكمال فيه أجمل وأن القلوب به أروح والروح به أقبل
ودمشق بعقله المشروطه وعقله المنشوطه وحديثه الناضرة وحديثه الناظرة وهي عين الأساة بل الإنسان عينه
وصبر في نوره في عين نصاره وخبذه خستاه سامتهام وما على محبها ملام وما في روتها ربه وفي كل حيوة حبيبه
ولكل شائب من نوره شائبه وعلى كل ورقة ورقا وعلى كل معانة من قدود البسات عناق وشاديات على
الأعواد تطير وتطرب وساجعها بالآورد تهجم وتعرب وكفهم من جوارس أقيات وسواق جاريات وأنمار
بالأنمان وروح بريحان وفا كهة ورماني وخيرات حسان وجميع ما في سورة الرحمن ونحن نتأول عليه الآمال
أن يرجع إلىنا فتأول على مكرها فأي الآدر بكم تكنيان وقد تمسكنا بالآية والسنة والاجماع وغنيما هذه الأدلة
عن الاختراع والابتداع أما أقسم الله تعالى بدمشق في قوله (والذين وإن يتنن) والقسم من الله لها أدل دليل
على فضلها المصون أم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الشام خيرة الله من أرضه يشوق إليها خيرته من عباده)
هذا أوضع برهان قاطع على انه خير بلاده أما العجايب رضوان الله عليهم أجمعوا وعلى اختيار السكنى بالشام أم أفتح

في أخبار (٥٩) الدولتين

دمشق بكر الاسلام وما سكن الله تعالى ذكره مصر وسماها أرضاً فالدولة والتمهية في جنب فضيلة القسم والاختيار
عنه بالاعلى الحكم وانما كنسبت الفضيلة من الشام بنقل يوسف الصديق اليها عليه افضل الصلوة والسلام ثم
الاقام بالشام اقرب الرباط وأوجب للنشاط وأجرح للعساكر السائرة من سائر الجهات للجهاد وأين فطوبى لأقطب
من سناء سنير وأين ذرى منف المشرى من ذروة الشرف المنيف المنير وأين الحرم الحرم من الحرم المحترم وبينهما
الرق ما بين الفرق والقدم وهبل للثقل مع طول نيبله وطول ذيلك واستطال التسيله بردى في تقع الغليل ونقع
فعليل وما لئلك الكثرة طلاوة هذا القليل وسيل هذا السليل واذا فاجرتا بالجامع وقبة النصر ظهر عند
ذلك قصر القصر على أن باب الفرد يس في الحقيقة باب النصر ومأرأس الطائفة كتاب الحياه ولو كان انما سبابا ناس
لم يحتاجوا الى قياس القياس ويحس لانتجة الوطن كاجفاه ولانأى فضله كآباء وحب الوطن من الايمان ومع هذا
فلا تنكر ان مصر اقلام عظيم الشأن وان مغلها كثير وماها غزير وان عدها غير وان ساكنها ملكاً وأمره ولكن نقول
كما قال المجلس السامى الاجلى الفاضلى اسماء الله ان دمشق تصلىح ان تكون بيننا مصر ولا شك ان احسن ما في
البلاد البستان وزين الدين وفقه الله قد تعرض للشام فلم ير ضان يكون المساوى حتى شرعى عدا المساوى وأهله
يرجع الى الحق ويعيد سداس عاده وفاقه الى الاوفق ان شاء الله قلت وقد قيل في وصف دمشق ومدها شئ
كثير من النظم والنثر واشتمل ما جمعت في أول تاريخ دمشق على قطعة كبيرة تحسنه من ذلك ما وصف شيخنا أبو
الحسن علي بن محمد السخاوى رحمه الله في مقامه تشتمل على الفاخرة دين دمشق ومصر ووصف كل من البلدين باليدى
به وكان أول ما قدم دمشق يذمهها في مكانتها الى مصر نظراً جبالاً وطن ثم لما استقر فيها قرب عبيده وفضلها
في بعض مكانتها وقد ذكر كل ذلك في جزء مستعمل به وأما القاضى الفاضل رحمه الله فقد قال في بعض مكانتها
الى مصر (وما أسير به تلبه الكريم انى وصلت الى دمشق المحروسة حين شرى دردها وورد دردها واخضر زيتها
وحسن نعتها ومقامها وها وصفا وها وتغنت أطهارها وتبعمت ازهارها واقتزهرت زهورها حكي تقود
غزلانها ومالت قصب بانها فانثت ثنى ولدانها فلما قربت من بسايتها ولاح لي فيج مياديتها وتوسط جنبه
واديم وأريت ما يدعه الله فيها سمعت عند ذلك حسا ما يغرد وهزارا يشد دوردد وقرنا يروح ولبلايا شجانه
يروح فوقفت انى على اديمها وأكاد بالدمع أبايتها أسفا على أيام خلت بعد ما حلت منها وفيها فمد ذلك
عادت روى وزال أنى ونوى

وكانت النفس قد ماتت بغصتها * فعند ذلك عادت روحها فيها

قلت ووصف ابضاد دمشق من أهل مصر من يرجع الى قوله ويرضى بحكمه لفضله وفضله وهو الوزير العادل صفى
الدين أبو محمد عبد الله بن علي المعروف بابن شكر في كتاب البصائر له فقال (دمشق زهرة الابصار وعروس الامصار
ومجزى الانهار ومغرس الاشجار ومعرس الشفار ومعبدا الابرار المستغفرين بالاصحار ظلها الممدود ومقامها
الحجود وماؤها المسكوب وعيمها المساوي ومحاسنها الجموعة وفضائلها المروية المسموعة ودرجتها المرفوعة فافهمها
الكثيرة لافلاطونة ولا منوعه ونسجها العليل وهجيرها الاصيل وماؤها السلسيل وقدسها الله تعالى بالذكر
في كتابه وآوى اليها من اختار من أنبيائه وأحبابه فقال تعالى في كتابه المبين (واوتيناها الى ربوت ذات قرار ومعين)
ولم تزل مقر البركات ومعبد النبوات ومثل الرسالات ومسكن ارباب الكرامات وورد في التفضيل بقصتها
من الاخبار ما لا يشك في صحة اسناده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الشام بشرة الله من بلاده فيها خيرة
الله من عباده) ونه في خبر آخر على عظم فضله فقال ان الله ترك كل الى بالشام وأهله وبارك في سكناها وركب
في سكانها أهل الاسلام بقوله عليه السلام (البركة في الشام) وذهب بعض المفسرين من أهل الاجتهاد الى انها ارم
ذات العباد التي لم يخلق مثلها في البلاد) قال (وما أنعم الله تعالى على باسكانى في فدانها وتقيرى لبنانها وزهقى
في فدانها وانسى بانسانها مضيت الى جامعها الجامع وشعقت بادراك البدر منه ادراك الماسع فلما وصلت اليه
وحملت الحبي لديه رأيت مرمى صغرى الراية وروثا حصل من الحسن على النهاية ونورا جلال البصار وجما يفضل

كتاب (٦٠) الروضتين

على جوع الادمصار وعبادة موصولة على الاستقرار وقرآني في آتاء الليل وأطراف النهار ومنقطع عن اليه قد انفقوا في الاعمال في به نفاثات الاعمار والبركات تحف بجوانبه والعباد تشر في زواياه وبحاربه والاخبارت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسند ودرى والمصاحف بين ايدي التالين تشر فلا تطوى والاعلام البرقية ظاهرة فلا تخفى ولا تزدى والخلق منقذون الى خلق قد نذأ أهلها ما وراءهم من العلق والاسلام فيه فاش والجهل به متلاش وهو مما نادى الأولون لعبادتهم وجعلوه ذخرا لآخرتهم وبارح معبد الكمل له اتخذته المجوس واليهود والنصارى قبل الاسلام هيكل وقبه وهو بيت المتقين وسوق المتصدقين لبه للمتجدين ونهار العلماء المحجدين قال (عاشرت أهلها وياشرتهم ثم كآثرهم وكأشقتهم فرأيت سادة ادباء وعلماء انبياء رأيتهم يتناظرون في الفقه مناظرة الواوالمع ولده ويقفون عند كتاب الله فلا يعدلون عن وارض جده ويقصر عنه علم واستبصار ويحطان في علمهم بجميع الاخبار ويتبعون ماوردت به نقاة الاخبار وعامتهم مشغولون بالمعاش آخذون من زياتهم عند كل مسجد أفضل الرياش لا يخوضون لفظ ولا كثار ولا يجتمعون على فسادية في مقيم ولا بعيد الدار) قال (فأقت منها في أسرف البلدان التي هي امودج الجنان وعنوان الدار التي خازنها رضوان والقلوب فيها عندد كرات الله حاضره والنفس بالخير دون الشر كمره)

فصل في باقي حوادث هذه السنة قال العماد كانت اربل ومايجرى معها من البلاد والقلاع من ولايات الموصل معدودة في ولاية السلطان فأراد صاحب اربل ان يفر عنهه ويستعيد البلاد فاذن الى السدان وكتبه وطلب منه مشور ابلاده فكاتبه له وفيه (ان الله لما كان لنا في الارض ووقتنا في اعز الحق واطلها به اداء الفرض رأينا ان تقدم فرض الجهاد في سبيل الله فنوضع سبيله ونقبل على اعلاء كلمة الدين ونصرت بيله ودعو أولياء الله من بلاد الاسلام الى غزواعدائه ونجمع كلمتهم في رفع كلمته العليا في ارضه استئصال اصرمن سمائه في ساعدنا على اداء هذه الفريضة واقتناه هذه الفضيلة يحظى من عوارفتنا الجزيلة بحسن الفضيحة ونجج الواسله ومن أعاد الى الارض واتبع هواه وأعرض عن حق دينه بالاقبال على باطل دياه فان اناب قبلناه وان أصر على غوايته ازلناه وعزلناه) وتفصيل ما كتب في عشوره اربل وقلة ما وأعمالها يرجع ما قطعها الزاين الكبير شهر زور وأعمالها معاديش يت فحقاق معاديش بيت القربا الى الدست والزراريه قال وفي هذه السنة مستحل جادى الاثرة توفي صاحب ماردن وهو قطب الدين بلغازي بن النبي بن تراث بن بلغازي ابن ارقق والامراء الارمنية هم الذين رتقوا فتوق الاسلام أولا وكانوا يتولون بيت المقدس وجوه من الافرنج قبل المصريين وانما أخذوه الفرج سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة من المصريين في الساحل كله مع أهل الشر لخصت الارمنية ديار بكر وما والاها وحلب وأعمالها ونوار نواد ياربكر كابر اعين كابر الى ان انتهى الى هذا قطب الدين أعمال ميفارقين وماردن فلما مات بقيت على ولده وله عشرين سنين وانتهى الى ابن عمه نور الدين مجدين قرا ارسلان ابن داود بن سليمان بن ارقق حصن كينا ونو تبرت والبلاد التي تناسبها وأضاف السلطان اليه ومد وقد كان قطب الدين أولا على مصافاة صاحب الموصل لما بينهم من القرابه ثم أذعن للسلطان ودخل تحت طاعته قلت وفي هذه السنة أيضا توفي خاتمة العرب يوسف بن عبد المؤمن بن علي وولي ابنه يعقوب قال القاضي ابن شداد وبعد عود السلطان من حصار الكرك لوصول رسل الخليفة ومعهم الخلع فلبسها السلطان وألبس أخاه العادل ابن أسد الدين خلعة باعنت لها ثم خلع السلطان خلعة الخليفة على نور الدين بن قرا ارسلان وأعطاه دستور افسار الى بلادهم وصلت رسل زين الدين مستمرها الى السلطان بخران عسكر الموصل وعسكر قزل نزلوا على اربل مع جمعا عاهد الدين قايماز وانهم نهبوا وحرقوا وأنه نصر عليهم وكسرهم فلما سمع ذلك سار من دمشق يطلب البلاد وتقدم الى العساكر فبقيته وسار على طريق المغار ويوس البرقاع الى بعلبك ومضى العماد فانتطع بها وسار السلطان الى حصن ثم الى جده فأقام بها الى ان شق العماد وخلقها وكان الاجل الفاضل يمشى فأرسل الحكيم ابن المطران واسمه أسعد بن الرس الى العاد بعلبك لما سمع مرضه فصار من دمشق الى بعلبك في يوم وليلة وعمل معه عمل من طبلن حذب فبرئ بعون الله تعالى فرجع الى دمشق فلما استقام من اجده رحل الى السلطان فوافقه بجماعة

في أخبار (٦١) الدولتين

(ودخلت سنة إحدى وعشرين) قال العماد والسلطان عظيم بظاهر جهه فسار الى حلب وثلقاء وأخوه العادل واجتمع لهما بالعسكرا فخرج من حلب في صفر لقصده الموصل فصار وقطع الفرات وأقام العسكر ثلاثة أيام بالعبور بها وكان السلطان قد سار الى معاقل الفرات وقلاعه ونواحيه وضياعه وأمر أهلها بالجماعة كل سفينة في الفرات وزورق ومركب وجهها من كل مشرق ومغرب ثم وصل الى حران وفيها مظفر الدين بن زين الدين وهو أخوزين الدين يوسف صاحب اربل وقد كان أول من دخل في خدمة السلطان وأول ما قصد ذلك البلاد في المرة الأولى واقتدى به أخوه وغيره من أصحاب الاطراف في الانتماء الى السلطان وحضر معه حصار عدة بلاد كالموصل وسنجار وأمدو حاب وأظهر من المؤدة فوق ما كان في الحسب وكان كثير الحشال لانه على المسير الى الموصل هذه المرة رسوله وكتاب له وقال رسوله للسلطان ان مظفر اندين اذا عبرتم الفرات يستدرك كل ما فات ويقوم بكل ما يحتاج اليه في تلك البلاد من النفقات والقرامات والازواد وتقدم يوم الوصول الى حران خمسين ألف دينار وكتب خطه بذلك فلما وصل السلطان الى حران لم ير منه ما التزمه الرسول فارتاب به وظن انه سأل مع المواصلة وتوشت الاعدا فيه بذلك وان نيته قد تغيرت فكتب للسلطان انه لم يتغير وان ما التزمه الرسول لم يكن بأمره وهو ابن ماهان فأنزل عنه من مرتبه وهان فقبض السلطان على مظفر الدين ليتبين أمره وشاور فيه أصحابه فأشار بعضهم بآلافه وبعضهم باستبقائه واستألفه ففعل السلطان عنه على ان يسلم اليه قلعتي الرها وحران ففعل ذلك وهو مسرور ببقاء نفسه ثم أعيدت اليه القلعتان في آخر السنة لما رأى السلطان من حركاته استحسنته قال القاضي ابن شداد وسار السلطان حتى أتى حران على طريق الله واللقاء مظفر الدين بالبرية في ثاني عشر المحرم وكان قد وصل اليه عز الدين بن عبد السلام يعني الموصل برسولاه وأمرهم براهيم بن علي بن عبد السلام ويكنى بأبي الخليل فلقه بجمعا بعثهم بجري فاعطاه دسبورا بعد ان أكرمه وسار من غير غرض قلت ومحباب ابن عبد السلام في هذه السيرة من الموصل عمر بن محمد المعروف بابن الشحنة فوجد السلطان بقصيدة أولها

على الحي من وادي الغضا الذفر قوا ❀ سلامه وثوق قدره التسيوق
فما بلغ مدعيه الى قوله

وقالت الى الآمال ان كنت لاحقا ❀ بانباء أيوب فانت الموفق

قال له السلطان لقد وقت وأجاز جازة سنيته ثم قال القاضي وتقدم السلطان الى سيف الدين المشطوبان يسير في في مقدمة العسكر الى رأس عين ووصل السلطان حران في الثاني والعشرين من صفر وفي السادس والعشرين من منه قبض على مظفر الدين لشيء كان جرى منته وحديث كان بلغه عنه رسوله ولم يقف عليه وأنكره وأعاد منه حران والرها ثم أقام في الاعتقال تأديباً له الى مستهل ربيع الأول ثم خلع عليه وطيب قلبه وأعاد عاهية قلعة حران وبلادها التي كانت بيده وأعادها الى قانونه في الاحترام والاكرام ولم يتخلف له سوى قلعة الرها ووعده بها ثم رحل السلطان ثاني ربيع الأول من حران الى رأس عين ووصل في ذلك اليوم رسول الخليفة أرسلان يخبره ان مارك الشرف بأمرهم قد انفتحت كلمتهم على قصد السلطان ان لم يعد عن الموصل وسار دينا وانهم على عزم ضرب المصاف معه ان أصر على ذلك فرحل السلطان يطلب ديسر فوصل ثامن ربيع الأول فعاد الدين بن قرا أرسلان ومعه عسكر نور الدين فالتقاهاهم السلطان واحتارهم ثم رحل من ديسر نحو الموصل حتى نزل موضع يعرف بالاعماليات فرب المومل بحيث يصل من العسكر كل يوم نوبة أخيه فاعطاه دسبورا وقال العماد خرج السلطان من حران في ربيع الأول فرى على رأس عين وداراً فخرج أميرها بأخييه في الخدمة وقدم عماد الدين أبو بكر بن قرا أرسلان بمسارها بكر وأمدني سبعة عن أخيه نور الدين فانه كان من يضاهي رحل الى انصبيين وقدم صاحب الجيزة تسخير ادا ابن أخى صاحب الموصل فأكرمه السلطان ثم سار من أقرب الطرق من دجلة وتكبد طريق الدواعية فنزل على بلد آخر ربيع الأول ثم توجه الى الموصل وخيم على الاعماليات وقدم على السلطان زين الدين صاحب اربل وأول ما بدأ به السلطان يوم نزوله على بلد قبل

كتاب (٦٤) الروضتين

الاسماعيليات ارسال ضياء الدين أبي الفضائل القاسم بن يحيى بن عبد الله الشهرزوري الى الخليفة جماعزم عليه من حصر الموصل فان أهلها واصلين الاعاجم وخطبون لسلطانهم القائم وناقشوا معه في الدنانير والدراهم وانهم يتعززون بالهلوان ويجهزون الاعن الطاعة والاذعان وانهم يرسلون الى الفرنج ويقرون نفوسهم على قصد الشغور وتفرق الجهور وانه ما جاء طمعاً في استضافة ملك ولا استزادة ملك ولا تلعب ثبث قديم ولا تطمع أصل كريم وانما مقصوده الاصلى ومطالبة الكلى ردهم الى طاعة الامام ونصرة الاسلام وكشف ما اعتادوه واعتدوه من الظلم والظلام وكظمهم عن استحلال الحرام وقطعهم عن مواصلة الاعيان والزمامم بما يجب عليهم من حفظ الحار وصاله الارحام فهذا صاحب الجزيرة وهو ابن أخى صاحب الموصل ولى عهد أبيه لم يرع فيه ذمة أخيه وأبعده عما استحققه بالارث والتولية وحرمه ما يستوجب من التربة والتبليه وأخاف حرمة وقطع روجه ولو تمكن منه لاطاح دمه ولو لا خوفه من جانبه وتوقفه من ديب عقاربهم لما التجأ الى هذا الجانب ولما اختار الجانب على الاقارب وهذا صاحب اربل جارا موصل أبو مزين الدين على هو الذى حفظ بيتهم وخلف في أحياتهم ميتهم وهذا ولد في جوارهم مسكون بجزورهم وحديث صاحب الحديثة في حادثته لا تخفى وعين من يشكره من مخافتهم وأقمتهم لا تتركى قلت وفي بعض الكتب الفاضلية عن السلطان الى الديوان (وكان قد تنحب الى الخادم في وقت حركته صاحب تكريت والحديثة وهو يستأذن في استنباعه ما يحكم التقليد الذى تساول هذا وغيره ولم يستأذن في ذلكناستذنا لمخصصا لا لمخلصه من جوار دار الخلافة ولا منهم ما يرى الخادم اخذنا الى ما يجرى في خاص الديوان العز بزع غيرهم ايجزى مجرى ما فى القرب من الجوار والدخول في زمام شرف ذلك الدار فان أذن له استئذناه في صلح انهم معهم أوجهاه مع مباينيه ان اختار المشار اليهم البقاء عليهم وهذا برشرف قد أعوزه علمه وتاج اذا أسبله الخلد الشر يف نظير الخمار منتظمة) وفي كتاب آخر (وما كانوا يداد الله في قتال المذكورين الا كقاطع كفنه يسلم سائر جمعه وكراكب حاد السنان مضطرا في حركه) وأوجب العباد الرسول قصيدة مدح بها صاحب مجد الدين أبي الفضل أولها

فنى الوجدنى ان لا أفق من الوجد * فيا ضلة الاذى اذا ظن ان يهدى
محمي بستم جلد على كل حادث * ولكن على هجر انك ليس بالجسد
ببتعداد خط وارحلكم ليخصمكم * أبو الفضل مجد الدين بالفضل والحمد
رأه الامام الناصر الدين ناصرنا * خفاول تعويل على تجسده المجدى

ومنها

اليك صلاح الدين الجاه أمره * فطرك منه والعقد بالشد والشد
مليك على حرب العدو مصمم * وما زال فيه غالب المد والجد
تساور أفواه الجراح رماحه * مساورة الاميال للآعين الرمد
يحل لنا يا الجربا كثر هجرنا * دم الاصفى الروى بالايض الهندى
ومن لامر المؤمنين كيوסף * ففى قى مراضيه بهجته ندى

قال وشرع السلطان في اقتناع البلاد والتوقيع عليهم على الاجناد وسير الامير سيف الدين على بن أجد المعروف بالمشوب الكارى ومعه الامر امن قبيلته والاكراد من شيعته الى بلد الحكرية وجاعة من الاسراء الحديديه الى العفر وأعلمها لاستفتاح قلاعها واستغلال ضياعها ونصب الجسر ومالك الامر وعبره نظر الدين صاحب حران وغيره من الامراء وخيموا بالجانب الغربى وكان الحرادك شديدا فأمر السلطان بالصبغ عن القتال الى ان يطيب الزمان وأهل الموصل في الحصار وأشرع عليه يتحول دجلة وكان مأوفا قد قل بطريق ذكره فخير بهما زعم انه يمكن سد دجلة وسكها وحق فريضة أخرى وكسرهما ونقلها وتحويلها الى دجلة تنبؤ وتعتطش الموصل اذا الماء عنها انزوى وعرض ذلك على رأى الفقيه العالم خراف الدين أبي شيباع ابن الدهان البغدادى وكان عهد سد زمانه وانسان عين الفضل وعين انسانه وكان منذ عهد قديم سكن الموصل في نخل كبير من أصحاب زين الدين على ولما سمع بكم

في اخبار (٦٣) الدولتين

السلطان تقياً بظله وتعرف الى فضله فصدق المشير بذلك وقال هذا ممكن ولا يتعذر ويتيسر ولا يتعسر ومن كتاب عمادى الى بغداد (وذكر المهندسون أهل الحيرة أنه بسمل تحول دجلة الموصل عنها بحيث يستقيم المصب منها وحينئذ يضطر أهلها الى تسليمها بغير قتال ولا حصول ضرر في تصديق ولا نزال)

(فصل) لا فيما فعل السلطان في أمر خلاط وميفارقين وغيرهما من البلاد قال العماد ثم وصل خبر وفاة شاه أرم من صاحب خلاط فتحول اليها العزم وترجع بها الحزم وكان ورود خبره موثق في العشرين من ربيع الآخر وكان موثق في التاسع منه ولم يخلف ولدا ولا ذقرا به يكون خلفه فيها ووردت كتب الاواباء من أهل بدليس وغيرها الى السلطان بخطبونه لها وهم خائفون من الهجوم ان يتولوها فاختلف الناس على السلطان فمن مشير بالقامة الى انفصال أمر الموصل ومن مشير بالسير الى بلاد الارمن فان الموصل غير فائنة ومن قائل بانقسام العسكر الى الجبهتين فترجع رأى السلطان على السير اليها فكتب الى الخليفة يطلب منه كتاب تقليد بلاد الارمن ودبارك الموصل فجاءه بعد فتح ميفارقين مثال شر يف تقليده النظار في أمر دبارك والنظار في مصالح أيتام مولاهما ثم رحل السلطان عن الموصل في آخر شهر ربيع الآخر وقدّم في مقدمته ناصر الدين محمد بن شيركوه ابن ٤٦ ومظفر الدين صاحب حران وأمرهما ان يسيرا الى خلاط من أقرب الطرق فلما وصلوا وجد سيف الدين بكتر أحد ممالك شاه أرم قد دخلها وجاها وتغلب عليها وجاءهم بلوان في عسكرا الشيركوهي وشمس الدين أوجيغ بن محمد بن ايلدك متولى تلك البلاد قتل من الجانب الآخر وكان وزير خلاط محمد الدين الموفق بن رشي يظفر بالسلطان المودة والمناجحة وهو على خلاف ذلك وكتب الى ناصر الدين ان يقيم على القرب فهو أشد لارهاب العرب ففعل ولو خلاه لسبق اليها وقيل ان هذا الوزير أيضا انفذ الى بلوان وأمره بالانيمان وأظهر له المودة والاحسان والمناجاة الزمان وقرب منها بلوان راسله بالتمرحل اليه مع ابنته زوجة شاه أرم الاموال التي أودعت الخزان ونذّب السلطان اليها الفقيه ضياء الدين عيسى فدخلها وتغلبها وتأملها وتكلم مع الوزير وشاوره فأحال الحال على بلوان وانجاء يقيم المكنان ولو استجبت لبسمل ماصعب الآن وهان شجرت من اسلحة بين السلطان والبلوان وانفصل الامر بينهما كان وقال القاضي ابن شداد وفي ربيع الآخر توفي صاحب خلاط وولي بعده غلام له يدعى بكتره والذي كان وصل رسولا الى خدمة السلطان يستجير فعدل وأحسن الى أهل خلاط وكان متصرفا في طريقته فأطاعه الناس وماوا اليه ولما ملك خلاط امتدت نحوه الاطماع فسارت نحوه البلوان بن ايلدك فلما بلغه ذلك سمر الى خدمة السلطان من يقر رعيه تسليم خلاط اليه وانذاره في جعلته قطع السلطان بخلاط وارتحل عن الموصل متوجها نحوها وسير اليه الفقيه عيسى وغرس الدين قليج بكتر القاعد وتحرر بها فوصلت الرسل وبلوان قد فارب البلاد جدا فخوف بلوان من السلطان وأشعره انه ان قصدته سلم البلاد الى السلطان فطلب بلوان اصلاحه وزوجه بنت لهم وولاه وأعاد البلاد اليه واعتذر الى رسل السلطان وعادوا من غير زبدة وكان السلطان قد نزل على ميفارقين فحاصرها وتقاتلها كثيرا وعلفها وانصب عليها ما يجنيح ومالكها في آخر جمادى الاولى قال العماد واستشعر مرابط دبارك من حركة السلطان وكان قد مات صاحب ماردين كاتق قدّم وبقيت الولاية لولده الكبير وله عشرين سنين وكان القائم بتدبير ملكه نظام الدين ابن اليقش ومات أيضا صاحب آمد نذر الدين محمد بن قرا ارسلان رابع عشر ربيع الاول من هذه السنة وتوفي ابنه قلب الدين سبكان فاحتزروا من السلطان وخافوا ان يسترد بلادهم منهم فنفذ السلطان اليهم شمس الدين بن القراش ليحترقهم في المحاربة والسالة فوجدهم على الشاعة مقيمين واليه راغبين ومنه راغبين ووصل السلطان في جمادى الاولى الى ميفارقين وسبكان دخلها من أمره صاحب ماردين أسد الدين برتقش واستمعى فيها على السلطان فحاصروا ثلثة ايام ثم رأى ان القتال بطول فراسل أميرها الاسدورغ في المواقعة وتبادعوا المقاطعة وكان في المدينة خاتونا انه قرا ارسلان وهي زوجة قلب الدين صاحب ماردين الذي توفي فاحال الاسد الامر على الخنازير فاسلها السلطان ورغبها وضمن لها كل ما تطالب منه ووعدها ان يصار اليها فزال بها وبالاسد حتى لا تافكر بالسلطان لها كل ما كان يأسوا به خدامها وطالبه حسن المشايخ ليركن لها عشا الا فراخ وزوج السلطان ابنته ممز الدين انصافا بحدى كرامة ما وبرم العهد وأحكم العقد وسارع السلطان الى نداء كل

كتاب (٦٤) الروضتين

ما ائتمروه وفتحت ميا فارقين وأقبل صاحب آمد قطب الدين سكان بن نور الدين على ضغرسه الى خدمة السلطان فأكرمه وأعادته الى منصبه وكان معه وزيره قوام الدين أبو عبد الله محمد بن سحاقه وقتل في رمضان من هذه السنة كما سيأتي ثم سار السلطان لقصده الموصل وولى تلك الديار ما هو له حسام الدين سنقر الخلاطى فقتل السلطان على دجلة بكفر زمار بقرب الموصل في شعبان وعزم على انه يشقى في ذلك المصكان فخرجت من الموصل نساء اثنين اليه بكتاب متعريضاً للسلطانة فاعاكرهت السلطان وودعته بالاحسان وقال قد قبلت شفاعتك لكن لا بد من مصلحة تتم ومصالحنا ففعل بهم واستقر الامر على ان يكون عماد الدين زنكي صاحب سجباراً لخصام الموصل وسيطاً في اصلاح ذات البين وحكما فيما يعود لمصلحة الجانبين فانه كانت شفاعته سابقة ورأى بهذا الرأي قضاء الحاجتين وتعطف وتلطف لاجلهن واجلنا حتى وأتى بالكرامة بما يليق بأمثالهن وكن ظناً انه لا يقسم لحرمة قصدهن ولا يصدق ظنونهن وانه لا يعرف حقوقهن ويقضى بحكاهم ديونهن ولا يشغل بأمر لا يؤذن بمراهن فدخلن البلد متاومات متدعات ويلطف الله لأذات معتصبات

(فصل في انتظام الصلح مع أهل الموصل ومرضى السلطان المرضة المشهورة بحمران قال العماد وكان السلطان لما دخل شهر رمضان داوم قراءة القرآن وحفظه واشتغل بالصيام والتقليل من الطعام فظفر راتزاجه وتغير مرضه وتمدد علاجاه وطال مرضه وندم على رد السفراء وسير الى عماد الدين صاحب سجباراً فأنفذ رسوله ليوصيكم ما يعود بسؤله فوصل رسوله خمس الدين بن الكافى وكان من قبل قد سبق القول في تسليم بلاد شهر زور وادعاهما وحجوهما وضياعهما وكذلك ما وراء الزابين من البوازيج والرساق وبلاد القرابلية وبني قنجا في فدخل خمس الدين بن الكافى وخمس الدين قاضى العسكر من جانبنا الى الموصل لاختد العهد على هذا الملتزم ورحل السلطان قبل عيود الفطر يوم وهو من بحر جرانه في عوم وخيمنا على نصيين في شوال ولم يتربع عود الرسول بجزاز الأشغال بل كان الارتحال على الارتحال ثم استمر الصلح وصلح الامر وخطب في جميع بلاد الموصل للسلطان بعد قطع خطبة السيفيه وفي ديار بكر أيضاً والولايات الأربعة وضرب باسمه الدينار والدرهم واتخذ الأشكال وكشف المهم وكتب الأعداء عن السلطان كتاباً الى أخيه سيف الاسلام بالبن بشرح الحال وفيه (ونزل لنا صاحب الموصل عن جميع ما وراء الزاب من البلاد والقلاع والحصون والضمايع وشمر زور ومعاقلها وأعمالها وولايات بني قنجا وولايات القرابلي والبوازيج وعانه وقرنا عليه الموصل وأعمالها على انه يكون بحكمتنا وينفذ عسكر دالى خدمتنا وتكون الخطبة والسكة باسمنا وأن يطلق المظالم ولا يرتكب الماثم وفد حصل لنا من صاحب الموصل ومن جميع من بالجزيرة وديار بكر الطاعة والسكة والخطبة وعت الحمية والزهبة والعزائم الى الجهاد في سبيل الله فزاع وقد زالت العوائق وارتفعت الموانع قال ونفذ السلطان الى شهر زور بموكب مجاهد الدين أيازمر بك فقلابها وتملك ونال المقاصد وأدرك وكان الركبان الاوياتية مستولية بما فشت شملها ونذب النظر في تلك الاعمال القاضى شمس الدين بن الفرائش وأقطع البوازيج لبعض خواصه المهالك وسير الى البلاد ذوايه ورتب فيها لاقامة سن العادل والاحسان أصحابه ووقف ضيعة في البوازيج تعرف بساقيلا على ورثه شيخ الشيوخ بغي داد وقال القاضى بن شداد لما ايس السلطان من أمر خلاط عادالى الموصل فزول بعيداعها وهي الدفعة الثالثة في موضع يقال له كفر زمار وكان الحوشيداً فاقام مدة وفي هذه المدة أتاه شجر شاه من الجزيرة واجتمع به وأعادته الى بلده ومرضى السلطان بكفر زمار مرضاً شديداً فأتاه من غائلته فرحل طالب الحزان وهو مرضى وكان يتجملد لم يرتكب في محبة ووصل حزان شديداً مرضاً وبلغ الى غاية الضعف وايس منه وأرجف دونه ووصل اليه أخوه العادل من حلب ومعه الاطباء قال وكان سبب صلحه مع المواصلات ان عز الدين صاحب الموصل سهرى الى الحليقة يستجده فلحقه منه زبد وسير الى الهيم فلم يحصل منه مزيد فلما وصلت من بغداد وأدبت جواب الرسالة ايس من نجدته فلما بلغه مرضى السلطان وأذلك فرصة وعلموا رقة قلبه وسرعة انقياده في ذلك الوقت فسد بوزن ذلك الامر وجهه الدين الى بيت وفوض الى أمر النسخة وقالوا أمض ما يصلح جهدكم وطاقتكم اليه فسرنا حتى آتينا العسكر والشاسكاهم ايسون من السلطان وكان وصولنا الى أوائل ذي الحجة فاحترنا احتراماً عظيماً وجلس لنا وكان أول جلوسه من مرضه

في أخبار (٦٥) الدولتين

وحلف في يوم عرفة وأخذنا منه بين النهرين أخذناهم من صغير شام وأعطاهما الموصل وحلفته جميعاً ثم أمانه وحلفت أخاه العادل ومات قدس الله روحه وهو على ذلك الصنيع لم يتغير عنه وسرنا عنه وهو جيران وقد غلبنا في الموصل فصار خبر موت ابن أسد الدين صاحب حصص وكانت وفاته يوم عرفة ونحن في العسكر وجلس العادل في العز أوفى في ذلك الأيام كانت وقعة التركمان والأكراد وتغل بينهم خلق عظيم وفي هذا الشهر وصل خبر وفاة بهلول بن أيلدكرو كانت وفاته في سلخ ذي الحجة قال العماد وأقام السلطان على نصيبين أياماً قليلاً ثم رحل إلى حران فالتقي بها عصى الثوري والقنوب بمرض السلطان متخاذلة القوى متواصلة الجوى والفضل خائف من كساده أسف على عنايته مشفق من انخفاض قدره وانقراض عصره والسماح بقول هذا أو أن كسوف سمائي وضروب مائي والدين يندب والملاك يعضب والأيدي إلى الله تعالى مرفوعة والنيات بالآخلاق مشفوعة والكفر في أراجيف والقدر في نصارىف والسلطان كلاً زائداً له زاد في لطف الله أمله وكلما بان ضعفه قوى على الله توكله وأماناً لزمه ليلياً ونهاراً سرا وجهاراً وهو على علف في كل وقت وصاياه ويفرق بقلبي على عفاته عطاياه ومن جليل ذلك أنه اشتد به الحال ليلة ايسر بهامته الاطباء وغلب القنوط وعدم الرجاء فلما أصبح اجتمع المعتقون والوافدون إلى بيته والقاصدون المرحومون جنى جنباه ونحو أفضيه أقيمت منها المدها ولانت اسمعاهم الصخرة الصفا فسأل عن ذلك فقيل هؤلاء وقدك قد اجتمعوا على بابك متأسفين على ما نابك فدعاني وأمرني بكتف أسماهم وتفرق ما جئته في خزائنه من المال عليهم وأمسوا بوابي على الباب سائل وكانظن ان سابه من الالم شغل شاغل فوجدته بذلك السماحة راحه واستمر مدهة في مرضه على بذل جهده وراحه وعرضه وكان خلقه أحسن ما كان في حال الصحة فخطبنا جميعاً بالهبة والسملة السجدة ولا يتجاوز مجلسه من ذوي فضل وأولى بناهه ونسبل بمخاضيون بخصرته أطراف القوائد وبهزبون لمكارمه أعطاف المحامد فثارة في أحكام شرعية ومسائل فقهية وأمنية في صناعات شعرية وأقلنا عريته ومعلم أدبيه ومرة في أحاديث الاجواد وشيم الاجساد ودفعته في ذكر فضائل الجهاد وفرائض التأهب والاستعداد وينذر انه ان خلاصه الله من بقية هذه النوبة وأعفاه من كدر هذه المصيبة ومرارها بالعافية الصافية الحلو اشغل برفع البيت المقدس ولو بسذل نفاس الاموال والانس وان لا يصرف بقية عمره الا في قتال أعداء الله والجهاد في سبيله واتخاذ أهل الاسلام والاقبال على قبيله وانه لا يترك شيعة الجود والسماحة بالموجود والوفاء بالعقود والمحافظة على العهد واتخاذ الموعود قال وربنا استروح في بعض ساعات الليل أوالنهار إلى السماع لاشارة الأطباء به لاجل الثرى والامتناع ولقد كان ذلك المرض محيصاً من الله للذنوب ونزاعاً وتذكروا قنطة من سسنة الغفلة وتنبها قال ربنا سمع العادل في حلب مرض أخيه السلطان ووصله إلى حران بأدب الوصول وصادف وقت القبول وقام بضمط الامور وسياسة الجمهور والجلاوس في كل يوم في النوبة السالفانية انقوى مصالح الرعية واقامة وثيقة السعاط والعمل في كل يوم بالاحتياط والتصدى لكشف المنغالم وبت المكارم وتنفيذ ما يخرج من المراسم ورفع كل خرق وترق كل فتق وحفظ المهابة والقيام عن السلطان في كل مهم يحسن النجابة ولقد نفعنا حضوره ورفع مائد يرد فقد ناعلى خوف من أراجيف تقوى وانتشار خبر سوء لا يطوى لاسما اذا خرج الاطباء وقالوا ما فيه أمل وبسلك عراجل فهما لك ترى الناس يستعرون وابعاد ما بعز عليهم من اعلاقهم ودواهم مستظفرون فرال بحضور العادل كل خفاة وسلم الله برأ قته من كل آفة وكان الملك العزيز عثمان ولد السلطان مع اليه مقتد بالعماله مقتد بالراشديه وكان من جله وصاياه عندا شفاؤه وارجاء ترجى شفاؤه ان ادركت لاجل المحتوم ودنا اليوم المعلوم فقد غلبت أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وكاهم اراده برادى في اقامة الجهاد ملياً فعنى بالذبح سيف الدين أخته وبمترقى الدين ابن أخيه وعثمان وعلى ولد به الملكين العزيز والاذنل ورأى عليهم ما كفا لثيف الدين وثق الدين في الشام ومصر والقول وأقام العادل إلى ان وضح المزاج وضع المنهج وطابت القلوب وغابت الكرب حوصل مع أخيه إلى الحب وتمهله إلى حسن دمشق وهب له نسيم مصرفاً سفة إلى نشر النشوق وسما في ذكر مضيه إلى مصر مع الملك العزيز في سسة اثنتين وثلاثين ووصل الملك الفضل من مصر وبعد الملك المظفر في الدين قال العماد وكانت صدقته إلى التبعة داره وبالابرار باره على ان جوده مستوعب للوجود ولا يترك فضلاً لا لوفود ولما مرض وعرض له

كتاب (٦٦) الروضتين

من الامام معرض قال في اكتب الى الولاة والنواب بالدار المصرية والشامية ان يتهددوا على الفقراء والمساكين من المال المعد للجهل بما نص على قدره في التعمير فلم يبق في المالك الا من وصل اليه نصيب ودعا بالصلوات ومن الله دعائه بحبيب فدفع بالصدقة البلاء ورفع باصدق الولاة ونظر الله الى النيات واسنى سنامنه السنيات ومن جملة تلك الصدقات انه امرني ان اكتب الى نائبه بدمشق الصفي بن القايض ان يتصدق بخمسة آلاف دينار صورية فقلت ما عنده غير دنايره صرية فقال يتصدق بها مصريه خمسة آلاف لفقوز من الثواب باضعاف قال ولما امتد زمان مرضه امر ببناء دار عرس سدس اذقه وحام فبقيت في أربعة وخمسة أيام وكان قد استخضر من دمشق ولديه الصغيرين تورانشاه وماكشاه واهما فأسكنهم فيها مدة مقامه وسماها دار العافية للبره فيها من سقامه ثم اخلاه الى ان ينزل بها ضيفا وجعلها للالوين اليها وقفا وبعدها اتصلت المواصله بين السلطان والمواصله فاهدى السلطان لهم هذا عظمة لصاحب المواصل ولوالده ولصاحبته ولا يته نور الدين رحمه الله وقوم مسيره اليهم بمرى على عشرة آلاف دينار سوى الخيل والطيب والشيء البديع والغريب وجرى امر المواصله على السداد وتجهزوا في النصرة الناصرية على ماسيا في شرحه الى الجهاد وأول بركات الاتفاق فتح البت المقدس وسائر البلاد وتجددت الفتوح واتحدت الملائكة والروح وامتحنت باليسر العمرة وصحت بحطتين الكسرة وخص الله السلطان بفضلته فتح القدس وقضى حاجاته التي كانت في النفس ومسيا في ان شاء الله شرح كل فتح في موضع وكيف أشرق سناء النصر من مطلعته وكتب الفاضل من دمشق الى تقي الدين بمصر (ان العاقبة الناصرية قد استفاضت أخبارها وفاضت أوارها وآثارها وولت العلة والجدد واطقت نارها وانجلي غبارها وتجدد شرارها وما كانت الا فلة وفي الله شرها وعظيمة كفى الاسلام أمرها وثوبة امتحن الله بها نفوسنا فرأى أقل ما عندها صبرها وما كان الله ليضيع الدعاء وقد أخلصته القلوب ولا يوقف الاجابة وان سدت طريقها الذنوب ولا يخلف وعد فرج وقد ايسر صاحب والمحجوب

نعي زاد فيه الدهر ميا * فأصبح بعد نبؤسها نعيما
وما صدق الذنب به لاني * رأيت الشمس تطعم والنجوم

وقد استقبل مولانا السلطان الملك الناصر العاقبة غصنة جديدة والعزيمة ماضية حديد والنشاط الى الجهاد والجنة مبسوط البساط وقد انقضى الحساب وجزا الصراط وعرضنا نحن على الاله وال التي من خوفها كاد الجبل بلع في سم الحنيط) ون كتاب آخر (الاخوال بالحضرة مستقيمة والنعمة بالعاقبة عظيمة والبقية الموهوبة من العمر الناصري كريمة القيمة عرف وعرف الناس شكرها وزم وزموا قدرها فسيوف الجهاد قد كادت تهتز في اغمارها وخيل الله قد كادت تنادي أهلها الركني المعاد طرادها والمسجد الاقصى بمشر تأنيسه بما السعة وحسن منه من القرآن وتظهر دما استولى عليه من رجس الصليان)

(فصل ١٠) في باقي حوادث هذه السنة ومن توفي بها من الاعيان قال العماد في هذه السنة توفيت الخاتون العصمة بدمشق في ذي القعدة وهي عصمة الدين ابنة معين الدين انز وكانت في عصمة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله لما توفي وخلفه السلطان بالشام في حفظ البلاذير والاسلام تزوج بها في سنة اثنين وسبعين وهي من أعف النساء وأعصهن وأجلهن في الصيانة وأزهمن ممتسكة من الدين بالعرف والوفيق ولها أمر نافذ ومعروف وصدقات ورواتب للقاء وادارات بنت لفقهاء والصوفية بدمشق مدرسة ورباطا قلت وكلاهما ينسب اليها فالمدسة داخل دمشق بجملة حجر الذهب قرب الجامع المسمى وبال خارج باب النصر راكب على نهر باناس في أول الشرف القبلي وأما مسجد خاتون في آخر الشرف القبلي من الغرب فهو منسوب الى خاتون أخرى قديمة تقدم ذكرها وهي زمرة بنت جاولي أخت الملك دقاق لاهم وزوج زنكي والد نور الدين رحمه الله قال العماد وذلك سوى وقوفها على معتقها وعوارفها وأيديها وسكان السلطان حينئذ جرح ان في بحر المرض وبجرانه وعنف الامم وعنفه فالتجيزا يوفاتها خوفا على زياد علته وتوغلته وهو يستدعي في كل يوم دبرا ويكتب اليها كتابا بابل ويلي على صنعته من تعب الكتابة والفكر جلا ثميلا حتى سمع نعي ناصر

في أخبار (٦٧) الدولتين

الدين محمد بن شير كوه ابن عمه فغلبت اليه الخناثون وقد تعبدت عنه الهمام المذون وكانت وفاة ناصر الدين محمد بن في التاسع ذي الحجة فجاءته من غير مرن وأجرى السلطان أسد الدين شير كوه ولده على ما كان لوالده ومقابلته بأحسن عيادته قُلت وقبرا الخناثون المذسكون في الزينة المنسوبة اليه بالفتح جسد غاسبون قسلي المنيعة العسكسية وأما ناصر الدين ففقدته زوجته سنة خمس وأربع مئة في الشام بنت أيوب فدفنته في مقبرتها بدرسها بالعونية فهو القبر الأوسط بين قبريها وقبر أخيه جرجهم الله وكانت بنت الشام كثيرة المعروف والبر والصدقات وكتب الفاضل التي بقي (ورد الخبر عشيمة يوم الأربعاء الحادي عشر من ذي الحجة من خمس بأنه لما كان عشيمة يوم الاحد قوت الوقفة انتقل الى رحمة الله ورضوانه المولى الاجل ناصر الدين محمد بن المولى أسد الدين رحمه الله عرض حاداً عجل من طبع البصر ومرد النظر فأناته وانا اليه راجعون وشاهدنا المولى كلبا من ولده أسد الدين شير كوه أحياء الله في كتاب أبيه رحمه الله يقول فيه وكتبته وتصداني حفرته واستقر في قبره فنسأل الله حسن المرجع والخلاص من هول المظلم والموعنة على ساعة هذا المصير ونشكر الله ثم نشكره ونذكر ما يذكره من يذكره أدق النفس السكر به العالمية الشريفة الناصرية وقد تم قبل عام لا يسره التغمم بين يديه وجعل الله أنفسنا فداها فانك نك نعمة علينا كما هي نعمة عليه ولا فرق الله هذا البيت عملاً ولا قضيه حبلاً وأعظم الله أجر الملك المظفر في ابن عمه وأمتعه بقاءه وأعاده من مقابلة قدور الله به ودهه فليس الا لتسلم لا لا يستطعم الحائق له دفعاً وتقويض أمر هذه النفس اليه تعالى فانا لا نملك لها ضرراً ولا نفعاً ولحرف المملوك ان يلتبس الخبر في هذا المعه ويتوقف النكاح عن مرضاهه بئيل بالانباء والاشعار وسبق بما لا يسره السبق به من هذه الاخبار قال العماد في كتابي في الاخرة توفي أنو الخناثون المذكور سعد الدين مسعود بن ابراهيم قد فتننا بما افارق بها ولقد كان من الاكرام الاكابر ومن ذوي الآثار والاشاخر وما رأيت أحسن منه خلقاً وأزكى عرفاً ولم يزل في الدولتين الدورية والصلاحية أمراً مقدماً وعظيماً كما رلفور فضائله وفور فضائله وجيشه شامته وحدته سامته ورغب السلطان وهزوح أخته ان يكون هو أو أخاه أو زوج أخته فزوجها بالحق زوجها مظفر الدين كوكبري بعده قُلت وهي ربيعة خاتون بنت أيوب فموت الجان فوفيت بدمشق بدار أبيها وهي دار القتي في شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وخمسة وهي آخر أولاد أيوب لصلبه وموتا وكان يحترمه المملوك من أولاد اخوته وأولادهم ويزورون في دارها قال وفيها توفي الأمير عز الدين جاولي وهو من أكابر الامراء وله مواقف جيدة في الجيحاء بحسن بلاؤه وصدق غداؤه والمعادنا بعد فسخ مفاقرتين الى المصل طرقه البلاء في طريقه فتر حصانه على بعض السواق فغيره وانكسرت رجله ثم عملت عليه قدمه واشتد ألمه وطال بدسه واستقل الى دمشق وتوفي بها في آخر هذه السنة أو في سنة اثنتين وخمسين ولقد جلع الاسلام منه بدمشق شيخ لعمار الكفر متبع قال وفيها يوم الأربعاء ثامن رمضان قتل بآمدوزراي قرا ارسلان وهو قوام الدين أبو سعيد الدين بن ساققة قلته مما ليك مخدومه غيرك وتجاره في مباحته بالتل حله وذلك انه كان جالساً في ديوانه رايوانه متصدراً بمكانته في مكانه وعنده الاكابر والامائل فدخل عليه واحد منهم وقال له المالك يدك عرك وحلك فقام فدخل الدهليز وقد أغلق الباب الذي يصل منه الى الامير وأغلق وراءه الباب الاخر وقتلوه ثم أخرجوا الصلاح من جسده وهو أحد الامراء الاكابر فقتل أولئك الثقاتين وكانوا بواثقين قال وفيها توفي الشيخ مهذب الدين عبد الله بن أسعد الموصلي وكان المدرس بها وكان علامة زماناً في علمه ونسب وحده في نظامه وقد أوردت من شعره في صدر الكتاب ما يستدل به على فضله وانه من عظم الدهر مثله واشترت كتبه ما غلى الايمان وألخ بحره قلارند الموزا والمربان قال وفي هذه السنة رذ السلطان قلعني الزهاو حران الى مفاقر الدين كوكبري بن زين الدين انوفرة في الخدمة على حفظ القوانين وظهر منه كل ما حقق به الاستظهار وأوجب لامر الامرار ورغب في مصاهرة السلطان وقتله طوق الامتنان قال وكان السلطان قد سكت نفسه للقيام وأراد ان تحسن حركته بعد استكمال السكون وعنده أولاد الاضاغر والمالك العزيز والمالك الظاهر بدمشق والانتقل بصر المملوك الخناثون وناصر الدين وخلاشيه أسد الدين بعد في العرب ونقيب على بلاده لصعرا ولاده واحتج أيضاً الى الاحتياط على ما في خزائنه واستقر حج فائته وكذلك الخناثون خلفت املاكا وراثنا وأوقافاً وأمتعة وأنما لم يكن من المير كندب وقدم الكلب الى

كتاب (٧٠) الروستين

لك وأنا أقتنع من أختي باق طاعين كان وأزيم الخدمة ولا أفارق السلطان فاطمها من أبيك ان كانت ترضيك وجاء الى السلطان وقال هذه الحب مع غيتي فيها ويحبني لتزليها أرى أن أهدأ ولادك بها أحق وهذا ولد الملك الظاهر أحب ان أوترها فقال السلطان المهم الآن تدبير وذي الملك العزيز فان مصر لا بد ان يكون لي بها ولدا يعتمد عليه وأستدكم لها إليه ورحل الى الزقار ومعه ولده العزيز والظاهر وأخوه العادل فالتس العادل عرض حلب بلادا عينها ونواحي مصر شيئا وكان قد مال الملك العزيز اليه لاشفاقه عليه فسأل أباه ان يسير معه العادل فانه نعم الكافي الكافل فأعطاه السلطان مصر البلاد المعروفة بالشرقية واعتمد عليه في نيابته في سائر الملك المصرية وما سمع في الدين هذا الخبر بناوشر وذم الغير واستبدل من الصف والي الكدر وغار من تغير الراي فيه واذا تولى أبو بكر فلاحر فغير الراي الجسيرة مظهر الله بعضى البلاد المغرب ليعملها وكتب يسأل السلطان ان لا يمنعه من ساوكم مسلكها وسيمت همته الى المملكة جديده وأقال ذات طلال مديده وبلاد واسعة ومدن شاسعه وقد كان أحدهما اليه المعروف بقرأوش قد جمع من قبل الجيوش وسار الى بلاد برقة فملكها وهزته الامنية للنفاث من بلاد نفوسة فادرها وتجاوز الى افر بقة وهو يكتب أبدا الى مالكة الملك المنظر يرثيه في تلك المملكة ويقول ان البلاد ساقية للملحم قد تلقى الدين ما يتجدد وهذه لعمري العادل مات بعد عادله ذكر المغرب فغير بمسكه ومالت اليه حسا كرم مصر ليلته وقدم مملوكه بوزي المقدمة فلما انتهى الى السلطان خسر عزمه قال لعمرى ان فقع المغرب مهم لكن فقع البيت المقدس أهم والشاذ فيه أتم والمصلحة منه أخص وأعم واذا توجهت في الدين واستعجب مع رجال المعروفة ذهب العري في اقتناء الرجال اذا فقعنا القدس والساحل طوي نال تلك الملك المراحل وعلم فحاجت في الدين في ركوب تلك الكفة فكتب اليه يأمره بالقدم عليه وجهه ولده العزيز الى مصر وتشر له قوس وأعمالها سار ومعه العادل فدخل القاهرة وفي خامس شهر رمضان وأما الملك الظاهر فسيره السلطان الى حلب وأتم عليه بها وبسائر قلاعها وأقالها ونذب معه الحاجب شجاع الدين عيسى بن بلشوعا دال السلطان ومعه الأفضل وقدم في الدين في آخر شعبان وتلقاه السلطان ونجم على المصري فوق قصر أرم حكيم فلما قرب ركبكيك اليه وكبه ورحب به ودخل دمشق وعاد الى ما كان له من البلاد ومنهج والمعز وسائر أعمالها ثم أضاف اليه مفاقرتين وجميع رافى ذلك الاقليم من المعازل وكتب الى مصر باستدعاء رجاله واعلامهم بتأخير عزم المغرب بل بطلاله فامتنوا الامر وفارقوا الى الشام مصر سوى مملوكه زين الدين بوز بافانه رتب له عسكر الى المغرب فغنى واستعجبه وغلب على بلاد افر بقة ثم قصد صواب المغرب فأخذته مأسورا ثم أغزا مع الغزو في نهر من النهر فالفناه مشهورا مشكورا فقدمه عليهم قتل وكتب الفضائل الى تقي الدين (سبب هذا الخدمة مما اتصل بالمملوك من ترد در سائل مولانا في التماس السفر الى الغرب والذب وتورايه (يكفي الزمان غالى الناس بجل) يامولانا ما هذا الواقع الذي وقع وبها هذا الغريم من الهم الذي ما ندفع بالامس ما كان لكم من الدنيا الباطنة واليوم قد وهب الله هذه النعمة وقد كان الشمل يجمعوا والهم مقفوا وعانجوا افنتج الان الدنيا ضيقة علينا وقد وسعت والاسباب بنا مقطوعة ولا والله ما انقطعتم يامولانا الى ابن والعالية وهل نحن في ضائقة من عيش أو في قلة من عداد وفي عدم من بلاد أو في شكوى من عدم كيف نفخرنا على الله وقد اختار لنا وكيف ندير لافتناسا وهر قد برنا وكيف نتج الجذب ونحن في دار الحصب وكيف نعدل الى حرب الاسلام المنى عنها ونحن في المصدع واليهما من حرب أهل الحرب معاشر الخدم والجيش وأرباب العقول والاراء أليس فيكم رجل رشيد

تتعب الراي وانظر في أواخره ❦ فلما انتمت قدما أوائله

لا زال مولانا بعضى الاراء صائبة ويخطها بادية وعاقبه ولا خلت منه دار ان خلت فها ان تعمر ولا عدته ثم أيام ان لم تطلع فيها خمس وجهه دخلت في عداد البائى فلم تذكر وقال القاضي ابن شداد في سابع عشر جمادى الاولى سنة اثنى عشر وشانين وبسبب الملك الأفضل الى دمشق ولم يكن رأى الشام قبل ذلك وكان السلطان رأى روح الملك العادل الى مصر فانه كان أنس باله والهمان الملك المنظر فزال يشاوضه في ذلك وهو على حوان من رضى وحصل ذلك في نفس العادل فانه كان يحب الدار المصرية فلما عاد السلطان الى دمشق ومن الله بها في تسيير يطلب العادل

في اخبار (٧١) الدولتين

الى دمشق فتحه زن من حلب جريده وأقام به دمشق في خدمة السلطان يجرى بينهما أحداث ومراجعات في قواعدة قرر
الى جادى الآخرة فاستقر عود السلطان الى مصر ويسلم بلاد حلب الى الظاهر ويسلم السلطان اليه ولده الملك العزيز
وجعله أتابكها قال ولقد قال لي الملك العادل لما استقرت هذه القاعدات جئتم بخدمة الملك العزيز والملك الظاهر
وجلس بينهما وقلت للعزيز زاعم يا مولاي ان السلطان قد أمرني ان أسير في خدمتك الى مصر وأنا أعلم ان المفسدين
كثير وغدا أنا بالخلافين يقول ما لا يجوز عني ويخوفك مني فان كان لك عزم تسع فقل لي حتى لا أبقي فقال لا أسمع
وكيف يكون ذلك ثم التفت وقالت الملك الظاهر أنا أعرف ان أخاك رجاس في أقوال المفسدين وأنا هنا في الأنت
وقد صنعت منك منجى متى ضاق صدرى من جانبك فقال مبارك وذكر كل خير ثم ان السلطان سير ولده الظاهر الى
حلب وأعادها اليه وكان رجاء الله يعلم ان حلب هي أصل الممالك وحرثه وقاعدته ولهذا دأب في طلبها ذلك الدأب
ولما حصلت له أعرض عن أعداءه من بلاد الشرق وتمنع منهم بالطاعة والعونة الى الجهاد فبها اليه علمائهم بمجدايته
وحزمه وحفظه فسار حتى أتى العين المبركة وتوسر في خدمته شحنة حمام الدين بشارة ووالى المشايخ ابا عبد الله بن
بلاش ووزل يوم الجمعة بالعين المباركة وتخرج الناس الى لقائه في بكرة السبت تاسع جادى الآخرة وصعد القلعة ضاحي
نهاره وفرح الناس به فرحاشدا ومضى على الناس جناح عدله وأفاض عليهم وابل فضله وأما الملك العزيز والعاقل
فان السلطان قرر حاله وكتب الى الملك الظاهر يخبره بسيرها الى مصر وأمره بالوصول الى الشام فشق ذلك عليه
حتى ظهر للناس وعزم على المسير الى ديار العرب الى برقة فقبض ذلك عليه جماعة من أتابك الدولة وعرفوا ان عزمه
السلطان يخرج من يد هذه الحال وأنه يلهو ما يكون منه بعد ذلك فرأى الحق يعين البصيرة وأجاب بالسمع والطاعة
وسلم البلاد ورجل واصل الى خدمة السلطان فسار السلطان الى لقائه فلقاه من خرج الصفر وفرح بوضوئه فرحاشدا
وذلك في الثالث والعشرين من شعبان وأعطاه جواهرها وكان عقد بين الظاهر وبعض بنات العادل عقد نكاح
فتم ذلك ودخل بها يوم الاربعاء السادس والعشرين من شهر رمضان ودخل الملك الأفضل على زوجته بنت ناصر
الدين محمد بن شيركوه في شوال من هذه السنة ومن آداب فاضلي الى السلطان (الملك العادل والملك الظاهر) المذكوران
ماها أخ وابن أخ بل هما ولدان لا يعرفان الا المولى والدا ومشعرا وكل واحد منهما مالعهش كثير الزناخ وبيت كرقعة
السطر في صغار وبارك كالبياض والرخاخ فلا يقنع كل واحد منهما الا طرف يملكه وأعلم بتفريده في يد مولانا
في ذلك بما يقتضيه صدره الواسع وجنوده الذي انفار مثله الناصر ولا يسمع السامع ولا ينس قول من من الخطاب
رضى الله عنه ميرا والقرابة ان يزاو ولا يزاو ولا يزاو وما على مولانا بحسبنا في تدبير يدبره ولا في أمر يقدره
(وسندى لك الايام ما كنت عارفا) وفي غدا ما ليس في اليوم ولله أقدر وابنا المدرة قد رزق الله مولانا زيدا وقد
لوقد تمت أشهبين به ولوا كخلف اجنابا بغير قدميه ما فهمان يشكى منه الا التزيد في الطلب وهومن باب
الثقة بكر المنعم ولهم ولاد والمولى مدا التمال لهم كما قال مولى الامة (تناكروا تناسلوا ناني مكاشركم الاثم) ظالمات لهم
المولى لداو على تجهيز الاناث وغنى الذكور ورواء على أفق هذا البيت طابوع الشهور والديون قال العادل ومحدث
تقى الدين بقصيدة تسميتها سنة فطوفها دانية جنبه تشتمل على مائة وأربعين بيتا أنشدتها ياها في ثالث شهر رمضان
من هذه السنة بدمشق وأوردت بعضها وما لها

عفا الله عنكم عن ذوى الشوق نفسا ويا
ألم تعالوا الى من الشوق موز
ظننتم بعني أنها تألف الكرى
وليس لقلبي في السرور تصرف
لفتك شحيتة تقطط طسرفه
له ناظر عسك الخلف مناظر
اذ ادست الحاذية السحر أصبحت
فقد تذاذت بما قارب وانفس
فهي لا يعنى طربسج
وقد عسى من سقم عينيه بعس
يقول دليل الدل عندى اويس
رسوم اصطبارى در ساجين دوس

كتاب (٧٢) الروضتين

ولم أنس أنسى الجلى رعى الجلى * عشية على مجنى ومجلى ومجلس
لحن الله أبناء الزمان فساكنهم * صبيحة أودى بها المتسلسل
ولولا ابتسامات المظفر بالندى * لما راق نفسى صبحته المتنفس
جلت شمس لقياء الخنادس بعدما * عرتا وهل يبقى مع الشمس خندس
وصار به هذا الزمان جميعه * نهارا لئلا الناس ليل معس
أذا صال فالمغاول ألف مدرع * وإن جاد فالبدول ألف مكس
وليس بمغرون على فضل رأيه * ويغن فى الأموال منه ويخس
إذا أطلق الملك المظفر فى الوغى * اعتته فالشمس بالنقع تخس
فذلك مساوئ لا يلين داغيا * وكاهم عن دعوة الحق يخس
تشكى إليك الغرب جور ماركه * فاشك به والجور بالعدل يعكس
سيهدى إلى المادية النصر والهدى * بهديك فيها ونؤنس ونؤنس
رددت كرايس القرىخ وكاهم * لدى الاسرى غل الصغار كدس
وبعضت وجه الدين يوم لقيهم * وأيضك من اسود القصر اشوس
أفاددم الانحاس طهره وفك * وما يستفاد الطهر لولا التجسس
شمس طلي تغدو طها الهام سجدا * فله نصرانية تخبس
ولم كفى الاسلام سوءا لمكسكم * كفتيم على رغم المعادين كل سو
ولا يفخر البيت المقدس غيركم * وينك من كل عاب مقدس
هم كل يوم فى جهاد مثلك * اذا نصروا التوحيد فى خميس
إذا ما تقي الدين صال تساقطت * لاقدامه من عصبة الشركارؤس
وما عا الا شبيهه به * شديدي على الاعداء ثبت عرس

(فصل ١) فى باقى حوادث هذه السنة قال العماد كان المنجمون فى جميع البلاد يتكهنون بخراب العالم فى هذه السنة فى شعبان عند اجتماع الكواكب الستة فى الميزان بطوفان الريح فى سائر البلدان وخوفوا بذلك من لا وثوق له باليقين ولا احكام له فى الدين من ماولك الاعاجم والروم وأشعروهم من تأثيرات النجوم قسروا فى شرم غارات فى النجوم وتعميق بيوت فى الاسراب وتوثيقها وسد منافسها على الريح وقطع طريقها ونهقوا اليها الماء والازواد وانتفاوا اليها وانتفروا الميعاد وكلما سمعنا بأخبارهم استغربنا فى الضحك من عقوبهم وسلطاننا منكم من أباطيل المنجمين موقن ان قولهم مبنى على الكذب والتخمين لما كانت اليلة التى عينها المنجمون مثل ربه عاد وتدد شارفنا الميعاد ونحن جالس عند السلطان فى فضاء واسع واننا سمعنا المزهرات جامع وما يخررك لنا نسيم ولا سرح الهواء فى رعى منابت الانوار مسيم فما رأينا اليلة مثلهما فى ركودها وركونها وهما وهما وهما وهما قال ابن القادسي وحكم كبحجبات النجوم ان فى الشمان والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة تقترن الكواكب السبارة الخمسة والشمس والبرق فى برج الميزان ويؤثر ذلك هواء عظيم وغيا سموميا وفى يوم الثلاثاء التاسع والعشرين تملك البلاد وتقبل الزل ونحو ذلك الخ الخار (١) وقالوا يكون أشد ذلك من ليلة الثلاثاء الى نصف ليلة الاربعاء فاستعد لذلك أقوام فى البلاد وجهوا الكهك وحفروا الميراديب فأهل رجب ما جرى ما قالوا شئ خفى أهل التخييل لذلك ولم يصب فى ذلك اليوم هواء اليلة وكان الزمان حارا واشتد الحر فى ذلك اليوم وبعد ذلك بظهر رما قالوا شئ وعمل الشعراء فى ذلك شهر ايزرون عليهم فى حكمهم منهم بنجم الدين أبو الغنائم يحمدين على بن العلم الهرفى وغفر الدين عيسى بن مودود دزار قلعة تكريت وأبوا الفتح سبط ابن التما وبذى قال أبو الغنائم بن العلم

(١) وعلى هامش الأصل المنقول منه لعله الخوارزمي

في اخبار (٧٣) الدولتين

فل لا في الفضل قول معترف * مضى جادى وجاء نار حجب
وما جرت زرعنا كاحموا * ولا بدا كوكب له ذنب
كلا ولا طمات ذكاء ولا * أبدت أذى في قرأنا الشهب
يقضى عليها من ليس بعلماء * يقضى عليه هذا هو العجب
فأرم بقوىك الفرات والأصمطر لا بخر من سفره الخشب
قد بان كذب المتجهين وفي * أى مقال قالوا كذبوا
مدبر الأمر واحد ومضى * للسمع في كل حادث سبب
لا المشتري سالم ولا زحل * باق ولا زرع ولا قطب
تبارك الله حصص الحق والنجاة * ب التمامى وزالت الرب
فليطبل المدعون ما وضعوا * في كتبهم ولتفرق الكتب

وقال عيسى بن عودود

مضى القوم والنجى فقد بان الخفاء * انما القوم والنجى هواء وهباء
قلت للسبعة ابرا * م ومنع وعطاء * ومتى ينزل في المسير ان يستولى الهواء
وتسير الزمل حتى * يتلى منه القضاء * ويوم الارض خسف * وخراب وسلاء
ويصير القناع كلقصف وكالطود العراء * وحكمته فاني الحما * كم الا ما يشاء
ما انى الشعر ولا * جاءت بهذا الانبياء * فبقم ضحكك تفسد * ضحك منها العلماء
حسبكم خيرا وعاراء ما تقول الشعراء * ثم ما أطعمكم في السبعكم الا الامراء
ليت اذ لم يحسوا في الدين ظننا ما ساءوا * فعلى اصطرلاب بطليموس والريح العقاء
وعليه الحرقى ما * جادت على الارض السماء

ولم يدكر شعر سبط ابن التماوى قال وفي السابع والعشرين من شوال توفي محمد بن عبد الله بن بربن بن عبد الجبار
البحوى وكان آية في الخوذة عالم صالحا وكان مبادى أمر دنياه حدث عن ابن الخطاب ومروشد من صادق وغيرهما
قال العماد وفي هذه السنة جاء نبي أنا بك محمد بن أنا بك يلدكز المعروف بالهوان وهو الذي كان نزل على خلط في العام
الماضى وكانت جملة من تصلة الجد والجسدى واضرب من بعده تلك الممالك واختربت اصفهان والى اليوم من
سنة أربع وتسعين ما وضعت الحرب أوزارها وتولى بعده آخره قتل ارسلان فا زال مهابة المالك السلجوقى وسلك
بمسجد السعيد الشقى الى ان ذهب فانضع المالك وانقطع السالك واتسع الهلاك وطمعت خراسان في العراق وعدمت
الافاقه من الاتفاق وانجلى مطالع الاشراف قال واشتغل السلطان في بقية سنة اثنين وخمسين بدمشق بالصيد
والقنص والانتهاز فيه لبادر الفرس وكان يركب الى تل راهط للصيد بالبراة والشواهد من مع هاليكه الا فرار من المامنين
وله شاهين يجرى كأنه يجرى اذا حلق فشرار وان احرق جشمه فذكر صا لى يوسف يعقوبا وعقر بالبحار وعد صيده عرقوا
فطلبته من السلطان فقال أنت لائق والدواوين فمالك والبر والشراهين فقلت يكون في ملكي وكل ما بقنصه
يا امرى به المولى وهذا امرى به وانفع وأولى فقال نعم فلما أصبح سيرا لى سبع عشرة نفقة من طير وحجل وقال
هذا صيد شاهينك في طائى واحد على عجل فليك ذلك الشاهين خمس سنين والسلطان يصطاد به
ولى قصصه وله مطاعه ولى قصصه فصار الى على هذا الحق بحفاظا وهذه التكملة ملاحظا الى ان أودى الجبارح
وانقطعت تلك المناجم فبأنه دره من سلطان لم ينس ذكر هذه القضية التي أعاد من جهاجدا واعتده لى حقا معدا
قدون حقه على مثله ان يوسف ومن حقا بعده ان تشاور (يا أسنى على يوسف) قال ولما دخل شهر رمضان فروع
أقسام الانعام وانفق ان بعض التجار كانت بضاعته باقير رقيه وما لى اتفاق وهى أكثر من مائة قطعة فعملها الى
الخرانة السلطانية في بضاعات وقال خذوها واكتبروا لى بأثمانها فى مصر على بعض الجمادات فاشتريت منه
بما كان يرجوه من الربح وكان من كرم شسيم السلطان اذا عرف فى خزانته موجودا انه لا يستطيق تلك الالة حتى

كتاب (٧٤) الروضتين

بفرقه جودا فقال في قداجمعت ليا بآقير وعما ثم وقد تناضعتي نفسي بملعهما على أهل الفضل والمكرم فنبذ بأهل الدين والندوى ويجعل لهم أوفر حظ من الجدوى وكان في الوافدين ومن أهل البلد وعاط وعلماء وحفاظ فيكون كل يوم بكثرة يؤمنان يتكلم على المنبر ويذكرنا بالخلل والحرام والبعث والمحشر ثم يصلح عليهم وعلى القراءة فاشغل مدة اسبوعين بالمواظرة ووضع المنبر في ابواب القلعة فقلنا بقي احضار النخلة في المدة الباقية من الشهر فقال انهم بعضي بهم الخلاف الى التشاجر والتضاعن فقلنا أنا أضعهم ولا يحضر الا أوفرهم وأرزنهم فاستبدل أول يوم برهان الدين مسعود مدرس الحنفية في المدرسة المعمورة النورية واعترض عليه الامام الكاتب وفي اليوم الثاني استبدل أكبر مشايخ الحنفية بدر الدين عسكروا واعترض عليه قاضي القضاة محي الدين الزكي فكان السلطان يجلس في كل يوم لطائفة فلما دنا العبد أمر بالتياع العماغم وغيرهما وصرفها اليهم قال القاضي بن شدداد في شهر ربيع الاول من سنة اثنتين وثمانين وقعت وتعت كثيرة بين التركمان والاكراد بأرض نصيبين وغيرها وقتل من الفئتين من سنة اثنتين وثمانين وبلغ السلطان من معين الدين بن معين الدين قد عدى بالراوندان فكتب الي عسكروا ان حاصره وكان زوهم عليه في العشر الاول من سنة اثنتين وثمانين وأعطى برج الاصاص لآقير في بقية ذلك الشهر وفي ثاني جمادى الاولى وصل معين الدين من الراوندان وتسلمه الى علم الدين سليمان ثم مضى الى خدمة السلطان قال ابن القادسي وقدم الحاج في عاشر صفر فآخبروا ان سيف الاسلام اخصاص الدين ملك مكة وضرب الدنانير فيها بدم أخيه ومنع من قومه حتى على الخبر الجمل بشرط على العبدان لا يؤذوا الحاج وأخبر الحاج ان قتل باب الكعبة عسكروا فتحوا ما فتح في المدونة أربعة وثلاثون شخصاً من بين رجل وامرأة قال ووصل الخبر بان ربحنا همت بالصره فكمسرت فنجلا كثيراً وماتت بها ثم كثيرة ووصل الخبر الى بغداد فقتل البهوان وان القتل وقع هناك وأحرقت المحال ونهب الاموال واقتتل أهل المذاهب واحترقت مدارس وبقي الامر على ذلك من سابع محرم الى ربيع الآخر فاحصوا من القتل أربعة آلاف رجل وسبع عشر زامراً بعد ان احترق اطفال في المهود بالليل وقام نزل أخوا البهوان فكيف الناس وكان قتل قدر تب شهنة في اصفهان بعد الفتنة التي وقعت بها وبعده ألف فارس فما زال يهذب البلاد والساقين والقتل والصلب وصادروهم وأشيع على قتل بان يلزم أهل البلد سبعين ألف دينار فقال له الشحنة أهل البلد فقراء فقال بعض المصالحمة لقتل ما نأخذ الا من الاغنياء فوشب عسكروا قتل المصلحي وكان العيار متعلقا على قاضي البلد فوكل الشحنة بدر القادسي بقضاء ابن الخجندى الى دار القادسي فحسن له اخراج الموكمين به وبجاء الفاعل اخرج الشحنة من البلد وان يقطعوا خطبة السلطان الذي نصب قتل ففعل ذلك في سابع شوال ثم كثر القتل في البلد فبكل من في قلبه على احد شروى عليه فقتله من رجل أو امرأه وكان القتل الكبر في أصحاب ابن الخجندى وكان الحرقي والنهب واحرق الدور في أصحاب القادسي وجرى القتال يوم عرفة ويوم العيد ودام وبطل الناس من المعاش وخربت الاسواق وتبع الغلاومات الناس من الجوع وبقي أهل اصفهان على قدم الحرق وأخذت ثياب الناس فلا يجاسر أحد ان يلبس ثوبا جديدا او العيارون يأخذون أمرا لالناس مقاولا وهرب الناس من اصفهان

(فصل) قال القادسي ما قدره الله تعالى من اسباب نصره الاسلام ووهن الكفر ان قص طرابلس رغب في مصافاة السلطان والالتصا اليه والمساعدة له على أهل ملته بسبب انه كان تزوج بالتحصية صاحبة طهرية وكان أخوها الملك الخجندوم لما هلك أوصى بالملك لابن أخته وهذه هو صغير قزوين اخمص أمه وبها مات الصغير واتقل الملك الى أمه ثم انهما مدت عينها الى بعض المتقدمين من العرب فترجته وفوضت الملك اليه فسرع عذب بحساب البلاد من القدم مص فوقع الاختلاف بينهم فذلك فاتحا القمص الى ظل السلطان فصار له جلة الاتباع فقلبه السلطان وقواه وشده عضده باطلاق من كان في الاسر من أصحابه فقويت معانجته لسائين حتى كاد لولا خوف أهل ملته يسلم وصار بدولة السلطان وملكه يتسم ومال اليه من الفرنج جماعة وظهرت له منهم للاطماع طاعة ودخلت الى بلادهم من جانبه السرايا وخرجت بالغنائم والسببايا وأعطى الدنية في دينه بما استنداه من العطايا فصار للنرجيد فعون شره ويحذرون مكره فترايدارونه وأوتيه تبارونه وللقمص قوم صدق يساعدهونه في كل حق

في اخبار (٧٥) الدولتين

وباطل فيهم أهل الساحل بشغل شاغل وهذا الملك المجنوم هو ابن الملك أماري بن فلك وهو مولى الذي تقدم ذكره وتوفي أماري في آخر سنة تسع وستين سنة مائة وثلثين من الهجرة النبوية وخلفه المعلن بهذا الولد المجنوم فبقي بينهم زهاء عشرين ملكا متعاقبا فلما حضر الموت أوصى لابن أخته بالملك قال وكان ابن الرسل الكرك رانطا أعذر الفرجية وأخذهما عن الردي والراء وأجتمعا وأفضعهما لأرائيق الحسكة والأيمان بالبرية وأتكنهما وأحنتهما ومعه شرذمة الهائس زده وهي من شر أمه على طريق الخجاز ومن بهما لمج على الخجاز وكنىها في كل سنة تغزوه وباليوائق نعروه ويصيدها من الكرو فاطهر رانطا على الهندية وخب لاسل وأخذ الأمان بالبداهة وأهلها وقومهم وجهه وبق الأمان لشاملا والقتل من مصر فطريق بلدته متواصل وهو عكن الجاني والذاهب حتى لاحت له فرصة في الدردرة طاع الطريق وأخاف السبل ووقع في خافلة تقتله معها نجله فأخذها بأسرها وكان معها جماعة من الأخاند فأوقعهم في الشرك وجعلهم من الكرك وأخذ خيلهم وأعدته وسامهم الشدة والشدته فأرسلنا إليه ونما فأنه وجدته بالحبلة وأغاثه فأبى الإلحاصر والأضرار فغدر السلطان دمه وتوفي في إراقة دمه بما التزبه وذلك في السنة الآتية كسماي أن يشاء الله تعالى وأقام السلطان بدسوق بقية هذه السنة وهو في الاستعداد للجهاد وقد أرسل في طلب العساكر من البلاد الشرقية والمصرية فانتظمت أموره على أحسن تقضيه ومن كتاب فاضل إلى بعض اخوانه كتب هذه المكاتبة من جمر الحشب يظهر مشق وقد ورد السلطان أعز الله أنصاره للفرقة إلى بلاد الكفر في عسكر فيه عساكر وجميع الباديين فيه كانه حاضرا وفي حشد يتبعها ووزن بحصه الناصر إلى أن لا يحصل له الخطا وقد تمت بهمة لارح غير الله لانهادها ويحج به عزمه الله الماسؤل في حدم عوارض اعتراضها وباع الله نفاسا تتبع أهل الاسلام بعتقتها ويذهب الله الشرك بيهبتها وأرجوان يتخضع عن زبدة وتستريح الأيدي بعد جاعان الخضع وإن يكون الله قد ربعت سقفة نصره الاسلام وسلطانه قد تمض (القبض)

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ١١٠٠ وفي سنة كرهه حطين وفتح الساحل والارض المقدسة للسليمان قال العباد
كتاب البرق وهي السنة الحسنة المحمدية والزمان الذي قضت على انتصار احسان الازمنة وظهر فيه السكان
المقدس الذي سلبت لسلامته الامكنة وخلصت بفضله من الجنة الارض المقدسة المعجزة وكفى الله شر الشرك
وحكم على دماء الكفرة بالسفك ونصرت الدولة العاربية وخلدت المذاخير ابراهية واتقمت الترجيميد من التثليث
وشاع في الدنيا بحمان الايام الصالحة من الاحداث ثم ذكر في كتابي الفتح والبرق وما جالته ان قال نبير
السلطان من دمشق يوم السبت اول المحرم في العسكر العزم ومضى باهل الجنة لفتح ادعاهم فلما وصل الى
راس الماء أمر ولده الملك الفضل بالاقامة هناك يستند اليه الامر والواليان والاملاك ويجمع الاعداء
والاعاجم والترك وسار السلطان الى بصرى وشمع على قعر السلامة وأقام على ارتباط اقرب الحجاج وكان فيهم
حسام الدين محمد بن عربن لاجين ووالده أخت السلطان مع جماعة من الخوارج وقتلهم ثم ذكر غزاهم بارس
الترك وهو على طريق العسكر المصري والحجاج ووصل الحجاج في آخره فخلاسر السلطان من شمله ثم
ساروازل على الترك وأغاث أهله وأخذوا كان حوله ورعى زعمه وقطع أشجارهم وكرمهم ثم سار الى الشوبك
وفعل بهم مثل ذلك ووصل عسكر مصر فمقتنا بالقرينين وقرقه على أعمال القلعةين وأقام على هذا الحسالة في ذلك
الجنب شهرين والملك الفضل ولده مقبتر رأس الماء في جمع عساكر من العظاما وعنده الحجاج في الحاذلة
والخوارج والحصاة والعساكر الكفرة والفساورة الفاسرة وهو ينتظر أمرهم أنيه ويكتب اليه وبقتضيه
وأقضى من السنة شهران وظهر لهم انتصار السلطان فانتهى بهم سر يسري وأمرها بالفتارة على أعمال
طبرية وربت على خيل الجيزة ومجامع الشرق وديار بكر فظفر الدين كوكبري صاحب حران وعلى عسكر
الحلب وببلاد الشامه بدياردين ولدرهم في وقتهم وعسكر دمشق وببلاد ادمار في قبايا لاجين فساروا
مدينتين وسروامدينتين وصحوا صوفيا وسوا صابح المندرج فخرج اليهم الفتح في شدة فانهما انهم النصر
الحني والظفر السني وشدة وانهم حنين الحنايا وأدركوا فمهم في المنايا وقازوا ولفوا وقبوا وأسروا وهلك مقدم

كتاب (٧٦) الروميتين

الاستار وحصل جماعة من فرسانهم في قبضة الاسار وأفلت مقدم الدابة وله حصاص ووقع الباقون ولم يكن لهم من الهلاك خلاص وعادوا سامين ساليين غائبين غالبين فكانت هذه كورة البركات ومقدمة ما يهداهم ميامن الحركات وجاءتنا البشرية ونحن في نواحي الذكرك والشويك فصار السلطان ووصل السير بالسرى وخيم بعشرا والقدر يقول له تديش وترى وقد عصت بحول الله الوهاذا ونزى وأمة ترك العسكر فرائضه عرضا وطولا وملا بالملا خزنا وسامولا ومارأت عسكر أرك منه ولا أكبر ولا كثر لا لكفر ولا أكثر وكان يوم عرضه مذكر أيام العرض وما شاهده الامن تلا (ولله جنود السموات والارض) وعرض العسكر في اثني عشر ألف مديج في ليل الجحاح مديج ولما تم العرض حسم الفرض وسالت بأفلاك السماء والارض وتعين الجهاد وتبين الاجتهاد ثم رتب السلطان للعسكر اطلالا وخبره اخرا وسار يوم الجمعة سابع عشر ربيع الآخر عازما على دخول الساحل فانا خاليلة السبت على خسفين ثم سار في الاردن إلى ثغر الأقبوة وأقام هناك خمسة أيام وقعد عين مواقف الامراء وشعاعهم وأحاط بحصيرة طرية ببحر المحيط وضاق بسائط خيامه ذلك البسط ولما سمع الفرنج باجتماع كلمة الاسلام عليهم وسير ذلك الجيش اليهم علوا انه قد جاءهم بالاعهدهم بملكه وان الايمان كله قد برز إلى الشريك كله فاجتمعوا واصطلموا وحشدوا وجعدوا وانقضوا ونخل القمص معهم بعد ان دخل عليه الملك ورجى نفسه عليه وصعدوا فارتاح بهم بصفوية ولوا الاولية وحشدوا الفارس والراجل والرايح والنبال ورفعه واصليب الصليبيات فاجتمع اليه عباد الطاغوت وضلال الناسوت واللاهوت ونادوا في زواياهم أهل أقاليمهم أهل الاقاليم واصلوا الصليب الاعظم بالتعظيم وما عصاهم من له عصى وخرجوا عن العدد والاحصا وكانوا عدد الحصى وصاروا في زهاء ثمانين ألفا اوزيريدون ويكيدون ما يكيدون قد توافوا على صعيد ووافوا من قريب وبعد وهم هناك مقيمين لا يرون والسلطان في كل صباح يسير اليهم ويشرف عليهم ويرامهم وينكي فيهم ويتعرض لهم يتعرضوا له ويردواعن رقابهم سدوة وعن شعبهم سيموله فربضوا وما نبضوا وقعدوا وما نبضوا فلورزوا لاصاف لطلات عليهم بد الانصاف فلما رأى السلطان انهم لا يرحلون ومن قرب صفورية لا يرحلون أمر أمراءه ان يقفوا في مقابلتهم ويحجروا على عزم مقاتلتهم ونزلهم في خواصه العسسية على مدينة طبرية وعلم انهم اذا علموا بزواله علمها بادرا والوصول اليها فيتمكذ يتمكن من قتالهم ويجهد في استعصامهم ثم أحضر الجاندرية والنقاين والخراسانية والجحارين وأطاف بسورها وشرع في تقريب معمرها وأخذ النقاين في النقب فيرجع فهدوه وهدوه وتسلفوا فيه وتساهوه ودخل الليل وصباح الغنى مسفر وليل الليل على العدو معتكر وامتنعت القلعة من فيها من القمصية وبها ولما سمع القمص بفتح طبرية وأخذ يبلده سقط في يده وخرج عن جلد جلده وسمي للفرنج بسببه ولبدته وقال لهم لا تعود بعد اليوم ولا يبدلنا من لقاء القوم واذا أخذت طبرية أخذت البلاد ونهبت الطراف والتسلاد وما بقي لي صبر وما بعد هذا العسكر لي جبر وكان الملك قد حالفه فخالفه ووافقه فانا فقه ورجل يجمعه وأتباعه وشباطينه وأشباعه فمادت الارض بحر كته وغامت السماء من غبرته ووصل الخبر بأن الفرنج كبروا ووثبوا ففسر السلطان وقال جاءنا ما نريد ونحن أولو بأس شديد واذا جمعت ككهم تم طبرية وجميع الساحل مادونه مانع ولا عن قصه وازع واستخار الله تعالى وسار وعدم القرار وذلك يوم الخميس ثالث عشر ربيع الآخر والفرنج سائرون إلى طبرية بقنهم وقضيمهم وهم كالجبال السائرة والبحار الزاخرة أمواجها متلحمة وأفواجها من حجة قرب السلطان في مقابلتهم اطلابه وحصل بعسكره قدامهم وحجز بينهم وبين الماء واليوم فقط والقوم غيظ وحجز الليل بين الفريقين وحجز الخيل على الطريقين وهيئت دركات النيران وهنئت درجات الجنان وانتظر ملك واستبشر رضوان ففى ليلة القدر خير من ألب شهر تنزل فيها الملائكة والروح وفي سحرها نشر الفزع وفي صباحها التفتوح فأبهمنا بتلك الليلة الباخرة فقد كنعنا قال الله تعالى فيهم فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وبنوا الجنة معروضه والسنة مفروضة والكثرة وافقة شقاة الخلد طائفة جنات السليبييل واضح سبيله والاقبال ظاهر قبيله والظهور قائم دليله والله ناصر الاسلام ودينه وسر السلطان تلك الليلة حتى عين الجبالية من كل ملب وملا جعابها وكأثم بالنبال وكان ما فرقه

في أخبار (٧٧) الدولتين

من الشباب أربعمائة رجل ووقف سبعين جازة في حومة الوغى يأخذون من خلت جعابه وقرع نشابه حتى إذا أسفر الصباح خرج الجال المشيخ فخرج سهران الاتصال أهل النار ورث القسي وغنت الأوتار آنذاك واليوم ذاك وأبديش شاك واللقظ عليهم قبض وما يعظ منهم غرض وقد قد الحار واستدري الشر ووقع السكر والقر والسراب طافح والنفاء والفتح والجو محرق والجوى مقلق ولأولئك الكلاب من المأثث وبالعيت عيث وفي ظلمهم انهم يردون الماء فاستقبلتهم جهنم بسرارها واستظهرت عليهم الظلمة بقرانها وذلك في يوم الجمعة مجتمع أهلها المجتعة ووراء عسكر كالبجيرة طبرية والورد عد وما منه بعد وقد قطعت على الفرج طريق الورد وبأوامر العطش بالنار ذات الوقود فوة وأصاب من مصابين مكابر من مضاربين فكتبوا على ضراوتهم وشروا ما في أداوتهم وشغلوا ما حولهم من موارد المصانع واستزفوها حتى ماء المدامع وأشرفوا على المصير إلى المصارع ودخل الليل وسكن السيل وبالقوا حيارى ومن العطش سكارى وهم على شغب البجيرة يحبره وقورا أنفسهم على الشدة واستعدوا بالعزائم المحتدة وقالوا غدا نصب عليهم ماء المواضي ونقاضهم إلى القواضب القواضي فأجدوا عنم البلاء وطلبوا البقاء بالتموط في الشتاء وأما عساكرنا فاجتازت ومن كل ما يعوقها برئت فهذا السمانه شاجد وهذا العنانة أخذ وهذا سهم فوق وهذا منهم فوق وهذا مكثرت لكبير ومنظر لكبير وهذا نابع السعادة وهذا راجع للشهادة فيأله تلك من ليلته حراسها الملائكة ومن سحر انقسامها اللطاف الله المتدركه والسلطان رحمة الله قدوق بنصر الله فو بعض بنفسه على الصفوف ويحتمهم ويعددهم من الله نصر المأثوف ويغري المئين بالوفاء وهم بمشاهدته اياهم يجيدون ويجيدون ويصدون العسود ويردون وكان للسلطان مملوك اسمه مذكور من جلف أول الناس وكان حصانه قري الراس فابعدهن اخوانه ولم يتابعه أحد من أقرانه فأنفذه الفرنج فأثقت في مستقيم الموت رجله وقال إلى ان بلغه قتله فلما أخذ وأرأسه طنوا انه أحدا ولاد السلطان وأثقل الشهيد على جواررجن لما شاهد المسجون استمعهاده وجلده جلده حيث جثتهم وخلصت لله نيتهم وأصبح الجيش على تعبته والنصر على تأليته وذلك يوم السبت الخامس والعشرين من ربيع الآخر وهو يوم النصرة ووقع الكسرة وبرج بالفرنج العطش وأبنت عشرتها نبتت عش وكان النسيم من امامها والحديث تحت أقدامها فرمى بعض مطوعة الجماعه من النار في الحشيش فتأجج عليهم استمعهاده وتوحيهم وأرأها فيأواهم أهل التلثيت من نار الدباب ثلاثه أقسام في الاصطلا والاصطلام نار النار رام ونار الارام ونار السهام فرجا الفرنج فرجا وطلب منهم المخرج فخرجوا فكلوا جرحوا وبرحهم من الحرب فاجرحوا وهم ظمأى وما لهم سوى ما يابى لهم من ماء الفرز فندفستهم نار السهام واشوتهم وصمت عليهم قلوب القسي القاسية وأصعهمهم وأبجيز وأزججوا وأجرحوا وأخرجوا وكلما جاوروا وردوا وكلما ساروا واشدوا وأسرروا وشدوا وما دبت منهم عسكر ولا دبت عنهم جله واضطروا واضطروا والتمهقوا وانتهوا وناسبهم النشاب فعدت أسودهم فمناذ وضابقتهم السهام فوسعت فيهم الخرق النافذ فأوا إلى جبل حطين ليعصهم من طوفان الدمار فاحاطت بهم طين اوراق البوار وشتمتهم الذبي وقشرتهم على الرن ورشقتهم الحننا وقشرتهم انمايا وقشرتهم البلياء ورقتهم الرزايا والمأحسن النعم بالكسرة حسر عن ذراع الحسرة وأنتال من العزرة واحتال في الهزبه وكان ذلك قبل انظراب الجميع واضطرام البحر فرج بنائه يطالب الخروج واعوج إلى الوادى وما واذان يعوج وضى كرمض البرق وسرع خضايرة قبل أنشاع الخرق وأظلت في عدة معدوده ولم يلبثت في المودة معدوده وكان قال لا يجانبه أنا أناسيكم بالجله وأقتلكم في الجبله فأجمعهم ووارزوه وجماعته من انقذهم من ظافره وخصمه صاحب صيدوا بليان بن بارزان وتواسر وأعلى انهم يجمعون ويبلغون النعناع فحمل القمص ومن معه على الجانب الذي فيه الملائكة فخرقوا الدين وهم ويدر من الله بالتوفيق والتهكين ففتح لهم طريقا ورجع من اتباعهم فريقا فغضوا على رؤسهم ونجوا ونجوا منهم وما عرف الفرنج ان القمص اخذ بالفرنج وشق في الهزبه وهنوا وهنوا ثم أشدوا وما لاوا وشروا على ما كانوا واستمعوا واستمعوا واستمعوا واستمعوا ووقف عليهم وقوع النار في الخلفاء وصيدوا الماء الحديد لا لاطفاء فزاد في الأذكاء فلو اخذوا هم على غارب حطيين حين رأوا بهم محيذين فأبغضناهم عن حرب الحيام فنسرب السهام ثم استخبر الحرب واستمر الأمان والضرب وأحيط بالفرنج من حوالهم ودارت الدوائر عليهم ورجعوا خيرا جواررجن الخيل

مكتبات (٧٨) الروضتين

وجرفهم السيف حرف السيل وملك عليهم الصليب الاعظم وذلك مصابهم الاعظم ولما شاهدوا الصليب سلبوا ورقب الردى قريبا اذ بقوا بالهلاك وانجذروا بالضرب الدراك فها برحوا بؤسروا وقتلوا ويقتلون ويقتلون ويقتلون والوثوب يقتلون والجراح يقتلون ومن مصارع القتل الى معاصر الاسرى يقتلون وصلوا الى مقدمهم ومكروا برأسهم فتم أسرا الملك وابرنس الكرك وأخى الملك جفري وأولك صاحب جبيل وهنغرى بن هنغرى وابن صاحب اسكندرونه وصاحب مصرقيه وأسروا من نجاة القتل من الداوية وسقدمها ومن الاستبناية معظمها ومن الباريونية من اخناه البوار فأصابه وساءه الاسار وأسرا الشيطان وجذره وملك الملك وكثرده وجبر الاسلام كسرهم وقتلوا وأسروا بأسرهم فن شاهد القتلى قال ما هنالك أسير ومن عابن الاسرى قال ما هنالك قتل ومذاستولى الفرج على ساحل الشام ماشى السباين كدوم حطين غلبس قاله عز وجل سلط السلطان وأقدره على ما أعجز عنه السواك وهذه من التوفيق لا مثالا أسره ومن إقامة فرضه للفتح المسارك ونظم له في حروف أعدائه والفتح ولوايته السواك وخصه بهذا اليوم الاغر والنصر الابر والين الاسر والفتح الادر ولولم يكن له الا فضيلة هذا اليوم لكان متفردا على المارك السالفة فكيف مالوك العصر في السموات والدم غير ان هذه النوبة المباركة كانت للفتح الانسى مقدمه ولما قاد النصر وقوا عذمة مبرمة بحكمه ومن بجانب هذه الوقعة وغرائب هذه الوقعة ان فارسهم مادام فرسه سالما يذل للنصرة فانه من لبسة الزردى بن قريته الى قدمه كان كانه قطعة حديد ودراك الشرب اليه غمقيد لكن فرسه اذا هلك فرس وملك فلم ينم من خيلهم ودوابهم وكانت الوفا ما هو سالم وما ترجل فارس الا والطن والى ملركوبه كالم وغنما ما لا يحصر من بيض مكدون وزغف وضون ولاد وحصون وسهول وحزون وابسلكنا منهم لهذا الفتح كل اقليم مصون وذلك سوى ما استبيح من مال مخزون واستخرج من كنز مدفون وصحت هذه الكسرة وقت هذه الاصر يوم السبت وضربت ذلة أهل السبت على أهل الاحد وكانوا أسودا فدوا من التند فها أنلت من تك الا لاف الاحاد وما يتأمن أولئك الاعداء الأعداد وامتلأ الملأ بالاسرى والقتلى وانجلى الغبار عنهم بالنصر الذى تجسلى وقصدت الاسرى فى الجبال واجبة القلوب وفشت القتلى فى الوهاد والجبال واجبة الجيوب وحطت حطين تلك الجيف عن متنها وطاب نصر النصر بنتنها وعبرت بها الفتيمة بحمل الاعتبار وشاهدت ما فعل أهل الانبال باهل الادبار وعانت أعيانهم خيلهم الاخبار ورأيت الرؤس طائر والنفس باثره والعيون نائره والجسوم رسمتها السواقي والرسوم درستها العواقي واشلاء المشاويلين فى الملتقى ملقاء بالعراء عازفة فى المازق مفصلة المفصلات مفرقة المرافق مفقلة المفنارق مخدوفة الرقاب مقصرة الاصلاب مقطعة الهامم موزعة الاقدام مجذوعة الاناف مفرقة الاطراف مفعقة العيون مبعوجة البعاون منسفة الاحساد مقصدة الاغصان مقلصة الشفاة مخلصه الجباة سائلة الاحداق مائلة الاعناق عديمة الارواح شبيمة الاشباح كلابجاريين الاحجار عبرة لى الابصار ولما بصرت خدودهم ملصقة بالتراب وقد قطعوا آرابا نالوت قول الله تعالى ويقول الكافر باليتنى كنت ترابا فطأ طيب نجات الظفر من ذلك المنيث وما ألغى عذبات العذاب فى تلك الجشت وما أحسن عمارات القلوب بغير ذلك الشعث وما أحرأصاوات البشائر بوقوع ذلك الحادث هذا حساب من قتل فقد حصرت السنة الامم عن حصره وعده وأمان من أسرفل تركف اغصاب الحميم لبقده وشده وقدرأيت فى الجبل الواحد ثلاثين وأربعين يقدروهم فارس وفي بقعة واحدة مائة ومائتين يجهمهم حارس وهناك العنازة عناه والعدا نعره وذو الاسرة أسرى والاولا لثغرى والفرامض فناقض والقوارس فرأس وغوالى الارواح رخاص وجود الداوية عوايس والروس تحت الاخامض فكأ صيد صيد وفأيد قيد وقيد وملك مبارك وهاتك مبرك وحرف الرق ومبطل فى يد الحق ولم يأسر الملك حتى أخذ صليب الصلبرت وأهلك دونه الطاغوت وهو الذى اذ انصب وأقيم ورفع سجدله كل نصرانى ورجم وهم يزعمون انه من الخشبة التى يزعمون انه صلب عليها مع يهودهم وقد غلغوه بالذهب الاخر وكالو بالدر والجوهر وأعدو دليوم الروح الممهور وواسم عبيد هم الموعود فاذا أخرجه القوس وجلسه الرؤس تبادروا اليه واتوا لواعليه ولا يسمع أحد منهم عنه التخلل والتخلف عن اتباعه فى نفسه التصرف وأخذه عندهم أعظم من أسرا الملك وهو أشده مصاب لهم فى ذلك المعترك فان الصليب السليب ماله عوض ولا لهم سواه

في اخبار (٧٩) الدولتين

غرض وإتمامه عليهم بمقتضى فهو لهم تعفر له جباههم وتسبح له أفواههم يتغاشون عند حضاره ويتعاشرون لانبصاره ويتلاشون لظواهره ويتغاضون لانداسه ودهو ويتراجدون اذا جدوه ويدلون دونه المهيج ويطلبون به الفرج بل صاغرا على مثله صالبا بعد ونها ويخشعون لها في بوتهم ويشهدونها فلما أخذ هذا القليل عظم مصابهم ودهت اصلابهم وكان الجوع المكسور غفيا والمرقب المنصور كريا فكا بهم لما عرفوا انراج هذا الصليب لم يتخلف أحد عن يومهم العصيب فهلكوا قتلا وأسرا وما كسوا وأهراقوا وما صاع الكسر وقضى الامر وتمكن النصر وسكن البحر ضرب السلطان في تلك الحومة دليلا لمرادق ونوافذ اليه حياقا لالحاقق ونزل السلطان اوصلى الشكر وسجد وجدد الالامتهشار باوجد واحضر عنده من الاسارى الملك والبرنس وأجلس الملك بجنبه وقال في كتب الفتح وجلس السلطان لعرض أكابر الاسارى وهم يتهادون في القيد وسودت مادي السكاري فقدم بداية مقدم الداوية وعدة كثيرة منهم ومن الاسبانيه وأحضر الملك كى وأخوه جفري وأوك صاحب جيبيل وهنغري والابرنس ارناط صاحب الكرك وبعث في الشراك وكان السلطان يذرمه وقال لغان عند وجد انه عنده فلما حضر بين يديه أجلسه الى جنب الملك والمالك بجنبه وقرعه على غدره وذكر بذبته وقال له كتحلف وتحنث وتعد وتكسك وتبرم الميثاق وتقفض وتقبل على الوفاق ثم تعرض فقال السراجان عنه انه يقول قد جرت بذلك عادة الملك وما سلك غير السن المسلول وكان الملك يراى ظمأ ويميل من سكره والربع منتشيا فأنسه السلطان وحاوره وقتا سورة الرجل الذي ساوره وسكن رعيه وامن قلبه وأمر له بما مشاوخ فشر به وأطأ أيديه ثم ناول الملك الابرنس القيد فاستشفه وبر به لفضه فقال السلطان للملك انما أخذ في سقيه حتى إذا فلا يوجب ذلك له أمنا ثم كرك وخلاها وشار الوهل اصلاها ولم ينزل الى ان طرب سراقه وركرت اعلايه وبارقه وعادت الى الحى عن الحومة فيا لقله لم تداخل سرادقه استحضر الابرنس فقام اليه وثقاه بالسيف حتى عاتقه وحين صرع أمر برأسه فقطع وجرحه بقدام الملك حتى أخرج فرائخ الملك وانزعج فعرف السلطان انه حاوره النزع وساوره الجمع وسامى المذرع فاستدعاه واستدناه وأمنه وطمنه وعكبه من قريه وسكنه وقال له ذاك رداة أردته وغدرتك كاتره غادرت وقده لثقت به وبغبه ثم جمع الاسارى المعروفين وسلمهم الى والى قلعة دمشق الناصح الغيدى فقال لهم انتم تحت قبدي وشلهم الى اصحابهم فقتلهم الايدى وأمرهم ان يأخذوا خط الصق ابن القابض في دمشق يوصلهم ويحتاط عليهم في اغلاهم ويوصلهم فتفرق انهم كمن فتمت ما أيدى السبي أيدى سبا وحادتهم الوهاد والرى قال والما أصبح السافنان يوم الاحد استقام على الجسد وخيم على طبريه وراسل القمصية وأخرجها من حصنها بالامان ورمى لها والفرسان بنها بشرط الايمان ففجرت بها حاورها وسأها ورجاها وسارت الى طرابلس بلد زوجها القمص بها لها وسأها وولى طبرية قايم از النجوى وكانت طبرية في عهد النرجش تقاسم على نصف مغل البلاد من الصلت والبلقا وجبل عوف والحياثية والسواد وتناصف الجولان وما يقربها الى بلاد حوران فخلصت المناصفات وصفت الصفات وأمنت الاتات هذا والسلطان نازل فذا طبرية وقد طب البرية وعسكره بطنق البرية فلما أصبح يوم الاثنين بعد الفتح يومين طلب الاسارى من الداوية والاسبانيه وقال أنا أأنا هرا الارض من هذين الجانبين الفخسين فهاجرت عاتدهم بالمقاداة ولا يقبلان عن المعاداة ولا ينسدمان في الاسر وهما أثبت أهل الكفر فقتلهم باحضر كل أسير داوى واسماتارى ليعضى فيه حكم السيف ورأى البقية عليه عين الخيف ثم على كل من عنده أسير لا يسعهم والى بطن رعيه فجعل لكل من يأتيه بأسير من هاجم الدانرا لخير تحسين فأقره في الحال بمئين فأمر باعطائهم ونزب رقابهم ومحو حسابهم وكان يعضرته جماعة من المتطوعة المتورعه والمتصونة المتصورة والمتعصبة المتصرفه ومن تمت له المعرفة يتردد للمعرفة فسأل كل واحد في كل واحد وسئل سقيه وحضر عن ساعد والسلطان بالنس وجهه باشر الكفر تابس والعساكر صفوف والامراء في الشماطين وقوف فقيم من فرى ويرى فسكر ومنهم من أبقى وبارع ومنهم من يستحيل منه ويوب سوا عنه وشاغت هناك الضعوك القتال ورأيت منه القول الفعال فكم وعد انجزه وحدا جزه وأجر استدامه بدم اجراه وبراعت اليه لعدى براه

كتاب (٨٠) الروضتين

وسير ملك القرمج وأخاه وهنغرى وصاحب جبيل وهقدام الداوية وجميع أكابرهم إلى أسورين إلى دمشق ليودعوا
الجيوش وتستبدل حركاتهم بالسكون وتفرقت العساكر بما حوت أيديهم من السيوف وسبق بهم إلى البلاد الناس
ولم يقع على عددهم القياس فكنت إلى الصفين القابض نائيه دمشق إن يضرب عتق من يجده من الداوية
والأستباريه فإهتدل الأمر في إزهاقهم وضرب أعناقهم فهاقتل الأمل عرض عليه الإسلام فأبى أن يسلم وبما أسلم
الأحاديث حسن إسلامهم وتأن كد الدين عزائمهم قال العماد وما زالت أبحاث عن سبب نذر السلطان إراقة دم الأبرس
حتى حسدني الأمير العزيز بن شاذان بن نجم بن المعز بن باديس وهردو البيت الكبير والخباب الجليل
وكان جدده صاحب أفر بقة والقروان وكانوا يوارثون ملكه إلى قريب من هذا الزمان ذكرنا الأجل الفاضل
حدثه أن السلطان لما عاد إلى دمشق من حران بعد المرضة التي صار بها كل قلب عليه حران وذلك في سنة اثنتين
وثلاثين وهومن عقابيل سببه لا يفارق الأنين فقلت له ما معناه فذا بقضائي الله وما يعيدك من هذا السوء سواء فأنذر
أنك إذا أبليت من هذا المرض تقوم بكل ماله من المفترض وأنك لا تقا تل من المسلمين أحدا أبدا وتكون في جهاد
أعداء الله مجتهدا وأنك إذا نصرك الله في المعترك وظفرت بالقمص وأبرس الكرك تقرب إلى الله بأربعة دهم
دمايته وجود النصر لا بعدد ما فأعطاه يده على هذا النذر ونجا ما لله ببركة هذا العذر من النذر وخلصه من إخلاصه
في من ضا قلبه فأبى من مرضه واستقبل بنصته واستقبل السنة القابله بسنة القزو ورفضه ثم خرج من
مقدمات الجهاد وتأنجه لما جرى وخيم السلطان في جوع الإسلام بعشرا وركب يوما في عسكره وعزم على نشر
القساطل وطى المراحل ودخول الساحل والقذف بالحق على الباطل فبدأ بلبقاء الطلعة المباركة من الأجل
الفاضل فقال له ليكن نذرك على ذكرك واستدركه الله عنده من يدشرك ولا تحط غير قم أهل الكفر
بفكرك فأنفذك الله من قلا الورطه وأنشئت من تلك السقطه الا ليو فرحظك من هذه الغلظه فقول على الله
عازما وجازا الأردن جازما وارعب حاش الكفر وكسر جيوشه وقل عروشه ووقع في الشرك أبرس الكرك فوفى
بشرع عتقه نذره وأما القمص فإنه أخذ في الملقى بالهز به حذرته ولما وصل إلى طرابلس أنافه في منامه التندر
وفا على صفوه الكدر وتساه ملكا إلى سقر

الفصل في هذا الذي تقدم من وف كسرة حطين وهو عين ما ذكره عماد الدين رحمه الله في كتابه الفتح والبرق
اختصرته منما وهو مطول فيها وقد وقفت على كلام غيري في ذلك فاجبت إيراد على وجهه لما فيه من شرح
ماتقدم وقويته وربما اشتمل على زيادات من فوائدت تتعلق بذلك لم يتعرض العماد لها أو مختلقة لبعض ما ذكره قال
القاضي أبو الحسن بن شداد لما كان المحرم سنة ثلاث وثلاثين عزم السلطان على قصد الكرك فسير إلى حلب
من سيحضر العسكر وبرز من دمشق في منتصف المحرم فسار حتى نزل بارض الكرك منتظرا لاجتماع العساكر
المصرية والشامية وأمر العساكر المتأصلة إليه بشن الغارة على ما في طريقهم من البلاد الساحلية ففعلوا ذلك
وأقام رحمه الله بارض الكرك حتى وصل الحاج الشامي إلى الشام وأمنوا غائلة العدو ووصل فقل مصر ومعه بنت
الملك المظفر وما كان له بالدار المصرية وتأخرت عنه العساكر الحلبية بسبب اشتغالها بالقرمج بارض أنطاكية وببلاد
ابن لاون وذلك أنه كن قدما تروى لابن أخيه لاون بالملك وكان الملك المظفر يجمعه وبلغ إلى السلطان فأمره
بالدخول إلى بلاد العدو واجتاد نائره فوصل قى الدين حلب ونزل في دار العفيف بن زرقق وانتقل إلى ارباطان
وفي التاسع من رجب خرج بعسكر حلب الحارم ليحمل العدو أن هذا الجانب ليس بهمهل وعاد السلطان فوصل إلى السواد
ونزل بعشرا سابع عشر ربيع الأول ولقيه ولده الأفضل ومن غفر الدين وجميع العساكر وكان تقدم إلى الملك المظفر
بمصلحة الجانب الحلي مع القرمج ليتفرغ البال مع العدو في جانب واحد فصار لهم ونوجه إلى جاء يطلب خدعة
السلطان لغزاه فسارت العساكر الشريفة في خدمته وهم عسكر الموصل يقدمهم مسعود بن الزعفراني وعسكر ماردين
إلى أن أتوا عشترا فلقهم السلطان وأكرههم ثم عرض السلطان العساكر متتصفة ربحم الآخر على تل يعرف بقل
تسبل ورتبهم واندفع فأصدا بلاد العدو في وسط نهال الجعه وكان أبدا بقصد برعته الجمع لاسيما أوقات صلوات الجعه
تبرك بعباد الخطباء على المنابر فرما كانت أقرب إلى الأجابه وبلنه أن القرمج أجمعوا في مرج صقورية بأرض

في الخبر (٨١) الدولتين

عكا فهدمهم لصفاء معهم فسار ونزل على بحيرة طبرية عند قرية تسمى الصنبره ورحل من هناك ونزل غربي طبرية على سطح الجبل لتعبية الحرب منتظرا ان الفرنج اذا بلغهم ذلك قصدوه فلم ينجسوا من منزلهم فنزل جريده على طبرية وترك الاطاب على حالها على الوجهه العدو ونزل طبرية وزحف عليها فاستمعها وأخذها فأساعة من نهارا وامتدت الايدي اليها بالناب والاسر والخرق والقتل وأمنت القلعة وحدها فحل الفرنج قصدوا طبرية للدفع عنها فاحسرت الطلائع الاسلاميه الامر بهجركه الفرنج ففسدوا الى السلطان من عرفه ذلك فقتل على طبرية من يحفظ قلعتها واتي العسكر هروم معه فالتقى العسكران على سطح جبل طبرية الغربي منها وحال الليل بين الفئتين فباتت على مصاف شاكيتين في السلاح الى صبيحة الجمعة فركب العسكران وقصدا ما وذلك بارض قرية تسمى الوبيا ولم تزل الحرب الى ان حال بينهم الظلام وجرى في ذلك اليوم من الوقائع العظيمة والامور الجسيمة ما لم يحسب عن من تقدم وبات كل فريق في سلاحه ينتظر خصمه في كل ساعة وقد أتعده التعب عن النوض حتى كان صباح السبت الذي يورث فيه فطلب كل من الفئتين مقامه وعلت كل طائفة ان المكسور ثم فاما دحيرة الحفس معدومة النفس ويقتن المسلمون ان من ورائهم الاردن ومن بين أيديهم بلاد القوم ولا ينجسهم الا الله وكان الله قد قدر نصر المسلمين فسره وأجره على وفق ما قدره فعملت الاطاب الاسلاميه من الجوانب وحل القلب وصاحوا صيحة الرجل الواحد فاني الله ارفع في قلوب الكافرين (وكان حقا علينا انفس المؤمنين) وكان القمص ذكي القوم وألعيهم فرأى امارات الخذلان قد نزلت باهل دينه ولم يشغلها ظن مجاسنة جنسه عن يقينه فوبرق في اوتل الامر قبل اشتدادده وأخذ طريقتهم حصو وروبعه جماعة من المسلمين فنجوا وحده وامن الاسلام كينه واحاط أهل الاسلام بأهل الكفر والطغليين من كل جانب فانهم زمت منهم طائفة فتبعها الباطل المسلمين فبلغ منها واحد واعتصمت الطائفة الاخرى بتل حطايين وهي قرية عنده وعندها قرى النبي شعيب عليه السلام فتيقظهم المسلمين على التل وأشعوا حولهم النيران وقتلهم العطش وضاق بهم الامر حتى كسكوا أسسوا بالاسر خوف من القتل فأسر مقدمهم وقتل الباقون وأسروا وكان الواحد العظيم منهم يتخلى الى الاسر خوفا على نفسه ولقد حكى لي من أتى به انه تلقى بحورا من شخص واحد اومعه طنب خيمة فيه سيف وثلاثون أسيرا يجبرهم وحده يتخذلان وقع عليهم وأما القمص الذي هرب فانه وصل الى طرابلس وأصابه ذات الجنب فاهلكه الله بها وأما مقصدمو الاستتارية والداوية فان السلطان اختار تملهم فقتلوا عن بكرة أبيهم وأما البرنس ارنط فكان السلطان قد نذر ان ظفر به قتله وذلك انه كان عن به بالشوبك قتل من الديار المصرية في حالة الصلح فقتلوا عنده بالامان فقدر بهم وقتلهم فناداه الله والصلح الذي بينه وبين المسلمين فقال ما بينتني الاستخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال قولوا لشركائكم بصلحكم وبلغ ذلك السلطان فغله الدين والحمية على انه نذر ان ظفر به قتله فلما فخر الله عليه بالنصر والظفر جالس في دهليز الخيمة فانهم لم تكن نصبت والناس يتقربون اليه بالاسارى وعن وجده من المتقدمين نصبت الخيمة وجلس فرحاهم وراشكر المانم الله به عليه ثم استخضر الملك جفري وأخاه والبرنس ارنط وتناول الملك شربة من جلاب ببلع فشرب منها وكان على أشد حال من العطش ثم تناول بعضه البرنس ارنط فقال السلطان للترنج قتل لك انت الذي نسقيهم والانا ناسقيهم وكان على جبل عادة العرب وكرم أخلاقهم ان الاسير اذا كل أو شرب من مال من أسره أن مقصده بذلك الجري على مكارم الاختلاق ثم أمرهم بجرهم الى موضع عين لنزولهم فخصوا كل أو شرب من مال عاداتهم ولم يبق عنده أحد سوى بعض الخدم فاقعد الملك في الدهليز واستخضر البرنس ارنط واقفه على ما قال وقال لها انت تصبر لمجد صلى الله عليه وسلم ثم عرض عليه الاسلام فلم يفعل ثم سئل البيعة وصر به بها فحلف كنهه وتم عليه من حضر ويحلى الله بروحه الى النار فأخذ وصرى على باب الخيمة فلما رآه الملك قضا خرج على تلك الصورة لم يشك في انه يشي به فاستخضر وطيب قلبه وقال لم تجر عادة الملوكة ان قتلوا الملوكة وأما هذا انه جاوز حده فجرى ما جرى وبات الناس في تلك الليلة على أتم سرور وأكل حمير ترتفع أصواتهم بالجلل والشكر والتكبير والثناء ليل حتى طلع الصبح في يوم الأحد فنزل ربه الله على طبرية وسلم في بقية ذلك اليوم فاعتها وأقامهم الى يوم الثلاثاء قلت وذكر محمد بن القاسم في تاريخه انه ورد في هذه السنة كتب الى بغداد في وصف هذه الواقعة منها كتاب من عبد الله

كتاب (٨٢) الروضتين

ابن أجد القديس يقول فيه (كُتِبَ هذا الكتاب من عسقلان يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة) وفيه (ولو جددنا الله عز وجل طول أعمارنا ما وفقنا بعشر معشار نعمته التي أنعم بها علينا من هذا الفتح العظيم فانما خرجنا إلى عسكر صلاح الدين وتلاحق الاجناد حتى جاء الناس من الموصل وديار بكر وأربل فجمع صلاح الدين الامراء وقال هذا اليوم وقفا لوالله تعالى لا من أجلي فاختلعة والحق الجواب وكان رأى أكثرهم لقاء الكفار فعرض جنده فاختلعهوا وهذا اليوم وقفا لوالله تعالى لا من أجلي فاختلعة والحق الجواب وكان رأى أكثرهم لقاء الكفار فعرض جنده ورتبهم وجعل ثقى الدين في الجنة ومظفر الدين في المصرة وكان هوى القلب وجعل بقية العسكر في الجناحين ثم ساروا على مراتبهم حتى نزلوا إلى القصور لانه فتر كراياها أثقالهم وساروا حتى نزلوا بكفرسبت فأقاموا يومين ينتظرون ان يبرز لهم الكفار وكان عسكر الكفار على صفورية فلم يبرزوا فعاد صلاح الدين حتى نزل على طبرية فبقيتة قدم فرسانه وجناته وريماته والقبائلون قد دخلوا تحت الحصن فلما تمكن النقب منه انهال من غير وقود نار ودخل المسلمون فانتبهوا يوم الخميس وأصبحوا اليوم الجمعة فخرجوا على ثقب القلعة فلما كان وقت الصلاة جاء الخبر ان الكفار قد توجهوا إلى المنافار فحصل صلاح الدين على صفورية فاقبم ثم لم يزلوا يتقدمون حتى صار المسلمون محيطين بهم وصار قلب المسلمين خلفهم قترا وساعة وبات كل فريق على مصافهم ثم أصبحوا أنصار الكفار يقصدون طبرية والمسلمون حوهم بطون عليهم بالرى فاقبل المسلمون منهم فوارس وقتلوا خيالة ورجال فأنجاز المشرق كون إلى تل حطين فزفوا عنده ونصبوا الخيام وأقام الناس حوهم إلى ان انتصف النهار وهبت الرياح فاجتمع المسلمون عليهم فأنهزوا الأيلون على شئ ولم يفلت منهم الا نحو من مائتين وكانوا كاقبل اثنين وثلاثين ألفا وقيل ثلاثة وعشرين ألفا لم يتركوا في بلادهم من يقدر على القتال الا قليلا وكان الذي أسر الملك هودر ياس الكردى وغلام الامير ابراهيم الهراي أسر الارنس وقتل صلاح الدين الارنس بسده لانه كان قد غدر وأخذ قافلة من طريق مصر ثم عاد صلاح الدين إلى طبرية فأخذ قلعتها بالامان ثم ضرب أعناق الاسارى الذين كانوا في العسكر وأرسل إلى دمشق فضرى بعتاق الذين بهم منهم) قال وورد كتاب آخر فيه هذه الفتوح التي ما سمع بها قط هذا ذكر بعضها مختصرا مع انه لا يقدر أحد يصف ذلك لان الامراء كبر من ذلك الذي يشربه الاساوان ان مدينة طبرية فتحت بالسيف وأخذت قلعتها بالامان واجتمع عسكر الافرنج معهم واللقوا بالمسلمين عند بئر شعيب النبي صلى الله عليه وسلم وقتل من الافرنج ثلاثون ألفا وكان عدد الافرنج ثلاثة وستين ألفا بين فارس ورجل وأسرى منهم ثلاثون ألفا وبلغ ثمن الاسير بدش ثلثة دنانير واستغنى عسكر الاسلام من الاسرى والاموال والغنائم بحيث لا يقدر أحد يصف ذلك وما سلم من عسكر الفرنج سوى قص اطرابلس مع أربعة نفر وهو معجروح ثلاث جراحات وأخذ جميع امراء الفرنج وكهنتى من النساء والاطفال لباع الرجل وزوجته وأولاده في المئادة ببيعة واحدة ولقد بيع بصغورى رجل وامرأته وخمسة أولاد ثلاثين وابتنان بثمانين ديناراً وأخذ صليب الصليبيات فعلق على قنطارته منه كساود دخل به القاضي ابن أبى عصرون إلى دمشق وكل يوم يرى من رؤس الفرنج مثل البطح وأخذ من البقر والغنم والخيل والبغال ما لم ينجى من يشترىها من كثرة السبي والغنائم قال وفي كتاب آخر (وكان الفرنج خمسة وأربعين ألفا فلم يسلم منهم سوى ألف وقتل الباقيون وأسأروهم وكذلك المساولك) قلت وبلغني ان بعض فقهاء العسكر وقع به دأسير وكان محتاجا إلى عمل فباعها به فقبل له في ذلك فقال أردت ان يذكر ذلك ويقال بلع من هوان أسرى الفرنج فخرجتكم ان يسع منهم واحد يجعل لله الجدم وأحسن ما قال أبو الحسن ابن الذررى من قصيده

شرح ابن الدين بالسحر والظبي * من المجد معنى كان من قبل بعمض

وما كاد جيش الروم يسير كيده * إلى اسررت منك المهابة تنقض

حيث تغور السبلين فأصهت * تغورا بأمواله الحسد بدت تضعض

أسرت مساولك الكفر حتى تركته * وما فيه عرق عن قوى النفس ينبض

وكان القاضي الفاضل غائبا عن هذه الكسرة بدشقى فلما بلغته كتب إلى السلطان (ابن المولى) ان الله قد أقام به الدين القسم وأنه كاذب لا أصبحت مولاى ومولى كل مسلم وأنه قد أسبغ عليه الشتمين الباطنة والظاهرة وأورثه

في أخبار (٨٣) الدولتين

الملكين ملك الدنيا وملك الآخرة كتب المصالح هذه الخلد منه والرؤس الى الآن لم ترفع من سجودها والدموع لم تسبح من سجودها وكما فكر الخادم ان البيع يعودوهى مساجد والمكان الذى كان يقال فيه ان الله ثالث ثلاثة يقال اليوم فيه انه الواحد جدد الله شكر اثاره يفيض من لسانه وتارة يفيض من جفنه وجزاء يوسف اخيرا عن اخراجهم من سجده والجاليلك ينظرون امر المولى فكل من اراد ان يدخل الحمام بدمشق قد عول على دخول حمام طبريه تلك المكارم لاقعيان من لبن وذلك الفتح لاعمان واليمن وذلك السيف لاسيف ابن ذى يزن واللاسنة بعد فى هذا الفتح سرح طويل وقول جليل ولعلما لدرجة الله قصائد يذكرونها وقصة حطسين لم يذكرونها شيئا هنا بل ذكر بعضها عند ذكر فتح نابلس وبعضها عند فتح القدس فنقلت الى هذا المكان منها ما يتبعها به والباقي يذكر في مكانه قال

يا يوم حطسين والابطال عابسة * وبالجماعة وجه الشمس قد عسا
رأيت فيه عظيم الكفر محترقا * معقرا خسدته والانف قد عسا
باطهر سيف يرى راس البرنس فقد * أصاب أعظم من الشرك قد عسا
وغاص اذ طار ذلك الرأس في دمه * كانه ضفدع في الماء قد عسا
ما زال يعطس من كروما بعد ربه * والقتل تسببت من بالغدر قد عسا
عزى ظيما من الانعامه رقة * دما من الشرك ردا هابه وكسا
من سمية في دماء القوم منعمس * من كل من لم يزل في الكفرة نغمسا
انقاهم قتلهم والاسرافاتكسوا * وبيت كفرهم من خبثهم كنسا

وقال ايضا مخاطب صلاح الدين رحمه الله

سجبت على الاردن ردنا من القنا * ردينية ملست اذ خطية ماسا
حطيت على حطين قدره اوكهسم * ولم تبق من أجناس كفرهم جنسا
ونعم جمال الحطيل حطين لم تكن * معاركها البصر دخر ساولادها
غداة أسود الحرب معقبا والقنا * أسودت بسني من نحر العدا نسا
أنوار كس الاخلاق خشنا فليمت * حدود الرقاق الحسن اخلاقتها الشكسا
طردتهم في الملقى وعكستهم * جندنا بنك العزم طردك والعكسا
فكيف مكست المشركين رؤسهم * ودأبك في الاحسان ان تطلق الميكسا
كسرتهم اذ صبح عزمك فيهم * ونكستهم اذ صار سمهم من نكسا
بواقعة رجت بها الارض جيشهم * دمارا كابست جبالهم من نسا
بطون ذئاب الارض صارت جورهم * ولم ترض أرض ان تكون لهم رسا
وطارت على نار المواشي فراشهم * صلاء فزادت من نخودهم قنسا
وقد شعثت أصوات ابطالها قنا * بعي السمع الامن صليل القنا نسا
تقاديد ماء الدماء ملوكهم * أسارى كسهم البم نطت بها القنسا
سجبا يا بلاد الله ملوكة * وقد شربت بخسا وقد عرضت نكسا
يطاف بها الاسواق لا رغب لها * لكثرت ما كم كثرة توجب الوكسا
شككا يسار أس البرنس الذي به * تنسدى حسام حاسم ذلك اليبسا
حسامه ماض الغرار لغدره * وما كان لولا لغدره دمه يعمى
فله ما أهمدى يدا فتكت به * وأطهر سيفها معمار جسده النكسا

كتاب (٨٤) الروضتين

نسفت به رأس السبريس بضربة * فأشبهه رأسي رأسه العهن والبرسا
تسوّغ في أوداجه دم بغية * فصالح عليه السيف بحسبه لحسا
بعثت امام أمّة النار تحسوها * فزار امام ازناتها ذلك الحبسا
ولله نص النصر جاء لنصه * فلا قونسا ابقي لرأس ولا قنسا
حكى عنق الداوى صلل بضربة * طسّر الشباع ودالمضربه حسا
أيوم وثقى ندعوه أم يوم نائل * وأنت وهبت العائين به الخنسا
وقد طابر باناعلى طبرية * فطابها رايوا بحسبها مرسى
والله باب فتيان الساعورى من قصيدتسمياتي بعضهم في مدح صلاح الدين رحمه الله

جاشت جيوش الشرك يوم لقيتهم * يتدأمر من على متون النصر
أوردت أطراف الرماح صدورهم * قولغن في علق الجميع الاحمر
فهنالك لم ير غيري لحجم مقبل * في أثر عفريت رجيم مسدبر
من الذى من جيشهم لم يحترم * ومن الذى من جمعهم لم يؤنر
حتى لقد بيعت عقائل أرهقت * بالسي بالئن الاخس الاحقر
سقت الجماليك الكرام مساوكم * كأسيه سقت اللطم المنفرى
وجمعت عرصة صليبهم فكسرت * وسواك الفاه صليب المتكسر
أغلى الاداهم من أسرت وأرخصت * بيض الصوارم من نهاب العسكر
وجعلت شرق الارض يحسد غرما * بك فهو دواع دعوة المستصر
لا يعددهم لك المسائون فكبردا * أوليتهم معروفا لم تسكر
آمنت سرهم وصنت حرهم * ودرأت عنهم قاصعات الاظهر
ما ان رآك الله الا آمرا * فهم بمعروف ومنكر منكسر
متواضع الله جل جلاله * وبك أضحت سطوة المتكبر
لم يحصل سمع من هناء مهى * للمسلمين ومن سماع مبشر
واستعظم الاخبار عنك معاشر * فاستصغروا ما استعظموا بالخبر
نصت المداوك ولم تبل عشر الذى * أو تبتسه من مبيح أو مخفر
وقال أبو الحسن علي بن الساعاني في فتح طبرية

جلت عزماتك الفتح المبينا * فقد قرت عيون المؤمنين
رددت أخيدة الاسلام * غدا صرف القضاء بها ضمينا
وهان بك الصليب وكان قدما * يعز على العوالى ان يمونا
يقا تل كل ذى ملك رياء * وأنت تقا تل الاعداء دينا
غدت في وجنة الايام خالا * وفي جسد العلاء قد امينا
فيما لله كم سرت قباوبا * وبالله كم أبصكت عيوننا
وما طبرية الا هدى * ترفع عن أكف اللامسينا
حصان الذيل لم تقذف بسوء * وسل عنها البالي والسبينا
ففضضت ختامها قسرا ومن ذا * يصعد الليث ان يلج العرينا
لقد أنكبتها هم العوالى * فكان نتاجها الحرب الزبوننا
هناك ندى أهل الارض طرا * سواك ومعل أعيا القروننا
قست حتى رأك كفو افلا نت * ونجاية كل قاس ان يلينا

في أخبار (٨٥) البولتين

قضيت فريضة الاسلام منها * وصدقت الاماني والظنوننا
تمز معاطف القدس ابتهاجا * وترضى عنك مكة والحجوننا
لنا وان الجهاد يطيق نطقا * لنا ذلك ادخلوها آميننا
جعلت صباح اهلها ظلاما * وأبدلت الزئير بها أنينا
فخال حماة حوزتها نساء * يخوضون الحسد بد مقنعينا
ليبضك في جماعهم غناء * لنذير علم الطير الحنينا
تمسك الى المنة العوالي * فهل أمست رماحهم غصونا
يكاد النقع يذهلها فاولا * بروق القاضيات لما هدينا
فكم حازت قدودتنا منها * قدودا كالقنا والولينا
وغيمس كالخاد رأست * كغمد نداء ابكارا وعونا
ولما باكرتها منك نعمى * بنان تفضع الغيث الهتوننا
أعدت بها الالبى وهى بيض * وقد كانت بها الايام جوننا
فليس بعداد مرعى خصيبا * اخوسمب ولا ماء معينا
فلا عدم الشأم وساكوه * ظلى تشقى بها الداء الدفينا
يسهاد جفونها في كل نفع * سهاد يجمع النعم الغصونا
فانهم بالسوا حل فهى صور * اليسك والحق الحام التونا
فقلب القدس مسرور ولولا * سطاك لكان مكتبا خزينا
أدرت على الفرح وقد تلاقى * جوعهم عليك رضى طحونا
ففي بيسان ذاقوا منك بؤسا * وفي صفد أتوك مصفونا
لقد جاءتهم الاحداث جمعا * كان صروفها كانت كينا
وخاتم الزمان ولا مسلام * فاست ببعض زمانا خورنا
لقد جردت عزمانا صريا * يتحدث عن سنا طور سينا
فكنت كيوسف الصديق حقا * له هوت الكواكب ساجدنا
لقد أتعبت من طلب المعالي * وحاول ان يؤس المسلميننا
وان نك آخرنا وخذلك ذم * فان مجسدا في الاخرينا

قال ابن ابي طي حدثني والدي عن احد التجار قال كنت بالموصل في سنة خمس وخمسين وستمائة فزرت الشيخ عمر الملا
فدخل اليه رجل فقال أيم الشيخ رأيت البارحة في النوم كاني بارض غريبة لا أعرفها وكأني اهاوذة بالخنزير وكان
رجلا في يده مسيف وهو يقتل الخنازير والناس ينثرون اليه فقلت لرجل هذا عيسى بن مريم هذا الماهدي قال لا
فقلت من هذا قال هذا يوسف ما زادني على ذلك قال فتعجب الجماعة من هذا الزبا وقالوا انما سيقتل النصارى
رجل يقال له يوسف وحدثت الجماعة انه يوسف بن عبد المؤمن صاحب الغرب وكان المستنجد بالله قدولى الخلافة
ثم السنة لخمس وبعض الجماعة عليه قال وانبت انا هذه الواقعة فلما كانت سنة كسرة حطين ذكرتمها فكان
يوسف الملك الناصر رحمه الله قال وحدثتني زكريا من نساء الحلبين كانت تداخل أخت السلطان الملك الناصر
قالت فكنت والدلة السلطان تخبرنا انما أتيت في نومها وهي حامل بالسلطان فقيل لها ان في بطنك سمية فان
سيوف الله تعالى

(فصل) في فتح عكا وغيرها وهي بالائف المدودة ويدل على ذلك انه يقال في النسبة اليها عكاوى وقد وجدت
ذلك في شعر قديم ومنهم من يقول عكها بالهاء ومثل ذلك حصن عرقه وبعضهم يقول عركا بالالف فزكريا وبعضهم
يقول نمر ثوره بالهاء قال القاضي ابن شداد ثم رحل السلطان طالعكا وكان زواجه عليها يوم الاربعاء سلخ برقع الاخر

كتاب (٨٦) الروضتين

وقالت ابنة الخليفة منتهل بجادى الاولى فأخذها واستنقذه من كان فيها من الاسارى وكانوا هزارا بركة آلاف نفر واستولى على ما فيها من الاموال والنخائر والبضائع والتجاري فانها كانت مظنة التجار وتفرقت العساكر في بلاد الساحل يأخذون الحصون والقلاع والاماكن المنيعه فأخذوا نابلس وحيفا وقيسارية وصفورية والنابصرة وكان ذلك لخلاؤ الرجال بالقتل والاسر قال العماد اورد رجل السلطان ظهر يوم الثلاثاء والتوحيد ظهر على المثلث والطيب قدما متازرا من الحديث ونزل بأرض لوبية عشرينه وأعادها بازهار بنوده وأنوار جندوده روضه وموشيه ثم أصبح مسائرا الى عكا فاشا بسيرته بارا بأهل الدين بربه وكان أمير المدينة النبوية صابوات الله على ساكنها في موكنه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير الى نصرته من يثرى به من يثري به وهذا الأمير عز الدين ابن قلبته القاسم ابن المهنا الحسيني قد وفد في تلك السنة أوان عود الحاج وهو ذو شبيهة تقدر كالسراج وما برح مع السلطان مأثور الماشر بميون الحسبه مأمون المحبه مبارك الطلعه مشاركا في الوقعه فاتم فتح في تلك السنين بالبحضوره ولا أشرق مطلع من النصر الابنوره فرأيت في ذلك اليوم للسلطان مسائرا ورأيت السلطان له مشاويرا ومحاورا وأنا أسير معهما وقد نزلت معهما ليسمعاني وأسمعهم ما ولاحت أعلاهما عكا وكان يبارق الفرج المرحه على ما أسنن من الخوف تشكى وكان عذبات النيران تصاعدت لعذاب أهلها وقد توارفت عساكر الاسلام اليها من عرها وسورها ولما أشرف على ما علمت تظهر من أبقنا بفتحها مستبشرين فما كان فيها من محمها فاصدقنا كيف نملكها ونحوها وظهر على السور أهلها لأجل المنامه والثبت على المدافعه وخفقان أو يتبايشع بقولها الخافقه وأرواح جلدتهم الزاهقه ووقفنا تأمل طولها ونؤمل حصوها ونخم السلطان بقر بها وراء التل وانبت عساكره في الوعر والسهل وبناتك الليلة قد هزتنا الاطراب نقول متى يجمع الاصباح والاصباح فما عهدنا ولا غرارا ولا جدنا من الفرج قرارا والسلطان جالس ونحن عنده وهو يحض جنده ويقدم معهم في اقتباس الارزنده ومنهم من يستجير وعده ومنهم من يستجير فرده ومنهم من يواصله بالدعاء ومنهم من يشافيه بالهشاء وأصبح يوم الخميس فركب في جسده ووقف كالاسد في عز يسره ووقفنا نراة بالبلد صفوفا وأطلنا على الحلاله ورفا فخرج أهل البلد يطلبون الامان ويبدلون الاذن فأمهم وخبرهم بين المقام والانتقال ووجههم عصمة الانفس والاموال وكان في ظنهم انه يستبج دعاءهم ويسى ذريتهم ونساءهم وأهلهم أيلماحي ينتقل من يختار النقلة فاختتموا تلك المهله وفتح الباب الخاصه واستغنى بالدخول الى البلد جماعة من ذوي الخصاصه فان القوم ماصدقوا من الخوف المزيج والفرق المخرج كيف يتركون دورهم بما فيها ويسلون وعندهم انهم اذا انجوا بأنفسهم انهم نعمون فلما دخل الجند ركزل وانخدمهم على دار رحمة واسام فيها سرخه فحصلوا على دورا اخلاها رايها واموال خلاها عجايبها وكذا لاجل الامان نهبها فطاب لاولئك نهبها وجعل السلطان للفقه عيسى الهكاري كل ما كان للادوية من منازل وصناع ومواضع ورباع فأخذها بما فيها من غلال ومتاع وأسخر حوا الدفائن وولجوا المخازن وداروا الاماكن وكذلك المالك الملك الافضل وأحسب به ولولاه وتوايه نبشوا المحارز وقتشوا المراكز واستباحوا الاهرا واجتاحوا الاشيا وكان السلطان قد قوض عكا وضاعها ومعاقها وقلاعها الولده الاكبر الملك الافضل نور الدين على ذكر العمد اذ اوقع ما استولى واعليه من الاموال ثم قال ومن جملة ذلك انهم احتاطوا بغير على على دار سامي فباعوا منها متاعا بعمائة دينار وأخلوها ما كان فيها من آلات وأذخار وقصدوا في المنه في تحصيل تلك الدار فانها كانت من انفس العقار وسلموها الى غلام صديق لي يصونها ويقوم بحفظها والذب عنها والدفاع عنها فذكر ان الغلام انتفع من آلتها بعد خلوها بما قيمته سبعون دينارا وان الاولين نقلوا منها من الذخا وقارا قال وانما وصفت هذا العمل ما غنوه والتهبوا على حيازته والتهبوه وتصرف الملك المظفر في الدين في دار السك فافنى قنودها واستوعب موجودها ونقل قدرها وانقاضها وحوى جواهرها واعراضها وقال في كتاب الفقه وخلي سكان البلد دورهم ونحوهم ومذخورهم وتركوها لمن أخذها ونبتوا ما حووه لمن حواها وما بندها واقترع من الفرج اغنياء واستغنى من اجنادنا فقراء ولوذخرت تلك الحواصل وحصلت تلك النخائر وجمع لي بيت المال ذلك المال المجموع الوافر لكان عدة اليوم الشدائد وعمدة

في اختيار (٨٧) الدولتين

لتبجح المقاصد فرعت في خضرانها بل في صغر انما ويضاهيها سروح الاطماع وطال مستحلبها ومستحلبها الامتع بذلك المتاع قال في البرق وقروء على السلطان ليلة من كتب الفتح ونحن بالقدس يعني هذا المكان وذلك سنة ثمان وثمانين فقال السلطان هذه رفعة على ثلاثة اثنان منهم في جواررجة والاخر باقى في مقر العرشه يعني بالاثنتين الفقيه عيسى وبقى الدين وبالاخر الباقي ولده نور الدين قال ولهمى هو كاذكره لكن الافضل ما حصل له ولخواصه بل لذوى اختصاصه واستخلصه وقبحوا البلديوم الجمعة مشتمل جمادى الاولى جثتنا الى كنيسة العظمى فازحنا عنها البؤسى بالنجى وحضر الاجل الفاضل فرتبها المنبر والقبلة وهي اول جمعة اقيمت بالساحل بعد يوم الفتح وكان الخطيب والامام فيها الفقيه جمال الدين عبد اللطيف بن الشيخ ابى الخبيب الشهر ووردى وولاه السلطان مناصب الشرعية بكاوتلى الخطابة والقضاة والحسبة والوقف ومن كتاب فاضلى الى بغداد بعد فتح عكا نصف كسرة حطين (صحيح الخادم طبرية فافتض عذرتهم بالسيف وبهجم عليهم اليوم الطيف وتفرق أهلها بين الاسر والقتل وعاجلهم الامر في يقتدروا على الخداع والختل وجاء الملك من معه من كثاره ولم يشعرا ليل الكفر قد ان وقت اسفاره فاضرم الخادم عليهم نار اذ انت شرار اذكرت بما اعد الله لهم في دار القرار فترجل هو ومن معه عن صولات الحياذ وتسفوا هضبة رجاء ان تخيبرهم من حر السوف الحداد ونصبوا الملك خيمة جراء وضوا على الشرك عمادها وتولت الرجال حفظ اطنابها فكانوا اوتادها فاخذ الملك اسيرها وكان يوما على الكافرين عسيرة واسرا لارنس لعنه الله فخصه بذره وقوله الخادم يسده وفي بذلك نذره وأسر جماعة من مقتدى دولته وكبراء ضلته وكانت القتلى تزيد على أربعين ألفا ولم يبق أحد من الديوبندية فقلله هو من تصاحب فيه الذنب او اللئس وتداول فيه القتل والاسر اصدر الخادم هذه الخدمة من ثغر عكا والاسلام قد استعجم حاله وتصرف انصاره ورجاله والكفر قد ثبتت أوجاله ودنت آجاله قال العمادون بجله البشائر بكسرة حطين (ولما أحبط بالقوم وكى ملكهم الى جبل يعصمه من العوم فاسمعه السيف لا عاصم اليوم واستولى الخلدان عليهم بأسرهم وبردت أدنى المؤمنين بيمت قتلهم وأسروهم ولم يبق لهم باقية وغصبت يقتلهم في الدنيا ولا فخر عارض الله الواسعه فانار الله الحامية فانيطاه من يصل الى مخيمنا الاعلى ربههم باليالية وأسرا الملك وأخوه وبارونيه ومقدومه وبقيت منهم الا القمص وهو مسلوب ولا بد ان نذكره فهو مطرب وقد كنا نذكرنا ضرب رقية الارنس صاحب الكرك العذار كافر الكفار وشيدة الذار فلما رأينا ضربه ساعقة سر بها وسرنا الى عكا وهي بيضة ملكهم وواسطة سلمهم ومركز دوائر كفرهم وجميع جمع برهم وبحرهم فسلمنا بها بالامان والعخزة المقدسة الا ان بنا نصرخ ونستعيت وعباد الله الصالحون قد وصلت اليهم بوعد الله الصادق الموارث والشارة بفتح القدس لا تأخر والحجم بعد هذا الفتح الشئى على ذلك تتوفر والحمد لله الذى تتم الصالحات بحمده ما يفتح الله للناس من رحمة فلا يسلك لها وما يسلك

فلا يسلك لها من بعده

(فصل ٩) في فتح نابلس وجلبه من السلاسل اساطير بعد فتح عكا وطبرية وذكر بعض كتب البشائر الشاهدة لذلك قال العماد واقام السلطان أياما بعد فتح عكا على التل شجما وعلى سائر بلاد الساحل معهما وكان قد كتب الى أخيه العادل بمصر بما فتحه الله عليه فوصل بمسكرة وفتح في طريقه حصن مجدل بابا ومدينة يافا عنوة فقصده من عسكرنا لالقصا وقد اليه الوفاذ وأمره السلطان بان يقيم في ذلك الجانب جامعاً لكتاب ليعتج به الواسلون من مصر الالهون معه بالنصر قال وتوجه عدة من الامراء والعسكريه الى الناصرة وقيساريه والبلاد المجاورة لعكا وطبرية ومضى كل فريق في صوب وآتوا بالغنية والسبي خيرا وب قال فأما الدولة فهى قلعة الداوية حصنته وفيها ذخائرهم وأموالهم فلما خرج الداوية منها وقتلوا لم يبق فيها الا اتباع وغلان فساوها وجميع ما يجاورها كدور به وجنين وزعين والطور زاذ في كتاب الفتح واليعون ويسان والنجون وجميع ما لعكا وطبرية من الوليات والابواب ومعلوا واليعنه واسكنه درونه ومنوات قال وتوجه مظفر الدين كوكسرى الى الناصرة فاستأبها وصرفت منصورية من سكانها وتوجه بدر الدين دلدرد وغرس الدين فليج وجماعة من الامراء الى قيسارية فاقتحوها بالسيف وسلمت بعد ما حيفا وارسوف واستولى على تلك القنوس والاخبار الكسوف

كتاب (٨٨) الروضتين

والخسوف وحيفان عكا وقيسارية على البحر قال وأما نابلس فإن أهل ضباعها ومعظم أهلها كانوا مسلمين
وفي سلك العرب تقع الفرنج منتظمين وهم يحبون كل عام منهم فرارا ولا يغيرون لهم شرعاً ولا شعراً فلما عرفوا
كسرهم وانهم لا يرجون جرحهم خافوا من مساكنة المسلمين فتنفروا وكسبهم أهل الضباع في الدور والرباع وغفروا
ما وجدوه من الذخائر والمتاع وأوقعوا بضاعتهم وضاعة الحصون على أقباعهم وطلبهم من السلطان ابن أخته
حسام الدين عمر بن محمد بن لاچين وهو عزيز عند خاله علي بن فضله وأفضاله فاقطعه السلطان نابلس وأعمالها
وضباعها ونزاحيتها وقلاعها فتوجه إليها بعسكره فأول ما أناخ على سبسطية وفيه سامش بهدركيا عليه السلام وقد
اتخذها القساكنيسة منذ فارهة الاسلام وهو متعبد بهم المعظم والمشهد الحكرم وقد حجبوه بالاستار وحاولوه بالفضة
والنصار وعيشوا له مواسم الزوار وقومته من الرهبان فيه مقيمة ولا يؤذن في الزبارة الا لمن معه هدية لمساقيه فدخله
وحوى ماقبسه وأبقى ما لا يحسن أن يخاف من مثله الميحد وفتح للمسلمين أبوابه وأظهر للمصلين بحراره ثم سار إلى نابلس
ففتحها بالآمان واستمال من سكاكنها من ضرب عليه الجزية بعد زمان وأجرهم على ما لهم من العمارة والبنيان
وسميت بيده إلى آخر هذه وعبر بعده ورقدته قال العباد وأشدته يوم فتح القدس قصيدة أوها

استوحش القلب مذ غتمت ما أنسا * وأطلم اليوم مذ لبتم فما أنسا
ما طبت نفسا ولا استحسنتم بعدكم * شيئا نفيسا ولا استعذبت في نفسا
قلبي وصبري وغمضي والشباب وما * الفتى من نشاطي كله خلصا
وكيف يصبح أو يمسي محبكم * وشوقكم يتولا مصباح مسا
عادت معاهدكم بالجناح دارة * وإن معهدكم في القلب مآدرا
وكنتم أحسن منكم كل داهية * وما زها نأمن المجران ما حدسا
لما هدت نار شوق ضيف طيفكم * قرينه بالكرى انذار مقتبسا
ورمت تأنيده حتى وهيت له * أنسان عيني أفديه بما أنسا
انا الخيال نحو لا فالحيال اذا * ما زارني كيف ياتي من به التيسا
لم يبق على زمن قضيت به طربا * اذ لم أكن من صروف الدهر محترسا
عسى يعود شهابي باضرا وهتي * أرجو انضارة عود الشباب عسا
وشادن يفرس الأسا ناظره * فديته شادنا لا أسد مفترسا
في العطف لابن وفي اخلاقه شوس * يالين عطفه جنب خالقه الشوسا

ومنها في المديح

ان بان ليس مضينا لا جئين الى السدة في الحسام من لاچين نابلسا
يميت اعسدا وبأسا وناثله * يحيي رجاء الذي مئ نجمة أيسا
ممزق المازق المنسوج عثيره * وقد حشا اليوم ليل القمع فأنما مسا
لازلت مستويا فوق الحصان وفي * حصن الحفاط ومن عاد لك متسا

وسميت منها أيضا أبيات عند فتح القدس في مدح السلطان صلاح الدين رحمه الله ومن كتاب عن السلطان الى
سمف الاسلام (خبره) كتبنا أخانا العادل أن يدخل بالعسا كرا مصر بقية من ذلك الجانب فلما بشر بدهر الفرنج ونفخ
عكا وطبرية كان قد وصل الى السواد فجاز العريش وزار الداروم وأخذت قدامه البلاد ووصل الى يافا ففتحها
عنوة ثم حصر مجدل يافا فلبت منه الآمان وقد أشقى الفتح على البلاد المعينة بعدوهى

طبرية عكا الزيب معليا أسكندرونه تبين هوتين الناصره الطور صفورية القولة جيتين
اربعين ديورية عفريل بيسان سبسطية نابلس البجون اريحا سمجل البصرة يافا ارسوف
قيسارية حيفا صرند صيدا بيروت قلعة أقي الحسن جيتيل مجدل يافا جبل الخليل مجدل حجاب
زداروم غزه عسقلان تل الصافيه التل الأحمر الاطرون بيت جبريل جبل الخليل بيت لحم

في اخبار (٨٩) الدولتين

لقد الزمنا قريبا القدس صوبا هرمز سلع عثرا الشقيف قال ولم يذكروا تخلفا لمن القري والضياع والارباح الحصينة الجارية بحجرى الحصون والقلاع واسكن واحدة من هذه البلاد التي ذكرناها اعمال قري ومن اربع واما كن وروايع قد جاسوا واخلفوا واستوعبوا واثارها وغلاها قال الامداد وما انشأته من شرح الفتوح وكتبته بنالى اليونان وبدت بقوله تعالى (ولقد كتبنا الى الزبور من بعد الذكر ان الارض رثنا عبادى الصالحون الحمد لله على ما ائتمرن هذا الوعد وعلى نصرته لهذا الدين الخنيف من قبل ومن بعد وجعل بعد عيسى رسلا وقد احدث الله بعد ذلك امرا وهو ان الذى ما كُنْ الاسلام يستطيع عليه صبرا وخوفا الدين بقوله واقدمنا عليك مرة اخرى فالاولى في عصر النبي صلى الله عليه وسلم والى الجاهلية والاخرى هذه التي عثق فيهم رن الكناكة فهو قد أصبح حيا ريان الكبد الحرا والزمان كهيته امتداد والحق بهجته قد استنار والكفر قد رما كان عنده من المتاع المستعار فالجديف الذي أعاد الاسلام جديرا ثوبه بعد ان كان جديفا حمله مبيضا صره مختصرا اتصاله متسعا فضله مجتمعا شمله والخدام يشرح من نساء هذا الفتح العظيم والنصر الكريم ما يشرح صدور المؤمنين ويرى الجيول كافة المسلمين ويرون البشري بما أنعم الله به من يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر الى يوم الخميس من سنة ذلك سبع ليال وثمانية أيام وما سخرها الله على الكفار فترى اليوم فيهم اصرى تانهم ائحاز نخل خاوية واذا رأت ثم رأيت البلاد على عروشها خالية ورايتها الى الاسلام ضاحكة كما كانت من الكفر باركية فوم الخميس الاول ففتحت طبرية ياتو يوم الجمعة والسبت نزل الفريخ فكسر والصدع التي ما لهم بعدها قائمه وأخذ الله أعداءه يابى أويا لله أخذ القري وهي نالمة وفي يوم الخميس من سبع الشهر ففتحت عكا بالامان ورفعت بها اعلام الايمان وهي أم البلاد وأخت ارم ذات العمداد وقد اصدروا هذه المطاعة وصليب الصليبوت مأسور وقلب ملك الكفر الاسير بجيشه المكسور مكسور والحديد الكافر الذي كان في يد الكفر يضرب وجه الاسلام قد صار حديد اسل يوق خطرات الكفر عن الاقدام وأنصار الصليب وصكباره وكل من المجددية عدته والدير داره قد أحاطت به يد القبيضة وغرق رهنه فلا تقبل فيه القناطر المقطر من الذهب والفضة وطبرية قد رفعت أعمالها الاسلام عليها ونكتت من عكا حلة الكفر على عقيمها وعثرت الى أن شهدت يوم الاسلام هو خير يومها وقد صارت البيعة من اجديهم من آمن بالله واليوم الآخر وصارت المذاهب موافق لخطباء المنابر واهتزت أرضها لوقوف المسلمين بها والمسلمة تحت موقف الكافر فأما القتلى والاسرى فانها تدعى ثلاثين ألفا أو ما فوقها من الدوابية والاستبارية فقد أفضى حكم الله فيهم وقطع بهم وفي نار الجحيم ورحل الراحل منهم الى الشقاء القيم وقتل الابرئس كافر الكفر ونشيدة النار من يدعى الاسلام كما كانت يد الكايم والبلاد والمعاقل التي ففتحت هي طبرية عكا الناصرة صفورية تيساربه نابلس حيفا معليا القولة الناور الشقيف وقلاع بين هذه كبيرة والملك المظفر تقي الدين ظفر بالله مفنايق لنسور وحصن تينين والايح العادل سيف الدين ندره ان قد كوث بالوصول من عنده من العساكر ليرى في طبرية على غرة وعسقلان ويجهز مر اكب الاسطول المندرجة الى عكا وما يتأخر النوض الى القدس فهذا هو وان فقهه ولقد امد عليه ليل الضلال وقد ان نيف فيه الحادي عن صحبه

(فصل ٩٠) في فتح تينين وصيدا وبيروت وجبيل وغيرها وسمى بالمر كرس الى حور قال العباد ارسل السلطان الى تينين لابن أخيه تقي الدين فضايقها وكتب الى السلطان أن يات به منه فوصل اليها في ثلاث مر أحبل ونزل عاها يوم الاحد الحادي عشر من جمادى الاولى فراسسا السلطان وسأله الامان واستأجر خمسة أيام لاستزوا بأهوالهم فامساروا وبذوا هراثن من مقدمهم ووفوا بما بذلوا وقرر يوايا نرى الاسارى المسلمين فخرج الاسارى مسرورين فر بهم السلطان وسير بهم وأقرهم وقربهم وكساهم وحباهم واثاهم بعد ردهم الى معانهم عن غنائم وهذا به في كل بلد يفتحه وملك برجه اندسدا بالاسارى فينالك قروها ويعده بعد عدمه واجودها فخاص تلك السنة من الاسرا أكثر من عشرين ألف أسير ووقع في أسرهم من الكفار مائة ألف والمناصرة والقلعة وأخذوا البغية سيرة ومعه من العسكر المنصور من أوصلهم الى صور ونسبها يوم الاحد الثامن عشر من جمادى الاولى وكان شرط عليهم تسليم العدد والدواب والنازل وقال القاضي ابن شداد فقهها السلطان عوة وكان به رجال أبنال

كتاب (٩٠) الروضتين

شديدون في دينهم فاحتاجوا الى معاناة شديدة وأصر الله عليهم وأمر من بقي منهم بعد القتل ثم رحل منها الى مدينة صيدا فأنزل عليها ومن الغد تساءلها وهو يوم الاربعاء الحادى العشرون قال العماد وصعد له صيدا فقصدي لصيدها وكانت هيمته في قيدها وبادره الشانقا من مكر العداة وكيدها ووصلنا في يومين الى صيدا الى منزل فيها صادين وعن جنى الحق ودعنا لاهل الباطل صادين وانزلنا من الوعر الى السهل سهل ما توعر وصفنا من الامر ما ظن انه تكدر فصرنا الاعسة الى صرند وهي مدينة لطيفة على الساحل موروذ المذاهل ذات بساتين وأشجار وزياحين وازهار فأخذناها وخذنا على صيدا وقد جاءت رسل صاحبها فيجها وطلعت الارية الصفر اعلى سورها وأقيمت بها الجمعة والجماعة واستدعت بها بعد العصيان لله الطاعة ثم سار في يومه على سمت بيروت فنزل عليها يوم الخميس وضابقتها وحاصرها ثمانية ايام ثم طلبوا الامان فأمنهم وتسلطها يوم الخميس التاسع والعشرين من جمادى الاولى ومرض العماد فاملى كتاب صلح بيروت ورجع الى دمشق للعداوة ثم وجد الشفاء وعاد الى السلطان يوم فتح القدس كما سياتى قال وسمعت بيروت يحضوري فكان من سبب بلالى سرورى فيجها وحبورى ونرجع منها ومن قلعها الفرج واملاهم الى صور النجوع وعاد الاسلام الغريب في اهل وطنه وتوطن الذين بها في امانته وسكن في مسكنه وأما جيبيل فان صاحبها اولك كان في جيلة من ينقل الى دمشق مع الملك الاسير فضاقت ذرعا بسجنه الذى يجعل له فيه عذاب السبعين فحدث مع الصفي بن القابض في امره وباح اليه بسرهم وقال ما لك في أسرى فائده ولا خيفة على فتح جيبيل زائده وأنا أسلمها بشرط سلامتى فخذوها ولا تفقدوا فقد قامت قيامتى فأنهى الصفي حاله واستصوب ما قاله فأمر بالحصار في قيده والاستمرار من كيد فوصل به ونحن على بيروت فسلم جيبيل وسلم ورجع فحجته وغنم ومضى اليهم ان تولاهما وانسل منها صاحبها وسلاها وتبعها فيجها ووتلاها فانتظمت هذه السلاسل المتنامية بالساحل في سلك من الفتوح متسقى وأمر من الاستقامة متقى وكان معظم أهل صيدا وبيروت وجيبيل مسلمين مساكين لمساكنة الفرج مستسلمين فذاقوا العزة بعد الذلة وفادوا الكثرة بعد القلة وصدقوا البشائر وصعدت المنابر وظهر عيب السبع وشمر رجوع الجمع وقرئ القرآن واستشاط الشيطان وخست الذواتيس وطلبت الذواتيس ورفع المسلمون رؤسهم وعرفوا نفوسهم وكان كل من أسأمن من الكفر مضى الى سورهمجي الذمار فصار ضرور عن غشهم وكرهمهم وعلماط يريدهم ومخترأ يريدهم وهى التي فراقهمص اليها يوم كسرتهم يوم بلوم حستهم ولما عرف القمص ترب السلطان منها اخلاها واخلها وأوى الى طرابلس وثراها فهاهنا مع عامله وكان كما قيل (راح يسنى نجوة من هلاك فهلك) وتعرضت صور عن القمص بالركن كناية عن الشيطان بالليس فأدرك ثمار الكفر بعد ما أنشئ وأيقظ روع الزوع بعد ما أغشى وضبط صور من فيها من مهزومى الفرسخ ومنذ فيها وكان الماركيس من أكبر طاوغيت الكفرة وأغول شياطينه واضرب سراحيته وأخبر ثوابه والنجس ثلاثة وهو الطاغية الداهية الذى خلق له ولا مثاله الهاوية ولم يكن وصل الى الساحل قبل هذا العام واتفق وصوله الى ميناء عكا وهو يشقها بها من وعن فيهم من المسلمين ذاهل فخرج على ارساء الشينى بالميناء ثم تعجب وقال ما نرى أحدا من أهل الميناء يفتينا ورأى زى الناس غير الرى الذى يعرفه فارتاب وارتاع وحدث عن الدخول توقفه وبان تنذمه وتأخر ثقده وسأل عن الحال فأخبرهم بانكر فى النجاة والمواءراكد والقضاء عنه رائد فانكروا خرج اليه مراكب لآخذة ولوقوف له قاذلوقده فاحتمل كيف يخرج بسيفته ولا يدخل مع قدس ميمته فسأل عن متولى البلد وقال خذوا الى منه امانا حتى ادخل وأرفع ما معى من المتاع وانقل ما عذدى من الثقل فجئ اليه من الافضل بالامان فقال ما أتى الا بخط بدده ولا أنزل الا بعدد الى بلده وهو ينظرهم وبوب اليه المواقفة فزال ردد الرسل ويدير الحيل حتى وافقته الرمح فأقلع وأقلت من الشريك بعد ما وقع وصار في صور فزم الامور وجراء الكفر بعد خوره وبصر الشيطان بعد عماره وعوره وأرسل رساله الى الجزائر ودوى الجزائر بسعدى ويسعدى ويسعدى وودع ملأ الصليب عبادا ويسعدى ويسعدى ويسعدى ويسعدى ويسعدى ويسعدى وبنته في صور وبنته وجمع اليه من الفرج من تشتت وما فتح بلد بالامان الاسار اهل في حفظ السلطان حتى يصروا

في اخبار (٩١) الدولتين

بصور وبأمنوا المحذور فاجتمع اليها أهل البلاد المقتوحة بالقوايا المقتولة المغالبة المروجة فامتلات وكانت خاليه وانتاشت وكانت باليه وتعلات وكانت معتله وتعقدت وتتمخلة ولم يمتد قبلها فآخر فتحها فاستحدثت رماها بالهله وتصعبت بعد ما بتم السهل والهلي عن طلبها طلب ما هو أشرف وهو البيت المقدس فان فقهه من كل نفع أنفس والمركب في أثناء ذلك يحضر الخندق ويحميه ويعتقد الوثق ويبرمه ويجمع المتفرقة وينقمة

(فصل ١٠) في فتح عسقلان وغزة والداروم وغيرها قال العياص لما فرغ السلطان من تجهيز وتوجيب ثقي عنانه عائد على صيدا وأصر فندو وجاءه الى صور ناظرا اليها وبأمر علمها غر مكرثر بأمرها ولا تمتدث في حصرها ودلته القراصة على ان يحسها ولتها تصعب وحرا ولتها تنعب وليس بالساحل بلد منها أحصن فقطف الاعنة على ما هو من أهلون وكان قد استخضر ملك الفرنج ومقدم الداوية في قودها وشرط معها واستوثق منها انه يطلعهما من الاسر والبلية متى تمكن باعائتهما من البلاد البقية وعبر والعيون صور الى صور وما شئت المركب انه بها محصور محصور فلما انقضى من وثاقه واتسع ضيق خناقه حلق في مغارها وطاره وحرك لغوائه أوتارها وتاره واجتمع السلطان بأشبه العادل وانتداعا على المراحل ونشر القساطل فنزل على عسقلان يوم الاحد سدس عشر جمادى الآخرة وشديد هاتلان فقبله من بها على الحصار وصورها ونصروا فغضب السلطان عليها لاجتياق ورمها بها وجسر النجاب فحصر النجاب وبأشرف المباشرة فرفع الجباب واشتد القتال واجتهد المصالح وراسلهم عند ذلك الملك الأسير وقال قد ان عذرهم حين تغلب الدور وجرحت حالات وتكررت حركات وترددت رسالات وقال لهم الملك الأسير لا تتخلفوا ما به أشير واحفظوا رأسي فهو رأس مالدكم ولا تخفوا واغريو بالك في انذاختها خلصت واذا استقرت استقرت ورجع المقتدون وشاوروا الملك وجمعوا في التسليم فبهم الذي سلك وسلموا عسقلان على خروجهم بأمرهم سائين واستوفوا بذلك الميثاق واليمين ولا يوم السبت لانسلاخ جمادى الآخرة فخرجوا بناسهم وأمرهم ومن استشهد على عسقلان من الأسير العاكر حسام الدين إبراهيم بن حسين الخباري وهو أول أمير افتتح أشهاده واختتم بالعبادة وكان السلطان قد أخذ في طريقه اليها الرملة وتبين ويوت سام والخليل وأقام بها حتى تسلم حصون الداوة وغزة والناظرين ويوت جبريل وكان قد استخبر معه مقدم الداوة وشرط معه ان متى سلم معاينهم أطلقه وسلم عسقلان حتى تسلم المعاقل المجاورة لها والبلاد المحتلة فباينها فذكر الداروم وغزة والرملة وتبين ويوت سلمهم ومهدد الخليل عليه السلام واد بيت جبريل والندارين قال ابن شداد لما فرغ بال السلطان من هذه الجانب يعني ناحية بيروت رأى قصده عسقلان ولم ير الاشتغال بصور بعد ان نزل عليها هارمها لان المسكر كان قد تفرق في الساحل وذهب كل انسان يأخذ له نفسه شيا وكانوا قد ضرسوا من القتال ومن ملازمة الحرب والنزال وكان قد اتفق في صور بغير الله ففتحها كل فرنجي بق في الساحل فرأى قصد عسقلان لان أمرها كان أسير وتسلم في طريقه وادع حصة كرامة وتبين والداروم وأقام عليها المجتهدات وتلقاها الشديدا وتلقاها الخجاجة الآخرة وأقام عليها الى أن تسلم أعصابه غرة وبيت جبريل والناظرين بغير قتال قال وكان بين فتح عسقلان وأخذها ففتح لها من المسلمين خمس وثلاثون سبعة فان العدة لم يكن في السابيع والعشرين من جمادى الآخرة تسعة عثمان وأربعين وخمسة مائة وذكر ابن القادسي نسخة كتاب كتبه السلطان الى بعض أهله وفيه (انقلنا الى الجانب الذي فيه القدس وعسقلان فتحنا قلعة كاهنا وحصونه جميعها ومعانك جميعها ومدنها بأسرها هي حيفا ونيسابور وسوف ويافا والرملة وتاد وتل الصافية وبيت جبريل والدير والخليل ونازرا وعسقلان وهي المعقل المنيع والحصن الحصين والمثل الرفيع وفيهم من القوة والعدة والعديد مائة عاصر المال عن نيل مثله فافتتحتها بأسرها لتمام أربعة عشر يوما من يوم نزولنا عليها ونصبت اعلاما التوحيد على أبراجها وأسوارها وكرمت بالمسلمين وخلعت من مشركيها وكفارها وكبرائها وذو نون في القطارها ولويق في الساحل من جميع الى أوائل حدود مصرى القدس وصور والعزم من جميع على قصد القدس فانه يصعد ويجهل فاذا يسر الله تعالى فتح القدس سلمنا الى حور والسلام) وفي كتاب آخر تقدم ذكره منه قال (وقد تفرق العسكر وتوجه قوم الى القدس وابن زب الدين وتفي الدين نازلان على صور وفتح هونين بالسيف وتبين

كتاب (٩٢) الروضتين

بالسيف واسكندرونه بالسيف) وفي كتاب آخر (وزنوا على صور وكنوتهم ملك بيت المقدس يطلب الامان فقال له صلاح الدين أنا احيى اليك فقال له المحمرون على نجمك ان تدخل بيت المقدس وتذهب عن واحد منكم فقال قد رضيت بأن أعمى وأخذ البند) قال (ولم ينع من ذلك الا فقم صور وماهى شئ يقف عليه وقد خطب الامير المؤمنين الناصر لدين الله على ثلاثين منبراً من بلاد الفرنج) قال العماد وقوف السلطان القضاء والحبكم والخطابة وجميع الامور الدينية جدينة عسقلان واعمالها الى جمال الدين ابي محمد عبد الله بن عزالد مشق المعروف بقاضى ايم قال ووصل الى السلطان من مصر ولده الملك العزيز عثمان واجتمع به على عسقلان فقربت عينه ولده واعتضد بعضده ووضع يده بيمين الله في يده وكان قد استدعى بالاسادليل المنصورة فوافقت كالفخ الصكواسر بالملك الماخر وجاءت كائنها امواج تالطم امواجاً وفواج تاحم افواج تدب على البحر عقاربها وتخب كقطع الليل سحائبها لؤلؤة ذمها ومقدماها وضراغاً غابها رهامها فطفق يكسر ويكسب ويسل ويسلب ويقطع الطريق على سفن العدو ومراكبه ويقف له في جزائر البحر على مداخله وسبأ في ذكر ذلك ان شاء الله تعالى

وفتح البيت المقدس شرفه الله تعالى به

قال القاضى ابن شداد لما تسلم السلطان عسقلان والامام كن الحظية بالقدس شمر عن ساق الحد والاجتماع في قصده واجتمع اليه العساكر التي كانت مقرقة في الساحل بعد قضاء ايامها من النهب والفسار فصار نحوهم معتمداً على الله مقوضاً أمره الى الله فتمت بفرصة فتح باب الخبر الذي حدث على انتهازه اذا فتحته قوله عليه السلام (من فتح باب خبر فبخره بغيره) فانه لا يعلم متى يلقى دونه) وكان نزوله على قدس الله روحه يوم الاحد الخامس عشر من رجب فتمثل بالجانب الغربي وكان مشهوراً بالماثلة من الحلة والرحالة ولقد تحازر أهل الخبر عدة من كان فيه من المقاتلة بما يزيد على ستمائة ألفاً ما عدا النساء والصبيان ثم انتقل رجب ما الله تعالى به من رجاها الى الجانب الشمالي وكان انتقاله يوم الجمعة العشر من رجب ونصب عليه المخنثيات وضابطة بالرحف والقتال وكثرة الرماة حتى أخذ النقب في الدور والميل وادى جهنم في فرقة شماليه وما رأى أعداء الله منازلهم من الامر الذي لا يتدفع وظهرت لهم امارات نصرته لخلق على الاطل وكان قد ألقى الله في قلوبهم محاري على ابطالهم ورجاهلهم من السي والقتل والاسر ومجاري على حصونهم من الاستيلاء والاختلاط علواً منهم الى ماصار واليه صائرون وبالسيف الذي قتل به اخوانهم يقتلون فاستكاثروا وأخذوا الى طلب الامان واستقرت القاعدة بالراسلة بين الطائفتين وكان نسب له يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب وابيئة كانت ليلة المعراج المنصوص عليها في القرآن المجيد فانظر الى هذا الاتفاق الجيب كيف يبر الله عوده الى أيدي المسلمين في مثل زمان الاسر المبرم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وهذه علامة قبل هذه الساعة من الله تعالى ثلث هذا أحد الاقوال في ليلة المعراج وفي ذلك اختلاف كثير ذكرنا في مواضع غير هذا والله أعلم ثم قال القاضى وكان قوتها عظيماً شهد من أهل العلم خلق عظيم ومن ارباب الحق والخرف وذلك ان الناس لما بلغهم ما من الله به على يده من فتوح الساحل شعاع قصده للقدس فقصده العلماء من مصر والشام يبحث لم يختلف معرف عن الحضور وارتفعت الاصوات بالفتح والدعاء والنهل والتكبير وخطب فيه وصليته في الجمعة يوم فتيه وسط الصلابة الذي كان على قبة الصخرة وكان شراً عاقباً ونصر الله الاسلام نصراً عزيزاً قدر وكانت قاعدة الملح انهم قطعوا على أنفسهم عن كل رجل عشرة دنانير وعن كل امرأ خمسة دنانير وعن كل صغير ذكر أو أنثى ديناراً واحداً قلت كذلك قال وسياق في كلام الامام ان على كل صغير دينارين وكذا حال ان الجمعة صليت ببيت المقدس يوم فتيه وسياق في كلام العماد النصري بأن يوم الفتح ضاق عن ذلك فصليت في يوم الجمعة الا في ثم قال القاضى فن احضر القطيعة سلم نفسه ولا أخذ أسيراً وفتح الله عن كان فيه من أسرى المسلمين وكانوا خاضعة اعطيت زهاء ثلاثة آلاف نس وأقام عليه رجا الله يجمع الاموال ويقرقها على الامراء والعلماء ويوصل من دفع قطيعته منهم الى أمه وهو دور قال ولقد بلغني ان رجلاً من رجله عنه ولم يبق معه من ذلك المال شئ وكان مائتي ألف دينار وعشرين ألفاً وكان رجله عنه يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان سنة ثلاث وثلاثين كما سيأتي

[illegible]

كتاب (٩٤) الروضتين

ما يفتح الله عليه بحسن فقهه من الحسنى وقال ان اسعدنا الله على اخراج اعدائنا من بيته المقدس فأسعدنا وأوى بدنه عندنا زادنا وأمنه مكث في أيدي الكفر إحدى وتسعين سنة لم يقبل الله فيه من عابده حسنة ودامت لهم المأزول دونه مؤسسه وخلت القرون عنده متخلفة وخلت الفخريه متوليه فساد خرافاته ففضله في الآلال أيوب الجميع الله لهم بالقبول القسليب وكيف لا يتم بفتح البيت المقدس الأقوى والمسيحيد الأقصى المؤسس على التقوى وهو مقام الانبياء وموقف الاولياء ومعبدا لآلئقياء ومن اراد بال الارض وملاككة السماء ومنه المحشر والمنشر وتوافد اليه من أولياء الله المعشر بعد المعشر وفيه الصخرة التي صيغت جدتها بها جهنم من الانهياج ومنها مناجى المعراج لها القبة الشامخة التي هي على رأسها كالشاح وفيه موض البارق ومضى البراق واضاء ليلة الاسراء بمجاول السراج المنير فيه الاتفاق ومن أبوابه باب الرحمة الذي يستوجب داخله الى الجنة بالدخول الى الخلود وفيه كرسي سليمان ومحراب داود وفيه عين سلوان التي تمثل لواردها من الكونثر الحوض المورود وهو أول التملتين وثاني البيتين وثالث الحرم ومن وهو أحد المساجد الثلاثة التي جاء في الخبر النبهوى أنها تشد اليها الرجال وتعقد الرجاء بها الرجال ولعل الله يعيدها الى أحسن صورته كما شرفه بذكره مع أشرف خلقه في أول سورة قتال عز من قائل (سبحان الذي أمرني بعبدته ليلال من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى) وله فضائل ومناقب لا تحصى ومنه كان الاسراء ولارضه ففتح السماء وعنه تؤثر أسماء الانبياء وآلاء الاولياء ومشاهد الشهداء وكرامات الكرماء وعلامات العلماء وفيه مبارك المبار ومسارح المسار وصخرة الطولي والقبة الاولى ومنها تعالت القدم النبوية وتوالت البركة الباعوية وعندها صعد النبي نبينا بالنبين وصحب الروح الامين وصعد منها الى اعلى عليين وفيه محراب مريم عليها السلام الذي قال الله فيه كلما دخل عليها زكريا المحراب ولما باره التعبد والليل الحما وهو الذي أسسه داود وأوصى بيده الله سليمان واجل اجلاله انزل الله سبحانه سبحانه وهو الذي افتتحه الفاروق واقبخت به وزنة الفرقان فأسأجله وأعظمه وأشرفه وأخضعه واعلاه وأحلاه واسماه وأكرم وأعين بر كاته وأركب ميامنه وأحسن حاله واحسن محاسنه وأزين منامجه وأبهج من ايمه وقد أظهر الله طوله وطوله بقوله الذي باركنا حوله وكفبه من الآيات التي أراها الله عليه وجعل سمعنا تمان فضاء له من يده ووصف السلطان من خصائصه ومنها ما يوافق على استعادته الآتية ومواقفه وآلاه وأقسم لا يبرح حتى يبرقه ويرفعه بآلاءه عنه وتخطر الى زيارة موضع القدم النبوية تقدمه وتصفي الى صخرة الصخرة اذنه وسار الله بكامل النصره

(فصل) في نزول السلطان على البيت المقدس وحصره وما كان من أمره قال العماد بن السلطان على غري القدس يوم الاحد لخامس عشر رجب وكان في القدس حينئذ من الفرنج مئتين ألف مقاتل من فارس وراجل وساقب ونايل فاستدفعوا للسلام واستوفوا للحمام وقالوا تل واحدنا بعشرين وكل عشرة مئتين ودون القمامه تقوم القيامه ويجب سلامتنا نقل السلامة وأقام السلطان خمسة أيام بدور حول البلد ويقسم على حصاره أهل الجبل وأبصر في شماليه أرضا راضيا بالحصار مقسمة الى الجبال للاسباع والابصار بمكة لادئومه للنهب ان صار من سائر الانصار فانتقل الى المنزل الشمالي يوم الجمعة العشرين من شهر رجب فما أصبح يوم السبت الاعلى مخيمات قد صيغت بلا نصب فقام القتال والنزال وفرسانهم في كل يوم يمشرون دون الباشورة أمام جموعهم المحصورة المحصورة المشورة ويرزقون ويسارون ويطعمون ويحاجون والمطيعون لله عليهم يحاجون ومن دأبهم وينهون وينهون كما قال الله تعالى فيهم (يجاهدون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) ومن استشهد مدياروا ولم يشهد به وبين الجنة حاجزا الامير العزيز عيسى بن ملك كان أبوه صاحب قلعة جعبر فانه حاز لشهادته في الحشر المنخر وأكثروا الموت الى ان ورد الكونثر وكان في كل يوم يفرس فارس ويلي بشر وجهه وجوه المذون العوايس فاغتم المسكون من صرخته وهان عليهم اتلاف المهج بمختلفة مهيجه فركبوا الكفاف الى الحج حتى وصلوا الى الحفة في غفوة وبددوا جمعهم وفرقوه والنفقة والبال وفتحوه وعلقوه وحشوه واحرقوه وصدقوا وعدائهم في القتل اعداءه وصدقوه ولما غصمهم الحرب ووزع السور واسم النقب فصب عليهم الحين وهان انال الصعب عقدوا ما بينهم مشورة وقعدوا ما بينهم ضروره وقالوا مال الا الاستئمان فقد أخذنا بخطا الخذلان والحرمات واخرجوا كبراءهم ليؤخذوا لهم

في أخبار (٩٥) الدولتين

الامان فأبى السلطان الاقتحام وتدميرهم واستصالحهم وقال لاأخذ القدس الا كماأخذوه من المسلمين منذاحدى وتسعين سنة فانهم استباحوا القتل ولم يتركوا طرا فاستزسره فانافى رجالهم قتلوا وحوى نساهم مبيدا فبرز ابن بارزان ابا من من السلطان ووثقه وطلب الامان لقومه وتنع السلطان ونسأى فى سومه وقال لاأمن لكم ولاأمان وماهرا نا الا ان ندبكم الى الهوان وتأخذكم كسكم قسرا ونوسكم قتلوا وأسرا ونسفك من الرجال الغما واسلط على الذرية والنساء السبا وأبى فى تأميرهم الا الايا فتعزوا للضرع وخوفوه عاقبة التسرع وقالوا اذا أيسنا من أمانكم وخفنا من سلطانكم وحبنا من احسانكم وأبقنا انه لا نجاة ولانجاح ولاصلح ولاصلاح ولاسلام ولاسلامه ولا نعمة ولاكرامه فاننا نقتل قتال الدم والندم ونقابل الوجود بالعدم ونلقى أنفسنا على الذار ولا نلقى بأيدنا الى التهلكة والعار ولايجرح منا واحد حتى يجرح عشرة وانافرق الدور ونخرب القبة وترك عليكم فى ديننا السبه ونقل الصخره ونوجدكم عليها الحسرة وقبة الصخرة ترميها وعين سلوان نعيمها والمصانع تحبسها والمخاليع تحبسها وعندنا من المسلمين خمسة آلاف أسير ما بين غنى وفقير وكبر وصغير فتبدا يقتلهم وشتمهم وأما لاموال فانزعطوا ولانعطوا وأما الذرارى فاناسرع الى اعداءها ولا نستطيعها فلا يحصل لكم سبى ولا يقبل لكم سبى ولا يسلم عرو ولا عاره ولا نضار ولا نضاره ونساء ولا صبيان ولا جراد لا حيوان فأى فائدة لكم فى هذا الشخ وكل خسركم فى هذا الربح ورب خيبة جاءت من رجاء النجى ولا يصبح السوء سوى الصلح فهاور السلطان أصحابه فقيل له الصواب ان تحبسهم سارى فتبدهم وتفرسهم ونهم لصغار الجزية وتفرسهم ويدخل فى القطيعة مرؤسهم ورؤسهم واستقر الحال بعد مرأونات ومعاودات ومفاوضات وتقويضات وضراعات من القوم وشفاعات على قطيعة تمكلم بها ليعطيه ويحصل منها الحوطة اشترى اهلها منهم وأموالهم وخلصوا بها رجالهم ونساءهم وأبنائهم على انه من عجز بعدأربعين يوما عازله أوامتنع منه وما سلمه ضرب عليه الرق وثبت فى تملكه لئلا الحق وهو عن كل رجل عشرة دنانير وعن كل امرأ خمسة وكل صغيرة أو صغيرة دنانير الذكر والاثنى فيها سجان ودخل ابن بارزان والبطرك ومقدمه والداوية والاسبتر فى هذا الضمان وبذل ابن بارزان ثلاثين ألف دينار عن الفقراء وقام بالاداء ولم يسكن عن الوفاء فن سخر ج عن بيته أمنا ولم يعد لها سكتا وسطا والبلديوم الجعه السابع والعشرين من رجب على هذه القطيعة ورد ديار غم والغضب لا الوديعه وكان فيه أكثر من مائة ألف انسان من رجال ونساء وصبيان فأغلقت دونهم الابواب ورتب اعرضهم واستخراجه ما لهم من الدواب وكل بكل باب أسير ومقدم كبير يحضر الخارجين ويحضر الداخلين فن استخرج منهم من خرج ومن لم يقم بحال عليه فعد فى الحبس وعدم الفرج ولوحظ ذلك المال حق حفظه لفساذه بيت المال بأوقر حفظه لكن ثم التفر بطوعم الخليط فسل من رشامشى وتسكب من شجج الرشدا بالرشا فمنهم من ادلى من السور بالحيال ومنهم من جدل مخفي فى الرجال ومنهم من غير لسته فخرج مخفيا يرى الجند ومنهم من وثقت فيه شفاعته مطاع لم تقابل بالرد والتمنا فالأكابر استنابوا أصاغر فأقاموا فى تقصيرهم المعاذر وقنوا لانفسهم الذخائر وأدعى مظالم الدين كوكبرى ان منهم جماعة من أرم من الزها وعددها ألف نعمة فجعل الهم أمرها وكذلك صاحب السيرة ألقى ماعنده الكثير فذهاب جماعة أرمى ذكر انهم من بلده وان الواصل منهم الى القدس لاجل تعبه وكذلك كل من استوهب عدة استطاعها وحصل له مرفقةها ثم تولى الملك العادل استخراجهم وقوم على الاداء مهاجهم وسهل على السلطان لفرط جوده الاستخراج والاخراج وتوفر لعامة الناس وخاضتهم بحجة سماحة الابتهاج وما فيها الامن فاز باوى نصب ورعى منه فى مرمى خصب وكان السلطان قد رتب عدة دواوين فى كل ديوان منها عدة من انواب المصربين وقهم من الشاهيين فن أخذ من أحد الدواوين خطبا بالاداء انطاق مع الانطلاق بعد عرض خطبه على من بالباب من الامناء واوكله فذكرى من لا أشك فى مقال الله كان يحضر فى الديوان ويطلع على حاله فرجا واخطا لمن يتدفع كدبهم وتباس أمر تلبسهم فكانوا شرا كبت المال لا مائة وخاتوه على ما حصل لكل من الغنى والذم وما اضرع غناه ومع ذلك حصل لبيت المال ما يقارب ألف دينار وبقى من بقى تحت رق اسارى ينتظر بد اقتضاء المآخذ المضروبة والجز عن الوفاء بالقطيعة المطلوبه وكانت بالقدس ملكة روم مبعدة

مكتاب (٩٦) الروضتين

مترهيه في عبادة الصليب متضلعه وعلى مصاهب متلهيه وفي التمسك بملته متصبية متعصبه انفسها متصاعدة
 للجنز وعبراتها متخذة تحت القنارات من المزن ولها حال ومال ومتاع وأشياء وأشياء وأتباع فاستعادت بالسلطان
 فأعادها ومن عليها وعلى كل من معها بالأفراج وأذن في أفراج كل مالها في الاكياس والاخراج وايق
 عليها من مصوغات حليتها الذهبية المجوهرة ونفاسها وكراشم خزائنها فخرجت بجمعها مع مالها وحالها ونسائنها
 ورجالها واستفاطها واعدادها والصناديق باقفاها وتبعها من أتباعها ف راحت فرحى وان كانت
 من «مخيفات» وكذلك خرجت زوجة الملك المسور كى وهى ابنة الملك امارى وكانت مقبجة في جوار القديس
 مالها من الخول والخدم والجواري فاستأذنت في الامام بنز وجها وكان بقيد مقبجا في برج بالمس موكلا به ليل
 وعدت ربه فأذن لها فخلصت هي ومن تبعها وأقامت عند زوجها وكذلك خرجت الارنسة أم هنرى وهى
 ابنة قلب وزوجة الارنس الذى سفك دمه يوم حطين وهى صاحبة الكرك والشوبك وهى بتوا بمحوطه ورأيا
 منوطه بجاسات سائلة في ولدها العاني فوعدت انها ان سمعت بخصنها سمع لها بابنها ثم اعفيت وأطقت وعمدت
 على ان تتخضر ابنها هنرى ابن هنفرى من دمشق اليها وأقر برؤيته عينا وسار معها من الامم الى الامناء
 من يسلم منهم تلك الاعاقل فخرجت فحشت الى حصونها لتسلها لها نعلها أهلها ودافعوها وردوها ذليلة خائبة
 فشكت صور واسودت السلطان ابنها المسور ووعدها باعلاها اذا تسلمت تلك الحصون

(فصل) في ذكر كريم الفتح وبعض كتب البشائر الى البلاد قال العباد تسلم المسلمون المدينة يوم الجمعة أو ان وجوب
 صلاحها وطلعت الارباب الناصرية على شرفاتها وأغلقت أبوابها لفظا ناسيا في طلب القطعة والتماسها وضاق وقت
 الفريضة وتعذر ادائها والجمعة مقدمات وشروط لم يمكن استيفائها وكان الاقصى لاسما محجرا مشغولا بالجنازير
 والختاء جموعا جاذرا من البناء مسكونا بن كروغوى وضل ونجا وحنى معمور بالنجاسات التي حرم علينا في
 تطهر منها لونا فوق الشقة بالالام النافع والاعم النجس النجس وهو حفظهم وضبطهم الى ان يوم جسد طهم
 ويؤخذ قسطهم وافترق فخر البيت المقدس في يوم كان في مثل ليلة منة المعراج ونجا وحنى من نجا المعراج
 وجلس السلطان بالتحميم ظاهر القديس المنياء واللقاء الاكابر والامراء والمتصرف والعملاء وهو جالس على هيئة
 التواضع وعمية الثوب بين الفقهاء وأهل العلم جلساته البرار ووجهه بنور البشر سافر وأله بهز النجس ظافر وباه
 مفتوح ورفده مشوح وخجا به في فوج وخطابه مسرور ونشاطه مقبل وبساطه مقبل وخجا به في فوج ورفده مشوح
 قد دخلت له حالة الظفر وكأن دسمة بهالة القمر والقراء جالسون يقرؤون ويرددون والشهراء توف بشدون
 ويستشدون والاعلام تبرز لتنشر والافلام تبرز لتنشر والعميون من فرط المصرة تدمع والقاوب الفرح بالنصرة فتشع
 والالاسنة بالابتهايل الى الله تضرع وبشر المسجد الحرام بفتلاص المسجد الاقصى وتلى مشرح لكم من الدين
 ما وصى وهنقى الخراج الاسود بالبيضاء وندل الوحي بمثل الاسراء ومقر سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد
 الرسل والانبياء ومقام ابراهيم ووضع قدمه في صلي الله عليه وعلمهم بجمعين وأدام أهل الاسلام بشرف
 بنيتهم مسعفين وتسامع الناس بهذا النصر الكريم والفتح العظيم فوفدوا تار يارة من كل فج عميق وسلكوا الى
 في كل طريق واحرموا من البيت المقدس الى البيت العتيق زنتا دوا من زهر كرامات في الروض النقي وقدموا
 ان العباد كان توجه الى دمشق والسلطان على بيروت لالام الذي ألم به فنام مع بنزول السلطان على القدس رابل
 من مرضه وتوجه اليه فوصل يوم السبت ثاني يوم الفتح قال وطلعت عليه صبيحا عند طلوع الفجر فاستبشر
 بقدرى وخلع على الشريف قبل رؤيته وكان احبابه يطالبونه بكتب البشائر ليقربوا به وبشرفه وعرفوا بقبولهم
 لحده القوس بار ولحميد الماديد فار قال ذلك كتب في ذلك اليوم سبعين كتابا بشاره كل طالب يعنى بديع عباد
 قثم الكتاب الى الديوان العزيز بعد ادافتته بهذ الايات (وعده الله الذين آمنوا واتبعتهم الصالحات ليدخلنهم
 في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليكن لهم فيها الذي ارضى لهم وليدخلنهم من بعد خوفهم أمنا) الحمد لله
 الذى أنجز لعباده الصالحين وعد الاستخلاف وظهر بأهل التوحيد أهل السرك والحنلاف ونخص سلطان الديوان
 العزيز بهذه الخلفه ومكن دينه المرتضى وذل الامن من الخنافة وذخر هذا الفتح الاسنى والنصر الاثنى لاهل

في اخبار (٩٧) الوثنيين

الامام النبوي الناصري على يد الخادم اخلص اوليائه والمختص من اعتزازه باعتزائه اليه واتمائه وهذا
 اشتهر العظم والجبع الكريم قد انقضت الممالك الماضية والقرون الحالية على حشرة تنميه وحيرة ترجيه ووحشة
 الياأس من تسنيه وتقاصرت عنه طوال الهيم وتغذلت عن الانتصار له املاك الامم والجنه الذي أعاد القدس
 الى القدس وأعادته من الرخص وحقن من فهمه ما كان في النفس وبذل وحشة الكفر فيه من الاسلام بالانس
 وجعل عز يومه محيا لآل آس وأسكنه الفقهاء والعلماء بعد الجهال والضلال من البطرك والقس وعبيدة
 الصليب ومستقبلي الشمس وقد أظهر الله على المشركين الضالين جنوده المؤمنين العالمين وقطع دابر القوم
 الظالمين والحمد لله رب العالمين فكانت الله شرف هذه الامة وقال لهم اعزموا على اقتناء هذه الفضيلة التي بها
 فضلكم وحق في حقهم امتثال أمر في قوله الكريم (ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم) وهذا الفتح قد
 اقدره الله على اقتضائه بالحرب العوان وجعل ملائكة مسمومة لهم من أعز الانصار وأظهر الاعوان وأخرج
 من بيته اقدس يوم الجمعة أهل الاعداء وقمع كان يقول ان الله ثالث ثلاثة بن يقول والله أحد وأعان الله بالزال
 الملائكة والروح وأفيهم هذا النصر المنجوع الذي هو فتح الفتوح وقد تعالى ان يحيط به وصف البليغ نظا ونيرا
 وعبد الله في البيت المقدس سرا وجها وملكت بلاد الاردن وفلسطين غورا ونجيدا برا وبحرا وملئت اسلما
 وكانت قد ملئت كذرا وتقاضى الخادم دين الدين الذي غلق رهنه دهرها والحمد لله شكرا جدا بجدد الاسلام
 كل يوم نصرا ويزد وجهه له بشري ففتح وجهه بشرا وأبى الخادم الاستباحة أو الهزم وأرواحهم وحسم داء
 اجترأهم باجتياحهم والله لا بد من تظهير الارض المقدسة من رجس دماهم وقتل رجالهم وسي ذرارهم ونسأهم
 ولما اسلموا من النجاء وفتحوا أبواب المرتبة من أسماها المرتبة خوفوا بقتل الاسارى المسلمين وهم أكثر من ثلاثة
 آلاف وانهم يشدون جميع ما في البلد من مال وبناء يدم وأحراق وأنلاف وعرفان جهلهم يعلم على كل مكر
 شنيع وأنهم تدعوهم فظاظتهم الى كل أمر قطع وبذلوا اطلاق الاسرى وشرطوا مال الفداء وما زالوا يمتنون
 ويضربون ويدلون ويضربون حتى استقر الامر لهم يصادون وأجيب الصخرة المقدسة عند استمرارتها
 وبركت البركة الناهضة الى ما في مناخها وغسلت من أوصارها وأوزارها بدماء العيون ورجع اضطرابها الى
 السكون وقد ثبت بنواظر أهل الايمان وصرفت لآلافه بعد ما المجد بالايان وذكر في يوم خلاصها من رجس
 بالسلة المعراج وتجي اظلامها بانارة سناء السراج واعيدت الكنائس مدارس وأضحت باحياهم يوم التوحيد
 رسوم الكنائس عافية دوارس وزالت ضجرة الصخرة ونعشها الله من العثرة وبذل بالانس فيها ما كان من الوحشة
 والحسرة والحمد لله على هذه النصرة والمنة له على هذا ما به وقد تسلمنا مع موت المقدس جميع المعامل من حد
 الداروم الى حد طرابلس وكل ما كان جاريا في ملكة لك القدس ونابلس ولم يبق الا صور فانها قد تأخر انتزاعها
 وتقدم امتناعها والفرح فيها قد ضربت بأمانها الناعمة وهي بتأييد الله مسقحة والقلوب بتذليل جامعتها
 مؤسرة ومن كتاب آخر (فتح بيت المقدس الذي يفتخر بالارلا عن تنميه فكيف تسنيه وماتت الاطاع دونة فلم
 تطلع فيه فن الله عليا بتذليل صعبه واعذاب شربه وتسهيل وعرة وتحصيل خيرة وقضى الموك في ليلة وجئنا
 نحن عليه بالسهار فخره وقد كانت الصخرة منسمة فخره ودنايا الكركلا كلها عليها منقوشة فأجبت دعوتها
 وأصابت خطوتها وتناثرت على خضرتها يواقيت انشا وتولبت قبلتها بقبل الافواه ودنا المسجد الأقصى للقاصي
 والداني وزال رين المعاش وقررت عين الرائي هذا فتح عظيم قدره جسيم فخره فاحل عصره كامل نصره غير متعنى
 الى يوم المشرق كره وقد اقتدى بسبقنا وهر وزهر زهره وظهوره وهلك الكافر وكفره وجاء
 من نعم الله المزم على الابدشكره أين الا حراقهم بغير ان الصوارم وأغرافهم في امواد الطل والجناح وسبنا
 القدس في يوم كانت في شل ليته بالسلة المعراج وحنت الصخرة حنين جذع المجزة الاولى في ظلة ليلها الى ذلك
 السراج الزهاج والحمد لله على ساولك ما وضع من المنهاج ونضرب ما كان نسيم من الاجاج وخلانبت الله قصد
 الحساج وصعدت الحساج مباشرة بما فضل الله بدعصرنا وبشيل به نصرنا ونظم به سلكا وطرز به سلكا وهو فتح
 بيت الله المقدس الذي غلق رهنه دهرها واعتصب من الاسلام قهرا وارادتكرا وامتدت به الايام عرا فبرا

كتاب (٩٨) الروضتين

وتفاضرت الهمة عن استمقناحه وأصله نزلت المسألة فيه فجاءه من رزقها ما لا يرغب على الناس الكثير
واقترحه واحتلوا لحفظ مواضعهم بكافة احترامه واجترأه فلجأهم أعداء الله لا يأمنوا وخبره واسم اعترافنا
وقدعه بنسبنا لها من أفضل هذه الأيام وإشراكنا المحسن نؤثره من أعماله كسلة الاسلام فأصغرنا
الصغيرة وأهدى بالهم النصره ومكانهم قلبها وان كان من الجحيم المره تسبنا القدس يوم الجمعة السابع والعشرين
من رجب وقضينا من حق هذا البيت ماوجب وجاء القدس الى القدس وزال الرجس وذهب وتولى فيه الاسلام
وتولى عنه الكفر وعظم الاجر ونظم النحر وطاب النشر وزاد البشر وبكى الرجس وثبت الطهر وهلك المشرك
وذلل البطرك وأقضى من المسجد الأقصى الساجد الى الشمس وتبلى الحق بنوره الكاشف للبس عاديت الله
القدس الى طهارته ونطق منه لسان التقديس بعبادته وتبال وجه السعد بنضارته وخبنا القدر في انعام أمره
بخطابه وإشارته وزادت الوجوه بشرا بشارته وقد أعاد الله الى الاسلام المسجد الأقصى ومكنا أدناه وأقصاه
وأسنى دولتنا باسمه من فخره وهشاه وعلموا انهم هالكون وأنهم بالقهر مالم يكون وفي سبيل القتل والاسر
والسبي سالكون ففرجوا بعلين الامان وينزلون الاذعان حتى يسلموا المكان قيل لهم الان وقد عصيت
ورضيت بما فيه هلاككم وأبتم فروعوا بقتل أسارى المسلمين بهم ألوف وعرفنا انهم لا يقصرون في الشرفان
جاهلهم معصوف قنصر عوا وتشفعوا وتعفروا في تراب الذل وتوقعوا وتقرع عليهم امشيت وابه أنفسهم في عوا به
من الخوف ملبسهم وسلموا القدس فاعدنا الى القدس وطهرناه من الرجس وأجنداد دعوة الصخرة وغسلنا
عنوا بوض الكفر بصبرات العبره فنجى الله المقدس الذي خلق رهنه وطال في يد الكفر أسره وصحنته واستمل
بغرا يأمننا منزه وأنا رهنه وعاد باحسانا حسنة وزال بنا خوفه وزاد أمنه وبقي قريب ماشة سنة في يد الكفر معبونا
وبرجس الشرك مشحونا حتى أعاد الله بنا روثه وأذهب قلقه وأعدم فرقه وهذا فخره ولكن منذ عصر الصحابة
رضي الله عنهم له نظير وافق الدين به منيف منير وشرف يأمن به كثير وهو امام فتوحنا المذخرة لنا والها بآياتيد
الله تأخير فتح البيت المقدس الذي لم يحظر تنبيه بخاطر الملوك وتوعد على عزائمهم منجى طريقه اسوارك وحالت
دونه قطار يات الفرج طوارتها وجنت على الاسلام فيه حوادث اليا الى وطوارها حتى دعانا الله لنفخه فاجبتنا
ووعدنا بالفوز فاصبناه وأردنا مشرع صفاته فاستعدناه وعرفنا طيب عرفه فاستطبتناه وخرعنا نصرنا هذا
الفخر فاستقبلناش رأوا أخبار المخنفيات قد أنزلت الاسواء بالاسوار وغارت الصخور للصخرة المباركة فحدث
في انقاذها من الاسار وهمت بنا بالابراج وأعضل بها في العلاجاء الاعلاج فعانينا الحمام وشاهدوا الموت
الزأم أقامت المخنفيات على عصا به حد الرجم وواقفت لنا بأشرفاته بالهتمة وتظايرت الصخور في نصره الصخرة
المباركة وحجرت على حاكم السور بسعة الاخبار المتساركة وحسرت القلوب عن عروس البلد بنقب الاسوء
واكشفت للعيون انكشاف الاسرار نهضت لاصراخ الصخرة المقدسة الصخور وطارت من أوكار المجانيق
كأنها الصخور فأفسد البيت الحرام بكلكل أخيه من الاسر واجراء الاسلام فيه لغدلى أوصار الكفر وانقاذ الصخر
المباركة من قلوبهم كالجزاء وأشدقوه والحقها من البهاء والرواق والعز الاسلامي بكسوه ولقد غسلت من أدران
السكرة وادناسه وطبرت من ارجس التجاسه بجماء العميون التي بها تديت وصقلت بشفاة المؤمنين وطمانا بادي
الشرك صديت وأعيد البهاذ كرا لله تعالى بعد طول الغربة وتذكرت بحجة الاولياء ما صلح لها في عهد الصحابة
رضي الله عنهم من حسن الصحبة ودنا المسجد الأقصى فاقضى منه الساجد للشمس وسكن العلماء والفقهاء
في مواطن البطرك والقس وأبدل الناقوس بالاذان بل الكفر بالايان وصلح محراب الاسلام في المحراب الذي
أسلم وقد سنى الله تعالى هذا الفخ الاعظم والفتح الاقم وقد ندب فلان في الرسالة القدسية والبشارة العربية
التي تم بها أتم الكفر وعرس الاسلام وعاد به المسجد الأقصى الى مدنانا بالمسجد الحرام وتفتحت عروس الصخرة
لعيون الناظرين وقاضت عليهم ما ادا حق الاولياء فحضت عنها أوصار الكافرين وسان الاسلام من غير با
فرجع الى وطنه وسكن مشه الى التوطن في مكانه وزالت مخاوفه وعاد الى ما عناه من العرف من منبهه
وأنا التوجه من مطالعه وعلا سنا سنه وحلاجة الجنة وخلصه واضع المخلصين من أولياء الامه ونخرج

١٠ في اختيار (٩٩) الدولتين

المباركة والتسبيحون من مساجد الأنبياء وعادت الكنائس مدارس وآيات التثليث بهادوارس ووجوه الأيمان بأشعة وجوده أهل الصليب عوارس وسحت أيمان هذا الأيام تلك البالي الدوامس وقد أقيمت الجميع والجماعات وظلفت بل طهرت تلك الحاحات وصلى في محراب المحرب ودرس فيه الخلاف والمذهب والجدلة الذي تسنى

بفضله هذا الخائب وتسر بتأييده الأمر الأصعب

(فصل) قال النجاد وكان المولى الاجل الفاضل متأخرا بدمشق يعارض مرض من الله بشغائه فن جملة ما كتب السلطان اليه (اما الفتح فن جملة ركائزهم وآثار جسد ذات عزيمته فان الله تعالى سمل ما سمل أهل الدهر بانه صعب واعب نسيم النصر ايان يقال ليس له مهب وخصه بلمذا الشرف والحقنا في هذه القضية بمصالحى السلف وقد بدّل الكفر بالإيمان والتناقوس بالاذان وجلس العلماء والفقهاء في مجالس الرهبان وفخت بهذا الفتح من بيت الله المقدس أبواب الجنان وتزاحم الخارجون من البلاد من الترفيع والنصرارى في دخول أبواب النيران وصلى محارب الدين في المحراب ورفع الملائكة ما كان تكاثف بانفاس الصّ من الحجاب وغسلت الصخرة المباركة من أوضارها بماء العيون الفائض الفائق غزارة الأمواه وقبلت بالشفاء وبشرت بالافواه وظهرت بأهل العلم والحلم من انداس أهل الجهل والسفاه والجدلة ثم الحمد لله وما كان يعوزنا ويعوزه لاهضوا المجلس السامى أسماء الله فالحمد الأمر رواء البرواقى وللانفس لقاء الاناس لقائه وصككنا بصحف الفتح لوالصالح دعاؤه وحسن الآله والحمد لله الذى خضعنا لهذه الخاضعة ونضنا بالنصرة القدسية وذخر لنا هذا الرائد الذى يجرى بل قصره عمارك البرية والحمد لله على هذه النعمة السنية فمأشوقنا وأشوق القدس الى قدومه وما ظمأنا وأظمأنا الى خصوص الرى وعمومهم ويا حفظ هذا البيت الذى هو أروع البيت الحرام من زيارته وما أتقن روضه وأوفى رضاه اذا غافنا نظره ونضارته ونحن نعرف ان همتهم العالية تجدوه وان دينه الى اجابته دعوتهم ندعو ونسال الله ان يكل همتهم وينش قوتهم ويقوى نصرتهم وما أختار بهذا البلاد الا لتطهيره وترتيب أسره وتديبره) ومن كتاب آخر (نصرنا لله باللائكة المسمومين وأولائه المؤمنين واستخلصنا بتأييده البلاد واتبعنا بها واقتضضنا بالبرك والكر من الحرب العوان أسكارا للفتح وأقترعنا بها وهذه موهبة مذهبية ومنقبة لا يبلغ الى وصفها بالإغصه موجزة ولا مسميه ونية ما بعد هذا الاسلام نوره وحظوة في مذاق أهل التقوى والمغفرة تحلوه وبشرى فيما لوجوه يسرها وتضوع مهاب المحارب بنشرها ويعرف أهل الشرق والغرب سيمال غربها وتقر عين المؤمنين فى البعد والقرب بانوار قمرها عادلة تدبس الى الارض التى بدو صفت وأطاحت البركة بالبتعة التى بقوله تعالى باركنا حولها عرفت وظهرت الصخرة المقدسة وطهرت وزهيت أيام هذه الأيام وزهرت وتعت الطائفة الطاغية من أهل التثليث بأهل التوحيد وقهرت واستبشر المنبر والمحارب بنصيبه وامامه واقترعنا زمان بعصره ولانا أمير المؤمنين وأيامه وقد قللكا البلاد الساحلية وسلمنا لها حصنا حصنا ونقضنا من الكثر زكارتنا واجلبنا الكفار من سافحتنا بسانمهم الحسنى حسنى فتح شرف الله به هذه الامه وجلا به النعمه وكشف الله بل شرفنا بغيره وأعدنا لنخره وخصنا بضلته فى عصره وأجرى لشامنا كان قد أباط من عادة نصره وقمع بأهل دينه من عساكرنا أهل كفره وقامت بوازنا نوره وغرق البلاد الساحلية من دم الكفار ببحره واصرخنا الصخرة وحقت بها النصره وزالت عنها المخره وعادت اليها المايه ونعشت منها العنبره وافاضت شام من عين المؤمنين العنبره وزفت عروسها البكر محصنة تفتض منها العذره وطالت العره ولاحت القره وظهرت من صدف قبتها الدرر وصرفت آثار القدم الثبوتية بالإيمان وجددت بعددها صفة الايمان وبطل الناقوس بحق الاذان وتحت أبواب الجنان لاهلها وأخرج منها أهل النيران والحمد لله على هذا الاحاد جدامه راعى مر الزمان) ومن كتاب الى سيف الاسلام بالين (فتح بيت الله المقدس الذى غلق ثيافا وتسعين سنة مع الكثر رحمة وطال فى أسره هيمته واستحكم وهنه وقرى سكره وصغر ركته وزاد حزنه وزال حسنه واجد بتم الهدى ارضه وأخلف مرنه وواصله خوفه وفارقه امنه واشتغل بظافر الاسلام بسببه وساء حزنه وذكر فيه الواحد الاحد الذى تعالى عن الولد ان المسيح ابنه وربيع فيه التثليث فعز عليه وصلبه وافرد التوحيد فكاد يهيه مقتنه ودرج المالك المتقدمون على تنى استنفاده فابى

كتاب (١٠٠) الروشيين

الشمطان غير استبلائه واستحواذه وكان في الغيب الالهي ان معاده في الانعزال الى معاده وطئت أوطانه بقراءة القرآن ورواية الحديث وذكر الدروس وجليت الصخرة المقدسة جادة العروس وزارها شهر رمضان مضيفا لها نهار صومها بالنسج وليل فبارها بالتراويج ومن كتاب آخر (البيت المقدس صارة مقدسا وأصبح للاسلام معزنا ورجع اهل التقوى اليه فقد كان بهاء مؤسسا وخرس الجرس وذعب الدنس وبطل الناقوس وخرج القدوس وزال الاذى بالاذان وصوبت الصخرة المقدسة بايمان اهل الايمان وما حلت في محراب البيت المقدس الثقة حتى صلت في محراب رقباب الكثر المشرفيات وما تم الرضى بفتح المسجد الاقصى حتى أقصى منه من أصداء الله عن رضاه وما تبوأ المسلم المصل فيهم مأواه من الجنة حتى تبوأ الكافر المصل بالنار مأواه صوئع موضع التقدم المباركة ليلية المعراج بالأيدي وقال لولاء الله اهل الاخلاص اهلنا كي فاحسن الخلاص من ولاية اهل التعدي وعاد المسجد الاقصى للضليان المشرين جنة ومنازل بعد ان كان للقصين المصلين نارادارا وتسلم محراب الاسلام محرابه وأعجب لا أقفلا التي أصحابه وترخ المنبر لترغ الخطيب والمخبر الذين بالكسار صلب عابد العالم لب السلب خلايا لمن أمر القدس باعادة الى قدسه وأخلأته من رجز الشرك ورجسه واجلأه داوويه واسبأه وبطركه وقسه وتعرى به من وحشة الفضل من الهدى بانسه ورد الاسلام الغريب الى بيته المقدس ونفى الكافرونه كاسف الببال راغ المعبطس ونصب المنبر للمسجد الاقصى لاقامة الخطبة الامامية ورفع مافعه قدره من الاعلام العبادية والافراج عن محرابه بهذه المباني دونه من مبانى الشرك وكشف استتار الكثرة التي تحجب بالهتك والتك والاقامة الجع فيه والنجاعات وادامة واداء العبادات به وظائف الطاعات وغسل الصخرة المقدسة بدم الكافر ودفع المؤمن وترجلباس بأس المسمى مع ما لحفاضة ثوب ثواب المحسن وتزيه تلك الجنة من دنس أهل النار واعدها كان درس من معالم الأبرار ومطالع الأنوار وقد رجع الاسلام الغريب منه الى داره وخرج قرة الهدى به من سراره وذهبت ظلم الضلالة بأنواره ومادت الارض المقدسة الى ما كانت موصوفة به من التقديس وأمنت الخشوف فيها وبها صارت صباح السرى ومناخ التعريس وقد أقضى عن المسجد الاقصى الاقصون من الله الابعدين وتوافد اليه المصطفون الاقربون والملائكة الاقربون وخرس الناقوس بزجل المسيحين وخرج المفسدون بدخول المصكين وقال الحراب لاهله من حبا واهلا وشمل جماعة الدلمين من اقامة الجمعة والجماعة ما جمع للاسلام فيه تملار ورفعت الاعلام العباسية على منبره فاخذت من بره وفي نصيب وتلت بالسنة عذرها (نصر من الله وفتح قريب) وغسلت الصخرة المباركة بدموع التقديس من دنس المشركين وبعد اهل الاحد من قريها بقرب الموحدين فذكر بهما كاد بنسى من عهد الفراع النبوى واقامت بدلائلها براهين الامحاز المحمدى عاد الاسلام باسلام البيت المقدس الى تقديسه ورجع بنيانه من التقوى الى تاسيسه وزال ناموس ناقوسه وبطل نص النصر قياس قدسيه وفتح باب الرحمة لاهلها ودخلت فيه الصخرة لتضاهيها وبشرت الجباه بها مواضع سجدوها وصاغت ابدي الايام اثارا لقدم النبوية بتجدد بدورها وشهد مقام المعراج وهو طي براته ورأى نورا الاسراء ومطلع إشراقه وذنا المسجد الاقصى للرا كعب والساجد وامتلا ذلك الفضاء بالاتقياء الاماجد ومن كتاب فاضلى الى بغداد (تخلص ظلى الكافر بالبسوط وصديق الله أهل ديبه فطأ وقع الشرط وقع المشروط وجاء أمر الله وانف أهل الشرك رانهم وادبلت اسبوف والاحمال ناعمة واسترد المسجون ترائكا كان عنهم آتقا وظفروا بقضة بجام بصدة والهم بظفر ونه فامعيا على النائم طارفا) ومنه في وصف نقب السور (فألقى السور من السياره والحرب من النظاره وأمكن النقاب ان يسفر للهرب النقاب وان يعيد الخجير الى سيرة من التراب فتقدم الى الصخرة فضع سرده بانباب معوله وحل عقده بضربة الاحراق الدال على لئافة آله واسمع الصخرة الشريفة حنينه فاستغاثته الى ان كادت ترقى لقتله وتبرأ بعض الجحارة من بعض وأخذ الخراب عليهم وقتافلن تبحر الارض وثم استمرت على الاعلى أقدامهم وخفت على الاقصى اعلامهم وتلاقت على الصخرة قبلهم وشفت بها وان كانت صخرة كاي شفى بالماء غلهم ومالك الاسلام خبطة كان عهدده بهاد منه سكان لخديمها الكثرة الى ان صارت روضة جنات لاجرم ان الله أخرجهن منها وأهبطهم وارضى أهل الحق وأستطلمهم وأوعز الخادم برد الاقصى الى عهد الماعهود وأقام لهم من الأئمة من يوفيه ورده

في أخبار (١٠١) الدولتين

المورود وأقيمت الخنابية يوم الجمعة رابع شعبان فكلدت السموات للغيوم بنفطرن والكواكب منها الطرب
بنفسه ونزلت في الله كلمة التوحيد وكانت طرية مسدودة وظهرت قبور الانبياء وكانت بالحياسات مكدودة
وأقيمت الخناب من كان التشليل بقعدها وجوزت الاسنة بالله أكبر وكان شعرا للكهنة بقعدها وجهر باسم أمير
المؤمنين في وطنه الاشرف من الزهر نرحب به ترحيب من بر وخفق عماله في حفافيه فانوط اسرورا الطار بجناحيه
وكان الخادم لا يدعى سعيه الا هذه المنقبة العظيمة ولا يشأ في تلك اليومى الا رجاء هذه النجى ولا يحارب من
يستظله الا ان يكون الكلمة بمجموعة فتكون كلمة الله هي العليا وليفرز بجوهر الاشعة بالعرض الادنى من الدنيا
وكانت الاسنة بمسألة فاصح قلوبهم بالاكتفاء والاقتصار وكانت الخواطر بما غلت عليه من اجلها فاقطعها
بالاحتمال والاصطبار ومن طلب خطير الخطر ومن رام صفقة رابحة جادس ومن سالان بجلى غرة عامر) ووصف
فيه يوم حطين فقال (وكان اليوم مشهورا وكانت الامانة له شهورا وكان الضلال صارنا وكان الاسلام مولودا وأسر
الملك ويده أو ثوب وثاقه وأكاد وصله بالدين وعلاقته وهو صليب الصليوت وقاد أهل الجبروت مادها وقطع بأمر
الاقوام بين دهماتهم محترقهم ببسط لهم باعه وكان مد اليدين في هذه الدفعة وداعه لاجرم انه تهاافت على ناره
فراشهم وبيجة في ظل ظلامه خشاشهم ويقاتلون تحت ذلك الصليب أصليب قتال واصدقه وبرونه ميثاقا فينبون
عليه أشد عقد وأوثق وبعدونه سور القهوجر الخليل خندقه ولم يفلت منهم معروف الا القمص وكان لعنه الله
بليسا يوم النافر بالقتال ومليسا يوم الخذلان بالاحتمال فخبوا وصكن كيف وطار خوفهم أن الحققة منسرة الرمح
وجناح السيف ثم أخذوا له بعداً بأمر يده وأهل كنهه لوعده وكان أعدتهم فذلك وانتقل من ملك الموت الى مالك
وبعد الكسرة من الخادم على البلاد فظواهرها بما يسر عليهم من الراية وداء صبغة اليضاء صنعها الخنافة
هي وتواب أعدائها العالمة هي وعزائم أوليائها)

(فصل) قال المادون قصائد التي شذت بها السلطان بغض القدس وهو مخيم عليه
أطيب بانفاس طيب لك نفسا * وتعتاض من ذكراك وحشيت أنسا
وأسأل عنكم عافيات دوارس * غدت بسان الحبال ناطقة خرسا
معاهدكم ما بالها كعهودكم * وقد كرت من درس آثارها درسا
وقد كان في حدسي لكم كل طارق * وما جئتم من هجركم بخالف الحدسا
أرى حدثنان الدهر بنسى حديثه * وأما حديث العذرة منكم فلا ينسى
نزول الجبال الراسيات وثابت * رسيس غرام في فؤادي لكم ارنسى
حسبت حبيبي قاسي القلب وحده * وقلب الذي يهوى به بل الهوى اقصى
أمالكم ما بالكي الرق رقصة * يطيب بها ما هو ككم منكم نفسا
وان سروري كنت أسمع حسه * فذمرت عنكم ما سمعت له حسا
وان نهاري صار ليلا بعدكم * فما أضرت عيني صباحا ولا عسا
بكيت على مستودعات تلوكم * كما قد بكت تدماع لي بغير الحسا
فلا تخفيسوا عني الجليل فأنسى * جعلت على جبي أكمه فحق حسا
رأيت صلاح الدين أفضل من غدا * وأشرف من أنجي وأكرم من أمسى
وقبل لناني الأرض سبعة أبحر * واستناري الانامس له الحسا
سبحته الحسن وشيئته الرضى * وبطشته الكبري وعزيمته القسى
فلا عذمت أمانه مشرقنا * ينير بما يولي ليماننا الدمس
جنودك املاك السماء فأنهم * عدائكم جن الأرض في القتل لا الانسا
فلا يستحق القدس غيرك في الورى * فأنت الذي من دونهم فغ القدس
ومن قبل فتح القدس كنت مقدسا * فلا عذمت اخلاقك البطر والقدسا

كتاب (١٠٣) الرومانيين

وطهرته من رجسهم بدمائهم * فأذهبت بازجس الذي ذهب الرجسا
 نزع لباس الكثرة عن قدس أرضهم * وألبسها الدين الذي كشف اللبسا
 وعادت بيت الله أحكام دينه * فلا بطركا بقيت فيها ولا سنا
 وقد شاع في الأفاق عنك بشارة * بأن أذان القدس قد بطل النقسا
 جرى بالذي تموى القضاء وتلاذرت * ملائكة الرحمن اجنادك الجبسا
 وكم لبني أيوب عبيد كعتر * فان ذكر وأياها من لا يذكروا عيسا
 وقد سد طاب ريانا على طبرية * فباطيها معفى وياحسبهم منى
 وعكسا وما عكسا فقد كان فحوها * لاجلهم من مدن ساحلهم كنسا
 وصيدا وبيروت وتبين كاهها * بسيفك التي أنقذه الرغم والكنسا
 وبافا وارسوف وتبني وغرة * فتخذت بها بين الطلي والظلي عرسا
 وفي عسقلان الكثرة ذل فلككم * فخفا به بل امره اربدة وارجسا
 وصار بصور عسبته رقبونكم * فلا تبطلوا عنها وحسبهم حسا
 توكل على الله الذي لك أصبحت * كذا تسمه رعا وعصيته ترمسا
 ودمر على الباقيين واجتث أصلهم * فانك ندسرت دينارهم فلسا
 ولا تنس شرك الشرقي غر بك مرويا * بقاء الطلي من صادات الظلي الحسا
 وان بلاد الشرق مظلمة غفلة * خراسان والخرين والترك والفرسا
 وبعد الفرج الكرك فاقصد بلادهم * بعزمك واما لا من دماهم الرمسا
 أقامت بغياب الساحلين جنودكم * وقد طردت عنه ذئابهم الفلسا
 وهي طويلة وقد تقدم بعضها في ذكر كسرة حطين والعماد أيضا من جهة القصيدة التي مدح بها حسام ابن
 ابن لاجين وقد تقدم بعضها

قل لليليك صلاح الدين أكرم من * يشي على الأرض أومن يركب الفرسا
 من بعد فتحك بيت القدس ليس سوى * صور فان فتحت فاقصد طرباسا
 أترعى لي يوم الظروس ذالجيب * وابعد إلى ايسل انطاكية العيسا
 وأخل ساحل هذا الشام أجمعه * من العداة ومن في دينه وكمسا
 ولا تدع منهم نفسا ولا نفسا * فانهم يأخذون النفس والنفسا
 نزلت بالقدس فاستفتحته ومعتى * تقصد طرباسا فانزل على قدسا

ومن قصيدة أخرى له انشدتها إلى الخليفة الناصر

أبشر بفتح أمير المؤمنين أنى * وصيته في جميع الأرض جواب
 ما كان يحظر في بال تصوره * واستصعب الفتح ما أغلق الباب
 وخام عنه الملولك الاقدمون وتد * مضت على الناس من يبراه احقاب
 وجاء عصرك والايام مقبلة * فكان فيه لفيض الكثرة انضاب
 نصر اعدا صلاح الدين رونقه * ايجازه بليغ القول ادهاب
 قرع الظلي بالظلي في الحرب بطربه * لا قينة صنع بالحسن مطراب
 أحيا الهدى وأمات الشرك صارمه * لقد تبلى الهدى والشرك منحباب
 بفتح القدس للإسلام قد فتحت * في قع طاعية الاشرار أبواب
 ففي موافقة البيت المقدس للبيت الحرام اناته * وانجباب
 والعصر والجور المكوم جانبه * كلاهما لاعمارة الخلق محراب

في اخبار (١٠٣) الدولتين

وفي من القدس صلباناً كاثوليكياً * من بيت مكة ازلام وانصاب
وكثر مدح الفضلاء للسلطان عند فتح القدس وقد ذكر العباد من ذلك جملته في أواخر كتاب البرق فرأيت تقديم
ما اخترته منها هنا وزدت عليه ما لم يذكره في ذلك قصيدة الحكيم أبي الفضل عبد المعين بن حسن الاندلسي
الجلياني منها

أبالمظفر أنت المجتبي لمسدي * أخرى الزمان على خير من خبرته
فساوراك وقد حزت العلي عمر * في قبلة التل قضي كنه عيرته
ولو رآك وأهل القدس في وله * أبو صبيدة فدى من مسرته
غداة جزوا النواصي في شامتة * وأعووا بالنباكي حول صخرته
دارت بك المله الحسنى فجن على * عهد الخصاية في استمرار ملته
وأنت كاسمك صدوق وصاحبه الملك المنظر سام في مسيرته
وفي السلالة عثمان يؤيده * علا على أثار نصرته
وكلمك ذو قسرى رقدوا شرفاً * وكم بعد رأى الزلفى بجمعه
يشبه الفتح ما بين البراة لقي * ملك الفريخ أخيراً بين عترته
أما رأيت معالي يوسف نسقت * حتى رمت كل ذي ملك بحصرته
أنهى لشرف الهدى في فتح منجبه * وبات بطوى العدى في سد غرته
واستقيم الرجس هنوا بمشاده * فاستفتح القدس عشتار بنصرته
ابن باس صلاح الدين اذهلهم * بوقعة التل واستشرى سرته
بعبى الجوارح والفرسان وفوق على * بدء النشاط عشيما مثل بكرته
يا فاضل المسجد الاقصى على بهم * وقفاص الجيش لا يحصى بقهرته
ابشر ملك كظهر الشمس مطلع * على البسطة فتاح بنشرته
حتى يكون لهذا الدين ملحمة * تحكي النبوة في أيام فترته
قال وانفذ من مصر نجم الدين يوسف بن الحسين بن الجوارح الوزير العزيزي قصيدة وعرضتها على السلطان بالقدس
وفها ذكر الانكسار وفتح باقارن ذكر الهدنة التي يأتي ذكرها في آخر الكتاب فنهاوسم في الباقي المختار أيضاً

الوقت أضيق من سماع قصيدة * موسومة لصفقت أغيد أهيف
الجدة في هذا الزمان مبين * والجزل فيه مع الغواية مختلف
بالناصر المهدي والهادي الى * سبل الجهاد في المظفر يوسف
المستعين بربى والوائى * حنصور والمستظهر البر الوفي
شدت قوى أركان ملته أحمد * وتجلت بجهاده في الموقف
ملك اذا أم الملك جتاه * لاذوا بكرم من يؤم وأشرف
واذا أتوا أسرى الى أبوابه * وقوا باعناظ من وصول وأرائ
مولى غدا الدين أكرم والد * حذب على أنبائه متر فرف
عزل الفرقية ثمولى جيشه * أعظم به من صافى ومصرف
تدأ نصف التوحيد من نيلهم * وأقام في الانجيل حداً لمخفف
مبغرى بتجريح الرجال لانه * يروى أحداث العوالى الى العرف
ملكته في الحرب بجهاد رتقه * وله غدا السلم زهد تصوف
وعليه أنزل في الجهاد مفصل * فلذلك يقرأه بسبعة أحرف
عزم وحلم السياما كان من * عزم ابن مدراس وحلم الاخنف

كتاب (١٠٤) الروضتين

يأتى الملك الذى لطيفه * وسيفه خالفا رضى وتعسف
 لله يوم عسروية اذا عربت * ساعاته عن نصرته المتعرف
 سنت سيوفك فى الروس ختانة * ذهبت بهجة كل علق أظف
 آفاتهم واقت باخس ذلك منهم * يافا فكم من حصرة وتأسف
 أومارأى العلاج حين دعوتها * ياسان سيف فى الكربة ملحف
 لم تستطع عصيان أمرك بل أنت * منقادة طوعا ولم تختلف
 فاستدع جارتها ون باختها * وكذلك حتى الأربعين ونيف
 مالىسوا حل غير يحرك حافظ * يشاسنان أو بصحفة مرهف
 هذا الطراز الاخضر استغفرت * فزهى بثوب من علاك مصحف
 أحييت دين محمد وأقتسه * وسترته من بعد طول تركشف
 وضبطت ديوان الجهاد بعامل * من عامل وبشرف من مشرف
 وبجهاد العزم الذى لا ينثنى * وبناظر الرأى الذى لا يظرف
 نفاذ الخراج من السبيطة كلها * واستأد فرخه خزيه وموظف
 وأقبض على الدنيا بكف زهادة * وابسط لرحمتها جناح تعطف
 جاءت جنود الله تطلب نارها * وصدورها بل عن ذليل تشفى
 فأنمض بها وتفاض حقله وقنا * ان الاله بما تؤمله حصى
 هم قتيبة الاتراك كل مجحف * يغشى الكربة فرق كل مجحف
 قوم يحضون الحام شعاعسة * لا ينظرون اليه من طرف خفي
 ان يصحوا الاعداء فى أوطانهم * تركوا ديارهم كتعاصف صنف
 أنت اصطفتهم لخدمة ديننا * لله در المصطفى والمصطفى
 قلت وذكرت بقوله (هذا الطراز الاخضر استغفرت) حكاية حكمة لثقة بالخال حدث بها شيخنا أبو الحسن على بن
 محمد السخاوى قال قرأت بخط شيخنا أبي الفضل بن رشيقي بمصر عقيب موته فى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة
 قال رأى انسان كأنه شخص اذا جهامة واقفا على حائط بجامع دمشق يسمى النسر وهو يقول
 ملك الصباى والصواصى ناصر * للدين بعدا يادسه ان ينصرا
 وسفح البيت المقدس بعدما * يدأوى الطراز له ويقتل قبره
 قلت وهذا أقبل ان يفتح صلاح الدين السلاطى عشرين وثلاث فخط بعض أصحابنا قال وجدت على حاشية كتاب
 يروى عن خطيب كان بالرفقة انه رأى من ينشده هذا الشعر فى النوم سنة احدى وثلاثين وخمسمائة فذكر البيت
 وهذا أقبل الفتح بآنتين وخمسين سنة وقبل مولد صلاح الدين بسنة والمعنى بالطراز الاخضر بلاد الساحل المصطفة
 على بلاد البحر من الداروم وغزة وعقلاقن وعكا وصيدا وبيروت وجبيل وغير ذلك ولم يبق من انداز فى اثناء
 ذلك سوى دربين صيدا وعكا وهكذا كان الامر على ما سبق بيانه ففتح هذا الطراز أولا فتح البيت المقدس
 وكفى بقصر عن البراس الذى قتله بيده لانه كان من رؤس الكفرة وموهم وغلام فى معاداة الاسلام والله أعلم
 قال العماد وكان غير السكب أبوعلى الحسن بن على الجوينى المقيم بمصر من أهل بغداد ففتح الى قصاده لا عرذها
 قرأت ان أدبته هذه القصيدة فى الفتح وهى مشتملة على ذكر مولد الاسلام واهلها ثم تسعين عاما حتى تجرد له
 سلطانا فذكرها هنا

جند السماء لهذا الملك أعوان * من شكا فيهم فهذا الفتح برهان
 متى رأى الناس ما تحكيه فى زمن * وقدمت قبل الزمان والزمان
 وهذا الفتح قروح الانبياء وما * له سوى الشكر بالافعال أثمان

انضحت

في اخبار (١٠٥) الدولتين

أخضعت ملوك الفرنج الصلبي في يده * صيدا وماضعة وابوما وماهاونا
 كمن خول ملوك غودرواومهم * خوف الفرنجة ولدان ونسوان
 استصخرت بلكشاه طرابلس * تخام عنها وصفت منسه آدان
 هذا وكم ملك من بعده نظر الاسـ * لام يطوى ويحوى وهو سكران
 تسعون عاما بلاد الله نصرته والـ * لسلام انصاره دم وعيان
 فالآن لبي صلاح الدين دعوتهم * باح من هولاء الوان معوان
 للناصر اذ خرت هذى الفتوح وما * سمع لها هم الاملاك مذ كانوا
 حياه ذوالعرش بالنصر العزيز فقا * ل الناس داود هذا أم سليمان
 في نصف شهر غدا للشر لمصدا لما * فظهرت منه اقطار وبلدان
 فابن مسلمة عنها واخوته * بل أين والدهم بل أين من وان
 وعد عساواه فالقصر تحفة لم * يدهم من ملوك الارض انسان
 لوان ذا الفتح في عصر النبي لقد * تنزلت فيه آيات وقدر آن
 يافج أوجه عباد الصليب وقد * غدا يرفعها شرم وخسذلان
 خزنت عند الله العرش سائر ما * ملكته ومساوك الارض خزان
 فالله يقيقك للاسلام تحرسه * من ان يضام وياق وهو حيران
 وهذه سنة أكسرم به سنة * فالكفرة في سنة والنصر يفتلان
 يا جامعاً كلمة الايمان قاسم من * معبوده دون رب العرش صلبان
 اذا طوى الله ديوان العباد فـ * يطوى لاجر صلاح الدين ديوان
 والشريف النسيابة المصري محمد بن أسعد بن علي بن عمر الحلبى المعروف بالحنافى نقيب الاشراف بالديار المصرية
 من قصيدة

أرى مناما ما بعنى أبصر * القدس يفتح والفرجة تكسر
 وقامة قت من الرجس الذى * بزواله وزوالها تظهـ
 ومليكهم في القيد مصمود ولم * يرقب ذلك لهم ملك يؤسر
 قد جاء نصر الله والفتح الذى * وعد الرسول فسبحوا واستغفروا
 فغ الشأم وطهر القدس الذى * هو في القيامة للانام المحشر
 من كان هذا فقهه كـ * ماذا يقال له وماذا يذكر
 يا يوسف الصديق أنت لفتحها * فاروقها عمر الامام الاظهر
 ولانت عثمان الشر بعة بعده * ولانت في نصر النبوة حيدر
 ملك غدا الاسلام من يحب به * يتنال الدنيا به تغبتر
 ثم وثاقهم طعنه وضرايه * فالرحم ينال والموت سيد ينثر
 حيث الرقاب خواض حيث العميو * ن خواشع حيث الجباه تنفر
 غاراته جمع فان خبايت له * فيها السيوف فكل همام منفر
 اذ لا ترى الا على بسـ * تحذى نعالا أو دماء تهر
 وصوافنا تختار ان تطأ الثرى * فيصدها عنه طلى وسنور
 تمشى على جيش العدا عرجولا * عرج به الصككتها تعمير

وقال أبو الحسين بن جبير الاندلسي
 أطلت على أفقك الزاهر * سعة ومن الفلك الدائر

كتاب (١٠٦) الروضتين

فابشر فان رقاب العددا * تمتد الى سيفك الباسر
 وكم لك من فتنة فهم * حكمت فتنة الاسد الخادس
 كسرت صلبهم عنوة * فقله درك من كاسر
 وغسرت آثارهم كلها * فليس لها الدهر من جابر
 وأضيت جندك في غزوهم * فتعسا لجندهم العاثر
 وأدبر ملكهم بالأسا * مولى كاهنهم الدابر
 جندوك بالربع منصوره * ففاجزمت شئت أوصابر
 فكاهم غسرق هالك * بتبارع سرك الزاخر
 تأرت لدين الهدى في العددا * فاثرك الله من نائر
 وقت بنصر إله الورى * فمالك بالملك الناصر
 وجاهدت مجتهدا صابرا * فقله أجرك من صابر
 ثبت الماولك على قرشهم * وترقل في الزرد السابر
 وتؤثر جاهد عيش الجها * دعلى طيب عيشهم الناصر
 وتسهر ليلك في حق من * سيرضيك في جفئك الساهر
 فتحت المقدس من أرضه * فعادت الى وصفه الساهر
 وجئت الى قدسه المرتضى * فخلصته من يد الكافر
 وأعلت فيه منار الهدى * وأحييت من رسمه الدائر
 لك ذكر الله هذا التمسو * ح من الزمن الاوّل الغابر
 وخصك من بعد فاروقه * به الاصطناعك في الآخر
 محبتكم ألقيت في التمسو * س بذكر لكم في الورى طائر
 فكلم لهم عن ذكر الملو * ك للملك من مثل سائر
 وباقى القصيدة تقدّم في أخبار سنة أربع وسبعين وقال أبو الحسن على بن محمد الساعاتى
 أعيتا وقد عاينتم الآية العظمى * لا يهال نذر النثر والنظما
 وقد ساغ فتح القدس في كل منطق * وشاع الى ان اسمع الاسل الصما
 حيا ملكة الحسنى وثى به شرب * وأطرب ذاك الضريح وما ضما
 فليت فى الخطاب شاهد فتحها * فشهد ان السيف من يوسف احمى
 وما كان الا الداء أعيا دواؤه * وغير الحسام العضب لا يحسن الجسمما
 وأصبح نعر الدين جذلان باسمما * والسنة الاغناد توسع لهما
 ساوا الساحل الخشى عن سطوانه * فما كان الاساحل صاف اليمما
 وله من قصيدة أخرى فى السلطان
 عصفت به ريح الخطوب زعازعا * فلقين طود الاختصاف اناته
 هو مقتد الميث المقدس بعدما * طالت فما وجد الشفاء شكاته
 بيت تأسس بالسكون وانما * عند الزحف تحركت سككاته
 أمشت الاعداء وهى محافل * عن شمل دين رجعت اشكاته
 أوتيت عزما فى الحرب وسددا * لازبعه يخشى ولا هفواته
 أحسنيت بالبيت العتيق ويثرب * ولك الفعال كثيرة حسنتاته
 هبذى سيموفك مخرومات دونه * ليكأتهن تبسمت بحسراته

في اخبار (١٠٧) الدولتين

وله من قصيدته أخرى

هو الفاتح الجيوت المقدس بعدما ✽ تحامته سادات الدنا ومسودها

فضيلة فتح سكان ثانی خلیفته ✽ من القوم مبدیها وأنت معيدها

وله من قصيدته في بعض أقارب السلطان

النبت من القوم الأولى بسيرة فهم ✽ ثنوا صخرة البيت المقدس مسجدا

ولاحد الكاتب من قصيدته مدح بها الملك الافضل

والقدس اعزل دأؤه من قبلكم ✽ فوفيتم بشفاء ذلك المعضل

درج المسالك على تسمى فتحه ✽ زمنا وغائتم به لم تلب

وأني زمانكم فامسكن آخرها ✽ ما قد تفرق الزمان الاول

ما كن قط ولا يكون كفتكم ✽ للقدس في الماضي والمستقبل

أوجبتم منه الذي عدم الوری ✽ وفعلتم في الفتح ما لم يفعل

أيدي المسالك تناصرت عن منحرف ✽ طلعت به قبائلها لبعض الانحل

أحيتم شرع الحكام ولم يرزل ✽ نصر الحق بكم وقهر المبطل

وله من قصيدته في مدح الملك المؤيد

وكم لبني صلاح الدين فينا ✽ على الاسلام من حق تأكد

وان لم على الاملاك ذرا ✽ بشيخ القدس فضلا ليس يحمد

وله من أخرى في مدح الملك الظاهر غازي

هم المسالك ذو وباس ومكرمة ✽ ان سالوا امنوا او حاربوا خيرة

أغنناهم القدس عن قول الوری ففتحت ✽ عسكرا وصيدا وبيروت واسوف

جيش الفرنج اذا لاقى سرا به هم ✽ ككأنه جبل بالبرج منسوف

وقرأت على شيخنا أبي الحسن علي بن محمد البخاوي رحمه الله من جملة قصيدته مدح بها بعض ولد السلطان أظنه الملك

الحسن ظهير الدين أحمد بن صلاح الدين رحمه الله

ملا ثوبه وأبيبه به تفر العلاء ✽ ريزوق نفراها السها والفرقا

ما يوسس من رفاقا ستم ✽ أفي وقته من المصون واعفدا

اوان يقال ككأنه يوم الوغى ✽ والروع كلاله المصور اذا عدا

أومن يشهد به جوده بعمادة ✽ أومن يشال لئله عسرا ردى

بسل مالك الدنيا ومالي رحمة ✽ تميلا ورجلا ناصدا دين الهدى

وشملص البيت المقدس بعدما ✽ رفع الضليب على ذراد وجدا

ومن الموالك السعيد بلقا هم اذا ✽ رفع السرا دنقرا كعين وصيدا

وبه أفي البيت الحرام وفوده ✽ من كل فيج آمنة المبردا

من بعدما درست معالم سبله ✽ دهر او عزو فوفا ان يثندا

(فصل) في صفة إقامة الجمعة بالآفة شرفه الله تعالى في رابع شعبان ثامن يوم الفتح وقدهم بمسجد بن القادسي في تاريخه فيما قرأه بخطه فانه قال فتح صلاح الدين بيت المقدس ونجاب على المبرقية بنفسه وصلى فيه ولبس خلعة سوداء ولم يكن السلطان هو الذي باشر الحجة على ما ذكره وقد تقدم ان يوم الفتح وان كان يوم الجمعة الا ان الوقت ضاق عن إقامة فرض صلاة الجمعة فيه قال العلماء لما تسلم السلطان القدس أسمر باطلها من الحرب وكان الداوية قد بنوا في وجهه جدارا وترصوه لليلة هربا وتبين كانوا اتخذوه مسترا ماعدوا وبغيا وكانوا قد بنوا من غرب القبلت دارا وسعيه وكسبه ترفيعه فأوعز بكشف ذلك الحجاب وكشف النقاب عن عروس المحراب وهدم

مكتاب (١٠٨) الروميين

ما قدّمه من الانبياء وتنظيف ما حوله من الافنية بحيث يجتمع الناس للجمعة في العرصة المتسعة ونصب المنبر
واظهر المحراب المظهر ونقص ما أحدثوه بين السورى وفرشوا تلك البسيطة بالسبط الرقيقة عوض المحصر
والبورى وعلقت القناديل وتلى التنزيل وحق الحق وبطلت الاباطيل وتولى الفرقان وعزل الانجيل وصفت
السيادات وصفت العبادات واقامت الصلوات وأدبّت الدعوات وتجلت البركات والجلت الكبريات والمجاثبات
الغيايات وثابت الهدايات وتليت الايات وأعلنت الرايات ونطق الاذان ونرس الناقوس وحضر المؤذنون
وغاب القسوس وزال العبدوس والبسوس وطابت الانفاس والنفوس وأقبلت السعادات وأدبرت النحوس
وعاد الايمان القريب منه الى موطنه وطلب الفضل من معدنه وورد القتر وأقرأ الأوراد واجتمع الزهاد والعباد
والابدال والواناد وعبد الواحد ووجد العابد ونواقد الراعي والساجد والمخاضع والواجد والزاهي والراهد
والحاكم الشاهد والجاهد والمجاهد والقائم والقاعد والمتجهد والساهد والزائر والوافد وصمدح المنبر
وصعد المذكر وانبث المعشر وذكر البعث والحشر وأملى الحقاظ وأبكى الوعاظ وتذاكر العلماء وتناظر الفقهاء
وتحدثت الرواه وروى المحذون وتحنف المهده وهدى المتخفون وأخلص الداعون ودعا المخلصون وأخذ
بالفرجة المترخصون وخلص المفسرون وفسر المحضون واندى الفضلاء واتسد المظلمة وكثر المشكون
للخطية المتوجعون بالاصابة المعروفون بالفصاحة المعروفون بالحصافة فهاهم الامن خطبته رتبة ورتب
الخطبة واشأ معنى شاقما ورشى لفظا راقما وسوى كلاما بالوضع لائقا وروى مشكرا من السلافة فائقا
وفهم من عرض على خطبته وطلب من نصيبته ونفى ان ترجح فضيلته وتخيّر وسلته وتسبق بهئته فيما أمته
وكاهم طال الى الاتباع اعقته وسال من الاتباع عليها عرقه وما هم الامن يتأهب ويترقب ويتوسل ويتقرب
وفهم من يتعرض ويتخبر ويشوق ويتشفع وكل قلب يس وقاره وقراباسه وضرب في اجاسه اسداسه
ورفع هذا الياسه راسه والسلطان لا يعين ولا ين ولا ينص ولا ينص منهم من يقول لى خطبتي في الجمعة الاولى
وفرت ياليد الطول واذا نظرت بطالع سعدى فهاأبلى من خطاب يعدى فنادخل يوم الجمعة رابع شعبان أصبح
الناس يسألون في تعيين الخطيب السلطان وامتلأ الجامع واحتفلت المجامع وتوجست الايصار والمسامع
ونافذت لفة القلوب المدامع وراعت جلبيه تلك الحالة وهما تلك البهجة الزائغ وغصت بالساقية بين اليها الموضع
وتوسمت العيون وتسمت الظنون وقال الناس هذا يوم كريم وفضل عجم وموسم عظيم هذا يوم تجلب فيه
الدعوات ونصب البركات ونسال العبريات وتقال العسرات ويتقط العافون ويتعظ السامعون وطوى من
عاش حتى حضر هذا اليوم الذى فيه انبعث الاسلام وانتاش وما أفضل هذه الطائفة الحاضرة والعصبة
الطاهرة والامة الظاهرة وما أكرم هذه النصره ان امر به والامرقة الاماميه والدولة العباسيه والمملكة الايوبيه
والدولة الصلاحيه وهى في بلد الاسلام أشرف من هذا الجماعة التى شرفها الله بالتوفيق لهذا الطاعة وتكلموا
فمن يخطب ومن يكون المنصب وتفاوضوا فى التفاوض وتعدوا بالتصريح والنعريض والاعلام وتعالى والمنبر
يكسى بجنى والاصوات ترتفع والجماعات تجتمع والافواج تزدهم والاهواج تلطم والعارفين من الضمير
ما فى عرفات للجميع حتى حان الزوال وزال الاعتدال وجعل الداعي واجبل الساعى فغضب السلطان الخطيب
بنصه وابان عن اختياره بعد فضله وأوعز الى القياضى مخي الدين الى المعالى محمد بن زكى الدين على
القرشى بان يرقى ذلك المرقى وتلك جباهه الباقي بقدمه عرقى فاعزته من عندى أهبة سراد من تشرىف الخلافة
حتى بكل له شرف الافاضة والاضافة فرقى العود ولقى السعد واهتزت أعطاف المنبر واعتزت أطراف المعشر
وخطبوا وانصتوا ونطقوا وسكتوا وافقعوا وعربوا وابدعوا وغربوا وابتجروا وسبوا وعوطوا في خطبته
وخطب به وعظت به وابان عن فضل البيت المقدس وتقديره والمجد الاقصى من أول تأسيسه وتطهيره وبعد
تخيسه واخراس اوقوسه واخراج تسببه ودعا للعلوية والسلطان وختم بقوله تعالى ان الله بامر بالعدل
والانسان ونزل وصلى فى المحراب واقبح بسم الله الرحمن الرحيم من أم الكتاب فأم بتلك الامه وتم نزول الرحمة
وكل وصول النعمة وما فضلت الصلاة تنشر الناس واشتهر الانسان وانعقد الاجاع واطرده القياس وكان قد

في اخبار (١٠٩) الدولةين

نصب للوعظ تجاه القبلة سرير ليعرفه كبر مجلس عليه زين الدين أبو الحسن علي بن نجبا فذكر من خاف ومن رجا ومن سجد ومن شق ومن هلك ومن نجى وخوف بذى الخلق ذوى الخلق وجلا بدور عظاته من ظلم الشبهات مادجا وأنى بكل عظة للراقد من موقظه ولاظا لمن يحفظه ولاوايا الله من قفصة ولا عدا الله مغلفه وضع اليها كرون وجمع المتشاكرون ورقفت القلوب وخفت الكروب وتصاعدت النعرات وتحذرت العبرات وناب المذبذبون وأتاب المخوذين وصاح الزوايون وناح الواويون وجرت حالات جلت وجلوات حلت ودعوات علت وضراعات قبلت وفرص من الولاية الهلية انتهرت وحصص من العناية الربانية أحرزت وصلى السلطان في قبسة الصخره والصفوف على سعة المحن بهامته له والامة الى الله بدوام نصره مبتهله والوجود الموجهة الى القبلة عليه مقبله والابدى الى الله من فوعه والدعوات له معجوه ثم رتب في المسجد الاقصى خطيبا استمر خطيبته واستعزت نصته قلت هذه الفاظ العباد في هذا الفصل من كتاب الفتح وذكره في كتاب البرق بعبارة أخرى تشل على فوائد زائدة وفي تكرار ما تقدم أيضا غير تلك العبارة فأنه فانها معان جليلة كلما ذكرت حلت وكلما تكررت حلت (فصل) قال العباد في كتاب البرق لما كان يوم الجمعة التالية للفتح تقدم السلطان في المسجد الاقصى بسبب العراض واخلائهم لاهل الاخلاص وتنظيفهم من الادناس وكس ما في ارجائهم من الارجاس وقد كان سبق أمرهم من مسدأ الأمر بهدم ما هنالك من أبنية الكفر وابرار الخراب القديم وأعاد دعوضه الى الوضع الكريم فقد كان الدواويه بنواغر بيده دارا وادخار فيها وخلصها بمبانيها ولقد ذواته جانيها مستراحا لالاعلال وجانيها هو بالاعلال فأمر في العاجل بكشف قناعه ورفع الوضوء من أوضاعه ونقل ما وتبع من اقتضاه ونقض ما اعتور فلما اجهر النفيس من اعراضه حتى ناهو موضع المنبر والخراب واستظهر بالالهامة من الحجاب واجتمع الخلق في ذلك الاسبوع على تفريق ذلك الهدم المتجوع وتعاونوا وتوازوا حتى كشفوه ونفذوا دوروه وفشروه وكان قد أمر بالتحذام منه في تلك الايام فبحر وهو ركبوه ولما أصبحنا يوم الجمعة وجدنا العمل مزدهر والهمم من احده والخواطر الى وردعيها من ناحية وهذا فضلا بلقاء وعلماء أقياء وكل منهم قد سبق بخطبة الخطبة وأمل الفوز بفضيلة تلك الرتبة وعند ذلك التمام مقبالا ونشط بشقة فصاحته من قمر حصانه عتلا حتى اذا جعل الاداعي وتعين القرض على الساعى حفر السلطان صلاة صلاة الصخره بادية على أساره أسرار سروره الاسره وامتلأت تلك العراض والصخور واستعبرت للفرح بما يسره الله العيون وآل الدين الله ان تقضى له الدينون وتلك الزهرن ووجل القلوب وخشعت الاصوات وحسنت الظنون وعين السلطان القاضى بحجى الدين أبى العالى محمد بن علي القرشي الزكي من الرتبة والخطبة وفرع تلك الرتبة فصعد وسجد وسجد وأدت المعاني السريفة لأفقاظه ونسبه الاقادي والاداني ايقاضه وجلا المسامع وجلا المدامع وأنى بالخطبتين المقرضتين على الوجه المتشروع والتمجج المتجوع والشرط الموضوع وذكر في الفتح البكر ما اقتضيه ابتكار الاستعارات بآيدى البراعات وابعر العبارات وصدق بالصدق ونطق بالحق وفاز بالسبق وحاز الفضيلة على فضلا الغرب والشرق فهو لنشر المعاني أضخم خطيب له بنشر المعاني اضخم طيب فابن قس في عكاظه من قياس الفاظه وأبن محبان من محبته وأبن ابن نبأته من نبأته ولوعا شالقة قرأ الى نقره واحتقرا اعراضه ما عذجوهره ودعا لأمير المؤمنين ثم السلطان المسلمين ونزل وقام اماما بكل بصلاته انقرض وأرضى بمعت دعوات والعاما في ركعاته وسجداته أهل السماء والارض وبرا السلطان بنصبه ورفعهم واملأ صدره جبرامته بجلا بصره ومعهم فقد أخذت بالابصار اشعة أنوار الخطبة في سواد الالهية وعظامت أخطار الهامة في خواطر المحبسة وكرمت سرائر الزاقي الى الله والقربه ثم رتب السلطان بعد خطبة بامتداده للصم والجماعات ونسبته ملازمة لاداء الصلوات ولما قضيت الصلاة تلك الجمعة نصب سرير للوعظ ابقي تلك الامة الجمعة وتقدم السلطان الى زين الدين الواعظ ليعرف السر ويرتفع بعنائه الصغير والكبير وحضر المجلس مائة مائة ومستمع فكان أفرج مجلس ويجلى وأشرف جمع وجميع حلق في ورقق وأشم بدواء حق وخب بعباراته الحلو العبرات وشمار العسل بمسول الاشارات وبشر البشر بشاره البشارات وذكر الفتح بكتابه والقدس وطهارته والدين وجسارته والكفر وخسارته والقدر وعائسه والظفر وباتتسه

كتاب (١١٠) الروضتين

والصخرة واصرارها والروعة واقرارها والناور وساطها والقامة وانراطها والرحمة وبها من باب الرحمة والحبسة وجناها هذه الامه وما أعده الله هذه الطائفة وما أنزله من الامن على القلوب الخائفة ووصف سلاسله ملا يبلغ اليه نطق الاليسنة الواصفه ووصف الجهاد وفرافضه وفظائله والخير وزلائله والنجع ووسائله والشرع ومسائله والذنب وغوائله واحسان السلطان وفرائضه والمجر وساحله والذين وحقه والكفر وباطله وكان يوم ارجحنا وسوم ارجحنا

(فصل) في ايراد ما خطب به القاضي محيي الدين رحمه الله قال العماد وخطب القاضي محيي الدين بن زكي الدين أربع خطب في أربع جمع كهان من انشائه وأودعها سر بلاغة عنيت بأفشائه وذكر كرات الخطبة الاولى وبدا الفصل في ما طوي اقتضاه هذه الآيات فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الغلطات والنور وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الا لله الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض والحمد لله قاطر السموات والارض

والخطبة هي الحمد لله عز الاسلام بنصره ومثل الشرك بقميره ومصرف الامور بامره ومدمم النعم بشكره ومستدرج الكافرين بسكره الذي قدر الايام ولا يسدله وجعل العقاب للذين يفضله وافاءه وعلى عبادهم نظيمه وأظهر دينه على الدين كله القاهرة فوق عبادته فلا يمانع والظاهر على خلقه تنبيهه فلا ينزع والا امر بما يشاء فلا يراجع والحاكم بما يرد فلا يذاع أجده على اطفاله واطفاره واغزازه لا ولياته ونصره لا تنصره وتظهر ميرته المقدس من ادناس الشرك وأوضاره جدمن استشهرا الحمد وباطن سره مظاهر جباره وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد شهادة من طهر بالتوحيد قلبه وأرضى به ربه وأشهد أن محمد صلي الله عليه وسلم عبده ورسوله ورافع الشك وداحض الشرك وراحم الافك الذي أسرى به من المسجد الحرام الى هذا المسجد الأقصى وعن حرمته الى السموات العلى الى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زالغ البصر وماه وطفى صلى الله عليه وعلى خليفته أنى بك الصديق السابق الى الايمان وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصليبان وعلى أمير المؤمنين عثمان ذى النورين جامع القرآن وعلى أمير المؤمنين وعلى بن أبي طالب من رزل الشرك ومكسر الاوثان وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان أمها الناس وابشر وابرضوان الله الذي هو الغاية القصوى والدرجة العليا لما سره الله على أيديكم من استرداد هذه الفضائل ومن الامة الفضائل وردّها الى مقرها من الاسلام بعد ان تذالها في أيدي المشركين قريبا من مائة عام وتظهر هذا البيت الذي أذن الله ان يرفع وان يذكر فيه اسمه واماطة الشرك عن طريقه بعد ان امتد عليها رواه واستمره وفيما سره ورفقوا بعده بالتوحيد فأنشئ عليه وبالتقوى فانه أسس على التقوى من خلقه ومن بين يديه فهو هو من أبيك ابراهيم ومعارض بينك محمد عليه السلام وقبلتك التي كنتم تصلون اليها في ابتداء الاسلام وهو مقره والانباء ومقدس الاولياء ومقر الرسل ومهبط الوحي ومنزّل التنزيل الامر والنهي وهو رضى ارض المحشر وصعيدة والمفتر وهو في الارض المقدسة التي ذكره الله في كتابه المبين وهو المسجد الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم باللائكة المقربين وهو البلد الذي بعث الله اليه عبده ورسوله وكلمته التي أنقأها الى مريم وروحها عيسى والذى شرفه الله رسالته وكرمه بنبوته ولم يخرج من رتبة عودته فقال تعالى لن يستخف المسبح ان يكون عبدا لله وقال لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح مريم وهو أول القمطين وثاني المسحدين وثالث الدرمين لانشده الرجال بعد المسحدين الا اليه ولا تمتعوا لخصاصه بعد المواطنين الا عليه ولو لا انكم من اختاره الله من عبادته واصطفاه من سكان بلاده لما خسرتم هذه الفضيلة التي لا يحجار بكم فيها بحجار ولا يبار بكم شرفها ببار فطوى لسمكم

في أخبار (١١١) العولتين

« ومن جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية والوقعات البدرية والعزمات الصديقية والفتوح العربية،
والجيش العنانيه والفتحات العلوية جددتم للإسلام أيام القادسية والوقعات الرومية والمنارات الخيرية،
والنجات الخالدية، فجازاكم الله عن يده محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الجزاء وشكر ما بذلتوه من مهكم،
وفي مقاومة الأعداء وتقبل منكم ما تقرر به اليه من مهر اراق الدماء وأنابكم الجنة فهي دار السعداء فأقدر وارحكم،
والله هذه النعمة حق قدرها وقوموا لله تعالى بواجب شكرها فله النعمة عليكم بخصيصكم بهذا الشجع وترشيحكم،
ولهذه الخدمه فهذا هو الفتح الذي فتحت له أبواب السماء وتبحت بانوار وجوده الظلماء وابتهج به الملائكة المقربون،
وقرب عينا الانبياء والمرسلين فهاذا عليكم من النعمة بان جعلكم الجيش الذي يفتح عليه البيت المقدس في آخر،
والزمان والجند الذي تقوم بسيرهم بعد فترة من النبوة وعلام الايمان فيوشك ان تكون النهاية به بين أهل،
والخضراء أكسبتم من النهاية به بين أهل الغبراء البس هو البيت الذي ذكره الله في كتابه ونص عليه في خطابه،
وقال تعالى سبحانه الذي أسرى بعدد ليل من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله الآية أنس،
هو البيت الذي عظمتها الملوكة وأنت عليه الرسل وتليت فيه الكتب الاربعة المانزلة من الحكيم عز وجل أنس هو،
البيت الذي أسس الله عز وجل الشمس على رشح لاجله ان تعرب وباعدين خطواتنا اليه يتيسر فتحه وقرب أنس،
هو البيت الذي أسس الله موسى ان يأمر قومه باستفادته لم يحبه الزجلان وغضب عليهم لاجله فانقاهم في التيه،
وعقوبته للصبيان فاجدوا الله الذي أمضى عزائمكم لما قد عدت به اسرائيل وقد فضلهم على العالمين ووقفكم بالمعجل،
« فيه، من كان قبلكم من الامم الماين وجعل لاجله كنتم وكان شئ وأغنمكم ما مضته كان وقد عن سوف وحق،
« فليكن ان الله قد ترككم به فمن عنده وجعلكم بعد ان كنتم جنودا لا هو بكم جندوا وشكركم الملائكة المنزليون،
« على ما أهديتكم الى هذا البيت من طيب التوحيد وشكر التقديس والتجديد وما ملظ من طرقهم فيه من أذى،
« والشرك والتثليث والاعتقاد الفاجر الخبيث فالان يستغفر اصحاب املاك السموات وصلى عليكم الصلوات،
« والمباركات فاحفظوا راحكم الله هذه المروية فيكم وأحرسوا هذه النعمة عندكم بقوى الله التي من تمسك بالاسلم،
« ومن اعتمد بعروته المتجاوز عظم واحذروا من اتباع الحوى وموافقة الردى ورجوع القهري وانكمول عن تمسك بالاسلم،
« وخذوا في اتم اثار الفرسه وازال ما بقي من الغصه وجاهدوا في الله حتى جهاده وبيعوا عباد الله أنفسهم في رضاه،
« اذ جعلكم من خير عباد الله وان يستركم الشيطان وان يتداخلكم الطغيان فيجبل لكم ان هذا النصر،
« وسوقكم الحداد ويخبر لكم الجياد ويجلادكم في موطن الجلال لا والله ما النصر الامن عند الله ان الله عز وجل،
« وحكم واحذروا عباد الله بعد ان شرفكم بهذا الفتح الجليل والفتح الجزيل وخصكم بهذا الفتح المبين وأعطى،
« أيديكم بجعله المستين ان تقترفوا كبير امن مناهيه وان تأتوا عظمي امن معاصيه فتكونوا كالتى تقصت غزرها،
« ومن بعدهم ان كانا والذي آتينا آياتنا فاستلخ منها فاتبعه الشيعان فكان من الغاوين والجهاد الجهاد فومر،
« وأفضل عباداتكم وأشرف عاداتكم انصر والله ينصركم اذكر وأيام الله يذكركم اشكر والله يزدكم،
« ويشرككم جدوا في حسم الداء وقطع شافة الأعداء وتطهير بقية الارض التي أغضبت الله ورسوله وأقطعوا،
« وفروع الكفر وجشوا أصله فقد نادت الايام بالنارات الاسلاميه والملة المنجيه الله أكبر فتح الله ونصر غلب،
« والله وقهر أولئك من كفر واعلوا راحكم الله ان هذه فرصة فاتت زوها وفرصة فناجزوها ومهمة فأنجزوها،
« وهمكم وبرزوها وسيروا اليهم اعز ماتكم وجوزوها فالامور بالآخرها والاكساب بدلتها فقد انظر لكم الله بهذا،
« العدو المحتل ولهم مثلكم أوريديون فكيف وقد انخفى في قبلة الواحد منهم منكم عشرون وقد قال الله تعالى،
« وان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين اغاننا الله وياكم على اتباع امره ولا اذبحا رجا واجر وأيدنا مشرعه،
« والمسلمين ينصر من عنده إن ينصركم الله فلا غالب لكم وان يتخذ لكم شئ ذا الذي ينصركم من بعده،

وتمام الخطبة الثانية قروب اجازت به العادة وقال بعد الدعاء للخليفة

« اللهم وأدم سلطاننا عبدك الخاضع لحيثك الشاكر لثمتك المعترف بجهيتك سيفك القاطع وشهابك الالامع،
« والمجاهي عن دينك المدافع والذاب عن حرمك المانع السيد الاجل الملك الناصر جامع كلة الايمان وقامع،

وعسدة الصليبان صلاح الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين مظهر البيت المقدس أبا المظفر يوسف بن
 وأيوب محيي دولة أمير المؤمنين اللهم عم بدولته البسيطة واجعل ملائكتك براياته المحيطة وأحسن عن الدين
 والحنفى جزاه واشكر عن الملة المحمدية عزه ومضاهه اللهم أبقي للاسلام مهيمنه ووق للأيمان حوزته وانشر
 وفي المغارب والمشارك دعوته اللهم فكما فتحت على يده البيت المقدس بعد ان طنت الظنون وابتلى المؤمنون
 وفانفتح على يده اداني الارض وأفاضها وملكه صياضى الكثرة ونواصيها فلانلقاه منهم كتيبة الاخرقها
 ولا جامعة الا فرقا ولا طائفة بعد طائفة الا خلفها من سبقها اللهم اشكر عن محمد صلى الله عليه وسلم سعيه
 وانفذ في المشارق والمغارب أمره ونهيه اللهم وأصلط به أوساط البلاد واطرافها واراجاء الممالك وكافها اللهم ذلك
 وبه معاطس الكفار وأرغم به أنوف النجار وانشر ذواب ملكه على الامصار وأنب سرا يا جنوده في سبل الاقطار
 واللهم ثبت الملك فيه وفي عقبه الى يوم الدين واحفظه في نبيه وبني أيوب الملوكة الميامين واشدد عضده ببقائهم
 واقض باعزاز آلانيته وأوليائه اسم اللهم كما أجزيت على يدى الاسلام هذه الحسنة التي تبقى على الايام وتخلده
 وعلى من التهور والاعوام فارزقه الملك الابدى الذى لا ينفذ دار المتقين واجبد عاءه في قوله رب اوزعنى
 وأن أشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبائك الصالحين
 ثم ما جرت العادة به

(فصل) في المنبر قال العادل ما فتحنا القدس أمر بشهر المحارب وترخيه وتكامل حسنه وتتمه ووضع
 منبر ربحى في أول يوم قضى به الفرض واحتجج بعد ذلك الى منبر حسن رائق يحسنه لائق ويجهل شائق ويكمله
 فائق فذكر السلطان المنبر الذى أنشأه الملك العادل نور الدين محمود بن زنگى رحمه الله لبيت المقدس قبل فتحه
 بنيف وعشرين سنه وأودعه له من ذخائر وعند الله حسنه فامر ان يكتب الى حلب ويطلب خجل وعمل على
 ما أمر به وامثل فخا كالروض النضير والوشى الخبير عديم النظير وكان من حديث احدائه ما مله الله نور الدين
 رحمه الله لارتياح خاطر والده وابنائته وقد أوقع في روعه من النور الفاضل من ينبوع ضاعه ان البيت المقدس
 بعده سيقتم وان صدور اسباب الحرجة لاجله ستشرح وهومن أوليا الله الملهمين وعباده المحدثين المتكرمين
 وكان يجلب بخار يعرف بالاختري من ضبعة تعرف باخترين لم يلق له في راعته وصنعتة قرين فامر نور الدين
 بعمل منبر لبيت المقدس وقال له اجتمع دان ثاني به على النعت الموقند والنعت المهندس فجمع الصناع وأحسن
 الابداع وأتمه في سنتين واستحق بحق احسانه التحسين والناس يقولون هذا أمر مستحيل وحكم ماله دليل وذكر
 جميل وأجر جزيل لو كان اليه سبيل وهم مات ان يعود القدس الى الاسلام ويقضى الاصباح فيه على الاطلاق فان
 الفرج عليه مستولون مستعاون وهم يكثرون على الايام ولا يقاوم امانا صونا على أكثر اعمال حوران وقابلوا الكافر
 الايمان وقد أعجزوا حولك الاسلام الى اليوم فما أصعب واتعب وقم القوم ويقولون له قوة اليقين وعرف ان الله
 كافي بنصره والدين اصبر وفلسر هذا الامتسا وهو كما قال الله تعالى ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ ولم ينزل لنور
 الدين في قلبه من الدين نور وأثر تقواه للثقلين ما تورأه العباد وأعيد الزهاد وهومن الاولياء الارار والالتقاء
 الاخبار وقد نظروا نور الفراسة ان الفتح قريب وان الله دعائه ولو بعد فتحه مجيب وزبده قوة عزه جدا وقده
 بجياد العلياة الربانية مدا قطره الله من العيب وأطلع به على سر الغيب ونزهه من الريب لنقاء الجيب وشملت
 الاسلام بعده ركنه وختمت بافتتاح ملك صلاح الدين ملكه وهو الذى رادولياه وأجبه وحياه وهو الذى اسفغ
 وسنى الخبيج وانتفى ان جامع حلب في الايام النورية فاحترق فاحجى الى منبر نصب ففصب ذلك المنبر وحسن المنظر
 وتولى حينئذ الخراج على الخراب على الزعم وشابه الخراب المنبر الى الرثم ومن رأى حلب الآن شاهده نه على مثال
 المنبر القدسى الاحسان وما فتح السلطان القدس تقدم بحمله وصح به في محراب الاقصى فترقى شهلا ظهره سر الكرامه
 في فوز الاسلام بالسلامه وتناصرت الالسن بالدعاء لنور الدين بالزجه واصلاح الدين بالنصرة والتمعه وقال العادل
 موضع آخر من كتاب البرق وكان الملك العادل نور الدين محمود بن زنگى رحمه الله في عهده عرف نور فراسته ففتح البيت
 المقدس من بعده فامر في حلب بالتحاذ منبر للقدس تعب التجارون والصناع والمهندسون فيه سنيين وادعوا

في اخبار (١١٣) الدولتين

في تركيبه الاحكام والتزيين ، وانفق في ابداء بحسنه وابداء من اينه ألوفاً وكان لترديد النظر فيه على الامام ألوفاً
وبقي ذلك المنبر بجماع حلب منصوباً سقافاً صوان الحفظ مقروبا حتى امر السلطان في هذا الوقت بالوفاء بالاندر
النوري ونقل المنبر الى موضعه القدسي فعرفت بذلك كرامات نور الدين التي اشرقت نورها بعده بسنتين وكان من
الحسين الذين قال الله تعالى فيهم والله يحب المحسنين قلت وهذا الذي نسبته الى نور الدين رحمه الله من انه كرامة
من كراماته لا تقي بحمد ومزنته من الدين وليس بالبعيد من مثل ذلك وكان رحمه الله قد بدت له مخايل ذلك ما تنسب له
من فتح البلاد الشاميه والمصريه وقهر العدو بين يديه مراراً وكان فتح القدس في هيمه من أول ملكه فان لم يكن حصل
له مباشره فقد حصل له تسبياً فان الفاتحين له رحمه الله بنوا على ما أسسه لهم من الملك والتدبير وهم امرأؤه واتبعه
واجنادوه واشياعه ثم يخفى ان يكون رحمه الله وقف على ما ذكره من الحكم من برجان الاندلس في تفسيره فانه اخبر
عن فتح القدس في السنة التي فتح فيها وعمر نور الدين اذ كان احدى عشرة سنة وقدر أيت اندالك في كتابه ذكر
في تفسير أول سورة الروم ان البيت المقدس استولت عليه الروم عام سبع وخمسين وأربع مائة وأشارانه ببقا ما يدعيهم
الى تمام خمس مائة وثلاث وخمسين سنة قال ونحن في عام اثنتين وعشرين وخمسمائة فمضى سبعمائة نور الدين رحمه الله
لما وقف عليه ان يمتد عمره اليه فهي أسيابها حتى منبر الحنابلة فيه غير ان الله تعالى بما يريد من طاعته ويخفيه
وهذا الذي ذكره أبو الحكم الاندلسي في تفسيره من بحساب ما اتفق لهذه الامه المرحومة وقد تكلم عليه شيخنا
أبو الحسن علي بن محمد في تفسيره الأول فقال وقع في تفسير أبي الحكم الاندلسي في أول سورة الروم اخبار عن فتح البيت
القدس وانه ينزع من أيدى النصارى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة قال وقال في بعض الفقهاء انه استخرج ذلك من
فاتحة السورة قال فاحسدت السور وكشفت عن ذلك فلم أره أخذ ذلك من الحروف واغما أخذه فما زعم قوله
تعالى غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين فهي الاسرى التي اخرجها كيعقل
النجيم ثم ذكر انهم يغلبون في سنة كذا ويغلب في سنة كذا على ما تقتضيه دوائر التقدير قال وهذا نجمه
واقفت اصابعنا صبح انه قال ذلك قبل وقوعه وكان في كتابه قبل حدوثه وليس ذلك ما خرمه من الحروف ولا هو من
قييل السكر امات أيضاً فان السكرامة لا تكسب بحساب ولا تقتصر الى تاريخ ولذلك لموافق الصواب ما دار
الحساب على القراءة الاخرى الشاذة التي هي بفتح العين من غلبت الروم ويوضح ذلك انه قال في سورة القدر لوعلم

الوقت الذي أنزل فيه القرآن لعل الوقت الذي رفع فيه

في (فصل) قال العماد وأما الصخرة المقدسة فان الفريخ كانوا بنوا عليها كنيسة وأعادوا رسومها القديمة درسه
وستر وهما بالانيه وعرجوا ووضعوا بزعم التسويه وكسوها مصورا هي أشنع من التعرية ولمؤوها بتصاريف التصاور
وبنوا في ترخيمها الاشياء الخنازير وجعلوا المنصب لها مذبحاً ولم يتركوا فيها الايدي المتبركة ولا ليعيون المدركة ملصقا
ولامطمحا وقدر ينوها بالصور والتمثال وعينوا بها مواضع الزهبان ومحيط الاقبيل وكما ايام السباب التعظيم
والنجيس واقدوا فيها لموضع القدم قبة صغيرة مذهبة بأعداء الخيام منصبة وقالوا بحبل قدم المسيح وهو مقام
القدوس والتسبيح كان فيها صور الانعام منبئة في الزحام والصخرة المقصودة المزورة بما عليها من الانبياء
مستورة وبذلك الكنيسة المعمورة مغرورة فامر السلطان بكشف نقابها ورفع حجابها وحسب كرامها وقشر رخاها
ورحض وضرها ونقض ابنتها وارتل حجرها وابرار الخنازير واطهاره الناظرين فبانت من الشين وبانت
للعين وحيت بالقبيل وقد بدت بالمثل فعادت كما كانت في الزمن القديم وشهدت حين شهدت بحسب السكريم
وما كان ينظر منها قبل الفتح الا قطعة من تحتها قد أساء الكفر في بنيتها فظهرت الا ان احسن ظهور وسفرت أعين
سفور وأشرقت القناديل من فوقها نور اعلی نور وعلمت عليها حظيرة من شبائك حديد والاعتناء به الى كل يوم
في مزيد قال وكان الفريخ قد قطعوا من الصخرة قطعة وجعلوا منها الى قسطنطينيه ونقلوا منها الى صقلية وقيل
باعتها بوزنهما ذهبا واتخذوا ذلك مكتسبا ولما ظهرت ظهرت مواضعها وقطعت القنارب لما بان مقتطعها
فهي الآن مبرزة للعين بجزءها باقية على ايام دهرها مصونة لاسلام في حذرهما وجزءها وقال في البرق ولما
ظهرت للصخرة وجدها ناهية وقد أقيمت لها الذواقب جزوا وأودعت ضريحها من شر أهل الكفر شرهم ووزا فان

كتاب (١١٤) الروضتين

الفرج نفعوا منها إلى بلادهم قطعاً وأبدعوا فيها بدءاً حتى قيل أنها بيعت بوزنها ذهباً وأفضى الأمر بها أن يكون حجرها منتهياً فقطهاها بعض ماولكم أشفاقاً عليها لئلا تمتد يد ضيم إليها فابتعت خرو زها في القلوب خزازات وسار حديث حاد ثم إلى الأقاقير بوايات واجازات وتولاهابعد ذلك الفقيه ضياء الدين عيسى فصاحباً بشبايبك من حديد وثبت أركانها بكل تسديد وقال في الفتح ترتيب السلطان في قبضة الصخر قاما محسناً ووقف عليها داراً وأرضاً ويستأننا وجل إليها وإلى حجاب المسجد الأقصى مصاحف وخطات وربعات معطيات لا تزال بين أيدى الزائر بن على كراسيا مرفوعة وعلى أسرتها موضوعه ورتب هذه القبة خاصة والبيت المقدس عامة قومة من العارفين العامكفين القائمين بالعبادة الواقفين خائبهم ليلاها وقد حضرت الجموع وزهرت الشموع وبان الحشود وذان الخشوع ودرت من المثقين الدموع واقشعرت من العارفين الضلوع فهناك كل ولي يعبد ربه ويأمل بره وكل أشعث أغبر لا يؤبه له لواقسم على الله لا يره وهنا كل من يحيى الليل ويقومه ويسبح بالحق ويسومه وهنا كل من يحتم القرآن ويرتله ويطرد الشيطان ويبطله ومن عرفته معرفته لا يصحار ومن الفقه لم يتجدد الاوارد والا فكار وما أسعدتها رها حين يستقبل الملائكة زوارها وتلحن الشمس أنوارها وتجعل القلوب اليها أسرارها قال وتنافس ماولك بني أيوب فيما يؤثرونه بهاء من الآثار الحسنه وفيما يجتمع لهم ذل القلوب وشكر الاسننه فسامنها الامن لأجل وأحسن وقهر ما أمكن وجلى وبين وحلى وزين وأنى العادل أبو بكر بكل منع بك وبقي الدين عمر بكل ما عم وعمر ومن جملة أفضاله المشكوره ومكرمانه المشهوره أنه حضر يوماً في قبضة الصخرة ومعهم من ماء الورد اجمال ولاجل الصدقة والرفد مال فانتزعت فرصة هذه الفضيلة التي ابتكرها وتولى بيده كس تلك الساسط والعراس ثم غسلها بالماء من أراحتي تطهرت ثم اتبع الماء بماء الورد صباً حتى تعطرت وكذلك طهر محيطاتها وغسل جدرانها ثم أتى بمجامر الطيب فتفجرت وتضوعت ثم فرق ذلك المال فيها على ذوى الاستحقاق واقتنرات فاق التكرام لا تنفاد وبعثان فانه لما عاد إلى مصر ترك خزائنه سلاحه بالقدس كلها ولم ير بعد حصونها بها ثقلاً وكانت اجناساً بأموال وانقالاً كالجبال وذاخراً وافسه وعدد اواقبه وكان من جملة ما شرط على الفرنج أن يتركوا لنا خيلهم وعدتهم فتوفرت بذلك عدد البلد واستغنى به عما يصل من المدد قال وأما محراب داره عليه السلام خارج المسجد الأقصى فانه في حصن عند باب المدينة منيع وموضع عال رفيع وهو الحصن الذي يقم به الخوا في قرب السلطان له اماما ومؤذنين وقواماً وهو مشابة الصالحين ومزار القادين والزائرين فاحياه وجنده ونهج لقصاصه جنده وأمر بعمارة جميع المساجد وضوء المشاهد واتجاح المقاصد واصفاء الموارد للقاء عدو الوارد وكان موضع هذه القلعة مدار دارود وسيمان عليهم السلام وكان ينتابها فها ما الانام وكان الملك العادل نازلاً في كنيسة صهيون واجتباة على بابها من المؤمنين وقاوض السلطان جلساؤه من العلماء والاكابر الاررار والائمة الاختيار فأن بيني مدرسة للفقهاء الشافعية ورباطاً للصالحاء الصوفية فعين للدرسة الكنيسة المعروفة بصند حننه عند باب اسباط وعين دار البطريرك وهي قرب كنيسة قامة لارباط ووقف عليها وقفاً واسدى بذلك إلى الطائفتين معروفاً وارتاد أيضاً مدارس للطوائف ليضيقها إلى مآلها من العوارف

(فصل) قال في البرق وشرع الفرنج في اخلاء البيوت وسيع ما دخروهم من الاناث والقوت واموا واحتوا باعوا بأرض الاثان وكان خروجهم شيباً بالبحان لاسيما ما تعذر ثقله ثقله وصعب جله وكانوا يقول الله تعالى (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناهم اوقافاً آخرين) فباعوا ما يملأهم على البيع اخرجهم خبصاً وابقوا ما لم يجدوا من تركه كخبصاً وغلبوا على ما في الدور من الماعون والمذخور أما الصناديق والأخشاب والزخام وما يحسرى مجراها ما توفرت منه الانواع والاقسام فانبعاثت بها لها متركه ولن يسكن تلك الاماكن ماولك وكانت قامة وهي كنيستهم العظمى ومتعبد لهم الذي يجمعون به الدين والدنيا مفروشة بالبسط الرفاع مكسوة بالسور النسيج والحبر المزجج من سائر الانواع والذي يذكرون انه قبر عيسى

في اخبار (١١٥) الدولتين

عليه السلام بحلي بصفائح الفضة والعين ومصرعات الذهب واللبين مصفوع بالنضار مثقل من نفائس الحلي بالاقوار فأعادها المنظر لثمنه عاتلا وتركه طلالا مائلا فقلت للسلطان هؤلاء غافلون أخذوا الامان على أموالهم خيال هذا المال وهو بالوف بمجادينه في أنفاسهم فقال لهم ما يعرفون هذا التأويل وينسبون البناء لمحامد التحليل ويقولون انهم لم يفظوا العهد ولم يلفظوا العقد ونحن نجريهم على ظاهر الامان ونغريهم بذلك شماس الامان وكانت الهبة الله من ينجز بعد اربيعين يوما عن اداء ما عليه من القطيعه ضرب عليه الرق بمصمم الشريطة ووقف الشريعة فذولاهم الذواب بدخرو جنامن القدس وبقى منهم من ضرب عليه الرق خمسة عشر ألفا في الحبس ففتروهم السلطان وتناهبهم البلدان وحصل في منهم سبنا يانسان وصبيان وذلك بعد ان وبى ابن بارزان بالضمان وادى ثلاثين ألف دينار واخرج من ذكر كراهه فقير بحسب الامكان وكانوا تسد برغمانية عشر ألفا واعتقدانه لم يبق غير فقير وبقى بعد اداءه على ما ذكرناه كثير وأما النصارى الساكنون بالقدس فانهم بذولامع القطيعة الجزية ليسكنوا ولا ينجروا ويؤمنوا ولا ينجروا فأقروا وبوساطة النقيه عيسى وأقر من قسوس النصارى أربعة قوام لقمامه فاعفاهم ولم يكفهم القمامه فأقام بمدينة القدس وأعمالهم الوف شجروا وعبروا وغرشوا فاعفاهم منها مجان وقطوف وكانت لاسراء الفريخ ومقدسهم مجاوره للقصير وعند باب الرحمة مقبره وتبين مجمره فعقبنا آثارها ورخصنا وأضارها وقال في الفتح وأمر السلطان باغلاق كنيسة قمامه وحرم على النصارى زيارتها ولا لمسها وتقاوض الناس عنده فيها فخرجهم من أشار بدم مبانيتها وتعقبة آثارها وتعمية منج مرارها وقالوا اذا هدمت ونشبت المقبرة وعقبت وشربت أرضها ودمر طورها وعرضها انقلبت عنها امداد الزوار والمجتمعت عن قصد ما هو ذا طماع أهل النار ومهما استقرت اعماره استقرت ازياره وقال كثير الناس لا فائدة في هدمها وهدمها فان مقبرتهم موضع الصليب والقبر لا يابسا هدم من البنية ولا يقطع عنها قصد امداد خناس النصرانية ولو نسفت أرضها في السماء ولما فتح أمير المؤمنين عررضي الله عنه القدس في صدر الاسلام أقرتهم على هذا المكان ولم يأمر بدم البنيان قال وأقام السلطان على القدس حتى تسلم ما بقربها من حصون واستباح كل ماله كثر بها من مصون ثم عمد إلى جامعهم ففتروها وخرج في ذوى الاستحقاق وانفقهم فأكثر وأعدله على بذله واستكثر وأما فاضله بفضلهم فقال كيف يمنع الحق مستحقه وهذا الذي أنفقته هو الذي أتقته واذا قبله منى المستحق فالتفت على فيه فانه يخلصنى من الامانة ويطلقنى من وثاقها فان الذى في يدى ودعيت احفظها لذوى استحقاقها وقيل له لو ادخرت هذا المال للمالك فقال املئ قولى من الله السكاقل بفتح الكمال وجمع الاسماء المطلقين وكانوا الوفا من المسلمين في كساحهم وأساهم وواساهم واذهب أساهم فانطلق كل منهم الى دولته ووطره ناجيا من ضره وضره وقال في السرق معيت الملك العادل يوم اى انشاء حديثه في نادية وهو يجرى ذكر افراسط السلطان في اديده يقول انى توليت استيلاء قطيعة القدس فانقذت له اربعة سبعين ألف دينار فجاء في خازنه بكرة وقال نريد اليوم ما نخرج في الانفاق فاعادنا ما كان بالامس شئ باقى فذهبت له ثلاثين ألف دينار أخرى في الحال ففتروها على رجال الرجا يد النوال

﴿فصل﴾ قال العباد ولكم أبى الفضل قصائد قدسيات طوال كثيرة الفوائد قلت قد وثقت على بعضها وقد قبل ذلك ان قال لم أزل من أول ما ولي الملك الناصر الامر في مصر اعلم ان مؤيد بوعنايت من الله سبحانه فامدحته في سنة خمس وستين بقصيدة تنف على مائة بيت منها في الزمان

لنظفرت بمالم يحدوده لك * أيا المنظر حفظا خطه الازل
دليل ذلك آراء لك اقترنت * بالجزم والعزم لم يخصص به الازل

وفيها

قد نساك كندر أهل الزمان معا * في سن عشرين وامتدحت له الخليل
واي التلائين والاقطار اجمعها * طوعا له ومساو لك الارض والمسئل

قال ومدحته سنة سبع وستين عند قوله من غرة غرة بقصيدة منها

كتاب (١١٦) الروضتين

أبالمظفر فاهناً حظ منتخب * أخرى الزمان لمن كاد ينفذ
 زهدت في ماضي الأملات منكدر * علما بملك نعسم مابه كدر
 وطبت نفسا عن الدنيا وزخرفها * وجئت تقديم حيث الهول والخطر
 قال ومدحته سنة ثمان وستين بقصيدة تليف أيضا على مائة بيت منها في التباشير
 أرى الراية الصفرية رمى اصطفاؤها * بني اصصفر بالراقيات اللهم اذم
 قنسي فلسطينا وقبسي بزايرا * وتملك من يونان ارض الاساجم
 وتغنوا لها الاملاك شرقا وغربا * بذحكمت حذاق أهل الملاحم
 قال وبعثت اليه في غزوة سنة اثنتين وثمانين وهو على حصن بقصيدة هنأته فيها بالعاقبة منها
 فيما ملكت اكم نبيق للدين غديره * وهت عند الاسلام فاشدد لها دما
 فشوم فريق الشرك في الشام طائر * فقص جناحيه باقصى القوى قصما
 خصصت بتمكين فعم العدا ردى * فانهم بأجوج افرغهم باردا
 اذا صرفت من آل الاصفر ساحة الس * مقدس ذات فنج أم القصرى قلما
 فذا المسجد الأقصى وهتك العلى * وعزمتك القصوى ورميتك الصبي
 فاعزوا الان تمهم وتدا أنت * فتوح كما فاض الخضم الذى طما
 وان أنت لم ترد الفرج بوقعه * فن ذا الذى يقوى لبنينا هاهنا
 وما كل حين تمكين المرء فرصة * ولا كل حال أمكنت نقمضى غما
 وليس كفتح القدس مثيرة قادر * وما ان تلقاها سوى يوسف جوما
 قال وأنشأت قصيدة أخرى في سنة اثنتين وثمانين وحضرت بها بين يديه منها
 الله أكبر أرض القدس قد صغرت * من آل الاصفر اذ حزن به ما نوا
 أسباط يوسف من مصر أتوا ولهم * من غديرته بهاسوى وامنان
 لهم فلسطين ان يخرج عدائهم * عنها والاعدت يرض وخرصان
 حتى نيت رناح القدس منفرجا * وبصعد الصخرة القبراء عمان
 واستقبل الناصر المحارب يعبد من * قد تم من وعد فنج وامكان
 وبالجرح نبيهم البحر يفل من * غاراته الروم والصقلاب واللان
 حتى يوحد أهل الشرك فاطية * ورهب القول بالثالوث رهبان
 ولا بن أيوب في الافرنج ملحمة * دلت عليهم أساطير وحسان
 ومن أحق بملك بالارض من ملك * ككأنه ملك في الخلق حسان
 ثم قال وأما القصيدة الفتحية الناصرية فأولها

في باطن الغيب ما لا تدرك الفكر * فذو البصيرة في الاحداث يعتمر
 ما نرى ملك الافرنج في قصص * أين القواضب والعسالة السمير
 والاسيثار الى الدواب انما موا * كما تمهم سيدنا جوج اذا استجروا
 والنفس مولعة بغير سبرنما * وفي المقادير ما تسلي به السبر
 يا وتعة التسل ما أقيمت من يجب * جثا فسل لم يفت من جمعها بئر
 ويأخى السبت ما للروم قد سبتوا * ثم ودوا أم بكاس الطعن قد سكر
 وياضريح شعيب ما لهم جثوا * كمدن أم اقوا رخفا كما كفروا
 حطوا بحطين ملكا ككافيا عجا * في ساعة زال ذال الملك والقدر
 أهوى اليهم صلاح الدين مقترسا * وهو الغضن فراعدى ظفوره الظفر

في أخبار (١١٧) الدولتين

أعلى عليهم فصاروا وسط كفة * كسرت طير حواها القناص الذكر
 وأنجز الله لاسطان موعده * ونذره في كفة وردني به البطر
 وعاب الملك الأرض في دمه * فأتى خبا وحجى وهو يعتدل
 رأى ملكا ماسوك الأرض تتبعه * والتجيم يصدده الشمس والقمر
 إذا بدت لهم الأعيان هيبة * ويحتفى وهو في الأذهان مشتهر
 تقدم الجليل في أخرى الزمان به * على صدور علا من قبلنا صدروا
 أما رأيت فتوح القادسية في * استكناف لويسة تجلى وذاع
 والحق يعمرس والطغيان منجب * والكفر يطمس والإيمان مزدهر
 هذا الملك الذي بشرى النبي به * في فتنة النبي للإسلام ينتصر
 أنسى ملاحم ذى القرنين واعترفت * له الرواية بما لم ينس أنه
 أعين أسكندر بالحضر وهو له * عون من الله يستغنى به الحضر
 وصنع ذى العرش بداع بلاسب * فلا تقل كيف هذا الحادث الخطر
 بينما سبها به تجلى في دمشق إذا * ملك القسرين مع الأتراك مختبر
 أراه زعاه الساجسين معا * مصقدين بحبل القهر قد أسروا
 يتلوهم صليوت سيق متسكسا * وحوله ككل قيس له زبر
 ونحن في ذا وذات طير صيفته * بفتح عك التي سدت بها الثغر
 تنزروا الساطيلنا منها صقلية * فتذعر الروم والقسطنطين والحضر
 من ذاك قول لعل القدس منفتح * اليك بل سفير يعقوب له السفر
 أبوا المظفر بنوينا خلف * من باب عكا إلى طرطوش تنتشر
 يسبي فرنجية من أقطارها وله * مع الحجوس حروب قد جهاسر
 وبعض أبنائه بالقدس منتدب * وبعضهم رومة الكبرى له وطر
 برابة تخسر الأرض الكبيرة في * جمع تقول له الأجسام لا وزر
 قالوا أطلت مدبج فيه قلت كما * بدأت فالصالح محبوب مذكر

دسيات التي له فيها التائية له وقد تقدم ذكرها ومنها القدسية الكبرى عددها مائة وأثنان وخمسون

تصاريف دهر أعربت من اهتدى * وبسطه أمر أعربت من قردا
 لمرعة فتح القدس سر مغيب * وفي صرعة الأفرنج معتسبر بدا
 أتوا كبحال ابرمت لاسارنا * فسقناهم فيها قطينا شجدا
 وساموا تجار انشئت ترينا واليا * فبعناهم بالرخص جهرا على النداء
 وجروا جوشا كالسيل على الصوا * فأضت غنائه في البطاح مددا
 وقاروا ماسوك الأرض طمع قيادنا * إذا الكل منهم في القيود معبدا
 وقد أقطع الكند العرواق موقعا * فأودع عينا وسط جلق مؤصدا
 وأقسم أن يسقي بدج حن خيله * فأورد الأرزق الامصقدا
 فكما وائق خيلان قهقه خصمه * وككم سائق يجلان قهقه مددا
 أتى الكند من اسبان يحسى قامة * فكان تقضى ملكه قبل بيتدى
 فاعقد الرايات الأمجدال * ولا حلل الرايات الامعقدال
 ووقعه يوم التل اذا قبضت به * جبارة الافرنج حسبرى وشردا

كتاب (١٢٨) الروضتين

عليهم من البايوى سر اذ قلته * ومن ذل ما نثت نفسه فتهبدا
 ترى النسر الذي يلى سلالحه * وينساق ما بين السبايا ما هدا
 يباعون اسرا باشرائح احبيل * ككشلة عصه قورن الرش جردا
 قتل في نصارى خلق في ماه تم * يسرونها الاشجى وتنبسدا
 ألم تر للسلطان صدق نذره * دم الغادر الارنس فاقتمداربدا
 وباشره بالقتل وسط جنبابه * وعينه الكند البليك فارعدا
 وضائق نفس القمص الارض مهريا * فادر ككه الموت للمفاجىء كمعدا
 وما طسرق الاسماع من عهد آدم * كالحمة التل التي تلت العسدا
 اتوا واداما زال ينفي خباثا * ويصفي لعقبي الدار طائفة الهدى
 به جمعت أعجاب بحكة وهي في * ذراه وذا فيه شعيب تأيدا
 أرى الله فيه مخرج النصر مخلصا * لاهر صلاح الدين في الناس مخلصا
 واهدى جنود العرب ردى عداته * وسلم جميع المسلمين بجنسدا
 ومن يحب جنسون ألف مقاتل * سبهم جيوش ليس فيها من ارندى

والرشيد بن بدر النابلسي

هذا الذي كانت الآمال تنتظر * فلبوف لله أقوام بما نذروا
 بمنل ذا الفتح لا والله ما حكيت * في سالف الدهر أخبار ولا سر
 حين به كان هلك المشركين فيما * لله طيب العشايا منه والبكر
 الآن قوت جنوب في مضاجعها * ونام من لم يزل حلفا له السهر
 يا مجة القدس اذ اغني به علم السلام من بعد طي * وهو منشور
 يا نور مسجد الاقصى وقدر فعت * بعد الصليب به الايات والسور
 شتان ما بين ناقوس يدان به * وبين ذى منطى يصغى له الحجر
 الله أكسبه صوت تقشعر له * شم الذرى ونكاد الارض تنفطر
 يا مالك الارض مهدها فما أحد * سواك من قائم للهدى ينتظر
 ما خضر هذا الطراز الساحلى غرا * الالهوا به اعلامك الصفر
 أغني بنو الاصفرا اكاس موعظة * فم الاعداك الايات والنذر
 صاروا حاد بنا وكانوا قبل حادثة * على الورى يتقمع البدو والحضر
 سلبتهم دولة الدنيا وعبدتها * حتى لقد صخرت من وفدهم سقر
 هذا الذى سلب الافرنج دولتهم * وملكهم بامولك الارض فاعتبروا
 مراكمبا اختطها الخوف مذمئة * عاما ولا ربيع أهواها ولا زعروا
 ولا أصرح باسماء البسلا فقتل * أسهبت والقائل المنطقى يختصر
 يغنيك اجمال قوى عن مفصله * في لفظة البحر معنى تحت الذرور

وهي طويلة وله من قصيدته أخرى

ألم بدار الناصر المالك الذى * في ككة الجود سبعة أبحر
 فاذا مررت بملكه وقتوحه * فاسخر بما روى عن الاسكندر
 واذا بصرت بجاشه وبجيشه * فاحت التراب على ذؤابة سحبر
 ولشهاب فتيان الشاغورى من قصيدة
 كسرت على كسرى لعبدك دولة * قصرت مهايتها تطاول قيصر

في اخبار (١١٩) الدولتين

أهدى صلاح الدين للإسلام إذ * أدى قبيل الكفر ما لم يكفر
رب الملاحم لم يوتر خمها السـ العلماء قدما في قديم الأعمار
خلعت عليه خلعة الملك التي * زبدت بهارا بالطرأ لا تخضر
راياته صـ قرا تروود وتثنى * حرا تجميع آل الأصفر
لم تدن شوس المساوئ له وقد * ملك السواحل في ثلاثة أشهر
واستنقذ البيت المقدس عنوة * من كل ذي نجس بكل مطهر
وأرثتم للمال التي الجمعان بالـ بيت المقدس هول يوم المحشر
وردت دين الله بعدد قلوبه * بالمعبد الأقصى بوجه مسفر
واعدت ما أبداه قبلك فاتحنا * عمر فانتشريكه في المنصر
حتى جعت لعشر الاسلاميين الصخر ذالعظمى وبين المشعر
فلخصرة البيت المقدس كفوها السـ العجر المنفل عند أفضل عشر
فكانه انسان عـين صورة * يلقاك اسـ وده عني أفور

(فصل) في حصار صور وفتح هونين وغير ذلك قال العباد ثم ان السلطان مازال مقبلا بظاهر القدس يحقن
الآمال ويفرق الاموال حتى وردت كتب سيف الدين على بن أجد المشطوب وكان نائب السلطان بصيدا ويروت
وهما جاوران لصور فكتب يجر من السلطان على حصار صور فرحل السلطان عن القدس يوم الجمعة الخامس
والعشرين من شعبان وأخذ صوب عكا وسبقه اليه الافضل وتقي الدين وودع السلطان ولده العزيز وراه الى مصر
فكان آخر عهده به واستحب السلطان أخاه العادل فوصل الى عكا مستهل رمضان فاصبح من شأنه ثم رحل فزلز
على صور يوم الجمعة التاسع من رمضان وخيم بآزاء السور بعيدا منه على النهر وعظم البلد في البحر وهي مدينة حصينة
متوسطة في البحر كانها سفينه وكان المركب الذي في صور قد حفر لها خندقا من البحر الى البحر وبني وراسه
واحكم في التعمير تدبيره واستظهر بتكثير العدد والعدد واغتم اشتغال السلطان بفتح القدس فاقام السلطان تلك
المنزلة على صور ثلاثة عشر يوما حتى تلاحت الامداد وكثرت العدد وآلات الجهاد وتثبت المنجنيقات ثم حوّل
السلطان مضاربه الى تل قريب من السور بشرّف منه ثم حاصروهم وقابل كلّا من الملوكة بجانب بكفه منهم الافضل
والعادل وتقي الدين الحفص وهم وضايقوهم ووصل في تلك الايام من حلب الملك الظاهر غازي ولده السلطان بعسكره
الحلبي فاستظهر السلطان به واستدعى الاسطول المصري وكان بعكافاء منه عشرة شواني وكان للفرنج في البحر
مراكب وحاراريق وفي ارماء الجروخ والزبور كات برهون من دنامن البحر فلما جاء اسطول السلطان استعطل عليها
وأبعدها فاحاط بهم المسلمون وقتلواهم برا وبحرا فبينما هم في أحلى ظفر وهاهنا ورد صدر اذ ملك الفرنج خمسة من
شواني المسلمين وأسروا مقدمهم اورثيسها عبد السلام المغربي ومثوله بدران الفارسي وألقي جماعة أنسهم في البحر
من ناج وهالك ذلك انهم سهر واثلك الالة بازا اميننا صور الى السحر ثم غلبهم النوم فانتهبوا والا وفتح قدر قوتهم
ونكبتهم فاصبح المسلمون وقد انتهبوا واثامهم من الامر ما لم يعلموا ونفذ السلطان الى المراكب الباقية ان يسيروا الى
بيروت وخاف عليها فالتفت اليه يستولى عليها عبدة الطغاوت فجهامها شين رئيس جبيل والباقيون نظروا الى الفرنج
ورأهم قالوا انفسهم في الماء وترجوا الى البر على وجوههم ثم ان الفرنج بعد هذا طعت بفرجحت يوما وقت العصر
مستعذلة لقتال فالتقاهم المسجون فكانت الدائرة على الكافرين وأسروا مقدم كبيرهم وذل ان الله المركب شمله
السلطان الى ولده الظاهر ليحفظه فضرِب عنقه وكان الليل قد دخل فلما أصبحوا تبين لظمان المركب بعد في الحياة
فطال حصاره حتى خسر كثير من أمراء المسلمين لانهم رأوا ما لم يأقوه من تعسر الفتح عليهم فاشاروا وعلى السلطان
بالرحيل لئلا تقتل الرجال وتنقل الاموال وكان البر قد شتت عليهم وكان رأى السلطان والالقياء من الامراء
كالنفس عيسى وحسام الدين طمان وعزالدين جريدك النوري الثابت الجنان الى الفتح لئلا يضيع ما تقدم من
الاعمال وانما في الاموال وقال السلطان تدهمتنا السور وقارب الامور فاصبر وانقها وصابر وانقها ولا تلجأوا

كتاب (١٢٠) الروميتين

فاظهروا الموافقة وفي أنفسهم ما فهم اقل بصدقوا القتال وتعلوا وبان الرجال جرحى والعواطف قد قلت فلم يسع للسلطان بعد ذلك الا الرحيل فامر بنقل الاتقال فحمل بعضها الى صيدا وبيروت وأحرق الباقي لتسليته العدو ورجل في آخر شوال وهو أول يوم من كانون الأول وسارت في الدين الى دمشق على طريق هونين واستحب مع عساكر الشروق ودار بكر والموصل والخزيرة وسنجار وماردين ورجل السلطان الى عكا فوصلها في ثلاث مراحل لانه سلك طريق الدقاورة وهي طريق ضيقة مطلة على البحر بها يضرب المثل لا يعبر بها الا بجل جمل فعبث بها الاتقال والاجال في اسبوع وكان عشرين يوم رحله من صور أمراء يقيمون عليها الى ان يعرفوا عبور الثقل وخيم السلطان عند التل وسار العادل الى مصر والظاهر الى حلب وبدرا الذين دلهم الياءرو في الى بلاده قال وفي سنة رحيل السلطان عن صور جاءه خبر سيف الدين محمود أخي عز الدين جاولي انه استشهد في عسكر بلاحت حصن كوكب كبسه الفريخ فيم البلاء وذلك انه كان قد بقي على السلطان بعد ما فتح من بلاد العدو من جهة اعمال طبرية والقور حصن ناصعة وكوكب وكان في صفة جبهة الداوية وفي كوكب جبهة الاسبتارية فاحتاج السلطان في فتحهما الى المطالعة فوكل بصفة جماعة يعرفون بالناصرية مائة منهم مسعود الصليبي وكنل بكوكب هذا الامر سيف الدين محمود فاقام في حصن عفر بلا وهو قريب من حصن كوكب ونص على المهين فيه المظع والمشرى وصفيق عليهم المذهب الى ان دخل الشتاء فاختلت الحراسه واعتلت السياسة فلما كانت ليلة آخر شوال وكانت ليلة باردة ماطره حرس أصحاب سيف الدين حتى صبحوا فقلعهم النعاس فالتفتهم الاوفريخ كوكب عليهم باركة فذا فو عن أنفسهم حتى استشهدوا وأخذ الفريخ غنيمة المسلمين ودخلوا بها كوكب وكان هذا الامر محمودا من ميتين ومسكن من السلك ما كين وهو يسهرا كثر ليله فمسيحا وقد جعل نزله مسجدا فجمع بين التمسيد والجهاد وكان كثير الاجتهاد فاعتم السلطان عصابه وزاد تألما الى ما به وتقدم الى صارم الدين قائما ز النجى ان رابط كوكب في خيمته الفارس فتشعل ولم يزل بها الى ان فختت كجاسيا في قال وفتح هونين والسلطان يحاصر صور وكان لما فتح تبتين قدام متبع عليه هونين فوكلهم من رابطها وضاعها حتى طلبوا الامان وجاء خبرها الى السلطان وهو على صور ففتح الامر بدرا الذين دلهم ففتحها وخرج الفريخ منها سالمين آمنين وكان قد بقي ايضا من عل صيدا قلعة الى الحسن وشقيق اريزن وأقام السلطان بظاهر عكا ناظرا في أمور رعيته ثم دخلها وسكن بالقلعة افضل برج الداوية وولى عكا عز الدين جردك ووقف دار الاسبتار نصفين نصف على الفقهاء ونصف على الصوفية ووقف دار الاسقف بمارستانا ووقف على كل من ذلك كفايته وأظهره عنايته وسلم جميع ذلك الى قاضيه جمال الدين ابن الشيخ أبي العجيب وهو في ذلك مصيب

(فصل ١٢١) في ورود رسل التهاني من الاقاق وقدوم الرسول العاتب من العراق قال العماد ووردت رسل الاقاق من الروم وخراسان والعراق وكلهم يهنئ السلطان بما أفرده الله به من الفضيلة وأقده عليه من شجع الوسيلة وهو فتح القدس الذي درجت على حمرة القرون الاولى وقاصرت عنه أيديهم المتطاوله وكنت منه بده الطول فقامتهم الامن يعترف بفضله ويغترف من به ويقرب بحكم التمنزل له وينزل على حكمه ويخطب بصداقته ويتبرع بالوفاء والوفاء ويتابعه عن الشقاء والاشفاق فجل منهم رسول صاحب الرى ورسول المستوفى على عمالك همدان واذر ليجان وازان فها من يوم عصى وشهر يقضى الاو يصل منهم رسول ويتصل به سهل وذكر العماد في السيرة انه وصل الى السلطان وهو بعكار رسول أنابك مظفر الدين قزل ارسلان وهو عجماني أنابك ابلكر المستولى على بلاد الجهم بعد أخيه البهلوان ثم ذكر من خرقه في كره شيئا كثيرا ثم قال وهذا كله لا يكون في بسط لساننا جداول كان السلطان مذهب ظاهر المحفل والمركب قد خصه الله بالصد الارحب والنصر الاغلب عزمه الى الجهاد مصروف وخلقه بالعرف يعرف وهم بالسماح مشغوف ما يقفه بالسيف في البلاد يهيه لمن يضرب معه بالسيف في الجهاد وللثاق تقواه وللخلاقين جدواه وللماريد لا آخره ديناه فلا جرم نعتهم الله بالحسن عقباه قال ولم يكن في المملك السالفة أمضى منه عزما وأجدى فضلا وأعم جدوى واكل جهدا في الجهاد واماك جلد اعل الجبلاد فانه باشر بنفسه الحرب ومارس الصعب وقذف بالحق حين حقه على

الباطل

في أخبار (١٢١) الدولتين

الباطل فانهقه ولا حد ولا غدا في سبيل الله من نفائس النفوس والاموال انفق ومن أول هذا العام إلى منتهاه لم يصرف لورده ليد ولم ينصب من ورده عد ولم يقر له جنيب بل بقي في قصي القبض والقتل مض المجرى عرض البرد بحر وجهه الكريم وقضى حق الدين وفيه اصدق غرامه بحق العرب وكل مات من النصر يوم حطين وفيه القدس وتسلم بلاد الساحل انما تنسى بشهر سيقته في فصل الصيف وشهره واستظهاره بظهور الاسلام وشدة ظهوره وأنشد لها للفاضل في وصف أسيافة

ما ضيات على الدوام دواحي * هي في النصر نجدة الاسلام
في عين السلطان ان جردتها * أشبهتها صواعق في غمام
تنتثر الهام كالخروف فما أشبه به هذى السيوف بالاقلام
في محارب حرب البيش صلت * وزكوع النفي سجود الهام

وذكر من كلامه في التوسط بين الاصدقاء (ما دخل بينكم الا كدخول المردة في الاجفان يرد اليها ما ذهب منها من الثور والجمل او كنسب بين الاغصان يعطف بعضها على بعض)

قال العماد ووصل إلى تاج الدين أبو بكر حامدا من دار الخلافة رسالة في العتب على أحداث ثقلت وأحاديث نقلت وشوايات أثرت وسعيات في السلطان شعثت وذلك في شوال ونحن على حصار صور وسبب ذلك انه لما تم الفتح الاكبر وخص وعم النجح الاظهر وقطع دابر المشركين وحط اقبال المسلمين أوزار ديار الكفر بطين أمري في السلطان بافناء كتب الشائ إلى الاتفاق وتهدم البشري به إلى العراق فقلت هذا فتح كريم ومنع من الله عظيم فلا ينبغي ان يكون مبشرا دار الخلافة بما أنزه الله عاين من الرحمة والرافة الا من هو عندنا أبجل وأجلى وأعلم وأعلى وأجمع لفنون الفضائل وأعرف بأداء الرسائل فلا يرغ العظم الا بالعظيم الرفيع فان الشريفة يتضح شرفه بقارة الوضيع فقال هذه نصر ممتكرة وهو مية مبشرة بدت ونشرت فحين نجعل بابشيرا ونؤخر لاجلال كآذرت سقيرا وكان في الخدمة شباب بغدادى من الاجناد قد هاجر لاجل استفادة وتوجه بعد وصوله وكتبه بعد حمله فقال في الإشارة إلى بغداد وزعم انه يدوم اليها الاغذاء وشفع في جماعة من الاكابر حتى حظى بأشرف البشائر فقلت هذا لا يحصل له وقع ولا يصل اليه نفع والواجب ان يسير في مثل هذا الخطير خطير ويسفر في هذه النصر الكبرى كبير ثم سار المندوب وشغلت عن ارسال سواه الفتح والحروب ولما فتح البيت المقدس أرسل بشارته نجاب ونفذ بها كتاب ووصل البشير الجندى فقروه وما تروه فانه كان عندهم منظور ابعين الاحتقار فنظروه بتلك العين وجوهه بما يلقى به من النقد والعين وقم على السلطان أرسل مثله ونسج المندوب بكلام أخذه عليه وبدت منه أحاديث نسبت اليه وقال في سكره وحالته انه مانع عن ذكره خيل وهوه وتسكر وتكره وتان ان لكلامه أصلا وللفظه منار صلا وانتهى إلى العرض الاشراف مقلاته وعلمت جهالاته وتجننى على السلطان بارساله وارق إلى هذه ما انكره من مقال المذكور وخلافة ووجد الاعداء حينئذ إلى السعاية طريقا وطلبوا الشمل استعانة بالخدمة نقرقا واختلقوا أضافيل ولفقوا أباطيل وقالوا هذا رعم انه يقبل الدولة ويغلب الصولة والله يبعث بالملك الناصر نعت الامام الناصر ويدل بهما من القوة والعساكر فاشق الديوان العزيز على السلطان من هذه وبرز الامر المطاع بارسال أنى وانفاذه وقالوا هذا تاج الدين أخو العاد تكل لنا في كشف سر الامر بالمراد فان أفضاه هناك منفع على الاسرار وهومت ظم في سلك الا لا يراة الارار وعول عليه الديوان في البشارة وردعه جواب البشارة وكتب له يد كره بوجبات مقاصد العتب ومكدرات موارد القرب والمخاطبة فيها وان كانت حسنة خشيته والمعاينة مع شدة الملاعواطف الامام بقلته فسار إلى الخ إلى دمشق وكان قد عاد المندوب ناديا عاديا جاحدا بالاعمة شاكيا وقال اخو العاد قد وصل بكل عتب وغضب ولفظا فظ ووجه الامامات الموليات فقلت له اسكت واصمت وقلت للسلطان سمعا وطاعة لامر الديوان فان اظهرنا سر العتب لك من غاية الاحسان فقال نعم ما قلت ولما قرب أنى أصبحت لقدومه انتهى فأمر السلطان الامر اعل على مر ائتهم باستقباله وتقديمه لجلالة قدومه باجلاله وتلقاه الماولك الحاضرون العادل والظفر والافضل والظاهر

مكتتاب (١٢٢) الروضتين

ثم ركب وتلقاه بنفسه وخصه من تفر به بأسه ولم يزل حتى أراه واضع الحصار ومصارع الكفار ثم نزل وأنزله بالسر ثم أحضره وقد أخطى مجلسه ليوله وحده فأدى الأمانة في مشافهته ووجهه مقاصده في مواجهته وأحضر التذكرة وقد جعت المعرفة والذكور فقرأ عليهم وكتب في الكتب غلظة عدت من الكتاب غلظه وخيلت سقطه وحبلى خطه وقال أن الإمام أجل من أن يأمر بهذه الألفاظ الغلظة والاسياع الغلظة فقد أمكن إبداء هذه المعاني في أرق منها لفظاً وأرق وأوفى منها فضلاً وأوفى معاذ الله أن يحبط على ويحبط على وأمتعض وارتمض ثم أعرض عما عرض ورجع إلى الاستعطاف والتجسس بارق الاستسعايف وقال أماما تحمله الأعداء وعدا به المتحسرون فما عرف مني إلا الاعتراف بالعارفة وذكر السلطان أبيه السالف في الفتوحات وإقامة الدعوة العباسية بمصر واليمن وإزالة الأديعة وإبادة الأعداء وفتح البيت المقدس قال وأما النعت الذي أفكر ونسبه على موضع الخطأ فيه وذكر فهذا من عهد الإمام المستضيء والآن كل ما يشر فني به أمير المؤمنين من التهمة فإنه اسمي لي من الذي هو اسمي وأشرف وأرفع وأعرف وما عزي الاستكمال الفتوح لا من المؤمنين وقطع دابر المنافقين والمشركين ثم نبذ مع أخى من سار في خدمته بزيارة القدس ثم رده وأودعه من شفاعته كل ما في النفس وظهرت بعد ذلك بالقبول أنار الرضى ومعنى ماضى وكان جماعة من السلوك والأمراء كالعادل ومظفر الدين قد بنحو ما قيل في حقه وأراد أن يغضبه فما غضب بل غاض غيظه ونضب وتيق ذلك بعد سر رحيب ولغظ مصيب قلت ووقفت على كتاب كتبه صاحب قوام الدين ابن زياد من الديوان العزيز بغداد إلى السلطان صلاح الدين وكان قوام الدين يومئذ أسيراً بالدار العزيزة ويقول فيه (لولا مكان صلاح الدين من الخدمة والشبه والمناسفة فيه لما جهر بالعتاب ولا رفع دونه الخجاء بل كان يترك معه الأمر على اختلاله ويدمل الجرح على اعتلاله وقد ذكرت الأسباب التي أخذها الديوان العزيز عليه واستغرب وقوعه من كماله ليو عينا سمعه الكريم ويستورى فيها ربه الأصيل وينصف في استماعها والجابة عن ما غير علاج على الجدل ولا مؤتم بالراء المذمومين عقلا وشرا بل يحل قولي هذا على سبيل المحاجة والانتصاف وصدق النبوة في رآب التثاني والأصلاح فإن إبحار الدواء لا يترتب فيه الطيب المحتب للعافية) ثم ذكر من تلك الأمور (أن من اتقى من العراق يسجد من الأسباب لجأ إلى صلاح الدين فوجد عنده الاقبال عليه وكان الأدب يوجب إبعاده من إبعده وتقرى من قربه إليه) ثم قال (وإنما أفتحك بنصر الاستعبار المتين عن العوام وأشباه الانعام وطغاة الشام من الخوض في المذاهب والانتها في التشيع إلى اختلاف كل كاذب ومنها ما جرى من سيف الاسلام بالخجاء من ازعاج الخجاء وارهاج تلك الخجاء والاقدام على مناسك الله وشعائره وأبقاد سعي الفتنة فيما نواثره واحتذاء السيرة الفاسطة وأحياء يد القرامطة مانقمة كل طبع ومجمل سمع فكيف جاز لصلاح الدين أن يرضى عن أخيه في ما يقرض سوابقه وأواخيه ومنها ما قضى الناس منه الحب وفوق فيه الحزم والأدب وهو ما وجب التلقب بالقب الذي استأثر به أمير المؤمنين) ثم قال (وقد ساد في زمان الدولة العباسية ثبته الله خوارج ودخول البلباد وأسرفوا في العناد وجاسوا لخلال الدار وأخافوا المسالك واستضاموا الممالك وأقحموا من الشقاق أشق الممالك فما انتهى أحدهم فيما احتجب والتكب إلى المشاركة في القرب ومن الحكم الذائعة في حيز الكلام الذي يصلح للمولى على العبد حرام ومنها ما كتبه كل طرف يتأخم أعمال الديوان من مواطن التركان والاكرا دوسر اسلمته ومهادتهم وقرع اسماعهم بما بعدوا باستزال أقدامهم وقلع أعناقهم وهم لا يعرفون إلا نهضة للعراق وحول للديوان برثون الظاهر خلفا عن سالف) ثم قال في آخر الكتاب (وهذا كله لأقوله انكارا لجلال مقامات صلاح الدين ومشاير موافق جهاده في سبيل المؤمنين فإنه أدام الله علوه ورجل وقته ونسج وحده والمربى على من سلف من صنائع الدولة وعلى من يأتي من بعده وهو الولي المخلص الذي عهدت فوقا واستكنى فكمنا وطب قشقا فكيف يجوز لبسه أنه أن يهجن مساعبه الغر المحجلة ويخرج من مكانته المكرمة المجلية ويطل حقوة الناشئة المسجلة) ثم قال (فقد علم كل من نظري التوارخ والأكار ونهجت بصيرته في البصر والاعتبار أن هذا البيت العظيم ما زال يرفع الأقدار الحامية فيزور عليه بارافغار الله له متصرا ويعقبه عليهم اظفارا

في أختبار (١٣٣) الدوكين

وظفرا كذاب آل طولون وآل سامان وآل بويه وآل سلجوق وقر وناين ذلك كثيره فبن الذي زلزلوه فثبت ومن الذي حصده وفثبت وأى ناروقدوها فاجبت ثم قال في آخره اللهم قد بلغت والراى الصلاحي ما بن عبد الوان شاه الله تعالى وذكرا بن القادسي ان المندسى الذي أرسله صلاح الدين بالباشرة يعرف بالرشيد بن البوشنجي قال وكان صبيبا كثير الادبار مشرا في دروب بغداد ثم توجه الى الشام هارباً من الفقر حزين وصل الى بغداد رسولا قامت القيامة بمرامسته وكثب الى صلاح الدين بالانكار عليه وقيل له اما كان في أصحابك أمي من هذا ترسله الى الديوان فاعتذر صلاح الدين ووصلت كتبه بالاعتذار وقيل عذره وأما ابن البوشنجي فانه حين وصوله الى الشام أكثر الكلام عند صلاح الدين فانك ذلك عليه فلما مضى الاسبوع جماعة نشابة فذهبته

(فصل) في باقى حوادث سنة ثلاث وثمانين فيما قتل الامير شمس الدين ابن المقدم وهو محمد بن عبد الملك يوم عرفة بها قال العادو كن السلطان لما فرغ من دفع القدس ونام ويسم الحج قال الموقفون بحرم من المسعد الاقصي الى المسجد الحرام ونفوز بالحج مع ادراك فضيلة فتح بيت المقدس في هذا العام والحج والجهاد كمال السلام فاجتمع جمع من مهمل ديار بكر والجزيرة والشام ودارهم الامير شمس الدين ابن المقدم شيخ امره الاسلام الكرام فودعه السلطان على كره من مفارقه واستقبله بالحج في السنة الاخرى على مرافقته فقال ما معنائه ان العر قد فرغ والامر قد بلغ والشيب قد أذر والفرض قد عذر فاجتمع فرقة الامكان قبل ان يتعدى قضى والعودة تقوده والشهادة تروده حتى وصل الى عرفات وما عرف الافات وشاع وصوله وذاق فضله وضربت طبوله وسالت سيوله وحالت خيوله وضربت خيامه وخفت اعلامه فلما أصبحوا تقربت كلاماته فماراته وتبرعت بوقاته فحافظ ذلك أمير الحاج العراقي فركب اليه في الخراب فأوقع به بأصحابه وابلاهم بيجراحه ونهيه وحرم الله الذي كان الطبل او كداسيابه وقيل جماعة من حاج الشام وجرحوا ودمت أستشارهم واقتضوا ونقل أمير الحاج طاشكبين شمس الدين ابن المقدم الى خيمته وهو مجروح وفيه روح وحمله معه الى متى فمضى ودفن بالمالى وذلك بقية الله وقدره في قلب حوادث الدهر وغيره وارتاع أمير الحاج بما اجترمه وكيف لم رقب الله وأحل حرمه وكرف عدا على الحاج العائد بالله وسفك دمه فكتب محضر على ما اقترحه بعذره فيما اجترحه والزعم ايمان الحاج من سائر البلاد بوضع خطوطهم على ما عساه من المراء فكتبوا مكرهين غير مشعين وكان عذره انه أنكر عليه ضرب الطبل فأبى فلما انتهت المسألة الى الخليفة أنكرها انكاراً شديداً ونسب الى طيش طاشكبين ولم يجده رأياً شديداً لاجرم اتضع عنده قدره واتضع له وزره وهى أمره وأدخره الى حتى يكبه بها بعد سنين وجبه بها وأطال سجنه ثم عفا عنه بعد مدة مديده وشدة شديده ولولا حروب بلاد خوزستان وخراجها لولى اماره الحاج غير ما واصل الى السلطان خبر استشهاده ابن المقدم وجماعته لاهه على ترك الحزم واساغتة فاحتسبه عند الله غار يشهدا ساعيا الى الجنة بقدمه سعيدا وأقام ابنه عبد العزيز ابراهيم في بلاده وقامه وأقر عليه انعامه وقال محمد بن القادسي في تاريخه نقلته من خطه أراد أمير الحاج بالشام وهو ابن المقدم أن يرفع علما على الجبل بالموقف فنهه أمير الحاج طاشكبين وجرحت بينهما امر اجسام افضت الى الخصومة بين حاج العراق وحاج الشام ونوب البعض البعض وجرحت اجراما جفرح ابن المقدم ولم يغير العادة في ذلك ومات ابن المقدم في اليوم الثاني ووصلت الخبايا من مكة فأنشروا ما جرى من هذه السنة توفي أبو الفتح محمد بن عبد الله بن عبد الله سبط ابن التعاويذي الشاعر وكان كاتباً يدوران المقاطعات وخخدمه برباب رئيس الرضا وأضر في آخر عمره ومولده عاشر رجب سنة تسع عشر وخمسمائة قال وفي خامس رمضان توفي الفقيه الحنبلي أبو الفتح نصر بن قتيان بن مطر المعروف بابن المني وكان فقيهاً زاهداً صالحاً عالمًا مولده سنة احدى وخمسمائة وثقة عليه جماعة من أئمة الحنابلة كالحافظ عبد الغنى بن عبد الوادحين سرور وأئمة براهيم والشيخ الموفق عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة ومحمد بن خلف بن راجع والنساصح عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب وعبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيلاني وغيرهم

كتاب (١٢٤) الروصنين

ثم دخلت سنة أربع وثمانين **هـ** قال العماد خرج السلطان من عكا فزل على كوكب في العشر الاوسط من المحرم فحاصره اوصارها اياما فزيتمكن منها منتهوا وحفاتها واوراها فخرج الى طول مصارها وصرها ابطه ولم يكن معه جميع امرائه واوليائه وانما كان في خواصه فوكل بها قايما زالحجوى وكل يصفه طغرل الجاندار كل واحد منهما في جمعائه وسيرا الى الكرك والشوبك سعد الدين ككشبه الاسدى وكانت هذه الحصون الاربعة ضيقة المسالك صعبة المدرك قال ثم ان السلطان اشتغل ببقاء الرسل الواصين من جملتهم رسل صاحب آمد قطب الدين سبكان ابن نور الدين محمد بن قزل ارسلان وكانا خائفين على آمد أن يسترجعها منهم السلطان لانها كانت لهم من مواهبه كما سبق فاشتروا بالوصلة باحدى ثقات العادل وكان العادل قد وكل أخاه السلطان في ذلك المسار الى مصر وقدم رسولهم في ذلك فتمت الوصلة بينهما قال وأول من وصل والسلطان بركوب اختيار الدين حسن بن غفراس مديرو دولة قليج ارسلان بالروم وكان هذا الرسول معرى بابس الحلى والديباج والوشى في يديه زلفود وخواتيم مرصعة بزينة ثقيلة بجاوهر وياقوت ثمينة وفي عقد وهادئة تهيبة وفي يده عود من العسجد وكل عدته تبرها بمجوهر وكان اذ شاهده السلطان تبسم وعامه بخلفه وقال هذا سافر بخضاره ليعذر ويدنار دلي مصر وقال القاضي ابن شداد لما دخلت سنة أربع وثمانين رأى السلطان الاشتغال بأخذ هذه الحصون الباقية التي لهم بها مضيق قلب من في صور يهيج أمرها فاشتغل بذلك ونزل رحمه الله على كوكب في أوائل المحرم وكان سبب بدائه بكوكب أنه كان قد جعل حولها جماعة يحفظونها من أن يدخل اليهم قوة أو حاة فخرج القر في بلادها وأخذوا خيولهم وكسروهم بعقر بلا وقتوا قهدهم وكان من الأمر أن يعرف بسيف الدين أختي جاولي وأخذوا ألقبهم فصار رحمه الله من عكا ونزل عليها ابن كان معه من خواصه بعا فانه كان قد أعطى العساكر دستورا ولق في طريقة شدة من الشيخ والبريد فعملت السلطان مع ذلك الحيلة على النزول عليها وأقام بقاؤه لمدة قال وفي تلك المدة وصلت الى خدمته فاني كنت قد حجيت سنة ثلاث وثمانين وكانت وتعبه ابن المقدم ورح يوم عرفة على عرفة خلف جرى بينه وبين أمير الحاج طاشتكين على شرب الطبول والذبابة فان أمير الحاج نهاه عن ذلك فلم يقته ابن المقدم وكان من أكبر أمره الشام وكان كثير الخير كثير المغزاة فقد زلله الله أنه جرح عرفة يوم عرفته ثم جعل الى متى مجروحاً فمات بجمي يوم الخميس يوم عيد الله الأكبر وصلى عليه في مسجد الخيف في بقية ذلك اليوم ودفن بالمعلى وهذا من أعم السعدان وبلغ ذلك السلطان قدس الله روحه فشق عليه قال ثم اتفقت لي العود من الحج على الشام لقصد القدس وزيارته والجمع بين زيارة النبي صلى الله عليه وسلم وزيارة أبيه إبراهيم عليهم الصلاة والسلام فوصلت الى دمشق ثم خرجت الى القدس فبلغه خبر وصولي فظن اني وصلت من جانب الموصل في حديث فاستحضرني عنده وبالغ في الإكرام والاحترام ولما ودعته زاهبا الى القدس خرج الى بعض خواصه وأبلغني تقدمه الى بأن أعود أمثل في خدمته عند العود من القدس فنظنت أنه يوصيني بهم الى الموصل وانصرفت الى القدس الشريف يوم رجب له عن كوكب ورحل رحمه الله لانه علم ان هذا الحصن لا يؤخذ الا بجمع العساكر عليه وكان حصنا قويا وفيه رجال شداد من بقايا السيف وميزة عجيبة فرحل الى دمشق وكان دخوله اليها في سادس ربيع الأول وفي ذلك اليوم اتفق دخولي الى دمشق فأقام من القدس فأقام رحمه الله في دمشق خمسة أيام وكان له غائباً بعناؤه بأعشر شهره قال وفي اليوم الخامس بلغه خبر النفر عنهم قصدوا جبيل واعتزلوا فخرج من مخاضا عا وبوغ الحبر وكان قد سيرا الى العساكر ليستدعها من سائر الجوانب وسار يطلب جبيل فلما عرف النفر فخرج وجبه كفوا عن ذلك وكان بلغه وصول عماد الدين وعسكر الموصل ومضفر الدين الى حلب فاصدين الخدمة للقرافة فصار نحو حصن الكرا في طلب الساحل الفوقاني ولما كان مستعمل ربيع الآخر نزل على تل قبالة حصن الكرا ثم سيرا الى الملك المظفر ولده والملك المنظر بأن يجمعها وينزل لابتزين قبالة أنطاكية لحفظ ذلك الجانب ففعلوا وسارت عساكر الشرق حتى اجتمعت بخدمة السلطان في هذا المنة ووصلت اليه رحمه الله في هذه المنة فانه كان قد سيرا الى دمشق يقول تلخمة فخرج حصن فخرجت على عزم امير الى الموصل فمجهز لذلك فوصلت اليه امتثالاً لأمره فلما حضرت فغسده فخرجني وأكرموني وكنت قد جدت له كتابا في الجهاد بدمشق مدة مقامي فيها يجمع آداب وأحكامه فتقدمه بين يديه

في أخبار (١٢٥) الدولتين

فأنجبه وكان بلازم مطالعة ومازلت أطلب دستوراً في كل وقت وهو بدا فعني عن ذلك ودرسته عني للخصم في خدمته في كل وقت ويبلغني على ألسنة الحاضرين ثناءه على وذكراى بالجيل فأقام في منزله تلك شهر ربيع الآخر اجمع وصعد في أنثائه الى حصن الاكراد وحاصره يوماً يجسه به فأراى الوقت فيحصل حصاره واجتمع العساكر من الجوانب وأغار على بطر البس في هذا الشهر فقتل ودخل البلاد مغيرةً بلان جهنم العساكر وقوة العساكر بالغنائم ثم نادى في الناس في وأخر الشهر راناداً فدخلوا الى الساحل وهو قليل الازواد وهو محيط بنا في بلاده من سائر الجوانب فأجلاوا زاده ثم سيرا الى مع الفقيه عيسى وكشف لي أنه ليس في عزمه أن يمكنني من العود الى البلادى وكان الله تعالى قد أوفى في قلبي شئتيه منكر رأيت به وحب الجهاد فاجيبته الى ذلك وتحدثت من تاريخ مسئل جهادى الاولى وهو يوم دخوله الساحل الاعلى وجميع ما حكمته من قبل انما هو روايتي عن أنى به من شاهده ومن هذا التاريخ ما أسطره الماشاهدة. وأخبرني به من أنى به خبر انقار العنان والله الموفق

(فصل) قال العماد كان جماعة من أهل الخزم وأولى العزم قد أشاروا على السلطان لما فتح عكا بخبر بها وتفضيلة آثارها وان بقي المراطون المحامون مكانها فلأنهم عودوا لفتح اليها وتلكها وان تبقى قلعة القيمون فكاد جميع فقيل له هذه مدينة كبيرة وعامرة كثيرة وأشير عليه ببقية تيران تعمور وتخص فولى أمر عمارتها وتديرها المصيرى الذين قرأوش وهو الذى أدار السور على مصر والقاهرة فاستدعاه من مصر وأمره أن يستيب في تلك العمارة فقدم عليه وهو بكوكب ففوض اليه عمارة عكا فشرع في تجديد سورها وتعمير أبراجها وكان قد قدم من مصر معه اساتيد العمل وانقاره وآلاته ودوابه وابقاره قال ولما رتب السلطان على كوكب رجل مسئل ربيع الاول ودخل دمشق في سادس وكان العسكر الغائب على مواعدة المعاداة في ربيع وانه يجتمع على حصن بالجبل وكان عاروق السلطان على بحيرة طبرية من شرقها وتجنب عقبه فبقى لاستعاب رقبها ولما قارب السلطان دمشق تلقاه الناس أحسن لقاء فتكاثروا متعطشين الى رؤيته ومتشوقين الى طاعته لانه غاب عنهم سنة وشهرين وخمسة أيام فكسروا الكفر ونصر الاسلام وفتح فيه الارض المقتدسة واشباهها من البلاد التي كانت باوضار الكفر مخجسه فأصبحت بالامان مؤسسه قبل الستة قراره أمر بإنشاء المكتب لاستدعاء الاجناد من الجهات للجهاد من سائر البلاد وأبدأ بالجائوس في دار العدل وبحضرة القضاة والعلماء من أهل الفضل قال وصكان السلطان قدولى دمشق بدر الدين ودودا المعروف بالشيخه وهو أخو عز الدين فرخشاه لاهمه وفوض اليه في هذه الايام ولاية الديوان وكان مع الصفي بن القايض في بقيت معه الخزانة وحدها وكان الصفي قد بنى لاسلطان داراً طيلة على الشر فبن بالقلمعة وانفق عليها أموالاً كثيرة وبالن في تعبيرها وتحسينها وبن انما تقع من السلطان فكان فما عارها طرفاً ولا استحسنها وكانت من جملة تدوينه عند السلطان التي اجبعت عزله عن الديوان وقال ما يصنع بالذين يتوقع الموت وما خلقتنا الا لعباده والسعي للسعادة وما حدثنا دمشق لتقسيم وما نرود ان لا نريم قال ثم هدم بالغزاة فبدا بن يارة القاضي الفاضل وكان مقيماً بجوسق أين الفراش بالشرى الاعلى في بستانه فاستضاء برأيه فيما يبر بدفعه وصكان لا يأتى أمر الامان باب فاقام عنده الى الظهور ثم ودعه ورجل قلت وما أحسن ما قال ابن الزوى في الاراء الفاضلية من قصيدة مدحه بها

رأيتك هذا النصر لادين يفتي ❖ فلا يثله كل غضب ولهم

وان كان فيه لاسنة والنابى ❖ مساعداً فنقل للثقة

تشرى الاسلام منك فراسة ❖ طاحم طب واثتراس مخيم

وتحميه ألفاظ ذلك كائنا ❖ قواطع بترأوز فذا سهم

الاسيد ففتح نشرت لواء ❖ وتلفت الخيل الله يا خيل اقدمى

وقت وقد نام الانام مناجيا ❖ عولاي نبي المسلمين وسلم

(فصل) في دخول السلطان رجا الله الساحل الآخر وفيما سره الله تعالى من بلاده قال العماد ثم رجع السلطان فسلك في جبل نبوس الى عين الجمر الى الدهمية على القبايع واتى بعلمك وخيم بمرج عدوة ثم رجع على

كتاب (١٢٦) الروميتين

سميت الدولة ثم أقي الدراعسة ووصل الخبر بوصول عماد الدين صاحب سنجار في جوده وجذوره ونزوله على قدس من عمل حص على نهر العاصي ولما نزل آى موكبه ملوك السلطان تقابل القبران وتقارن النيران واجتمع السعدان وسعدا الجعيان فغضب السلطان عند مجيئه وسأل أن يزوره السلطان بموكبه فاجاب دعوته ثم رتب السلطان يوما لحضره وعنده وتم ادبا ونصافيا وكان أيام المشمش وقد وصل من دمشق فأفرس قدومه وغلطت في أراج الاطباق بجوده كما أنها كرات من التبره صرغده وبالنورس مصبروغه صفر كما أنها غمر الاريات الناصريه حذلا منظر اودقفا ولونظم جوهرة ليكان طوقا ككأنها هو نخرط من الصندل وخلط بالمندل وجدم من التلج والعسل وقصاحب هو والسلطان في الركوب والجلوس والتماجي بما في النفوس وتكررت المشاوره في الموضوع الذي يشهدا بقصده وانفقوا على عرفاوعقرها والنزول بعقرها وانها اذا ملكت ملكت طرابلس فاقاموا بقدر إلى آخر الشهر حتى اجتمعت الجوع ووصلت قبائل العربان ثم سار السلطان أول ربيع الآخر وخيم بقرب حصن الكراد على البقيعة ثم شن الاغارة على فواحي الحصن وصافقنا والعريسة وتلك الحصون فاستخرج ما فيها من الخزون وقمع حصن يجهور وساعة الدور ولم نزل الاغارات والنغائم وهم في تلك المنزلة إلى آخر الشهر فوصل قاضي جبله منصور بن نبيل وجماعة معه فاشار على السلطان بقصدها وتكفل بفحصها وقمع اللاذقيه وتلك الحصون والمحال في الشماليه وكانت تلك البلاد قد سبها اليه ابرئس انطاكية وعزل عليه فيها وقال ان الاشتغال بطرابلس مع احتراسها يذهب الزمان ويؤتت الامكان والمساكن بجبله يجهولون على التسليم مؤملون ان يتبدل شقاؤهم منك بالنعم فاضنى السلطان الى قوله وأصنى له ورد طوله وكان قد وصل اليه مقدم وجبل بهرا فوفر لهم رواتبهم وأجرى قنديلها أنبايعهم وكتبوا إلى أشياخهم

(فصل ١٠) في فتح انطربطوس قال العماد واجمع السلطان على دخول الساحل بتلك العساكر والمخافل فدخل يوم الجمعة رابع جمادى الاولى فسرنا في أيام مؤتشمه واكام معشيه وخزون وسهول وشعبات وتاول حتى خر جنال إلى ساحة الساحل ونزلناهم وأسرنا الساحل الساحل في ثلاث مرأحل حتى وصلنا إلى انطربطوس سادس الشهر فاحد قنايلها من البحر إلى البحر فاخلى الفريخ البلد وما خرجوا إلى الحصن واجتمعوا في رجب عظيم هما لانطربطوس كالتفتين ونقوا اليهما من الاموال ما قدر واعليه فحضر مظفر الدين كوكبرى أحد البرجين حتى أنزلهم بالامان ثم بقيه من أساسه وألقاه على أم راعه وبجمل دماره ورعى في البحر أسحاره وملك جميع ما فيه وامتنع البرج الآخر وفيه الدار وبؤسوكتم ومقدمهم الذي أسر يوم حطين وأطلق لماسلم ما اشترط عليه من البلاد ثم اجتمع باصحابه في هذا البرج وقوا بالآلات الحضر فامتنع ففهم فاشتغل المسلمون بشغفه البلد واخفائه وقال القاضى ابن شذاد دخل السلطان الساحل على تعبته لقاء العدو ورزب الاطلاب وسارت المجيئة أولا ومقدمها عماد الدين زنكي والقلب في الوسط والميسرة في الآخر ومقدمها مظفر الدين بن زين الدين وسار على الثقل في وسطا العسكر حتى أقي المنزل فتمنا تلك الليلة في بلد العدو ثم رحل في صبيحة السبت ونزل على البرجة فلم يقابلها ولم يعرض لها ولكن أقام عليها بقية يومه ورحل يوم الاحد ووصل إلى انطربطوس فوقف قبالتها بنظر اليها وكان في عزه الاجنياء إلى جبله فاستهان بهمها فسير من ردا المجيئة وأمرها بالنزول على جانب البحر وأمر الميسرة بالنزول على البحر من الجانب الآخر فلما ستم نصب الخيم حتى سعد الناس السور وغشم العسكر جميع من بها ومها بها وخرج الناس والأسرى بأيديهم وأموالهم وترك الغلمان نهب الخيم واشتغوا بالكسب والتهب ووفى بقوله رجعه الله فإنه كان قد عرض عليه الغدا فقل تغدى بانطربطوس ان شاء الله تعالى وعاد إلى خيمته فمرحاضا وحضر ناعند ملهنا مجارى ومد الطعام وحضر الناس وأكلوا على عادتهم ورتب على البرج بن الباقين الحصار قسما أحدهما إلى مظفر الدين همارزال محاصره حتى أخبر به وأخذ من كان فيه وأمر السلطان باخرا ب سور البلاد وقسمه على الأمراء وكان البرج الآخر حصينا منيعا منيا بالبحر الخويث وقد اجتمع من كان فيها من الخيالة والقاتلة فيه وخندقه فيه الماء وفيه جروح كثيرة فخرج الناس عن بعد فرأى السلطان تأخير حصره والاشتغال بها وأمر منه فاشتد في خراب السور حتى أتى عليه وخرب البعة وهي بيعة عظيمة عندهم مخجوج اليها من أقطار بلادهم

فأخبار (١٣٧) الدولتين

وأمر بوضع الناري في البلد فأنحر جميعه والاصوات من نغمة بالتهليل والتكبير وأقام عليها يجزيها إلى أربع عشر الشهر وساريز بدجلة تعرض له ولده النظار في أثناء طر بقى جبلة ومعه العساكر التي كانت يجزيها
(فصل ١٠) في فتح جبلة وبغديره قال القاضي ابن شداد وكان وصول السلطان إلى جبلة يوم الجمعة ثامن عشر الشهر وما استتم نزول العسكر حتى أخذ البلد وكان فيه مسجون مقرون فيه وقاض يحكم بينهم وكان قد عمل على البلد فلم يمنع وبقيت القلعة محتجزة ونزل العسكر محمداً بالبلد وقد دخل المسلمون واشتغل بقتال القلعة فقتل الأتقيم عذرا بن كان فيها وسلمت بالآمان يوم السبت ناسع عشر الشهر وأقام عليها إلى الثالث والعشرين وسارعها يطلب اللاذية وقال العماد بن عديم أنظر طوس وصل النصارى جماعة فدخل السلطان يوم الاثنين رابع عشر الشهر ونزل على مرقية وقد أخلاها سكانها تخفيهم فيها أهل الأسلام وطاب لهم فيها المقام وكانت الفاروق إلى جبلة على الساحل ضيقة المسالك صعبة المراحل وهناك للفرنج الاستيحاء حصن يقال له المرقبة مأهول معه وروا طر يق له الالتجاء تله واتفق أن طاغية صقلية لما استعجها مات على الفرنج في الساحل جهازا سطولا يشتمل من الشواني على ستين قطعة يحسب كل واحدة منها قلعة أو قلعة وقدم عليها طاغية يقال له المرعيط فوصل وماضى ولا ينفق فان فرنج الساحل ما رفوا به بأسا ونصبر وامنه وكان في عشرة آلاف رجل يحتاجون إلى ممره وكلف كبيره ففسار إلى صور مخرجهم إلى طرابلس وتردد في البحر وتلدوا بلس واضطرب أشبهه را لا يظهر له رأى ولا يرى له مظهر فأما سمع يعبر عساكر المسلمين على الساحل إلى جبلة جاء بالشواني وصفه على موازاة الطريق ومباراة المضيق وفيها الزامة فأمر السلطان بنقل الجفاني إلى هناك وتصفيها وتركته سائرهما وأجلس الرماة من رانها فما زال الأمر على ذلك والرماترى ونصحي وعامة المسلمين في سائر ذلك المضيق حتى خفت الأتقال وعبرت الاحمال ونخلص المسلمون من ذلك الشق بغير مشقة وجازوا على مدينة يقال لها بلنثياس وقد انجلى عنها الناس تخفي المسلمين فيها ثم أصبحوا على الرحيل فاعتزهم من غير عرض عيق ما فيه طريق وهو مطرد من الجبل إلى البحر وقوة فظفروا وحده فتدكهم السلطان بالخيول وضى بينا إلى الجبل وأبعد حتى عبر فوق رأس العين واختلطت العساكر بالهرون الجانبين وتراجعت الأتقال على الفتظرة فما خلصوا تلك الليلة إلى آخرها ونزل السلطان قبل وصول الأتقال على بلده وهي بلدة كاسية جالده وهي بليدة من غرى النهر على شاطئ البحر وجانبها الآخران مجتدق فيه البحران وقد أخلاها أيضا أهلها وتفرق شملها وأصبح السلطان يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى على جبلة فتسلبها المسلمون في الوقت وذلك أن قاضيا كان قد سبق ودخلها وقرن بالجميع المسلمين أهلها فمنا وصلوها على الاعلام الناصرية على سورها ونخلص المسلمون بها من مساكنة الكفرة وقصص الفرنج بمصنيتها واحتفظوا بقوتها فما زال قاضي جبلة يتخوفهم ويرعبهم حتى استسارهم بشرط أن يستريحهم إلى أن يردوا من انطاكية رهائن جبلة من المسلمين فقبضه عنده جماعة من رؤس الفرنج والمقتدين حتى أعاد صاحب انطاكية الرهائن التي عنده فأنكأ بهارها ثم وتولى قاضي جبلة الأمر فاستخرج ذخائر الكفرة ودفأته واستغلفهم من كل سلاح وعدة وخيل وقوة وجاءهم مقدمو الجبل سامعين مطيعين وفي الجبل على سمت طريق جهه حصن يعرف ببيكسراثيل وكان أهل الجبل استعادوا من الفرنج منذ سنين فتسلبه السلطان انضمامهم ثم سلم جبلة إلى سابق الذين عثمان صاحب شيرز وبجل تاضي جبلة وشرفه وحبس عليه ملكا نسيه ساووفته وصرفه في أملاك آباءه وحكته في ولاية حكمة وقضائه
(فصل ١١) في فتح اللاذقية قال القاضي ابن شداد وهي بلدة ملح خفيفة على القلب غير موزورة ومنه ماسم ورويه ثلعتان على نيل يشرف على البلد فقتل السلطان رحمه الله عليه يوم الخميس رابع عشر جمادى الأولى محمداً بالبلد وأخذ العسكر منها زهم مستدبرين على القلعة من جميع نواحيه إلا من ناحية البلد واشتد القتال وعظم الزحف والتمزال وارتفعت الاصوات وقوى الضجيج إلى آخر النهار وأخذ البلدون القلعةين وغنم الناس منه غنية عظيمة فانه كان بلد التجار وفرنق بين الناس الليل وهجموه وأصبح يوم الجمعة مقاتلان مجتهدا في أخذ القلوب من شتات القلاع وتمكن منهم القلق حتى بلغ طوله على ما حكي إلى من ذرع عشرين ذراعا وعرضه أربع أذرع فاشتد الزحف عليه حتى صعد الناس الجبل وفاروا السور وتواصل القتال حتى صاروا يتحاذون فوجمارة البلد فلما رأى عدو

مكتتاب (١٢٨) الروضتين

الله ما حصل به من النصر والغار والبورار استغاثوا بطلب الامان وظالموا قاضي جبلة يدخل اليهم ليقتر بهم فاعذوا لا مان
فاجيبوا الى ذلك وكان السلطان رحمه الله متى طلب منه الامان لا يجعل به فماد الناس عنهم الى خباياهم وقد اخضعهم
التعنت فباتوا الى صبيحة السبت ودخل قاضي جبلة اليهم واستقر الحال معهم على انهم يبقون بآبائهم وذراريهم
ونسائهم واموالهم خسلا الغلال والنخائر والانت السلاح والدواب وأطلق لهم دواب ركوبها الى ما منهم ورفق
عليهم العلم الاسلامي المنصوري بقية يوم السبت وأقنع عليهم يوم الاحد سابع عشر جمادى الاولى وقال الحمد
رحل السلطان الى الازقية يوم الاربعاء الثالث والعشرين من جمادى الاولى فبات بالقرب منها وصحبها يوم
الخميس وقد لا ذلأهلها بقلعها وهي ثلاث قلاع متلاصقات على طول التل متناسقات كأنهن على رأس جبل
راسخ وذروته شامخ فسهل لنا فرعها وشرعنا نصل أصلها وفرعها فطلبوا السجني الناصري ونصروه
على السور وعشبة يوم الجمعة فلما أصبحوا صعد اليهم قاضي جبلة وانزلهم بالامان وتسلمت تلك القلاع بما فيها من عدة
وذخيرة وأسلحة وميرة وخيل ودواب كثيرة وأمنوا على أنفسهم واموالهم وانصر فابن سائهم ورجالهم وذريتهم
وأطفالهم وخفوانهم انقلهم ودخل جماعة منهم في عقد الذمة وتكسوا بحيل العصبة وانتقل الباقون الى انطاكية
ثم روى السلطان بها ما يروى عن سقر الحسلاطى وركب السلطان الى البادو طافه وهز الى احسانه اعطافه وأمنه بعد
ما أخافه ولا يزال بها جامعة الاشبه متناسقة المشافي متناسبة المعاني في كل دار سنان
وفي كل قطر نريان أمكنتها مخترمه وأروقته امرجه وعقودها محكمه ومساكنها مهندسة مهندمه وسقوفها
عالية وقطوفها ادانية وأسواقها فضيه وآفاقها مضيه وأرجاؤها فضيه وأهلها محبجه لكن العسكر شعث
عمارتها وذهب نصارتها ووقع من عدة من الامراء الزحام وتقسلا ومنه اجمال الى منازلهم للشام
فشوهوا وجوده الاماكن ومحواسن الحسن قال وبظواهر الازقية كثرة عظيمة نفيسة قدسية باخرة الاجراع
مرصعة وبألوان الزحام مجتزعة واجناس تصاورها متنوعة وأصولها تائيلها متفرعة وهي متوازنة الزوايا
متوازنة البناء قد تحسرت بها اشباح الاشياء وصورت فيها مواج الامواء وزينت لآخوان الشيطان وعينت
لعبدة الاوثان والصلبان ولما دخلها الناس اخرجوا رجاها وشوهوا اعلامها وجروا ناصيا وكسروا اجرامها
وأهدوا الاسرى لها ساسها وآفاقها واعلها لباس الابلابها وحكموا بعد الغنى بافلاسها فافقرت وأفقرت وخربت
وزرت ثم لما طابت النفوس وتجلي عن البلد ينقح البوس عاد الى هذه الكنيسة بالامان القسوس وهي مشوهة
متشعبة متسكة بازكانها وبقرعها متشعبة قال ولقد كثرت أسنى على تلك العمارات كيف زانت وعلى تلك
الحالات الخاليات كيف حالت ولما كان اذ مروى بانها عادت للاسلام من اربع ولثموسه مطالع فلو بقيت
بمحلتها وطائها بعد ما نزلت رشدها من ضلالتها لساقت وراقت وكما أقافت فاقت ورغبت اعطاه الجزية
سكان البلد من النصارى والارمن حبا للوطن ولما أراد السلطان الرحيل دخل المدينة ورز الى سكانها السكينة ودار
خسلا ديارها وخرق أسواقها في سائر أقطارها ووقف على البحر للنظر الى موانئها وشوانتها وأقاصيها وادانيتها
وشكر الله على كنهه من ملكها وتخصيصه بملكها وفي كآب عمادى الى سيف الاسلام باليمن عن السلطان
قال وهذه الازقية مدينة واسعة وخطه جامعة معاقها الانزام واعلاقتها الاستقام وهي أحسن بلاد الساحل
وأحسنها وأزدها اعمالا وضياعا وأزدها مافي البحر مثل مينائها ولألا ركب الواردة مثل من ساسها وهي
جنته كان يسكنها أهل الحبح وظالمها مكنت بالكثرة دار بؤس فمادت بالاسلام دار رحيم قال وكانت شواني
صقلية قد فالت في البحر الازقية طمعاً في امتناعها لما خابت خبت نازها وقصدت ليلها أخذم كعب
من يخرج من أهلها خنقاً عليهم كيف سلوا البلدة ونهبوا بلدها فكان ذلك مقتضى البقاء كما كتبها بالجزية
تؤديها ولما وقف السلطان على شاطئ البحر بعساكره طلب مقصد تلك الشواني امانه ليصعد ويشاركه سلطانه
فأمنه فضعدهم وكفروهم وساعة وشكر وقال ما معناه أنت سلطان عظيم وملك رحيم وقد شاع عدك ونزاع
فضلك وقور ساطنك وظهور احسانك فلو مننت على هذه الطائفة الساحلية الخائفة للصبك قيادها اذا
أعدت اليها بلادها وصاروا لادعبيدا وأطاعوك قريبا وبعيدا والاحياء من وراء البحار في عدد الامواج أفواج

كتاب (١٢٨) الروشيين

الله ما حصل به من الضغار والوار استغاثوا بطلب الامان وطالبوا قاضي جبلة بدخول اليهم ليقتر بهم قاعدة الامان فاجيبوا الى ذلك وكان السلطان رحمه الله متى طلب منه الامان لا يتجمل به فعد الناس عنهم الى خيامهم وقد اخدمهم التعب فباتوا الى صبيحة السبت ودخل قاضي جبلة اليهم واستقر الحال معهم على انهم يطلقون بأنفسهم وذرائعهم ونسائهم واموالهم خلا القلال والنخائر وآلات السلاح والدواب وأطلق لهم دواب ركوبها الى ما منهم ورفق عليهم العمل الاسلامي المتصور في بقية يوم السبت وأقنعنا عليهم يوم الاحد سابع عشر جمادى الاولى وقال الحمد رجل السلطان الى اللاذقية يوم الاربعاء الثالث والعشرين من جمادى الاولى فبات بالقرب منها وصحبناها يوم الخميس وقد لاذ أهلها بقلاعها وهي ثلاث قلاع متلاصقات على طول التل متناسقات كأنهن على رأس جبل راسخ وذروة شامخ فسهل لنا فرعها وشرعنا نتأصل أصلها وفرعها فطلبوا السحق الناصري ونصبروا على السور عشية يوم الجمعة فلما أصبحوا صعد اليهم قاضي جبلة واتزلم بالامان وتسلمت تلك القلاع بما فيها من عدة وذخيرة وأسلحة وميرة وخيل ودواب كثيرة وامنوا على أنفسهم واموالهم وانصرفوا بنسائهم وذرائعهم واموالهم وخفوا من انقائهم ودخل جماعة منهم في عقد المنة وتمسكوا بحبل العصمة وانتقل الباقون الى انطاكية ثم الى السلطان بها لم تكن مقر الخلاطى وركب السلطان الى البلد وطاقه وهز الى احسانه اعطاه وأمنه وبعد ما أخافه قال ورأيتما بسدة واسعة الافنية جامعة الانبياء متناسقة المعاني متناسقة المعاني في كل دارستان وفي كل قطر بانيان أمكنتها مجتمعة وأروقنها من حجة وعقودها محكمة ومساكنها مهتدة مهتدة وسقوفها عالية وقطوفها ادانية وأسواقها قصبه وأقاربها مضيه وأرجاؤها فسحبه وأهواؤها تحسبه لكن العسك شعث عمارتها واذعبن نضارتها ووقع من عدة من الامراء الزمام على الخيام ونقشا امته اجمالا الى ما نازلهم بالشام فشهوا ووجدوا الاماكن وهووا سنا المحاسن قال وبظواهر اللاذقية كنيسة عظيمة نفيسة قديمة باجزاء الارزاع مرسعة وبألوان الخيام مجزعة واجناس تصاورها متنوعة وأصول تماثيلها متعقبة وهي متوازنة الزوايا متوازنة البناء قد تحسرت بها اشباح الاشياء وصورت فيها امواج الامواه وزينت لآخوان الشيطان وعبت اعبدة الاوثان والصلبان ولما دخلها الناس اخرجوا رخامها وشقوها اعلامها وجروا نساها وكسروا اجرامها وأهدوا الاساس لها أساسها وأفاضوا عليها لباس ابلاسها وحكموا بعد القنى بافلاسها فافقرت وأفقرت وخربت وزنت ثم لما طابت النفوس ونجى عن البلد بفتحها الروس عاد الى هذه الكنيسة بالامان القنوس وهي مشهورة مشعشة متمسكة بأركانها وباعدها من شبيهة قال ولقد كثر أسنى على تلك العمارات كيف زالت وعلى تلك الحالات الخاليات كيف خالت ولما كان زاد سوري بانها عادت للاسلام رابع ولشعوسه مطالع فلو بقيت بحليتها وحالتها بعدما تبدلت رسلها من ضلالتها لشاقت وراقت وكما أفاقت فاقت ورغب في اعطاء الجزية سكان البلد من النصارى والامون حبا للوطن ولما أراد السلطان الرحيل دخل المدينة ورؤا سكانها الكنية ودار خلال ديارها وخرق أسواقها في سائر أقطارها ووقف على البحر للنظر الى موانئها وشواطئها وأقاصيها وادانها وشكر الله على تكميته من ملكها وتخصيصه بملكها وفي كلب عادى الى سيف الاسلام بالين عن السلطان قال (وهذه اللاذقية مدينة واسعة وخطة جامعة معاقلة الاماكن وعلاقتها لا تستام وهي أحسن بلاد الساحل وأحصنها وأزدها اعمالا وضاعا وأزبنها وما في البحر مثل مينائها ولا للمراكب الواردة مثل مرساها وهي جنة كان يسكنها أهل الجحيم وطما الممكتة بالكفر دار بؤس فعدت بالاسلام دار نعم) قال وكانت شواطئ صقلية قد قابلت في البحر اللاذقية طمعاً في امتناعها لما خابت خبث نازها وقصدت لجهلها أخذهم رب من يخرج من أهلها خنقا عليهم كيف سنوا البلدة وجميعوا بدها فكان ذلك مقتضى البقاء ساكنيها بالجزيرة تؤذيها ولما وقف السلطان على شاطئ البحر تفكر وقال ما معناه أنت سلطان عظيم وملك رحيم وقد شاع عندك ذواع فضلك وقهر سلطانك وظهر احسانك فلو منعت على هذه الطائفة الساحلية الخائفة لملكك قيادها انا أعدت اليها بلادها وصورا والاعبيدا وأطاعوا لقرى باو بعيدا والا جائل من وراء البحار في عدد الامواج أفواج

في اخبار (١٣٩) الدولتين

بعد افواج وسار اليك مالوك ذوى الاقانيم من سائر الاقاليم وهو لاء أهون منهم فانه ركم واصفح عنهم فقال له السلطان قد أمرنا لثة بتهديد الارض ونحن قائمون في طاعته بالفرص وعلينا الاجتهاد في الجهاد وهو الذي يقدرنا على فتح البلاد ولوا جمع علينا أهل الارض ذات الطول والعرض لئولا لنا على الله في اللقاء ولم نبال باعداد الاعداء فصب على وجهه وركب بكرة ولم يغم خطابه عن خطبه

(فصل) في فتح صهيون وغيرها قال القاضي ابن شدد ادريس السلطان عن الملاذقية ظهوره الاخذ السابع والعشرين من جمادى الاولى طالع صهيون فنزل عليها يوم الثلاثاء التاسع والعشرين فاستدار له سكرها من جميع نواحيها بكرة فالاربعاء ونصب عليها ستمة بخنائق وهي قلعة حصينة منيعه في طرف جبل خنادقها اودية هائلة واسعة عمقه وليس لها خندق محفور الا من جانب واحد مدوار طوله ستون ذراعا ولا يبلغ وهو نقي في حجر ولها ثلاثة اسوار سوران دون رصها وسور دون القلعة وسور القلعة وكان على قلعتها علم طويل منصوب تحين اقبل العسكر الاسلامي شاهده وقد وقع فاستبشر بذلك المسجون وعلموا انه النصر والفتح المبين واشتد القتال عليها من سائر الجوانب فضرها مجتهد في ولده الملك الظاهر وكان نصيبه قبله جهة قريية من سورها قاطع الوادي وكان صائب الحجر يزل يضربها حتى هدم من السور قطعة جيدة عظيمة يمكن الصاعد في السور من الترقى اليه منها ولما كان يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة عزم السلطان على الزحف وركب وتقصدت ونازلت الخيمنة فالتضرب وانفتحت الاصوات وعظم الضجيج بالتمكين والتهليل وما كان الا الساعة حتى رقى المسجون على اسوار الرض واشتد الزحف وعظم الامر وعجم المسجون الرض ولقد كنت أشاهد الناس وهم يأخذون القدر وقد استوى فيها الطعاصم فيما كانوا هم يقاتلون القلعة وانضم من كان في الرض الى القلعة بما أنكمهم في جملهم من أموالهم ونهب الباقى واستدارا فقتلت حول اسوار القلعة فاما عاينوا المسالك استغاثوا بطلب الامان فامتهم السلطان على أن يسلموا بانفسهم وأموالهم وأخذ من الرجل منهم عشرة دنانير وعن المرأة خمسة دنانير وعن الصغير دينار وانفتحت القلعة وأقام السلطان حتى تسلم عدة قلاع كالعدو بلاطس وغيرها من القلاع والحصون تسلمها الخواب فانها كانت تعلق بصهيون وقال الممادكان الناري في صهيون في اودية وشعاب ومناقد صاب وأوعاث وأوعار وانجاد واغاروا قطعنا تلك الطريق في يومين ووصلت ليلة الثلاثاء ليلة الاثنين وخيمنة على صهيون يوم الثلاثاء وهي قلعة على ذروة جبل بين واديين عميقين يلتقيان عليها واوران حوالها والجانب الجبلي مقطوع منه بخندق عظيم عميق وسور وثيق ما اليه اسوى لفضاء والقدر من الطريق والقلعة ذات اسوار خمسة كأنهم خيمنة هضاب مختلفة بارتفاع سحاب وأسد غضاب وأحاط بالعسكر يوم الاربعاء من نواحيه الاربع وهي ممتعة عليها بالاركن الامنع والسور الامتاع ونقل السلطان خيمة الى جانب الجبل وأقام الظاهر غازي صاحب حلب مجتهد في جميع ما من جانب الوادي الى رد الا عادي طريقين وكان له بفتح هذه القلعة الجدة العلى والجدة الى فانه اقبل بناقل الوصول الى جبله من طريق جهاد وقد استعجب السكاك الجاه ومعد الرجال الخباية والمخينة والجريه والجناد اريه والحراسانية واستعجب الجبارين والحدادين والنجارين فأنله على صهيون السيد البيضاء وأتار في فضاء الفضاء واضاء وكان نازلا على جانب الوادي مقابل الحصن وشرع الجدار في الانخفاض وأصبحت يوم الخميس والجمعة والسرور موجود وركوع وما زالت المجتهد في من جانبته وجانبنا ساهام المنيا تصبى حتى قتل ورجع أكثره قاتلة الحصن وهان عباد فيه من الوهن وأصبحت يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة وبحر الحرب في أمواجه الزاهرة وتفرق أصحابنا من فرقة خفيت عليهم من الخندق لم يتحرك عمارتها كأن الله أعماهم عنها حتى يسلك الخلف اليهم منها فتعلقوا في الخندق وتساقوا السور وملكو عليهم ثلاثة اسوار واحتوا على كل ما فيها من ذخائر وغلال ودواب وبقار وزحج الفرنج في القلعة وتصادوا من القلعة وصاحوا الامان وبذوا الاذعان ونادوا مكتوبنا من السلامة وسألو المكان فما انما على المال والنفس حتى قترنا عليهم مثل قطيعة القدس وأغلقت دونهم الابواب وسرت اليهم الدواب وما استقر خروجه حتى استقر ج القرار وجى الدرهم والدينار وعم الفشار البكار والصغار وتولى ذلك شجاع الدين طغرل الجنادار ثم سلم حصن صهيون بجميع أعماله وسائر محاماه من

كتاب (١٣٠) الروضتين

ذخايره وأمواله إلى الأمير ناصر الدين منكوس بن جاركين صاحب رومبليس فأحكه وحصنه وحفظه وحسنه وتسلم يوم السبت قلعة العيد ويوم الأحد قلعة الجاهرين ويوم الاثنين حصن بلاطس ونذب إلى كل حصن من تسليحه وسلحه في سلك الفتوح ونظمه قال وفي فتح صهيون حصل الأمن على اللادقية وقوى الأمل في فتح أنطاكية فانه قفل محكم على بابها وسبب قوى من أسبانيا ففتح الرناج ووضع المنهاج

(فصل) في فتح بكاس والشعر والميرمانيه قال القاضي ابن شداد ثم رحل السلطان وسرناحي أتينابكاس وهي قلعة حصينة على جانب العاصي ولها مبريخ من تحتها وكان النزول بذلك المنزل على شاطئ العاصي يوم الثلاثاء سادس جادى الآخر وصعد السلطان جريده إلى القلعة وهي على جبل مطل على العاصي فأحرق بها من كل جانب وقالتها أقتل أشيدا بالمجنينيات والحف المضائق إلى يوم الجمعة أيضا تاسع جادى الآخر ويسر الله فتحها عنوة وأسر من فيها بعد قتل من قتل منهم وغنم جميع ما كان فيها وكان لها قلعة تسمى الشعر قرية منها يعبر إليها من البحر وهي في غاية المنفعة ليس إليها طريق فسلطت عليها المجننيقات من سائر الجوانب ورأوا أنهم لا ناصر لهم فظلموا الأمان وذلك في يوم الثلاثاء ثالث عشره وسألو أن يؤخر وثلاثة أيام لاستئذان من أنطاكية يسر الله فتحها فأذن في ذلك وكان تمام فتحها وصعود العلم السلطاني على قلعتها يوم الجمعة سادس عشره ثم عاد السلطان إلى النعل وسير ولده الظاهر إلى قلعة تسمى سرمانية يوم السبت سابع عشره فقاتلها أقتل أشيدا وضابطها مضاربة عظمه وتسليمها أيضا يوم الجمعة ثالث عشرى الشهر المذكور قال فأتته فتوحت الساحل من جهة سرمانية في أيام الجمع وهو علامة قبول دعاء خطباء المسلمين وسعد السلطان حيث يسر الله له الفتوح في اليوم الذي يضاهف فيه ثواب الحسنات قال وهذا من نوادر الفتوح في الجمع المأبى لم يتفق مثلهما في تاريخ وقال العماد سار السلطان ثمانى يوم فتح صهيون على سمت القرية ونزل على العاصي في طاعة الله على تل كشفان فسلم حصن بكاس يوم الجمعة تاسع الشهر وحول خبة خفية إلى الجبل لحصار قلعة الشعر وهي قلعة شامخة من أعلى القلل مطلة على وادعيق وكان السكار قد أعلاها بكاس من الرعب واجتمعوا بقلعة الشعر وهي عالمة حصينة منيعة لا تصل إليها فاستصعب السلطان أخذها وخاف من طول أمرها فبلغها هم فسكر في ذلك والفريخ قد دخلهم الرعب فأسروا في طلب الأمان واستمسكوا ثلاثة أيام ففكر المسلمون وفرحوا وأصبحوا يوم الجمعة والشعر شاغر والكفر صاغر فسلمها المسلمون ونصر فوها وفيما تنحويه من ذخائر وعدود دواب وانعام وأنعم السلطان بها وقلعة بكاس وتلك الأعمال على فرس الدين قلعج وكان هذا قلعج قد تسلم كفردين وهو معقل حصين يسكنه الأرم من في ذلك الصقع وبذل في استخلاصه غاية الوسع فولاه السلطان تلك الحصون وساطبا يأنه أمرها المصرون وعاد إلى محججه يوم السبت وهو حسن السمعت كريم التعت قال وكان الملك الظاهر عند اشتغالنا بفتح قلعة الشعر قد نزل على سرمانية مضابطها بالمحصر فسلمها يوم الجمعة ثالث عشرى الشهر وذلك بعد قطيعه قهرها وقهرضا ولما أخرجهم منها دخلها فأبطل عمارتها وعطلها وهدم بنيانها وهدم أركانها ومابر حتى سواها بالارض وخطط ولها بالعرض قال وهذه مد من وقلاع ففتحت في ست جميع تاسع جملة واللاذقية وصهيون وبكاس والشعر وسرمانيه وأطلق بها الأنفس والنشائس العالیه فقد كان في هذه المعامل من أسارى المسلمين عده لولا فتحها الممازالت عنهم تلك الشدة وهذا اقليم جملة واللاذقية هوعين انطاكية التي فتحت ونحرها الذي عنه حلت ولم يبق لانطاكية من الحصون سوى ثلاثة القصر وبقراس ودر بساكا وقد أصبحت معدومة الأماراف قد قطعت أيديها وأرجلها من خلأ

(فصل) في فتح حصن برزبه قال القاضي ابن شداد ثم سار السلطان جريده إلى قلعة برزبه وهي قلعة حصينة في غاية القوة والمنعة على سن جبل شاهق يضرب بها المثل في جميع بلاد الفرج والمسلمين يحيط بها أودية من سائر جوانبها ونزع عروقها فكان تحميها ذراع وبها سبعين ذراعا ثم حصره على حصارها بحدرونها واستدعى الثقل قتل تحت جبلها وفي بكرة الأحد الخامس والعشرين من جادى الآخر صعد السلطان جريده مع المقاتلة والمجننيقات والالاف الحصار إلى الجبل فأحرق بالقلعة من سائر زواحيها وركب القتال عليها من كل جانب وضرب أسوارها بالمجننيقات المتواترة الضرب ليس لها ولا نهارا وقاتلها حتى كان يوم الثلاثاء السابع والعشرين فقسم العسكر

في اخبار (١٣١) الدولتين

ثلاثة أقسام وربت كل قسم بقائل شطرا من النهار ثم يستريح ويسلم القتال الشطر الآخر بحيث لا يفر بالقتال عنها أصلا وكان صاحب النوبة الأولى عماد الدين صاحب سنجار فقاتلها قتالا شديدا حتى استوفى ثوبه وضرس الناس من القتال ورجعوا عنه وتسلم النوبة الثانية السلطان بنفسه وركب وتحررك عذبة خطوطا وصاح في الناس شغلا واجلج الرجل الواحد وصاحوا صيحة إلى رجل الواحد وقصدوا السور من كل جانب فلم يكن إلا بعض ساعة حتى رقى الناس على الأسوار وجمعوا القلعة وأخذت عنوة وتأسست أمانا وقد ملئت الأيدي منهم فلم يك بقية لهم إلا أن يسموا مارا أو بابا سنانا وبجميع ما كان فيها وأسر جميع من كان فيها وكان قد أوى إليها خلق عظيم وكانت من قلاعهم المدكورة وحصونهم المشهورة وكان يوما عظيما وعاد الناس إلى خيامهم غائمين وعاد السلطان إلى الثقل وأحضر بين يديه صاحب القلعة وكان رجلا كبيرا منهم فكان هو ومن أخذ من أهله سبعة عشر نفسا فتح عليهم السلطان وريقهم وأنفذهم إلى صاحب أنطاكية استماله الله فانهم كانوا يعلقون به ومن أهله وقال الحمد وصف السلطان قلعة برزبه وانها الحصن أقامية متاخمة وله مناصفة قسامة وإن المسلمين من جرارها في جور وفي جور بعد كور ووصفوا عمارها فركب السلطان إليها وأشرف عليها قالها كما وصفوها وبالعواقيم وما انصفوها فغضب عليها المجانيق فوقت أشجارها دونها ولم يتحرك سكوتها وكيف تبتدأ الخسباء بهضر والعقما بهضر وسجرا الجبل بجحر ومدار الفلك يمدد فلما رأى السلطان ذلك قوى رأيه على أن يفرق العسكر ثلاث فرق ويتناوبون على قتلهم زحفا ليعتبروهم ويضربوهم فانهم عدد مدحهم ورعا تليل نفى عذتهم وثقل عسدتهم ففعل ذلك وكانت النوبة الأولى لصاحب سنجار والنوبة الثانية للسلطان وخواصه ثم امتزجت الثالثة بالثانية وعادت رجال النوبة الأولى وتناصرت أنصار الله على الزبال لاستئصال النضر وأخذوا عاقبة الصبر في الحضر فطلب العدو الأمان وأرسلوا إلى السلطان وكان أصحابنا خالطوهم وبأساطيرهم وأحاطوا بهم وهناك جماعة من دهاة العسكر أشاعوا للناس أن السلطان يؤمنهم فخرج العالم عنهم ولم ينالوا منهم فلما ردت السلطان رسوهم لم يؤمنهم ساقوا أولئك السبا بقتلهم كل بسبيل وأغنامهم وخانوا إخوانهم وراموا حرماتهم وتفرقوا بالسي أبدى سببا وسافروا بمن بالعسكر إلى البلاد وباعوها في سوق الكساد وتسلم السلطان حصن برزبه ظهر يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة وولاه الأمير عز الدين إبراهيم بن الأمير شمس الدين محمد بن المقتدّم وهو صاحب حصن أقاميه مناظر برزبه وهو على الثغر وما بين الاثنين بحيرة تسمى الجانيين وصيادوها المساوون بأفاميه تحايل للاسلام الثغر وسكن الدهر قال وصككت صاحبة حصن برزبه زوجة الأبرنس صاحب أنطاكية قد سميت وخبيت فزال يظلمها حتى أظهرها وأحضرها وزوجها وابنتها وجماعة من أصحابها وصهرها وكانت امرأة أبرنس أنطاكية تعرف بدم سبيل في موالاة السلطان عنه الله على العدو ثم ادبته وتناحبه وتطلعه على أسرارهم والسلطان بكرها لذلك ولم يدب إليها أنفس الهدايا فلما فتح حصن برزبه وحصل في أمره هذه الجماعة وافترقت بهم أيدي المؤمنين منهم السلطان وخلص منهم من الأسر وأنعم عليهم وجهزهم وسبهم إلى أنطاكية لاجل امرأة الأبرنس فشكروا على ذلك ودامت موثمة ونفعها المسلمين وفي بعض كتب البشائر العمادية (آخر ما فتحناه حصن برزبه الذي تضرب بخصائمه الأمثال ولا ترقى إلى ذروة منجاة الأمال وقد أخذناه بالسيف عنوة وفتحناه بغيره فيلها من ضحوة قلوب الثلاثاء أثلت على أهل التليلت والمثلى الله المؤمنين عن ذكر الفتوح القديمة يحدث هذا الفتح الحديث ولو كان الله إلى اجتماعنا في الفتح لعدرك ولكنه سبحانه سهل ويسر) ومن كتاب فاضل إلى السلطان (وصلت كتب البشارة بفتح حصن برزبه وهو الذي تضرب به الأمثال وتضرب عنه الأمال ويكاد يحزن إذا قادت أيدي السلاسل الزمة الجبال ويكاد يذم ساكنيه من خطرات الأوجال بل من خطوط الأجل وكان لا كفر درعا حصينة طالما كانت تترأى لتناصل فعمطت المنة السلطانية عند أهل الاسلام ودعوا بان يفلج الله حجة سبيته الدالحصام وقد كان الناس يعدون مواهبه مما لا تحصى فقد تحققت بها فوجاهته فوسى أيضا لتحصن فرجها بفتح بوق غايم الجدلله وناظرها الله أكبر وما يقى الملوكة بسبطى خبرنا أنطاكية فقد ألفت الأرض أفلاذها وقد ولدت لكم مدنها ولنصره فلاذها ولم ترقى ثم الله مثلها أنتم كرمه فوجبه ولا تعرف بعد ما لزم من سبته ولا كرمه إلا أن ترجع في معرفة قدرها

كتاب (١٣٢) الروضتين

وأخلص شكرها إلى ماضيه الله شكره من أحوال يوم القيامه وأدخله دارالقيامة بأنهم قالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده الحمد لله الذي هدانا لهذا وكان آخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين فرضي بالحمد لهم ورضي عنهم وأثنى عليهم بأنهم اختصوا به وافتخروا وقدره سوابه وسبحوا وثقلت به موازين أعمالهم فرحوا وابتغوا ونحن نقول الحمد لله على بحسنة الدنيا بولانا ونضربها وعلى عزة الملة بنبه ونصرتنا وعلى بحسنة القلوب به ومسرتنا وعلى غنى الأيدي به وميرتها وعلى روعة قلوب الأعداء به وحسرتنا وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقصص مولانا من تلك النعم وان قصصنا في شكرها فبانقص في ذكرها وان يحزننا عن حصرها فبانجز عن المعرفة بفضل قدرها وتلك النعم بحمد الله منتظمة العقود مطردة السعود متوافية الرسل حاضرة السبيل خارقة العوائد قارة المساعي بالمساعد كادت العيون قبل وقوعها تحفظها وكادت المنابر ما يدرس عليها من كتبها تحفظها فباشرح صدر من خبرها فيسمعه ذو صدر الانشرح وما يسأل الباس هل فتح الملك الناصر وأما يقال ما اسم البلد الذي فتح فن عند مولانا الجنان ومن عندنا اللسان وعليه الجهد وعلينا الحمد فهي فوح كبريات الجنسه لا مقطوعة ولا ممنوعة وأعمالها المبرورة إلى الله مرفوعة ومن قصص يد لنا شباب فيان الشاغوري وقد تقدم بعضها

لما ملك حصون انطاكية * نيس الصليب وحزه من مظهر
أردت كل مثلك متكبر * هو حسد متواضع ومكبر
برزت إلى برزبه عزه تلك التي * مدت يدا عن مطلب لم يغص
فتناولته بيدها من الذخ * في الأفق ذي مثل برقع مسير
فأنشأ لصورة فهي أحسن صورة * في هيكل الدنيا بدنه بصور
ما سوره صور عاصم منه وهيل * سوره العاصم عاصم لم يسور
(فصل ١٠) في فتح حصن در بساك قال القاضي ابن شداد ثم سار السلطان حتى أتى جسر الحديد وأقام عليه أياما وسار حتى نزل على در بساك يوم الجمعة ثامن شهر رجب وهي قلعة مشيعة قريبة من انطاكية يسار الله فتحها فقتل عليها وقتلها قتلا شديدا الما الخيئة قتات وضابقتها مضايقة عظيمة وأخذ النقيب تحت رحمنها وتمكن النقب منه حتى وقع وجوه بالرجال والمقاتلة ووقف في الثغرة رجال يحومونها عن يصعد فيها قال وأخذ شاهدهم وكنها قتل منهم رجل قام غير مقامه وهم قيام عوض الجسد أرمك شوفين وأشدت الأمر حتى طلبوا الأمان واشتتروا من أجمعة انطاكية وكونت القاعدان يزلوا بأنفسهم وثياب أبدانهم لا غير ورقي عليها العلم الاسلامي يوم الجمعة أيضا ثاني عشر رجب وأعطاهما علي الدين سليمان بن جندر ومارعهما من الغلبة السبب وقال العماد ثم عبر من العاصي إلى شريقه عند شقية فدر كوش وهو نغر على الفرات للاسلام من منيع بقرناه وخيما على جسر الحديد أياما حتى استكمل العسكر راحته وتكامل ونحن يقرب انطاكية وتصدقنا إليها عز اننا لنا فيه ثم قلنا أقدامها حصون وحامها بجماعتها مصون فاذا ذهبت معانها جاعتها غوا لها فنزلنا على در بساك وهو حصن الداوية وقد اعتمقوا به حصته وأمنوا بمنعته فصبنا عليه الما الخيئة قتات فها زالوا بالجدون وتخلدون إلى ان ضاق بهم الخناق وتساق القبايون إلى الباشورة وهربوا بالنقب برج وسعوا للزحف فنجسوا قطا والأمان وقدوا أنفسهم بالوفاء وقاسوا على أنهم يضر جوتهم وأنهم وثياب أبدانهم ويدعون كل ما في الحصن من خيل وعدة وذخيرة وقلة وأنات وقاسوا على أنهم يضر جوتهم وأنهم وثياب أبدانهم ويدعون كل ما في الحصن من خيل وعدة وذخيرة وقلة من رجب وفي بعض الكتب العمادية (هذه الما الكتابة مشرفة بالفتح الهادي والنصر الاسمي وهو فتح در بساك الذي لم يكن انطاكية إلا ليد الأمتساك وقد قصص الآن جناحها وقتل سلاحها وحرق حرها وبطل اقتراحها ونجرت باخراج حصونها من ولاتها ارواحها وقد بقيت عرضا للسكر وعرضا بلا جوهر وشجيا بغير روح وصدرنا لغير مشروح والسكر من مجموع بالنفس والبلد والامل والولد ونحن لراحة لنا إلا في هذا التعب ولأرب لنا في غير هذا الأرب ولا جهاد لنا إلا في الجهاد ولا مغزى لنا غير الغزاه ومانر جوم الله الانجاز العادات في جميع العداة

في اخبار (١٣٣) الدولتين

أصبحنا يوم الثلاثاء وقد صبح المثلثين وراى صباح الموحدين وأينما أنهم الان يشدون نفوسهم ويتزعجون من الحرب أبوسهم ويخجلوا باسمهم ويلبسوا لبسهم ويخجلوا بلباسهم وأندتهم وقد أذوا خمسة آلاف بيتا من أنماهم
(فصل ١٠) في فتح بغراس قال القاضي ابن شداد وهي أيضا قلعة متينة أقرب الى أنطاكية من دريساك وكانت كثيرة العدد والرجال قتل العسكر في مرجعها وأحدق العسكر بها حريقا مع أننا احتجنا في تلك المنزلة الى برك يعقظ من جانب أنطاكية للتلايصر ج. مناهم من يهجم على العسكر فغضب برك الاسلام على باب أنطاكية بحيث لا يشذ عنه من يخرج منها قال وأننا من كن في البرك في بعض الايام لرؤية البلد وزيارته حبيب الخجار المدفون فيه عليه السلام ولم نزل نقاتل بغراس ومقاتلة شديدة حتى طلبوا الامان على استئذان أنطاكية وفي العلم السلطاني عليهم في ثاني شعبان وقال العماد ولما فتحت دريساك لم يبق لنا همة الا بغراس وقد شارف رجاء كثير الناس في فتحه الياس وهو حصن حصين ومكان مكين هولدا وبيد وجارضا عليها وغاب سباعها وهو يقرب أنطاكية حصارها وصار مسوا ومالدا وادوايته دوا قتل العسكر بين أنطاكية وبينه يتقاضون منها المدين دينه ويشيرون الغارات ويسبون النكبات ولا يبرجون بازاء أنطاكية صفارمون ولا هلهما فتخاضعتا يتناوبون على سبيل البرك ويدعون العدا الى المعترك وليس يغيثه الا الله فصد السلطان حريده الى الجبل وأمر نصب المجانيق حولها على تلك التل وتقل اليها حوامض الماء ورأياه وبث في الزواحي سراياه وفرق على الجميع عظامها وأثنا عليها بسوا يخبر اليه من كل مجتئق من قبض الحجارة ينبوعا ونحن نذكر فيما يبيكون وهي تتم الحركة وفيهم السكون وهذا يبيكار بطول وتعب لا يزول اذ رأينا باب الحصن وقد فتح ونخرج من الحصن من أخذ الامان لاهلها وسلم الحصن بما فيه من الاموال وقد رما فيه من الغلة ثمانين ثمانين عشر ألف غراره وسلمها السلطان مع دريساك الى صاحب عزازع الدين سليمان بن جندر وكنيت عليه جميع ما في القلعين من الوجود من المكيل والوزون والمعدود وكنيت الغلة أنطاكية غالبية السعر فقلت كافي في نوى القلعة وقد باع الغله وشي من فقره بها الغله ثم أثار بغراس بها وهدهما ولم يلزم بحكمها وقال ابقاؤها غرر وحفظها على المسلمين ضرر وخطر فجاء الامر على ما حسبته بعد ستين وعادا خلاها بضعة المؤمنين فانه اظهر ذلك الوقت ابا خلاها وانه للخرب خلاها فجاء اليها مقدم الارمن ابن لاون فدخلها وأتم غاراته وكلها وذلك في سنة سبع وثمان وهذان الحصنان دريساك وبغراس كانا لأنطاكية جناسين وطاغية الكفر سلاحين فتم السلطان فتح هذه الحصون المذكورة مع ابراهيم وعتارات وشققان كثيره حتى خلاص ذلك الاقليم وتم الفتح العظيم وعادت الكنائس مساجد والبيع معابد والصوامع جوامع والمذابح لعبادة الشيطان مصارع

(فصل ١١) في عهد الهدنة مع صاحب أنطاكية وعود السلطان قال العماد كان السلطان قد عزم على قصد أنطاكية فرأى هم الاجداد لاسيما الغرابة قد ضعفت ونياتهم في الجهاد قد فترت وتوخوا الى بلادهم والراحة من جهادهم وكان صاحب أنطاكية قد اشرف على الممالك وعلم ان ان قصد غلب فخذل أخا زوجته وسلا الى السلطان مة لئلا يطلب الهدنة على ان يذلقي من عنده من أسارى المسلمين وهم جميع كبير فقد هدهاهم مدة سيرة ثمانية اشهر ثم نشر الاول الى اقتضاء يار فيكون اقتضاء الهدنة قبل ادراك الغلة واران حصادها فاسترح فيها الاجتاد ويعودون بعدها الى فرض الجهاد في ذات الهدنة وتوجه شمس الدولة من منقذ ليقص الاسرى واقتادهم منه وقال القاضي ابن شداد وفي بقية ذلك اليوم يعني يوم فتح بغراس وهو ثاني شعبان عاد السلطان الى الحج الاكبر وراسله أهل أنطاكية في طلب التلخ فسالهم مائة خيول العسكر وقوة فلق عاد الدين صاحب سنجار في طلب الدسور وعقد التلخ بينا وبين أهل أنطاكية لا غير على ان يلقوا جميع أسارى المسلمين الذين عندهم وكان السبعة اشهر فان جاءهم من يفرهم والاسلوا البلد الى السلطان ثم رحل عنه بطلب دمشق وسأله ولده الظاهر صاحب حلب ان يجتاز به فاجاب فدخلها محادي عشر شعبان فاقام بقلعتها ثلاثة ايام ثم سار الى دمشق فاعترضه ابن أخيه في الدين وأصعده الى قلعة حماه وبات بها ليلة واحدة فاعطاه جيلة واللاذقية وسار الى بعلبك وأقام بجرها يوما ودخل حماه ثم أتى دمشق فاقام بها حتى دخل شهر رمضان وما كان يرى تبطيل وقته

مكتاب (١٣٤) الروضتين

عن الجهاد هما أمكنه وكان قد بقي له من القلاع القربية من حوران التي يخاف عليهم من جانبها صنف وصح وكتب
فرأى أن يشغل الزمان بفتح المكائين في الصوم وقال العماد وورع السلطان عاد الدين صاحب سنجار والعساكر
الغربية وانفتحهم بالخف العجيبه وأراحنا إلى العبور على ارتاح ووصل إلى حلب وقد خرج كل من بها التلقى فستبشر
بالاقبال المضاعف المتري وشاهدنا من المنظار عيون الجحاش ناظرة ووجوهنا ناضرة وقلوبنا حاضرة والسناشكره
وأبدنا في بسطها إلى الله لا يتهاى بالدعاء متظاهره فأقام بقلعتها أياما يسيره وألقى ولده الظاهر قدس سره بها أحسن
سيره ثم سار منها على طريق المعتره وقصد زيارة الشيخ الزاهد أنى ذكر بالمعري عند مشد عمر بن عبد العزيز
رحمه الله فبهرته بزيارة الميت والحي ثم وصل إلى حماة فنزل بقلعتها ومعه أمير المدينة النبوية على ساكنها أفضل
الصلوة والسلام وهو هو الدين أبو فليحة القاسم بن المهنا وكان للسلطان في جميع الغزوات مصاحبها وعلى معاضدته
مؤاندا وماحضر معناه على بلدنا وحصن الافتخانه وكان السلطان يستوحش لغيته ويأنس بشيئته وكان يجنب
السلطان جالسنا ولنظرة عليه حاسبا وكانت قلعة جهاد ذات منطبخ فلما تولاها تقي الدين رفع قناتها وعنى
خذلته وأوحشها فطلع السلطان تلك الليلة إلى القلعة وسر بها رأى من الحصانة والرفه ووقف الملك المظفر لعمه
وجرى في الخدمة على رسمه وأصبح السلطان راحلا ولم يبق بمحض وجاء إلى جعليك على طريق الدراعة واللبوة ووصل
إلى دمشق قبل رمضان وأشير على السلطان بأن يرجع عسكره فقد أجد في عامه مورد وهو صمدته وأرجع في سبيل الله
مستبصر فقال ان القدر غير مأمن والعمر غير مضمون وللغرض أوقات وللدهر آفات وقد بقيت مع العسكره سنة
الحصون وإن لم يباردها اختل أمرنا المصون لاسيما صنف وكوكب قائم بالالدوايد والاستراتيجية في وسط البلاد
والغزور الاسلامية بما رهاه السداد فخرج ونشوتو عندها وتقصد قصدتها فإذا فتحناها اخضعت هذه البلاد
وصفت الورد قال خالفت السلطان ولما مكث ولانقض عهد عزمه على الغزاة ولانكث وقال لا يبطل الغزوه
ولا تعطل هذه الشوه

(فصل في فتح الكرك وحصونه) قال العماد ووردت البشرية بنحيف الدرك في تسليم حصن الكرك وذلك
انها في مدة غيبتنا في بلادنا طاكية لم تعد من محاسن المضائق النائية وكان الملك العادل أخو السلطان
مقيمًا بدين في العساكر محترزا على البلاد من غائلة العدو الكافر أقامه السلطان هناك عند توجهه إلى البلاد
الشمالية بقصد جبله واللاذقية فأقام بدينين مقوي بالامراء المرتبين على الحصون حافظا على الدهاء بحركته
في الامور عادات السكون وكان صهره سعد الدين كمشيه بالكرك موكلا وبأهله منسكلا قد غلق رهنه وبقي حصاره
معضلا وأمره معسكلا حتى فنت أزادهم ونفدت موادهم ويأسوا من نجدة تأتيهم وأجحت عليهم مصائبهم
ومشائهم فتوسلوا بالملك العادل وأبدوا له ضراعة السائل فما زالت الرسائل تتردد والاعتراحت تتجدد
والقوم يلبثون والعدل يتشدد حتى دخلوا في الحكم وخرجوا على السلم وسلبوا الحصن بقصه نوال السلام وخلصوا
باقامة عذرهم عند مقدمهم من الملامه وتسلم سعد الدين بعدد الحصون التي يقر بها كالشوبك وهمر من الوعر وسلم
وقال القاضي ابن شاذ وفي أثناء شهر رمضان سلمت الكرك من جانب أبواب صاحبها وخلصوه بها من الاسر وكان
أسرى وقعة حطين المباركة وكتب العادل في بعض البشائر (سلم حصن الكرك وهو الحصن الذي كان طائفتيه
يحدث نفسه يقصد الجمار وقد نصب اشراك شركه منه على طرف الاجتياز فأذعنناه عام أول كاس الجلب
وقلصنا حصنه الذي كان يعتصم به في هذا العام واضطر الكفر في الاسلام إلى السلام وتم جعل هذا البيت
أمن البيت الحرام) وكتب القاضي الفاضل إلى السلطان شفاعته (أدام الله سلطان مولانا الملك الناصر ونبيه
وتقبل عمله بقبول حسن وأنته وأخذ عذوته قائلا أوبيته وأرغم أنه بسيفه وكتبه خدمة المسالك هذه واردة على
يدفان عمله بقبول عذاب بالنايه المنزل منها وقل عليه المرفق فيها ومع هذه الفقرات التي طبع الأرض ذكرها
ووجب على أهلها شكرها وجعل ابن جرت على يده أجرها هاجر من هجر عذاب ومجها سار إلى ليله أمل كاه
صباح فلا يسأل عن صحتها وقد رغبت في خطابة الكرك وهو خطيب وتوسل بالمولد في هذا المجلس وهو قريب

في أنخبار (١٣٥) الدولتين

وزرع من مهرب إلى الشام ومن عذاب إلى الكرك وهو عجيب والفقر سائق عنيف والمذكور عائل ضعيف ولطف الله تعالى بالخلق بوجوده ولا لطيف ورأيه أعلى إن شاء الله تعالى

(فصل) في فتح صفد قال القاضي ابن شداد ثم سار في أوائل رمضان من دمشق يريد صفد ولم ياتفت إلى مقارعة الأهمل والوطن والولد في هذا الشهر الذي سافر الإنسان أين كان ليجمع فيه بأهلها فأتاها وهي قلعة منيعة قد تقاطعت حولها أودية من سائر جوانبها فأحسق العسكر بها وأصبحت عليها الجانيق وكانت الأمطار شديده والوحول عظيمة ولم يذعه ذلك عن جده ولقد كنت ليله في خدمته وقد عين مواضع خمسة بجانيق حتى تنصب فقال في تلك الليلة ما تمام حتى تنصب الخمسة وسلم كل مجتهد في القوم ورسلة توازن اليهم بخبرونه ويبرقونهم كيف يصنعون حتى أطلنا الصباح وقد فرغت المجنبتات ولم يبق إلا ركب خنازيرها فها هي فرويت له الحديث المشهور في الصحاح وبشرته عتاضه وهو قوله صلى الله عليه وسلم عينا لا تمسهما النار عين باتت تجرس في سبيل الله وعين بكيت من خشية الله قال المؤلف أخرج الترمذي هذا الحديث وقال هو حديث حسن غريب قال ولم يزل القتل متواصلا بالنوب مع الصوم حتى سلمت بالامان في رابع عشر شوال وقال العباد لما خرج السلطان من دمشق صبيحة الفضائل وجعل طريقه على مرج برغوث وعبر بحضرة الأخران وجاء إلى صفد وقذف من فيها من الفريخ وزادهم فقد قتل عليه في العشر الاوسط من رمضان فضايعة وأصب الجانيق عليها إلى أن أسلمها مقدمها في ثامن شوال بالامان وراح إلى صور وقد كانوا عدهم والقوت ووجدوا الموت الموقوت وعملوا انهم لم يفترح صفد من أيديهم دخلت ارجلهم في الاصفاذ فتهربوا من الجهاد والجلاد وانها كانت في عين الاسلام فلي لا يتوقع منها على الايام المصيرة وأذى فسهل الله صعبها وأوطأ هضبتها وكشف عن البلاد كرها وقذف في قلوب أهلها رعبا فخرجوا مدعين واستسلموا مسلمين وتبرؤا من حصنهم وتزولوا بنواهم ووهنهم وأحضر اربابهم للاسماحة في ثقل متاعهم وندموا على ما كان من امتناعهم قال واجهة الفريخ بصور وحين فضايق حصن صفد وقالوا في فتح صفد فان كركب لا تمنع وأملنا عن حفظها ينقطع والراي أن تجردوها لتجدها على ثابتة إلى أن توافيها من البحر لو كانا فاسر وما نتي رجل فتفرقوا في تلك الأودية يكون في الشعباء والمجاهد والتوق ان أمرا من أصحابنا خرج منقضا فوق أحدهم في قصصه وحصل طائر منهم في قصصه فاستغفروا وجوده في ذلك المكان فهدموا وتوعدوا وأقامه للعذاب وأقعد حتى دل على مكان ذنابه فما أحسوا إلا بصارم الدين فإيمان النجيب وأجنداه الا وقد تزولوا عليهم في آكام ذلك الشعب ووهاده قتل طوطهم من كل غار وجار ولم يند أحد من أولئك الضلال إلى فخرج فرار فاشعروا ونحن على همدل للعصار حتى وصل صاحب قايماز بالاسارى مقرين في الاصفاذ مقودين في الاقياد وكان فيهما قدما من الاستنار وقد أشيا على البتار فان السلطان رحمه الله ما كان يبق على أحد من الاستنارية والداويد فاحضر اعتد السلطان للنبه فأنطقهم الله بما فيه حياته وناحيا بما به نجاة ما وقالوا عند دخولها ما نطقنا بعد ما شافناك بالحقة ناسو فعرفت أن بقاءهم أحوالهم في مقارعة أهلها وأمر باعتقالها فان تلك الكرامة حركت منه الكرم وحققت منسمة اللدم وفتح الله علينا منصفنا من شوال فرغنا من صومست منه بعد صوم رمضان وجهنا بين فضايق الصوم والجهاد وسلمت قلعة صفد إلى شيوخ الدين طغور الجنادار واستبشرنا بانعكاس ما أحكمه الكفار

(فصل) في فتح حصن كركب قال القاضي ابن شداد ثم سار رجة الله عليه يريد كركب فقتل على سطح الجبل وجر العسكر وأحرق بالقلعة وضايقة بالكلية بحيث اقتذله موضعان يجاوره شهاب العبد وبني له سائلا من حروبين يستروا والانشاب يجاوره ولا يقدر أن يقف أحد على باب شمس إلا أن يكون لباسا وكانت الأمطار متواترة والوحول بحيث تنغمع الماشي والراكب لا بشقة عتامة وعا في شدائد وأهوالا من شدة الرياح وزاكم الأمطار وكون العدو متسلطا عليهم بهائم مكانه وجرح وقتل جماعة ولم يزل راكبا الجند رجة الله حتى تمكن النقب من سورها وبأس أحسن العدو الحذول بالنقب وقد تمكن من السور على أنه مخدول مأخوذ فطلب الامان فأنهم رؤسها في منتصف ذي القعدة ونزل إلى القروا إلى النقل وكان قد أنزل النقل من شد الوحول والريج

كتاب (١٣٦) الروضتين

في سطح الجبل وقال العماد وجئنا إلى كوكب فوجدناها في مناسط الكوكب كأنهم أكر العقاء ونزل العواء قد
 زلتها كلاب عابوه وترغت بها ذئاب غابويه وقالوا لوق مناصوا وحفظت بيت الاستبصار وخلمصه إلى الأبد من
 العار ولا بد من عود الفرج إلى هذه الديار فتشدد لا تنتظار ثم وصف القتال بالرمي والمجنبيق والنقب والتعليق
 والحفر والتعميق والحضر والتضييق ثم قال وكان الوقت صعبا والغيب سبكا وتكاثرت السيول وتكاثفت
 الوجوه ودامت الدم لهدهدها مريفة وبقيت الخيم في الطين غريفة وكنائى شغل شاغل من تقلم الأوتاد
 وتوند الأقدام وهوى الأطناب ووقع الحقيام وقد عادت الخيام مناخل الانداء والأناوير مدومة لوجود الأنواء
 وماء الشرب مةقة ودمع سيول الماء والزواحل في الطين باركة وهي العلف تاركة والطريق رزقه وهي مع ستمها مية
 فنبل السلطان خيمته إلى قرب المكان لتقريب وجوده المكان وبني له من الخجارة ما صار له كالسيارة ونزلت
 الانتقال والخيم إلى أسفل التل الغور وأقام السلطان على محاصرة الحصن ومصارته ونحن نركب إليه من الخيام
 بكر وعشيرة للسلام وتنفيد المهام حتى بلغ الرجال أما كن النقوب ويمكن لهم المطلوب فشرع الكفر في التذل
 وساءل الحصن بالامان وعرضه على جماعة فيقبل ولايته أحد سوى قايماز النجمي على كرمه منه وذلك في منتصف
 ذي القعدة ونزل السلطان إلى الخيم بالغور ومن كآب فاضلى إلى سيف الاسلام باليمن عن السلطان (ماتجد
 بحضر تافخ كوكب وهى كرسى الاستبصار ودار كفرهم ومستقر صاحب أمرهم وموضع سلاحهم ونخرهم وكان
 يجمع الطرق قاعدا والمشي السبل راصدا فتعافت بفخه بلاد الفخ واستوطنت وملك طرقاتها وأمنت وعرت
 بلادها وسكنت ولم يبق في هذا الجانب الاصور ولولان البحر يجردها والمراكب ترددها لكان قداها فاعلم
 وجاهها قد أنشئ وماهم بحمد الله في حصن يحمهم بل في حصن يحومهم بل هم أسارى وان كانوا طلقاء وأموانا
 وان كانوا أحياء قال الله تعالى فلا تجعل عليهم غمناهم عهدا وكان نزولنا على كوكب بعد ان فتحنا ماصفد
 بلاد اودية الصوره وفخنا التكرل وحصونه والمجلس السامى اعلم بما كان على الاسلام من مؤتة المشقة وفخنته
 المشككة وعلته المعضله والله تعالى المشكور على ما طوى من كلمة العسكر وشور من كلمة الاسلام
 فان بلاد الشام اليوم لا يبع فيها الغور لثأنيهم الا قليلا سلاما فادخلوها بسلام وكان نزولنا على كوكب
 والشتاء في كوكبه وقد طلع من الأنواء في موكبه والنواحي تنشر على الجبال طلي ملائمتها والاودية قد غشيت غمامها
 وفاضت عند امتلائها فمخفت أنوفها سبولا وخرقت الأرض وبلغت الجبال طولها والاحوال اعتلت الطرقات
 ومشى المطلق فيها مشية الاسير في الخلقات ففخسنا العناء ونحن ورجال العساكر وكابرنا العدو وال زمان وقد
 تخرنا لفظ المكابر وعلى النية فأنجدها بفعلها ونعير الامانة فأعان على جعلها ونزلنا من رؤس الجبال منازل
 كان الاستقرار عليها أصعب من ثقلها ثم قال (والآن فالجلس السامى يعلم ان الفرج لا يسألون عما فخننا ولا يصبرون
 على ما جرحنا وانهم لعنهم الله أم لا تخصى وجيوش لا تستقصى وبدان الله فوق أيديهم وسيعجل الله بعدسهميرا
 وما هم الا كلاب قد تعارت وشياطين قد تعاوت وان لم يقصد قوام كل جانب استاسدوا واستكلموا وكأفوا
 لباطلهم البادح انصر منا لحقنا الناهض وقد كتب المستخمدون بالاسكندرية وصاحب قسطنطينية والغور
 المغربية يثذرون بان العدو قد أجمع أمرا وحاول نكرا وفضه وازادهم الله غضبا وأودعنا نار الحرب جعلها الله
 عليهم حطبها وسوارسها فاللحم لا يبعد ان يكونوا انعمادها وتواعدت جوع ضلالتهم أخلف الله مبعادها وألغى
 فيها الله ندفع ما نطيق وما لا نطيق وأليه نرغب في ان ثبت قلوبنا اذا كادت تنزع قلوب فريقين ونحن الآن نسجد
 أحناء ندعوه إلى الصلاد دعينا ونؤمل من الله أن يصير ناديا ودينا ونرجوان بمقتضى نفسه سريعا ويعسكر جميعا وبذره
 الذى كان المله جموعا وان يلبيهم اذعوا اما ان يطيعهم باريد لانهم ادعونه واما ان ينصر بهائيه صلى الله عليه وسلم
 فانهما شر بعته واما ان يعين به الأخاء فانهما شدة الاسلام لاشدته هذا وان كان المجلس قد قدع عنا ولم يعدنا في مرض
 الاجسام فلا بعددنا في مرض الاسلام فالسيد الدمار فان لم يكن الشام له بدار فآل اليمن له بدار والجنة الجنة
 فانها لا تنال الا بإيقاد الحرب على أهل النار والهمة الهمة فان البحار تلتقي الألبصار والمالوك الكبار لا تقف
 في وجوهها الا المالوك الكبار وفي هذه السنة نزل على أنطاكية ونزل ولدنا المظفر تقي الدين على اطرالس ويستقر
 الرقاب

في أخبار (١٣٧) الدولتين

الركاب الملكي العادي بصر لاهما مذ كوزة عند العدو أنها تطرق وان الطلب على مصر والشام منه يرفق ولا غنى عن أن يكون المجلس السيفي جبر في بلاد الساحل بنصر سلاحا ويجرد سيرة أيكون على ما فتحنا قفلا وبالم يفتحهم مفتاحا وما بدعي العظم الا العظيم ولا يرحى ما وقف الصبر الكريم الا الكريم هذا والقدار جاريه وشبهة الله ما ضيه فان بدأ ينصر على العدو المضعف بالعدو الاضعف فان لا ترتاب بان الله تعالى ما نفع علينا هذه الفتور لمعقلها ولا يجمع علينا هذه الامة لغيرتها وانما يؤثر ان يتساهم آل أيوب في ميراثهم منه واقف الصبر ومطالع النصر ولا يصرنا ان يقضي عزه في قتال غير الكافر ونزال غير الكفر المناظر فانما هي سيرة فاصده وزجرة واحدة فاذا هو قد بينض الحليفة والوجه والذكر ليحضر وليشاهد اولاد اخيه يستشعرون لفراقه غما قد عاشوا ما عاشوا ولا يعرفون ان لهم معهم عا) وله اليه من كتاب آخر وكان بعد اعتذاره عن الحضور (المولى على حسب اختياره ان سار مثله من ساروسر وقاد الحيدس وجر ونفع المولى ونصر العدو والذي اضر وان اقام فالعدو والذي اقصده واشفاق السلطان عن نصره الذي رده عن وجهه والراى الذي رده فلا يكن في صدره من الامر بن حرج ولا يفتخ استقصار عزه ان ركذوا خرج فكانه مكانه من القلب وودده وده وله من اسنان حده وهو سيف الاسلام ان ضرب في حده اوصن ففي غده لا زال المولى مژها باسمه ومرفها في جسمه ويجرد سيف عزه وسعدا بحكم التوفيق فلا يخرج التوفيق عن حكمه) ومن كتاب عمادي الى الديوان بفتح الكرك والشوبك وظفر كوكب يقول فيه (والان فقد دخلنا جميعا بمملكة القدس وحدثنا في بيت مصر من العرش وعلى صوب الخيام من الكرك والشوبك وتشعل على البلاد الساحلية الى منتهى أعمال بيروت ولم يبق من هذه المملكة الا صور ونخ ايضا جميع اقليم انطاكية ومها القاصير من للفرخ والارمن وحده من أقصى البلاد حيلة والا ذقية الى بلاد بن لاون وبقيت انطاكية ومها القاصير من حصونها ولم يبق من البلاد التي لم تفتح اعمالها ولم تغل عما كانت عليها لها سوى طرابلس فانها لم يفتح منها الا مدينة جبيل وقد سحبت عليها المهلة الذليل ومعاقلها باقية وليس لها من عذاب الله الواقع وقية والحامد الا ان على التوجه اليها وعزم التزول عليها وان قدرت الجانب القبلي والبلد القدسي وشحن الثغور من حديد جبل الى عسقلان بالرجال والاموال والالات العدد والعدد والواصل الممدد وزنب فيها ولدا افضل عليها الجانيته وحفظ

ولايتها وقلد ولده العزيز عثمان ولاية مصر ومملكة أقاليمها لتهديب أحوالها وتقريبها
 (فصل ١٤) في باقي حوادث هذه السنة قال العماد لما فرغ السلطان من شغل القلاع ونزل الى الوهاد من التلاع مجددا لاجل الفاضل عزم مصر فركب السلطان معه لوداع ثم تحول الى حمراء بيسان واقام بها الى مستهل ذي الحجة ثم رحل يوم الجمعة مستهل الشهر ومعه أخوه العادل وسلك كل رتي الغور الى القدس ووصله يوم الجمعة ثامن الشهر وهو يوم التروية ووصل الجمعة في قبة الصخر وعيد يوم الاحد عيد الاضحى وسار يوم الاثنين الى عسقلان للتنازع في مهاهما ونظم اسباب أحكامها ثم أذن للعادل في العودة الى مصر لمساعدة ولده العزيز وودعه واعطاه الكرك وأخذ منه عسقلان قاله ابن شداد ورجل على بيت عكا بعسكره موقفا في مورد وهو صدره فها عبر ببلد الاقوى عدده وكثر عدده وانفصل العماد عن خدمته الى دمشق عند درجة ليد من بيسان لعارض مرض سلبه الامكان وما زال متفصلا عنه الى ان وصل السلطان دمشق بعد شهر من مستهل صفر من السنة الجديدة وقاد هذه السنة في الثالث والعشرين من رمضان توفي الامير محمد الدين مؤيد الدولة اسامة بن مرشد بن علي بن منقذ وكان له ولده شيراز سنة ثمان واربعمائة فبلغ عروسه ستا وتسعين سنة وتوفي في الثامن والعشرين من جمادى الاولى توفي الحافظ ابو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الحارثي الحمداني بعد اصابه المصنقات على نصر سنة ثمان في الجبال والناضخ وغيرهما وله سنة ثمان وتسع واربعمائة وخمسة اربعه رحمه الله تعالى قال العماد ووصل كتابا من مصر يفتخ على حصار صندان اثني عشر رجلا اعلنه واسهارا غسل القصر ودخلوا من باب زولته الى قرب النصارى ليجنود السوف لادالة الدولة الراعية ونصر الدعوة بالادله وهم يتادون بال على قزغهم انهم يتباين بالصوله وبقولون لباس الدولة ويحاليون انهم اذا تاروا اثاروا واذا داروا اثاروا انما كثر بهم من كثر ولا ابعث اليهم من يبعث فلما تفتقوا انهم لا يجيب لهم ولاداع تفرقوا في الدروب واضعوا وكانوا عقدوا على الوفاء

فأخذوا ثم أخذوا ووقفوا واعتذروا ولم يستنقذوا وإنما علم السلطان بهذا الأمر غزاه الله ثم تضرعوا عن علي باب من وفود مصر وقال المعنى نعم لهم هذا الوهم فطردهم وردعهم وردتهم وكان قد وفد إلى الباب السلطان جماعة من أولاد وزرعا المصريين والأمراء بها المقتدمين ومن أهل المعروف المعروفين ووافق ذلك دخول الفضل إليه فأخبره بالخبير فقال له يجب أن تشكر الله على هذه النعمة فقد عرفت بهذا طاعة رعيته وكثرت ثباتهم إنديك الذين لم يلب دعوتهم أحد ولم يكن من وراءهم مدد فطبت نفسا وزيدت لك عبد الله أنسا فقال السلطان كان الملك قبل تخافهم وتغرب منهم الزعيم وتوقع منهم البلية والآن فقد تكانزوا علينا وتوافقوا علينا حتى اضجرونا وأمانونا ونفرونا فإذا ربنا أنزلنا ناعا ورونا بالقصاص وساورونا بالقصاص فقال له أنت أولى بشكر الله على هذه العارفة كان مصر من صاحب القصر وأشياعه وخدمه وأتباعه وأمرائه وخواصه وذوي استخلافه وجهاته وإزاهه كل من كان يرتع الخلق في رياض أنعامه وكنان الشام في كل بدو وال وصاحب له على أهله ثم ومولاه ومولوك يوزعهم الأقارب والأجانب واليوم أنت سلطان الجميع وقد رد الله المال في تلك الصنائع كلها إلى مالك من حسن الصنيع وقد أجمع أولئك المتفرقون على بابك ووقدوا إلى جنبك فلا يجدون بعد الله الأجود فأكرم وقرئك فأغروا وقت الدفوع عيناه وبالسماح يده وأقسم أنه ما عاش لا يرتقاصدا ولا يصعدا فإذا وتقدم في الحال قضاء حقوق الوادين ونجاح آمال القاصدين قلت وكتب إلى السلطان في هذا المعنى أبو الفتح سبط التتعاويذى من بغداد

فلا يصحيزك ازدهام الوفو ❀ دعليك كثره ما تبذل

فانك في زمن ليس فيسـهـجـوداسـوالـكـولـامـفضل

وقد قل في أهل المعصو ❀ ن وقد كثر الناس المرمول

وما فيه غيرك من يستما ❀ ح وما فيه لك من يسال

وقرأت رقة بخط الفضل (المسالك) بنهى وصول نفر الكاب الجويني وقد كادهم لك من هب الخروا المشقة في السير وكيف يكون حال ابن السبعين مع المرض اللازم والقرع النج الدائم ونحافة الأعضاء وضعف القوة واستشمار انقطاع الرزق الذي هو نظير انقطاع العمر وما أظن أن الله أجرى على بدلولي ولا فرح عـدو الله بان ينقطع رزق مثل هذا البقية المحسنة والضيف الراحل والأديب الفضل في أيام مولانا التي هي تاريخ الكرم ومواسم النعم وفي آخرها (وما يجب أن يعلم المولى أن أرباب العمائم في دولته ما قطعوا راتبها ونجوا من أفتى ألف دينار شهادة الله ورحمها كانت ثلثمائة ألف دينار) وفوق الرقة بخط الصلاحى (وقفت على رقة القاضي الفضل وما يقطع لاحذر رزق ان شاء الله تعالى بل هي عـلاـلات نحن مثل القريم المنكسر نرضى لذنا جمال ذوا على الجبل ما تقدمت بقطع رزق أحد الورقة قد علمت أن كتب فيها الذي لهما ولغيرهما ان شاء الله تعالى) وكان في آخر الرقة ذكر الجبال الخفي وكأنه كان له من حاجة الجويني رحم الله الكل أجمعين

❀ ثم دخلت سنة خمس وثمانين ❀ قال العماد والسلطان في عكنا فذا الأمر نابه القدر فأحك أمرها وكشف ضرها واستحضر جماعة من مصر يجي بهم النفر فما انفصل حتى وصاروا واتبعوا أمره وأمتثلوا وتقدم إلى بهاء الدين قراقوش بأتمام العمارات ووفى حسام الدين بشاره وعول عليه في الولاية والحفظ والحماية وقال القاضي ابن شداد أفادهم كما عظم المحترم فوصل أحوالها ورتب فيها بهاء الدين قراقوش واليا وأمره بمجاعة السور والاطناب فيه ومعه حسام الدين بشاره وسار بدمشق قد خلتها مستمل صفر قال العماد ووفى بموعد فارس الدين كشتغدي شهر زور وأعمالها وكان قد تزوج بأخت عز الدين حسن بن يعقوب بن قحماق فولاه ذلك لتقرب الولاية النجباءية من الشهر وزويه وقصد حصول المناصره بحكم المصاهرة قال وحكم السلطان بدر الدين مودودي في ولاية دمشق وجدله من شورايا أنشأ في فيه (وقد قلنا أنه أمره بشق وجهه ثم أوامع الها والعشيرة والكرات وكل ما يجري في الدوان وما يتبع الخزانة وولاية المخرج والعهود وما ينساق اليها من الأعمال وولاية الجبل ووادى بردابوس وبنو الشيخين وحفظ الطرقات) ثم رحل السلطان إلى طبرية فالقها جامع دنته العبرية ثم وصل وأقام بدمشق

يسلم الموضع عاقبه ويدخل في طاعة السلطان ومراضيه ويخضعه على إقطاع يغنيه وعن حب أهل دينه يسلمه فأكرمه وقربه وتضي أربه وأجابه إلى مأسأله وقبل منه عز زامأ بذله واقتنع بقوله ولم يأخذ رهيته وجداليه سكونا وسكينة فشرع ارتباط في اذالة حصنه وازالة توحيته وترميم مستديمه وتوفير غلاله وتغيير أحواله ونقض في غرة من تحفظه وفي سنة من تيقظه وكان يتباع من عسكر بالهيرة ويكتفيه الذخيرة وقدأ تمر الغدر وظن أنه النصر والسلطان حسن الظن به يجعل صدق الوائشي به على كذبه وكان انتهاء المدة يوم الأحد ثامن عشر جمادى الآخرة وأقام السلطان بالمرج ينتظر انسلخ الهذنة وتسلم الحصن وخاف أن يفارقه أن تحجب أمداد الفرج إليه وكان مشقة أن يضام من جانب أنطاكية لانتفاء أشهر همدتها فكتب إلى تقي الدين بالقيام في تلك الحطة وسبر بذلك الفقيه عيسى الهكاري ولم تستدع الا صاحب آمد قطب الدين سكان بن قرا ارسلان فجاء في امداده واعداه ولازم السلطان فلما قرب انتهاء مدة صاحب الشقيف أحضره السلطان فضرع وقال ان قومي إلى الآن لم يخلصوا من صور وقد أنعمت فاتهم وسأل أن تكون المهلة سنة فعرف السلطان من خوى حاله أمارات الارتياح فكلعه بانياس ومارة ودياس فأرشي طولاه وأرجأ أمليه وأمر السلطان بخويل الخيم إلى فاو الجبل ليقرب من الحصن وقد بقي من الهذنة يومان فتصور صاحب الحصن فتيل له تقيم عندنا في كنف الامان فبكي وتأنم من ضيقه وانكشفت سريره التعداد فأمر بحمله إلى الشقيف حتى يسلمه ووكل به وحفظه من حيث لا يعلم وتيل له ليعتد ولا يجوز إلى المقابلة وسلم وقيل له قد بقي يومان من المدة تقيم حتى تنتهي وتسلم فأبدى ضرورة وضارعه وقال سمعوا طعاه وكان له ملق وملق وفلسانه دلق وما عنده من كل ما يفرق فرق وقال أن أفند إلى نواي في التسليم وهو وقت قد تم اليهم بالوصية والتعليم فأظهروا وعصيانهم وقالوا بيبكي مكانه فتمد وجل إلى قلعة بانياس وظل الرجاء فيه وبان الياس ثم استخفى في سادس رجب وهدده وتوعده فلما لم يقد خطابه ولم يجد عذابه سيره إلى دمشق وسجنه ورب عدة من الأمراء لانه لا زمة حصن الحصن في الصيف والشتاء إلى أن تسلمه بعد سنة بحكم السلم وأطلق صاحبه وأجرى عليه حكم الحبل

(فصل ١٠) وفي مدة مقام السلطان على مرج عيون لمحاصرة شقيف ارفون اجتمع الفرج وخرجت لهم مع المسلمين وقائع قال القاضي ابن شداد كان السلطان قد اشترط على نفسه حين تسلم عسقلان أنه أن أمر الملك من بها يتساجها أطلقه فأمرهم بتساجها وسلوها فطالبه الملك باطلاقة فأطلقه وفاء بالشرط ونحن على حصن الكراد أطلقه من انذار سوس واشترط عليه أن لا يشهر في وجوهه سمي فأبدا وان يكون مأو كه وطليقه فكث لعنه الله وجع الجوع وأنى صور طلب الدخول إليها فنجى على باهاير ارجع المريس الذي كان به في ذلك الوقت وكان المريس العيين رجلا عظيما اذا رأى وبأس شديد وصرامة عظيمة فقال له انني نائب المملك الذين وراء البحر وما أن نواي في تسليمها اليك وطالب المراجعة واستقرت القاعدة بينهم ما على أن ينفقوا جميعا على المسلمين ويجمع العساكر التي بصور وغيرهم انفرجحة على المسلمين وعسكر وعلى باب صور ولما كان يوم الاثنين سابع عشر جمادى الاولى بلغ السلطان من جانب البر أن الفرج قد قطعوا الجسر الفاصل بين أرض صور وأرض صيد او هي الأرض التي فتح عليها فركب السلطان نحو البرك فوصل وقد انفضت الواقعة وذلك ان الفرج عبر منهم جماعة الجسر فنقض اليهم برك الاسلام وكانوا في عدة وقوة فقاتلواهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا وجرحوا أضعاف ما قتلوا ورموا في النهر جماعة فغرقوا ولم يقتل من المسلمين الا المملك للسلطان يعرف بابيك الأخرش وكان شجاعا بطلا مجربا حارسا فتنة طار به فرسه فلبس إلى صخرة فقاتل بالانشاب حتى قى ثم بالسيف حتى قتل جماعة ثم تكاثروا عليه فقتلوه وفي يوم الاربعاء تابع عشرين جمادى الاولى ركب السلطان يشرف على القوم على عاذته فجمع العسكر خلق عظيم من الرجال والنساء والسوقة بحرس رجه الله في ردهم فلم يفعلوا وخاف عليهم فان السكان كان حراسا للرجال فيه ملجأ ثم هجم الرجال إلى الجسر وناوشوا العدو وعبر منهم جماعة اليهم وجرى بينهم قتال شديد واجتمع لهم من الفرج خلق عظيم وهم لا يشعرون وكشفوهم بحيث علموا ان ليس وراءهم كمين فمأوا عليهم جهات واحدة على غرة من السلطان فانه كان بعيدا منهم ولم يكن معه عسكر فانه لم ينجح للقتال وانما ركب من تشرفا عليهم على العادة في كل

في أخبار (١٤١) الدولتين

يوم ولما بان له الوقعة وظهر له غبارها بعث اليهم من كان معه ليردوهم فوجدوا الامر قد فرط والفرج قد تكاثر وا
حتى خافت منهم السرية التي بعثها السلطان وظهر وابالرجال تطرفوا عظما وأسروا جماعة عظمى من قتل من الرجال
في ذلك اليوم فكان عدد الشهداء مائة وعشرون نفرا وقتل من الفرنج أيضا عدة عظيمة وغرق أيضا منهم عدة وكان
من قتل منهم مقدم الامانية وكان عندهم عظمى محترما واستشهد في ذلك اليوم من المعروفين من المسلمين الامير
غازي بن سعد الدين مسعود بن البيطار وكان شابا حشما شجاعا واحسبه والده في سبيل الله ولم يترك قط من عينيه
عليه دمية على ما ذكره جماعة لازمه وقال وهذا الوقعة لم يتفق لافر مثلها في هذه الوقائع التي حضرتها
وشاهدتها ولم يشاها من المسلمين مثل هذه الوقعة في هذه المدة ولما رأى السلطان ما حل بالمسلمين من هذه الوقعة
التدائرة جمع أصحابه وشاورهم وقترعهم انه يخرجهم على الفرنج ويعبر على الجسر ويقبض عليهم ويستأصل شاققتهم
وسكن الفرنج قد رحلوا عن صور ونزلوا قرب الجسر وبين الجسر وصور مقعدا فرسوخ وزاد على فرسخ فلما
صم العزم على ذلك رحل الفرنج تائدين الى صور ملتحقين الى سورها فرأى رحمه الله ان يسير الى عكا ليحفظ
باني من سورها ويحث على الباقي فراح على تبيين ولم يرجع على مرج عيون فخصى الى عكا قرب أحوالها وعاد
الى العسكر من حج عيون منتظرا مهلة صاحب الشكيف ولما كان يوم السبت سادس جمادى الآخرة بلغه ان جماعة
من رجاله العدو بيططون ويصاون الى جبل تبيين يجهطون وفي قلبه من رجاله المسلمين فمأرجى عليهم أمر عظيم
فرأى ان يقرر قاعدة كمين يتهمهم ويلغهم انهم يخرج وراءهم أيضا خيل تحفظهم فعمل كمينيا يصلح للقضاء الجميع
ثم أنفذ الى عسكر تبيين ان يخرج جوا في نفر يسير عابرين على تلك الرجال وان خيل العدو اذا تبغتم فيهم زهون الى جهة
ثم ألهم وان يكون ذلك صبغة الاثني ثامن جمادى الآخرة وارسل الى عسكر عكا ان يسير حتى يكون وراء عسكر
العدو حتى ان تحركوا في نصرة أصحابهم قصدوا خيهم وركب هو وجمعهم الى الجهة التي عينها خمسة عسكر تبيين حتى
قطع تبيين ورتب العسكر ثمانية اطلاب واستخرج من كل طلب عشرين فارسا وأمرهم ان يترأوا للعدو حتى يظهروا
اليهم وينشأوشوهم وينهزموا بين أيديهم حتى يصلوا الى الكمين ففعلوا ذلك وظهروهم من الفرنج معظم عسكرهم
يقدمهم الملك لعنه الله وحري يديهم وبين هذه السرية الدسرة قتال شديد والتزمت السرية القتل وأنفوا من الانهزام
بين أيديهم وجملتهم الحية على مخالفة السلطان واتصل الخبر بالسلطان في أواخر الامر وقد هجم الليل فبعث بعونا
كثيرة فعاد الفرنج ناكسين على أعقابهم وقتل من الفرنج عشرة أنفس ومن المسلمين ستة اثنان من الترك وأربعة
من العرب منهم الامير زامل وكان شابا ناهما حسن الشباب تقدم عشرين وكان سبب قتله انه قد قطرت به فرسه فقده
ابن فرسه فتنطرت به أيضا وأسبره وثلاثة من أهله فلما بصر الفرنج عدد العسكر تنظروهم خشية الاستفاد وجرح
خلق كثير من الطائفتين وخيل كثيرة قال ومن زاد هذه الوقعة ان هلكوا من هلك السلطان يقال له ايسك الخن
بالجراح حتى وقع بين القتلى وجراحاته تشعب دما وبات له اجمع على تلك الحال الى صبيحة يوم الثلاثاء فقده أصحابه
فلي يجدوه فعثر فوالسلطان فقده وأنفذ من يكشف عن حاله فوجدوه بين القتلى فحماله الى الخيم وعافا الله وعاد
السلطان الى الخيم يوم الاربعاء عاشر الشهر فرحهمسورا وقال العماد اجمع من سكان سلم من الفرنج ونجبا
على ملكهم الذي خلص من الاسر وقالوا نحن في جميع جسم خارج عن الحضر وقد توافقت البيات المأمور
فمر بنا للتأخر وأعندنا هم هذا العار وجاء من سكان بطرابلس وخيما واعلى صور واتفقوا انهم يقصدون
بلدا اسلاميا من الساحل ويقعون عليه والركيس عتدهم من صور بالمدد والعدد ثم جاء الخبر انهم على
قصد صيدا للحضر وقد جسر واعلى عبورا لحضر وقعت عليهم الزكية فردوهم ووقع في الاسر من سبياعهم
سبعة فحمالوا الى حين دمشق ثم ذكر قتلهم الغزاة المظوغة على الجسر وقال لم يصب الكفار من المسلمين مذابحوا
غير هذه الكره واذا توافدنا حلالنا جنة الفتوحات مارة هذه المرة فابقضنا الله من ردة المغرة وأخذنا الناس
حذرهم وقالوا بهذا وعد الله حيث قال فيقتلون ويقتلون وعبادهم الذين يتبعون أمرهم ويتلون ثم ذكر وقعة
الكين قال وكان مع المسلمين أربعة من أمراء العرب فحمالوا كما وصاهم السلطان على عز الزمادلية قصدوا الكين
وسلكوا أسفل الوادي وانما الطريق أبعلاء ولا خيرة لهم بتلك الارض فعرف الفرنج انهم ضائعون فطار دهم

وزرّوهم إلى المضيقي وانفتت العرب من الخزيمة فاستشهدوا قال وكان معهم جلودك السلطان يقال له أيبك الباقي فاعتزل إلى صخرة واحقن بها ونكب كنانته وزمهاهم بشاهاهم وهم لا يقدرّون على الاقتحام اليه بالخيال فمروا بالزبورك حتى كثرت فيه الجراحات وظنوا أنه قد مات ووصل الخبر إلى المسلمين فاندركهم ووقفوا على الشهادتهم وقبروهم وجازوا إلى أيبك فوجدوا فيه الروح ففعلوه إلى الخيام وهم يظنون أنه لا خلاص له من الخيام وكان في أحدهم ياقية نحن الله عليه بالعافية

فصل في نزول الفرنج خذّهم الله على عكا قال القاضي ابن شدّاد ثم بلغنا بعد ذلك أن الفرنج يصرّون من كان مع الملك قدسار والمحوّلة واقرب ريدون جهة عكا وإن بعضهم نزلوا بسكندر ونه جري بينهم وبين رجالة المسلمين مناوشة وقتل منهم المسلمون نفرًا يسيرًا وأقاموا هناك وما بلغ السلطان جرّتهم إلى تلك الجهة عظم عليه ولم يزل المسارعة خوفاً من أن يكون قصدهم ترحيلهم عن الشقيف لا قصد المبيت فقام مستكشفًا للحال إلى يوم الاحد ثاني عشر رجب فوصل قاصداً خبران الفرنج في بقية ذلك اليوم رحلوا وتزاولوا بين يده ووصلوا إلى الزيب فغظم عنده ذلك وتكب إلى سائر أرباب الأطراف بالمسير اليه وتقدّم إلى الثقلان أسرار الليل وأصبح يوم الاثنين ثالث عشر رجب سائر إلى عكا على طريق طبرية إذ لم يكن ثم طريق يسع العسكر الا هو وسير جماعة على طريق تبين يستشرفون أعداءهم وواصلون بأخبارهم وسرنا حتى أتينا الجولة منتهى النهار فنزل بها ساعة ثم رحل وسار طول الليل حتى أتى موضعاً يقال له المنية صبيحة الثلاثاء وفيه بلغنا نزول الفرنج على عكا وسير صاحب الشقيف إلى دمشق بعد الاهانة الشديدة على سوء صنيعه واشتد حنقه عليه بسبب تضليله ثلاثة أشهر عليه وعلى عسكره لم يزلوا فيها شامًا وسار السلطان جريدة من المنية حتى اجتمع بقية العسكر الذي كان أتقاه على طريق تبين مرج صغورية فبانه كان وأعددهم اليه وتقدّم إلى الثقلان ليحقة إلى مرج صغورية ولم يزل حتى شارب العدوّ من الخروية ويقو بعث بعض العسكر ودخل عكا على غرة من العدوّ فبقية بل فيها ولم يزل يبعث إليها بعضاً يبعث حتى حصل فيها خلق كثير وسار من الخروية إلى تل كيسان في أوائل مرج عكا فنزل عليه وأمر الناس أن ينزلوا على النعيسة فكان آخر المدبرة على طرف النهر الحلو وآخر الميمنة من ثارب تل العياضية واحتاط العسكر الإسلامي بالعدوّ وأخذوا عليهم الطريق من سائر الجوانب وتلاحقت العساكر الإسلامية واجتمعت ورب البرك الدائم وحصر العدوّ في خيامه بحيث لا يخرج منها أحداً لا يجرّ أو يقتل وكان عسكر العدوّ على شطرنج عكا وخيمة ملكهم على تل المصلين تريناً من باب البلد وكان عددهم ألفي فارس وعددهم جلهم ثلاثين ألفاً قال وما رأيت من نقصهم عن ذلك وما رأيت من خرهم زيادة على ذلك ومدددهم من البحر لا يقطع وجري بينهم وبين البرك مقاتلات عظيمة متوازية والمسلمون يترشقون على قتالهم والسلطان يمنعهم من ذلك إلى وقته واليهوت من عساكر المسلمين تواصلت والمملاك والأمراء من الاقطار تتابع ووصل بقي الدين من حماة وظهر الدين بن زين الدين وفي أثناء هذه الحال توفي الحسام سنة الفخلاط وفاة أسما شديداً وكان شجاعاً شافاً المسلمين عليه ولما استنجد أمر الفرنج استدرا وأبعك بحيث منعوا من الدخول والخروج منها وذلك سخر رجب فعظم على السلطان وضاق صدره وتارت بهته العالمة في تقع الطريق إلى عكا لتسمر السابلة إليها بالميرة والنجدة فباكرهم مستحل شعبان وضايقه مضايقة شديدة فكانت الحلة بعد صلاة الجمعة وانفرد عسكر العدوّ إلى أن ملكوا التلول وكانت ميمرة عسكرهم إلى البحر الحلو أخذوا إلى البحر الملح ومنهم من قبال القلعة الوسطى التي لعكا وانصلت الحرب إلى أن حال بين الفتيين هجوم الليل وبات الناس على خيامهم من الجانبين شاكين في السلاح يحرس كل طائفة نفسها من الأخرى وأصبحوا ثمانين يوم السبت على القتال وأنفذ السلطان طائفة من شعبان المسلمين إلى البحر من شمالي عكا ولم يكن هناك للعدوّ شيء لكن عسكره كان قد امتد جريدة شمالي عكا إلى البحر ففعل شعبان المسلمين على عسكر الفرنج الواتف شمس عكا فأكسروا بين أيديهم كمرّة عظيمة وقتلوا منهم جمعا كبيرا والتفت المسلمون منهم إلى خيامهم وهجم المسلمون خلفهم إلى أوائل خيامهم ووقف البرك الإسلامي ما نعمان أن يخرج من عسكرهم خارج أو يدخل اليه داخل وانفتح الطريق إلى عكا من باب القلعة السجدة الملك إلى باب قاقوش الذي جدّه وصار الطريق مهجعا مرفية السوف ومعها الحوامج

في أخبار (١٤٣) الدولتين

ومعه الرجل الواحد المرأة والزينة بين الطريق وبين العدو ودخل السلطان في ذلك اليوم الى عكا ورفى على السور ونظر الى عسكر العدو وزاجع الناس عن القتال بعد صلاة الظهر راسق الذواب وأخذ الراحة ولم يعودوا الى القتال وأصبحوا يوم الأحد فرأى بعض الامراء تأخير القتال الى ان يدخل الراجل كله الى عكا ويخرجوا مع العسكر القيم به من أبواب البلد على العدو من وراءه وترك العساكر من خارج من سائر الجوانب ويحيطوا بالرجل الواحد والسلطان رحمه الله تعالى بعاني هذه الامور كما عاين نفسه وبصاها فبدأ انه لا يختلف عن مقام من هذه المقامات وهو من شدة حرصه ووفور همته كالوالدة الشكلى واقد أخذ يري بعض أطبائه ان يبقى من يوم الجمعة الى يوم الأحد لم يتناول من الغذاء الا شيئا يسيرا لفرط اهتمامه وفعول ما كان عزمه واعلم به واشتدت منعة العدو وحي نفسه في خباياه ولم تزل سوق الحرب قائمة تباع فيها النفوس بالنفاس وتمطر سماء حربه بالرؤس من كل رئيس ومتراس حتى كان يوم الجمعة ثامن شعبان عزم العدو على الخروج يجمعوهم فخرج راجلهم وفارسهم وامتدوا على التناول وساروا نحو بياض مفرطين في نفوسهم ولا خارجين من راجلهم والرجل حوهم كالسور البني واوا بعضهم بعضا حتى قاربوا خيام الزنك فصاح السلطان بالعساكر الاسلامية فركبوا بجمعهم وجماعته الرجل الواحد فعاد العدو نا كصاعلى عقبه والسيف يجل فيهم فالسلام منهم يرجع والعاطط يرجع شدة هن وزيمة بعضهم شتيلهم ولا يولى الجماعة منهم على قبلهم حتى خلق بجمعهم من سلم منهم وانكروا عن القتال اياما وكان قصار ايامهم يحفظوا نفوسهم ويحرسوا رؤوسهم واستقر فتح طريق عكا والمسلمون يترددون اليها قال وكنت من دخل ورق على السور ودام القتال بين الفئتين متصل الليل مع النهار حتى كان الحادى عشر من شعبان ورأى السلطان رحمه الله توسيع الدائرة عليهم لعلمه بخرجون الى مصارعهم فنقل الثقل الى تل العياضية وهو تل قبالة تل المصلين مشرف على عكا وفتحهم العدو وفي عهده المنزلة ترفى حسام الدين طهان وكان من شجعان المسلمين ودفن في سطح هذا التل وصليته عليه مع جماعة من الفقهاء لانه نصف شعبان وبلغ السلطان ان جماعة من العدو يخرجون للاحتشاش من طرف الزرع ما يثبت عليه فكان لهم جماعة من العرب وقصد العرب لفتحهم على خيلهم وجمعوا عليهم وقتلوا منهم خلقا عظيما وأسر واجهة وأحضر وارؤسا بين يديه وذلك يوم السبت تاسع عشر شعبان وفي عشيمة ذلك اليوم وقع بين العدو وبين أهيل البلد حرب عظيمة قتل فيها جمع عظيم من الطائفتين وطال الامر بين الفئتين وما جاز يوم عن قتل وجرح وسبي ونهب وأنس البعض بالعض بحيث ان الطائفتين كانتا تفتدن وتترك القتال ويرماغنى البعض وورقص البعض اطول المعاشرة ثم يرجعون الى القتال بعد ساعة وسعوا يوما فاقوا الى كمة تقتل الكبار وليس للصغار حظ يزيدان يصدر ع صبيان صبي منا وصبي منك فخرج صبيان من البلدى الى صبيان من القرية فوثب أحد الصبيان المسلمين على أحد الصبيان الكفار فحادثه وضرب به الارض وأخذته أسيرا فاستأمر منه بعض القرية بدينارين وقالوا هو أسيرك حقا فاحذ الدينارين وأطلقه قال ووصل من كب فيه خيل فهرب منها فرس ووقع في البحر وما زال يسبح وهم حوله يردونه حتى دخل مينا عكا وأخذته المسلمون قلت وذكر العماد كل هذه الوقائع والنوادر في كتابه بالفاظه المعجوعة وقال كان من رأى السلطان ان يسارهم في الطريق وواو اجمعهم عند المضيق ويقطعهم عن الوصول ويدفعهم عن النزول فانهم اذا نزلوا صعب نزولهم وأنهب قتلهم وقالوا يعنى أمرنا بل غنى على أسهل الطرق فسار الثقل من الأسس على طريق الملاحة وسرنا على جب يوسف الى المنية وجمنا عصر يوم الثلاثاء السلطان نازل بأرض كفر صكنا ونزل يوم الأربعاء على جبل الخروب ونزل القرية على عكا من البحر الى البحر محيطين به بالعصر وضرب الملك العميق خيمه على تل أصله ورياب من اكمهم بشادى البحر فكانت كالأجام المؤتمية ثم عبر السلطان بحيشه ونزل بروج عكا على تل كيسان وضربا عساكر من المحاصرين قد أحطنا بالعدو وهو بالبلد محيط واستتظنا منه وهو مستشف واحد قنابا ولشك الكفرة احاطة النار بأهلها ومنعنا الطريق ومنعهم في وعدها وسهلها وربنا بالزيب والنواقر رجالا يصدونهم عن سهلها ودمنا نصدهم ونصدهم ونوجدتهم في البحر ونعددهم واستدارت الشريعة عكا كالدائرة قبل المراكز وزادوا من جانبنا في التحرس والتمترس وذلك في آخر حجب لاسلاخه والاسلام تانيا

كتاب (١٤٤) الروشتين

بأسفهم وأصبح السلطان يوم الجمعة مستنقلاً من شعبان وقد اتفقت الأراغلي أن يكون اللقاء وقت الصلاة عند ارتفاع الدعوات على المنابر الإسلامية فأحاط العسكر الإسلامي بجزائهم فكثرت عليهم صفوف مشاهيرهم وقلل مضاهيهم منهم وهم في مواضعهم واقفون وعلى مصارعهم عاكفون وفي مواضعهم ثابتون كالبنائين المخصوص ما فيه خلل وكالحلقة المفرغة ما لا يهاذخل وكلشور المحيط بما عليه متساق وكالجبل الاعم ما فيه متعلق فزحفنا اليهم فلم يبرحوا وقرب منهم فلم يترحوا وجعلنا عليهم فأخذوا الضربة ولم يعطوها وكلما قتل واحد وقف آخر مقامه حتى دخل الليل ويحجز وجهاً من الغد من جانب البحر شمالاً عكافاً نهم الفريخ إلى تل المصلين نحو القبة وشبهوا عبد الوثبة وانفتح لنا طريق عكافاً دخلها الرجال وحملت اليها الغللال والفريخ قد هربوا ولو قدروا هربوا وأجهجنا ناراً أن انفتح باب البلد غنيمية فتوقوا عن تمام العزيمة ولوانهم استمروا بالعدو بضرعه فان للصدمة الأولى في الروع وروعه بلغ العدو ريقه ووجد إلى الجلد طريقه ووقفوا كالسور من وراء الجنويات والنراس والقفطاريات وغضبوا بالجرخ وقوقوها وجعوا الغد وعلى الرجال فترقوها وكانوا في عدد الرمل ومدد النمل وهم في كل يوم في ازدياد والبحر يمددهم بالامداد وشروعوا في حفر الخنادق وسدوا المضائق ونصب الطوارق والسلطان ساهراً للمسلمين في لياليهم فأم بهم هم في نهارهم ومن كتاب فاضلي في بعض الوقعات (فاستدارت بهم رجال الجبال الشسة تقذف شياطينهم يشمها بها ونوى إلى أوكار فقدم طيور نساها وتجنهم من القنار النساب ثم الرذام شامها وقدرت على الاسلام إلى درجات سيد كرمها وانخفض الكفر إلى دركات سميت كرمها فالتصرتا في عمله وكتبنا الإشارة قد استبقت له وقد وثقنا بلفظ الله تعالى في ما يأتي فأنهبت الحواطر لعاني المسار وأعدت الفاظ البشرى المهداة إلى كافة البشر من الانتشار فان الفرس فتح محصورون والننازل المحصور كالركب المذكور والنصر قد أعرب بعسكر الاسلام والكفر جار وجرور)

(فصل في المصافى) في المصافى الأعظم على عكا وهي الوقعة الكبرى التي بدأت بالسوء وختمت بالحسن قال القاضى ابن شداد لما كان يوم الأربعاء الحادى والعشرين من شعبان تحركت عساكر الفريخ حركة لم يكن لهم مثلها إعادة فارسهم ورجالهم وكبرهم وصغيرهم واصطفوا وأخرجهم قلوباً ومهينة وميسرة وفي القلب الملك وبين يديه الانجيل يحمل مستور بثوب أطلس مغشى بمسك أربعة أنفس أربعة اطرافه وهم يسرون بين يدي الملك وأمدت الميمنة في مقابل ميسرة المسلمين من أولها إلى آخرها وأمدت ميسرة العدو في مقابلته ميمنة إلى آخرها وملكوها رؤس التلال فكان طرف ميمنتهم إلى النهر وطرف ميسرتهم إلى البحر وأمر السلطان الجاوش أن ينادى في الناس بالاسلام وعساكر الموحدين فركب الناس وقد باعوا أنفسهم بالجنة وأمدت الميمنة إلى البحر كل قوم ركبون وبغفون بين يدي خيامهم والميسرة إلى النهر كذلك أيضاً وكان السلطان قد أنزل الناس في الخيم مهيمة وميسرة وقلعاً على تعبئة الحرب حتى إذا وقعت صحة لا يحتاجون إلى تجديد ترتيب وكان هو في القلب وفي مهيمة القلب ولده الأفضل ثم ولده الظاهر ثم عسكر المواسلة يقدمهم ظهير الدين ابن البكتكري ثم عسكر ديار بكر في خدمة قطب الدين صاحب الحصن ثم حسام الدين عمر بن لا حين صاحب نابلس ثم قايماز النجمي ووجوع عظيمة متصليين بطرف الميمنة وكان في طرفها الملك المظفر في الدين بجعله وعسكره وهو مطلق على البحر وأما أوائل الميسرة فكان ما يلي القلب سيف الدين علي بن أحمد المشطوب من كبار أولئك الأكراد ومقدمهم والامير مجدى وجماعة المهرانية والمكارية ومجاهد الدين برتقش مقدم عسكر سنجار وجماعة من المماليك ثم مظفر الدين بن زين الدين بجعله وعسكره وأواخر الميسرة بكير المماليك الاميدي كسيف الدين يار كوج ورسلا نديا وجماعة الاسدية الذين يضرب بهم المثل وفي مقدمة القلب الفقيه عيسى وجميع هذا السلطان رحمه الله تعالى يطوف على الاطلاب بنفسه يجهشهم على القتال ويدعوهم إلى النزول ويرغبهم في نصرة دين الله ولم يزل القوم يتقدمون والمسلمون حتى عملا النهار ومضى فيساربع ساعات وعند ذلك تحركت ميسرة العدو على ميمنة المسلمين وأخرج لهم في الدين الجالدين وجرى بينهم قتال كثير وتكاثروا على تبي الدين وكان في طرف الميمنة على البحر فتراجع عنهم شيئاً طاعاً لهم لعلمهم بتعدون عن أعينهم فينال منهم غرضاً فإبارة السلطان قد تأخر ظنه به ضعة فاقامه باطلاب عذقه من القلب حتى قوى جانبه وتراجعت

ميسرة العدو واجتمعت على تل مشرف على البحر ولم أرأى الذين في مقابلة القلب ضعف القلب ومن خرج منه من الأسطبل داخلهم الطمع ونحروهم في القلب وجاءوا جلة الرجل الواحد را جملهم وقال بينهم قال ولقد رأيت الرجال تسير سيرا خيالة ولا يسهقون وأهم يسرون خيما وجاءت الجلة على الدبار بكرة كاشاء الله تعالى وكان بهم غرة من الحرب ففخر كواويل بدى العدو وانكسروا كسرة عظيمة وسرى الأمر حتى انكسر معظم المجنبة واتبع العدو المنز من إلى العياض فأنهم استدروا حول التل وصعدت طائفة من العدو إلى خيم السلطان فقتلوا طشت دارا كان هناك وفي ذلك اليوم استشهد اسماعيل المصكبيس وابن روضة رحمه الله تعالى وأما المديرة فأنهم أتيته فان الجلة لم تصاد فها وأما السلطان رحمه الله فإنه أخذ يدافع على الطلاب بنهضهم ويصدهم العودا جيلة ويحجم على الجهادوي ينادي فيهم بالاسلام ويقيم معة الأجسة أنفس وهو يظرف ويخزق الصوفى وأوى إلى تحت التل الذى كان عليه الخيام وأما المنز من من العسكر فأنهم بلغت هز عثم إلى الأختواته قاطع جنس طسيرة وتم منهم قوم إلى دمشق وأما المتبعون لهم فأنهم أتبعوهم إلى العياض فأنهم قد صعدوا الجبل رجعا عنهم وجاءوا عاذين إلى عسكرهم فلقمهم جماعة من العلمان والخبر بنديبة والساسة من زمين على فعال الجبل فقتلوا منهم جماعة ثم جاءوا على رأس السوق فقتلوا جماعة وقتل منهم جماعة فان السوق كان فيه خلق عظيم ولهم سلاح وأما الذين صعدوا الحسيم السلطانية فأنهم لم يتسوا شيئا أصلا سوى أنهم قتلوا من ذكرناه وهم ثلاثة نفر ثم رأوا ميسرة الاسلام ثابتة فعلموا ان الكسرة تاتي فقادوا منحدرين من التل يظلمون عسكرهم وأما السلطان فإنه كان واقفا تحت التل ونهضهم يسرون وهو يجتمع الناس ليوردوا إلى العدو فأنهم رأوا نفرين نازلين على التل أرادوا قتلهم فامرهم بالصبر إلى أن ولوا طهورهم واشتدوا بطلون أصحابهم فصاح في الناس وجسوا عليهم وطرخوا منهم جماعة واشتد الطمع فيهم ونكسرت الناس رآهم حتى لحقوا بأصحابهم والطرده رآهم فأنهم من زمين والساكنين ورآهم في عدد كثير فظنوا ان من جعل منهم قد قتل وأنه اغتالهم من هذا النفر فقط وان الهزجة قد عادت عليهم فاشتدوا في الحرب والهزجة تحت ككت المديرة وعاد الملك المظفر يجمعهم من المجنبة ونحما بالرجال وتداعى وتراجع الناس من كل جانب وكذب الله السلطان ونصر الأيمان وظل الناس في قتل وطرخ وضرب ورجح إلى ان انفصل المنز من السامون إلى عسكر العدو فهجم السامون عليهم في الخيام فخرج منهم اطلاب كانوا أعدوهم خاشية من هذا الأمر مستريحة فردوا المسلمين وكان التعب قد أخذ من الناس والخوف والعرق قد أجدهم فتراجع الناس عنهم بعد صلاة العصر يخوضون في القتل ودماهم فخرج من سرورين وعاد السلطان وجلسوا في خدمته يتدأ كرون من مقدمهم فكان مقدمهم من مقدمهم من العلمان والمجهولين مائة وخمسين نفرا ومن المعروفين استشهد في ذلك اليوم ظهير الدين أحمدا الفقيه عيسى رحمه الله ولقد رأيت به وهو جالس يضحك والناس يعزونه وهو يتكلم عليهم ويقول هذا يوم الهنا لا يوم العزا وكان قد وقع هوم من فرسه رحمه الله وأركبه وقتل عليه جماعة من أفا ربه وقتل في ذلك اليوم الأمير مجلى يعنى ابن مر وازاد العناد والحاجب خليل الهكاري ثم قال القاضي هذا الذى قتل من المسلمين وأما العدو والمخدول فخر قتلهم بسبعة آلاف نفر ورأيتهم وقد جاءوا إلى شاطئ النهر ليقوا فيه فزرتهم بدون سبعة آلاف ولما على المسلمين من الهزيمة بما رأى العلمان خالوا الخيام عن يعترض عليهم فان العسكر انقسم إلى من زمين ومقاتلين فلبق في الخيم أجدوروا الكسرة قد وقعت فظنوا انها تم وان العدو ذنب جميع ما فى الخيم فوضعوها أيدهم في الخيم ونهبوا جميع ما كان فيها ونهب من الناس أموال عظيمة وكان ذلك أعظم من الكسرة وقتها فلما عاد السلطان إلى الخيم ورأى ما قد تم على الناس من نهب الاموال والهزيمة سارع في الكتب والرسول في ردة المنز من وتبع من شذ من العسكر والرسول يتتابع في هذا المعنى حتى بلغت عقبه فيق فرودهم وأخبروهم بالكره للمسلمين فقتلوا وأمر بجمع الاقصة من كفى العلمان وجمع الاقصة في خيمته حتى جعلالات الخيل والحمالى وهو جالس ونحن حوله وهو يتقدم إلى ان كل من عرف شيئا وحلف عليه بسم الله وهو يتلى هذه الاحوال بقلب صلبا وصدر حجب ووجهه يسطر ورأى مستقيم واحتساب لك تعالى وقوة عزى نصرته وأما العدو والمخدول فإنه عاد إلى خيمه وقد قتلت شيوخهم وقد قتل ما وصكههم وطرحت مقدمهم وهم وأمر السلطان

كتاب (١٤٦) الروصتين

ان خرج من عكا على يدهم يهيمون القتلى الى طرف النهر ليلقوا فيه قال ولقد حكى لي بعض من ولى أمر الجبل انه أخذ خيما وكان كل ما أخذ قتل عقد عدة فبلغ عدد قتلى المصرة أربعة آلاف وسائة وكسرا وبقى قتل المينة وقبلى القلب لم يعد هم فأنهم ولى أمرهم غيره وبقى من العدو بعد ذلك من حمى نفسه وأقاموا في خيمهم يكثر لواء الجحافل المسلمين وعساكرهم وتشذب من عساكر المسلمين خلق كثير بسبب الحزبة فأنه ما رجع منها الا رجل معروف خاف على نفسه والباقيون ذهبوا في حال سبيلهم وأخذ السلطان في جمع الاموال المنهوبة وأعادتها الى أصحابها وأقام المتأدية في العساكر وقرن النداء بالوعيد والتهديد وهو يتولى تقرعها بنفسه بين يديه واجتمع من الاقضية عدد كبير في خيمته حتى ان الجبال في أحد الأطراف لا يرى الجبال في الطرف الاخر وأقام من يتأدى على من ضاع منه شيء بخضر الخلق وصار من عرف شيئا وأعطى علامته حلف عليه وأخذ من الحبل والحسلة الى الهيمان والجوهرة ولقى من ذلك مشقة عظيمة ولا يرى ذلك الا لنعمة من الله تعالى يشكر عليها ويسابق ببسده القبول اليها ولقد حضرت يوم تفرقة الاقضية على أربابها فأرت سوا للعدل قائمة لم يرفى الدنيا أعظم منها وكان ذلك في يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان قال وعند انقضاء هذه الوقعة وسكون نائرتها أمر السلطان بالذقل حتى تراجع الى موضع يقال له الحز وبخشية على العسكر من اراسخ القتلى وأثار الوقعة من الوخم وهو موضع قريب من مكان الوقعة الا انه أعد عنهم من المكان الذي كان نالوا فيه قليل وضربت له خيمة عند الثقل وأمر البركة ان يكون مقبى المكان الذي كان نالوا فيه واستحضر الامراء وأرباب المشورة في سبخ الشمر ثم أمرهم بالاصغاء الى كلامه وكنت من جملة الحاضرين ثم قال بسم الله والحمد لله والصلاة على رسول الله اعلموا ان هذا والله وعدونا وقد وطئ أرض الاسلام وقد لاحت لواء فتح النصر عابسه ان شاء الله تعالى وقد بقي من هذا الجمع اليسير ولا بد من الاهتمام بقلعه والله قد أوجب علينا ذلك وأنت تعلمون ان هذه عساكرنا ليس وراءنا نجدة تنتظرها سوى الماء العادل وهو واصل وهذا العدو ان يبق وطال أمره الى أن يفتح البحر جاده مد عظيم والرائى كل الرأى عندي مناجرة فليخبرنا كل منكم ما عنده في ذلك وكان ذلك في ثالث عشر تشرين يعنى الثانى من الشهر والشعبية فافصلت أراؤهم على ان المصلحة تأخر العسكر الى الحزو وتوان يبق العسكر أياما حتى يستجهم من حل السلاح ورجع نفوسهم اليهم فقد أخذ منهم التعب واستولى على نفوسهم الضجر وتكليفهم أمر اعلى خلاف ما تحمله القوى لا تؤمن فأنلته والناس لهم خسون يوما تحت السلاح وفوق الخيل والحيل قد ضحرت من عرك العجم وعند أخذ حظ من الراحة ترجع نفوسهم اليها ويصل الملك العادل ويشار كمنافى الرأى والعمل وتستعيد من شذ من العساكر ونجسهم الرجال ليلقوا في مقابلة الرجال وكان بالسلطان رجاء الله التياث من ارجى قد عرا من كثرة ما جلى على قلبه وعاناه من التعب بجمل السلاح والنفكر في ذلك الايام فوقع له ما قالوه وراه مصلحة فاقام يصلى من ارجه ويجمع العساكر الى عاشر رمضان قال وكان لما بلغه خبر العدو وقصده عكا جمع الامراء وأصحاب الرأى يرحم عيون وشاورهم فيما يصنع وكان رأيهم رجاء الله ان قال المصلحة مناجرة القوم ومنعهم من التزول على البلد وان نزولوا لجماعة انهم اذا رلوا واجتمع وحفر والخذادق وصعب علينا الوصول اليهم وخيف على البلد منهم وكانت اشارات الجماعة انهم اذا رلوا واجتمع العساكر قلعتهم في يوم واحد وكان الامر كما قال والله لقد سمعت منه هذا القول وشاهدت الفعل كما قال وقال العماد عبد السلطان ميمته وميسرته وطلب من الله نصرته وهو جى بالفوف وبأمر بالوقوف ويحصى على حظ الابد ويحث على الجلاء والجلاء قال وكنت في جماعة من أهل الفضل قدر كمنافى ذلك اليوم ووقفنا على التل نشاهد الوقعة ونحن على بغال بغير أهبة فقال قرأنا العسكر موليا والمغزم عمارت كمن خيامه ورجله مغلبا فوصلنا الى طرية فبين وصل ووجدنا ساكنا قد أجهل فسقنا الى جسر الصبرة وقرنا لناعلى شرفه وكل مننا هال عن شبهه ووريه ومن المنزعين من بلغ عقبة فبقى وهو غير ميقى ومنهم من وصل الى دمشق وهو غير مخرج على طريق ووصل جماعة من الفرنج الى خيمة السلطان وجالوا حوله ثمرا والقطع أشاعهم عنهم فأنحد ررا عن التل واستقبلهم أصحابنا فركبوا أكافهم وحكوا في رقايم أسياهم وكان ميسر تناعد سخيخار والاسدية فمارلوا ولا زالوا بل وصلوا وصالوا وحلفت عليهم ميمته الفرنج فسكا غامرت الرياح بالجبال وعاد من كان من المينة مثل

في أخبار (١٤٧) الدولتين

تقى الذين وقاموا بالنجدة والحسام بن لاجين ومن ثبت من أبطال المجاهدين فلم يفلت من الأعداء إلا أعداد قليلة من آلاف الآلاف واحد وقرس منهم زهاء خمسة آلاف فارس منهم مقدم الداوية الذي كان أغلبه من وذكرهم في مائة ألف وعشرين ألفاً حين سألناه ثم ضربنا عتقه وقال في الفتح عشرة آلاف قال العباد ومن العجب أن الذين نبذوا مناهلهم لم يبلغوا ألفاً فردوا لمائة ألف وأتاهم الله قوة من بعده ضعف وكان الواحد يقول قتلنا من المائتين ثلاثين وأربعين وتركهم مصروعين وسكان السلطان من الثابتين في تلك الجولة والكاينين لاهل الصولة وقد بقي وحده عند تولي المسلمين ولا شك أن الله أنزل ملائكة من المسترئين حتى بعضهم قال كنت من زمامن فارس مدحج قدس بقري حصانه وهزاضلي سمانه فابست من البقاء ثم أبطأت على مطعته فالتفت فاذا هو وجسه كله ملاحها ملق وبما يقرب أحسد ففرت انه نصر الحى وصنم رباني قال وعاد السلطان إلى مضاربه وأمر عواراة الشهداء ومن جملتهم الفقيه أبو علي بن رواحه وكان غزير الفضل قد أكل الشبيعة وأراحه وهو شاعر فذوق وقية محقق من ولد عبد الله بن رواحة الصفي الانصاري في الشهادة والشعر معروف فنافقه الأعلى يوم منعه جعفر الطيار وطرفه الأقرب يوم عكافى لقاء الكفار قال في البرق وكان السلطان قد أنعم عليه في حلب بزرعة وكتب توقيعه وأراد الله تعويقه إذ قرب إلى الأخرة طريقه وحملت توقيعه إلى السلطان تلك الليلة ليخبره فيها علم وأرجعه في معناه فسكت وماتكم وسكان ساعة الواقعة راكعاً ثم قال وقوفنا بطل فغنى إلى خيمته يتودع فلما علم باندفاعنا ساق ورأنا فقطع عرقه قبل أن يقطع الوادي وكان قال لنا لما أصبح رأيت رجلاً يحلق رأسي في المنام فقلنا له ذمام أضغاث الأحلام فقله الله بعد ساعة إلى دار السلام قلت وليس هو من أولاد ابن رواحة الصفي ذلك لم يعقب وإنما في أحداده من اسمه رواحه وقد بينا في التاريخ والله أعلم قال ومنهم اسماعيل الصوفي الأرموي المكسي وشيخ من الحاشية في بيت الطشت وغلما في الخزانة أمين على البيت وأخرون صدقوا عند التل لحاجتهم السعادة وجماعهم الشهادة وهؤلاء من وقع في الواقعة وذهب قبل الرجوع وأجمع السلطان رذروا الأراء على أنه يصح القوم فتمسكوا العسكر فاذا هو قد غاب لما بان من ذلك أن غلبان العسكرية والأواش ظفون تلك الفترة نزعه فنبهوا الاثقال وعدوها غنمه فن عاد إلى حمله وجسده مغرباً مسلوباً وكان في ظنه أنه ان فرغ من لقاء خطب يلقي خطبوا وأصبحوا إذا العسكر مقتري والناث قلى والامن فرق والنفي معدم والجري متددم فهذا خلف مذهب من ماله ذاهب وهذا من طلب الدار بقى إنقاله طالب فقتر ذلك العزم وتأخذ ذلك الحكم وانتعش الفرج في تلك المدة وانتشار من تلك الشدة وجاءتهم في الجهر ما كب أخلفت من عدم وبنيت ما هدم وشكرنا نبت رائحة تلك الخيف فحملت على الجبل إلى النهر ليشرب من مسددها أهل الكفر فحمل أكثر من خمسة آلاف جشمه حملت إلى النار قبل يوم البعثة وأشير على السلطان بالانتقال إلى الخروبة عند خيم الاثقال المضروبة فسار إليها أربع مضان وأمر أهل عكا بإغلاق أبوابها وإحكام أسباجها فوجد الفرج بذلك الفسرج وشعر في حفرة خندق على معسكرهم حوالى عكا من البحر إلى البحر وأخر جواما كان في مراكبهم من آلات الخصر وفي كل يوم يأتيه الزكية يخبرهم بما ناله من أثرهم والجسدة في تعميم الحنديق فخرهم بالمتأثر ومنعوه من الطير الفائر ونهوا أسره ودمروا دوسره ورتبوا عليه رجلاً ولم يتركوا إلا ما أغل بجبالاً وتركوا فيه أبواباً وفروجا ليظهر وأمنها إذا أراخروجا وناقروا في هذا الأمر اشتغلوا بالخير وأقطع الطريق على المسلمين إلى عكا وبان ضعف رأى الانتال فانه بعدما أنخل أبكى وجاء كتاب من الناضل إلى العباد جواباً عن كتابه المخبرية بوقعة مخرج عكا قول فيه (وعرفت ما جرى على قضيتي فسبح الله تعالى فان من بجانب قدرته سلامة سيدنا على ضعف حركته والامر كن عظاما والمدفوع أعظم والسلامة كانت غريسة الآن نقول للسكن الله وسلم والسلطان أعز الله إذا سلم فكل الناس قدسوا وإذا وجد وقد عدم الناس كاهم فقد وجدوا وما عدوا وكل جوهر بالإضافة إليه عرض وهو جوهر بالحقيقة ما عنه من كل جوهر عوض) ومن كتاب له إلى

كتاب (١٤٨) الروضتين

السلطان أوله (ثم أنزل الله سكة على رسوله وعلى المؤمنين الآية) وما رميت أذمرت ولكن الله رمى ورد الكتاب بقط مولانا من معتزك حربه وجلاده وتوفيق جهاده قبل أن تضع الحرب أوزارها وهرع الناس إلى المجلس العلوي والعزري يستمعون الأخبار ويستنصون من وجوه الأنوار ويسألون كيف كانت عاقبة أهل الجنة وعاقبة أهل النار ويشكرون الله على سلامة أديانهم وقلوبهم وابدانهم وسلامة سلطانهم وأدراك ماسلما سلطانهم ونصرة كلمة إيمانهم ودلائل الخير لا تحفى وقد بقر الكتاب وما لمع قارته منه حفا وتصور الناس الأمر الذي وقاهم الله شره وكفاهم أمره)

(فصل) في بابي حوادث هذه السنة يخرج عكا وغيره قال العماد وفي يوم الاثنين ثالث رمضان أخذ أصحابنا بعكازهم كتب الفتح إلى صورة قلعة محتوية على ثلاثين رجلا و امرأة واحدة ورزمة من الحرير وجاءت حظوة جلوه وغنبة صفوه وقد كان انكسر نشاطهم وانقبض انبساطهم فلما عثر وأيا المركب انتعشوا وصاروا يخرجون ويقاؤون ويبحرون ويسمنون على القتال ويصيحون وتدم الفرح على تلك الحركة فأنما أفضت بهم إلى الهلاك فأنهم مداموا راضين وعلى يد الصبر قابضين يتعذر الوصول إليهم والدخول عليهم وفي بعض الكتب إلى بعض الأطراف (والمرجوم من الله سبحانه وتعالى تحريكهم المؤمن في نفسهم تأثرهم وتخبرهم عاصهم ومادام العر بدهم والبر لا يصددهم فبلاء البلاد بهم دائم ومرض القلوب بأدوائهم ملازم فأين جهة المسلمين ونخوة أهل الدين وغيره أهل اليقين وما يقتضى عجبنا من ظواهر المشركين وقعود المسلمين فلا ملهى منهم لمناشد ولا مثقف لمناكد فانظر إلى الفرق التي مورد وردوا وأى حشد حشدوا وأى ضالة تشدوا وأى تجسدة التجسدا وأى أموال غرموها وأنفقوها وجادات جعروها ونوزعوها فيما بينهم وقرقوها ولم يبق ملك في بلادهم وخزائهم ولا عظيم ولا كبير من علمائهم وكبارهم إلا جرى جرحه في مضمار الاتحاد وبارى نظيره في الحزب والاتحاد واستقوا إلى صون ملتزم بذل المسج والارواح وأمدوا الجناس بهم إلى جناس باقواع السلاح مع كفاء الكفاح وما فقهوا ما فقهوا ولا بذلوا ما بذلوا إلا الجرح الدائمة تعبدتهم والنخوة لعتبتهم وليس أحدهم من الفرحة يستعشروا الساحل إذا ملك ورفع فيه حجاب عهدهم هناك يخرج من يد يده وتمتد إلى بلده والمسلمون بخلاف ذلك قدوهنوا وقشوا وغفلوا وكساوا وزموا الميرة وعدموا الغيرة ولوانثنى والعياذ بالله لا سلام عنان أو خبايا منابساتنا لما وجد في شرق البلاد وغربها وبعد الاتفاق وقرعها من لدن الله بنار ومن لشعة الحقة على الباطل يختار وهذا أن رفس التواني واستثناء أولى الحجة من الاتفاقى والاداني على اننا جحد الله لنصره راجون وله باخلاص السر وسر الاخلاص مناجون والمشركون باذن الله هالكون والمؤمنون آمنون ناجون) قال العماد وكان السلطان قد كتب إلى مصر يستدعى باخيه العادل في رجال فقدم عليه من نصف شال وكتب ايضا في طلب الاسطول المصري فقدمت تحسون قطعة مع حسام الدين أول مؤمن نصف ذى القعدة فجاءت بجأة على مراكب الفتح وبعتها وسحقها وبذبتها وكسبتها وسلبتها وظهر بسطستين كبيرتين بما فيها من أموالهم ورجالهم وغلاتهم قال وهذا أول ما قد اشترت بالكفر فتكاته وشكرت في العد وتكاثرت به وقد تدرى روات لم يشاكره فيما أخذوه والذرة الفرح عن بحر الخجاز ووقف لهم على طرق الحجاز ولم يترك منهم عينا تطرف ولم يبق لهم دليل لا يعرف وغزاه ومشهوره وقتلته مذكوره وأمواله مبدولة وأيكاه لعهق الاتفاق في سبيل الله محاوله قال ونقل السلطان إلى البلاد في المراكب جماعة من الأمور باجنادهم وعددهم وأزوادهم واستظهر البلاد بضارب جال الاسطول وكانوا زهاء عشرة آلاف هذا ورجالة المسلمين بطرقون إليهم ميلا وبذقتهم من القتل والأسر والسرقة وبلا حتى كان رجالنا يمتنعون بالحشيش في اجراف الانهار فاذا صادفوا فارسا ورد الماء فاجزوه بالقتل والأسار قال ولما عرف صاحب الموصل ما شرع فيه السلطان من تكثير العدة وتقوية الجنده بكل ما يمكنه من أسباب الباس والشدة سبر من أجل النقط الايض مع عزه وجرده ما وجدته ومن التراس والرماح من كل جنس احبته وأقومه وأجوده وكتبنا في شكره (وصل السلاح) وتم لا سلام من قروح الكفر الافتراح فان الحروب المبطالة الممدت على جميع العدد ومن المحجب ان العدة تفتى وما يفتى العدة وتتم على الحصاد كائنا الثبات فالخير بخدمهم والافكر إلى الردى

في أخبار (١٤٩) الدولتين

يردّهم) ومن كتاب إلى الديوان (قدمت ثلاثة أشهر شهرها التثاني على التوحيد سلاحه وبسط الكفر حناحه
وقتل من الفرنج وعدمت في الوقعات التي روعت وأروعات التي وقعت أكثر من عشرين ألف مقاتل من فارس
وراجل وراعي ونايل فمأثر ذلك في نقصهم ولا أرت الأنارحصهم وليس هذا العدو بأخذ فينجع فيه الشديين
وبأنى عليه التدبير وانما هوكل من وراء البحر وجميع من في ديار الكفر فانه لم يبق لهم مدينة ولا بلدة ولا جزره ولا
خطة صغيرة ولا كبيرة الا جهزت مرأبها وانقضت كائنها وقهرزساكنها وبرزكامنها وثارناثرها وسارساتها وطار
أطارها ونقضت خزانها وانقضت معادنها وحلت ذخائرنا وبذلت أثارها وثملت كائنها وكشمتها واستخرجت
دقائق نقائنها ونخرج بصلبانها أساقفها وبطاركها وغصت بالافواج بفاجها ومسالكها وتصلبت الصليب السليب
وتعصبت للصاب المصيب ونادوا في نوادهم بأن البلاد هي بلادهم وان اخوانهم بالقدس بأزهم الا سلام وأبادهم
وانه من خرج من بيته مهاجر الحرب الاسلام وهرب له ذنوبه وذهبت عنه عيوبه ومن يجز عن السفر سفر يعدته
وشره من قدر خفاؤا الإسبين الحديد بعد ان كانوا الإسبين الحداد وتواصلت منهم الامداد قال (ووصلت في مركب
ثلاثة ايام) أفرنجية مسخرة اجتمع من الجزائر والتدين للبرائر واغترن لاسعاف الغزاة وقصدت بحر وجهن
تسبيل انفسهن للاشقياء والمن لا يجتمعن من العزبان ورأين امن لا يتقرن بأفضل من هذا القربان وزعن ان
هذه قرية صافرة اقرب لاسيماي ن اجتمعت فيه غربه وعزبه قال (وابق من عسكريان المالك الاغبياء والمداير
الجهلاء جماعة جتدم الهوى واتبعوا من غوى ختم من رضى الله بالذلة ومنهم من رضى على الزمان فيتحيل في النقلة
فان يدمن لا يريد لا تقتد وأمر الهارب اليهم لانتهاه به يشتد وباب الهوى عليه يستد وما عند الفرنج على الغزاة
اذا أمكنت منها العزب خرج وما أركها عند التسوس اذا كان للغزبان المضيقين من فرجها فرج) قال (ووصلت
أيضا في البحر امرأة كبيرة القدر وافرقة الوفر وفي جانتها خمسة فارس بخيولهم واتباعهم وعلمائهم وأشباعهم
وهي كافلة لكل ما يحتاجون اليه من المؤنة زائدة عما تنقه فيهم على المعونة وهم مركبون بركانها ويحمان بحملاتها
ويؤنن لوئبائها وفي الفرس نساء فارس حسن دروع وقوانس وهن في زى الرجال يبرزن في حوسمة القتال
يعملن على أرباب الجنى وهن ربات الجبال وكل هذا يفتقدن الله عباداه ويحزن امن يستغدن به سعاده ويجعلنه
لهن عاده فسبحان الذي أضلهن وعن نهج الهدى أضلن وفي يوم الواقعة طلعت منهن نسوة لهن بالفرسان اسوه
وفهن مع ليهن نسوة وليس لهن سوى الك وأبغ كسوه فما عرفن حتى سابين وعترن ومنهن عدة سبين واشترين
وأما المجائر فقد امتلأت بهن المراكز وهن يشكدن تارة ورخين ويحرضن ويخجن ويقنن ان الصليب لا يرضى
الا بالاباء وان لا لقاء له الا بالفتاة وان قهر بهن ودهم قبت استيلاء الاعداء فانظر الى الاتفاق في الضلال بين الرجال
والنساء) قال وفي آخر هذه السنة نذب السلطان الرسل الى الاقطار والاهصار للاستنفار والاستنصار وبث الكتب
وكتب الباث وحث الرسل وراسل بالحث وشرح عدنان النجباء الى سيف الاسلام بالهن وشرح في الكتاب
اليها جرى من حوادث الزمن ووصف له حلية الحال وطلب منه الاعانة بالمال وكتب مظفر الدين قزل أرسلان
به جندان بعث مادنا به عزه وودان وحكى على كل ذلك بحجة الايمان وهدى الى بحجة الاحسان ووصل الى السلطان
رسول ابن أخيه لامر الدين طغرل بن أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه وهو آخر السلاطين السلجوقية فخطب
من معه قزل أرسلان ويطلب من السلطان اعانته فاعتذر السلطان بما هو عليه من شغل الجهاد مع الكفار وأرسل
رسولا في السفارة بينه وبين عمه جلال الدين أبا الفتح إسماعيل بن محمد بن عبد الكونه بسبب الجهاد وكتب الى صاحب
اربيل والى حسن بن قنجاق وناؤه بشهر رزور بالترقية على خدمته والارتداد لمصلحته وأشباعه وموعنته قال
وفي هذه السنة توفي الامير حسام الدين سقر الخنلاطى أحد من ماليك السلطان وأخذهم وقد قدمه على ممالكه
وكانت وفاته ليلة الاثنين والعشرين من رجب قال وفي ثالث عشر شعبان توفي الامير حسام الدين طمان صاحب
الرقه وهو من المجاهدين المجتهدين والاتباء المتجدين وما حضرته الوفاة أسف من موته على فراشه وطلب
حصانه ليركبه وبنته قتل سعيدا شهيدا الى معاده من معاشه قال وفي تاسع عشر شعبان توفي الامير عز الدين
موسى بن جكر وهو ابن خال السلطان وهو من أكابر اقاربه ومقدمي كائنه وكان لقرآن حافظا وعلى الاحسان

كتاب (١٥٠) الروضتين

معاظنا ولقضاء حقوق الناس ملاحظا ولم يلز السلطان في هذه الغزوات ملازما وعلى جمع القلاع عازما ولما استتبته مرضه استأذن في الدخول الى دمشق ودفن بجبل قاسيون قال وفي إحدى عشرة رمضان توفي بدمشق القاضي شرف الدين ابن أبي عصر ومن مولده في أوائل سنة اثنين وتسعين وأربعمائة فبلغ عمره ثلاثا وتسعين سنة ونصف وأضر قبل وفاته مئة عشرين سنة ودفن بالمدسة التي أنشأها بدمشق قبالة داره بين ما عرض الطريق وكان شيخ المذهب وقد ختمت به القنبا وأوحشت غيبته الدين والدنيا قال وفي تابع ذي القعدة توفي الأمير الفقيه ضياء الدين عيسى الحسكاري في العسكر بمنزلة الخروبة وكان صاحب أسد الدين شيركوه ومضى معه الى مصر حين ملكها ثم اختص بالسلطان بعده وتولى حمله وعقده ودرت بوساطته وشفاعته للناس ارزاق ونقل الى القدس فدفن بظاهره ولفسد من الاعيان ومن أهل الجب في نصرة الأيمان فقتله الله الى الجنان قال وفي هذه السنة قطع السلطان محمدا كنهجه هذا الدين اياز ولاية شهر رزور وأعمالها وولم يجل الدين ابن الحسن نقابة الاشراف بدمشق قال وفي عاشر جمادى الاولى منها كان مولد نادر الدين محمد ابن الملك العزيز بمصر الذي اجتمع عليه أصحابه بعد وفاة أبيه في محرم سنة خمس وتسعين وورد بذلك السلطان جدته كتاب كريم فاضلي من مهر نبخته (المولود قبل الارض بين يدي مولانا الملك الناصر دام زشاده وارشاده وزاد سعده واسعاده وكثرت أولاده وعبدوا عساده واشتد باعضاده فمسم اعضاده واغنى الله عسده حتى يقال هذا آدم المولود وهذا ولاده ويبنى ان الله وله الحمد رزق الملك العزيز عز نصره ولده امارا كعليا ذكر اسويا برا زكيا تقيا تقيا من ذرية كريمة بعضها من بعض ومن ثبت شريف كادت ولايته تكون ولا في السماء وماليكة تكون ماوفا في الارض وكان مقدمه الجيوش في ليلة الأحد وهي من الجمعة أوى العدد وبه وبا له عز الله أهل الجمعة وبذل الاحد ثم ذكر باقي الكتاب

(فصل في ورود خبر خروج ملك الامان قال القاضي ابن شداد) ولما دخل شهر رمضان سنة خمس وخمسين وخمسين من هـ وصل من حلب كتب من ولده الظاهر يخبرهم ان الله قد صعد ملك الامان خرج الى القسطنطينية في عدة عظيمة قبل ما تالت وقيل ثمانين وستون ألفا يريد بلاد الاسلاميه فاشتد ذلك على السلطان عظيم عليه ورأى استنفار الناس للجهاد واعلام خليفته الوقت بهذا الجهاد فاستدبني لذلك وأمرني بالسيرة الى صاحب سخيار وصاحب الموصل وصاحب اربل واستدعائهم الى الجهاد بأنفسهم وعساكرهم وأمرني بالسيرة الى بغداد فمضيت في إحدى عشرة رمضان وبسم الله تعالى الوصول في الجمعة وابلغ الرسالة اليهم فأجابوا الى ذلك بنفوسهم وسير صاحب الموصل علاء الدين أبيه بمعظم عسكره ووعد الديوان بكل جميل وعدت اليه خامس ربيع الاول سنة ست وخمسين وبشأنين وسيفت العساكر وأخبرت باجابتهم وتأهبهم للسيرة بذلك وقال العماد في كتاب الفتح وغنى المستر بوصول ملك الامان الى قسطنطينية في ثمانية آلاف مقاتل على قصد العبور الى بلاد الاسلام وقطع بلد الروم والازمن الى الشام وقسم ستون ألف فارس مديع ومعهم ملوك كود وكل شيطان ريد كود وكتب صاحب قلعة الروم بتقديم الامرن وهرق قلعته على الفرات وبين أهل الذمة في المأمن يبدى تبحرا واشفاقا وتقنقا على البلاد واحدا تارفا ويقطع ان الواصلين في كثره وان الناس هذين الطريقهم في عشرة واربع في كلبه وارغد وادبع في خطابه وأبعد ولا شك انه الى جنسه النجس مائل وسلامة أهل ملته قائل ولما وصل هذا البلد وقبل انه عظيم وورد هذا الخبر وخيل انه أليم كاد الناس يضطربون على انفسهم يصدقون ويكذبون ومن طرف كل جبل من رأى يجهلون وقلنا ان وضع هذا الخطر وضع هذا الخبر فالمايون يقومون لنبالوا لا بدقون ويعضجون لله ولا يرضون انفسهم لا يعضدون على ان الله ناصرنا ومؤازرنا ومظاھرنا وحققا بما ظهرا القوتان استوحش الناس وبشأن بالارسال الى بلاد الروم عيونا وجواسيس ونبدنا رسل الاستنصار وبعثنا كتب الاستنفار الى جميع الامصار والاقطار وقلنا ما هذه المرة لا يسعها الا كل متر ابى وهذه الكرة مثل كل كره ولا يهضرها الا كل كيش كى قال وعزل السلطان على ارسال القاضي بهاء الدين ابن شداد يوسف بن رافع بن نعم ليكون كتابا الى الديوان العزيز مع رسول كريم وقال له ما احتياج اوصى وانت توفي القول وسقطة ضى وجعل له الى كل طرف في طريقه رساله وأودعه اليه مقالها فسار ووصل الى حلب والقاضي ضياء

في أخبار (١٥١) الدولتين

الدين ابن الشهر زوري رسول السلطان بغداد قد عاد وذكر أنه قد بلغ المراد فما هذا الرسول الراجح ووصل وهو مغناظ وتغير على ونسب انفاذ القاضي بهاء الدين الى ثم ارجع السلطان ونظمه على ما قدمه وعلمه بما علمه وعلمه وقال له الشغل قد فرغ والقد قد بلغ وتزعم السلطان أمرا وعاد على النجف الى بغداد وصادف بها القاضي بهاء الدين ابن شداد فلما فرأى سفارته عن سداد وقيل جواب ما أتت فيه مع ضياء الدين أسيرته ونسب، فيها تخبره وقال في كتاب البرق ووصل الخبر بخروج ملك الألمان من بلاده في مائتي ألف فارس وروى في رجل في دروب رجل الدين في عدد من الأرا وأقام بمحشرهم القياض واستأجرهم لشاركنهم بالقدس فقامه وساروا في شهر حتى وصلوا قسطنطينية وكان ملك الروم يكتب اليها أخبارهم وبناء خروجه من ديارهم ويقول أنا أملكهم من العبور فلما جازوا لم يقدر على منعهم فصد عنهم الأرواد وجرهم الأسعد وعبروا الخليج وقد كثرت أمدادهم وقتل أروادهم ولما وصلوا الى حدود بلاد الاسلام وسكنوا في الأودية والأجام والوهاد والأكام تسلمهم تركمان الأوج وراك الأوج وشاء الكلاب في تنكب الشتاء واحتاجوا الى أكل الدواب وأحرقوا عددهم لا عوازا لخطاب وعدوا العلف وما وجدوا الخلف ومناهل الزلال جامدة وهم بالبلاد جاهلون ومن البلاهاهون لا يقطعون في يومين فرسها وقد أذهب الله عنهم الهركه وصعب عليهم الحركة ونجس الأمر عن حسابهم وهم كل يوم في نقص أنفسهم ودوابهم وكانوا ينفذون من أعلامهم النقيصة وعددهم الكريمة ما يجزون عن قتله ولا ينفذون بثقله فالتفتوا لاسرارها من اضلاع تلك الشعب وصدور تلك الوهاد والمناهل لا تروح هابدا ولا تطلع على مكتوبها ومدقونها أحدا هذا وبحرهم عباب الأوج هباب القوج فلما خلصوا بعد شهر تركتهم زحوا ووج سبعة أبحر هذا وقد نقص شظيرهم وانقطع ظهورهم لكنهم عرضوا في ستمين ألف مدرع مدجج متنع ذلك وقد باد أكثر أجدهم وترجل معظم أبطال باطلهم وسأى باقي أخبارهم قلت ومن قصيدة للكبكي أبي الفضل الجلياني

باعتقذا القدس من أيدي جبارة * قد أقسموا بذراع الرب تدنسه
فأكدوا كذبهم في وصف ربهم * وصدق الوعد ما مونا محوله
أما رأيت ابن أيوب استقل بها * يعني الزمان وأهليه تحمله
هاج الفرج وقد خار والفتنة * فاستنقروا كل مروهوب تغله
لماسي القدس قالوا كيف تركها * والرب في حفرة منها تمشله
فكم ملى لهم شق البحار سرى * لينصر والقبر والاقار تغله
وكم ترجل منهم فيلق بفسلا * الى الخوامع القاه ترجله
استصرخوا الأهل والعدوى ترقم * واستكثروا المال والهيأة تغله
هم الفراش طيب الحرب تنصرعه * وكلما جاصد ما جل مقتله
سبيف امام فلسطين يرى اهما * خلف البحار افسداه صمقه
كم نداعدواكم قدفل جمعهم * من غشير ضرب ولا طعن يزيله
وانما اسم صلاح الدين يذكر في * جيش العدة فيسديهم قتيله

ثم دخلت سنة ست وعشرين قال العماد رجه الله والسلطان مقب بعسكره من الزنوبه في خيامه المنطويه على الحاملة المحبوبة وعند الهائل والافضل والمنظر وحكا محصوره وانقضت هذه السنة وقرع من اربطة المحاصر من عكا واتفق في أوائل هذه السنة وقبها انصراف العساكر العربية الى بلادها العبدوة القريسة بطوم الشتاء وتوالى الاندلاء والافاء وحالت الوحول عن الركب والترزول وكانت نوب الزنوبه والحوال متذبذبة ورجاء كركب السلطان يوم الاثنين بالبراه ثم يعود لا تنافر فرصة الغزاه ثم وقعت وقعة الرمل وذلك انه ركب يوما في سفر قصيد وطالبه قرب الهنص فابعد واليزكية على الرمل وساحل البحر بفرج الفرج في وقت العصر في عدد لا يدخل في الحصر وتسامع أصحابنا بهم فزحوا اليهم وحكا واعليهم ولردوا عليهم الى خيامهم وأخذوا عليهم من خلفهم وامامهم ولهم في كل دفعة من العدو قلائع والفرش في كل كفة على الرمل مصارع حتى فني الشباب

كتاب (١٥٢) الروميتين

وفي الانتساب وشاع نداء الإعجاب باستعداد الشباب والفرض لا يجهزهم إلا الرما ولا يتكلمهم إلا الأسماء فأنشروا
 بخلاص كتاب تقياس روى على الدون من تلك الشعاب وجاوا جلة واحدة وردوا بها أصحابنا إلى النهر وكادت تعبت بهم
 يد القهر فثبتت من العادلة في وجوه القوم صر صوص البنيان واستشهد جماعة من الشجعان وذلك أنهم
 لما ردوا الفرض فلعوا فرسانا وصرعوا اقربا فنزلوا بعد فرسهم بسلب لبسهم فخرت بهم الجلة في الماء وبه وأعطيت
 عن الركبة والوثبة وأظم الليل واقترب الجمعان وكثر التأسف على من فقد ومنهم الحاجب يدعش المجدي
 قال ومن عجائب هذه الواقعة أن هاهو كالسلطان يقال له سر أسنقر عثر به جواده فقبض من أسره على شعره ليحذيه
 وسيل آخر سيفه ليضربه فضرب يد قابض شعره فسيبه واشتد سر أسنقر يعذب وهم خلفه فلم يدركوه وعاد السلطان
 من الصيد وقد انفصل الأمر قال وفي يوم الأحد خامس عشر ربيع الأول تسلي شقيف ارثون بالامان وكان الحصار
 قد استمر عليه حتى فنى زاده وصاحبه ارتباط في الأمر فسله بخلاصه وصار إلى صور قال واغتم السلطان هيجان
 البحر وحضر مرأكب الأسطول من مصر هازل يقوى عكا بيسير الغلات والقوات إليها المراكب وملاها
 بالذخائر والأسلحة والرجال فمأسكن البحر عادت مرأكب الفرض إلى مرأكبها وديت عقاربها وأفاقها وشدت
 مرأكبنا في مواهبها وانقطع خبر البلد وامتنع عليه دخول المدد فالتدب العوام بالسباحة وجمهم على ذلك
 من السلطان السباحة حتى صاروا يبحون نفقات الأعداء على أوساطهم ويحاطرون بأنفسهم مع احتياطهم
 ويحاربون كتبنا ويوروا ويعودون يكتبون وطيروا كتب النهر ويكتبون البنا على أجنحة الجاه بالترجمة المصطلح
 عليها وكان في العسكر من اتخذ حماما يطوف على خيمته وينزل في منزله وعمل لها رجام من خشب وهو أدى من
 قصب ويدرجها على الطران من البعد وكنا نقول ما لهذا الولع بما لا ينفع حتى جاءت نوبة عكا فنفعت وشفقت
 الغليل ونفعت وأنت بالكتب سارحة شارحه وكنا نعلم ما منه مع الليل والنهار حتى قل وجوده لكثرة الإرسال
 ولقد عذب عوامون همار تدب الباقون ومنهم من سلم مرأكبهم القوم فاجترأ أنس العوم

(فصل ١٠) في قدوم المسالك وريق الأبراج قال العباد وما القضى الشتاء وانفتح البحر وسان زمان القتال
 جاءت العساكر الإسلامية من البلاد فكان أول من وصل الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حص والرحبه
 وسابق الدين عثمان صاحب شيرز وعز الدين إبراهيم بن المقدم ووفد معهم جوع من الأجداد والاعيان وحشود
 من العرب والتركان فرحل السلطان وتقدم وعزم على طلب العدو وهم وزل على تل كيسان يوم الأربعاء
 ثامن عشر ربيع الأول ورتب عسكره فكان بقي الدين في آخر المعركة والعاذل في آخر الميسرة والفضل في أول
 مهيئة القلب وأخوه الظافر في أول الميسرة على الجانب ثم وصل الظاهر في عساكر حلب وعساكر الدين محمود بن برام
 الأرتقي صاحب دارا وغيرهم من الملوكة والمقاتلين ووصل رسول الخليفة يوم الاثنين سادس عشر ربيع الأول
 وهو الشريف خفر الدين تقيب مشهوب باب الدين بغداد ووصل معه جلان من النقط الطيار وجلان من القنا الخطار
 ونوقيع بعشرين ألف دينار يقتصر على الدنوان العز من التجار وخمسة من الرافقين النفاطين المقتضين صناعة
 الأحراق بالنار فاحتد السلطان بكل ما أحضره وأخلص الدعا للدنوان العز ونشكره غير أنه أيدى التوقيع
 وقال كل ما ممي من نعمة أمير المؤمنين ولولا صرفه أه وال هذه البلاد إلى الجهاد لكانت مجوعة إلى الدنوان وأركب
 الرسول معه مرأكبها وأرأه مباركة النزال ومعارك القتال حتى يشهد بعبادته ويبين له الجهد والجهاد وأقام
 طويلا ثم استأذن في العود فرجع وقال القاضى ابن شداد قبل السلطان جميع ما وصل مع الرسول واستغنى
 من الرقعة والتفصيل بها قال وفي ذلك اليوم باغ السلطان أن الفرض قد زحفوا على البلد وضائقوه فركبهم
 لبشعناهم باقتال عن البلد فقاتلهم قتلا شديدا إلى الليل وخاف السلطان أن يجمع العدو البلد فانتقل إلى تل
 الجبل في خامس عشر ربيع الأول بالقرب قال وفي صبيحة هذا اليوم وصل من البلد عوام معه كتب تتضمن أنه
 قد طم العدو بعض الخندق وقد قوى عزم العدو على منازلة البلد ومضايقته فجذب السلطان الكتب إلى
 العساكر بالحث على الوصول وفي محفل ليلة الجمعة سابع عشر ربيع الأول وصل ولده الظاهر وفي آخر ذلك اليوم
 وصل مظفر الدين وكان السلطان رحمه الله ما يقدم عليه عساكر الأيوبيين وهم يسير بهم إلى العدو وينزل بهم

في اخبار (١٥٣) الدولتين

في خيمته وعبد لهم الطعام وينعم عليهم بما ينظرون به قلوبهم اذا كانوا ا بجانب ثم تضرب خيامهم حيث يأمر ويؤذنون بهامكرمين قال وكان العدو قد اصدت مع ثلاثة ارجحة من خشب وحديد واليسها الجلود المسقة بالخل على ما ذكر بحيث لا تنفذ فيه الديران وكانت هذه الارجحة كائنها الجبال تشاهدها من مواضعنا عالية على الاسوار وهي مركبة على عجل يسير الواحد منها من المقاتلة ما يزيد على خمسمائة يفر على ما قيل ويتسع سطحه لان ينصب عليه مخندق وكان ذلك قد عمل في قلوب المسلمين وأودعها من الخوف على البلد ما لا يمكن شرحه وايدس الناس من البلد بالكلية وقطعت قساوي المقاتلة فيه وكان قد فرغ عملها ولم يبق الا جرها الى قريب السور وكان السلطان رحمه الله قد اعمل فكره في احراقها واهلاكها وجمع الصناع من الزرافين والنفاطين وباخضهم في الاجتهاد في احراقها وودعهم عليه بالاموال الطائفة والعلما بالجزيرة وضاعت خيلهم عن ذلك وكان من جملة من حضر شباب نخعاس دمشقي فذكر ان له صناعة في احراقها وان امكن من الدخول الى عكا وحصل له الادوية التي يعرفها آخرها حصل له جميع ما طلبه ودخل الى عكا وطبخ تلك الادوية مع النفط في قدور من النحاس حتى صار الجميع كما نعه جرة نار ثم ضرب السراج الواحد يوم وصول الملك الظاهر بقدر فاشتعلت من ساعته ووقته وصار كالجلد العظيم من النار طاعة ذواته نحو السعاء فاستغاث المسلمون بالنار ليل والتكبير وغابهم الفرح حتى كاد عقوقهم تذهب فيمينا الناس ينظرون وينجبون اذرى البرج الثاني والثالث والثالث فاحترقا كالأول وركب السلطان والعساكر وسار اليهم وانظروا ينظر جوافيتهم عملا بوله صلى الله عليه وسلم من فتح باب خير فليفتن به فلم يظهر العدو من خيامهم وحال بين الطائفتين الليل واستمر رصت وب السلطان اليهم في كل يوم وطلب من اهلهم وقتا لهم وهم لا يخرجون من خيامهم ليعلم ببشائر النصر والظفر بهم والعساكر الاسلامية تتوارى وتواصل فوصل في الثاني والعشرين من ربيع الآخر عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي صاحب شخبار وهابن أئني زوالدين رحمه الله وصهر وزوج ابنته فلقبه السلطان بالاحترام والتعظيم ورث له العسكر في قائه وسار حتى اوقفه على العدو وعاد معه الى خيمته وأزله عنه دة وكان صنع له طعاما لثقا بذلك اليوم فحضر هو وجميع أصحابه وقد مله من الخف واللدائف ما لا يقدر عليه غيره وكان قد أكرمهم بحديث طريح له الراحة مستعدة الى جانبهم وبسط له ثوبا طلس عند دخوله وضرب خيمته على طرف المصرة على جانب النهر وفي سابع جمادى الاولى وصل ابن اخيه صاحب الجزيرة معز الدين شخير شاه بن سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي فلقبه السلطان وأزله الى جانب عمه عماد الدين وفي تاسع جمادى الاولى وصل ابن صاحب الموصل وهو علاء الدين خرم شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي نائب عن ابيه ففصر السلطان به فرحاشد بد وتلقاه من بعيد هو وأهله واستحسن أدبه واستجبه وأزله عنه دة في الخيمه وكرامه مكارمة عظيمة وقد مله تحفها حسنه وأمر بضرب خيمته بين ولديه الافضل والمناذر وفي أواخر الشهر وصل صاحب اربل زين الدين يوسف بن زين الدين على فأكرمه السلطان وأزله عند اخيه منظر الدين يعني في المصرة وذكر العباد قدوم هؤلاء الموالك يعني ما تقدم قال وكان الفرنج مذنزوا على عكا دة وعلى الاقامة والحصر فشرعوا في بناء الابراج العظام العالية ونقروا في الجبر الآتيا وأخضاب الجانيه واقطاع الخندق وبنا ثلاثة ابراج عالية في ثلاثة مواضع من اقدار البلد فعبوا فيها سبعة أشهر فإيفروا منها الا في ربيع الاول فعملت كما نعتها انزل اطوار قدمت طيطيات بعدد اعداد وكل برج لا يله في ان كانه من أربع اسطوانات طيات غلاظها فبات طول كل واحد ستمون ذراعا ليعرف على ارتفاع سور البلد وبها على دوائر الجبل ثم كسرها وبها بالجدد والواثق الشديد بجوار البقرة والساح وكل يوم يقر بنها ولودرا على حسب التيسير في تسميرها وسقوها بالخل والنهر وكشفوا من جوانبها الثلاثة سور البلد وشرعوا في طم الخندق وبناء عوام من عكا فأكسبر السلطان فركب العسكر ولازمهم من الجعة الى الجمعة يقاهاهم صباح مساء ليشملهم فاقترعوا قاصمين فريق للقتال وفريق آخر مع الارجح فاشفي البلد وفي له رمق ضعيف ورهيت الارجح بكل قارورة نطفها أثرت ولم تشعر يوم السبت الثامن والعشرين من ربيع الأول بالارجح الاوقدا شملت وانهت ووتعت وكانت آية من مقدرة الله ظهرت وذلك انه كان بكاشاب من أهل دمشق يعرف بعلي بن عرف النخاسين وكان أبدا يجمع آلات الزرافين ومواها ولخصيل عقاقيرها متبعا وكل من

عرفه عنه وإنكره. وكان قد ألق منها مقادير وقدرها ولا تألغ من أهل تلك الصناعة صدوراً ولم يكن النبط من ضنائه. ولكن الله وفقه له عادته فلما كان يوم حريقه جاءه إلى الأمير قرا قوش وقوم معتاق وأخلاقه فظا غلاظ وقال اتأذن لي في تصويب الخندق لحرق البرج والله ولي التوفيق فخره وزيره ونهاه ونهره وقال صناع هذا الشغل قد خازوا وحاروا وبعد ما التجدوا وأغاروا فقال الناس دعه وشأنه وما يدريك أن الله وفقه وأجانه فري ابن العريف إلى البرج الأول قد ورث خالسه من نار حتى عرف أنه سقا مورواه ثم جاء به بقدر بحره وأردفها بأخرى من حقه فسلطت النار على طبقاتها فأضرم على أهل السعير سعيها وكان يوماً على الكافر من عسار ثم أخرج الثاني والثالث فاجتمع عليه الأوصحاب يفتونه ومن أولياء الله يفتونه وجاؤهم بعد ذلك إلى السلطان فلم يقبل عطاه وقال علمته فهاأر يديه من سواه جزء وقيل احترق في البرج الأول سبعون فارساً بعدتها فخطبت أعمامهم وخابت ألامهم وخرج رجالنا من البلد فنصفوا الخندق وسدوا الثغر وأظهروا القدر بظهور القدر وجاءوا إلى مواضع الأبراج وأما كتبها واستخرجوا الحديد من مكانها ونشوا الزرديات التي أنسبكت وكشوا عن الستائر التي تمكنت فأخذوا ما وجدوا وحصلوا على ما تشدوا قال وكان السلطان قد كتب بالاستظهار من شواني الأسطول والأسراع في الوصول فوصل الخبر بوصول يوم الخميس ثامن الشهر فاستظهر به الأسطول الأول الذي بالثغر فركب السلطان جميع كتائبه وأحاط بالكفر من جميع جوانبه واشتغل الفرنج عن أن يهاجمهم في البحر فجاءوا في الأمر وجهزوا أسطولاً بعدد الرجال وعدد القتال وخرجوا لتلقي الأسطول والواصل وقابلوا الحق بالباطل وجاءت شواني المسلمين ففجحت وطغيت وأخذت بكل العدو برجاله وأخذوا لنا قطعه وما زالت الحرب فمرة فمرة مصرعة وصرة حتى دخل الليل فتحاخر الفريقان وتفرق الأسطولان وكانت المقتلة في الكفر شديدة والأسطول ومبيد وقال القاضى ابن شداد لما كان ظهيرة يوم وصول علاء الدين ابن صاحب الموصل ظهرت في البحر أنواع كثيرة وكان رجاءه الله في نظرة الأسطول من مصرفاته كان قد أمر بفتح درو ووصله فإنه هو فركب والناس في خدمته وتعباً تعباً القتال وقصد مضايقة العدو ليشغله عن قصد الأسطول ولما علم العدو بالأسطول استعد له وعمر أسطولاً له لئلا يوقعه من دخول عكا ولما خرج أسطول العدو واشتد السلطان في قتالهم من خارج وسار الناس على جانب البحر تقوية للأسطول وإيساره ولجأه التي الأسطولان في البحر والعسكران في البر واضطربت نار الحرب واستعرت وباع كل فريق روحه براحمته الآخر وبجري قتال شديدة أفضع عن نصره الأسطول الإسلامي وأخذ منه شين وقيل من به ونهب جميع ما فيه وظفر من العدو ركب أيضاً كان وأصل من قسطنطينية ودخل الأسطول المنصور إلى عكا وكان قد حجبهم من أكب من الساحل فيها مروءة وخاطر وطاب قلوب أهل البلد بذلك واشترحت صدورهم فان الضائقة كانت قد أخذت منهم واتصل القتال بين العسكرين من خارج البلد إلى أن فصل يومه النابل وعاد كل فريق إلى خيمته وقد قتل من عدو الله وجرح في ذلك اليوم خلق عظيم فأنهم قاتلوا في ثلاثة مواضع فإن أهل البلد اشتدوا في قتالهم ليشغلوا عمن الأسطول أيضاً والأسطولان مقابلان والعسكر من البر يقابلهم وكان النصر بجهد الله المسلمين قال العماد وقتنا منهم مائة مقاماً على عكا ستيناً أكثر من ستين ألف ورواهاهم بكل حنف وكاباوا في البر زادوا من البحر وكبحسروا وخسروا وقتلوا وأسروا وهزموهم وأكسروا وخافهم خلف وبقوم مقام ما تنهم ألف وقد أفتينا أنفسهم وأموالهم وقطعنا أرواقهم ووصلنا أسطولهم

(فصل) فيما كان من أمر ملك الألمان قال القاضى ابن شداد وصلت الأخبار بوصول ملك الألمان إلى بلاد قلع أرسلان وأنه اتهم للنهائى جمع عظيم من التركان وقصد وامنعه من عبور النهر وأنه أنجزهم لكثرة خلقه وعدم مقدّم لهم يجمع كلمتهم وكان قلع أرسلان بظهر راشفاه وهو في الباطن قد أضر وفاته ثم لعبا بالبلاد أظهر من الفساد ما كان أصغر ووافقه وأعطاه رهاًن معه على أنه ينقله مع من يوصله إلى بلاد ابن لاون وأنشد معه أدلة يدلون به وعرضهم في الطريق جوع عظيم وأعوزهم الزاد وقل بهم الظهور حتى أنهم القوا بعض أنفسهم ولقد بلغنا والله أعلم أنهم جمعوا عدداً كثيرة من زرديات وخود وآلات وسلاح عجوزا عن حملها وجعلوها بيد واحد

في اختيار (١٥٥) الدولتين

وأضر موافقها التار لتلف ولا يتفع بها أحد وانما بقيت بعد ذلك رابية من حديد وساروا على هذه الحال حتى وصلوا إلى طرسوس فأقاموا على غير رايه ورواه وان ملكهم المليون عرق له ان يسبح فيه وكان مائة شديدة البرد وكان ذلك عقيب ما ناله من التعب وانه عرض له بسبب ذلك مرض عظيم اشبهت بداء إلى ان قتله ولما رأى ما حصل به أوصى إلى ابنه الذي كان في صحبته ولما مات أجمعوا رأيهم على انهم سلفه ود في خل وجوه واعظامه في كيس حتى يحملوه إلى القدس الشريف وبذفنه فيه وترتب ابنه مكانه على خلف من أصحابه فإن ولده الأكبر كان خلفه في بلاده وكان جماعة من أصحابه يميلون إليه واستقر قدم ولده الحاضر في تدمر في العسكر ولما أحس لافون بما جرى عليهم من الخلل وما حل بهم من الجوع والموت والضعف بسبب موت ملكهم ما رأى أن يلقى نفسه بينهم فإنه لا يعلم كيف يكون الأمر وهم فرح وهو أرمني فاعتصم عنهم في قلاعهم المنية ولقد وصل إلى السلفان كتاب من الكاغي كوس وهو مقدم الأرمن وهو صاحب قلعة الروم التي على طرف الفرات ومعنى هذا الاسم الخليفة ونسخة الكتاب (كتاب الداعي الخلف الكاغي كوس) ما طالع به معلوم ولا نال ما كان السلطان الملك الناصر جامع كفة الإيمان رافع علم العدل والاحسان صلاح الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين من أمه ملك الامان وما جرى له عند ظهوره وذلك انه أول ما خرج من دياره دخل بلاد الحنك فغصبا ثم دخل أرض مقدم الروم وفتح البلاد ونهبها وأحوج جعلك الروم إلى ان أطاعه وأخذ رهاقه ولده وأخاه وأربعين نفرا من خلسائه وأخذ منه خمسين قنطارا ذهب وخمسين قنطارا فضة وثيابا طلس مبلغا عظيما واغتصب المراكب وعديهم إلى هذا الجانب ويصعبته الرهائن إلى ان دخل حدود بلاد الملك قلیج أرسلان ورواها عن وثقي ثلاثة أيام سائر اوت كان الأجاج يلقونه بالانغام والاقاروا لحيل والبضائع فتصد الخلف المظلم وجمعوا من جميع البلاد وقع القتال بين التركان وبينهم وضابته ثلاثة وثلاثين يوما وهو سائر ولما قرب من قونية جمع قطب الدين ولد قلیج أرسلان العساكر وقصدوه وضرب معه مصافا عظيما فظفر به ملك الامان وكسره كسرة عظيمة وسأر حتى أشرف على قونية فخرج إليه جمع عظيمة من المسلمين فردهم مكسورين وهجم قونية بالسيف وقتل منها عالما عظيما من المسلمين والفارس وأقام بها خمسة أيام فطلب قلیج أرسلان منه الامان فأمنه الملك واستقر بينهم قاعدة كيدة وأخذ منه الملك رهائن عشرين من أكابر دولته وأشار على الملك أن يجعل طريقه على طرسوس والمضيصة ففعل وقبل وصوله إلى هذه البلاد انفسد كتابه ورسوله بشر حاله وأين قصدوه وما لقيه في طريقه وأنه لا يذبح تار بهذا ديار اختيارا أو تركها فاقترض الحمال انفاذ الما لوك خاتمه وصحبته ماسأل ومعه من الخواص جماعة للقاء الملك في جواب كتابه وكانت الوصية معهم أن يخرجوه على بلاد قلیج أرسلان أن أمكن فلما أجمعوا بالملك الكبير وأعادوا عليه الجواب وعزفوه الأحوال إلى الانحراف ثم كثر عليه العساكر والجوع ونزل على شط بعض الأنهر وأكل خبز انوا ساعة وانتهت قتلت نفسه إلى الاستحمام في الماء البارد ففعل ذلك ونزع وأمر الله انه نزل عليه مرض عظيم من الماء البارد فكشأ أياما قلائل ومات وأما لافون فكان سائر ابتلى الملك لما جرى هذه المجري حرب الرسل من العسكر وقتلوا ما إليه وأخبروه بالحال فدخل في بعض حصونه وأحرق هناك وأما ابن الملك فكان أبوه منذ توجه لقصده هذه الديار نصب ولده الذي معه عرضه وتأكدت قواعدهم وباعه حرب رسل لافون فأنفذوا متعطيههم وأخذتهم وقال ان إلى كان شخشا كبيرا وانما قصد هذه الديار لاجل بيت القدس وأنا الذي دبرت الملك وعما نيت المشاق في هذه الطريق مع من أطاعني والاكنت بدأت بقصد دياره واستعدت لافون واقترعت الحمال الاجتماع بضروورة في الجبله هم في عدد كثير ولقد عرض عسكره فكان في اثنين وأربعين ألف مجتهد وأما الرحالة فلا يحصى عددهم هم اجناس متفاوتة وتخلق غريبة وهم على قصد عظيم وجد في أمرهم وسياسة هائلة حتى ان من جنى منهم جنانية ليس له جزاء لان يذبح مثل الشاة واقد بلغنا عن بعض أكابرهم انه جرى على غلام له وطوار الخدي في ضربها فاجعت القروس لك عليه فاقترض الحمال والجسك العام بذيجه وشفع إلى الملك منهم خلق عظيم فلم يلبثت إلى ذلك وذيجه وقد حترموه الملائكة إلى أنفسهم حتى ان من بلغهم عنه باوع لذة تجريره وعزروه وكل ذلك كان حزنا على بيت المقدس ولقد خرج من خضع منهم انهم هجروا الشياطين مذة ولولا وحترموه على أنفسهم ولم يلبسوا الا الحديد حتى أنكرك عليهم

كتاب (١٥٦) الروميتين

الأكابر ذلك وهم من الصبر على النذل والشقاء والتعب على حال عظيم) وقال العماد لما قاربوا بلاد عزم الدين هلال أرسلان
 منهم ابنهم ابنه قطب الدين ملك شاه فوقع بينهم الحرب ثم اندفع عنهم إلى مدينة قونية فساقوا ورأوه وخواهوا وحرقوا
 أسواقها وترونها فنفذوا إلى السلطان قليج أرسلان أنامل نعل في بلادك وانما نراك شارب بيت المقدس ونفذوا إليه
 هذا يا وطني والهدنة فهادتهم فمقتوا ومن تلك البلاد بأمراد ومن العدد والأزواد وانفذ قليج أرسلان وابنه عتذران
 إلى السلطان من تمكينهم من العبور وانهم غلبوا على ذلك ثم إن الأمانة طلبه ومن قليج أرسلان انشأ جماعة من
 الأمراء معهم ممنوعون من لصوص التركان حتى يهضوا إلى بلاد الأرمن فنفذ معهم خمسة وعشرين ووافق ذلك
 غرض قطب الدين فإنه كان كارها للجماعة من المتقدمين فتقدم إليهم بأن يكونوا في حجة ملك الألمان فحملهم على
 الخطر وأوقعهم في الغرر ووزطهم في الضرر فانهم ما قدروا في الطريق على دفع كل سارق وقد تبعهم اللصوص حتى
 وصافوا إلى بلاد الأرمن فمقدّمهم لا فون بن مصطفى بن لاون فأخذوا أولئك الرهائن وقبدهم وجعلوهم في
 الأسر وجردوهم فممن من خاص بعد حين بمال جزيل ومنهم من بقي مأسورا حتى أماء اليقين ووصل مقدم الأرمن
 إلى خدمته ودخل في طاعته وهداهم بقصدده وقام بهم بالفتيات والعنقات وذلك في طرسوس فتكروا
 بهما ليرجوا الفرس قن ملك الألمان أن يسبح في النهر لا ماطة مابه من الوضوء فعرض له مرض سلك به في سفر
 وقيل لما عرفت رجوعه أنرازدجوا والتطام باوج بهم واقبحمرا وطلب هو وموضعها بعرفه وحده وبتعه من بعده
 قتل على خصامة ذات خفافه لا يخافون هجمهم من آفة جفري إليها واجترأ عليها فجذبته بسورة الماء إلى شجرة شجعت
 رأسه ومجيت أنفاسه وأخرجه ونفسه على الخروج وعرض على الدروج فتسلم ملك الألمان باله واجاله إلى جنيته
 وجلس ابنه مكانه واتبع شانه واستمتع رجاله وفرسانه وقيل عرض عسكره في نيف وأربعين ألفا في وانقطع
 عنه ابن لاون واشتغل عليه بأصحاب أبيه ميلا منهم إلى أخيه وساروا على سمت أنطاكية في فرق ثلاث كلهم من
 المرض قد نشروا من أجداد وأكثرتهم حيلة عذبي وركاب حجير وكل بالارض التي تسلكها غير خبير فقبض بهم
 صاحب أنطاكية وقتلت عليه وطأتم الحفاجيه وحسن لهم طريق بلاد حلب فلم ير والهم في ذلك الصوب من ابن
 وطلب منه الملك فله أنطاكية لينقل إليها ماله وذرأته وأمناله فأخلاه له وسلمها إليه طمعا في ماله وأهله ورجاله
 وكان على ما حشدته فانه لم يعد إليها واستولى الأبرنس أنطاكية عليها وجاءت فرقة منهم بلال إلى حصن نهراس
 وظنوا أنه في أيدي أنجاسهم الانجاس فتخروا إلى القلعة الباب وأخرج الانجاس وتسلب تلك الأموال باجاسها
 والصناديق بأقفاها وأسروهم وقتل كثير وخرج بعد ذلك أهل حلب وجند إلى طرفهم وفرقوا بين فرقهم
 والتمسوا منهم من الخرو والغياض وكان الواحد يستأسر منهم ثلاثة ولا يرى من رفقا منهم غائنه فهانت الأمانة بعد
 تلك الهابة في الأنفس وأبعوهم في الأسواق باليمن الانجاس ولما تكامل وصول السباكين إلى أنطاكية سلكوا إلى
 طريق طرابلس جبلية واللاذقية فخرج عليهم رجالها فقتلوا منهم وأسروا فما وصلوا إلى طرابلس إلا في خوف
 ولم يصف من جماع الملك غير ألف وجاءوا إلى النازلين على عكا فزروا إلى لجهم وخذوا في هجمهم ثم هلكوا على
 عكا بعد انقضاء مده واقضاء شدة بنار سبع ثانی عشر ذی الحجة ست وست وثمانین وقال الفتح وجبن الملك عن
 السير على الدريق بالمال بقت جموعة في طرفاتهم من التريق فركب البحر في عدد يسير لا يزيد على الألف ربح
 قلب وقصود ورجعهم أنف واختلط مع الفتح على عكا فسقط اسمه وسخط حكمه وهلك بعد قليل ولم يحظ
 بنق غليل وقال الفتح ابن شدة أدمر من ولد ملك الألمان الذي قام مقامه من رضاء عظيم وأقام موضع يسير
 التنازات من بلاد لا فون وأقام معه خمسة وعشرون فارسا وأرهبون داوود ورجع عكا فمحو أنطاكية حتى يقطعوا
 الطريق وبنهم ثلاث فرق لكثرتهم ثم إن الفرقة الأولى اجتازت تحت نلعة نهراس ومقدّمها كندعظم عند دم
 وان عسكر نهراس منع ثلثة أخذ منهم مائتي رجل نبوا قهرا وكتبوا بخبر بن عتذران عنهم بالضعف العظيم والمرض الشديد
 وقلة الخيل والظهور والعدو والالآت ولما اتصل هذا الخبر بالنواب في البلاد الإسلامية انقذوا إليهم عسكرا
 يسكن شئون أخبارهم فوقع العسكر على جمع عظيم تدخروا بالطلب الصلوة فغاروا عليهم وقتلوا أسرا وزهاء
 ثم جماعته نفس ولقد حضرت من يحد بلال سلطان عنهم وبقية لهم عدد كثير لكنهم ضعهاء قلوبا لخييل والعدو وأكث

في اخبار (١٥٧) الدولتين

ثقلهم على جنودهم وخيلهم ضعيفة قال واقدوقفت على جسر يعبرون عليه لا عثرهم فغير منهم جمع عظيم ما وجدت منع واحد منهم طارقه ولا رسالا النادر فسألهم عن ذلك فقالوا أقدابرج ونحمأ يا ماوقلت ازوادنا واطحنا نا فاودنا معظم عدونا ومات منا خلق عظيم واحضينا الى الخيل فذبحناها واكلناها ومات الكند الذي وصل الى انطاكية وطمع الافون فيهم حتى هزم على أحد شمال الملك ارضه وضعفه وقلة جمعه الذي تأخر معه ولم يزل اخبارهم تواتر بالضعف والمرض قال ولما تلقى السلطان وصول ملك الامان الى بلاد الافون وقرب من البلاد الاسلامية جمع أمر اعدائه وأرأب الاراء وشاورهم فيما يصنع فاتفق الرأي على ان العسكر يسير بعضه الى البلاد المتأمنة لطر يق عسكر العدو والواصل وان يقم هورجه الله على منازل العدو والمقابل يباقي العسكر المنصور فكان أول من سار صاحب منبج ناصر الدين بن تقي الدين ثم عز الدين ابن المقدم صاحب كفرطاب وبارزين وغيرهما ثم محمد بن صاحب شيرازم الماروقية من جهة عسكر حلب وسار الى دمشق ولده الافضل لمرض عرض له وكذا بدر الدين شهنة دمشق ثم سار الملك الظاهر الى حلب لئلا ياله الطربقي وكشف الاخبار وحفظ ما يليه من البلاد وكتب الى الجبل الراسي وقف والليل اذا بلغ الى الصبح المشرك انكشف فأين المؤذن وفرض الجبهة الملعين وأين المهتدون في نهج الرشاد المتبين وأين المسلمون وخاشي ان يعكسوا والاسلام مسلمين وأين المتقدمون في الدين ومعاذ الله أن لا يكونوا في نصرته على الموت مقدمين ولولا التقيس لم يذ العدو والارض لا طلقت أعنة النهضة الى العدو الناهض ولا بد من لقائه قبل تعلق الجمعين وارتاة الملاعين وجوه حتمية لهم مل العين ومن كتاب فاضل الى بغداد (ومن خبر افرنج انهم الآن على عكا يذهب البحر هراكب أكثر عدته من أمواجه ويخرج منه المسلمين ما هو أمر من أجهجه وقد تعاضدت ملوك الكفر على ان يذبضوا اليهم من كل فرقة طائفة وبرساوا اليهم من كل سلاح شوكة فاذا قتل المسلمون واحد في البر بعدوا الفاعوضه في البحر فالربيع أكثر من الحصاد والشجرة أغنى من الجباز وهذا العدو والمقابل قاتله الله قدر زعاليه من المتبادق دروعا متينة وأسقم من الجنائات بخصون حصينه فصار محصورا ومتمعا حاسرا ومتدعرا مواصلا ومنه قطعاه وعددهم الجمل قد كثر القتل ورفاههم الغلب قد طبعت النصل أشد ما طبعت النصل وأصيبنا بآثار فيهم المدة الطويلة وانكشف الثقل في استطاعتهم لآفي طاعتهم وفي أحوالهم لآفي شجاعتهم وكل من يعرفهم يناسد الله فيهم المناشدة النبوية في الصلابة البديري اللهم ان تملك هذه العصابة ويخلص الدعاء ويرجع على يد يسديني أمير المؤمنين الى اجابه وقد حرم باباها لعملة الله عليه وعليهم كل مباح واستخرج منهم كل مذخور وأغلقت دونهم الكنايس وليس باليسم الحداد وحكم عليهم أن لا يزالوا كذلك ان لم يستسلموا المتغيره فاعصية محمد عليه السلام أخلفه في أمته بما تهاطن به مضاجعه ووفه الحق فينا فاننا والمسلمون عندك ودائمه وما مثل الخادم ينهض في هذا القول الا لئلا تعبد لولم يكن له لوقف بالعتبات ضارعا وقبل زيارتها شاعها وتجاهها بالقرل صادعا ولورفعت عنه العوائق طاهر وشافه طبيب الاسلام لمسيحه بالداء الذي شامروا من عدو الاسلام أن يقول قولا آخر لسافر ولولا ان في النسر من ما بعد وعلى العدالة بالتصريح لقام ما يكي العميون وينكي القاروب ولكنه صابر محتسب منتظر لنصر الله من تقب قائم من نفسه ما يجيب رب اني لأملك الانفسى وهما هي في سبيلك مسذوله واخى وقد ساجر اليك شجرة تر جوهها مقبره ولدي وقد بذات

كتاب (١٥٨) الروضتين

لعدو له صعوبات وجوههم. وهان على محبوبك بكروهي فيهم ومكر وهم. وتقف عند هذا الحد ولله الامر من قبل ومن بعد.

(فصل) في الوعة العادلة على عكاظ يوم الاربعاء العشرين من جمادى الآخرة قال القاضي ابن شداد علم ذو الشأن العساكر قد تفرقت في اطراف البلاد وان الميمنة قد خفت لان معظم من سار كان متجهاً بمكر قرب بلادهم من طريق العدو فاجعروا اربهم وانفقت كلهم على انهم يتخرجون بغتة ويجمعون على طرف الميمنة فجاء مكر جروا واستخفوا طرف الميمنة وفيما تخيم العادل فلما ابصر الناس بهم صاح صائحهم ونخرجوا من خيامهم كالاسود من اجامها وركب السلطان وبادى مناديه بالاسلام وكان رجه اليه اول راكب واقدراً بته وقد ركب من خيمته وحوله نفر كبير من خواصه والناس لم يستم ركبهم وهو كالفائدة ولولدها الثاكة لواحدتها ثم ضرب الكؤوس فاجابته كاسات الامراء من اماكنها وركب الناس وسارع الفرع في قصص الميمنة حتى وصلوا الى الخيم العادل قبل استقام ركوب العساكر ودخلوا في وجاهه وامتدت ايديهم في السوق واطراف الخيم بالنهب والغارة وقيل وصلوا الى خيمة الخاص واخذوا من شرايعها ناله شياً وركب العادل واستر كمن يلمه من الميمنة كالطواشي قائما زالجحش وعصر الدين جردك النوري ومن يجري مجراه ووقف وقوف مخادع حتى يوغل بهم طمعهم في الخيم وبشغلا بالنهب وكان كان فانه عانت ايديهم في الخيام والاشنة والفواكه والطعام فلما عالج اشغاله لم بذلك صاح الناس وجعل بنفسه يقدمه ولله الكبر شمس الدين مودود وجعل يحمي من كان يلمه من الميمنة واتصل الامر بجميع الميمنة حتى وصل الصائح الى عسكر الموصل وهم على العدو هجمة الاسود على قرائهم وامكنهم الله منهم ووقعت الكسرة قعاقوا وشدون نحو خيامهم هاربين وعلى انقامهم ناكصين وسيف الله يقتل فيهم وصاح صائح السلطان في الناس يا ابطال الموحدن هذا وعد الله فقد امكن الله منه وقد ادخله المنع حتى غشي خيامكم بنفسه فيبادر الى الجاية ودعوه اهل حلقة وخاصة ثم عسكر الموصل يقدمهم علاء الدين ولعن الدين ثم عسكر مصر يقدمهم سقر الحجاب وتابعت العساكر وتجاوبت الابطال وقامت سوق الحرب فلم يكن الاساعه حتى رأينا القوم صرعى كانوا نخبنا زلزل خاوية وامتدوا مطروحين من خيام العادل الى خيامهم اولهم في الخيم الاسلامية وآخرهم في خيم العدو صرعى على التاول والوهاد وكان مقدرا اما في هذه القتلى بين الخيمتين فرسخا واربعا زاد على ذلك ولم ينج من القوم الا الانبار قال ولقد خضت في تلك الدماء بدائي واجتمعت ان أعدهم خاف قدرتي على ذلك لكثرتهم وتفرقهم وشاهدت منهم امر اثنين مقتولين وحكى لي من شاهد منهم اربع نسوة قتلاتن واسر من اثنان واسر من الرجال في ذلك اليوم نفر يسير فان السلطان كان قد أمر الناس ان لا يسيقوا احداهما كلفى الميمنة وبعض القلب واما الميسرة فهاهنا الصائح بهم الا وقد تجوز الامر وقضى القضاء على العدو قبل المساقين وكانت هذه الوعة فيا بين الظهر والعصر فان العدو ظهر في قائم الظهيرة وانفصلت الحرب بعد العصر وانكسر القوم حتى دخلت طائفة من المسلمين وراهم الى مخيمهم على ما قبل ثم ان السلطان أمر الناس بالترجع ولم يبق من المسلمين احد في ذلك اليوم سوى عشرة أنفس غير معروفين والاحس جند الله بعكا بما جرى بين المسلمين وبين العدو من الوعة فانهم كانوا يشاهدون الوقعات من أعلى السور خرجوا الى مخيم العدو من البدورى بينهم مقتلة عظيمة وكانت النصر والجد لله المسلمين بحيث هجموا خيام العدو ونهبوا منها جاعا من النسوان والاشنة حتى القدور فيها الطعام ووصل كتاب من عكا يخبر بذلك واختلف الناس في عدد القتلى منهم فذكر بعضهم ثمانية آلاف وقال آخرون سبعة آلاف ولم يتقصم حازر عن خمسة آلاف ولقد شاهدت منهم خمسة صفوف اولها في خيم العادل وآخرها في خيم العدو وقد قتلت انسانا عاقلا جند ياسي بين صفوف القتلى ويعمد قتله كم عددت فقال الى هاهنا أربعة آلاف وثيافا وستين قتيلا وكان قد عد صفين وهو في الصف الثالث لكن ما مضى من الصفوف أكثر عدد دامن الباقى قال جاء من العدو نجباء من حلب خمسة أيام مكاب يتبعون ان جماعة عظيمة من العدو والتمسوا يخرجوا بالنهب باطراف البلاد الاسلامية ونقض العسكر الحلبى اليهم واخذ عليهم الطرق فلينج منهم احد الامن شاء الله قال وجاء في ليلة ذلك اليوم من الذين لم تذكر ان العدو قد سأل من جانب السلطان ان يعزل اليهم ليعمع منهم حديثا في سؤال الصلح لضعف حل بهم ولم يرزل العدو من حيث لم يمسور

في اخبار (١٥٩) الدولتين

الجناح مناض الجانب حتى وصلهم كندة يقال له كندهرى وسماى ذكره وقال الامداد لما شاع عند الفرنج خبر وصول
 الى المانية قالوا الاوصل ملكهم ونكى في المسلمين انكسر ناموسنا وتطاطأت عند رءوسنا فذكر الواقعة بمعنى ما تقدم
 الى ان قال ووصل السلطان وشاهد من مساة الفرج ماسره وعرف لطف الله وبره ونوضره وعان هناك معاصر
 الاعداء ومشاع البلاء وكانوا مفرشين في مدى فرسخ على الارض وهم في تسعة صفوف من تلال الرمل الى البحر
 بالعرض وكل صف يزيد على ألف قتيل وشاع القتل في الفرع في كل قبيل وكانت هذه النوبة لاثابته وتلك الغزوة
 بلا ثابته وقتل منهم زهاء عشرة آلاف ولم يبلغ من استشهد من اتباع العسكر عشرة نفر واغنيها التجارة راجعه وغنية
 ميسره قال ولما عرفت بالواقعة والنصرة للجاسمه صدرت ثلاثين اواربعين كتابا بالبشارات بالبلغ المعاني وابرع
 العبارات وقتل اذا نزل السلطان وجدها الكتب حاضره ورأى البشارة شائره وركبت انا والفاضلي بهاء الدين
 ابن شداد لمشاهدة ما هناك من اشلاء مصرى واجساد غيا بجلى ما ملوا وعزوا وفروا وفروا وقد بقرت بطونهم
 وفقت عيونهم ورأينا امرأته مقلوبة لكونها مقاتله وسمعتها وهي خامدة بالعبه قاتلة وما زلتنا نطوف عليهم
 ونغير ونفكر فيهم ونعتمر حتى ارندى المشاي بالظلام فعندنا الى الختام واطلنا الوقوف على تلك الظاول الدارسة
 واستبشرت الوجود بتلك الوجوه العالسة وحزنناهم بعشرة آلاف قتيل لآخر كثير بل حزن تقليل وكان الذين حملوا
 ودمروا وقتلوا اقل من ألف فقتلوا اضعافا مضاعفة وعدم وامن وراءهم مساعدة ومساعدته وحكى من زاد رءوسه
 الواقعة ان فرنجيا عقر فينا الصرعة فغبرها ركب برزون فهر قب الفرنجي فرسه بسيف فيد فقتل بجمده مستقاف
 جده وقتل ذلك الفرنجي وروى من دمه الهندى وحصل من وسطه ثمانين ديناراً فانقلب ربحا بمساعدة خساراً
 وامتلأت الايدي بالاسلاب والاكساب وحصل من العدد ما لم يكن في الحساب وبعث الرزديان ذوات الايمان
 بالرخ قال وشرع الفرنجي في الخداع والمراسلة وسألوا في الصلح وانكسر السلطان في الخروج للنظر الى اولئك
 الصرعى بتلك الروج وهي قوتورمت وانتنت وجابت الشمس على جيفها وحافظت وضافتها القشاعم
 والحوامع وعليها طافت فساءهم ماسرنا ونفرهم ما اتروا

(فصل) قال الامداد وكان الرأي بعد هذه النصره ان نرد عليهم الكره مرة بعد مرة ان يملكوا حصره
 ويبعدوا فلا يبقى لهم حجر فاشتغل السلطان بما جاءه من المكاتبات بظفر التريكان وغيرهم بمسكن الامان خفاة
 الفرنجي بخدة من البحر ومدد اضعافا مانقص منهم من العدد والعدد فاضوا كان لم يتكبروا وبثوا مكائهم ولم يندبوا
 ووصل اليهم المعروف بالكندهرى ففتق الاموال واستخدم الرجال وانفق في عشرة آلاف راجل وأظهر انه
 يخرج الى لقاء عسكر الاسلام فتحوّل السلطان الى منزلة الخروبه ليوسع عليهم الدائرة ونصب الكند على عكا
 مخبئات كثيرة فاحرقها المسابون وقتل منهم من الفوارس سبعون وأسر عدة مفعروون ثم نصب مخبئين
 فاحرقا أول شعبان وكان الكند قد اتفق على احدثها ألفاً وخمسة مائة دينار ومن جملة من وقع في الاسر فارس كبير
 قائمهاوه حين أخذوه حتى قتلا ووثقوه فطابهم منهم الفرنج بالاموال ولم يعرفوا بالرجال فخرجوا اليهم قتيلا فكثر
 الفرنج عليه بعد العوريل عويلا وباثوا يندوبه نوحا ويذيعون سر تقدمه فيهم لرحا وحين وقعت أعينهم عليه قتيلا
 خروا بقوس الاموال وشرعوا على رؤوسهم التراب وقتل عليهم بسبب ذلك خدة عظيمة واكثر امره ولم يظهر
 احدا على سره واستصغر المسابون بعد ذلك امرهم وهم عليهم العرب من كل جانب يسرقون ويهونون ويقتلون
 وباسرون هسوا والكتب متواصلة من عكا اليها ومنها اليها على أجنحة الطيور وبادى السباح والمراكب
 المظف فرج ليللا وتدخل سارقة من العدو قال الامداد ووصل من ملك قسطنطينية كتاب يفتن استعظافا
 واستعظافا ويذكر غيبته من اقامة الجمعة في جامع المسلمين بقسطنطينية والخطبة فيه وأنه مستعز على المؤدة راغب
 في المحبة ويعتذر عن جوار الملك الاماني وأنه قد جفع في طريقه بالاماني ونال من الشدة ونقص العدة ما أضعفه
 وأوجاه وأنه لا يصلح الى بلادكم فتتبع نفسه أو يفتق ويكون مصرعه هناك ولا يرجع ويعوت بانه كاده وأنه قد
 بلغ في اذاه اجتهاده وبطلب رسولا يدرك به من السلطان سولا فاجيب في ذلك الى مراده ووقع الاعتدال بما
 ذكره من اعتاده وقال الفاضلي ابن شداد كان بين السلطان وبين ملك قسطنطينية مراسلة ومكاتبة وكان

مكتتاب (١٦٠) الروضتين

وصلى الله عليه وسلم إلى الباب الكريم السلطاني من حرم عيون سنة خمس وثلاثين في رجب في جواب رسول كان أنفذه السلطان بعد تسير الرعايا وأقامه قانون الخطبة في جامع قسطنطينية فغضى الرسول وأقام الخطبة ولقي باحترام عظيم واكرام زائد وكان قد أنفذ معه في المركب الخطيب والمذنبين والقرناء وكان يوم دخوله إلى قسطنطينية يوماً عظيماً من أيام الإسلام شاهده جمع كبير من التجار ورؤساء القبائل واليه المسلمون المقيمين بها والتجار وأقام الدعوة الإسلامية العباسية ثم عاد فعاد معه هذا الرسول بخبراً بنظام الحال في ذلك فأقام مدة ولقد شاهدته يبلغ الرسالة ومعه ترجمان يترجم عنه وهو شيخ من أحسن ما يقرض أن يكون من صنف المشايخ وعليه زعم الذي يهتم بهم ومعه كتاب وتذكروا الكتاب مختوم بذهب ولما مات وصل خبر وفاته إلى ملك قسطنطينية فأنفذ هذا الرسول في مهمة ذلك ثم وصف القاضي الكتاب وعبر عنه بالخطبة وقد عبر العباد عن معانيه فأثنى عن ذلك ثم قال وكان من حديث ملك الألمان أنه بعد أن استقرت قدمه في أنطاكية أخذ همام صاحبها وحكم فيه وكان بين يديه فيها بغداد وأمره وكان له أموال برقته فأخذ همامه مغيلة وخدبته وأودعها في خزائنه وسارعها خامس عشر رجب نحو عكا في جبهته وجوعه على طريق اللاذقية حتى أتى طرابلس وكان قد سار إليه من معسكر الفرس بلبقبة الرئيس صاحب صور وكان من أعظمهم حيلة وأشدهم بأساً وهو الأصل في تهيج الجوع وذلك أنه صور القدس في ورقة عظيمة وصور فيه صورة القمامة التي يتجوعون إليها ويعظمون شأنها وفيها قبر المسيح الذي دفن فيه بعد صلبه بزعمهم وذلك القبر هو أصل حجهم وهو الذي يعتقدون نزول النور عليه في كل سنة في عيدهم أعيادهم فصوروا القبر وصوروا عليه فرسا عليه فارس مسلم راكب وقد طوى قبر المسيح وقد بال الفرس على القبر وأبدى هذه الصورة وراء البحر في الأسواق والمجامع والقصور يجولونها ورؤسهم مكشوفة وعليهم المسحوق وينادون بالويل والويل للرب والويل للرب في قلوبهم فأنشأ أصل دينهم فيها في ذلك خلائق لا يحصى عددهم الله تعالى وكان من بينهم ملك الألمان وجنده فلقبهم الرئيس لكونه أصلاً في استدعائهم إلى هذه الواقعة فلما اتصل به قوى قلبه وبصره بالطرق وسلك به الساعدل خوفاً من أنه إذا أتى على بلاد حلب وجماها نزلهم المسلمين من كل جانب أوعى ذلك ليسوا من شن الغارات عليهم واختلاف جزال الناس لهم ولقد وقعت على بعض كتب الخبيرين بالحرب قد خرفا راسهم وراجلهم بخمسة آلاف بعد أن كانوا قد خرجوا على ما ذكر مما أتى ألف فأنظر إلى صنيع الله مع أعدائه ولما ساروا من اللاذقية يريدون جبلة وجدوا في أعقابهم ثيافاً وستين فرساً قد قطعت وانتزع لجهلهم لم يبق فيها إلا العظام من شدة الجوع وضعف الخيل ولما رأوا أسائرهم وأبدى المسلمين تخطفهم من حولهم فنبأوا أمرا وقتلا حتى أوطأ طرابلس فأقام بها حتى استجمع عسكره وأرسل إلى النازلين على عكا يخبرهم بقدمه وفوجوا من ذلك لأن الرئيس صاحب مشورته وكان الملك جفري وهو ملك الساحل بالمعسكر هو الذي رجع إليه في الأمور فعلم أنه مع قدوم الملك الألماني لا يبق له حكم وفي آخر شعبان نزل الملك الألماني في المراكب وهو عسكره فقاتل عليهم ربح أهلكت منهم ثلاثة مراكب وسار إلى القون إلى صور ثم وصل إلى عكا في نهر يسير في سادس رمضان وكان لقدمه وقع عظيم عندهم ووصل خبر وصولهم إلى طرابلس ثامن شعبان والسلطان ثابت الجاش راسخ القدم لا يرتفعه ذلك عن حراسة عكا والحماية لها ومراصدة العسكر النازل بها وشن الغارات والمجروح عليهم في كل وقت فتوسا أمر إلى الله تعالى ممتداً عليه به بسط الوجه لقضاء حوائج الناس مواصلاً بهم من نفذ إليه من الفقراء والفقهاء والمشايخ والأدباء ولقد كنت أذا بلغت في هذا الخبر تأثرت حتى إذا دخلت عليه أبعد عندهم من قوة النفس وشدة البأس ما يشهد صدري وأتقن معه نصر الإسلام وأهله

في فصل في إدخال البطس إلى عكا قال ابن شداد كان رحمه الله قد أعد تبرير وتبسة وعمرها وأودعها أربع مائة غرارة من التميم ووضع فيها من الجبن والبصل والتمن وغير ذلك من الميرة وكان الفرس قد أداروا أمرهم حول عكا حراسة لها عن أن يدخلها من كبل المسلمين وكان قد اشتدت حاجة من فيها إلى الطعام والميرة فركب في تبسة بيروت جماعة من المسلمين ويزوا نرى الفرس حتى حلة والحامهم ووضعوا الخنازير على سطح البتة بحيث ترى من بعد وعلة والصلبان وجازوا فاصدى البلد من البعد حتى خالطوا مراكب العدو فخرقوا إليها

واعتز بهم

في اخبار (١٦١) الدولتين

واعتزضوه في المراتف والشاوي وقالوا لهم نراكم قاصدين البلد واعتقدوا انهم منهم فقبوا اولئك ثم اخذتم
 البلد فقالوا لم تأخذ البلد بعد فقالوا نحن نرد الفلوق الى العسكر ووراءنا بطسة اخرى في هوائها فانذروهم حتى
 لا يدخلوا البلد وكان وراهم بطسة فرنجية قد اتفقت معهم في البحر قاصدين العسكر فنظروا فرأوها فصدوها
 ليسدروها فاشتدت البطسة الاسلامية في السير واستقامت لها الرمح حتى دخلت منها البلاد وسلبت وثله الجدد
 وكان قريبا عظيما فان الحاجة كانت قد اخذت من اهل البلد وكن ذلك في العشر الاواخر من رجب قال
 وفي العشر الاوسط من شعبان كتب اليه الدين قراقرش وهو والي البلد والمقدم على الاسطول وهو الحاجب اولو
 يدكر ان السلطان انه لم يبق بالبلد مسيرة الا قدر يكتفي بالبلد الى ليلة النصف من شعبان لا غير فامر سفيره
 في نفسه ومولاه بالخاص ولا عام خشية الشيوع والبارغ الى العدو فتضعف به قلوب المسلمين وكان قد كتب الى
 مصر بتجهيز ثلاث بطس مشحونة بالاقوات والادام والميرة مع احتياج اليه في الحصار بحيث يكفيهم ذلك
 طول الشتاء فالتعالت البطس الثلاث من الدار المصرية ولجيت في البحر ترحى النوبة بها الرمح فجعلها الى عكا
 فطابت لهم الرمح حتى ساروا ووصلوا الى عكا ليلة النصف من شعبان وقد فبت الارزاد ولم يبق عندهم ما يطعمون
 الناس في ذلك اليوم وخرج عليها الاسطول العدو وقاتلها والعساكر الاسلامية تشاهد ذلك من الساحل والناس
 في تمليس وتكبير وقد كشف المسان رؤسهم يبتلون الى الله تعالى في القضاء بلامتها الى البلد والسلطان على
 الساحل كالوالد الفاشكي يشاهد القتال ويدعو الماربة بنصره وقد علم من شدة القوم ما لم يعلمه وفي قلبه عافية
 قلبه والله يثبته ولم يزل القتال يعمل حول البطس من كل جانب والله يدفع عنها الرمح تشدق الاصوات قد ارتفعت
 من الطائفتين والله عافى حتى وصلوا بحمد الله سائين الى ميناء البلد وانفادهم اهل عكا تقي الامطار عن
 جذب وامتاروا عافوا وكانت ليلة ليال وكان دخولها في وقت العصر اربع عشر شعبان وقال العباد كان السلطان
 قد امر قواب الاسكندرية بتجهيز بطس كبار وتجهيزها من كل ميرة وغلة وتسديرها الى عكا فابطأت عن الميقات
 واضربا المقيمين بالبلد اعوان الاوقات خافك فيما يجعل به الغرض فيكتب الى متولي بيروت عز الدين ساحة بجهر
 بطسة كبيرة ملاهميره وغلة كثيرة وأمرها جماعة على زى الفرنج محسوسى اللبى محسوسى الحلى وأصبح صلبانا
 وخيلهم رهبانا وكانت هذه البطسة من الفرنج مأخوذة وهي بساحل بيروت منهودة فامر السلطان بترميمها
 وتجهيزها فخلت بالشهوم والحدوم وأمر بمائة غسرة غلة واجمال من النشاب والنفط ورتب فيها رجال مسجون
 ونصارى من اهل بيروت وأرادوا ان تشبه بطس العدو في البحر فشدوا زنا نير واستعجبوا خنازير وساروا بها
 في البحر فراكب الفرنج مخططين والى محاذاتهم ومخازنهم منبسطين ولما حاذوا بها عكاستوا بها فخرجوا والفرج
 تسوقها والفرنج من مراكبها تقول ما هذه طريقها وهي كالسهم النافذ قد سدد فوقها فدخلت النفر واجتراء
 البلد ما نصف شهر وظهروا رت رابع عشر شعبان من لبح البحر ثلاث مر اكب كائنا ثلاث هواضب فجاءت فجأة
 اعلامها كالاعلام طائرة كالسهم ولم تبال فراكب العدو وفرقتها وترتب من سفينة فترتها وعبرت وعين الكفر
 عبرى وامتلا النفر بها وائرى

(فصل) قال العباد ووصل ملك الامان ورام ان يظهر بمجيشه وقعا وبسدي نهقا فدنا الى راجل كرجل
 الدنيا وخيل اغضب الوهاد والرى وقروا من تل العياضه وعليه خيم البركية والنوبة فيها الحلقة المنصورة
 الناصرية والعصبة الموصلة فثار اليهم ودارت عليهم وركب السلطان وتقدم الى تل كيسان ولم يزل الحرب
 الى ان جن الظلام وكف الكفر وسلم الاسلام وكانت الدائرة على الكفرة قال القاضي وقتل منهم ورجح خلق
 عظيم والسيف يعمل في بقيتهم وهم هاربون حتى وصل الخميم غروب الشمس من ذلك اليوم وهو لا يعتقد سلامة
 نفسه من شدة خوفا وقتل من المسلمين في ذلك اليوم اثنان ورجح جماعة كثيرة ومن كتاب البغدادي قبل
 الاسلام منهم يقوم قد استطابوا الموت واستجابوا الصوت وفارقوا المحبوبين الاطوان والاطوار وهجروا
 المألوطين الاهل والديار وركبوا السج ووهروا الفرج كل ذلك طاعة لقسيسهم وامتثالاً لامر من كسبهم وغيره
 لمعبيدهم وحجة لمعتدهم وشال الكاعلى مقبرتهم وتقرت على قسامتهم لا يطالبون مع شدة الاملاقا ولا

كتاب (١٦٢) الرومانيين

يحدون مع كثرة المشاق ملالا بل يساقطون على نيران الفاي تساقط القراش ويقطعون الردى متدثرين الصبر مثبتي الجناش حتى خرجت النساء من بلادهن متبررات وسرن الى الشام في البحر والبر مخيفات وكانت منهن ملكة استنبتت جسمها مقاتل فارس وراجل ورايح ونايل والتزمت بؤنتهم فقصودهم من كسبها بقرن الاسكندرية فاختدت برجالها واراخ الله من شر احتفالها ومنهن ملكة وصلت مع ملك الالمان وذوات المقاتل من الفرس في منعمات مقارعات يجلبن الى الطعان الطوارق والقنطاريات وقد وجد في الوقعات التي جرت غدة منهن بين القشتلي وماعرفن حتى سلبن وان البابا الذي رومية قد حرم عليهم مطاعهم ومشاربهم وقال من لا يتوجه الى القدس مستخلصا فهو عندى محرم لا منسك له ولا مطعم فلاجل هذا يتهاقون على الورد ويتها الكون على يومهم الموعود وقال لهم في اصل في الربيع جامع على الاستنفار شمل الجميع واذا انقض هذا الملعون فلا يتعد عنه أحد ويصل معه باهله وولده كل من يقول ان الله اهل اولاد فها شرح هؤلاء وتعصبهم في ضلالتهم ولباحتهم في غوايتهم بخلاف أهل الاسلام فانهم يتصبرون ولا يصيرون بل يتغلبون ولا يتبعون ويتسلون ولا يرجعون وانما يكون بيذل شقته واذا حضر واحضر وايقوب غير متفقه فيعلم ان الاسلام عند الله منصور وان الكفر بارادة الله محسور ومدمر قال القاضي والماعرف ملك الالمان ماجرى على اصحابه من البركة الذي هو شرذمة من العسكر راى ان يرجع الى قتال البلد ويشغل بضايقتهم فالتفتهم الى آلات الجحيم والصنابع القربى ما هال الناظر اليه وخفف على البلد منه فيا أحدته آله عظمه تسمى دبابه يدخل تحتها من المقاتلة خلق عظيم ملسته بصفائح الحديد ولها من تحتها عمل تحرك بها من داخل وفيها المقاتلة حتى ينطع بها السور ولها رأس عظيم برقية شديدة من الحديد وهي تسمى كيشا ينطع بها السور يشد عظمه لانه يجرح عظيم فهدمته بركار نظها وآلة اخرى وهي قبو فيه رجال مسجوب ذلك الان رأسها محدد على مثال السكة التي يجر بها رأس الكيش مذور هذا يهدم بقله وتلك تدمر بحدتها وتقلها وهي تسمى سفودا ومن السائر والاسلالم الكبار لها آلة وأعدوا في البصر بطسقة غائلة وصنعوا فيها رجا يخترطوم اذا أرادوا قلبه على السور او قلب البحر كانت ويبقى طريقا الى المكان الذي ينقلب عليه يمشى عليه المقاتلة وعزموا على تفرينه الى برج الذبان لياخذوه به قال (واصب العدو على البلد المجنحيات هائلة حاكمة على السور وتوازرت حجارها حتى أثرت فيه ابرائيسا وخفف من غائلته فاختدسهم من البحر العظيم وحرقت نصلها حتى بقيا كالشعلة من النار ثم رمى بها في البحر حتى الواحد فلقا فيه واجتهد الهدوى اطفاء النار فلم يقدر على ذلك وهبت ريح شديدة فاشتعل اشغالها عظمها وانصلت طيرته بالاشرف حرقته واشتدت نارها بحيث لم يقدر احدا من بقرب من مكانها ليجتال في اطفائها وكان نومها عظيما اشتد فيه فرح المسلمين وغم الكافرين) قال (ومن نوادر هذه الواقعة ومحاسنها يعني نوادر ما جرى في القتال على عكا ان عواما مسلحا كان يقال له عيسى كان يدخل البلد بالكتب والنفقات على وسطه ليلاعلى غيرة من العدو وكان يغوص ويخترج من الجانب الاخر من مراكب العدو وكان ذات ليلة شدد على وسطه ثلاثة ايكاس فيها ألف دينار وكتبه بالعسكر وعام في البحر جرى عليه أمر اهلكه وابطأ خبره عنا وكانت عادته اذا دخل البلاد طائر عرقنا بصوله فاطا الطائر فاستشره لعله فلما كان بعد ايام بينا الناس على طرف البحر في البلد واذا البحر قد قذف اليهم ميتا غرقا فقدوه فوجدوه عيسى العوام وجدوا على وسطه الذهب ومشع الكتب وكان الذهب نفقة المجاهدين فبارئ من اذى الالمان في حال حياته وقد رآه الله اداءه بعد وفاته الا هذا الرجل وكان ذلك في العشر الاواخر من رجب ايضا) وقال العماد فقهني عيسى ولم يسمع له خبر ولم يظفر له أثر فظنت به الظنون وما تنقبت المذنون وكانت له لاشك عند الله منزله فلم ير ان تبقى حاله وهي مجهلة بحتمه فوجدني عكا ميتا قد رماه البحر الى ساحلها وبرأ الله ما قالوا فذهب حق اليقين من الظنون بساطها

(فصل) في احرار ما حصر به برج الذبان وبحرق الكيش قال القاضي وفي الثاني والعشرين من شعبان جهز الدعاء لله بطلنا متعددة لبحار برج الذبان وهو برج في وسط البحر مبنى على الصخر على باب ميناء عكا تحرس منسه الميناء ومتى عبره المركب امن من غائلة العدو فاراد العدو اخذهم ليقب الميناء يحكمه ويقمع من

في أخبار (١٦٣) الدولتين

دخول شيء من البطس اليه فتنقطع الميرة عن البلد فجعلوا على صواري البطس برجا وملأوه حطباً ونفطاً على أنهم يسبون البطس فإذا برزت برج الذبان ولا حقت ما حرقوا البرج الذي على الصاري والصفوة ويرج الذبان يلقوه على سطحه ويقتل من عليه من المقاتلة ولا يأخذوه وجعلوا في البطسة وقوداً كثيراً حتى بلى في البرج إذا اشتعلت النار فيه وجعلوا بطسة ثانية وملأوها حطباً ووقوداً على أنهم يدفعونها إلى أن تدخل بين البطس الإسلامية ثم يلهبونها فتحرق البطس الإسلامية ويحرق ما فيها من المبر وجعلوا في بطسة ثالثة مقاتلة تحت قبو بحيث لا يصل اليهم نشاب ولا شيء من آلات السلاح حتى إذا أحرقوا ما أرادوا أحرقوه دخسوا تحت القبة وقاموا وأحرقوا ما أرادوا وأحرقوه وقدموا البطسة نحو البرج المبدد كوروكان طمعهم مشد حيث كان الهواء مسعداً لهم فلما أحرقوا البطسة التي أرادوا يجرقون بها بطس المسكين والبرج الذي أرادوا يجرقون به من على البرج فأوندوا النار وضرر بها فيها النفط فانهكس الهواء عليهم كما شاء الله تعالى وأرادوا اشتعلت البطسة التي كان فيها البرج بأسرها واجتهدوا في إطفائها فما قدروا وهلك من كان بها من المقاتلة إلا من شاء الله تعالى ثم احترقت البطسة التي كانت معدة لأحراق بطسنا ووثب أصحابنا عليها فآخذوا منهم وأما البطسة التي فيها القبة وقامهم أن يجروا ونافوا وجرأوا واختلجوا واضطربوا اضطراباً عظيماً فاقبلت وهلك جميع من بها لأنهم كانوا في قبو لم يستطيعوا الخروج منها وكان ذلك من أعظم آيات الله تعالى وأنذر الجاهل في نصرته دين الله ولله الحمد وكان يوماً مشهوداً وقال العماد وعندنا مشاعكافي الجبرج يعرف برج الذبان وهو في حراسة المشاعظيم الشأن وهو معروف عن البلد محجى بالرجال والعهد وقصد الأفرنج حصاره قبل مجيء ملك الألمان في الثاني والعشرين من شعبان يبطس كارجزوها ومرا كعب نظام الألات أبرزوها ومكرهوه ودير ديرو واحدة تلك المرا كعب كبرج فوق صاريه لا يظلموه طود ولا يباريه وقد حشى شياهه بالنفط والحطب وضيق عذته بسعة العطب حتى إذا قرب من برج الذبان والتصق بشراقاته أعدى إليه بأفاته ورمت فيه النار فأحرق واحترق من الأخشاب والستائر ما به التصق واستولت النار على موافق المقاتلة فقتلوا عانها ولم يبقروا منها وأوقدت بطسة الحطبة التي من وراءها وعادت على الفرج فالتهموا وحجى عليهم الحديد فاضطربوا واضطربوا وانقلب بسهم السفينة فاحترقوا وغرقوا والناس جرح منهم فارقوا وغرقوا ولم يبقروا وأحقى برج الذبان فلم يطر عليه من بعدهم أذاب ولم يفتح للعدو في الكبد الباب ومن كتاب إلى سيف الإسلام بالين (ومن حديث هذا البرج أنه يحيط به البحر من جوانبه وهو قفل مينا الشرف على مركبه وقدر فغناه وأعلنه بالعدو والجال فوبناه فهدوا إلى أكبر داسة واتخذوا فيها مصقلاً كأنه سلم وهو في مقدمه امر كبر مقدم وقد جعلوا بحيث إذا قرب إلى البرج ركب رأس السلي على شراريفه وصعد الرجال إليه في تجاوبه وتعبوا في ذلك أياماً واشبهوه توثيقاً واحكاماً حتى إذا التصق بالبرج الصقت به قوارير النفط وتوالت أمطار البلايا من الجروح والمخبطات على أولئك الرهط ثم عمل الفرج برجا عاليه في أكبر مركب وحشوه بالحطب وعملوا على رأس صاريه مكاناً يقعد فيه الزراف وقد موه إلى برج الذبان وسلطوا على جوانبه النيران فأهبط الله من مهب لطفه كجاء تكبت النار عن البرج المحروس وكبت الفرج على الوجوه والرؤس قال القاضي وفي ثالث رمضان زحف العدو على قنبلتي خالقي فأهبطهم أهل البلد حتى تشبثت باليباط طمعهم فيه وسحبوا إلىهم المذكرة حتى قاربوا أن يدهقوا بالأسور ويحصل منهم في الخندق جماعة عظيمة فاطلة وأعلمهم الجروح والمجانيق والأسهم والنيران وصاحوا صيحة إلى رجل الواحد وفتحوا الأبواب وهجموا على العدو من كل جانب وكسبهم في الخندق فغرقوا ووقع السيف ابن يقي في الخندق منهم ثم هجموا على كبشهم فالقوا فيه النار والنفط وتكننوا من حرقه لرب المقاتلة عنه فأحرق حريقاً شديداً وأظهرت له طيبة نحو اسماء وأرقتت الأصوات بالتكبير والتمليل والشكر وسرت نار الكبش بقوتها إلى السفود فأحترق وعلق المسلمون في الكرش الكلا ليل المسديد المصنوعة في الأسل فصبغوا ودوا شمل حتى حصلوا عندهم في البلد وكان من كامن آلات هائلة عظيمة والتي الما عليه حتى برح حديد بعداً يامو بلغنا من البلد أنه وزن ما كان عليه من الحديد فكان مائة قنطار بالشان والقنطار مائة رطل ولقد انفرد رأسه إلى السلطان ومثل بين يديه وشاهدته وقلبه وشكاه على مثال السفود الذي يكون بحجر المذار قبل أنه ينطح به السور فيدمها بلا يقه وكان

كتاب (١٦٤) الروضتين

ذلك من أحسن أيام الإسلام ووقع على العدو خذلان عظيم ورفعوا مسلم من آلانهم وسكنت حركاتهم التي ضيقوا قباينة قائمهم وقال العباد واستأنف الفريق على دبابه هائله وآلة القوايل غائلة في راسها شكل عظيم يقال له الكباش وله قرنان في طول رجبين كالعمودين الغليظين وعنده الدبابية في هيئة الخسريشت الكبير وقد سبقوها مع كشيها بأعدة الخندق ولبسوا رأس الكباش بعدا لحديد النحاس فلم يبق للدار البأسبيل ولا للعطب عليها دليل ومؤوها بالأسكة والرماة ومحبوها وقرىوها فجاءت صورة من بحجة وبلى البلد منها بالبلاء الأفاعع وقالوا ما في دفعه حاجيله ولا مطيع نصموا على صوبها بجانبى ورموا بالجاراة الثقيلة ذلك التيق فابعدت رجالها من حولها ثم رموها بحزم الحطب حتى ما بين القرنين وقد قدوها بالذراف باقوا يطغى منها بالخل والخمر وقد تمكنت النار من اضلاعها ثم خسفها المجنبي حتى خرج من بالثغر فقطعوا رأس الكباش واستخرجوا ما تحت الرماة من الحديد بالنش وقدر ما نهب من الحديد بمائة قطار وعلى الفريق ان اعالمهم حبط وآمالهم هبط وكان ذلك في ثالث عشر رمضان وفيه قدم الظاهر صاحب حلب والامجد صاحب بعلبك وسابق الدين عثمان صاحب شيزرو عز الدين ابن المقدم والامير حسام الدين حسين بن ريارك وجاعة من الامير ابو الخواص والمالك

(فصل) في حوادث أخرمة ترقى في هذه السنة قال العباد ووصل الخبر في سادس عشر رمضان من حلب ان صاحب انطاكية اغار على غرة نشره وشره فرتب أسحا ناله كدبا ثم خرجوا عليه شهالا ورموا فقتلوا أكثر ناله وألفت وباله في وائله قال القاضى نخرج عليه ثواب المالك الظاهر فقتل من عسكره خمسة وسبعون نفر وأمر منهم خلق عظيم واستعصم بنفسه في موضع يسمى شيخ حتى اندفعوا وسار الى بلده قال وفي اثناء العشر الاوسط القت اليه بطستين ففهم ارجل وصبيان ونساء وميرة عظيمة وغنم كثيرة فاعمد بن نحو العدو ونغمها المسجون وكان العدو قد ظفر شيا ببركوس فيمنعة فمرو رجال اراد الدخول الى البلد فآخذة فوقه الظفر بها تين البطستين ما حبال ذلك وجابر له قال العباد في هذا التاريخ قتلت الرمح الى ساحل رتب بطستين خرجت من عكبا جماعه من الرجال والصبيان والنساء وفيه امرأة محشمة غنمة محترمة فاخذتوا وأخذوا أخذت وجد الفريق في استنقاذها فاستنقذت قال وفي تاسع عشر الشهر رحلنا الى منزلة تعرف بشفرع وسبده انه كثر المستأمنون من الفريق وخبر وانهم في عزم الخروج الى الحج هاجموا الى النصارى ثم رتب الى الهبياء فاستشار السلطان أمراء فقيلوا الصواب ان نضع لهم عن هذه المروج حتى يكون دخولهم اليها يوم الخروج فنصحبهم في اليوم الاخر ولا يتعذر بهم احدى اذ القساكر نفهمنا هناك ورجبت المنازل وعذبت المناهل وعادت معال ذلك الجاهل وحللتنا الللال والاسكام وركزنا تلك الاعلام الاعلام ونزلنا لقام الشتا مستعدين ولا سباب التوفى من الامطار مستعجدين قال ومرض زين الدين صاحب اربل في شهر رمضان وتوفى في الثامن والعشرين منه قال القاضى وكان استأذن في الراح فلم يؤذن له فاستأذن في الانتقال الى المناصرة فاذن له فاقام بها أيام مرض نفسه ثم توفى وعنده أخوه مظفر الدين يشاهده وحن الناس عليه المكان شبهه وغربته قال العباد وكان كرميا رجبيا جوادا سخيا وبكرنا الى مظفر الدين نغز به في أخيه وظننا به الخزن قتلنا نغزته ونسله فاذا هو في شغل شاغل عن الغراء مهم بالاحتياط على ما خلفه أخوه ثم ركنه من الاشياء والاشياء وهو الساس في غنم أخيه المتوفى وقد اشرف على حفظه ووافى وقد قبض على جماعة من امرائه واعاقبهم وبجل عليهم وما أعظمهم من صامم الدين بن بلدا حتى متولى خفيما كان ليسلم منه المكان وكذلك كل حاضره حصن ليحصل له من طاعته امن وخطب في اسباب ولاية اربل واعمالها وان يستقل بيلادها واموالها ورغب في شهر زور واستضافتها لاستنارة وجاهته بها واسعة فاضتها وانه ينزل على حران والرها وسعياط والموزر وبجل كل ما في يده من الاعمال في المورق ويحمد بجمسين الف دينار يحضره هانقا ويلتمز بها على الميثاق عقدا فاجبت رغبته واصيبت طلبته وعقد لواءه ونجح رجاؤه واراد سرعة الرحيل فاستهل الى حين وصول الملك المظفر تقي الدين لترك في منزلة يصنعه وصحبه الميامين فوصل يوم الاحد ثالث شوال واصطف اليه ما استعبد من مظفر الدين من الاعمال وكتب مشارا رابل وكأب الى صاحب الموصل فيه (لا شك في احاطة العلي باقتال زين الدين الى حوار الله ومقر رجبته مجاهد في سبيله شاكر الزعمته وهو من السعداء الذين اتزل الله تعالى فيهم ومن يخرج من يشه

مهاجر الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله فما بلغ القلوب بصاحبه وما انكى في النفوس افول
 شيابه ولقد كانت الهمة متوفرة على تربيته وعلاده ودرجته ولكن الله تعالى استأثر به قبل ظهور حسن الانبار في
 ابشاره وبني بدره التمسره واصبح في صميم البسلى من اسراره وهذه اربل من انعام البيت الكريم الانباري
 على البيت الزينى مدسعين عاما لم يتجاولوا اعتقاد انعامهم بانظاما ولم يزيدوا الاحكام الا احكاما وابراما وما رأى ان
 يخرج هذا الموضوع عنهم وان يصدق به عنهم والامير الاجل مظفر الدين كبير البيت وحاميه والمقدم في الولاية
 بقهضى وصية آية وقد انقض بسنده سداخيه قال وكان الملك المظفر تقي الدين متوليا ما مدسسين اعمال ميا فارين
 فطلب من عمه تفويض كل ما وراء الفرات اليه والاعتماد فيه عليه فأنعم عليه بذلك فاقام عندنا بالوزارة المظفرية امر
 ان يؤذن له في المضى الى تلك الولاية وسير نوابه اليها ليقام عاها على شعبة الرعايه قال ولما أحس العسكر
 الشرقي بالشتاء أبدوا خلق السامه وصنجر وامن الاقامه واما عاد الدين صاحب سنجار فانه عرف كراهية السلطان
 افراده فلم يجر الاعلى وفاقه وأما صاحب الجزيرة سنجر شاه فانه استطل المقام واباه ودخل يوم عيد الفطر على
 السلطان فقبل بده وردعه من غير سابقه الاستئذان فاغضبته انتصالة وساء ارتجاله وكان تقي الدين واصل فلق
 صاحب الجزيرة فاصلا فردّه عن طريقه وجد في تعويقه ورجع به الى الرضى وعفا الله عما مضى وقال
 القاضي تردت رسله ورفاهه الى السلطان في طلب الدستور والسلطان يعتذر بان رسل العدو متكررة في معنى الصلح
 ولا يجوز ان ينقض العسا كرتى تبين على ماذا يفضل الحال من سلأ وحب فلما كان يوم عيد الفطر دخل على
 السلطان وهو ملثا بالحشم وقيل بده ونج وسار من ساعتى وتبعه أصحابه فلما بلغ السلطان صنيعة كتب اليه (انك
 انت قصدت الانتماء الى فى الابتداء ورا جعتنى فى ذلك مراهرا واطهرت الحنية على نفسك وبلدك من اهلك فقبلت
 واوبك ونصرتك فسطت بك فى اموال الناس ودمائهم واعراضهم فنفذت اليك نهيته بك عن ذلك مراهرا فلم
 تنبه فانتهى وقوع هذه الواقعة للاسلام فعدوناك فانبت بعسكر قد عرفته وعرفه الفاس واقتدها باليد
 وقلقت هذا القلق وتحررت بك هذه الحركة وانصرفت عن غريب نفسك وعن غير فصل حال مع العدو فالتظسر
 لنفسك واصبر من تلقى اليه غيرة واحفظ نفسك من يغصك فأتى الى جانبك التفتات) وسلم الكتاب الى
 نجاب فلحقه قريبان من طبرية فقرأ الكتاب ولم يلتفت وسار فلقبه تقي الدين عند عقبة فيق فآخيره بامر وعتبت
 على السلطان كيف لم يتعلم عليه ولم يأذن له فى الراح ففهم تقي الدين انتصالة عن غير دستور من السلطان فامر
 بالرجوع وقال أنت صبي ولا تعلم غائلة هذا الامر فقال ما لك شئى الرجوع فقال ترجع من كل بدم غير اختيارك
 وكان تقي الدين شديد البأس فقد اما على الامور ليس فى عينه من أحسن شئ فلما علم انه فاضله لم يرجع معه
 وسأل السلطان الصفيع عنه ففعل وطلب ان يقيم فى جوار تقي الدين خشية على نفسه فاذن له فاقام فى جواره الى حين
 ذهابه وقال العماد فى الفتح وطل على الملك عماد الدين صاحب سنجار المقام وجد فى الاستئذان فى الرحيم بل
 منه الاهتمام وتقرر لاله وتكرسوا له فكتب اليه السلطان (من صاع مثلى من يديه فليت شعري ما استفاد)
 فلما قرأ هذا البيت مارا ح فى الخطاب ولا غادى وقال فى البرق وفى مستهل ذى القعدة أذن لعلاء الدين خرم شاه ابن
 صاحب الموصل ونعت بالملك السعيد لما تفرس فيه من امارات السعد وأقام بعده عماد الدين وابن عمه مع الدين
 سنجر شاه وهما صاحب سنجار والجزيرة وجبوا بالحياه والوافر والعطا بالانزيرة وما فارقا الا فى السنة الاخرى فى ثالث
 صفر قال وغلغ الاسعار عند الفريخ حتى بلغت القرارة أكثر من مائة دينار والاسمر من الزيادة لديهم فى استعثار وبلو
 بامور صعبه وهرب اليهم من عصبية بعد عصبية فاستأمنوا اليه الفط جوعهم وانشاء وعاندنا لمر غيوا رجوعهم
 فقم من أسل فحسن اسلامه ومنهم من خدم فوافى استخدامهم ومنهم من حن الى الله فرجع القهقرى الى خطفه
 (فصل) كان القاضي الفاضل رحمه الله تعالى فى هذه الاوقات بالدار المصرية برتب السلطان أمره
 باحسن عباراته مشيا واناصحا ومسلما وباستحسان مصالح الاسلام متقصيا فمن بعض كتبه (الملك ينهى ان الله

كتاب (١٦٦) الروضتين

فعلى لا ينال ما عنده الانبعاثه ولا تنزع الشدايد الا بالرجوع اليه والا لا تمثال الا لشرعيته والمعاصي في كل مكان باديه والمظالم في كل موضع فاشتمه وقد طلع الى الله تعالى منسألا لا يتوقع بعدها الا ما يستماد منه وقد أجرى الله تعالى على يد مولانا من فتح البيت المقدس ما يكون بمثابة الله له بحجة في رضاه ونعوذ بالله ان يكون حجة عليه في غيبه بلغم الملوكة من كل واردمه مكتوبة ومحاطبة بانه على صفة شمس منها الاجساد وتضلع بذكرها الاكباد والملوك لا يتعرض لتفضيل مابلغة من ظهور المنكرات في اتباعه وشيوع المظالم في ضياعه وخراب البلاد وعدم القدرة على المزمة لقبه المعخرة والسجدة الاقصى وبالغفلة عن من منتمها وبفقد هيا في اشدة القدس العظيمة الجلية المتلحمة لا يؤمن سقوطهما واقتضاض القدرة في الجزع عن اعادتهما والمرمة اقرب تشا ولا من الانشاء والتجديد ولا شبهة ان مولانا عز نصره في اشغال شاغلة وامور متشدة وقضايا غير واحدة ولا متعدده ولكن قد ابلى الناس قصيرا واضحيرتم الايام فما ضحيرا وأي عبادة أعظم من عبادته التي قام بها والناس عنها قعود وصبر على طلب جنته على ناري الحرب والوقت ذوا في التودد غير ان مولانا اذا ذكر نصيبه من الاقدام فلا ينسى نصيبه من الجزر ولا يجهل في الامور الخطيرة ولا يقدم بالعدد القليل على العدة الكثيرة فاقول اذا قبل كان واحدا واذا اذبر كان قوما بجميع الخلق ولا يطمع بان يقوم به الاثب وليذكر المولى نوبة الملة التي كان وقوعها من الله سبحانه ادب بالاغضاب وقوفها لا انقافا ولا يكره المولى ان تطول مدة الابتلاء بهذا العدو فتوا به بطول وحسناته تزيد وأثره في الاسلام يبيق وتوسحاته بحسنة الله اعظم موقعها والعاقبة لا تقوى وليصبرن الله من ينصره والله تعالى يشكر مولانا جهاد يده وبرايه وولائه وخصامته وبعامة جندته واعداد في اعدائه لجهاده بصاحب صدق القريحه في وجهه قد أدرك في نفسه راي المولى فوجع والحديد بالحديد يفلح واكيد ما قبل به العدو سلاحه واسرع جناح طارقه فتنصه جناحه ودولة مولانا كالحجر كرمنا وظهور عجائب وكالسما عطر واسنة كواكب ومن كذب آخر (الملوك يقبل الارض بين يدي مولانا المالك الناصر لطف الله بقلبه وحمل عنه قوسه ووصل الراحة به ونسأل ان يرجه لنا الذي رجناه فقد بلغت منا الخناجر القلوب وقد وقت في طرفة الزنوب ويبلغن ننظر من كتب المولى ما يستدل به على ان قلب المولى قد طباق وقصد العدو قد خاب اذ ترددت كتب بكون الوقوف عليها فاطع الا بكاد ومقتل القلوب ولو انها جهاد ثم ذكر البطاس الذي تقدم ذكرها الواسلة الى عكاليه نصف شعبان فقال (وبينا نحن نعتقد ان البطاس في عكا وصل الخبر بانها في دمياط ويرم وصل الخبر بانها في دمياط نحن على انتظار خروجهامنه وكتب البطاس في الاستيصال والتجديع وتجديعهم من غمادي المقام وماتية قنا اخرجت امهم باقية كان الرمي في بيت ما خرجت منه من هاتين الجمعتين وهما من تاريخ خروجهما من الاسكندرية والى تاريخ تسيطر هذه الخدمة خمسة عشر يوما والعيون ممدودة والايدي مرفوعة بان يفرج الله عنا وعنكم برصو فها نحن في هذه الايام فما واصل المسايين ومن نام ملء عينه فما هو من أخوة المؤمنين والملوك شقيق على البطاس في وقت الدخول حذر ان يعترض العدو طر يقها فيقول ينها وبن الوصول فيه تكس المراد بها ويجحد من المضرة بعمر مانها اضعاف ما يجحد من النعمة بالفرج المسير فيها وكده هذه الحال في نفس الملوك وقوفه على كتب أعجبتنا من عكا وقد وقع لهم هذا الواقع الذي وقع للملوك من خوفهم عليها واستبعادهم دخولها فاما الملوك وكل من يعرف الامر الا كاهل الصراط رب سلم رب سلم فنسأل الله سبحانه ان لا نكننا الى انفسنا نفخجج والى الناس فنضيق ويجحد أسهل الارض قد انتهى وبقي ما بقله الله والخير منتظر منه والفرج بالقوت قدس في الجسر من خمسة عشر يوما والفرج بالذقة قدس في الزمر عشرة ايام والله يامولانا ما تخرج شع من هذه الامور الا بان تضرب الوجوه بالشوك وتسيح الجحارة ويذهب النوم وتغيا الاضواء من التسد كارو فخي الاقلام من الكتابة ويحضعان يلزمه الشغل كالحضوع لمن لا يلزمه والله المستعان فليخلص المولى نيتة في الاستعانة والا عوان قليل

وقد كانوا اذا عدوا قليلا * فقد صاروا اقل من القليل

ومن كذب آخر (وما يجحد للعدو من الشرع في آلات الحصار عكا والرجف به من التجديد الفرع فيجبت بين الواسلة والبعيدة واقترا في هذا الوقت للضرورة انما السك الشرفي المستور للفرع فيجبت بين الاتفاق الى ما لاسعه التدبير ويضيق عنه الامكان ومطالبة الغنى بازياة الغنى والضيق بكثر ما يحتاج اليه وضيق

فرصة واختلاف رأي بين المشاورين من الجماعة وجود الالسة بالاراء وبخل الايدي بالمعونة وانفراد المولى بالكتب واشتراك الناس في الراحة وما يتبلى به المسلمون من مرض أظهره ليكون لهم عذرا في التعود وكمية المولى على نفسه فيجب لا يحجبنا ضعف النفوس فهذه الامور وان كانت شدايد وزادت على العوائد فقد اهدم الله مولانا فيها سعة الصدر وحسن النصر ليشعر ان صبره بعقبه النصر وحسنه بعقبها الاجر ولولم ير الله تعالى ان قوة مولانا اكمل القوى وعززه او ثق العرى لما أهله لان يصبر مهلة لا يعرف المسالك غير الله يصبرها وغير مولانا يباشر النصره ويحضرها فليس الا لتخبر دلل دعاء والتجمل لاقضاء فلا بد من قدره فعول ودعاه مقبول ومن الامثال المنظومه

نحن الذين اذا دعوا لم يبطروا * يوم الهياج وان عوا لم يضجروا

ومعاذ الله ان يفخ علينا البلاد ثم يغلقها وان يسلم على يد بشا القدس ثم يصبره ثم معاذ الله ان تغلب على النصر ثم معاذ الله ان تغلب على الصبر واذ كان ما يقدم الله اليه المالك قبل المولى لا بد منه وهو واقعا الله سبحانه فلا نلقاه والجلنا خبر من ان تلقاه والخلة علينا فلا تعظم هذه التفوق على مولانا فبهر صبره وتلا من صدره فلا تمزقا وتدعوا الى السلم وانتم الاعوان والله معكم وهذا على دين ما غلب بكمثرة ولا نصر يثروه انما اختار الله تعالى له ارباب نبيا وذوي قلوب معه وحالات فلا يمكن المولى نعم الخلف لذلك السلف لقد كان لك في رسول الله اسوة حسنة (واشتد ازمة تنفرج) والغمرات تذهب ثم لا تجبي والله تعالى يسع الاذن ما يمر القلب ويصرف عن الاسلام وأهله غاشية هذا الكرب ونستغفر الله العظيم فانه ما يتبلى الا بذنب ومن كتاب آخر (يا مولانا علم ان الله تعالى قد فعل للما فعله لنفسه ودل على لطفه بك كاذل على قدرته فانه تعالى خلق الخلق من غير مادة واقام الامم بغير عمد وكذلك فعل الله بك خلقك بغير شبهة في الملوكة كرامودينا وسهل لك من مصر ما لا من غير جهة وحي من مملأ بالغير جند وسكن فيها رعية بغير ولاية فاشكر الله ولا تحقر خدمة من يبيع الانفاس والنوم والراحة اجتمدا فاجبار يحسن ويتخفف عنك ثم لا يرد العوض منك انما يريد من الله عنك لان خدمتك طاعة له والوجود التي وقعت الاشارة اليها احضنا فيها وفي غيرها واجدنا اكثر ما بلغنا اليه يا مولانا ليس لك في مصر الا التفرغ مما علمت في هذه السنة لا بقدر عن مجال ما سير اليك من الاساطيل ان الله اخذ بيد الكرم والمعونة بحسب المؤونة فليمن المولى العافية من الحساب فشتان ما حساب من كذا الذهب والفضة ولم ينقها في سبيل الله وحساب من قال بيده هكذا وهكذا في سبيل الله) ومن كتاب آخر (وما في نفس الملوكة شائبة الا بقية هذا الضعف الذي يجسم مولانا فانه يقولوننا وتقديه باسماءنا واصارنا

شامعشر الخدام ما بك من أذى * وان اسقوا ما اقول في وحدي

ومن كتاب آخر (انما أتيتكم من قبل انفسنا ولو صدقنا ليجل لساعوا قب صدقنا ولو اطلعنا لما عاقبنا بعدونا ولو فعلنا ما تقدر عليه من أمره لفعل لنا ما لا تقدر عليه الا به فلا يستخفهم أحد الا في ولايم الانفسه ولا يبرح الاربع ولا تنتظر العساكر ان تصكث ولا الاموال ان تحصر ولا فسلان الذي به تقدر عليه ان يقاقل ولا فسلان الذي ينتظر ان يسير في كل هذه مشا غلب عن الله ليس النصر بما ولا نأمن ان وكلنا الله اليها والنصر به واللفظ منه والعادة الجارية له ونستغفر الله سبحانه من ذنوبنا فاولا انهم اسد طري دعائنا فكان جواب دعائنا قد نزل وقض دموع الحاشية من قد غسل ولكن في الطريق عائق خار الله مولانا في القضاء السابق والا لاحق (وفي كتاب آخر وصف فيه الملك العزيز عثمان بن السلطان ثم قال (ولو شاهد مولانا اليوم شخصه الكريم وصورته الجليل ونفسه الطاهرة ونظرة المارقة وصحته الحليبه وسكون حر كانه الموزونة خلعت عليه فؤاده ووهبه عينه ورقاده ولقد رى المولى عرصات القيمة وثواب فراقه له لوجه الله اعظم من ثواب جهاده في سبيل الله وان ايماننا به عن ذلك الولد الكريم الكريم وان ايماننا اسلي عن ذلك الملك العظيم العظيم) ومن كتاب آخر (وعسكرا لا يشكو والجلد منه ثورا وان يشكو منه ضجيرا والقوى البشرية لا بد ان يكون لها حد والاقدار الالهيه لها قصد وكل ذي قصد شامد قصدها وواقف عند حدها وانما ذكر الملوكة هذا ليرفع المولى من خاطره مقت المتعاضد من رجاله كما ثبت في شكر المسارع من ابطاله قال الله تعالى فاعف عنهم واستغفرهم وشاورهم في الامر يا مولانا ليس الله تعالى اطلع على قلوب أهل الارض فلم

كتاب (١٦٨) الروضتين

يؤهل ولم يستصلح ولم يستعمل ولم يستخدم في إقامة دينه وأعله كله مودة وبذل طاقته وجاهة شعاعه وحفظ قبلته ومجديه إلا أنت هذا بؤى الأرض من هولاء وقرباه ومن له الملكة ورأته ومن له في المال كثرة ومن له في العدد ثروة فاقدهم وإفانك وكسلهم ونشاطك وقصصهم وبسطك وحجب الدنيا إليهم وبغضهم إليك وصعب عليهم وهو نعيم عليك وأمسك أيديهم واطلق يدك واغمد سيفهم وجر دسيفك واشقاهم وانعم عليك وثبطهم وسبك ولواراد والفرج لا عدوا له عدة ولكن كره الله ابتعائهم فنبطهم وقيل أقعدوا مع القاعد بنعم وأخرى أهم من الأولى انه لما اجتمعت كلمة الكفر من أقطار الأرض واطراف الدنيا وغرب الشمس ومن خراج البحر ماتا آخر منسهم متأخرا ولا استبعد المسافة بينك وبينهم مستبعد وخرجوا من ذات أنفسهم الخبيثة لأموال تنفق فيهم ولا حولك تحكيم عليهم ولا عصا تنصرونهم ولا سيف ينزجهم مطعين إلى الداعي ساعين في أثر الساعي وهم من كل حذب ينسلون ومن كل بر وجهر يقبأون كنت يامولا ما كقول أبقائك الله

ولست بك هازم لمنظيره * ولكنك الاسلام شرك هازم

هذا وليس لك من المسلمين كافة مساعد الا بدعوة ولا مجاهدك الا بلسانه ولا خارج معك الا هم ولا خارج بين يدك الا بالاجرة ولا مانع منك الا بزيادة تشتري منهم الخطوات شبرا بذراع وذراعا بساع تدعوهم إلى الله وكانما تدعوهم إلى نفسك وتسألم الفرصة وكنك تكافهم النافلة وتعرض عليهم الجنة وكانك تريد أن تتماثر بهادزهم والاراء مختلف بحضرتك والمشورات تنوع بمجلسك فقال لم لا يتباعدون أمتازة وأخر لم لا يميل إلى المصالحه ومتقدم على فائت ما كان فيه حظ ومشير يستقبل ما يلوح فيه رشده ومشير بالتخلي عن عكا حتى كان تركها لتطبيق النعماء وما كانوا طلبة الجيش ولا قتل الدار ولا خرز السلك ان وهبت تدعى السلك وأثبت في يد الملك فالملك الله قتل الكافر وخلف الخذل والتجذد وتحت قدمك الجرح وأفرسك الطمانينة تحت جنبك الوعر ولكن مولا اصفحة وجهه * كضوء شهاب القامس المتصور

قليل التشكي اللهم نصيبه * كثير الهوى شتى الذوى والمساك

لا شبهة ان المملوك قد أظالم ولكن قد اتسع المجال وما مر اده الا أن يذكر الله على ما اختاره له ويسره عليه وحببه اليه فرب يحسن بنعمه ورب منع عليه بشقته وكم مغبوط بنعمة هي دأؤه ومر حوم من بؤى هي دأؤه ويريد المملوك بهذا ان لا يتغير مولانا بأبقاه الله وجهه عن بشاشه ولا صدر عن سعة ولا لسان عن حسنه ولا ترى منه صبره ولا تمنع منه نهره فالشدة تذهب وبقي ذكرها والازمة تنفجر وبسقي أجرها وكما لم يحدث استقرار النعم لمولا عز نصره بطرا فلا تحدث له ساعات الامتحان صبرا والمملوك يستحسن ببقى حاتم ومولانا بأبقاه الله وخلد سلطانه ومملكه بحفظها

شربنا بكأس الفقر يوما والغنى * وما منما الاسقاء به الدهر

فما زادنا بعد اعلى ذى قرابة * غناؤنا ولا أزرى باحساننا الفقر

والمملوك بأن يسمع ان مولانا عز نصره على ما يهده من سعة صدره أسرمته بما يسعه من بشر نصره وبالنبي كنت معوم وماذا كانت تصنع الا بام لا يشي بان مشاهدة الحروب فقد شيدنا الله من جماع الاخبار وأقر ما بين خلفه من الرفر فقد غرنا في بعده مولانا ما لا تخاف له من العمر أو مرض جسم فخير ما كان الطبيب حاضر ولقد مر ضنا أشد المرض ففرقه الا أن الخلد سازه ومن كآب آخر (المملوك يوصى المولى بالاسلام والاسلام هو قلب المولى فبروجه ولا يحمله وبشغله بما يشقه ويوصى المولى بقلوب المساكين وقلوب المساكين جسم مولانا بأبقاه الله من عز الله لا توفيقه عنده لرواتب الحياة استغل قلبه واستطار اليه وضعفت نفسه فحسب المولى من جهاده فقد جبهه وآلات مطعنه وترويع خطراته فقد بلغ المملوك من حله على نفسه ما يخشى على مولانا الاثمة فيه وانما نجش كل مشقة لنسلم منه ونحن في ضرة قد مسنا ولا نرجو اكشفه الا من ابتلى به وفي طوفان نفسه ولا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم ولنا ذنوب قد سدت طريق دعائنا فحين أولى بأن نلوم أنفسنا ولله قدر لا سلاح لنا في دفعه الا أن نقول لا حول ولا قوة الا بالله وقد أثر فتاعلى أهوال قلى الله يهيككم منها ومن كل كرب وقد جمع الدعوى لنا وقيل لنا

اخشوه

في أخبار (١٦٩) الأولين

أجشوه فقلنا أحسننا الله ونعم الوكيل متخزين بذلك موعد الانقلاب بنعمته من الله وقض فأنزلوا ذلك الفضل العظيم وليس لنا إلا الاستعانة بالله فإذ لنا الله في الشدائد الأعلى الدعاء وعلى طريق باب كرمه وعلى التضرع إليه فلو أن أفعالهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم ونعوذ بالله من السوء ومن القنوط من الرجوع ومن اليأس من الفرج فإنه لا يأس منه إلا مساوئ الرشد مطر ودعى الله مقدوعاً غافلاً من ولايته ولا يترك الحيلة بل قصد من قضي أقداره بلا حيلة سبحانه وتعالى أن على الله من جندهم ولا نأمنهم قد بذلوا الجهد وقد دعاهم فبعد عنهم المولى وأن علم لهم قد دخر وأقوة وقصر وأنى نصره كلمة الله فيهم مقت الله والمولى يذكر المولى يصبره ويرحب صدره ويفضل خلقه وبقرة له وبمدارة مزاجه وببر القلوب الإسلامية وبر جمعه وإن كان كبر عليك أعراسهم الآية إلى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى والمولى أولى بهذا البيت

لا يطران تتابعتم * وصار في البلاء شغيب

قيل للملهم أيسرك نظرك ليس فيسه تعيب فقال أكره عادة الخبز ولا بد أن تفسد * تالله في خلقه لاراد لحكمه فلا يتسخط مولا ياتى من قدره فلا أن يجرى القضاء وهو راض ما جور خسر من أن يجرى وهو سخط موزور فيضلى نارا لشدته أعاده الله منها ولا يجد راحة الثواب وفرائد خطفه منه من شكاً به وتنه إلى الله شكاً إلى مشكياً واستعانت بقادر ومن دعار به عانقها استجاب له استجابة ظاهرة فالتكن شكوى من لا نالى الله خفية عتوا ولا يتقاع الظهور التي لا تشد الألبه ولا يضيق صدره ولا تنفج الأمنه وما شرد الكرى وألأ على الأفكار ليل السرى الاضائة القوت بعكاز يتيق الاضعف نعم المعين عليهم تزويج النفس واعتاز بها من الشكر فتدعهم ولا نال بالباشرة انه لا يدبر الدهر إلا البر الدهر ولا يتفقد الأمر إلا الصائب الأمر والله لا يذل الهام إن كثر الشكر

قد قلت للرجل المقسم أمره * فوض اليه ثم قرر عين

وكل مقترح يجاب إليه الا انهم يصبروا بعد أن أسلم أول بدائيسه في المنبر بعد أن تكلم بامولنا هذه اليماني التي رابطت فيها والناس كارهون وسهرت فيها واليهون حاجعة وهذا الايام التي نادى فيها يا منسى الله اركبى وهذه الساعات التي تزرع الشيب في الرأس وهذه العمرات التي تنقبض فيها الصدور إنما بل بنارها هي نعمة الله عليكم وغراسك في الجنة ومجمل يوم تجد كل نفس ما عملت من خير * خيرا وهي من رانك على الصراط وهي مثقلات الميزان وهي درجات الرضوان فاشكر الله عليها كما تشكره على الفتوحات الجليلية واعلم ان مشوبة الصبر فوق مشوبة الشكر ومن ربط جاش أمير المؤمنين ع من الخطاب رضى الله عنه قوله (لو كان الصبر والشكر يعبرين ما لبث أمير ما ركبت) وبهذا العزم سبعة وثلاثون كونا لا نعلم في الساق بالغير وامتدت خطاطبهم ونعوذ بالله من العثار ما يستعمل الله في القيام بالحق الاخير الخلق وقد عرف ما جرى في سير الؤلين وفي آباء النبيين وان الله تعالى حرض نبيه صلى الله عليه وسلم على أن يتهدى بهداهم ويسلك سبيلهم ويتقدي بأولى العزم منهم وما تغلوا الجنة بمن وما ابتلى الله سبحانه من عباده الا من يعلم انه يصبر وأمر الدنيا ينسج بعضه بعضا وكان ما قد نل لم يكن ويذهب التعب ويبقى الاجر وأغايق نفات العين كالحلم وأهم الوصايا أن لا يميل للمولى بها يضعف به جسمه ويضر مزاجه والامة بندان وهو أباء الله تعالى قاعدته والله يثبت تلك القاعدة القائمة في نصره الحق وما يستحسن من وصا بالقرص ان نزل بك ما فيه حيلة فلا تنجز وان نزل بك ما ليس لك فيه حيلة والعياذ بالله فلا تنزع ورب واقع في أمر أو شغل عن حل الهمة به بالتدبير فيه مة مقدور الله لا تصرفه وكفى خطبه وما تأسرون الا أن يشاء الله هذا سدا لمن هو مجول الله أوتق منه سلطانه قاتلت المارك بطاعها وقال هذا يا مجانه واذا نظر الله إلى قلب سولا لا يجد فيه ثقة بغيره ولا تعويل على قوة الا على قوته فهناك الفرج مع عاده والطف بمقاته فلا يقبض من روح الله ولا يقبل سنى نصر الله ولا يصبر فاما خلق الصبر بل يشكره فاشكر في موضع الصبر أعلى درجات الشكر وليقل ان ابتلى أنت المعافى ويرى عن الله سبحانه فان الراضى عن الله هو المسلم الراضى فاما اخبار فتنة بلاد الجيم فسبحان من الحق قلوبهم بالسنتهم قل الله ثم ذرهم في خوضهم بلغعون * وكتب السلطان إلى القاضي الفاضل كتابا من بلاد الفرنج يخبره عما لاح من امارات النصارى ويقول ما خاف الا من ذوبئان ياخذنا الله بها فكتب اليه الفاضل (فأما قول المولى اتنا

كتاب (١٧٠) الروشتين

تخاف أن تؤخذ بيدو بما فالذنوب كانت مثبتة قبل هذا المقام وفيه محبت والاثام كانت مكتوبة ثم عني عنها هذه الساعات وعنيت فيكوني مستغفرا لسان السيف الاجري في الجهاد ويكني قاريا لارباب الجنة صوت مقارعة الاضداد ولعن الله موهبتك وفي سبيل الله مقامك ومنصرفك وطوي لقد سمعت في منهاجك وطوي لوجه ثم بشار بمحاسنك وطوي انفس بين يديك قبلت وقتلت وان الخواطر تشكر الله فيسبك وعن شحكر هالك قد شغلت

(فصل) كان بلغني ان السلطان رحمه الله لما اشتد امر الفرج على عكا أرسل الى ملك المغرب يستخذه عليهم لقطع عنهم ما دم من جهة البحر وكنت أطلب حقيقة ذلك وأبحث عن شرح الحال فيه فان العباد والقاضي لم يتعرضوا له في كتبهم ما غير ان العباد ذكر كتبنا بكتبه القاضي الفاضل الى رسوله بهم بالغرب يستخرج منه ما كان ارسل لاجله وسياق وغرضي كان الاطلاع على نفس كتاب الرسالة ومضمونها ثم اراني بعض الشيخ الصالح الثقات بخطها ما كتبت ارموه فقلت له على وجهه قال نسخة كتاب كتيبه القاضي الفاضل وقتلته من خطه لان من فقد يأمره فيه بالشر الى المغرب باهر الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله يستعصر ملك المغرب يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن لما حضر الفرج خذلهم الله عكابه كسر عطين وفتح بيت المقدس والكتاب الذي سيرة الى المغرب والحديث التي حلت باق ذكر ذلك ان شاء الله

(بسم الله الرحمن الرحيم) والامير الال الاسفهلار الاصيل العالم المحترم شمس الدين عدة الاسلام جمال الانام تاج الدوله امين الله حقوق الملوك والاسلاطين شرف الامراء مقدم الخواص ادام الله توفيقه ويسر طريقه واتبعه مقصده واعذب مورده وحرس معيبيه وشهده واسعد يومه وغده يستخير الله سبحانه ويوجهه كبقا بامر الله الى الجهة الاسلاميه المغرب بغير حس الله حاجتها ونصر كتابهم وامر اكها ويستقرى في الطريق وفي البلاد من اخبار القوم في احوالهم وآدابهم وانغالهم واقوالهم وما يجربونه من القول نزه اوجه ومن اللقاء من بسطه اومقبطه ومن القعود بحالهم مخففة اومظولة ومن التحيات المتبادا قديمه ماصمعه وما موعده وهل هي السن الدينيه او العوائد الماويه ولا يلقه الا بما يحبه ولا يخاطبه الا بما يسره والكتاب قد نفذ اليه ولم يختم ليعلم ما خوطب به والمقصود ان نقص القصص عليه من اول وصولنا الى مصر وما ازنا من البسديها وعظلمانن الا لحاد فيها ووضعنا من المظالم عنها واقامة الجمعة بعدد الجماعة فيها وغزواتنا التي توصلت الى بلاد الكفار من مصرف كانت مقدمة الملك الشام الاسلامي باجتماع الكلمة علينا ومقدمة الملك الشام الفرنجي بانقياد المسلمين لنا واتفاق المسالك المجاورين على طاعتنا ونقصيل ماجرى لنا مع الفرج من الغزوات المتقدمة التي جسنها خلال ديارهم وجعلها الله تعالى مقدمة ما سيق في علمه من اسباب دمارهم وما عقيهم من كسر تنالهم الكسرة الكبرى وفتح البيت المقدس وذلك على الاسلام مئة الله العظمى الى غير ذلك من اخذ الثغور وافتتاح البلاد وانحنا القتل فهمم والاسر لهم واستنجاد بقيتهم الفرج المغرب وخروج نجداتهم وكثرت باوقوتها ومنعتها وغانها وثورتها ومسايرتها ومبادرتها ولا نلجأ في يوم الاعن قوة تجدد ميرة تفصل وآهوال واسعة تفرج ومعونات كثيرة تجعل وان ثغرا حصرا العدو وحصرنا نحن العدو فاما نحن من قتال الثغور والمكن من قسنا وناوخذ على نفسه عدة خنادق فاما نحن قتاله وقدم الى الثغور ارجة احرقه أهله ونزح مررتين الى عسكرنا فاكسر العدو وأوقا فانه اغتم أوقا لم تكن المسا كرها مجموعها وارنا ساعات لم تكن الا لهب فيها مؤخذه وأقدم على غزاة استقبلت فيها انصر الله لنا وخذلناهم فقتل الله العدو والقتل الذريع وأوقع به الفتك الشنيع وانجلت احدى الحركتين عن عشرين ألف قتيل من الكفار خرجت انفسها الى مصارعها وهبت أجسامها في مضاجعها والعدو وان حصر الثغر فانه محصور ولو ابرز صفحته لكان باذن الله هو الماثبو الماكسور ونذكر ما دخل الثغور من اساطيلنا ثلاث مرات واحراقها لراكبهم وهي الاكثر ودخولها بالمر تبسك السيف الاظهر وان أمر العدو مع ذلك قد تطاول وخطبه قد قادی وتجددت تتواصل ومنها ملك الالمان في جنوع جهايرها مجهره وأموال فنانيرها مقطره وان عساكرنا لو أدركته لما استدرك ولولا سبقه لها بالدخول الى انطاكية لتلف وهلك ونذكر ان الله قصم طغيانه

في اخبار (١٧١) الدولتين

الانسان وأخذته أخضه قرونية بالاغراق في نهر الدنيا الذي هو طريقه الى الاحراق في نار الآخرة وان هذا العدو
لوا أرسل الله عليه اسطولا لاقربا مستعدا يقطع بحره ويمدحه ملكه لاخذنا العدو اما الجوع والمجصر أو برفأ أخذناه
بيدائه تعالى التي بها النصر فان كانت الاساطيل بالجانب المغربي ميسره والعدة متوافره والرجال في اللقاءه
فارهه وللمسير غير كارهه فالبدار البدار وأنت أيها الأمير قيم الأول من استخار الله وسار وان كانت دون الاسطول
موانع امام قلة عدده أو من شغل هنالك هجمة أو مباشرة عدو ما تحصن منه العوره أو قد داحت منه القرصه
فالعدوه ماطر يقها واحده ولا سبلها سادوده ولا أنواعها محصوره تكون تارة بالرجال وبارة بالمال ومارأنا
أهلا لخطبنا ولا كفاؤا لاجنادنا ولا حقوقا بدعوتنا ولا ملابنا نصرنا الا ذلك الجانب فندعه الواجب عليه
والى ما هو مستقر به ومطيق له فقد كانت تتوقع منه همة تقدر في القرب بآرها ويستطيع في الشرق سناها وتغرس
في العدو القصوى شجرتها فبنال من في العدو الدنيا جناها فلا ترضى همته أن يعين الكفر والكفر ولا يعين
الاسلام الاسلام وما تخلص بالاستعانة الا لان العدو جاره والجار أقدر على الجار وأهل الجنة أولى بتعال أهل
النار ولا نهجر والنجدة بحره ولا غرو ان يهش البحار والبحار وان سئل عن الملوكون بوزياوقر وش ذكر ما فعلا
في أطراف المغرب بمن معه سامان نقابت الرجال الذين هتتم مقامات القتال فيعلم ان الملوكون ومن معهم
ليسوا من وجودنا إليك والامرء ولا من المفسدون في الطواشيه والاولياء وانما كسدت سوقهما وتبعتهما
القاف أمثالهما والعدا تباريتان العساكر اذا طالت ذوبها وكثرت جوعها خرج منها وانضاف اليها فلا ينظر
من يدها ولا تقصها ولا كان هذان الملوكان من اذا غاب أحضر ولا من اذا فقد افقد ولا يفتقر مثلهم اليه من
يستطيع نكاله ولا ياتي بما يوجب شكوى من جنابه ومعاذ الله أن تأمر مفسدا بان يفسد في الارض أن أريد
الاصلاح ما استطعت وان سئل عن النوبة المصرية وما فعل يجندها فيعلم ان الامير ان القوم راسوا الكفار
واطمعهم في تسليم الديار فاشق الاسلام على أمر شديد وكاد يهرب على الكفر كل أمر بعيد فله يعاقب الجاش بل
أعيان المفسدين فقبولوا بما يجب كإدعاء كفر وضلال وخمار بين الله بما سعار في الارض من فساد فاما بقية
الجيش وان كان غم من هو متبع للذكورين في الاضافا فمهم أقصر بهم على أن لا يكونوا جندا ومنهم من أخرجت
عليه أراق تبغله وشملته آمنة تسكنه وأما الهدية المسيرة على يد الاميرة فضيلها يرد في كتاب الامير الاجل
الاسه سائر العالم الكبير محمد الدين سيف الدولة أدام الله علوه مقرنا بالهدية المذكورة ومع قرب الشتاء فليبق
الاستخارة والنعمة ومبادرة الوقت قبل أن يغلق البحر انفتاح الاشنة والله سبحانه يوفق الامر ويسهل
سبله ويهدي دله وبكلا نعمة ويمد دعونه ويكمل رحله ويبلغه أهله ويشرح له صدره ويمرر له أمره
ان شاء الله تعالى وكتب ثامن وعشرين شعبان سنة ست وعشرين وخمس مائة

(فصل) في نسخة الكتاب الى ملك المغرب والمهديه العنوان (بالغ الى شمل التيموي الصاهر ومستقر
حزب الله الظاهر من المغرب على الله كلمة الايمان ورفع به مدار البر والاحسان)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (من الفقير الى رجة يوسف بن أيوب) أما بعد) فالجند لله الماضي المشيه الجنى القضيه
البر البريه الحق بالحقه الذي اسمع له علمها من استعمر به الارض واغنى من أهلها من سألته اقراض وأجزل
أحر من أجر على يده النافله والفرض وزان سماء الملة بداري الذراري التي بها من بعض وحلى الله على سيدنا
محمد الذي أنزل عليه كتابه الشفاء والتبيان وبني الاسلام بأمتة التي شبهها اصحابها بالتبيان وعلى آله وصحبه الذين
اصطفاهم وطهرهم فصر ووطاها وارسوله صلى الله عليه وسلم فنصرهم وأظهرهم وسيرهم السبل ثم السبل
يسرهم وان الله بهم لافضل على الناس ولكن أكثرهم ريتا غفرتنا ولاخوان الذين سبقوا بالايمان ولا يجعل
في قلوبنا للذين آمنوا مننا انك رؤف رحيم وهذه القيمة السابعة الكريمة الصبية الواجبة لارد المرجحة للقد
العذبة لورد المتنفسة عن العذبة لورد وفادة على دار الملك ومدار النك وجل الجلالة وأصل الاصله ورأس
الرياسة ونفس النفاسة وحكم الحكم وعلم العلم وفاتم الدين وفيه ومقدم الاسلام ومقدمه ومقتضى دين الدين
ومثبت التيقن على اليقين وعلى الموحدين على المحدثين أدام الله له النصر وجهزته يدير العزم وردد الكرم

كتاب (١٧٢) الروضتين

وبسطه نام القدره وأوتق به حمل الآلهه ومهدله درجات العرفه وعرفه في كل ما يعتره منه معاجز لا يحيطها ولا يظفر
 فيها تحليلها ودر عليه في سبيله كل ما هو أشد وطأ وأقوم قبلا تحية استبرمها الكتاب واستبقي عبا الجواب
 وقليحه لم يجر ان أحدنا شوقا قد كان مطل غريمه بمكنا الى ان تبهره الاسباب والاشهرام عظيم ما كرا فاما
 استمع تحت به الاواب وكان وقت المواصلة وهو يوم المكناسه هـ هـ يعنى البيت المقدس وسكون الاسلام معه الفيا
 المقيمين والمعتزس وما يفتح الله للاسلام من الثغور وما شرح لاهله من الصدور وما أثر له عليهم من الدور ولم يحصل
 المسطور فيهم من دعوات اسرار تلك المصدر وملاحات أنوار ذلك المصدر ومطالع تلك الخفية التي هي وان
 كانت سرية فان العرب مسدود عن الانوار وما يبارك في مصب أنهار النصار ومن حاسه بأني سكون الليل
 ومسروح الاسرار وعنه هـ هـ الله الليل والباران في تلك البصرة لا ولي الانصار ولم تاجر المكناسة الا ليم الله
 ما بدأ من فضله وليه حقيقة ما لم يقطع شغل يد الشريك من حمله والمفتخ بسد الله من الشام مدن وامصار وبلاد
 كارهه وارثه وثور وقلاع كاسل سرك معاف ولا سلام معافر ولي الكفر مصانع ولي الاسلام مصارع والباقي
 سدا لكتهم من غير اعطار المس وصور مدسه انطاكية يسر الله أمرها ونك من نذل الكفر أسرها واداء امر المؤمنين
 على هذه الدعوة من اجتماع ما نزل من الله سبحانه حولها فالدعاء أحد الاسلحة ومنع البصر الى وكرة
 من السماء بمصباحين بعد ان كره راعه والكسر والحق بحصونه التي للصبر أعدها وكان
 نوهها كرماء وادف الله فيها علما فصحت كل حاجة في النفس واعانت المسلمين فأما العدو عدوهم فكان لهم
 بالأساس وكانت على أن يرعوا بها لها ما لطن بالبحر بعد الكس ولم يفرح البلاد بعد هذا الا ان من الكفار
 بالسام اصبرح أعين الكفار من العرب فأخافهم رجالا وفرسانا وسيماشانا وروافا وحسدانا وراوينا
 ومن كاطروا وركوا اللهم يهلا ووعرا يذلوا ما عوارد حرا وما لا حواما وكا برادهم ولا راسا ما شادهم
 بل خرج كل باي يدعو بدركه ولا يباح الى عزمة ملكه وجر حبسهم عدهم ملكه أهل البيت على أنماها وأنت
 العزة محمد الله على أنماها عدا لهما ما ومنهم ملك الامان خرج في سجع ربه من الله تعالى ربه ملائ
 النجاة وادرجت فاهما العجاج ومنهم من ركبتهم الخضر في كسب الاطاح العجاج ولم طي من العزمه
 الرجاج لى صرديا منه الرجاج نه ل الكسر ولا نمرع اليه الخضر وراكب ذلك الدرس كراكب البحر بلا ساحل
 سلامة والى فاك كره وحلب الكفار الى المحصورين بالسام كل محارب وماؤا واعلمهم ثمرهم من كل مطلوب ماس
 أنوار وأطعمه وآلا وأسلحه وسلحه وهددته مصروا ورره ونقدى ذهب وقصه الى ان شخبوا الانا لهم رجلا
 مهاله وحارب العادله من حرمهم وآله لا شوق شارة الا طلع على العدو من العجز طالعهم تعوض من الرجال
 من قبل وقيل من الامان كل ههم كل يوم في حصول رادة وفور مائه وهدهاش عليهم موقع المحصر وأعطاهم
 البحر ما مسمهم البر ونظروا لما كبروا ونظروا فاهم لا سطة من أن بلغوا ويحضروا ونستطعون أن يحضروا
 على أن يحضروا وروا على كاكيت عدهم البحر بامداده وبه الى ان قاتل ما محتاجه من أسلحه واراده
 ومن بكر به من ماله واهاداه فانه طعت ما ذكركم من البحر وحضر ما دهم من العدو من جهة حاسب البر
 فادوا على رؤسهم وحوا الدراب على رؤسهم وعهدت عدهم مائه ألف اوردون كبا أفأهم الله ال
 أجاتهم الله فكمهم الى المات نعو ونفاهمنا نماره بحر به لم ما عارهم سمعت عمارت الى الثغر
 وأوصل اليه الاقارب التي حل منها البحر ما لا يحمله الطهر والاسلحة التي أمصها الله الله عر وجل سد الاسلحة
 صديورا الكرمه (لعمري عار العدو) وأفرمها عده بعدد ما كرم كبر اولكن لقاسهم أصدق معا عرهم والليل
 مع العزم الصادق كبر واسمهم عار العدو محاصر الا عر محصورا ما أشد المحصر لاستطيع قتال البحر لاسان حله
 ولا سطة ع الخروح اليسا وفاهم حقه ولا سطة ع من الدحول اليه لانه قد سد روجه سدق وطرح من وراء
 الخراب وألقى والمخرج ملك الامان بحسده وسمته التي هي منه أحسد وعاد حشه الملعون على رسم قديم الى
 الشام وكان العرب لا مة أحمد صلى الله عليه وسلم أحمد قوته موسم وسمت رؤسهم وناذروا انه يرغمنا من
 حقه ساوي حرا من حقه فبعنا اليه من لقمه نساكر اشيا اليه وسر ذات الشمال توفرا فيها يتخيرا

في أخبار (١٧٣) الدولتين

عن لقائهما مظهر الله سر بعداء وما به غير دائرها وكان أبوه الطاغية ملك الألمان شبيه العن العيين قائد جيشه
 إلى السجن يحين فذلك في طريقه غرقا وخاض الماء فاضه الماء شرقا وبقي له ولد هو الآن المقدم المؤثر وفائد
 الجمع المكسر وروايلهم إلى عكا في البحر ثم سأل أن يسلك البر ولوسبق أخصا إلى عساكر الألمان قبل دخولها
 إلى أنطاكية لاختذوه أخذوا سر بها وسبق بحرسه وفهم إلى أن يكون الطاغية فيه لاني الأناصر بها ولكن لفته
 المشيئة في البرية والطاغية انما يشي إلى البلية فانه لولا احتجاز مقبهم بالحدائق واحتجازوا صلهم بها باضاق
 لكان لنا وهم شان وكان ليومنا في النصر الكبري يحول الله ثان لا بدئهم من العدونان ولما كانت حفره سلطان
 الاسلام وقائد المجاهد في الدار الاسلام أولى من توجه اليه الاسلام بشكوا وبشه واستعان به على حماية نفسه
 وحربه وكانت مساعره ومساعد سلفه في الجهاد الغز المحمدي المؤثرة الكاشفة لكل معصية الكاشفة لكل مشكاة
 والاخبار بذلك سائر والاخبار طاهر والصف عنه باسمه والسير به معلومة وتامله وكل بعينه اده قدسكي الاسلام
 في اغادها وقدم الأكلة الكفر في بلادها لا يزال في سبيل الله عاد يوارثها ومواجهوا مكافها وماسما ومدا
 يجوز لجة البحر بالمجاهدين ملوكا على الاسره وغزاة نضاهج وجوهها السيوف فلا يتدنز الا اسره يذود النفر الكافرة
 ولوتر تسليمها لا قراره كل واحد وكلما أودوا نال للسر بأفها الله ولولاه لاخذ سره كل زائد كان المتوقع
 من تلك الدولة العاليه والعزوة الغادية مع القدرة الوافية والهمة المعهدة الهادية أن يعد غرب الاسلام المسلمين
 بأكرهها مذهب غرب الكفار الكافرين فملاها عليهم جوارى كالا اعلام ومدنا في الحج سواثر كأم اللباني متعلقة
 بالايام تطلع علينا مشير الاسلام آمالا وتطلع على الآفارا آجالا وزدنا لما جلت واما الراسلا مسوقة قد هملنا لثمة
 مسوقة معلمة تقدم حيزان بها أقدام حيزوم تحت أخصابه وأما هي منه عزمه كانت نفسان: أحسب المنة على
 أصحاب المشامة وكلمة كانت تنفع الروح في الكلمة ولما استبطنت فان انها توفت على الاسد اعاقم خنثاه
 في هذه الغية فقد تفضل المصائب ولا تظر إلى أن تحركها إلى الرياح وقد ترك النصره لا تظهره ان ينزع
 إليها السنة الصفاح وسير يلخص مجلسه الاظهر ومجلسه الاور الامير الاجل المجاهد الامين الاسلام
 شمس الدين تغير الاسلام والمسلمين سفيرا المولود والاطلين أبو الجزم عبد الرحمن من مئة فصحت كتب الله لاسمته
 وأحسن محبته وما اختير لوفادة الامن هو أهلها ولا حمل الودعة الامن هرب لها ولا بعث لنزع الصلة
 الامن هو موفقتها ولادة الامانة الامن هو خلفها ومهما استوضح منه وسئل عنه فانه على نقه بحسبه ومن
 البان ذو ذخيره وفي العريسة ذويت وعشيره والمجاهدة له أوصف على ان تلاء الجبل لانه يماذرت البان
 فأخلف وما جدره بأن يصادف بسطة على بساطه ونظارا أذن له في القول على اختصاره وتوسطه واقرطه
 فكل هويه واف وكل هوالفهم الكرم كاف والله تعالى يجعل هذه العزيمة منافي استنهاض العزيمة
 منه بالغة مبلغا سر أهل دينه ويوزعهم القضاة دينونه من الذين اتخذوا الهام من دونه والاسلام الصادر عن القلب
 السلم والود الصميم والعهد الكريم على حضرة الكرم العاليه وسدة الياذة الجايه سلام وردا ووفاء الغز بقباهما
 منها ورسالة ما خطرت إلى ان انذرت وراهها المحبة رسلاها واصل السلام رجاء الله وبركاته وردا ووفاء الله
 ان شاء الله تعالى وكتب في شعبان سنة ست وعثمان وخمس مائة والحمد لله وحده ولا على سبيلنا من يدونه
 وسلامه) الهدية ختم كريمة في أربعة عشر مئة من ثمانية مئة من ثمانية مئة من ثمانية مئة من ثمانية مئة من ثمانية مئة
 عشرة أمنا دهان بلسان مائة درهم واحد قسي بأوارها مائة ووقسان سروج عشرون نصول سيوف هندية
 عشرون نصاب اسبع خاص حريش كبير وموسط ضمن سندوق خشب مائة وخمسة مائة
 وكان اقلاعه من الاسكندرية في شئى عارته مائة وعشرون في ثالث عشر رمضان سنة ست وعثمان وخمس مائة ووصل
 إلى اطرالس أول البلاد في الخامس والعشرين من شوال وأقام بها إلى نام دى القعدة وتوجه إلى البلاد وكان
 الاجتماع بالوزير أبي يحيى بن أبي بكر بن محمد بن الشيخ أبي حفص ودفع كتاب السلطان إليه يوم الخميس سابع ذي الحجة
 وكان الدخول على يعقوب والسلام عليه في العشرين من ذي الحجة وفي هذا النهار جلت هدية السلطان إلى خزانته

كتاب (١٧٤) الروضتين

وكان انفصاله من مراکش عاشر المحرم سنة ثمان وثمانين وخمسائة ووصل الى الاسكندرية في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين

(فصل) لم يحصل من جهة سلطان الغرب ما اتفق منه من النجدة وبلغني انه عز عليهم كونه لم يخاطب بأمر المؤمنين على جاري عادتهم وقد كان سلطانا عادلا مظهرا للشرعة غازيا في سنة خمس وتسعين وفيه يقول شاعر

أهل لان يسعي اليه ويرتجى * ورا من أقصى البلاد على الوجا
ملك غسدا بالكمات مقلدا * وموشعا ومختما ومتوجا
عمرت مقامات الملوكة بذكره * وتعطرت منه الرياح تأرجا
وجد الوجود وقد دجى فأضاءه * وراءه في الكبر العظام ففسرجا
وفيه يقول ابن عسليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن أوالربيع من قصيدة أولها

هبت بنصركم الرياح الأربع * وحرت بسعدكم النجوم الطلع
ان قيل من خير الخلائف كلها * فالملك يا بعده وب توى الاصابع
ان كنت تتأولوا السابقين فانما * أنت المقدم والخلأف تبع
وقد مدحهم أيضا شمس الدين بن منقذ هذا المرسل اليه من جهة السلطان بقصيدة منها

سأشكر بحر اذا عباب قطعه * الى بحر جود مد السماء ساحل
الى معدن التفوى الى كعبة الهدى * الى من هبت بالذكومة الاوائل
التيك أمير المسلمين ولم تزل * الى بابك المأمول زجى الواحل
قطعت البسك البر والبحر موقنا * بأنى بذلك النقط بالخبج كافل
فأراعنى من وجبة البررائع * ولا هائل من زاهر البحر هائل
ومن كان غايات المعالي طلبه * يهون عليه كل أمر يحاول
رجوت بقصدك العلى قبلتها * وادعنا بالآلى والفاضل
فلا زالت للعلية والجسد ثانيا * تبلغك الايام ما انت أمل
وابن منقذ هذا من أهل بيت أدب وشعر وله على ما وجدت بخط بعض النفاة

نصرتهم عرى في التغرب والنوى * وافى ارتجالي طارفي وتلاوى
وأخلقت الايام برد شيبتي * وأصلد من وقع الخطوب زياوى
وأشغلتني الحرض الموكل في الورى * عن العمل الخجى ليوم معاوى
فلا راحة الاخرى تقيت نبلها * ولأنا في الدنيا بلغت مرادى

وله على لسان بعض غلمانه

ورب قيص دعاني الى احس قال الرثاة منه العدم

أقطب وجهي له كلما * تمهل لي ضاحكا وابتم

ومن كاب فاضلى الى بعض اخوانه (وأما الاخبار بالمغربة واخلاق جانبها وضعف مطاوعها وطاوعها فاذا تجزئت الظلماء الى التغرب فيحق كان الانوار الناصرية قد تنصرت في الشرق فالتة يسعد بلاد الدنيا بالانحراف في ملك ملكه ويمكن من مؤمنها حكم عدله ومن كافرها سيف فتكه والله يجزيها الخير عن يمينها في الخير ويكتب سلامة عزها في طرق النفع انما جمت السير) ثم اتى وقتت على كتاب فاضلى للسلطان يشعر بأن الرسالة المغربية لم تكن رأى الفاضل ولا هو مختارها صورته الملوكة يقبل الارض بالمقامة العالى المولى الملكى الناصرى جعله الله في الدنيا والآخرة المقام العالى وأبقى دولته التي هي الايام بالحقيقة والا بام قبلها هي البلى وبني ان الظاهر ان الملوكة عند المولى ليس من أهل الاتهام وان له ولله الحمد آثارا في دولته تشهد بها الايام وآثار السوف طاحت وبقيت آثار الاقلام والرسالة المغربية ليس الماركة مشدرا بتركها ولا كارهها لفرسوها ولا مستبعدا

في اخبار (١٧٥) الدولتين

مصلحة قرية الامر منها لكن على وجهها وقد نزلت الهدية الغريبة على ما أمر به وكتب الكتاب على ما مثل
 ونظم الخطاب والوصف فوق العادة وما لا يمكن مخاطبة مخلوق بأكثر منه وعند وصول الامير نجم الدين من الحميم
 المنصور فاقضته المسألة في أنه لا يمكن إلا أن يصح ما وقع له أنه لا ينبغي الحاجة إليه من لفظة أمير
 المؤمنين وإن الذين أقاضوا في هذا الحديث وأشاروا به ما قالوه قلاً ولا أحاطوا به قياساً ولا عرفوا ما كتبه المصريون
 قديماً وآخر ما كتب في أيام الصالحين رزبك فخطب فيه أكراماً ولأدعيه المؤمنين وولى عهد به الامير الاصيل النصار
 الجسم الفخار وعادت الأجوبة إلى ابن رزبك وهو وزير سلطان مصر الذي اتبعه ولانا اليوم مائة مثله مترجمة
 معظم أمره وملتزم شكره هذا والصالح يتوقع أن يأخذ ابن عمه المأمون البلاد من يديه وما هو إلا أن يربب لو كان
 طريدياً منافسة ولياً على أطراف بلاده ويصل المشار إليه بالامر من مرا كش إلى القروان في ستة أشهر فلما هم
 في كسرهم وبغاسك أخرى واعلم الامير نجم الدين بذلك فامسك مقعداً عشرة أيام ثم أنفذ الامير المذكور
 إليه على يد ابن الجليس بأن الهدية فاشترى عليه بأن لا يستجيبها وإن استجيبها أتكون هدية ترسم من حواليه
 وأن الكتاب لا يأخذها إلا بترجمة مع أمير المؤمنين وإن السلطان عز نصره رسمه ذلك والمالك العادل دامت
 قدرته بأن لا يشترى إليه وأنه إذا بقي القوم خاطبهم بهذه التهمة عن السلطان أبقاه الله من أسانه فأجاب به المملوك
 بأن الخطاب يكفي وطريقه يجدد له يمكن والكتابة تحفة تقيد اللسان عن الإنكار ومضى قرئت على منبر من منابر
 القرب جعلنا خالعين في مكان الاجماع مبايعين من لا ينصر الله ولا شوكه فيه ولا يميل لاتباعه من خصين العالي
 مخطين عن العالي شاقين عصاة المسلمين مقرئين كلمة المؤمنين مطيعين لا تتحل طاعتهم متقلمين لمن لا تصح
 ولا يشه فيفسد عقداً الاسلام ويثقب باب يهجز وارده عن اصصدار بل تضي وتستنف الامور وكشف الاحوال
 فان رأيت القوم شوكة لتأزده فعدهم بهذه المخاطبة واجعل كل ما تأخذ من اللوم بخاصه فامنع وقال
 أنا أقتضي اشغالي وأتوجه إلى الاسكندرية وانتظر جواب السلطان عز نصره وما يهون وقت والى أن أخرج زمر
 المركب وارتاد الركاب فيسير المملوك النسخة وان وافقت فيمنع المولى على المملوك بترجمة بلصقه على ما كتبه وبأمر
 نجم الدين بتسلم الكتاب على ابن الجليس حدثه عنه أنه مجتمع من السفرة بالكتابة بها فأما الذي يترجمه
 المولى عز نصره فيكون مثل الذي يدعى به على المنبر ولا ما هو والفقير إلى الله تعالى يوسف بن أيوب آدم الله
 غنى مولانا بالقرارة ربه وإذا كتب الصالحين رزبك إليهم من السيد الاجل المالك الصالح فيحان بكتب اليه مولانا
 أبقاه الله الخادم وهذا مبلغ رأى المملوك والمؤمن لا يبدل نفسه وقاسم الارزاق بوجهها وإن رغم من جرت على يده
 وإن كان مولانا أعز الله نصره نقول أنت غافل وغائب وما تعرف فما الاسلام فيه فاحضرت وعرفت ما شئت
 الحديث في جواب ما كتب بعد ستين فانيغني الله عنا ولا تستع هذه الشدة ولا تسمى الفناء بالله وإذا كانت لنا شاء
 الله أخذت خالية من طلب الآت وما ساءت وإذا كان المملوك مسجلاً ولاوغير مستضعف والغيرة حكمه والاحوال
 الماركة غائب عنها فالله هم من الامر للمملوك ان يتولى من الكتابة ترتيب المقادير والافانظ ونضيد الخبير
 عما أراه الله تعالى على يده ولا نزع نصره والناشي المطلوب فقد فعل هذا كما في النسخة وبقيت الملاحظة التي ليست
 كلمة المملوك لما طرأ فاطم المملوك وعقبه مسجونون بالله تعالى ثم بالسلطان عز نصره من تمر رضهم اكراماً وتوقع
 الخوف ومعاد آمن لا يخفى عنه جبر ولا تشال به غيره ويكتفي ان المولى انتم خطه في كتابه إلى المملوك رفقا ما هو مخط
 حضره سيدنا الاجل عماد الدين الكاتب الاصفهاني حرسه الله اوصى بأن لا يشا خافي في كتابه ما حرج باللفظة
 فهي امانة فاما المولى فيهما زيادة هذه اللفظة ما يحتاج إلى تعلم والكتاب الذين يتقنون كتابة النسخة معدودون وقد
 تاب المملوك عنهم والكتاب الذين يستقنون التبيين موزعون فينوبون عن المسألة في التبيين والاف كيف
 يسير رسول بكتاب من مصر بلا خط سلطان وبغير حضرتته كتب ولا يهدى سار ويعجز من البعاده والمغاربة
 يعلمون ان الكتاب كتب مصر ويشهدون بحالهم ورواهم بقرؤوه من الخطاب ولو وصل من المولى آدم الله بأمره كتاب
 محتوم وسرهم تعلم ما فيه لا تظلم فضول كثير ونحسدت أراحيف شنيعة ولا يبع تقدم المولى ان المملوك بعظم القصر

في الخلافة والاعين شغل السلطان وأفعاله وأقوالهم ولا تخلف خوض الأفي وأمرهم وأحوالهم ولهم على المولى أن هذا الذي استعفى منه بضره بحيث يدفع المولى أبقاه الله سبحانه عليه ولكنه مضى به من غير منقعة وتعرض لما تدم عاقبته أو يبقى على الخوف منه وذلك بما لا يقتضيه حسن عهد المولى وقضيل رافته فتمضد المولى أبقاه الله تحصل ببذبحها بين يديه وربما حصل استناره وأمنت المكار فيه وعغضت العيون عنه وشكت الأيام عليه طالع المارك ذلك

(فصل) وللقاضي الفاضل رحمه الله من كتب الخمر ما يشرح لنا بعض ما تقدم وما لم يذكره أحد من أرباب السير منها قوله (كتاب بغداد كتاب بارد غث حامد مافيه مقصود الماصد ولا صل ولا عائد ونحن نطلب الذهب الحار فيضرب في حديد بارد) ومنها فيما يختب من البلاد الفرجية المغمومة (خرب البلاد في هذا الوقت الضيق لاشبهة في نفيه بنفس العدو وأضعافه لأنفس الملمين وكل من لا يجمعه بجمه أو يدهه إلى ما يبقع وجاء المولى يعلم العدو أخذها من الممرين في تمام سنة وخفضوها بالانحصار مرة وبالهدنة أخرى وبالقسمال مرات ولا فهو ولو كان فيهم خبر ما يجزوا عنها ونحن قد جلدنا من العدو المؤنة بخرب البلاد التي كان العدو يريد أن يحاصرها وينازلها ونصب الجندي والبرج عليها ونخاف الفخدة أن تصلها وقوة الاسلام أن يرب إليها وتوقع أن يدهه المصاف قبل التزول عليها فترفناه أنه فادام على من لا سلاح له إلا أن ياتي السلاح ولا حفظ للبلاد لأن خبرهم فقد تمكنوا على الله ووفرنا قبل المواجهة وزدنا زايده بحجبة وهو أن المنز من نزم لرجال ونحن ننز من البلاد) فحال لم يبر مولانا على عكا هو خراسان وحفظها وقوة نفس من بها وأهوان الاعداء ملك الامان لا يشك مولانا ان جمعه لا يبق بمصر دار من سبشرين فرقة وملت إلى الفرجي بخدمة من بلاد الجيوس في السنة الماضية وأما الراشع مدك وقد هلك رأسه قد قطع وفائه جيش وقد كبا الحمار) ومنها عند ورود كتاب السلطان اليه بشر بآفته من مرض عرض له في شهر رمضان (أسفر بشارته عن أن المولى أتاه الذرج وغذاؤه الفرج واستقل بمجد الله وصحى وقالت العاقبة لمرض نوح وكان ما في كتابه الاوالم من تعريق النون من الجدة لله رب العالمين فيه أو ضعفت بتة قد صارفة الخطوط فاما هذا الكتاب المبارك فقد صحت فيه التعمقة وقوت اليد وطاعت النون أهم النيمان مطلع الحلال الفطري الذي يشبهه السمر أعال النون ومنهم من قال

ولاح هلال مثل نون أجادها * بذوب المضار الكتاب ابن هلال

وهذا من أنواع الفراغ الذي ما أوجبه المبارك الامسرة بعاقبة المولى أدامها الله وأدام السيرة به والخلق خياشيمها المارك الانوار الشمس الذي له في كل مكان أثر وليكل عين به نظار فلا نسي الله النيمان آثاره والعيون من أنزاد وبعد عاقبة المولى قد انتظر الاسلام عاقبته به من المرض الذي هو العدو فيجمع الله تعالى للمولى والخلق بين العافيتين ويستخدم شكرهم للتمتين فقد حلى الله بهذا المرض سيف الله الذي هو المولى وباصفها الانصدا به قلوب أعدائه ومن فولد هذا المرض أن المولى يستأنف العرج حديدا والعزم حديدا ويستقبل التسديد بنشاط قد حضر واعصا قد جارفها ما كان سبب الضجر) ومنها (وأما نهرهم ولا يابكة الطلبات منه فلا حلى الله مولانا من القدرة علمار هنيئ الله ان الله سبحانه ويطالبه يحفظ دينه والنبي صلى الله عليه وسلم يطالبه بحسن الخلافة في أمه والسلف الصالح من هذه الأمة بطالبه بجهاد ما لحضرت وما زاد واعلى ما يفعله المولى وأهل الحسب بطالبه بآراحة عائلتهم من الذهب والفضة والحديد وبهية الامة تطالبه بالامن في سمرهم والاستماع في كهم والخفاة في سبيلهم ونسبه الكرم تطالبه بالجنة بلغة الله اليها وأعلى الامور اعانه الله عليها واذا عند ما يرد منه فلا بد أن يعدد ما يسره اليه فويل عدم من الله تعالى قط نصره وهل استمرت به قط عصره وهل تمت لعدو قط عليه كره وهل باق الظار جيا وهل أصبح الاراضيا ألا يعلم ان الله تعالى ينزل من الصالحات ما لم يكن له غيره ألا يحصى من سببته من المارك إلى الدنيا فيجزوا عا ساسية اليه المولى من الآخر وهل تعرف راية فائل تفتما في سبيل الله الارائه وهل يعرف مال ينفي في سبيل الله الاماله وهل يجمع في مجلسه الا كتاب الله تلى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقرأ أو يرى به الاخيل تعرض والسلاح يقاب لا قاذح الشاربين ولا أصوات المغنين

في اختيار (١٧٧) الدولتين

المتغنين ولا وقائع الكلدانيين ولا سعيات النعمان ويحكي اذا تفرغ مولانا بقاء الله على تشبيه المسلول فاذا كان مجلس ابن عبد المؤمن بالمسجد فان مجلسه اولى بان يكون مسجد من كل مجلس ولا غرو ان تعترف المذاهب كاعتترف الضوال وان تتسبح كاتسبح الطرائد ولينصرت الله من يخبره ولعل المولى عز نصره قد نفذ الى جانب الشيطان جهامة فان صاحب انطاكية خذله الله تعالى وشعث ونحلا الخيما بالارض قطب الطعن وحده لوترن اهل عكا وكذلك يفعلون بشيئة الله ولو كان ما هم فيه من جهاد بشيئة احسان الله عليهم الى الجنة سابق ولا حلقه بهم بعدهم لاحق فليمن مولانا تفرغوا به على كل حال فله ثواب نفسه وثواب من جاهد بسببه فلا اعدم الله الخلق واجدا به استقام جميعهم ومالك الكافار عا باهم فاقد ما يرهم وشقية يا نعم بنفسه وولده وبأخوته ويتقدم الى الاله وال امامه اليك وامرؤه وعسكره وحملته فحسب انه منهم مكان بسم الله من الكتاب ومكان الامام من الحراب ومكان النواصي من وجوه الصواهل ومكان الاسنة من وجوه الدوابل وخبر ما كان اذ لم تظن نفس بنفس خيرا وأغرم ما كان على محارم الله اذا كانت أنفس المسلول غير عسرى وقد اطمت أنت القلوب الى ان الله سبحانه قد كشف الغمة وفرجها وألغى نار الحرب التي كان العسكروا بها فحسب انك توقع من كتب مولانا بقاء الله لان الاسلام قد رضى بما يهبط الكافر ولا يسمع من قصصه الذي هو احسن القصص الآن يقول ما قاله سيمه على نينا وعليه السلام قضى الامر فاما ملك الامان قد سلبه الله ما اضيف اليه كما كان المسلول رأى في منامه على كوكب واعلم به مولانا في زمن رسالة فقال بقاء الله قد قبلت البشري وصوره قال ويا ابن رسولا جاء من السلطان عز نصره الى المسلول فقال كتب كتابا يباركه ملك الامان فقلت حتى أفكر فقال الرسول اكتب بان الله قد سلب ملك الامان ما تنيف اليه والتمه وان ملك الامان خرج مما تى ألف وانه الآن في دون خمسة آلاف ومنها (ورد كتاب من المهدية الى الاسكندرية تالى رجب بعد ستة عشر يوما من المهدية) وذكر من فيه استخبارا وقد طوع بها وبما تكرر عمت جنتها وهوان عساكر الغرب الاسلامية تانالة على طليطله وقد انفتحت عتة حصون كفرة وان يوزيا شوهد بالمهدية وموقعا بالحد يد وقد نفذ قراوش الى صاحب تونس ليسر له بلاد الاندلس موضع نزول ابن عبد المؤمن بالاسكندرية وان اهل مملكة من المسلمين الى الآن في حرب قائمة بينهم وبين فرنجها ومعتمدين بالجمال في اعماها وان عسكر الفرج قد خرج لاجل اعداءهم بمملكة والسلطان على توقع ورغبة وحذار وخيفة نصر الله لكة النوحيد واهلك كل جبار عنيد وان مراكب فيها ازواد الجنون بين دخلت المهدية بأمان من صاحبها فباعتم بها وترقدت منها وانها فاسدة الشام خيب الله قصدها ومنها (وقد سير الجمل الآن من المجلس العزيزي بمجنوور فلان وفلان وكاهم بمجنوور الخدمة والماعرف المسلول انهم لا يطرقون المعنى الذي يطرقه المسلول من تنبيهه مولانا على ان يتصدق في الانفاق ويشترى الانراج للعلم ان هذا الخبر قد مر منابعدهم وسمع خبر المولى فانهم فراروا من سطوة كرمه والبلاد ليست الآن كعدها في انقطاع اسفارها ووقوف معاشها وكساد اسواقها وانكسار تجارتها ولولا تكن الدارهم ساعة لا تخرج من مصر كما يخرج الدينار الما وجددت كمالا يوجد الدينار وان تصريف الدراهم بعد ان يصير مسخرة كما يذهب شغل شاغل واستغرا حان غير الاول وعسى الله ان يأتى بالفتح أو امره من عنده يحدث للاسلام نصر اعز نرا ولا تفرغ نخلنا من رعا وجبرا ومولانا خذ الله ملكه من وراء ضررة لا تخفى عن المسلول والمسالك من وراء ضررة لا تخفى عن المولى وصدر المولى بمجد الله واسع وفرح الله منه قريب وهذه الضائقة المار بده الله تعالى من حسن موقع الفرج بعد هذا فقد انتهى المولى مال مصر في فتح الشام وانفق مال الشام في فتح الجزائر وانفق مال الجميع في فتح الساحل ويشق ان شاء الله تعالى مال الهند فخطبته في فتح رومية والمسلول كاهم وكلاؤهم افسادهم على خزانهم ان يملوهم اليه فيشركوا الله على ما اشرجه في سبيل الله منها وعقبتهم على ما كثره من ذهبها وفضتها فلا يكن في صدرها لوى روج ولا في خلقه فان الله سبحانه لا يضيقر رزقا على يد الكرمه لاسما وقد أجرى عليهم الرزاق حلقه ومنها ان ابن المسلول وصول رسول ملك الروم بماتى بجميته من هديته وما على لسانه من رساله وما على يده من كتاب وحضر بين يدي الملك العادل وجرى من الفضاضة ما ر بدته امتدان الملكا يكون له يجب رسول ملك الامان وصاحب مملكة وغيرهم من جيوش الفرج الى الموافقة على حرب السلطان واطلاق دارهم بغيره وامتنع وسعد الدربندات وحفظ عليهم الطرق

كتاب (١٧٨) الروصين

وصى أرباب الحصون بالتيقظ لهم والمنع عنهم وجعل عذرهم للمقتضى موافقته ان البلاد في هذه السنة غالية السعر والمصلحة تقتضى ان لا تكون الحركة الا بقوة وعلى تمكن من الميرة وتأخير الحركة الى السنة الاخرى ثم قال (وهذا ملك الروم خائف من الفرع على بلده مدافع عن نفسه ان تم له الدفع ادعى الله بسببنا وان لم يتم ادعى الله غائب عن مقصده ومقصدا وقد جعل مأوردهم من ان يقال ان البطارية في قامة من قبله وان ينقل من ولاية الفرع الى ان يولم الطاغية من أهل عمله سببا يسقط به عذرهم في عهده أهل جنسه ويرفع به عن نفسه لاسيما مع اقامة الخطبة الاسلامية ونقله المنبر وقصته في الصلاة واعزاز الكرامة الاسلامية أرغم الله بها الله ويجعل يسقطها حقه ومولا بأفواه الله ينبت في الاجوبة ولا يجب الى ما على الاسلام فيه غضاضة ولا الى ما للكفر فيه قوة (ان ينصر كم الله فلا غالب لكم) ومن كتاب آخر (وصل الى المجلد كتاب يذكر وصول رسول الملك العتيق من قبرس اليه يخبره بعصيانته على ملك انكسيرة ومكاشفته بالعساوة والحرب والله قد كتب السلطان أعز الله نصره يسئل له من نفسه العبودية والطاعة والمظاهرة على ملك انكسيرة والاخبار متواترة بأن الملك العتيق أحرق مائة الف رجل وعمرها وقطع الميرة عن الساحل ولا شئ من مولا بانقيل من الملك كروية وقوى نفسه على هذه الماية فان في تخاذلهم نصر الاسلام وشغل بعضهم ببعض واقترا كلهم الجمعة وقطع الميرة عن الشام وامن الجانب كبير من جوانب البحر وهذا الملك العتيق قصار مولا ناصدية وامامى العتيق الالائه صار ولا ناعتية ولا اعتبارا بحديثنا مع صاحب القسطنطينية في ان تعجده على قبرس فانما انما وعدناه بالنجدة عليهم اما كانت بعد عدونا والله ما أفلح ملك إل ومفظ ولا نفع ان يكون صديقا ولا ضرر ان يكون عدوا وكذلك صاحب القرب (والله يعصمك من الناس) وقف المجلد على كتاب بغداد والقصود الذى نذب لاجله الرسول ما لم يذكر في الكتاب وهى المعونة على الجهاد وعرف استدعاء المساعدة على تكررت ولو كان لتناقرا ما كان النظر الصحيح يقتضى انهم ما بقيت في بد من هو الا انهم الكانت في بد المولى أبقاه الله تعالى وهم ما نجت عنه ثم جرت عنهم وما تقول انه ليس لنا تطلع الى مناهل الاسيا وحى طريق الى غير هاوند فتح الله للمولى بلادهم مع عصيانته وعن روتها فلامولى اولاد كثير الله منهم ما هم الا من هو متطاع الى طرف وله أهل ما منهم الا من هو متطاع الى ملكة وامر اعمامهم الا من هو متوقع زياته وماليك ما منهم الا من يدان يوفى الحق عليه في الخدمة ومن سره المولى هذا الامر عدم من أصحابه متفعة فيما هو اعمامهم ساسا فيه وما يدين أن يسير الا من ربههم ما يجزون عنه وهو يكون عنوانا للعلمهم في شك منه من قوة المولى على ما بر بدا وما سكا مع القدرة ويرى للمامول ان مطلبهم نقد ومطلبنا منهم وعد وان كان ولا بد من تسمير فلا يسير الا من يقضى الشغل ويستز يد الجعل وما ينهه الكتاب البعد ادى من عزم الخليفة على الحج في هذه السنة المجلد يستبعده الاضافة الى الوقت والى عادة أهله وآخره الشريعة الله ويستقر بد بالاضافة الى خلفه وان سار صليح أن يتم بما أشار اليه ابن الشهر زورى ولا شك انه قد انشأ الى سالفه التي توجه فيها فاباعهنا بالتمس لنا نفقة فالة سهامنا) وكتب الفاضل الى السلطان (ينهى المجلد انه عرف تصحب رجل وصي من القصر العرقي وان المؤيد يعنى ابن السلطان وكان ينوب عن أخيه العزيز بمصر حضر نائبه الطوائى بى الدين واستعمل أمرهما فذكر ان هرهما صحبح وان أحدهما وهو الصبى من جملة ثلاثة وثلاثين ولدا كانوا اطفا الوقت الحوطة عليهم بالقصر العرقي وقد بلغ هذا كبر وزاحم عشرين سنة والآخر كان معقلا في الابوان فحدث له خنزار فى حلقه وأشقى على الحسالك فأمر الطوائى بنقله الى القصر العرقي من الابوان وفك حديد وجعل ليتداوى فى أوائل سنة ثلاث وثمانين واستمر مرضه واشتد ضعفه وبقي فى القصر العرقي الى ان علم انه تمسح فساء له المجلد عن المسحوظ للقصر العرقي فذكر كراستاد بن كان الطوائى أقامها مروضى أسنانها وانما يدكر ان هذا القصر العرقي قد خرب بدور وأكثرت التسليكات عليه ويحيا وراه اصطبلات فيها جماعة من الخرى بندي والمفسدين والمارق مستمر من هذه الاصطبلات الى فى القصر من النساء وانهم كانوا أنهم بامرة بعد أخرى ان المكان غير حرز والاعتقال فيه غير وثيق فال وجهت أصحاب الارباع وجيرة القصر ورجوت بترك الشناعة الظفرهما والبحت والافع عنهما) وكتب الفاضل عن السلطان الى العادل وهو بمصر (انتهى اليكنا بالله بال مصر به والحضرة العلمية ان جماعة من القهات قد اعتضدوا بجماعة من أرباب السيوف وبسطوا السننم بالتمسك

في أخبار (١٧٩) الدولتين

من القول غير المعروف وأنشؤا من العصبي ما طاعوا فيه القوي الغضبي وأحياها ما أماته الله من أهل حجة المياليه والله سبحانه يقول وكفى بقوله حجة على من كان معهما طيعا (واعصوا بحول الله جميعا) ولم يزل التعصب للذهب هؤلاء القلوب بالشحناء ويضحكها وقد نهى الله عن المجادلة لأهل الخلاف فكيف بأهل الوفاق الآن يقال أحسنا وما علمنا أن في ذلك نية لنجد ولا مصلحة لتوجد ولا هداية لتعتقد بذراية تعقد ونار عداوة توقد وقبلا أغرت المشاحة الاختلاف فالمجلس أعز ما لله يوم يكف الألسنة الحائضة وعقل الأجنة الراضة فان أفع بطبقه المرضي والا كانت همة الراضة ومن عاد بعد الزبرأ بعد عن مستقره وأزعج وليس يسع الخلف ما وسع الساف من الأدب وليعلم العبد أنه يكتب كتابا إلى ربه فليذكر فيها كتب والى من كتب

(فصل ١٠) في ذكر خروج الفرنج خذلهم الله بعزم اللقاء ووصلهم إلى رأس الماء قال العمد ذلك يوم الاثنين حادى عشر شوال بعد أن رتبوا على البلدم من لازم القتل مع ملك الألمان وخرج معهم المركيس والكندهرى وأخذوا معهم علق أربعة أيام وزادها واستحجموا ألتحاب الكربة واتخاذاها وكان تخيم الزيل على تل العياضية فكبوا وأشعلوا القوم بمران النصال وأهلبوا وقتل العدو تلك الليلة على آبار كنفاد حفرناها عند نزلنا هناك وباتوا بالأبرك تميمهم ونشويهم وقصصهم وأصبحوا يوم الثلاثاء سائر إلى اللقاء ورفع السلطان تلك الليلة النقل إلى ناحية القهوجين وقد امتدت ميمته إلى الجبل صفوا مسرته إلى البحر زحفا وعند في عين ثلثة أولاد لا فضل والظاهر وأتت العدل في أول الليلة ولبه حسام الدين بن لا حين ثم صارم الدين فاجمازا النجوى ثم حسام الدين بإشاره معه بدر الدين ولدم الياروق في هولا عظما عدولته وكبراء مملكتهم ومعهم أمراء ومقدمون جريئون مقدمون وكان في الجنة أيضا ابن صاحب الموصل وعز الدين جرد بك النورى وعلى مسرته صاحب سخار وصاحب الجيزة وقت الدس وابن المشطوب سيف الدين وخشبر بن والأمراء العسكرية والحديدية والزراعية والهرانية وأمراء الغبايل من الأكراد ورجال الحلقة الخاصة واقفون في القاب وضرب السلطان خيمة لطيفة بفر الخروبة على تل مشرف وفي مرجع عكا عين غرير التامجورى منها نركب إلى البحر فسار إلى البحر فصار في ذلك اليوم شرق النهر حتى وصلوا إلى رأس الماء وشاهدوا مواقف الحافقين إلى الهجاء فاتحروا إلى غرب النهر وتزلوا واعتزوا بالاخترازا واعتزلوا فانهم السلطان اليوم الجبالشمة وانتظر من الله في كسرهم المشية فاستداروا بر كرههم وأختفوا فيهم باللاتون فرضا وبالدبايد س قضا وبالنصال فرضا وبالسنة وخزاو حضا وقضا وفيهم من حتى الجهاد سنة وفرضا وكان المراد أن يهوا فيثوروا حتى يلفاهم ويوربوا غاراموا مكانهم وأصبحوا يوم الأربعاء راكبين وعن سبيل اللقاء ناكبين ووتقوا على صهوات الخيل إلى خفة النهار والراجل يحدق بهم كالأسوار وأتعبا بشاذق رواه عنهم حتى كادوا يبايطونهم وأرادوا يبايطونهم والسلطان بمدال ما به الرماه والكفاة بالكاه وهم يابتون ثابتون ساكنون ساكنون ونحن نقول لعلمهم يحمون ويعضون فيجهلون فتة كن من تفصيل جانتهم بجماعتهم وتفرق جماعتهم وأحس العدو بالضعف وأنه متورط في الختف فالتجثوا الهجزهم عن الدفاع إلى الاندفاع وساروا عائدتين على هيئة الاجتماع والنهر عن يمينهم والبحر عن يسارهم وقد أبقوا أن صرح منهم الشبات بانكسارهم وأتعبا بناه والذين ومن رانهم يغرقون في دماهم ولبانهم ويقاوتهم وينهلونهم من ماء الحديد ويعاوتهم وهم يجركون في سكون وينظفونهم في كون وبتدوين في جود وبتلهيون في جود وكلما صرع منهم قليل جلاوه واستروه وطموه فدهقه وطموه حتى ينجح أمرهم ولا يصح لنا كسرهم ونزلوا ليلته الخميس على جسر دعوق وقطعوا الجسر حتى منع عبورنا إليهم ويعوق وأبلى المسلمون في ذلك اليوم في الجهاد بلا عسنا وأتوا كل ما كان فيه مستظا عكنا وذل الأناطول هذا اليوم جهدهم وقل في قل جهدهم حده وكذلك سيف الدين يازكوج عالم في كسرهم وقام بأمرهم وأصبحوا يوم الخميس إلى النارا ووطيس ووحوا إلى من منهم ولم يعضوا على غرضهم ونهض منهم خلق وعدنا إلى الحمام فافترق ظفر الكرام فحين بذل الكفر وعز الاسلام وعرف الفرنج مشاق خزيم واخفا في سعيهم فاتحروا من الملكة وما عادوا إلى مثل هذه الحركة قال القاضي كانوا قد جعلوا راجلهم وراجلهم يعذب الناس بالزورك والنشاب حتى لا يترك أحد يصل إليهم إلا بالانشاب فانه كان يظير عليهم كالجلاد وخياهم يسيرون في وسطهم حيث لم يظاهر

كتاب (١٨٠) الروضتين

منهم أحد في ذلك اليوم أصلا وعلم العدو أمر تقع على بحلة وهو مغروس فيها وهي أن تعجب بالغال وهم يدنون من العلم وهو حال جدا كما لمسارعة خرقته بياض ملح بحمرة على شكل الصليبان ولم يزالوا سائرين على هذا الوجه حتى وصلا وقت الظهيرة إلى قبالة الجسر دعوق وقد أجهم العطش من شدة الحر وأخذ منهم التعب وأخذت منهم الجراح وكان الفعل معظمه للبلقة المنصورة في ذلك اليوم فانهم إذا قومهم طعم الموت وجرح منهم جماعة كانوا الطويل فانه قام في ذلك اليوم أعظم مقام يحكي عن الأواذل وجرح جراحات متعددة وهو مستمر على القتال وجرح سيف الدين بالركب جراحات متعددة وهو من فرسان الاسلام وشجاعته وله مقامات متعددة وجرح خلق كثير في ذلك اليوم وعزيم السلطان في تلك الليلة على كبس بقيتهم في الحميم وكتب إلى البلد به ترفهم ذلك حتى يخرجواهم من ذلك الجانب ويمن من هذا الجانب فلا يعمل من أهل البلد كآب فرجع عن ذلك العزم بسبب تأخر الكتاب فلما أصبحوا كشف السلطان الناس عن القتال خشية أن يغتالوا فان العدو وكان قد قرب من خيمه ووقف الأطلاب في الجانب الشرقي من النهر يسير قبالة العدو حتى وصل إلى خيمه وكان همهم فيها أطلاب مستريحين فخرجت على اليزك الاسلامي وحملت عليهم وانتشب القتال بينهم فقتل من العدو وجرح خلق كثير منهم شخص كبير فيهم مقدمهم وكان على حصان عظيم ملبس بالزرد إلى حافره وكان عليه ليس له بر مثله وطلبوه من السلطان بعد انفصال الحرب فدفع اليهم خيمته وطلب رأسه لم يوجد وعاد السلطان إلى خيمه وأعيد النبل إلى مكانه وعاد كل قوم إلى منزلتهم وكان عماد الدين زكي غائبا بنفسه مع الثقل لمرض كان به وبقى عسكره فساد وقد أفلتت جمادى بقي التباين من أراج السلطان وهو كان سبب سلامة هذا الطائفة الخارجة لكونه لم يقدر على مباشرة الأمر بنفسه ولقد رأيتهم رجعا الله وهو يكي في حال الحرب كيف لم يقدر على مباشرة الأمر ورأيتهم وهو أمر أولاده واحد بعد واحد بصاحفة الأمر ومخاطبة الحرب ولقد سمعت منه وقالا يقول أن الوخم قد عظم في هرج عكا بحيث أن الموت قد كثر في الطائفتين فأشده في مثالا

أقلاقا ومالكا * اقتلاما كماله

يريد بذلك أني قد رضيت بأن أتلأ انا ذاتك أعداء الله وحديث بذلك قوة عظيمة في نفوس العساكر الاسلامية وكان مرض السلطان هو أحد الأسباب الحاصلة لافترج على هذه الحر كمنضمه إلى كثرتهم وشدة الغلاء والجذب عليهم

(فصل) في وقعة الكمين وغيرها ودخول البديل إلى عكا قال العاد ما كان يوم الجمعة الثاني والعشرون من شوال انخشب السلطان من اجناد عده وكثر لهم العدة وأمرهم أن يكنوا في سفح تل هوته إلى عكا بعد من عسكر العدو بقرب المنزلة العادلة القديمة عند الساحل فكمنوا تلك الليلة فلما أصبح الصباح ركب منهم عدة يسيرة وساروا نحو الفرج وصالوا عليهم وأغاروا فاستقبلهم الفرج فخرج اليهم زهاء أربع مائة فارس هكذا قال العاد في البرق وقال في الفتح مائة ثمانية طاري وكذا قال ابن شذاد ما ثمانية فارس وطعموا إلى المسكين فقتلوا وأخذوا منهم قليلا فلبا حتى وصلوهم إلى الكمين فخرج عليهم أسد العرب وقتلوا وأسروا واستولوا عليهم بأمرهم فلم ينج منهم باج ووقع في الاسر مقدمون أكابر منهم خازن الملك وجماعة من الأفرنجية وركب السلطان فرجهم هذه البشارة ووقف على تل كبسان وقد توافق إليه الاسرى والأسلاب فترك الأسلاب والخيول لأخذها وكانت موقوفة بأموال عظيمة فأغارها فاولا زردا فمها فيها وجلس وأحضرا الاسرى وبسطهم وأطعمهم وكساهم وأذن لهم أن يسروا غنائم لا حضار ما يريدون أحضارها إلى دمشق ولا اعتقال وحفظهم بالقيود التماس قال العاضى ابن شذاد ولما هجم الشاه وهاج البحر وأمر العدو من أن يضرب مصاف وان يبالغ في طلب البلد وحضارهم من شدة الامطار وتوارها أن السلطان للعساكر في العودة إلى بلادها ليأخذوا نصيبا من الراحة فسار عباد الدين صاحب سنجار خامس عشرى شوال وعقبه ابن أخيه صاحب الجزيرة بعد أن أقض عليه ما من التشرىف والانتقام والتغفم ما ينبغي به على غيرهما وسار عدا الدين ابن صاحب الموصل في أول ذي القعدة مشرفا مكرما وسار الظاهر في المحترمة سنة سبع وثق الدين في صفه منها ولم يبق عند السلطان الا نفر يسير من الامراء والحلة الحاصلة قال العاد واشتغل السلطان بادخال البديل إلى عكا وجعل المير والمخاثر وأنسج من كان بهام من الامراء اعظم شكائهم

في أخبار (١٨١) الدولتين

من طول المقام بها ومعاملة الشعب والسر وملازمة القبال لبلادها وكان مقدّم البسل الداخسل من أمراء سيف الدين المشطوب يدخل في سادس عشر المحرم سنة سبع وفي ذلك اليوم خرج المقيم الذي كان بها وهو الأмир حسام الدين أبو الهيثم وأصحابه ومن كان بها من الأمراء ودخل مع المشطوب خلق من الأمراء وأعيان من الخلق وثقل على كل واحد أن يصحب معه مئة مئة كاملة وانتقل العادل بمسكنه إلى حيفا فاعلى شاطئ النهر وهو الموضع الذي يجبل منه المراكب وتدخل إلى البلد وإذا خرجت تخرج إليه فأقام ثم بحث الناس على الدول ويحرس المبر والذخائر لتلايطرق اليها من العدو من يتغزضها وكان عمار دخل اليها مع بطس بمائة مئة وخاتر ونفقات كانت وصلت من مصر وكان دخولها يوم الاثنين ثلثي ذي الحجة فأنكسر منها مراكب على الصخر الذي هو قريب الميناء فقلب كل من في البلد من المقاتلة إلى جانب البحر لم يبق البطس وأخذ ما فيها وما عدا العدو انقلاب المقاتلة إلى جانب البحر فجمعوا في خلق عظيم وزحفوا على البلد من جانب البر زحفة عظيمة وفاروا الأسوار وصعدوا في سلم واحد فاندق بهم السلم كاشاه الله تعالى وأدركهم أهل البلد فقتلوا منهم خلقا عظيما وعادوا خائبة من خبر سرن وأما البطس فان الجرحا به هربا عاتقا واضرب بعضها بعض على الصخر فهلك وهلك جميع ما كان فيها وهلك فيها خلق عظيم قبل أن عدد منهم ستين نفرا وكان في مئة عظيمة لوساكت البلمسة كاملة ودخل على المسلمين من ذلك وهرب عظيم وصرح السلطان لذلك حرا شديدا وكان ذلك أول عيلا تم أخذ البلد زوال العادل من الشتا وعصفت الأهوا ووقع في سفن الفرج الكسر أنفدوها إلى الجزائر إلا عتباط وخفاوا عليهم من اعتبار البحر وقال في الفتح نقل الفرج فسفتم خوفا عليها إلى صو فر بطوها إلى غلابة البحر من مراكبهم وحصل الأمن فيهم من جانبهم وكان أصحابنا في البلد تدموا فشكلوا وضربهم وخبرهم وكانوا في شهر رجب من أمير وقتهم وحندى واسطوطى وجرى ومنعش وتاجر وبطل وثمان ورا ب وعمل وقد نذر عليهم الخروج فرأى السلطان أن يضع لهم فيهم رفاهم ورأفهم وما أفكر أن في ذلك مخافة وأفهم وأشير على السلطان بترتب البلد وتكمل العادل بذلك وانتقل ليجتمع إلى سفي جيل حيفا فاقطع النهر وتقدم بجمع السفن للقلع واجتمع المقاتلون بالساحل على الرمل من فيجأ أمره وانتقل وكان رأى ازاحة علة المقيمين فانهم قد جرت برأوا خبر وأوهمهم كنفهم واحدة وكافوا في ثروة وكرم ونفوة وفهم أبرا الهجاء السمين وله اتباع وأشياع وله في شرع السماحة اقتداء بالسلطان وأوضاع وأمله أنفق من ماله في تلك السنة خمسين ألف دينار فقام فجمع لهم في الالتصال لأجل التنبه إلى أن ينسرك الصم وانتزعت ذلك النظام ودخل إلى عكا من لم يجرب حصارها ولم يفتبر مضاعفها ومضارها وما يئد من كان مقابها إلا الأمر بها الدين قرا قوش ودخل عشرين مقدما وأميرا شبه المكرهين عوض سنين واستخدمت الرجال وأنفقت الأموال وثقوا بالداخون والخارجون فلاحم وقع الوهن وقضى الأمر وتكمل بالداخين المشطوب وضاع الزمان وتعدد الأماكن بعد مراكب العدو فلم يستم البلمة كان يحتاج اليها من الرجال والواله قال نكل من عين للدخول كرهه وصار يوسل في أن يعنى ويبدل في نفسه القداء ثم لما سفت لكلة الدخول على من عيّن له استعملوا زمانا بغير ما يوقيه للدخول ولا نشاذ قضاء الله تعالى أسباب لا بد من وقوعها

فصل في باقي حوادث هذه السنة قال العادل في ليلة سابع ذي الحجة وقعت قطعة عظيمة من سور عكا فانكسر النهر ودار الفرج إلى الهجاء أهل البلد وسدوها بصدرهم وقاتلوا عنها إلى أن ينوها وعادت أقوى مما كانت وفي ثلثي ذي الحجة هلك ابن ملك الألمان وكند كبير يقال له كند بن داود من الكند هدى وصار يموت من الفرج في كل يوم المائة والمائتان وحزن الفرج على ابن ملك الألمان حزنا عظيما وأشعوا فبرأها ناله بحيث لم يبق خيمة الاشتعل فيها الناران والسلاطة بحيث بقي عسكرهم كاهنا راقدا وحصل المسلمين غنائم أكثر كثيرة في سرائره وأساطيل بحريه ومن جهة ذلك عوطوه مكاله بالار ومرتطه وبارز الجرحى يومه قيل انهم من ثياب ملك الألمان وكان قد استأمن من الفرج خلق عظيم أخرجهم الجوع واليأس والولاد لان فخر فخر الجرحى برا كس وتكسب من العدو وكون الكسب يفتنا ويين المسلمين فأذن لهم في ذلك وأعطاهم مراكب كرسا وهو المركب الصغير فركبوا فيه وظفروا براكب لتجار العدو بضائعهم ومعظمها فاضه مصروغة وغير مصروغة فأسروهم

كتاب (١٨٣) الروضتين

وكبسوهم وأحضر بهم يدي السلطان فأعطاهم السلطان جميع ما غنوه قال العماد فلما أكرموا هذه المكارم
أنشروا على اليد المنعمية وأسلم منهم شطرهم وأحضر وأماندة فضة عظيمة وعليها مكتبة عالية ومعها طبق مماثلها في اللون
ولو وزنت تلك الفضيات لتقارب قنطارا فأغارها السلطان طرفة احتقارا قال واستشهد في عكاسية من الأسماء
منهم الأمير سوار والتي في هذه السنة شوانى المسكين بشوانى الفرنج في البحر فأحرقت لكفر شوانى برجالها وكان
عند العود تأخر لداشيني مقدمه الأمير جمال الدين محمد بن أركك كثر فأحاطت به مراكب العدو وقتوا ملاحا
إلى الماء وسبوا إلى البلاد فقاتل وببرفعه وضوا عليه الأمان فقال ما أضع يدي إلا في يدهم كذا الكبير فلا يضطر
الخطير إلا مع الخطير فجاء إليه المتقدم الكبير وطن أنه قد حصل له الأسير فعاقره وعاقه وقوى عليه وما فاره
ووقع في البحر وغرقا وترافقا في الحمام وانفقا وعلى طريق الجنة والنار اقتربا واستشهد أيضا الأمير نصير الجميدي
قال وفي تاسع جمادى الأولى قتل القاضي المرتضى بن قريش الكاتب في خيمته قسلا شريك له في دار نبأ بس
أراد على بعضه وأخرج من خيمته فوجد قاضى نابلس فقتله وضربه ومأمله ومرا ليجو فأدرك وضربه ودميته
فأهلك واستكتب السلطان أبا المستشهد مكانه فلم يبلغ في الإحسان ميدانه قال وفي هذه السنة ورد كتاب سيف
الاسلام أخى السلطان من الجنيد كراستيلاه على صنعاء واستنابة ولده شمس المسالك فيها قال ووصل القاضي
الفاضل من مصر إلى المعسكر المنصور وفي ذى الحجة وكان السلطان متسوقا لقدمه وطالت مدة البين فليتمه عنه
سنتين على أن أمور الملك بمصر كانت بحضرة مستتبه وقد جمع الملك العزيز مقامه هبة وعجبه وكان السلطان شديد
الوثوق بكانه دائم الاعتماد والاستناد على أحسانه وإلى أركانه فان استقدمه خاف على ما وراءه من المهام وإن تركه
نال وحشة الشفة بالقضايا والأحكام وكان يكاتبه في شرح الأحوال يستشير به والتجاربون مترددون بالمكاتبات
والخطاطبات والاستشارة في المهمات فوصل إلى القدس واعتان بتوالى الأمطار ثم وصل في ذى الحجة ورجع
الفضل واجتمع الشمل واستأنس الملك بصاحب تديره وتأسس ركنه برأى مشيره قلت وفي جمادى الأولى من
هذه السنة توفي بالموصل قاضى القضاة محيى الدين أبا حامد محمد بن قاضى القصص كمال الدين بن الشهر زورى وقد
أنشئ العماد الكاتب عليه في الحزيرة ثناء كثر وأوشده الأشعار أحسنه من أبا التوحيد

قامت بآيات الصفات أدلة * قهت ظهروا ثمة التعطيل
وطلائع التنزيه لما أقيمت * هزمت ذوى التشبيه والتعجيل
فالحق ما صرنا إليه جميعا * بأدلة الأخبار والتسجيل
من أيكن بالشعر عقت يا فقسد * ألقاه فرط الجهل في التضليل

وله في مدح الصحابة رضى الله عنهم

لأعنى في هوى العجا * بأرجس السقر * لا بلغت المني ولا * نلت من رفضك الوطر
كيف تنهى عن حب أقوا * هم السمع والبصر * وهم سادة الورى * وهم صنفوة البشر
فأبو بكر الملقب * مد من بعده عمر * ثم عثمان بعده * وعسى على الأثر
أبها الرافضى حسبك فالحق قنطهر

ثم دخلت سنة سبع وخمسين * ففتحها وصل إلى الفرنج ملك أفرنيس وملك أنك كثرية وغيرها وأخذت عكا
الله فتحها قال العماد والفتح في هطلانه والبحر في هيئاته والسلطان مقم في حجة على شق رحم ولطف الله به قد
خص وعم والعاذل بخم فاقطع نهر حيفا على الرمل وسفن البديل إلى عكا في البحر متصلة السبل والفرنج مستقرون
على الحصار مقرزون من الأحجار ونوب البرك راتبته ووظائف الجهاد مواظبه ووصل من الديوان العزيز مثال
ومعه مكاتبة للملك الأفضل وفيه الأكرام والجلال وفصل وافضل وفي ثالث صفر رحل تقي الدين لتسلم البلاد التي
أضيقته اليه شرق الفرات وكان له بالشام المعرة وجاه وسلبه وجبله واللاذقية والجزيرة يارب كرجان
والرها والموزر وميساط وضياعا ومياقارقين وحصونها وأعمالها وقلاعها وسار على أنه يرجع عن قريب فأبطل
وتسوق إلى افتتاح ما يجاوره من البلاد وسار إلى مياقارقين فكان السلطان ينسب ما جرى من أسياله الكفارية على

في أخبار (١٨٣) الدولتين

عكا بعد قضاء الله تعالى إلى غيبته فإنه تأخرت عساكر ذلك البلاد الشرقية لخوف مضرتهم وجور مجاورته وسياق ذكروا في آخر السنة ووصل كتاب الجهاد أسد الدين شيركودانه أغار على جشير الفرج بطنابلس فاستاقه ولم يطق الكفار لحاقه واقتطع لحاصته منه أربع مائة رأس تلف في الطريق منها أربعون وخمسة أبقار وخنما وأخذ للعماد مبلغ ذلك أربع مئتي وفي ليلة هذا اليوم ألقى الفرج من كبله العدو على الركب فكسرتهم وكان فيهم خلق عظيم منهم ففرق بعضهم وأسرى بعض وفيهم امرأتان سبيتا وفي ليلة أول ربيع الأول خرج أصحابنا من البلاد وجمعوا على العدو وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأخذوا منهم من خيهم جمعاً عظيماً منهم اثنتا عشرة امرأة وفي ثالث ربيع الأول كان الزلزلة للسلطنة السلطانية وخرج إليهم من العدو خلق وجرى بينهم وقعة شنيعة وقتل فيها من العدو جماعة منهم مقدم كبير ولم يبق من المسلمين إلا خادم رومي صغير عثر به في الجبل فرسه يسمى قراقوش وكان شجاعاً له وقعات وفي تاسع ربيع الأول بلغ السلطان أن العدو يخرج منه طائفة للاحتراس فأمر العادل أن يكن بالعسكر خلف التسل الذي كانت فيه الواقعة ورفقه به سار ووفى كمن وراء تل العراضية وبعده من أولاده الصغار والقاضي الذاهل وانذر الفرج فلم يخرج منهم أحد ووصل في أثناء ذلك اليوم خمسة وأربعون أسيراً من الفرج أخذوا في بيروت وفيهم شيخ كبير هزم لم يبق في نفسه فرس وأبقى في نفسه قوة المقدار ما يتركه فسأله عن مجيئه فقال للرجل إلى قامة وبنين وبين يدي مسيرة أشهر فله ولأطلقه وأعاده إلى العدو كما على فرس وطلب أولاده الصغار إن باذنهم في قتل أسير فلباذن واستل عن ذلك فقال لثلاثة من الصغرى سفك الدم وجرى عليهم وهم الآن لا يعرفون بين المسلمين والمسلمين افر ثم أبقوا إلى ربيع ثوانت العساكر وفاء بعد ما فوضا في شهر ربيع الأول فأول من قدم الأمير علي الدين سليمان ابن منذر صاحب قلعة عزاز وبنو غراس وهو شيخ له رأي وقهر به ومنزلة كبيرة وموت به والملائكة صاحب بعلبك وبنو الدين مردود والدمشق في رجا لهم وأبطأ لهم وفي كل يوم يقدم أمير بعده أمير والله شريك التسخير وكان قد شاع الخبر بأن ملوك الفرج وأصولهم وهم حاشدون حاقون فوصل ملك أفر نيس قليب في عدة من عبدة الصليب ثلث عشر ربيع الأول في ست بطس عظام ملوكة فوارس ذوى أقدام فقلنا ما محل الماء إلا أهل النار وما أحب إلى الأبرار إلا الدمار وكان عظاماً عندهم من عكا بما روى كهم يتقانون له بحيث إذا حضر حكم على الجميع وما زالوا وأعدوا به حتى قدم وجميعه من بلاده بأزعم عسكره هائل الخلق أبيض اللون نادر الجلس وكان يزيه وجهه جاعاً فطام من يده حتى سقط على سور عكا فاصطاده أصحابنا وأخذوه إلى السدان وبذل الفرج فيه ألف دينار فلم يجابوا قال القاضي بن شداد ولقد رأيته وهو يضرب إلى البياض مـ. بـ. قـ. اللون مارت بازياً أحسن منه قال العماد وكان مع هذا الملك بازاً شهب حكا أنه عند أسراله نار تلهم فقارقه يوم رده بحيث يجزع حصوله وكان في ظن الفرج أنه يقدم في جمعهم فلما رأوا وجهه قدامه في أيديهم فوعدهم بالممدد خلفه قال القاضي وقدم بعده كندفر وكان مقدماً عظاماً عندهم مذكورا كان ماصراً حارماً عاملاً له وفي ثاني عشر ربيع الآخر وصل كتاب من اللاذقية أن جماعة من المستأمنين تولوا ناحية من جزيرة نبرس في عيد لهم وقد اجتمع جمع كبير في بيعة قريية من البحر وأنهم صلوا معهم صلاة العيد فلما فرغوا من الصلاة نزعوا على كل من كان في البيعة من الرجال والنساء عن آخرهم حتى القيس وجواهرهم إلى مراكبهم وساروا بهم إلى اللاذقية وكان فيهم سبع وعشرون امرأة وكانوا قد أغلقوا باب الكنيسة عليهم ليأمنوا ولا تلامهم وأسرى منهم وولاهم وكسوا وجميع ما في الكنيسة من الأمتعة والأعلاق النفيسة وأقتسموها ووصل إلى كل واحد من مائة ألف درهم من الفضة النقية وكذا في كتاب القاضي وقال العماد في الشيخ وتيمل حصل لكل واحد منهم على كثرتم أربع مائة درهم وشجع جماعة من العسكر يتولى غم العدو فأخذوها وكان عددهم مائة وعشرون رأساً وولاهم بأسرهم بخيلهم ورجلهم في أثرهم فليظفر وأبطائل ولم يرجعوا بها مسل قال العماد كان عز الدين سامة متولى بيروت وركن أراكب العدو بدهن الجوارب الأوبق وبها وأذا عبرت أخذت وإن كانت مستعدة للفرج بها فعمد هو رجاله فغانم خلد له ادخال الفنى وكثرت في البحر غزواته ووصل ملك اللاذقية إلى قبرس في السادس والعشرين من ربيع الآخر واشتغل بها عن الوصول إلى عكا حتى أخذها عنه من صاحبها وكانت مقدماً مائة سفينة قد وصلت فاستولى سامة على

كتاب (١٨٤) الروضتين

خمس منها مملوكة رجالا ونساء وأموالا وذهب لولا كان في الزيب وهو شعبا في عكا طائفة من المسلمين مجهزون بالسيف والداخلة إلى عكا ويقطعون الطريق على الفرنج قال القاضي وكان للمسلمين لصوص يدخنون إلى خيام العدو فيسرقون منهم حتى الرجال ويخرجون فأخذوا ذات ليلة طفلا رضيعا له ثلاثة أشهر فإفادته أمه باتت مستغنية بالويل والثبور في طول نبتة اللبلة حتى وصل خبرها إلى ملوكهم فقالوا لها إن السلطان ربح القلب وقد أذنالك في الحر وبه إليه فاجترى بها وطلبه منه فأنه برده عليك فخرجت تستغيث إلى الزيب الأسلمي وأخبرتهم بواقعها فأطلقوها وأفلدوها إلى السلطان فأنته وهو راكب على تل الحزونة وأتاني خدمته وفي خدمته خلق عظيم فيبكت بكاء شديدا وأمر غث وجهه في التراب فسأل عن قصتها فأخبره ورفق لها ودعت عينه وأمر بأحضار الرضيع فقصوا ووجدوه قد بيع في السوق فأمر بدفعه إلى المشرى وأخذ منه ولم يزل واقعا رجة الله عليه حتى أحضر الطفل وسلم إليها فأخذته وبكت بكاء شديدا وضمتها إلى صدرها والناس ينظرون إليها ويكفون وأنا واقف في جلنهم فأرسلته ساعة ثم أمرها بحملته على فرس وألحقت به معسكرهم مع طفلها قال فانظر إلى هذا الرجة السائلة لجنس الانس اللهم انك خلقتهم رحما فأخرجهم رجة واسعة أمين خال وفي ذلك اليوم وصل ظهر الدين ابن البكتري وكان مقدما من أمره الموصول وصل مفرافهم طالبا لخدمة السلطان

(فصل في مضايقة العدو فخذله الله ليعايسر الله فتحها واستلبهم عليها قال العم دما كان يوم الخميس رابع جمادى الأولى زحف الفرنج إلى عكا ونصروا على أسبعة مجانبتي ووصلت كتب من عكا إلى السلطان بالاستغاثة العظم والتماس شغل العدو عنهم فركب السلطان معسكره وكان هذا أبه معهم كما أتوا إلى البلد ناهم فإذا زحف إليهم رجوعا عن الحصن وإذا رجع عنهم عادوه وكان علامة معين السلطان وأهل البلد أنه متى زحف الفرنج عليهم دقوا الكؤمهم ففقد كؤس السلطان أجابه لهم واستبعد السلطان نزلته فحزول إلى تل العياضية تاسع جمادى الأولى ووصل ملك الانكسرة في عشرين جمادى الأولى من قبرس ومعه خمس وعشرون قطعة وهو في جمع شاك وسجد ذلك قبلي التفرقة بغير البلد الأول وهذا وأجاحت الكفر على الكفر على المعية ولا رمى مدحه ولكن الفرنج بهم من الحندق فدوناهمه دنوا الحندق وشروا في هجمه واسرعوا إلى طمعه وداموا رمون فيه حيث الأموات وحفر الحنازير والدواب النافقات حتى صاروا يلقون فيه قتلاهم ويجهلون إليه موتاهم وأحبابنا في مقابلتهم ومقاتلتهم قد انقضى وأفرقتين وأفرقتوا قسمين ففرق بيني الحندق وما أتى فيه وفريق يقارع العدو ويلاقيه قال القاضي ولقد بلغ من مضايقتهم للبلد وما اغتصبهم في طمخ خندقه أنهم كانوا يلقون فيه موتى وأبهم وكانوا الزاجح منهم واحد جرحه مخنقة ميتة القوة فيه وانقسم أهل البلد انقساما قسم ينزلون إلى الحندق ويقطعون الموى والدواب التي يلقونها فيه قطعها لم يمل تقالها وقسم يتقانون ما يبطه ذلك القسم لا يلقونه في البحر وقسم يذرون عنهم ويدافعون حتى يتكفون من ذلك وقسم في المخنقة مات وحراسه الأسوار وأخذ منهم التعم والنصب وتواترت شكائبهم من ذلك فال وهذ ابتلاء لم يبل به أحد ولا يصبر عليه جلد هذا السلطان رجه الله ويقطع الزحف عنهم والمضايقة لهم على خنادقهم بنفسه وخواصه وأولاده يلاونها حتى يشغلهم عن البلد ويروا مخنقة قائم إلى برج عين البقر وتواترت عليه أسجارات المخنقة ليلائها راحتي أثرت فيه الأثر البين وكلما ازدادوا في قتال البلد ازداد السلطان في قتالهم وكبس خنادقهم وكبس خنادقهم ودام ذلك حتى وصل ملك الانكسرة قال وفي السادس عشر جمادى وصلت بطسة من بيروت عظيمة هائله مشحونة بالآلات والبر والرجال والأبنال المقاتلة وكان السلطان قد أمر بتعيينها في بيروت وتسييرها ووضع فيها من المقاتلة خلقا عظيما حتى تدخل إلى البلد ممر أمة العدو وكان عدة رجالها المقاتلة ستمائة وخمسين رجلا فاعترضها ملك الانكسرة للمعوق في عدة شوا إلى قبل إنما كانت أربعين قطعة فاحتاطوا بها من جميع جوانبها واشتدوا في قتالها وحرق القضاء بان وقب الطوارق فقاتلوا قتلا شديدا وقتل من العدو عليها خلق عظيم وأحرقوا على العدو شيئا كبيرا فيه خلق كثير فهاكوا عن آخرهم وتمكنوا من أهل البطسة وكان مقدمهم رجلا جديدا شجاعا مجتبا في الحرب اسمه بعلقوب من أهل حلب فلما رأى ما دارت الغلبة عليهم قال والله لا تقتل إلا عن عز ولا نسلم إليهم من هذه البطسة شيئا فوفوا في البطسة من جوانبها ما عاين به من نهايتها ففجوها من جانب أبو الباقا متسلقا ماء وغمر في جميع من فيها

وما بهما من الآلات والميرور ينظر العدو منها شيء أصلا وتلقف العدو بعض من كان فيها أو أخذوا إلى الشواني من البحر وخلصوه من العرق ومساووه وأنفذوه إلى البلد لخصيرهم بالواعة وحزن الناس لذلك حزنا شديدا والى السلطان يلقى ذلك سيد الاحتساب في سيد الله تعالى والصبر على بلائه قال وكان العدو لما أخذوا من الحصن دبابه عظيمه هائله أربع طيات الأولى من الخشب والثانية من الرصاص والثالثة من الحديد والاربعه من النحاس وكانت تعالج على السور ويركب فيها المقاتلة وخاف أهل البلد منها خوفا عظيما وحدثتهم بنفوسهم بطلب الامان من العدو وكانوا قد قرروا من السور بحيث لم يبق بيننا وبين السور الا مقدار خمس أذرع على ما شاهدوا أخذ أهل البلد في قوات ضربها بالقطيع ليلادونها راحتي قدر الله تعالى حريقها واشتعل النار فيها وظهر لها ذواتها نارها وسمها واشتدت الاصوات بالكثير والتهليل ورأى الناس ذلك حبا لذلك الوهن وبجوا لذلك الاثروعة بعد نعمة واناسا بعد باس وكان ذلك في يوم غرق البطسة قال العماد فكان ذلك تسميته لتلك العطسه ثم جرى بعد ذلك عدة وفجعت في هذا الشهر وهو جمادى الأولى وهجم المسلمون خيم العدو ونهبوها وصل رجل كبير من أهل ما زنادان يريد الغزاة فوصل والحرب قائمه فحمل حمله استشهد فيها في تلك الساعة ولم تزل الاخبار تواصل من أهل البلد باسنة الحال أمر العدو والشكوى من ملازمهم قتالهم ليلادونها راوذكر ما يتألمهم من التعب العظيم من تواتر الاعمال المختلفة عليهم من حين قدوم الانكساري الملعون ثم مرض مرضا شديدا اشفي فيه على الهلاك وخس الا فرئيس ولا يزيدهم ذلك الاصرار واعتادوا هرب الى السلطان خادمان ذكر انهم ساء الاخت ملك الانكساري وانما كان يكتمان ايمانها بها فقبلها السلطان وأكرمها وهرب أيضا المراكيس منهم الى صور وكان قد استشهد منهم ابن يجر جواما كها عن يده قال العماد في البرق والاعوزت الفرج الحسيل وأججزتهم تفاسيد تدابيرهم والجل وذلك ان ابرجهم الحشيشة احرقوا وسماهم ودبابهم وكاشهم وزعت ومنعت ومنعت فقاموا فقام خيماهم صوب عكا تلا من التراب مستطيل ورفعه كثير ما هبلا ثم تقاهوه وحولوه وكانوا يقصفون وراءه ويحاولون الى قدامه تراه وبشرون الى قرب البلد رقباه فوهم خلفه من الشكايات بنحوون يشبون ويذبون ويدبرون الحسب بالزبون والنسل الخذل الى البلد قد أعيا على أهل الجبل لاتعمل فيه النار ولا يصل الى دفعه الاقتدار حتى صار من المدينة على نصف غلوتهم وري بكل جرة ورجم فانهز في كل يوم الاقربا وما يجز في كل وقت الا خطبا وحربا وكان الاصحاب يخرجون من البلد اليه ويقاؤون عليه ويطيفون بحول الله حواليه ومن كتاب فاضل الى الديوان (ما قطع الحنادم الحنادم الا الله قد اصبر واسأمن من المظالمه يخبر هذا العدو الذي قد استغل أمره واستشره فان الناس ما سمعوا ولا رادعدوا حاصرا محصورا غامرا مغورا قد تحصن بخنادق جنم الجواز ويعوق الغرض عن الانتهاز ولا تقصر عنتهم عن خمسة آلاف فارس ومائة ألف راجل وقد افناهم القتل والامر واكاهم الحرب ولقمهم النصر وقد أمدهم البحر بالبهار وأعان أهل النار واجتمع في هذه الجوع من الجيوش الغريبه والاسنة الانجيجه من لا يحصر معدوده ولا يصر في الدنيا وجوده فها أحقهم يقول أي الطيب

تجمع فيه كل لسن وأمة ❦ فبايهم التحدث الا التراجع

حتى ان هذا أسرا لاسر واستأسر المستأسر احتجج في فهم لغته الى عدة تراجم يتقل واحد عن آخر ويقول ثائن مابقول أول وثالث ما يقول ثان والاصحاب كانوا ومالوا وصبروا الى ان اصبروا وقبلوا الى ان تبلدوا والعساكر التي تفصل من المكان الى بعد الاتصال الا وقد كل ظهرها وقطع فرها وضاق بالبيكار صدرها ولا تستفتح الا بطلب السور وبصير يخبرها عن السورة عند العدو الخذلون وهم فاتهم الله تنوع في المكافاهم ما تفاوه به بالاربعه وأخرى بالنجنيقات ورادق بالديابات وابعية بالكباش وآوية بالوالب وروما بالنقب وليس لاسر البارات وطواريطم الخنادق وآنا نصب الاسلام ودفعه بالزحف في الليل والنهار وطائفي البحر بالمارا كتب ثم عوا فاقاموا في وسط خيامهم حائطا مستطيل يشبه السور من التراب ونلا لانه لاجبة مدورة ورفعه بالاحشاب وعالوها بالخراب فلما كملت احذوا الزباب من ورائها ورموه قداهوا بهم بثقون أول أول وترفع حلاله داخل حتى صارت بكدهم غصاوتهم وقد كان الجبر والنار تؤثر في ان ابريقه الحشب وهذا مارج وسائر لبال والافضلقات

من العظمت لا تؤثر فيها الخسارة الرامية ولا تفلح فيها النار الخالصة (قال ووصل في آخر جمادى الاولى من العسكر الاسلامي بجياده الذين يرتقش معه عسكر سنجار وفي ثاني جمادى الاخرة ابن صاحب الموصل وجماعة من أمر مصر والقاهرة كعلم الدين كرجي وسيف الدين سنقر الدوي وغيرهم من الاسديين والناصرية وأما عسكر ديار بكر فانهم تأخروا واعتذروا بالخوف من جوارتي الدين وكان قد تم من السويدي وغيرهما وضع ذلك على السلطان وقال هذا من عمل الشيطان وفي مثل هذا الوقت يتجرس هذا المقتد وانى أخاف عليه في هذه السنة حيث أساء عند إمكان الحسنه واشهد مرض الانكساري بحيث شغل الافرنج برضه عن الزحف وكان ذلك خبير من الله عظمت فان الازكران قد ضعف من قبه ضعفا عظيما وهدمت الخيانات من السورة مقدار فامة الرجل فكان في هذه الفترة قلبه بالبقاء معي زوال فرق وانعاش عثره وانجبار كسره قال القياضي والصوص يدخلون عليهم الى خيامهم ويسرقون أنفسهم ونفوسهم وتأخذون الرجال في عافية بأن يعيشوا الى الواحد وهو تأخر فيضفوا على حلقه السكين ويوظفونه ويقولون له يا لشار ان تكلمت ذبحناك ويحملهون ويخرجون به الى عسكر المسلمين وجرى ذلك مرارا كثيرة ثم ذكر في الرسائل من الفرغ الى السلطان شغلا وقت بالاطال فحتمه من ان ملك الانكساري يطلب الاجابة ثم في يوم فتر بعد ما لما تم بارسوله يابل الاستئذان في اهداء جوارح جاء من البحر وبذكر انهما قد ضفت وتعين وطالب ان يعمل له ما داج وطير تأكله لقوى ثم تدي ففهم انه يحتاج الى ذلك لنفسه لانه سديد عهد مرض ثم بعد اسرا من بغداد فاطلعه السلطان ثم ارسل في طلبه فاكهه ولم يخر فاسل اليه وكان غرضه من ذلك تقصير العزمات وتضييع الاوقات على المؤمنين وهم مسجون بالحضر وموالاة البرى والجد في الزحف حتى بدلت قوة البلد بالضعف وتخلل السور واهلك النعم والسهر أهل البلد له عدد دم وكثرة الاعمال عليهم حتى ان جماعة منهم بقوا لى عدة لا يتأمنون أصلا لولا لانهارا والعد وعد كبر يتناوون على قتلهم واشتد ذلك عليهم سابع جمادى الاخرة فركب السلطان بالعسكر الاسلامي ورغبتهم وتضاهم وزحف على خنادق القوم حتى دخل فيها العسكر وجرى قتال عظيم وهو كالمال السكبي يعرك فرسه من طلب الى طلب ويحث الناس على الجهاد وينادي بنفسه بالاسلام وعينه قد فارقت بالدمع وكما نظرت الى عكا وما حولها من البلاد ما يعيرى على من بها من المصائب العظم اشدد في الزحف والحث على القتال ولم يطع في ذلك اليوم طعما ما البية وانما سربا أساربه الطبيب ولما هجم المملى عاد الى الخيم وقد أخذ منه التعب والكآبة والحزن ثم ركب سحره وصبحوا على ما أسوا عليه وفي ذلك اليوم وصلت مطا العثم البلدة وقولون فيها اننا قد بلغنا الجزاى غاية ما بعد هذا التسليم ونحن في الغد ان لم نهبوا وعناشياً نألمب الامان ونسلم ونشترى مجر درفا بنا وكان هذا أعظم خبر ورد على المسلمين وأنكاه في قلوبهم فان عكا كانت قد احتوت على جميع سلاح الساحل والندس ومشتق وحلب ومصر أيضا فرأى السلطان مهاجمة العدو فطلب مساعدته العسكر فان الرجاله من الفرغ وقفوا كالسور المحكم البناء بالسلاح والارشور وكالانشاب من وراء أسوارهم وهم عليهم بعض الاساس من بعض اطرافهم فبذروا ذلوا عالية الذبح وحكى بعضه من دخل عليهم أسوارهم انه كان هناك واحد من الفرغ يصعد سور خندقهم وجماعة يتناولونه الخيرة وهو يرمي على المسلمين ووقع فيه زهاء خمسين من اهلها وخجرا وهو نالها ها ولم يمتعه ذلك عما هو يصده من الذب حتى ضرب به زراق بنق فاطرقه وروى امرأته عليهم ما لو طسة خضراء فصارا لى برى يتوس من خشب حتى جرحت جماعة ثم قتلته وجمعت الى السلطان فحجب من ذلك ولم يل الحرب الى الليل وضعت نفوس أهل البلد وممكن العدو من الخنادق فلقوا هارتوا سور الداد وخشوه أسرته فمقت بدقتش الباشورة ودخل العدو اليها وقتل منهم فيها زهاء مائة وخمسين نفسا وكان منهم ستة أنفس من بكرهم فقال لهم واحد منهم لا تغفلوا حتى أرحل الفرغ عسكركم بالكيفية فبادر رجل من الاكراد وقته لى الحمة البالي دوى العنداداهم الهرب يحفظوا السنة فبالا نطقكم كلكم بهم فقالوا انما قد قتلناهم فخرن الهرب ورجلوا عن الزحف لزمه ايام وخروج يبا انين المسطوب بنفسه ما ان ملك الافرنجيس وهو مكان مقدم الجماعية الى قول له الا قد أخذناكم ببلاد عدة وما نهدم البلد ودخل فيه ومع هذا اناسا لونا الامان اعد ليناهاهم وجلسهم الى هامنهم اكرامهم ونسبنا لى البلد وتعداينا الامان على انهم سنا فى كمر اربى فيكم رأي فاعلم له

لهذا العدو وتدينه له، فأما نحن فقد دفات أمرنا وذكر العوام بهذا الكتاب وقع في الليل صوتاً للفرنج مملوك
الطائفتان وظن الفرنج أن عسكرنا أعظمنا قد عبر إلى عكا وسلم وصار فيها وأدفع كيد العدو في تلك الأيام بعد أن كان
قد أشقى البلد على الأخذ ووصل من عساكر الإسلام صاحب شير سابق الدين ويدر الدين دادر ومعه زكاري
كثير كان السلطان انقلد اليهم ذهباً أنفقهم فيهم وصاحب حصن واشتد ضعف البلد وكثرت نفوسهم وقبولوا عوض
الثالثة سروراً من داخلها حتى انقضى انهم صامها فأتوا وعليه وثبت الفرنج على أنهم لا يصلحون ولا يعطون الذين
في البلد أماناً حتى تطلق جميع الأسرى الذين في أيدي المسلمين وتعاد البلاد الساحلية اليهم وفي يوم الجمعة سابع
عشر الشهر خرج العوام وفي كتبه أن أهل البلد ضاق بهم الأمر وثبتوا أنه حتى أخذ البلد عنوة ضربت رقابهم
عن آخرهم وأخذ جميع ما فيه من العسكروالاسلحة والمارك وغير ذلك فصالحوهم على أنهم يسلمون اليهم البلد
وجميع ما فيه من الآلات والعسكروالمارك وما تبقى ألف دينار وألفاً وخمسمائة أسيرة مجاهدين الأحوال
وإتاة أسير معيدين من جنابهم يختارونهم وصليب الصليبيات على أعينهم جرحون بأنفسهم سالمين وما معهم من الأموال
والأشياء المختصة بهم وذرارهم ونساؤهم وخدموا للمركب المعون فانه كان قد استرضى وعاد عشرة آلاف دينار
لأنه كان واسطة ولا يحتاج إلى ربعة آلاف دينار وأسفرت القسادة على ذلك بينهم وبين الفرنج ولساوق السلطان
على ذلك أنكره وأعظمه وعزم على أن يكتب اليهم في إنكار ذلك عليهم فهو في مثل هذه الحال وقد جرح أمره
وأصحاب مشورته فأحسن المسلمون الأوقار تفتت أعلام الكفر وصلواته وشعاره وأمر على أسوار البلد ذلك لظهور
نهار الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة وصاح الفرنج صيحه وأحسده وعظمت المصيبة على المسلمين واشتد حزن
الموحدين وانحصرت كل العلام من الناس في النائية وأباليه راجعون وغشى الناس بهمة عظيمة وحيرة شديدة ووقع
في العسكر الصباح والعويل والبكاء والتخيب وكان لكل قلب حظ في ذلك على قدر آمانه ولكل إنسان نصيب من
هذا الحظ على قدر آمانه وتخوته وأشفقت الحال على أن المركب لعنه الله دخل البلد ومعه أربعة أعلام للبارك
فصبب على القلعة وعلى أعلى مئذنة الجامع في يوم الجمعة وعلى أعلى برج الدواية وعلى برج القلعة
وعرضاً عن علم الإسلام وحينئذ المسلمون إلى بعض أطراف البلد وجرى على أهل الإسلام المشاهدين لتلك الحال
ما كثر التجنب من الجماعة معه قال ومثلت بخدمة السلطان رغبة الله عشية ذلك اليوم وهو أشد حاله من الالة
التي والوالهة الحسرى فسلية بما يسر من التسلياة وأذكرته الفكر فيما قد استقبله من الأمر في معنى البلاد
الساحلية والقدس الشريف وكيفية الحال في ذلك وأعمال الفكر في خلاص المسلمين المأسورين في البلد وانفصل
الحال على أن رأى التأخر عن تلك المنزلة مصالحة فانه لم يبق غرض في المضايقة فتقدم بنقل الأثقال ليلاً إلى المنزلة
التي كان عليها أولاً بشفرهم وأدام وجرى مكانه لينظر ما إذا يكون من أمر العدو وحوال أهل البلد فانتقل الناس
في تلك الليلة إلى الصباح واشتغل العدو بالاستعداد على البلد وأقام السلطان إلى التاسع عشر ثم انتقل إلى القلعة
ورصل لأنه نفر معهم أقوش حاجب بهاء الدين قراقوش وكان لسانه فانه كان رجلاً عاقلاً مسجوزاً من موقع عليه
عقد الصلح من المال والأسرى فأقام الالة مكرمين وساروا إلى دمشق فيصرون الأسارى قال العماد وخرج
سيف الدين المشطوب وحسام الدين حسين بن باريك وأخذنا أمان الفرنج يعني على القطيعة المأتمم ذكرها قال
ولم نشعر إلا بالآيات الفرجية على عكا وكوزة وأعطاف أعلامهم هوزة وعم البلاء وتم الغناء وغز العزاء فقط
الرجاء وحصرنا عند السلطان وهو مقيم والتدبير للمستقبل مقيم فغز بناه وسليمانه وقتلناه هذه بلدته فغصه الله
قد استعادها أعداءه وقتلناه أن ذهب مدينة فاذهب الدين ولا ضعف في نصر الله البقيين قال ودخلوا عكا
وتسلخوا ولم يبقوا على الشر أظلالاً أحكوها فانهم منعوا أصحابنا من الخروج واحتاطوا عليهم وعلى أموالهم
بجديهم واعتاقوا لهم ثم طلبوا المال فجعله السلطان وكلة وأودع خزائنه بعد ما حصله وأحضر صليهم المطلوب
المساوب وأتم شرطهم بالخطوب فظهرت أمارات وكدهم وبدت دلائل مكرهم وفي كلب كبة انفاضل عن السلطان
إلى شمس الدولة بن مقاد وودع بالغرب في الرسالة (بعد ما حورت عدة من قتل على عكا يعني من الفرنج الحسين ألقا
قولاً لا بطرقه التسميح بل بجزءه التصفيح فأتوا في هذه السنة ما كانا فرنسيس والكأكيرة ومبارك آخرون في مراكب

بجسدية وماله جواهرهم الخيول والخيالة والمقاتلة والالاء له ووصلت كل سفينة تحمل كل مدينته وأحد قبت بالشر
 نجعت الناقل بالسلاح اليه والدخل بالميرة عليه ثم قال (وأخذ البلد على سلم كالحرب ودخله العدو ولم يدخل من
 الباب دخل من النقب وما وهننا أصابنا في سبيل الله وما ضعفنا ولا رجعنا وأتانا النصر فثنا بل نحن كنا نعتقد
 أن يبرزوا فنبازهم ويخرجوا فنناجزهم وينشروا فنتوهم وينبشوا فنتروهم وأتانا على طرقهم وخيبتنا على
 مخبتهم وأخذنا بأطراف خندقهم وأخرجنا ما كنا إلى النجدة البحر به والاساطيل المغير به فان عاريتنا به ترد
 وعاد بنا بها تشدد والامر يبلغ ما بلغه من خطب الاسلام وخطوبه ويقوم في البلاغ يوم الجمعة مقام خطبه
 ويجعل العودة وقبلها الاجابة ويستحب السهم ويسبق بشري الاصابه وبشهر ان الراية قد رفعت انصر تقسدم
 به عرابه فان للاسلام نظرات الى الافق العربي يقلبها وخطرات من اللطف الخفي يفرها ويكي من حسن الظن
 انها نظرة ردت الهواء الشرق غربا وخطرة أوهت ان تلك المهمة لتوتم بالسفائن لاخذ كل سفينة غصبا قال العماد
 وعزم ملك الافرنسيس على المسير الى بلاد مصر لاختلاف عايشه فأخذ معه من الاسارى وسلمهم الى المراكيس ووكاه
 في قبض نفسه به ورضي بتدبيره وترتبته وخرج في يوم الخميس انسلخ الشهر من جانب البحر وانتشر بالبحر
 ووصلوا الى الآبار التي حفرها البرك وتواقعوا مع البرك وأخذهم السلطان فقاروا العدو وصرع منهم سبع مئتين وارسا
 قال القاضي وخرج خلق عظيم ولم يزل السيف منهم حتى دخلوا خنادقهم قال ولم يزل الرسل تتردد بين الطائفتين حتى
 كان يوم الجمعة تاسع رجب شرف حسام الدين حسين بن تاريك المهراني ومعه اثنان من أصحاب الانكليز حتى فآخبر
 ان ملك الافرنسيس صار الى ضرورة كروا الشاع من تحس برأى الاسارى وطلبوا ان يشاهدوا صليب الصليب
 وانه هل هو في العسكر أو جعل الى بغداد فاحضر صليب الصليب وشاهدوه وعظمه وودعوا وانشدهم الى الارض
 ومرة غار وجوههم على التراب وخضعوا خضوعا عظيما لم ير مثله وذكر ان المسلول قد أجابوا السلطان الى ان يكون
 ما وقع عليه القرار يدفع في ترم ثلاثة أي ليوم كل ترم شهر ولم يزل الرسل تتوارى في عذر القاعدة ويخبرها حتى حصل
 لهم ما يشهونه من الاسارى والمال المختص بذلك الترم وهو الصليب ومائة ألف دينار وسقاية أسير وأخذوا ثيابهم
 وشاهدوا الجميع ما عند الاسارى المدينين من جنائب فانهم لم يكونوا فرغوا من تعيينهم ولم يكملهم حتى يحصوا اولم
 ير الواطاولون ويقضون الزمان حتى انقضى الترم الاول في ثامن عشر رجب ثم أنفذوا في ذلك اليوم وطلبون ذلك
 فقال لهم السلطان امانا تفقدوا البنا عجايبا وتسلبوا الذي عنكم في هذا الترم ونعطكم كرهائن على الباقي يصل
 اليكم في ترمكم الباقية واما ان تعطونا كرهائن على ما سلبه اليكم حتى تحفر جوار البنا عجايبا فقلوا لا نفضل شيئا من
 ذلك بل نساوم ما نقضه بهذا الترم ونقتنعون بأمانتنا حتى نسلّم اليكم عجايبا بكم فاني السلطان ذلك لعلهم ان تسلبوا
 المال والصليب والاسرى وأعجبا بنا عندهم لا يؤمن غدوهم فاساراه قد امتنع من ذلك اخرجوا خيامهم الى ظاهر
 خنادقهم بمن في الحادي والعشرين الانكليزي وجاعة من الخيالة والزجالة والتركيب وركبه وفي وقت العصر
 السابع والعشرين من رجب وساروا حتى أتوا الى الآبار التي تحت نبل العياضية ثم أحضر واهم الاسارى المسلمين
 من كتب الله شهادته وكانوا ازهاء ثلاثة آلاف مسلح في الحبال ووقفة وهم وجعلوا عليهم جلبة ألترجل الواحد فقتلواهم
 صبرا لعلنا نرضى بالانصاف رحمة الله عليهم والبرك الاسلامي شاهدتهم ولا يعلم ماذا يصنعون بعدهم وكان البرك
 قد أنفذ الى السلطان واعلم بركوب القوم ووقفت فأشبه الى البرك من قواه وبعدها فرغوا منهم جل المسلمين
 وجرت بينهم حرب عظيمة جرى فيها قتل وجرح من الجانبين ودام القتال الى ان فصل الليل بين الطائفتين وأصبح المسلمون
 يكتفون الخال فوجدوا المسلمين الشهادة في مصارعهم وعرفوا من عرفوا منهم وغشى المسلمين بذلك خرم عظيم ولم
 يبق واهم المسلمين الا رحلاهم وفامدما أقوا بأعدائهم في عاثرهم قال العماد وطلب السلطان منهم ان يصفهم
 الداوية في قبض المال فقال الداوية ما تدخل في الضمان فاقعه وأمنهم بالقول والامان فظلمهم في حقى كلامهم
 الخلف ثم ذكر قتل الاسارى قال شاهدناهم مائة شهيد بالعرابا بيجتردين ولا شك ان الله كساهم من سندس
 النعم وقلمهم الى دار القامة في العز المقيم وتصرف السلطان حينئذ في المال وفقر خيرة على رءاء الرجال وأعاد
 الاسارى الى أرباعها وأحوت عايشا بدمه شتى أيدي عجايبا وحفظ الصليب العلي بدمه شتى رءاءه وكانه وأعاد

الى صوابه لا لعزله لانه لا مصاب عندهم اعظم من استيلائه على ما له وامتداد ايدى اليه وقد قبل قبله
ثم الكرخ بدولا وانه قد ورد رسول رسولاً فها وجدوا قبولا ولا صادوا سولا ومن كتاب عمادى عن السلطان
ذلك (والكرام اجمال والحرب سجال والله من المؤمنين رجال والا لا فقد ثارت الحيات وهبت الغووات ورجب على
كل مسلم ان ينض لنصرة الاسلام ويتدارك ما حدث من الكسر والوهن بالجبر والاحكام ويعيد ما وهى من عقد الفتور
الى النظام فان ذوا الانفة والنجية والهمم العلية والنفوس الاليسه اما يعقون لمصر عن استيلائهم على اخوانهم اما
شورون لشارائهم اما تبكى العميون قل من اما تلهم واعيانهم فان مه اجهم عظم ومعامهم عندهم المكرم
كريم واراد الله بذلك تنبيه الهمم الزاهده وآثار العزائم الزاكده)

(فصل) في ما جرى بعد اتصال امر عكا قال العماد ثم ان الفرس خرجت صوب عسقلان مستهل شعبان وسار
السلطان في اعصم والمسلمون يخطونهم ويقتلونهم وناسرون ويحرقون ويسلبون ويمزقون وكل اسير اثنى به
السلطان امر بعته ووصالوا الى حيفا فاهوا وهاور المسلمين بالعمون وقدم السلطان شمله الى مجدل بانار افعى نارلا
على البحر الجارى الى قيسارية وودع العاضل السلطان وسار الى دمشق لانه قد خرج الوافدين من الاكابر والنباهة
رما جبنوا عن اقامه الاوطاف وكان الامر الفاضل عندهم كالا من السلطانى فاذا استساروه وخلصوا من كل
تبعه وذلك في تاسع شعبان جال الحسير بان الفرس خرجوا وناوواهم بسيرون في الساحل بالفرس والزاجل ومن
بهم البحر وعن سارهم الزمل وكانت الزجالة حوهم كالسور وعلمهم الكبيرة النجينة والورد باب الشافعة
الحكمية بحيث يقع فيهم الشاب ولا ترون وهم مرمون بالزرك فخرج خيول المسلمين وغيرهم قال القاصي
ولقد شاهدتهم في قطر الوالو اخدمهم النساء والعشرة مغروره وهو يسرع على هيبته من غير انزاع وحسبهم آرم
الزحالة مستريح في شوش على جانب البحر ولا قتال عليهم فاذا تعبه هؤلاء المقاتلة والاعينهم الجراح فام قامهم العلم
المستريح واستراح العلم المال هذا والحياة في وسطهم لا يجر حون عن الزجالة الا في وقت الجلاء لا غير وقد انقشوا
أضاللا فاعادهم الاول الملك العتيق حمري وحجاعة الساحلية معه في المقدمة والافسر الرئيسية معه في الوسط
وأولاد الست اخصاب طبرية وطفة أحرى في الساقة وفي وسط القوم سرخ على بحلة وعلفهم على ما وصفت من قبل
يسر ايضا في وسطهم على بحلة كالماداة العظيمة وساروا على هذا المال وسوق الحرب فاقه من الطائفتين والمسلمون
برموزهم من حوانهم الشاب ويخرجون عن أعينهم حتى يجر حوا وهم يحفظون نفوسهم حفا عظما ويقطعون
الظر بقى على هذا الوضع ونسبهم من سراقيقا وراهم بسير في مقابلتهم في البحر الى أن أتوا المثل فبروا وكانت
مناظرهم قربة لاجل الزجالة فان المستر يحس كانوا يجهلون أفعالهم وخيمهم فله الظهور عليهم قال فانظر الى
صبر هؤلاء القوم على الاعمال الشاقة من غير دنوان ولا تنفع وطاق الجيش حوهم من كل جانب وزهم الشاب
وكما ضعف قسم عاونه الذى يليه وهم يحفظ بعضهم بعضا والمسلمون محدقون بهم من ثلاثة حوا وبأبت السلطان
وهو يسير بنفسه بين الجالدية والشاب القوم فتناور به وليس معه الا صبيان محميين لا غير وهو يسير من طلب الى
طلب يحتم على التقدم وبارهم بصايفة القوم والصباح بالمال والتكبير تقع والعدو على اثبات فيهم لا يتعرون
ولا لا يعجزون وحرت سجلات كثيرة وراح لهم فخرج المسلمين وخر حوهم بالزرك والشاب الى أن أتوا الى المرقب
فقتلوا عليه وقد فاهم الظهير ومضرواحا بهم وترجع الناس عنهم فاهم كانوا اذار لو آيس الناس من امرتهم
مهم وفي ذلك اليوم قتل من فرسان المسلمين وشجعانهم يار انطويل وهو من عالى السلطان وكان دور فاهم وقتل
خلقا من حياتهم وشجعانهم وكان قد استعاضت شجاعته من العسكر من بحيث انه حر تله وتقاتل كثيره فصدق
أخبارا لا اواب وصار بحيث انه اذا عرفه الفرس في موضع يحافون منه فاتفق ان تقطره فرسه فاستشهد على ذلك الم
وده على قل مشرف على البحر وخر المسلمون عليه خرافة وقل عليه مجرولة وورل السلطان بالثقل على الم
وهو وصع يصنع فيه مياه كثيرة ثم رحل بعد العصر وأتى المرقب فقل عليه أنضافا كثيرا شرب من ماء
والعدو شرب من أسفله ليس به شالا مسافة يسيرة ويات المرقب هناك قال العماد وكانت دولة الملك الزاهل
اراهم بن المهدي في الساقة وكانت الفرس قد استبانهم المرقب فخرج منها جماعة من سريين وقتل

في أخبار (١٩١) الدولتين

على البركة مشرفين فيصير بهم ابن المقدم فغير اليهم من ورائهم هو ومن معه النمر وهم لم يأخذوا من خلفهم الجبل فنجأهم وجفهم وفرغ من شغلهم قبل ان يدركهم الصريح وسلبهم وغنمهم ثم نهض الفريخي اليه وجاوا عليه وجرت وقعة شديدة لحزب الضلال مبيده جابت لنا غنجه وعليم هزيمه وأحضرا الاسارى عند السلطان يجزام الذل والهاون فأخبروا انهم جرح منهم بالأسف وسرى فيهم وهن وضعف ثم رحل السلطان وغير شعراء ارسوف ونزل على قرية نعرف بدير الزاهب وطاب لك الانكسار قال اجتماع الملك العادل لصلواته فاجتمعوا فاشار بالصلح وكنان حاصل كلامه انه طال بيننا القتال وتحسن حثنا في نصر قافر ينج الساحل فانسلخوا أنهم وهم وكل من يرجع الى مكانه فقال على ماذا يكون الصلح قال على ان يسلم الى أهل الساحل ما أخذ منهم من البلاد فأبى الملك العادل وأخبره ان دون ذلك قتل كل فارس وراجل فرجع مغضبا وفي يوم السبت رابع عشر رمضان كانت وقعة ارسوف تأهب المسلمون للقائهم فازججهم وأبواهم يلاهم فلما رأى العدو ما هو فيه من الضيقة احتجروا وجاوا جلة واحدة فانكشف من كان قدامهم واندفعوا ونبت ذلك اليوم العادل وأصحابه وقاموا النجوى وعسكر الاوصل ثم كرت العساكر انهم وجرت النوايب عليهم جفرت بين الفقتين قتله عظمه فلجأوا الى جسد ارسوف ولولا ذلك لاستعيت فيهم المحتوف فقتل السلطان على نهر العرس ورحل العدو الى ما خلف لهما والمسلمون على العادة في عراضهم مقيمة على تبديد جوعهم واعتراضهم وقتل يوم ارسوف لهم كند كبير تحت حكمه من الفريخ عدد كثير وكان من علم شأنه وخفاة مكانه انه يوم صرع قاتل دون جماعة من المقتدمن فاقبل حتى قتلوا ولا بذل روحه حتى بذلوا روحهم قال القاضي ابن شداد انهم وقدا جة وا في وسط الرحالة وأخذوا وراحمهم وصاحوا صيحة الرجل الواحد وفرح بهم رجائهم وجعلوا جلة واحدة من الجوانب كلها فاندفع الناس بين أيديهم ولم يبق في طلب السلطان الا سبعة عشر مقتلا ولا اعلام باقية والكؤس ندق لتفتت فلما رأى السلطان منازل المسلمين سار حتى أتى طابسه فوق قفبيه والناس يشرون من الجوانب وكباراى فارا بأمر من يحضره عنده فاجتمع في الطلب خلق عظيم ووقف العدو على علمه على رؤس التسلول والارواى وخاف العدو وان يكون في الشعراء كين وثابت العساكر كلها فترجع العدو الى منزلته وجلس السلطان ينتظر الناس من العود من السبق والجري يحضرون بين يديه وهو يتقدم عدواهم وجعلهم وتل رجالة كثيره وجرح جماعة من الطائفتين وصدم الملك الافضل وانفتح دمل كان في وجهه وسال منه دم كثير على وجهه وهو صابر محسوب في ذلك كله وقتل من العدو جماعة وأسر واحد وأحضر فأمر بضرب عنقه وفي بعض الكتب السلطانية (سار العدو من عكا على قصد عسقلان وسقنا عسار منهم في كل طرفي ومخايفتهم في كل مدينة ومنازلهم في كل منزل ومدافعهم من كل منزل وهم يسبرون البحر لا يبارقون ساحله ولا يضاوون مراحله والواضع مضائق وشعراء ورمال والمقاتل فيها يبال وما وجدناه في الاوضاع بناهم فيها وأخذنا عليهم في نواحها ومن جلة ايامنا الممودة وما مننا المعرفه الحزبه يوم الاثنين التاسع شعبان عند رحيلهم من قيسارية) فذكر الواقعة السابقة وفيها (انه تلقى من خيلهم ألفا راس) ثم ذكر يوم ارسوف وحسن عاقبه المؤمنين بعد الباس ثم رحل السلطان التاسع عشر شعبان ونزل بالرملة واجتمع الانفال في تلك الرحلة ورحل ليلا وأصبح على تبنها وجاوزها الى نهر امران الخيام عليه تبني قال وزينا بن تاشا رأى في هريرة وضوات الله عليه وتبادر الناس بالثين بدليه قلت اعتد العادل في هذا على ما شئنا من العامة من ذلك وأما أهل العلم المصنفون في أخبار الصحابة رضی الله عنهم كابن سعد وغيره فقد كروا ان أباهم توفى بالمدينة ولم يذكروا غيرهم على ما ذكرناه في ترجمته في التاريخ والله أعلم قال العادل ورحل السلطان ونزل بظاهر عسقلان بعد العصر وشرع فيما عزم عليه من الامر وكان المايز بالرملة أحضره عنده أثناء العادل وأما الامراء وشاور في أمر عسقلان ذوى الاراء فاشار على الدين بن سلمان بن جندريث انهم للجزع من حفظها على ما بها وواقفه بالجامعة والواقداضاق من صوبها الاستطاعة فان هذه فاقدت لولمها وسكنت واقفا وهي مدينة بين القدس وعسقلان مشوشة ولا سبل الى حفظ المدينة فان اراد الشرف الموضعين في حسنة وحكمة فاقتضت الاراء اقامة العادل

كتاب (١٩٢) الزوشتين

يقرب بإفامع عشرة من الامم واحتج اذا قهرك العدو كانوا منه على علم قال القاضي أشار عليه بقرب عسقلان خشية ان يستولى عليها الفرنج وهي عامر قبة ثلثوا من بها من المسلمين وياخذونها القدس الشريف ويقطعون طريق مصر وخشي السلطان من ذلك واعلم بخبر المسلمين عن حفظها القرب عهد منهم عن عكا وما جرى على من كان مقبها فاسار حتى أتى عسقلان وقد ضربت خيمته شمالها فبات هناك مهجوما بسبب خراب عسقلان وبام تلك الليلة الاقبيلا ولقد دعا إلى خدمته سجرا وكنت فارقة بعد معنى نصف الليل فحضرت وبدأ بالحدس في معنى خرابها وحضر ولده الافضل وشاوره في ذلك وطال الحديث ولقد قال رحمه الله والله لان أفقد أولادي بأسرهم أحب إلى من ان أهدم منها سجرا واحدا ولكن اذا قضى الله بذلك وعينه لحفظ مصلحة المسلمين طريقا فكيف أصنع قال ثم استخار الله تعالى فوقع في نفسه ان المصلحة في خرابها فاسا فحضرت الوالي وأمر بذلك في تسع عشر شعبان ولقد رأته وقد اجتاز بالسوق والوطاق بنفسه يستنقذ الناس للزباب وهم السور على الناس وجعل لكل أمير وطاقفة من العسكر بدنة معلومة ورجعا معلوما يخبر لونه ودخل الناس إلى البلد ووقع فيه الضحك والكاء وكان بلدان خيفة على القلب بحكم الاسوار عظيم البناء مغربا في سكاك فحكى الناس عليه حزن عظيم وكان هو بنفسه وولده الافضل يستعملان الناس في الخراب خشية ان يسمع العدو فيحضر ولا يمكن من خرابها وأباح الناس الهوى الذي كان في ذلك في البلد للجزع عن نفسه وضيق الوقت والخوف من هجوم الفرنج وأمر بحرق البلد فاضرم من النار فيه والاختيار تواتر من جانب العدو بجواره يافا وخرب من سور عسقلان معظمه وكان عظيم البناء بحيث انه كان في موضع تسع أذرع وفي موضع عشرين ذكرا بعض الحجارين للسلطان وأنا حاضرا عن عرض البحر الذي يتقون فيه مقدار ربع فمزل الخراب والحرق يعملان في البلد واسوارها إلى سطح شعبان وعند ذلك وصل من جديد كتاب يذكر فيه ان القوم قد تسهوا وصاروا يخربون من يافا فيسبون على البلاد القربية منها فيحرقون السلطان لعله يبلغ منهم غرضاتي فترجمهم على الرحيل وعلى ان يتخلف في عسقلان سحار بن ومعه خيل فجمعهم بمسيرة قصون في الخراب ثم رأى ان يتأخر بحيث يحرق البرج المعروف بالاسدثار وكان برجا عظيما مشرفا على البحر كالقلعة المنبئة ولقد دخلته ووطفته فرائت بناءه أحكم بناء لا تعمل فيه المعاول وأنا أحرق ليقى بالخرق فلا للحراب وبقيت النار تشعل فيه يومين بيلتيمها قال العماد ونقض منها ابراج التي على ساحل البحر وداخلها قرأتها أحسن مدنية منبهة حصينة فطال بكائي على رسومها وقض ختموها وقبض أرواحها من جسامها وحاصل النوار بدورها وتزول السور بسورها فها برح السلطان منها حتى رأينا طولها وأرسل رسومها أطوا من والرؤس حياء معاهدنا وكس قال ولقد ظلت لكان حفظها متعبينا وصورتها بمكان لكن وجد كالا له متعبينا متعبينا وقد راعهم نوبة عكا وحفظها ثلاث سنين وعادت بعد ذلك بمنزلة المسلمين وقال من تعلى واعتذر من دخولها تدخلها أنت وأحد أولادك فندخلها اتباعا لما اردك فحينئذ لم يجدد ما من نقض أسوارها وقض سوارها وسكانها كانوا في رفاهيه فاتتوا واعلم على كراهيه وابعاد أنفس الاعلاق بالجنس الاثمان وقبوع بالاطار والاطوان

(فصل) فيما جرى بعد خراب عسقلان قال العماد فارقها السلطان يوم الثلاثاء نافي رمضان وتزل على ثنا وتزل بالرملة يوم الاربعاء وأمر بحرق حصنها وخرب كنيسته له وركب جريده إلى القدس فأتا يوم الخميس وأعاد اليه رسوم التأسيس وخرج منه يوم الاثنين ثمان رمضان وبات في بيت نوبة وعاد إلى الخيم يوم الثلاثاء ووصل مع الذين قبضه شاه صاحب ملطية بن قليج أرسلان وأغدا عليه منتصرا به إلى أبيه وأخوته فانهم كانوا في صددون أخذ بلد من يده فافام في الخدمة السلطانية مدة وتزوج بامانة العادل على صداق مائة ألف دينار وسار مستملا في القسعة وفي ثامن الشهر أيضا خرج الكمين على ملك الانكسارية وكان خرج في فوراسه مخفر الخطابة والحشاشه وكان يؤخذ الملك لكن أحد خواصه قدماه نفسه بان أظهر حسن لباسه فظن انه الملك فأسر وقال ابن شنداد حال بينه وبينهم فرجى فقتل الفرنجى وجرع هو وفي ثاني عشرة عسرت أيضا فوامة كان النصر فيها المسلمين وقتل مقدم كبير من المشركين ومارال يقع بينهم وبين البرك وقعات وتسرق العرب من خيمتهم وبغالهم ورجالهم

في أخبار (١٩٣) الدولتين

ومن كتاب إلى صاحب سجنار قد تقدم الإسلام بما جرى عند رحيل العدو على قصد عسقلان ومما تم عليه من في طريقه من النكابة والخذلان وأنه قطع في سبعة عشر يوماً مسافة يومين إلى أسبوعه وغاصه من الحين وما صدق كيف وصل إلى أبا فاطمه فظهر بها الاستيطان وأقام بها جمع الممكّن وهذه مدينة بأفامتوسطة بين القدس وعسقلان ومنها إلى كل واحدة منهما مسافة نصف نهار وكانا هما من العدو على خوف وحذر وكل واحد من الموضعين يحتاج في تحصينه إلى ثلاثين ألف مقاتل وقد راجع بين حفظ الثغرين وتحصين البلعين وقعبت في تضييق عسقلان بعمارة القدس وتحصينه وعصمته من العدو وتأمينه ثم رحل السلطان إلى النصارى وتخيّم على تل عال والنصارى حصن حصين كان الدواوين يمكن لما فتح تشعّث أسواره وانقض جسداه فأمر به دمّه فهدم ثم بعث ملك الإنكليزية راغباً في المصالحة والمسالمة إلى العادل وزعم أن له اختراعاً بره عليه كبيراً القدر ولها كانت زوجة ثلاث كبير من ملوكهم وخصوصاً صقلية توفي عنها ورغب أن يترجّحها العادل ويجعل لها الخبز على بلاد الساحل ينقذ فيها أمره وهو يقطع الدواوين والأسلاد والفرى دون الحصون وتكون أخته معه بالقدس ومعها قيسه قيسون وورهبان حافظه لهما من أفعال زمان فرأى العادل في ذلك عين الضواب وشاور السلطان فوافقه فيما أجاب فنقل الرسول إلى الإنكليزية بالاجابة فدخل النصارى على المرأة وخوفوها وأثم هو إلى دينها وعنفوها وقالوا لها ما معناه هذه فضيحة عظيمة وسبة شنيعة وقطع على النصرانية وقطيعه وأثبتت خاصة للشيخ المطيعه فرجعت عن ذلك وما أجابت فاعتذرت لأن كثيرى بعدم موافقتها إلا أن يدخل العادل في دينها فعرفت أنها خديعة كذبت من الإنكليزية قال القاضي ووصل رسول من المراكس بذلك إلى صلاح الإسلام ثم رد أن يعلى صيدا ويرت على أن يجاهر النصارى بالعداوة ويقصد عسقلان بما حصرها ويأخذها منهم فأجيب أن ذلك على أن يطلق من هو بصور من الأسارى ولما سمع الإنكليزية بذلك رجعت إلى عكا فخرج هذه المصالحة واستمر جراح المراكس إليه وجاء الخبر أن ما لا فرق ليس مات بانطام كمية ووصل كتاب من أبي الدين يخبره أن نزل صاحب دار الجيم ابن الذكر قتل وجرى بسيرة قتل في بلاد الجيم بنطاب عظيم قال العادل وكان مجتهداً في مقتله فالتفتهم وأضاعوا الشر بوالقصف المولم وقتل باصفهين عشرة من رؤساء الشافعية المرفوقين وكسبهم المولم وقوف ووصل من الديوان كتاب يشكر فيه قصد أبي الدين خلاد ونظار فيه العناية التامة ببيكته ويشجع في حسن قضاة ويتقدم بطلانه وكان قد قبض عليه منظر الدين بابل ويتقدم بسير المعاني القاتل إلى الديوان لبت بال وقصص أمر فاجاب السلطان بالإناء مرقى الدين بشي من ذلك وانما غير الجيم جمع العساكر ويعود إلى الجهاد وأما ابن قنقاق فقد تقدم إليه منظر الدين حتى حضره إلى الشام فبذناه فيه ويكره ما رزما للجهاد وأما الفاضل فاعتذر عنه بأنه كبير الأفاضل وقوته تضعفه عن الحركة إلى العراق قلت وبلغني أن السلطان رحله إلى دمشق

في الاعتذار بالخصور إلى الديوان وتقل في كتابه يدين البيتين

ما كنت أول سارعه قسر ۞ ورأيت عند عتبه من ذل الدين

مثل نفسك شخصي انظر رجل ۞ مثل اعمى في سماع في ولا ترى

قال القاضي وأرسل الإنكليزية إلى السلطان أن المسلمين والفريق قد هلكوا وترت البلاد وألفت الأموال والأرواح وقد أخذ هذا الأمر حق وليس هناك حديث سوى الذل والصلب والبلاد والقدس مستعبدان ما نزل عنه ولولم يبق منّا واحد وأما البلاد فمعد اليانما هو قاطع الأردن وأما الصليب فهو خشية عندكم لا مقداره وهو عندنا عظيم فبين به السلطان علينا ونسرت بجمع هذا العناء الدائم فأرسل السلطان في جوابه القدس لنا كما وليكم وهو عندنا أعظم مما عهدكم فكانه مصري بيننا وجميع الملاة كة فلا يتصور أن نزل عنه ولا نفسد على التفتد بذلك بين المسلمين وأما البلاد فهي أبعنا لنا في الأصل واستبلاؤكم كان دارنا على المضعف من كان هم من الممّن ذلك الوقت وأما الصليب فهو لا كد عندنا فربما عظمه لا يجوز أن نطرد فيه إلا لمصلحة راجعة إلى الألام هي أوقى منها وهو بر شير ۞ ودين باخيل الكردي من عكا وكان أسيراً بها وكان أنتم حبيذاً في شدة قد سدلى به من دلتة في بيت الداهرة وأسند ياتي بيوده إلى تل العمادية فكان في الجبل وقد اجمع عليه النصارى كسر قيوده

مكتّاب (١٩٤) الروضتين

وسار إلى المسلمين ثم توارى الخبيران الفرنج على عزم النهوض فصار السلطان من الخميم بالنظرون إلى الزلزلة سابع شوال وأقام بها عشرين يوماً فحسرت وقعات وقتت دفعات منها وقعت في ناحية يازور وكان النصر فيها للمسلمين ووقع دون المسلمين ثلاثة وذلك ثامن شوال وفي سادس عشر شوال وقعت وقعة أخرى عظيمة قُتل فيها جماعة من الأمراء وأسر فارسان من الكفرة معروفان بالباس سوى غيرهما وقتل منهم زهاء مئتين نفرًا وفي خامس شوال وصل الخبر أن الأسطول المغربي استولى على مراكب الفرنج وفتحها مراكب تعرف بالاسطوخودوس قبل أن تكون فيه خمسة مائة نفرًا ثم اندفع ذلك وأنه قُتل منهم خلق عظيم واستبقى منهم أربع مائة نفر مذكورون وفي ثامن عشر شوال اجتمع العادل والأكتنبري على طعام ومحاذرة وانفصلوا عن توادد ومطاببة وطلب منه الاجتماع بمجدة السلطان فامتنع رحمه الله وقال الملوكة إذا اجتمعوا اتبعهم ينجسهم المحاصصة بعد ذلك وإذا انتظم أمر حسن الاجتماع ورحل الفرنج نالت ذي القعدة إلى الزلزلة وأظهروا فساد القدس بملك الترجلله ودامت الوقعات بين المسلمين وبينهم ورحل السلطان إلى القدس نية المقام في الثالث والعشرين من ذي القعدة وكان الشتاء قد دخل والغيث قد انفض فوصل إلى القدس وقت العصر ونزل بدار الإفساء المجاورة كنيسة قامة وفي ثالث ذي الحجة وصل عسكر من مصر بأموال ورجال مع أبي الهيثماء العمدين وتحول الفرنج إلى النظرون فقوى السلطان البرك فوجعوا على سرية ففتحها وسبق منهم إلى القدس نصف وخمسون أسيراً سوى من قُتل منهم وواقعهم سابق الدين عثمان صاحب شيز يوم عيد الاضحي فحرمهم وضحي واحتوى على عشرة من مقدميهم أسرا وقتلوا تساق باقي الفرنج في الجبال وتركوا خيلهم ففتحها المسلمون ولم يزل المسلمون عليهم مستظهريين مدة مقامهم بالنظرون وجعل المسلمون يقطعون الطريق على تجارهم حتى انهم أخذوا فاقة ثقيلة بما فيها ولم يقدروا على تخليصها فخرجوا عائدتين إلى الترمذ في الثاني والعشرين من ذي الحجة وفي ذلك اليوم وصل من الموصل خمسون رجلاً برسم قطع الصهور من الخندقد فان السلطان شرع في تحصين القدس وعمار قبابه وأسواره وحفر خندقه وأرسل إلى اللادق جمع رجال هذه الاعمال وقتل الأمراء فيه العمل وتمثل فيه السلطان بنفسه بنعل الحيازة وهو أولاده وأمر أوه وأخضاه ومعهم القضاة والماء والولادة والأمراء قُلت وفي قصد الفرنج للسلطان بالقدس بقول الرشيد بن النابلسي من جملة قصيدته

رجح الفرنجية بل وبل أهمهم أوما * قيمم لبيب على العلات يعتبر
فكم نبرتم ضرباً إذا انتظموا * وكظمهم طعننا إذا انتسروا
صكم قدسيتهم ذلاً فلا يجنب * أن عربوا صفها فاقوم قدسك وا
أنهموك فلا بدع لجهلهم * تسبي إلى الاسدي غابا تم الحمر
زاروا نورا ولا تغنى وفاحتهم * إذا اسودك في أباطهم رأوا
حقام عن حولة الببت المقدس لا * خوف وحاشاك من خوف ولا ضرر
هو الشريف وقد نادك معصم * فمأ على محمد بن بعدهما حذر
وسوف تستغفر الأيام هفوتها * وتحصد الفتنة الأوغاد ما بذروا

(فصل) في باقي ما ياحوادث هذه السنة قال العماد في ربيع الأول من اتولى القاضي يحيى الدين عميد الزكي قضاه دمشق وفيها يوم الجمعة تاسع عشر رمضان كانت وفاة تقي الدين عمر بن أخى السلطان ورأى القرائن وكان قد امتدت عينه إلى بلاد غيره فاستولى على السويداء وعلى مدينة حافى وعزم على قصد خيلاط وكسر صاحبها سيف الدين كاتن وملك معظم تلك البلاد ثم أباغ على منازكر ديمصيرها ومعها عساكر كثيرة فأناخت بجسده المدينة بسبب مرض اعساره وزاد أن أبلغ منه المراد وأخفى ولده الملك المتصور فأنه ورحل عن البلد المحصور وفاته وعاد إليه إلى البلاد التي في يده وتبعه الناس من حزمه وعزمه وثباته وجلده وجاءت رسالته إلى السلطان بتخبره بأنه قام مقام والده فيما كان له من البلدان وطلب منه نوطاً نسب به بسببه إلى العصيان وكذا أمر بضرب وخابه ككتيب وشأنه يسكن ويطلب حتى احتج بالملك العادل فنصره وأظهره إلى الخويزنداد وأظهره وقال القاضي

في اخبار (١٩٥) الدولتين

[illegible]

كتاب (١٩٦) الروضتين

قيدس وهو أودين عيسى بن فليته بن قاسم بن محمد بن أبي هاشم الحسيني ولما عرف عن معصيته أقام بغضه وتوفي بها في رجب سنة تسع وثمانين وهو أمير ابن أمير إلى آخر من ذكرنا من آباءه وهم بستة نفر قال ابن الأثير وفي ربيع الأول سنة سبع وثمانين سارع الزبير بن عيسى صاحب الموصل إلى جزيق ابن عمر فحصرها وبها ابن أخيه معز الدين شجر شاة لأنه كان سبي السيرة معه خارجا عن طاعته مساعدًا لأعداء عليه فعزم على أخذها منه فخضع وطلب العفو والصغف فأجابته وصالحه على قاعدة استقرت بينهم ما وعدناه إلى الموصل فعاد سجنه وشاه إلى حالته الأولى فتحيا وزعمه وأطرحه

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين قال العماد والسلطان مقبم بالقدس وقد قسم سور البلد على أولاده وأخيه وأجداده فمصر عواش إنشاء ورجد محمد بن بهمد وكان يركب كل يوم وينقل الصغير على قوس سرجه فماتت الأكار والامراء في قتل الجارية بنحوه ولورأيته وهو يميل حجرا في حجره لعلمان له قلبا جدل جديلا في فكره ولقد جدت في حياة الصخرة اثة تسعة حتى حمل لها الصخور وأسر صدره إلى ضمناءه إلى صدره حتى بأمر صدره إلى كيه بها الصدور ومات غدا ردينيها في الجنة بنقل حجارته ليكون ملكا في دارها وقرادها ثم وداوم الكور في الزكوب وعرض وجهه الكرم للشعوب قال وفي ثالث المحرم حمل الفريخ على سمع عسلة نسا وأشاعوا أنهم يعيدون بها العمران وهم يزلون بظاهرها جاثلون في موارد ومصارها قرأ الأتكتيكي دشتنا على بعد قصده وكان ثم جساها من الأسدينة وسيف الدين يازكو ح وعلم الدين قصير وهم غارون عدهم فوصل اللعين الهم وقت الما غرب فوقع عليهم وكانوا فرقتين نازلين في موضعين فلما وقع على أحد هار كركب الفريخ الثاني ودافعه حتى كركب الفريخ الآخر قد افغوههم وواقعوههم وساقوا قدامهم أنفاهم وخلصوا ناجين وسلم الله أنفسهم من أيدي الملاحين ولم يبق منهم المسلمين الأربعة وكانت قوة عظيمة دفع الله خطرهما وهزنت ضررها وفي إحدى عشر المحرم كبس عز الدين جرديك تقي على من نزل بها من الفريخ فأوقع بهم البسالة وساق منهم اثني عشر أسيرا ومنعا كثيرا وأغار أيضا ناني مشر على ظاهرها عسقلان وجاءه ثلاثين أسيرا وفي ليلة الرابع عشر مشر كنت سرية مقدمة فافارس الدين ميمون النصري عند تقي إلى أن عبرت قوافل الفريخ فهاهنا ما جاعاها أنفاهما ونسأها ورجعها وفي ستمثل ربيع الآخر وصل سيف الدين المشطوب وقد خلص من الأسر وقطعت على الفريخ خمسين ألف دينار رجل منها عشرين ألفا وأعطاهم بالباقي رهائن فأحسن السلطان لقاءه وأقطعها بالناس بأعمالها فتوفي بها في آخر شوال وفي ثالث عشر ربيع الآخر قتل المركس لعنه الله بصور وذلك ابن جاسين دخل صور ونصرا وأظهر الزهرى والتعبدولما إلى كنيسة وشكها الأقسا واليهان وأحجمها المركس ولم يكن يصبره مما في بعض الأيام وثبا عليه وقتله فأخذوا قتلا وعرف أنهم كانوا من الحشيشية بقلس مكانه الكدهري بأمر الأتكتيكي وسر الأتكتيكي بصحاب المركس فإنه كان يضادهم براسل السلطان في الأعانة عايه فإلحق سكن روعه وذهب عنه ضره وتزوج البكتيكي الكدهري بالملكة زوجة المركس في ليله ودخل بها وهي حامل وما الحل في ماله الفريخ من النكاح حائل ويكون الولد منسوب إلى الملكة هذه قاعدة هذه الطائفة المشركة وهذا الكدهري ابن أخت ملك فرنسا من أسسه وملك أكتيكي من أمه ودخل الفريخ في حكمه وعاش إلى آخر سنة أربع وتسعين وتولاها دون سبع سنين وقال العماد في الفريخ أنه لا يستحق بصور فاستوفى رزقه وتعبدى ومادري أنه تدرى وأكل وشرب وشيع وطرب وخرج وركب فوثب عليه رجلا وسكا كركته بالسكا كين ودكاه عند تلك الدكا كين وهرب أحداهما ودخل الكنديسة وقد أخرج تلك النفس الحديسة فمات المركس وهو مجروح وفيه روح أجوف إلى الكنديسة فمسلوه فلما أبصره أحد الجارحين وثب إليه وزاده جراحا على جرح وقروح على قرح فأخذ الفريخ الرفيقين فالقوهما من انداوية الأسما على بسة من دين فساأوهما من وضعهما على نديبهما هذا التدمير فقالا ملك الأتكتيكي فقتلنا من قبله فبأله من كافر من سفك دم كافر ففاجر في كتابه فاجر قال ولم يجهنا قتل المركس في هذه الماله وأن كان من طواغيت الضلالة لأنه كان عدو ملك الأتكتيكية ومنازه على الملك والسرير ومناقه على التليل والكبر والرفق تاسع جمادى الأولى استولى الفريخ على قاعة الداروم ثم نهبها ورجلوا عواها ورامر فيها

في أخبار (١٩٧) الدبرتين

وكان الانكليزي الماعون قد استفسد من ثوبه عكا فقام بين حليسين فتمكنا ومن ثقب المكان وأحرقوا الثقب والمب
أهل الحصن مدة يشاورون فيها السلطان فمعه لهم وفي رابع عشره خرجت البركة على الفتح على قلعة تعرف
بجبل جنبان كذا قال في الفتح وقال في البرق بجبل بابا وكذا قال ابن شداد وقتل كذا كبير ثم تزلزلت السقايمه
ثم إلى النظر ون ثم إلى بيت لويه وهي وطأ دبرين جبل بينهما وبين القدس من حبله وقبيلهم هم المسلمون بينهم
وأضعفهم يسلمهم يتسلطون عليهم من كل ناحية ويكنون لهم ثقب كل رايه وقد قويت عليهم ببات السلطان
بالقدس وفي السلاخ الشهر الثاني الجمعان وقد وصل العدو إلى قنويه وهي من القدس على فرسين ثلثا رأى العدو
ملايدان له بهرجعنا كصاعلي عقيه والمسلمون في أثرهم يكتنون لهم وينالون منهم وكان بدر الدين دلم في الزل
فيبعث من كن لهم عند طريق باغا فتر بهم فرار فاستولى عليهم الكين وباسلهم منهم أحد وفي ثالث جمادى الآخرة
كبست الكينا فالة فكبست وسلمت وأمرت وفي ناسعه وصل الحبريان الفتح فحساوا بأسرهم ليللا وأدجلوا
ولم تعمل قصدهم ففر السلطان أنه إلى طريق العسكر المضرى فندب الأمير في الدين الطب العادل وعمر
الدين أسلم المضرى حتى بعلم العسكر فالتقى بهم الحسى وأخبرهم الخبر فزاولوا عز وأرم بظنون أن الحسن
العادل قارب من الحسى فحياهم فاستولى على بعض الآه والخلع كثرها مع الرجال ومن جهة من كان
في العسكر فالك الدين أخو العادل لاه فحياهم فاستولى عليه من القوافل قال العماد جري هذا كله والمكان العادل
والافضل غائبان وعساكر الموصل وسجوار وديار بكر متبادلة في الاتيان وسبما كان من بقي الدين ومنه
وتنطروا له في بقاء بلاد أبيه عليه وان الافضل كان دليبا من والده البلاد فاطع الفرات ونزل عن جميع ماله
من الولايات وأنه أذاع إلى الرها وحران ملك تلك البلدان ورجل من القدس في ثالث صدر وأما لى له الدان
عشرين ألف دينار سوى ما يحبسهم رسم الخلع والشر فبات ووصل إلى حلب فاحتفل أخوه النظار لقومه وأدام
له بين الكمار ورسره ووقف بخدمة مائة قلا وبغاف الاتراج اليه مائلا وأخبره له فاجباده وقدم له كل
ما يقيد ومع ناصر الدين بن تقي الدين بما ألقاه ودفع منه إلى ما رجه وأرقه ووصل رسوله إلى العادل وهو
بالقدس لا يجأ إلى ظله وأجبا الفضله لا نذا يجنبه عائدا سابع فاحتلى له وأخبره في ثوبه ماله وخطيب
السلطان في حقه واستعطفه وقال بأه منى إليه وأخبره وأمنه ما يذره وتبقى هذه السنة عليه حران والرها وعطيه
في السنة الأخرى جاء المعرة ثم توالى السلطان مع أخيه العادل أن يأخذهم وللا البلاد ونزل عن أبنائه عذر
وخصف خاصه فقبل واستزاد قلعة جعير فامتدع الملك النظار من ذلك حتى استأجر فسار العادل في العشر الاول
من جمادى الاولى وكتب السلطان إلى الافضل بالعهدة بأه ذاراجا وذبح ذلك ما سارما ووصل إلى حران والرها
وعاد في آخر جمادى الآخرة معه ابن تقي الدين قال الفاضل ابن شداد عاد الافضل من كسر ما منعنا فويل دمشق
ولم يحضر إلى خدمة السلطان فلما اشتد خبر الفتح من إليه ودليبه في ما وسع التأخر فسار إليه مع العساكر الواصلة
إليه من الشرق فلقه السلطان وترجل لجبر القلعه وتغنيا لاهمه قال دليبا بلغ ابن تقي الدين من ذلك السلطان
أنفذ إلى العادل يستشعر به لطيب قلب السلطان عليه ويترجأ أحد قمين أما حران والرها ووسيط وأما جاء
ومنيح وسليبه والمعز مع كذا فاختوه فراجع العادل السلطان مرارا فلم يفعل ذلك ولم يصب إلى شيء منه فكمزرت
الشقاقة عليه خلف على حران والرها وساط على أنه أذاع خبر الفرات أعطى المراضع التي اقترحتها وتكنن
أخوته وتضلى عن تلك المراضع التي في يده ثم التمس العادل خط السلطان تاني وألج عليه شتر في نعمة العيين
وانقطع الحديث وأخذ من السلطان التذكية كيف يطلب بمثل ذلك من بعض أولاد الأندلسية ثم أعادناه
بما استعتر من القاعده ثم ان العادل التمس من السلطان البلاد التي تليها دبرين تقي الدين بعدداته تالو عزت
من اجاعات كثيرة في العز عن افكان أخوه المستقر انبزل من كل ما هو في الفرات ما لا يزال والويل
أو الصلت واللبا وخاضع عيسى بعد ذلك ول عن خطه وعطيه في كل سنة والافضل والرها تالو دليبا
الصلت والافضل والرها تالو دليبا

نكثاب (١٩٨) الروضتين

(فصل) في عزم الفرج على قصد القدس وسببه قال القاضي ابن شاذان وكان تقدم السلطان إلى مصر بأسير وأوصلهم بالاختراز عندهم قارية العدو فاقاموا بنايلس أيا ماحق اجتمعت القوافل بهم واتصل خبرهم بالعدو وساروا طاب إلى البلاد والعدو يترقب اختيارهم ويوصل إليهم بالعرب المفسدين ولما تفقوا العسكرات القتل امر عسكره بالانحياز إلى سفح الجبل وركب في ألف راكب مردفين ألف راجل فأتى تل الصافية فبات ثم سار حتى أتى ما يقال له الاسى فانفذ السلطان إلى العاقلة نذره بنحو موضع العدو وأمرهم ان يبعدوا في البرية وركب الانكثير الملعون مع العرب بمجمع يسير وسار حتى أتى القفل وطاف حوله في صورة عربى ورأهم سالكين قد غشيم النعاس فعاد واستركب عسكره وكانت الكيسة قريبة الصباح فبعث الناس ووقع عليهم بخيله ورجله فكان الشجعان الاید الفج الذي ركب فرسه ونجابه نفسه واقسم القفل ثلاثة أقسام قسم قصدوا النكر مع جماعة من العرب وقسم أوتوا في البرية مع جماعة من العرب وقسم استولى العدو عليهم فساقيهم بمهاطهم واجمالها وجمع معهم ما هم وكانت وقعة شعبة لم يصب الاسلام بمثلها من مده مديه وتبدد الناس في البرية ورموا أموالهم وكان السعيد منهم من نجى بنفسه وجمع العدو ثأما مكه وجمعه من الخيل والبغال والاشنة وسائر أنواع الاموال وكلها لجالين خخدمة الجبال والخربندية خخدمة البغال والساسة خخدمة الخيل وسار في يخفل من غنجة يطلب عسكره واقدحكي من كان أسير باعهم انه في تلك الايام وقع فهم ان العسكر السلطاني قد لحقهم فتركوا العنيفة وانهمزوا وبعادوا عن زماننا ثم انكشف الامر فعادوا وفدهرب جمع من الاسرى وكان الحاكم منهم واخبر ان الاسارى خمسة مائه والجال تناهز ثلاثة آلاف رجل ووصل العدو إلى شخمس سادس عشر جمادى الآخرة وكان يوم اعظم ما عندهم وضع عزمهم على القدس وقويت نفوسهم بما حصلوا عليه من الاموال والجال التي تنهل المير في الازداد وتروا اجماعه على ليدعظون الطريق على من ينقل الماره وانفذوا الكندهرى الى صور واطار ياس وعكا يستخرجون فيها من القنافة ليرعدوا الى القدس حرسه الله تعالى ولما عرف السلطان ذلك منهم عدل الى الاسوار فبعث الى الامراء وتقدم اليهم بتهمة أسباب الحصار واخذ في فساد ما اظهرا والقدس غرب الصحار يجمع والجباب بيثت ليقب حور القدس ما سرب اصلا وارض القدس لا يطعم في حفرة تر فيها ماء معين في جميعها لانها جبل عظيم ويحضر صلب سبيل العسكر على علمهم بالحوادث والبلاد قال ولما كان ليلة الخميس تاسع عشر جمادى الآخرة احضر السلطان الامراء عنده فحضر الامير ابو الجيها السمين بسقة عظيمة وجلس على كرسي في خدمة السلطان وحضر المشاوب والاسديعية باسبرهم وجماعة الامراء ثم امر في ان اكلهم واحتمهم على الجهاد فذكر ما يامر الله من ذلك وكان ما قلته ان النبي صلى الله عليه وسلم لما استندبه الامراء ببيعة الصحابة رضوان الله عليهم على الموت في اثناء العدو ونحن اولى من تأمى به صلى الله عليه وسلم والمسلخه الاجتماع عذر الهرة والخالف على الموت فاعل بهذه النية يدفع هذا العدو فاستحسن الجماعة ذلك ووافوا عليه ثم سارع السلطان بعد ان سكت زمانا في صورة فكر والناس سكوت كان على رؤسهم الطبر ثم شرع وقال الحمد لله والصلاة على رسول الله اعرا انكم جسد الاسلام اليوم ومنعته وأنتم نعلم ان دماء المسلمين وأموالهم وذرائعهم معلقة في ذمكم وان هذا العدو ليس له من المسلمين من يلقاه الا انتم فان لم يتم اعتنكم والعباد بالله طوى البلاد كطى السجل للسكاب وكان ذلك في ذمكم فانكم انتم الذين انصدمت هذا كسكه واكثر ما لبيت مال المسلمين فالسجون في سائر البلاد متعلقة بكم والسلام فاستبد بجوابه سيف الدين المشاوب وقال يا مالا نحن ممالكك وعبيدك واذن الذي انتمت علينا وكبرتنا وعظمتنا وأعطيتنا واغفرتنا وليس لنا الا اننا نواجهي بين يديك والله ما يرجع احد منكم ان ياتى ان الموت فقال الجماعة مثل ما قالوا والمشاط نفس السلطان بذلك المجلس وطاب قلبه وأطعمهم ثم انصرفوا ثم انقضى يوم الخميس على أشد حال في التأعب والاحتقار حتى اذا سلكنا العشاء الآخرة اجتمعنا في خدمته على العادة وسمرنا حتى مضى هز سيع من الليل وهو غير منبسط على عادته ثم صلينا الصلاه وكانت الصلاة هي الدستور والاعمال فوصلنا واخذنا في الانصراف فدعاني رحمه الله وقال اعلمت ما لذي نفيخه فقلت لا قال ان أبا الجيها السمين انفذ الى الدوم وقال انما اجمع عندى جماعة الجاليسك الامراء او امركوا عليه يا مالا فتمت انا على الحصار والتأعب عليه وقالوا لا مصلحة في ذلك

فانما يخافان أن يحصر ويحرق عليهما، أمثل ما جرى على أهل عكا وعند ذلك تؤخذ بلاد الإسلام جميعا والى أن تلقى مصاف فان قدر الله أن تنزلهم ملكا ببقية بلادهم وان تكن الاخرى سلم العسكر ومضى القدس وقد انقضت بلاد الإسلام بغيرها مدة نفير القدس وكان رجاء الله عنده من القدس أمر عظيم لما له الجبال فسقى عليه هذه الرسالة وأوقت تلك الليلة في خدمته حتى الصباح وهي من البا إلى التي أحيها في سبل الله، رجاء الله وكان ما رواه في الرسالة ذلك ان أردت انقيم فكون معنا أو بعض أهلنا حتى نجمع عندهم والا فلا كرا لا يديون للاراك والاراك لا يديون للاراك كرا لا تفصل الحال على أن يقيم من أهلنا عند الدين بن فرخشاه صاحب بعلم وكان رجاء الله يحدث نفسه بالمقام ثم منهه راي عنه لما فيه من خطر الإسلام فلما قرب الصبح أشفقت عليه وخاف عليه في أن يستريح ساعة لعل العين تأخذ حفظها من النوم وانصرف عنه الى دارى فاصولت الاوامر وقد أذن فأخذت في أسباب الوضوء بما فرغت الا والصبح قد طلع وكنت أصلي الصبح معه في غالب الاحوال ففسدت الى خدمته وهو يسدد الوضوء فصلينا ثم قلت له قد نزل وأمر عرضه فأذن لي فيه فقلت المولى في اعتنا به وما قد جعل نفسه من هذا الامر فيجهد فيما هو فيه وقد تجزأت أسبابه الارضية فيبقى أن يرجع الى الله تعالى وهذا يوم الجمعة وهو أمرك أيام الاسبوع وفيه دعوة مستجابة في جميع الاحاديث ونحن في أرك موضع بقدر أن يكون فيه في يومنا هذا قال بلان ففعلت بالجمعة ويتصدق بسمي خفية بحيث لا يشعر انه منك وتصل بين الاذان والاداء ما فركتين تنام في حمارك وتقوم في هذا اليد أمرك اليه ويعترف بجرك عا تصدب له ففعل الله رحمتك وبسبحك دعاك قال وكان رجاء الله حسن العقيد تمام الايمان يتابع الامور الشرعية بأكل انتباه ودول ثم انفضا فلما كان وقت الجمعة صليت الى ما يبقى في الانبياء وعلى ركعتين ورايته ساجدا وهو ذكر كلمات ودموعه تتناثر على مصلته رجاء الله ثم انقضت الجمعة فتميز فلما كان عا تنام ونحن في خدمته على العاد وصلت رقة جردك وكان في البركة يقول فيها ان القوم ركبوها بأمرهم وهو في البركة ظهر ثم عادوا الى خيلهم وقدم سيرنا جواسيس تسكن في أربابهم ولما كان سبحة السبت وصلت رقة أخرى يخبر فيها ان الجواسيس رجوا وأخبروا ان القوم اخذوا في الصدور الى القدس والرحيل من بلادهم فذهب الفرسيسي الى الصور والى القدس وقالوا نحن اعاجبنا من بلادنا بسبب القدس ولا ترجع دونه وقال الان كلتمى ان هذا الموضوع قد افسدت مباحسه ولم يبق حوله ماء أصلا في أن يشرب قالوا له تشرب من شربوه وعيشه وبين القدس مقدار فرسخ فقال كيف نذهب الى السقي فقالوا ننقسم قسمين قسم يذهب الى السقي مع الدواب وقسم يبق على البادية البركة ويكون الشرب في اليوم مرة فقال الان كلتمى اذ اذى هذا العسكر البرا الى الذي يذهب مع الدواب ويخرج عسكر البادية على الساقين ويذهب دين الصراة فأنفصل الحال على ايمهم كانوا بالمائة من أعيانهم وحكم باللائحة اثني عشر من أعيانهم وحكم باللائحة وأدبوا في ذكره اذى والعشر من جمادى الاخر والاربعين فلما أصبحوا وحكم واعلمهم بالرحيل فلم تكن الملائكة وأدبوا في ذكره اذى والعشر من جمادى الاخر والاربعين الى محو الرمالنا كصن على اعتابهم وثله المدمون فذهب عسكرهم الى ان ابقى في المائزاة الا انهم تروا بالاربعين والاربعين الحبر ذلك فركب السلطان قدس الله روحه وركب الناس وان سرور وفرح بولسكن اللطان شاف عا حبرها حصاوا له من الجبال والظهور وكان نذكر الان كلتمى في هذا امر ارا

(فصل) في رد رسل الانكليزى في معنى الصلح وما جرى في اناء ذلك الى أن نزل الجند وندما بق ذلك الباضى ان سداد أحسن سياق واستقصى الامر فيه بنائب الامراء فقال ان الانكليزى جاءوا بدمه رسول يقول نذركم بلكم نحن وانتم والاصلح نحن النسا ولا ينبغي أن يعفد ان ذلك عن ضعف من بل للعدو لمجد لا تغتر بتأخيرى عن منزلى فالكشيد آخر لم يفتح شجاع رسوله يقول لا يبرزال انتم لائى المكين كلام ولا يجوز لى أن أهلكم الفرح كاهم وهذا ابن أخى الانكليزى قد ملكته هذه الداروسلته الباب يكون هروء كرمه صا سمكك ولواك مدعهم الى الشرق سمعوا وأطاعوا وان جماعة من الرهبان والمفتن قد بلوا وملك كاس نسا انت علب منها والى طالب منك كبسة وملك الامور التي كانت ترضى في صدرك كاستجبرى المراسلة مع الملائكة الماخذ قال ان بركنا وأعرض عنهم اولوا أعامتى مفرقة وأقرقه بها وبها فقامت افاصة بارال الما الامرا ان يبروا فلما راي الما شتوخة

صكتاب (٢٠٠) الروضتين

٢٠٠

اعلم لما كان قد أخذ المسلمون من الضعيف والضعف وعلاهم من الدين واستقر الحال على هذا الجواب انما اذا دخلت معنا هذا النحول فما جزاء الاحسان ابن اختك يكون عندي كبعث اولادى وسيلبك ما اقبل في حقك من الخير وانما عليك اكبر الكائنات وهي القمامة وبقية البلاد تشبهها والساحلية التي يدك تكون سيدك والى ياد بنامن القلاع الجبلية تكون المناومين العماين يكون مناصقة وعسقلان وما وراءها كون خرابا لا تلاك وان اردت قراها كانت لكم والذى كنت اكرهه حديث عسقلان فان فصل الرسول طيب القلب واتصل الخبر انهم بعد وصول الرسول اليهم را حاون الى جهة عسقلان طال برون جهة مصر ووصل رسول من جانب طيب الدين بن قلع ارسلان يقول ان الباقى قد وصل الى قسطنطينية في خلق لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقال الرسول انى قتلت في الطريق انى عشر فرسا وبول تعهدم الى من يتسلم بلادى متى فاني قد تجيزت عن حفظها فليصدق السلطان هذا الخبر ولا كثر يدتم جامع رسول الانكنا يرى يطلب ان يكون في قلعة القدس عشرون نفرا وان من سكن من النصارى والفرنج في البلد لا يتعرض لهم واما بقية البلاد قلعة اقم الساحليات والوطاة والبلاد الجبلية لكم و احذر الرسول من عند نفسه مناصقة انهم قد نزلوا عن حديث القدس ما عدا الى يارتق انهم يقولون هذا صنعنا وانهم راغون في الصلح وان ملك انكنا لا يلبه من الروح الى بلده فاجب بان القدس ليس لكم فيه حديث سوى الزبارة فقال الرسول وليس على الزبارة شيء يؤخذ منكم فعمل من هذا القول المواقفة واما البلاد فعهسقلان وما وراءها لا بد من خرابه فقال الرسول قد خسر الملك على سورهما ما لا يجزى لافسأل المشطوب ان يجعل من ارضها وقراها الله في مقابلته خسارة فاجاب السلطان وان الداروم وغيره مضرب ويكون بادها مناصقة واما باقى البلاد فيكون لهم من يافا الى صور باعها لهمهما مختلفا في ثمة كانت مناصقة ثم جاء الرسول يقول الملك يسألك ويتضح لك انى تترك له هذه الاماكن الثلاثة عامرة وانى قد رطب عند ملكك وعلمتلك وما سبب اصراره عليها الا ان الفريخ لم يسمعوا بها وهو قد ترك القدس بالنكسة لا يطلب ان يكون فيه لارهبان ولا قدوس الا في القمامة وحدها فترك له انت هذه البلاد وكون الصلح عاما فيكون لهم كل ما في ايديهم من الداروم الى انطاكية ولكم ما في ايديكم وينظم الحال وروح وان لم ينظم المشطوب الفريخ ما يكونه من الروح ولا يمكنه مخالفتهم قال القاضي فانظر الى هذه الصناعات في استخلاص القرض بالدين تاز وبالسنة اخرى وكان لعنه الله مضطر الى الروح وهذا مع اضطرابه والله المسؤول في ان يكتفى المسلمين بمكرها باو باع علم حيله ولا اندا قدامه فاجابه السلطان بان انطاكية لنا معهم حديث قبل اورسلنا عندهم فان عادوا بما نريد اذ خلناهم في الصلح والافلا واما التي سألتها فلا توافق المسلمين على دفعها اليه والافلا فدرها واما سور عسقلان فياخذ في مغالبة ما خسر عليه في الوطاة ثم عاد الرسول وقال ان المائت قال لا يمكننا ان نخرب من عسقلان سجنار واحد ولا يسع في البلاد مثل ذلك واما البلاد فخذودها معروفة لا متاكر فيها رعن عندك فهاهب السلطان للفرج الى جهة العدو واطها ر القوة وسددة العزم على الكفاة وبلغه في العاشر من رجب ان الفريخ خذلهم الله قد رحلوا طال من نحو بيروت فبرز من القدس الى منزلة يقال لها الحبيب وجاء العادل من الترق والظاهر من حلب ورحل من الحبيب الى بيت ثوبة ثم رحل الى الرملة فقتل به على تل بين الرملة وادور كعب جريدة حتى ان ازار وروث من وشرق على فاقهم نزل عليهم من القدر ورتب عسكره في الميمنة ولده الظاهر وفي الميمنة اخوه العادل وركب الخنجر فالت رزحف عليهم فاسرل العدو وسولين نصرنا وقر شجيا ليمان الصلح فدابهم فاعده القدس وقطعه فاجابوا الى ذلك واشترطوا بان ينظر والى يوم السبت تاسع عشر رجب فاجاءتهم بجدة والالمت القاعدة على ما استعرف في السلطان الانظار واهم بالانتمى حتى واخرى فوقع بعض البسدة فوضع العدو اخشا باعظية خلف النقب فالتهم ففزع من الدخول في التلة فالت خارج الاواب الى الليل فلما اصبحوا وقعت البسدة فعلا غبارهم الدخان فالت الاق وما جاسر اعدى الوطوخوفان افتحهم النار فلما انكسفت البسدة ظهرت اُسنة قديت مناب الاسوار ورجع قدس البسدة حتى عن نفوذ البحار ورأى الناس هولاء عظماء من صبر القوم وثباتهم وقدر رايهم من على نفس المورع مع انكسبت ديس من جهه الما فمروا في اعدوهم باعظية الخنجر

هاتمه

فأخذوه ونزلوا إلى الداخل فقام رفيعه في مقامه متصداً بالمثل مالهقه أسرع من لمح البصر بحيث لم يفرق بينهم إلا بأذن
 بصر ولم أرأى العدو ما قد آل الأمر اليه سيرا وبطلون الأمان فقال ربه الله الفارس بفارس والتركي بمثل
 والرجل بالرجل والعاجز بقلي قطيعة القدس فنظر الرسول ورأى القتال على الشبهة أشد من أضرار النار فسأل
 السلطان أن يبطل القتال إلى أن يعود فقال ما أقدر على منع المسلمين من هذا الأمر ولكن أدخلني إلى أجنابك
 فقتل لهم فحازون إلى القاعة ويتركون الناس يشتغلون بالبلدة ما بقي دونه ما منع ففعلوا ما أوحى وألوا إلى القلعة إلى أجنابك
 أن قتل منهم جماعة ودخل الناس البلدة عنوة ونهبوا منه أقدسة عظيمة وغللاً كثيرة وأثابوا بقايا قاش ما نهب من
 القاش فلما بالمصر وبأسنة قرت القاعة على الوجوه الذي قرره السلطان وكان قائما بالجمعي في طرف العور لحمايته من
 عسكر العدو الذي لحكا فوصل منه كتاب يخبر فيه أن الانكليزي الملعون ما سمع خبر يافا أعرض عن قصد بيروت
 وعاد على قصد يافا فاستدعاه السلطان على قمة الأمر وتسلم القاعة وكنت من لم ير الأمان لأنه قد لا سأل أخذهم
 وكان الناس لهم مدم لم ينظر وامن العدو يغتم يوثبهم عليه مكان أخذهم عنوة ما يبعث هم العسكر غير أن الأمان وقع
 وأبقى الصلح فكنت بعد ذلك محيى بحث على أخرج العبد من القلعة ولا ما خوف من لحوق النجدة وكان السلطان
 يشتد حرصه على ذلك غير أن الناس قد أقعدهم التعب عن استمال الأمر وأخذ منهم الحديد وشدة الحر ودخان النار
 بحيث لم يبق لهم استطاعة على الحركة وتعمقوا في السحر فعملنا بوصول النجدة عز الدين جردك وعلم الدين
 قصير ودراس المهراني وعدل الخزانة شمس الدين وقال امض إلى الملك الظاهر وقل له ينفذ ظاهر الباب القيسري
 وشخص أنت ومن زما إلى القلعة وتخبر جون القوم وتسئلون على ما فهم من الأموال والأسلحة وتكتب بخطاب
 إلى الظاهر وهو ظاهر الباهو ويسير بها إلى القلعة ولما دخلنا القلعة وأمرنا الفرح بالخروج فاجابوا بغيره فقال
 جردك لا ينبغي أن يخرج منهم أحد حتى يخرج الناس من البلد خفية لا تخبروهم وكان الناس قد دخلهم
 الطمع في البلد وأخذ ينفذ في ضرب الناس وأخرجهم وهم غير مضطربين بعد ذلك ولا مصورين في مكان فكيف
 يمكن أخرجهم وطال الأمر إلى أن علا النهار وأنا لوليه وهو لا يرجع عن ذلك والزمان يعني فلما رأيت الوقت رفرت
 قلت له إن النجدة قد وصلت والمصلحة المسارعة في إخراجهم واجب وأخرجنا خفية وأربعين نفر يسيرون وسألتهم
 وسيرناهم ثم اشتدت أنفس الباقين وحسدتهم فغرسهم بالعصيان وكانوا أسيرة أو المراكب التي جاءتهم فزادوا
 أن النجدة لهم فيها ولم يعلموا أن الانكليزي مع القوم وأخرجهم قد تأخر وأمن التزول إلى عدا البهار غافراً أن يعتدوا
 في أخذوا وبقية التأخر خرج من خرج ثم بعد ذلك قويت النجدة حتى صاروا خفية وثلاثين من كافور وبنس الباقين
 في الحصن فظهرت منهم إمارات العصيان ودلالة فقلت لا يحسن ساحتهم وأحذركم فقد تغيرت أحوال القوم فكان أن
 ساعة بحيث صرت خارج البلد وقد دخل القوم من القلعة وأخرجوا من كان في البلد من الأجناد ولما دهم الناس
 في الباب حتى كادت تلف منهم جماعة وبقي في بعض الكائنات جماعة من رعاك العسكر مستغلين بما لا يجوز في جمعهم
 عليهم وقتلوا منهم وأمرنا وما عرف السلطان أمر الناس زحف وعاد كصار كذا كان وحشر والعدو في المناه
 واستبطوا ونزل النجدة إليهم وخافوا خوفاً عظيماً فأسروا بطر حاكمهم والقسطلان إلى السلطان بعد أن سما جرى
 وبأسأله القاعة الأولى وكان سبب امتناع نزول النجدة أنهم رأوا البلاد ممتلئة باليهود واليهود هم المخافوا
 أن تكون القلعة قد أخذت وكان البحر يمنع من سماع الصوت وكثرة الضجيج والهائل والتكبير فلما رأى في القلعة
 شدة الزحف عليهم وامتناع النجدة من النزول مع كثرة ما بها بلغت نيفاً وخمسين من كبارها خمسة عشر من الشواني
 علما أن النجدة قد ظنوا أن البلد قد أخذ فذهب رجل منهم بنفسه المسح وقتزه من القلعة إلى المينا وكان ملاحضه
 شيء وعاد إلى البحر فحدث الانكليزي بالحديث فما كان الساعة حتى تزل كل من في الروابي إلى المينا هذا كله
 وأنا أشاهد ذلك فذهلوا على المسلمين فأخرجوهم من المينا فقبض السلطان على الرسل وأمر بتأخير النقل والأسواق
 إلى يانور فحبل الناس وتخلف لهم ثمل عظيم مما كانوا يبيعون يافا وشريح الانكليزي إلى الميناء ومنهم من
 كان فيه مضايقة البلد وأمر من في القاعة أن يخرجوا إلى الميناء وسأله من جمع يجمعهم إلى الميناء طامعاً
 إلى صاحب أبو بكر العبادي وكان قد صادق جماعة من شراس الميناء وقد تسبل معهم ولا عيما حيث كانوا

كتاب (٣٠٤) الروميين

يجمعون في أوقات متعددة وكان قد صادق من الأمر اجتماعه كبدار الدين دادر وغيره فلما حضر واعنده جئ
وهزل ومن جملة ما قال هذا السلطان عظم وما في الأرض للإسلام ملك اكبر ولا اعظم منه كيف رحل عن المكان
بمجرد وصولي والله ما بسبب لا متعرجي ولا تأهبت لاسر وليس في رحلي الا الزبول البحر فكيف تأخرت في حال الله انه
اعظم والله ما ظننت انه ياخذ بافا في شهرين فكيف أخذها في يومين ثم قال لا في بكر الحاسبت تسلط على السلطان
ويقول له بالله عليك اجب سؤالي في الصلح فهذا امر لا بد له من آخر وقد هلكت بلادى وراء البحر وما دام هذا
مصلحة لائنا ولا لكم فاسرسل السلطان اليه في الجواب انك كت طلبت الصلح أولا على قاعدة وكان الحديث في بافا
وعسقلان والآن قد حوت هذه بافا فكون من قيسارية الى صور فاسرسل الانكليزي يقول ان قاعدة الافرج انه
اذا أعطى واحدا لوالد جدي صارت تبعه وغلامه واما اطلب منك هذين البلدين بافا وعسقلان ويكون عساكرها
في خدمتك انما اذا اخرجت الى وصلت اليك في امر عرفت وخشد مثل كما تعلم خدمتي فقال السلطان حيث
دخلت همدان المدخل فانا اجيبك على ان تجعل البلدين قسمين أحدهما لك وهو بافا وما وراءها والثاني لي وهو
عسقلان وما وراءها ثم رتب السلطان الرزق سارور و امر بحرابها وخراب بيت حسن ورث الله ما بين ذلك وسار الى
الرملة فمادرسول الانكليزي شكر على اعطائه بافا ويحدد السؤال في عسقلان ويقول له ان وقع الصلح في هذا الايام
الستة سار الى بلاده والا احتاج ان يشتي ههنا فاجاه السلطان في الحال وقال أما النزول عن عسقلان فلا
سبيل اليه وأما نسبت ههنا فلا بد منها لانه قد استولى على هذه البلاد ويعلم انه متى غاب عنها أخذت لصرورة
واذا قام ايضا ان شاء الله تعالى واذا مهل عليه ان يشتي ههنا ويبعد عن أهله ووطنه مسيرتة شوي وهو شاب
في صفوان شبابه ووقت اقتناص لادته فليس على ان أشتي واصبف وأباني وسط بلادى وعندي أهلي واولادى
وبأني الى ما أريد ومن أريده ومارحل شيخ قد كرهت لادته ان يشي ههنا وشيعت منها ورفضتها عنى والعسكر الذي يكون
عندي في الشها غير الذي يكون في الصيغ واما اعتمداني في اعظم العبادات ولا زال كذلك حتى يعطى
الله النعم من يشاء ثم عاين رسول يقول كم أطرحت نفسي على السلطان وهو لا يقبلني واما كنت أحسن حتى أعود الى
بلادى والآن قد قد هدمت لادته وتغيرت الاء وعزمت على الافامة وما نفي ينشأ حديث بل يبلغ السلطان ان عسكر
العدو تدخل من عكا فاصدا بافا وبارر الله فويل على العوجا ووصل من أحبره ان العدو دخل قيسارية ولم يبق
فيه طمع وبلغه ان ملك الانكليزية "زل خاسر بافا في نفسيرة رقم له ان يكسبه فاتاه فوجد حمله نحو عشرين خيلا
عليه فنبهوا ولم ينجحوا من اياهم وكشروا عن أسباب الحرب وكالوا على الموت أصبر فارتاع المسلمون منهم ووجوا
من ثيابهم ووردوا حولهم حلقة وكانت عدة الخيل سبعة عشر وقيل تسعة والرجال ثلثمائة أو أكثر فوجد السلطان من
دلك موحدة عارية وقد ار على الاطلاب بنفسه يجمعهم على الجاه ويعد بهم بالحسنى على ذلك فلم يجيب دعاه أحد سوى
ولده الماهر قال ولعني انه قال له الجناسح اخوا المشطوب قل لعلمائك الذين ضربوا الناس يوم فتح بافا وأخذوا منهم
الغنية لم يجنحون وكان في قلوب العسكر من صلح السلطان على بافا شيء حيث قوتهم الغنية فلما رأى السلطان ذلك أعرض
عن القتال وغضب وسار الى ناربور والى القدس فبلغني ان الانكليزية سيري أخذ رحمة ذلك اليوم وجعل من طسرف المينة
الى طرف الميسرة فلم يعرض له أحد قلت ووصل من الفاصل كتاب من دمشق يقول فيه (كثير الاجراف
بهذا ملك الانكليزية فان كان كذلك لجواب كل من قصر في افاعس أحد من السلطان الانتصروا فقد
فصره الله وجواب السلطان لهم عن ملك الانكليزية لا تمتساوه فقد قتله الله ولم ير لاطيفا ولم ير لمولا
يجمع لثقل قتيلا لا حقيقيا ومن كان الله عليه لم يكن وبيا ومن كان الله معه لم يكن ضيعا) قال القاضى
ثم سار السلطان الى النبطون ثم الى القدس فطسرف الى العمارت وزنها ثم عاد الى النبطون وتوافقت الفقه فيه
العساكر ووصل علا الدين ابن صاحب الموصل ثم قدم عسكر مصر وفيهم سيف الدين باركش وجماعة الاسكندرية
في خدمة ولده الملك المؤد مسعود ووصل المصروا صرا الدين محمد بن أبي الدين قلعيه الطاهري الى بيت نوبه ودخل به في
السلطان فمضوا وعينه وجهه الى صدره وغشيه البكاه فصر بنفسه حتى غلبه الامر فيكي الناس ليكاته ساعة ثم
باسطه وسأله عن الطرقي وكان معه عسكر جليل فترت عين السلطان به ثم سار ووزل في مقدمة العسكر بها الى القاهرة

في أخبار (٢٠٣) الدولتين

ولما رأى السلطان العساكر قد اجتمعت جمع أرباب الرأي وقال إن ملك الإنكليزية قد مرض مرضاً شديداً والافرنسية منية قد ساروا راجعين ليعبروا البحر من غير شرك ونفقاتهم قد قلت وأرى أن أسير إلى يافا فأنا وجدنا فيها طامعاً والاعداء إلى عسقلان لما تحق لها العبدية الأولى قد بلغنا منها غرضاً فوافقوه على ذلك فأرسل عز الدين جرديك وجمال الدين فرج سادس شعبان حتى يكونا قداماً بأمان يافا هذا وورسل الإنكليزية لا تنقطع في طلب الأكره والنج وأوقع الله عليه في مرضه شهراً كثيراً والخرنوخ كان السلطان يذم ذلك ويقصد كشف الأخبار ثم أوتر الرسل والذي انكشف له أن فيها ثلثمائة فارس على قول المنكسر ومائتي فارس على قول المنقلب وإن الكندي تهرى ترددينه وبين الفرس سبعة مائة في مقامهم وهم عازمون على عبور البحر قولاً واحداً فسار السلطان إلى جهة الرملة وجاء رسول الإنكليزية مع الحاجب إلي بكر يشكر السلطان على أسعافه بالثأكله والنج وذكر أبو بكر أنه انفراد به وقال له قل لا تخي بعني الملك العادل بنبه صريحاً من وصل إلى السلطان في معنى الصلح ويستوجب منه عسقلان وامضى وبقي هوهم نافع هذه الشريعة اليسيرة يأخذ البلاد منهم فليس غرضي إلا إقامة جاهي بين الفرنجية وإن لم ينزل الله السلطان عن عسقلان في أخذني منه عوضاً عن خسارتي على عمارته وسور هافا رسول السلطان إلى العادل أن يزلوا عن عسقلان فصالحهم فان العسكر قد يجبر من ملازمة البكار والنفقات قد نقتدت ثم إن الإنكليزية نزل عن عسقلان وعن العوض عن أواسط وتوثنى منه على ذلك فأحضر السلطان الديوان يوم السبت ثامن عشر شعبان وذكر يافا وعلماها وأخرج الرملة منها ولجسديل بالمشرك في قسمة زينة وأعلمها ورغف وأعلمها وحيفا وأعلمها وعكا وأعلمها وأخرج منها الناصرة وصفرية وأثبت الجمعي في موزة وقال لارسل هذه حدود البلاد التي تبقى في أيديكم فإن صالحتم على ذلك فبارك وقد أعطيتكم يدي في هذه الملك من يحلف في كبر ذنوبه ولا يفعل إن هذا دفع ومطالبة كل من أماناً عداً أن تكون عسقلان خراباً وأن يتفق أصحابنا وأصحابهم على خرابها واشترط دخول بلاد الإسماعيلية واشترطوا بهم دخول أنطاكية وطرابلس في الصلح وشرط أن تكون الرملة ولد بين المسلمين وبينهم منافقة واستقرت الفاعلة على أنهم يحلفون يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شعبان ورضي الأسبانية والدولة وسائر مقدمي الأفرنجية بذلك ولم يحلف الإنكليزية بل أخذوا يدهم وحاجدهم واعتدروا بالموالاة لا يحلفون وقنع من السلطان بهذا ذلك ثم حلف الجماعة خلف الكندي ابن أخيه المختلف عنه في الساحل والبيان بن بارزان ابن صاحب طبرية وورسل ابن المنقري وابن بارزان وجاعة من مقدمهم إلى السلطان فأخذوا يده على الصلح واقتروا حلف جماعة العادل والافضل والظاهر والمنصور وسيف الدين المشاطوب وندرم وابن المقدوم صاحب شيرز وكل مجاور لبلادهم وحلف صاحب أنطاكية وطرابلس وعلق البين بشرط حلقة لهم للمسلمين فال وورسل رسول سيف الدين بكر صاحب خلط يبدى الطاعة والمواظقة وتسمير العسكر وحضر رسول السكر جردك فصلا في معنى الدارات التي لهم في القدس وعمارته وشكروا من أماناً أخذت من أيديهم ويسأل ردها إلى أيدي نوابهم وورسل صاحب أرض الروم يبدى الطاعة والعبودية قال العادل وعقدت هدنة عامة في البر والبحر واليه والوعر وجعل لهم من يافا إلى نيسابنة إلى عكا إلى صور وأدخلوا في الصلح طرابلس وأنطاكية ووقعت المصالحة مدة ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأطعمها مبتدأ لياول الموافقة في العادي والعشرين من شعبان قال وكان الفرج قد ملأوا يافا من الرجال والأسلحة والأقوات ليقبضوا على فتح القدس لتكون لهم ظهر أروغوا لقر بهما من البيت المقدس قلت ومن الانفاظ الفاضلية (وقد فعلت الأقدار في راحة عراكتهم ما كان سببه هذه الحركات المباركة وتوقف تشيع ملك الإنكليزية بالعدو وهو لغه ماله ثبات في قبح الغدر والخشعة في أهل عكا نهاراً جهاراً وشهد فيها بخبره وقصصته المسلمين والنصارى وغدر الفرج معاروم

انما عذرت حسناء أوفت بعهدا ❦ ومن عهد هان لا يدوم لمعاهد

القوم هادوا المضاغرة والله سبحانه إذا أقروا ونحن نتنزل في ملك الإنكليزية ما تنص عنه المفادير في أمر ما بالهلاكة ولا بأس بما يلقى الاحبة الرئيس والدولة ملك الألمان وزنوس في الناريتهم ويكره عدتهم وأماناً يعافى فهو من أسير من أماناً يرجع إلى لعنة الله وإلى مرة البحر في قهره وأماناً يقبض فيها تلك قد أبدى الشر نازحديه وتكسر

تكملة (٢٩٤) الروضة

المعون من الوفاء على عقبه وانتظار الفرصة ليبتدر والعورة ليلتصق وبما قيل في هذه الهندية آيات من قصيدة
نجم الدين يوسف بن الحسين بن الجاور التي تقدمت في فتح البيت المقدس وهي

يا صاح قل لآنكثير الكابِدِ * عنك الجنون وخذه قالة منصف
القدس ما فيه لسريتك مطمح * كلا ولا نور الاله بمنط في
والمسجد الأقصى فعنه تقص من * وقع الداييس الاليمه تعرف
واستغف نفسك فهي أجبث ناصح * وانك متابعسة اللجاج المنلف
واحب ربح بالسروس معمم * وأطرب لسيف بالدماء مغلف
قد قلت لما قيل صلح قدسرى * هذا حديث مخترف ومخزف
سلف تولى السيف عقد شروطة * أحجب به من مسسلم ومسلم
فلنوره سلما وهو في أرواحهم * سلم إلى أجل لهم مختلف
وذكر أبو الحسن بن الساعاتي الأكتكري هذا في شعره في قصيدة مدح بها السلطان رحمه الله بقول فيها
منعت ظبماء المخنى بأسوده * وأسدتما أسكوه فبك ظبماءه
فعلت بناوهى الصديق لحاطها * كلفى صلاح الدين في أعدائه
سل عنه قلب الأكتكري فان في * خفصقانه ماشئت من أنسائه
لولاك أم البيت غير مدافع * واسال سليل نداءه في بطحائه
وبك جفون القدس ثانية دما * لترغم الشاقوس في أقفائه

﴿فصل﴾ فيما جرى بعد الهدنة قال القاضي أمر السلطان أن ينادى في الوطائف والاسواق الآن الصلح
قد انظم فم شاء من بلادهم بدخل بلادنا في فعل ومن شاء من بلادنا بدخل بلادهم فليقبل وأشاع رحمه الله
أن طريق الحج قد فتح من الشام ووقع له عزم الحج في ذلك المجلس وكنت حاضر ذلك جميعه وأمر أن يسير مائة نقاب
لتزيين سور عسقلان معهم أمير كبير ولاخراج الفريضة منها ويكون معهم جماعة من الفريضة إلى حين وقوع الخراب
في السور خشية من استئناسه عامر افتعل ذلك وخرب وكان يوم الصلح يوما مشهورا غشى الناس من الطائفتين
من الفرنج والسرور ما لا يعلمه إلا الله تعالى والله العالم أن الصلح لم يكن من أثاره فانه قال في بعض محاوراته
في الصلح أخاف أن أصالح وما أدري أي شيء يكون مني فيقوى هذا العتو وقد بقي لهم هذه البلاد فيخرجون لاستعادة
بقية بلادهم وتزى كل واحد من هؤلاء الجماعة قد قدم في رأسه يعني حصنه وقال لا أنزل وبه لك المسلمون فهذا
كلامه وكان كما قال رحمه الله أنه رأى المصلحة في الصلح لسأم العسكر ومجاهرتهم بالخالفه وكان ذلك مصلحة علمه الله
تعالى فانه اتفقت وفاته بعهد الصلح ولو كان اتفق ذلك في أثناء الوفوعات لكان الاسلام على خطر فما كان الصلح
الاتوقفا وسعاده من الله رحمه الله عليه ودخل السلطان إلى النطرون واختلط العسكران وذهب جماعة من
المسلمين إلى يافا طلب التجار ووصل خلق عظيم من العدو إلى القدس للحج وفتح لهم السلطان الأبواب في ذلك
ونفذ معهم الخلفاء ليعفونهم حتى ردتهم إلى يافا وسكان غرض السلطان بذلك أن يقضوا وطورهم من الزبارة
وبرجعوا إلى بلادهم فبأن المسلمين سرهم ولما علم الملك كثرة من يزورهم صعب عليه ذلك وسبى إلى السلطان
يسأله منسح الزوار وأقترح أن لا يأذن لأحد الأيوبيين حضور علامة من يابيه أو بكابه وعلت الفريضة ذلك فظلم
علمه أو عتوا في الحج فكان رد في كل يوم منهم جموع كثيرة مقتدرون وأوساط ومسلوك متكرون وشرع السلطان
في أكرام من يزورهم الطعام بهم ومباسطهم ومخادتهم وعرفهم نكارة الملك ذلك وأذن لهم السلطان في الحج وعرفهم
أنهم بلغت إلى منسح الملك من ذلك واعتذر إلى الملك بأن قوما قد وصلوا من ذلك البعد ويسرهم زيارة هذا المكان
الشريف لا يستحل منهم ثم اشتد المرض بالملك فحصل إليه الأربعاء التاسع والعشرين من شعبان وقيل انعامات
وساروه والكد هري وسائر المقدسين إلى جانب عكا ولم يبق في يافا إلا امرئ بض أو عاجز فزنى يسير ثم أعطى السلطان
لأسر دستوراً فأسار عسكر أوربل والموصل وسنجار والحصن وأشاع رحمه الله أمر الحج وقوى عزه على براء الدومة منه

في الاخبار (٢٠٥) الدولتين

قال القاضي وكان هذا مما وقع لي وبدأت بالاشارة به في يوم تمة الصلح ووقع منه رجعة الله عليه موقعاً عظيماً وأمر
الديوان ان كل من عزم على الحج من العسكر يثبت اسمه حتى يحصى عدده من يدخل معنا الطريق وكتب جرائد بها
يحتاج اليه في الطريق من الخلع والازواد وغير ذلك وسيرها الى البلاد بعد ذهابها ورجل من انطرون رابع شهر
رمضان وسار حتى الى ماري صويل بفترة اخاه العادل وكان مر يضامها فوجدته قد سار الى القدس وكان قد انقطع
عن أخيه مئة بسبب المرض وكان قد غاب عن معرفي بجيئ السلطان الى ماري صويل لعيادته فحمل على نفسه وسار
حتى لفيه بذلك المكان وهو أول وصوله ولم يزل يعد وزل وقيل الارض وعاد ركب فاستدناه وسأله عن من اجبه
وسار اجمعاً حتى أتى القدس بشفة ذلك اليوم وقال الحمد لاداء السلطان بعد السلم الى القدس لتفقد أحواله وعرض
رجاله واستغل بشيئ داسوره وتخصيرها وتخليد آثاره وتخصيرها وتعميق خنادقه وتوثيق طرائقه وزاد في وقف
المدرسة سوفاً بذلك كنيها وأرضاً بساتينها وكذلك رتب أحوال الصوفية في رعايتها والوقف الكافي بكفائتها
وغير الكيسة التي في شارع قامة بالمدينة واستان ونفل اليه العقاقير والادوية من جميع الاوضاع والالوان وأدار
سور القدس على قيمة صهيون وأضافها الى المدينة وأمر بإدارة الخنادق على الجميع وصمم العزم على الحج فلم يوافقته
القدر وتأسف على فواته بعد ان قدم مقدّماته وأقام شهر رمضان وأفاض الاحسان وقضى ولاية القدس
واعلمها الى عز الدين جديك حين استعفى منها حسام الدين باريخ وولى بماله على الدين قصير مادون القدس
لعمل الخليل وغزة والداروم وعسقلان قلت ولما بلغ القاضي الفاضل من قبل السلطان انه عازم على الحج كتب
اليه مشيراً بتبطيله (ان الذي يخرج بعد من الشام ولا سلاوا عن القدس ولا وثق بعهده في الصلح فلا يؤمن مع
بقاء الفرنج على حاله وافراق عسكرنا وسفر سلاطيننا سراً مقدرًا معلوماً هذه الغيبة فيه ان يسر واليه فيه صبحوا
القدس على غفلة فيسندوا اليه والعياذ بالله وينتظ من بد الاسلام ويصر على كبره من الكثر التي لا تغفر
ومن العثرات التي لا تقال) ثم قال (وجاء العراق وخراسان ألس هم ما تقي ألف وثلاثمائة ألف أو أكثر هل يؤمن
ان يقال قد سار السلطان لمباروس فقتل دم وتوريش ووسم قاعدوا والافكون تاريخه عوداً بالله منه ما هذه
الشناعة ممنوعة الوقوع والمستعدة من العقول الخبيثة فيتم المولى يتأمل ما أنما الماوك مستور فافاته يسأل
مولانا ان يبشارك أحداً فيما كتبه له من مهم ولا من غيرهم يامولنا ما ظالم الخلق كشفها هم من كل ما يتقرب
به الى الله وما هي اواحده في اعمال دمشق من المظالم الفلاحين ما يستعرب معه وقوع القطر ومن تسلط المظلمين
على المنخفضين ما لا ينال في وادي وادي الزبداني من القننة القاتمة والسيف الذي يقطر دماً لا زجر له
وللسلمين لغور زيد التخصيص والذخيرة ومن المهمات اقامه وجود الدخول وبقدرا الخرج بمسبها من التسخيل نفقة
من غير حاصل فرفع من غير أصل وهذا أمر قد تقدم فيه حديث كثير وعرضت للولي شواغل دونه ومشت
الاحوال مشياً على طلع فلما خلت الدروب أعاد الله من عودها كان خاوبت المال أشد ما في الشدة وليس الماوك
مطالبا بذخيرة تحصل انما يطلب تمهيه من حيث يستغفر) قلت ولم يزل البيت المقدس شرفه الله تعالى ملحوظا
بالحجارة والتحصين من عهد السلطان رحمه الله الى سنة ست عشرة وسبعمائة فانه تروى في المحرم منها بسبب خروج
الفرنج لعمهم الله وانتشارهم في البلاد تقيف من استيلائهم عليه وفي السنة التي قبلها توفي الملك العادل أبو بكر
ابن أيوب اخو السلطان ونشئت الناس بعد خرابه ورغبوا عن السكنى به ورثاه الرئيس الفاضل شهاب الدين
أبو يوسف يعقوب بن محمد المجاور بقصيدة منها

أعني لا ترفي من العسبرات * صلي في البكا الاتصال بالكرات
لعل سيول الدمع يطفئ قبضها * توقد ما في القلب من جمرات
واقاب اسعورنا وجسدك كلبا * خبت باذكار بيعت الحسرات
ويا فم من الشجومك لعله * يروح ما بقي من العسكرات
على المسجد الأقصى الذي جل قدره * على موطن الاختبات والصوات
على منزل الاملاك والوحى والهدى * على مشهد الابدال والبسات

سُكُوتُ ابْنِ (٢٦) الرَّؤُوفِ

هَذَا سُلُوكُ الْمَعْرَافِ وَالْمَعْرِفَةِ الَّتِي * أَنَا فِيهَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مَخْزَرَاتٍ
عَلَى الْقَبْلِ الْأَوَّلَى الَّتِي اتَّجَهْتُ لَهَا * صَلَاةُ الْإِبْرَاهِيمَ فِي اخْتِلَافِ جِهَاتٍ
عَلَى خَيْرِهِ مَجْمُورٍ وَاصْكَرْمٍ عَامِرٍ * وَاشْرَفٍ مِمَّنْ لِحُسْبِ رِيشَةِ
وَمَا زَالَ فِيهِ لِلنَّبِيِّينَ مَعْبِدٌ * يُوَالِي فِي أَرْحَامِهِ السَّجِدَاتِ
عَمَّا الْمَجِيدُ الْأَقْصَى الْمُبَارَكُ دَوْلَةُ الْبَرْفِ فِي الْعِمَادِ الْعَالِي الشَّرَفَاتِ
عَقَابُهَا بَعْدَ مَقْدَحِ الْغَيْرِ مَوْسِمَا * وَالْبَهْرِ وَالْإِحْسَانِ وَالْقُرْبَاتِ
يُوَالِي إِلَيْهِ كُلُّ أَشْغَثٍ قَانَتْ * لِمَوْلَاهُ بِرَدَائِمِ الْخُسُوفَاتِ
حُلَامٍ مَسْلُوكٍ لِأَجَلٍ مَقِيمَا * نُوْشِخُ بِالْآيَاتِ وَالسُّبُورَاتِ
خُصَامٍ حَتِينَ النَّسَاءِ بَيْنَ حَرْبِهِمْ * فَمِنْ بَيْنِ تَوَالِحٍ وَبَيْنِ بَهْكَاةِ
لَتَبِكَ عَلَى الْهَدَسِ الْبِلَادِ بِأَسْرِهَا * وَتَعَالَى بِالْإِحْرَانِ وَالْبَتْرَحَاتِ
لَتَبِكَ عَلَيْهَا مَكَّةَ فَهِيَ أَخْتَبَا * وَتَشْكُو الْوَدَى لَاقَتْ إِلَى عَرَفَاتِ
لَتَبِكَ عَلَى مَا حَمَلَ بِالْقُدْسِ طَيْبَةً * وَتُشْرَحُ فِي أَكْثَرِ الْخَفَرَاتِ
لَقَدْ أَتَيْتُمَا وَاعْتَاكَ وَصُورُ بِهِمَا * وَيَا لِمَالِمَا غَادَتُمَا بِشِمَاتِ
لَقَدْ شَتَّتُوا عَلَيْهَا جَمَاعَةَ أَهْلِهَا * وَكُلُّ اجْتِمَاعٍ مَوْزَنٌ بِشِنَاتِ
وَقَدْ هَدَمُوا وَابْجَدُوا بِصِلَاحٍ بِهِمَا * وَقَدْ كَانَ مَجِيدًا بِأَذْخِ الْعَرَفَاتِ
وَقَدْ أَجَدُوا وَصَوْنًا وَصِيدَانَا * لَهْمُ عَظَمٍ مَا وَلُوا مِنَ الْقِرَوَاتِ
أَمَّا عَلَتْ أَبْشَاءُ أُيُوبَ أَنْتَهُمْ * مَسْعَاتُهُ عَدُّوا مِنَ السَّرَوَاتِ
وَأَنْفَتَاحُ الْقُدْسِ زَهْرَةٌ مَلِكُهُمْ * وَهَلْ ثَمَرُ الْأَمَنِ الزُّهْرَاتِ
فَمَنْ لِي بِتَوَالِحٍ يُهَيِّسُ عَلَى الْوَدَى * سُخْيَانِي بِأَصْوَاتِ لَهْمِ سُجَاةِ
يُرِدُّونَ يَدِيَا لِحُسْرَائِي فَالَهُ * يَوْسُ فِيهِ حَيْرَةُ الْخُسْبَرَاتِ
مِدَارِ سِوَايَاتِ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةِ * وَمَسْتَزِلُّ وَحْيِ مَقْفَرِ الْعَرَصَاتِ

قُلْتُ هَذَا الْبَيْتَ الْأَحِيرَ لِدَعْبَلٍ عَلَى الْخَزَائِعِ فِي أَوَّلِ قَصِيدَةٍ بَرَّئَ بِهَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذِهِ السَّنَةُ
الَّتِي تَوَفَّى فِيهَا الْعَادِلُ قَبْلَ الَّتِي تَحِبُّ بِهَا الْقُدْسُ هِيَ السَّنَةُ الَّتِي نَزَلَ فِيهَا الْفَرَحُ حَدَّثَهُمُ اللَّهُ عَلَى تَعْرِيدِ مِطَاطِ حَرْسِهِ اللَّهُ
تَعَالَى وَهِيَ الْمَرَّةُ الْأُولَى فِي زَمَانِنَا وَأَوَّلُ مَا عَلَيْهِ الْإِبْرَاهِيمُ اسْتَوْلُوا بِعَدَانِ جَرَى لَهْمُ بِحُجْمِهَا جَرَى لَهْمُ عَلَى عَكَائِمِ أَخَذَهُ الْمَسْلُونُ
مِنْهُمْ وَقَتَلُوا وَأَسْرُوا ثَمَّ الْفَرَحُ اسْتَوْلُوا عَلَيْهِ صَلَّى فِي سِتِّهِ سِتِّسَ وَعَشْرِينَ وَسَمَاءَهُ وَتُرِعُوا فِي بِنَاءِ طَائِفَةٍ مِنْهُ ثُمَّ أَخْرَجُوا
مِنْهُ عَنُودَ مَنْ تَبِخُ أَخْرَجَهُمْ فِي أَحَدِ الْمَرَاتِ الْمَلِكُ النَّصِيرُ صَلَاحُ الدِّينِ دَاوُدُ بْنُ الْمُعَظَّمِ شَرَفُ الدِّينِ عَيْسَى بْنُ الْعَادِلِ
أَبِي بَكْرٍ بْنُ أُيُوبَ وَهَذَا فِيهِ حَيْثُ تَذَبُّعُ شَعْرَاءِ الْعَصْرِ (هَذَا الشَّاعِرُ هُوَ الْوَالِدُ حَاجُّ جَالِ الدِّينِ بِحَيْسٍ مِنْ مَطَرٍ وَرَجَّاهُ اللَّهُ
تَعَالَى)

الْمَجِيدُ الْأَقْصَى لَهُ عَادَةٌ * سَارَتْ فَصَارَتْ مَسْلُوسَاتُهَا
أَذَا خُذَ الْكَفَرُ مَسْطُوطُنَا * أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ لَهُ نَاصِرَا
فَنَاصِرُ طَهْرِهِ أَوَّلَا * وَنَاصِرُ طَهْرِهِ آخِرَا
ثُمَّ اسْتَوْلَى الْفَرَحُ عَلَى طَابِرَةِ وَعَسَقَلَانِ ثُمَّ أَخَذَ تَاهُ مِنْهُمْ عُدُوَّةً فِي شَهْرِ رَجَبِ حَسْبِ وَأَثَرِ بَيْنِ وَسَمَاءَةٍ فِي دَوْلَةِ
الْمَلِكِ الصَّالِحِ بِحُجْمِ الدِّينِ أُيُوبَ بْنِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ نَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أُيُوبَ وَقَدَاسَةً وَلَوْ أَلْبَضَا
عَلَى الشَّقِيقِ وَصَفَدُوا اللَّهَ بِسَبَلِ عُدُوِّهِمَا إِلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَيُؤَيِّدُ الدِّينَ الْحَقِيقِيَّ عَلَى هَذَا الْيَوْمِ
(فَصْلٌ) فِي مَسِيرِ السُّلْطَانِ رَجَاهُ اللَّهِ مِنَ الْقُدْسِ إِلَى دِمَشْقَ قَالَ الْعِمَادُ وَلَمَّا اسْتَمْتِ السُّلْطَانُ الْبَطْرُقِيُّ أَحْوَالَ
الدِّدْسِ وَغَمَّاسَاتِهِ وَقَفَّسَ الْقَصَادَ وَالْبَطْرُقِيَّ الْوُفُوفَ إِلَى الْقَصَاصِ بِمَاءِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ رَافِعٍ بْنِ تَمِيمٍ وَعَوَّلَ مِنْهُ عَلَى
أَمِيرِ كَرِّمٍ أَنَّهُ إِنْ يَعُودَ إِلَى دِمَشْقَ عَلَى الْمَغُورِ تَابَرَا وَفِي أَحْوَالِهَا نَاطِرَا وَكَانَ عَزَمَ عَلَى الْحُجَّ وَصَحْبِهِمْ وَكُتِبَ إِلَى هَمِّهِ

في اخبار (٢٠٧) الدولتين

والذين باع عليه عزم وأمر أن يحمل له في المراكب كل ما يحتاج اليه من الازواد والنفقات والثياب والكسوات فقيل له لو كتبت الى امير المؤمنين وأعلمته بمحك وعرفته بنجحك حتى لا يظن بك أمر أنت منه بري ويحلم أن قصدك في الخبيث مضي والوفاء قد ضاق ويبلغ الخبر الاتفاق ثم هذه البلاذرا سافرت تتركها على ما بها من الشعب وهذه المعاقلة التي في الثغور حفظها من أهم الامور ولا تغرب عتد المحدثه فاب القوم على ترقب المكنه والتدبر انهم فما زال به الجماعة حتى حلوا عقد عزمه على الحج فشرع في ترتيب قاعدة القدس في ولايته وعمارته ثم خرج من القدس يوم الخميس خامس شوال وجاءوا زاحية البير قويات على ركبة الدابة ونزل يوم الجمعة بظاهر نابلس وأقام بها الى ظهر يوم السبت حتى كشف مظالم ووظف مكارم وكان بهاسيف الدين المشطوب وشكا أهلها ثواب من جهته تدوب فأزال الشكوى وأزاع البلوى ورحل بعد ظهر السبت وبات عند عقبة ظهر جمعه موضع يعرف بالفريديسه وربعه ناني من وجه الانيسه وأصبحنا را حلين ونزلنا ضحوة على جبين وهنالك ودعنا المشطوب وداع الابد فانه اقل بعدا يام الى رحمة الواحد الصمد وحينما نحوة الاتنين الى بيسان وصعدنا الى قلعتها المهجورة الخالية فأبصر قلعتها العاليه وقال الصواب بناء هذه وتقرر كوكب ثم رحل ظهر اوبات بقلعة كوكب وصعدنا نزلنا به فيم اوصوب ورحل ضحوة الثلاثاء ونزل بطرية وقت العشاء وهناك لقينا بهاء الدين قراقوش وقد خرج من الاسر فلما بناه بالبر والبر ووصل مع السلطان الى دمشق وأقام الى ان خلس أصحابه من الاسر وتوجه الى مصر وقد ضاق بنسبه ببلد ماله ونحوه من ثروته ودخل في اقلاله قال وتوالت تلك الليلة الاطوار وواصله النهار فأشياء يوم الاربعاء وسرنا بركة الخيل وسرنا بركة الخيل وسرنا بركة الخيل وسرنا بركة الخيل وسرنا بركة الخيل والعدد من سار يوم الجمعة على طريق جبل عاملة الى قلعة تبين وجاز يوم الاحد على هوتين وخيمنا على عين الذهب عند نزلنا من الجبل واجتمعنا تلك الليلة بالليل ثم سرنا الى مرج عيون من حمله والى جسر حامد من نزل وطريقنا بين عمل صيدا وادى النهر وطلعتنا من تلك الوردية والشعاب طلوع النور من القسم وقال في الفجر على صيدا بسره وعمل وادى النهر من ممره وعمرنا على مرج ناعيا اماما مقابل مرج القعبيه ودفعنا الى سائر المسالك الصعبة ورحلنا يوم الثلاثاء الى البقاع فخيمنا على جسر حامد يوم الاربعاء بناحية قب الباس ودخل يوم الخميس بمر وقومنا والبهاء الدين سامه فاهتم له بالكرامه وما أراد عن يروت الانفصال في الحسادى والعشرين من شوال قيل له ان الارنس الانطاكى يمد مع عصابة من الورد قد وصل الى الخدمة مستسكبا بجسر العصمه فتنى عنه انه ونزل وأقام وما ارتحل واذا نال الارنس في الدخول وشرفه في حضرته بالمول وتزهره وانسه ورفع محطه وكان معه من مقدى فرسانه اربعة عشر بارونا فوجب كل منهم ثمره بفساريا وأجزله ولهم العطاء وأبدى سهم الاعتناء وكسبه له من مناصفات انطاكية معيشة يبلغ عشرين ألف دينار وخص أصحابه بغير وأعجبه اسسه ستره اليه ودخله بغير امان عليه فاجرم تلقاه بالاحسان ووافه وودعه يوم الاحد وفارقه وكانت الاثقال قد انتقلت من قب الباس الى مرج قبيطيه من البقاع فبات في المخيم وعبر يوم الاثنين عن الجوز الى مرج تبوس وقد رال البوس وهناك قوا فدايع ان دمشق وأمانها وأفاضها وفواضلها ونزلنا يوم الثلاثاء بالعتراة وجرى المتقون بالطرف والخف على العاده وأصبحنا يوم الاربعاء الى جنة دمشق داخلين بسلام آمنين لولنا غاير خالدين وكانت غية السلطان عنها طالت أربع سنين فأخرجت دمشق أثقالها وأبرزت نساءها ورجالها فكانت يوم الاثنين وخرج كل من في المدينة وحشر الناس ضحى ولشاعوا المتشاورا وقرحا وكانت غيبة السلطان في الجهاد طالت فأبهرت بقدومه واختلات وتقرت بفضائله الاعين وأقرت بواضله الانس وأبدوا بوجوه الاستبشار والسن الاستفارة وأعين الاستعبار ورفعوا أيدي الاتبهال بصالح الدعاء عن خالص الولاء وجايع ريع الفضل في فصل الحزب واتصل تليد الحد بالطريف واتسع قضاء الفضائل وارتد جاء الجاهل وحده في القلعة لحاول الشن في سرجه وأخذت بحارسها في موجهها وجلس في دار العدل فأجاب وأجار وال وأثار وخرجت السنة والسلطان في اسنى سنائه وأهسى جلالة وأجلى بهائه والناس را تعون في رباض نعمائه ورسا الممالك القريسة الشرقية يخطونه ويطلبونه وينظرون عزمه وبرقونه وهو يعدهم بالتحسار اشتاءوا تكارهه وأبسام ثمر الربيع

وأفتاراه وأثنا على هذا العزم إلى آخر السنة وال Sultan مشغل بالصيد والقنص منتزعا من العمر للفرص وقرب العلماء وأكرم الفضلاء وفضل الكرماء وما كان أحسن إلى الحق أصغاه وأشرف على الباطن الغناه وقال القاضي أبو الحساس أقام السلطان بالقدس بقطع الناس وبعطيم دستوروا ويتأهب للسيرة إلى القسار المصرية واقطع تشوقه إلى الحج ولم يزل كذلك حتى صبح عنده اقلاع من كبل ملك الانكليزية المحذول متوجها إلى بلاده في مشتمل سؤال فعمد ذلك حذر السلطان عزمه على أن يدخل الساحل جريده ويتفقد القلاع البحرية إلى بانباس ويدخل دمشق بقم بها يلبا قلائل ويعود إلى القدس الشريف سائر إلى القسار المصرية بقتلها وبقرب وقواعد لها والنظر في مصالحتها قال وأمرني بالمقام بالقدس إلى حين عودته لعارة بعباسستان انشاء قبة وأداره المدرسة التي أنشأها فيه إلى حين عودته وخرج من القدس وودعته إلى البيرة فوزل بها ثم ذكرنا زلته للظلم عن بلدنا بلباس ثم رحل ونزل بسبسطية فقتل حواشيها ثم أتى في طريقه إلى كوكب في عاشر شوال وانفك بها الدين قراقوش من الاسرا حادى عشر شوال ومثل بالخدمة السلطانية ففرجه فحاشد بدا وكان له حدة وق كثيرة على السلطان والاسلام واستأذن السلطان رحمه الله في المسير إلى دمشق لتحصيل القطيعة فأذن له في ذلك وكانت القطيعة على ما بلغت ثمانين ألفا قال ولما وصل السلطان إلى بيروت وصل إلى خدمته الهريس صاحب انطاكية مسير فدا فبلغ في اكرامه واحترامه ومبايسته وأنعم عليه بالعق وارتعان ومنزلة عمل خمسة عشر ألف دينار ثم سار السلطان إلى دمشق بعد انقراض من تصفح أحوال القلاع الساحلية بأسرها والقسمة سنة خلها واصلاح اجنادها وانهاجها بالرجال فدخل دمشق بكرة الاربعاء سادس عشر شوال وفيها أولاده الافضل والظاهر والظاهر وأولاده الصغار وكان يحب البلد وثر فيه الاقامة على سائر البلاد وجلس للناس في بكرة المجلس وحضر عنده الناس وبواش وفهم من رؤسائه وأنشده الشعراء وعظم ذلك المجلس الخاص والعلم وأقام بيده نرجس عهده ويهمل محاسب انعامه وفضله ويكشف مظالم الرعايا في الاوقات المعتادة والمخذل الافضل يوم الاثنين مستهل ذي القعدة عوده لانيه الظاهر وكان الظاهر لما وصل دمشق بلغه حركة السلطان اليها فأقام بها حتى يتمنى بالنظر اليه ثانيا وكان نفسه الشريفة كانت قد أحست بتأجيل السلطان فودعه في تلك الليلة من الرافعة وهو يعود اليه ولما التفتد الافضل له الدعوة أظهر فيها من يدبرع النجمل وغر يسه ما يبق بخدمته وكان له أربع أجدان زلته ٤٢ خدمه به حين وصل إلى حلب المحروسة وحضرها أرباب الدنيا وابناء الأخره وسأل السلطان رحمه الله الحضور خضر جبر القلب قال وكان العادل قد استأذن السلطان في أواخر رمضان في القدس بالمضي إلى الكرك لتفقد هاضى وأمره بملاح مقصد اصلاحه وعاد طالب المضى إلى البلاد القراية التي أعطاه السلطان اياها فوصل دمشق سابع عشر ذي القعدة وخرج السلطان إلى لقاءه وأقام يصيد حول غياغب إلى الكسوة حتى لقاه وسار جميعا يصيدان وكان دخولا إلى دمشق في الحادى والعشرين منه وأقام السلطان بدمشق يصيد وهو وأخوه وأولاده وبنو قراقوش في أراضي دمشق ومواطن الصين وكانه وجده براحة كما كان فيه من ملازمة النعب والنصب وسهر الليالي ونصب النمر ولما كان ذلك الاكلوداع ولادهم من اربع نزه وهو لا يشعر بركة الله عليه ونهى عزمه المصري وعرض له أمور أخر وعزومات غير تلك ووصل سكنته إلى القدس يستدعي إلى خدمته وكان شتاء شديدا وحواسلها فلت وفي عيد الاضحي من هذه السنة أنشده الرشيد اناباس قصيدة حسنة على وزن قصيدة التماسي التي مطلعها (حازك البين حين أصبحت بدرا) بقول فيا يعني قصيدته

وأبيهه ولا تغزل عنيها ❦ لما قلت في التغزل شعرا
ولكنك مدهج الملك الناب ❦ صراولى ما فيسه ٤٤ فكرا
ملك طبق المالك عدلا ❦ مثل ما أوسع البرية برا

ثم قال في آخرها

لنت ما تدينني من الدين والدينس يا فتها على المالك ونفرا
فقبل الاعياد صوما وفطرا ❦ وتلقى الهناء فطرا ونفرا

فِي أَهْبَار (٢٠٩) الدُولَتِينَ

يا مَسْرُ الطَّاعَاتِ لِلَّهِ إِنَّ اضْحَىٰ مَلِيكَ عَلَى الْهِنَاءِ مَصْرَا
قَدْ جَمَعْتَ الْمُجْدِينَ أَصْلًا وَفُرْعًا * وَهَكَذَا الدَّارِينَ دُنْيَا وَآخِرَىٰ

الفصل الثاني في ذكر أمورها جرت في هذه السنة من وفيات وتغيرها قال العباد في شهر ربيع الآخر توفي القاضي شمس الدين محمد بن محمد بن موسى المعروف بابن القرائن من أهل دمشق قاضي العسكر وكانت وفاته بالبطية وهو عائد من الرسالة إلى أولاد قليج أرسلان بالرم وكان هذا القاضي من أصدق الأصقاء وأكرم الزكراء وما عارف من أيام الملك العادل نور الدين رحمه الله في السراء والضراء وكنت بأحواله شهيدا الاعتداء وتوصلته عند السلطان في تخصيصه بالموافاة الموصليه والمراسلة في المهام الخفية والحلية ثم تولى نيابة عن السلطان في ولاية الشهر وزيوره والحكم على المقطعين بها وانضاف إليه فيما قُتِلَ من مظفر الدين صاحب أربل رجع شمس الدين ودامت غيبته عن الحضر مدة سبع سنين وكان تولى قضاء العسكر موضعه بها الدين بن شداد وكان خطب أولاد السلطان قليج أرسلان من مهمام عند السلطان فاعتقد على القاضي شمس الدين في الوصول إليهم والحكم بتأنيذات بينهم عليهم قضى وبما دأب تركه المنية بمدينة ملطية قال وفي يوم الخميس السادس والعشرين من شمس الدين توفي الأمير سيف الدين بن علي أجدل الحارثي المعروف بالمشطوب بنابلس وقد سبق ذكر هذا الأمير وبأسه وسالته وأصابته وأصائله وإقدامه في الحروب وتقدمه في الحظوب وقد حضر مع السلطان شيركوه النوب الثلاث التي فتح في آخرها مصر ولزم صلاح الدين من منتهى العزم ولما احتج على البذل في عقد النجدة من نفسه وثبكي أجاب إيدخلوه وقابل الأمر بقله وحصل قضاء الله في الأسر واحتوت عليه قبضة الكفر وقدى نفسه بمحمد بن ألف دينار ونجا وأثاب الله من نعمة خلاصه مارجا وأتم السلطان عليه بنابلس وأعمالها وخص بأموالها وحين جرت أزمعنا عند جنين وداع الأبدى حنة علي بن وانما مشطوب بالبطية في وجهه من أثر طعنة في غزاة خضرها وله مواقف في الجهاد كثيرة معجوده ومقامات مشهورة مشهودة ووقف السلطان بعد ذلك بنابلس وأعمالها على مصالح القدس وأقطع ولده وأمرين معه الثلثين بمحافظه على حقه الذي التزمه التزام الدين وقال القاضي ابن شداد وكان السلطان خلف المشطوب بالقدس من جيله العسكر المقيمين به ولم يكن واليه إنما كان واليه عز الدين جريوك وتوفي المشطوب رحمه الله بالقدس يوم الأحد الثالث والعشرين من شوال ودفن في داره بعد أن صلى عليه في المسجد الأقصى قال العباد في منتصف شعبان توفي سلطان بالدار ومن عز الدين قليج أرسلان من مسعود بن قليج أرسلان بقويه وكان أولادها كبروا وتجبروا وتتردكل منهم بالقلع بضعف بقتوتهم وبجزر بقدرتهم وبخفض رزقهم فانه فرق لادته على جماعتهم طمعاً في طاعتهم واختار الدين بن ملكه اختيار الدين حسن بن عفراس خلفه عليه من أولاده قطب الدين ملك شاه صاحب سيواس فجاءه وغلب على والده وأخذ عليه الانتقام وقال له أنا بن يدبك عوض الاختيار ثم أخذ منه الدار ثم أجبره عن خدمته والده خواصه وألباءه وأقنى بالقتل والاعتقال أمر أهله وكراه واستخلصه لنفسه وأجلسه على ملكه وهو في حبسه ثم جاءه إلى قصر بلباً أخذها من أخيه وأظهر أنباء أمر أبيه فوجد قليج أرسلان فرصة في خلاصه فسأله فدخل البلد ونجى من أولاد الوالد فعاد فساداً إلى قوته وأقصر دار ملك أبيه فتركه كما لم يزل قليج أرسلان يثب على يده من ولد أبيه ومن ولد أبيه وتردد في بلادهم صيفة أولاده وكلهم بضعفهم وبغير عنه حتى حصل عنه غيابة الدين بن كجسر صاحب على أخيمه قال بوجه أبيه في شهر ربيع الأول فكتب إلى نشو الدولة أجد بن ففاد أبيه أتباعه إلى دمشق فخاصه بجمادى الأولى وقد دخل أوان المشي المعهود وهو موسم دمشق المشهود أولها

دعا الناس للذوات مشمش جلقى * فقد أسرعوا من كل غرب ومشرق
فقم يا عماد الدين تحط بأكمله * ولاتن عنه عزة العلي مرتسب
وقل حين يبدو اصفر اللون مشرفا * وباحسبه من أصفر اللون مشرق
(لا كلك ما بقى التوادد والماني * ولتوت ما لم يبق منى وما بقى)

كتاب (٢١٠) الروميين

فليس سوى الجلاء في القدس مأكل * وما جلبه من زيب وقتي
قال فعرضت آياته على السلطان فقال ما قلت في جوابه فأشدته
هدوا نساقي نحو مشي جاني * ثم كأنه سوي على الأكل نلتقي
تصفر شوقا لا تنظار قدومنا * ومن يتعشق ذا الفضائل يشقى
أرا حضرة اطهارة غالب رسدنا * لما يتلاقى من مشوق وشيق
حكى جرات بالفضا قد تعلقت * فيما يجي من جره المتعلق
كان نجوم الارض فوق غصونه * فبا حبري من نجمه المتألق
وجناتنا بحجرة وجناتنا * فن رهام مثل يحب ويعشق
بدن بين أوراق الغصون كأنها * كرات نضار في بدين مطروق
قال فلما أنشدت السلطان هذا البيت قال تسببه الورق بالعين غير موافق فان الورق أخضر قلت
كرات نضار بالمرء محدد

تساقطها أنجبارها فكأنها * دنابر في أندي الصبارف ترتقي
ومشمش بستان الزكي بشمسه * سمدته تقضى فزك وصدق
تقول رفعت في دمشق نجما * أما لك بسان مقالة مشفق
فقلت الى باب البحر دوسوقه * لأمثالنا تجنى بساتين جاني
ولو كان لي اسم سهم وجدت لي * منالي ما نام الفار ومرفقي
إذا كنت مبتاعا من السوق مشعشع * فإلى اللذة المتسوق
وما لي بآرباب البسان خلطة * فيصير في حيطانها متسلق
كرام ووفى في الشتاء بودهم * ولكنهم في الصيف ينسون موثقي
وما هم يحدي ويقرى بوقتي * ثنائى سوى المحي الكريم الموفى
وذلك يوم واحد ليس غيره * ما من أجل يوم واحد قلت لاسيق
على أنى لو قيل بالصين دعوة * أثرت اليها لوعة المخسرق
فان جئت قبلي جلقا فأرم منعمي * حديني بشادى المنعمين وحق
لعل كريمي بنحى لضيفاتي * شمسة عند الهدوم وبنتي
فلا تنس نشو الدين نشو فاطرى * وكل عن صبحي كيف شئت ورتقي
وما تسعدني وخدم من قريحتي * لطيفة دارى من الجد واعبتي

قال فقال لي السلطان عن صبح ترفى فكأنك تريد تمضى الى دمشق وتسبق فقلت لا هبل والولد وقد عيل
عنهم المولد ولكن معي عن الخدمة لا بدور به الخلد وطلائ وهو الساكن والبلد قال وكتب أيضا في جوابه
وصفة المشمش وذكر تشبهاته وقد أنزل الى السلطان لهم له أيضا النقي

قد صبح عزي على المسير فلا * أبغى مهامى والقلب قد رحلا
امضى الى دمية مقبلها * أرفق منه المدام والعسلا
مصور بل مسدور يجب * ترى به وهو جامد شحلا
ففي قلوب الانجبار منه جذى * وفي ظهروا الغصون منه كلا
طبلوا ما انضار ظاهره * لباطن في حشاه نار طلا
تخفى اذا ما بدا لك في * فيك وفيه النوى اذا وصل
حلى تبر على عرائس أغصا * ن تشكك من قبلها عطلا
حرجسان الوجوه قد لبست * من خضر أوراقها الحاصل

في اختبار (٢١١) الدولتين

عمرائس من خضدور هارزث * تحسب أئجهارها لها كلالا
 حسلاوة لايجل اكها * اذا الحلاوات أحدثت ملالا
 زهر ككسب السعاء راجعة * جن جننة بقطفها ككفلا
 عيونها الرمد في رقبنا * جاحظة أبرزت انماة قفلا
 ماذا التواني وذا التأخر ولا * بطاء قدم مسسيرا بجلا
 نعدو خفا الى مواسمها * من قبل نبلى بصحبة الثفلا
 قد انتظرونا في الخزانة ما * نعطي فاكدي نوابها الجفلا
 فان عدمنا من عندهم ذهبنا * فما عدمنا عندهم به بدلا
 وصكنا في عوارف الملك النبا * صر نرى ونسلك السبلا

فال ولت فيه براعية

الشمس لا تنتظارنا مصفر * والروض الى لقائنا فتر
 قم نغتنم السوق فهذا العر * لاليت له فيه يغتر

قال وفي هذه السنة نصرت الاساطيل في البحر مرارا ونفذ السلطان في استدعائها استظفارا قال محمد بن القادسي
 وفي مستهل رجب وكل أمير الحاج طاشتكين يعي الذي قل أمير حاج الشام شمس الدين ابن المقدم بعرفات سنة ثلاث
 وعشرين فقبض عليه وسببه أنه اتهم بمكاتبة السلطان صلاح الدين رحمه الله فيما يتعلق بقلب الدولة وأظهر عليه استماد
 الدار أبو المظفر بن يونس كبا قيل أنه خطه وقبسه (المصلحة مهاده للفرج وأنجى إلى البلاد فاشفق بين أيديكم أحد
 والبلاد لكم أدام لكم العراق وهذا وقتكم أن كان لكم فيه وأما سدود الوسط في الخدمه) ثم ذكر ابن القادسي أن
 ذلك مستبعد في حق طاشتكين وزرور وجهتان ونسب ذلك إلى افتعال ابن يونس عليه وكان طاشتكين أمير الحاج
 عشرين سنة يحط به في مكة بعد الخطبة لأمر المؤمنين وله إقطاع بمائة ألف دينار قال وفيها في ربيع الآخر توفي
 أبو المرحف نصر بن منصور النيرى الشاعر الاديب الزاهد سمع فاضى البهارستان وروى عن ابن نها وكان قدرى
 بالشام وظالم أهل الادب واضر بالجدرى وله أربع عشرة سنة وكان بصيرا لاشياء القريية منه ولا يحتاح إلى فائد
 اذا مشى ثم قدم العراق لداوا فعينه فأياسه الاطباء من ذلك فاشتعل بالقرآن وحفظه وصاحب المتدين والرهاد
 من أهل الفقه والحديث واللغة وله ديوان شعر كبير وسئل عن مذهبه فألمى

أحب عليا والبطل وولدها * ولا أختد الشيعين فضل التقدّم
 وإبراهيم نال عثمان بالادى * صكا أتبرأ من ولاد ابن ملجم
 وبجيتى أهل الحديث لصدقه * فلت الى قسوم سواهم بنتم

وله ايضا في غير ذلك

وزهدنى في جميع الانا * مقله انصاف من تحجب
 هم الناس ما لم يجربهم * وطلس الدائب اذا جروا
 ولينك تسلم عند البعا * دمنهم فكيف اذا تقرب

ثم دخلت سنة تسع وعشرين * قال الحمد والسلطان مقم بدمشق في داره ومالك الا فاق في انتظاره
 والامام مشرفة عطاها وروى عن الامصار مجتهدون على بابيه منتظرون لجوابه والضيوف في فيوض انعامه
 غانمون والفقر في رياض صدقه راتعون ويجلس في كل يوم وليلة لاسداء الجود وابداء السعود وبث المسكلم
 وكشف المظالم وبرز الى الصديق في دمشق راد خمسة عشر يوما واستحب معه أخاه وأبوه في البريه وظهر عن
 ضمير الى الجهة الشرقية وطابت له الفرض ووافق مراد القنص ثم عاد يوم الاثنين حادى عشر صفر ووافق
 ذلك عود الحاج الشافى فرج التلقى وسعداته في الترقى ولما لقي الجاح استعبرت عيناه كيف فاته من الحج فأنه
 وسألهم عن احوال مكة وأميرها وأهلها وخصبها وحملها ثم رصاهم من غلات مصر وصدقاتها والفقر والنجارين

كتاب (٢١٢) الروضتين

ورواتهم وادار راتهم وسر يسلمة الحاج ووضح ذلك المنهاج ووصل من الجن ولد أخيه سيف الاسلام قتلناه
بالإكرام قال القاضى ابن شذاد ونجرت من القدس الشريف يوم الجمعة الثالث والعشرين من المحرم وكان
الوصول إلى دمشق ثاني عشر صفر وكان الأفضل حاضراً في الإيوان الشمالي وفي خدمته خلق من الأمراء وأرباب
المناصب ينتظرون جلوس السلطان فلما شعر بحضورى استحضرنى وهو وحده قبل أن يدخل إليه أحمد فدخلت
عليه رحمه الله فقام ولأخيه ملقى عاراً بآيت أشد من بشره فيه ولقد ضجنى إليه ودمعت عينه وفي ثالث عشر صفر
طلبنى حضرت فسألنى عن في الإيوان فأخبرته أن الملك الأفضل جالس في الخدمة والأمراء والناس في خدمته
فاعتذرا إليهم على لسان جمال الدولة أقبال ثم استحضرنى بكر فالجس رابع صفر وهو في صفة البستان وعنده أولاده
الصغار فسأل عن الحاضرين فقيل رسل الفريغ وجماعة الأمراء والأكابر فاستحضر رسل الفريغ إلى ذلك المكان
فحضروا وكان له ولد صغير وكان كثير الميل إليه يسمى الأمير أبابكر وكان حاضراً وكان رحمه الله يداعبه فلما وقع
بصره على الفريغ ورأى أشكاهم خاف منهم وبكى فاعتذرا إليهم وصرفهم بعد أن حضروا ولم يسمع كلامهم وقال لي
أكلت اليوم شياً وكنت عاتد بوجه الله هذه المباشطة ثم قال أحضر والناما ينسر فاحضروا أرباباً وبين ما يشبه ذلك
من الأطعمة الخفيفة فأكل رحمه الله وكنت أظن أن ما عنده مشهور وكان في هذه الأيام يعتذرا إلى الناس لمقبل الحركة
عليه وكان يده مثلاً وعنده نكسل فلما فرغنا من الطعام قال ما الذى عندك من خير الحاج فقلت قد اجتمعت
بجماعة منهم في الطريق ولولا كثرة الرحل لدخلوا اليوم ولكنهم في غدد خاؤون فقال يخرج إن شاء الله إلى القام وتقدم
بتنظيف طرقاتهم من المياه فانما كانت سنة كثيرة الداء والأمطار وقد سالت المياهي في الطرق كالانهار وانفصلت
عن خدمته ولم أجد عنده من النشاط ما أعده منه ثم بكى في يوم الجمعة فركب فحلقته وقبلى الحاج ولم أجد عليه
كثراً عنده وما كان له عادة ترك بدونه وكان يوماً عظيماً قد اجتمع فيه لواء الحاج والتفرج على السلطان معظم
من في البلد فذكرت ذلك فكانت استيقظ فطلب البكر اغتد فليرجى وأوقع الله في قلبي ظميراً بذلك ثم سار رحمه الله
بين البساتين يطلب جهة النبيص حتى أتى القلعة فغير على الجسر المار وهو طريفة المعتاد وكانت آخر خبر بوجه الله
(فصل) في مرض السلطان ووفاته أحله الله بمروحة جناته قال القاضى لما كانت ليلة السبت وجد
كسلاً عظيماً لما انصف الليل حتى غشيته حتى صفر أوبة كانت في بطنه أكثر من في ظاهره وأصبح يوم السبت
سادس عشر صفر عليه أثر الحلى ولم يظهر ذلك للناس لكن حضرت عنده أنا والغاضى الفضل ودخل ولده الأفضل
وطالب جالساً عنده وأخذ يسكون قلقة بالليل وطالب له الحديث إلى قرب الظهر ثم انصرفنا والقلوب عنده فتقدم
اليينا بالحضور على الطعام في خدمة ولده الأفضل ولم يكن للقاضى عادة بذلك فأنصرف ودخلت إلى الإيوان القبلى
وقدمت الطعام ولده الأفضل قد جلس في موضعه فأنصرفت وما كان لي قوة للجلوس استعجاشاً وبكى في ذلك اليوم
جماعة تفاقوا ليجلوس ولده موضعه ثم أخذوا المرض في ترديد من حينئذ ونحن نلازم التردد في طرقي النهار وأدخل إليه
أنا والقاضى الفاضل في النهار مراراً وبعطى الطريق في بعض الأيام التي يجد فيها خفة وكان مرضه في رأسه وكان
من أمارات انقباض المرعية طيبة الذي كان قد أرف من أجبه سقراً وحضراً رأى الأطباء قصده قصده في الرابع
فاشته مرضه وتلت رطوبات يده وكان يغلبه النفس غلبة عظيمة ولم يزل المرض في ترديد حتى انتهى إلى غاية
الضعف ولقد اجلسنا في السادس من مرضه وأسندنا ظهره إلى شدة وأحضرنا عاقراً لشربه عقيب شربايلين
الطبع فشر به فوجد مشدداً لحرارة فشكلنا من شدة حره ففسر وعرض عليه ثانياً فاشككنا برده ولم يغضب
ولم يصعب رحمه الله ولم يقل سوى هذه الكلمات سبحان الله لا يمكن أحداً تعديل الماء فخرجت أنا والقاضى من
عنده وقبل شتئنا البكاء والقاضى الفضل يقول لي انظر هذه الاخلاق التي قد أشرف عليها السجون على مفارقها
والله لو أن هذا بعض الناس كان قد ضرب بالفردح رأس من أحضره واشتهر مرضه في السادس والسابع والثامن
ولم يزل متزايداً وتعب ذمته ولما سكن التاسع حدثت به رعشة وامتنع من تناول المشروب واشتد الازعاج
في البلد وخاف الناس ونقصوا الاقصة من الاسواق وغشى الناس من الكأبة ما لا يمكن حكايته ولقد كنت أنا
والقاضى الفضل نعد كل ليلة إلى أن يمضي من الليل لئلا أقر برب منه ثم نحضر في باب الدار فان وجدنا طرقياً

كتاب (٢١٤) الروضتين

ما غلبهم عن الصلاة وصلى عليه الناس ارسلا وكان أول من أم الناس القاضي محيي الدين بن الزكي ثم أعيد رجعه
 الله عليه الى دار الراجعي في البستان الذي كان مقر ضامها ودفن في الصفة الغربية منها وبنو له في حفرته قبر بها
 من صلاة العصر ثم نزل في النساء النهار ولده النظار وعزى الناس فيه وسكن قلوب الناس وكان الناس قد شغلهم
 الحزن والنجاء عن الاشتغال بالنهب والفساد فليجد قلب الاخريتنا ولا عين الايا كيمة الامن شاء الله ثم جرع
 الناس الى بيوتهم أقبح رجوع ولم يعد منّا أحد في تلك الليلة الا انا حضرا وقرأنا وجدنا حالنا من الحزن واشتغل
 ذلك اليوم الملك الافضل بكتب الكتب الى اخوته وعمه يخبرهم بهذا الحادث وفي اليوم الثاني جلس للعرزاء جوسا
 عاما وأطلق باب القلعة للفقهاء والعلماء ونكلم المتكلمون ولم ينشد شاعر ثم انفض المجلس في ظهره ذلك اليوم واستمر
 الحال في حضور الناس بكرة وعشيرة لقراءة القرآن والدعاء لدرجة الله عليه وقال العماد جلس السلطان ليلة
 السبت سادس عشر صفر ونحن عنده حتى مضى من الليل الله وهو بعد ثنا ونحن نحدثه ثم صلى به وبنا امامه وحان
 قيامه وانفض لنا باحسانه مغتربين وباتنا له مرثطين وأصبحنا يوم السبت وجلسنا في ايوانه ينتظر خروجه لوضع
 الخوان ووجدناه قد أغلق باغلاق باب رهنه ولم نشعر بما قضاه العذر واجتهه وخرج من خدمه من أخذ برسمه
 ودخل الخوف الى حرمه وأمر الملك الافضل بأن يجلس في الايوان لبسط الخوان فجلس في مكان والده مر بها
 وكان من شرط الادب ان يجلي له موضعا فظهر بامن تلك الحالة وتكرهنا مناسوء الدلالة فتلاعت فيه العيون
 وتراجعت الظنون ودخلنا اليه لئلا لا يحد له عياده ومرضه في الزيادة وفي كل يوم تضعف القلوب وتضعف
 الكروب وانتقل من دار الله الى دار البقاء في سبعة ايام الاربعاء ونابت الظلمة عن الضياء ودخل قبله السابعة
 والعشرين في السرار وبحث مطلع النوار ومات بموته رجاء الرجال وأطمأ بقر وبشمسه فضاء الافضل وغاصت
 الايادي وقاضت الاغادي ودفن بقلعة دمشق في مسكنه ودفن جماع الكرم والفضل والدين بدينه ثم
 الملك الافضل بشيخ الجامع في جواره بشباك الى الجامع لوقاره وتلقاه اليها يوم عاشوراء سنة الفنتين وتسعين
 واسترجعنا وقتلنا لنا الا لآن تسعين بالله ونستعين قال ومما قلت رابعة في الميراث

قال الملك الناصر من كفتي ❀ في الجود بغير شيئا أنصفني
 ما يعجب لم ان ذلك الملك فتي ❀ لم يسبق من الجود الا كفتي

وقال العماد أيضا في رسالته الموسومة بعتي الزمان وكان السلطان رحمه الله لما توفي بالقلعة في منزله وما زال الافضل
 ينزوي في موضع ينقله اليه واستشار في ذلك فأسير عليه في سنة تسعين يانيني تربته عنده مسجد القدم ويبني
 عندها مدرسة للشافعية وقالوا اذا وصل الملك العزيز استغنى بزيارتها عن الدخول الى دمشق لاجلها وقالوا ان
 السلطان رحمه الله لما مرض سنة احدى وعشرين هجران كان قد اوصى أن يدفن بدمشق قبلي ميدان الحصا ويكون
 قبره على النهج السائل وطريق القوافل اذ دعوا له الوارد والصادر والبارى والحاضر ويجوز عليه في الغزوات
 العساكر قالوا وان تئنا هذه الارض عن مكان الوصية فهي منه قريسه فأمر الافضل ببناء التربة عنده مسجد
 القدم وتولى عمارة بادر الدين مردودوا الى دمشق فاتفق وصول العزيز بترك السنة للحصار وهم قد سرعوا في عمارتها
 فترتب ما كان قد ارفع من البناء واستقر الافضل حذر الجاهع ليجعل التربة فيها فوق دار كانت له بعض
 الضالحين وهي في حد المكان الذي زاد ما لاجل الفضال في المسجد فاشترها منه وأمر بعمارتها فبعت ونقل
 اليها السلطان يوم عاشوراء من سنة اثنتين وتسعين بكرة الخميس وحشي الافضل بين يدي تابوته وأراد العلماء
 والدعاة حمله على أعناقهم التي فيها منته فقال الافضل كتمه أديمتك الصالحة التي هي في المعاد جنته وحله
 مما ليك وخدeme وأولياؤه وخدeme وأخرج من باب القلعة في البعد على دار الحديث الى باب البريد وأدخل منه الى
 الجامع ووضع قدام باب النسر وصلى عليه القاضي محيي الدين محمد بن القرشي باذن الافضل ثم حمل منه على الرؤس
 الى بطن لمحمده ثم جاء الافضل وحده ودخل لحده وأودعه وخرج وسد الباب على آبيه وجلس هذا في الجامع
 ثلاثة أيام العزاء وانفتحت الشام وأخذت السلطان في هذه النوبة أموالا كثيرة قال محمد بن السادسي في يوم
 السبت ثالث عشر ربيع الاول شاعت الاخبار يعرفني بغداد بوفاته صلاح الدين يوسف بن أيوب وذلك

في أخبار (٣١٥) الدولتين

معهم ما الذي كان معه في الجهاد وكان ذلك برأى الفاضل وقيل عنه هذا وتوكلنا على الله تعالى وان الفاضل كفته من ماله وتولى غسله الفاضل وخطيب دمشق قالت وحكى له انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في جماعة من الصحابة رضى الله عنهم زاروا قبر صريح الدين رحمه الله وأنهم لما صاروا عند الشياك سجدوا ووجدت في بعض الكتب الفاضلية (ان رجلا رأى ليلة وفاة السلطان كائنًا فلا يقول له قد خرج الليلة يوسف من السجن وهو من الأشر النبهوى (الذي يسمون المؤمن وجنة الكافر) قال وما كان يوسف نرجة الله عليه في الدنيا ما اضافة الى ما صار اليه في الآخرة الا في سجن رضى الله عن تلك الروح وفتح له باب الجنة فهو آخر ما كان يرجوه من الموت) ومن كلام غيره في وفاة السلطان رحمه الله تعالى (أفلت الشمس عند الصباح وذهبت روح الدنيا الذي ذهب بذهابها كثير من الأرواح وذلك ساعة ظلت لها الابواب حائرة وتمثلت فيها السماء ماثره والحيات سائرته وأغدس في الله الذي كان على أعدائه دائم الخرب يد وخفت الارض من جبلها الذي كان ينعها ان تغيب وأصبح الاسلام وقد قد ناصره ناس كل لوحيد فهو أعظم فاقد لا عظم فتميد وليس أحد من الناس الا وقد صم عن الخبر وأصيب في سواد القلب والبصر) قال (وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول عمر) ونتمت العباد كتابه البرقى الشامى بقصيدة ترى بها السلطان رحمه الله عدد هافى ديوانه مائتان واثنان وثلاثون بيتاً وها

ثم - الهدى والملك عم شتاته * والدهر ساء وأقلعت حسنة
أين الذى سذلهم ينزل محسنة * مرجسوة رهبا ته وهبانه
أين الذى كانت له طاعاتنا * مبهذولة وله طاعاته
بالله أين الناصر الملك الذى * لله خالصة صفت نيانه
أين الذى مازال سلطانا لنا * يرجى نداء وتنسب سطوانه
أين الذى شرف الزمان بفضله * وسمت على الفضلاء نشر رفاقه
أين الذى عنت الفرسنج لبأسه * ذلا ومنه أدرى كرت ناراه
اغلال أعناق العبد أسمافه * أطواق أجياد الورى مناته
لم يجد ندير الطبيب وكم * أجدت لطب الدهر تدبيراته
من فى الجهاد صمعا ح ما أغمدت * بالنصر حتى أغمدت صفحاته
من فى صدور الكفر صدر قناته * حتى توارت بالصباح قناته
لدا المتعاب فى الجهاد ولم تكن * سذل عاش قط لئانه لدا ته
مسرودة غمدوا به مجودة * روحاته ميمونة مضمونة
فى نصره الاسلام يسمردانما * ليطول فى روض الجنان شتاته
لا تحسبه مات شخص واحد * فسمات كل العالمين ماته
ملك عن الاسلام كان محما يا * أبدا اذا ما سبته حاته
قد أطلت مذهب عبادوره * لما خلت من دهر داراته
دفن السماح فليس ينش بعدما * أودى الى يوم النشور رفاقه
الدين بعدد أبى المظفر يوسف * أقوت ذواه وأقهرت ساحاته
جبل تضعه من تضع ركنه * أركنا وتم سذلنا هذاته
ما كنت أعلم ان طودا شامخا * بهوى ولا تهوى بنامه هوانه
ما كنت أعلم ان بحر اطاميا * فبنا يطمم وتنسب زخراته
بحر خلامس وارديه ولم نزل * مخفوفة برقوده حفاته
من لى تسمى والارامل راحم * معطف مفضوضة صدقاته
لو كان فى عصر النسي لا نزلت * فى ذكره من ذكره آياته

كتاب (٢١٦) الرضتين

فعلی صلاح الدین یوسف دائماً * رضوان رب العرش بل صدقاته
لنریحہ سقی السحاب فان یغی * تحضر لرحمة ربہ سسقیاتہ
وکعادۃ البیت المقدس یحزن السبب الحرام علیہ بل عرفاته
من اللغور وقد عددا ما حفظه * من الجهاد ولم تعد عاداته
بکت الصوارم والصولا هل اذخلت * من سبلها وركوبها غزواته
وبسیفه صداء الحزن مصابه * اذ لبس یسقی بعهده صدایته
یا وحشاً للابيض فی انما دها * لا تنقضها للوغی عزماته
یا وحشة الاسلام یوم تمکنت * فی کل قلب مؤمن روعاته
یا حسرنا من یأس راحته الی * یقضي الزمان وما انتقضت حمراته
مسلاّت مهابة البلاد فانه * أسود وان ببلاده غایاته
ما کان أسرع عصره بالانقضی * فکانت اسبوعاته ساعاته
لم أنس یوم السبت وهو لایه * یدعی السبات وقد بدت غشیاته
والبشر منه بهیجت أنواره * والوجه منه تلالاّت سجحاته
ویقول لله المہم من حکمته * فی مریضة حصصات بہ امر ضاته
وقف الملوک علی انتظار رکوبه * لهم فقس تأخرت رکباته
کانوا وقوفاً أنس تحت رکابه * والیوم هم حول السریر شاته
وعمالک الا قاق ساعیة له * حتی یفقی یفقی سعاته
هذی مناشیر الملائکة تقضی * توقعه فیها فأین دواته
قد کان وعدی فی الیوم یجمعها * همد الیربع وقد دنا میقاته
والجندي الدیوان جدد عرضه * واذا أمرت تجددت نقحاته
والقدس طامحة الیک عیونہ * بحیل فقد طمحت الیہ عادته
والغرب منتظر طارعهک نحوه * حتی نفی الی همد الک بقماته
والشرق رجوع رب عزمک ما ضیا * فی ملکک حتی تطیع عصاته
مغری بأسداء الجیسل کائما * فرصت علیہ کالصلاة صلاته
هل للملوک مضاروقی موقف * شدت علی أعدائه شداته
واذا الملوک سوا وقصر سعيهم * رحبت وقد تجت به مسعاه
کم جاءه التوفیق فی وقعانه * من کان بالتوفیق توفیقاته
فالوجد یحفظ العماد فی حاشیة دیوانه کانت علامته (الجلد لله وبه توفیق)

یا ارحم اللدن حین تمکنت * منه الذباب وأسلمته رعاته
ما کان ضرک لواقیت مراعیاً * دینا توی مذر حرات ولاته
أضجرت منا أم أنفت فلنکن * من نصاب لشدة ضجراته
أرضیت تحت الارض یامن لم یزل * فوق السماء علی سدة درجته
فارقت ملکاً غیر باقی متعباً * ووصلت ملکاً باقیاً راحته
اعز زعی عینی برؤية بهجة السدبا ووجهک لا ترى بهجاته
ابن صلاح الدین ان اباکم * ما زال نابی ما الکرام آیاته
لا تقسداوا الایسنة فضله * لطیب فی مهاد النعم سناته
وردوا ما ردد له وما حسه * لترد عن نبح الشمات شماته

في أخبار (٢١٧) الدولتين

ولئن هوى جبل لقد بنيت لنسا * يمينه من هضماته ذرواته
وبفضل أفضله وعز عزه * وظهور بظاهره لناسرواته
الأفضل الملك الذي ظهرت على السدين بهر جلاله حقاوته
والدين بالملك العزيز عماده * عثمان حاله كشأ حاله
والملك غازي الظاهر العالی الذي * صحت لآظهار العلی مغراته
ولنا بسيف الدين أظهر نصره * بالعدل الملك المظهر ذاته
والعماد فيه من قصيدة أخرى

من العلام للذرى من الهدى * يحسبه من البأس من اللئال
طلب البقاء للكه في أجل * اذ لم يبق بقاء ملك العاجل
بحر أعاد البحر بحس راره * وبسيفه تحت بلاد الساحل
من كان أهل الحق في أيامه * وبغيره يرون أهل الباطل
وفتوحه والقدس من ابتكارها * أثبت له فضل بغير مساجل
ما كنت أستسقى بغيرك وبلا * ورأيت جودك مخيم لا لاويل
فسقائك رضوان الآله لاني * لأرتضى سقيا العمام الخاويل

﴿فصل﴾ في تركه السلطان ووصف أخلاقه رحمه الله ذكر القاضي ابن شداد أنه إمام لم يختلف في خزانته من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهما نصريه ودينارا واحدا ذهبيا وديرا ولم يختلف ملكا لا دارا ولا عقارا ولا ستانا ولا من رعية في البلد ولا مسقة ولا ظاهرا مستغنى من أنواع الاملاك وقال العماد في كتاب القح خلف السلطان رحمه الله سبعة عشر ولذا ذكرنا وابنة صغيرة وأبقى له ما أثره وبجانب كثيره ولم يختلف في خزانته سوى دينار واحد وسنة وثلاثين درهما فإنه كان باخراجه ما يدخل من الاموال في الاكرامات والعمارات مغرما وما كان يجوز بالمال قبل الحصول ويقطعه عن خزانته بالحوالات عن الوصول واذا عرف بوصول حل وقع عليه باضعاؤه وخص الأتباع من ذوي الغنائم الجهاد بالافه ولا جبهه أحد بالزاد اذ اسأله بل تلطف له مكانه اسأله فإنه يقول ما عندنا من الساعة ومفهومة ما يعطى وأن كان يعطى وأنه يصيبه بالنوال ولا يخطى وكان مشغوف في سبيل الله بالانفاق موقوفا عزمه في الاعداء باداءه الاجال وفي الاولياء باجاء الارزاق وما عرف في سبيل الله فرس أو جرح أو عوض ما لكة مثله وزاده من فضله فضله وحسب ما وهبه من الخيل العرباب والا كاد يس الجهاد الحاضر من معه في صف الجهاد مدة ثلاث سنين وشهره منزل الفريخ على عكا في رجب سنة خمس وثمانين الى يوم انقضاءهم بالسلم في شعبان سنة ثمان وثمانين فكانت تسعة مائة الف رأس من حصان وحجيرة وكديش وذلك غير ما أطلقه من المال في ائمان الخيل المصانة في القتال ولم يكن له فرس بر كيه الا وهو وهو هوب أو موعود به وصاحبه ملازم في طلبه وما حضر اللقاء الا استعار فرسا فركبه وبعج جواده فاذا نزل جاء صاحبه واستاعده فكلمهم بر كب خياله وطلب خيره وهو يستعير جوادا ويستعير في الجهاد اجتهادا قال في البرق وحضرت بعده عند بعض الملوك وقد قيدت اليه عراب فقيل له كان السلطان يضيع هذه وما عندك لها حساب ونسب واجوده ما الى السرف وعدوه من معايبه واعرضوا عن ذكره مغاخرة ومناقبه وبمثل ذلك استتب له الفتوح وخلصت له طاعة كائنه قال في الفتح لا يلبس الا ما يحل لبسه وتطيب به نفسه كل كان والظن والصفوف وكسوته بخرجها في اسداء المعروف وكانت محاضره مصونة من الحظر وخباواته مقدسة بالظاهر وبجاسه منزفة عن الخبز والجزل ومحافلها حافلة أهله بأهل الفضل وما سمعت له قط كلمة تسقط ولا لفظة فتنة تسقط وبغاط على الكافرين الفاجرين وبلين للأومنين المتقين ويؤثر سماع الاحاد بثاله سائدا ويكلم العلماء عند ذى العلم الشرعي المفيد وكان مداومة الكلام مع الفقهاء ومشاركة القضاة في القضاء اعلم منهم بالاحكام الشرعية والاسباب المرضية والادلة المعربة وكان من حاله لا يعلم الله بحال السلطان بل يعتقد أنه بمجالس أخيه من الاخوان وكان

كتاب (٢١٨) الروضتين

حليما مقيلا للعنات منجاوزا عن الهفوات تقبالتقا وفيما صفي بعض ولا يغضب ويشير ولا ينقلب نار دسا سلا ولا صا دنا ولا أخجل فأنا ولا غيب أملا قال ومن جملة مناقبه أنه تأخر عنه في بعض سفراته الأمير أبو بين كنان فلما وصل سألته عن سبب تخلفه فذكر بشا فاحضر غرما وتقبل بالدين وكان اثني عشر ألف دينار مصرية وكسرا قال ولما كتبنا بالقدس في سنة ثمان وثمانين كتب إليه سميع الدولة بن منقذ نائبه بمصر أن واحدا من معاملة يبلغ فاستنص من ألف دينار وتبعه ووصل إلى الباب فحبل ونحل وكذب فخافه من أخسر السلطان أن الرجل بالباب فقال قل له أن ابن منقذ يطلبك فاجهد أن لا تقع في عينه فخبنا من حله وكرمه بعد أن قلنا قدم الرجل إلى حينه بهدمه قال وما أذكره في أول سفره مع إلى مصر سنة الثنتين وسبعين أنه حوسب صاحب ديوانه عا ثولا في زمانه فكانت سياقة الحساب عليه سبعين ألف دينار باقية عليه فطالبها ولا ذكرها وأراه أنه ما عرفها على أن صاحب الديوان ما أنكرها وكان يرضى من الأعمال بما تحمل صفواعة وتحصل حوا وكه يخرج في الجود والجهد ثم لم يرض له بالطله فولا ديوان جيشه قال ولما كتبنا بظهران عم بصدقاته الفقراء والمساكين وكتب إلى نوابه في الولايات بأخراج الصدقات وقال في كتب إلى الصفي بن القاض بدمشق أن تصدق بخمسة آلاف دينار مصرية فقلت أأنا الذهب الذي عنده مصري فقال في صدق بخمسة آلاف دينار مصرية وأنتدق من صرف المصري بالمصري فيكون حراما وترتكب في كسب الحراما فمنع ومنع وتاجر الله ويرج وما عرف على الرجل من حران أقاض بها الفصل وبث الاحسان وقال في يوم الرجل انظر كم في الباب من الوافدين أبناء السبيل وهذه ثمانية دنانير أقصتها عليهم بالعلم على أقدارهم وكانوا عذبة يسيرة لم تبلغ عشرة فعيثت لكل اسم سميا فبلغ أربع مائة دينار فاعلمه وقت انقص من كل اسم ربعا فقال أجربا جرى به القلم والكان رجاء الله إذا أطلق لعاف عارفه وملت هذه مائة كفيه ردها مضاعفة والكان يعرض للسبيل ولا يعرض عن الصغار ويرشد إلى الهدى ويهدي إلى الرشاد ويسد الأمر ويأمر بالسداد فيكل بمائة كفه وخواصه بل أمرؤه وأجناده اعف من الزهاد والعباد قال ورأى في يوماد واثملا بالفضة فأفكرها فقلت له أن الشيخ أباع محمد والد أبي المعالي قد ذكر وجاهي جوارها ثم أكتب بها عنده بعد ما كان يحافظ على الصلوات الخمس في أوائل أوقاتهما ووظايعا لاداء مغروضا ثم أومسنا ثم أبارأيته صلى إلى جاعه ولم يؤخر له صلاة من ساعة إلى ساعة وكان له امام راتب ملازم مواطب فان عاب يوما صلى به من حضره من أهل العلم إذا عرفه متميا مخجيا باللائمة وكان يأخذ بالشرع ويعطيه به ولم يكن إلى المخيم مصغيا ولم يزل قوله ملغيا ولا تعيف ولا يتطير ولا يتعفن ولا يتغير بل إذا عزم توكل على الله فلا يفضل يوما على يوم ولا زمانا على زمان إلا بتفضيل الشرع وما زال ناصر للتوحيد وجامعا جمع أهل البدع بالتبديد شافعي المذهب أصولا وفروعا معتقلا له معه ولا ومسجوعا يدي أهل التزبه ويقص أهل الشبهة ويدمستفادة فقه الفقيه واستزادة نباهة النبيه ووجهة الوجهية فالعالمون في عدله والعاملون في فضله والبلادي آمنه والعباد في منه

(فصل) قال القاضي ابن شداد كان مولد السلطان رحمه الله في شهر رجب سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بقاعة متكبر وكان والده أبو بين شادي واليا بها وكان كرما أرجحيا حليما حسن الاخلاق وله مذهب ومن ثم اتفق له الانتقال من كريت إلى الموصل واثلة ولده المذ كورمه وأقام بها إلى أن ترفع وكان والده يهتزم ما قدما وهو وأخوه أسد الدين شيركوه عند أبيك زنكي واتفق لوالده الانتقال إلى الشام وأعطى بملكه وأقام به مائة ومعه ولده المذ كور فأقام في خدمة والده يترى تحت حجره ويرتفع ثدى محاسن اخلاقه حتى بدت منه مآثر السعادة ولاحت عليه ألوان التقدم والسيادة وقدمه الملك الناصر نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله وعزل عليه ونظر إليه وقر به وخصه به ولم يزل كلما تقدم فمسايد ومنه أسباب يقتضي تقديمه إلى ما هو أعلى منه حتى اتفق لهما أسد الدين شيركوه الحركة إلى مصر والنموض إليها وقد مضى ذلك ثم قال ذكر ما شاهدناه من مواظبته على التقوا والعبادة وملاحظته للأمر والشرعية مما ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأقام الصلاة وأتاه الزكاة وصوم رمضان والحج إلى بيت الله الحرام فكان رحمه الله حسن

في أخبار (٢١٩) الدوابين

العقيدة كذا الذكر لله تعالى قد أخذت بدته عن الدليل بواسطة البحث مع مشايخ أهل العلو كأمر التفهامة وبفتحهم من ذلك ما يحتاج إلى تفهمه بحيث كان إذا جرى الكلام بين يديه يقول في نفسه قولا حسنا وإن لم يكن بعبارة الفقهاء فخلص من ذلك سلامة عقيدته عن كدر التشبيه والتعطيل جارية على غلط الاستقامة وكان قد جمع له الشيخ الإمام قطب الدين النسابوري رحمه الله عقيدة تجمع جميع ما يحتاج إليه في هذا الباب وكان من شدة حرصه عليها بعلمها الصغار من أولاده حتى ترسخ في أذهانهم من الصغر ورأيت به وهو يأخذها عنهم وهم يقرؤونها من حفظهم عليه وأما الصلاة فإنه كان شديداً في طاعة عليهما بالجماعة حتى أنه ذكر رحمه الله أن له سنين ماضية بالجماعة وكان إذا أمر مني يستدعي الإمام وحده ويكلف نفسه القيام ويصلي جماعة وكان يواظب على السنن الزاوية وكان له ركعات يصلي بها إن استيقظ بوقت من الليل والألف بها قبل صلاة الصبح وما كان يترك الصلاة مادام عقله عليه ولقد رأيت أنه يصلي في منزهة الذي مات فيه فأتمها وترك الصلاة إلا في أيام الثلاثة التي تعيب فيها ذنبه وكان إذا ذكر لله الصلاة وهو سائر نزل وصلى وأما الزكاة فإنه مات رضي الله عنه ولم يحفظ ما وجبت عليه به الزكاة وأما صدقة النفل فأتمها استنفدت جميع ما ملكه من الأموال وأما صوم رمضان فإنه كان عليه فيه فوائت بسبب أمراض توارثت عليه في مرضاته متعددة وكان القاضي الفاضل قد تولى ثبت تلك الأيام وشرع رحمه الله في قضاء فوائت ذلك في القدس الشريف في السنة التي توفي فيها وواظب على الصوم مقداراً زاد على شهر فإنه كان عليه فوائت رمضانين شغلته الأمراض ولا نزلنا وجهه عن قضاء ما كان الصوم لا يوافق من أجبه فألهم الله الصوم لفرضه الفوائت فكان يصوم وأنا أتيت الأيام التي يصومها فإن القاضي كان غائباً والطبيب يأموه وهو لا يستمع ويقول ما أعلم ما يكون فكان أنه كان ملهماً برأه فذمته ولم يزل حتى قضى ما عليه رحمه الله وأما الحج فإنه لم يزل عازماً عليه وناراً بالله لا يسافر في العام الذي توفي فيه فانه صوم العزم عليه وأمر بالأنه بوعث الزيادة لم يبق إلا المسير فاعتاق عن ذلك بسبب ضيق الوقت وفراغ اليد بالحق بأمثاله فأخذه إلى العام المستقبل فقصي الله ما قضى فال وهذا شيء أسرت في العلم به الخاص والعام وكان رحمه الله يحب سماع القرآن العظيم حتى أنه كان يستخير إمامه ويشترط عليه أن يكون عالماً بأحوال القرآن العظيم متقناً لحفظه وكان يستغفر من يحضره في الليل وهو في برجه الحزين والثلاثة الأربعة وهو يستغفر في مجلسه العام من جرت عادته بذلك الآية والعمرين والزائد على ذلك ولقد اجتاز على صغير بين يدي أبيه وهو يقرأ القرآن فاستحسن قراءته فقرر به وجعل له حظاً من خاص طعامه وقف عليه وعلى أبيه جزءاً من مزرعة وكان رحمه الله خاشع القلب رقيق الدعة إذا سمع القرآن العزيم يشجع قلبه وتدمع عينه في معظم أوقانه وكان شديد الرغبة في سماع الحديث وسمي عن شيخه رواية عالية وسماع كثير فإن كان من يحضر عنده استخضره وسمع عليه وسمع من ذلك المكان من أولاده وبها اليك والمخضرب به وكان بأمر الناس بالجلوس عند سماع الحديث إجلالاً له وإن كان الشيخ من لا يطرق أبواب السلطين ويخفى عن الحضرة في مجالسهم سعى إليه وسمع عليه تردد إلى الحافظ السلفي بالاسكندرية وروى عنه أحاديث كثيرة وكان يحب أن يقرأ الحديث بنفسه فكان يستخضر في خاويته ويحضر شئاً من كتب الحديث ويقرأه هو وأما حديثه فبعضه عريق قلبه ودمعت عينه وكان كثير التعظيم لشعائر الدين فأتى بعض الأجسام وأشورها ومجازاً الحسن بالجنة والمعنى بالنار هصدقا جميع ما وردت به الشرائع من حابل لصدقه بعض الفقهاء لاسطة وأعطاه والده رية ومن يعاند الشر رية المظهرة ولقد أقر له والده الظاهر صاحب حلب بقتل شاب كان نساء يقال له الشهر وردي قبيل عنده أنه كان معاند للشرائع معطالاً وكان قد قبض عليه ولده المذكور لما بلغه من خبره وعرف السلطان به فأمر بقتله وصدية أيا ما فقتله وكان حسن الظن بالله كثير الاعتماد عليه عظيم الإجابة إليه ولقد شاهدت من آثار ذلك ما أحكيه في كتابي التجاء إلى الله تعالى عند خوفه من قصد الفرج ببيت المقدس وامتساع أحبابه من دخوله للحضر فصلى ودعا فكني ذلك وقد تقدم ذكره ثم قال وكان رحمه الله عادلاً زاهراً حياً ناصراً للضعيف على القوي وكان يجلس للعدل في كل يوم اثنين وخميس في مجلس عام يحضره القضاة والعلماء ويفتح الباب للمحتاجين حتى يصل إليه كل أحد من مسكين ومغير ومجور وحرمة وشيخ كبير وكان يفعل ذلك سراً

وحضر على انه كان في جميع زمانه قابلا لما يعرض عليه من القصص كاشفا لما ينهني اليه من المظالم وكان يجمع
 القصص في كل يوم ثم يجلس مع الكتاب ساعة في الليل أو في النهار ويوقع على كل قصة بما يطاق الله على قلبه وما
 استغاث اليه أحد الأوقف وسمع ظلامته وأخذته قصته وكشف قصته ولقد رأيت وقد استغاث اليه انسان من أهل
 دمشق فقال له ابن زهير على قبي الدين ابن أخيه وأفضله اليه لحضرة في مجلس الحكم فما خلبه الا ان اشهد عليه
 شاهدين انه وكل القاضي أمين الدين أبا القاسم قاضي حماة في المحاسبة فأقاما الشهادة عندي في مجلسه فأمرته
 أبا القاسم بمساواة الخصم فساواه وكان من خواص جلساء السلطان ثم جرت المحاسبة بينهم وانتهجت العين على قبي
 الدين وكان قبي الدين من أعز الناس عليه وأعظمهم عنده ولم يحاسبه في الحق قال وصكنت يوما في مجلس الحكم
 فالقدس الشريف اذ دخل على شيخ حسن تاجر معروف يسمى عمر الخلاطي ومعه كتاب حكيم صار فحبه وقال خصمي
 السلطان وهذا بساط الشرع وقد سمعنا انك لا تحبني فقلت وفي أي قضية هو خصمك فقال ان سنقر الخلاطي
 كان هاتوكي ولم يزل على ملكي الى ان مات وكان في يده أموال عظيمة كلها لي ومات عنها واستولى عليها السلطان
 وأنا مظلوم فقلت يا شيخ وما الذي أقعدك الى هذه الغاية فقال الحق لا تبتطل بالثأخرو وهذا الكتاب
 الحكيم ينطق بأنه لم يزل في ماسكي الى ان مات فأخذت الكتاب منه ونصحت معه فوجدته يتعنت حليلة سنقر
 الخلاطي وأنه قد اشتراه من فلان التاجر بارجيش في اليوم القلاني من شهر كذا من سنة كذا وأنه لم يزل في ملكه الى
 أن سُدَّ عن يدي في سنة كذا وما عرف سُدَّ وهذا الكتاب خروجه عن ملكه بوجه وقدم الشرط الى آخره ففجعت من
 هذه القصة وأعانت السلطان بذلك فأحضره واستدناه حتى جلس بين يدي وصكنت الى جانبه ثم انفرد
 من طرائفه حتى ساواه رجحه الله تعالى ثم ادعى الرجل وفتح كتابه وقرئ تاريخه فقال السلطان ان لي من شهيد
 ان سنقر هذا كان في ملكي وفي يدي مصر واني استر به مع ثمانية أنفس في تاريخ مقدمتي على هذا
 التاريخ بسنة وأنه لم يزل في يدي وملك لي الى ان أعتقته ثم استخضر جماعة من اعيان الامراء المجاهدين
 فنهضوا بذلك وحكوا القضية كاد كرهاؤكروا بالاربع كما ادعاه فلبس الرجل فلبثه يا مولانا هذا الرجل
 ما جعل ذلك الا طلبا لراحم السلطان وقد حضر بين يدي المولى وما يحسن ان يرجع خائب القصد فقال هذا
 باب آخر وتقدم له بخلة وثيقة بالغة قال فانظر الى ما في طي هذه القضية من المعاني الغريبة الجميلة من التواضع
 والافتقار الى الحق واخراج النفس والكريم في موضع المواخذة مع القدرة التامة رجحه الله عليه قال وكرمه كان
 أظهر من أن يسطر كان رجحه الله رب العالمين وفتح أم قد ظلمها منه ابن قرا أرسلان فأعطاه باهاور أخته وقد اتسع
 عنده وفود بالقدس ولم يكن في الخزانة ما يعطيهم فباع قربة من بيت المال وخصصنا منها عليهم ولم يفضل منه درهم
 واحد وكان يعطى في وقت الضائقة كما يعطى في حال السعة وكان نواب خزائنه يخفون عنه شيئا من المال حذران
 يخفوا عنهم لعلهم انهم عظماء ثم خرجوه وسمعتهم يوما يقول يكن في الناس من ينظر الى المال كما ينظر الى التراب فكانه
 أراد بذلك نفسه وكان يعطى فوق ما يؤمل الطالب وما سمعته يقول أعطينا فلان وكان يعطى الكثير ويسقط وجهه
 ليعطى بسط من لم يعط شيئا وكان الناس يستزيدونه في كل وقت وما سمعته قط يقول قد زدت من ارفاكم أزيد
 وأكثرا لساأل في ذلك كان يكون على لسان يدي وكنت أنجيل من كثرة ما يطلبون ولا أنجيل منه لعل بعد
 مؤاخذته بذلك وما خدعه قط أحد الا أوغاه عن سؤال غيره وأما تعدد عطاءه فقال حضرنا بعد ما ذهب من
 الخيل عكا لا غير فكان عشرة آلاف رأس ومن شاهدها هو به يستقل هذا القدر اللهم انك الهمة الكرم
 وأنت أكرم الاكرم فنذكرت عليهم رجعتك ورضوانك بأرحم الراحمين قال وكان رجحه الله من عطاء الشجعان قوى
 النفس شديدا الباس عظيم الثبات لا يموله أمر ولقد رأيت من ابطاقه مقابلة عدة عظيمة من الفرنج ويخسدهم
 تتراصل وعساكرهم تتوار وتولوا يزداد القوة نفس وصبرا ولقد وصل في ليلته واحدة منهم بنف وسبعون سركا
 على عكا وأنا أعد هاهنا بعد صلاة العصر الى غرب الشمس وهو لا يزداد الا قوة نفس ولقد كان يعطى دستورا
 في أوائل الشتاء ويسبق في شريعة يسيرة في مقابلة عدتهم الكثيرة ولقد سألت باليان بن بارزان وهو من كبار ملوك
 الاساحل وهو جالس بين يديه يوم انعقاد الصلح عن عدتهم فقال الترجمان عنه انه يقول كنت أنا وصاحب

في أخبار (٣٣١) الدولتين

صديداً وكان أيضاً من ملوكهم وعقبائهم فاصدين عسكرنا من صور قلأ أثر فثنا عليه ثمنا وزناه فخره هو وبجسمائة ألف وحرزته أنا بمائة ألف أوقال عكس ذلك فقالت فكيف هلك منهم فقال أما بالقتل فغيره من مائة ألف وأما بالموث والقرى فلا يعلم وما يرجع من هذا العالم إلا القليل حال وكان لابد له من أن يبط وفحول العدو وكل يوم مرة أو مرتين إذا اكتفاهم بياضهم وكان إذا اشتد الحرب يطفوف بين الصفين ومعه صبي واحد وعلى يده حبيب ويخبر العسكر من الميمنة إلى الميسرة يرتب الأطلاب ويأمرهم بالتقدم والوقوف في مواضع برأسها وكان يشارف العدو ويحاوره ولقد قرئ عليه جزء من الحسد بين الصفين وذلك أني قلت له قد سمع الحسد في جميع المواطن الشريفة وما تقتل الله جمع بين الصفين فان رأى المولى أن يؤثر عنه ذلك كان حسناً فأذن في ذلك فاحضر جزءاً هائلًا من لهبه سمع فقرئ عليه ونحن على ظهور الدواب بين الصفين يمشي نارة ويقف أخرى وما رأته استكثر العدو أصلاً ولا استعظم أمرهم قط وكان مع ذلك في حال الفكر والتدبير يذكر بين يديه الأقسام كلها ويرتب على كل قسم مقتضاه من غير حدة ولا غضب يعتريه ولقد انهمز المسلمون في يوم المصافاة كبريرج عكنا حتى القلب ورجاله وقع الكؤوس والعلم وهو ثابت القدم في نفر يسير وقد انحاز إلى الجبل يجمع الناس ويردهم ويخجلهم حتى يرجعوا ولم يزل كذلك حتى عكس المسلمون على العدو في ذنات اليوم وقتل منهم زهاء مائة ألف ما بين راجل وفارس ولم يزل مصابراً لهم في العدة الوافرة إلى أن ظهر له ضعف المسلمين فصالح وهو مسؤول من جانبهم فان الضعف والخذلة كان فيهم أكر ولكمهم كانوا وقعون الخندق ونحن لا نتوجهها وكانت المعركة في الصبح وكان رحمه الله يرضى ويصح ويعتريه أحوال مهولة وهو مصابراً يابط ويتراى الناران ويجمع منهم صوت الشاقص ويسمعون مناصات الأذان إلى أن قضى الأمر حال وكان رحمه الله شديد المواظفة على الجهاد عظيم الإهتمام به ولو خاف حالف الله ما انفق بعد خروجه إلى الجهاد بنار ولا درهما إلا في الجهاد وفي الإرفاد للصدق ويرفي بينه وبينه ولقد كان الجهاد وجهه في الشغب به قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاء عظيم بحيث ما كان له حديث إلا فيه ولا نظر إلا في الله ولا إهتمام إلا به ولا ميل إلا في ما يذكر ويحدث عليه ولقد هجر في شعبة الجهاد في سبيل الله أولاً ولأولاده ووطنه وسكنته وسائر ما لديه ووقع من الدنيا بالسكون في ظل خيمة تهبها الريح ياجئة وبمرة ولقد وقعت عليه الخيفة في ليلة رجمه على من عرج فأولم يكن في البرية لثقلته ولا يزيد ذلك إلا الرغبة ومصابرة واقتساماً قلت وشواهد ما ذكر القاضي من ذلك كثيرة وقد سبقت مفرقة في رعة ترحمه الله منها ما فاساه على حصار كوكب من الأمطار والأحوال وفال الرشيد بن النابلسي من قصيدة له

ما تهبج الدرس والنساء إلى كها الصديق يورق لا لذته الغير
ملك تساوى جمادى في الجهاد و — وزايد وضاهى ناجر اصفر
فليس يشنيه حران تودعن * رضى الاله ولان اغدق المطر
ولا ينغمسه عمايك ابده * ضح أعيذه عاليه ولا ضحير
ولا يرى الروح الا ظهـر سلهية * في بطن معركة تم كوها وعر
صبر جميل كدم الشهد في فيه * وعند ككل ملك ملحه الصبر

فال القاضي وكان الرجل إذا أراد أن يتقرب إليه يجتهد على الجهاد أويده كشيئاً من أخبار الجهاد ولقد ألف له كتب عدة في الجهاد وأما نحن جمع له فيه كتاباً جمعت فيه آدابه وكل آيد ورد فيه وكل حديث روى فيه وشرحت عربيها وكان رحمه الله كثير إبطالته حتى أخذ منه وله الفضل حال ولا حكين عنه ما سمعت منه في ذلك وذلك أنه كان قد أخذ كركب في القعدة سنة أربع وثمانين وأعطى العساكر دستوراً أخذ عسكر مصر في العود إلى مصر وكان مقدّمه أمناه العادل فسار معه لودعه ويحظى بصلاة العيد في القدس ففعل ولقد وقع له أنه مضى معهم إلى عسقلان وبويعهم ثم عود على طريق الساحل وريته قد البلاد الساحلية إلى عكا ورتب أحوالها فاشارة عليه أن لا يفعل فان العساكر إذا فارقتنا بقي في عدة يسيرة والفرح كلهم بصور وهذا مخاطرة عظيمة فلم يلتفت ووقع أخاه والعسكر بعسقلان ثم سار على الساحل طالبي عكا وكان الزمان شتاء عظيماً والبحر هائجاً هيجاناً

عظيما وموجه كالجبال كقَالَ الله تعالى وكنت حديث عهد برؤية البحر فعظم أمر البحر عندي حتى خيل لي
 اني لو قال لي قادر لو جئت في البحر مع واحداه لكنتك الدنيا لما كنت أفعل واستخففت رأي من ركب
 البحر جاء بسبب دينار او درهم واستحسن رأي من لا يقبل شهادته ركب البحر هذا كله خاطري لعظم الهول
 الذي شاهده من حركة البحر وتوجسه فبينما اني ذلك اذا التفت الى وقال في نفسه انه متى يدرك الله تعالى فيخرج بقية
 الساحل قسمة البلاد وأوصيت وودعت وركبت هذا البحر الى جزائرهم اتبعهم فيها حتى لا بقي على وجه الارض
 من يكفر بالله أو أموت فعظم وقع هذا الكلام عندي حيث ناقض ما كان يحطري وقتله ليس في الارض أشجع
 نفسا من المولى ولا أقوى نية منه في نصرته دين الله وحكيت له ما خطري ثم قلت ما هذه الانية جميلة واسكن المولى يسير
 في البحر العساكر وهو سور الاسلام ولا ينبغي ان يحاطر بنفسه فقال أنا أستفتيك ما أشرف الميتات قتل الموت
 في سبيل الله فعال غاية ما في الباب ان أموت أشرف الميتات قال فانظر الى هذه الطوبى ما أظهرها والى هذه
 النفس ما أشجعها وأجسرهما اللهم انك تعلم انه بذل جهده في نصرته دينك رجاء رجائك فارجه قال وأما صبره فلقد
 رأته في حج عكا وهو على غاية من مرض اعتراه بسبب كثرة دما ممل كانت ظهرت عليه من وسطه الى ركبته بحيث
 لا يستطيع الجلوس وانما يكون متكئا على جانبه اذا كان في الخيمة وامتنع من مذهب الطعام وبين يديه الحجور
 وكان يأمر ان يفرق على الناس وكان مع ذلك كله ركب من بكه النهار الى صلاة الظهر يطوف على الاغلاب
 ومن العصر الى صلاة المغرب وهو صابر على شدة الألم وقوة ضربان الدما ولم كان يحجب من ذلك فيقول وجه الله اذا
 ركبته يزول عني المها حتى أنزل وهذه عنانية رانية ولقد مرض من ونحن على البحر وكان قد تأخر عن تل الحلي بسبب
 مرضه فبلغ الفرس ذلك فخرجوا طمعا في ان ينالوا من المسلمين شيئا بسبب مرضه ونوبة الظهر فخر جوا في مرحلة
 الى الأبار التي تحت التل ثم رحل العدو في اليوم الثاني يطلبنا فركب رحمه الله على مضض ورتب العساكر للحرب
 وجعل أولاده في القلب وزل هو وراء القوم يطلبهم وكسا سار الى العدو يطلبهم من الزهراء هو يستدري الى رؤاهم
 حتى يقطع بينهم وبين خيامهم وهو رحمه الله بسر ساعه ثم ينزل بستر يحيط وتلجئ به من شدة وقع النسيم
 ولا يصبه خيمة حتى لا يرى العدو وضعه فاولم يزل كذلك حتى نزل العدو برأس النهر ونزل هو على قتلهم مظل
 عليهم الى ان دخل الليل ثم أمر العساكر ان تعود الى محل المصارعة وان يبيتوا تحت السلاح وتأخروا الى قبة الخيل
 وضربت له خيمة طيبة وبث تلك الليلة أجمع ابا والطبيب مرضه وشاغله وهو بنام تارة ويستعطف أخرى حتى لاح
 الصباح ثم ضرب البوق وركب رحمه الله وركب العساكر وأحدثت بالعدو ورحل العدو عائدا الى خيمهم من الجانب
 الغربي للنهر وضايعة المسلمون مضايقة شديدة وفي ذلك اليوم قد تم أولاد بين يديه احتسابا بالفضل والظاهر والظاهر
 وجميع من حضره منهم ولم يزل يبعث من عنده حتى لم يبق عنده الا الأوطيب وعارض الجيش والعلمان باديهم
 الاسلام والبارق لا غير فيظن ان ائلا عن بعد ان تحتها خلفا كثيرا وليس تحتها الا واحد بعد بخلق عظيم رحمه الله
 وبقي في موضعه والعساكر على ظهور الخيل قبالة العدو الى آخر النهار ثم أمرهم ان يبيتوا على مثل ما كانوا عليه بارحهم
 ويتنقل ما بينا عليه الى الصباح وعاد العسكر الى ما كان عليه لا ماس من مضايقة العدو والعدو واكثره ليلته على
 صفه ويحاصرهما وقال لانام الليلة حتى ينصب لنا خيمة سقي ورتب لكل مخيم في قوما ولون نصبره وكا طول
 الليل في خدمته في الأذكار عتق وأرغد عيشه والرسول تواصل بخبرة بانه نصب من المخبئ في الغلاني كذا دوس الاستخ
 كزاحت في الصباح وقد فرغ منها وكانت من أطول الليالي وأشدها باردا ومطر قال ولقد رأيت به وقد جاءه خبر وفاة عليه
 بالغ أو صراحتى يسمى اسماعيل فوقف على الكتاب ولم يعرف أحد اولى يعرف حتى جمعنا من غيرة ولم يظهر عليه
 شيء من ذلك سوى انه لما قرأ الكتاب دمعت عينه رحمه الله قال ولقد رأيت به وقد وصله خبر وفاة في الدين ونحن
 في مقابلة الفرس نخرج جدينا على الرحلة وفي كل ليلة تقع الصبحه فتقطع الحياض وينف الناس على ظهور الى الصباح والند
 ويزاور بيننا وبينه شوط فرس لا غير فاحضر العادل وابن جندروا بن المتقدم وابن الداية سابق الدين وأمر بالناس
 فابعدوا عن الخيمة بحيث لم يبق حولها أحد عن غلوة سهم ثم أظهر الكتاب ووقف عليه وبكاء بكاء شديدا حتى أبكنا
 من غيرة ان نعلم السبب ثم قال رحمه الله والعبرة بخفة توفى توفى الدين فاستمد بكاء وبكاء الجماعة ثم عدت الى نفسي

في العياد (٢٢٣) الدولتين

فقلت أسمعتموا الله من هذه الحالة وانظروا أين أنتم وأعرضوا عما سواه فقال رحمه الله نعم اسعوا لله وأخذكم رها ثم قال لا علم بهذا أحد قال وكان رحمه الله شديد الشوق والغضب بولاده الصغر وهو صابر على مفارقتهم راض به عنهم عنه وكان صابرا على مر العيش وشكوتهم القدر التامة على غير ذلك احتسابا لله تعالى اللهم انه ترك ذلك سبكه ابتغاء رضاك فارض عنه قال ولقد كان رحمه الله حليما متجاوزا لقليل الغضب ولقد كنت بخدمة جرحه جرحه قبل خروج الفرج الى عكا بسر الله فتحها وكان من عادته انه يركب في وقت الركوب ثم ينزل فيبذل الطعام ويرأ كل معا اناس ثم ينفض الى خفية خاصة له ينام فيها ثم يستيقظ من منامه ويصلي ويجلس خلوة وأنا في خدمته يقرأ أشياء من الحديث أو شيئا من الفقه ولقد قرأ على كتابا مختصرا في السهم الرأزي يشغل على الاربع الاربعة من الفقه فنزل يوما على عادته ومدة الطعام بين يديه ثم حزم على الخروج فقيل له ان وقت الصلاة قد قرب فعاد الى الجلاس وقال صلى ونشام ثم جلس يتحدث حديث متصغر وقد أخذ الى المكان الاعلى لزم فتقدم اليه هلال كبير يحترق عنده وعرض عليه قصة لبعض المجاهدين فقال له أنا الآن ضحيرا أخرها ساعة فلي فعل ونذهما الى ترب من وجهه الكريم بعده ففتحها بحيث يثرها فوقف على الاسم المكتوب في رأسها فعره وقال رجل مستحق فقال يوقعه المولى فقال ليست الدواة حاصرا الآن وكان رحمه الله جالساً باب الحركة بحيث لا يستطيع أحد الدخول اليها والدواة في صدرها الحركاه الحركه كبيره فقال له الخياط هاهي الدواة في صدر الحركاه قال القاضي فليس لهذا معنى الا امره بان يحضر الدواة لا غير فالتفت رحمه الله فرأى الدواة فقال والله صدق ثم استند على يده اليسرى وميده اليمنى وأخضرها ووقع له فقلت قال الله تعالى في نبينه صلى الله عليه وسلم وانك له لي خالق عظيم وما يرى المولى الا قد شاركه في هذا الخلق فقال ما ضربت نبياً قضيت حاجته وحصل الدواب قال القاضي ولو وقعت هذه الواقعة لاحاد الناس لقام وقعد ومن الذي يصدق ان يحاطب أحد اهو تحت حكمه بهذا ذلك وهذا غاية الاحسان والحلم والله لا يصيب أحد المحسن قال ولقد كانت طراحيته تداس عند التزامهم عليه لبعض القصص وهو لا يتأثر بذلك ولقد نشرت يوماً بغاتي من الجبال وأنا راكب في خدمته فركبته حتى ألبته وهو يتبسم ولقد دخلت بين يديه في يوم رجع مطير الى القدس كئيب الوحل فضحت البغلة عليه من الطين حتى أهلكت جميع ما كان عليه وهو يتبسم وأردت التناثر عنه بسبب ذلك فما تركت ولقد كان يسمع من المستغيثين اليه والمظلumin أغلظ ما يمكن ان يسمع وبقي ذلك البشر والقبول ثم قال القاضي وهذه حكاية يندران يسطر منها فلما كرم ما تقدم من امتناع عسكره من الهجوم على ملك الانكشيرة وهو في جمع يسير من أصحابه بعد ان اطافوا بهم وواجه الجناس السلطان بذلك الكلام الحسن فرجع السلطان مغضباً وذن انه ربما صاب وقتل في ذلك اليوم فنزل في زور وقد وصله من دمشق فأكفه كثيرة فطلب الامر اليها كلاً وحضر وأفرا من بشره وانبساطه ما أحدث لهم الطعام ندية والامر والسرور قال وكان رحمه الله كثير المروءة ندى الوجه كثير الحياء منبسط لمن يرد عليه من الضيوف يكرم الوافد عليه وان كان كافراً ولقد وفد عليه البرنس صاحب انطاكية فما أحسن به الا وهو واقف على باب خيمته بعد وقوع الصلح في شوال عند متصرفه من القدس الى دمشق وقد تقدم ذلك وعرض له في الطريق وطلب منه شيئاً فأعطاه الحق وهي بلاد كان أخذها منه عام فتح الساحل سنة أربع وعشرين ولقد رآه ثم دندخل اليه صاحب صيدا فاحترمه وأكرمه وأكل معه وعرض عليه الاسلام وذكر له طرافه من محاسنه وحسنه عليه وكان يكرم من يرد عليه من المشايخ وأرباب العلم والفضل وذوى الاقدار وكان يوصي بالثلاثة نقل في يختارها لحيم من المشايخ المعروفين حتى يضرهم عندو ينالهم من احسانه والقدم بناسنة أربع وعشرين رجل جمع بين العلم والتصوف وكان من ذوى الاقدار وكان أبوه صاحب تور زفا عرض هوى من أبنه واشتغل بالعلم والعمل ورجع ووصل زائراً لبيت الله المقدس والمقضي لمانته منه ورأى آثار السلطان فيه ووقع له زيارته فوصل اليها الى العسكر فلقيته ورجعت به وعرفت السلطان وصوله فاستخضره وشكره عن الاسلام وحسنه على الخير وانصرف ويات عندي في الحية فلما صلب الصبح أخذ يودعني فقبت له المير بدون وداع السلطان في يلتفت ولم يلوح لي ذلك وقال قضيت حاجتي منه ولا عرض لي فيما بعد أرؤيته ووزارته ثم انصرف من ساعته ودعني على ذلك لبال فسأل السلطان عنه فأخبرته بقوله فظهر عليه آثار العتب كيف لم

تخبرهم واحده وقال كيف بطرقنا مثل هذا الرجل ويصرف عنا من غير احسان عساه منا وشدد النكير على في ذلك فساد جدت بداهم ان كتبت كتابا الى يحيى الدين قاضي دمشق كلفته فيه السؤال عن حال الرجل وايعال رفته كثرتها اليه طي كتابي اخبرته فيها بانكار السلطان رواجه من غير اجتماع به وحسنت له فيها العود وكان يني وبينه ص. دافعة تقضى مثل ذلك فعادوا جميع بالسلطان فرحب به وانبط معه واستوحش له وامسكه اياما ثم خلع عليه خلعة حسنة واعطاه مراكبي وبالا ثيابا كثيرة ليحملها الى اهل بيته واتباعه وجيرانه ونفقة يرتفق بها وانصرف عنه وهو أشكر الناس له وأخلصهم دعا لا يامه قال ولقد درأيت رجحه الله وقد مثل بين يديه أسير فرنجي وقد سابه بحيث ظهر عليه امارات الخوف والجزع فقال له الترجمان من أى شئ تخاف فاجرى الله على لسانه ان قال كنت أخاف قبل ان أرى هذا الوجه فيمد رؤيتي له وحضورى بين يديه ايقنت انى ما أرى الا الخيف من عليه وأطلته ورق له قال وكنت راكافى خدمته فى بعض الايام فباله الفرجى ووعلى بعض الزكية ومعه امر أنشد بدلة الخرق كبيرة البكاه واتراندق على صدرها فذكر قصة أم الرضيع الذى سرق وقد مضت قال وكان رجحه ان لا يرى الاساءة الى من يحبه وان أفرط فى الجناية ولقد بدلتى خزانته كسان من الذهب المصرى بكيس من الفلوس فما عمل بالثواب أسوأى انه صم فهم من علمهم لا غير وكان رجحه الله حسن العشرة لطيف الاخلاق طيب الفكاهة حافظا لانساب العرب وفاق بهم عارفا بسيرهم وأحوالهم حافظا لانساب خيلهم عالما بجائبات الدنيا وانوارها بحيث كنا نستفيد محاضرة منه ما لا نسمعه من غيره وكان يسأل الواحدة تساع من ضه ومداواته ومطعمه وشربه وتغلبات أحواله وكان طاهر المجلس لا يدكر بين يديه أحد الا بالخبر ومناظر السمع فلا يصح ان يسمع عن أحد الا بالخبر وطاهر اللسان فما رأيت له ألع بشتم قط وطاهر القلم فما كتب بقلمه الا بالسلامة وكان حسن العهد والوفاء فما حضر بين يديه بتم الا وترجم على شمله وجبر قبا به واعطاه خبز يخلفه ان كان له من أهله كبير يعتمد عليه وسلمه اليه والا أنفى له من الخبز ما يكفى حاجته وسلمه الى من يكرهه ويعنى بئر بيته وكان ما يرى شيئا الا ورق له وعطيه ويعسن اليه ولم يزل على هذا الاخلاق الى ان توفاه الله عز وجل الى مقر رجحه ومحل رضوانه قلت ولجعفر بن عيسى الخلافة من قصيدة رثاها

ألست ترى كيف انهى الخطب نائرا * ومتدبدا منه الى دافع الخطب
الى الناصر الملك الذى ملئت به * قلوب اليرايان رجا ومن رعب
كرم أناه الموت ضيفا فلم يكن * لنزله الا على السهل والرحب
ولو خاب منه قبل ذلك سائل * لخاب وليس البخل من شيم السحب
قضى ففضى المعروف واقرض المندى * وحطت رجال الوفى فى الشرق والغرب
أفاض على الدنيا سجال زاله * فغاضت عليه أعين النجم والعرب
ولولته يبكى على قدر حقه * اسال دمع الزن من أعين الشهب
جزاه عن الاسلام خيرا الله * فامسك عنه من دفاع ومن ذب
تداركه بعد ابتدال فقد غدا * وكان شديد الخوف فى أمتع الخب
وأصبح للبيت المقدس منقذا * باصلب عزم من مقارن الصلب
أذل له الله العدا منذ أظاعه * وسهل منهم كل مجتمع صعب
سقى الخلد عند الله داره * بمتبع منه بالجوار والقرب

(فصل) فى انقسام جمالكه بين أولاده واخوته وبعض ماجرى بعد وفاته قال العمادى فى كتاب البرق خلف السلطان سبعة عشر ولدا كبرهم الملك الأفضل نور الدين أبو الحسن على ومولده مصر يوم عيد الفطر سنة خمس وستين وخمسائة وتولى بعده دمشق الى ان خرج منها الى مصر خذولاه ساعه العادل فى شعبان سنة اثنتين وتسعين مضافة الى جمالكه بالبلاد الشرقية والجزيرة ودار بكر ثم الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ومولده

في اختيار (٣٣٥) الدولتين

بمصر ثامن بجادى الأولى سنة سبع وستين وتوفي بها في ملكه ليلة الأحد العشر من محرم سنة خمس وتسعين وتوفي بعده أحسداً وأولاده الصغار ثم الملك الظاهر غياث الدين غازي ومولده بمصر منتصف شهر رمضان سنة ثمان وستين وتوفي حلب وأعمالها قال ولقد أنشأت الرسالة الموسومة بالعبي والعبى فيما طرأ أبعد السلطان إلى آخر سنة اثنتين وتسعين وقال في كتاب الفتح تولى الملك الأفضل دمشق والساحل وما يجرى مع ذلك من البلاد وهو الذى حضر وفاة والده وقام بسنة العزاء وفرض الاقتداء بابيه في إيلاء الألاء وإدناء الأواباء وخلع على الأماثل والأمراء والأفاضل والعلماء وأوى إليه اخوته وضم جماعته وجهز زعماء الظاهر خضر امظفر الدين وأمنه لاجتماعه العادل كما سئذ كرو وكانت حصن والمناظر والرحمة وبعلبك وما يجرى معها في المملكة الافضلته داخله وقدم عليه سلطاناهم الملكان المجاهد والوحيد إلى دمشق فتأكدت بينهم الرابة والالفة ولما استقر الأفضل بدمشق في مقام والده قدم إلى الديوان العزيز بن حبيب بن ألباء الحال ثم ندب ضياء الدين ابن الشهر زورى في الرسالة وأخبره عتبة والده في الغزاة وسقيه ودعوه وحصانه وأضاف إلى ذلك من الهدايا والتحف والحيل العرب ما استفاد وسعه وأمكنه فيها تمهياً مسير الرسول الألى وأمر بجادى الآخره حتى حصل كل ما أراد من الهدايا والفقره وحتى كاتب مصر وحلب وأعلم بمسير رسوله حتى لا يظن انه انفراد يسوله وقصد مداراة اخوته وفضل بفضل فخوته وذلك بعد ان جدد نقش الدينار والدرهم سمى أمير المؤمنين وولى العهد عتبة الدين وقال ابن القادسى وفي يوم الثلاثاء سئل رمضان جل ابن الشهر زورى ما كان أصحابه الأفضل من جل السام إلى الديوان العزيز وهو صليب الصلבות الذى كان قد أخذ به والده وقد كان ذهب يزيد على العشرين رطلاً صمغاً بالجواهر ومعه ثمان مئتين بخرقه حتى فرس أبيه وزرديه وخودته وكانت صفراء هبة ودولوس حديد وسيف وأربع زربان وفاوا لاهده تركته وبها كان يقاتل وبخفاجة من الثياب وجل في جملة الثقب أربع جوار من بات لولك الروم فيمن ابنة بارزان وبنت صاحب جبلة قال العماد وأمرني بأشياء الكتب وقصر بردا وقصر بالمقاصد وتقر بها منها (أصدر العبد هذه الحادثة وسدده مشروح بالولاء وقلبه معور بالصفاة وبدعه فوعة إلى السماء لا ابتها بالبداع ولسانه ناطق بشكر الجماء وجنانه ثابت من المهابة والمحبة على الخوف والرياء وطرفه مغض من الحياء وهو الارض مقبل وللقرض مقبل وهو بيت بمقدمه وأسابعه من الحدمات وتخذ ذخر الأوقات وقد أحاطت العلوم الشريفة بان الوالد السعيد الشهيد الشديد السديد السديد إلى بذل الجهد ومصر بل الأمصار بأجتهاد فى الجهاد شاهده والالتجاء والاعتراف في نظره عزمه واحده والبيب المقدس من قهره صانه والملك العقيم من نتائج عزماته وهو الذى ملك ما لك الشرق وغل أعناقها وأسرط وأغبت الكفرة وشذخا قها وقمع عبدة الصليبان وقطع أصولها وجعل كفة الايمان وعصم جنبها ونظم أساليبها وسد الشقوق وسد الدالامور وقبض عدله بسوط وأمر بمحطوط ووزره بمحطوط ولله بالصلاح منوط وما خرج من الذناب الا هو في حكم الطاعة الامامية داخل وبخبرها الرجاء إلى دار المصاهرة ولم تكن له وصية الا بالاستقرار على جادتها والاستكثار من مادتها وان هضى الوالد على طاعة امامه فالما لك أولاده وأخواته مقامه) قال وتولى ولده الملك العزيز بن ألباء عم مصر وجميع أعمالها وأبقاها على اعتدائها وتقاهها من شرائب اختلاطها واعتلاطها واجبي سقى الجود والباس ونبت القواعد من حسن السياسة على الاساس وأطاق كل ما كان يؤخذ من الخبار وغيرهم باسم الزكاه وضاعف ما كان يطلق برسم العشاء وقدم أمر بيت الله المقدس وبجملته عشرة آلاف دينار مصريه لتصرف في وجوده ضروره ثم أمده بالحل وأفاض عليه من الفضل وقدر رواله عز الدين جديك على ولايته وقوى يد مبرعايته وإلى جل الغلات من مصر إلى القدس وأبدل حشته بوفاء السلطان من وفاته بالانس ثم أشفق من غدر الكافر فنجح في نسخ المندة فأتى من تجهيز العساكر إلى البيت المقدس بكل ما في المدينة ثم جمع بحركة الراية لوزن تاجهم وياهم وشايهم وقدر جوا في إيمانهم حاشين ولعمري إيمانهم ثاكين تخفيهم ببركة الحب واستشار أمراء أهل الرأى والب وجوز جيشاً فوصلوا إلى دمشق وقد فرغ العادل من حرب القوم والموسم وهو منهم اعطاف الاسكناكة ليهدهمهم فرأى ان الجداعود والعود أجد قال وتولى حلب وأعمالها وحصونها

مكتتاب (٢٢٦) الروضتين

فمعاقها وكرائم البلاد وعقوباتها الملك الظاهر غازي وهو رجا حتمه وسماعته الطود والجد والموازن الموازي ومملكته أقطارها سابعه وأصهارها شاسعه فخماها وحوالحها وجماء العدل وأرهاؤها وأقاربها وأقاربها وأعلمها وما يجرى معها على أشبه الملك الزاهر مجير الدين داود ودخل في أمر صاحب جناء ابن بقي الدين فأنزله وجاهه قتل وهو مأوى ذرية والده وبقى الملك منهم في عقبه وأحاز كل من أخوته وأولادهم إليه وعزلوا في عشية أمرهم عليه والأمر مستقر على ذلك في عقبه إلى الآن والله تعالى ولي الأحسان ثم زال ملك هذا البيت في صفر سنة ثمان وخمسين وسنائة بسبب غلبة الثوار الكفرة على البلاد والله بصير بالعباد ومن كلام القاضي الفاضل في جواب ورد عليه منه بعد موت السلطان (مضى رأي المماثل في خطه ولا ناطعنا في كتاب وطبيعة على خطاب مثل ذلك الشئ نص الكرم وذلك السلطان العظيم وذلك الخلق الكريم وذلك العهد القديم ففي بعدهم منه وسبح من يحيي العظام وهي رميم ورفع بهما الله رافعه ودعا بإصلاح الله ساعه) قال العباد وكان الملك العادل مع السلطان في الصلابة بل وفائه وكان موافقه وموافقه في منضماته فلما عاد السلطان إلى دمشق وودعه ومضى إلى حصنه بالكرك فثابه إلى الأقب ولم يحضر وقت احتضاره إلا مع الغائب فلما عرف وصل إلى دمشق بعد أيام بل إلى المقام ورحل طالب البلاد بالجزيرة هذر أعياها من أهل الجزيرة وكان السلطان جبل لكل ما هو مشرق في القنات من البلاد والولايات فلما وصل إلى القنات وجد ما خلفه فلائق القنات فأقام بقلعة جعبر وسير إلى الولايات الولاء ووصى برعا بالرعاء واستتاب في معاقرة وحاني وسيساط وخران والزها وشعها بالشحن وعزل العدا أنه في خوف وخفوا وعرضوا ووصوا وكان سيف الدين بكتر صاحب خلاط قد استمر موت السلطان ونزب بالملك الناصر وحديث أمه بغير العساكر وراسل صاحب الموصل وسفحار وطير اليمس كتب الاستعمار وضع اليه من ماردن ماردن وطاش وطاش وأرتاش وأنشأ فينها وفي إنشاء لاقلة الامتاعية بخلاط رابع عشر جمادى الأولى سنة تسع وثمانين وأول من بدأ أمره بالخروجه على بلاد السلطان متولى ماردن وزل على حصن أوزور وهذا الحصن كان السلطان اقتضعه من أعمال ما بين حين صالح أهلها وأعاد إلى نائبه بالرها ثم شمر عز الدين أتاك بك صاحب الموصل وأخوه عماد الدين زكي صاحب نصيبين وراسلوا إلى العادل فخرج من بلادنا أوتد خفي مرارا فكتب إلى بني أخيه يستنجدهم ويستنجدهم فأنجدوه وكان اخنا دحلأ أقرب وتعمد ذكر نجدة الأفضل مع أخيه الظاهر ونجدة القزويني لواصلته إلى دمشق بعد فخرنا الأماهر ووصلت للواصلته إلى رأس عين والامدال بحران وتقارب العسكران حتى أن الطلائع تتواجه وتجاهبه فرض صاحب الموصل ولم يطاق إلا فامة فعاد ورجع عماد الدين أخوه وتضرع صاحب ماردن وتشفع بالامراء الأكابر فرضى العادل عنه وبلغه قدوم ابن أخيه الظاهر إلى القنات فكتب إليه بمنزلة مسرور وهي من أعمال ماردن وأمسده بابل بقي الدين وابن المستدم فقتلوا عليهما ناه من رجب وقتلها ناسعه ورحل العادل منتصب رجب إلى القنات وتسلمها ثم بلبدا لحا برجميعه وجاء إلى نصيبين فقتل بظاهرها وشمر في ضم ذخائرها فحادث الرسل الامادية في طلب الصلح فرحل وزل دارا وأتاه خبر وفاة صاحب الموصل وتسليم يده إلى ولده نور الدين أرسلان شاه وجرى بينهم وبينه صلح ثم كتبته أهل خلاط فرحل إلى رأس عين البردي شند وأمدل لحصار بعتد فعاد إلى حران والرها وأعرض عن مخالطة خلاط وتأنى إلى الرابع أمرها قال واقام في مستقر لللائق ظهر الدين سيف الاسلام فقتل بن أيوب أخى السلطان وهو هنالك سلطان عظيم الشأن مسئول على جميع البلدان وكان قد وصل ولد مع الحاج يسيل وفاة السلطان بأيام فلما استقر الملك الأفضل على سر برأسه كاتب محمد سيف الاسلام

(فصل) في وفاة صاحب الموصل وتبعه أخبار هذه لغتنة ببلاد الشرق قال عز الدين أبو الحسن على بن الأثير لما وصل خبر وفاة صلاح الدين إلى صاحب الموصل عز الدين استشار في الذي يفعل به فأشار عليه أن يجتهد في الدين أبو الوهادات بالأسراع في الحركة وتخصد البلاد الجزرية فقامت الامانع لها منه وقال بجهاه الدين قائما بليس هذا برأى فأناترك وأما مثل المولى عماد الدين صاحب سفحار ومعه الدين صاحب الجزيرة ومظفر الدين صاحب اربل ونسيرانما الرأى اننا نرسلهم ونستقبلهم بنأخذ رأيهم وننظر ما يقولون فقال أخنا كتمت ففعلوا بما يشيرون به وبرونه

فأعدهم وأفانهم ليأروا الأهل والأولاد لهم لا يفرطون حرمتكم ولا تلوذكم إنما الرأى أن يبرز هذا السلطان ويكاتبهم ويرأسهم
ويصدقهم ويبدل لهم العيين على ما يأبى بهم ويأولهم الله على الحركة فليس منهم من يمكنه أن يخالف خوفهم بقصد
ولا يشبه له ما إذا أرادوا جده وخواهوا الدخول فيه من مانع وجام فهم لا يشكون أنه جده كما سارعوا به فاجعلهم ذلك على
موافقة ومضى أراد الإنسان أن يفعل فعلا لا يطرُق إليه الاحتمالات بطلت أفعاله إذا كانت المصلحة أكثر
من المضرة أقدم وإن كان العكس أحجم فظهرت أمارات الغرض على مجاهد الدين فسكت حتى لأنه هو كان عند دم
الجميع على الحقيقة والمال فمهم واتبع المحرم بمعنى صاحب الموصول قول مجاهد الدين وأقام ما أول من عند ظهور
رسائل المذكورين في نظم بينهم وبين أعدائهم مجال غير أخيه إمام الدين فانهم اتفقوا على قواعد مشتركة بينهم
فالحال أن تصدق الحال وصل الملك العادل أبو بكر بن أيوب بن الشام إلى حران وأقام هناك وجاءته العساكر من
دمشق وحمص وجند وحلب وامتعت البلاد وسارعوا إلى دين عن الموصول في النصبيين وقادته ابتداء إسماعيل بن زيف
واجتمع فمبايعة أخيه إمام الدين وساروا عساكرها إلى تل مؤمن من شيعتنا لتصل إلها فانما أرسل العادل حينئذ
يطلب الصلح وإن تكون البلاد الجزرية إلى هارحان والزعة وماعها بدعي سبيل الإقناع من عز الدين فليجبه
إلى ذلك وقوى المرض به واشتد إلى أن يجزع عن الحركة فعاد إلى الموصول في طائفة من بعده من العسكر إلى الموصول
رأى ضعفا شديدا فاحضر أخى وكتب وصية ثم سار إلى الموصول فولدها من بضائيا إسماعيل وبقي ذلك إلى أن توفي
في السابع والعشرين من شعبان سنة تسع وخمسين وخمسة مائة وأول ما يقع من أحدهم الناس بمثل أسلمه مرضه
فانه كان بعد ذلك ذاكرة له إلى الله حتى كان قد اقتدع مع الناس أن يقع عنه من أروا بقوله شهادته قال له
الاله وهدا لا شرب له الملك والحمد لله في بيت وهو إلى الموت يسد حائله وهو على قولي شديد وأشهد أن
محمد أصلى الله عليه وسلم إمامه ودوله وأشهد أن الموت حق وعذاب المنكر يبرحق وسؤال المنكر وكثير حق والضرار
حق والميزان حق وإن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من يشاء في القيوم وبقول أن عنده يخاطبه أشهد
بهذا عند الله تعالى ثم بعد إلى حديثه وأحضر عنده من بشر إلى أن فرل كذلك إلى أن توفي فرجه الله ودفن
بالمدسة التي أنشأها بإسطان الموصول مقابل دار الملكة وهي للفرقة بين الشافعية والحنفية وكانت مكنة نحو ثلاث
عشرة سنة وستة أشهر وكان أمير ملج الوجه حسن الهيئة شديد العارضين وحكى إلى والدى قال هو أشبه الناس
بجدة الشهاب مقدس الله روحه قال وكان رحمه الله دينا عتيقاً قد تلبق في داره مسجد داخرا إلى الله في الليل
ويصل فيه أوراكا كانت له ولبس فرجيه كان هذا أخذه من الشيخ عمر النسا إلى الوفي ويصل فيهما
وكان قد جدج ولبس بكة حرهما إلى فرقة التصوف من الشيخ عمر النسا إلى المذكور وكان من الصالحين
وأوصى بالملك لأنه نزل الدين أرسلان شاه وأراد أخوه شرف الدين بن دودوين زنى إلى أولاده ففعل وبقي نور
الدين إلى السنة سبع وستمائه فتوفي في شهر رجب منها فدفن بالمدسة التي أنشأها بإسطان الموصول - فإمامه السلطنة
وكان هو بالملك لأنه القاهر عن الدين مسعود وجعل الأمر به الدين لأؤاذا القاه بأمر دولته وولاه أمارا لجنوش
والعساكر وسياسة القبائل والعشائر ثم توفي الملك القاهر في ربيع الأول من سنة خمس عشر وستمائه فجاء وخلف
ثلاثة بنين صغاراً قال وأما عايد الدين زنى بن بن دودوين زنى صهر نزل الدين رحمه الله وهو صاحب سجنار فانه
توفي في الحرم سنة أربع وتسعين وكانت ولادة ثلاثين سنة وكان عدله قديم البلاد وغر العباد وأرقت الجور
وحشار بها وكانت صدقاته تصل إلى أفاض البلاد وتولى بعده ولده إلى أن قبض الدين محمد بن زنى وكان متولى
أمره مجاهد الدين برتقى العبادي قال وأحضر الملك العادل أبو بكر بن أيوب بن الشام في سنة خمس وتسعين وخمسين
مخاضا كان أحدهم شورا إلى أبي الإسماعيل عليهما فبينما العادل يحضره عاد في ابن أخيه الملك العزيز بن صاحب
مصر كان عسكر معه مع العادل إلى ماربين فلما توفي في أخوه الأفضل معه ومضى بينه وبين أخيه العادل ثورة فلما
ملك مصر أرسل إلى العسكر الماربين على ما أمرهم به فإفراقة ففسار قوه وعاد إلى مصر فجمع جنده وعسكره
ثم خرج إلى الأفضل عن مصر عازما على حصر دمشق واستعدادا لها من عفا فصار العادل عن ماربين جريدا إلى دمشق
لحفظها بعد ذلك ما كان قد قطع سبيلها إلى قلعة ماربين وترك ولده المالك السكامل بمسجد إجماعها إلى أن اجتمع

صاحب سنجار وصاحب الموصل على ترجميله عنهما فرحل قال وفي سنة ست وسبع مائة سار الملك النادل ابن أيوب من الشام إلى سنجار في العسكرة الشامية والمصريه والجزيرية والديار بكرية فخصرهما ونزل عليهما من كل جانب ونصب أحد عشر مخيمًا قبل ثلاثة أشهر وانتهى صاحب الموصل وصاحب أربل لصاحب سنجار وأنفذ الخليفة رسالته فأصلح الأمر وانظم الصلح وبالله الحمد

(فصل) وأما رسالة العماد الكاتب المعروفة بالعقبى التي أشار إليها في آخر كتاب البرق فيما جرى بعد وفاة السلطان في سنة اثنتين وتسعين فقد وثقت عليها وحاصل ما فيها أن قال لما توفي السلطان رحمه الله وما كنت أولاده كان العزيز في مصر يقرب أصحاب أبيه ويكرمهم والافضل يدهش في فعله ضد ذلك يقرب الأجانب ويبعد الأفارب وأشار عليه بذلك جماعة دار وأحواله كالوزير الجزري الذي استوزره قتل وهو الضياء ابن الأمير أخو عز الدين المؤرخ ومجد الدين وهو يقول الشهاب فتان للشاعر روى حتى أرى وزيركم وما له من وزير * يلقاه الله فذا أولان قلع الجزر

قال العماد فلما طلب من الأمراء أن يحلفوا له أطهر وأله إيماناً وهم قد أظروا الخنث فيها ولم يخف ذلك عليه ولما رأى الفضايل أمورا لافضل مختلطة تركه وسار إلى مصر وشرع الوزير الجزري في تفريق العصابة الناصرية ومامنهم الأمن فارق إلى الديار المصرية وكان قد أشير على الافضل باخلاء البيت المقدس لأواب العزيز بأعانه حينئذ من نكاحه فوافقته فأجاب إلى ذلك وقد كانت نابلس وأعمالها قد وقف السلطان ثلثه على مصالح القدس وباقها على ابن الأمير على بن أحمد المشطوب فشاركه أحد الأمراء الأكراد فيه فقدموا أيديهم إلى الوقف وساعت سرتهم ونحو فوامن انتكار الملك العزيز عليهم فلجأوا إلى الافضل فأفضل عليهم وسكن بهم فأثر الملك العزيز بذلك وأقوى الأسباب فيما حدث من الفسار فنار الأمراء الناصرية البكار ومشارتهم دمشق إلى مصر على سيدل الاضطراب والاضطراب فاعزهم العزيز وزور ففهم فاتفقوا على أن تكون كلمة الاسلام مجمعة على الملك العزيز لأحياء سنة والدفن الجرد والباس والكرم ومن جهة الأسباب الباعثة تسلي الفريخ ففرج جليل من بعض مستغنيهم وضعف الافضل عن استخلاصه فقبل العزيز أن تواترت استولت الفريخ على البلاد فخرج العزيز بعسكره وبلغ الافضل فضايق صدره واجتمع عن في خدمته من الأمير أبراس الماء وأراد أن يستعطف فاجاز العجمي وكان في إقطاعه بالسواد وكان يدهر بين الافضل شقاق وعناد فارسى إليه فقبل ورحل إلى عسكر العزيز ورأى الافضل أن يكتب إلى أخيه بكل ما يجب من إعلاء كلمته والاجتماع عليه ويكون الافضل من بعض القائمين بين يديه طلباً لتسكين الفتن ورغبة في ذهاب الاحن فأسير عليه بغير الصواب وقيل أنت الكبير واليك التدبير فخذ واجتهد ولا تعلم أصحابك بهذا الخور الذي داخلك والجبن الذي نازلك ونحن بس يدك وكلنا عاقدة وسير الافضل إلى عمه العادل ووصل رسول الملك الظاهر والكاتب من الملوكة الأكبر بالانجاء المتظاهر للافضل وسير الافضل إلى عمه العادل وهو بجران والرها كتبوا رسلاً فلما أبطأ عليه سير عز الدين عثمان الزنجيلي على نجيب أيسر ع وبأى به عن قرب وكتبه وأصلته بعزمه على نصره ونجدة وذلك في أوائل جمادى الآخرة من شهر رسة سنة تسعين ولم يشعر الافضل إلا والعزيز بعسكره قد ودع إلى القوار فحمل الرحيل وقد خلطت عساكر العزيز بساقه جيش الافضل فأسرع ودخل دمشق يوم الجمعة خامس جمادى ونزل العزيز بزموم السبت بالكسوة ونزل على دمشق يوم الاحد فليزل الافضل بمائع وبدأ يفر حتى وصل عمه العادل فكاتبه إلى العزيز يسأله الاجتماع فتواعدوا واجتمعوا كثيرين بصحرا انازة فعذله في أخيه واستأذله عما كان فيه فقال على رضاك واتباعه والى وقال نفس عن الباد الخلقا وكان قد بلى البلد منهم بما لا يطاق من قطع الأنهار وقطف الثمار فأتى العزيز إلى صوب داريا والاعوج وكان قد اجتمع عند الافضل من الملوكة عمه العادل والمجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن شيركوه صاحب حصن والابجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك والمنصور ناصر الدين محمد بن تقي الدين عز الدين شاهنشاه بن أيوب صاحب جاه ثم وصل الملك الظاهر غياث الدين غازي ابن السلطان فاتفقوا على عقد يوثق به عهد بهد ورحل العزيز إلى مرج الصفر ليكون المقام به أرفق فمر حتى أيسر منه ثم فارق وأرسل من جانبه

الأمير بنظر الدين أبازج ركن وأقام عليه في هذه النوبة فوصل إلى العادل في تعديل الأمور فمقرر بينهم الصلح وتزوج العزيز فأنه عنه العادل وشرح الملوكة لتوديع الملك العزيز أول شعبان وأحسب أنه واحد فخرج الظاهر أولاً والتقياً ونزل بخرج الصفر ويات عند هائلة ثم رجع وشرح العادل ثم الأفضل فلما اجتمع بأخيه فارقوه وما أتوا ورجع كل إلى بلده ولما استقر الأفضل بدمشق قضى حقوق الجماعة وشكرهم ورحل الظاهر صوب حلب رابع عشر شعبان وأقام العادل إلى ناسع شهر رمضان ورجل إلى بلده الزهاجران ثم إن الأفضل نظم أيتاماً بكتبتها إلى أخيه العزيز في استعطفه واستمالته وقال كنت فارقته أخيراً منذ تسع سنين وما التقيت إلا في هذه السنة فقلت

فأرتك نظرة من بعد تسع * تقصبت بالتمترق من سنين
وغض الدهر عن أطرف غدر * مسافة قرب عين من جبين
وعاد إلى سجنه فاجرى * بشرقنا العيون من العيون
فوجأ الدهر لم يسمع بوصول * يعود به المجمع إلى الجفون
فراقاً لم يعقبه بسين * يعيد إلى الحسادم السكون
ولا يبدى جيوش القرب حتى * يرتب جيش يعدى الكمين
ولا يدنى محلى منك إلا * إذا دارت رحى الحرب الزبون
فلبت الدهر يسبح لي بأخري * ولو أمضى بها حاكم المنون

قال ثم كثر الشر من حول الأفضل في حق الأمر أه الكبار ذوى الأقدار فانفوا من ذلك وأزمعوا على الانفصال لسوء تلك الحال فمن سار إلى مصر عز الدين سامه وحض العزيز على القيام لأمره والولاية الناصرية وعرفه أن أخاه الأفضل مساوياً للاختيار مع من حوله من الأشرار ومن سار إلى مصر القاضي يحيى الدين مجددي أبي عصرون وتولى بعد أشهر قضاء القضاة عصر وأعمالها وذلك سنة إحدى وتسعين فاستقرت له أماناً أن عاد العزيز من الشام وتبعه العادل فصر فصر وأعاد القضاء إلى ابن الدين علي بن شرف الدين يوسف الدمشقي وكان نائباً للصدر الدين عبد الملك بن عيسى بن درباس ثم استقل تم عزل يان أبي عصرون ثم أعيد إليه وكان الأفضل قد اشتغل بعد اندراف أخيه بالذات وتشاغله عن أمور الناس بامان الشراب مع من حوله من الانحجاب ثم أطلع عن ذلك وتاب وجسد في الذكروا الزهد وأتاب وشرع في كتب محض بخطه وحسنت طريقته وظهرت حقيقته وذلك في أوائل سنة إحدى وتسعين وفي هذه السنة في ربيع الآخر وصل الخبر بان العزيز قد تم بحصر دمشق مرة ثانية فاشتدغم الأفضل فاشير عليه بان رحل إلى عمه العادل ويأتى به لدفع هذا القضاء النازل فرحل رابع عشر جمادى الأولى والحق بهم بصفين وطلب منه الرجوع معه إلى دمشق ففعل ووصل العادل إليها ناسع جمادى الآخرة وتختلف عنه الأفضل وقصد حلب للاستظهار بأخيه الظاهر فوثق معه الأيمان على ما كان عليه من الصفا وكذلك فعل بان تقي الدين بجماه ووصل إلى دمشق واجتمع مع عمه العادل وكان العادل أبداً يشير بصرف الوزر بالجزرى وكان قد استولى على الأفضل في قبل فكان العادل أبداً مغتهماً لذلك فبالإفضل في أكرامه وأزاله فمحق حتى ترك له سجنه وصار يركب في خدمة عمه وضاق أخوه الظاهر من هذه الحال وكان الظاهر قد نفر عليه جماعة من الملوكة والأمراء ممن هم في طاعته من جملتهم صاحب جماه وعز الدين ابن الملقم صاحب بابل فراسلاً العادل في الاعتصام به وكان من جماعتهم بدر الدين دلدريم بن بهاء الدولة بن ياروق صاحب تل بارتفاعه الظاهر وبنى عمه وطلب منه تسليم حصنه فشق العادل فمحق وكفل له بكنههم ويكفهم واستعجمهم إلى دمشق فلبس منه الظاهر الوفاً بضعه ساقه عنز عليه ردهم وتيسر له وذهب فغضب الظاهر لذلك وراسل العزيز يحذره على الأسراع في القدوم فأقبل العزيز وخيم بالتوار وشرع العادل في تدبير أمور الأفضل فكانت الأمور الأسدية من أعجاب العزيز بن يحتم على تركه والانتطاع إلى حزب الأفضل وسلطه وكانت الأسدية أبداً في عناءه تقدم الناصرية عليه وأرسل العادل أيضاً العزيز يخوفه من قبل الأسدية ويعرفه ما أنشأت عليه فلوهم من الدل فكانوا إذا فهم عرفوا في وجهه التغيير عليهم فرغبوا عنه وحسنوا لاد كراماً فتهتم في الانصراف عنه فأنهوا وكن أميراً إلى كراد

أبو الهيثم السعدي فدارت الأكراد حوله وقالوا لأننا من عليك من الناصرية فأبرم أمرهم وبجوارحهم فرحل
أبو الهيثم وألمهم وأرسلوا الأسدية عشية الاثنين رابع شوال وكانوا أكثر العسكر وأعلى العزيز منهم فبالى بالناصر فأفهم
وقال صفوان بن أذارهم ولربنا أمر أحمياه بآبائهم وردهم وبقي في خواصه مقيما تلك الليلة ثم رحل عائدا إلى
مصر فجاء رسول أبي الهيثم السعدي إلى العادل يعلمه برحيل العزيز ثاقفا وأمره بالتقدم ليحلقوه ويأخذوه ويسلبوا
ملك الدار المصرية فتحالف العادل والأفضل على ملك مصر أن يكون للعادل الثلث والأفضل الثلثان وخبر اليوم
الاربعة في الجيوش واستتاب الأفضل بدمشق أخاه الأصغر قطب الدين موسى وأما العزيز فإنه ساروا خذ طريق
البحون والملة وفرق من الأسدية الذين بالقاهرة أن يشعروا فعل أخوانهم فمنعوه من دخول البلد وكان مقدمهم الأمير
بهاء الدين قراقوش وهو أكبر الأمراء الأسدية قد استنابه العزيز بالدار المصرية فهو وقسم على الصفاء والمودة
والأناء فلما وصل العزيز بقلعه وإلى ذروة سلطنته رقبوه وأما العادل والأفضل فاجتمعوا بالمخلفين عن العزير
وحصرت الأسدية أن يسبقوا العزيز بقلعه وأجتهدوا أن يبدروا كوديتهم وقاقتهم فأمرهم العادل بالثبات
وتسلل القديس وأعماله وما يجاوره من أعمال الساحل أبو الهيثم السعدي بامر الأفضل والعادل وترب فيها ثوابه وأسكنها
أحمياه وصحبهم إلى الدار المصرية لمخالفة الأسدية ومخالفة الناصرية فنزل بهم العادل على بليس وكان أن
أخذ زيادة الثيل في الانبعاث والسرغال وظهرت ندامة الأسدية وضعفت معوتهم وضعفت مؤونتهم تخلف من
مكهم والعدول إلى مستقرهم فإرسل إلى القاضي العاضل يستوفيه لاستزارة ويسترشده بالاستشارة فالزمه العزير
باجابة سؤاله فخرج إليه واستبشر الناس بفرجه وجاء الخلع وركب العادل وتلقاه على فراخه واجتمعوا وأحلكها الأمور
على ما يحب العزير فكان وعف العزير عن الأسدية وأقام العادل عند العزير وأما الأفضل فإن العزير يخرج إليه ويردعه
فأنصرف يومه أبو الهيثم السعدي وتولى القديس ووصل الأفضل إلى دمشق غرور المحرم سنة اثنين وتسعين ثمان
الأفضل لازم صباه وتبناه وقل شرابه وطعامه وحسن شعاره واستوى له ونهاره ووزره الجزرى قدبلى الناس
منه بلابا وهو في غلبه ذلك الضباب وكان يدخل إليه ويوجهه من قبل أيام انهم عليه وانهم يبايئون إلى أخيه
فبعدة الأفضل فبايد عنه فصار يباع العادل عنه أحوال ما تجبه بل تغضبه وصار يتصل به كل من هاجر من الشام
إلى مصر وما مندم إلا من يشكوى الوزير الجزرى وكان فاما بالجمعي تخلص بالعادل وكذلك الذين سامته
وصاهر العادل وظاهره وكان العادل عصر مستوطنا للناصر فوجد الجماعة بالهند الوزير الجزرى ورده إلى بلاده
وقرر مع العزير بتبعية عسكره معه إلى الشام لجهده قاعدة الملك في سائر بلاد الاسلام فأخرج العسكر إلى ترك الجب
وأخرج العزير لتشييده وذلك مستهل ربيع الأول ووصل الملك الزاهر مجير الدين داود من حلب إلى أخيه العزير
من جانب الصاهر لتكبير هذا الرجح الناصر ومعه سابق الدين عثمان صاحب شيزر والفاضل بهاء الدين ابن شذاد
ثمان العادل أشار على العزير بزيان يوافقه على المسير ورافقه فيه فرآه عين التدبير فسار بالعسكر نحو الشام ولما
انصرفت رسل الظاهر من مصر بما طلبوا من واد دمشق فاعلموا الملك الأفضل بما أبرم من الأمر فصاق صدره
وطال فكره واستشار أحمياه فأشار عليه شيخ الدولة بأن يستعمل أخاه دومة وبسملح كعه وأشار الجزرى
وأحمياه بالصحب على المخالفة وترك الجمالة والملاطفة فدخل عليه أخوه الملك الظاهر فخصه بشيخه وصبره وتولى
أسباب التخصير وحلفوا الأمراء والمفتدمين وقطعوا ما فوق المصلى عند مسجد فلوس بفضيل ورتبوا رجالا إلى
البلد يتناوبون لحفظه في الكرك والصيل وتفرق الأمر على الاسوار والاراج وجاءت الرسل الظاهر به لظهور
المظاهرة وتذبذب الأفضل ملك الدين أنها العادل إليه منه رسولا فوصل إلى العسكر العزير بالداروم وغره ولقي عند
العزير من قوله العزير فبقي ملك الدين هناك أياما في اصلاح دات البين ولا شك انهم أشطر على الأفضل شروطا
وردهم بأمر فاما ما ينتظرون الجواب فنقد من ذكر ان الأفضل إلى ذلك فلما رأى الأكابر وشيوخ الدولة أن
الأفضل لا يسمع من رأيهم وأنه عازم على المحاربة ولا يعدل عن رأى وزيره مع ما قد عرفه من شؤم تدبيره شرعوا
في اصلاح أموره في الباطن فرأى العزير بالناصر واستظهر كل نفسه وأقام العسكر منذ عاشر رجب على البلد
مستظرا بالاعداد والعدد لا يحدث حدثنا ولا يعث بالبلد الا عبثا فكتب الأولياء من البلد إلى العزير بالعادل

في أخبار (٢٣١) الدولتين

بانتها الفرصة فركبوا ونأهوا ويوم الأربعاء السادس والعشرين من رجب فخاص بهم من قصد البلد أحد وما كان في طريقهم إلى الملك الظاهر فوجدهم عسكر حلب فقاتل على ظن قتال الجماعة وما عنده علم بمحاربهم من الحمازة فقادوا ولم يكتروا ووصل العزيز إلى الميدان الأخضر ووصل العادل إلى باب قنبر وكان الأمر لا يمين به قد استنفضه إليه بسبب كتمه فتحمله فدخل العادل وأصحابه من باب قنبر والباب الشرقي وبات العادل في الدار الأسديبه ودخل العزيز من باب الفرج وبات في دار عمته الحسامية وخرج إليه الأفضل وليفه وتفرج من هم زوال بذلك ما سقيه فلما ملك العزيز دمشق أقام أياما بالميدان الأخضر الكبير إلى أن انتقل الأفضل من القلعة بأهله وأصحابه وأخرج وزير الجيزرى خفيا في صناديقه اشفا فاعلم به من قبله وقبضه وقبضه وتحول الأفضل تلك الأيام إلى مسجد خاتون وما يجاوره ومعه وزيره فؤاد إلى بلاده وقد أضر بها أموال دمشق وأعمالها ثلاث سنين قال وكان العزيز يترفع العادل أن يقيم العزيز بدمشق وبسبب العادل بمصر فلما ملك دمشق قدم على منازره ورجع عماد بره ونفذ إلى أخيه الأفضل في المر يعذر إليه وبشر بما كان شرط عليه فأظهر الأفضل هذا السر لخبه والمخصوصين لقربه فقالوا لا تخضع بهذا القول فجاكنت خديعة وأطلع عك العادل على هذا السر فانه يرى ذلك عين البر فأرسل إلى العادل من أعلمه بذلك فمزت عليه مراسلة العزيز الأفضل واجتمع بالعزيز زوجته وقرعه بانتهى به وأنه وقال له ابني وتهدم وأوجد مصالحك وتهدم فأفكر الحلال وأحاطوا بانتفض السرق إبرامه ووجهه إلى الأفضل من أن يحبه وإلى صرخه أن يحبه وسد طريق الاستصناع على أخيه الظاهر حتى أسلف في تسلل بصري للظفر سلامته وبذلها ولم يتبعها باندته ورجل إلى حلب وأظهر الظاهر الاحتفال به وأما الأفضل فانه سار إلى قلعة صرخه وسكنها وحول أهلها وأخاه قطب الدين البها وتوطئها وعند خروج الأفضل من قلعة دمشق دخل العزيز البها يوم الأربعاء شعبان وجلس يوم الجمعة في دار العادل واعتقد الناس أنه يطول مقامه عندهم فلم يشعروا به إلا بدت زلازل وحل وتقدم إلى العادل بأن تولى البلاد فوافق دمشق عشية الاثنين تاسع الشهر ونزل بالتحميم فوق مسجد القدم ثم تحول إلى الكوفة ووجهها يوم السبت رابع عشر الشهر فلما عاد العادل من وداع العزيز بقرى الجلاء مع من شوره العزيز بالبلاد والعمال وألا خاف في جميع الأحوال وأشاع أنه نائب العزيز وهو سلطان وأبقى الخطبة باسم العزيز بخالفة من أتمه حالة تير به وضرب الدينار والدرهم على شكله وأظهر أنه قوى بكونه وشكته وجلس يوم الاثنين والخميس للعادل وبسط يد له جمع الأموال وخزنها لوقت عوم الحاجة إلى صرفها

(فصل ١٠) هذا آخر ما انطوت عليه رسالة العتبي من أخبار ما جرى بعده وبالسultan رحمة الله ولعاده أيضا كتاب آخر سماه بجهله الترجلة ذكر فيه أيضا لغوامر ذلك وهو أن الأحوال اختلفت وتغيرت بعد موت السلطان وأراد العباد الترجلة إلى مصر فاجتمع إليه الأفضل رسالة إلى أخيه العزيز يرضى إليه وعنده عنه العادل فلم يتركه من الرجوع إلى معهما ما خراجا بالعساكر فذكر الحديث في أخذ البلد قال وخرج الملك الأفضل واجتمع بالعزيز في الميدان ودخل من باب المنج متصاحبين إلى الضريح الناصري وصعد العزيز للقلعة يوم الأربعاء وصل إلى هذه الجمعة عند صريح والده في هيئة المودع وأظهر بالبكاه والهيبة عند مدر القليب المجمع ودخل دار الأمير سامية في جوار ملك التيمه وأمر القاضى محي الدين الزكي بأن يذهب مدرسته لآثر به قلت هي المدرسة المعروفة بالعزيز بوقوفه سابقا بزيعة طيبة تعرف بجمع فهدنا قد مر في كتاب الخلة بما يتعلق بها نحن فيه ولم يكن ذكر مثل هذا من شرط كتابنا هذا لانه موضوع للإولين الثميرين إلا أنه لا بد من ذكر ما يتعلق بهما وقع فيهما وعقبهما وتبيننا العباد في ذكر في العتبي لكونه أشار إليها في كتاب البرق واستوفينا ما في كتاب البرق وفتح القصة العدي والنازع الاتيكي وكتاب القاضي أبي المحاسن وأينما على ما فيها من المحاسن والاضاف إلى ذلك قطع كبيره من واضع مترقة كبير من عدة مصنفات ودواوين ورسائل والله تعالى يوفق ما لو كان لا اقتداء بسير سلفنا في إقامة فرض الجهاد وتخليص البلاد من أيدي الكفرة والمناظر في مصالح العباد ومن كتاب فاضلي (أما هذا البيت فان الإبا منه اتفقوا لكونه وان الإبا منه سموا الخلفا وافر لكونه وإذا غربت نجمها الحيلة في شرفه وإذا

بالتخريف في ثوب قبايله الاخر بقه وهيبات ان يسد على قدر طريقه وقد قدر طريقه واذا كان الله مع خصمه على خصمه من كان الله معه فمن يطقه

(فصل) بعد انتباه هذا الكتاب واسماعه مرة ووقفت على ما حسن في الحقايق بهذا الكتاب من ذلك ان القاضي الفاضل كتب في (سنة ثلاث وتسعين) الى القاضي محي الدين ابن الزكي كتابا قال فيه (ومما جرى في هذه المدة من المثلثات الجارية والمعضلات العادية بأس من الله طرقا يستأوي نحن نيام وظن الناس ان اليوم الموعود قد طرق في الليل الممدود فاذا هم قيام ان الله تعالى أتى بساعة كالساعة كانت تكون للدنيا كساعة في الثلث الاول من ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الآخرة وذلك انه أتى عارض فيه فلهذا متكاثفه وبروق خاطفه ورياح عاصفه قوى هبوبها واشتد هبوبها وارتفعت لها صعقات وتدافعت لها اعنة مطلقات فرجعت لها الجدران واصطفقت وتلاقت على بعدها واعتنقت ونار من السماء والارض يحياج فقبل لعل هذه على هذه قد انطبقت وتوالت البروق من جهة المقطم على نظام وتبع الواحدة الاخرى وتفي الثانية على اثر الاولى وتزى البروق واقفة وهي تعاقب وفاتمة وهي تتقاذب ولا تسب الا ان جهنم قد سال منها واداء منها عاد وزاد عصف الريح الى ان انطفأت مروج النجوم ومنزق ادم السماء ومحت ما كان فوقه من الزوم ولا تزال هذه الريح تسكن سكوت خافيفا ثم تعاود عودا عفيفا فسكا كما قال الله تعالى يجهلون اصابهم في اذانهم من الصواعق وكما قلنا وبرود انبيهم على أعينهم من البروق لاعاصم من الخطف لا لبصار ولا لجأ من الخطب لا معاقل الاستغفار وفز الناس رجلا ونساء واطفالا ونضوا من دورهم خفا ووقالا لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا اذ يستغيثون ويستمعون ويمررون ويكرهون بينهم لا يستغيثون العذاب لانهم على وجهياتهم مصررون وفي وقت وقوع واقعة باسحقافه مة قرون معصيين بالمساجد الجاهية ومتلقين الآية النازلة من السماء بالاعتناق الحاضية بوجوه عاينيه ونفوس عن الاموال والاهل سالبه ينظرون من طرف خفي ويتوعدون أى خطب جلى قد انقضت من الحياة علقهم وعيت عن النجاة طروقه ووقعت الذكبة فجهاهم عليه فادهون وندهوا ونجدوا الله ان نعيم بأنهم نادون وفاموا الى صلاتهم وودوا ان لو كانوا من الذين علموا داغون ولم يرل ذلك دأبهم كلبا سكنت الربا يستحركت وكما قيل استقلت بركت وكما أخذت قبل ما تركت حتى الثلث الاخير من الليلة المذكورة والهبوب الى المناجر بالغة والابصار عن سنننا زلقة الى ان اذن الله في الزكود واسعف لها جدين بالامر لها بالجهود وأصبح كل يسلم على رفيقه وفيه بسلامة طريقه ويرى انه قد بعث بعد النجاة وأفاق بعد الصبح والصرخه وان الله قد رد له الذكر وأدبه بعد ان كاد بأخذ على الغره ووردم الخبر ان المراكب كسرهما ما كان معترضا في البحر للعارض والاصول العادية من الشجر عدت عليهم الريح بجها النافض وان في الطرق من المسافرين من كان نائما فدفنته الريح حيا وركب غا غنى الفرار مما هو امامه سيبا ولا يحسب المجلس انى أرسلت القلم محرفا والقول مجزفا فالامر أعظم ولكن الله سلم والخطب اشق وما بلغت ولا قضيت بهذا التكدير بعض الحق ونرجوا ان الله سبحانه قد يقظنا بما وعظنا ومنهنا ما عللنا فقام عبادته من رأى القيامة عيانا ولم يأس عليهم من بعده مرهانا الأهل بلا دنباها اقتصر الاثرون مثلها في المثلث ولا سبقت لها سابقة في المعضلات والجدلة الذي من فضله ان جعلنا تخبر عننا وتخبرنا وسأل الله أن يصرف عنا عارض الخضر والغرور اذ اعنا وشغلت خدمته بهذا المهم وجعلته على علم من هذا العلم فالسعيد من وعظ بغيره وقد كنت انا فينا الموعظه ولذا كرى حدود ونوع ذنابه من افادة حدوده بالمعظمة ومن كتائبه آخر الاعداء في سنة ثلاث وتسعين ايضا وقد تجد من وصول العدل والعين وحركته الى جانب بيروت وخطر البلاد ما أهدل كل مرضعه وأوقع في ضائقة تنفق الافكار في غير ما سعه والاسلام اليوم قد انزلت زل وهما ان ملت فان النصر من الله وتقدم القدم العولية وتلك الهمة المهمة المسابقة السنية فآلة الله يتناول ذلك النقود وموا ذلها ما هاد واسهر وافي الله فليست ببلدية رقاد ولا ينظر في حديث زيد ولا عرو ولا ان فلانا تفجع ولا ضر ولا ان من الجماعة من جاءه ولا ان فيهم من مر انظر الى انك الالهة كاه قدر زالى الشر لكاه وانك ظل الله فان يصحبتك تلك النسبة فان الله لا تافخ لظله واصبر وان الله مع الصابرين ولا تموتوا وان ذهب الناصر فان الله الخناصر بن

في أخبار (٣٣٣) الدولتين

فهاهي الاغمة وتتحلى وهمة وتنقضي وليلة وتصبح وتجرأ وترج ومن كتاب له آخر الى الملك العادل (أدام الله ذلك الاسم) تلجأ على مفارق المنابر والطرروس وحياة للديار وما فيها من الاجساد والنفوس وعرفنا المارك ما عرفه من الامر الذي اقتضته المشاهدة وحسبت به العاقبة في بيروت ولا من يدعي تشبيهه الحال بنو له ألم تر ان المصرة تدوى بينه * فبقة طعها سعد اليل سائر
ولو كان فيها تدبر لمكان مولانا قد سبق اليه ومن قبل من الاصبع فطعها فقتل جند جالب الى الجسد بقضله نفعها ودفع عنه ضرا

وتحشم المسكر وه ليس بضائر * ما خلته سببها الى المجدود

وأخر كل شقوه أول كل غزوه فلا يسأم مولانا به الرباط وفعلها وتحمش الكلف وجملها فهو اذا صرف وجهه الى وجه واحد وهو وجه الله صرف الله اليه الى جوده كلها والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله مع المحسنين ومن كتاب له آخر (هذه الاوفات التي أنتم فيها عرائس الاعمار وهذه النعقات التي تجرى على أيديكم مهور الحور في دار الارار وما أسعد من أودع يد الله ما في يديه فتلك نعم الله عليه وتوفيقه الذي ما كل من طلبه وصل اليه وسواد الجحاح في هذه المواقف بياض ماسودة الذين من الصحائف فأسعد تلك الوقعات وما أعود بطماينة تلك الحفات)

(فصل) ولعماد الكاتب برجه الله كتاب آخر سماه خطفة البارق وعطفه الشارح ذكر فيه أسياسه من حوادث سنة ثلاث وتسعين الى أن توفي وهو رجة الله في سنة سبع وتسعين وخمسة وأشتل ذلك على فوائد تتعلق بما تقدم فأجبت الحاقها به من ذلك وفاة شيف الاسلام طغتكين بن أيوب باي في شوال سنة ثلاث وتسعين وتوفي ابنه شمس الماروك اجعل هذا الملك العادل بدمشق وقد انتقل الملك الظافر الى حلب بعد أن خذعه منه بصرى وعزم على قصد بغداد فصره أخوه الظاهر عن ذلك وذهب الامير أبو الحيجا السمين الى بغداد بأصحابه فأكرم ثم سمر في جيش الى همدان ثم بعد رجوعه مات بدقوقا وانفضت مدة هدنة الفرنج التي عقدوها مع الملك الناصر رحمه الله فخرج حواشيها وتوافع الملك العادل برأس الماء خرج عكا فسكرهم وفتح باقا عنوة وكانوا كنبوا وملك الامان وكان قد ملك قلبه فانهم اليه تلك البلية وقالوا ان عظام أبيه الى الآن في صوري تابوت مكل بالديارح كأن في الامر منظر الافراج فانه لا يقبل الا بالبيت المقدس اذا استخلص والاين ما كان غلامه اسد ترخص فان المسلمين قد استغل بعضهم بعض وهو اعن كل سنة وفرض فتدافعت الى عكاسقهم ودفع من منهم وامتدلت بهم في الساحل مدتهم وقصدوا بيروت وهم الامير عز الدين سامة فلما سمع بوصولهم الى حيد اخبر بجماعتهم منها وسار بأهلهم ومال عن وعراهم الى سبلهم ودخلها الفرنج بعد يوم من غير مطاولة سوم ولا مطاولة روم وكثيره الحديث وذكر الطب والحديث فن قائل يجنب وتجنب ومن قبل أن يسكب تنكب ومن قائل رجاله اوافوا قبرا ولولاه دعاهم ما أبناوا وانسع القول وقوع الهول حتى نظم بعضهم والفرنج على تبين

سليم الحصن ما عليك ملاه * ما يلام الذي روم السلامه

فغطاء الحصون من غير حرب * سنة ستمائة وستمائة

وتصرفت الفرنج في بيروت واعمالها الساحلية وبقى اسامة جميع الولاية الجبلية ثم توجه الى مصر (ودخلت سنة أربع وتسعين) فتزل الفرنج سادس عشر المحرم على تبين وأرسل العادل القاضي محي الدين محمد بن علي القرشي الى المماليك عزير بمصر فخرج بجيشه ووصل في الثالث والعشرين من ربيع الاول فحلفت الفرنج بعد ان كانوا ضايقوا الحصن ورحلوا وجاءهم الخبر بهلاك ملك الامان ثم انتقل عسكر المسلمين الى الجانب الطور ومع العزيز اخوته والاعز والؤيد وكان افضل قنجا الى عه قتلهم وكان معهم على تبين الجهاد صاحب حصن والامجد صاحب بعلبك وعز الدين ابن المقدّم ويدر الدين دلدريم وغيرهم من الاعيان ثم راجعوا الى بلادهم بعد عقد الهدنة ورجع العزيز الى مصر بعد ان خلع على ابن عمه الملك المعظم عيسى بن العادل وخصه بالسنخ والاداء المشور على الاداء وعاد المعظم الى دمشق وقد قرت به العميون وحسنت فيه الظنون فكان أعز أولاد

كتاب (٢٣٤) الروضتين

العدل عنده وألقاهم بقلبه وأخصهم بحبه قد ولاه سلطنة دمشق وأطاب فيها بشركه النشوق وأقام العادل حتى استقرت أركانه وظهرت في عمارته تبيين المكنه ثم عاد إلى دمشق وأقام قليلا ثم شرع في رفعه من الأمر ما تقرق ورتق ما تفتق ورد بلاد أوال عاد الدين زنكي إليهم لأنه توفي في هذه السنة واستولى عليها ابن عمهم صاحب الموصل فأخجدهم عليه السلطان الملك العادل وتوفي جسا عنة من أمراء الموصل منهم الأمير عز الدين جردك وكان فارس الاسلام ومقدمه وشجاعه وجهامة وما برح من أيام نور الدين إلى آخر أيام صلاح الدين رحمه الله ليث العرين أشم العزوين وهو الذي أعان صلاح الدين على القبض على شاور وولا صلاح الدين القدس في آخر عهده فقام عهده من بعده ثم تسلمه منه الملك الأفضل وسببه إلى أبي الهيثم السمين فلما خرج الأفضل من دمشق وصل إلى الموصل وانتقل من حوض الكوثر إلى أعذب منهل قال ونزل السلطان العادل على قلعة ماردين في شهر رمضان ومالك روضها ومدنها وولا ياتمها ووصاف عليها وشا وصبر وصابر ولم يقل كذب وموتى وما شاك أحدان ماردين في ملكه مضافة إلى ملكه وقدهنما بها الشعراء منهم ابن أبيهم بن مردان من أهل رأس عين له من قصيدة

فان تك مصر أم ملك فارد * إذا ذكر البلدان اعلى المسالك

نقاعس عنها سنجير وابن عمه * وقصر عنها عزم زكى التابك

فان تك قد شورك في فتح غيرها * فمالك في أمشالها من مشارك

ودخلت سنة خمس وتسعين والملك العادل نازل على ماردين وقد وصل إليه أصحاب الأوطاف مساعدين وقد أصطحب صاحب الموصل وبنى معه عداد الدين وردهم إلى التجار والتجار ورخصيين وقد عاد له الجماعة بطاعه ونافه في تلك البلاد دود بابر كوله الملك الكامل محمد قال وفيه ليلة الأحد العشرين من المحرم توفي الملك العزيز بداره بالقاهرة وكان على عزم الصيد في أعمال الفيوم ففيم تلك الليلة عند الأهرام فقيل الله أصبح ورخص خلف صيد فكباه النفر من بعد أخرى فقتل له سقطه عت بها على الزمان سمخه ففما قم له وأقام يومين أو ثلاثه لا يستطيع له حقوق إعاقة ولا غائمه ثم حرم جماله وأثبات بجمعه أيامه وتبر في داره لينقل منها إلى دار قراره ثم حوّل منها في الأيام الاضائية إلى التربة المقدسة السافعية وورد كتاب الماضي الفاضل تعزيت به الملك العادل (أدام الله سلطان مولانا الملك العادل وبارك في عمره وأعلى أمره بأمره وأعز نصر الاسلام بنصره وقدرته النفس الكبره وأصغر الله العظام ثم بنعمه فيه العظيمة وأحياء الله حياة طيبة يقف هو فيها والاسلام في موافق الفتح الجسمه وينقل عبادا لا مور المسلبة والعواقب السالبة ولا تنقص له رجلا ولا عددا ولا أعدهم نفسا ولا ولدا ولا قصر له ذولا ولا ولدا ولا أمخص له قلبا ولا كبدا ولا كدر له خاطر ولا موردا ولما قدر الله ما قدر في الملك العزيز زوجة الله عليه وتحياته مكررة إليه من انفضاعهم له وحضور راجله كانت يديه المصاب عظيمه وطاعة المبكر وآله فرحم الله ذلك الوجه ونضره ثم السبل إلى الجنة يسره

وإذا محاسن أوجهه بليت * ففعا الثرى عن وجهه الحسن

فان زعي المارك وعلى الأولياء بل على قلب مولانا لاسلابة الله نوب العزيز برعة مصرعه وانقلابه إلى مضجعه ولباسه ثوب الباقيل أن يهلى نوب الشباب وزفه إلى الزراب وسريره مخوف بالذات والازراب وكانت مدة المرض بعد الموت من الفوم أسبوعين وكانت في الساعة السابعة من ليلة الأحد العشرين من المحرم والموت في حال تطهيرها مجمع بين مرض قلب وجسد ووجع أطراف وغلب كبد وقد فجع بهذا الموتى والعديد بولاده رحمه الله غير بعيد (الاسم في كل يوم عليه جديد) ووصل قبل هذا إلى العماد كتاب من الفاضل فيه (وأعلى ما يعلمه الأول من العزلة الانتم بلاسكون وفي الزاوية المسنونة لأهل العافية الآتي على مثل هذا المنون وكيف يعيش العاقل في الزمان المتجشون ونحن على انتظار البرق الشامي أن يطر وحاشي ذمة الوعد به أن تخضر واشتغال سبيلنا في هذا الوقت بالدرس والتدريس والتصوير والتكليف والتصانيف التي تصرف فيها بالبالغة أحسن التصانيف ذمعة بتعين شكرها على العلماء ويخص باللائمة بما سادتم من الفقهاء قال العماد ولما توفي الملك العزيز بخلف بين صغار ابن بدون على العشرة وولده الأكبر ناصر الدين مجددا ما فستدوه على عشر وكان أبيه أحب أولاده بشم

في الخibar (٢٣٥) الدولتين

من شيء مخفي له سادته وقد اختص لديه ونص عليه فاجتمع الامراء الصلاحية وكثيرهم ومقدمهم خرا الدين اياز
 سركن منهم أسد الدين برسانة وزير الدين قراجه وعقدوا الامر لولده ناصر الدين ونفثوا بالملك المنصور وأخذوا
 له ايمان الجهور وقال وكانت الاسدية في الايام العز بزية الناصرية مغمورين وبالسلاسل عليهم مغمورين
 وكبيرهم سيف الدين باز كوج وكان عند وفاة العز بزي غائباً باساوان فلما بلغه ذلك حضر وجمع الاسدية واجتمعوا
 هم والصلاحية ظاهر القاهره فقال لهم نعم ماراً بقوه من حفظ العز بزي ولده لكنه صغير السن لا يحفل ثقل هذا الفن
 ولا يذمن كبير من أهل البيت بربيه ويدير الدواوين ويرتب الفوائين وما هاجنا الا الملك العادل وهو الآن في بلاد
 الشرق مشغول وما هاجنا من هو اقرب منه وهو الملك الافضل فقال الاسدية هذا هو الراي الرابع ولم يسع الصلاحية
 مخالفتهم فاتفقوا على استدعاء الافضل من صرخند فخرج معهم اليه الاربعاء التاسع والعشرين من صفر وسلك البرية
 فوصل الى القدس يوم الخميس وخرج اليه عسكره وساروا معه الى بيت جبريل ثم أغذا السير فلما قرب منهم في تاسع ربيع
 الاول تلقوه والى أعلى مرافق القلعه وسروا بقدومه وجرؤا مرسومه قال وكان الناصرية كتبوا الى قراجه ثم
 بالشام انما أوصحننا الى الوفاق وتأكيدا ليقاين وقد كتب الى نور الدين بالحضور وضبط الامور وهو عندكم في صرخند
 وان وصل اليكنا انتظم امرهم وقد فاجتهدوا في حصره وهو في حصسه ولا تسميوا بقلعه هبه ووصل الى دمشق
 بعض الكتب يوم الاثنين السابع والعشرين من صفر فخرج عسكرها الى صرخند فوصلوا الى بصرى يوم الاربعاء
 فقبل لهم ان الافضل ادخل ليلاً واستحسب تحيها وخيلاً فرجعوا الى دمشق وفي ليلاءه بالبيت المقدس
 وجد في طريقه نجابه سرعاً فاستحضره واستكشف ورده وصدره فقال انما نجاب في نور الدين اياز تركس وهي كتبه
 الى من يأنس به ويحبه فسلمته الكتب وعاد النجابه في خدمته فلما وصل الى القاهرة احتفل سر كس له وأضاف
 وقدم وغرم أموالاً ثم اصبر نجابه واقفابياه فأخبره الخبر فاستشعر من ذلك وتصور فغنى وتبعه عسكره ووزين الدين
 قراجه فوصل الى القدس وسكنا به وعرف الناصرية حلية الحلال فأخذوا في الانتقال وتوهم الانضال من الباقين
 فقبضهم وحوى جوهرهم وعرضهم ففترقت الكلمة لاجتماعه وتوفقت الحفم المدرعه وأمر الافضل بالخطبة
 لان العز بزي في جميع المنابر ثم الدعاء له في الآخر ونفشت السكة أيضاً باسم الولد في البلد وغير البلد قال وبما سقر
 الافضل بصرى جلاوه على قصد دمشق وحصرها وقالوا له اطلب بلدك الذي منه أنجحت وعن القيام فيه أنجحت
 وملك في مصر ما يملكك ودمشق لك بوصية إليك وجاءته رسل أخيه الظاهر من حلب وهذا به وقال له انتم الزرعة
 فعمنا تم مشغول والى أن يتن من ماردن مراده وينضم الى بياضه سواده فخرج دمشق عن يده ويجهل اليوم فيما
 عن غده وأنا أصل اليك وأقدم عليك بالبنود والجنود والاساود والاسود فازالوا به حتى خرج العسكر واستجاب
 سيف الدين باز كوج مكانه قال ووصل الى الملك العادل الامير برسانة قراجه الامراء الناصرية بالمقارفين فاستحسبه
 على مفارقة ماردن وتواصل من الناصرية جماعة بعده وعندهم من الاستخفاف ما عنده فحركه القول وتجبردهن
 العسكر واستحسب معه الامير بن عز الدين ابن القدام وبدر الدين دلدارهم وسرى ليلا لئلا ينس بقين من رجب وأوصى ولده
 السكامل أن يسير في ضيافة حصن ماردن بسيرته وبقته تسدى بعزمه ووصل الى دمشق يوم الاثنين حادى عشر
 شعبان وأخذ في تحصين البلد ووصلت العساكر المصرية يوم الخميس وأحاطت بدمشق ودخلها جماعة منهم من باب
 السلامة وبلغوا الى السوق الكبير وأعلنوا الفخ بالتيكبير ولم يتبعهم أحد على هذا التدبير فخرجوا من باب الفرديس
 وكثروا على أعقابهم وقفلهم من الكراديس واما الافضل فانه وصل الى الميدان الاخير وضرب فيه دليز
 سراده وأقدم برأيه ووارقه فأشار عليه بأمر أو بالآخر عن تلك المنزلة وكانت منهم زلة فزالوا عند ميدان
 الحصا ثم تأخروا الى مسجد القدم وامتلا ذلك الفضاضا ضرب الخيم ففترت الصدمة الاولى وقصر الصدمة
 الطولى وخد الجرفا ريماد واستحالت تلك الامواج المتلاطمة ثماداً وزلوا منازلهم أكثر من ستة أشهر هناك
 وتمت فوارق عدم الاستدراك وامتدت خيامهم من أقصى دار إلى الغوطة وظنوا أنهم أخذون بفتح دمشق
 الضغوطة وكتب الملك العادل جماعة من أمراء العسكر المصري فصار قوه ودخلوا دمشق فافكرهمهم
 واحترهمهم منهم فطرد المهراني وياز البانياسي وابن كهدان ومنشال الخناد وابن أنث الدلتان ابن سعد الدين

مكتتاب (٢٣٦) الرومانيين

كشبه وكثر الواسعون وان وراءهم واحسن العادل جزاءهم فكثرت الطماع وتبايعت الروم والاشباح
 وحصل الملك الظاهر ومعه اخواه الظاهر والمزوجه هم الملك انجاءه صاحب حصون وعسكر جماعة دون سلطانها
 وحسام الدين بشاره صاحب بايلاس وهو شيخ الدولة وكبيرها وامينها واميرها وفي حمايته حصناتين وهونين
 وما يزال أسرى من كبراء الفرنج بيدن الله عنده مرهونين فرغبهم في السلامة والسلم والاحتمال والحلم وأشار على
 كل من الجانبين ليخفب الجانبيه والتعرب بالمقاربة والمراحمه وجاءهم أيضا سعد الدين مسبه وصاحب صفد
 وأخوه نور الدين مودود قال والماخديو عن مضايقة الحصار واصولوا قطع الاشجار وكسر الانهار ومنع كل ما يدخل
 البلد من دعة ونعم وغنمة وغنم حتى ر والثفاؤل وصعدوا الفروض والنوافل قال وكان الناصرية المقعون
 بالقدس قداسة اولوا علمه ونظروا من ارتابوا به حواله وأخرجوا منه المغاربة ورجاله وأجنداه الراتبه ومعهم
 الامير فارس الدين ميمون صاحب نابلس وعز الدين ساهة صاحب كوكب وبنسان ثم وصل الخزيان مركس ومن معه
 واصاؤون الى دمشق فحبر من المحاصرين عسكر الى طريقهم وكانوا قد وصلوا الى طبرية وعبروا منها الى البقاع
 ونكة واخذوا تلك الصياح وسيروا الى بعلبك ما تحجبهم من الانقال والاحمال وكان صاحبها الالمجدي جانب
 الملك العادل وتجدوا حيلة وتطعموها السيل وتوقوا الجبال حتى أشرفوا على دمشق من عقبة تمر وقد كانوا
 العسكر فتقوى عسكر البلد فصاروا بركون وبركون من العسكر المصري ولا يربقون وحفر المحاصرون
 حولهم خندقا فحاصروهم عن الحصار شغل شاغل قال وعلى الجبل فاطم من منهم صنع الى في قطع الماء ومنع
 الميرة والمضايقة الكثيره واحراق السباتين وقطر بمب الطواحين حتى اذا انحصمت المواد وتنبت في البلد الزواد
 واضطر الى التسليم واضطر لواعي التأخير والتقديم فتسلط الرعية على الملك العادل وجاوه على التسليم
 والاستسلام فتباينت اراء المملوك المحاصرين بمادته العادل سيف الدين ولا بد لكان من الاحتياط اذا هم الصغار
 على الاعتقال ولا راس في ذلك بدعه فان الحرب خدعه فنفذ الى الظاهر في الباطن وقال له أنت السلطان وحكك
 على جميع الاماكن والمواطن وأنا أعلم اليك دمه حتى على انهاء تكون لا تترك فقال الظاهر لا تخيه الافضل
 قلدي في الانعام بدمشق مئة المتفضل فقال له هذه لا تتناولوا أسقاما بل اسقاما جاك ان لا تتولاهما نوبة
 الجانب وان أخذت من ادوني فن النواذب وان أعطيتني عنها عوضا مما أعرف لك فيه غرضا فمالك ما يصنع ان
 نقايش بدمشق وأنت لا تدعى لها العشق فتغير بهذا رأى الظاهر والله المطلع على الضمائر وقبيل أرسل
 العادل وقال أسلم اليك دمشق بعد سبعة أشهر وترى وتضرب فخذوا يميني وكاوت الى ديني وظن انهم لا يوافقون
 وفي الحصر يضابقون لما أجاوه الى هذا الملكس وقعة عواقي الاستضاءة بهذا القدس عرف انهم نادون فجاهم
 عليهم من الحصر قادمون فعاد عن هذا البذل وردهم الى سنن العدل وقيل كان يكتب الى الافضل ان الامر
 انه فصل مع الظاهر وانه يعامله معاملة الامير لا المجاهر فتذلف فسك وابدل معي وحشنت بانسك ويكتب ايضا
 الى الظاهر ان الافضل قد صالني وعلى الرضى صالحني وانك تحصل على المضائنه وستفضي بك البماينة الى
 المغائنه وقيل انه كان يكتب في كل يوم اجوبة كتب قوم لم يكاتبوه ويحييهم عافيه لم يكاتبوه وخبرتك تلك
 المظلمات في يمين من تقري على من يفصل العسكر من المساكين فاذا فشتوا عثر على تلك المظلمات فتعت من كتب
 اليه ولا على بالافات وعدوا من المحاصرين فصارا كثر العسكر من المتهمين

ثم دخلت سنة ست وتسعين و هم على ذلك والشتاء قد هجم وكل بامرهم هتم ودهمهم أيضا خبر وصول الملك
 الكامل من الشرق فخرج من دمشق جماعة يظهرون انهم من الناصحين وترددوا اليهم ومنهم غادين ورثسين
 وأبرقوا وأرعدوا والواغايد يكون قدوم الملك الكامل في الجبل الحافل ومعه من المال الصامت الى أبيه العادل
 فاستظهر بولده والمال والرجال فلا يفعد عن النهوض الى القتال والاصواب نننا خرقا لافرحوا الى سقم جبل
 الغنقه وبقيت أسواقهم مجاوه وياتوا تلك الليلة وهم لكل محتاج اليه عادمون وعلى ما فرط منهم نادون وقدوا
 حتى الماء للشرب وكانت تلك الليلة كسرة قبل الحرب فاضطربوا المحلل الحليل واضطروا الى الراحة الرحيل
 ووصل الكامل التاسع عشر صفر ووجد جمع التركان واسمهم جندالرها وجران ونزل في جوسق أبيه فاستبشر

في اختيار (٢٣٧) الدولتين

السلطان برحلههم وقدم ابنه وقضت خشية الله بأمنه وأقام الكمال حتى توجه أبوه إلى مصر فخرج معهم بأمان ثم عاد ولم يثر مقاماً وانتقل إلى الحران والرها وأسقام به أمرها وذلك حادي عشر ربيع الأول وأما المجاورون فانهم انتقلوا من الكسوة إلى مرج الصفر وسير المكان الظاهر والمجاهد بعض الانتقال إلى بانياس وأصحابا بقية الأجل الملك الأفضل إلى مصر وودعاه وكلاهما سار جريدة إلى مقره واستقر بعد ذلك على أسرار أمره وكبار رجل القوم عن منزل أحرقوا ما لم يظفر وأله يحمل وانتقلوا من مرج الصفر ولم يلبوا على أحد ولم يبرحوا إلى البلد وأخذوا في السير والسرى ذهبت أسادهم تروم معاودة الشرى وتبعهم الصلاحية بنزلون بعدهم في منازلهم ويخافونهم في منازلهم وسكان القوم ظنوا أنهم يقصدون مرج الصفر على الأقامة فلفوا من البرد ما حضهم على النجاة والسلامة وهذا المرج بقرب جبل الخيلج في توزلا بقم به الألباس فروة فكيف في كانوا وقد عرفوا أنهم الجائون حيث لم يزلوا القناون وأرسلت الصلاحية إلى الملك العادل يستجلبونه ويحثونه ولا يملونه فخرج يوم الخميس التاسع ربيع الأول وودع أعيان البلد وسار وتلا من تقدمه إلى النبل الجبل وأقام حتى اجتمع أتباعه وأرسل إلى الأفضل العادل الخبيب أباعه وكان صلاح الدين رحمه الله يعتقد في صلاح دينه وكنهه من خواص حاجاته وبرسه في مهام الرسائل وكان مدلول الرسالة أرفق في السير ووافق على السير فاعندك اليوم من يصاتك وأمالك وكأولئك مقصودك وأهلك وأخالك وأوافقك ولا أفارقك فأسار على الأفضل جماعته من رجاء الرسالة أن مقاربتك لك بما عندك الصلاحية منوطه وموافقتي بخلافهم مشروطه فلما سمع ذلك الصلاحية أسس شطوا ونفروا واستدلوا به على أن ظفروا وجدجدهم واحتججدهم فظفروا المراحل إلى السالم وكان الأفضل على بليديس وقد تفرق معظم أصحابه إلى أخبارهم وجماعة منهم مع العادل في الباطن كاتبوه وعلى الأبداء عاتبوه فصار الجاهل بعضهم إلى بعض والتفوا فانكسر أصحاب الأفضل وانتمزوا فدخلوا القضاة وأغلقت الأبواب لمخاضهم وانتهى إلى الأفضل أن جماعة منهم أرسلوا إلى العادل في إصلاح أحوالهم وانجأ أحاطهم فقال سبب الدين يازكوج لا أفضل لكل زمان عمل ولكل أوان عمل فاصطغ الأمر كيف تمها فلا ملا على التأييد بآي زنى يا قسرع الأفضل في إصلاح الأمر مع عمه وأرسله على أن يكون يحكمه ثم سار إلى مصر وسار إلى مصر وحصل له من التجربة ما عايناه بالعراق عالم قال وخيم العادل بالبركة واستأجنتك مصر آمنان الشركه ونفذ القطيع إلى إقطاعهم ونظر الصلاحية في صلاح ضياعهم وأرسل إلى الأفضل أن وافقتني على ما أعطيتك وقبلت سعديت وقولا الذين عندك ما منهم الأمن كسب إلى وقتك وانتظر يومى هذا وترقب وهذه إضماره كنهم فتأملها وإن لم تصدقنى فتنسها وإعلم أنهم غزوك وضرك وسأزوك بما سرك وقيل لم يبق من الأمراء من لم يكتب إليه ولم ينفجر إلا أربعة أحلصهم سبب الدين يازكوج فلما عرف الأفضل صدق عمه سلم المسته وسأل المعلة فقرر الأفضل في دار بكر ميفارقين وأعمالها وجل جوارحاني وجاين والمعاقل والحصون المحسوبة من ميفارقين فرضى بها مكرها وخرج إلى الشام متجهها ليلة السبت سابع عشر ربيع الأول في الليلة التي دخل العادل في بكرتها الماهرة فاستقر بدار السلطنة وقد سبب الدين يازكوج وحكمه واستبقى رضى الناصرية بإبقاء الخطبة لابن العزيز ولم ياتهم مع حصول المعنى في التفضيل والتمييز وأقام وهو كل يوم في ارتجاع وسيداه وقوته في تورياده قال ورد القضاء إلى القاضي صدر الدين عبد الملك بن درباس الكردي ولم يزل فاضى القضاء بالدار المصرية من الأمام الناصرية وكان نائبه القاضي زين الدين على بن يوسف الدمشقي وتعبص الامراء المقلدون على الملك العزيز في مراتبه بصرف صدر الدين وتولية نائبه ولم يزل صدر الدين مصر وفا تارة ينجي الدين ابن أبي عصرون وتارة زين الدين حتى تعصب العادل له وبعث العزيز رده فلما انقضت أيام العزيز زواج الأفضل كان أول ما جلى عليه من صدر الدين يعزل وتويزن الدين القضاء فلما جاءت نوبة العادل في هذه السنة رخص صدر الدين إلى منصبه وذل الدربس بالدرسة الشافعية في التربة المقدسة وبالمشهد الشريف الحسيني الذي أجرى عليه حكم المدرسة إلى شيخ الشيوخ خيسدر الدين ابن جويه وكسب إليه وهو بدمشق فاستدعاه وقد كان ذلك ولده في ماله كالحجزية أمور المناصب الشرعية والامور الدينية ومدارس الشافعية وربط الصوفية وهو فاضى قضائها ووالى هدايتها وهادى ولائها واه

مكتتاب (٢٣٨)، الروشتين

في مناصبه ثواب وفي مرانته أحماب قال ولما دخل العادل القاهرة استشر أصحاب الدواوين مهابة الوزير صفي الدين ابن شكر الظاهر ونزل في الدار السلطانية في الخيرة الفاضلة وتصد في مكان مكاتبه وشهر من فله غضب شهامته وسيف صرامته وقهر المتخبرين ووضع المسكرين وأخذ قوس الوزارة باربعها وأجرى الله الأمور أحسن مما بها قال ونذب العادل من الاسدية والصلاحية أميرين كبيرين الى الشام لاصلاح ذات الدين بحص وجاه وحلب وغيرهما وهم امراسنقر وكرجي قال ولما وقع الأفضل معه بالبركة سار الى صرخد وأقام بها ونذب الى البلاد التي يدار بكر من يتسلها ولما انفصل عن مصر وجد الموصلين له لحيته مفارقين وكذا الدنيا ما تقبل على أحد ولا تدهم بدلا لا تواردت على خياضه الجوع وتزاحم في رياضه التروع فاذا صرفت عنه وجوهها عرف أهلها عنه الوجوه وأحاديثه فيها مكرهه قال وأما الظاهر فان عنه أحسن اليه وعنده عطاء عجل وودعه بثناء جليل وأقطع بعا لدمشق خزما وضامع السواد وشق عليه أنه لا يجد ما يجوده وهو من الأجواد ووصل الى دمشق في رابع جمادى الآخرة وسكن في جوسق يستماله بالنزب وسلك طريقا للاحتراز والاحراس واختار البعد عن مقاربة الناس ولم يدخل المدينة وطلب من القاضي بجامع النرب خطيبا شافعا ليكون بالصلاة مع حضور الجامع بالبلد غنيا واحتاط غاية الاحتياط وطوى بساط الشناط

(فصل) قال العماد واستدعى العادل ابنه الكامل الى مصر ليستنيبه فيها وكان بحران وهو في تلك البلاد نائب السلطان فسلم تلك الولاية الى أخيه الفاتر ووصل الى دمشق سادس عشر شعبان ونزل بجوسق أبيه في يستماله ومعهم شمس الدين المعروف بقاضي دارا وهو وزيره ومسجده على المكارم ومسيرة قال وخدمته بكلمة أو طبا

أنت تحبون بالاعراض تعذيبى * وتصدون بخلق الصدمه ذبى
ساروا فاصبح من هجيتى الرقلى * غابوا فاستنى عن مقاتلى غبى
قد كان يصيحى دهرى فادركنى * محمد بن أبى بكر بن أبوب
الكامل المالك الاملاك حيث له * رق الاعاجم منهم والاعارب
معطر عرعره عرفا ومكرمة * مخزطينه بالطهر والطبيب
لا يدعى جوده البحر الخضم ولا * يلقي نأبيه في النهم الشناخيب
دعك مصر الى سلطانها فاجب * دعاهما فحق غير مكذوب

قال وعزمت على محبته في هذه السفره الى مصر فخرج في الثالث والعشرين من شعبان الى الكسوة وخرج سلطان دمشق الملك المعظم ليودع سلطان مصر أخاه الكامل ومحبته الى رأس الماء مع عدة من الأمراء ثم ودعه وانصرف وتشوش مزاج الكامل بعده وانحصر ووصل الى العباسية في الحادى والعشرين من رمضان والنقاه والده العادل وانزله بالقصر ثم ركب اليه بعد يومين واستجيبه الى الدار ورتب أخواله على الأيو ركن قد قدعده على ابنة عمه الملك الناصر رجه الله فادخله اليها بيني عليها قال وأصبح العادل يوم الاثنين سابع عشر شوال وركب بالسحق السلطانى والركب الخسروانى والسيف المسلوله والعقد والحواله وأمر الخطيبين بجماعى مصر والقاهرة بالخطبة له ولولده الكامل من بعده ليس بعد دعاء الخطبة الا الدعاء لهما وانقطعت الخطبة لابن العزى ركن أحضر جماعة من الفقهاء والقضاة والكبراء والولاة وحال لهم قول المستفتى المستشير هل تقص لولاية الصغير فقالوا لهذا مولى عليه فلا يلزى وغيايات الخواص بنظره لا تجيب ولا تجبلى فقال فهل يجوز لولى الكبران بنوب عنه الى أن يكبر ويرب الأمور بحكم النيابة ويدير فقالوا اذا كانت الولاية غير صحيحة فلا تصح النيابة ومن رأى صوابا خطأ به الاصابه لاسيما فى السلطنة التي هى خلافة الخليفة فلا حق فيه الا لكبير الذى يعين على الحقيقة وجرى منهم فى هذا المعنى الاعيان فلما عرف الشرع أحضر الأمراء والنفس منهم الطاعة والسمع والقيام فى الدين له واليثاق والزمهم بالوفاء والوفاق فأبوا وخطبهم بممارعتهم وملائكة ربيع اسماعهم ثم قال قد علمتم ما هو الواجب من التغافر على حفظ نغور الاسلام وتدريب المالك مصر والشام وما هذا أمر يسايط بالصبيان أو يحاط بغير

في أخبار (٣٣٩) الدولتين

ذي القدرة والسلطان فاذعنوا وأطاعوا وحصل الائتلاف ورفع الخلاف قال ولما أصبحنا يوم السبت شاهدنا الملك الكامل قد ركب مثل والده معقودا ساجدة بجبايته وانما صل بجذوبه والصلوا هل جثوبه والاعدين نأظروهم والانس نأكره ومشي في ركابه من اليه تعجب والى السلطان تترتب قال وركب يوم الخميس السابع والعشرين من شوال الى برج المقسم والمقسم موضع على شاطئ النيل يزار وهناك مسجد يتبرك به الاجرار وهو المكان الذي قعت فيه الغنجة عند استيلاء العصابة رضى الله عنهم على مصر ولما أمر صلاح الدين رحمه الله بادارة السور على مصر والقاهرة وتولاها الامير قراوش جعل نهاية التي تلى القاهرة عند المقسم وبني فيه برجاً هو مشرف على النيل ذو شرفات ومقل ذو طيقات وثيق البناء رفيع القناء وبني مسجد جامعاً واصلت العمارة منه الى البلد متتابعة المدد وهو منتهى عن الاكدار والاقذار منزله وبالحانات مشبه الى البحر والبر بمناظرة الشبابك موجه فاختار الكامل أن يجلس فيه يوماً للثغر برج فجلس في الطبة العليا واجتمع الامراء والاعيان في الطبة الدنيا ثم حمد السباط في الجامع ثم ذكر العباداته مدحه ثم بكاهة ألوها

مغم القلب مدنف * وجدده ليس بوصف * وعدونا واخلفوا * وفيها لم يفوا

قال وفي الحادي والعشرين من شوال قدم فلان الدين أخو العادل من دمشق قلت هو أخوه لأمه واسمه أبو منصور سليمان ابن شرويه بن جلدك واليه نسب المدرسة الفلكية بنواحي باب الفرائس بدمشق وبها قبره قال العباد وفي هذا اليوم خطب العادل وابنه الكامل والعادل في مهابة يسهه ويستدعيه والمرو كثير بأخيه ثم عاد الى دمشق بعد مشهور قال وفي العشرين من الشهر خرج حاج مصر الى البركة وأمر عليهم نصير الدين الحضرمي ابن بهرام وكان والى المحلة وهو مستر الولاد من الايام الفلاحية وجمع معه من معروفى الاجناد وأمر انهم اعتدوا وكذلك حج في هذه السنة حاج دمشق وجمعهم الامير عز الدين سامه وكانت السنة مباركة والنعم متدركه والخير عام والخصب تام قال وانتظرنا زبادة بحر النيل في أوقاتها فبلغ الى احدى وعشرين أصعاً من ثلاث عشرة ذراعاً فعاد بذلك ككل قلب من ناعا ثم أخس في النفوس وهو من جوار زياده فأمرول الفداء على العادة فغضب الناس ووقع الياس واشتد الحبل وغلا السعر وبس الفلاحون من الفلاح واجفوا من البلاد لا تتاح وطار وأباحت الحجة في طلب النجاس وقيل ان هذا النقص لم يهد من عهد العصابة وشرعن في الاستغفار والانابة وصام الناس ثلاثة أيام قبل يوم الترويه وكأنا أصابهم مصيبة فهم في التعزية ثم استموا ثلاثة أيام الى العيد وأفاض الخطيب في ذكر الوعيد وغصت بالخلائق الامكنة وضجت بالادعية والضرعات الالسية قال وفي السنة التي قبلها وهي سنة خمس وتسعين استدعى القاضي ضياء الدين أبو الفضائل النعماني بن يحيى بن عبد الله الشهرزوري الى بغداد وولى قضاء القضاة وكان متولى القضاء بالموصل فخرج في أوخر شعبان فلما وصل بغداد بجل وعظم وكان قد تردد الى بغداد فعاتب في الايام الصلاحية بسبب الرسالة فهو كان المعين لها كما تقدم ذكره

(فصل) في وفاة جماعة من الاعيان في هذه السنة أعني سنة ست وتسعين قال العباد وفيها ثالث عشر جمادى الاولى توفي في داره بدمشق الامير صارم الدين قايمز النجفي وكان متولى أسباب صلاح الدين رحمه الله في محنته ووفاته يعمل عمل أستاذ الدار واذا فجع ببلد اسمه اليه واستأمنه عليه فيكون أول من افض عذره وشام جمعه وحصل له من بلد آمد عدد فتحه ومن ديار مصر عده موت عاضدها أموال عظيمة ونصقت في يوم واحد بسبعة آلاف دينار مصرية عبا واطهر انه قضى من حقوق الله في ذمته ديناً وهو المعروف معروف وبالحبر مصروف بحسب اقتضاء المفاخر بمناظره ومن جملته رباط خسين وبباطونى وله مدرسة مجاور دار ولما كفى الله دمشق الحضر نهض وراء العادل الى مصر فذه الى دمشق ليلزم خدمة الملك ولدا المعظم ويكون من أقوى عده وأوفى عده وكان في خلقه زعارة وكانت حصافته مستعارة قال ولما دفن بمشأ أمواله وقتت رحله وحضر أمناه القاضي وضمناء الولى واخر جواحبنا الزوايا وسوط النور وخطو النساء وغدير وارسوم المنزل ومعلمه واستنبطوا دنائهم ووراهه وحفروا أماناً في الدار وبركة الجسم في الجوار فخفوا أوفاراً من النصار وظهروا على الكفور الخفية والفاش الالفيه فقيل زادت على مائة ألف دينار وهو قيل في جنب ما يمر زبانه من كذا وكذا فظن

مكتاب (١٤٨) . الروضتين

واستقل ما ظواهر الحزن وأخفاه الدفن وقيل كان يكثري صغاري ضباعه لومعارات أقطاعه قلت واتهم بعدده جماعة بأن له عندهم ودائع وتأذى بذلك المتأني منهم والطائع وداره بدعشق هي التي ساءها الملك الانشرف أبو القموص من بني العادل داراً للصدى في سنة ثلاثين وسمائة وأخرب الجمام الذي كان يجاورها وأدخله في ريعها وذلك في جوار قلعة دمشق بينهما الخندق والطريق وتم مدرسته المعروف بالقيز به قال العماد في جمادى الآخر من هذه السنة توفي يعني جسر الحاجب لؤلؤ وكان في الأيام الصلاحية أنشجع الشهبان وأفرس الفرسان وله مقامات في الغزاه ومواقف مع العداة وهو الذي نبض وراءه ككب الفرح المأخضة في بحر البلاء إلى بر الخجاز وأنى في كسرهم وأسرهم بالاعجاب والابحاز وكانوا قطعوا الطريق في بحر عذاب على الخجاز وحصلت أموالهم تحت الاستيلاء بعد حصونهم تحت الأسار فأخذوا واستنقذوا منازل حتى أخذوا وساقوا إلى القاهرة أولئك الكبار مقيروين واعتقلهم بهامدورين قلت وفيه يقول الرضى بن أبي حصينة المصري يخاطب الفرنج عدوكم لؤلؤ والبحر مسكنه * والدر في البحر لا يخشى من العبر فأمر حسامك أن يحظى بخرهم * فالدرمذ كان منسوب إلى الخبير

وقد قيل فيه أشعار كثيرة تقدم بعضها في أحبار سنة ثمان وسبعين قال العمادوس دلالات سماحه ما شاهدته بالقاهرة في سنة إحدى وتسعين من هجرة الظاهر انه لما حط أنقحط رحله ووصل المحل لمحه وعم الغلا وعم البلا أنكر هذا الحاجب الكبير كرامة لم يسبق إليها وذلك انه كان يمر كل ليلة اثني عشر ألف غريمه فإذا أصبح جلس على باب الموضع الذي فيه حشر القراءة ثم يفتح من الباب مهادر ما يجسر منه واحد بعد واحد ويصله غير عائد فيتناول كل منهم قرصه ويرى ذلك من خبراته فرسه فإيرال فأعد احتق بهرق الألوف على الألوف وكان هذا ألبه في خذل الغلاء حتى نهض الرخاء خبيثاً تنوعت صدقاته واستغرت بالصلاة أوفاته وكان بهي السبب نفي الجبيب قد جعل الله التركة في عمره وحصه مدة حياته بما رآه فأنجد في أوان ضعه به بتعريفه ولاشك انه من الأولياء الاندال والصالحين الصالحين الاعمال قال وفي يوم السبت الحادى والعشرين من ذى القعدة وأنا بالدار المصرية توفي الفقيه الكبير شهاب الدين الطوسي وهو أكابر الأئمة الشافعية ورثتها واليه تبعها وترويسها وهم من أصحاب محمد بن يحيى وكواجه الملوكة بالحق المير وأنكر عليهم ما ينكرونه من العرف و يعرفونه من النكر ولما وصل إلى مصر كان في الدين عشرين سنة شاهدنا من أيوب موليها فأعجبه سميت المذكور فولا به مدرسته بصروهي المعروف بمنار العرف ولها أوامهم فيها عدا حتى فارقت جنة النعم به ووه وخلت منارل العز من منازل عزه وأصبح الأسس دول سريره من دحمين وعليه متوجع فوصلوا به إلى القرافة معان الرجاء والرافة وهناك الأصاغر والأكابرة من الملوكة والأمراء معشاه وجنازته بما فيه من لباس الهوى معشاه ولما نهضوا أيديهم من ترابه انعضوا من أيادي ركبه متربين ونار اللهف والتاب عليه مضطربين وعى الخبر إلى جاء عرف بن تقي الدين فولى فاضى دهمشقي يحيى الدين بن الزكي بصروفي أبيه وسيرتانيه لتسلم ذلك وتولية وكان اتفق حضوره عند ذلك الرسالة فاجتهدى يرشده إلى الصلالة قال وفي العشرين من جمادى الآخرة توفي الفقيه العالم بدر الدين بن عسكر رئيس الحنابلة بدمشق قلت وقيل كان كاتب وفاته في تاسع عشر جمادى الأولى ويعرف بابن العمادة قال وفي سابع عشر شعبان توفي بحلب الفقيه الكبير يظهر الدين عبد السلام الفارسي وكان أرفع فقيه وأفقه بأربع ور إلى اصفهان سنة تسع وأربعين ولفيها العلماء المبرزين وثالط صدها بن الخندى وكان تفعه بكممان وقرأ على بقصر الدين الرازي من أكابر ملازمة محمد بن يحيى ومنه في بلاد خراسان والعراق وإقليمه بمصر سنة اثنين وسبعين في العهد الصلاحي وسامه السلطان المعظم بليقوض إليه التدريس بهر الشافعي رضى الله عنه دعبر موصد بروعاد إلى البلاد ثم وفد إلى دمشق في جمادى الأولى سنة خمس وتسعين ثم سار إلى حلب في ثلثي شعبان فكان من وفاته بها ما كان قال وفي هذه السنة توفي بتيسار النقيب الكبير يحيى الدين ابن يحيى الدين محمد بن يحيى وفيها توفي صاحب آمد قطب الدين سبكان ابن نور الدين قرا أرسلان وفيها مات بدمشق في العشر الاوسط من شعبان الهمام العبدى الشاعر البغدادي وهو أبا الحسن على بن نصر بن عقيل بن أحمد بن علي بن عبد القيس من ربيعة

في أخبار (٢٤١) الدولتين

وقدم دمشق ستة خمس وتسعين وهو أشهر من رأيت في هذا الزمان وجمعتهم ينشد الملك العادل ودمشق معصومه
كلية شاعره وصادقته دامت حسن وقصاحة وحصافة ولس ومعه ديوان شعره يحرق فلا تدركه وفرايد شعره
وتوزع على مدح الامجد صاحب بعلبك ومن شعره

وما الناس الا كامل الخطأ ناقص * وآخر منهم ناقص الخطأ كامل

واني أسير من حياء وعفة * وان لم يكن عندي من المال طائل

قال وتوفي في هذه السنة قبل الفاضل بثلاثة أيام الاثير بن بنان وكان مشغولاً في الدولتين بكل قبول واحترام
واحسان وكان السلطان لما تصرف في القصر ولا يسبح موجوده وبذل في نصرتة غاية مجهوده وما فرغ من
شغله أبعد على رسم انعامه كله واستمر امره واستقر قراره وجلس في بيته يسبح عليه روايته العالمة
حتى أدرك أيام الملك العزيز ولم يدرك في العز ولا ولم يك عملاً حتى تغير خلقه وتقل رزقه وتبطل حقه وآل أمره
الى اعقابه بالديون واحتياسه في الزهون ومن غاظه وزير العزيز وكان مؤدبه في الصغر واستوزره في الكبر
واسمعه ما كره وقال له ما أحسن ما أدبت شخدمك وخرجته وعلى مراتب اخلاقك درجته وقال للفاضل
انما لصيتك في أيام شاور مرتين ودافعت عنك دفعتين وهذه تصائدك في مدحى ومقاصدك في المعنى وكان
يعرف لتقدم عهد وانتقاله في الحالات مبادى أرباب المناسبات الى الغايات فكبره التواب وود حضرة
ولعاض الكواب عزضوه وكان باعشاره جارى وبأبدارهم مقابل باب دارى وأما أعينى في الأيام الصالحة
باصطفاه واصله بأرجح صباه

في قصص في وفاته القاضي الفاضل رحمه الله قال العادل في هذه السنة تمت الزبة الكبرى والبلية العظيمة
وجبة أهل الفضل بالدين والدنيا وذلك بانتقال القاضي الفاضل من دار القنا الى دار البقاء في داره بالقاهرة
سادس ربيع الآخر يوم الثلاثاء وكان بعنى ذلك اليوم عصف الافضل يوم الكسرة وعصاب الفاضل يوم الحسرة
وذكر انه ليلة الثلاثاء في مدرسته صلى العشاء وجلس مع الفقيه ابن سلامة مدرسه وتحدث معه ما شاء
وشوهد من كل ليلة لبش وأبسم وأهش وقد طابت المحاضرة وطالت المسامرة وانفصل الى منزله فصحى البدن
فصحى اللسان وقال لغلامه رتب حوائج الحمام وعرفنى حين أقضى معنى المنام فوفاه بهر الاعلام فما أكثر
بصوت الغلام ولم يدركه كالم الحمام حتى من الكلام وان وثوقه بظهارته من الكثرة أغناه عن الحمام فمادرا ليه ولده
فالفاه وهو ساكت بهت فعرف ان القدر له باغت فلبث يومه لا يسمع له الا نين خفى علم منه انه يبعده الله وفي
ثم قضى سعيداً ومعنى شهيداً أجيداً فوفاه الله تعالى الوصية فكانت له بسيد الأولين والآخرين اسوه وان تردى
عن رداء العرفه من حلال البقاء في علبين كسوه ولانه لم يبق في مدة حياته إلا صلاحاً لا وقتعه ولا عهداً في الحيلة
الا حكمة ولا عسداً في الابرار الأبره فان صنائه في الرقاب وأوقافه على سبيل الخيرات منجهاً وزنه عن الخراب
لا سيما أوقافه فكذلك أسرى المسلمين الى يوم الحساب وأعان طلبية الشافعية والمالكية عدداً بالمدسة والايام
بالكتاب والخبرات الدارة على الأيام فكانت حياة ثانية الى يوم البعث وإعادة حياة الامام وصكان رحمه الله
للحقوق فاضياً وفي الحقائق ماضياً سلطاناً مطاعاً والسلطان له مطيع وقضله جامع وشمل الفضل به جميع وهو
واحد الزمان وصاحب القرآن قد خصه الله بالمسكاة والامكان والسلطان رحمه الله من مشجعات فتوحه
ومختراتها ومبادئ أمور دولته وغاياتها ما افتتح العالم الا باليد اراه وآرائه ومقاليد غناها وغناها وكنت
من حسناته محسوبا والى مناسبات الآيه منسوباً أعرف صناعته ويعرف صناعاته وأعارض بضاعته القيمة بمنزلة
بضاعتى ولم يزل يجذب بضعتى ويجلب ثقتى وما أوسع درعه للخطاب في شغلى اذا ضاق بالخطب الشاغل درى
وكانت كاتبة كتاب النصر وبراعة راعة الدهر وبراعة بارية للبرية وعبارة نافذة في عقد السحر وكانت بلاغته
للدولة جملة وللمملكة مكله وللعصر الصلاحى على سائر الاعصار مفضل ومفتتحها في الفتوحات اليد بدميه
ومختراته في الصنائع المختارة صانعه وانما نسجت على منواله ومنجت من جرياله ورويت بزلاله وهو الذى

كتاب (٢٤٢) الروضتين

نعم أساليب القدماء بما أقدمه من الأساليب وأغريه من الابداع وابتدعه من الغريب وما الغيبة كروء عام ذكره في مكانته ولا رد لفظي مخاطبته بل تأتي فضوله مبتكرة مبتدعة مبتدعة لا ممتكرة بالعرف والعرفان معرفة لانكره وكانت الدولة بالتدال وإزالة بالآله تزال والكرام في ظله يقيون ومن عثر الثواب بفضله يستقيون وبغزى حمايته يعززون وهز عطف عطفه يهززون فالي من الوفاة بعده ومن الافادة وفيمن السيادة ومن السعادة والجدلة الذيلة الغيب والشهادة واثالته وانا اليه راجعون ولا امره منقادون وقد وصفه الامجاد أضاف في كتاب الخريدة في القسم الرابع في ذكره باسم فضلاء مصر واعمالها فقال وقيل شروى في ذكر أعيان مصر وأحسنها ومزايا بفضلها ومنها أقدم ذكر من جميع أفاضل الدهر وأما نيل العصر كالقطرة في تيار بحره بل كالزيت في أنوار بحره وهو المولى القاضي الاجل الفاضل الاسعد أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف أبي المجدد علي بن الحسن بن البستاني صاحب القرآن العديم الاقران وواحد الزمان العظيم الشأن رب القلم والبيان واللسان واللسان والفرجة الوفاة والبصيرة النفاذة والبدية المجزئة واليدية المطرزة والفضل الذي ما جمع له جماله في الأوائل من لو عاش في زمانه لثعلق بغيره أوجرى في مضماره فهو كالشربة للمجدبة التي نسخت الشرائع ورسخت بها الصنائع يمتدح الأفكار ويترشح الأفكار ويطلع الأنوار ويبدع الأزهار وهو ضابط الملك بارائه ورايط السلالة بالآله ان شاء أنشأ في يوم واحد بل في ساعه ما لو دون لكان لاهل الصناعة خير بضاعة أين قس في مقام حصافته ومن حاتم وعروى في سماحته وجاسته فضله بالافعال حال ونجم قبوله في أفق الاقبال عال لائق والصفاء والفتوة والنطق والصلاح والندى والسماح منشرفات العلم وناشر آياته وجلي غيبات الفضل وتالى آياته وهو من أولياء الله الذين خصوا بكرامته وأخلصوا لولايته قدوة الله للتفسير كره وفضل هذا العصر على الأعصار السالفة بفضله وله فهو مع ما يتولاه من اشغال الملكة الشاغلة ومهامه المستعرة في العاجلة لا يغفل عن الآجاله ولا يفتقر عن المواظبة على نوافل صلاته ونوافل صلاته وحفظ أو رادوه وظافته وبث أصفاده وعوارفه ويختتم كل يوم من القرآن الجيد ويضيف اليه ما شاء الله من المزيد وانا أوثان أقدر لنظمه ونثره كتابا فاتني اغار من ذكره من الذين هم كالسم في فلك شمسه وذكائه وكالثري عند شرايعه وذكائه فاعنا ببدو النجوم اذ الم تبرز الشمس حاجبا وتجب نور الغزاة عند اشراقها كواكبها وانه لا يؤثر أيضا الثبات ذلك فاعامتثل لاهره المطاع ملتزم له قانون الاتباع واضع أدنى لادنه قابض يميني على يمينه راسكن بأمل الى كركنه قاطن برجائي في ظيل أمانه اقترض رضاه ولا اعتراض على ما يحكم به وراه ولا أقوم الا حيث يقيمي ولا أسوم الا ما يسوقني ولا أعرف المكنى غير يده ولا أنصدى الا لما جعلني بصدده وأسأل الله التوفيق للثبات على هذا السنن وابتهاج جدده وهو أحق مدح بمدحى وأفضاهم بحقه وأسماهم في أفقه وأولاهم بصدقه وأهداهم الى طريقه وفيه مدائح منقوطة ومنشورة ومقاصد مهادها معجورة وتصانيد قلائد هاعلى مجده موقورة ثم ذكر منها بعض ما نغتم ذكره في مواضع من هذا الكتاب وله فيه من قصيدة أولها

بجيتكم ما عندكم بعدى * فسوى الامى ما بعدكم عندي
ملا حجة لا عدتمهم * رغبوا عن الاسعاد في الزهد
ان لم يفوا فاقده وفيكم ما * عبد الرحيم بذمة الجهد
ذو الرتبة الشماء والأشرف السعالي السنا والسودد العد
الناس كلهم له تبع * في فضله وادهر كالعبد
كم غاص ببحر بانه ففدا * دزاليان يساق في العقد
ان سود البضائع يبض من * ثوب اليماني كل مسودة
قل أفا السيم البلاديه * ونغورها للضبب والسد

في اخبار (٢٤٣) الدولتين

ملك كتيبتيه ككتابتيه * فردد جيش النصر في جند
الاسمر الخطى تابعه * في حكمة والايض الهندى
والثانيات بحمد ابداء * مثابرة مغالاة الحسد
وهي طويلة ثم قال ولو اوردت من كلامه طرقات لظهر بجزا الا فاضل واعتبرت بالفصوص وذو الفضائل فلا يحسن ذكر
الجند في الجداول ولا العرش في المنازل فاننا اؤثر ان افرد به قسم لا يسترجع سواء ولا يتبع رج به من في جماعته
اوردناه وله ان ياذن لي في ذلك فلا يسيل اليه الا باذنه ولا نفاذ لثمة صرف الا بعد الفكاك من رهنه قالت وقد قالت
الشعراء فيه فاكثروا وقد تقدم لابي الحسن بن الذروري فيه أبيات حسنة على حجة والتشاح ابي الفتح البطلاني فيه

لله عبيد رحيم * بدعي بعبد الرحيم
على صراط سوى * من الهندى مستقيم
يغنى الى شرف في * ذرى المعالي صميم
مهدب حاز ما شئت من تقى وعلم
نسك ابن مريم عيسى * وهدي موسى الكليم
يرى التهجيد انسا * في جنى اسبل بهم
مسند الطرف يساو * أى القرآن العظيم

وللقاضي السعيد هبة الله بن سناء الملك فيه من قصيده

عبد الرحيم على البرية رجة * امنت بحببتها حاول عقابها
ياساقلا عنه وعن اسبابه * نال السعيا وسله عن اسبابها
والدهر بعلم ان فيصل خطبه * بخطى براعته وفصل خطابها
ولقد علت رب الاجل على الورى * به ومنصيا وطيب نصابها
واتته خاطبة اليه وزارة * ولطما اعيت على خطابها
ما قبسوه بها لان يعلمها * اسماء أغنته عن انسابها
مال الزمان لنفسه اذ رامها * تربت بينك لست من اترابها
اذهب طريقك لست من اربابها * وارجع وراءك لست من اربابها
وبعز سيدنا وسيد غسبرنا * ذلت من الايام شمس صبابها
واتت سعادت الى ابوابه * لا كاذى يسى الى ابوابها
تعذو الملوكة لوجهه بوجهها * لا بل تساق لبابه بربابها
سغل الملوكة بما يقول ونفسه * مشغولة بالذكر في محرابها
في الصوم والصاوات اتعب نفسه * وضمان راحته على اتعابها
وتجمل الاقلاق عن لداته * ثقة بحسن ما لها وما آياها
فلتخر الدنيا بساكن ملكها * منسه ودارس علمها وكتابها
صوامها قوامها علامها * علمها بذلها وهابها

وله فيه ايضا من أخرى

وسأت من أى المعادن نعرها * فوجدت من عبد الرحيم المعدنا
ابصرت جوهر نعرها وكلامه * فقلت حقاً ان هذا من معدنا
ذلك الكلام من الحكال بمنزل * لا يدرك الساعى اليه سوى العنا
يدنو من الافهام الا انه * تلقاه ابعده ما يكون اذا دنا

قلت كان والده تولى القضاء بسقلان وأندذ ولده القاضي إلى مصر فأتصل بكتاب الدولة المصرية أبي الفتح ابن
فادوس وغيره وفتح الله عليه في سنة الصناعة ففاق فيها أهل عصره مضافا إلى ما منحه الله تعالى من علوق قدر
وقد سبق من ترسله ما يشهد لعظيم أمره وقرأت من نظمته

وسيف عتيق للأعداء فإن يقل * رأيت أبا بكر فقل وعتيق
فزيار به فهو الطريق إلى الهدى * ودع كل باب ما إليه طريق

وله أيضا

سبيتم بأسداء الجبل تكريما * وما مناكم فحين يتحدث أوحى
وقد كان ظني أن أسابقكم به * ولكن بكت قبلي فتهيج إلى البكا

ودف رحمه الله بمقبرته بالقرافة وقرأت في تاريخ أبي علي حسن بن محمد بن اسماعيل القلوبي الذي ذيله على تاريخ أبي
القاسم السمناني قال حدثني الملك المحسن أحمد بن السلطان صلاح الدين أن يوم موت القاضي أتمق دخول الملك
العدل إلى مصر وأخذها من ابن أخيه الأفضل قال دخل العادل من باب وخرجنا من باب آخر قال
وأكثر أهل مصر يدعون أن كنيته التي جمعها مقدر ماثة الف بمحمد وكان يجمعها من سائر البلاد قال فقلت وأخبرني
القضاء صياء الدين العاصم بن يحيى الشهرزوري بعد أدام ولايته يحدث أن القاضي القاضي الأفضل لما سمع أن العادل أخذ
الديار المصرية دعا على نفسه بأموث خشية أن يسد عليه وزيره صفي الدين بن شكر الله ما يجري في حقه اهانة وكان
بينهما معارضة فأصبح صياء الدين في كنيته معاملة حسنة مع الله تعالى وصلا بالليل كما ذكرنا عنه رحمه الله قلت وأخبرني
القاضي أشية صياء الدين بن أبي الخياط صاحب ديوان الجيش رحمه الله أن القاضي الأفضل بعد صلاح الدين لم
يخدم أحد من أولاده وكان الدولة بأسرها نأى إلى خدمته إلى أن توفي قال ولما قدم العادل مصر وملكها بآيات وأصبح
فزار قبر الأشافي رضي الله عنه وجاء إلى قبر القاضي فزاره قال ابن أبي الخياط وأنا حاضر ذلك

في ثم دخلت سنة سبع وسعين * قال العادل فبينما توفي الأمير عز الدين أراهم بن شمس الدين بن محمد بن المقدم في
حصن إقاميه وقتها وفي سنة ست قبلها توفي السلطان خوارزم شاه بن تكش بن ايل أرسلان بن أرتغر بن محمود وهو
الذي زالت دولة السلجوقية ملكه واجتمع له مع خوارزم نرسان والعراق وإسمات قام ولده علاء الدين مقامه قال
وفيهما كتب السلطان العادل للامير فخر الدين أيارشركس ما عمل تبين وهو زين وباناس والحولة وما يجري معها
وكانت مع الأمير حسام الدين بشاره فخاصره ونجده الملك المعظم عيسى بن السلطان من دمشق فسلم البلاد وخرج
قال وفيما توفي الأمير بهاء الدين قراقوش وهو من القدماء الكرماء وشيوخ الدولة الكبراء أمير الاسدي ومقدمها
وكرمها ومكرمها ولم أر غيره خصيما تقاومه الفحول ولم يثر في خيال ما ثراته المحول وله في الغزوات والفتوحات
مواقف معروفه ومقامات موصوفة وهو الذي احتاط على الناصر حين استبنت على متوليه أسباب الناصر وذلك
قبل موت العاضد بنده والمخطب بن العباس بالديار المصرية تسلم القصر بما فيه واستظهر على أكارب العاضد وبنيه
وتولى عمارة الاسوار المحيطة بمصر والقاهرة وأنى فيها بالجناب الطاهر وكان معاد الاتجاه وملاذ الاتجاء غير
أنه نسب إلى الخياط شدة ثباته وفرط جوده ولا يكاد يجمع لصلابة عوده ولما توفي تسلم العادل داره بما حوته
من الدخائر وصارت أقطاعه للملك الكامل قال وفيما نقل إلى العادل عن غلام الأمير أيبك الفطس أن جماعة
قد عزموا على التفتك بالعادل حال ركوبه وأسندوا صل ذلك إلى المملوكين المعز وأصحق والمؤيد مسعود ولدى صلاح
الدين رحمه الله فاحضر الغلام وعصره فأتى ولم يجر واعتقل المعز والمؤيد ونزع من أتمه في ذلك من الأمراء الصلاحيه
ونكلم الناس بأحدث في هذه القضية قال وفي هذه السنة اشتد الغلا وامتد إلى بلاد ونجفت الجماعة وهناك القوي
فكثيف الضعيف ونهك السمين فكيف العجيف وخرج الناس حذرا الموت من الديار وتفرق في مصر في المصار
ورأت الأرامل على تلك الزوال والجال باركة تحت الأجمال ومراكب البحر تجم على ساحل البحر على القمم تسترق
الجبايع بالقم فقل من إلى الشام خلص الإمدان قل عددا له ونقص قلت ثم زالت تلك الشدة بعد مده وتوفي العادل

في اخبار (٣٤٥) الدولتين

الكتاب رحمه الله مصنف هذه الكتب الفتح والبرق وهذه الرسائل الثلاث العتيق والخليفة والخطبة بدمشق في أول شهر رمضان من هذه السنة وهي سنة سبع وتسعين وخمسمائة ودفن بقبر الصوفية بالشرف القبلي وفي هذه السنة توفي الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الواعظ وغيرهم رحمه الله وتوفي الملك الأفضل بمصر في سنة اثنتين وعشرين وستمائة وجل إلى حلب فدفن بها وتوفي الملك الظاهر بحلب في سنة ثلاث عشرة وستمائة وفيها توفي بدمشق الشيخ تاج الدين أبو العين زيدا بن الحسن الكندي ودفن بالجبل وغيرهم رحمه الله وتوفي الملك العادل أبو بكر أيوب بدمشق في سنة خمس عشرة وستمائة وابنه المعظم في أواخر سنة أربع وعشرين وستمائة وأخوه الأشرف الكامل في سنة ثمان وخمسين وستمائة رحمه الله ووفق من بقي من أهل دينهم وأصلح ذات دينهم آمين ثم الجزء الثاني من الروضتين وبتمامه تم جميع الكتاب والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه وحسبنا الله ونعم الوكيل وفاق الفراغ من نسخة في يوم الأربعاء رابع شهر المحرم الحرام اثنتان عشرة ثلاث وعشرين ومائة والتف غفر الله لكاتبه وفارته ولن رأى عيما وأصلحه والمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والوالدين والبن يقول آمين

قال الفقير إلى ولاه المعيد المبدى المدعو بابي السعد أفندي المترجم بقلم الترجمة بدويان ٤٠٠ من المدارس المصرية والقائم بوظيفة تحرير صحيفة وادي النيل العصرية تم بحمد الله طبع هذا الأثر الجليل والسفر المفيد الجليل مطبوعة وادي النيل المطبعة الكائنات الآن في داره بعبقة تدرب المصحح بشارع باب الشعرية من الحاضرة القاهرة وقد كان هذا الكتاب ظلما من تحريف النسخ عافيا فباعناه الله سبحانه وأحييناه وكان رسمنا من تصحيح الكتاب وأهيا فبقدره الله جل شانه رفعا مناره وأعلمناه وكان جدارا يريد أن ينقض برور الزمان فبقوت حق الله الحسن أثناه رجاء أحياء الشعائر الإسلامية وابقاء الآثار التاريخية العلمية عسى أن يطالع على أحوال من ذكر فيه بعض من يوفقه الله للإطلاع عليه من أرباب الجاه والسطوة فيكون له فيه ان شاء الله تعالى أجل عبدة وأحسن اسوه وكان ختام طبعه وتمام تصحيحه من نسخة أصل باليد قدرة ظهورنا

في المكتبة المصرية الحديثة في أواخر شهر رجب الفرد سنة ١٢٨٨ من سنة ١٢٨٨ هـ المطبعة النوبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية ولا ملام ولا عيب ولا عيب ولا عيب
إذا كان قد فاق علمنا بعض غلط في تصحيح هذا الكتاب
فإن سيرا الطبع لا يتحمل المهمل والعمل صعب والنقد
أسهل وهل سلم كتاب مطبوع من فهرست
خطأ وصواب وآخر دعوانا من
فضل الاصحاب وغاية
رجانا من محبة
الاحباب
وان تجد عيبا فاسد الخلال ✽ جمل من لا عيب فيه وعلا

(٢٤٧)

(ترجمة المؤلف)

وهذه هي ترجمة مؤلف الكتاب المسمى بالروضتين في اخبار الدولتين
وجدت على نسخة الاصل منقولة من كتاب فولت الوفيات لابن شاكر فأوردناها هنا احياءاً لذكر
صاحب التصنيف وتعميقاً لقيمة هذا التأليف الشريف

وهو عبد الرحمن بن اسماعيل بن عثمان الامام العلامة ذوالفقون شهاب الدين أبو شامة المقدسي الاصل
الدمشقي الشافعي الفقيه المقرئ النحوي ولد سنة ست وتسعين وخمسمائة بدمشق وكانت وفاته سنة خمس وستين
وسمائه ودفن بمقابر باب كيسان قرأ القرآن العظيم وله دون العشر وجمع القراآت كلها سنة ست عشرة وعلى
الشيخ علم الدين السخاوي وسمع بالاسكندرية من الشيخ أبي القاسم عيسى بن عبد العزيز وغيره وحصل له سنة
تسع وثلاثين عناية بالحديث وسمع بالاولاد وقرأ بنفسه وكتب الكثير من العلوم وأثنى الفقه ودرس
وأفتى وبرع في العربية وصنف شرحاً نفيساً للشافية وبحث في فروعها واختصر تاريخ دمشق مرتين الاولى في عشرين مجلداً
والثانية في عشر وشرح القصائد النبوية للسخاوي في مجلد وله كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النورية
والصلاحية وكتاب الدليل على اركان الحديث المقتضى في معاني المصطفى صلى الله عليه وسلم وكتاب
ضوء القمر الساري الى معرفة الساري والمحقق في علم الاصول فيما يتعلق بافعال الرسول وكتاب البسملة الاكبر
في مجلد وكتاب البسملة الاصغر وكتاب الباعث على انكار البدع والحوادث وكتاب السواك وكشف حال
بنى عبید والاصول في الاصول ومفردات النرا ومقدمة نحو ونظام المقاصل الزمخشري وسينح البيهقي وغير
ذلك وذكر انه حصل له الشيب وعمره خمس وعشرون سنة وولى مشيخة الاقراء بقريظة الاشرفية ومشيخة دار
الحديث الاشرفية وكان متواضعاً مطرحة للكف أخذ عنه القراآت الشيخ شهاب الدين الكفري والشهاب أحمد
اللبان وزين الدين أبو بكر بن يوسف المري وجماعة وقرأ عليه الشاطبية الشيخ شرف الدين النزارى
الحطيط ودخل عليه اثنان جليلان الى بيته الذي بأخر المعروف في طواحين الاشنان ومعهم فتوى فضر بها
مهر حاك كاد يتلف مته ولم يدر به أحد ولا أغانه وتوفي رحمه الله في ناسع عشر رمضان ودفن باب الفرداديس وقيل
بسباب كيسان قال رحمه الله تعالى جرت لي محنة بداري بطواحين الاشنان فأنعم الله الصبر ولطف وتبلى لي
اجتمع لولا انما قلت أنا قد فوضت امرى الى الله تعالى وهو كفي بما وقلت في ذلك شعراً

قلت ان قال أما تشنكى * ما قد جرى فهو عظيم جليل

يقض الله لنا عاجلاً * من يأخذ الحق ويشقى الغليل

اذا توكلنا عليه كفى * وحسبنا الله ونعم الوكيل

ومن نظم في السبعة الذين يظلمهم الله يظلم يوم لا ظل الا ظله قوله شعر

امام محب ناشئ متصدق * وبالضمير خائف سطوة الباس

يظلمهم الله الجليل بظلمه * اذا كان يوم العرض لا ظل الناس

أشربت بالفاظ تدل عليهم * فذكرهم بالنظم في بعضهم قاسى

وقال في المعنى أيضاً

وقال النبي المصطفى ان سبعة * يظلمهم الله العظيم بظلمه

محب عفيف ناشئ متصدق * وبالضمير والامام بعده

(اه من كتاب فولت الوفيات لابن شاكر)

فهرست

مالا يذمن التذنية عايريه من الخطا والصواب في الجسر الثاني من هذا الكتاب

صفحه	سطر خطا	صواب
٢	١٢	لثقل
٩	٧	بطشة
٩	٢٤	قلج
١٧	١٩	فلاد
٢٠	٥٥	المجورين
٢٢	٣٦	أوعزنا
٤٠	٣٣	نقوة
٤٤	٢١	سحق
٤٧	٣٤	بطشة
٤٨	٧	بطشة
٥٣	١٥	عزير المروة
٥٤	٣٦	تقراص لبرد
٩٤	٣٢	بن ملك
١٤٠	٣٢	فتقنطر
١٤١	٢٣	تقنطرت
١٤١	٢٤	فتقنطرت
١٧٤	٢١	وادنا عطاياك
٢٠١	٢٩	ويسألناه
٢٠٨	٢١	بديع التحمل

هذا أول الميزل يوجد في طبع هذا السفر الشريف بعض تحريف وتصحيف كتنقص بعض نقط
او عدم ضبط في طبع بعض الحروف لا تخفى على فهم القارئ البصير والله سبحانه وحده
هو المنزه عن الغلط والنسقط وهو العلم الخبير

CALL No. 49659 ACC. NO. 1424

AUTHOR _____

TITLE _____

R2608 00 R09 116

R2711 00 1424 49659

1001/01.

22/11

CHECKED-2002

Date	No.	Date	No.
R1703 01			
12			
R1712 01			
22/11			



MAULANA AZAD LIBRARY
ALIGARH MUSLIM UNIVERSITY

R U L L S :-

- 1 The book must be returned on the date stamped above
2. A fine of **Rs. 1-00** per volume per day shall be charged for text book and **10 Paise** per volume per day for general books kept over-due